

- ٠٠٥ المسئلة الاولى في بيان طريق اثبات نبوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
- ٠١٣ المسئلة الاولى في بيان حقيقة الولي
- ٠١٥ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على ان اهل الثواب لا يحصل لهم خوف في محفل القيامة
- ٠٥٠ (سورة هود عليه السلام وفيها المسائل الآتية)
- ٠٨٣ المسئلة الثانية في بيان صفة سفينة نوح عليه السلام
- ١٠٧ المسئلة الثالثة في بيان قصة ابراهيم عليه السلام مع ضيفه
- ١٤٩ (سورة يوسف عليه السلام وفيها من القصص ما لا يخفى)
- ٢٥٨ (سورة الرعد وفيها المسائل الآتية)
- ٢٥٩ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال باحوال السموات على وجود الصانع
- ٢٦٢ الكلام في الاستدلال بخلقه الارض واحوالها على وجود الصانع
- ٢٦٤ المسئلة الاولى في بيان الاستدلال بمجائب خلقة النبات على وجود الصانع
- ٢٦٦ المسئلة الاولى في بيان انه لا يجوز ان يكون حدوث الحوادث لاجل الانصالات الفلكية
- ٢٧٩ المسئلة الثالثة في بيان الاستدلال بحدوث البرق والسحاب والرعد على قدرة الله تعالى وحكمته
- ٢٨٥ المسئلة الاولى في بيان استدلال اهل السنة على مسئلة خلق الافعال
- ٢٨٦ المسئلة الثانية في بيان انه هل يجوز ان يطلق عليه تعالى اسم الشيء ام لا
- ٢٨٦ المسئلة الثالثة في بيان استدلال المعتزلة على قولهم ان الله تعالى عالم بذاته لا بالعلم
- ٢٩٧ الكلام في بيان شبهات متكررى النبوة والجواب عنها
- ٣١٠ المسئلة الخامسة في ابطال استدلال الرافضة على قولهم ان البدء جائز على الله تعالى
- ٣١٢ الكلام في بيان الاستدلال على نبوة عليه الصلاة والسلام
- ٣١٣ (سورة ابراهيم عليه السلام وفيها المسائل الآتية)
- ٣١٣ المسئلة الثانية في استدلال المعتزلة على قولهم ان افعال الله تعالى معللة بالافراض
- ٣١٤ المسئلة الرابعة في بيان استدلال المعتزلة على ابطال القول بالجبر
- ٣١٧ المسئلة الثالثة في بيان استدلال اهل السنة على ان الخالق لا فاعل العباد هو الله تعالى

صحيحة

٣١٩ المسئلة الثانية في بيان استدلال بعض الناس على ان اللغات اصطلاحية لاوقفية

٣١٩ المسئلة الثالثة في بيان استدلال العيسوية على ان محمدا مرسل الى العرب خاصة

٣١٩ المسئلة الرابعة في بيان استدلال اهل السنة على ان الهدى والضلال من الله تعالى

٣٢٨ المسئلة الثانية في بيان ان الفطرة الاولى شاهدة بوجود الصانع الحكيم

٣٣٠ المسئلة الرابعة في بيان استدلال اهل السنة على انه تعالى قد يغفر الذنوب من غير توبة

٣٤٢ المسئلة الاولى في بيان استدلال المعتزلة على ان العبد خالق لافعال نفسه

٣٤٣ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على ان الشيطان الاصلى هو النفس وفي بيان حقيقةهما

٣٥٤ الكلام في بيان الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم المختار

٣٥٩ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج اهل السنة على ان الكفر والايمن بخلق الله تعالى

(سورة الحجر وفيها المسائل الآتية) ٣٧٢

٣٧٧ المسئلة الثالثة في بيان استدلال اهل السنة على ان من قتل فهو ميت بأجله

٣٨١ المسئلة الثانية في بيان احتجاج اهل السنة على ان الله تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار

٣٨٥ الكلام في الاستدلال بالاحوال السماوية على وجود الصانع المختار

٣٨٦ الكلام في الاستدلال بالاحوال الارضية على وجود الصانع المختار

٣٩٠ المسئلة الثانية في بيان استدلال المعتزلة على ان المعدم شيء والجواب عنه

٣٩٣ الكلام في الاستدلال بحصول الاحياء والامانة لهذه الحيوانات على وجود الصانع المختار

٣٩٣ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على انه لا بد من انتهاء الناس الى انسان هو اول الناس

٤٠٠ المسئلة الاولى في بيان الاستدلال على ان الكذب في غاية الخساسة

(سورة النحل وفيها المسائل الآتية) ٤٢١

٤٢٥ الكلام في بيان ان دلائل الالهيات هي التمسك بطريقة الامكان اما في الذات او في الصفات

٤٣٦ الكلام في الاستدلال على وجود الصانع بخلقه الانسان

- ٤٢٧ المسئلة الاولى في بيان وجه الاستدلال باحوال النفس الانسانية على وجود الصانع
- ٤٢٨ المسئلة الثانية في بيان منافع الانعام
- ٤٣٢ المسئلة الثانية في بيان احتجاج المعتزلة على انه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية
- ٤٣٢ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج اهل السنة على انه تعالى ماشاء هداية الكفار
- ٤٣٢ الكلام في بيان الاستدلال بهجائب احوال النبات على وجود الصانع الحكيم المختار
- ٤٣٥ المسئلة الاولى في بيان الاستدلال على انه لا يجوز ان يكون حدوث الحوادث بتأثير الطبايع
- ٤٣٧ الكلام في بيان الاستدلال على وجود الصانع بهجائب احوال العناصر وفي بيان منافع البحار
- ٤٣٩ الكلام في ذكر بعض النعم التي خلقها الله تعالى في الارض
- ٤٤٢ المسئلة الاولى في بيان ابطال عبادة غير الله تعالى
- ٤٤٣ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج اهل السنة على ان العبد غير خالق لافعال نفسه
- ٤٤٣ المسئلة الاولى في بيان ان العبد لا يمكنه الاثيان بالعبودية على سبيل التمام والكمال
- ٤٤٤ المسئلة الثانية في بيان انه هل لله على الكافر نعمة ام لا
- ٤٥٤ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج اهل السنة على ان الهدى والضلال من الله تعالى
- ٤٥٧ المسئلة الرابعة في بيان احتجاج اهل السنة على قدم القرآن
- ٤٥٩ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على انه تعالى ما ارسل احدا من النساء ولا من الملائكة
- ٤٦٠ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج نفاة القياس على قولهم والجواب عنه
- ٤٦٧ المسئلة الثانية في بيان استدلال القائلين بالفوقية والجواب عنه
- ٤٦٧ المسئلة الرابعة في بيان استدلال من قال ان الملائكة افضل من البشر
- ٤٦٨ المسئلة الاولى في بيان قوله لا تتخذوا لهين اثنين وفي تقرير ان الانبياء منافية للالهية
- ٤٧١ المسئلة الثانية في بيان استدلال اهل السنة على ان الايمان حصل بخلق الله
- ٤٧٥ المسئلة الثانية في بيان استدلال المعتزلة على بطلان القول بالجبر وجواب اهل السنة عنه

- ٤٧٦ المسئلة الاولى في بيان احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء والجواب عنه
- ٤٧٦ المسئلة الثانية في بيان الاحتجاج على ان الاصل في المضار الحرمه
- ٤٨١ المسئلة الثالثة في بيان كيفية هضم الاغذية ووصول منافعها الى الاعضاء
- ٤٨٢ المسئلة الرابعة في بيان اشتغال حدوث اللبن في الثدي على حكم بحمية واسرار بدية
- ٤٨٤ المسئلة الخامسة في بيان الاستدلال بحدوث اللبن على امكان الحشر والنشر
- ٤٨٥ المسئلة الاولى في بيان ما يصدر من الاعمال العجيبة التي يعجز عنها البشر
- ٥٨٩ المسئلة الاولى في بيان مراتب عمر الانسان وفي استدلال الطبائعين على قولهم
والجواب عنه
- ٤٩٧ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج الفقهاء على ان العبد لا يملك شيا
- ٥٠٠ المسئلة الثالثة في بيان اقسام المعارف والعلوم
- ٥٠١ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال بتخلقة الطير وتعميرها في الجوف على قدرة الله
وحكمته
- ٥٠٨ المسئلة الاولى في بيان فضائل قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية
- ٥١٣ المسئلة الثالثة في اتفاق اهل السنة والمعتزلة على ان تذكر الاشياء من فعل الله
تعالى
- ٥٢٠ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج الشافعي رضي الله عنه على ان القرآن لا ينسخ
بالسنة
- ٥٢٠ الكلام في حكاية شبهة من شبه منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتقرير
الجواب عنها
- ٥٢٤ المسئلة الرابعة في بيان الاكراه الذي يجوز عنده التلطف بكلمة الكفر
- ٥٢٤ المسئلة السادسة في بيان الاستدلال على انه لا يجب على المكروه التكلم بكلمة الكفر
- ٥٢٥ المسئلة الثامنة في بيان ما يقبل الاكراه عليه من الافعال وما لا يقبل
- ٥٢٥ المسئلة العاشرة في بيان الاستدلال على ان محل الايمان هو القلب
- ٥٤٠ (سورة بنى اسرائيل وفيها المسائل الآتية)
- ٥٤١ المسئلة الثانية في بيان الاختلاف في كيفية الاسراء
- ٥٤٨ المسئلة الثانية في بيان احتجاج اهل السنة على قولهم في مسئلة القضاء والقدر
- ٥٦٠ المسئلة الثالثة في استدلال اهل السنة على ان وجوب شكر الممتن لا يثبت بالعقل
بل بالسمع
- ٥٦٢ المسئلة الثانية في بيان استدلال اهل السنة على صحة مذهبهم في الارادة

- ٥٨١ المسئلة الثانية في بيان ان الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة
- ٥٨٨ المسئلة الثانية في بيان احتياج نفاة القياس على قولهم والجواب عنه
- ٥٩٤ المسئلة الثانية في بيان احتياج المعتزلة على ان افعال الله تعالى معللة بالأعراض
والجواب عنه
- ٥٩٤ المسئلة الثانية في بيان احتياج اهل السنة على انه تعالى ما اراد الايمان من الكفار
- ٦١٧ الكلام في ذكر النعم التي بها فضل الانسان على غيره
- ٦٢٦ المسئلة الثالثة في بيان احتياج الطاعنين في عصمة الانبياء والجواب عنه
- ٦٢٦ المسئلة الرابعة في بيان احتياج اهل السنة على انه لا عصمة عن المعاصي
الا بتوفيق الله
- ٦٣١ المسئلة الخامسة في بيان فوائد قوله تعالى وقرآن الفجر الآية
- ٦٣٧ الكلام في بيان ان القرآن شفاء من الامراض الروحية ومن الامراض الجسمانية
- ٦٤٠ المسئلة الاولى في بيان المراد من الروح المذكورة في قوله تعالى ويسألونك عن
الروح الآية
- ٦٤١ المسئلة الثانية في ذكر سائر الاقوال المقولة في الروح المذكورة في هذه الآية
- ٦٤٣ المسئلة الثالثة في شرح مذاهب الناس في حقيقة الانسان
- ٦٤٦ المسئلة الرابعة في شرح مذاهب القائلين بأن الانسان جسم موجود في داخل
البدن
- ٦٤٨ المسئلة الخامسة في بيان دلائل مثبتة النفس من جهة العقل
- ٦٥٤ المسئلة السادسة في اثبات ان النفس ليست بجسم من الدلائل السمعية
- ٦٥٦ المسئلة الثانية في بيان احتياج المعتزلة على قولهم بأن القرآن مخلوق والجواب عنه
- ٦٥٦ المسئلة الاولى في بيان كيفية انجاز القرآن
- ٦٦٤ المسئلة الثانية في بيان ما ذكر في القرآن من معجزات موسى عليه السلام
- ٦٧٢ (سورة الكهف وفيها المسائل الآتية)
- ٦٧٣ المسئلة الثالثة في بيان ان ازال الكتاب نعمة على الرسول عليه الصلاة والسلام
ونعمة علينا
- ٦٧٦ المسئلة الثانية في بيان الطوائف الذين اثبتوا الولد لله تعالى وفي ابطال مقالاتهم
- ٦٨٢ المسئلة السادسة في بيان احتياج اهل السنة الصوفية على صحة القول بالكرامات
- ٦٩١ المسئلة السابعة في بيان الفرق بين الكرامات والاستدراج
- ٦٩٣ المسئلة الثامنة في بيان ان الولي هل يعرف كونه وليا ام لا
- ٧٠٤ المسئلة الثالثة في مذهب اهل السنة والمعتزلة في ارادة الافعال وعدمها

- ٧٠٤ المسئلة الرابعة في بيان احتجاج القائلين بان المدوم شيء على قولهم والجواب عنه
- ٧٠٧ المسئلة الرابعة في بيان اختلاف الناس في زمان اهل الكهف وفي مكانهم
- ٧٠٨ المسئلة الخامسة في بيان ان مدار القول بالبعث والقيامة على اصول ثلاثة
- ٧١٠ المسئلة الاولى في بيان احتجاج اهل السنة على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل والغفلة
- ٧١٣ المسئلة الثانية في استدلال المعتزلة على ان الكفر والايمان والطاعة والمعصية مفوض الى العبد
- ٧١٣ المسئلة الثالثة في بيان فوائد قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
- ٧٢٥ المسئلة الثانية في بيان استدلال المشبهة على انه تعالى يحضر في المكان والجواب عنه
- ٧٤١ المسئلة الثانية في بيان احتجاج اهل السنة على ان الاستطاعة لا تكون قبل الفعل
- ٧٤١ المسئلة الاولى في بيان احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء على قولهم والجواب عنه
- ٧٥٠ المسئلة الثانية في بيان ان ذا القرنين من هو وفي سبب تسميته بهذا الاسم
- ٧٥٢ المسئلة الثالثة في بيان ان ذا القرنين هل كان من الانبياء أم لا
- ٧٦٢ (سورة مريم عليها السلام وفيها المسائل الآتية)
- ٧٧٧ القول في فوائد قصة زكرياء عليه السلام
- ٧٩٨ المسئلة الثانية في بيان احتجاج اهل السنة على قدم كلام الله تعالى
- ٨٠٨ الكلام في تقرير احتجاج من طعن في عصمة الانبياء والجواب عنه
- (تمت)*

﴿ شركت صحائف عثمانیه ﴾

الجزء الخامس من مقالات الغيب المشتهر بالتفسير
الكبير للإمام محمد الرازي فخر الدين
ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري
نفع الله به المسلمين
آمين

٢

* (وبهامشه تفسير العلامة أبي السعود) *



(ويستنبذك) أى يستخبروك
 فيقولون على طريقة الاستبراء
 أو الانكار (أحق هو) أحق خير
 قدم على المبدأ الذى هو الضمير
 للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى أنه
 خلق أوميتراً والضمير مرتفع به
 صاد مسد الخير والجلالة في موقع
 النصب يستنبذك وقرئ أخلق
 هو ترميضاً بأنه باطل كما نهى
 هو أخلق لا الباطل أو هو الذى
 سينمو أخلق (قل) لهم غير ملقت
 إلى استبراءهم مقتضياً عما قصدوا
 وبأنى للاسرة على أساس الحكمة
 (أى وربى) أى من حروف
 الإيجاب بمعنى نعم فى القسم خاصة
 كما أن هل معنى قد فى الاستفهام
 خاصة لذلك بوصول بواؤه (أنه)
 أى العذاب المؤبد (لخلق) لثابت
 البتة أكد الجواب بآتم وجوه
 التأكيد حسب شدة انتكاس
 وقوته وقد زيد تقريراً وتحقيقاً
 بقوله عن اسمه (ومآتم) مجازين
 أى ثباتين العذاب بالهرب وهو
 لاحق بكم لأعماله وهو المعلوم
 على جواب القسم أو مستأنف
 سبق لبيان هجرهم عن الخلاص
 مع ما فيه من التقرير المذكور
 (ولوان لكل نفس ظلت) بالشرك
 أو التمدى على الغير أو غير ذلك من
 أصناف الظن ولو مرة حسب ما يفيد
 كون الصفة فعلاً (مآلى الأرض)
 أى مآلى الدنيا من جزائها
 وأموالها ومناقصها فاطبة بما
 كثر (لاقتدت به) أى لجلته
 فدية لها من العذاب من اقتتاده
 بمعنى فداد (واسروا) أى النفوس
 المدلول عليها بكل نفس
 والمدلول إلى مسببة الجمع مع
 تحقق العموم في صورة الأفراد
 أيضاً لإفادة تحويل الخطاب بكون
 الأمر بطريق المية والاجتماع
 وأعمال براع ذلك قياساً لتحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الخامس

يقوله تعالى (ويستنبذك أحق هو قل أى وربى أنه خلق ومآتم) مجازين و لوان لكل
 نفس ظلت مآلى الأرض لاقتدت به واسروا الندامة للارأوا العذاب وقضى بينهم بالنسب
 وهم لا يظنون (أعلم أنه سبحانه أخبر عن الكفار بقوله ويقولون متى هذا الوعدان كنتم
 صادقين وأجاب عنه بما تقدم فحكي عنهم أنهم رجعوا إلى الرسول مرة أخرى فى عين هذه
 الواقعة وسألوه عن ذلك السؤال مرة أخرى وقالوا أحق هو وأعلم أن هذا السؤال جهل
 محض من وجوه (أولها) أنه قد تقدم هذا السؤال مع الجواب فلا يكون فى الامادة فائدة
 (وثانيها) أنه قد ذكر الدلالة العقلية على كون محمد رسولا من عند الله وهو بيان كون
 القرآن مجزئاً وإذا أصبحت نبوتهم لزم القطع بحجة كل ما يجبر عن وقوعه فهذه المعانى توجب
 الإعراض عنهم وترك الالتفات إلى سؤالهم واختلفو فى الضمير فى قوله أحق هو قيل أحق
 ما جئنا به من القرآن والنبوة والشرايع وقيل ما تقدمنا من البعث والقيامة وقيل ما تقدمنا
 من نزول العذاب علينا فى الدنيا ثم أنه تعالى أمره أن يجيبهم بقوله قل أى وربى أنه خلق
 والفائدة فيه أمور (أحدها) أن يستعلم ويشكل معهم بالكلام المعتاد ومن الظاهر أن
 من أخبر عن شئ أو كده بالقسم فقد أخرجه عن الهزل وأدخله فى باب الجد (وثانيها) أن
 الناس طبقات ختم من لا يقر بالشئ إلا بالبرهان الحقيق ومنهم من لا ينفع بالبرهان الحقيق
 بل ينفع بالاشياء الإقناعية نحو القسم فإن الأعرابى الذى جاء الرسول عليه السلام وسأل
 عن نبوته ورسالته أكنفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم فكذا هيئنا ثم أنه تعالى أكد
 ذلك بقوله ومآتم مجازين ولا بد فيه من تقدير مخوف فيكون المراد ومآتم مجازين

ما يوضح من فرض كون جميع ما في الارض (٢) لكل واحدة من النفوس واثار صيغة جمع المذكور لفظ النفس على الشخص او

لتعليق ذكر مدلوله على اناته

(الندامة) على ما فعلوا من الظلم

اخفوها ولم يظهروها لكن لا

للاصطبار والتجديدهيات ولا

حين اصطبار بل لانهم يهتوا (للازوا

الغذاب) اي عند معابيتهم من

فضاعة الحال وشدة الاهوال

ما لم يكونوا يحسبون فلم يقدروا

على ان ينطقوا بشئ فلباعني حين

متصوب بأسروا او حرف شرط

حذف جوابه لدلالة تقدم عليه

وقيل اسرها رؤسائهم من

اضلواهم حياء منهم وخوفا من

توبيخهم ولكن الامر اشد من

ان يعترفهم هناك في غير خوف

الغذاب وقيل اسروا الندامة

اخفوها لان اسرارها خلصها

اولا من التي خالفتها حيث

تخفي ويضن لها فقيه تكلم بهم

وقيل اظهروا الندامة من قولهم

سرنا في اسرها اذا اظهره حين

عزل صوره وفي ترجمته (وقضى

بينهم) اي اوقع القضاء بين الظالمين

من المتركين وغيرهم من اصناف

اهل الظلم بان اظهر الحق سواء

كان من حقوق الله سبحانه او من

حقوق العباد من الباطل

وعمل اهل كل منها بما يليق

به (بالقسط) بالعدل وتخصيص

الظلم بالتعدي وحل القضاء على

مجرد الحكومة بين الظالمين

والظالمين من غير ان يشرع

لحال المتركين وهم اظم الظالمين

لايساعده القيام فان مقتضاها اما

كون الظلم عبارة عن الشرك او عما

يدخل فيه دخولا وليا (وهم)

اي الظالمون (لا يظلمون) فيما فعل

بهم من الغذاب بل هو من متضات

ظلمهم ولو ازمه الضرورية (الا

ان الله مافي السموات والارض)

اي ما وجد فيها داخلا في

لمن وعده كمال العذاب ان يتركه عليكم والفرض منه التنبه على ان احدا لا يجوز ان يانع
ربه ويدافعه عما اراد وقضى ثم انه تعالى بين ان هذا الجنس من الكلمات انما يجوز
عليهم ماداموا في الدنيا فاما اذا حضروا محفل القيامة وعانوا قهر الله تعالى وآثار
عظمته تركوا ذلك واشتغلوا باشياء اخرى ثم انه تعالى حكى عنهم ثلاثة اشياء (اولها) قوله
ولوان لكل نفس ظلمت ما في الارض لا فتدت به الا ان ذلك متعذر لانه في محفل القيامة
لا يملك شيئا كما قال تعالى وكلهم آتية يوم القيامة فردا وبقدير ان يملك خزائن الارض
لا يتفقد الفداء لقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وقال في صفة هذا اليوم
لا يبع فيه ولا خلة ولا شفاعة (وثانيها) قوله واسروا الندامة لما راوا العذاب واعلم
ان قوله واسروا الندامة جاء على لفظ الماضي والقيامة من الامور المستقبلية الا انها
لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي واعلم ان الاسرار هو الاخفاء
والاظهار وهو من الاضداد اما ورود هذه اللفظة بمعنى الاخفاء فظاهر واما ورودها
بمعنى الاظهار فهو من قولهم سرنا في اسرها اذا اظهره اذا عرفت هذا فقول من الناس
من قال المراد منه اخفاء تلك الندامة والسبب في هذا الاخفاء وجوه (الاول) انهم لما
راوا العذاب الشديد صاروا مهوتين متحيرين فلم يطيعوا عنده بكاء ولا صراخا سوى
اسرار الندم كالحال فين يذهب به ليصلب فانه بقي مهوتا متحيرا لا ينطق بكلمة (الثاني)
انهم اسروا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم فان قيل ان
مهاجرة ذلك الموقف تمنع الانسان عن هذا التدبير فكيف اقدموا عليه قلنا ان هذا التمكن
انما يحصل قبل الاحتراق بالنار فاذا احترقوا تركوا هذا الاخفاء واطمروا بدليل قوله تعالى
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا (الثالث) انهم اسروا تلك الندامة لانهم اخلصوا لله في ذلك
الندامة ومن اخلص في الدماء اسره وفيه يحكم بهم وباخلاصهم يعني انهم لما اتوا بهذا
الاخلاص في غير وقته لم يتفهم بل كان من الواجب عليهم ان يأتوا به في دار الدنيا وقت
التكليف واما من فسر الاسرار بالاظهار فقوله ظاهر لانهم انما اخفوا الندامة على
الكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ الرئاسة وفي القيامة بطل هذا الغرض فوجب
الاظهار (وثالثها) قوله تعالى وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون فقيل بين المؤمنين
والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بازالا لعقوبة عليهم واعلم
ان الكفار وان اشتركوا في العذاب فانه لا بدوان يقضى الله تعالى بينهم لانه لا يتمتع
ان يكون قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وحانه فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب
بعضهم وتخفيف لعذاب الباقي لان العدل يقتضي ان ينصف للمظلومين من الظالمين
ولا يسلب اليه الابان يخفف من عذاب المظلومين ويثقل في عذاب الظالمين * قوله تعالى
الان الله مافي السموات والارض الان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحى
وعيت واليه ترجعون اعلم ان من الناس من قال ان تعلق هذه الآية بما قبلها هو انه تعالى

حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلة بالتعليق غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء

قال قبل هذه الآية ولوان لكل نفس ظلمت ما في الارض لا قدرت به فلا جرم قال في هذه الآية ليس الظالم شيء يقتدى به فان كل الاشياء ملك الله تعالى وملكه واعلم ان هذا التوجيه حسن اما الاحسن ان يقال انا قد ذكرنا ان الناس على طبقات ففهم من يكون انتفاعه بالانفعائات اكثر من انتفاعه بالبرهانيات اما المحققون فانهم لا يلتفتون الى الانفعائات وانما تعويلهم على الدلائل البينة والبراهين القاطعة فلما حكى الله تعالى عن الكفار انهم قالوا احق هو امر الرسول عليه السلام بأن يقول اى وربى وهذا جار مجرى الانفعائات فلما ذكر ذلك تبعه بما هو البرهان القاطع على صحته وتقريره ان القول بالنبوة والقول بصحة المعاد يتفرعان على اثبات الاله القادر الحكيم وان كل ماسواه فهو ملكه وملكه فمبر عن هذا المعنى بقوله الا ان الله ما في السموات والارض ولم يذكر الدليل على صحة هذه القضية لانه تعالى قد استقصى في تقرير هذه الدلائل فيما سبق من هذه السورة وهو قوله ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض وقوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل فلما تقدم ذكر هذه الدلائل القاهرة اكتفى بذكرها وذكر ان كل ما في العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلة ونور فهو ملكه وملكه ومتى كان الامر كذلك كان قادرا على كل الممكنات علما بكل المعلومات غنيا عن جميع الحاجات منزها عن النقائص والآفات فهو تعالى لكونه قادرا على جميع الممكنات يكون قادرا على ازالة العذاب على الاعداء في الدنيا وفي الآخرة ويكون قادرا على ايصال الرحمة الى الاولياء في الدنيا وفي الآخرة ويكون قادرا على تأييد رسوله عليه السلام بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة ويكون قادرا على اعلاء شأن رسوله واهبار دينه وتقوية شرعه ولما كان قادرا على كل ذلك فقد بطل الاستزراء والتعجب ولما كان منزها عن النقائص والآفات كان منزها عن الخلف والكذب وكل ما وعد به فلا بد ان يقع هذا اذا قلنا انه تعالى لا يراعى مصالح العباد اما اذا قلنا انه تعالى يراعى فقول الكذب انما يصدر عن العاقل اما للجهل او للجبل او للحاجة ولما كان الحق سبحانه منزها عن الكل كان الكذب عليه محالا فلما اخبر عن نزول العذاب بهؤلاء الكفار وبحصول الحشر والنشر وجب القطع بوقوعه ثبت بهذا البيان ان قوله تعالى الا ان الله ما في السموات والارض مقدمة توجب الجزم بصحة قوله الا ان وعد الله حق ثم قال ولكن اكثرهم لا يعلمون والمراد انهم غافلون عن هذه الدلائل مغرورون بظواهر الامور فلا جرم بقوا محرومين عن هذه المعارف ثم انه اكده هذه الدلائل فقال هو يحيى ويميت واليه ترجعون والمراد انه لما قدر على الاحياء في المرة الاولى فاذا اماته وجب ان يبقى قادرا على احيائه في المرة الثانية فظهر بما ذكرناه تعالى امر رسوله بأن يقول اى وربى ثم انه تعالى اتبع ذلك الكلام بذكر هذه الدلائل القاهرة واعلم ان في قوله الا ان الله ما في السموات والارض دققة اخرى وهى كلمة الا وذلك لان هذه الكلمة اعتمدت عند

ويان لا ندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقبا (الا ان وعد الله) اظهار الاسم الجليل لتخفيف شأن الوعد والاشارة بعلو الحكم وهو اما بمعنى الموعود اى جميع ما وعد به كاشاما كان فيستدرج فيه العذاب الذى يستعملوه وما ذكر في اثبات حاله اندراجا او لياا و بهناء المصدري اى وعده بجميع ما ذكر لمن قوه تعالى (حق) على الاول ثابت واقع لاعماله وعلى الثانى مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تصديق مضمونها المقر بخشون ماسلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والحفاظة عليه (ولكن اكثرهم) تصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المتبادرة (لا يعلمون) ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون (هو يحيى ويميت) في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك (واليه ترجعون) في الآخرة بالبعث والحشر

تسببه الغافلين وانقطاع النائمين واحل هذا العالم مشغولون بالنظر الى الاسباب الظاهرة فيقولون البستان للامير والدار للوزير والقلام لزيد والجارية لعمرو فيضيعون كل شيء الى مالك آخروا لخلق لكونهم مستغرقين في نوم الجهل ورقدة الغفلة يظنون صحة تلك الاضافات فالحق نادى هؤلاء النائمين الغافلين بقوله الا ان الله مافي السموات والارض وذلك لانه لما ثبت بالعقل ان ماسوى الواحد الاحد الحق يمكن لذاته وثبت ان الممكن مستند الى الواجب لذاته اما ابتداء او بواسطة فثبت ان ماسواه ملكه وملكه واذا كان كذلك فليس لغيره في الحقيقة ملك فلما كان اكثر الخلق غافلين عن معرفة هذا المعنى غير عاين به لاجرم امر الله رسوله عليه الصلاة والسلام ان يذكر هذا النداء لعل واحدا منهم يستيقظ من نوم الجهالة ورقدة الضلالة ﴿قوله تعالى﴾ يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان الطريق الى اثبات نبوة الانبياء عليهم السلام امران (الاول) ان نقول ان هذا الشخص قد ادعى النبوة وظهرت المجزة على يده وكل من كان كذلك فهو رسول من عند الله حقا وصادقا وهذا الطريق مما قد ذكره الله تعالى في هذه السورة وقرره على احسن الوجوه في قوله وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقد ذكرنا في تفسير هذه الآية ما يقوى الدين ويورث اليقين ويزيل الشكوك والشبهات ويبطل الجهالات والضلالات (واما الطريق الثاني) فهو ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو فكل من جاء ودعا لخلق اليه وحملهم عليه وكانت لنفسه قوة قوية في نقل الناس من الكفر الى الايمان ومن الاعتقاد الباطل الى الاعتقاد الحق ومن الاعمال الداعية الى الدنيا الى الاعمال الداعية الى الآخرة فهو النبي الحق الصادق المصدق وتقريره ان نفوس الخلق قد استولى عليها انواع النقص والجهل وحب الدنيا ونحن نعلم بعقولنا ان سعادة الانسان لا تحصل الا بالاعتقاد الحق والعمل الصالح وحاصله يرجع الى حرف واحد وهو ان كل ما قوى نفرتك عن الدنيا ورغبتك في الآخرة فهو العمل الصالح وكل ما كان بالضد من ذلك فهو العمل الباطل والعصية واذا كان الامر كذلك كانوا محتاجين الى انسان كامل قوى النفس مشرق الروح علوى الطبيعة ويكون بحيث يقوى على نقل هؤلاء الناقصين من مقام النقصان الى مقام الكمال وذلك هو النبي فالحاصل ان الناس اقسام ثلاثة الناقصون والكاملون الذين لا يقدرون على تكميل الناقصين والقسم الثالث هو الكامل الذي يقدر على تكميل الناقصين فالقسم الاول هو عامة الخلق والقسم الثاني هم الاولياء والقسم الثالث هم الانبياء ولما كانت القدرة على نقل الناقصين من درجة النقصان الى درجة

(يا ايها الناس) التفات ورجوع الى استقامتهم نحو الحق واستزالهم الى قبوله واتباعه غيب تصديرهم من غوائل الضلال بما تلى عليهم من القوارع الناصية عليهم سوء عاقبتهم وايدان بان جميع ذلك مسوق لمصلحتهم ومنافعهم (قد جاءكم موعظة) هي والوعظ والوعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالاجر والتزهيب او بالاسقام (من ربكم) ابتدائية متعلقة بصانكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لوعظة اي موعظة كاشتهن مواظركم وفي التعرض لتنوان الربوبية من حسن السوقع ما لا يخفى (وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)

الكمال مراتبها مختلفة ودرجاتها متفاوتة لاجرم كانت درجات الانبياء في قوة النبوة مختلفة ولهذا السر قال النبي صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبيا بني اسرائيل اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه تعالى لما بين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بطريق المعجزة في هذه الآية بين صحة نبوته بالطريق الثاني وهذا الطريق طريق كاشف عن حقيقة النبوة معرف لماهيتها فلا استدلال بالمعجز هو الذي تسميه المنطقيون برهان الان وهذا الطريق هو الطريق الذي يسمونه برهان الهم وهو اشرف وأعلى واكمل وافضل (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى وصف القرآن في هذه الآية بصفات اربعة (أولها) كونه موعظة من عند الله (وثانيها) كونه شفاء لما في الصدور (وثالثها) كونه هدى (ورابعها) كونه رحمة للمؤمنين ولا بد لكل واحد من هذه الصفات من فائدة مخصوصة فنقول ان الارواح لما تعلقت بالاجساد كان ذلك التعلق بسبب عشق طبيعي وحُب الروح على الجسد ثم ان جوهر الروح التذمست في هذا العالم الجسدي وطيباته بواسطة الخواص الخس وتمرن على ذلك والفب هذه الطريقة واعتادها ومن العلوم ان نور العقل انما يحصل في آخر الدرجة حيث قويت العلائق الحسية والحوادث الجسدية فصار ذلك الاستغراق سببا لحصول العقائد الباطنة والاخلاق الذميمة في جوهر الروح وهذه الاحوال تجري مجرى الامراض الشديدة لجوهر الروح فلا بد لها من طبيب حاذق فان من وقع في المرض الشديد فان لم يتفق له طبيب حاذق يعالجه بالعلاجات الصائبة مات لاحالة وان اتفق ان صادفه مثل هذا الطبيب وكان هذا البدن قابلا للعلاجات الصائبة فربما حصلت الصحة وزال السقم اذا عرفت هذا فنقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان كالطبيب الحاذق وهذا القرآن عبارة عن مجموع ادويته التي يتركبها تعالج القلوب المريضة ثم ان الطبيب اذا وصل الى المريض فله معه مراتب اربعة (الاولى) ان ينهائ عن تناول ما لا ينبغي ويأمره بالاحتراز عن تلك الاشياء التي يسببها وقع في ذلك المرض وهذا هو الموعظة فانه لا معنى للوعظ الا لجزء من كل ما يبعد عن رضوان الله تعالى والمنع عن كل ما يشغل القلب بغير الله (وثانيها) الشفاء وهو ان يسقيه أدوية تزيد عن باطنه تلك الاخلاط الفاسدة الموجبة لمرض فكذلك الانبياء عليهم السلام اذا منعوا الخلق عن فعل المحظورات صارت ظواهرهم مطهرة من فعل ما لا ينبغي فحينئذ يأمرهم بطهارة الباطن وذلك بالجماعه في إزالة الاخلاق الذميمة وتحصيل الاخلاق الحميدة واواثلها ما ذكره الله تعالى في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وذلك لانا ذكرنا ان العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة جارية مجرى الامراض فاذا زالت فقد حصل الشفاء للقلب وصار جوهر الروح مطهرا عن جميع النقوش المانع عن مطالعة عالم الملكوت (والمرتبة الثالثة) حصول الهدى وهذه المرتبة لا يمكن حصولها الا بعد المرتبة الثانية لان جوهر الروح الناطقة قابل للجلالاء القدسية والاضواء الالهية وفيض الرحمة

اي كتاب جامع لهذه القوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسنتها وسياتها مرغب في الاولى وراوع عن الاخرى ومبين للمعارف الخفية التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء العقلية كالجهل والشك والشرية والتفارق وغيرها من العقائد الزائفة وتهدا الى الطريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الافاق والانس وفي مجيئه برحمة المؤمنين حيث نجوا بهم من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى دوحات الجنان والتكبر في الكل للتفخيم

حام غير منقطع على ما قل عليه الصلاة والسلام ان ربكم في ايام دهر كم نفعات الا تفرحوا
لها وايضا قلنا انما يكون اما العجز او الجبل او البخل والكل في حق الحق ممنوع فالنفع في
حقه ممنوع فعلى هذا عدم حصول هذه الاضواء الروحانية انما كان لاجل ان العقائد
الفاسدة والاخلاق الذميمة طبعها طبع الظلمة وعند قيام الظلمة يمنع حصول النور فاذا
زال تلك الاحوال فقد زال العائق فلا بد وان يقع ضوء عالم القدس في جوهر النفس
القدسية ولا معنى لذلك الضوء الا الهدى ففقد هذه الحالة تصير هذه النفس بحيث قد
انطبع فيها نفس الملوكوت وتجلى لها قدس اللاهوت واول هذه المراتبة هو قوله يا ايها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك واسطعها قوله تعالى ففروا الى الله و آخرها قوله قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ويجوعها قوله والله غيب السموات والارض واليه يرجع
الامر كله فاعبدوه وتوكل عليه ومارك بغافل عما تعملون وسجي تفسير هذه الايات في
مواضعها باذن الله تعالى وهذه المراتبة هي المراد بقوله سبحانه وهدي (واما المراتبة الرابعة)
فهى ان تصير النفس البالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارض الربانية بحيث تفيض
انوارها على ارواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وذلك
هو المراد بقوله ورجة للمؤمنين وانما خص المؤمنين بهذا المعنى لان ارواح العاندين
لا تستضيء بأنوار ارواح الانبياء عليهم السلام لان الجسم القابل للنور عن قرص الشمس
هو الذى يكون وجهه مقابلا لوجه الشمس فان لم تحصل هذه المقابلة لم يقع ضوء الشمس
عليه فكذلك كل روح لما تتوجه الى خدمة ارواح الانبياء المطهرين لم تنفع بأنوارهم
ولم يصل اليها آثار تلك الارواح المطهرة المقدسة وكما ان الاجسام التى لا تكون مقابلة
لقرص الشمس مختلفة الدرجات والراتب في البعد عن هذه المقابلة ولا تزال تزايد درجات
هذا البعد حتى ينتهى ذلك الجسم الى غاية بعده عن مقابلة قرص الشمس فلا جرم يبقى
خالص الظلمة فكذلك تفاوت مراتب النفوس في قبول هذه الانوار عن ارواح الانبياء
ولا تزال تزايد حتى تنتهى الى النفس التى كسنت ظلمتها وعظمت شقاوتها وانتهت في العقائد
الفاسدة والاخلاق الذميمة الى اقصى الغايات وابتعد النهايات فالخاصل ان الموعظة اشارة
الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريرة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن
العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى وهو اشارة الى ظهور نور الحق
في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرجة وهى اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق
الى حيث تصير مكتملة لناقصين وهى النبوة فهذه درجات عقلية ومرتبات برهانية مدلول
عليها بهذه الالفاظ القرآنية لا يمكن تأخير ما تقدم ذكره ولا تقديم ما تأخر ذكره ولما به
الله تعالى في هذه الآية على هذه الاسرار العالية الالهية قال قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والمقصود منه الاشارة الى ما قرره حكما الاسلام من
ان السعادات الروحانية افضل من السعادات الجسمانية وقد سبق في مواضع كثيرة

(قل) تلون الخطاب وتوجيه
له الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليأمر الناس بان يفتخروا بما في
سمى القرآن العظيم من الفضل
والرحمة بفضل الله وبرحمته)
المراد بهما امامانى سمي القرآن
من الفضل والرحمة واما الجاس
وهما داخلان فيه دخولا اوليا
والباء متعلقة بمحذوف واصل
الكلام ليقربوا بفضل الله
وبرحمته وتكرر الباء في رجمته
للايدان باستقلالها في استيعاب
الفرح ثم قدم الجار والمجرور
على الفعل لا فائدة القصرا من اجل
عليه الفاء لا فائدة معنى التبيين
فصار بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا ثم قيل (فبذلك
فليفرحوا) لتأكيد التقرير ثم
حذف الفعل الاول لدلالة الثاني
عليه والفاء الاولى جزائية

من هذا الكتاب المبالغة في تقرير هذا المعنى فلا قلادة في الاعادة انتهى (المسئلة الثالثة)
قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا تقديره بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم
يقول مرة اخرى فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد وايضا قوله فبذلك فليفرحوا يشيد
الحصر يعني يجب ان لا يفرح الانسان الا بذلك واعلم ان هذا الكلام يدل على امرين
(احدهما) انه يجب ان لا يفرح الانسان بشئ من الاحوال الجسمانية ويدل عليه وجوه
(الاول) ان جماعة من المحققين قالوا لامعنى لهذه الذات الجسمانية الادفع الآلام
والمعنى العدمي لا يستحق ان يفرح به (والثاني) ان بتقدير ان تكون هذه الذات صفات
ثبوتية لكنها معنوية من وجوه (الاول) ان التضضر بالآلام اقوى من الانتفاع بلذاتها
الآتية ان اقوى الذات الجسمانية لذة الوقوع ولا شك ان الالتذاذ بها اقل مرتبة من
الاستمرار بالم القوت لنج وسائر الآلام القوية (الثاني) ان مداخل الذات الجسمانية
قليلة فانه لا سبيل الى تحصيل اللذة الجسمانية الا بهذين الطريقين اعني لذة البطن والفرج
واما الآلام فان كل جزء من اجزاء بدن الانسان معه نوع آخر من الآلام ولكل نوع
منها خاصية ليست للنوع الآخر (الثالث) ان الذات الجسمانية لا تكون خالصة البتة
بل تكون مزوجة بانواع من المكروه فلو لم يحصل في لذة الاكل والوقوع الاتعاب النفس
في مقدماتها وفي لواحقها لكفى (الرابع) ان الذات الجسمانية لا تكون باقية فكما
كان الالتذاذ بها اكثر كانت الحسرات الحاصلة من خوف فواتها اكثر واشد ولذلك
قال المعري * ان حزنا في ساعة الموت اضعا * ف سرور في ساعة الميلاد
فمن المعلوم ان الفرح الحاصل عند حدوث الولد لا يعادل الحزن الحاصل عند موته
(الخامس) ان الذات الجسمانية حال حصولها تكون بمنفعة البقاء لان لذة الاكل لا تبقى
بمخاليل كالزال المالجوع زال الالتذاذ بالاكل ولا يمكن استبقاء تلك اللذة (السادس)
ان الذات الجسمانية التذاذ باشياء حسسية فلها التذاذ بكيفيات حاصلة في اجسام
رخوة سريعة الفساد مستعدة للتغير فاما الذات الروحية فانها بالضد في جميع هذه
الجهات فثبت ان الفرح بالذات الجسمانية فرح باطل واما الفرح الكامل فهو الفرح
بالروحانيات والجواهر المقدسة وعالم الجلال ونور الكبرياء (والبحث الثاني) من مباحث
هذه المآلة انه اذا حصلت الذات الروحية فانه يجب على العاقل ان لا يفرح بها من حيث
هي هي بل يجب ان يفرح بها من حيث انها من الله تعالى وبفضل الله وبرحمته فلماذا
السبب قال الصديقيون من فرح بنعمة الله من حيث انها تلك النعمة فهو مشرك امامن
فرح بنعمة الله من حيث انها من الله كان فرحه بالله وذلك هو غاية الكمال ونهاية
السعادة فقول سبانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا يعني فليفرحوا بتلك النعم
لامن حيث هي هي بل من حيث انها بفضل الله وبرحمته الله فهذه اسرار عالية اشتملت
عليها هذه الالفاظ التي ظهرت من عالم الوحي والتزيل هذا ما تلخص عندنا في هذا الباب

والثانية للدلالة على السببية
والاصل ان فرحوا بشئ فبذلك
فليفرحوا الا بشئ آخر ثم ادخل
الفاء للدلالة على السببية ثم حذف
الشرط ومعنى البعد في اسم
الاشارة للدلالة على بعد درجة
فضل الله تعالى ورحمته ويجوز
ان يراد بفضل الله وبرحمته
فليمتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز
ان يتعلق الباب بجماعتكم اي جانتكم
موعظة بفضل الله وبرحمته
فبذلك اي فيحببها فليفرحوا
وقرى قل فرحوا وقرأ اي
فافرحوا وعن ابى بن كعب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال
بكتابه الله والاسلام وقيل
فضله الاسلام ورحمته ما وعده
عليه (هو) اي ما ذكر من فضل
الله ورحمته (خير مما يجمعون)
من مقام الدنيا وقرئ يجمعون
اي فبذلك فليفرح المؤمنون هو
خير مما يجمعون اي الخاطبون

(قل أرأيتم) اى اخبروني (ما انزل الله لكم من رزق) مانصوبة المحل بامدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم وجهه منزلاته مقدر في السماء (٩) محصل هو او ما يتوقف عليه وجودا او بقاء سباسب سماوية من المطر والكواكب

اما المفسرون فقالوا فضل الله الاسلام ورجته القرآن وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورجته ان جعلكم من اهله (المسئلة الرابعة) قرئ فلتفرحوا بالثناء قال الفراء وقد ذكر عن زيد بن ثابت انه قرأ بالثناء وقال معناه فلتفرحوا بالصحاب بمحمد هو خير بما يجمع الكفار قال وقريب من هذه القراءة قراءة ابي فبذلك فافرحوا والاصل في الامر للمخاطب والغائب اللام نحو لنقم يا زيد ولنقم زيد وذلك لان حكم الامر في الصورتين واحد الا ان العرب حذفوا اللام من فعل المأمور المخاطب لكثرة استعماله وحذفوا الثناء ايضا وادخلوا الف الوصل نحو اضرب واقتل ليقع الابتداء به وكان الكسائي يعيب قولهم فليفرحوا لانه وجده قليلا فيجعله عيبا الا ان ذلك هو الاصل وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في بعض المشاهد لتأخذوا مصافكم يريد به اخذوا هذا كله كلام الفراء وقرئ تجمعون بالثناء ووجهه انه تعالى عنى المخاطبين والغائبين لانه غلب المخاطب على الغائب كما يغلب التذكير على التأنيث فكانه اراد المؤمنين هكذا قاله اهل اللغة وفيه دقة عقلية وهو ان الانسان حصل فيه معنى يدعو به الى خدمة الله تعالى والى الاتصال بعلم الغيب ومعارج الروحانيات وفيه معنى آخر يدعو به الى عالم الحس والجسم والذات الجسدانية ومادام الروح متعلق بهذا الجسد فانه لا ينفك من حب الجسد وعن طلب الذات الجماعية فكانه تعالى خاطب الصديقين العارفين وقال حصلت الخصومة بين الحوادث العقلية الالهية وبين النوازع النفسانية الجسدانية والتزجج بجانب العقل لانه يدعو الى فضل الله ورجته والنفس تدعو الى جمع الدنيا وشهواتها وفضل الله ورجته خير لكم بما تجمعون من الدنيا لان الآخرة خير وابقى وما كان كذلك فهو اولى بالطلب والتحصيل * قوله تعالى (قل أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق فيجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله ليدفع الى الناس ما يشاءون) (المسئلة الاولى) اعلم ان الناس ذكروا في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوها ولا يستحسن واحدا منها والذي يخطر بالبال والعلم عند الله تعالى وجهان (الاول) ان المقصود من هذا الكلام ذكر طريق ثالث في اثبات النبوة وتقريره انه عليه الصلاة والسلام قال للقوم انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها فهذا الحكم تقولونه على سبيل الافتراء على الله تعالى وتعلمون انه حكم حكم الله به والاول طريق باطل بالاتفاق فليترك الثاني ثم من العلوم انه تعالى ما خاطبكم به من غير واسطة ولما بطل هذا ثبت ان هذه الاحكام اتما وصليت اليكم بقول رسول ارسله الله اليكم ونبي بعثه الله اليكم وحاصل الكلام ان حكمكم بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها مع اشتراك الكل في الصفات المحسوسة والنافع المحسوسة يدل على اعترافكم بحجة النبوة والرسالة واذا كان الامر كذلك فكيف يمكنكم ان تبالغوا هذه المبالغات العظيمة في انكار

الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذا لاظهار كمال فجع ما قنعوا (٢) (را) (خا) وكونه كذبا في اعتقادهم ايضا وكلمة استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها وشعولاء محذوفان وقوله من وجل (يوم القيامة) ظرف لنفسي الظن اى اى شئ ظنهم في ذلك

اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد قوله وتقطيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف ما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيامة تنزيلا (١٠) وما فيه من الاحوال لكمال منجوع اسره في التقدير

والصحيح مقولة اسمع عندهم اى اى
شي ظنهم للمسيق يوم القيامة
يصحبون اثم لا يستلون من
اقتربهم اولايمازون عليه ولا
يمازون جزاء يسيرا ولاجل
ذلك يفعلون مايعاون كذاهم اى
اشد العذاب لان مصيبتهم اشد
العامى ومن اطعم اقرى على الله
كذا بقوى على لفظ الماضي اى اى
ظن ظنوا يوم القيامة وباراد صفة
الماضى لانه كائن فكانه قد كان
(ان الله لذو فضل) اى عظيم
لا يكتنه كنهه (على الناس) اى
جميعا حيث اثم عليهم بالعقل المميز
بين الحق والباطل والحق
والقيح ورجهم بازال الكتب
وارسال الرسل وبن لهم الاسرار
التي لا تستغل العقول في ادراكها
وارشدهم الى ما يهتدون من امر
الحاش والمعاد (ولكن اكثرهم
لا يشكرون) تلك النعمة الجليلة فلا
يصفون قواهم ومشاعرهم الى
ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل
فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما
لا يدرك الا به وقد فضل عليهم
بيان ما سبق قوله يوم القيامة فلا
يلتفتون اليه فيفقهون فيايقنون
فهو تنزيل لما سبق مقرر لضعفونه
(وما تكون في شأن) اى في اسر من
شأن شأنه اى قصدت قصده
مصدر بمعنى القول (وما تلو
منه) الضمير لشأن والطرف صفة
لصدر محذوف اى تلاوة كما تسمي
الشأن اذ هي منظم شؤونه عليه
السلام وللتنزيل والاخبار قيل
الذكر لتفهم شأنه ومن ابتدائية
او تبينية والله عز وجل ومن
ابتدائية والى في قوله تعالى

(من قرآن) مره تلتا كيدا على اوباد اية على الوجه الاول وسبائية وتبينية على الثاني والثالث (ولا تعلمون من عمل) تعميم للخطاب (وهو)
اثر قصده بمقتضى البكل وقدره في كل من القاهين ما يليق به حيث ذكر اولامن الاعمال ما فيه فحكمة وجلالة وتانيا ما يتناول الجليل

والحقير (الاكنا عليكم شهودا) استثناء مفرغ من احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اى ماتلابون بشئ منها في حال من الاحوال الاحال كوننا رقباء مطلقين عليه حافظين له (انقصون فيه) (١١) اى تقصرون وتندفعون فيه واصل الافاضة لاندفاع بكثرة او

بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة السكرة الدائمة القارئة لان ما من الماضى اينما وثق الاستثناء صيغة الماضى وفى الطرف كلة اذالتى تقيد المضارع معنى الماضى (وما يعرب عن ربك) اى لا يبعد ولا ينفى عن عمله الشامل وفى التمرض لعنوان الربوبية من الاشعار بالطف مالا يخفى وقرئ بكسر الزاى (من مقال ذرة) كلة من مزيد لنا كيد النفي اى ما يعرب عنه ما يساوى فى القل غلة صغيرة اوهيه (فى الارض ولا فى السماء) اى فى دائرة الوجود والاكان فان العامة لاتعترف برأى اعلمنا ليس فى احدهما او متعلقا بها وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيله او قوله تعالى (ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) كلام برأيه مقرر لما قبله ولا تافيه لجنس واصغر اسمها وفى كتاب غير هاتوقرى بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعاً كما نه قيل لا يعرب عن ربك شئ ما لكن جميع الاشياء فى كتاب مبين فكيف يعرب عنه شئ منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلاً ويعرب بمعنى مبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شئ الا هو وفى كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ (الان اوليا لله) بيان على وجه التبيين والوعده ما هو نتيجة لاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيناً

وهو كونه سبحانه عالماً بعمل كل واحد وبما فى قلبه من الدواعى والصوارف فان الانسان ربما اظهر من نفسه فسكاً وطاعة وزهداً وتقوى ويكون باطنه مملواً من الخبث وربما كان بالعكس من ذلك فاذا كان الحق سبحانه عالماً بما فى البواطن كان ذلك من اعظم انواع السرور للمطيعين ومن اعظم انواع التهديد للمعذنين (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى خصص الرسول فى اول هذه الآية بالخطاب فى امرين ثم اتبع ذلك بتعميم الخطاب مع كل المكلفين فى شئ واحد اما الامران المخصوصان بالرسول عليه الصلاة والسلام (فالاول) منها قوله وماتكون فى شأن واعلم ان ماهنا مجد والشأن الخطب والجمع الشؤن تقول العرب ما شأن فلان اى محاله قال الاخفش وتقول ما شأنت شأنه اى ما علمت علمه وفيه وجهان قال ابن عباس وماتكون فى شأن يريد من اعمال البر وقال الحسن فى شأن الدنيا وحوادثك فيها (والثانى) منهما قوله تعالى وماتلوا منه من قرآن واختلفوا فى ان الضمير فى قوله منه الى ما ذا يعود وذكروا فيه ثلاثة اوجه (الاول) انه راجع الى الشأن لان تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه وعلى هذا التقدير فكان هذا داخل تحت قوله وماتكون فى شأن الا انه خصه بالذكر تشبهاً على علوم مرتبه كما فى قوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال وكافى قوله واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم (الثانى) ان هذا الضمير مائد الى القرآن والتقدير وماتلوا من القرآن من قرآن وذلك لانه كان القرآن اسم المجموع فكذلك هو اسم لكل جزء من اجزاء القرآن والاضمار قبل الذكر يدل على التعظيم (الثالث) ان يكون التقدير وماتلوا من قرآن من الله اى نازل من عند الله واقول قوله وماتكون فى شأن وماتلونه من قرآن امران مخصوصان بالرسول صلى الله عليه وسلم واما قوله ولا تعملون من عمل فهذا خطاب مع النبي ومع جميع الامم والسبب فى ان خص الرسول بالخطاب اولاً ثم عم الخطاب مع الكل هو ان قوله وماتكون فى شأن وماتلونه من قرآن وان كان بحسب الظاهر خطاباً بمختص بالرسول الا ان الامة داخلون فيه ومرايون منه لانه من المعلوم انه اذا خطب رئيس القوم كان القوم داخلين فى ذلك الخطاب والدليل عليه قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلعت النساء ثم انه تعالى بعد ان خص الرسول بذكر الخطابين عم الكل بالخطاب الثالث فقال ولا تعملون من عمل فدل ذلك على كونهما داخلين فى الخطابين الاولين ثم قال تعالى الاكنا عليكم شهوداً وذلك لان الله تعالى شاهد على كل شئ وعالم بكل شئ اما على اصول اهل السنة والجماعة فالامر فيه ظاهر لانه لا يحدث ولا جائق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل فى الوجود من افعال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة فكلها حصلت بايجاد الله تعالى واحداثه والموجد للشئ لابد وان يكون عالماً به فوجب كونه تعالى عالماً بكل المعلومات واما على اصول المعتزلة فقد قالوا انه تعالى سى وكل من كان حيا فانه يصح ان يعلم كل واحد من المعلومات

على نيديه عليه السلام وامته فى كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما فى السموات والارض وكون الكل مثبته فى الكتاب المبين بعنبا اشياء فى فطاعة حال الفترين على الله تعالى يوم القيامة وما يسميتهم من الهول بشاره اجمالية على طريق

التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرفي النفيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد بأوليائه الله خالص المؤمنين لتقرير الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيوضح عنه تفسيرهم (١٢) (لاخوف عليهم) في السدابين من لحوق مكروه (ولاهم

بحر تون) من فوات مطالب
أي لا يعترهم ماوجب ذلك لآلانه
يعترهم لكنهم لا يخفون ولا
يعزتون وآلانه لا يعترهم خوف
وحزن أصلا بل يستقرون على
النشاط والسرور وكيف لا
واستفهام الخوف والخشية
استغناء لجلال الله سبحانه وهيبته
واستقصاء الجود المبني في إقامة
حقوق العبودية من خصائص
الحواس والمقرين والمراد بيان
دوام انتسابها لبيان انتفاء
دوامها كما يومه كون الخير
في الجملة الثانية مضارعا لما
مرام من أن النبي وأن دخل على
نفس المضارع فيفسد الاستمرار
والدوام بسبب المقام وإنما
لا يعترهم ذلك لأن مقصدهم
ليس إلا طاعة الله تعالى وتبيل
رضوانه المستمتع للكرامة
والزلفي وذلك عبالأرب في
خصله ولا احتمال له وأنه يجب
الوعد بالنسبة إليه تعالى وإنما
معد ذلك من الأمور الدنيوية
التردية بين الحصول والقوات
فهي بمنزلة من الانتظام في سلك
مقصدهم وجودا وعلما حتى
يخافوا من الحصول منارها أو
يعزتوا بفوات نالها وقوله عن
وجل (الذين أنكروا) أي بكل
ما جاء من عند الله تعالى (وكانوا
يقنون) أي يقون انقسم عا
يحق وقابها عنه من الانفصال
والزورق وقاية دائمة حسياسيده
الجميع بين صيغتي الماضي والمستقبل
بيان وتفسير لهم وإشارة إلى ما به
نألواما نألوإلى طريقة الاستثنائي
المنعني السؤال وعمل الوصول
الرفع على أنه خير ليتدأ محذوف
كأنه قيل من أولئك وما سبب

والموجب لتلك العالمية هو ذاته سبحانه نسبة ذاته إلى اقتضاء حصول العالمية بعض
المعلومات كنسبة ذاته إلى اقتضاء حصول العالمية بتسائر المعلومات فلما اقتضت ذاته
حصول العالمية ببعض المعلومات وجب أن تقتضي حصول العالمية بجميع المعلومات
فثبت كونه تعالى عالمًا بجميع المعلومات أما قوله تعالى اذتقبضون فيه فاعلم أن الأفاضة
هنا الدخول في العمل على جهة الانصباب اليد وهو الانبساط في العمل يقال افاض
القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه وقد افاضوا من عرفة إذا دفعوا عنه بكثرتهم فنفرقوا
فان قيل اذهبنا بمعنى حين فيصير تقدير الكلام الا كنا عليكم شهودا حين تقيضون فيه
وشهادة الله تعالى عبارة عن علمه فيلزم منه أن يقال أنه تعالى ما علم الأشياء الا عند
وجودها وذلك باطل قلنا هذا السؤال بناء على أن شهادة الله تعالى عبارة عن علمه وهذا
منوع فان الشهادة لا تكون الا عند وجود المشهد عليه وأما العلم فلا يمنع تقدمه على
الشيء والدليل عليه أن الرسول عليه السلام لو أخبرنا عن زيدانه يأكل غذا كنا من قبل
حصول تلك الحالة مالم ينهوا لوصف بكوننا شاهدين لها وما علم أن حاصل هذه الكلمات
أنه لا يخرج عن علم الله شيء نعمانه تعالى أكد هذا الكلام زيادة تأكيد فقال وما يعزب
عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب
مبين وفيه مسائل (المسئلة الأولى) اصل العزوب من البعد يقال كلا عازب اذا كان
بعيد المطلب وعزب الرجل باله اذا ارسله الى موضع بعيد من المنزل والرجل سمى عزبا
لبعده عن الأهل وعزب الشيء عن علي اذا بعد (المسئلة الثانية) قرأ الكسائي وما يعزب
بكسر الراء والباقون بالضم وفيه لغتان عزب يعزب وعزب يعزب (المسئلة الثالثة)
قوله من مثقال ذرة أي وزن ذرة ومثقال الشيء ما يساويه في الثقل والمعنى ما يساوى
ذرة والنر صغار النمل واحدها ذرة وهي تكون خفيفة الوزن جدا وقوله في الأرض
ولا في السماء فالمعنى ظاهر فان قيل لم قدم الله ذكر الأرض ههنا على ذكر السماء مع أنه
تعالى قال في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض
قلنا حق السماء أن تقدم على الأرض لآلانه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادته على
أحوال أهل الأرض وأعمالهم ثم واصل بذلك قوله لا يعزب عنه ناسب أن تقدم الأرض
على السماء في هذا الموضع ثم قال ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وفيه قرأتان قرأه
ولا اصغروا ولا اكبر بالرفع فهما والباقون بالنصب واعلم أن قوله وما يعزب عن ربك من
مثقال ذرة تقديره وما يعزب عن ربك مثقال ذرة فلفظ مثقال عند دخول كلمة من عليه
محذوف بحسب الظاهر ولكنه مرفوع في المعنى فالمعطوف عليه أن عطف على الظاهر
كان محذورا الا أن لفظ اصغروا اكبر غير منصرف فكان مفتوحا وان عطف على المحصل
وجب كونه مرفوعا ونظيره قوله ما أتاني من أحد ما قل وعقل وكذا قوله ما لكم من الله غيره
وغيره وقال الشاعر « فلسنا بأجبال ولا خديدا » هذا ما ذكره النحويون قال صاحب

فوزهم بتلك الكرامة فقبل هم الذين جمعوا بين الإيمان والقوى المفضيين إلى كل خير الصالحين عن كل شر وقيل محله (الكشاف)
النصب والرفع على المدح أو على أنه وصف مادم الأولياء ولا يقبح في ذلك توسط الخير والمراد بالقوى المرتبة الثالثة منها الجماعية

لا تحتها من مرتبة التوفى عن الشرك التي يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب من كل ما يؤثم من فعل وترك اعنى نزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكتابة وهي (١٣) التقوى الحقيقي للمأمورة في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

حق تقاوتوه وبه يحصل الشهود والمحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل معه عليه السلام تحت الخطاب بقوله عز وجل ولا تعملون من عمل خلا ان لهم في شأن التبتل والتمتزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبينة على الحكم الالهي اقتصادها ما انتهى اليه بهم الانبياء عليهم السلام حتى جعوا بذلك بين راسق النبوة والولاية ولم يفهم التعليق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم تصد هم الملابس بمصالح الخلق عن التبتل الى جنب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية الميضية بالقوة القدسية فلا كاسر للولاية هو التقوى المذكور فاولي الله هم المؤمنون المتقون ويقرّب منه ما قبل من انهم الذين تولى الله هديتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالف ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم لما روى عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولي الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي يسمعون واسماعيتهم وسكيتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون في الله لما روى عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء فيعطون الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خيرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نجهم قال هم

الكشاف لو صح هذا العطف لصار تقدير هذه الآية وما يعزب عنه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب وحيث يذم ان يكون الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله تعالى وانه باطل واجاب بعض المحققين عنه بوجوهين (الاول) أنا بينا ان العزوب عبارة عن مطلق البعد واذ ثبت هذا فقول الاشياء المخلوقة على قسمين قسم اوجده الله تعالى ابتداء من غير واسطة كاللائكة والسموات والارض وقسم آخر اوجده الله بواسطة القسم الاول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا القسم الثاني قد يتباعد في سلسلة العلوية والمعلولية عن مرتبة وجود واجب الوجود فقوله وما يعزب عنه متقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب ميين اي لا يعبد عن مرتبة وجوده متقال ذرة في الارض ولا في السماء الا وهو في كتاب مبين وهو كتاب كتبه الله تعالى واثبت صور تلك المعلومات فيه ومتى كان الامر كذلك فقد كان عالما بها محيطا بأحوالها والغرض منه الرد على من يقول انه تعالى غير عالم بالجزئيات وهو المراد من قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (والوجه الثاني) في الجواب ان نجعل كلمة الا في قوله الا في كتاب مبين استثناء منقطعا بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر ابو علي الجرجاني صاحب النظم عنه جوابا آخر فقال قوله وما يعزب عن ربك من متقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ههنا تم الكلام وانقطع ثم وقع الابتداء بكلام آخر وهو قوله الا في كتاب مبين اي وهو ايضا في كتاب مبين قال والعرب تضع الاموضع واوالنسق كثيرا على معنى الابتداء كقوله تعالى اني لاخاف لئلا المرسلون الامن ظم بمعنى ومن ظم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا وهذا الوجه في غاية التعسف واجاب صاحب الكشاف بوجه رابع فقال الاشكال انما جاء اذا عطفنا قوله ولا اصغر من ذلك ولا اكبر على قوله من متقال ذرة في الارض ولا في السماء اما بحسب الظاهر او بحسب المحل لكن لا نقول ذلك بل نقول الوجه في القراءة بالنصب في قوله ولا اصغر من ذلك الجمل على نفي الجنس وفي القراءة برفع الجمل على الابتداء وخبره قوله في كتاب مبين وهذا الوجه اختيار الزجاج رحمه الله قوله تعالى (ألان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) اعلم انا بينا ان قوله تعالى وما يكون في شأن وماتلو منه من قرآن بما يقوى قلوب الطيعين وما يمسر قلوب الفاسقين فأتبعه الله تعالى بشرح احوال الخلق الصالحين الصادقين الصديقين وهو المذكور في هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انا نحتاج في تفسير هذه الآية الى ان بين ان الولي من هو ثم نيين تفسير في الخوف والحزن عنه فقول اما ان الولي من هو فيدل عليه القرآن والخبر والاثر والمقول اما القرآن فهو قوله في هذه الآية الذين آمنوا وكانوا يتقون فقوله آمنوا اشارة الى كمال حال القوة النظرية وقوله وكانوا يتقون

قوم تحابوا في الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فاقول ان وجودهم ونور وانهم على ما مر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمعة والسكينة المذكورة لله تعالى والحب في الله سبحانه من الاحكام الدينية اللازمة للايمان

والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر اظهرها وتقرئها من افهام الناس قد اورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما من ذلك حسبا يقتضيه مقام الارشاد (١٤) والتذكير ترغيبا للسائلين او غيرهم من الحاضرين فيما يخصه بالذكر هناك

من احكامها ففعل الحاضرين
اولا كانوا محتاجين الى اصلاح
الآثار من جهة الاقوال والافعال
والملايس ونحو ذلك والحاضرين
ثانياً متفكرين الى تأليف قلوبهم
وعطفها بتقوى المؤمنين الذين
لا علاقة بينهم وبينهم من جهة
النسب والقرابة وتأكيدهم
ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان
عظم شأنها ورفعة مكانتها وحسن
طاعتها ليراعوا حقوقها ويجروا
من لا يوافقهم في الدين من
ارحامهم واما ما ذكر من انه
يعظم الانبياء فتصور حسن
حالهم على طريقة التخييل
قال الكواشي وهذا مبالغة
والمنى لو فرض قوم بهذه
الصفة لكانوا هؤلاء وقيل
اولياء الله الذين تولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله
عز وجل الذين آمنوا وكانوا
يتقون تفسيراً لتوليهم اياه تعالى
وقوله عز وجل (لهم البشرى في
الحياة الدنيا وفي الآخرة)
تفسير لتوليهم تعالى اياهم ولا يرب
في ان اعتبار القيد الاخير في
مفهوم الولاية غير مناسب لمقام
ترغيب المؤمنين في تحصيلها
والثبات عليها وبشارتهم باكرامها
وتابعها بل يغفل بذلك اذ
التخصيص انما يتعلق بالقدور
والاستبصار لا يصلح الاما على
وجود سببه والتعبير المذكور
ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا
الولاية بتخصيصه ولا يعلمونهم
عند حصوله حتى يعرفوا
حصول الولاية لهم ويستبشروا
بحسب آثارها بل التولي
بالكرامة عين تسمية التولية
فاختصاره في عنوان الموضوع
ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن

اشارة الى كمال حال القوة العملية وفيه مقام آخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع
الاعتقاد والعمل ثم نصف الولي بأنه كان متقياً في الكل اما التقوى في موقف العلم فلا تن
جلال الله اعلى من ان يحيط به عقل البشر فالصديق اذا وصف الله سبحانه بصفة من
صفات الجلال فهو يقدر الله عن ان يكون كماله وجلاله مقتصر على ذلك المقدار الذي
عرفه ووصفه به واذا عبد الله تعالى فهو يقدر الله تعالى عن ان تكون الخدمة للآفة
بكبريائه متقدرة بذلك المقدار فثبت انه ابتداء يكون في مقام الخوف والتقوى واما الاخبار
فكثيرة روى عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم قوم تحابوا في الله على
غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور
لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ هذه الآية وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال هم الذين يذكر الله تعالى برويتهم قال اهل التحقيق السبب في ان
مشاهدتهم تذكر امر الآخرة لما يشاهد فيهم من آيات الخشوع والخضوع ولما ذكر الله
تعالى سبحانه في قوله سبحانه في وجوههم من اثر السجود واما الاثر فقال ابو بكر الاصم
اولياء الله هم الذين تولي الله تعالى هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى
والدعوة اليه واما المعقول فنقول ظهر في علم الاشتقاق ان تركيب الواو واللام والياء يدل
على معنى القرب فولى كل شيء هو الذي يكون قريباً منه والقرب من الله تعالى بالمكان
والجهة محال فالقرب منه انما يكون اذا كان القلب مستغرقاً في نور معرفة الله تعالى
سبحانه فان رأى دلائل قدرة الله وان سمع آيات الله وان نطق بثناء الله على الله
وان تحرك تحرك في خدمة الله وان اجتهد اجتهد في طاعة الله فهناك يكون في غاية
القرب من الله فهذا الشخص يكون ولياً لله تعالى واذا كان كذلك كان الله تعالى ولياً له
ايضاً كما قال الله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ويجب ان
يكون الامر كذلك لان القرب لا يحصل الا من الجانبين وقال المنكحون ولى الله من
يكون آتياً بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل ويكون آتياً بالأعمال الصالحة على وفق
ما وردت به الشريعة فهذا كلام مختصر في تفسير الولي واما قوله تعالى في صفتهم لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون فبقية بحثنا (البحث الاول) ان الخوف انما يكون في المستقبل بمعنى
انه يخاف حدوث شيء في المستقبل من الخوف والحزن انما يكون على الماضي الاما لجل
انه كان قد حصل في الماضي ما كرهه اولانه فات شيء احبه (البحث الثاني) قال بعض
المحققين ان في الحزن والخوف اماناً يحصل للاولياء حال كونهم في الدنيا و حال انتقالهم
الى الآخرة والاول باطل لوجوه (احدها) ان هذا لا يحصل في دار الدنيا لانها دار خوف
وحزن والمؤمن خصوصاً لا يتخلو من ذلك على ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام الدنيا
سجن المؤمن وسجن الكافر وعلى ما قال حفت الجنة بالكراه وحفت النار بالشهوات
(وثانيها) ان المؤمن وان صفا عيشه في الدنيا فانه لا يتخلو من هم بأمر الآخرة شديد

عالم باليق بشأن التنزيل الجليل فالذى يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء حسبما شرح والثاني بيان لما اولاهم من خيرات
الدارين بعد بيان انجيلهم من شروهم وامتكارهم والجهة متأنفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراثة من نعمة وكرامة فقيل (وحزن)

لهم ما يبرهم في الدارين وتقدم الاول لما ان الخلية سابقة على العملية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المقتربين وتعبيل ادخال المسرة بتبشير (١٥) خلاص عن الاحوال وتوسيط البيان السابق بين بشاراة الخلاص عن

و حزن على ما يفتونه من القيام بطاعة الله تعالى واذ باطل هذا القسم وجب حل قوله تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون على امر الآخرة فهذا كلام محقق وقال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب فولى الله تعالى هو الذى يكون في غاية القرب من الله تعالى وهذا التقرير قد فسره الله تعالى باستغراقه في معرفة الله تعالى بحيث لا يخطر بباله في تلك اللحظة شئ مما سوى الله ففي هذه الساعة تحصل الولاية التامة وهي كانت هذه الحالة حاصلة فان صاحبها لا يخاف شيئا ولا يحزن بسبب شئ وكيف يعقل ذلك والخوف من الشئ والحزن على الشئ لا يحصل الا بعد الشعور به والمستغرق في نور جلال الله غافل عن كل ما سوى الله تعالى فيمتحن ان يكون له خوف او حزن وهذه درجة عالية ومن لم يذقها لم يعرفها ان صاحب هذه الحالة قد تزول عنه هذه الحالة وحينئذ يحصل له الخوف والحزن والرجاء والرغبة والرهبة بسبب الاحوال الجسمانية كما يحصل لغيره وسمعت ان ابراهيم الخواص كان بالبادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه وجاءت السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق على رأس شجرة خوفاتها والشيخ ما كان فازع من تلك السباع فلما اصبح وزالت تلك الحالة في الليلة الثانية وقعت بعوضة على يده فأظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ اننا لما تخمنا البارحة ما تخمنا بسبب قوة الوارد النفسى فلما غاب ذلك الوارد فأنا أضعف خلق الله تعالى (المسئلة الثانية) قال اكثر المحققين ان اهل الثواب لا يحصل لهم خوف في محفل القيامة واحتجوا على صحة قولهم بقوله تعالى الان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبقوله تعالى لا يحزنهم الجزع الاكبر وتلقاهم الملائكة وايضا فالقيامة دار اجزاء فلا يليق به اتصال الخوف ومنهم من قال بل يحصل فيه انواع من الخوف وذكروا فيه اخبار ائدله ان ظاهر القرآن اولى من خبر الواحد واما قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون ففيه ثلاثة أوجه (الاول) النصب بكونه صفة للاولياء (والثاني) النصب على المدح (والثالث) الرفع على الابتداء وخبره لهم البشرى واما قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ففيه اقوال (الاول) المراد منه الرؤيا الصالحة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البشرى هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت البشارات وعنه عليه الصلاة والسلام الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم احدهم حلما يخافه فليست مؤذ منه وليصق عن شماله ثلاث مرات فإنه لا يضره وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وعن ابن مسعود الرؤيا ثلاثة اقسام هم بهم به الرجل من النهار فراه بالليل وحضور الشيطان والرؤيا التي هي الرؤيا الصادقة وعن ابراهيم الرؤيا ثلاثة فالمبشرة من الله جزء من سبعين جزءا من النبوة والشئ بهم به احدهم بالنهار فلهه براه بالليل والخوف من الشيطان فإذا رأى احدهم ما يحزنه

الخصائص بأيمانهم وما يقرؤون منها وفي ذلك من البشارات فتكون هذه بشاراة بما سيقع من البشارات العاجلة والاجلة المطلوبة لغاياتها للدواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الساجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شان التنزيل الكريم

(لتبديل لكلمات الله) لتغيير لاقواله التي من جعلتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها بثبوت قطعيا وعلى (١٦) تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بدم تبديل

كأنه تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدينية والاخرية بل عدم الخلف بينها وبين مادل على ثبوتها ووقوعها ايمانيا بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فندبر (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين (هو الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه وفيه تسير لما لهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعراض لتحقيق البشرى وتفصيل شأنه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بآقبه او هذه تدليل والسابقة اعراض (ولا يضرنا قولهم) تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم مما كان يلقاه من جهتهم من الازية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وبشيرة عليه الصلاة والسلام بأنه عز وجل يصبر ويعين عليهم أو يسان ان له ولا يباحه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وفري ولا يحزن من احزنه وهو الحقيقة نعي له عليه السلام عن الحزن كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطل امرك وسائر ما يتفوهون به في شأنك مما لا يخفى فيه وانواجه النبي الى قوله لبالبقة في نفيه عليه السلام عن الحزن لما ان النبي عن التأييد من عن التأثر بصله وفتنه بالمرأة وقد وجه النبي الى اللانم والمراد هو النبي عن اللانم. كما في قوله لا يرنك ههنا وتخمين النبي عن الحزن بالارادع شمول للنبي السابق الحزن ايضا لما لا يمكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهي عنه وربما كان يعتره

قليل اعوذ بما عاذت به ملائكة الله من شر رؤياي التي رأيتها ان تضرك في دنياي او في آخري واعلم أنا اذا جلنا قوله لهم البشرى على الرؤيا الصادقة فنظاهر هذا النص يقتضي ان لا تحصل هذه الحالة الا لله والعقل ايضا يدل عليه وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله ومن كان كذلك فهو عند النوم لا يبقى في روحه المعرفة لله ومن المعلوم ان معرفة الله ونور جلال الله لا يفيد الا الحق والصدق واما من يكون متوزع الفكر على احوال هذا العالم الكدر المظلم فانه اذا نام بقي كذلك فلا جرم للاعتماد على رؤياه فهذا السبب قال لهم البشرى في الحياة الدنيا على سبيل الخصر والتخصيص (القول الثاني) في تفسير البشرى انها عبارة عن محبة الناس له وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن واعلم ان الباحث العقلية تقوى هذه المعنى وذلك ان الكمال محبوب لذاته لا لغيره وكل من اتصف بصفة من صفات الكمال صار محبوا لكل احد ولا يكال للعبد اعلى واشرف من كونه مستغرق القلب بمعرفة الله مستغرق اللسان بذكر الله مستغرق الجوارح والاعضاء بعبودية الله فاذا ظهر عليه امر من هذا الباب صارت الالسنه جارية بمدحه والقلوب مجبولة على حبه وكلما كانت هذه الصفات الشريفة أكثر كانت هذه المحبة أقوى وايضا فنور معرفة الله مخدوم بالذات ففي اي قلب حضر صار ذلك الانسان مخدوما بالطبع الا ترى ان البهايم والسباع قد تكون أقوى من الانسان ثم انها اذا شاهدت الانسان هائبة وفرت منه وماذا لك الالهامة النفس الناطقة (والقول الثالث) في تفسير البشرى انها عبارة عن حصول البشرى لهم عند الموت قال تعالى تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا واوبشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فسلام الملائكة عليهم كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وسلام الله عليهم كما قال سلام قولان من رب رحيم ويندرج في هذا الباب ما ذكره الله في هذا الكتاب الكريم من بياض وجوههم واعطاء الصعاقب بايمانهم وما يلقون فيها من الاحوال السارة فكل ذلك من المبشرات (والقول الرابع) ان ذلك عبارة عما يشترطه عباده المتقين في كتابه وعلى السنة انبيائه من جنته وكريم ثوابه ودليله قوله يمشيهم ربهم برحة منه ورضوان واعلم ان لفظ البشارة مشتق من خبر سار يظهر اثره في بشرة الوجه فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية وبمجموع الامور المذكورة مشتركة في هذه الصفة فيكون الكل دخلا فيه فكل ما يتعلق من هذه الوجوه بالدنيا فهو داخل تحت قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وكل ما يتعلق بالآخرة فهو داخل تحت قوله وفي الآخرة ثم انه تعالى لما ذكر صفة اولياء الله وشرح احوالهم قال تعالى لتبديل لكلمات الله والمراد انه لا خلف فيها والكلمة والقول سواء ونظيره قوله ما يبدل القول لدى وهذا احد ما يقوى ان المراد بالبشرى وعد الله بالثواب

عليه السلام في بعض الاوقات نوع حزن فسي عن ذلك وقوله تعالى (ان العزة) تحليل للنهي على طريقة الاستئناف (والكرامة) اي الغلبة والقهر (الله جميعا) اي في سلكه وسلطانه لا يملك أحد شيئا منها اصلا لا لهم ولا غيرهم فوقهم وهم ويعصم منهم ويضرك عليهم

وقد كان كذلك فهي من جهة المباشرة العساسة وقرئ يقع ان على صريح التعليل اي لان العزة لله (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعززون عليه وهو (١٧) مكافئ بذلك (الان لله من في السموات ومن في الارض) اي العقلاء من

اللائكة والتقلين وتخصيصهم بالذكر لانهما ايدان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قهره وملكتهم فاعادهم من الموجودات

والكرامة لمن اطاعه بقوله يشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ثم بين تعالى ان ذلك هو الفوز العظيم وهو كقوله تعالى واذا رأيت نعيا وملكا كبيرا ثم قال القاضي قوله لا تبديل لكلمات الله يدل على أنها قابلة للتبديل وكل ما قبل العدم امتنع ان يكون قديما ونظير هذا الاستدلال بمحصول النسخ على ان حكم الله تعالى لا يكون قديما وقد سبق الكلام على امثال هذه الوجوه قوله تعالى (ولا يحزنك قولهم ان العزة لله

جميعا هو السميع العليم الان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وانهم الاخرصون) اعلم ان القوم لما اوردوا أنواع الشبهات التي حكاها الله تعالى عنهم فيما تقدم من هذه السورة واجاب الله عنها بالاجوبة التي فسرناها وقررناها عدوا الى طريق آخر وهوانهم هددوه وخوفوه وزعوا انا أصحاب التبعية والمال ففسد في قهره وفي ابطال امره والله سبحانه اجاب عن هذا الطريق بقوله ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا واعلم ان الانسان انما يحزن من وعيد القبر وتهديده ومكره وكيدته لوجوز كونه مؤثرا في حاله فاذا علم من جهة علام الغيوب ان ذلك لا يؤثر خرج من ان يكون سببا لحزنه ثم انه تعالى كأزال عن الرسول حزن الآخرة بسبب قوله الان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكذلك أزال حزن الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا فاذا كان الله هو الذي أرسله الى الخلق وهو الذي امره بدعوتهم الى هذا الدين كان لا محالة ناصرا له ومعينا لما نبت ان العزة والقهر والغلبة ليست الا لله فقد حصل الا من زوال الخوف فان قيل فكيف آمنه من ذلك ولم يزل خائفا حتى احتاج الى الهجرة والهرب ثم من بعد ذلك يخاف حالا بعد حال قلنا ان الله تعالى وعده الظفر والنصرة مطلقا والوقت ما كان معينا فهو في كل وقت كان يخاف من ان لا يكون هذا الوقت المعين ذلك الوقت فيمتد يحصل الانكسار والانهزام في هذا الوقت واما قوله تعالى ان العزة لله جميعا فبها انما (البحث الاول) قال القاضي ان العزة بالالف المكسورة وفي قبحها فساد يقارب الكفر لانه يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا وان الرسول عليه السلاوة والسلام كان يحزنه ذلك اما اذا كسرت الالف كان ذلك استنثاء وهذا يدل على فضيلة علم الارباب قال صاحب الكشف وقرأ ابو حيو ان العزة بالفتح على حذف لام العلة يعني لان العزة على صريح التعليل (البحث الثاني) فائدة ان العزة لله في هذا المقام اغور (الاول) المراد منه ان جميع العزة والقدرة هي لله تعالى يعطى ما يشاء لعباده والغرض منه انه لا يعطى الكفار قدرة عليه بل يعطيه القدرة عليهم حتى يكون هو بذلك اعز منهم فآمنه الله تعالى بهذا القول من اضرار الكفار به بالقتل والايذاء ومثله قوله تعالى كتب الله لاخلين انا نورسلى انا لننصر رسلا (الثاني) قال الاصم المراد ان المشركين يتعززون بكثرة خدمتهم واموالهم ويخوفونك بما تملك الاشياء كلها لله تعالى فهو التادير

اولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيلا سابق من اختصاص العزة لله تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاة به بالمشركين وبغلامهم فهدى الخلق من قوله تعالى (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم البنية عليها واما الثانية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهور ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء في الحقيقة وان سعه اشراكا فاقصر على احدهما لظهور دلالة على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذولا فلا تقاها من قوله تعالى (ان يتبعون الا الظن) اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل وامامو سولة معطوفة على من كانه قيل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اذ لو له شركاء فهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم في مباحس جارية او دلالة للبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما يروونه عليه من تلمش شركاء هم معبودون مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استهزاء اي وايشى يتبعون اي لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسما سمعوه قالوا قرئ

يدعون بالناس لا يستفهم للتبكيه والنزير كما نه قيل وايشى (٣) (١٨) (خا) يتبع الذين يدعونهم شركاء من اللائكة والنبيين تقرير الكون متبعين لله تعالى مطيعين له وتوحيدهم على عدم اقتديهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون اليهم الوسيطة

ثم صرف الكلام عن المطالب الى الغيبة قبيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الاظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق (وانهم لا يخفون) يكذبون فيما يسمونه اليه سبحانه ويمجرون وقدرون انهم شركاء (٢٨) تقديرا باطلا (هو الذي جعل لكم

الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) عليه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والجملة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير المسلف من كون جميع الموجودات المكننة تحت قدرته وملكوته المقصع عن اختصاص العزة به سبحانه والجليل ان كان بمعنى الابداع والخلق لمفسر حاله والافلك بمفعوله الثاني او هو حال كافي الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه او هو مفعول يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كان الله الغاية من مصادفة اعتقاد اهل ما في الاول والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصر الخمر كوا فيه الصالح الحكم كاسمى فظهر في قوله تعالى وان يمسك الله بضربا كاشف له الا هو وان يردك بحجر فلا راد لقضه الاية لمخلف في كل واحد من الجانبين ما ذكرنا في آخر اكتشافه بالذكور عن التوراة واستناد الابصار الى النهار مجازي كاذبي في نهار صام (ان في ذلك) أي في جعل كل منهما كما وصف اوفيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد لا يبدان بعد مقالة المشار اليه وعلو رتبته (الايات) عجيبة كثيرة اوايات اخر غير ما ذكر (فهو يسمعون) أي هذه الايات المتلو ونظائرهما المبهمة عنى تلك الايات الترتيبية الاسمية بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيهمون بمقتضاها وتخصيص الايات بهم مع انها منصوبة بصفة الكل لا انهم المتسمعون بها (فالوا) شروع في ذكر

ضرب آخر من الجليل ويان بطلانه (اتخذ الله ولدا) أي تناه (سبحانه) تزيه وتقديسه له تعالى بجلاله واليه والتعجب من (قول) (كلمهم الحق) (هو الغنى) على الاخلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتزيهه سبحانه وابدان بان اتخذه ولدا من احكام الطبيعة وقوله

عن وجل (لما في السموات وما في الارض) اي من العقلاء وغيرهم تقرر لغناه وتحقيق لما لكفته تعالى لكل مأسواه وقوله تعالى (ان صدقكم من سلطان) اي حجة (بهذا) اي بما ذكر (١٩) من قولهم الباطل توضيح لبطالانه بتحقيق سلامة مقاييم من البرهان الساطع

قول من يقول الملائكة بنات الله ويحتمل ان يكون المراد قول من يقول الاوثان اولاد الله ويحتمل ان يكون قد كان فيهم قوم من النصارى قالوا ذلك ثم انه تعالى لما استنكر هذا القول قال بعده هو الغنى له ما في السموات وما في الارض واعلم ان كونه تعالى غنيا مالكا لكل ما في السموات والارض يدل على انه يستحيل ان يكون له ولد وبيان ذلك من وجوه (الاول) انه سبحانه غنى مطلقا على ما في هذه الآية والعقل ايضا يدل عليه لانه لو كان محتاجا لافتقر الى صانع آخر وهو محال وكل من كان غنيا فانه لا يدان بكون فردا من زمرة عن الاجزاء والابعض وكل من كان كذلك امتنع ان يفصل عنه تجزء من اجزائه والولد عبارة عن ان يفصل جزء من اجزاء الانسان ثم يتولد عن ذلك الجزء مثله واذا كان هذا محالناثبت ان كونه تعالى غنيا يمنع من ثبوت الولد (الجملة الثانية) انه تعالى غنى وكل من كان غنيا كان قديما اذ ليس اياها سرمديا وكل من كان كذلك امتنع عليه الانقراض والانقضاء والولد انما يحصل لاشئ الذي يقضى ويقترض فيكون ولده قائما مقامه ثبت ان كونه تعالى غنيا يدل على انه يمنع ان يكون له ولد (الجملة الثالثة) انه تعالى غنى وكل من كان غنيا فانه يمنع ان يكون موصوفا بالشهوة والذمة واذا امتنع ذلك امتنع ان يكون له صاحبة وتولد (الجملة الرابعة) انه تعالى غنى وكل من كان غنيا امتنع ان يكون له ولد لان اتخا المولد انما يكون في حق من يكون محتاجا حتى يعينه ولده على المصالح الحاصلة والمثروعة فمن كان غنيا مطلقا امتنع عليه اتخا المولد (الجملة الخامسة) ولد الحيوان انما يكون ولداه بشرطين اذا كان مساويا له في الطبيعة والحقيقة ويكون ابتداء وجوده وتكونه منه وهذا في حق الله تعالى محال لانه تعالى غنى مطلقا وكل من كان غنيا مطلقا كان واجب الوجود لذاته فلو كان ثلواجب الوجود ولد لكان ولده مساويا له فيلزم ان يكون ولدواجب الوجود ايضا واجب الوجود لكن كونه واجب الوجود يمنع من تولده من غيره واذا لم يكن متولدا من غيره لم يكن ولد اذ ثبت ان كونه تعالى غنيا من اقوى الدلائل على انه تعالى لا ولده وهذه الثلاثة الاول وفي غاية القوة (الجملة السادسة) انه تعالى غنى وكل من كان غنيا امتنع ان يكون له اب وام وكل من قدس عن الوالدين وجبان يكون مقدسا عن الاولاد فان قيل بشكل هذا ابوالد الاول قلنا الوالد الاول لا يمنع كونه ولد الفقرة لانه سبحانه وتعالى قادر على ان يخلق الوالد الاول من ابوين يقدمانه اما الحق سبحانه فانه يمنع افتقاره الى الابوين والامكان غنيا مطلقا (الجملة السابعة) انه تعالى غنى مطلقا وكل من كان غنيا مطلقا امتنع ان يقتصر في احدث الاشياء الى غيره اذ اثبت هذا فقول هذا الولد اما ان يكون قديما واحدا فان كان قديما فهو واجب الوجود لذاته اذ لو كان ممكن الوجود لافتقر الى المؤثر واقتدار القديم الى المؤثر يقتضي ايجاد الموجود وهو محال واذا كان واجب الوجود لذاته لم يكن ولد الفقرة بل كان موجودا مستقلا بنفسه واما ان كان هذا الولد حادثا والحق

متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اثير الى استغناء النجاة عن المكروه ايضا بقوله عز وجل (ثم انزلنا سرجهم) اي بالوت (ثم تزيينهم المذاهب البعيدة بما كانوا يكفرون) فيثبون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او يكفرهم في الدنيا فاينهم من الفلاح

وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او قتلهم وقيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتعاضد انما يطلق متى ما يكون متبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع ويتمتع به وانما عدم الاعداد به (٢٠) لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه ايقع التبايع عند النفس

سبحانه غنى مطلقا فكان قادرا على احداثه ابتداء من غير تشريك شيء آخر فكان هذا عبدا مطلقا ولم يكن ولدافهذه جملة الوجوه المستنبطة من قوله هو الذي الدالة على انه يتمتع ان يكون له ولد اما قوله له ما في السموات وما في الارض فاعلم انه نظير قوله ان كل من في السموات والارض الآت الرحمن عبدا وحاصله يرجع الى ان ماسوى الواحد الاحد الحق يمكن وكل يمكن محتاج وكل محتاج محدث فكل ماسوى الواحد الاحد الحق محدث والله تعالى محدثه وخالفه وموجدوه ذلك يدل على فساد القول بآيات الصاحبة والولد ولما بين تعالى بالدليل الواضح امتناع ما اضافوا اليه عطف عليهم بالانكار والتوبيخ فقال ان عندكم من سلطان بهذا انبها بهذا على انه لاجبة عندهم في ذلك البتة ثم بالغ في ذلك الانكار فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون وقد ذكرنا ان هذه الآية يخرج بها في ابطال التقليد في اصول الديانات ونفاة القياس واخبار الآحاد قد يخرجون بها في ابطال هذين الاصلين وقد سبق الكلام فيه * قوله تعالى (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم يسامرجعهم ثم ندفعهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) اعلم انه تعالى لما بين بالدليل القاهر ان آيات الولد لله تعالى قول باطل ثم بين انه ليس لهذا التسائل دليل على صحة قوله فقد ظهر ان ذلك المذهب افتراء على الله ونسبة لما لا يليق به اليه فيمن ان من هذا حاله فانه لا يفلح البتة الا ترى انه تعالى قال في اول سورة المؤمنون قد افلح المؤمنون وقال في آخر هذه السورة انه لا يفلح الكافرون واعلم ان قوله ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون يدخل فيه هذه الصورة ولكنه لا يختص بهذه الصورة بل كل من قال في ذات الله تعالى وفي صفاته قولابغير علم وبغير حجة بنية كان داخلا في هذا الوعيد ومعنى قوله لا يفلح قد ذكرناه في اول سورة البقرة في قوله تعالى واولئك هم المفلحون وبالجملة فالفلاح عبارة عن الوصول الى المقصود والمطلوب فعنى انه لا يفلح هو انه لا ينجح في سعيه ولا يفوز بطلوبه بل خاب وخسر من الناس من اذا فاز بشيء من المطالب العاجلة والمقاصد الخسيسة ظن انه قد فاز بالمقصد الاقصى والله سبحانه ازال هذا الخيال بأن قل ان ذلك المقصود الخسيس متاع قليل في الدنياء لا بد من الموت وعند الموت لا بد من الرجوع الى الله وعند هذا الرجوع لا بد وان يدفعه الله العذاب الشديد بسبب ذلك الكفر المتقدم وهذا كلام في غاية الانظام ونهاية الحسن والجزالة والله اعلم * قوله تعالى (وان اوليهم نبأوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتكبرى بايات الله فعلى الله توكلت فاجعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمعة ثم اقضوا الى ولا تنظروا فان توليتم فاسألتكم من اجر ان اجري الاعلى الله وامرت ان اكون من المسلمين) اعلم انه سبحانه لما بالغ في تقرير الدلائل والينات وفي الجواب عن الشبهة والسؤالات شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء عليهم السلام لوجوه (احدها) ان الكلام اذا طال في تقرير نوع من انواع العلوم فربما حصل نوع

السلام لاكل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى (لقومه) للتبليغ (يا قوم ان كان كبر) اى عظم وشق (عليكم مقامى) اى نفسى كقبال فلهذه لكان فلان اى فلان ومنه قوله تعالى (وان تحاجف مقام به اى خافه او قبحه او قبحه) بن ظهر انكم مدع (من)

فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدى اليه من رايسته عليه مالاوجه له فالوجه ما ذكر أولا وليس بعيدا قيل ان المحذوف هو الخبر اى لهم متاع والاية امامسوقة من جهة الله تعالى لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كالتقصية ظاهر قوله تعالى ثم لنا وقوله تعالى ثم تدفعهم واما داخلة فعلى ان النبي عليه الصلاة والسلام مأثور بيقفه وحكايته عنه عز وجل (وانل عليهم) اى على المشركين من اهل مكة وغيرهم تحقيق ما سبق من انه لا يفلحون وان ما يخفون به صلى جناس القوات والله مثيرون على المذاب الخالد (نبأوح) اى خبره الذى له شأن وخطر مع قومه الذين هم اضراب قوم مكى الكفر والعناد ليدبروا ما فيه من زوال ما تتعصبوا به من النعيم وحلول عذاب الفرق الموصول بالعذاب القيم ليزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شدة شكيتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل سبحانه واختصاص العزة به تعالى واتيفاف الخوف والحرز عن اوليائه عن وعلاطية وتقصيع الذي صلى الله عليه وسلم وحله على عدم المبالاة بهم وبقواهم وافسألهم مالا يخفى (اذ قال) معمول لنبأ او بدل منه بدل اشتغال واياما كان فالمراد بضمي نبيه عليه

طويلة اوقياسي (وتذكيري بآيات الله) فانهم كانوا اذا عطفوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة تعود لينظر حالهم وسميع مقالهم (فلى الله توكلت) جواب للشرط (٢١) اى دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احوادث مرتبة مخصوصة

من انواع اللالة فاذا انتقل الانسان من ذلك الفن من العلم الى الفن آخر اشرح صدره وطاب قلبه ووجدن نفسه رغبة جديدة قوة حادثة وميل اقويا (وثانيها) ليكون للرسول عليه الصلاة والسلام ولاصحابه اسوة بمن سلف من الانبياء فان الرسول اذا سمع ان معاملته هؤلاء الكفار مع كل الرسل ما كانت الاعلى هذا الوجه خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت (وثالثها) ان الكفار اذا سمعوا هذه القصص واعلموا ان الجهال وان بالغوا في اذى الانبياء المتقدمين الا ان الله تعالى امانهم بالآخرة ونصرهم وايدهم وفهر اعداءهم كان صماع هؤلاء الكفار لاثمال هذه القصص سببا لانكسار قلوبهم ووقوع الخوف والوجل في صدورهم وحيث يثقلون من انواع الايذاء والسفاهة (ورابعها) اننا قد دللنا على ان محمد عليه الصلاة والسلام لم يطلع علما ولم يطالع كتابا ثم ذكر هذه الاقايص من غير تفاوت ومن غير زيادة ومن غير نقصان دل ذلك على انه صلى الله عليه وسلم اخلصها بالوحى والتزيل * واعلم انه تعالى ذكر هذه السورة من قصص الانبياء عليهم السلام ثلاثة (فالقصة الاولى) قصة نوح عليه السلام وهى المذكورة في هذه الآية وفيها وجهان من الفائدة (الاول) ان قوم نوح عليه السلام لما صرخوا على الكفر والجدع جعل الله خلاصهم بالفرق فذكر الله تعالى قصتهم لتصيير تلك القصة عبرة لهؤلاء الكفار وداعية الى مفارقة الجذب بالوحيد والنبوة (والثاني) ان كفار مكة كانوا يستعملون العذاب الذى ذكره الرسول عليه السلام لهم وكانوا يقولون له كذبت فانه ما جادنا هذا العذاب قال الله تعالى ذكر لهم قصة نوح عليه السلام لانه عليه السلام كان يخوفهم بهذا العذاب وكانوا يكذبونه فيه ثم بالآخرة وقع كما اخبر فكذا ههنا (المسئلة الثانية) ان نوحا عليه السلام قال لقومه ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت وهذا جلة من الشرط والجزاء اما الشرط فهو مركب من قيدين (القيد الاول) قوله ان كان كبر عليكم مقامى قال الواحدى فى البسيط يقال كبر كبر كبرا فى السن وكبر الامر والشئ اذا عظم يكبر كبرا وكباره قال ابن عباس ثقل عليكم وشق عليكم وعظم امره عندكم وانقام بفتح الميم مصدر كالقامة يقال اقام بين اظهرهم مقاما واقامة والمقام بضم الميم الموضع الذى يقام فيه واد بالقام ههنا مكشوفه فيه وبالجملة فقوله كبر عليكم مقامى جار مجرى قولهم فلان ثقل الظل واعلم ان سبب هذا الثقل امران (احدهما) انه عليه السلام مكث فيهم الف سنة الاخيرين عاما (والثاني) ان اولئك الكفار كانوا قد افلحوا تلك المذاهب الفاسدة والطرائق الباطلة والغالب ان من الف طريقة فى الدين فانه ينقل عليه ان يدعى الى خلافها ويذكر له ركا كتهافتا اقترن بذات طول مدة الداء كان انقل واشد كراهية فان اقترن به ايراد الدلائل القاهرة على فساد ذلك المذهب كانت الفترة اشدها وهذا هو السبب فى حصول ذلك الثقل (والقيد الثاني) هو قوله وتذكيري بآيات الله واعلم ان الطباع المشغوفة بالدنيا الحر بصرة على طلب الذات

من مراتب التوكل (فاجعوا امرهم) عطف على الجواب والقائه لترتيب الامر بالايجاع على التوكل لا لترتيب نفس الاجعاع عليه او هو الجواب وما سبق جاته معترضة والاجعاع العزم قبل هو متعدي بنفسه وقيل فيه حذف وايصال قال السدوسي اجعت الامر افجع من اجعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله يجمع ما بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرتافعل كذا واخرى افضل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اى جمعه جميعا (وشركاكم) بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تزيلا للفصل منزلة التأكيد واستناد الاجعاع الى الشركاء على طريقة التهنئة وقيل انه عطف على امرهم بمحذوف المضاعف اى امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اى وادعوا شركاكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجعوا من الجمع اى فاعزموا على امرهم الذى تريدون من السعى فى اهلاكى واحتشدوا فيه على اى وجه يمكنكم (ثم لا يكتفى منكم) ذلك (عليكم) نعمة اى استورا من غناه واستر به مكتسوبا مشهورا بتجاره ونفى به فان السر انما يصار اليه لئلا يبادر الخلاص بالهرب او قصوه فحيث استحال ذلك فى حق لم يكن للرجوع وانما خاطبهم عليه السلام بذلك لانهما لم يعمدوا لعدم الجلاء بهم والله لم يعمدوا اليه سيلولة بالله سبحانه وبنا وعده من عهده وكلامه فكلما تم للتراخي فى الرتبة وانها الامر

فى موقع الاضمار لزيادة تقرير يقتضيها مقام الامر بالاطهار الذى يستلزمه التمسك بالامر والانسار وقيل المراد بامرهم ما يترتب من جهته عليه السلام من احوال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والمنة لهم كالكرية والكرب وتم للتراخي الزمانى والمعنى لا يكتفى

حالك عليكم غنة وتخلصوا باهلاكي من نقل مقامي وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعد قوله من وجل (ثم انقضوا الى ولا تنظرون) اي ادوا الى اي احكموا ذلك الامر الذي تريدون في ولا تفعلوني (٢٢) كقوله تعالى وقضيتا اليه ذلك الاسرا وادوا اليها وحق عليكم

العاجلة تكون شديدة النفرة عن الامر بالطاعات والتهى عن المعاصي والمنكرات قوية الكراهة لجماع ذكر الموت وتبيح صورة الدنيا من كان كذلك فانه يستنقل الانسان الذي يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وفي الآية توجه آخر وهو ان يكون قوله ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله معناه انهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم ظاهرا وكلامهم مسموعا كما يحكي عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الخواريين قائما وهم قعود واعلم ان هذا هو الشرط المذكور في هذه الآية اما الجزء فبقه قولان (الاول) ان الجزاء هو قوله فعلى الله توكلت بمعنى ان شدة بغضكم لي تجعلكم على الاقدام على ابدائي واتا انا قبل ذلك الشرا بالالتوكل على الله واعلم انه عليه السلام كان ابدأ بالتوكل على الله تعالى وهذا اللفظ يوهم انه توكل على الله في هذه الساعة لكن المعنى انه انما توكل على الله تعالى في دفع هذا الشر في هذه الساعة (والقول الثاني) وهو قول الاكثرين ان جواب الشرط هو قوله فاجعوا امركم وشركاءكم وقوله فعلى الله توكلت كلام اعترضه بين الشرط وجوابه كما نقول في الكلام ان كنت انكرت على شيئا فله حسبي فاعل ما تريد واعلم ان جواب هذا الشرط مشتمل على قيود خمسة على الترتيب (القيد الاول) قوله فاجعوا امركم وفيه بحثان (البحث الاول) قال القراء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر وأنشد

عندكم من اهلاكي كأنقضى الرجل غريمه فان توسط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالمعروف على مباديه وبين الامر بغضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فترى أفضوا بالقائه انهموا الى بشركم او ابرؤوا الى من انقضى اذا خرج الى القضاء (فان تولى) القصة لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي بخصوص اى ان اعرضه عن نصيحتي وتذكيري اثم شاهدتهم متى من محاسيل صفة ما قول ودلالها الي من جهلنا دعوتى اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون فيمن السوء خير مبال بكم وبما يأتى منكم واخضامكم من الامانة علمنا منكم بائى على الحق المبين تؤيد من عند الله العزيز (فما سألتمكم بمقالة وعطى وتذكيري من اجر) تؤدونه الى حق يؤدى ذلك الى توكيكم اما لانهاكم اياى بالطمع والسؤال واما انقل دفع المسؤل عليكم اوسر يعترى توكيكم المؤدى الى الحرمان فالاول لظاهر بطلان التولي ببيان عدم ما يخصصه والثاني لظاهر عدم مبالاة عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالقصد الجراثة لسببية الشرط لعلامه يفتنون الجزاء لانفسه والمعنى ان توكيكم فاعلى ان ليس في صحيح له ولا تارة منه وقوله عز وجل (ان اجرى اعلى الله) ينظم المعنيين جميعا خلافا على الاول تأكيد على الثاني لتبليغ الاستعانة عليه السلام عنهم اى ما تولى على العفة والتذكير اغنية تعالى يبين به آتمت او تولىتم (واما من ان

بالت شعري والمعنى لا ينع * هل اغدون يوما وامرى مجمع فاذا اردت جمع التفرق قلت جعلت القوم فهم يجمعون وقال ابو الهيثم اجمع امره اى جعله جميعا بعدما كان متفرقا قال وتفرقه اى جعل يتدبره فيقول مرة افضل كذا ومرة افضل كذا فلما عزم على امر واحد فقد جعله اى جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ومنه قوله تعالى وما كنت لديهم اذ اجعوا امرهم ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بهلى فقبل اجعت على الامر اى عزمتم عليه والاصل اجعت الامر (البحث الثاني) روى الاصمعي عن نافع فاجعوا امركم بوصل الالف من الجمع وفيه وجهان (الاول) قال ابو على الفارسي فاجعوا ذوى الامر منكم فحذف المضاف وجرى على المضاف اليه ما كان يجرى على المضاف لو ثبت (الثاني) قال ابن الانباري المراد من الامر ههنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير ولاندعوا من امركم شيئا الا حضرتموه (والقيد الثاني) قوله وشركائهم وفيه اباحت (البحث الاول) الواو ههنا بمعنى مع والمعنى فاجعوا امركم مع شركائكم ونظير مقولهم لو تركت الناقة وفضلها لضعها ولو خليت نفسك والاسد لا كلك (البحث الثاني) يحتمل ان يكون المراد من كان على مثل قولهم ودينهم فان كان المراد هو الاول قائما حيث الكفار على الاستعانة بالاوئان بناء على مذهبهم من انها تضر وتنع وان كان المراد هو الثاني فوجه الاستعانة بها ظاهر (البحث الثالث) قرأ الحسن وجماعة من القراء

أكون من المسلمين المتأدين لحكمه لا يخالف امره ولا رجو غيره او المستلين لكل ما يصيبهم من البلاء في طاعة الله تعالى (وشركاؤكم) فأصروا على ما هم عليه من الكذب بسببها الزهم المحجة وبين لهم المحجة وحق ان توكيهم ليس له سبب غير التردد والفساد فلا

جرم حقت عليهم كلمة العذاب (فعيثوا ومن معه في الفلك) من المعلمين وكانوا ثمانين (وجعلناهم خلافا) من الهالكين (واعرفنا الذين كذبوا بآياتنا) أي بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر الانبياء (٢٣) والاستخلاف حسبا وقبح قوله عز وجل ولما جاء امرنا ثبينا شعبيا

والذين آمنوا معه رجعة منا
واخذت الذين ظلموا الصيحة
وغير ذلك من الآيات الكريمة
لاظهار كمال العناية بشأن القدم
وتبجيل المسرة للسامعين وللإيدان
يسبق الرحمة التي هي من مقتضيات
الربوبية على العصب الذي هو من
مستتبات جرائم الجرمين (فانظر
كيف كان عاقبة المذنبين) تحويل
لاجري عليهم وتذير لمن كذب
الرسول عليه الصلاة والسلام
(ثم عيشنا) أي أرسلنا (من بعده)
أي من بعد نوح عليه السلام
(رسلا) التنكير للتخصيص ذاتا
وصفا أي رسلا كرام ذوي عدد
كثير (الي قومهم) أي إلى اقوامهم
لكن لا بأن أرسلنا كل رسول
منهم إلى اقوام الكل أو إلى قوم
ما أي قوم كانوا بكل رسول
إلى قومه خاصة مثل هود إلى عاد
وصالح إلى ثمود وغير ذلك ممن
قص منهم ومن لم يقص (فجاءهم)
أي جاء صكل رسول قومه
الخصوصين به (بالبينات) أي
البرينات الواضحة الدالة على
صدق ما قالوا والبلاء أما منعة
بالفعل المذكور على أنها التعدي
أو مجحوف وقع حالا عن ضيق
جاءوا أي ملتبسين بالبينات لكن
لأن يأتي كل رسول بيينة
واحدة بل بينات كثيرة خاصة
بهمة له حسب اقتضاء الحكمة
فإن مراعاة انقسام الاحاد إلى
الاحاد اكتمل فيما بين ضيق
جاءهم كما اشير إليه (فما كانوا
ليؤمنوا) بيان لاستمرار عدم
إيمانهم في الزمان الماضي لعدم
استمرار إيمانهم كما مر مثله في هذه
السورة الكريمة غيرة أي فا
صع وما استقام تقوم من أولئك
الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك تمتعا منهم لشدة شكيتهم في الكفر والعدا من ان كان الحق آخر حال كل قوم
حسبا يدل عليه حكاية قوم نوح قالوا بل علم إيمانهم للذكور ههنا اصبراهم على ذلك بعد التيا والتي وما اشير

وشركاؤكم بالرفع عطفًا على الضمير المرفوع والتقدير فأجمعوا أنتم وشركاؤكم قال
الواحدى وجاز ذلك من غير تأكيد الضمير كقوله اسكن انت وزوجك الجنة لان قوله
امركم فصل بين الضمير وبين المنسوق فكان كالموضع من التوكيد وكان القراء يستقيم
هذه القراءة لأنها توجب ان يكتب وشركاؤكم بالواو وهذا الحرف غير موجود في
المصاحف (القيد الثالث) قوله ثم لا يكن امركم عليكم غة قال ابو الهيثم أي مهبما
من قولهم غم علينا الهلال فهو مفهم اذا التيس قال طرفه
لعمري ما امرى على بئمة * نهارى ولأبلى على بمرمد

وقال الليث انه لفي غة من امره اذ لم يتبدل قال الزجاج أي ليكن امركم ظاهر امتكسفا
(القيد الرابع) قوله ثم أقضوا إلى وفيه بحثان (البحث الاول) قال ابن الانباري معناه
ثم أمضوا إلى محروكم وما توعدني به تقول العرب قضى فلان يريدون مات ومضى وقال
بعضهم قضاء الشيء احكامه وامضاؤه والفرغ منه وبه يسمى القاضي لانه اذا حكم فقد
فرغ قوله ثم أقضوا إلى أي أفرغوا من امركم وامضوا ما في انفسكم واقطعوا ما بين
وبينكم ومنه قوله تعالى وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب أي علمناهم اعلاما قاطعا
قال تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال الفحل رحمه الله تعالى وبجاز دخول كلمة إلى في
هذا الموضع من قولهم برئت اليك وخرجت اليك من العهد وفيه معنى الاخبار فكانه
تعالى قال ثم أقضوا إلى ما يستقر رأيكم عليه محكما مفروغا منه (البحث الثاني) قرئ
ثم أقضوا إلى البقاء بمعنى ثم اتهموا إلى بشركم وقيل هو من أفضى الرجل اذا خرج إلى
الفضاء أي احصروا به إلى وأبرزوه إلى (القيد الخامس) قوله ولا تنظرون معناه
لا تمهلون بعد اعلامكم أي ما اتفقتم عليه فهذا هو تفسير هذه الالفاظ وقد نظم القاضي
هذا الكلام على احسن الوجوه فقال انه عليه السلام قال في اول الامر صلى الله توكلت
فاني وأثق بوعده الله جازم بانه لا يخلف الميعاد ولا ننظروا ان تهديدكم إياي بالقتل والايذاء
يمنعني من الدماء إلى الله تعالى ثم انه عليه السلام أورد ما يدل على صحة دعوته فقال
فأجمعوا أمركم فكانه يقول لهم أجمعوا كل ما تقدرون عليه من الاسباب التي توجب
حصول مطلوبكم ثم لم يقتصر على ذلك بل أمرهم ان يضحوا إلى انفسهم شركاهم
الذين كانوا يزعمون ان حالهم بقوي بمكانهم وبالتقرب اليهم ثم لم يقتصر على هذين بل ضم
اليهما ثالثا وهو قوله ثم لا يكن امركم عليكم غة واراد ان يبلغوا فيه كل غاية في المكاشفة
والجسارة ثم لم يقتصر على ذلك حتى ضم اليها رابعا فقال ثم أقضوا إلى والمراد ان وجهوا
كل تلك الشرور إلى ثم ضم إلى ذلك خامسا وهو قوله ولا تنظرون أي عملوا ذلك باشد
ما تقدرون عليه من غير انظار فهذا آخر هذا الكلام ومعلوم ان مثل هذا الكلام يدل
على انه عليه السلام كان قد بلغ الغاية في التوكيل على الله تعالى وانه كان قاطعا بان
كيدهم لا يصل اليه ومكرهم لا ينفذ فيه * وما قوله تعالى فان توليت فاسألتكم من أجر

اليه في قوله عز وجل (بما كذبوا به من قبل) تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وأما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة للوصول اليها بأنه بين (٢٤) بنفسه غنى عن البيان وأما الاحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد

تواتر البينات الظاهرة وتظاهر باجتناب البياهة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي يتعلق به الايمان والتكذيب سلبا وإيجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكره الاكثرهم المسمى من حين مجيء الرسل الى آخره وبما أشير اليه آخره تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون للوصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي أجيبت عليها الرسل طاعة ودعوا أعمهم اليها آخر ذي أثر ليس لاسمالة تبدلها وتغير هامل ملة التوحيد ولو اذمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية يسمعون لم يسمعون بكلمة التوحيد فقبل كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من يقابل من قبلهم كشود من بقايا عاد واهل من بقايا قوم نوح عليه السلام فيكذبونها ثم كانت حالهم بعد مجيء الرسل كما كانت قبل ذلك كأن لم يسمع اليهم احد وتخصيص التكذيب وعهد الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما أجيبت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تقر به بنفوسهم اولي وعدهم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما انما عليه يدور امر الازدباب والمقاب عند اجتماع المكذبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يوجب هذه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وإنما ذكر ما وقع قبلها بياناً لمراتبهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضامات الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل (قوله) خير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به مثله قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التصف

فقال المفسرون هذا اشارة الى انه ما اخذ منهم مالا على دعوتهم الى دين الله تعالى ومضى كان الانسان فارغا عن الطمع كان قوله اقوى تأثيرا في القلب وعندى فيموجده آخره هو ان يقال انه عليه السلام بين انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه وذلك لان الخوف انما يحصل بأحدثين اما بيبصال الشرا ويقطع النافع فين فيما تقدم انه لا يخاف شرهم وبين هذه الآية انه لا يخاف منهم بسبب ان يقطعوا عنه خيرا لانه ما أخذ منهم شيئا فكان يخاف ان يقطعوا عنه خيرا * ثم قال ان اجري الاعلى الله وامر ان اكون من المسلمين وفيه قولان (الاول) انكم سواء قبلتم دين الاسلام اولم تقبلوه فانما مور بأن اكون على دين الاسلام (والثاني) اني مأمور بالاستسلام لكل ما يبصل الى لاجل هذه الدعوة وهذا الوجه البق بهذا الموضع لانه لما قال ثم أقضوا الى بين لهم انه مأمور بالاستسلام لكل ما يبصل اليه في هذا الباب والله اعلم * قوله تعالى (فكذبوه فجهنم ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا يا ايها القائل كيف كان عاقبة المنذرين) اعلم انه تعالى لما حكى الكلمات التي جرت بين نوح وبين اولئك الكفار ذكر ما ليه رجعت عاقبة تلك الواقعة اما في حق نوح واصحابه فأمر ان (احدهما) انه تعالى نجاهم من الكفار (الثاني) انه جعلهم خلائف بمعنى انهم يخلفون من هلك بالفرق واما في حق الكفار فهو انه تعالى اغرقهم واهلكهم وهذه القصة اذا سمعها من صدق الرسول ومن كذب به كانت زجرا للمكلفين من حيث يخافون ان ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح ونكون داعية للمؤمنين على الثبات على الايمان ليصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه الطريقة في الترغيب والتخدير اذا جرت على سبيل الحكاية عن تقدم كانت ابلغ من الوعيد المتبادر وعلى هذا الوجه ذكر تعالى افاضص الانبياء عليهم السلام واما تفاصيل هذه القصة فهي مذكورة في سائر السور * قوله تعالى (ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين) اعلم ان المراد ثم بعثنا من بعد نوح رسلا ولم يسمهم وكان منهم هود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب صلوات الله عليهم اجمعين بالبينات وهي المعجزات القاهرة فاخبر تعالى عنهم انهم جروا على مناهج قوم نوح في التكذيب ولم يزرهم ما بلغهم من اهلاك الله تعالى المكذبين من قوم نوح عن ذلك فلهمذا قال فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل وليس المراد عين ما كذبوا به لان ذلك لم يحصل في زمانهم بل المراد بمثل ما كذبوا به من البينات لان البينات القاهرة على الانبياء عليهم السلام اجمع كما أنها واحدة ثم قال تعالى كذلك فطبع على قلوب المعتدين واحجج اصحابنا على ان الله تعالى قد منع المكلف عن الايمان بهذه الآية وتقريره ظاهر قال القاضي الطبع غير مانع من الايمان بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ولو كان هذا الطبع مانعا لما صح هذا الاستثناء (والجواب) ان الكلام في هذه المسئلة قد سبق على الاستقصاء في تفسير

وإنما ذكر ما وقع قبلها بياناً لمراتبهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضامات الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل (قوله) خير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به مثله قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التصف

وقيل الباء للسببية أى بسبب تعودهم تكذيب الحق وعرفهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى أن ذلك يؤدى الى مخالفة الجمهور من جعل ما للصدرة من قبيل الاسماء كاهو رأى الاخفش وابن (٢٥) السراج ليرجع اليها التغيير وفي ارجاعه الى الحق بأدعاء كونه

مر كوزا فى الازهان لا يخفى من

التعسف (كذلك) أى مثل ذلك الطبع

الحكم (نطبع) بنون العطفة

وقرى بالياء على أى التغيير لله

مجانته (على قلوب المتدين)

المتجاوزين عن الحدود المعهودة

في الكفر والعناد المجانين عن

قبول الحق وسلك طريق الرشاد

وذلك بخلافهم وتغييرهم وأنها

لأنها كهم في القى والضلال

وفي أمثال هذه دلالة على أن

الافعال واقعة بقدرة الله تعالى

وكسب العبد (ثم بعثنا) عطف

على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده

رسلا الى قومهم عطف قصة

على قصة (من بعدهم) أى من بعد

أولئك الرسل عليهم السلام

(موسى وهرون) خصت بهما

عليهما السلام بالذكر ولا يكتفى

بإندراج خبرهما فيما اشير اليه

إشارة إجابية من اخبار الرسل

عليهم السلام مع اقوامهم وأوتى

في ذلك ضرب تفصيل إيداعا

مخاطر شأن القصة وعظم وقعها

كما في نبأ نوح عليه السلام (الى

فرعون وملئه) أى انشأ في قومه

وتخصيصهم بالذكر لاصالته في

إقامة المصالح والمهمات ومراجعة

الكل اليهم في النوازل والمآلات

(بأينا) أى ملتصقين بهما

الآيات القصصات في الاضاف

(فاستكبروا) الاستكبار دهاء

الكبر من غيو استحقاق والفساد

فصيحة أى قائلهم فبلغهم

الرسالة فاستكبروا عن إيمانهم

وذلك قول العن موسى عليه

السلام ألم ترك فينا وليدا

ولبثت فينا من عرك سنين الخ

(وكانوا قوم مجرمين) اعتراض

قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فلا قاذة في الامادة (القصة الثانية) قصة

موسى عليه السلام قوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه

بأينا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين

قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون) اعلم ان هذا الكلام

عنى عن التفسير وفيه سؤال واحد وهو ان القوم لما قالوا ان هذا لسحر مبين فكيف حكى

موسى عليه السلام انهم قالوا أسحر هذا على سبيل الاستفهام (وجوابه) ان موسى

عليه السلام ما حكى عنهم انهم قالوا أسحر هذا بل قال أتقولون للحق لما جاءكم ما تقولون

ثم حذف عنه مفعول أتقولون لدلالة الحال عليه ثم قال مرة اخرى أسحر هذا وهذا

استفهام على سبيل الانكار ثم احتج على انه ليس بسحر وهو قوله ولا يفلح الساحرون

يعنى ان حاصل صنعهم تخييل وتعمية ولا يفلح الساحرون واما قلب المصاحبة وقلق البحر

فمعلوم بالضرورة انه ليس من باب الخييل والتوهم ثبت انه ليس بسحر قوله تعالى

(قالوا أجبنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن

لكما بمؤمنين وقال فرعون أتتو بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا

ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيطلبه ان الله لا يضلح عمل

المفسدين وبحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم

انه تعالى حكى عن فرعون وقومه انهم لم يقبلوا دعوة موسى عليه السلام وعلوا عدم

القبول بأمرين (الاول) قوله أجبنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا قال الواحدى الفت

في اصل اللغة الصرغ عن امر واصله الذى يقال لفت عنقه اذا لواها ومن هذا يقال التفت

اليه أى امال وجهه اليه قال الازهرى لفت الشيء وقوله اذا لواها وهذا من المقلوب واعلم

ان حاصل هذا الكلام انهم قالوا لانزلك الدين الذى نحن عليه لانا وجدنا آباءنا عليه فقد

تمسكوا بالتقليد ودفعوا الحجة الظاهرة بمجرد الاصرار (والسبب الثانى) في عدم القبول

قوله وتكون لكما الكبرياء في الارض قال المفسرون المعنى ويكون لكما الملك والعز

في ارض مصر ولخطاب لوسى وهرون قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه كبر ما يطلب

من امر الدنيا وايضا فالتى اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد امراته اليه فصار

اكبر القوم واعلم ان السبب الاول إشارة الى التمسك بالتقليد والسبب الثانى إشارة الى

الحرص على طلب الدنيا والجد في بقاء الرئاسة ولما ذكر القوم هذين السببين صرحوا

بالحكم وقالوا وما نحن لكما بمؤمنين واعلم ان القوم لما ذكروا هذه المعانى حاولوا

بعد ذلك وأرادوا ان يعارضوا مجزة موسى عليه السلام بأنواع من السحر ليلزهوا

عند الناس ان ما أتى به موسى من باب السحر فجمع فرعون السحرة واحضرهم

فقال لهم موسى ما انتم ملقون فان قيل كيف امرهم بالكفر والسحر

مقرر لمخبر ما قبله أى كانوا معتادين لارتكاب الذنوب (٤) (را) (خا) العظام فان الاجرام مؤذن بظلم الذنوب ومنه الحرم الى الحلة

فلذلك اجترأوا على ما جترأوا عليه من الاستبانة برسالة الله تعالى وجل الاستكبار على الامتناع عن قبول الايات لا يساعده قوله

عن وعلا (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين) فانه منجرح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي سواه سحرا اعني العصا واليد البيضاء كما ينبغي عنه سياق (٢٦) النظم الكريم وذلك اول مالهظه عليه السلام من الآيات

الطام والفاء فيه ايضا فصحة معربة عما صرح به في مواضع أخر كأنه قيل قال موسى قد جئتكم بدينه من ربكم انقولوه تعالى فأتى عصافا ذاهي ثعبان مدين ونزع يده فاذا هي عصافا للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وصرخوه قالوا من فرط غوهم وعنادهم ان هذا السحر مبين اي ظاهر كونه سحرا اوفائق في بابه واضح فيما بين انزابه وقرئ لسحر (قال موسى) استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كأنه قيل لماذا قال لهم موسى حينئذ قبل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي (انقولون الحق) الذي هو البطلان في السحر الذي هو الباطل المجهت (لما جاءكم) اي حين مجيئه اليكم ووقوفكم عليه اومن اول الامر من غير تأمل وتدبر وكلا الحالتين عايناهما القول المذكور والمقول غشوق ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايدانابه عما ينبغي ان يتقوه ولو على نهج الحكاية اي انقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان نقوله فائل ويتكلم به مستكمل القول بمعنى العيب والظن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس بقاؤنا اذا ظن بعضهم بعضا ما ينونه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا في ذكرهم الخ فاستغنى عن القول اي التخييل ونظمون فيه وعلى الوجهين قوله عز وجل (اسحر هذا) انكار مستأنف من نهجه عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ

لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اماعي الاول فظاهر واما على الثاني فوجه انكار كونه سحرا على انكار كونه معبسا بان يقال مثلا افيه عيب محسوس يقتضيه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبية (هذا)

بالانكار السابق على ان ليس فيه شائبة عيبا وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله الخادية (٢٧) على امتناع كونه سحرا اى اسحر هذا الذى امره واضح مكشوف وشأنه

مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد عن له عين بصيرة وقد قدم الخبر للارتيان بأنه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به سحرا كذا لانكار السابق وما فيه من التوجيه والجهل بقوله عز وجل (ولا يفلح الساحرون) وهو حجة حالية من ضمير المخاطبين والرباط هو الواو بالاختيار كافي قول من قال جاء الفتنة ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اى تقولون الحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعلم اى لا يظفر بطوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلى من المؤمنين من عبيد الله العزيز الحكيم القادرين بكل مطلب الناجين من كل محذور وقوله تعالى اسحر هذا حجة معترضة بين الحال وصاحبها كديها لانكار السابق ببيان اسحقاق كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان اسحقاقه بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا وما يجرى ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى اجتماعا تظليسا به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا ما اولافلان ما قالوا هو الحكم بأنه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على التمسك فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرح جويله عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به الى ما يشبه منه اصلا ما يجب تنزيه النظم التذليل عن الحمل على امثاله ولما كانا فلان النظم لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتسكك بالحق المبين دون الكفرة المتضيقين باذيال

هذا الموضع فوجب حمله على التفسير بمعنى قلة العدد (الثاني) قال بعضهم المراد اولادهم دجاهم لان الآباء استمروا على الكفر اما لان قلوب الاولاد آيين اودوا عيم على الثبات على الكفر أخف (الثالث) ان الذرية قوم كان آباؤهم من قوم فرعون وامثالهم بنى اسرائيل (الرابع) الذرية من آل فرعون آسية امرأة فرعون وخازنه وامرأة خازنه وما شطتها واما التفسير في قوله من قومه فقد اختلفوا ان المراد من قوم موسى او من قوم فرعون لان ذكرهما جميعا قد تقدم والاظهر انه عائد الى موسى لانه اقرب المذكورين ولانه نقل ان الذين آمنوا به كانوا من بنى اسرائيل اما قوله على خوف من فرعون وملهم ان يقتنهم فيه اباحت (البحث الاول) ان اولئك الذين آمنوا بموسى كانوا خاشعين من فرعون جدا لانه كان شديدا البطش وكان قد اظهر العداوة مع موسى فاذا علم ميل القوم الى موسى كان يبلغ في ايدائهم فلهمذا السبب كانوا خاشعين منه (البحث الثاني) اما قال ومنهم مع ان فرعون واحد ولو جوه (الاول) انه قد بصر عن الواحد بلفظ الجمع والمراد التعظيم قال الله تعالى انما نحن نزلنا الذكر (الثاني) ان المراد بفرعون آل فرعون (الثالث) ان هذا من باب حذف المضاف كانه اريد بفرعون آل فرعون ثم قال ان يقتنهم اى يصرفهم عن دينهم بتسلط انواع البلاء عليهم ثم قال وان فرعون لعال في الارض اى لغالب فيها قاهر وانه لن المرفق قبل المراد انه كثير القتل كثير التعذيب لمن يخالفه فى امر من الامور والغرض منه بيان السبب في كون اولئك المؤمنين خاشعين وقيل انما كان مسرعا لانه كان من اخس العبيد فادعى الالهية **قوله تعالى (وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فليبعي تولكوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله تولكنا ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين ونجنا ربنا من القوم الكافرين) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) ان قوله ان كنتم امنتم بالله فليبعي تولكوا ان كنتم مسلمين جزاء معلق على شرطين احدهما مقدم والاخر متأخر والفقهاء قالوا المتأخر يجب ان يكون متقدما والتقدم يجب ان يكون متأخرا ومثاله ان يقول الرجل لامرأته ان دخلت الدار فأنت طالق ان كتبت زيدا وانما كان الامر كذلك لان مجموع قوله ان دخلت الدار فأنت طالق صار مشروطا بقوله ان كتبت زيدا والمتروك متأخر عن الشرط وذلك يقتضى ان يكون المتأخر فى اللفظ متقدما فى المعنى وان يكون التقديم فى اللفظ متأخرا فى المعنى والتقدير كانه يقول لامرأته خال ما كتبت زيدا ان دخلت الدار فأنت طالق فلو حصل هذا التعليق قبل ان كتبت زيدا لم يقع الطلاق اذا عرفت هذا فنقول قوله ان كنتم امنتم بالله فليبعي تولكوا ان كنتم مسلمين يقتضى ان يكون كونهم مسلمين شرطا لان بصيروا مخاطبين بقوله ان كنتم بالله فليبعي تولكوا فكتابه تعالى يقول للمسلم حال اسلامه ان كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والامر كذلك لان الاسلام عبارة عن الاستسلام وهو اشارة الى الاتقياد للتكاليف الصادرة عن الله تعالى واظهار الخضوع**

بعض منهم في معارضة عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لئلا يثبت تخصيص عدم الافلاح عن زعمه سحرا بناء على غلبة من يتأون به من السحر واما ثالثا فلان قوله عز وجل (قالوا اجثنا) الخ مسوق لبيان انه عليه السلام اتهم بالحجر فانتقموا عن

الآتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التثبت بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز مجبور ودين كل معاند لجوج عاتى استثناف وقع جوابا عما قبله (٢٨) من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال

موسى الخ حسبا اشير اليه كما أنه قيل فاذن قالوا لموسى عليه السلام عند ما قال لهم ما قال فليل قالوا عاجزين عن الحاجة اجتنبا (الفتنة) اى لتصرفنا فان القتل والقتل اخوان (عواجدا عليه آباءنا) اى من عبادة الاصنام ولا ربنا فى ان ذلك مما يمتنى بكون ما ذكر من نعمة كلامه عليه السلام على الوجه الذى شرح اذ على تقدير كونه محكيكنا فليهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التثبت للمبني لهم الى العدول عن سنن الحاجة ولا ريب فى ان لا علاقة بين قولهم اجتنبا الخ وبين انكاره عليه السلام لما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا عنه (وتكون لكم الكبرياء) اى الملك او التكبر على الناس باستتباعهم وقرى ويكون بالياء (الفتنة) وكلنى فى قوله تعالى (فى الارض) اى ارض مصر متعلقة بكون او بالكبرياء او بالاستقرار فى لكم لوقوعه خبرا او محذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير فى لكم لجملة آياه (وما نحن لكم بؤمنين) اى بمصدقين فيما جئنا به وفطنة الضمير فى هذين الموضعين بعد افراجه فيما تقدم من القامين باعتبار قبول الكبرياء لهما عليها السلام واستاناز التصديق لاحدهما التصديق لآخرهما والفت والنجى له حيث كانا من خصائص صاحب الشريعة ابندا الى موسى عليه السلام خاصة (وقال فرعون) توشيد الفعل لان الامرين وعاطف فرعون اى فان لكاه يا امرهم بترتيب ما بدى الزامها عليهم السلام بالفعل بعد

الياس من الزامها بالقول (اشئ بكل ساحر علم) بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرى حصار (فلا جاء) (دين) البخرة) عطف على مقدر يستدعيه المقام فحذف اياتنا بسرعة استتالهم لامر فرعون كما هو شأن الفاء القصيدة فى كل مقام اى

فأتوا به فلجأوا (قال لهم موسى) لكن لا في ابتداء مجيئهم قبل بعدما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في السور الاخر من قولهم اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك (القول ما انت ملقون) (٢٩) اى ملقون له كانوا من اصناف البشر (فلا القوا)

دين اعدادهم فوق عنايتهم بمصالح انفسهم وان جلداه على ان لا يمكن الله تعالى اولئك الكفار من ان يحملوهم على ترك هذا الدين كان ذلك ايضا دليلا على ان اهتمامهم بمصالح ادبائهم فوق اهتمامهم بمصالح ابدانهم وعلى جميع التقديرات فهذه لطيفة شريفة في قوله تعالى (واوحينا الى موسى واخيه ان تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقبوا الصلاة وبشر المؤمنين) اعلم انه لما شرح خوف المؤمنين من الكافرين وما ظهر منهم من التوكل على الله تعالى اتبعه بأن امر موسى وهرون باتخاذ المساجد والاقبال على الصلوات يقال تبوأ المكان اى اتخذ موطأ كقوله توطئه اذا اتخذ وطنا والمعنى اجعلوا بمصر بيوتا لقومكما ومرجعا ترجعون اليه للعبادة والصلاة ثم قال واجعلوا بيوتكم قبلة وفيه امحاء (البحث الاول) من الناس من قال المراد من البيوت المساجد كما في قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ومنهم من قال المراد مطلق البيوت اما الاولون فقد فسروا القبلة بالجانب الذى يستقبل في الصلاة ثم قالوا والمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة اى اجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقال الفراء واجعلوا بيوتكم قبلة اى الى القبلة وقال ابن الانبارى واجعلوا بيوتكم قبلة اى قبلا يعنى مساجد فأطلق لفظ الوجدان والمراد الجمع واختلفوا في ان هذه القبلة اى كانت فظاهر ان لفظ القرآن لا يدل على تعيينه الا انه نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة موسى عليه السلام وكان الحسن يقول الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول عنها بأمر الله تعالى في ايام الرسول عليه السلام بعد الهجرة وقال آخرون كانت تلك القبلة جهة بيت المقدس واما القائلون بأن المراد من لفظ البيوت المذكورة في هذه الآية مطلق البيت فهؤلاء لهم في تفسير قوله قبلة وجهان (الاول) المراد يجعل تلك البيوت قبلة اى متقبلة والمقصود منه حصول الجمعية واعتضاد البعض ببعض وقال آخرون المراد واجعلوا دوركم قبلة اى صلوا في بيوتكم (البحث الثانى) انه تعالى خص موسى وهرون في اول هذه الآية بالخطاب فقال ان تبوأ لقومكما بمصر بيوتا ثم عم هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة والسبب فيه انه تعالى امر موسى وهرون ان تبوأ لقومكما بيوتا للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم جاء الخطاب بعد ذلك عاملاهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الكل ثم خص موسى عليه السلام في آخر الكلام بالخطاب فقال وبشر المؤمنين وذلك لان الغرض الاصلى من جميع هذه البادات حصول هذه البشارة فخص الله تعالى موسى به ليدل بذلك على ان الاصل في الرسالة هو موسى عليه السلام وان هرون تبع له (البحث الثالث) ذكر المفسرون في كيفية هذه الواقعة وجوها ثلاثة (الاول) ان موسى عليه السلام ومن معه كانوا في اول امرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتخوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على هذه الحالة في اول الاسلام

وتربية الهابة (بكله) بأوامر وقضائه وقرئ بكلته (ولو كره المجرمون) ذلك والمراد بهم كل من الصف بالاجرام من الصحرة وغيرهم (فا آمن موسى) معطوف على مقدر قد فصل في مواقع اخرى فالتى تلقف ما يافكون الخ وانما لم يذكر تعدوا

على ذلك وإبارا للابحاز وايدنا بأن قوله تعالى ان الله سيضلهم عما يحسن الحلف اصلا وعطفه على ذلك بالغاء مع كونه عندما مستقرا من قبل ما قبله قوله عز وجل فأتبعوا فرعون وما قالوا

في مكة (الثاني) قيل انه تعالى لما ارسل موسى اليهم امر فرعون بغير مساجد بني اسرائيل ومنعهم من الصلاة فأمرهم الله تعالى ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون (الثالث) انه تعالى لما ارسل موسى اليهم واطهر فرعون تلك العداوة الشديدة امر الله تعالى موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل تعالى انه يصونهم عن شر الاعداء ﴿ قوله تعالى ﴾ وقال موسى ربنا انك

آتيت فرعون وملائه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اعلم ان موسى لما بالغ في اظهار المعجزات الطاهرة القاهرة القاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والعداوة والانكار اخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر او لا سبب اقامه على تلك الجرائم وكان جرمهم هو انهم لاجل جحيم الدنيا تركوا الدين فلهذا السبب قال موسى عليه السلام ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة واموالا والزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب واثاث البيت والمال ما يزيد على هذه الاشياء من الصامت والناطق ثم قال ليضلوا عن سبيلك وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) اقرأ حزة والكسائي وعاصم ليضلوا بضم الياء وقرأ الباقون بفتح الياء (المسئلة الثانية) احتج اصحابنا بهذه الآية على انه

تعالى يضل الناس ويريد اضلالهم وتقريره من وجهين (الاول) ان اللام في قوله ليضلوا لام التعليل والمعنى ان موسى قال يارب العزة انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا فدل هذا على انه تعالى قدير باضلال المكلفين (الثاني) انه قال واشدد على قلوبهم فقال الله تعالى قد اجبت دعوتكما وذلك ايضا يدل على المقصود قال القاضي لا يجوز ان يكون المراد من هذه الآية ما ذكرتم وفيل عليه وجوه (الاول) انه ثبت انه تعالى مره عن فعل القبيح واردة البكر فبحسب (و الثاني) انه لو اراد ذلك لكان الكفار مطيعين لله تعالى بسبب كفرهم لانه لا معنى لطاعة الاياتين بما يوافق الارادة ولو كانوا كذلك لما صحبوا الدعاء عليهم بطمس الاموال وشدة القلوب (والثالث) انما يجوز ان

ان يريد اضلال العباد لجوز ان يعث الانبياء عليهم السلام للدعاء الى الضلال والنجاز ان يقولوا الكذابين الضالين المضلين باظهار المعجزات عليهم وفيه هدم الدين وابطال الثقة بالقرآن (الرابع) انه لا يجوز ان يقول موسى وهرون عليهما السلام فقولاه قولنا لنعلمه يذكرون ثم انه تعالى اراد الضلالة منهم واعطاهم التمسك ليضلوا لان ذلك كالمناقضة فلا بد من جل احدىهما على موافقة الاخر (والخامس) انه لا يجوز ان يقال ان موسى عليه السلام نجار بان يطمس على اموالهم لاجل ان لا يؤمنوا مع تشددهم في ارادة الايمان واعلم اننا لنعاني كثيرا من هذه الوجوه في مواضع كثيرة من هذا الكتاب

موسى) انما يخوف المؤمنين منه (ان كنتم معيدين) مستسلمين لقضاء الله تعالى مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان كافيكم كل شر وشر (ان كنتم معيدين) مستسلمين لقضاء الله تعالى مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان كافيكم كل شر وشر

من اولاد قومه بنى اسرائيل حيث دعا الاكابر فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شابههم وقيل الضمير لفرعون والذرير طائفة من شابهه اشوا به عليه السلام او مؤمنون كل فرعون وراسا ثمة آسية وشاذنه وراسا ثمة وما شئتة هو يعيد (على خوف) من فرعون وملئه) الضمير لفرعون والجم لما هو المتعدي ضاررا للعلم ولا ياب مقام بيان علوق الفساد وظلوه في الشر والتسلط على العباد اولان المراد به آله كما يقال ربيعة وضرا للذرية او يقوم الى على خوف من فرعون بوض اشرف بنى اسرائيل حيث كانوا يجمعون افعالهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم (ان) يشتمهم) اى يذنبهم وهو بدل اشغال او مفعول خوف فان افعال المصدر المتكرر كافي قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيها او مفعول له يذنب حذفا للام واستاد الفعل الى مفعول خاصة لانه لا امر بالسعدي (وان) فرعون لما في الارض) غالب في ارض مصر (وانهم المبرفين) في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء اوفى الكبر والعنوت حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجلال ان اعراض تنبئ مؤكدة ليعلمون ما سبق (وقال) موسى) انما يخوف المؤمنين

منه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) اى صدقتم به وبآياته (فليبه تكونوا) وبه تقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه (واذا) كافيكم كل شر وشر (ان كنتم معيدين) مستسلمين لقضاء الله تعالى مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان كافيكم كل شر وشر

المعلق بالآيمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المتضمن له والشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التغليب ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت (فقالوا) يجيبين (٣١) له عليه السلام من غير تعلم في ذلك (على الله توكلنا) لا نهم كانوا

واذا ثبت هذا فنقول وجب تأويل هذه الكلمة وذلك من وجوه (الاول) ان اللام في قوله بلضوا لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ولما كانت ماقية قوم فرعون هو الضلال وقد اعلم الله تعالى لاجرم عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ (الثاني) ان قوله ربنا بلضوا عن سبيلك اى ثلاثا بلضوا عن سبيلك لحذف لا لدلالة المعقول عليه كقوله بين الله لكم ان تضلوا والمراد ان تضلوا وكقوله تعالى قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة والمراد ثلاثا تقولوا ومثل هذا الحذف كثير في الكلام (الثالث) ان يكون موسى عليه السلام ذكر ذلك على سبيل التمجيد المقرون بالانكار والتقدير كأنك أتيتهم ذلك لهذا الغرض فانهم لا يتفقون هذه الاموال الا فيه وكأنه قال أتيتهم زينة واموالا لاجل ان يلضوا عن سبيل الله ثم حذف حرف الاستفهام كافي قول الشاعر

كذبتك حينك أم رأيت بواسطه غلس الظلام من الرباب خيالاً

أراداً كذبتك فكذا ههنا (اربع) قال بعضهم هذه اللام لام الدعاء وهى لام مسكورة تجزم المستقبل ويفتح بها الكلام فيقال ليغفر الله للمؤمنين وليعذب الله الكافرين والمعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك (الخامس) ان هذه اللام لام التعليل لكن بحسب ظاهر الامر لا في نفس الحقيقة وتقريره انه تعالى لما اعطاهم هذه الاموال وصارت تلك الاموال سبباً لزيد البغي والكفر اشبهت هذه الحالة حالة من اعطى المال لاجل الاضلال فورد هذا الكلام بلفظ التعليل لاجل هذا المعنى (السادس) ينسأ في تفسير قوله تعالى يضل به كثيراً في اول سورة البقرة ان الضلال قد جاء في القرآن بمعنى الهلاك يقال ضل الماء في البئر اى هلك فيه اذا ثبت هذا فنقول قوله ربنا بلضوا عن سبيلك معناه ليلكوا ويموتوا ونظيره قوله تعالى فلا تحبكم اموالهم ولا اولادهم ايماناً بـ الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا فهذا جملة ما قيل في هذا الباب واعلم ان الله اجابنا عن هذه الوجوه مراراً كثيرة في هذا الكتاب ولا بأس بأن نعيد بعضها في هذا المقام فنقول الذى يدل على ان حصول الاضلال من الله تعالى وجوه (الاول) ان العبد لا يقصد الا حصول الهداية فاما لم تحصل الهداية بل حصل الضلال الذى لا يريد علمنا ان حصوله ليس من العبد بل من الله تعالى فان قالوا انه ظن بهذا الضلال انه هدى فلا جرم قد اوقعه وادخله في الوجود فنقول فعلى هذا يكون اقدامه على تحصيل هذا الجهل بسبب الجهل السابق فلا وكان حصول ذلك الجهل السابق بسبب جهل آخر ثم التسلسل وهو محال فثبت ان هذه الجهالات والضلالات لا بد من انتهائها الى جهل اول وضلال اول وذلك لا يمكن ان يكون باحداث العبد وتكوينه لانه كرهه وانما اراد ضده فوجب ان يكون من الله تعالى (الثاني) انه تعالى لما خلق الخلق بحيث يحبون المال والجاه جاب شديداً لا يمكنه ازالة هذا الحب عن نفسه البته وكان حصول هذا الحب يوجب الاعراض

انك انت فرعون وملائكة زينة اى ما يقرن به من اللباس والمراكب ونحوها (واموالاً) انواعاً كثيرة من المال (في الحياة الدنيا) ربنا بلضوا عن سبيلك (دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيه

اولهامة لان اياته النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولائهم لاجعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليعلموا فيكون
وبناكرها للادل تأكيدها اوتيتها على المقصود عرض ضلالهم (٣٢) وكفرانهم مقدمة لقوله تعالى (ربنا اطمس على اموالهم)

الطمس المحو وقرئ بضم الميم
اي اهلكها (واشد على قلوبهم)
اي اجعلها قاسية واطبع عليها
حتى لا تشرح للبيان كاهوقضية
شأنهم (فلا يؤمنوا)
لهدما وادعوا بلفظ النهي او عطف
على ليعلموا وما بينهما دعاء
معترض (حتى يروا العذاب
الاليم) اي يصيبونه ويوقنوا به
بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذلك قال
قد اجبت دعوتكم اي يني موسى
وهرون عليها السلام لا اله
كان يؤمن كاشعره بضافه
الرب الى ضمير التكلم مع العبري
المواقع الثلاثة (فاستقم)
على ما اتى عليه من الدعوة
والزام الحجة والاستحالة فان
ما طلبت كائن في وقته لاحالة
روى انه مكث فيهم بعد الدعاء
اربعة سنه (ولايمان سبيل
الذين لا يؤمن) اي عبادات الله
سبانه في تطبيق الامور بالحكم
والمحاصل اوسيل الجسده في
الاستحلال او عدم الوقوف
بوعده تعالى وقرئ بالنون
الخشيفه وكسر الالف والنون
ولا تقبعا من تبع ولا تقبعا
ايضا (وجاوزا بنى اسرائيل البحر)
هو من جاوز المكان اذا غطاه
وغلفه والباء للتدعية اي
جعلناهم مجاوزين البحر بأن
جعلناه يديا وحفظناهم حتى
بلغوا الشط وقري جاوزا وهو
من التجوز الرادف للجيازة
لما هو معنى التنفيذ نحو ما وقع
في قول الاعشى * كاجوز السكى
في الباب فيقول والاقبل وجوزنا
بنى اسرائيل في البحر وغلا
النظم الضمير عن الايمان
بأنفسهم عن البحر وعقارونه

العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في الفرق بين اذهبه وذهب به (فأتبعهم) يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقتك
فلحقته اي اذركهم ولحقهم (فرعون وجنوده) حتى ترامت الفشتان وكاد يجمع الجمعان (فبأولعدوا) ظلما واعتداء اي باغين (الايمان)

وعاد بنو البغي والعدوان وقرى

وعداو وذلك ان موسى عليه السلام خرج بنى اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبهم حتى قطعهم ووصل الى الداحل وهم قد خرجوا من البحر وسلمكم باق على حاله يسافلكه بجنوده اجمعين فلما دخل اخرهم وهم اولهم بالخروج غشيم من اليم ما غشيم (حتى اذا درك الفرق) اى لحقه والجه (قال آمنت انه) اى بالله والضمير الشأن وقرى انه على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيرها له (لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل) لم يقل كآله الصخرة آتارب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالوصول وجعل صلته ايمان بنى اسرائيل تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء واتباعه ان كان يستبهم طبعافى القبول والاستظام معهم فى ذلك النجاة (وانتم المسكين) اى الذين اسلموا نفوسهم لله اى جعلوها سالمة خالصة لى تعالى واراد بهم اما بنى اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه ودخولوا والجملة على الاول عطف على آمنت وايتارا لاسمية لادعاء الدوام او الاستمرار وعلى الثانى يحتمل الحالية ايضا من ضمير التكم اى آمنت بحملته منتظما فى ذلك الراشقين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول القضى الى النجاة وبهيات هيات بدما فانت واني ما هوأت وقوله عز وجل (الآن) مقول بقول مقدر مطوف على قال اى قتل الآن وهو

الايمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله تعالى بفعل ذلك عن يشاء ولولا ذلك لما حسن من موسى عليه السلام هذا السؤال ثم قال فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وفيه وجهان (احدهما) انه يجوز ان يكون معطوفا على قوله ليضلوا والتقدير ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم يكون اعتراضا (والثانى) يجوز ان يكون جوابا لقوله واشددو التقدير اطبع على قلوبهم وقسها حتى لا يؤمنوا فانها تستحق ذلك ثم قال تعالى قد اجبت دعوتكم او فيه وجهان (الاول) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان موسى كان يدعو وهرون كان يؤمن فلذلك قال قد اجبت دعوتكما وذلك لان من يقول عند دعاء الداعى آمين فهو ايضا داع لان قوله آمين تأويله استجب فهو سائل كما ان الداعى سائل ايضا (الثانى) لا بعد ان يكون كل واحد منهما ذكر هذا الدعاء غاية ما فى الباب أن يقال انه تعالى حتى هذا الدعاء عن موسى بقوله وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا الا ان هذا لا ينافى ان يكون هرون قد ذكر ذلك الدعاء ايضا وأما قوله فاستقيما يعنى فاستقيما على الدعوة والرسالة والزيادة فى الزام الجملة فقد لبث نوح فى قومه ألف سنة الا قليلا فلا تستجيلا قال ابن جريج ان فرعون لبث بعد هذا الدعاء اربعين سنة وأما قوله ولا تبعان سبيل الذين لا يعلون فقيه بختان (البحث الاول) المعنى لا تبعان سبيل الجاهلين الذين يظنون انهم متى كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصل فى الحال فرما أجاب الله تعالى دعاء انسان فى مطلوبه الا انه انما يوصله اليه فى وقته المقدر والاستعجال لا يصدر الامن الجاهل وهذا كما قال نوح عليه السلام انى اعظك ان تكون من الجاهلين واعلم ان هذا النبى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى عليه السلام كما كان قوله لئن اشركت ليعطين علك لا يدل على صدور الشرك منه (البحث الثانى) قال الزجاج قوله ولا تبعان موضعه جزم والتقدير ولا تبعها الا ان النون الشديدة دخلت على النبى مؤكدة وكسرت لسكونها وسكون النون التى قبلها فاختر لها الكسرة لانها بعد الالف تشبه نون الثانية وقرأ ابن عامر ولا تبعان بخفيف النون قوله تعالى (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الفرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فالיום نجيتك بيدك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا فالقولون اعلم ان تفسير اللفظ فى قوله وجاوزنا بنى اسرائيل البحر مذكور فى سورة الاحراف والمعنى انه تعالى لما اجاب دعاءهما امر بنى اسرائيل بالخروج من مصر فى الوقت المعلوم وبسر لهم اسبابه وفرعون كان خافلا عن ذلك فلما سمع انهم خرجوا وعزموا على مفارقة ملكه خرج على عقبهم وقوله فاتبعهم اى لحقه حتى لحقه وقوله بغيا وعدوا البغي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظالم روى ان موسى عليه السلام لما خرج مع قومه وصلوا الى طرف

الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على وجهه الانكار التوبيخ على تأخيرهم وتقريره بالمسيان والفساد وغير ذلك وفي حذف الفعل المذكور وإزالة الخبر المحي في صورة الانشائي الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب مما لا يخفى كما يفصح عنه ما روى من ان جبريل دس فاه عند ذلك بحال البحر وسد به فاهه تأكيد للرد القول بارد الفعل ولا ينافي فيه تمليه بمخافة اذ التالفة فيما نقل انه قال للنبي عليهما السلام فلو رأيته ياتى بالمجد وانأخذ من حال البحر فادسه فيه مخافة ان تذكره الراجعة الى المراتب العالية الدنيوية اى النجاة التى هى مطلبة المخذول وليس من ضرورته ادراكها خاصة الايمان كفى ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور فى شأن جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر اذ لا استمالة فى ترتب هذه الراجعة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك فى حالة البأس واليأس فيعمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الفيض وشدة الخلود فتدبر والله الموفق وحق العامل فى الطرف ان يسلم مؤخرًا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تأخير الايمان الى حد يتنبه فيه الى ان يؤمن حين يثبت من الحياة وايقنت بالمات وقوله عز وجل (وقد عصيت قبل) حال من فاعل الفعل المقدر على بد لتعديده التوبيخ والتفريع على تأخير الايمان الى

البحر وقرب فرعون مع عسكره منهم فوقعوا فى خوف شديد لانهم صاروا بين بحر مفرق وجند مهلك فأنعم الله عليهم بأن أظهر لهم طريقا فى البحر على ما ذكر الله تعالى هذه القصة بتقايها فى سائر السور ثم ان موسى عليه السلام مع اصحابه دخلوا وخرجوا وأبقى الله تعالى ذلك الطريق يسرا ليطمع فرعون وجنوده فى التمكن من العبور فلما دخل مع جعه أغرقه الله تعالى بأن أوصل اجزاء الماء بعضها وأزال الفلق فهو معنى قوله فاتبعهم فرعون وجنوده وبين ما كان فى قلوبهم من البغى وهى محبة الافراط فى قتلهم وظلمهم والعدو وهو تجاوز الحد ثم ذكر تعالى انه لما أدركه الفرق اعطى كلمة الاخلاص غنامته انه نجيه من تلك الآفة وههنا سؤالان (السؤال الاول) ان الانسان اذا وقع فى الفرق لا يمكنه ان تلتظ بهذا اللفظ فكيف حكى الله تعالى عنه انه ذكر ذلك (والجواب) من وجوب (الاول) ان مذهبا ان الكلام الحقيقى هو كلام النفس لا كلام اللسان فهو اما ذكر هذا الكلام بالنفس لا بكلام اللسان ويمكن ان يستدل بهذه الآية على اثبات كلام النفس لانه تعالى حكى عنه انه قال هذا الكلام وثبت بالدليل انه ماقاله باللسان فوجب الاعتراف بثبوت كلام غير كلام اللسان وهو المطلوب (الثانى) ان يكون المراد من الفرق مقدماته (السؤال الثانى) انه آمن ثلاث مرات أولها قوله آمنت وثانيها قوله لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وثالثها قوله وأنا من المسلمين فما السبب فى عدم القبول والله تعالى متعال عن أن يلحقه غيظ وحقه حتى يقال انه لاجل ذلك الحقد لم يقبل منه هذا الاقرار (والجواب) العلاء ذكروا فيه وجوها (الاول) انه انما آمن عند نزول العذاب والايان فى هذا الوقت غير مقبول لان عند نزول العذاب بصير الحال وقت الاجاء وفى هذا الحال لا تكون التوبة مقبولة ولهذا السبب قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (الوجه الثانى) هو انه انما ذكر هذه الكلمة ليتوسل بها الى دفع تلك البلية الحاضرة والمحنة الناجزة فاما مقصوده من هذه الكلمة الاقرار بوحداية الله تعالى والاعتراف بعزة الربوبية وذلة العبودية وعلى هذا التقدير فاما ذكر هذه الكلمة مقرونا بالاخلاص فهذا السبب ما كان مقبولا (الوجه الثالث) هو ان ذلك الاقرار كان مبنيًا على محض التقليد الا ترى انه قال لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فكأنه اعترف بأنه لا يعرف الله الا انه سمع من بنى اسرائيل ان للعالم بها فهو اقر بذلك الا اله الذى سمع من بنى اسرائيل انهم اقروا بوجوده فكان هذا محض التقليد فلماذا السبب لم تصر الكلمة مقبولة منه ومزيد التحقيق فيه ان فرعون على ما بيناه فى سورة طه كان من الدهرية وكان من المنكرين لوجود الصانع تعالى ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا تزول ظلمته الا بنور الحجج القطعية والدلائل اليقينية واما بالتقليد المحض فهو لا يفيد لانه يكون ضما لظلمة التقليد الى ظلمة الجهل السابق (الوجه الرابع) رأيت فى بعض الكتب ان بعض اقوام من بنى اسرائيل لما جاوزوا البحر

هذا الآن ببيان انه لم يكن تأخيرهم لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتأمل والتدبر في دلائله وآياته ولا لشيء آخر مما صي بهد عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله تعالى (وكنتم من المفسدين) عطف على عصيت داخل في حين الحال اي وكنتم من المفسدين في الحال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زمانهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فسادهم الرجوع الى نفسهم والساري الى غيره من الظلم والشتم وصدوا عن سبيلهم عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به (فاليوم نجزيك اي نخسر جرك بما وقع فيه قومك من قمار البحر ونعيمك طافيا وفي التنبيه عندنا بالثبوت تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما مر وتكميل به او لتلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرى نعيمك من الانعام ونعيمك بالخام من النخلة اي لتلقيك بناحية الساحل (بيدك) في موضع الحال من ضمير الخطاب اي نعيمك ملا يسلي يدك فقط لامر وروح كما هو مطلوبك فهو تحبيب له وحسن لاطمئنه بالمره او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرى بأبدانك اي بأجزاء بدانك كما هو قولهم هو بآجرامه او بدرعك كما انه كان مظاهرا بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمتهم

استغفروا بعبادة العجل فلما قال فرعون آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل انصرف ذلك الى العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الكلمة في حقه سببا لزيادة الكفر (الوجه الخامس) ان اليهود كانت قلوبهم مائلة الى التشبيه والجمع وهذا السبب اشتغلوا بعبادة العجل لظنهم انه تعالى حل في جسد ذلك العجل وتزل فيه فلما كان الامر كذلك وقال فرعون آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فكأنه آمن بالله الموصوف بالجمية والحلول والتزول وكل من اعتقد ذلك كان كافرا فلهذا السبب ما صبح ايمان فرعون (الوجه السادس) لعل الايمان انما كان يتم بالاقرار بوحدة الله تعالى والاقرار بنبوة موسى عليه السلام فهنا لما قرر فرعون بالوحدة لم يقر بالنبوة لاجرم لم يصح ايمانه ونظيره ان الواحد من الكفار لو قال الف مرة اشهد ان لا اله الا الله فانه لا يصح ايمانه الا اذا قال معه واشهد ان محمدا رسول الله فكذا ههنا (الوجه السابع) روى صاحب الكشف ان جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتيا فيها ما قول الامير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته فكفر بنعمته وجد حقه وادعى السيادة دونه فكذب فرعون فيها يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر بنعمته ان يفرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق رفع جبريل عليه السلام فتياه اليه ما قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فبه سؤالات (السؤال الاول) من القائل له الآن وقد عصيت قبل (الجواب) الاخبار دالة على ان قائل هذا القول هو جبريل وانما ذكر قوله وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وانما من المسلمين ومن الناس من قال ان قائل هذا القول هو الله تعالى لانه ذكر بعده فالقوم فيجيب بذلك الى قوله وان كثيرا من الناس عن آياتنا لفاسقون وهذا الكلام ليس الا كلام الله تعالى (السؤال الثاني) ظاهر اللفظ يدل على انه انما لم تقبل توبته للمعصية المتقدمة والفساد السابق وصحة هذا التعليل لا تمنع من قبول التوبة (والجواب) مذهب اصحابنا ان قبول التوبة غير واجب عقلا واحد دلائلهم على صحة ذلك هذه الآية وايضا فالتعليل ما وقع بمجرد المعصية السابقة بل تلك المعصية مع كونه من المفسدين (السؤال الثالث) هل يصح ان جبريل عليه السلام اخذ عيالا من الطين ثلاثين غصبا عليه (الجواب) الاقرب انه لا يصح لان في تلك الحالة امان يقال التكليف كان ثابتا او ما كان ثابتا فان كان ثابتا لم يجز على جبريل عليه السلام ان يتعمه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وايضا فلومنته بما ذكره وكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قد يتوب بأن يندم بقلبه ويعزم على ترك معاودة الفجح وحينئذ لا يبقى لما فعله جبريل عليه السلام فائدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر وكفر وايضا فكيف يليق بالله تعالى ان يقول لموسى وهرون عليهما

السلام بقولاله قولنا لله يذكروا بحشيتي ثم يأمر جبريل عليه السلام بأن ينعدهم
 الايمان ولو قيل ان جبريل عليه السلام انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله تعالى
 فهذا يطله قول جبريل وماتنزل الابرار ربك وقوله تعالى في صفتهم وهم من خشيتهم
 مشفقون وقوله لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وامان قيل ان التكليف كان
 زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبق لهذا الفعل الذي نسب جبريل اليه فائدة
 اصلها قال تعالى فاليوم نجيبك ببذلك وفيه وجوه (الاول) نجيبك ببذلك اي نلقبك
 بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع (الثاني) نخرجك من البحر وتخلصك مما وقع فيه
 قومك من قهر البحر ولكن بعد ان تفرق وقوله ببذلك في موضع الحال اي في الحال التي
 أنت فيه حينئذ لا روح فيك (الثالث) ان هذا وعدله بالنجاة على سبيل التهلكة كما في قوله
 فبشرهم بعذاب اليم كما أنه قيل له نجيبك لكن هذه النجاة انما تحصل لبذلك لا روحك
 ومثل هذا الكلام قد ذكر على سبيل الاستهزاء كما يقال نعتقك ولكن بعد الموت
 وتخلصك من السجن ولكن بعد ان تموت (الرابع) قرأ بعضهم نجيبك بالخاء المهملة اي
 نلقبك ناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الفرق بمحاسب من جوانب البحر قال
 كسبر ماء الماء الى الساحل كما أنه ثور واما قوله ببذلك ففيه وجوه (الاول) ما ذكرنا
 انه في موضع الحال اي في الحال التي كنت بدنا محصا من غير روح (الثاني) المراد بنجيبك
 ببذلك كاملا سويا لم تغير (الثالث) نجيبك ببذلك اي نخرجك من البحر حريانا من غير
 لباس (الرابع) نجيبك ببذلك اي بدرعك قال اليتيم البدن هو الدرع الذي يكون قصير
 الكمين فقوله ببذلك اي بدرعك وهذا منقول عن ابن عباس قال كان عليه درع من
 ذهب يعرف بها فأخرج الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف اقول ان صح هذا فقد كان
 ذلك مجزة لموسى عليه السلام واما قوله لتكون لمن خلقك آية ففيه وجوه (الاول) ان
 قوما ممن اعتقدوا فيه الالهية للماء بشاهدوا غرقه كذبوا بذلك وزعموا ان مثله لا يموت
 فآظف الله تعالى أمره بأن أخرجه من الماء بصورته حتى شاهدوه وزالت الشبهة عن
 قلوبهم وقيل كان مطرحه على مربي اسرائيل (الثاني) لا يعدمه تعالى اراد ان يشاهده
 الخلق على ذلك الذل والهانة بعدما سمعوا منه قوله ان ابراهيم الاعلى ليكون ذلك زجرا
 للخلق عن مثل طريقته ويعرفوا انه كان بالامس في نهاية الجلالة والعظمة ثم آل أمره
 الى ما يرون (الثالث) قرأ بعضهم لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر آياته
 (الرابع) انه تعالى المأخوذة مع جميع قومه ثم انه تعالى ما اخرج احدا منهم من قهر
 الجبريل خصه بالخراج كان تخصيصه بهذه الحالة المحجبة دالا على كمال قدرة الله تعالى
 وعلى صدق موسى عليه السلام في دعوى النبوة واما قوله وان كثيرا من الناس عن
 آياتنا لعافلون فالأظهر انه تعالى لما ذكر قصة موسى وفرعون وذكر حال قاقة فرعون
 وختم ذلك بهذا الكلام وخاطب به محمدا عليه الصلاة والسلام فيكون ذلك زجرا لأمته

ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى
 يروى انهم لم يصدقوا موسى
 عليه السلام حين أخرجه بفرقه
 الى ان طابو مطر حالي عمرهم
 من الساحل او تكون من يأتي
 بعدك من الامم اذا سمعوا ما
 امرك من شاهدك عبرة ونكالا
 من الطغيان اوجبة تدلهم على
 ان الانسان وان بلغ الغاية
 القصوى من غم الشأن وعلو
 السكروا بقوة السلطان فهو ملوك
 مقهور بيد عن مظان الروية
 وقرئ لمن خلقك فلا مانعا
 اي لمن خلقك من الجبابرة وقرئ
 لمن خلقك بالقاف اي لتكون
 لخالقك آية كسائر الآيات فان
 افراد سبحانه اياك بالانقضاء
 الى الساحل دليل على انه قصد
 منه لكشف تزويرك واما طلة
 الشبهة في امرك وبرهان نير
 على كمال علمه وقدرته وهذا
 الوجه محتمل على القراءات المشهورة
 ايضا وفي قليل تبيحه باذكر ايدان
 بانها ليست لاهل الزمان فائدة اخرى
 عادة اليه بل لكمال الاستبانة به
 وتفضيحه على رؤس الاشهاد
 وزيادة قطع حاله كن يقتل ثم
 يبرج جسده في الاسواق او يدار
 برأسه في البلاد والامم الاولى
 متعلقة بنجيبك والثانية بمحذوف
 وقع حالا من آية اي كائن من
 خلقك (وان كثيرا من الناس
 عن آياتنا لعافلون) لا يفكرون
 فبالا يعتبرون به او هو اعراض
 تدبيري في به عند الحكاية تقريرا
 لغصوى الكلام المحكي (وقد
 يؤاتى اسرائيل) كلام مستأنف
 سبق لبيان انهم الفاتنة عليهم
 اثره لانه لا يجاد على وجه الاجال

السطور في كتبهم وان لم يكن

اليحاجة اصلا او وصف اهل
الكتاب بالروسخ في العلم بصحة
نبوته عليه السلام او بجهل عليه
السلام وزيادة تقيته على ما هو
عليه من اليقين لا يجوز صدور
الشك منه عليه السلام ولذلك
قال عليه السلام لا شك ولا اسأل
وقبل المراد بالوصول مؤمنو
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
ومجيم الدارمي وكعب واطراهم
وتقبل الخطاب للنبي عليه السلام
والمراد امته او لكل من يسمع
اي ان كنت اياها السامع في شك
عما ازلنا اليك على لسان نبينا وفيه
تبيينه على ان من خالفه شبهة
في الدين ينبغي ان يسارع الي
حاجها بالرجوع الى اهل العلم
وقرى فاسأل الذين يقرءون
الكتب (لقد جاءك الحق) الذي
لا يحيد عنه ولا ريب في حقيقته
(من ربك) وظهر ذلك بالآيات
القاطعة التي لا يحصى حولها
شأنه الارتباب وفي التعرض
لعنوان الرواية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من
التشريف ما لا ينبغي (فلا تكونون
من المبترين) التزلزل عما انت
عليه من الجزم واليقين ودم على
ذلك كما كنت من قبل (ولا
تكونون من الذين كذبوا بآيات
الله) من باب التبيح والالهاب
والمراد به اعلام ان التكذيب
من البهق والخذورية بحيث ينبغي
ان ينهي عنه من لا يتصور ان كان
صدوره عنه فكيف يمكن يمكن
انصافه به وفيه قطع لاطماع
الكفرة (فتكون) بذلك (من
الخاصرين) انفسا واعمالا
(ان الذين حقت عليهم) شرع

وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان (الاول) ان اليهود كانوا يخبرون
بمبعث محمد عليه الصلاة والسلام ويفخرون به على سائر الناس فلما بعث الله تعالى كذبوه
حسدا وبغيا واشارتا لبقاء الرياسة وآمن به طائفة منهم فهذا الطريق صار نزول القرآن
سببا لحدوث الاختلاف فيه (الثاني) ان يقال ان هذه الطائفة من بني اسرائيل كانوا
قبل نزول القرآن كفارا محضين بالكلمة وبقوا على هذه الحالة حتى جاءهم العلم فعند ذلك
اختلفوا فآمن قوم وبقى اقوام آخرون على كفرهم واما قوله تعالى ان ربك يقضي
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فالمراد منه ان هذا النوع من الاختلاف
لاحيلة في ازالته في دار الدنيا وانه تعالى في الآخرة يقضي بينهم فيتم الحق من المبتطل
والصديق من الزنديق * قوله تعالى (فان كنت في شك مما ازلنا اليك فاسأل الذين
يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من المبترين ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) اعلم انه تعالى لما ذكر من قبل
اختلافهم عند ما جاءهم العلم اورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية
ما هو قلبه في صحة القرآن والثبوت فقال تعالى فان كنت في شك مما ازلنا اليك وفي
الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى الشك في وضع اللفظة ضم بعض الشيء الى
بعض يقال شك الجواهر في العقد اذا ضم بعضها الى بعض ويقال شككت الصيد
اذا رميته فضممت يده الى يده اورد جله الى رجله والشكك من الهواجر ما شكك بعضها
بعض والشكك البوت المصطفة والشكك الادعياء لانهم يشكون انفسهم الى
قوم ليسوا منهم اى يضمنون شك الرجل في السلاح اذا دخل فيه وضعه الى نفسه والزمره
اياها فاذا قالوا شك فلان في الامور اداوا انه وقف نفسه بين شيئين فيحوز هذا ويحوز
هذا فهو يضم الى ما يئوهم شيئا آخر خلافا (المسئلة الثانية) اختلف المفسرون في ان
المخاطب بهذا الخطاب من هو فقيل النبي عليه الصلاة والسلام وقيل غيره اما من قال
بالاول فاختلفوا على وجوه (الاول) ان الخطاب مع النبي عليه الصلاة والسلام
في الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تنفع الكافرين والمنافقين
وكقوله لن انشركت بحضن علات وكقوله يا عيسى بن مريم ائت فسلم للناس ومن الائمة
المشهوره * اياك اعني واسمعي يا جاره * والذي يدل على صحة ما ذكرناه وجوه (الاول)
قوله تعالى في آخر السورة يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فيين ان المذكور في اول
الآية على سبيل الزمهم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصرع (الثاني) ان
الرسول لو كان شاكافي بؤة نفسه لكان شك غيره في نبوته اولى وهذا موجب سقوط
الشريعة بالكلمة (والثالث) ان يتقدر ان يكون شاكافي نبوة نفسه فكيف ينزل ذلك
الشك باخبار اهل الكتاب عن نبوته مع انهم في الاكثر كفار وان حصل فيهم من كان

فبيان سرائر الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال
 أي شاست وجبت تقضي الشبهة
 المبينة على الحكمة البالغة (تلة
 ربك) حكمه وقضاه بأنهم يوتون
 على الكفر ويخلدون في النار
 كقوله تعالى ولكن حق القول
 مني لا ملان جهنم الى آخره
 (لا يؤمنون) اي اذلا كذب
 لكلامه ولا انتقاض لقضائه اي
 لا يؤمنون ايمانا ناقضا واقعا في
 اوانه فيسدرج فيهم المؤمنون
 عند معاناة العذاب مثل فرعون
 باقيا عند الموت فيسدخل فيهم
 المرتدون (ولوجاتهم كل آية)
 واضحة المبدول مقبولة لدى
 العقول لان سبب ايمانهم وهو
 تلقى ارادته تعالى به مفقود لكن
 فقد انه ليس لنعمه عند سبحانه مع
 استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم
 للفرع على عدم استعدادهم
 لذلك (حذر من العذاب الالم)
 كذاب آل فرعون واضرامهم
 (فلولاكات) كلام ممتد أنف لتقرير
 ما سبق من استعانة ايمان من حقت
 عليهم كلفه تعالى لسوء اختيارهم
 مع تمكنهم من التدارك فيكون
 الاستثناء الاقرب الى الكون قوم
 يؤمنون عليه السلام بمن لم يبق
 عليه الكلمة لاهتسابهم الى
 التدارك في وقته ولولا معنى هلا
 وفرى ذلك اي فهلا كانت
 (قرية) من القرى المهلكة
 (آمنت) قبل معاناة العذاب
 ولم تؤخر ايمانها الى حين معاناته
 كاقبل فرعون وقومه (فقهها
 ايمانها) بأن يقبله الله تعالى منها
 ويكشف بسببه العذاب عنها
 (الا قوم يونس) استثناء منقطع

اي لكن

مؤمنا الا ان قوله ليس بحجة لاسيما وقد تقرر ان ما في ايديهم من التوراة والانجيل
 فالكلمة محرف فثبت ان الحق هو ان هذا الخطاب وان كان في الظاهر مع الرسول
 صلى الله عليه وسلم الا ان المراد هو الامة ومثل هذا معتاد فان السلطان الكبير اذا كان
 له امير وكان تحت رايته ذلك الامر جع فاذا اراد ان يأمر الرعية بأمر مخصوص فانه
 لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب على ذلك الامر الذي جعله اميرا عليهم ليكون
 ذلك اقوى تأثيرا في قلوبهم (الوجه الثاني) انه تعالى علم ان الرسول لم يشك في ذلك الا ان
 المقصود انه متى سمع هذا الكلام فانه يصرح ويقول يا رب لاشك ولا اطلب الحجة من
 قول اهل الكتاب بل يكفي ما اترته على من الدلائل الظاهرة ونظيره قوله تعالى
 للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون والمقصود ان يصرحوا بالجواب الحق ويقولوا
 سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن وكما قال لعيسى عليه السلام أنت
 قلت للناس اتخذوني واهي الهين من دون الله والمقصود منه ان يصرح عيسى عليه
 السلام بالبراءة عن ذلك فكذا ههنا (الوجه الثالث) هو ان محمدا عليه الصلاة والسلام
 كان من البشر وكان حصول الخواطر المشوشة والافكار المضطربة في قلبه من
 الجائزات وتلك الخواطر لا تندفع الا بأبراد الدلائل وتقرير البينات فهو تعالى ازل هذا
 النوع من التقريرات حتى ان بسببها تزول عن خاطره تلك الوسواس ونظيره قوله تعالى
 فطاعتك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك واقول تمام التقرير في هذا الباب ان
 قوله فان كنت في شك فافعل كذا وكذا قضية شرعية والقضية الشرعية لا اشعار فيها
 البينة بأن الشرط وقع ولم يقع ولا بان الجزاء وقع ولم يقع بل ليس فيها ابيان ان ماهية
 ذلك الشرط مستلزما لماهية ذلك الجزاء فقط والدليل عليه انك اذا قلت ان كانت
 الخمسة زوجا كانت منقسمة بمساويين فهو كلام حق لان معناه ان كون الخمسة زوجا
 يستلزم كونها منقسمة بمساويين ثم لا يدل هذا الكلام على ان الخمسة زوج ولا على انها
 منقسمة بمساويين فكذا ههنا هذه الآية تدل على انه لو حصل هذا الشك لكان
 الواجب فيه هو فعل كذا وكذا فاما ان هذا الشك وقع ولم يقع فليس في الآية دلالة
 عليه والفائدة في ازال هذه الآية على الرسول ان تكثير الدلائل وتقويتها بما يزيد
 في قوة اليقين وطمينة النفس وسكون الصدر ولهذا السبب اكثر الله في كتابه من تقرير
 دلائل التوحيد والنسبة (الوجه الرابع) في تقرير هذا المعنى ان نقول المقصود من ذكر
 هذا الكلام استعانة قلوب الكفار وتبريهم من قبول الايمان وذلك لانهم طال به مرة
 بعد اخرى بما يدل على صحة نبوته وكانهم استحيوا من تلك المعالوات والمطالبات وذلك
 الاستحياء صار مانعا لهم عن قبول الايمان فقال تعالى فان كنت في شك من نبوتك ففكك
 بالدلائل القاطلة يعني اولى الناس بأن لا يشك في نبوته هو نفسه ثم مع هذا ان طلب هو من
 نفسه دليلا على نبوة نفسه بعدما سبق من الدلائل الباهرة والبيانات القاهرة فانه ليس فيه

قوم يونس (لما آمنوا) اول ما رآوا
 امة العذاب ولم يؤخروا الى
 حوله (كشفنا عنهم عذاب
 الخزي في الحيوة الدنيا) بعد
 ما اظلمهم وكاد يصل بهم ويجوز
 ان تكون الجملة في معنى النفي
 كما يفصح عنه حرف التخصيص
 فيكون الاستثناء متصلا بالمراد
 بالقرى اهلها كانه قيل ما
 آمنت طائفة من الامة العاصية
 فمنهم ايمانهم الا قوم يونس
 عليه السلام فيكون قوله تعالى
 لما آمنوا استثناء فالبيان تقع
 ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع
 على البدلية (ومتناهم) بتناع
 الدنيا بعد كشف العذاب عنهم
 (الى حين) مقدر لهم في كل
 الله سبحانه روى ان يونس عليه
 السلام بعث الى بنوى من ارض
 الموصل فكذبوه فذهب عنهم
 مفاضيا فلما فقدوه خافوا نزول
 العذاب فلبسوا السجود وهجوا
 اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس
 عليه السلام اخرجكم اربعون ليلة
 فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك
 آمنالك فلما مضت نجس وثلاثون
 اغامت السماء غمما اسود
 هائل يدخن دخانا شديدا ثم يهب
 حتى يفتش مدبنتهم ويسود
 سطوحهم فلبسوا السجود وبرزوا
 الى الصعيد بأنفسهم ونسألهم
 وصياتهم ودواهم وفرقوا بين
 النساء والصبيان وبين الدواب
 واولادها فن بعضنا الى بعض
 وعلت الاصوات والعييج
 واظهروا الايمان والتسوية
 وفضروا الى الله تعالى فرجع
 وكشف عنهم وكان ذلك يوم
 عاشوراء يوم الجمعة

عيب ولا يحصل بسببه نقصان فاذالم يستقبح منه ذلك في حق نفسه فلان لا يستقبح من
 غيره طلب الدلائل كان اولي قنيت ان المقصود بهذا الكلام استمالة القوم وازالة الحياء
 عنهم في تكثير المناظرات (الوجه الخامس) ان يكون التقدير انك لست شاكا البتة
 ولو كنت شاكا لكانت طرق كثيرة في ازالة ذلك الشك كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة
 الا الله لقد دنا والمعنى انه لو فرض ذلك الممتنع واقعا لزم منه الحال الفلاني فكذا ههنا
 ولو فرضنا وقوع هذا الشك فارجع الى التوراة والانجيل لتعرف بهما ان هذا الشك
 زائل وهذه الشبهة باطلة (الوجه السادس) قال الزجاج ان الله خاطب الرسول في قوله
 فان كنت في شك وهو شامل للخلق وهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقت النساء قال وهذا
 احسن الا قويل قال القاضي هذا بعيد لانه متى كان الرسول داخلا تحت هذا
 الخطاب فقد ماد السؤال سواء اريد معه غيره او لم يرد وان جازأ براد هو مع غيره
 لما الذي يمنع ان يراد بانفراده كما يقتضيه الظاهر ثم قال ومثل هذا التأويل يدل على قلة
 التحصيل (الوجه السابع) هو ان لفظ ان في قوله ان كنت في شك لانفي اي ما كنت
 في شك قبل يعني لانأمرك بالسؤال لانك شاك لكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه
 السلام بمآمنة احياء الموتى يقينا (واما الوجه الثاني) وهو ان يقال هذا الخطاب ليس
 مع الرسول فقررره ان الناس في زمانه كانوا فرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون له
 والمتوقفون في امره الشاكون فيه فخطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت ايها
 الانسان في شك مما ازلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل اهل الكتاب ليدلوك
 على صحة نبوته وانما واحد الله تعالى ذلك وهو ربك الجامع كما في قوله يا ايها الانسان ما أمرك
 ربك الكريم الذي خلقك ويا ايها الانسان انك كادح وقوله فاذا مس الانسان ضر
 ولم يرد في جميع هذه الآيات انسانا بعينه بل المراد هو الجماعة فكذا ههنا ولما ذكر
 الله تعالى لهم ما زيل ذلك الشك عنهم حذرهم من ان يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون
 فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فيكون من الخاسرين (المسئلة الثالثة)
 اختلفوا في ان السؤال في قوله فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من هم فقال المحققون هم
 الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن سوريا ونجم الداري
 وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوفق يحبرهم ومنهم من قال الكل سواء كانوا من المسلمين
 او من الكفار لانهم اذا بلغوا عدد التواتر ثم قرؤا آية من التوراة والانجيل وتلك
 الآية دالة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل الغرض فان قيل
 اذا كان مذهبهم ان هذه الكتب قد دخلها التحريف والتغيير فكيف يمكن التعويل
 عليها قلنا انهم انما حرفوها بسبب اخفاء الآيات الدالة على نبوة محمد عليه الصلاة
 والسلام فان بقيت فيها آيات دالة على نبوته كان ذلك من اقوى الدلائل على صحة نبوة محمد
 عليه الصلاة والسلام لانها لما بقيت مع توفر دواعيهم على ازالها دل ذلك على انها كانت

في غاية الظهور واما ان المقصود من ذلك السؤال معرفة اى الاشياء قبله قولان (الاول)
 انه القرآن ومعرفة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم (والثاني) انه رجوع ذلك الى قوله تعالى
 فما اختلفوا حتى جاءهم العلم والاول اولى لانه هو الاله والحاجة الى معرفته اتم واعلم انه
 تعالى لما بين هذا الطريق قال بعده لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من المبتزين ولا
 تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اى ثابت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المربة عنك
 وانتفاء التكذيب بآيات الله ويحوز ان يكون ذلك على طريق التهميج و اظهار التشدد
 ولذلك قال عليه الصلاة والسلام عند نزوله لاشك ولا أسأل بل اشهد انه الحق ثم قال ولا
 تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين واعلم ان فرق المكلفين ثلاثة اما
 ان يكون من المصدقين بالرسول او من المتوقين في صدقه او من الكاذبين ولا شك ان امر
 التوقف اسهل من امر المكذب لاجرم قدم ذكر التوقف بقوله ولا تكونن من المبتزين ثم
 اتبعه بذكر المكذب وبين انه من الخاسرين ثم انه تعالى لما فصل هذا الفصل بين انه
 عباد اقصى عليهم بالشقاء فلا يتغيرون وعبادا قضى لهم بالكرامة فلا يتغيرون فقال ان الذين
 حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأتنا فعباد ابن حامر كلات
 على الجمع وقرأ الباقون كلمة على لفظ الواحد واقول انها كلات بحسب الكثرة النوعية او
 الصنفية وكلمة واحدة بحسب الوحدة الجنسية (المسئلة الثانية) المراد من هذه الكلمة
 حكم الله بذلك و اخباره عنه و خلقه في العبد مجموع القدرة والداعية الذى هو موجب
 لحصول ذلك الاثر اما الحكم والاخبار والعلم فظاهر واما مجموع القدرة والداعية فظاهر
 ايضا لان القدرة لما كانت سالحة للطرفين لم يترجح احد الجانبين على الآخر الامر جموع ذلك
 المرجح من الله تعالى قطعاً لتسلسل وعند حصول هذا المجموع يجب الفعل وفداحج
 اصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في ثبات القضاء اللازم والقدر الواجب وهو حق
 وصدق ولا يحصى عنه ثم قال تعالى ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم والمراد
 انهم لا يؤمنون البتة ولوجاءتهم الدلائل التى لاحد لها ولا حصرو ذلك لان الدليل لا يهدى
 الا باعانة الله تعالى فاذا لم تحصل تلك الاعانة ضاعت تلك الدلائل (القصة الثالثة) من
 القصص المذكورة في هذه السورة قصة يونس عليه السلام عليه السلام (فلو لا كانت
 قرية آمنت ففضها ايمانها الا فوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
 الدنيا ومعناهم الى حين) اعلم انه تعالى لما بين من قبل ان الذين حققت عليهم كلمة ربك
 لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم بهذه الآية لانها دالة على ان
 قوم يونس آمنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك الايمان وذلك يدل على ان الكفار فريقان
 منهم من حكم عليه بخاتمة الكفر ومنهم من حكم عليه بخاتمة الايمان وكل ما قضى الله به
 فهو واقع وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في كلمة لولا في هذه الآية طريقان (الاولى)
 ان معناه النبى روى الواحدى في البسيط قال قال ابو مالك صاحب ابن عباس كل

وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغ
 من توبتهم ان تراءوا النظم حتى ان
 الرجل كان يقتل الجريح وقد وضع
 عليه اساس بناؤه فيرده الى صاحبه
 وقيل خرجوا الى شيخ من بنية
 علمهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما
 ترى فقال لهم قولوا يا حي حين
 لا حى ذيا حى محى الموت ويا حى لا اله
 الا انت فقالوا ها فكشف عنهم وعن
 الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا
 قد عظمت وعلقت وانت اعظم
 منها وجل افضل بنا ما انت اله ولا
 تقبل بنا ما نحن الهه (ولو شاورك
 لا من من في الارض) تحقيق
 لدوران ايمان كافة المكلفين
 وجود او عدمه على قطب مشيئته
 تعالى طلقا اوثبان تبعية كفر
 الكفرة لكلمة ومفعول المشيئة
 محذوف لوجود ما يقتضيه من
 وقوعها شرطا وكون مفعولها
 مضمون الجواب وان لا يكون في نفعه
 به غرابة كما هو المشهور اى لو شاء
 سبحانه ايمان من في الارض من
 الثقلين لا آمن (كلهم) بحيث لا
 يشذ عنهم احد (جيجا) مجتمعين على
 الايمان لا يشذوا لكونه مخالفا للحكمة الي
 عليها بنى اساس التكوين
 والتقرير وفيه دلالة على ان من
 شابه الله تعالى ايمانه يؤمن لاجل الله
 (فانت تكره الناس) على عالم
 يشاء الله منهم حسبما ينشئ عنه حرف
 الامتناع في الشريعة والفاء المطف
 على مقدر ينصب عليه الكلام
 كما قيل اربك لا يشاء ذلك فانت
 تكرههم (حتى يكونوا مؤمنين)
 فيكون الانكار متوجها

قوله وما بالربع من احد هو بقية بيت للثانية وقفت فيها اصيلا اسائلها * عيت (٤٢) جوابا وما بالربع من احد وقوله الا اوارى اول بيت الذي بعده اى اواخى

ما فى كتاب الله تعالى من ذكر لولا فنعناه هلا الاخرين فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها معناه فما كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها وكذلك فلو لا كان من القرون من قبلكم معناه فما كان من القرون فعلى هذا تقدير الآية فما كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس واتصّب قوله الا قوم يونس على انه استثناء منقطع عن الاول لان اول الكلام جرى على القرية وان كان المراد اهلها ووقع استثناء القوم من القرية فكان كقوله * وما بالربع من احد * الا اوارى وقرئ ايضا بالرفع على البدل (الطريق الثانى) ان اولاً معناه هلا والمعنى هلا كانت قرية واحدة من القرى التى اهلكناها ثابت عن الكفر واخضت فى الايمان قبل معاناة العذاب الا قوم يونس وظاهر اللفظ يقتضى استثناء قوم يونس من القرى الا ان المعنى استثناء قوم يونس من اهل القرى وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا (المسئلة الثانية) روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العقاب فلبسوا السوح وبعجوا اربعين ليلة وكان يونس قال لهم ان اجليكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك امكنك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر فى السماء غيم اسود شديد السواد فظهر منه دخان شديد وهبط ذلك الدخان حتى وقع فى المدينة وسود سطوحهم فخرجوا الى الصحراء وفرقوا بين النساء الصبيان وبين الدواب واولادها فخن بعضها الى بعض ففعلت الاصوات وكثرت التضمرات واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحهم وكشف عنهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء يوم الجمعة وعين مسعود بلغ من قوتهم ان ردوا المظالم حتى ان الرجل كان يقطع الحجر بعد ان وضع عليه بناء اساسه فيرده الى ملكه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فأتى فقال لهم قولوا يا حي يا قيوم يا حي الموتى يا حي لا اله الا انت فقالوا فكشف الله العذاب عنهم وعن الفضل بن عباس انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهل له ولا تفعل بنا ما نحن اهل له (المسئلة الثالثة) ان قال قائل انه تعالى حكى عن فرعون انه تاب فى آخر الامر ولم يقبل توبته وحكى عن قوم يونس انهم تابوا وقبل توبتهم خالف الفرق (والجواب) ان فرعون اثابت بعد ان شاهد العذاب واما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك فانهم لما ظهرت لهم امارات دلت على قرب العذاب تابوا قبل ان شاهدوا فظهر الفرق * قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جمعا افانت تدره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويحكم الرجس على الذين لا يعقلون) اعلم ان هذه السورة من اولها الى هذا الموضع فى بيان حكاية شبهات الكفار فى انكار النبوة مع الجواب عنها وكانت احدى شبهاتهم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يهددهم بنزول العذاب على الكافرين وبعد اتباعه ان الله ينصرهم ويعلى شانهم ويقوى جائبهم ثم ان الكفار ماروا ذلك فجعلوا ذلك

الى ترتيب الاكرام المذكور على عدم مشيئة تعالى ويجوز ان تكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيئة تعالى بناء على ان العبرة متأخرة فى الاعتبار وانما قدمت لانتفاء الصدرة كما هو رأى الجمهور واما ما كان فى المشيئة على اطلاقها اذ لا فائدة بل لوجه الاعتبار عدم مشيئة الا بالخاصة لانكار الترتيب عليه او ترتيب الانكار عليه وفى ايراد الاسم حرف الاستفهام ايدان بان الاكرام امر ممكن لكن الشأن فى المكر من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على ان يفعل فى قلوبهم ما يشطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايدان باعتبار الاجزاء فى المشيئة كما اشر اليه (وما كان لنفس) بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لشيئته تعالى وجودا بعد بيان الدوران الكلى عايناه وجودا وهما دى ما صح وما استقام لنفس من النفوس التى علم الله تعالى انها تؤمن (ان تؤمن الا باذن الله) اى بتسهيله ومضه للاطاف وانما خصت النفس بذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اى ما كان لنفس ان تؤمن فى حال من احوالها الاحال كونها ملازمة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان بما يؤول اليه حالها كما ان الموت مآل لكل نفس بحيث لا يحصى لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بذكر فان النفوس التى علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال

تؤمن فيها حتى يستثنى تلك
الحال من غيره (ويعمل الرجس)
اي الكفر بقرينة ما قبله عبر
عنه بالرجس الذي هو عبارة
عن القبح المستقدر المستكره
لكونه علما في القبح والاستكره
وقيل هو العذاب او الخذلان
المؤدى اليه يوفى بنون العظمة
وقرى بالزى اى يعمل الكفر
وبقيه (على الذين لا يعقلون)
لا يستحلون عقولهم بالنظر
في الحجب والآيات ولا يعقلون
دلالة واحكامها على قلوبهم
من الطبع فلا يحصل لهم الهداية
التي عبر عنها بالاذن فيقولون
معمورين بقبائح الكفر والضلال
او معقورين بالعذاب والكنال
والجمله معطوفة على مقدر ينسب
عليه النظم الكريم كما نهى قبل
فيأذن لهم بفتح الاطكان ويعمل
الح (قل) مخاطبا لاهل مكة
بشأنهم على التنبيه في ملكوت
السوات والارض وما فيهما
من تعجيب الآيات الانسية
والآفاقية ليتضح لك أنهم من الذين
لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة
(انظروا) اى تفكروا وقرى
بنقل حركة الهزة الى لام
قل (ماذا فى السموات والارض)
اى اى شئ يدع فيهما من عجائب
صنعه الدالة على وحدته وكمال
قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب
اسما واحدا مغلبا فيه الاستفهام
على اسم الإشارة فهو مبتدأ خبره
الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدأ
وذا معنى الذى والطرف صلت
والخبر ليتبدأ على التقديرين
فابتدأ والطرف في محل النسب
باسقاط الحافض وقيل النظر لمق

شبهة في الطعن في نبوته و كانوا يبالغون في استجمال ذلك العذاب على سبيل السخرية ثم ان
الله سبحانه وتعالى بين ان تأخير الموعود به لا يندفع في صحة الوعد ثم ضرب لهذا المثل وهو
واقعة نوح وواقعة موسى عليهما السلام مع فرعون وامتدت هذه البيانات الى هذه
المقامات ثم في هذه الآية بين ان جد الرسول في دخولهم في الايمان لا ينعف ومبالغة في
تقرير الدلائل وفي الجواب عن شبهات لا تنفد لان الايمان لا يحصل الا بخليق الله تعالى
ومشيئة وارشاده وهدائه فاذا لم يحصل هذا المعنى لم يحصل الايمان وفي الآية مسائل
(المسئلة الاولى) استحج اصحابنا على صحة قولهم بان جميع الكائنات بمشيئة الله تعالى
فقالوا كلمة لو تنفد انتفاء الشئ لانقضاء غيره فقوله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم
جميعا يقتضى انه ما حصلت تلك المشيئة وما حصل ايمان اهل الارض بالكلية فدل هذا
على انه تعالى ما اراد ايمان الكل اجاب الجابى والقاضى وغيرهما بأن المراد مشيئة
الاجلاء اى لو شاء الله ان يلجئهم الى الايمان لا قدر عليه و لصح ذلك منه ولو كان مافى ذلك لان
الايمان الصادر من العبد على سبيل الاجلاء لا ينفعه ولا يفيد فائدة ثم قال الجابى ومعنى
الاجلاء الله تعالى اياهم الى ذلك ان يعرفهم اضطرازا انهم لو حاولوا ترك حال الله بينهم وبين
ذلك وعندها لابد وان يفعلوا ما لجئوا اليه كما ان من علم مناته ان حاول قتل ملك فانه
يمنعه منه قهرا لم يمكن تركه لذلك الفعل سببا لاستحقاق المدح والثواب فكذا ههنا واعلم ان
هذا الكلام ضعيف وبيانه من وجوه (الاول) ان الكافر ان كان قادرا على الكفر فهل
كان قادرا على الايمان او ما كان قادرا عليه فان قدر على الكفر ولم يقدر على الايمان
فحينئذ تكون القدرة على الكفر مستلزمة للكفر فاذا كان خالق تلك القدرة هو الله تعالى
لزم ان يقال انه تعالى خلق فيه قدرة مستلزمة للكفر فوجب ان يقال انه اراد منه الكفر
واما ان كانت القدرة صالحة للضدين كما هو مذهب القوم فرجح ان احد الطرفين على
الآخر ان لم يتوقف على المرحح فقد حصل الرجحان للمرحح وهذا باطل وان توقف على
مرجح فذلك المرحح اما ان يكون من العبد او من الله تعالى فان كان من العبد اذ التقسيم فيه
ولزم التسلسل وهو محال وان كان من الله تعالى فحينئذ يكون مجموع تلك القدرة مع تلك
الداعية موجبا لذلك الكفر فاذا كان خالق القدرة والداعية هو الله تعالى فحينئذ اذ
الازمام (الثاني) ان قوله ولو شاء ربك لا يجوز حله على مشيئة الاجلاء لان النبي صلى الله
عليه وسلم ما كان يطلب ان يحصل لهم ايمان لا يفيدهم فى الآخرة فين تعالى انه لا قدرة
لرسول على تحصيل هذا الايمان ثم قال ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا
فوجب ان يكون المراد من الايمان المذكور في هذه الآية هو هذا الايمان النافع حتى
يكون الكلام منتظما فاما محل اللفظ على مشيئة القهر والاجلاء فانه لا يليق بهذا الموضع
(الثالث) المراد بهذا الاجلاء اما ان يكون هو ان يظهر له آيات هائلة بعظم خوفه عند
رؤيتها ثم يأتى بالايمان عندها واما ان يكون المراد خلق الايمان فيهم والاول باطل لانه تعالى

ما تنفع وقرئ بالذكري (الآيات)
وهى التى عبر عنها بقوله تعالى ما ذا
فى السموات والارض (والنذر)
جمع نذر على انه فاعل بمعنى
متنذر اوعلى انه مصدر اى
لا تنفع الآيات والرسائل المتذرون
او الانذارات (عن قوم لا يؤمنون)
فى علم الله تعالى وحكمه فإضافة
والجاء اماحالية او اعتراضية
ويجوز كون ما استفهامية انكارية
فى موضع النصب على المصدرية
أى اى اغنىه نفى الخ فاجلجة
حينئذ اعتراضية (فهو بشر وروى)
أى مشرك كوكمة واضربهم (الامثل)
ايام الذين خلوا) اى الإيماء مثل
ايام الذين خلوا (من قبلهم) من
مشركى الام الماضية اى مثل
وقائهم وزول بأس الله
بهم اذ لا يشفعون غيره من قولهم
ايام العرب لوقائهم (قل)
تهديدا لهم (فانظروا) ما هو
عاقبتكم (اى معكم من المنتظرين)
لذلك (ثم نبخس رسائنا) بالانشيد
وقرئ بالغنص وهو عطف
على مقدر يدل عليه قوله مثل
ايام الذين خلوا وما ينهسا
اعتراض على به مسارعة الى التهديد
وبالمبالغة فى تشديد الوعيد كانه
قيل اهلكتنا الام ثم نبخس رسائنا
المرسلة اليهم (والذين آمنوا)
وصيغة الاستفهام للحكاية
الاحوال الماضية لتحويل امرها
باعتصار صورها وتأخير حكاية
النتيجة عن حكاية الاهلاك على
عكس ما فى قوله تعالى فتيبناه
ومن معناه الفلك الخ ونقارنه
الوارد فى مواقع عديدة ليتصل به
قوله عز وجل (حكذلك)
اى مثل ذلك الانجاء (حقا علينا)

بين فيما قبل هذه الآية ان ازال هذه الآيات لا يفيد وهو قوله ان الذين حققت عليهم
كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية حتى روي العذاب الاليم وقال ايضا ولو اننا لنزال اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء الله وان كان
المراد هو الثاني لم يكن هذا الجلاء الى الايمان بل كان ذلك عبارة عن خلق الايمان فيهم ثم
يقال لكنهم ما خلق الايمان فيهم فدل على انه ما اراد حصول الايمان لهم وهذا عين مذ هبنا
واعلم انه تعالى لما ذكر هذا الكلام قال أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين والمعنى انه
لا قدرة لك على التصرف فى احدو المقصود منه بيان ان القدرة القاهرة والمشيئة النافذة
ليست الالهي حتى سبحانه وتعالى (المسئلة الثانية) احيج اصحابنا على صحة قولهم انه لاحكم
للأشياء قبل ورود الشرع بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله قالوا وجه الاستدلال
به ان الاذن عبارة عن الاطلاق فى الفعل ورفع الحرج وصريح هذه الآية يدل على انه قبل
حصول هذا المعنى ليس له ان يقدم على هذا الايمان ثم قالوا والذى يدل عليه من جهة
العقل وجوه (الاول) ان معرفة الله تعالى والاشتغال بشكره والثناء عليه لا يدل العقل
على حصول نفع فيه فوجب ان لا يجب ذلك بحسب العقل بيان الاول ان ذلك النفع اما ان
يكون عائدا الى المشكور أو الى الشاكر والاول باطل لان فى الشاهد المشكور ينفع بالشكر
فيصرفه الشكر ويسوءه الكفران فلا جرم كان الشكر حسنا والكفران فيها اما الله
سبحانه فانه لا يبره الشكر ولا يسوءه الكفران فلا ينفع بهذا الشكر اصلا (والثاني)
ايضا باطل لان الشاكر يتعب فى الحال بذلك الشكر ويذل الخدمة مع ان المشكور
لا ينفع به البتة ولا يمكن ان يقال ان ذلك الشكر حلة الثواب لان الاستحقاق على الله
تعالى بحال فان الاستحقاق على الغير انما يعقل اذا كان ذلك الغير بحيث لو لم يعط لوجب
امتناعه من اعطائه ذلك الحق حصول نقصان فى حقه ولما كان الحق سبحانه منزها عن
النقصان والزيادة لم يعقل ذلك فى حقه فثبت ان الاشتغال بالايمان وبالشكر لا يفيد نفعما
بحسب العقل المحض وما كان كذلك امتنع ان يكون العقل موجبا له فثبت بهذا البرهان
القاطع صحة قوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله قال القاضى المراد ان
الايمان لا يصدر عنه الا بعلم الله او بتكليفه او باقداره عليه وجوبنا ان جل الاذن على
ما ذكرتم ترك الظاهر وذلك لا يجوز لاسما وقد بينا ان الدليل القاطع العقلى بقوى قولنا
(المسئلة الثالثة) قرأ ابو بكر عن عاصم ويحعل بالنون وقرأ الباقون بالياء كناية عن اسم الله
تعالى (المسئلة الرابعة) احيج اصحابنا على صحة قولهم بان خالق الكفر والايمان هو الله
تعالى بقوله تعالى ويحعل الرجس على الذين لا يعقلون وتقريره ان الرجس قديراد به
العمل القبيح قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
والمراد من الرجس ههنا العمل القبيح سواء كان كفرا او معصية وبالتطهير نقل العبد من
رجس الكفر والمعصية الى طهارة الايمان والطاعة فلما ذكر الله تعالى فيما قبل هذه الآية

الفراس بين العامل والمعمل

اي حق ذلك حقا وقيل بدل
من المحذوف الذي ناب عنه
كذلك اي انما، مثل ذلك حقا
والكاف متعلقة بقوله تعالى
(تنبئ المؤمنين) اي من كل عدة
وعذاب والجملة تدل لما قبلها
مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين
اما المجلس المتناول للرسول عليهم
السلام والاتباع واما الاتباع
فقط واما لم يذكر انما للرسول
ايضا بعدم الحاجة اليه واما
كان فيه تنبيه على ان سداد
انجاة هو الايمان (قل) لجمهور
المشركين (يا ايها الناس) اوتوا
الخطاب باسم الجنس مصدرا
بحرف التثنية تعميما للتبليغ
واظهارا لكمال العناية بشأن
ما بلغ اليهم (ان كنتم في شك من
ديني) (الذي تعبد الله عز وجل
به وادعوه اليه ولم تعملوا ما هو
وامضت) فلا تعبد الذين تعبدون
من دون الله (في وقت من الاوقات
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم)
ثم يفصل بكم ما يفصل من فنون
العذاب اي فاعلموا انه تخصيص
العبادة بعبادة ما سواه
من الاصنام وغيرها تعبدونه
جهلا وتقدير ترك عبادة الغير
على عبادة تعالى لتقدم التولية
على التولية كما في كلمة التوحيد
والايدان بالخالف من اول الامر
او ان كنتم في شك من حصة ديني
وسداده فاعلموا ان خلاسته
اخلاص العبادة لمن يبدع الابدان
والاعدام دون ما هو بهزل
منهما من الاصنام فاعرضوها
على عقولكم واجعلوا فيها انكساركم
وانظروا فيها بعين الانصاف
لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي
تخصيص التوفى بالذكر متعلقا

ان الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله تعالى وتخليقه ذكر بعده ان الرجب لا يحصل الا
بتخليقه وتكوينه والرجس الذي يقابل الايمان ليس الا الكفر ثبت دلالة هذه الآية على
ان الكفر والايمان من الله تعالى اجاب ابو علي الفارسي النحوي عنه فقال الرجب يحتمل
وجهين آخرين (احدهما) ان يكون المراد منه العذاب فقوله ويجعل الرجب على
الذين لا يعقلون اي يلحق العذاب بهم كما قال ويعذب المنافقين والناقصات والمشركين
والمشركات (والثاني) انه تعالى يحكم عليهم بانهم رجب كما قال انما المشركون نجس
والمعنى ان الطهارة الثابتة للمسلمين لم تحصل لهم والجواب اننا قد بينا بالدليل العقلي ان
الجهل لا يمكن ان يكون فعلا للعبد لانه لا يريد ولا يقصد الى تكوينه وانما يريد ضده
وانما قصد الى تحصيل ضده فلو كان به لما حصل الا مقصده واوردنا السؤال على
هذا الجملة وأجبنا عنها فيما سلف من هذا الكتاب واما حل الرجب على العذاب فهو باطل
لان الرجب عبارة عن الفاسد المستقر المستكره فحل هذا اللفظ على جهلهم وكفرهم
اولى من حله على عذاب الله مع كونه حقا صافا صوابا واما حل لفظ الرجب على حكم الله
برجاستهم فهو في غاية البعد لان حكم الله تعالى بذلك صفة فكيف يجوز ان يقال ان صفة
الله رجب ثبت ان الجملة التي ذكرناها ظاهرة قوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات
والارض وما في الايات والنذر من قوم لا يؤمنون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى)
قر اصاص وحجة قل انظروا بكسر اللام لالتقاء الساكنين والاصل فيه الكسر والياقون
بضمها فتلوا حركة الهزمة الى اللام (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى لما بين في الايات
السالفة ان الايمان لا يحصل الا بتخليق الله تعالى ومشيئته امر بالنظر والاستدلال
في الدلائل حتى لا يتوهم ان الحق هو الجبر المحض فقال قل انظروا ماذا في السموات
والارض واعلم ان هذا يدل على مطلوبين (الاول) انه لا سبيل الى معرف الله تعالى
الا بالتدبر في الدلائل كما قال عليه الصلاة والسلام تفكروا في الخلق ولا تفكروا
في الخالق (والثاني) وهو ان الدلائل اما ان تكون من عالم السموات او من عالم الارض
اما الدلائل السماوية فهي حركات الافلاك ومقاديرها وواضعها وما فيها من الشمس
والقمر والكواكب وما يختص به كل واحد منها من المنافع والفوائد واما الدلائل
الارضية فهي النظر في احوال العناصر العلوية وفي احوال المعادن واحوال النبات
واحوال الانسان خاصة ثم يتقسم كل واحد من هذه الاجناس الى انواع لا نهاية لها ولوان
الانسان اخذ تفكر في كيفية حكمة الله سبحانه في تخليق جناح بعوضة لا تقطع عقله قبل
ان يصل الى أقل مرتبة من مراتب تلك الحكم والفوائد ولا شك ان الله سبحانه اكثر من
ذكر هذه الدلائل في القرآن المجيد فلهذا السبب ذكر قوله قل انظروا ماذا في السموات
والارض ولم يذكر التفصيل فكأنه تعالى نبه على القاعدة الكلية حتى ان العاقل يتنبه
لاقسامها وحينئذ يشرع في تفصيل حكمة كل واحد منها بقدر القوة العقلية البشرية ثم

ملا يخفى من التهديد والتعذيب
عما فيه بالشك مع كونهم
قاعدين بعدم العفة لادبانه بأن
اقصى ما يمكن عروضة للعاقل
في هذا الباب هو الشك في
صحته وما القطع بعدها لها
لا سبيل اليه او ان كنتم في شك
من ثبوت على الدين فاعلموا اني
لا تركها ابدأ (وامرت ان اكون
من المؤمنين) بادل عليه العقل
ولطف به الوحي وهو تصريح
بأن ما هو عليه من دين التوحيد
ليس بطريق العقل الصرف
بل بالامداد السماوي والتوفيق
الالهي وحذف حرف الجر من
ان يجوز ان يكون من باب
الحذف المطرد معان وان وان
يكون خاصا بفعل الاسركا
في قوله
«امرتك بطريق العقل ما امرت به
(وان اقم وجهك للدين) عطف
على ان اكون خلا ان صلة ان
محكية بصيغة الاسرولا صتير في
ذلك لان مناط جواز وصلها
بصيغة الافعال دلالة على المصدر
وذلك لا يختلف بالطريقة والطلبية
ووجوب كون الصلة خبرية في
الموصول الاسمي اما هو للتوصل
الى وصف المعارف بالحل وهي
لا توصف الا بالجل الطبرية
وليس الموصول الحرفي كذلك
اي وامرت بالاستقامة في الدين
والاستبدا فيه بأداء
الأمور به والانتباه عن المنه
عنه والاستقبال القبة في الصلاة
وعدم الالتفات الى ما بين والشال
(حقيقا) حال من الدين والوجه
اي ما تلا عن الاديان الباطلة
(ولا تكون من المشركين) عطف
على اقم داخل تحت الامام
لا تكون منهم اعتقادا ولا عملا
وقوله عز وعلا

انه تعالى لما امر بهذا التفكير والتأمل بين بعد ذلك ان هذا التفكير والتدبر في هذه الآيات
لا يقع في حق من حكم الله تعالى عليه في الازل بالشقاء والضلال فقال وما تغني الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال النخويون ما في هذا الموضوع
تحتل وجهين (الاول) ان تكون نفيا بمعنى ان هذه الآيات والنذر لا تنفي القسائة
في حق من حكم الله عليه بانه لا يؤمن كقولك ما يغني عنك المال اذا لم تنفق (والثاني)
ان تكون استفهاما كقولك اي شيء يغني عنهم وهو استفهام بمعنى الانكار (المسئلة
الثانية) الآيات هي الدلائل والنذر اسل المنذرون أو الانذارات (المسئلة الثالثة) قرئ
وما يغني بالياء من تحت قوله تعالى (فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل
فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم نجى رسلا والذين آمنوا كذلك حقا علينا نجى
المؤمنين) واعلم ان المعنى هل ينتظرون الا اياما مثل ايام الامم الماضية والمراد ان الانبياء
المتقدمين عليهم السلام كانوا يتوعدون كفار زمانهم بمجيء ايام مشتملة على انواع العذاب
وهم كانوا يكذبون بها ويستعملونها على سبيل الخفريه وكذلك الكفار الذين كانوا
في زمان الرسول عليه الصلاة والسلام هكذا كانوا يفعلون ثم انه تعالى امره بان يقول
لهم فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم انه تعالى قال ثم نجى رسلا والذين آمنوا وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) قرأ الكسائي في رواية نصير نجى خفيفة وقرأ الباقون مشددة
وهما لغتان وكذلك في قوله نجى المؤمنين (المسئلة الثانية) ثم حرف عطف وتقدير الكلام
كانت عادتنا فيما مضى ان نملكهم سريعا ثم نجى رسلا (المسئلة الثالثة) لما أمر
الرسول في الآية الاولى ان يوافق الكفار في انتظار العذاب ذكر التفصيل فقال العذاب
لا ينزل الا على الكفار واما الرسول واتباعه فهم اهل النجاة ثم قال كذلك حقا علينا نجى
المؤمنين وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشف أي مثل ذلك الانجاء
نصير المؤمنين ونهالك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا (المسئلة
الثانية) قال القاضي قوله حقا علينا المراد به الوجوب لان تخلص الرسول والمؤمنين من
العذاب الى الثواب واجب ولولا لما حسن من الله تعالى ان يلزمهم الافعال الشاقة واذا
ثبت وجوبه لهذا السبب جرى مجرى قضاء الدين للسبب المتقدم والجواب انقول انه حق
بسبب الوعد والحكم ولا نقول انه حق بسبب الاستحقاق لما ثبت ان العبد لا يستحق على
خالقه شيئا * قوله تعالى (قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين
تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان
أقم وجهك للدين حقيقا ولا تكون من المشركين ولا تدع من دون الله مالا يتبعك
ولا يضرك فان فعلت فذلك اذا من الظالمين) واعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل على اقصى
الغايات وابلغ النهايات امر رسوله باظهار دينه وباطهار البانية عن المشركين لكي تزول
الشكوك والشبهات في امره وتخرج عبادة الله من طريقة السر الى الاظهار فقال

(ولادع) عطف على قوله تعالى

قل يا أيها الناس غير داخل تحت
الامر وقيل على ما قبله من النفي
والوجه هو الاول لان ما بعده
من الجمل الى آخر الآيتين متسقة
لا يمكن فصل بعضها عن بعض
كأرى ولا وجه لادراج الكل
تحت الامر وهو تأكيد للنهي
للكذور وتفصيل لما اقبل فيه
اظهارا لكمال العناية بالامر
وكشفنا عن وجه بطلان ما عليه
المشركون اى لادع (من دون
الله) استقلاله ولا اشتراكا (الا
يتفكك) اذ ادعوت به دفع مكروه
او جلب محبوب (ولا يترك) اذا
تركته بسلب المحبوب دفعا او رفعا
او بايقاع المكروه وتقديم النفع على
الضرر غنى عن بيان السبب (فان
فعلت) اى انتهيت عنه من دعاء
ما لا ينفع ولا يضر كنى به عنه
تنويعا لشأنه عليه السلام وتنبها
على رغبة مكاه من ان ينسب اليه
عبادة غيره الله سبحانه ولو في ضمن
الجهل الشرطية (فانك اذا من
الظالمين اجمعه للشرط وجواب
لسؤال من يسأل عن نية مانح
عنه (وان عسى الله يقرر)
لا اورد في حيز الصلة من سلب
النفع من الاحسان وتصوير
لاخصاصه به سخائه (فلا كاشف
له) عنك كاشفا من كان وما كان
(الاهو) وحده فيثبت عدم
كشف الاصنام بالطريق البرهاني
وهو بيان عدم النفع برفع المكروه
الاستئذان لعدم النفع بطلب المحبوب
استئذان لما ظهر اذ ان رفع المكروه
ادق مراتب النفع فاذا اتسقى
اتسقى النفع بالكلية (وان يردك
غير) بتحقيق سلب الضرر الوارد

قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني واعلم ان ظاهر هذه الآية يدل على ان هؤلاء
الكفار ما كانوا يعرفون دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الخبر انهم كانوا يقولون فيه
قد صبا وهو صافي فأمر الله تعالى ان بين لهم انه على دين ابراهيم حنيفا مسلما لقوله تعالى
ان ابراهيم كان امة قاتلتا حنيفا ولقوله وجهى للذى فطر السموات والارض
حنيفا ولقوله لا اعبد ما تعبدون والمعنى انكم ان كنتم لاتعرفون ديني فأنا أبينه لكم على
سبيل التفصيل ثم ذكر فيه امورا (فالقيد الاول) قوله فلا أعبد الذين تعبدون من دون
الله وانما وجب تقديم هذا النفي لما ذكرنا ان ازالة النقوش الفاسدة عن اللوح لا بد وان
تكون مقدمة على اثبات النقوش الصحيحة في ذلك اللوح وانما وجب هذا النفي لان
العبادة غاية العظيم وهى لانلقى الابن حصلت له غاية الجلال والاکرام واما الاوثان
فانها ابحار والانسان اشرف حالا منها وكيف يليق بالاشرف ان يشغل بعبادة الاخص
(القيد الثاني) قوله ولكن اعبد الله الذى توفاكم والمقصود انه لما بين انه يجب ترك
عبادة غير الله بين انه يجب الاشتغال بعبادة الله فان قيل ما الحكمة في ذكر المعبود الحق
في هذا المقام بهذه الصفة وهى قوله الذى توفاكم قلنا فيه وجوه (الاول) يحتمل ان يكون
المراد انى اعبد الله الذى خلقكم أولا ثم توفاكم ثانيا ثم يعيدكم ثالثا وهذا المراد بالثلاث
قد قرناها في القرآن مرارا واطوارا فهنا اكتفى بذكر التوفى منها لكونه منها على
البواقي (الثاني) ان الموت اشد الاشياء مهابة فخص هذا الوصف بالذكر في هذا المقام
ليكون اقوى في الزجر والردع (الثالث) انهم لما استجعلوا نزول العذاب قال تعالى فهل
ينظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانظروا انا معكم من المنتظرين ثم نصبى
رسلنا والذين آمنوا فهذه الآية تدل على انه تعالى يهلك اولئك الكفار ويبقى المؤمنين
ويقوى دولتهم فلما كان قريب العهد بذكر هذا الكلام لاجرم قال ههنا ولكن اعبد الله
الذى توفاكم وهو اشارة الى ما قرره وبينه في تلك الآية كما انه يقول اعبد ذلك الذى
وعدتى باهلاكم وباضاقي (والقيد الثالث) من الامور المذكورة في هذه الآية قوله
وأمرت ان اكون من المؤمنين واعلم انه لما ذكر العبادة وهى من جنس اعمال الجوارح
انتقل منها الى الايمان والمعرفة وهذا يدل على انه مالم يصير الظاهر مزمنا بالاعمال الصالحة
فانه لا يحصل في القلب نور الايمان والمعرفة (والقيد الرابع) قوله وأن آمم وجهك للدين
حنيفا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الواو في قوله وأن آمم وجهك حرف عطف
وفي المعطوف عليه وجهان (الاول) ان قوله وامرت ان اكون قائم مقام قوله وقيل لى
كن من المؤمنين ثم عطف عليه وأن آمم وجهك (الثاني) ان قوله وأن آمم وجهك قائم مقام
قوله وامرت باقامة الوجه فصار التقدير وامرت بأن اكون من المؤمنين وباقامة
الوجه للدين حنيفا (المسئلة الثانية) اقامة الوجه كناية عن توجيه العقل بالكلية الى طلب
الدين لان من يريد ان ينظر الى شئ نظرا بالاستقصاء فانه يقيم وجهه في مقابلته بحيث

في حيز الصلة أي ان يرد ان يصيبك

بخير (فأراد لفعله) الذي من جلته ما ارادك به من الخير فهو دليل على جواب الشرط لنفس الجواب وفيه ايدان بأن فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير احتشاق عليه سبحانه أي لا احد يقدر على رده كأنما كان فيدخل فيه الاصنام دخول اوليا وهو بيان لعدم ضررها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضررها برفضه أو بإيقاع المكره استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمسلم مع الضرر مع تلازم الأمرين للإيدان بأن الخير مراد بالذات وان الضرر كما يس من يسه لما يوجب من الدوامي الطارئة لا بالذات الأولى اواريد معنى القطعين في كل من الضرر والتخير وأنه لا راد لما يريد منها ولا من يل ما يصيب به منها فأوجز الكلام بأن ذكر في احد هما الس في الآخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل (يصيب به) اظهروا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبغي منه ترك الاستشاقية أي يصيب بفعله الواسع المتشظم لما ارادك به من الخير وجعل التفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع الظاهر في موضع الخفي للذكر من الفائدة بأياه قوله عز وجل (من يشاء من عباده) فان ذلك ينادي بعموم التفضل وقوله عز (فانما) وهو (الغفور الرحيم) تذييل لقوله تعالى يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة بحقق المضمونا

لا يصرفه عنه لا بالقليل ولا بالكثير لانه لو صرفه عنه ولو بالقليل فقد بطلت تلك المقابلة واذا بطلت تلك المقابلة فقد اخل الابصار فلهذا السبب حسن جعل اقامة الوجه للدين كتابة عن صرف العقل بالكلية الى طلب الدين وقوله حنيفا أي مائلا اليه ميلا كليا معرضا عما سواه امراضا كليا وحاصل هذا الكلام هو الاخلاص التام وترك الالتفات الى غيره فقله أولا وأمرت ان اكون من المؤمنين اشارة الى تحصيل اصل الايمان وقوله وان أتم وجهك للدين حنيفا اشارة الى الاستغراق في نور الايمان والامراض بالكلية عما سواه (والقيد الخامس) قوله ولا تكون من المشركين واعلم انه لا يمكن ان يكون هذا نهيا عن عبادة الاوثان لان ذلك صار مذكورا بقوله تعالى في هذا الآية فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله فوجب حل هذا الكلام على فائدة زائدة وهو ان من عرف مولاة فلو انفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك شركا وهذا هو الذي تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفي (والقيد السادس) قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك والممكن لذاته معدوم بالنظر الى ذاته وموجود بإيجاد الحق واذا كان كذلك فاسوى الحق فلا وجود له الا بإيجاد الحق وعلى هذا التقدير فلا نفع الا الحق ولا ضرر الا الحق فكل شيء هالك الا وجهه واذا كان كذلك فلاحكم الله ولا رجوع في السدارين الا الى الله ثم قال في آخر الآية فان فعلت فإني اذا من الظالمين يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين لان الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه فاذا كان ماسوى الحق معزولا عن التصرف كانت اضافة التصرف الى ماسوى الحق وضعا لشيء في غير موضعه فيكون ظلما فان قيل فطلب الشعب من الاكل والرى من الشرب هل يقدح في ذلك الاخلاص فلنا لان وجود الخير وصفاته كلها بإيجاد الله وتكوينه وطلب الانتفاع بشئ خلقه الله للانتفاع به لا يكون منافيا للرجوع بالكلية الى الله الا ان شرط هذا الاخلاص ان لا يقع بصرفه على شيء من هذه الموجودات الا ويشاهد بعين عقله انها معدومة بذواتها وموجودة بإيجاد الحق وهالكة بأنفسها وباقية بإبقاء الحق فحينئذ يرى ماسوى الحق عدما محضا بحسب أنفسها ويرى نور وجوده وفيض احسانه مائلا على الكل * قوله تعالى (وان يمسك الله بضرة فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) وفيه مسائل (المسألة الاولى) اعلم انه سبحانه وتعالى قرر في آخر هذه السورة ان جميع الممكنات مسندة اليه وجميع الكائنات محتاجة اليه والعقول والهة فيه والرحمة والوجود والوجود قائض منه واعلم ان الشيء اما ان يكون ضارا واما ان يكون نافعا واما ان يكون لا ضارا ولا نفعا وهذا ان القسمان مشتركان في اسم الخير ولما كان الضر أمرا وجوديا لاجرم قال فيه وان يمسك الله بضرة ولما كان الخير قد يكون وجوديا وقد يكون عدميا لاجرم لم يذكر لفظ الاساس فيه بل قال وان يردك بخير الآية دالة على ان الضر والخير واقعان بقدرته الله

(تعالى)

(غل) مخاطبا لاولئك الكفرة

بعدها بلغتهم بالوحى اليك يا أيها
الناس قد جاءكم الحق من ربكم
وهو القرآن العظيم المشتمل على
محاسن الاحكام التي من جللتها
ما سر آتفا من اصول الدين
واطلعت على ما في تنبيهه من
البيئات والهدى ولم يبق لكم
عذر (من اهتدى) بالآيات به
والعمل بما في مطاوعه (فأما اهتدى
لنفسه) أي منفعة اهتداه لها
خاصة (ومن ضل) بالكفر به
والاعراض عنه (فأما ينزل عليها)
أي قوالب الضال مقصور عليها
والمراد تنزيه ساحة الرسالة
عن شائبة غرض عائد اليه عليه
السلام من جلب نفع او ضرر كما
يلوح به اسناد المجي إلى الحق
من غير اشعار بكون ذلك بواسطة
(وامانا عليكم بوكيل) بحفظ
موكول امرهم وانما اناشير
ونذير (واتبع) اعتقادا وعلا
ونيلها (ما يوحى اليك) على نهي
التبديد والاستقرار من الحق
المذكور المتأكد يوم انوما وفي
التصريح عن بلوغه اليهم بالحي
واليه عليه السلام بالوحى تنبيهه على
ما بين المرتبتين من التثاني (واصبر)
على ما يترك من مشاق التبليغ
(حق يحكم الله) بالنصرة عليهم
او بالاسر بالقتال (وهو خير
الحاكين) اذ لا يمكن الخطأ في حكمه
لاطلاع على السرائر اطلعه على
الظواهر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة
يونس اعطى له من الاجر عشر
حسنة بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع
فرعون والجد لله وحده

تعالى وبفضله قيدخل فيه الكفر والايان والطاعة والعصيان والسرور والآفات
والخيرات والآلام والآفات والاراحات والجراحات فينب سبحانه وتعالى انه ان قضى لاحد
شرا فلا كاشف له الا هو وان قضى لاحد خيرا فلا راد لفضله اليه ثم في الآية دقيقة اخرى
وهي انه تعالى رجع جانب الخير على جانب الشر من ثلاثة اوجه (الاول) انه تعالى لما ذكر
امساس الضربين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل المضار لان الاستثناء
من النبي اثبات ولما ذكر الخير لم يقل بأنه يدفع بل قال انه لا راد لفضله وذلك يدل على ان
الخير مطلوب بالذات وان الشر مطلوب بالعرض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رواية
من رب العزة انه قال سبق رحتي غضي (الثاني) انه تعالى قال في صفة الخير يصيب به من
يشاء من عباده وذلك يدل على ان جانب الخير والرحمة اقوى واغلب (والثالث) انه قال
وهو الغفور الرحيم وهذا ايضا يدل على قوة جانب الرحمة وحاصل الكلام في هذه الآية
انه سبحانه وتعالى بين انه منفرد بالخلق والايحاد والتكوين والابداع وانه لا موجد
سواه ولا معبود الاياه ثم نبه على ان الخير مراد بالذات والشر مراد بالعرض وتحت
هذا الباب اسرار عميقة فهذا ما نقوله في هذه الآية (المسئلة الثانية) قال المفسرون
انه تعالى لما بين في الآية الاولى في صفة الاصنام انها لا تنضر ولا تنفع بين في هذه الآية انها
لا تنقد ايضا على دفع الضرر الواصل من الغير وعلى دفع الخير الواصل من الغير قال ابن
عباس رضي الله عنهما ان ممسك الله بصر فلا كاشف له الا هو يعني بمرض وفقر فلا تدفع
له الا هو واما قوله وان يردك بخير فقال الواحدى هو من المقلوب معناه وان يردك الخير
ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جاز ابدال كل واحد منهما بالآخر واقول
التقديم في اللفظ يدل على زيادة العناية بقوله وان يردك بخير يدل على ان المقصود هو
الانسان وسائر اخيرات مخلوقة لاجله فهذه الدقيقة لا تستفاد الا من هذا التركيب
قوله تعالى (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها واما انما عليكم بوكيل) واعلم انه تعالى لما قرر الدلائل المذكورة في
التوحيد والنسوة والعباد وزين آخر هذه السورة بهذه البيانات الدالة على كونه تعالى
مستبدا بالخلق والابداع والتكوين والاختراع ختمها بهذه الخاتمة الشريفة العالية وفي
تفسيرها وجهان (الاول) انه من حكمه له في الازل بالاهتداء فسيقع له ذلك ومن حكمه له
بالضلال فكذلك ولا حيلة في دفعه (الثاني) وهو الكلام اللاتقي بالمعزلة قال القاضي انه
تعالى بين انه اكل الشريعة وازاح العلة وقطع المعزلة فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها واما انما عليكم بوكيل فلا يجب على من السعي في ايصالك الى
الثواب العظيم وفي تحليلكم من المذاب الاليم ازيد مما فعلت قال ابن عباس هذه
الآية منسوخة بآية القتال ثم انه تعالى ختم هذه الخاتمة بخاتمة اخرى لطيفة فقال
(واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) والمعنى انه تعالى امره

(سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) محله الرفع على انه خبر
 لبداً أعذوف وقيل على انه مبتدأ الاول هو الاظهر كما يشير اليه في سورة (٥٠) يونس والنصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ

باتباع الوحي والتزليل فان وصل اليه بسبب ذلك الاتباع مكروه فليصبر عليه الى ان يحكم
 الله فيه وهو خير الخالكين وان شئتم بعضهم في الصبر شعر افعال

سأصبر حتى يهجز الصبر عن صبري * واصبر حتى يحكم الله في امري

سأصبر حتى يعلم الصبر اني صبرت على شيء امر من الصبر

ثم تفسر هذه السورة والله اعلم بما ارادوه باسرار كتابه بعون الله وحسن توفيقه يقول جامع
 هذا الكتاب ختمت تفسير هذه السورة يوم السبت من شهر الله الاصم رجب سنة احدى
 وستائة وكنت ضيق الصدر كثير الحزن بسبب وفاة الولد الصالح شهد افن الله على
 روحه وجسده انواء المغفرة والرحمة وانا انفس من كل من يقرأ هذا الكتاب وينفع به
 من المسلمين ان يخص ذلك المسكين وهذا المسكين بالدماء والرحمة والفران والحمد لله رب
 العالمين وصلاته على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين

سورة هود عليه السلام مائة وثلاث وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الكتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) في الآية مسائل (المسئلة الاولى)
 اعلم ان قوله الراسم للسورة وهو مبتدأ وقوله كتاب خبره وقوله احكمت آياته ثم فصلت
 صفة للكتاب قال الزجاج لا يجوز ان يقال الراسم وقوله كتاب احكمت آياته ثم فصلت
 خبر لان الراسم هو الموصوف بهذه الصفة وحده وهذا الاعتراض فاسد لانه ليس من
 شرط كون الشيء مبتدأ ان يكون خبره محصورا فيه ولا درى كيف وقع للزجاج هذا
 السؤال ثم ان الزجاج اختار قول آخر وهو ان يكون التقدير هذا كتاب احكمت آياته
 وعندى ان هذا القول ضعيف لوجهين (الاول) ان على هذا التقدير يقع قوله الراسم
 باطلا لقاعدة فيه (والثاني) انك اذا قلت هذا كتاب قولك هذا يكون اشارة الى اقرب
 المذكورات وذلك هو قوله الراسم حينئذ الخبر عنه بانه كتاب احكمت آياته فيلزمه
 على هذا القول ملزم برض به في القول الاول ثبت ان الصواب ما ذكرناه (المسئلة الثانية)
 في قوله احكمت آياته وجوه (الاول) احكمت آياته نظمت نظاما صيفا محكما لا يقع فيه
 نقص ولا خلل كالباء المحكم المصنف (الثاني) ان الاحكام عبارة عن منع الفساد من
 الشيء قوله احكمت آياته اى لم تفسخ بكتاب كانهضت الكتب والشرائع بها واعلم ان
 على هذا الوجه لا يكون كل الكتاب محكما لانه حصل فيه آيات منسوخة الا انه لما كان
 الغالب كذلك صح إطلاق هذا الوصف عليه اجراء للحكم الثابت في الغالب مجرى الحكم
 الثابت في الكل (الثالث) قال صاحب الكشف احكمت يجوز ان يكون نقلا بالهمزة
 من حكم يضم الكاف اذا صار حكما اى جعلت حكما كقوله آيات الكتاب الحكيم
 (الرابع) جعلت آياته محكمة في امور (احدها) ان معاني هذا الكتاب هي التوحيد
 والعبد والنبوة والمعاد وهذه المعاني لا تقبل الشك فهي في غاية الاحكام (وثانيها) ان

على تقدير كونه اسما للسورة على
 ما عليه اطلاق الاكثر ولا محل له
 من الاعراب مسرود على خط
 التعديد حسبما فصل في اخواته
 وقوله تعالى (كتاب) خبر له
 على الوجه الثاني ولابتداء
 محذوف على الوجه الباقية
 (احكمت آياته) نظمت نظاما
 متقنا لا يعتريه خلل بوجه من
 الوجوه واجعلت حكما لا يظلمها
 على جلائل الحكم بل بالغة وقاسمها
 او منعت من النسخ بمعنى التغيير
 مطلقا واوبت بالجميع الفاعلة
 الدالة على قولها من عند الله
 عز وجل او على ثبوت مدلولها
 فلما راد بالآيات جميعها او على
 حقيقة ما تقتل عليه من الاحكام
 الشرعية فلما رادها بعضها
 المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام
 بالنعى من النسخ بمعنى تبديل
 الحكم الشرعى خاصة واما تفسيره
 بالنعى من الفساد اخذا من قولهم
 احكمت الدابة اوقضت عليها
 الحكمة لفتحها من الجراح فيه
 اليهام ما لا يكد يلىق بشأن
 الآيات الكريمة من التدهى الى
 الفساد لولا المنع وفي اسناد
 الاحكام على الوجوه المذكورة
 الى آيات الكتاب دون نفسه
 لاسما على الوجوه الشاهقة لكل
 آية آية منه من حسن الموقع
 والدلالة على كونه في أقصى غاية
 منه ما لا يخفى (ثم فصلت) اى
 جعلت فصلا من الاحكام
 والدلائل والمواظع والقصاص
 او فصل فيها مهمات العباد
 في المعاش والمعاد على الاسناد
 المجازى والتشريع يجعلها آية آية
 لا يساعده المقام لان ذلك من

الاصواف الاولى لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنى الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا (الآيات)
 حيث لم تزل الآيات محكمة مفصلة لانها احكمت اوفصلت بعد ان لم تكن كذلك اذ الفصلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض

وكبر القيل الا انها حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستعجب احكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار (٥١) الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وان حل جعلها آية على معنى تقرير

الآيات الواردة فيه غير متناقضة والتناقض ضد الاحكام فاذا خلت آياته عن التناقض فقد حصل الاحكام (وثالثها) ان الفاظ هذه الآيات بلغت في الفصاحة والجزالة الى حيث لا تقبل المعارضة وهذا ايضا مشعر بالقوة والاحكام (ورابعها) ان العلوم الدينية اما نظرية واما عملية اما النظرية فهي معرفة الله تعالى ومعرفة الملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر وهذا الكتاب مشتمل على شرائف هذه العلوم ولطائفها واما العملية فهي اما ان تكون عبارة عن تهذيب الاعمال الظاهرة وهو الفقه او عن تهذيب الاحوال الباطنة وهي علم التصفية ورياضة النفس ولا نجد كتابا في العالم يساوى هذا الكتاب في هذه المطالب فثبت ان هذا الكتاب مشتمل على اشرف المطالب الروحية وأعلى المباحث الالهية فكان كتابا يحكمها غير قابل للنقض والهدم وتام الكلام في تفسير المحكم ذكرناه في تفسير قوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات (المسئلة الثالثة) في قوله فصلت وجوه (احدها) ان هذا الكتاب فصل كاتفضل الدلائل بالفوائد الروحية وهي دلائل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص (الثاني) انها جعلت فصولا سورة سورة وآية آية (الثالث) فصلت بمعنى انها فرقت في النزول ومازلت جلة واحدة ونظيره قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات والمعنى بجي هذه الآيات متفرقة متعاقبة (الرابع) فصل ما يحتاج اليه العباد اى جعلت مبنية لمنصة (الخامس) جعلت فصولا حلالا وحراما وامثالا وترغيبا وترهيبا ومواعظ وأمرأ ونهي لكل معنى فيها فصل قد افرد به غير مختلط بغير محتى تستكمل فوائد كل واحد منها يحصل الوقوف على كل باب واحد منها على الوجه الاكمل (المسئلة الرابعة) معنى ثم في قوله ثم فصلت ليس للتراخي في الوقت لكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وكما تقول فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل (المسئلة الخامسة) قال صاحب الكشاف قرئ أحكمت آياته ثم فصلت أى أحكمتها أنا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل (المسئلة السادسة) احتج الجبائي بهذه الآية على ان القرآن محدث مخلوق من ثلاثة أوجه (الاول) قال المحكم هو الذى أتقنه فاعله واولا ان الله تعالى يحدث هذا القرآن والالم يصح ذلك لان الاحكام لا يكون الا في الافعال ولا يجوز ان يقال كان موجودا غير محكم ثم جعله الله محكما لان هذا يقتضى في بعضه الذى جعله محكما ان يكون محدثا لم يقل أحد بان القرآن بعضه قديم وبعضه محدث (الثاني) ان قوله ثم فصلت يدل على انه حصل فيه انفصال وافتراق وبدل على ان ذلك الانفصال والافتراق انما حصل بجعل جاعل وتكوين يكون وذلك ايضا يدل على المطلوب (الثالث) قوله من لدن حكيم خبير والمراد من عنده والقديم لا يجوز ان يقال انه حصل من عند قديم آخر لانهما لو كانا قديمين لم يكن القول بان احدهما حصل من عند الآخر أولى من العكس أجاب اصحابنا بان هذه

بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس في مقامه في استنباط ما يستنبط من الاحكام والآثار او فرقت في النزول منجية بحسب المصالح فان اريد تأويلها الخيم بالفعل فالتراخي زمانى وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منها حسما تقتضيه الحكمة والصلوة فهو رجي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بأن يرتب على وصف احكامها وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل (من لدن حكيم خبير) صفة للكتاب وصف بها يد ما وصف باحكام آياته وتقسيمها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة بجلالة شأنه من حيث الاضافة واخير بعبد خير ليتبدأ المذمكور او المحذوف اوصلة للفقين وفي بناءهما للفعول ثم اراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والإحاطة بجلالها ودقائقها منكرا للتنكير التفضيلى وربطهما به لاعتى التبع المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزاء والدلالة على فحاشتهما وكونها على اكمل ما يكون مالا يكتنه كنه (الاتعبدوا الله) مقول له حذف عنه اللام مع فقد ان الشرط اعنى كونه فعلا لتفاعل الفعل الملل جريا على سنن القياس المطرد في حذف الجر مع ان المصدرية كما قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لتلا تعبدوا الله اى لتتركوا عبادة غير الله عن وجل وتستحضروا في عبادته فان الاحكام والنصيب

على ما فصل من الماعى مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يفرغ عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مقصرة لما في التفصيل من معنى القول اى قيل لاتعبدوا الا الله (ائى لكم منه) من جهة الله تعالى (تدبر) انزكم عذابه ان لم تتركوا

ما أُنتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى (وبشر) ابشركم بنوابه ان آمنتم به وتمتعتم في عبادته ولم تذكروا شأن الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى واورد معظم ما نظم (٥٢) في سلك الغاية والامر من التوحيد وترك الاشراك

وسلط بينه وبين قريبيه اعنى الاستغفار والتوبة ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحها بالمؤيدات من الوعد والوعيد للايدان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افر دبالذ كروا يد ايجابه بالخطاب غيب الكتاب مع تلويح بانه كما لا يصفى في نفسه الاماكن بالحقم برسائله عليه السلام كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الآخر وفدروهي في سوق المطالب بتقديم الانذار على التبشير ماروحي في الكتاب من تقديم النبي على الانبياء والفضيلة على الخليفة ليتجاوب اطراف الكلام ويحوز ان يكون قوله تعالى الاتعبدوا للاله كلاما مقطوعا مما قبله واوردا على لسانه عليه السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كما انه عليه السلام قال ترك عبادة عير الله اى الرموز على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا اتى لكم من جهة الله تعالى نذير وبشير اى نذرا ونذركم من عقيب على تقدير استمراره على الكفر وبشر ابشركم بنوابه على تقدير ترككم له وتوسيعكم والمسبق اليهم حديث التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من مخافة على وجهه فصنن تفصيل ما اجل في وصف البشر والتذير قبيل (وان استغفروا ربكم) وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجوه في الاول ان مصدرية لجواز كون صلتها اسما او نيبا كما في قوله تعالى وان اُنتم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فملا كما هو دلالة على المصدر وهو موجود فيها ووجوب كونها (اني) خبرية في صلة الموصول الاسمي اما هو لتوصل الى وصف المعارف بالجل وهو لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي

النعوت عائدة الى هذه الحروف والاصوات ونحن معترفون بانها محدثة مخلوقة وانما الذي ندعى قدمه امر آخر سوى هذه الحروف والاصوات (المسئلة السابعة) قال صاحب الكشاف قوله من لدن حكيم خبير يحل وجوها (الاول) انا ذكرنا ان قوله كتاب خبر واحكم صفة لهذا الخبر وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية والتقدير الكتاب من لدن حكيم خبير (والثاني) ان يكون خبرا بعد خبر والتقدير ان من لدن حكيم خبير (والثالث) ان يكون ذلك صفة لقوله احكمت وفصلت اى احكمت وفصلت من لدن حكيم خبير وعلى هذا التقدير فقد حصل بين اول هذه الآية وبين آخرها نكتة لطيفة كما انه يقول احكمت آياته من لدن حكيم وفصلت من لدن خبر عالم بكيفيات الامور قوله تعالى (الاتعبدوا للاله اني لادم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم قوا اليه بمعكم منا حسانا اجل معي ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير) اعلم ان في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان في قوله لا تعبدوا للاله وجوها (الاول) ان يكون مفعولا والتقدير كتاب احكمت آياته ثم فصلت لاجل الاتعبدوا للاله واقول هذا التأويل يدل على انه لا مقصود من هذا الكتاب الشريف الا هذا الحرف الواحد فكل من صرف عمره الى سائر المطالب فقد خاب وخسر (الثاني) ان تكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول والجل على هذا أولى لان قوله وان استغفروا معطوف على قوله الاتعبدوا فيجب ان يكون معناه اى لا تعبدوا يكون الامر معطوفا على النهي فان كونه بمعنى لئلا تعبدوا يمنع عطف الامر عليه (الثالث) ان يكون التقدير الكتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير لى امر الناس ان لا يعبدوا للاله ويقول لهم اني لكم منه نذير وبشير والله اعلم (المسئلة الثانية) اعلم ان هذه الآية مشتملة على التكليف من وجوه (الاول) انه تعالى امر بان لا يعبدوا الا الله واذا قلنا الاستثناء من النفي انبات كان معنى هذا الكلام النهي عن عبادة غير الله تعالى والامر بعبادة الله تعالى وذلك هو الحق لا نا باننا ان ما سوى الله فهو محدث مخلوق مرئوب وانما حصل بتكوين الله وابعاده والعبادة عبارة عن اظهار الخضوع والخشوع ونهاية التواضع والتذلل وهذا لا يليق بالخالق المبرر الرحيم المحسن فثبت ان عبادة غير الله منكرا والاعراض عن عبادة الله منكرا واعلم ان عبادة الله مشروطة بتحصيل معرفة الله تعالى قبل العبادة لان من لا يعرف معبوده لا ينفع بعبادته فكان الامر بعبادة الله امرا بتحصيل المعرفة أولا ونظيره قوله تعالى في اول سورة البقرة يا ايها الناس اعبدوا ربكم ثم أتبعه بالدلائل الدالة على وجود الصانع وهو قوله الذى خلقكم والذين من قبلكم وانما حسن ذلك لان الامر بالعبادة يتضمن الامر بتحصيل المعرفة فلا جرم ذكر ما يدل على تحصيل المعرفة ثم قال اني لكم منه نذير وبشير وفيه مباحث (الاول) ان الضمير في قوله منه عائد الى الحكيم الخبير والمعنى

تعالى وان اُنتم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فملا كما هو دلالة على المصدر وهو موجود فيها ووجوب كونها (اني) خبرية في صلة الموصول الاسمي اما هو لتوصل الى وصف المعارف بالجل وهو لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي

فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على الفساد سواء ساغ وقوع الامر والنهي صله حسبما ساغ وقوع الفعل فيقهر عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى (٥٣) النسي والاستقبال (ثم توبوا اليه) عطف على استغفروا

والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى قبل ما قبل من الامكام والتقصيل لتقصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة واستقروا على ما اتمم عليه من التوحيد والاستغفار او تستغفروا من الشرك وتوبوا من المعاصي وعلى الثاني من مفسرة اي قبل في انشاء تفصيل الآيات لتعبدوا الا الله واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية لتلقين الحاضطين وارعادهم الى الطريق الابتهاال في السؤال وترشيع ما يقبض من التمتع وايته الفضل بقوله تعالى (يتمتع متاعا حسنا) اي تمتعا واتصيا على انه مصدر حذف منه الزوائد كقوله تعالى اتهمكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لا يتبع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يمشك عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تستهون ولا يفسد شيء من المكدرات (الى اجل مسمى) مقدر عند الله عز وجل وهو آخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمع وراءها طامع جرى التمتع اليها مجرى التأييد عادة ولا يهلككم بعذاب الاستئصال (و يؤت كل ذي فضل) في الطاعة والعمل (فضله) جزاء فضله اما في الدنيا او في الآخرة وهذه نكته لما قبل من التمتع الى اجل مسمى وتبين ان معنى تصرفهم حكمته من بعض ما يتفق في الدين من تفاوت الحال بين العاملين قرب السان له فضل طاعة وعمل لا يتمتع في الدنيا اكل

انني لكم نذير وبشير من جهته (البحث الثاني) ان قوله لا تعبدوا الا الله مشتمل على التبع عن عبادة غير الله وعلى الترغيب في عبادة الله تعالى فهو عليه الصلاة والسلام نذير على الاول بالحق العذاب الشديد لمن اياتها وبشير على الثاني بالحق الثواب العظيم لمن اتيها واعلم انه صلى الله عليه وسلم ما بعث الا الهدين الامر من وهو الاذار على فعل ما لا ينبغي والبشارة على فعل ما ينبغي (المرتبة الثانية) من الامور المذكورة في هذه الآية قوله وان استغفروا ربكم (والمرتبة الثالثة) قوله ثم توبوا اليه واختلفوا في بيان الفرق بين هاتين المرتبتين على وجوه (الاول) ان معنى قوله وان استغفروا اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء الذي يطلب به ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه لان الداعي الى التوبة والمحرض عليها هو الاستغفار الذي هو عبارة عن طلب المغفرة وهذا يدل على انه لا سبيل الى طلب المغفرة من عند الله الا باظهار التوبة والامر في الحقيقة كذلك لان المذهب معرض عن طريق الحق والعرض المتخادى في التباعد ما لم يرجع عن ذلك الاعراض لا يمكنه التوجه الى المقصود بالذات فالمقصود بالذات هو التوجه الى المطلوب الا ان ذلك لا يمكن الا بالاعراض مما يضايقه فثبت ان الاستغفار مطلوب بالذات وان التوبة مطلوبة لكونها من مقامات الاستغفار وما كان آخرها في الحصول كان اولا في الطلب فلهذا السبب قدم ذكر الاستغفار على التوبة (الثاني) في فائدة هذا الترتيب ان المراد استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا اليه في المستقبل (الثالث) وان استغفروا من الشرك والمعاصي ثم توبوا من الاعمال الباطلة (الرابع) الاستغفار طلب من الله لازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي من الانسان في ازالة ما لا ينبغي فقدم الاستغفار ليدل على ان المرء يجب ان لا يطلب الشيء الا من ولاء فانه هو الذي يقدر على تحصيله ثم بعد الاستغفار ذكر التوبة لانها عمل يأتي به الانسان وينوسل به الى دفع المكروه والاستعانة بفضل الله تعالى مقدمة على الاستعانة بسعي النفس واعلم انه تعالى لما ذكر هذه المراتب الثلاث ذكر بعدها ما يرتب عليها من الآثار النافعة والنتائج المطلوبة ومن المعلوم ان المطالب محصورة في نوعين لانه اما ان يكون حصولها في الدنيا اوفي الآخرة اما المنافع الدنيوية فهي المراد من قوله يتمتع متاعا حسنا الى اجل مسمى وهذا يدل على ان المقل على عبادة الله والمشتغل بها يبقى في الدنيا منتظم الحال مرفه البال وفي الآية سؤالات (الاول) اليس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال ايضا خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامل وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرجن لبيوتهم سقفا من فضة فهذه النصوص دالة على ان نصيب المشتغل بالطاعات في الدنيا هو الشدة والبلية ومقتضى هذه الآية ان نصيب المشتغل بالطاعات الراحة في الدنيا فكيف الجمع بينهما الجواب (الاول) المراد انه تعالى لا يعذبهم بعذاب الاستئصال كما استاصل اهل القرى

ممتنع آخر دونه في الفضل وربما يكون الفضل اكثر تمتعا قليل و يعط كل ذي فضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد ولما في الآخرة وذلك عللا مرده وهذا ضرب تفصيل لما قبل فياسبق من البشارة ثم شرع في الاذار قليل (ان توبوا)

أَيُّ تَوَلَّوْا عَمَّا إِلَيْكُمْ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ وَأَمَّا أُخْرَىٰ عَنِ الْبَشَارَةِ جَرِيًّا عَلَىٰ سَنَنِ تَقَدُّمِ الرَّحْمَةِ عَلَى الْعُذْبِ الْإِلَهِ الْغَذَابِ قَدْ عَلِقَ بِالْوَلِيِّ عَمَّا ذَكَرَ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ وَذَلِكَ يَسْتَدْعِي (٥٤) سَابِقَةَ ذِكْرِهِ وَقَرَأَ تَوَلَّوْا مِنْ وَلِيٍّ (فَالْيَ أَخَانِ

الذين كفروا (الثاني) انه تعالى يوصل اليهم الرزق كيف كان واليه الاشارة بقوله وأمر
اهلك بالصلاة واصطبر عليها الناس ألك رزقاً نحن نرزقك (الثالث) وهو الاقوى عندى ان
يقال ان المشتغل بعبادة الله وبمحبة الله مشغول بحبشيئ يمنع فقيره وزواله وفناؤه فكل
من كان امعانه في ذلك الطريق اكثر وتوغله فيه أتم كان اقتطاعه عن الخلق أتم واكمل
وكما كان الكمال في هذا الباب أكثر كان الانتهاج والسرور أتم لانه امن من فقير
مطلوبه وامن من زوال محبوبه فأما من كان مشغولاً بحب غير الله كان ابداً في ألم الخوف
من فوات المحبوب وزواله فكان عيشه منقضا وقلبه مضطرباً ولذلك قال الله تعالى في
صفة المشتغلين بتخديمه فليخبرني حياة طيبة (السؤال الثاني) هل يدل قوله الى اجل
مسمى على ان العبد اجلين وانه يقع في ذلك التقديمو التأخير والجواب لا ومعنى الآية انه
تعالى حكم بأن هذا العبد لو اشتغل بالعبادة لكان اجله في الوقت الفلاني ولو اعرض عنها
لكان اجله في وقت آخر لكنه تعالى عالم بأنه لو اشتغل بالعبادة ام لا فان اجله ليس الا في ذلك
الوقت المعين فثبت ان لكل انسان اجلاً واحداً فقط (السؤال الثالث) لم سمي منافع
الدنيا بالمتع الجواب لاجل التنبيه على حقارتها وقلتها ونبه على كونها منقضية بقوله
تعالى الى اجل مسمى فصارت هذه الآية دالة على كونها حقيرة خبيثة منقضية ثم لما بين
تعالى ذلك قال ويؤت كل ذي فضل فضله والمراد منه السعادات الاخرية وفيها الطائفت
وقواش (الفائدة الاولى) ان قوله ويؤت كل ذي فضل فضله معناه ويؤت كل ذي فضل
موجب فضله ومعاوله والامر كذلك وذلك لان الانسان اذا كان في نهاية البعد عن
الاشتغال بغير الله وكان في غاية الرغبة في تحصيل اسباب معرفة الله تعالى فيخذه نصير قلبه
فضالته عن الملوك وحرارة تجلي بها قدس اللاهوت الا ان العلائق الجسدانية الظلمية
تذكر تلك الانوار الروحانية فاذا زالت هذه العلائق اشرقت تلك الانوار وتلاشت تلك
الاضواء وتوالت موجبات السعادات فهذا هو المراد من قوله ويؤت كل ذي فضل فضله
(الفائدة الثانية) ان هذا تنبيه على ان مراتب السعادات في الآخرة مختلفة وذلك لانها
مقدرة بمقدار الدرجات الحاصلة في الدنيا فلما كان الاعراض عن غير الحق والاقبال على
عبودية الحق درجات غير متناهية فكذلك مراتب السعادات الاخرية غير متناهية
فلهذا السبب قال ويؤت كل ذي فضل فضله (الفائدة الثالثة) انه تعالى قال في منافع
الدنيا تمتعكم متاعاً حسناً وقال في سعادات الآخرة ويؤت كل ذي فضل فضله وذلك يدل
على ان جميع خيرات الدنيا والآخرة ليس الامنه وليس الا بعباده وتكوينه واعطائه
وجوده وكان الشيخ الامام الوالد رحمه الله تعالى يقول لولا الاسباب لما رتب مراتب
فأكثر الناس عقولهم ضعيفة واشتغال عقولهم بهذه الوسائط الفانية يبعدها عن
مشاهدة الكل منه فأما الذين توغلوا في العارف الالهية وخاضوا في بحار انوار
الحقيقة علوا ان ملامه ممكن لذاته موجود بابتداده قاطع نظرهم عما سواه وعلوا انه

عز وجل (اليسفخوا منه) التجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون اليسفخوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين (سجده)
على اعراضهم وجعله في قود المعنى اليه من قيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانطق اي تضرب اى تضرب فانطق ولا يخفى ان

اسباق الذهن الى توسط الارادة بين ثنى الصدور وبين الاستغناء ليس كاستغناءه الى توسط الذنوب بين الامر به وبين الانطلاق وامل
الاظهار عن معناه يعطون صدورهم على ما فيها (٥٥) من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث

يكون ذلك تخفيا مستورا فيها كما
تطف الثياب على ما فيها من
الاشياء المستورة واتما يذكر ذلك
استهيانا بذكره او اداء الى ان
ظهوره عن ذكره او ليذهب
ذهن السامع الى الكل ما لا يخبر فيه
من الامور المذكورة فيدخل
فيه ما ذكر من توليهم عن الحق
الذي اتى اليهم دخولا اوليا
فحينئذ يظهر وجهه كونه ذلك سببا
للاستغناء يؤيده ما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انها زلت في
الاخس بن شريك وكان رجلا
حلو المنطق حسن الساق المحديث
يظهر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما
يضادها وقال ابن شداد انها زلت
في بعض المناقنين كان اذا مر
برسول الله صلى الله عليه وسلم شئ
صدره وظهره وطأ رأسه
وغشى وجهه لا يراهم النبي صلى
الله عليه وسلم فكانوا انما كان
يصنع ما يصنع لانه لو راى النبي
صلى الله عليه وسلم لم يكنه التذلل
عن حضور مجلسه والمصاحبة
معه وربما يؤذى ذلك ان يظهر
ما في قلبه من الكفر والنفاق
وقرى يثوني صدورهم بالياء
والنساء من اتوني افعل على من اتى
كاحول من الخلاوة وهو يشاء
بالمائة وعن ابن عباس رضي الله
رضي الله عنهما لتثوني وقرئ

تثون

٢ واصله تثونون من تثومعول
من التث وهو ما هش من الكلا
وضعف يرويه طائفة صدورهم
التي يثوني (من الهش)

٣ قوله وقرئ تثون الخ افاد
الشهاب انه جملة فوقية مفتوحة
ثلاثة ساكنة تثون مفتوحة
الثلاثة وتشديد النون كما في
القاموس * وقوله وقرئ تثنن اى على وزن تثنن بأن يجعل مكان الواو المكسورة في القراءة السابقة همزة مكسورة (كما قرأه ابي مصعب) لم

سبحانه وتعالى هو الضار والنافع والمعطى والمناع ثم انه تعالى لما بين هذه الاحوال قال وان
تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير والامر كذلك لان من اشتغل بعبادة غير الله صار
في الدنيا اعشى ومن كان في هذه اعشى فهو في الآخرة اعشى واصل ميلا والذي بين ذلك
ان من اقبل على طلب الدنيا اولها وطيباتها قوى حبه لها ومال طبعه اليها وعظم رغبته
فيها فاذ ما تدبى معه ذلك الحب الشديد والميل التام وصار عاجزا عن الوصول الى محبوبه
تجنبه يعظم البلاء ويتكامل الشقاء فهذا القدر المعلوم عندنا من عذاب ذلك اليوم واما
تفاصيل تلك الاحوال فهي غائبة عنا مادمتا في هذه الحياة الدنيوية ثم بين انه لا بد
من الرجوع الى الله تعالى بقوله الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير واعلم ان قوله
الى الله مرجعكم فيه دقيقة وهي ان هذا اللفظ يفيد الحصر يعنى ان مرجعنا الى الله لا الى
غيره فيدل هذا على انه لا مدبر ولا متصرف هناك الا هو والامر كذلك ايضا في هذه
الحياة الدنيوية الا ان اقواما اشتغلوا بالنظر الى الوسائط فخرجوا عن الوصول الى مسبب
الاسباب فنزلوا انهم في دار الدنيا قادرين على شئ واما في دار الآخرة فهذه الحال
الفاقد زائل ايضا فلهذا المعنى بين هذا الحصر بقوله الى الله مرجعكم ثم قال وهو
على كل شئ قدير واقول ان هذا تهديد عظيم من بعض الوجوه وبشارة عظيمة من سائر
الوجوه امانته تهديد عظيم فلان قوله تعالى الى الله مرجعكم يدل على انه ليس مرجعنا
الا اليه وقوله وهو على كل شئ قدير يدل على انه قادر على جميع المقدورات لادفع
لقضائه ولا مانع لشيئته والرجوع الى الحاكم الموصوف بهذه الصفة مع العيوب الكثيرة
والذنوب العظيمة مشكل وامانه بشارة عظيمة فلان ذلك يدل على قدرة غالبة وجلالة
عظمته لهذا الحاكم وعلى ضعف تام وعجز عظيم لهذا العبد والملك القاهر العالى الغالب
اذا رأى عاجزا مشرقا على الهلاك فانه يتخلصه من الهلاك ومنه المثل المشهور ملكك
فاسبح * يقول مصنف هذا الكتاب قد افيت عمرى في خدمة العلم والمطالعة لكتب
ولا رجالي في شئ الا انى في غاية الذلة والقصور والكريم اذا قدر غفر واسألك
يا اكرم الاكرمين ويارحم الراحمين وسائر عيوب المعبوبين ومجيب دعوة المضطرين ان
تقبض سجال رحمتك على ولدى وفلذة كبدى وان تحصنا بالفضل والتجاوز والجلود
والكرم * قوله تعالى (الا انهم يثنون صدورهم ليستغفوا منه الا حين يستغفون لثبائهم

يعلم ما يسيرون وما يعلنون انه عليهم بذات الصدور) اعلم انه تعالى لما قال وان تولوا يعنى
عن عبادته وطاعته فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير بين بعده ان التولى عن ذلك باطنا
كالثولى عنه ظاهرا فقال الا انهم يعنى الكفار من قوم محمد صلى الله عليه وسلم يثنون
صدورهم ليستغفوا منه واعلم انه تعالى حكى عن هؤلاء الكفار شيئين (الاول) انهم
يثنون صدورهم يقال ثبتت الشئ اذا عطفته وطويته وفي الآية وجهان (الاول) روى
ان طائفة من المشركين قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارسلنا ستورنا واستغفينا ثيابنا وثلبنا

تلبوا وامكسورة وبعدها نون مشددة واصله تثونون على وزن تثومعول وقوله من ان اى بكسر
القافوس * وقوله وقرئ تثنن اى على وزن تثنن بأن يجعل مكان الواو المكسورة همزة مكسورة (كما قرأه ابي مصعب) لم

النبات اواراد خضع اعانهم ورحوة قلوبهم وقرئ ثلث من شأن افعال منه ثم هم كاقبال لبيان اوداهات وعمرى تقوى بوزن
ترعى (الاحين يستغشون ثيابهم) اى يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد (٥٦) اوسين يادون الى فرانسهم وشررون

بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث
النفس عادة وقبل كان الرجل من
الكفار يدخل بيته ويرى خستره
ويجنى ظهره ويقتضى بنوه ويقول
هل يعلم الله ما فى قلبى (يعلم ما
يسرون) اى يضفون فى قلوبهم
(وما يعلنون) اى يستوى بالنسبة
الى علمه المحيط بهم وعلمه فكيف
يغنى عليه ما عسى يظهره واما
قدم السر على العلن ليعا عليهم من
اول الامر ما صنعوا وايدان
بافتصاحهم ووقع ما عذرته
وتصديقاً للساوت بين الذين على
ابلق وجه فكان علمه ما يسرونه
اقدامه ما يعلنونه ونظيره قوله
تعالى قل ان تحقوا ما فى صدوركم
او تبدوا بعلم الله حيث قدم فيه
الاخفاء على الابداء على عكس
ما وقع فى قوله تعالى وان تبدوا
ما فى نفسكم او تحفوا بحاسنكم به
الله اذ لم يتعلق بالشاران الحاسبة
ما يحشونه اول ما عا يبدونه
عرض بل الامر بالعكس واما
ههنا فتعلق بالشاركون تعلق
علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما
يعلمونه غرض منهم مع كونهم على
السوية كيف لا وعلمه تعالى
يعلمونه ليس بطريق حصول
الصورة بل وجود كل شئ فى
نفسه علم النسبة الى تعالى وفى هذا
المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء
البارزة والسكنة واما قوله تعالى
واعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون
فحيث كان وارداً بصدد الخطاب
مع الملائكة عليهم السلام المقر
مقامهم عن اقتضائهم التأكيد
والمبالغة فى الاخبار بالحاطة علمه
تعالى بالظاهر والباطن لم يسلط
فيه ذلك الملاك مع انه وقع الغيبة

عنه بما قبله من قوله عز وجل اى اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر
متقدمة على مرتبة العلن انما من شئ يعنى الا وهو اومسدييه قبل ذلك مضى فى القلب فتعلق علمه سبحانه بجالته الاولى متقدم على

(عمره)

تعلقه بمكانه الثانية) انه علم بذات الصدور (تعليل لما سبق وتقريره واقف موقع الكبرى من الفياس وفي صيغة الفعل وتعليق الصدور بلام الاستفراق والتعبير عن الضمائر بعنوان (٥٧) صاحبتهما من البراعة مالا يصفه الواصفون كأنه قيل انه مبالغ

في الاطاحة بمخزعات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تغرقها اصلا فكيف يخفي عليه ما يبرون وما يملنون ويجهون أن يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولحسن تسمى القلوب التي في الصدور والمعنى انه علم بالقلوب واسرارها فلا يخفي عليه سر من اسرارها (ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها) غذاؤها اللاتى هاهنا حيث انطلق ومن حيث الاصل اليباطريق طبعي او ارادي لتكمله اياه تفضل ورجة وانما يخفى على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحققا لوصوله اليها التوجه لكانفين على التقية تعالى والاعراض من انساب النفس في طلبه (ويلوم مستقرها) محل قرارها في الاصلاص (ومستودعها) موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما يخص بهن الضمين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاص في حيزها الطبيعي ومثلها الخلقى اما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين ومسكنها من الارض حين وجدت بالقول ومودعها من المواد والمفارجين كانت بعد بالقة ولعل تقدم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى مامن دابة في الارض الا برزقها الله تعالى حيث كانت من اما كتبها يسوقه اليها ويسلم موادها المتخلفة المتدرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة

عمره فلوم يكن الحرام رزقا لكان الله تعالى ما واصل رزقه اليه فيكون تعالى قد اخل بالواجب وذلك محال فعلمنا ان الحرام قد يكون رزقا وما قوله ويعلم مستقرها ومستودعها فالاستقر هو مكانه من الارض والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار في صلب اورحم او بيضة وقال الفراء مستقرها حيث تأوى اليه ليلا او نهارا ومستودعها موضعها الذي تموت فيه وقد مضى استقصاء تفسير المستقر والمستودع في سورة الانعام ثم قال كل في كتاب مبين قال الزجاج المعنى ان ذلك ثابت في علم الله تعالى ومنهم من قال في الوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدة ذلك في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين * قوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الاصح من) واعلم انه تعالى لما ثبت بالدليل المتقدم كونه عالما بالعلوم اثبت بهذا الدليل كونه تعالى قادرا على كل القدرات وفي الحقيقة فكل واحد من هذين الدليلين يدل على كمال علم الله وعلى كمال قدرته واعلم ان قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام قد مضى تفسيره في سورة يونس على سبيل الاستقصاء بقى ههنا ان نذكر وكان عرشه على الماء قال كعب خلق الله تعالى ياقوته خضراء ثم نظر اليها بالهسية فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على منها ثم وضع العرش على الماء قال ابوبكر الاصم معنى قوله وكان عرشه على الماء كقولهم السماء على الارض وليس ذلك على سبيل كون احدهما ملتصقا بالآخر وكيف كانت الواقعة فذلك يدل على ان العرش والماء كانا قبل السموات والارض وقالت المعتزلة في الآية دلالة على وجود الملائكة قبل خلقهما لانه لا يجوز ان يخلق ذلك ولا أحد ينفع بالعرش والماء لانه تعالى لما خلقهما فاما ان يكون قد خلقهما لمنفعة أولا لمنفعة والثاني عبث في الاول وهو انه خلقهما لمنفعة وتلك المنفعة اما ان تكون عائدة الى الله وهو محال لكونه متعاليا عن النفع والضرر أو الى الغير فوجب ان يكون ذلك الغير حيا لان الغير الحى لا ينفع وكل من قال بذلك قال ذلك الحى كان من جنس الملائكة اما ابوسلم الاصفهاني فقال معنى قوله وكان عرشه على الماء اى بناؤه السموات كان على الماء وقد مضى تفسير ذلك في سورة يونس وبين انه تعالى اذ ابني السموات على الماء كانت ابدع وأعجب فان البناء الضعيف اذا لم يؤسس على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الامر العظيم اذ بسط على الماء * وههنا سوالات (السؤال الاول) ما الفائدة في ذكر ان عرشه كان على الملقبل خلق السموات والارض (والجواب) فيه دلالة على كمال القدرة من وجوه (الاول) ان العرش مع كونه اعظم من السموات والارض كان على الماء فلولا انه تعالى قادر على امساك الثقيل بغير عمد لما صح ذلك (والثاني) انه تعالى امساك الماء لاعلى قرار والازم ان يكون اقسام العالم غير متناهية

في الاطوار الثابتة ومقارها المتنوعة وبقيش عليها في كل (أ) (إ) (خا) مرتبة ما يليق بها من مبادئ وجودها وكما لاتها المتفرعة عليه وقد فر المستودع بأماكنها في السمات ولا يلائمه مقام التكفل بأرزاقها (كل) من الدواب ورزقها مستقرها

ومستودعها (في كتاب مبین) ای مثبت فی اللوح المحفوظ البین ان ينظر فیہ من الملائكة علیہم السلام او انظر لما اثبت فیہ
للتأخرین ولما انتهى الامر الی انه سبحانه محیط بجميع احوال ما فی الارض (٥٨) من الخلق والانی لاتتکاد قصی من مبدأ

فطرتها الی متبناها اتخذي الحلال
التعرض لمبدأ خلق السموات
والارض والحكمة الداعية الی
ذلك قبيل (وهو الذی خلق
السموات والارض فی ستة ايام)
السموات فی يومین والارض فی
یومین وما علیها من انواع
الحيوانات والنبات وغير ذلك
فی يومین حسبما فصل فی سورة
حم السجدة ولم یذكر صخر خلقها
ما فی الارض لكونه من ثقات خلقها
وهو السری فی جعل زمان خلقه
ثقة لزمان خلقها فی قوله تعالى
فی اربعة ايام ای فی ثمة اربعة
ایام والمراد بالایام الاوقات كما
فی قوله تعالى ومن یولم یومئذ
دبره ای فی ستة اوقات او مقدار
سنة ايام فان الیوم فی المتعارف
زمان کون الشمس فوق الارض
ولا یتصور ذلك حین الارض
ولاستمر وفي خلقها مدرجا مع
القدرة الثامنة علی خلقها دفعة
دلیل علی انه قادر مختار واعتبار
للتفلسف وحش علی السانی فی
الامور وما تخصیص ذلك بالعدد
المتین فاما سائر یوم یفتتحه
علام الغیوب جلت حکمته وینار
صبغة الجمع فی السموات لما
هو المشهور من الاشارة الی کونها
اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة
الاستمرار والاحکام (وكان عرشه)
قبیل خلقها (علی الله) لیس
تحتہ شیء غیره سواء کان ینبسط
فی جهة او کان موضوعا علی منته
کأورد فی الاثر فلا دلالة فیہ علی
امکان الخلاء کیف لاولود لدل
علی وجوده لاعلی امكانه
فقط ولا علی سکون الماء
اول ما حدث فی العالم بعد
العرش وانما یدل علی ان
خلقها اقدم من خلق السموات

وذلك یدل علی ما ذکرناه (والثالث) ان العرش الذی هو اعظم الخلق والانی قد اسکده الله
تعالی فوق سبع سموات من غیر دعامة تحته ولا علاقة فوقه وذلك یدل ایضا علی ما ذکرنا
(السؤال الثالث) هل یصح ما یروی انه قبل یدرس الله ان کان ربنا قبل خلق السموات
والارض فقال کان فی عاء فوقه هواء وتحتہ هواء (والجواب) ان هذه الروایة ضعيفة
والاولی ان یتصور الخبر المشهور اولى بالقبول وهو قوله صلی الله علیه وسلم کان الله
وما کان معه شیء ثم کان عرشه علی الماء (السؤال الثالث) اللام فی قوله لیلوکم انکم
احسن عما یقتضی انه تعالی خلق السموات والارض لابناء المكاف فكیف الحال
فیہ والجواب ظاهر هذا الکلام یقتضی ان الله تعالی خلق هذا العالم الكثير
لمصلحة المكلفین وقد قال به هذا القول طوائف من العقلاء ولكل طائفة فی وجه
آخر سوى الوجه الذی قال به الآخرون وشرح تلك المقالات لایلیق بهذا الکتاب
والذین قالوا ان حاله واحکامه غیر معاملة بالمصالح قالوا لام التعلیل وردت علی ظاهر
الامر ومعناه انه تعالی فعل فعلا او کان یفعله من تجوز علیه رعاية المصالح لمافعله الالهذا
الغرض (السؤال الرابع) الابتلاء انما یصح علی الجاهل بعواقب الامور وذلك علیه
تعالی بحال فكیف یعقل حصول معنى الابتلاء فی حقه (والجواب) ان هذا الکلام علی
سبیل الاستقصاء ذکرناه فی تفسیر قوله تعالی فی اول سورة البقرة لعلمکم تقون واعلم انه
تعالی لما بین انه خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفین وامتحانهم فهذا یوجب القطع
بحصول الحشر والنشر لان الابتلاء والامتحان یوجب تخصیص الحسن بالرجة والثواب
وتخصیص المئیء بالعقاب وذلك لایتم الامع الاعتراف بالمعاد والقیامة فعند هذا خاطب
تحمدا علیه الصلاة والسلام وقال ولئن قلت انکم معبوثون من بعد الموت لیقولن الذین
کفروا ان هذا الاسحر مبین ومعناه انهم ینکرون هذا الکلام ویحکمون بفساد القول
بالبعث فان قبل الذی یکن وصفاً بأنه سحر ما یكون فعلا مخصوصا وکیف یمکن وصف هذا
القول بأنه سحر قلنا الجواب عنه من وجوه (الاول) قال القفال معناه ان هذا القول
خديعة منکم وضعتوها لئلا تنزع الناس عن لذات الدنیا واحرازها لهم الی الانقیاد لکم
والدخول تحت طاعتکم (الثاني) ان معنى قوله ان هذا الاسحر مبین هو ان المهر امر
باطل قال تعالی حاکیا عن موسى علیه السلام ما حثم به السحر ان الله سیطله فقوله ان
هذا الاسحر مبین ای باطل مبین (الثالث) ان القرآن هو الحاکم بحصول البعث وطعنوا
فی القرآن بکونه سحر لان الطعن فی الاصل یفید الطعن فی الفرع (الرابع) قرأ جزء
والکسائی ان هذا الاسحر یریدون النبی صلی الله علیه وسلم والساحر کاذب * قوله
تعالی (ولئن أخرنا عنهم العذاب الی امة معدودة لیقولن ما یحبسه الیوم یا تبیم لیس
مصرفا عنهم وحق بهم ما كانوا یستهزؤن) اعلم انه تعالی حکى عن الکفار انهم یكذبون

والارض من غیر تعرض للنسبة ینبسطا (لیلوک) متعلق بخلق ای خلق السموات والارض وما فیهما من (الرسول)
الخلقوات الی من جعلها ثم ورتب فیهما ججع امتحانجون الیه من مبادئ وجودکم واسباب ما یحکم وادع فی تنصاع فیهما من

تعاجيب العنائن والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم بمساواة من يتليكم (ايكم احسن علا) فيجازيكم بالثواب وال عقاب فمجايب الحسن من المني وانتارت (٥٩) درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتماداتهم

الرسول صلى الله عليه وسلم يقولون ان هذا الامير معين فحقى عنهم في هذه الآيات نوعا آخر من اباطيلهم وهو انه متى تأخر عنهم العذاب الذي توعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم به اخذوا في الاستهزاء ويقولون ما السبب الذي حبسه عنا فأجاب الله تعالى بأنه اذا جاء الوقت الذي عنده الله لنزول ذلك العذاب الذي كانوا يستهزؤن به لم ينصرف ذلك العذاب عنهم واحاط بهم ذلك العذاب» بقي ههنا سؤالات (السؤال الاول) المراد من هذا العذاب هو عذاب الدنيا او عذاب الآخرة (الجواب) للمفسرين فيه وجوه (الاول) قال الحسن معنى حكم الله في هذه الآية انه لا يعذب احدا منهم بعذاب الاستئصال وآخر ذلك الى يوم القيامة فلما اخبر الله عنهم ذلك العذاب قالوا على سبيل الاستهزاء ما الذي حبسه عنا (والثاني) ان المراد الامر بالجهد وما نزل بهم يوم بدر وعلى هذا الوجه تأولو قوله وحاق بهم اي نزل بهم هذا العذاب يوم بدر (السؤال الثاني) ما المراد بقوله الى امة معدودة (الجواب) من وجهين (الاول) ان الاصل في الامة هم الناس والفرقة اذا قلت جاتی امة من الناس فالمراد طائفة مجمعة قال تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون وقوله وادكر بعد امة اي بعد انقضاء امة وفنائها فكذا ههنا قوله ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة اي الى حين تنقضي امة من الناس انقضت بعد هذا الوعد بالقول لقالوا ماذا يحبسهم عنا وقد انقض من الناس الذين كانوا متوعدين بهذا الوعد وتبعية الشيء باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان صلاة العصر اي في ذلك الحين (الثاني) ان اشتقاق الامة من الأم وهو القصد كانه يعني الوقت المقصود بايقاع هذا الموعود فيه (السؤال الثالث) لم قال وحاق على لفظ الماضي مع ان ذلك لم يقع (والجواب) قد مر في هذا الكتاب آيات كثيرة من هذا الجنس والضابط فيها انه تعالى اخبر عن احوال القيامة بلفظ الماضي مبالغة في التأكيد والتقرير قوله تعالى (ولئن اذقنا الانسان منا راحة ثم ترجعنا منه انه ليقس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيات عني انه لفرح بخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مقرة واجر كبير) اعلم انه تعالى لما ذكر ان عذاب اولئك الكفار وان تأخر الا انه لا بد وان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب فقال ولئن اذقنا الانسان وفيه مسائل (السئلة الاولى) لفظ الانسان في هذه الآية فيه قولان (الاول) ان المراد منه مطلق الانسان ويدل عليه وجوه (الاول) انه تعالى استثنى منه قوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات والاستثناء يخرج من الكلام ما لا يلدخل تحت ان الانسان المذكور في هذه الآية داخل فيه المؤمن والكافر وذلك يدل على ما قلناه (الثاني) ان هذه الآية موافقة على هذا التقرير لقوله تعالى والعصر ان الانسان لني خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وموافقة ايضا لقوله تعالى ان الانسان خلق هلو ا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا (الثالث) ان مزاج الانسان مجبول على الضعف والعجز قال ابن جرير

بان المراد بالذات والمقصود الاصل مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك الخط الرائع اعماها وظهورها كالحسنين وان ذلك لكونه على أتم الوجوه الالفة واكل الاساليب الرائقة بوجوب العمل بموجبه بحيث لا يبيد احد عن سننه المستبين بل يهتدى

مثل فرد الى ما يشهد اليه من مطلق الايمان والطاعة واتما التواضع بينهم في مراتبها بحسب القوة والشعف والكثرة ولتلك وما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوى الضلال فيعمل من الاندراج (٦٠) تحت الوقوع فضلا عن أن ينظم ظهوره في سلك

العلمة الغائبة لتلك الصنع البديع واتما هو عمل يصدر عن عالمه بسوء اختياره من غير متعمد له ولا تقرب ولا يبغي ما فيه من الترفع في الترق في المصارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة تقاضها والله تعالى اعلم (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت) على ما يوجب حجية الاشهاد ليرتب عليه الجزاء المترفع على ظهور مراتب الاعمال (ليقول الذين كفروا) ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم المجمع المكلفين فالوصول مع صلته لتفصيل اي ليقول الكافرون منهم وان وجهه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم (ان هذا الاصح مبين) اي مثله في المديونة والبطالان وهذا اشارة الى القول المذكور اولى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي الخلق الانهم عند سماعهم ذلك تخصوا الى القرآن لا ينافيه عنده كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فممسدوا الى تكمينه وتسمينه سحرا لعمادتهم في العناد وتقادي عن سن الرشاد وقيل هو اشارة الى النفس البعث ولا يلائمه التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود ظاهر الاصل له في الحقيقة نفس البعث عندهم معدوم بمقتضى وتعلق الآية الكريمة بتأجيلها اما من حيث ان البعث كاشف اليه من ثبات الابتداء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فائدة من مقدماته وقضية فردة من ثباته لا يتلغثون في الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا يصح له اصلا فضلا عن تصديق ما هذه من ثباته وامام من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل (النعمة) وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بأنه يعيدهم تارة اخرى وهو اهلون عليه يقولون

في تفسير هذه الآية يا ابن آدم اذا نزلت بك فهمة من الله فانت كفور فاذا نزلت منك فيؤس قنوط (والقول الثاني) ان المراد منه الكافر ويدل عليه وجوه (الاول) ان الاصل في المفرد المحلى بالالف واللام ان يحمل على المعهود السابق لولا المانع وههنا الامانع فوجب حمله عليه والمعهود السابق هو الكافر المذكور في الآية المتقدمة (الثاني) ان الصفات المذكورة للانسان في هذه الآية لا تليق بالكافر لانه وصفه بكونه يؤسا وذلك من صفات الكافر لقوله تعالى انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ووصفه ايضا بكونه كفورا وهو تصريح بالكفر ووصفه ايضا بأنه عند وجدان الراحة يقول ذهب السيئات عني وذلك جرامة على الله تعالى ووصفه ايضا بكونه فرحا والله لا يحب الفرحين ووصفه ايضا بكونه فخورا وذلك ليس من صفات اهل الدين ثم قال الناظرون لهذا القول وجب ان يحمل الاستثناء المذكور في هذه الآية على الاستثناء المتقطع حتى لا تنز مناهذه المحذورات (المسئلة الثانية) لفظ الاذاقة والذوق يفيد اقل ما يوجب العظم فكان المراد ان الانسان يوجد اقل القليل من الخيرات العاجلة يقع في التردد والطغيان وبإدراك اقل القليل من المحنة والبلية يقع في اليأس والقنوط والكفران فالذوق في نفسها قليلة والحاصل منها للانسان الواحد قليل والاذاقة من ذلك القدر خير قليل ثم انه في سرعة الزوال يشبه احلام النائم وخيالات الموسمين فهذه الاذاقة قليل من قليل ومع ذلك فان الانسان لا طاقة له بتحملها ولا صبر له على الاتيان بالطريق الحسن معها واما النعماء فقال الواحدى انها انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة يظهر اثرها على صاحبها لانها خرجت بخارج الاحوال الظاهرة نحو جوارح وعوراء وهذا هو الفرق بين النعمة والنعماء والمضرة والضراء اعلم ان احوال الدنيا غير باقية بل هي ابدا في التغير والزوال والتحول والانتقال الان الضابط فيه انه امان يتحول من النعمة الى المحنة ومن اللذات الى الآفات واما ان يكون بالعكس من ذلك وهو ان ينتقل من المكروه الى المحبوب ومن المحرمات الى الطيبات (اما القسم الاول) فهو المراد من قوله ولئن أذقنا الانسان منارحة ثم عزعناهم انه ليؤس كفور وحاصل الكلام انه تعالى حكم على هذا الانسان بأنه يؤس كفور وتقديره ان يقال انه حال زوال تلك النعمة يصير يؤسا وذلك لان الكافر يعتقد ان السبب في حصول تلك النعمة سبب اتفاقي ثم انه يستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة اخرى فلأجرم يستبعد عود تلك النعمة فيقع في اليأس واما المسلم الذي يعتقد ان تلك النعمة انما حصلت من الله تعالى وفضله واحسانه وطوله فانه لا يحصل له اليأس بل يقول لعله تعالى يردها الي بدد ذلك اكل واحسن وافضل مما كانت واما حال كون تلك النعمة حاصلة فانه يكون كفورا لانه لما اعتقد ان حصولها انما كان على سبيل الاتفاق او بسبب ان الانسان حصلها بسبب جده وجهده فيحتنذ لا يشغل بشكر الله تعالى على تلك النعمة فالحاصل ان الكافر يكون عند زوال تلك

ولا يتلغثون في الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا يصح له اصلا فضلا عن تصديق ما هذه من ثباته وامام من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل (النعمة) وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بأنه يعيدهم تارة اخرى وهو اهلون عليه يقولون

ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرأ جزء والكسائي الاسحر على ان الاشارة الى القائل او الى القرآن على اسلوب شعر شاعر وقرأ بالفتح على تصنيف قلت معنى ذكر ت اوعلى ان تلك بمعنى عك في ذلك (٦١) اي ولئن قلت لعنكم ميمونون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال الخاطئين اي توقعوا ذلك

والنعمه يؤوسا وعند حصولها يكون كفورا (واما القسم الثاني) وهو ان ينقل الانسان من المكروه الى المحبوب ومن المنحة الى النعمة فهنا الكافر يكون فرحا فخورا اما قوة الفرح فلان انتهى طمع الكافر هو الفوز بهذه السعادات الدنيوية وهو منكر للسعادات الاخرية الروحانية فاذا وجد الدنيا فكأنه قد فاز بغاية السعادات فلا جرم يعظم فرحه بها واما كونه فخورا فلانه لما كان الفوز بأسرها المطلوب نهاية السعادة لا جرم يفتخر به فحاصل الكلام انه تعالى بين ان الكافر عند البلاء لا يكون من الصابرين وعند الفوز بالشعاع لا يكون من الشاكرين ثم لما قرر ذلك قال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات والمراد منه ضد ما تقدم فقلوه الا الذين صبروا والمراد منه ان يكون عند البلاء من الصابرين وقوله وعملوا الصالحات المراد منه ان يكون عند الراحة والخير من الشاكرين ثم بين حالهم فقال اولئك لهم مغفرة واجر كبير فجمع لهم بين هذين المطلوبين (احدهما) زوال العقاب والخلص منه وهو المراد من قوله لهم مغفرة (والثاني) الفوز بالثواب وهو المراد من قوله واجر كبير ومن وقف على هذا التفصيل الذي ذكرناه علم ان هذا الكتاب الكريم كما انه معجز بحسب الفاظه فهو ايضا معجز بحسب معانيه ﴿ قوله تعالى (فلعننا تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدورك ان يقولوا ولا تنزل عليه كبر اوجاه معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل) اعلم ان هذا نوع آخر من مكات الكفار والله تعالى بين ان قلب الرسول ضاق بسببه ثم انه تعالى قواه وابده بالاكرام والتأييد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون اننا باللائكة بشهدوا بنبوك فقال لا قدر على ذلك فزلت هذه الآية واختلفوا في المراد بقوله تارك بعض ما يوحى اليك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال المشركون لنبى صلى الله عليه وسلم اننا بكتاب ليس فيه شتم آلهتنا حتى تبعك ونؤمن بك وقال الحسن طلبوا منه لا يقول ان الساعة آتية وقال بعضهم المراد نسبتهم الى الجهل والتقليد والاصرار على الباطل (المسئلة الثانية) اجمع المسلمون على انه لا يجوز على الرسول عليه الصلاة والسلام ان يخون في الوحي والتزيل وان يترك بعض ما يوحى اليه لان تجوز به يؤدي الى الشك في كل الشرائع والتكاليف وذلك يقتض في النبوة وايضا فالقصود من الرسالة تبليغ تكاليف الله تعالى واحكامه فاذا لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن ان تقيد فائدتها المطلوبة منها واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من قوله فلعلنا تارك بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى انه عليه السلام فعل ذلك وللناس فيه وجوه (الاول) لا يمتنع ان يكون في معلوم الله تعالى انه انما يترك التخصير في اداء الوحي والتزيل لسبب رد عليه من الله تعالى امثال هذه التهديدات البليغة (الثاني) انهم كانوا لا يعتقدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يلقى اليهم

يخون فيسما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد سبق للمول حيث لا يجبال لنقدم المامل كما في قوله تعالى فاما اليك فلا تقهر واما المسائل فلا تقهر فان النبى والسائل مع حكونهما منصوبين بالفتلين الجزومين قد قدما على الانسانية مع امتناع تقديم الفعلين عليها

قال ابراهيمان وقد تثبتت جهة من دواوين العرب فلم انظر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله الاما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر فيأبى فايزداد الالجابحة وكنت اياقي الخالست (٦٢) اقدم (وحاق بهم) اى احاط بهم (ما كانوا به

يستهنون) اى العذاب الذى كانوا يستهلجون به استهزاء وفى التعبير عنه بالموصول توهيل لما كانه واشعار بعيلة ماورد فى حيز الصلة من استهزاءهم به لتزوله واحاطته والتبصير عنها بالمخبر واراد على عادة الله تعالى فى اخباره لانها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموصولة وفى ذلك من الغفامة والدلالة على علو بيان الخبر وتقرير وقوع الخبره مالا يخفى) ولئن اذقتنا الانسان منا رجة) اى اعطيتنا نصمتن مصفاة ومن وجدة وغيرها واصلناها اليه بحيث يبعد لذتها) ثم نزعنا منه) اى سلبنا اياها) وارباد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها (انه ليرس) شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا او آجلا بفضل الله تعالى لقلته صبره وعدم توكله عليه وقتته به (كفور) عظيم الكفران لمساق من الذم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقبلون فيه من نعم الله عز وجل وتأخيرهم عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة امثاله فى العاجل وايصال اجره فى الاجل من باب الكفران للنعمة السابقة ايضا) ولئن اذقناه ندام بعد ضراء مسته) كحكمة بتقديم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفى التعبير عن ملابس الرجة والنهام بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابس الضراء بالمشعر بكونها فادنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني مالا يخفى من الجزالة (المراد)

والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما

ينالهم ذلك بسوء اختيارهم ليلابوا كانه يا حق البشارة من غير تأخير وامازع الرحمة فاعلم صدر عنه بقضية الحكمة العارضة الى ذلك وهي كفرتهم بها كما سبق وتكبر الرحمة (٦٣) باعتبار لحوق التزع بها (يقولون ذهب السيئات عني) اي المصائب التي تسوق

ولن تعترين بعد امثالها كما هو شأن اولئك لاشراق فان التزكيا لوردود امثالها بما يكدر السورور ويشغل العيش (الله لفرح) بطر وشر بانتم مغترها (خشور) على الناس بما اتوا من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقوقهم والام في لئق في الآيات الاربع مؤلفة للقسس وجوابه سادس وجواب الشرط (الا الذين صبروا) على ما صابهم من الضراء سابقا ولا حقا ايمانا بالله واستسلاما لفتنائه (وعلموا الصالحات) شكرا على آلائه المسافقة والالتفة واللام في الانسان اما لاستعراق الخس فالاستثناء متصل اوله مفيد لقطع (اولئك) اشارة الى الموصول باعتبار انصافه بما في حيز الصلة ومافيه من معنى الابدان للابدان يعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة (لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم وان جت (واجر) ثواب لاعمالهم الحسنة (كبير) ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاعة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الاستبلاء واقع موقع التفصيل من الاجال الواقع في قوله تعالى ليلوبكم ايكم احسن علا والمعنى ان كل من اذاع النعماء وزعمها مع كونه ابتلاء للانسان يشكر ام يكفر لا يهتدى (٢) الى سنن الصواب بل يهتدى في كلنا الخالقين عندنا في هاهنا الضلال فلا يظهر منه باحسن عمل الامن الصابرين الصالحين او من حيث ان انكارهم بالبعث واستنساخهم العذاب بسبب بطرهم وفخرهم كما نه قبل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان ٢ قوله لا يهتدى الخ ظاهر العبارة خلو الجلته من رابط يربطها باسم ان لان الصغير المستر في يهتدى عائذ على الانسان كما لا يخفى فلعل الرابط محذوف والتقدير لا يهتدى فيه الخ تأمل اه (مصححه)

المراد هو المجموع لان مجموع السور العشرة شئ واحد (المسئلة الثانية) قال ابن عباس هذه السورة التي وقع بها هذا التحدى معينة وهي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة ويونس وهو عدل بهما السلام وقوله فاتوا بعشر سور مثله مفتريات اشارة الى السور المتقدمة على هذه السورة وهذا فيه اشكال لان هذه السورة مكينة وبعض السور المتقدمة على هذه السورة مدنية فكيف يمكن ان يكون المراد من هذه العشر سور التي ما تزلت عندها الكلام فالاولى ان يقال التحدى وقع بملق السور التي يظهر فيها قوة تركيب الكلام وتأليفه واعلم ان التحدى بعشر سور لا بد وان يكون سابقا على التحدى بسورة واحدة وهو مثل ان يقول الرجل لغيره اكتب عشرة اسطر مثل ما اكتب فاذا ظهر مجزء عنه قال قد اقتصرمت منها على سطر واحد مثله اذا عرفت هذا فنقول التحدى بالسورة الواحدة ورد في سورة البقرة وفي سورة يونس كما تقدم اما تقدم هذه السورة على سورة البقرة فظاهر لان هذه السورة مكينة وسورة البقرة مدنية واما في سورة يونس فالاشكال زائل ايضا لان كل واحدة من هاتين السورتين مكينة والدليل الذي ذكرناه يقتضي ان تكون سورة هود متقدمة في النزول على سورة يونس حتى يستقيم الكلام الذي ذكرناه (المسئلة الثالثة) اختلف الناس في الوجه الذي لاجله كان القرآن مجزءا فقال بعضهم هو الفصاحة وقال بعضهم هو الاسلوب وقال ثالث هو عدم التناقض وقال رابع هو اشتغاله على العلوم الكثيرة وقال خامس هو الصرف وقال سادس هو اشتغاله على الاخبار عن الغيوب والخوارق عندى وعند الاكثرين انه مجزء بسبب الفصاحة واحتجوا على صحة قولهم بهذه الآية لانه لو كان وجه العجائب هو كثرة العلوم او الاخبار عن الغيوب او عدم التناقض لم يكن قوله مفتريات بمعنى اما اذا كان وجه العجائب هو الفصاحة صح ذلك لان فصاحة الفصحى تظهر بالكلام سواء كان الكلام صدقا او كذبا وايضا لو كان الوجه في كونه مجزءا هو الصرف لكان دلالة الكلام الركيك النازل في الفصاحة على هذا المطلوب اوكد من دلالة الكلام العالي في الفصاحة ثم انه تعالى لما قرر وجه التحدى قال وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين والمراد ان كنتم صادقين في ادعاء كونه مفترى كما قال أم يقولون افتراء واعلم ان هذا الكلام يدل على انه لا بد في اثبات الدين من تقرير الدلائل والبراهين وذلك لانه تعالى اورد في اثبات نبوة محمد عليه السلام هذا الدليل وهذه الحجج ولو لا ان الدين لا يتم الا بالدليل لم يكن في ذكره فائدة * قوله تعالى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما ازل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون) اعلم ان الآية المتقدمة اشتملت على خطابين (احدهما) خطاب الرسول وهو قوله قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات (والثاني) خطاب الكفار وهو قوله وادعوا من استطعتم من دون الله فلما تبعد بقوله فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لتعذرها عليهم واحتمل ان

مجبولة على ذلك (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكوبها من عند الله عز وجل لانه اذن واعية (وضأنه صدره) اى عارضك ضيق صدر يتلونه عليهم وتبلغه اليهم (٦٤) قاتله الدعوة والحاجة (ان يقولوا) لان

يقولوا تعاميا عن ذلك البراهين التي لا تنكاد تخفى صحتها على احد ممن لاهادى بصيرة وتماذى فى العناد على وجه الاقتراح (لولا انزل عليه) مال خطير يحزن ويدل على صدقه (اوجاه معه ملك) يصدقه قيل قاله عبد الله بن امية الخزومي وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبيا ان كنت رسولا وقال آخرون اننا بالمكة يشهدون بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فزلت فكانه عليه الصلاة والسلام لما عاين اجترأهم على اقتراح مثل هذه المظالم غير قائلين بالبينات الباهرة فالتى كانت تضطرهم الى القول لو كانوا من ارباب العقول وشاهدوا كرمهم من الكرامة من كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالكذب والاستهزاء وتسيها صرا مثل حاله عليه الصلاة والسلام بحال من توقع منه ان يضيى صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبلغها اليهم فعمل على الحذر منه بما فى ليل من الاشفاق ففيل (انما انت نذير) ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول (والله على كل شئ وكيل) يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بمالهم والاقتصار على التبر في افضى غاية من اصابة اخر (ان يقولون اقتراب اضراب يام النقطعة عن ذكر ترك اعتدائهم بما يوحى فسادهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المحيرات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته عليه الصلاة والسلام وشروع في ذكر ارتكابهم (الاصول)

يدعونه من دون الله لم يستجيبوا لهذا السبب اختلف المفسرون على قولين فبعضهم قال هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين والمراد ان الكفار ان لم يستجيبوا لكم في الايتين بالمعارضة فاعلموا انما انزل بعلم الله والمعنى قاتلوا على العلم الذى انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله ومعنى قوله فهل انتم مسلمون اى فهل انتم مخلصون ومنهم من قال فيه اضمار والتقدير قولوا ايها المسلمون للكفار اعلموا انما انزل بعلم الله والقول الثانى ان هذا خطاب مع الكفار والمعنى ان الذين تدعونهم من دون الله اذ لم يستجيبوا لكم في الايتان على المعارضة فاعلموا ايها الكفار ان هذا القرآن انما انزل بعلم الله فهل انتم مسلمون بعد لزوم الجملة عليكم والقائلون بهذا القول قالوا هذا اولى من القول الاول لانكم في القول الاول احيتم الى ان حلتكم قوله فاعلموا على الامر بالثبات اولى اضمار القول وعلى هذا الاحتمال لا حاجة فيه الى اضمار فكان هذا اولى وايضا فعود الضمير الى اقرب المذكورين واجب واقرّب المذكورين في هذه الآية هو هذا الاحتمال الثانى وايضا ان الخطاب الاول كان مع الرسول عليه الصلاة والسلام وحده بقوله قل فأتوا بعسر وسوروا الخطاب الثانى كان مع جماعة الكفار بقوله وادعوا من استطعتم من دون الله وقوله فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الجماعة فكان حله على هذا الذى قلناه اولى بقى في الآية سوالات (السؤال الاول) ما الشئ الذى لم يستجيبوا فيه (الجواب) المعنى فان لم يستجيبوا لكم في معارضة القرآن وقال بعضهم فان لم يستجيبوا لكم في جملة الايمان وهو بعيد (السؤال الثانى) من المشار اليه بقوله لكم والجواب ان جعلنا قوله فان لم يستجيبوا لكم على المؤمنين فذلك ظاهر وان جعلناه على الرسول فعنه جوابان (الاول) المراد فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان الرسول عليه السلام والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقال فى وضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم (والثانى) يجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم (السؤال الثالث) اى تعلق بين الشرط المذكور في هذه الآية وبين ما فيها من الجزاء (الجواب) ان القوم ادعوا كون القرآن مفترى على الله تعالى فقال لو كان مفترى على الله لوجب ان يهدر الخلق على مثله ولم يقدروا عليه ثبت انه من عند الله فقوله انما انزل بعلم الله كناية عن كونه من عند الله ومن قبله كما يقول الحاكم هذا الحكم جرى بعلى (السؤال الرابع) اى تعلق لقوله وان لاله الا هو يعجزهم عن المعارضة والجواب فيه من وجوه (الاول) انه تعالى لما امر محمد صلى الله عليه وسلم حتى يطلب من الكفار ان يستعينوا بالاصنام في تحقيق المعارضة ثم ظهر عجزهم عنها فحينئذ ظهر انها لا تنفع ولا تنصر فشىء من المطالب البتة ومتى كان كذلك فقد بطل القول باثبات كونهم آلهة فصار عجز القوم عن المعارضة بعد الاستعانة بالاصنام مبطلا لآلية الاصنام ودليلا على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان قوله وان لاله الا هو اشارة الى ما ظهر من فساد القول بالآلية الاصنام (الثانى) انه ثبت في علم

ما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمة للتوبخ والانكار والتجبر والضيمير المستكن في افتراءه للشيء صلى الله عليه وسلم

والبارز لما يوحى اى بل يقولون افتراه وليس من عند الله (فل) ان كان الامر كما يقولون (فأثوا) انتم ايضا (بشر سور مثله) في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور (٦٥) اى امثاله وتوسيده اما باعتبار كل واحدة منها اولان المطابقة

ليست بشرط حتى يوصف المتى بالمفرد كما في قوله تعالى أنؤمن لبشرين مثلنا وللايمان الى وجه الشبه ومدار الباطلة في الجمع متى واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجمع واحد (مفتريات) صفة اخرى لسور اشترت عن وصفها بالباطلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالكيف اذ بها يظهر عجزهم وقصورهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه متى في مقام التعدي وانما ذكر على نهج المساهلة وارضا، العنان ولانه لوعكس الترتيب ليراعوا ان المراد هو الباطلة في الافتراء والمعنى فأثوا بغير سور مماثلة في البلاغة مختلفات من عند انفسكم ان معاني اختلفت من عندى فانكم اقدر على ذلك منى لانكم حارب فضها بلقاء قدما رستم مبادئ ذلك من الخطب والاصار وحفظم الوقائع والايام وزاوتهم اساليب النظم والنثر (وادعوا) للاستظهار في المعارضة (من استعظم) دعاه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها مودة لكم في كل ما تاتون وما تدرسون والكنهه ومدار همكم الذين تجبون الى آرائهم في الحالت ليسعدوكم فيها (من دون الله) متعلق بأدعوا اى متجاوزين الله تعالى (ان كنتم صادقين) اى اى اقربوه فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بثلثه وهو ايضا يستلزم قدرتم عليه والحوباب محذوف يدل عليه المذكور (فان يستجيبوا لكم) اى فان لم يفعلوا ما كلوه من الاتيان بثلثه كقوله تعالى فان لم يفعلوا

الاصول ان القول بنفى الشريك عن الله من المسائل التي يمكن اثباتها بقول الرسول عليه السلام وعلى هذا فكأنه قيل لما ثبت عجز الخصوم عن المعارضة ثبت كون القرآن حقا وثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى الرسالة ثم انه كان يخبر عن انه لا اله الا الله فلما ثبت كونه حقا في دعوى النبوة ثبت قوله ان لا اله الا هو (الثالث) ان ذكر قوله وان لا اله الا هو جار مجرى التهديد كأنه قيل لما ثبت بهذا الدليل كون محمد عليه السلام صادقا في دعوى الرسالة وعلم انه لا اله الا الله فكفونا خائفين من قهره وعذابه واتركوا الاصرار على الكفر واقلوا الاسلام ونظيره قوله تعالى في سورة البقرة عند ذكر آية العمدى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والجارح اعدت للكافرين واما قوله فهل انتم مسلمون فان قلنا انه خطاب مع المؤمنين كان معناه الترهيب في زيادة الاخلاص وان قلنا انه خطاب مع الكفار كان معناه الترهيب في اصل الاسلام * قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لايبصرون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) اعلم ان الكفار كانوا ينادون بمحمد صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال فكانوا يظهر من انفسهم ان محمدا مبطل ونحن محقون وانما نبالغ في منازعته لتحقيق الحق وابطال الباطل وكانوا كاذبين فيه بل كان غرضهم محض الحسد والاستكفاف من المتابعة فأثزل الله تعالى هذه الآية لتقرير هذا المعنى ونظير هذه الآية قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقوله من كان يريد حرث الآخرة زدله في حربه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤم منها وماله في الآخرة من نصيب وفي الآية مسائل (السئلة الاولى) اعلم ان في الآية قولين (الاول) انها مختصة بالكفار لان قوله من كان يريد الحياة الدنيا بدرجة فيه المؤمن والكافر والصدىق والزندق لان كل احد يريد التمتع بلذات الدنيا وطيباتها والانتفاع بخيراتا وشهواتها الا آخر الآية يدل على ان المراد من هذا العام الخاص وهو الكافر لان قوله تعالى اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون لا يلقى الا بالكفار فصار تقدير الآية من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها فقط اى تكون ارادته مقصورة على حب الدنيا وزينتها ولم يكن طالبا لسعادات الآخرة كان حكمه كذا وكذا ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فيه فذهب من قال المراد منهم منكروا البعث فانهم يتكروا الآخرة ولا يرغبون الا في سعادات الدنيا وهذا قول الاصم وكلامه ظاهر (والقول الثاني) ان الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوه مع الرسول عليه السلام الغنائم من دون ان يؤمنوا بالآخرة فتوا بها (والقول الثالث) ان المراد اليهود والنصارى وهو منقول عن أنس (والقول الرابع) وهو الذى اخشاه القاضي ان المراد من كان يريد بعمل الخير الحياة الدنيا وزينتها وعمل الخير قسمان العبادات وابطال المنفعة الى

وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه عليه الصلاة (٩) (را) (خا) والسلام على كمال امن من امره كان امره لهم بالاتيان بثلثه دعاء لهم اى امر يريد وقوعه الضمير في لكم للرسول عليه الصلاة والسلام والجب للتنظيم كما في قول من قال

« وان شئت حرمت النساء سواكم » اوله للمؤمنين لانهم اتبعوا عليه الصلاة والسلام في الامر بالهدى وفيه تنبيه لطيف على ان حقه ان لا ينتكوا عنه عليه الصلاة والسلام (٦٦) ويناصبوا منه له راحة لعارضين كما كانوا في الجهد

وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمانينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل (فاعلموا) اي اعملوا حين ظهر لكم مجرم عن المعارضة مع تالكهم عليها علما يقينا متأكدا من اليقين بحيث لا مجال معه لشك في ربه بوجه من الوجوه كأن ما عاهد من مراتب العلم ليس يعلم لكن لالاشعار بانقطاع تلك المراتب بل بارتقاع هذه المرتبة وبه يتضح سر اذ كلة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تذبذب سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتذبذب الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او انه واستروا على ما كنتم عليه من العلم (انما انزل) متنبها (يعلم الله) الخصوص به بحيث لا يصوم حوله العقول والافهام مستتبدا بخصائص الاجازات من جهتي النظم الرائق والاشعار بالغيب (وان الله الا هو) اي واكملوا ايضا ان لا يترك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه احد (فهل انتم مسلمون) اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والتوقية الى معارج اليقين ويصور ان يكون الخطاب في الكل للبشر من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم فاحلقت الامر بالهدى والضيق فلم يستجيبوا ان استطعت اي فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من الهم تجادون في مهماتكم وملائكم الى العداونة والمطاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر

وانه منزل من خالق القوى والقدرة فايد كلة الشك حيث تهم الجزم بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم تفهم لهم وتسجيل (الساعات) عليهم كمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبق بالدعاء المسبق بجزمهم

واضطرابهم فكانه قيل غالم يستحيوا لكم عند اتجاؤكم اليهم بعد ما اضطربتم الى ذلك وضافت عليكم الجليل وعيت بكم العليل اومن حيث ان من يستعدونهم اقوى منهم في اعتقادهم (٦٧) فاذا ظهر مجرمهم بدم استجابهم وان كان ذلك قبل ظهور

السعادات لامتنع ان يأتي بالخيرات لاجل الدنيا وينسى امر الآخرة فثبت ان الاتقي باعمال البر لاجل الدنيا لا بد وان يكون عظيم الرغبة في الدنيا عديم الطلب للآخرة ومن كان كذلك فاذا مات فانه بفوته جميع منافع الدنيا ويبقى عاجزا عن وجدانها غير قادر على تخصيصها ومن احب شيئاً لم يحل بينه وبين المطلوب فانه لا بد وان تستعمل في قلبه نيران الحسرات فثبت بهذا البرهان العقلي ان كل من أتى بعمل من الاعمال لطلب الاحوال الدنيوية فانه يمد تلك المنفعة الدنيوية اللاشعة بذلك العمل ثم ادامات فانه لا يحصل له منه الا انار ويصير ذلك العمل في الدار الآخرة محبطا باطلا عديم الاثر **قوله تعالى**

(أفن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فلنارهم وعده فلانك في مرة منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) اعلم ان تعلق هذه الآية بمقابلها ظاهر والتقدير أفن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزخواتها وليس لهم في الآخرة الا النار الا انه حذف الجواب لظهوره ومثله في القرآن كثير كقوله تعالى أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء وقوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وقوله قل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون واعلم ان اول هذه الآية مشتق على الفاظ اربعة كل واحد منها مجمل (فالاول) ان هذا الذي وصفه الله تعالى بأنه على بينة من ربه من هو (والثاني) انه ما المراد بهذه البينة (والثالث) ان المراد بقوله يتلوه القرآن او كونه حاصلًا عقيب غيره (والرابع) ان هذا الشاهد ما هو فذهد الالفاظ الاربعة بمجمله فلهذا كثر اختلاف المفسرين في هذه الآية (اما الاول) وهو ان هذا الذي وصفه الله تعالى بأنه على بينة من ربه من هو قاتل الرادية النبي عليه الصلاة والسلام وقيل المراد به من آمن من اليهود كعبدة الله بن سلام وغيره وهو الاظهر لقوله تعالى في آخر الآية أولئك يؤمنون به وهذا صيغة جمع فلا يجوز رجوعه الى محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالبينة هو البيان والبرهان الذي عرف به صحة الدين الحق والضمير في يتلوه يرجع الى معنى البينة وهو البيان والبرهان والمراد بالشاهد هو القرآن ومنه اى من الله ومن قبله كتاب موسى اى ويتلوه ذلك البرهان من قبل مجيئ القرآن كتاب موسى واعلم ان كون كتاب موسى تابعا للقرآن ليس في الوجود بل في دلالاته على هذا المطلوب وامامانصب على الحال فالحاصل انه يقول اجتمع في تقرير صحة هذا الدين امور ثلاثة (اولها) دلالة البينات العقلية على صحته (وثانيها) شهادة القرآن بصحته (وثالثها) شهادة التوراة بصحته فعند اجتماع هذه الثلاثة لا يبقى في صحته شك ولا ريب فهذا القول احسن الالفاظ في هذه الآية وأقربها الى مطابقة اللفظ وفيها أقوال أخر (فالقول الاول) ان الذي وصفه الله تعالى بأنه على بينة من ربه هو محمد عليه السلام والبينة هو القرآن والمراد بقوله يتلوه هو التلاوة بمعنى القراءة وعلى هذا التقدير فذكروا في تفسير الشاهد وجوه

بجز انفسهم يصكون مجرمهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان آلهتم بمعزل عن رتبة الشركة في الاولوية واحكامها فهل اتم داخلون في الاسلام اذ لم يبقى بعد ثابتة شبهة في حقيقته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا اوليا او متقادون للحق الذي هو كون القرآن من عند الله تعالى وتلكون لما كنتم فيه من المبكرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بالغ لما فيه من معنى الطلب والتنبية على قيام الموجب وزوال العذر واقطاع ان يجيرهم آلهتهم من بأس الله عن سلطانة هذا والاول النسب لمسانة من قوله تعالى وضائق به صدره ولما سأتى من قوله تعالى فلانك في مرة منه واشد ارتباطا عما يقتضيه كاستحط به خيرا (من كان يريد الحياة الدنيا وزخواتها) اي ما ينشأ ويمسها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لاجرم الارادة القلبية لقوله تعالى (توف اليهم اعمالهم فيها) وادخل كان عليها دلالة على استقرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الاخرة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يحد كل متنى ما يتبادر ولا كل احد ينال كل ما يهواه فان ذلك منوط بالمسئلة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد المآلة مجتئاله فيها ما نفسا لمن يريد ولاكل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة

بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها غيراتها فاعلم في الحياة الدنيا كلمة وقرى يرفى على الاسناد الى الله عز وجل وتوف بالقواتية على البناء للفضول ورفع اعمالهم وقرى توفى بالتعفيف والرفع لكون الشرط مانسبا كقوله

وان آله خليل يوم مسددة * يقول لأغائب مالى ولا حرم (وهم فيها) اى فى الحياة الدنيا (لا يجسسون) اى لا يتقصون وانما عر
عن ذلك بالجس الذى هو نقص الحق مع ان ليس لهم شأبة (٦٨) حق فى أئوتوه كأعبر عن اعطائه بالتوفية التى هى اعطاء الحقوق

(احدها) انه جبريل عليه السلام والمعنى ان جبريل عليه السلام يقرأ القرآن على محمد
عليه السلام (وثانيها) ان ذلك الشاهد هو لسان محمد عليه السلام وهو قول الحسن
ورواية عن محمد بن الحنفية عن علي بن ابي طالب قال قلت لابي انت التالى قال وما معنى
التالى قلت قوله و يتلوه شاهد منه قال وددت انى هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولما كان الانسان انما يقرأ القرآن ويتلوه بلسانه لا جرم جعل اللسان تابعاً لى
سبيل المجاز كما يقال عين باصرة واذن سامعة ولسان ناطق (وثالثها) ان المراد هو علي بن
ابي طالب رضى الله عنه والمعنى انه يتلوت تلك البيعة وقوله منه اى هذا الشاهد من محمد
وبعض منه والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد عليه السلام (ورابعها)
ان لا يكون المراد بقوله ويتلوه القرآن بل حصول هذا الشاهد عقيب تلك البيعة وعلى
هذا الوجه قالوا ان المراد ان صورة النبي عليه السلام ووجهه ومخاطبه كل ذلك يشهد
بصدقه لان من فطر اليه بعقله علم انه ليس بمجنون ولا كاهن ولا ساحر ولا كذاب والمراد
بكون هذا الشاهد منه كون هذه الاحوال متعلقة بذات النبي صلى الله عليه وسلم (القول
الثانى) ان الذى وصفه الله تعالى بأنه على بيعة هم المؤمنون وهم اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد بالبيعة القرآن ويتلوه اى يتلو الكتاب الذى هو الجمعة يعنى ويعقبه
شاهد من الله تعالى وعلى هذا القول اختلفوا فى ذلك الشاهد فقال بعضهم انه محمد عليه
السلام وقال آخرون بل ذلك الشاهد هو كون القرآن واقفاً على وجه يعرف كل من نظر
فيه انه معجزة وذلك الوجه هو اشتماله على الفصاحة التامة والبلاغة الكاملة وكونه
بحيث لا يقدر البشر على الاتيان بمثله وقوله شاهد منه اى من تلك البيعة لان احوال
القرآن وصفاته من القراءات متعلقة به (وثالثها) قال الفراء ويتلوه شاهد منه يعنى الانجيل
يتلو القرآن وان كان قد ازل قبله والمعنى انه يتلوه فى التصديق وتقريره انه تعالى ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيل وامر بالايان به واعلم ان هذين القولين وان كانا
متمميين الا ان القول الاول اقوى واتم واعلم انه تعالى وصف كتاب موسى عليه السلام
بكونه اماماً ورجة ومعنى كونه اماماً انه كان مقدس العائين وامامهم يرجعون اليه
فى معرفة الدين والشرائع واما كونه رجة فلانه يهتدى الى الحق فى الدنيا والدين وذلك
سبب حصول الرجة والثواب فلا كان سبباً لدرجة اطلق اسم الرجة عليه اطلاقاً لاسم
المسبب على السبب ثم قال تعالى اولئك يؤمنون به والمعنى ان الذين وصفهم الله بأنهم على
بيعة من ربهم فى صحة هذا الدين يؤمنون واعلم ان المطالب على قمين منها ما يعلم صحته
بالبدية ومنها ما يحتاج فى تحصيل العلم بها الى طلب واجتهاد وهذا القسم الثانى على قمين
لان طريق تحصيل المعارف اما بالحجة والبرهان المستبسط بالعقل واما بالاستفادة من الوحي
والالهام فهذان الطريقان هما الطريقان اللذان يمكن الرجوع اليهما فى تعريف
الجهولات فاذا اجتماعا واعتضداً كل واحد منهما بالآخر بلغا الغاية فى القوة والوثوق

مع ان اعمالهم بمنزلة من كونها
مستوجبة لذلك بناءً للاسراع على
ظاهر الحال ومحافظة على صور
الاعمال ومبالغة فى نفي النقص
كان ذلك نقص لحقوقهم فلا
يدخل تحت الوقوع والصدور
عن الكرم اصلاً والمعنى انهم
فيها خاصة لا يتقصون محرمات
اعمالهم واجورها نقصاً كلياً
مطرداً ولا يصير مولها حراماً
صككياً واما فى الآخرة فهم
فى المراتب المطلق والياس المحقق
كأنطبق به قوله تعالى (اولئك)
الحق فانه اشارة الى المذكورين
باعتبار ارادتهم الحياة الدنيا
او باعتبار توفيق اجورهم من
من غير جسد او باعتبار هما معا
وما فيه من معنى البعد للايدان
ببعد منزلتهم فى سوء الحال اى
اولئك المريدون للحياة الدنيا
ونزولهم فى غير محرمات اعمالهم
من غير جسد (الذين ليس
لهم فى الآخرة الا النار) لان
همهم كانت مصروفة الى الدنيا
واعمالهم مقصورة على تضييقها
وقد اجتنابوا غيرهما ولم يكونوا
يريدون بها شيئاً آخر فلا حرم
لم يكن لهم فى الآخرة الا النار
وهذا هو الحاد (وسبب ما صنعوا
فيها) اى ظهر فى الآخرة جبوط
ما صنعوه من الاعمال التى كانت
تؤدى الى الثواب لو كانت معمولة
للاخرة اوجب ما صنعوه
فى الدنيا من اعمال البر اقشرت
الاعتداد بها الاخلاص (ويأمل)
اي نفسه (ما كانوا يعملون)
فى انشاء تحصيل المطالب
الدنيوية ولاجل ان الاول
من شأنه استتباع الثواب
والاجر وان عهده لمدى
مقارنته للامان والنيسة
الصحة وان الشاغل ليس له
جهة سائلة قط على الاول الجبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المتنى عن الحدوث والشاغل البطلان (ثم)

بأنقص من كونه بحيث لا يمكن تحته اصلاً بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازماً ثابتاً فيه وفى زيادة

كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدينية وقرئ وبطل على (٦٩) الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم

ثم ان في انشاء الله تعالى كثرة فاذا توافقت كلمات الانبياء على صحته وكان البرهان اليقيني قائما على صحته فهذه المرتبة قد بلغت في القوة الى حيث لا يمكن الزيادة عليها فقلوه أفن كان على بينة من ربه المراد بالينة الدلائل العقلية القينية وقوله ويتلوه شاهد منه إشارة الى الوحي الذي حصل لمحمد عليه السلام وقوله ومن قبله كتاب موسى اماما ورجة إشارة الى الوحي الذي حصل لموسى عليه السلام وعند اجتماع هذه الثلاثة قد بلغ هذا اليقين في القوة والظهور والجلاء الى حيث لا يمكن الزيادة عليه ثم قال تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالتار موعده والمراد من الاحزاب اصناف الكفار فيدخل فيهم اليهود والنصارى والجوس روى سعيد بن جبيرة عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي الا كان من اهل النار قال ابو موسى فقلت في نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثل هذا الا عن القرآن فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الاحزاب فالتار موعده وقال بعضهم لما دلت الآية على ان من يكفر به فالتار موعده دلت على ان من لا يكفر به لم تكن النار موعده ثم قال تعالى فلاتك في مربة منه انه احق من ربك وفيه قولان (الاول) فلاتك في مربة من جهة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله تعالى فكان متعلقا بما تقدم من قوله تعالى ام يقولون افترأه (الثاني) فلاتك في مربة من ان موعدا للكافر النار وقرئ مربة بضم الميم ثم قال ولكن أكثر الناس لا يؤمنون والتقدير لما ظهر الحق ظهورا في الغاية فكأن انت متابعه ولا تبال بالجهل سواء آمنوا او لم يؤمنوا والاقرب ان يكون المراد لا يؤمنون بما تقدم ذكره من وصف القرآن ﷺ قوله تعالى (ومن اعظم من افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم لالجنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويقفونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون) اعلم ان الكفار كانت لهم عادات كثيرة وطرق مختلفة فهاشدة حرصهم على الدنيا ورغبتهم في تحصيلها وقد ابطال الله هذه الطريقة بقوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الى آخر الآية ومنها انهم كانوا يتكبرون بنو الرسول صلى الله عليه وسلم وقد حوون في معجزاته وقد ابطال الله تعالى ذلك بقوله أفن كان على بينة من ربه ومنها انهم كانوا يزعمون في الاصنام انها شفعاؤهم عند الله وقد ابطال الله تعالى ذلك بهذه الآية وذلك لان هذا الكلام افترأ على الله تعالى فلما بين وعيد المفترين على الله فقد دخل فيه هذا الكلام واعلم ان قوله ومن اعظم من افترى على الله كذبا انما يورد في معرض المبالغوة بدلالة على ان الافتراء على الله تعالى اعظم انواع الظلم ثم انه تعالى بين وعيد هؤلاء بقوله اولئك يعرضون على ربهم وما وصفهم بذلك لانهم يختصون بذلك العرض لان العرض عام في كل العباد كما قال وحرصوا على ربك صفا وانما اراد به انهم يعرضون فيقتضون بان يقول الاشهاد عند عرضهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فحصل لهم من الخزي والنكال

الدنيوية وبيان ان ذلك معمول عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك اي بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والوحيد والاسلام فقيل (الفن كان على بينة من ربه) اي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقيقة ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو

القرآن وباعتباره أول برهان ذكره الخبير لراجع اليها في قوله تعالى (وتلووه) اي يتبعوه (شاهد) يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظم المطرد في كل مقدار سورة (٧٠) منه او ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب

وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير انه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه مزلًا بسم الله بشهادة الاعجاز (منه) اي من القرآن غير خارج عنه او من جهة الله تعالى فان كلامهما وارد من جهة تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يرد بالشاهد الجبروت الفاعلة على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التسامية للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد من قوله تعالى افن كل من الصف بهذه الصفة الجيدة فيدخل فيه فيه المخاطبون بقوله تعالى فاعملوا فويل اثم دخولوا اوليا وقبل هوالنبي صلى الله عليه وسلم و قيل مؤمنوا هل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه و قيل المراد بالبنية دليل العقل والشاهد اقرآن فالخير في منه الله تعالى والبنية اقرآن ويتلو من التلاوة والشاهد جبريل اولسان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له اومن التلو والشاهد ملك يحفظ والاول هو الاول ولا يمكن المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بجمته تكونه من عند الله تعالى لا يثبت لاشارته في مشهد من المشاهد فان اقرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدا الذي يشهد بأسرها الى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاهد عطف كتاب موسى في قوله عز قائل (ومن قبله كتاب موسى) على فاعله كونه مقدما عليه في التلو فكأنه قيل افن كان على بينة من ربه ويشهده شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى (قوله) وانما قدم في الذكر المؤخر في التلو لكونه وصفا لازما له غير مفارق غنه ولرائته في وصف التلو والتكميل في بينة وشاهد للتفهم

ما لا مزيد عليه وفيه سؤالات (السؤال الاول) اذا لم يحز ان يكون الله تعالى في مكان فكيف قال يعرضون على ربهم (والجواب) انهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال ويجوز ايضا ان يكون ذلك عرضا على من شاء الله من الملائكة والانباء والمؤمنين (السؤال الثاني) من الاشهاد الذين اصيب اليهم هذا القول (الجواب) قال مجاهد هم الملائكة الذين كانوا يحفظون اعمالهم عليهم في الدنيا وقال قتادة ومقاتل الاشهاد الناس كما يقال على رؤس الاشهاد يعنى على رؤس الناس وقال الآخرون هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى فلنستلن الذين ارسل اليهم ولنستلن المرسلين والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيلة (السؤال الثالث) الاشهاد جمع فواحد والجواب يجوز ان يكون جمع شاهد مثل صاحب واصحاب وناصر وانصار ويجوز ان يكون جمع شهيد مثل شريف واشراف قال ابو على الفارسي وهذا كأنه ارجح لان ما جاء من ذلك في التنزيل جاء على فيل كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وجثايبك على هؤلاء شهيدا ثم لا يخبر من حالهم في عذاب القيامة اخبر عن حالهم في الحال فقال ألا لعنة الله على الظالمين وبين انهم في الحال للمعانون من عند الله ثم ذكر من صفاتهم انهم يصدون عن سبيل الله ويقعونها عوجا يعنى انهم كما ظلموا انفسهم بالزنا والكفر والضلال فقد اضافوا اليه المنع من الدين الحق والقاء الشبهات وتعويج الدلائل المستقيمة لانه لا يقال في العاصي يعنى عوجا وانما يقال ذلك فيمن يعرف كيفية الاستقامة وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات وتقدير الضلالات ثم قال وهم بالآخرة هم كافرون قال الزجاج كلمة هم كررت على جهة التوكيد شأنتهم في الكفر قوله عز وجل (أولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون) اعلم ان الله تعالى وصف هؤلاء المنكرين الجاحدين بصفات كثيرة في معرض الذم (الصفة الاولى) كونهم مفترين على الله وهي قوله ومن اعظم من افترى على الله كذبا (الصفة الثانية) انهم يعرضون على الله في موقف الذل والهوان والخزي والنتكال وهي قوله أولئك يعرضون على ربهم (الصفة الثالثة) حصول الخزي والنتكال والفضيحة العظيمة وهي قوله ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم (الصفة الرابعة) كونهم ملعونين من عند الله وهي قوله ألا لعنة الله على الظالمين (الصفة الخامسة) كونهم صادين عن سبيل الله مانعين عن متابعة الحق وهي قوله الذين يصدون عن سبيل الله (الصفة السادسة) سعيهم في القاء الشبهات وتعويج الدلائل المستقيمة وهي قوله ويقعونها عوجا (الصفة السابعة) كونهم كافرين وهي قوله وهم بالآخرة هم كافرون (الصفة الثامنة) كونهم عاجزين عن الفرار من عذاب الله وهي قوله

عليه في التلو فكأنه قيل افن كان على بينة من ربه ويشهده شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى (قوله) وانما قدم في الذكر المؤخر في التلو لكونه وصفا لازما له غير مفارق غنه ولرائته في وصف التلو والتكميل في بينة وشاهد للتفهم

(أما) أي مؤثابه في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدور بيان ثلث الكتب ما لا ينبغي من تفهيم شأن الثواب (ورجة) أي نعمة عظيمة على من أنزل اليهم ومن بعدهم (٧١) إلى يوم القيامة باعتبار احكامهم السابقة المؤيدة بالقرآن العظيم وهم الاحالان من الكتاب

(اولئك) الموصوفون بتلك الصفة

الحجيدة وهي تكون على بينة من الله ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بما وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بأنهم (يؤمنون به) أي يصدقون بحق التصديق حسبما تشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيقته (ومن يكفر به) أي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة (من الاحزاب) من اهل مكة ومن تحبب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده) يردها لاجلته حسبما نطق به قوله تعالى ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بأن له فيها مالا يوصف من آفاتين العذاب (فلا تلك مرة منه) أي في شك من امر القرآن وكونه من عند الله عز وجل فيما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به (انه الحق من ربك) الذي يربك في دينك ودينك (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) بذلك اما القصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم فن في قوله تعالى ان كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لانه الحال عن ذكره وتقديره ان كان على بينة من ربه كما وتلك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم وما لهم يعني ان بينهم تفاوتاً عظيماً بحيث لا يتكاد يراه أي تراه اهما ويراد الفاء بعد الهزة لانكار ترتب فوهم المبالغة على ما ذكر من صفتهم

قوله اولئك لم يكونوا مهجرين في الارض قال الواحدى معنى الانحياز المنع من تحصيل المراد يقال انجزنى فلان أي معنى عن مرادى ومعنى مهجرين في الارض أي لا يمكنهم ان يهربوا من عذابنا فان هرب العبد من عذاب الله محال لانه سبحانه وتعالى قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالبعد والقرب والضعف (الصفة التاسعة) انهم ليس لهم اولياء يدفعون عذاب الله عنهم والمراد منه الرد عليهم في وصفهم الاصلان بأنها شفعاءهم عند الله والمقصود ان قوله اولئك لم يكونوا مهجرين في الارض دل على انهم لا قدرة لهم على الفرار وقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء هو ان احدا لا يقدر على تخليصهم من ذلك العذاب فجتمع تعالى بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في اخلاص من عذاب الدنيا والآخرة ثم اختلفوا فقال قوم المراد ان عدم نزول العذاب ليس لاجل انهم قدروا على منع الله من ازال العذاب ولا لاجل انهم ناصر ما يمنع ذلك العذاب عنهم بل انما حصل ذلك الامهال لانه تعالى امهلهم كي يتوبوا فيزولوا عن كفرهم فاذا ابوا الا الثبات عليه فلا بد من مضاعفة العذاب في الآخرة وقال بعضهم بل المراد لم يكونوا مهجرين لله عما يريد ازاله عليهم من العذاب في الآخرة او في الدنيا ولا يجدون وليا ينصرهم ويدفع ذلك عنهم (الصفة العاشرة) قوله تعالى يضاعف لهم العذاب قيل سبب تضعيف العذاب في حقهم انهم كفروا بالله والبعث والنشور فكفرهم بالبدأ والمعاد صار سببا لتضعيف العذاب والاصوب ان يقال انهم مع ضلالهم الشديد سعوا في الاضلال ومنع الناس عن الدين الحق فلهذا المعنى حصل هذا التضعيف عليهم (الصفة الحادية عشرة) قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يصرون والمراد ما هم عليه في الدنيا من صمم القلب وعمى النفس واحتجب اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى فيخلق في المكلف ما يمنع الاعمان روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال انه تعالى منع الكافر من الايمان في الدنيا وفي الآخرة اما في الدنيا ففي قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يصرون واما في الآخرة فهو قوله يدعو الى السجود فلا يستطيعون وحاصل الكلام في هذا الاستدلال انه تعالى اخبر عنهم انهم لا يستطيعون السمع فاما ان يكون المراد انهم ما كانوا يستطيعون سماع الاصوات والحروف واما ان يكون المراد كونهم عاجزين عن الوقوف على دلائل الله تعالى والقول الاول باطل لان البدئية دلت على انهم كانوا يسمعون الاصوات والحروف فوجب حمل اللفظ على الثاني اجاب الجبائى عنه بان السمع اما ان يكون عبارة عن الحاسة المخصوصة او عن معنى بخلافه الله تعالى في صماخ الاذن وكلاهما لا يقدر العبد عليه لانه لو اجتهد في ان يفعل ذلك او يتركه لتعذر عليه واذا ثبت هذا كان اثبات الاستطاعة فيه محالا واذا كان اثباتها محالا كان في الاستطاعة منه هو الحق ثبت ان ظاهر الآية لا يقدح في قولنا ثم قال المراد بقوله ما كانوا يستطيعون السمع اهمالهم له

وعدد من هنائه كأنه قيل ابد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كلاصف يتوهم المبالغة بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والاجل كافى قوله تعالى انما اتخذتم من دونه اولياء أي ابد ان عثموا رب السموات والارض انتم من دونه اولياء

وقوله تعالى اني اعلم انما اتزل اليك من ربك الحق كن هو اعني (ومن انظر عن ائمتي على الله كذا) بان نسب اليه ما لا يليق به فكذلكهم للملائكة بنسب الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (٧٢) وقولهم لا اله الا الله يعني انهم مع كفرهم

يا ربك الله تعالى مقرون عليه كذا وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احدا ظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصد مطردا انكار المساواة ونفيها وإفادة انهم الظلم من كل ظالم كإني عندهم ماسيئتي من قوله عن وجل لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فلذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حقا انه اكرم من كل كرم وافضل من كل فاضل (اولئك) الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الإشارة حصلت الغيبة عن اسناد العرض الى اعمالهم واكتفى بإسناده اليهم حيث قيل (يعرضون) لان عرضهم من تلك الخلية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افصح من عرض علمه من غيبته (على ربهم) الحق وفيه إيماء الى بطلان رأيهم في انفسادهم اربابا من دون الله عن وجل (ويقول الاشهاد) عند العرض من الملائكة والنبين اومن جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كما يصعب واشراق (هؤلاء) الذين كتبوا على ربهم (بالافتراء) عليه كان ذلك صراحا على غي عن الشهادة بوقوعه وانما يحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كتبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضارون جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كتبوا على ربهم ذمهم بذلك لاشهاد عليهم كما يشهد الله ويقول دون ويشهد الخ وتوطئة لما يعقب من قوله تعالى (اللعنة الله على الظالمين) بالافتراء (ينفعهم) المذكور فيجوز ان يكون هذا على الوجه الاول من كلام الله تعالى وفيه تهويل عظيم لما يحقق بهم من عقوبة ظلمهم اللهم انما نعوذ بك

ونفورهم عنه كما يقول القائل هذا كلام لا يستطيع ان اسمعه وهذا مما يجده سمعي وذكر غير الجاني عدرا آخر فقال انه تعالى نفي ان يكون لهم اولياء والمراد الاصنام ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصحكون للولاية والجواب اما جل الآية على انه لا قدر لهم على خلق الخاسرة على خلق المعنى فيها فباطل لان هذه الآية وردت في معرض الوعيد فلا بد وان يكون ذلك معنى مختصا بهم والمعنى الذي قالوه حاصل في الملائكة والانباء فكيف يمكن جعل اللفظ عليه واما قوله ان ذلك محمول على انهم كانوا يستقلون سماع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وابصار صورته فالجواب انه تعالى نفي الاستطاعة فحمله على معنى آخر خلاف الظاهر وايضا ان حصول ذلك الاستقلال اما ان يمنع من الفهم والوصول الى الغرض او لم يمنع فان منع فهو المقصود وان لم يمنع منه فحينئذ كان ذلك سببا اجنبيا عن المعاني المعتبرة في الفهم والادراك ولا تختلف احوال القلب في العلم والعرفة بسببه فكيف يمكن جعله ذمالمهم في هذا المعرض وايضا قد بينا مرارا كثيرة في هذا الكتاب ان حصول الفعل مع قيام الصارف محال فلما بين تعالى كون هذا المعنى صارفا عن قبول الدين الحق وبين فيه انه حصل حصولا على سبيل الزوم بحيث لا يزول البتة في ذلك الوقت كان المكلف في ذلك الوقت ممنوعا عن الايمان وحينئذ يحصل المطلوب واما قوله فانما جعل هذه الصفة من صفة الاوثان فبيد لانه تعالى قال ايضا عذب لهم العذاب ثم قال ما كانوا يستطعون السمع فوجب ان يكون الضمير في هذه الآية التأخرة عائدا الى عين ما عاد اليه الضمير المذكور في هذه الآية الاولى واما قوله ما كانوا يبصرون فقيل المراد منه البصيرة وقيل المراد منه انهم عدلوا عن ابصار ما يكون حجة لهم (الصفة الثابتة عشرة) قوله اولئك الذين خسروا انفسهم ومعناه انهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى فكان هذا الخسران اعظم وجوه الخسران (الصفة الثالثة عشرة) قوله وضل عنهم ما كانوا يشترون والمعنى انهم لما باعوا الدين بالدنيا فقد خسروا لانهم اعطوا الشريف ورضوا بأخذ الخسيس وهذا عين الخسران في الدنيا ثم في الآخرة فهذا الخسيس يضيع وبهالك ولا يبقى منه اثر وهو المراد بقوله وضل عنهم ما كانوا يشترون (الصفة الرابعة عشرة) قوله لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون وقدره ماتقدم وهو انه لما اعطى الشريف الرافع ورضى بالخسيس الوضيع فقد خسر في التجارة ثم لما كان هذا الخسيس بحيث لا يبقى بل لابد وان يهلك وبني انقلب تلك التجارة الى النهاية في صفة الخسارة فلهاذا قال لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون وقوله لا جرم قال الفرانها بمنزلة قولنا لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا تقول العرب لا جرم انك محسن على معنى حقا انك محسن واما النعويون فلم يه فيه وجوه (الاول) لا حرف نفي وجزم اي قطع فاذا قلنا لا جرم معناه انه لا قطع قاطع عنهم انهم في الآخرة هم الاخسرون (الثاني) قال الزجاج ان كلمة لا نفى لما ظنوا انه

عليهم كما يشهد الله ويقول دون ويشهد الخ وتوطئة لما يعقب من قوله تعالى (اللعنة الله على الظالمين) بالافتراء (ينفعهم) المذكور فيجوز ان يكون هذا على الوجه الاول من كلام الله تعالى وفيه تهويل عظيم لما يحقق بهم من عقوبة ظلمهم اللهم انما نعوذ بك

من الحزنى على رؤس الاشهاد (الذين يصدون) اى كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد (عن سبيل الله) عن دينه القويم (ويهونها عوجا) انصرفوا اى يصفونها بذلك (٧٢) وهى البعدى منها ويصفون اهلها ان يهرفوا عنها يقال يهرفك خبر او شرا اى

يقههم وجرم معناه كسب ذلك الفعل والمعنى لا يفتحهم ذلك وكسب ذلك الفعل لهم الخسران فى الدنيا والآخرة وذكرنا جرم بمعنى كسب فى تفسير قوله تعالى لا يجرمكم شأن قوم قال الازهرى وهذا من احسن ما قيل فى هذا الباب (الثالث) قال سيويه والاختش لارد على اهل الكفر كما ذكرنا وجرم معناه حق وصحيح والتأويل انه حق كفرهم ووقع العذاب والخسران بهم واحجج سيويه بقول الشاعر

ولقد طنت ابا عينه طعنة • جرمت فزاره بعدها ان يعضوا

اراد حقت الطعنة فزاره ان يعضوا * قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) واختوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) اعلم انه تعالى لما ذكر عقوبة الكافرين وخسرانهم اتبعه بذكر احوال المؤمنين والახبات هو الخشوع والخضوع وهو مأخوذ من الخبت وهو الارض المطمئة وخبت ذكره اى خفى فقوله اخبت اى دخل فى الخبت كما يقال فبن صار الى نجد انجد والى تهامة انهم ومنه الخبت من الناس الذى اخبت الى ربه اى اطمان اليه ولفظ الابخات بتعدى بالى وباللام فاذا قلنا اخبت فلان الى كذا فمعناه اطمان اليه واذا قلنا اخبت له فمعناه خشم له اذا عرفت هذا فقول قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع الاعمال الصالحة وقوله واخبتوا اشارة الى ان هذه الاعمال لا تنفع فى الآخرة الا مع الاحوال القلبية ثم انفسرنا الابخات بالطمانينة كان المراد انهم بعدون الله وكانت قلوبهم عند اداء العبادات مطمئة بذكر الله فارغة من الالتفات الى ما سوى الله تعالى اويقال انما قلوبهم صارت مطمئة الى صدق الله بكل ما وعدهم من الثواب والعقاب واما انفسرنا الابخات بالخشوع كان معناه انهم ياتون بالاعمال الصالحة خاشعين وجلين من ان يكونوا ائوئابهم وجود الاخلال والتقصير ثم بين ان من حصل له هذه الصفات الثلاث فهم اصحاب الجنة ويحصل لهم الخلود فى الجنة * قوله تعالى (مثل الفريقين كالاغنى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون) واعلم انه تعالى لما ذكر الفريقين ذكر فيهما مثالا مطابفا ثم اختلفوا فقيل انه راجع الى من ذكر آخر من المؤمنين والكافرين من قبل وقال آخرون بل رجع الى قوله أن كان على بينة من ربه ثم ذكر من بعده الكافرين ووصفهم بأنهم لا يستطيعون السمع ولا يبصرون والسميع والبصير هم الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم واعلم ان وجه التشبيه هو انه سبحانه خلق الانسان مركبا من الجسد ومن النفس وكما ان الجسد يبصر وبصرا وسمعا فكذلك حصل لجوهر الروح سمع وبصر وكما ان الجسد اذا كان اعمى اصم بقى مختبرا لا يهتدى الى شئ من المصالح بل يكون كالثابة فى حفص الظلمات لا يبصر نورا يهتدى به ولا يسمع صوتا فكذلك الجاهل الضال المضل يكون اعمى واصم القلب فيبقى فى ظلمات الضلالات حارثا تائها ثم قال تعالى أفلا تذكرون منها على انه يمكنه علاج هذا العمى وهذا الصمم واذا كان العلاج ممكنا من الضرر الحاصل بسبب

لثاني من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع ولا يبصر يعزل (١٠) (را) (خا) من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراف بسوء بينما لنفيا عليهم من نول الامر سوء العاقبة (أولئك) المتعوتون بما ذكر من القبايح (الذين خسروا أنفسهم) بإشراق عبادة الآلهة

بعبادة الله عز سلطانه (وذل عنهم ما كانوا يفكرون) من الآلهة وضاعتها أو خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا (لم يبق معهم سوى الحسرة والتندمة (لاجرم) فيه ثلاثة أوجه الأول أن لافاقية (٧٤) للمسبق وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله والمعنى

لا ينبغيهم ذلك الفعل حق (أنهم في الآخرة هم الآخرون) وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مقوله وقاعله مادل عليه الكلام أي كسب ذلك خسرا فهم ظالمى ما حصل من ذلك أن الظهور خسرا لهم والثالث أن لاجرم بمعنى لا بد أي لا بد أنهم في الآخرة هم الآخرون وأيا ما كان فغناه أنهم أخسر من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كآثر مقررته للمسبق من انكسار المائلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يزيه الحياة الدنيا بلغ تقرير فانهم حيث كانوا أظلم من كل ظالم وأخسر من كل خاسر لم يتصور مائلة بينهم وبين أحد من المظلمة الآخرين لما ظلمت بالمالئة بينهم وبين من هو في أعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار وأعمالهم وبين مضيرهم وما لهم شرع في بيان حال اضدادهم إلى فريق المؤمنين زما يؤزل إليه امرهم من العواقب الحميدة تكلم لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى أفن كان على بينة من ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا وما لا يقل (أن الذين آمنوا) أي بكل ما يجب أن يؤمن به فيندرج تحتها ما نحن بصدد من الإيمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله وأما يحصل ذلك باستماع الوحي والتسديد فيه ومشاهدة ما يؤدى إلى ذلك في الانقراض والأفان أو فلو أن الإيمان كافي ببطى ويمتد زرعوا الصالحات واختبوا الرديهم أي احبوا الله وانقطعوا إلى عبادة

بالمنعوت والنواضع من الخبث وهى الأرض المظلمة ومعنى اخبت دخل في الخبث كأنهم (أولئك) المنعوتون بتلك المنعوت الجميلة (احضاب الجنة فهم خالدون) دائمون وبعبارة أخرى تبان حالها مع علقار يديان تباينها حسنة

ضليل (مثل الفريقين) المذكورين اى حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابته من الاحوال والصفات (كالاعى والاصم والبصير والسمع) اى كمال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم (٧٥) والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعى

وبالاصم وتشبيه الفريق الثانى بالبصير والسمع لكن الادخل فى المبالغة والاقرار الى ما يشبه اليه لفظ المثل والاناسب ما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول من جمع بين العمى والسمع وتشبيه الفريق الثانى بين جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو فى قوله تعالى والاصم وقوله والسمع لطف الصيغة على الصفة كفى قول من قال

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية فى الزدحم واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهى التى يدور عليها امر التشبيه ما يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة فى جانب التشبيه من تعالى الفريق الاول من شاهدة آيات الله المنصوبة فى العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتقصاهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسيا ذكر فى قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعى اظهر واشهر فى سوامحال من الامم ومن استمات الفريق الثانى لكل من ابصارهم واستماعهم فبما ذكر كفايتهم للمدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاشبات حساسية فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيلا لاجمع الاحوال المدبوة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدى اليه من العذاب المضاعف والمحرمان البالغ فى احدهما ومن التعميم فى الآخر فان اعتبار ذلك بزرع الكون التشبيه تمثيلا بان ينتزع من حال الفريق الاول فى تصادمهم وتعامهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك فى العذاب المضاعف والمحرمان الذى لا خسران فوقه هيئة قسبة بهيئة منتزعة عن هدم معرى البصر والسمع فتعبط فى مسلكه فوقع

الشبهتان الباقيتان فيمكن ان يتسكعما من أثر بقوة سائر الانبياء وفى لفظ الآية مسائل (المسئلة الاولى) الملا الشراف وفى اشتقاقه وجوه (الاول) انه مأخوذ من قولهم ملئ بكذا اذا كان مطلقا وقدموا بالامر والسبب فى اطلاق هذا اللفظ عليهم انهم ملؤا بترتيب المهامات واحسنوا فى تدبيرها (الثانى) انهم وصفوا بذلك لانهم يتماثلون اى يتظاهرون عليه (الثالث) وصفوا بذلك لانهم يملؤون القلوب هيبة والجلالس أبهة (الرابع) وصفوا به لانهم ملؤوا العقول الراجحة والآراء الصائبة ثم حكى الله تعالى عنهم الشبهة الاولى وهى قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وهو مثل ما حكى الله تعالى عن بعض العرب انهم قالوا لولا انزل عليه ملك وهذا جهل لان من حق الرسول ان ياتى بالامامة بالدليل والبرهان والتثبت والجملة بالضرورة والخلق بل نقول ان الله تعالى لو بعث الى البشر ملكا كانت الشبهة أقوى فى الطعن عليه فى رسالته لانه يخطر بالبال ان هذه المعجزات التى ظهرت لعل هذا الملك هو الذى أتى بها من عند نفسه بسبب ان قوته اكل وقدرته أقوى فلهذه الحكمة ما بعث الله الى البشر رسولا الا من البشر ثم حكى الشبهة الثانية وهى قوله وما نراك الا تبعدك الذين هم ارادنا بآدى الرأى والمراد منه قلة ما لهم وقلة جاههم وذئنة حرفهم وصانعهم هذا ايضا جهل لان الرفعة فى الدين لا تكون بالحسب والمال والمناصب العالية بل الفقراء هم على الدين من الغنى بل نقول الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الآخرة فكيف يجعل قلة المال فى الدنيا طعنا فى النبوة والرسالة ثم حكى الله تعالى الشبهة الثالثة وهى قوله وما ترى لكم علينا من فضل وهذا ايضا جهل لان الفضيلة المعتبرة عند الله ليست بالاعلم والعمل فكيف اطلعوا على بواطن الخلق حتى عرفوا انى هذا الفضيلة ثم قالوا بعد ذكر هذه الشبهات لنوح عليه السلام ومن اتبعه بل نطقكم كاذبين وفيه وجهان (الاول) ان يكون هذا خطابا مع نوح ومع قوموه والمراد منه تكذيب نوح فى دعوى الرسالة (والثانى) ان يكون هذا خطابا مع الارذل فنسبوه الى انهم كذبوا فى ان آمنوا به واتبعوه (المسئلة الثانية) قال الواحدى الارذل جمع رذل وهو الدون من كل شئ فى منظره وحالته ورجل رذل الشاب والفعل والارذل جمع الارذل كقولهم اكابر يجرمها وقوله عليه الصلاة والسلام احاسنكم اخلاقا فملى هذا الارذل جمع الجمع وقال بعضهم الاصل فيه ان يقال هو ارذل من كذا ثم كثر حتى قالوا هو الارذل فصارت الالف واللام عوضا عن الاضافة وقوله بآدى الرأى البادى هو الظاهر من قولك بآدى الشئ اذا ظهر ومنه يقال بادية لظهورها وبروزها للناظر واختلفوا فى بآدى الرأى وذكره وفيه وجوها (الاول) اتبعوك فى الظاهر وباطنهم بخلافه (والثانى) يجوز ان يكون المراد اتبعوك فى ابتداء حدوث الرأى وما احتاطوا فى ذلك الرأى وما اعطوه حقه من الفكر الضائب والتدبر الواقى (الثالث) انهم لما وصفوا القوم بالذالة قالوا كونهم كذلك بآدى الرأى امر ظاهر لسلك من يرأى والرأى على هذا المعنى من رأى العين لامن رأى القلب

اعتبار ذلك بزرع الكون التشبيه تمثيلا بان ينتزع من حال الفريق الاول فى تصادمهم وتعامهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك فى العذاب المضاعف والمحرمان الذى لا خسران فوقه هيئة قسبة بهيئة منتزعة عن هدم معرى البصر والسمع فتعبط فى مسلكه فوقع

في مهاوى الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا ويتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى سبحانه يذوقونهم بدار الخلود حيث نقش بهيئة منزعة عنه بصروهم يستعملها في مهامه فيبتدى الى (٧٦) سبيله وينال مرامه (هل يستويان) يعنى

ويتأكد هذا التأويل بما نقل عن مجاهد انه كان يقرأ الا الذين هم أرذلنا بآدى رأى العين (المسئلة الثالثة) قرأ ابو عمرو ونصير عن الكسائى بآدى بالهمزة والباقون بآياء غير مهموز فن قرأ بآدى بالهمزة فالعنى أول الرأى وابتدأوه ومن قرأ بآياء غير مهموز كان من بآدى بآى ظهر وبآدى نصب على المصدر كقولك ضربت أول الضرب * قوله تعالى (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فسميت عليكم انزل مكموها وانتم لها كرهون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما حكى شبهات منكرو نبوة نوح عليه الصلاة والسلام حتى بعده ما يكون جوابا عن تلك الشبهات (فالشبهة الاولى) قولهم ما أنت الا بشر مثنا فقال نوح حصول المساواة في البشرية لا يمنع من حصول الفارقة في صفة النبوة والرسالة ثم ذكر الطريق الدال على امكانه فقال أرأيتم ان كنت على بينة من ربي من معرفة ذات الله وصفاته وما يجب وما يتنع وما يجوز عليه ثم انه تعالى آتاني رحمة من عنده والمراد تلك الرحمة اما النبوة واما المهجنة الدالة على النبوة فسميت عليكم اى صارت مظنة مشبهة لمنسوبة في عقولكم فهل أقدر على ان اجعلكم بحيث تصلون الى معرفتها شئتم أم لا يتيم والمراد اني أقدر على ذلك البتة وعن قتادة والله لو استطاع نبي الله لا زلها ولكن لم يقدر عليه وحاصل الكلام انهم لما قالوا وما نرى لكم علينا من فضل ذكر نوح عليه السلام ان ذلك بسبب ان الجنة سميت عليكم واشتهت ظاهرا لو تركتم العناد والجحاج ونظرت في الدليل لظهر المقصود وتبين ان الله تعالى آتانا عليكم فضلا عظيما (المسئلة الثانية) قرأ حجة والكسائى وحفص عن عاصم فسميت عليكم بضم العين وتشديد الميم على ما لم يسم فاعله بمعنى البست وشبهت والباقون بفتح العين مخففة الميم أى التبست واشتهت واعلم ان الشئ اذا بقي مجهولا بمحض اشبه المسمى لان العلم نور البصرة الباطنة والابصار نور البصر الظاهر فحسن جعل كل واحد منها مجازا عن الآخر وتحقيقه ان البيئة توصف بالابصار قال تعالى فلما جاءهم آياتنا مبصرة وكذلك توصف بالعمى قال تعالى فسميت عليهم الانباء وقال في هذه الآية فسميت عليكم (المسئلة الثالثة) أنزل مكموها فيه ثلاث مضمرات ضمير المتكلم وضمير الغائب وضمير المخاطب واجاز الفراء اسكان الميم الاولى وروى ذلك عن ابى عمرو قال وذلك ان الحركات توالى فسكرت الميم وهى ايضا مرفوعة وقبلها كسرة والحركة التى بعدها ضمة ثقيلة قال الزجاج جميع الحوئين البصريين لا ينجرون اسكان حرف الاعراب الا في ضرورة الشعر وما روى عن ابى عمرو فلم يضبطة عنه الفراء وروى عن سيبويه انه كان يخفف الحركة ويختلسها وهذا هو الحق وانما يجوز الاسكان في الشعر كقول امرئ القيس * قالوا لم اشرب غير مستحب * قوله تعالى (ويا قوم لا أسألكم عليه اجرا ان أجرى الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تدرون) لا أقول لهم عندى حزن ان الله ولا اعلم الغيب ولا أقول انى ملك

الترقيين المذكورين والاستفهام انكسارى مذكور المسبق من انكار المسئلة في قوله عز وجل أفمن كان على بينة الآية (مثلا) اى حالوصفة وهو تعيين من فاعل يستويان (افلا تدرون) اى أنشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او أنظفون عنه فلا تذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المظوفين معا والاعتماد هذا فلا تذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل الضروب كافي قوله تعالى ائان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان انقلبتم بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او انقلبتم على اعقابكم او افلا تعلمون ومعنى المهجنة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن الخطئين وانه ليس بمأصرا يقع لامن قبل الانكار في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء * ولا بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب حكم الايات مفضلها نازل في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذى ازل عليه نذير ويشرح من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من الترشيب والترهيب والزام الماندين بما يقارن من المشواحد لحقة الدلالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم معاصرا من شقيق الصدر العارفين

لهم ان اقتراحاتهم الشبهة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة محمرا واخرى مفتري وتبنيته عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (ولا) على التمسك به والعمل بوجهه على بلوغه وابدع اسلوب شرع في تحقيق ما ذكره وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين

معاينة الرسول قبله من اعمهم ومقاسمهم
الشرادش من جهتهم قليل (ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه) الزاوا
بسادسة واللام جواب قسم
مخدوف وحرفه الباء لا الياوا
كافى سورة الاعراف ثلاثين
واوان ولايكاد تطلق هذه
اللام الممع قد لانها مظنة التوقع
من الخطاب اذا سمعها توقع
وقوع ماضى بها ونوح هو
بن المك بن متوشع بن ادريس
عليه السلام وهو اول نبي
بعث بعده * قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما بعث
عليه الصلاة والسلام على رأس
ربسين من عمره وليت يدعو
قومه تسعة وخمسين سنة
عاش بعد الطوفان ستين سنة
كان عمره الفا وخمسين سنة
قال مقاتل بعث وهو ابن
اثنة مئة وقيل وهو ابن
ربسين سنة وقيل وهو ابن
اثنين وخمسين سنة وبعث
دعوه قومه تسعمائة وخمسين
سنة وعاش بعد الطوفان مائتين
وخمسين سنة فكان عمره الفا
درمائة وخمسين سنة (الى
كم نذير) بالكسر على ارادة
نقول اى قتال او قتالا وقرأ
كثير ابو عمرو والكسائي
فتح على اخصار حرف الجيم
اولنا متبعا بذلك الكلام
هو اى لكم نذير بالكسر لئلا
يسلبه الجسار فتح كما فتح في
بن والمعنى على الكسر وهو
لك ان زيدا كالاسد اقتصر
ن ذكر كونه عليه الصلاة
وسلام نذرا لالان دعوته
به الصلاة والسلام كانت بطريق
نفار فقط الا يرى الى قوله
ان قلت استغفر ربكم انما كان
ارادى لئلا يسلم عليكم مدراوا
بل لانهم لم يفتقروا فاستغفروا
لهم المحذور لا الجورد. الشوفى

البشارة عليه الصلاة والسلام (مبين) ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه لان الانذار اعلم
والاوتاعاج بل الحذر منه فيتعلق صفته بكلا وصفيه (الاتصباوا الله) اي بان لاتعبدوا على ان ان

البشارة عليه الصلاة والسلام (مبين) ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه لان الانذار اعلم
والاوتاعاج بل الحذر منه فيتعلق صفته بكلا وصفيه (الاتصباوا الله) اي بان لاتعبدوا على ان ان

ولأهمية أي إرساله ملتصبا بنهيهم عن الشرك إلا أنه وسط بينهما بيان بعض أوصافه وأحواله عليه الصلاة والسلام وهو كونه نذير مبينا ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا (٧٨) يفرق بين الكتاب رمضونه بمسالك من أوصافه وأحواله

أومسرة متعلقة به أومسذر
أومقول لمين على قراءة الفتح
يدل من أي لكم نذير مبين
وتعين لما يوجب وقوع الخذور
وتبين لوجهه لخلاص وهو
عبادة الله تعالى وقوله تعالى
(أي اخاف عليكم عذاب يوم
القيم) لتعليل لما يوجب النهي وتصريح
بالمخذور وتحقيق اللانذار والمراد
به يوم القيامة أي يوم الطوفان
وصوفه بالإنعزال على الاستناد الجازي
للإبالة كافي لهاره صائم وهذه
المقالة وما في معناها ما قاله عليه
الصلاة والسلام في أثناء الدعوة
على ما عزي إليه في سائر السور
للم تصد عنه عليه الصلاة
والسلام مرة واحدة بل كان
يكررها عليهم في تلك المسدة
المطالبة على ما نطق به قوله
تعالى رباني دعوت قوم يناد
وتهازل الآيات عطف على فعل
الرسالة المقارن لها أو القول
المقدر بعده بجوابهم المتمرض
لأحوال المؤمنين الذين اتبعوه
عليه الصلاة والسلام بعد النبوة
والتي بالغا التقنية قيل (قال
الملائكة الذين كفروا من قومه)
أي الأشراف منهم من قولهم
فلان مني بكذا أي مطبق له لأنهم
ملأوا بكفايات الأمور أو لأنهم
ملأوا القلوب هيبة والنجاس
أبنة أو لأنهم ملأوا بالأحلام
والآراء الصائبة ووضفهم
بالكفر لأنهم والتسليم عليهم
بذلك من أول الأمر لأن بعض
أشراطهم ليسوا بكفرة (ما ترك
الأنبياء مثلنا) مرادهم ما أنت
الأنبياء مثلنا ليس فيك سربة
تضحك من دوننا بمبادئه من
النبوة ولو كان كذلك لأشبه
لأن ذلك محتمل ولكن
لأنه وكذا الحال في قولهم (وما تركناكم إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) فالظفران من رؤية العين وقوله تعالى لا يشرك

الله أفلا تدركون فاعلمون أن ذلك لا يصح ثم أكد هذا البيان بوجه ثالث فقال ولا أقول
لكم عند خزائن الله أي كالألسانكم فكذلك لا ادعى أنني أملك ما لا ولا لي غرض في المال
لا أخذ ولا دافعا ولا أعلم الغيب حتى أصل به إلى ما يريد نفسي ولا أتابعي ولا أقول أنني
ملك حتى اتبعكم بذلك عليكم بل طريق الخضوع والتواضع ومن كان هذا شأنه وطريقه
فانه لا يستدرك عن مخالطة الفقراء والمساكين ولا يطلب مجالسة الأمراء والسلاطين
وإنما شأنه طلب الدين وسيرته مخالطة الخاصين والخاصين فلما كانت طريقتي توجب
مخالطة الفقراء فكيف جعلتم ذلك عيبا على من أنه أكد هذا البيان بطريق رابع فقال
ولا أقول للذين تردى أعينكم أن يؤثيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم وهذا كالدلالة
على أنهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والدلة إلى النفاق فقال أي لا أقول ذلك لأنهم
باب الغيب والغيب لا يعلم إلا الله فرمما كان باطنهم كظاهريهم فيؤثيهم الله ملك الآخرة
فأكون كاذبا فمما أخبر به فانه أن فعلت ذلك كنت من الظالمين لأنفسى ومن الظالمين لهم
في وصفهم بأنهم لا خير لهم مع الله تعالى آتاهم الخير في الآخرة (المسئلة الثانية) أخرج
قوم بهذه الآية على تقضيل الملائكة على الأنبياء وقالوا أن الإنسان إذا قال أنا لا ادعى كذا
وكذا فهذا إنما يحسن إذا كان ذلك الشيء أشرف من أحوال ذلك القائل فلما كان قائل
هذا القول هو نوح عليه السلام وجب أن تكون درجة الملائكة أعلى وأشرف من
درجات الأنبياء ثم قالوا وكيف لا يكون الأمر كذلك والملائكة دأوا على عبادة الله تعالى
طول الدنيا منذ خلقوا إلى أن تقوم الساعة وتقام التقرير أن الفضائل الحقيقية الروحانية
ليست إلا ثلاثة أشياء (أولها) الاستغناء المطلق وجرت العادة في الدنيا أن من ملك المال
الكثير فانه يوصف بكونه غنيا فقله ولا أقول لكم عند خزائن الله إشارة إلى أي لا ادعى
الاستغناء المطلق (وثانيها) العلم التام واليه الإشارة بقوله ولا أعلم الغيب (وثالثها) القدرة
التامة الكاملة وقد تقرر في الخواطر أن لكل المخلوقات في القدرة والقوة هم الملائكة
والله الإشارة بقوله ولا أقول أنني أملك والمقصود من ذكر هذه الأمور الثلاثة بيان أنه
ما حصل عندي من هذه المراتب الثلاثة لا ما يليق بالقوة البشرية والطاقة الإنسانية
فاما الكمال المطلق فانا لا ادعيه وإذا كان الأمر كذلك فقد تقرر أن قوله ولا أقول أنني أملك
يدل على أنهم أكل من البشر وأيضا يمكن جعل هذا الكلام جوابا عما ذكره من الشبهة
فأنهم طعنوا في اتباعه بالفقر فقال ولا أقول لكم عند خزائن الله حتى أجعلهم أغنياء
وطعنوا فيهم أيضا بأنهم مناقون فقال ولا أعلم الغيب حتى أصر فية باطنهم وإنما جرى
الأحوال على الظواهر وطعنوا فيهم بأنهم قديأئون بأفعال لا كما ينبغي فقال ولا أقول أنني
ملك حتى أكون مبرا من جميع الدواعي الشهوانية والبواعث الفسائية (المسئلة
الثانية) أخرج قوم بهذه الآية على صدور الذنب من الأنبياء فقالوا أن هذه الآية دلت على أن
طرد المؤمنين لطلب مرضاة الكفار من أصول المعاصي ثم إن محمدا صلى الله عليه وسلم طرد

لأنه وكذا الحال في قولهم (وما تركناكم إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) فالظفران من رؤية العين وقوله تعالى لا يشرك
مثله لعل من القبول وكذا قوله أتبعك في موضع الحال منه لما على حاله أومسذر قد عند من يشترط ذلك ويجوز أن يكون من رؤية القلب

وحواطه ظاهر فهما المقول الثاني وتعلق الرأي في الاول بالثانية لا بالثالثة قط وانما لم ينو القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه اربعة بأن ذلك لم يصدر عنهم جزاء بل بعد التأمل في الاسر (٧٩) والتدبر فيه ولذلك اقتصر على ذكر الظن فيما سأتى وتقرضنا من اول

الامرأى المتبعين فكان قولهم وامازك جواب عما يرد عليهم من انه عليه الصلاة والسلام ليس مثلهم حيث عين دلائل نبوته واغتم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فرموا ان هؤلاء ارادنا اى اخوانا وادانينا جمع اردل فانه سلسر بالفلية

جاري يجرى الاسم كاللايين والا كايرو جمع اردل جمع رذل كالكاتب والكتب وكالب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزية عقل ولا صلاح رأى وقد كان ذلك منهم في بادى رأى اى ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله من البسمة والبله ميدلة من الجهمة لانكار ما قيلها وقد قرأ ابو عمرو بها وانصاه على الطريقة على حذف المضاف اى وقت حدوث بادى رأى والعمل فيه اتبعك وانما استردلوهم مع كونهم اولى الالباب الراجحة لعقرهم فاتهم لما يفعلوا الا ظاهر الحياة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها

حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا ين عتد الله جناح بعبوته وان التبع انما هو نعم الاخرة والاشرف من قاربه والارذل من حرمه فلوذ بالله تعالى من ذلك (وما رى لكم) اى ك و لتبصرك فقلب الخطاب على الفاشين (علينا من فضل) يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يهديهم فنيستة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم بوزالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق فوما دهم انهم كانوا اوزال قبل اتباعهم لا ولا تميز

فقرأ المؤمنین لطلب مرضاة الكفار حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وذلك يدل على اقدام محمد صلى الله عليه وسلم على الذنب والجواب يحمل الطرد المذكور في هذه الآية على الطرد المطلق على سبيل التأييد والطرد المذكور في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم على التقليل في اوقات معينة ترعاية المصالح (المسئلة الرابعة) احتج الجبائي على انه لا يجوز الشفاعة عند الله في دفع العقاب بقول نوح عليه السلام من ينصرني من الله ان طردتهم معناه ان كان هذا الطرد محرما فخذنا الذي ينصرني من الله اى من الذي يخلصني من عقابه ولو كانت الشفاعة جائزة لكنت في حق نوح عليه السلام ايضا جائزة وحيث يدل قوله من ينصرني من الله واعلم ان هذا الاستدلال يشبه استدلالهم في هذه المسئلة بقوله تعالى واتقوا ما لا يجزى نفس عن نفس شيئا الى قوله ولا هم ينصرون والجواب المذكور هناك هو الجواب عن هذا الكلام قوله تعالى (قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالتنا فأتنا معتمدنا ان كنت

من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وماتم بمجزيين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هوربكم واله ترجعون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان الكفار لما وردوا تلك الشبهة واجاب نوح عليه السلام عنها بالجوابات الموافقة الصحيحة اورد الكفار على نوح كلامين (الاول) انهم وصفوه بكثرة الجادة فقالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالتنا وهذا يدل على انه عليه السلام كان قد اكثر في الجدال معهم وذلك الجدال ما كان الا في اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وهذا يدل على ان الجدال في تقرير الدلائل وفي ازالة الشبهات حرفة الانبياء وعلى ان التقليد والجلل والاصرار على الباطل حرفة الكفار (والثاني) انهم استعجلوا العذاب الذي كان يتوعدهم به فقالوا فأتنا معتمدنا ان كنت من الصادقين ثم انه عليه السلام اجاب عنه بجواب صحيح فقال انما يأتيكم به الله ان شاء وماتم بمجزيين والمعنى ان ازال العذاب ليس الى وانما هو خلق الله تعالى في فعله ان شاء كإشاء واذا اراد ازال العذاب فان احدا لا يعجزه اى لا يمنعه منه والمعجز هو الذي يفعل ما عنده لم تعذر مراد الغير فيه وصف بأنه اعجزه فقوله وماتم بمجزيين اى لا سبيل لكم الى فعل ما عنده فلا يمنع على الله تعالى ما يشاء من العذاب ان اراد ازاله بكم وقد قيل معناه وماتم بماتين وقيل وماتم بمصونين وقيل وماتم بسابقين الى الخلاص وهذه الاقوال متقاربة واعلم ان نوحا عليه السلام لما احاب عن شبهاتهم ختم الكلام بخاتمة قاطعة فقال ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم فانه لا ينفعكم نصحي البتة واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان الله تعالى قد يريد الكفر من العبد وانه اذا اراد منه ذلك فانه يتمتع صدور الايمان منه قالوا ان نوحا عليه السلام قال ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير لا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد ان يغويكم ويضلكم وهذا صريح

فيهم وفيك بعد الاتباع فضيحة علينا (بل نظنكم كاذبين) جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة واياك قد دعوي الكبرية واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احترازهم عن نسبتهن الى الجاهل فقولهم جارة معه عليه الصلاة والسلام بطريق النبوة على نهي الاندفاع

(قال يا قوم أرايتم) أي اخبروني وفيه إيماء إلى ركا كترأيهم المذكور (أن كنت على بينة) برهان ظاهر (من ربى) وشاهد يشهد بحقيقة دعواى (وأأتانى رجعة من عندى) هي النبوة ويجوز أن تكون هي البينة (٨٠) نفسها جئ بها ايذاناً بأنها مع كونها بينة من الله تعالى رجعة

ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله تعالى (فبصيت عليكم) حينئذ ظاهر وان ارد بهما النبوة والبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستانام ضلالتها خفاء البرة والتقدير قد فعل آخر بعد البينة بمعنى عبت اخضعت وقرئ عبت ومنه خفيت وحقيقته ان الحجة كما جعلت مبصرة وبصيرة تجعل عياء لان الاعى لا يهتدى ولا يهتدى غيره وفي قرأته اى فمما جاء عليكم على الاستناد الى الله عز وجل (انزلكموها) اى انكر حكم على الاعتقاد بها وهو جواب ارايتم وساد مسد جواب الشرط وقرأ انوهرو باخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم امر فيها جاز في الثاني الوصل والفضل فوصل كما في قوله تعالى فيسكبكم الله (واتم لها كارهون) لا تخشرونها ولا ولا تتسلمون فيها وبحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواى الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايكتنا ان نكر حكم على قبولها واتم من ضبون عنها غير متدبرين لها اى لا يكون ذلك وظاهرة مشعر بصدوره عنه عليه الصلاة والسلام بطريق اظهار الأساس عن الزمهم والتمهيد عن حجة جهنم كقولهم تعالى ولا يفتكم نصي الخ لكنه يقول على ان جهنم عليه الصلاة والسلام ردهم عن الاعراض عنها وجهنم على التدرج فيها بصرف الانتكاد الى الازام حال كراهتهم لها لئلا لا يلام مطلقاً هذا ويجوز ان يكون المراد بالبدلة دليل العقل الذى هو ملاك الفضل وبمعنى ممتاز افراد البشر بعضهم من بعض وبه يتباط الكرامة عند الله (مقدم) من وجب والاجتهاد للبرسالة والىكون عليها التمسك به والثبات عليه وبحفظها على الكفرة على ان الضمير للبينة عدم ادراكهم

في مذنبنا اما المعزلة فانهم قالوا طاهر الآية يدل على ان الله تعالى ان ارادوا ان القوم لم يتفخوا بنصح الرسول وهذا مسلم فانه عرف ان الله تعالى لو اراد اغواء عبده فانه لا يفتقه فصيح الناصحين لكن لم يفتقه انه تعالى اراد هذا الاغواء فان النزاع ما وقع الا فيه بل نقول ان نوحا عليه السلام اتماذ كره هذا الكلام ليدل على انه تعالى ما اغواهم بل فوض الاختيار اليهم وبانه من وجهين (الاول) انه عليه السلام بين انه تعالى لو اراد اغواءهم لما بقي في النصيحة فائدة فلم يكن فيه فائدة لما امره بان ينصح الكفار واجمع المسلمون على انه عليه السلام مأمور بدعوة الكفار ونصيحتهم فقلنا ان هذا النصيح غير خال عن الفائدة واذالم يكن خاليا عن الفائدة وجب القطع بأنه تعالى ما اغواهم فهذا صريحة لثام هذا الوجه (الثاني) انه لو ثبت الحكم عليهم بأن الله تعالى اغواهم لصار هذا عذرا لهم في عدم ايمانهم بالايمان ولصار نوح مقطوعا في مناظرتهم لانهم يقولون انه انك سلت ان الله اذا اغوانا فانه لا يبقى في نصيحك ولا في جدنا واجتهادنا فائدة فاذا ادعيت بأن الله تعالى قد اغوانا فقد جعلناهم عذرين فلم يبق مناقول هذه الدعوة فثبت ان الامر لو كان كافا له الخصم لصار هذا حجة للكفار على نوح عليه السلام ومعلوم ان نوحا عليه السلام لا يجوز ان يذكر كلاما يصير بسببه مفجما لمزما عاجزا عن تقرير حجة الله تعالى فثبت بما ذكرنا ان هذه الآية لا تدل على قول المجرة ثم انهم ذكرنا وجوه من التأويلات (الاول) اولئك الكفار كانوا مجرة وكانوا يقولون ان كفرهم بارادة الله تعالى فعند هذا قال نوح عليه السلام ان نصيحة لا ينفعهم ان كان الامر كما قالوا ومثاله ان يعاقب الرجل ولده على ذنبه فيقول الولد لا اقدر على غير ما نانا عليه فيقول الوالد فلن يعفك اذا نصحتى ولا زجرى وليس المراد انه يصدقه على ما ذكره بل على وجه الانكار لذلك (الثاني) قال الحسن معنى يغويكم اى يضلحكم والمعنى لا ينفعكم نصيحى اليوم اذا نزل بكم العذاب فآتمتم في ذلك الوقت لان الايمان عند نزول العذاب لا يقبل وانما ينفعكم نصيحى اذا آتمتم قبل مشاهدة العذاب (الثالث) قال الجبائى الغواية هي الخسبة من الطلب بدليل قوله تعالى فسوف يلقون غياى خسية من خير الآخرة قال الشاعر « ومن يغو لا بعدم على الغي لثما » (الرابع) انه اذا صر على الكفر وتماذى فيه منه الله تعالى اللطاف وفوضه الى نفسه فهذا شبيه ما اذا اراد اغواءه فلماذا السبب حين ان يقال ان الله تعالى اغواهم هذا جملة كانت المعزلة في هذا الباب والجواب عن امثال هذه الكلمات قد ذكرناه مرارا واطوارا فلا فائدة في الاعادة (المسئلة الثانية) قوله ولا يفتكم نصيحى ان اردت ان النصيح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم جزم على شرط بعده شرط آخر وهذا يقتضى ان يكون الشرط المؤخر في اللفظ قدما في الوجود وذلك لان الرجل اذا قال لا امرأه انت طالق ان دخلت الدار كان الفهم كون ذلك الطلاق من لوازم ذلك الدخول فاذا ذكر بعده شرطا آخر مثل ان يقول انا كنت اخبر كان المعنى ان تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول مشروط بحصول هذا الشرط الثاني والشرط

ويعجز ان يكون المراد بالبدلة دليل العقل الذى هو ملاك الفضل وبمعنى ممتاز افراد البشر بعضهم من بعض وبه يتباط الكرامة عند الله (مقدم) من وجب والاجتهاد للبرسالة والىكون عليها التمسك به والثبات عليه وبحفظها على الكفرة على ان الضمير للبينة عدم ادراكهم

لكنه عليه الصلاة والسلام عليها وبالرحمة النبوة التي انكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا يلائم له الامن له فضيلة على سائر (٨١) الناس مستتعة لاختصاصه به دونهم اخبروني ان افترت عنكم زيادة منية وحيازة

فضيلة من روي وانا في محسبها نبوة من عنده فخصيت فيكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تناوئوها ولم تعملوا سبيلاً لثبوتها كوني عليها الى الآن حتى زعمتم اي مثلكم وهي متصفقة بنفسها انزلكم يقول نبوتك التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بتمام الحاجة وحيث يكون كلامه عليه الصلاة والسلام جواباً عن شبههم التي ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشراً قصارى امره ان يكون مثله من غير فضل له عليهم وقطعا لشأفة آرائهم الركيكة (ويقوم لاسانكم عليه) اي على ماقلته في أثناء دعوتكم (مالا) تؤدون على بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك اجراً في مقابلة اهتمامكم (ان اجري الاعلى الله) الذي يبين في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسب اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية (وما ناطق بالذين آمنوا) جواب حال حواه به يقولهم وما نراك تبك الا الذين هم ارادنا من الله لواتع الاشراف والفقوم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم ائو من لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماساً منهم لطردهم وتعليقاً لايمانهم به عليه الصلاة والسلام بذلك اتفق من الانظام معهم في سلك واحد (انهم ملاقوا ربه) لتبديل لامتناعه عليه السلام عن طردهم اي انهم قاتلون في الآخرة ببقاء الله عز وجل كانه قيل لا طردهم ولا يبعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة

مقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا ان حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزء بذلك الشرط الاول اما ان لم يوجد الشرط المذكور ثانياً يتعلق ذلك الجزء بذلك الشرط الاول هذا هو التحقيق في هذا التركيب فلهذا المعنى قال الفقهاء ان الشرط المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى والمقدم في اللفظ مؤخر في المعنى واعلم ان نوحاً عليه السلام لما قرر هذه المعاني قال هو ربكم واليه ترجعون وهذا نهاية الوعيد اي هو الهكم الذي خلقكم ورباكم وبذلك التصرف في ذواتكم وفي صفاتكم قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مرجعكم اليه وهذا يفيد نهاية التحذير قوله تعالى (أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرائي وانا برى مما تجرمون) اعلم ان معنى افتراه اختلقه وافعله وجاء به من عند نفسه والهاء ترجع الى الوجود الذي بلغه اليهم وقوله فعلى اجرائي الاجرام اقتراف المحظورات واكتسابها وهذا من باب حذف المضاف لان المعنى فعلى عقاب اجرائي وفي الآية محذوف آخر وهو ان المعنى ان كنت افتريته فعلى عقاب جرمي وان كنت صادقا وكنت تتوهم فعلى عقاب ذلك التكذيب الا انه حذف هذه البقية لدلالة الكلام عليه كقوله آمن هو فانت آمنه الليل ولم يذكر البقية وقوله وانا برى مما تجرمون اي انا برى من عقاب جرمكم واكثر المفسرين على ان هذا من بنية كلام نوح عليه السلام وهذه الآية وقعت في قصة محمد صلى الله عليه وسلم في أثناء حكاية نوح وقولهم بعيد جداً وايضا قوله قل ان افتريته فعلى اجرائي لا يدل على انه كان شاكاً الا انه قول يقال على وجه الانكار عند اليأس من القبول قوله تعالى (واسمى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتس بمكانوا يفعلون) فيه مسائل (المسئلة الاولى) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما جاء هذا من عند الله تعالى دعا على قومه فقال رب لا تدر على الارض من الكافرين ذياراً وقوله فلا تبتس اي لا تحزن قال أبو زيد ابتأس الرجل اذا بلغه شيء يكرهه وأشد أبو صيدة

ما قسم الله اقبل غير مبشس * * * وأقصد كريماً ناعماً البال اي غير حزين ولا كاره (المسئلة الثانية) احتج اصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في القضاء والقدر وقالوا انه تعالى اخبر عن قومه انهم لا يؤمنون بعد ذلك فلو حصل ايمانهم لكان امامهم بقاء هذا الخبر صدقاً ومع بقاء هذا العلم علماً أومع انقلاب هذا الخبر كذباً ومع انقلاب هذا العلم جهلاً والاول ظاهر البطلان لان وجود الايمان مع ان يكون الاخبار عن عدم الايمان صدقاً ومع كون العلم بعدم الايمان حاصل حال وجود الايمان جمع بين النقيضين والثاني ايضا باطل لان انقلاب خبر الله كذباً وعلم الله جهلاً محال ولما كان صدور الايمان منهم لا بد وان يكون على هذين القسمين وثبت ان كل واحد منهما محال كان صدور الايمان منهم محالاً مع انهم كانوا مأمورين به وايضا القوم كانوا مأمورين بالايمان ومن الايمان تصديق الله تعالى في كل ما أخبر عنه ومنه قوله انه

القدس والتمرض لوصف الربوبية لتزيين وجوب ربانيتهم ونعمت (١١) (را) (خا) الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا ببقاء ربه موقنون به عالون لهم ملاقوه لاحتماله فكيف اطردهم وجهه على معنى انهم يلاقونه فيآيئهم على ما في قولهم من ايمان صحيح

ثابت كانهلولى او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من ايمانهم على ابدى الرأى من غير نظر وتفكر وما على ان اشق عن قلوبهم وانصرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون بأبدا لجرم يرتب (٨٢) غضب الله عز وجل على طردهم كما سبق

وايضافهم ان قالوا ان ايمانهم لك انما هو بحسب ابدى الرأى بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدبرا للطرد في الدنيا ولا للواخذة في الآخرة غايته ان لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الرأى يؤدى الى الرجوع عنه عند التأمل فكأنهم قالوا انهم اجمعوا بلا تأمل فلا يقبضون على دينك بل يريدون عنه تصفيا ليعنى (ولكنى اراكم قوما يجهلون) بكل ما ينشئ ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بقوله الله عز وجل وعزله عنده وباستيعاب طردهم لغضب الله كما ساقى ويركا كدراهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفع عن الانظام معهم في ذلك واحد وزعم منهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالثنى وايقار صفة القلعة للدلالة على التمسك والاستقرار او تنساقون على المؤمنين بنسبتهم الى النجاسة (ويؤم من يصرف من الله ابدع حلول خطئه عنى (ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لمحو السخط قطعا وانما يصرح به اشعارا بأنه غنى عن البيان لاسما عبادتهما بلوحه من احوالهم فكأنه قيل من يدفع عن غضب الله تعالى ان طردهم وهم بذلك المنابة من انكر اعمق الزنى كما ينهى عنه قوله تعالى (أفلا تذكرون) اى استقروا على ما اتمم عليه من الجهل المذكور فلا تذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تأنونه بمحزل عن الصواب ولكن هذه العلة مستهكة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب

ان يؤمن من قومك الامن قدامن فيلزم ان يقال انهم كانوا مأمورين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون البتة وذلك تكليف بالجمع بين التقيضين وتقرير هذا الكلام قدم في هذا الكتاب مرارا واما واراء (المسئلة الثالثة) اختلفت المعتزلة في انه هل يجوز ان ينزل الله تعالى عذاب الاستئصال على قوم كان في المعلوم ان فيه من يؤمن او كان في اولادهم من يؤمن فقال قوم انه لا يجوز واحتجوا بما حكى الله تعالى عن نوح عليه السلام انه قال رب لا تدرك على الارض من الكافرين ديارا انك ان تدرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وهذا يدل على انه انما حسن منه تعالى ازال عذاب الاستئصال عليهم لاجل انه تعالى علم انه ليس فيه من يؤمن ولا في اولادهم احد يؤمن قال القاضى وقال كثير من علمائنا ان ذلك من الله تعالى جائز وان كان منهم من يؤمن واما قول نوح عليه السلام رب لا تدرك على الارض من الكافرين ديارا فذلك يدل على انه انما سأل ذلك من حيث انه كان في المعلوم انهم يضلون عباداه ولا يلدون الا فاجرا كفارا وذلك يدل على ان ذلك الحكم كان قولا بجموع هاتين العلتين وايضا فلا دليل فيه على انه المالم يحصل لاجاز ازال الالهلاك والاقرب ان يقال ان نوحا عليه السلام لشدة حبه لايانهم كان سأل ربه ان يبقهم فأعلم انه لا يؤمن منهم احد ليرزول عن قلبه ما كان قد حصل فيه من تلك المحبة ولذلك قال تعالى من بعد فلا تنس بما كانوا يفعلون اى لا تنجز من ذلك ولا تنقم ولا تظن ان في ذلك مذلة فان الدين عز وازن قل عدد من يتسكبه هو الباطل ذليل وان كثر عدد من يقول به ﷻ قوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرورون) واعلم ان قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قدامن يقتضى تعريف نوح عليه السلام انه معذبهم ومهلكهم فكان يحتمل ان يعذبهم بوجوه التعذيب فصرفه الله تعالى انه يعذبهم بهذا الجنس الذى هو الفرق ولما كان السبيل الذى به يحصل النجاة من الفرق تكوين السفينة لاجرم امره الله تعالى باصلاح السفينة واعدادها فأوحى الله تعالى اليه ان يصنعها على مثال جوجو الطائر فان قيل قوله تعالى واصنع الفلك امر ايجاب او أمر اباحة قلنا الاظهر انه امر ايجاب لانه لا سبيل له الى صون روح نفسه وارواح غيره عن الهلاك الا بهذا الطريق وصون النفس عن الهلاك واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ويحتمل ان لا يكون ذلك الامر امر ايجاب بل كان امر اباحة وهو بمنزلة ان يتخذ الانسان لنفسه دارا ليسكنها ويقم بها اما قوله بأعيننا فهذا لا يمكن اجراؤه على ظاهره من وجوه (احدها) انه يقتضى ان يكون لله تعالى اعين كثيرة وهذا يناقض ظاهر قوله تعالى ولتصنع على عيني (وثانيها) انه يقتضى ان يصنع نوح عليه السلام ذلك الفلك تلك الاعين كما يقال قطعت بالسكين وكسبت بالقلم ومعلوم ان ذلك باطل (وثالثها) انه ثبت بالدلائل القطعية العقلية كونه تعالى منزها عن الاعضاء والجوارح والاجزاء والابعض فوجب المصير فيه الى التأويل

الاستماع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بياقوم (ولا أقول لكم) حين ادعى النبوة (عندى خزانة الله) اى (وهو) رزقه واولاه حتى تستدلوا بدمعها على كذبى بقولكم وما زى لكم علينا من فضل بل فلنكنم كاذبين فان النبوة اعز من ان تنال

باسباب ذنوبه ودعواها بعزل عن ادعاء المال والجاه (ولاعلم الغيب) اى لادى في قولى الى لكم فذرمين الى اخاف عليكم عذاب يوم اليه علم الغيب حتى تسارعوا الى الانتكار والاستبعاد (٨٣) (ولااقول اى ملك) حتى تقولوا ماركه الايشرا مثلثا فان

وهو من وجوه (الاول) ان معنى باعنا اى بعى الملك الذي كان يعرفه كيف يتخذ السفينة يقال فلان عين على فلان نصب عليه ليكون متحصنا عن احواله ولاتحول عنه عينه (الثانى) ان من كان عظيم العناية بالشئ فانه يضع عينه عليه فلما كان وضع العين على الشئ سببا لمباغظة الاحتياط والعناية جعل العين كناية عن الاحتياط فلهذا قال المفسرون معنا بحفظنا اياك لحفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك وحاصل الكلام ان اقدامه على عمل السفينة مشروط بأمرين (أحدهما) ان لا يمتد أعداؤه عن ذلك العمل (والثانى) ان يكون عالما بأنه كيف ينبغي تأليف السفينة وتركيبها ودفع الشر عنه وقوله ووحينا اشارة الى انه تعالى يوحى اليه انه كيف ينبغي عمل السفينة حتى يحصل منه المطلوب واما قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مفروقون فقبه وجوه (الاول) يعنى لا تطلب منى تأخير العذاب عنهم فاني قد حكمت عليهم بهذا الحكم فلما علم نوح عليه السلام ذلك دعا عليهم بعد ذلك وقال رب لا تدرك على الارض من الكافرين ديارا (الثانى) ولا تخاطبني في تجهيل ذلك العقاب على الذين ظلموا فاني لما قضيت ازال ذلك العذاب في وقت معين كان تجهيلا متعنا (الثالث) المراد بالذين ظلموا امرأته وابنه كنعان **فوقوله تعالى (ويصنع الفلك)** وكلامه عليه ملا من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانه يخر منكم كاتسحرون فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحمل عليه عذاب مقيم) اما قوله تعالى ويصنع الفلك ففيه مستلثان (المسئلة الاولى) في قوله ويصنع الفلك قولان (الاول) انه حكاية حال ماضية اى في ذلك الوقت كان يصدق عليه انه يصنع الفلك (الثانى) التقدير وا قبل يصنع الفلك فاقصر على قوله ويصنع الفلك (المسئلة الثانية) ذكروا في صفة السفينة اقوالا كثيرة (فاحدها) ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وقيل في اربع سنين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جلس هو ومن كان معه مع محتاجوا اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام (وثانيها) قال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع واعلم ان امثال هذه المباحث لا تعجبني لانها امور لاحاجة الى معرفتها البتة ولا يتعلق بمعرفتها فائدة اصلا وكان اخوض فيها من باب الفضول لاسيما مع القطع بانه ليس ههنا ما يدل على الجانب الصحيح والذي نعلم انه كان في السعة بحيث يتسع للمؤمنين من قومه ولما يحتاجون اليه ولحصول زوجين من كل حيوان لان هذا القدر مذكور في القرآن فأما غير ذلك القدر فغير مذكور اما قوله تعالى وكلامه عليه ملا من قومه سخروا منه في تفسير الملائكة وجهان قيل جماعة وقيل طبقة من اشرفهم وكبرائهم واختلوا فيما لاجله كانوا يسخرون وفيه وجوه (احدها) انهم كانوا يقولون له يا نوح كنت ندعى

البشرية ليست من موافق له بل من مباديها يعنى انكم اتخذتم قدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبى والحال اى لادى شيئا من ذلك ولا الذى ادعيه يتعلق بشئ منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التى بها تتفاوت مقادير البشر (ولا اقول) مساعدة لكم كقولون (الذين تزدري أعينكم) اى تقصمهم وتعترفهم من زراه اذا عابه واستاند الزدراء الى أعينهم بالنظر الى قولهم وما تراك بك الا الذين هم أرذلنا وما لا اشار بأن ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم فاطلوا ذلك اى لا اقول في شأن الذين استقر ذلهم لفقورهم من المؤمنين (لن يؤتهم الله خيرا) في الدنيا اوقى الاخرة ففى الله ان يؤتهم خيرا الدارين ان قلت هذا القول ليس مما تستكره الكفرة ولا بما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام أسئلة أو استبعا كادعانا للملكية وعلم الغيب وحياة الحرائر من انفساء عليه الصلاة والسلام عن نفسه بطريق التبرؤ والتنزه عنه فمن أى وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم البطل الذى تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستدعي الامور المذكورة وانها لا تتسنى عن ليس على تلك الصفات فان الشورى على مكانها وانه تام بمقامها ليس من رأب الاراذل ناجاب عليه الصلاة والسلام بنى ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من موانع النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع

الحير (الله اعلم بما في أنفسهم) من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه الصلاة والسلام يجازم بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم

ولرشادنا لهم الى مسلك الهداية بان اللاتى لكل احد ان لا يثبت القول الا بما يعلم يقيناً ويبقى اموره على الشواهد الظاهرة ولا يخاف فيها ليس فيه على بينة ظاهرة (انى اذا) اى اذا قلت ذلك (٨٤) (لن الظالمين) لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم اومن الظالمين

رسالة الله تعالى فصرت بعد ذلك نجارا (وثانيها) انهم كانوا يقولون او كنت صادقا في دعواك لكن الهك يبتلىك عن هذا العمل الشاق (وثالثها) انهم ماروا السفينة قبل ذلك ومارفوا كيفية الانتفاع بها وكانوا يعجبون منه ويسخرون (ورابعها) ان تلك السفينة كانت كبيرة وهو كان يصنعها في موضع بعيد عن المساء جدا وكانوا يقولون ليس ههنا ماء ولا يمكنك نقلها الى الانهار العظيمة والى البحار فكانوا يعدون ذلك من باب السفه والجنون (وخامسها) انه لما طالت مدته مع القوم وكان ينذرهم بالفرق وما شا هدوا من ذلك المعنى خيرا ولا اثر ا غلب على ظنونهم كونه كاذبا في ذلك المقال فلما اشتغل بعمل السفينة لاجرم سخر وامنه وكل هذه الوجوه محتملة ثم انه تعالى حتى عنه انه كان يقول ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وفيه وجوه (الاول) التقدير ان تسخروا منا في هذه الساعة فانا نسخر منكم سخرية مثل سخريةكم اذا وقع عليكم الفرق في الدنيا والخرى في الآخرة (الثاني) ان حكمتم علينا بالجهل فيما نضع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما اتم عليه من الكفر والتعرض لمحض الله تعالى وعذابه فانتم اولى بالسخرية منا (الثالث) ان تسخروا منا فانا نسخر منكم واستعجبوا لكم اقمع واشدد لانكم لا تسخروا من الا لاجل الجهل بحقيقة الامر والاغترار بظاهر الحال كما هو عادة الاطفال والجهال فان قيل السخرية من آثار المعاصي فكيف يليق ذلك بالانبياء عليهم الصلاة والسلام قلنا انه تعالى سمي القابلة سخرية كافي قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها اما قوله تعالى فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه اى فسوف تعلمون من هو احق بالسخرية ومن هو احد قابة وفي قوله من يأتيه وجهان (احدهما) ان يكون استغفاما بمعنى اى كما انه قيل فسوف تعلمون انا يأتيه عذاب وعلى هذا الوجه فحل من رفع بالابتداء (والثاني) ان يكون بمعنى الذى ويكون في محل النصب وقوله تعالى ويحل عليه عذاب مقبى اى يجب عليه وينزل به قوله تعالى (حتى اذ جاء امرنا وفار التور قلنا اجل فيها من كل زوجين اثنين) وهلك الامن سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليلا في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف حتى هى التى يتبدأ بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء ووقفت غاية لقوله وبصنع الفلك اى فكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد (المسئلة الثانية) الامر في قوله تعالى حتى اذ جاء امرنا بمحتمل وجهين (الاول) انه تعالى بين انه لا يحدث شئ الا بأمر الله تعالى كما قال انما امرنا شئ اذا اردناه ان نقوله كن فيكون فكان المراد هذا (والثاني) ان يكون المراد من الامر ههنا هو العذاب الموعد به (المسئلة الثالثة) في التور قولان (احدهما) انه التور الذى يخبر فيه (والثاني) انه غيره اما الاول وهو انه التور الذى يخبر فيه فهو قول جماعة عظيمة من المفسرين كابن عباس والحسن ومجاهد وهؤلاء اختلفوا فذهب من قال انه تور نوح عليه السلام وقيل كان لادم قال الحسن كان

لا ينفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في اورد الله واستمر الله وقيل اذا قلت شيئا عاذركم ادعاء الملكية وعلم الغيب وسبابة الخرافات وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال مفنية عن التعليل بلزوم الانظام في زمرة الظالمين (قالوا) يا نوح قد جاد على نفسك (فاكثرت جدالاتنا) اى اطلته أو اتيته بانواعه فان اكثر الجدال يخلق بعد وقوع أسسه فلذلك عطف عليه بالفاء وأوردت ذلك فأكثرت كافي قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستذبح الله ومحاسنهم عليه الصلاة والسلام وأبرز لهم بينات واضحة للدلول وحجبا تنقها المقول بالقبول واقفهم انجررد شبههم بالباطلة منالته عليهم الحيل وعيت بهم الطلوع والقالوا (فأتينا عاتقنا) من العذاب الجمل أو العذاب الذى اشترى اليه في قوله اى اخاف عليكم عذاب يوم الهم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم يوم القيامة (ان سكنت من الصادقين) لهما قول (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) يعنى ان ذلك ليس موكولا الى ولا هو مما يدخل تحت قدرى وانما يتولاه الله الذى كفىكم به وصيقوه بانكم به عاجلوا ورجل ان تمضى به مشيته التابعة لمصكمة وفيما لا يخفى من تحويل الموعود فكانه قيل الايمان به استخرج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله من وجيل (وما اتم بجهنم) بالهروب او بالمداومة كانه اقصوا حتى الكلام (ولا ينصركم نصصى) النصح كلك جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول

او فعل وحقيقته انما ارادة الخير والدلالة عليه وتقيضه الفش وقيل هو اعلام موقع التى لىقى وموقع الرشيد (تورا) لىقنى (ان اردت ان انصح لكم) شرط حذف جوابه للدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينصركم نصصى وهذه الجملة

دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى (ان كان الله يريد ان يفويكم) والتقدير ان كان الله يريد ان يفويكم فان اودت ان انصح لكم لايفكم نصي هذا على ما ذهب اليه البصريون (٨٥) من عدم تقديم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من

جواز حذفه عن وعلا ولايفكم نصي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به ملحق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه الصلاة والسلام اظهارا للبر عن الزمهم بالحج والينبات لتاديبهم في الغناء واذا بان ماسبق منه ليس بطريق الجدال والمصام بل بطريق النسخة لهم والشبهة عليهم وبأنه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهذه نصيحتهم الى سبله المستبين واحسان النصيح لهم ولكن لايفهم ذلك عند اوداته تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصيح باوداته مع انه متحقق لاجلته لا ليدان بأن ذلك النصيح منه مقدر لارادة والاقتحام به لتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ماوقع باذانه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد اداة الاخواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يفويكم بمعلقة بيان غلبة جنابه عن وعلاحيث دل ذلك على ان نصيح المقارن للاقتحام به لايفهم عند مجرد ارادته سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقهم بهم وزيادة كان للاشعار يتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمها رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاكثرت جدالنا مع الله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر ونسيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه

تنورا من مجارة وكان لخواه حتى صار لنوح عليه السلام واختلوا في موضعه فقال الشعبي انه كان بناحية الكوفة وعن علي رضي الله عنه انه في مسجد الكوفة قال وقد صلى فيه سبعون نيا وقيل بالشام بوضع يقال له عين وردان وهو قول مقاتل وقيل فار التنور بالهند وقيل ان امرأته كانت تجبر في ذلك التنور فأخبرته بنجروج الماء من ذلك التنور فاشتغل في الحال بوضع تلك الاشياء في السفينة (القول الثاني) ليس المراد من التنور تنور الخبز وعلى هذا التقدير ففيه اقوال (الاول) انه انفجر الماء من وجه الارض كما قال فقها ابواب السماء بماء منهرو فجرنا الارض عبونا فالتقى الماء على امر قد قدر والعرب تسمى وجه الارض تنورا (الثاني) ان التنور اشرف موضع في الارض واعلى مكان فيها وقد اخرج اليه الماء من ذلك الموضع ليكون ذلك محجرة له وايضا المعنى انه لما نبع الماء من اعلى الارض ومن الامكنة المرتفعة شبهت لارتفاعها بالثناين (الثالث) فار التنور اى طلع الصبح وهو منقول عن علي رضي الله عنه (الرابع) فار التنور يمتلئ ان يكون معناه ما شئت الامر كما قال حى الوطيس ومعنى الآية اذا رأيت الامر يشند والماء يكثر فانج بنفسك ومن معك الى السفينة فان قيل فالاصح من هذه الاقوال قلنا الاصل حل الكلام على حقيقته ولفظ التنور حقيقة في الموضع الذي يجبر فيه فوجب حل اللفظ عليه ولا امتناع في العقل فان يقال ان الماء نبع اولامن موضع معين وكان ذلك الموضع تنورا فان قيل ذكر التنور بالالف واللام وهذا انما يكون معهودا سابق معين معلوم عند السامع وليس في الارض تنور هذا شأنه فوجب ان يحمل ذلك على ان المراد اذا رأيت الماء يشند بنوعه والامر يقوى فانج بنفسك ومن معك قلنا لا يبعد أن يقال ان ذلك التنور كان معلوما لنوح عليه السلام بان كان تنور آدم أو حواء أو كان تنورا عينه الله تعالى لنوح عليه السلام وعرفه انك اذا رأيت الماء بغور فاعلم ان الامر قد وقع وعلى هذا التقدير فلا حاجة الى صرف الكلام عن ظاهره (المسئلة الرابعة) معنى فار نبع على قوة وشدة تشبيها بغليسان القدر عند قوة النار ولاشبهة بأن نفس التنور لا يغور فالمراد فار الماء من التنور والذى روى أن فور التنور كان علامة لهلاك القوم لا تمتنع لان هذه واقعة عظيمة وقد وعد الله تعالى المؤمنين النجاة فلا بد وأن يجعل لهم علامتها يعرفون الوقت المعين فلا يبعد جعل هذه الحالة علامة لحدوث هذه الواقعة (المسئلة الخامسة) قال البيهقي التنور لفظه تمت بكل لسان وصاحبه تار قال الأزهري وهذا يدل على ان الاسم قد يكون أجمعا فعربه العرب فيصير عربيا والدليل على ذلك ان الاصل تار ولا يعرف في كلام العرب تنور قبل هذا ونظيره ما دخل في كلام العرب من كلام الجهم الدياجي والديار والسندس والاستبرق فان العرب لما تكلموا بهذه الالفاظ صارت عربية واعلم أنه لما فار التنور فعند ذلك أمر الله تعالى بأن يحمل في السفينة ثلاثة انواع من الاشياء (فالاول) قوله قلنا حل

من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع وقيل معنى ان يفويكم ان يهلككم من غوى الفصل غوى اذ انتم وهلك (هوربك) خالقكم وما لك اسركم (واليه ترجعون) فيما زيك على اعمالك لاجلته

(ايقولون افتراه) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعنى نوحا عليه الصلاة والسلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ماجا به عندنا الى الله عز وجل (قل) يا نوح (ان افترسته) (٨٦) بالعرض المجتبى (فلي اجرائى) اعمى ووبل اجرائى وهو كسب

الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويضمره ان ضمه الاولون بائى (وأتارى) مائجر مون من اجرامك فى اسناد الاقدار الى فلا وجه لاعراضك عني ومعادتك لى وقال مقاتل يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام ومعناه بل ايقول مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكأنه اعطى به فى تضاعيف القصة عند سوق طرف منها لتحقيق الحقيقتها كيدا لوقوعها وتشويق السامعين الى استماعها لاسما وقد صن منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من الحاجة وقيمت طائفة مستقلة متعلقة بذيابهم (واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك) اى المصرين على الكفر وهو اقطاع له عليه السلام من ايمانهم واعلام لكونه كالحال الذى لا يصح قومه (الا) من قد آمن (الامن) فوجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله تعالى الاما قد سلف فلا يتنبس بما كانوا يفعلون (اى لا نحن) نحن بناس مستكين ولا تقم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والازدياد فى هذه المدة الطويلة فعدائهم افعالهم وحان وقت الانتقام منهم (واصنع الفلك) ملتبسا (يا عينا) اى يحفظنا وكلا تانا كان معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكثران باعينهم من التمدى من الكفرة ومن الزيف فى الصنعة (ووحينا) اليك كيف تصنعها وتعلموا الهامنا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اريد كيف

صنعة الفلك فاحسب الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جوج الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة نوح من الفرق (الايه) فيجب (ما) كوجوبها والامام المعهد بان يعمل على ان هذا مسبوق بوحى الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالفرق ويبيحهم ومنه مبشئ

سبحانه بامرهم تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا واما الجنس قيل صنعتها عليه الصلاة والسلام في سنتين وقيل في اربع مائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة (٨٧) بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط

الدواب والالنام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يجتمعون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه الصلاة والسلام وقيل جعل في الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانسان وفي الاعلى المغير قيل كان طولها ثمانية ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وسكنها ثلاثين ذراعاً وقال الحسن كان طولها الفواقماتى ذراع وعرضها ستائة ذراع وقيل ان الحوار بين قالوا لعيسى عليه الصلاة والسلام لو بعثنا رجلاً شهد السفينة لمحدث عنها من طابق بهم حتى انتهى الى كتيب من تراب فاخذ كفاً من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله! اعلم قال هذا كتب بن حاتم قال ضرب بعصاه فقال: يا ابن الله فاذا هو قائم نصف التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام احكذا هكذا قال لا مت وانشاب ولكي ظننت لها الساعة في غمة حيث قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الفواقماتى ذراع وعرضها ستائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانسان وطبقة للطيرم قال عبد باذن الله تعالى كانت ضاد تراباً ولا تخاطبني في الذين ظلموا اى لا تراجعي قيم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنه وفيه من المبالغة ما ليس فيها لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلبس بالسببية أكد التعليل فقيل (تم مفرقون) اى محكوم عليهم بالاعراف قد مضى به اقتضاء وجب القلم فلا سبيل

علا سبيل الى معرفته الا ان الله تعالى وصفهم بالقلة وهو قوله تعالى وما آمن معه الا قليل فان قيل لما كان الذين آمنوا معه ودخلوا في السفينة كانوا جماعة فلم يقل قليلون كما في قوله ان هؤلاء اشرذمة قليلون قلنا كلا المظنين جائز والتقدير ههنا وما آمن معه الا نفر قليل فاما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعد لانه من الجن وهو جسم ناري او هو اى وكيف يؤثر الفرق فيه وايضا كتاب الله تعالى لم يبدل عليه وخبر صحيح ما ورد فيه قالوا لى ترك الخوض فيه * قوله تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) اما قوله وقال يعنى نوح عليه السلام لقومه اركبوا والركوب العلو على ظهر الشئ ومنه ركوب الدابة وركوب السفينة وركوب البحر وكل شئ علا شيئاً فقد ركبه يقال ركبه الدين قال اللثبي وتسمى العرب من يركب السفينة راكب السفينة واما الركبان والركب من ركبو الدواب والابل قال الواحدي ولقطة في في قوله اركبوا فيها لا يجوز ان تكون من صلة الركوب لانه يقال ركبت السفينة ولا يقال ركبت في السفينة بل الوجه ان يقال مفعول اركبوا محذوف والتقدير اركبوا الله في السفينة وايضا يجوز ان يكون قائمة هذه الزيادة انه امرهم ان يكونوا في جوف الفلك لاعلى ظهرها فلو قال اركبوا لتوهموا انه امرهم ان يكونوا على ظهر السفينة اما قوله تعالى بسم الله مجريها ومرساها ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حزة والكسائي وحفص عن عاصم مجريها بفتح الميم والباقون بضم الميم واتفقوا في مرساها انه بضم الميم وقال صاحب الكشاف قرأ مجريها ومرساها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله تعالى قال الواحدي المجرى مصدر كالاجراء ومثله قوله منزلاً مباركاً وادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وامام قرأ مجريها بفتح الميم فهو ايضاً مصدر مثل المجرى واخبر صاحب هذه القراءة بقوله وهى تجرى بهم ولو كان مجراها لكان وهى تجرى بهم وجملة من ضم الميم ان جرت بهم وأجرتهم يتقاربان في المعنى فاذا قال تجرى بهم فكأنه قال تجرى بهم واما الرسى فهو ايضاً مصدر كالارساء يقال رسا الشئ يرسو اذا ثبت وارساء غيره قال تعالى والجبال ارساء قال ابن عباس يريد تجرى بسم الله وقدرته وترسو بسم الله وقدرته وقبل كان اذا أراد ان تجرى بهم قال بسم الله مجريها فبحرى واذا أراد أن ترسو قال بسم الله مرسيها فترسو (المسئلة الثانية) ذكروا في عمل الارباب في بسم الله وجوها (الاول) اركبوا بسم الله (والثاني) ابداً بسم الله (والثالث) بسم الله اجراؤها وارساؤها وقيل انها سارت لاول يوم من رجب وقيل لعشر مضين من رجب فسارت ستة اشهر واستوت يوم العاشر من المحرم على الجودى (المسئلة الثالثة) في الآية احتمالان (الاول) ان يكون مجموع قوله وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها كلاماً واحداً والتقدير وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها يعنى ينبغي أن يكون اركوب مقرراً بهذا الذكر (والاحتمال الثاني) ان يكونا كلامين والتقدير ان نوحاً

الى كفة ولزمهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للعتيرين ومثلاً للآخرين (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية لاستحضار صوريتها الخفية وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك اوابل يصنعها فاقصر على يصنع واياها كان فيه ملازمة للاستقرار المفهوم من الجملة الواقعة

حالاً من غيره اعني قوله تعالى (وكلما مر على ملا من قومه سخروا منه) استهزؤا به لعله السفينة امالانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والاتضاع بها فيجبوا من ذلك و-سخرها منه وامالانه كان يصنعها (٨٨) في رية لهما في ابد موضع من الماء وفي وقت

عزته عزة شديدة وكانوا يتضحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقبل لانه عليه الخلافة والسلام كان يندهم الفرق فلما طال مكثه فهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا ترا عدوه من باب الخيال ثم لما رأوا اشتغاله بأسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه الصلاة والسلام عاقبة جيدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تترك طفاق واستجهاله عليه السلام في ذلك (قال ان تسخر واما) مستحيلين لنا فيما نحن فيه (فاناسخ منكم) اي نستجملكم فيما اتم عليه والخلق السخري عليه للمشاقة وجمع السخري فينا امالان سخرتهم منه عليه الصلاة والسلام سخرتهم من المؤمنين ايضا اولائهم كانوا يسخرون منهم ايضا لانه انكفى بذكر سخرتهم منه عليه الصلاة والسلام ولذلك تعرض الجميع للخيالة في قوله تعالى فاناسخ منكم الخ فكيف كان الكلام من الجاني وتعلق استجهاله عليه الصلاة والسلام ايهم بما فعلوا من السخري باعتبار اظهار ومشاافته عليه الصلاة والسلام ايهم بذلك والافسده عليه الصلاة والسلام ايهم سبحانه فيما يأبون ويذرون اسرهم طرد لا تعلق له بسخرتهم منهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يتصدى لاطهاره جريا على نهج الاخلاق الحيدة واما اظهره جزاء بما صنعوا به الدنيا والتي فان سخرتهم كانت مقررة ومجيدة حسب تجدد مودهم عليه

ولم يكن يجيبهم في كل مرة والاقتبل ويقول ان تسخروا مني بل انما الجاهل بعد بلوغ اذهام الغاية كما يؤذنه (نص) الاستئناف فكان سائلا سأل فقال لما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ قيل قال ان تسخروا مني اي ان تسبونوا فيما نحن بصدد

من التأهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتخبروا متالاجله فاننا نسبحك اليه فيما اتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايان والطاعة ومن الاستمرار على الصبر والمصابى (٨٩) والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جهتها

استجها لكم ايانا ومخبركم منا والتشديد في قوله تعالى (كما تستفرون) اما في مجرد التحقق والوقوع اوفى التجدد والتكرر حسيا صدر عن ملائمة ملائمة الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشأن النبي عليه الصلاة والسلام فكلا الامرين واقع في الحال وقيل بنظر منكم في المستقبل خربة مثل مخبركم اذا وقع عليكم الفرق في الدنيا والخرق في الآخرة ولعل مراده لعلكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس الضعيفة عسلا يكاد يلقى بمنصب النبوة ومع ذلك لاسداده لان حالهم اذ ذلك ليس مما يلائمه الضعيفة وما يجري مجراها فتأمل (فسوف تعلمون من ياتيه عذاب بخبره) وهو عذاب الفرق (ويصل عليه) حلول الدين المؤجل (عذاب مقيم) هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في جزاء رفع او موصولة في محل نصب يتعملون وما في جزاء ساد مسد متعولين او مفعول واحدان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار مخبرهم استجها لهم اياه عليه الصلاة والسلام في مكابدة المشاق الفاحشة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت العصاة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يؤمنون به عذابا قيل بعد استجها لهم فسوف تعلمون من ياتيه العذاب يعني انما المشقة ليس فيه عذاب لاحق في فسوف تعلمون من العذاب ولقد اصاب العذاب استجها لهم عزه وصف العذاب بالاخراء لما في الاستبراء

نص عليه فقال ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه فقال يابني وصرف هذا اللفظ الى انه ربه ما أطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف للكلام عن حقيقة الى مجازه من غير ضرورة وانه لا يجوز والذين خالفوا هذا الظاهر انما خالفوه لانهم استبعدوا ان يكون ولد الرسول المعصوم كافرا وهذا بعيد فانه ثبت ان والد رسولنا صلى الله عليه وسلم كان كافرا ووالد ابراهيم عليه السلام كان كافرا بنص القرآن فكذلك ههنا ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في انه عليه السلام لما قال رب لا تنر على الارض من الكافرين ديارا فكيف ناداه مع كفره فأجابوا عنه من وجوه (الاول) انه كان ينافق أباه فظن نوح انه مؤمن فلذلك ناداه ولولا ذلك لما احب نجاته (والثاني) انه عليه السلام كان يعلم انه كافر لكنه ظن انه لما شاهد الفرق والاهوال العظيمة فانه يقبل الايمان فصار قوله يابني اركب معنا كالادلة على انه طلب منه الايمان وتأكد هذا بقوله ولا تكن مع الكافرين اى تابعهم في الكفر واركب معنا (والثالث) ان شفقة الابوة لعلها جعلته على ذلك النداء والذي تقدم من قوله الامن سبق عليه القول كان كالجمل فعله عليه السلام يجوز ان لا يكون هو دخلا فيه (القول الثاني) انه كان ابن امرأته وهو قول محمد بن علي الباقر وقول الحسن البصري ويروى ان عليا رضي الله عنه قرأ ونادى نوح ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير انه بفتح الهاء يريدان ابنها الا انها اكتنفا بالفخفة عن الالف وقال قتادة سألت الحسن عنه فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه انه قال ان ابني من اهلي وانت تقول ما كان ابنه فقال لم يقل انه مني ولكنه قال من اهلي وهذا يدل على قولي (القول الثالث) انه ولد على فراشه لغير رشفة والقائلون بهذا القول اوجبوا بقوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط فختاتهما وهذا قول خبيث يجب صون منصب الانبياء عن هذه الفضيحة لاسبابها وهو على خلاف نص القرآن اما قوله تعالى فختاتهما فليس فيه ان ثلث الخيانة انما حصلت بالسبب الذي ذكروه قبل لابن عباس رضي الله عنهما ما كانت تلك الخيانة فقال كانت امرأة نوح تقول زوجي مجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه اذا تزوا به ثم الدليل القاطع على فساد هذا المذهب قوله تعالى الخيئات للخيئين والخيئين للخيئات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وايضا قوله تعالى اترابي لا ينكح الزانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين وبالجملة فقد دللنا على ان الحق هو القول الاول واما قوله وكان في معزل فاعلم ان المعزل في اللغة معناه موضع منقطع عن غيره واصله من العزل وهو التخمية والابعد تقول كنت بمعزل عن كذا اى موضع قد عزل منه واعلم ان قوله وكان في معزل لا يدل على انه في معزل من اى شيء فلهذا السبب ذكروا وجوها (الاول) انه كان في معزل من السفينة لانه كان يظن ان الجبل يمنع من الفرق (الثاني) انه كان في معزل عن ابيه واخوته وقومه (الثالث) انه كان في معزل من الكفار كانه انفرد عنهم فظن نوح عليه السلام ان ذلك

والضعفة من لحوق نظري والعار حادة (١٢) (را) (حا) والتعرض لحلول العذاب المقيم لليلافة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وإيراد الاول بالآيتين في غاية الجزالة (حتى انزلناه امرأته) حتى هي التي تبدأ بها الكلام دخلت على الجثة الشرطية وهي مع

ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخر وا منه جواب لكم ما قال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرنا وقيل هو الجواب وسخر وامنه بدل من مراد صفة للائود صرحت ان الحق (٦٠) هو الاول لان المقصود بيان ناهيهم في ايذائه عليه الصلاة

والسلام وتصله لادبهم لا مسارعة عليه الصلاة والسلام الى جوابهم كما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام (وفار التور) تبع منه الله وارفع بشدة كما تقود القدر بفلانهاوالتور تنورا الخبز وهو قول الجهور روى انه قيل لنوح عليه الصلاة والسلام اذ ارأيت المايقور من التور فاركب ومن ملك في سفينة فلتبع المايخبره امراته فركب وقيل كان تور آدم عليه الصلاة والسلام وكان من خجلة نصار الى نوح واما تبعه وهو المايدي من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع معجدها عن عين الداخل ماعلى باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع اوفى الهند اوفى موضع الشام بقاله عين وردة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعكرمة والزهرى ان التور وجه الارض وعن ثبادة اشرف موضع في الارض اى اعلاه وعن علي رضي الله تعالى عنه فار التور طلع الغير (قلنا اجل فيها) اى في السفينة وهو جواب اذا (من كل) اى من كل نوع لا يسمعه في الارض (زوجين) الزوج ماله مشاكل من نوعه فاذ كرزوج للانثى كما هي زوجة وقد يطلق على مجموعهما فيقال بل الفردو لانه ذلك الاحتمال قيل (اثنين) كل منهما زوج لا اخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على امله وسائر اؤامنه لكونه مرقيا فياخر به من اجل لانه يحتاج الى منزلة العمل منه عليه الصلاة والسلام في تمييز بعضه من بعض وتبيين

الانواع فانه روى انه عليه الصلاة والسلام قال يارب كيف اجعل من كل زوجين اثنين فيسره الله تعالى اليه السباع والاعاصم الطير وغيره ما جعل يضرب بيده في كل جنس فيقع الذمكر في يده البنى والانثى في اليسرى فيجعلهما في السفينة واما البشر

فانما يدخل القلب باختياره فيقف فيه معنى الحبل اولائها انما تحمل بمباشرة البشر وهم اما يدخلونها بعد جلاهم اياها (واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد (٩١) امرأته وبنوه ونسأؤهم (الام سبق عليه القول) بأنه من المفرقين بسبب

ظلم في قوله تعالى ولا تخالني في الذين ظنوا الا يتوالمراء به ايته كنعان وامه واعلة فانما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان تريد بالاهل الالاه ايماناً وهو الظاهر كاستمراره او متصل ان اريد به الالاه قرابة وبكى في صحة الاستثناء المعنوية عند المراجعة الى الاحوالهم والتفحص من اعمالهم وحيى بلى لكون السابق ضارالهم كمايى باللام فيا هو نافع لهم من قوله عن وجل ولقد سقت لنا لملحادنا المرسلين وقوله ان الذين سقت لهم منا الحسنى (ومن آمن) من غيرهم والاراد الالاهل منهم للاستثناء المذكور وايثر صيغة الافراد في آمن مخالفة على لفظ من لا يذان قلته كما اغرب عنه قوله عن فلان (واما من معه الاقليل) قيل كانوا ثمانية نوح عليه الصلاة والسلام واهله وبنوه الثلاثة ونسأؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال ونسأؤهم وبنوه اثنا عشر نساءهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلاً و امرأة واولاد نوح سام وحام ويافت ونسأؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار الغيبة في ايمانهم اللما الى المعبية في مقر الامان والنجاة (وقال) اي نوح عليه الصلاة والسلام لمن معه من المؤمنين كما يبيى عنه قوله تعالى ان ربى لغفور رحيم ولو رجع الى خبر الله تعالى في نسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما ارجمه في الفلك من الازواج كما قيل غمل الازواج او ادخلها

لا عاصم لك الا الله بمعنى ان بسببه تحصل رحمة الله كما اضيف الاحياء الى عيسى عليه السلام في قوله واحيي الموتى لاجل ان الاحياء حصل بدعائه (الوجه الخامس) ان قوله الامن رحم استثناء منقطع والمعنى لكن من رحم الله معصوم ونظيره قوله تعالى ماله به من علم الاتباع الظن ثم انما تعالى بين بقوله وحال بينهما الموج اي بسبب هذه الخبولة خرج من ان يخاطبه نوح فكان من المفرقين * قوله تعالى (وقيل يا ارض ابلي مائى وباسماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعد الاقوم الظالمين) اعلم ان المقصود من هذا الكلام وصف آخر لواقعة الطوفان فكان التقدير انه لما انتهى امر الطوفان قيل كذا وكذا يا ارض ابلي مائى يقال بلغ الماء يبلغه بلاء اذا شربه وابتلع الطعام ابتلاعا اذا لم يعضه وقال اهل اللغة ان فصيح بلغ بكسر اللام يبلغ بفتحها وباسماء اقلعى يقال اقلع الرجل عن عمله اذا كف عنه واقلعت السماء بعد ما طمرت اذا امسكت وغيض الماء يقال غاض الماء بغيض غيضا ومغاضا اذا نقص وغيضته انا وهذا من باب فعل الشئ وقولته انا مثله جبر العظام وجبرته وفقر التم وفقرته ودلع اللسان ودلعته ونقص الشئ ونقصته فقوله وغيض الماء اي نقص وما بق منه شئ واعلم ان هذه الآية مشتملة على الفاظ كثيرة كل واحد منها دل على عظمة الله تعالى وعلو كبريائه (فاؤلها) قوله وقيل وذلك لان هذا يدل على انه سبحانه في الجلال والعلو والعظمة بحبثاته متى قيل لم ينصرف العقل الى الاله ولم توجه الفكر الى ان ذلك القائل هو هو وهذا تبينه من هذا الوجه على انه تقرر في العقول انه لا حاكم في العالمين ولا منصرف في العالم العلوى والعالم السفلى الاله (وثانيها) قوله يا ارض ابلي مائى وباسماء اقلعى فان الحس يدل على عظمة هذه الاجسام وشدها وقوتها فاذا شعر العقل بوجود موجود قاهر لهذه الاجسام مستول عليها منصرف فيها كيف شاء واد اصر ذلك سببا لوقوف القوة العقلية على كمال جلال الله تعالى وعلو قهره وكمال قدرته ومشيئته (وثالثها) ان السماء والارض من الجمادات فقوله يا ارض وباسماء مشعر بحسب الظاهر على ان امره وتكليفه نافذ في الجمادات فعند هذا يحكم الوهم بأنه لما كان الامر كذلك فلان يكون امره نافذا على العقلاء كان اولى وليس مرادى منه انه تعالى يأمر الجمادات فان ذلك باطل بل المراد ان توجيه صيغة الامر بحسب الظاهر على هذه الجمادات القوية الشديدة بقر في الوهم نوع عظمتهم وجلالة تقرير اكلاما واما قوله وقضى الامر فالمراد ان الذى قضى به وقدره في الازل قضاء جزما حتما فقد وقع تنبها على ان كل ما قضى الله تعالى فهو واقع في وقته وانه لا دافع لقضائه ولا مانع من تنفاد حكمه في ارضه وسماؤه فان قيل كيف يليق بحكمة الله تعالى ان يفرق الاطفال بسبب جرم الكفار قلنا الجواب عنه من وجهين (الاول) ان كثيرا من المفسرين يقولون ان الله تعالى اعقم ارحام نساءهم قبل الفرق بأربعين سنة فلم يفرق الامن بلغ سنه الى الاربعين ولقائل ان يقول لو كان الامر

في الفلك وقال للؤمنين (اركبوا فيها) كاسياتي منه في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب المعلوم على شئ متهرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان الامور به كونه في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش وقلها

في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب الخليفة والمكانية في القفاك والسرفيه ان معنى الركوب العلو عن شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة (٩٢) والجملة ونحوها فاذا استعمل في الاول يوفيه

حظا لاصل فيقال ركبت الفرس
وعليه قوله عز من قائل والجيل
والبنات والحجر لتركبها وان
استعمل في الثاني يولوج بمعية
المفعول بكتمة فيقال ركبت
في السفينة وعليه الآية الكريمة
وقوله عز قائل فاذا ركبوها في
القفاك وقوله تعالى فانطلقا
حق اذ ركبا في السفينة خرقتها
(بسم الله) متعلق بركبوها حال من
فاعله اي اركبوهم الله تعالى
او قائلين بسم الله (بجرىها
ومرساها) نصب على الظرفية
اي وقت جريها وارسائها على
انها اسم زمان او مصدران
كالاجراء والارساء بصذف
الوقت فقوله آتتكم حقوق
النجم او اسماء كان انصب بما في
بسم الله من معنى الفعل او ارادة
القول ويجوز ان يكون بسم الله
بجرىها ومرساها مستغنى من مبتدأ
وخبر في موضع الحال من ضمير
القفاك اي اركبوها فيها بجرأ
ومرساة باسم الله بمعنى التقدير
كقوله تعالى ادخلوها خالدين
او جعله مقتضية على ان نوحا
امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم
بان اجراءها وارساءها باسم
الله تعالى فيكونان كلامين له
عليه الصلاة والسلام قيل كان
عليه السلام اذا اراد ان يجرها
يقول بسم الله فجرى واذا اراد
ان يرسها يقول بسم الله فرسوا
ويجوز ان يكون الاسم مقصدا
في قوله
الى الحول ثم اسم السلام عليها
وبراد بانه اجراءها وارساءها
اي بقدرته وامره وقرئ بجرأ
ومرسها على صيغة الفاعل
مجرورى اهل صفتين لله عز
وجل وجرأها ومرساها بفتح

على ما ذكرتم لكان ذلك آية عجبية قاهرة وبيد مع ظهورها استمرارهم على الكفر وايضا
فهب انكم ذكرت ما ذكرتم فاقولكم في اهلاك الطير والوحش مع انه لا تكليف عليها
البيته والجواب الثاني وهو الحق انه لا اعتراض على الله تعالى في افعاله لا بسأل عما يفعل
وهم يسألون واما المعتزلة فهم يقولون انه تعالى افرق الاطفال والحيوانات وذلك بجرى
يجرى اذنه تعالى في ذبح هذه البهائم وفي استعمالها في الاعمال الشاقة الشديدة واما قوله
تعالى واستوت على الجودي فالمعنى واستوت السفينة على جبل بالجزيرة يقال له الجودي
وكان ذلك الجبل جبلا منخفضا فكان استواء السفينة عليه دليلا على انقطاع مادة ذلك
الماء وكان ذلك الاستواء يوم عاشوراء واما قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين فيه
وجهان (الاول) انه من كلام الله تعالى قال لهم ذلك على سبيل اللعن والطرده (والثاني) ان
يكون ذلك من كلام نوح عليه السلام واصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامم الهائل
بسبب اجتماع قوم من الظلة فاذا هلكوا ونجا منهم قال مثل هذا الكلام لانه جار مجرى
الدعاء عليهم فجعله من كلام البشر اقبل قوله تعالى (ونادى نوح ربه فقال رب اني من
اهل وانا وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعطتك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان
اسألك ما ليس لي به علم والافتقر لي وترجى ان كن من الخاسرين) وفيه مسئلتان (المسئلة
الاولى) اعلم ان قوله رب ان ابني من اهل فقد ذكرنا الخلاف في انه هل كان ابنا له ام لا فلا
نصيده ثم انه تعالى ذكر انه قال يا نوح انه ليس من اهلك واعلم انه لما ثبت بالدليل انه كان
ابنائه وجب حمل قوله انه ليس من اهلك على احد وجهين (احدهما) ان يكون المراد
انه ليس من اهل دينك (والثاني) المراد انه ليس من اهلك الذين وعدت ان انجيهم معك
والقولان متقاربان (المسئلة الثانية) هذه الآية تدل على ان العبرة بقرابة الدين
لا بقرابة النسب فان في هذه الصورة كانت قرابة النسب حاصلة من اقوى الوجود ولكن
لما انتفت قرابة الدين لاجرم نقاه الله تعالى بأبلغ اللفاظ وهو قوله انه ليس من اهلك
ثم قال تعالى انه عمل غير صالح قرأ الكسائي عل على صيغة الفعل الماضي وغير بالنصب
والمعنى ان ابنك عمل عيلا غير صالح يعني اشرك وكذب وكثرة غيبر نصب لانها نعت لصدر
محذوف وقرأ الباقون عل بالرفع والتثنية وفيه وجهان (الاول) ان الضمير في قوله انه ما
الى السؤال يعني ان هذا السؤال عل وهو قوله ان ابني من اهل وانا وعدك الحق غير صالح
لان طلب نجات الكافر بعد ان سبق الحكم الجزم بانه لا ينبغي احدا منهم سؤال باطل
(الثاني) ان يكون هذا الضمير عائدا الى الابن وعلى هذا التقدير ففي وصفه بكونه عيلا غير
صالح وجود (الاول) ان الرجل اذا كثرت عمله واحسانه يقال له انه عمل كرم وجود فكذا
ههنا لما كثرت اقدام ابن نوح على الاعمال الباطلة حكم عليه بأنه في نفسه عمل باطل (الثاني)
ان يكون المراد انه ذو عمل باطل فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (الثالث) قال بعضهم

المصدرين اوزمان او مكانين من جرى رسا (ان دي لغفور) للذوق والخطايا (رحيم) لباده ولذلك فيما من هذه الطامة (معنى)
والداهية العامة ولولا ذلك لساقطه وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه

ورحمته على ما عليه رأى أهل السنة (وهى تجرى بهم) متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اى فرسكروا فيها مسعين وهى تجرى ملتبسة بهم (في موج كالجبال) (٩٣) وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل

في ارتفاعها وتراكها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه كالقوت فغير ثابت والشهور انه علا شوايح الجبال خمسة عشر ذراعا واربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجبل يانعا هو قبل ان يتفام الخطب كابدل عليه قوله تعالى (ونادى نوح ابنه) فان ذلك انما يتصور قبل ان تقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه الصلاة والسلام وبين ابنه من المناوضة بالاستعداد الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ايها وابنه بمحذوف الالف على ان الضمير لامر انه وكان بينهما وما قيل من انه كان لغور شدة لقوله تعالى فجاتهاها فاركتاب عطية لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشاور اليه باصبع الطعن وانما المراد بالبيان انما سانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوء حذو حرفها وانت خبير بأنه لا يلازمه الاستعداد الى السفينة فانه صريح في انه لم يقع في حياته بأس بعد (وكان في معزل) اى في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناولوا الخطب باركوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل عن الكفار قد افتره عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعا الى السفينة وقيل كان ينافق اهل فطن انه مؤمن وقيل يعلم انه كسافر الى ذلك الوقت لكنه عليه الصلاة والسلام ظن انه

معنى قوله انه عمل غير صالح اى انه ولدنا وهذا القول باطل قطعاً انه تعالى قال لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم اى اعطك ان تكون من الجاهلين وفيه مستلذان (المسئلة الاولى) احتج بهذه الآية من قدح في عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه (الاول) ان قراءة عمل بالرفع والتون قراءة متواترة فهى محكمة وهذا يقتضى عود الضمير في قوله انه عمل غير صالح اى الى ابن نوح واما الى ذلك السؤال فلقول بأنه عائد الى ابن نوح لا يتم الا باضمار وهو خلاف الظاهر ولا يجوز المصير اليه الا عند الضرورة ولا ضرورة هنا لان اذا حكمنا يعود الضمير الى السؤال المتقدم فقد استغنينا عن هذا الضمير فثبت ان هذا الضمير عائد الى هذا السؤال فكان التقدير ان هذا السؤال عمل غير صالح اى قولك ان ابني من اهلى لطلب نجاته عمل غير صالح وذلك يدل على ان هذا السؤال كان ذنباً ومعصية (الثاني) ان قوله فلا تسألن نبى له من السؤال والمذكور السابق هو قوله ان ابني من اهلى فدل هذا على انه تعالى نهاه عن ذلك السؤال فكان ذلك السؤال ذنباً ومعصية (الثالث) ان قوله فلا تسألن ما ليس لك به علم يدل على ان ذلك السؤال كان قد صدر لاعن العلم والقول بغير العلم ذنب لقوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون (الرابع) ان قوله تعالى انى اعطك ان تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان محض الجهل وهذا يدل على غاية التقرير ونهاية الجزر وايضا جعل الجهل كناية عن الذنب مشهور في القرآن قال تعالى يعملون السوء بجهالة وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين (الوجه الخامس) ان نوحا عليه السلام اعترف باقدامه على الذنب والمعصية في هذا المقام فانه قال انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والاتفرغى وترحنى اكن من الخاسرين واعترافه بذلك يدل على انه كان مذنباً (الوجه السادس) في التمسك بهذه الآية ان هذه الآية تدل على ان نوحا نادى ربه لطلب تخليص ولده من الفرق والآية المقدمة وهى قوله ونادى نوح ابنه وقال يا بني اركب معنا تدل على انه عليه السلام طلب من ابنه الموافقة فنقول امان يقال ان طلب هذا المعنى من الله كان سابقاً على طلبه من الولد او كان بالعكس والاول باطل لان بتقدير ان يكون طلب هذا المعنى من الله تعالى سابقاً على طلبه من الابن لكان قد سمع من الله انه تعالى لا يخلص ذلك الابن من الفرق وانه تعالى نهاه عن ذلك الطلب وبعد هذا كيف قال له يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين واما قلنا ان هذا الطلب من الابن كان متقدماً فكان قد سمع من الابن قوله ساوى الى جبل بعصمى من الماء وظهر بذلك كفره فكيف طلب من الله تخليصه وايضا انه تعالى اخبر ان نوحا لما طلب ذلك منه وامتنع هو صار من الفرقين فكيف يطلب من الله تخليصه من الفرق بعد ان صار من الفرقين فهذه الآية من هذه الوجوه الستة تدل على صدور المعصية من نوح عليه السلام واعلم ان الله دلل الدلائل الكثيرة على وجوب تنزيه الله تعالى الانبياء عليهم السلام من المعاصي وجب

عند مشاهدة تلك الالهوالم يتوثر عما كان عليه وقبل الايمان وقيل لم يكن الذى تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول لنصا في كون ابنه داخلنا تبه بل كان كالجبل فحملته شفقة الابوة على ذلك (يا بني) بفتح الياء اختصارا عليه من الالف المبجلة فياء الاضافة

في قوله يا بني وقرئ بكسر الهمزة اقتصارا عليه من يا الاضافة اوسقطت الباء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة (اركب معنا) قرأ ابو عمرو والكماني وحفص بادغام (٩٤) الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب

عن ذكر الفلك ليعتبر بالانذار
يضيق المقام حيث حال الجريض
دون الفريض مع اغناء الهمية
عن ذلك (ولا تكن مع الكافرين)
اي في المكان وهو وجه الارض
خارج الفلك لاقى الدين وان
كان ذلك مما يوجب كايوجب
ركوبه معه عليه الصلاة والسلام
كونه معه في الايمان لانه عليه
الصلاة والسلام يصدد الضمير
عن الزمكة فلا يلائمه النبي
عن الكفر (قال سآوى الى جبل)
من الجبال (يعصمى) يارتقاه
(من الماء) زعم انه ان ذلك
كسائر المياه في ازمة السيول
المعتادة انى ربما يتقي منها الصمود
الى الربا واليه ذلك وقد بلغ
السيول الزبى وجهلا بان ذلك
انما كان لاهلاك الكفرة وان
لا يخلص من ذلك سوى الانبياء
الى ملأ المؤمنين فذلك اورد
عليه الصلاة والسلام ان بينه
حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك
الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر
ان يجب بانطبق عليه كلامه
ويتبرهن لنفى ما أثبتته للجبيل من
كونه عاصمًا من الماء بان يقول
لا يصيبك منه مفيدا لنفى وصف
العصية عنه فقط من غير تعرض
لنفيه عن غيره ولاننى الموصوف
اصلًا لكنه عليه الصلاة والسلام
حيث (قال لا عاصم اليوم من
امر الله) سلك طريقة نفي الجنس
للتعظيم لنفى جوع افراد العاصم
ذاتا وصفه كما في قولهم ليس
فيه داع ولا عجب اى احد
من الناس للبرالة في نفي كون
الجبيل عاصمًا بالوجهين المذكورين
وزاد اليوم للتعبية على انه ليس
كسائر الايام التي تقع فيها

الوقائع وتل فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالانجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في جبل (اهل)
اضماره بأمر الله اى عذابه الذي اشير اليه حيث قيل حتى اذلجها امرنا تغيبا لشأنه وتحويلا لاسره وتبجها لابنه على

(على الجودي) هو جبل بالموصل او بالشام او بآمل روى انه عليه الصلاة والسلام ركب في القلعة في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فقام ذلك اليوم شكرا فصار سنة (وقيل بعد القوم) (٩٦) الظالمين اى هلاكهم والتعرض لوصف النمل

للشمار بعليته للهاك ولتذكيره
 ماسبق من قوله تعالى ولا تخاطبوا
 في الذين ظلموا منهم مفرقون ولقد
 بلغت الآية الكريمة من مراتب
 الابهار فاصبها وملكت من غرر
 المزايا ناصيتها وقد تصدى
 لتفصيلها المهر الملقنون ولهمرى
 ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون
 اخرى شأن توجي الكرم في هذا
 الباب وتقوض الاسر الى تأمل
 اولى الالباب والله عنده علم
 الكتاب (ونامى نوح ربه) اى
 اراد ذلك بديل الفاء في قوله
 تعالى (قال رب انى من اهل)
 وقد وعدتني انى هم في ضمن
 الامم جعلهم في القلعة والثناء
 على الحقيقة والغال تفصيل ما به
 من الاجال (وان وعدك الحق)
 اى وعدك ذلك وان كل وعدته
 حتى لا يتطرق اليه خلق فيدخل
 فيه الوعد المهورد دخولا اوليا
 (وانت احكم الحاكمين) لانك
 اعلمهم واعلمهم وانت اكبر
 حكمة من ذوى الحكم على ان
 الحاكم من الحكمة كالدارع من
 الدرع وهذا الدعاء منه عليه
 الصلاة والسلام على طريقة دعاء
 ايوب عليه الصلاة والسلام
 اذ نادى بهانى معنى الضر وان
 ارجع الراعين (قال يا نوح) لا كان
 دعاءه عليه الصلاة والسلام
 بتذكير وعده جل ذكره منبها
 على كون كنعان من اهل نفي
 اولاً كونهم منهم بقوله تعالى
 (انهم من اهل) اى ليس
 منهم اصلاً لان مدار الاهلية
 هو القرابة الدينية ولا ملافة
 بين المؤمنين والكافرين وليس من
 اهل الذين امرتك بحملهم في
 القلعة لخروجهم بالاستثناء

(بلك)

وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستشاف

الحقيق بقوله تعالى (انه عمل غير صالح) اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كقوله تعالى (انفسه فأنما هي اقبال وادبار

واينار غير صالح على فاسد لما لان التامد وما يطلق على مافسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصا لما هو من قبيل الفاسد الحض
كانت والظالم ولما للتأويل بان نجاة (٩٧) من نجاة اعمامه اصلاحه وقرا الكسائي ويقوب الله عمل غير صالح اي

بلدك فان قيل ان ليس فكذلك فدية طوفان نوح عليه السلام مشهورة عند اهل النظم قلنا
هذه القصة بعد التحال كانت مشهورة اما التفسير المذكورة فاكنت مألوفة ثم
قال فاصبر ان الناقبة للثقلين والنبي يا محمد احبر انت وقومك على اذى هؤلاء الكفار
كاصبر نوح وقومه على اذى اولئك الكفار وفيه تنبيه على ان الصبر صاقبه النصر
والظفر والفرح والسرور كما كان نوح عليه السلام وقومه فان قال قائل انه تعالى
ذكر هذه القصة في سورة يونس ثم انه اعادها ههنا مرة اخرى فالفائدة في هذا التكرار
قلنا ان القصة الواحدة قد ينفع بها من وجوه في السورة الاولى كان الكفار يستعملون
نزول العذاب فذكر تعالى قصة نوح في بيان ان قومه كانوا يكذبونه بسبب ان العذاب
ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكذا في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه السورة
ذكر هذه القصة لاجل ان الكفار كانوا يبالغون في الانحاش فذكر الله تعالى هذه القصة
ليبين ان اقدام الكفار على الاذناء والانحاش كان حاصلا في زمان نوح الا انه عليه السلام
لما صبر نال الفتح والظفر فكان يا محمد كذلك لتلئال المقصود ولما كان وجه الانتفاع بهذه
القصة في كل سورة من وجوه آخر لم يكن تكررها خاليا عن الفائدة ع قوله تعالى (والي

عادا حاكم هو ذا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسئلكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني أفلا تعقلون) اعلم ان هذا هو القصة الثانية
من القصص التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة واعلم ان هذا معطوف على قوله ولقد
ارسلنا نوحا والتقدير ولقد ارسلنا الى عاد اخاهم هوذا وقوله هوذا عطف بيان واعلم
انه تعالى وصف هوذا بأنه اخوهم ومعلوم ان تلك الاخوة ما كانت في الدين وانما كانت
في النسب لان هوذا كان رجلا من قبيلة عاد وهذه القبيلة كانت قبيلة من العرب وكانوا
بناحية اليمن ونظيره ما قيل للرجل يا خاتمهم ويا خاسمهم والمراد رجل منهم فان قيل انه تعالى
قال في بن نوح انه ليس من اهله فين ان قرابة النسب لا تنفذ اذا لم تحصل قرابة الدين
وههنا ثبت هذه الاخوة مع الاختلاف في الدين فالفرق بينهما قلنا المراد من هذا الكلام
استمالة قوم محمد صلى الله عليه وسلم لان قومه كانوا يستبدون في محمد مع انه واحد من
قبيلتهم ان يكون رسولا اليهم من عند الله فذكر الله تعالى ان هوذا كان واحدا من عاد
وان صالحا كان واحدا من عود لازالة هذا الاستبعاد واعلم انه تعالى حكى عن هود
عليه السلام انه دعا قومه الى انواع من التكليف (فأتوا ع الاول) انه دعاهم الى التوحيد
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره ان انتم الا مفترون وفيه سؤال وهو انه كيف
دعاهم الى عبادة الله تعالى قبل ان اقام الدلالة على ثبوت الاله تعالى قلنا دلائل وجود
الله تعالى ظاهرة وهي الدلائل الآفاق والانس وقلنا توحيد في الدنيا طائفة يتكبرون
وجود الاله تعالى ولذلك قال تعالى في صفة الكفار ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله ع قال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه الله وحتم له

تعالى لاصحاب اليوم من امر الله الامن رحم ومحمد (١٣) (دا) (خا) حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به
لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنته مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عليه السلام

ان يدعوهم الى الفلك او يدعوه لاجنائه واعتزله عنه عليه الصلاة والسلام وقصده الاجناء الى الجبل ليس بنص في الامرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا (٩٨) يجرى مجراء اولئك اهل الجبال في الفلك

بالجسنى دخلت بلاد الهند فرأيت اولئك الكفار مطبقين على الاعتراف بوجود الاله واكثر بلاد الترك ايضا كذلك وانما الشأن في عبادة الاله فانهما آفة عمت اكثر اطراف الارض وهكذا الامر كان في الزمان القديم اعني زمان نوح وهو ذو صالح عليهم السلام فهو لاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يمنعونهم من عبادة الاصنام فكان قوله اعبدوا الله معناه لاتعبدوا غير الله والدليل عليه انه قال عقيبه ما لكم من اله غيره وذلك يدل على ان المقصود من هذا الكلام منعهم عن الاستغفال بعبادة الاصنام واما قوله ما لكم من اله غيره فقرأه غيره بارفع صفة على محل الجار والمجرور وقرأه بالجر صفة على اللفظ ثم قال انتم المافترون يعني انكم كاذبون في قولكم ان هذه الاصنام تحسن عبادتها او في قولكم انها تستحق العبادة وكيف لا يكون هذا كذبا وافتراء وهي جادات لاحس لها ولا ادراك والانسان هو الذي ركبها وصورها فكيف يليق بالانسان الذي صنعها ان يعبدها وان يضع الجبهة على التراب تعظيما لها ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ارشدهم الى التوحيد ومنعهم عن عبادة الاله قال ويا قوم لاسألكم عليه اجرا ان اجري الاعلى الذي فطرنى وهو عين ما ذكره نوح عليه السلام وذلك لان الدعوة الى الله تعالى اذا كانت مطهرة عن دنس الطمع قوى تأثيرها في القلب ثم قال افلا تعقلون يعني افلا تعقلون اني مصيب في المنع من عبادة الاصنام وذلك لان العلم بحجة هذا المنع كاشف

مركز في بداية العفول عليه السلام قوله تعالى (ويا قوم استغفروا ربهم ثم توبوا اليه يرسل اسماء عليكم مدارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) اعلم ان هذا هو النوع الثاني من التكليف التي ذكرها هو دعيه السلام لقومه وذلك لانه في المقام الاول دعاهم الى التوحيد وفي هذا المقام دعاهم الى الاستغفار ثم الى التوبة والفرق بينهما قد تقدم في اول هذه السورة قال ابو بكر الاصم استغفروا اى سلوه ان يغفر لكم ما تقدم من شرككم ثم توبوا من بعده بالندم على ماضى وبالعزم على ان لا تعودوا الى مثله ثم انه عليه السلام قال انكم متى فعلتم ذلك فانهما على اكثر النعم عندهم ويقويكم على الانتفاع بتلك النعم وهذا غاية ما يراد من السعادات فان النعم ان لم تكن حاصلة تعذر الانتفاع وان كانت حاصلة الا ان الحيوان قام به المنع من الانتفاع بها لم يحصل المقصود ايضا اما اذا كثرت النعمة وحصلت القوة الكاملة على الانتفاع بها فهنا تحصل غاية السعادات والبهجة فقله تعالى يرسل السماء عليكم مدارا اشارة الى تكثير النعم لان مادة حصول النعم هي الامطار الواقعة وقوله ويزدكم قوة الى قوتكم اشارة الى كمال حال القوى التي بها يمكن الانتفاع بتلك النعمة ولا شك ان هذه الكلمة جامعة في البشارة بتحصيل السعادات وان الزيادة عليها متمتع في صريح العقل ويجب على العاقل ان يتأمل في هذه اللطائف ليعرف ما في هذا الكتاب الكريم من الامرار المحففة واما المفسرون فانهم قالوا القوم كانوا مخصوصين في الدنيا بنوعين من الكمال (احدهما) ان ابائهم ومزارعهم كانت في غاية الطيب

بل قوله ساوى الى الجبل يعني من الماء بعدما قاله نوح عليه الصلاة والسلام ولكن مع الكافرين بما يصطبه عليه السلام في اعانه حيث لم يقل اكون معهم اوساوى اذ يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعليين المذكورين ربما يشمر بفراده من الكافرين واعتزله عنهم وامتناله بعض ما مر به نوح عليه الصلاة والسلام لانهما عليه الصلاة والسلام لوتأمل في شأنه حتى التأمل وتقص عن احواله في كل ما ياتي ويذكر مما يشبه عليه لانه ليس في من وانه المستثنى من اهل ذلك قيل (اني اعطاك ان تكون من الجاهلين) فبعد عن ترك الاولى بذلك وقرأه فلا تسألن بغيره الاضافه بانون التوبة ياء وبغير ياء (قال رب انى اعطيتك ان اسألك) اى اطلب منك من بعد (ما ليس لي به علم) اى اطلبوا بلا علم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لاعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مثبت الخال او لاعلم انه صواب او غير صواب على مامر وهذه توبة منه عليه السلام بما وقع منه وانما لم يقل اعطيتك منه او من ذلك المباعدة في التوبة وتطهير الرغبة والشاط فيها وتذكيره كرامته الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول توب اليك ان اسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا محمدا لايخص منه الا بالوفاة لله تعالى وان قدرته فاصرة عن النجاة من الكاره الا بذلك (والافتقر الى ما صدر عنى من السؤال المذكور) (وترجم) يقبول توبى (اكن من

الخاصرين) اعلم ان سبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لاسيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة (والبهجة) التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال بالمال يعني خصوصا بمبادئ خلاص من قيل في شأنه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى

في امره معاملته غير رابحة وخسران مبین وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامم الوارد على الارض والسماء وما يتلو من زوال الطوفان وقتنا الامم واستواء التراب على الجودی (٩٩) والدعاء بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر غيب قوله تعالى فكان

والبحجة والدليل عليه قوله ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد (والتاني) انهم كانوا في غاية القوة والبطش ولذلك قالوا من اشد مناقرة ولما كان القوم مقتضرين على سائر الخلق يهين الامرين وعدهم هود عليه السلام انهم لو تركوا عبادة الاصنام واشتغلوا بالاستغفار والتوبة فان الله تعالى يقوى حالهم في هذين المظلومين ويريدهم فيها درجات كثيرة ونقل ايضا ان الله تعالى لما بعث هودا عليه السلام اليهم وكذبوه وحسب الله عنهم المرسين واعقم ارحام نسائهم فقال لهم هود ان آمنتم بالله احب الله بلادكم ورزقكم المال والولد فذلك قوله يرسل السماء عليكم مدرارا والمدرار الكثير الدرو وهو من ابنية المبالغة وقوله ويزدكم قوة الى قوتكم قصصروا هذه القوة بالمال والولد الشدة في الاعضاء لان كل ذلك مما يقوى به الانسان فان قيل حاصل الكلام هو ان هودا عليه السلام قال لو اشتغلتم بعبادة الله تعالى لانفتحت عليكم ابواب الخيرات الدينية وليس الامر كذلك لانه عليه الصلاة والسلام قال خص البلاء بالانبياءم الاولياء ثم الامثل فالمثل فكيف الجمع بينهما وايضا فقد جرت عادة القرآن بالترغيب في الطاعات بسبب ترتيب الخيرات الدينية والاخروية عليها فاما الترغيب في الطاعات لاجل ترتيب الخيرات الدينية عليها فذلك لا يليق بالقرآن بل هو طريق مذكور في التوراة (الجواب) انما اكثر الترغيب في السعادات الاخروية لم يبعد الترغيب ايضا في خير الدنيا بقدر الكفاية واما قوله ولاتولوا مجرمين فعناه لاتعرضوا عنى وعادعواكم اليه وارضكم فيه مجرمين اي مصريين على اجرامكم واتامكم ﴿ قوله تعالى (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بشاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم اعلم انه تعالى لما حكى عن هود عليه السلام ما ذكره لقوم حكى ايضا ما ذكره القوم له وهو اشياء (اولها) قولهم ما جئتنا ببينة اي بحجة والبينة سميت ببينة لانها تبين الحق من الباطل ومن المعلوم انه عليه السلام كان قد اظهر المعجزات الا ان القوم يجهلهم انكروها وزعموا انه ماجاء بشئ من المعجزات (ثانيها) قولهم وما نحن بشاركي آلهتنا عن قولك وهذا ايضا ركيك لانهم كانوا يعترفون بان التافع والضار هو الله تعالى وان الاصنام لاتتفع ولا تضرومى كان الامر كذلك فقد ظهر في بدية العقل انه لا يجوز عبادتها تركهم آلهتهم لا يكون عن مجرد قوله بل عن حكم نظر العقل وبدية النفس (وثالثها) قوله وما نحن لك بمؤمنين وهذا يدل على الاصرار والتقليد والجمود (ورابعها) قولهم ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء يقال اعتراه كذا اذا غشيه واصابه والمعنى انك شمت آلهتنا فجعلتك مجنونا وافسدت عقلا ثم انه تعالى ذكر انهم لما قالوا ذلك قال هود عليه السلام اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه وهو ظاهر ثم قال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وهذا نظير

من المخرفين حسبا وقع في الخارج اذ حشد يتصور الدعاء بالاجباء لابعاد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استغفله بغير من مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان لا يقدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع في قصة البقر من تقديم ذكر الاسر يذبحها على ذكر القتل الذي هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذنتم نفسا فادارتهم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما اثر ربي موضع فان تغيير الترتيب هناك للذلة على كالمسوء حال اليهود بتعديد جناتهم المتنوعة وتبني التفرع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة افغ لتقريهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا الخ للتفرع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قسمت القصة على ترتيبها لثابت الفرض الذي هو تلبية التفرع والظن ان الجموع بتقريب واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الخ لا يوفت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا الذناء كما ترى مستند لذكر ما من من الجواب المستدعي لذكر ما من من توبته عليه الصلاة والسلام المؤدى ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامم الوارد بقرانه عليه الصلاة والسلام من الفلك بالسلام والبركات الفاضلة عليه وعلى المؤمنين حسبا سمي مفصلا ولاريب في ان هذه المعاني اخذ بعضها بحسنة بعض بحيث لا يكاد يفرق الايات الكريمة المطلوبة عليها بعضها من بعض وان ذلك اتجايم تمام القصة ولاريب ان ذلك انما يكون بقام الطوفان فلا جرم

اتخذ الحمال ذكرهما معا قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المشرقين واجل هذه النكسة ازداد حسن موعظ
الايباز البالغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر (١٠٠) ولو ذكر النداء الثاني سيقب قوله تعالى فكان
من المشرقين لربما توهم من نزل

الامر الى ان يرد قوله انه ليس من
اهلكه ان ينجو بدعائه عليه الصلاة
والسلام فخص على هلاكه من
اول الامر ثم ذكر الامر الوارد
على الارض والسجد السدى هو
عبادة عن تلقى الارادة الربانية
الالهيية بما ذكر من الفيض
والاقلع وبين بلوغ امر الله سبحانه
وجريان قضائه ونفوذ حكمه
عليهم بهلاكه من هلاك وتجاته من
نجا تمام ذلك الطوفان واستواء
الفلك على الجودي قصص
القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك
اى يسان ثم تعرض للموقع في
تضاميف ذلك مما جرى بين نوح
عليه السلام وبين رب العزت جل
حكمته فذكر بعد توبته عليه
الصلاة والسلام قولها بقوله (فيل
يا نوح اهبط) اى ازل من الفلك
وقرى بضم الباء (بسلام) ملتبسا
بسلامة من المكاره كاشة (منا)
او بسلام وصحة منا عليك كما قال
سلام على نوح في العالمين (وركبت
عليك) اى خوات نامية في نسائك
وما يقو به معاشك ومعاشهم من
انواع الارزاق وقرى بركة وهذا
اعلام ويشار من الله تعالى بقبول
توبته وخلصه من الحسران
بفيضان انواع الخيرات عليه في
كل ما بآى وما يند (وعلى ائمه)
ناشة (عن معك) اى يوم القيامة
مستقبعة منهم فمن ابتدائية والمراد
الامم المؤمنة المتناسلة عن ممة الى
يوم القيامة (وائم منهم) اى
ومنهم على انه خبر حنيف لدلالة
ما سبق عليه فان ايراد الامم المباركة
عليهم التسمية منهم نكر تيدل على
ان بعض من يشتم منهم ليسوا
على صفتهم يعنى ليس جميع من تشبههم ممثلا ومباركا عليه بل منهم اثم محتمون في الدنيا معذبون في الآخرة (وعلى)
هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام ممثلا ومباركا عليهم صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه الصلاة والسلام

ما قاله نوح عليه السلام لقومه فأجسوا امركم وشركاءكم الى قبيله ولا تشكروني واعلم ان
هذا معجزة قاهرة وذلك ان الرجل الواحد اذا اقبل على القوم المنظم وقال لهم بالنوا
في عداوتي وفي موجبات ايناتي ولا تؤجلون فانه لا يقول هذا الا اذا كان وثاقا من عند
الله تعالى بأنه يحفظه ويصونه عن كيد الاعداء ثم قال ما من دابة الا هو أخذ بناسيها قال
الازهرى الناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت هناك
ناصية باسم منته واعلم ان العرب اذا وصفوا انسانا بالذلة والخنوع قالوا ما ناصية فلان
الا يد فلان اى انه مطيع له لان كل من اخذت ناصيته فند قهره وكافوا اذا اسروا
الاسير فأرادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليكون ذلك خلاصة لتهربه فخنو طوباني
القرآن بما يعرفون بقوله ما من دابة الا هو أخذ بناصيتها اى ما من حيوان الا وهو تحت
قهره وقدرته ومقاد لقضائه وقدره ثم قال ان ربى على صراط مستقيم وفيدو جوده (الاول)
انه تعالى لما قال ما من دابة الا هو أخذ بناصيتها اشعر ذلك بقدرته علية وقهر عظيم فأتبعه
بقوله ان ربى على صراط مستقيم اى انه وان كان قادرا عليهم لكن لا يظلمهم ولا يقبل بهم
الا ما هو الحق والعدل والصواب قالت المعتزلة قوله ما من دابة الا هو أخذ بناصيتها يدل على
التوحيد وقوله ان ربى على صراط مستقيم يدل على العدل فثبت ان الدين اعمائهم بالنو حيد
والعدل (الثانى) انه تعالى لما ذكر ان سلطانه قهر جميع الخلق اتبعه بقوله ان ربى على
صراط مستقيم يعنى انه لا يخفى عليه مستر ولا يفتوه هارب فذكر الصراط المستقيم وهو
يعنى به الطريق الذى لا يكون لاحد مسلك الا عليه كما قال ان ربك بالمرصاد (الثالث) ان
يكون المراد ان ربى يدل على الصراط المستقيم اى يبحث او يحكمكم بالهداية ^١ قوله
تعالى (فان تولوا فقد ابلتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضروهم
شيئا ان ربى على كل شئ حفيظ) اعلم ان قوله فان تولوا يبنى فان تولوا ثم فيه وجهان
(الاول) تقدير الكلام فان تولوا لم اعاتب على تقصير في الابلغ وكنتم عجبو حين كانه
يقول انتم الذين اصررتم على التشكيب (الثانى) فان تولوا فقد ابلتكم ما ارسلت به اليكم
ثم قال ويستخلف ربي قوما غيركم يعنى يخلق بعدكم من هو اطوع لله منكم وهذا اشارة
الى نزول عذاب الاستئصال ولا تضروهم شيئا يعنى ان اهلاكم لا ينقص من ملكه شيئا
ثم قال ان ربى على كل شئ حفيظ وفيه ثلاثة اوجه (الاول) حفيظ لاعمال العباد
حتى يجازيهم عليها (الثانى) يحفظني من شرك ومكرهم (الثالث) حفيظ على كل شئ
يحفظه من الهلاك اذا شاء ويهلكه اذا شاء ^٢ قوله تعالى (ولما جاء امرنا نبيها هو دا
والذين آمنوا معه برجة منا ونبيهاهم من عذاب غليظ وتلك عاد جدوا بايات
رهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لندة ويوم
القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود) اعلم ان قوله ولما جاء امرنا
اى عذابنا وذلك هو ما نزل بهم من الريح العقيم عذبهم الله بها سبع ليال وثمانية ايام

ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان تكون من بيانه اي وعلى اسمهم الذين ملكوا وما سواها لانهم اسم مقصورة
وبهايات مشفرة اولان جميع الامم انما سميت منهم (١٠١) فحينئذ يكون المراد بالام المشار اليهم في قوله تعالى وانهم ستنعم

تدخل في مناسرتهم وتشرح من اديارهم وتصبرهم على الارض على وجوههم حتى
صاروا كالحجاز نخل خاوية فان قيل فهذه الريح كيف تؤثر في اهلها كلهم قلنا يحتمل ان
يكون ذلك لشدة حرها اولشدة بردها اولشدة قوتها فخطف الحيوان من الارض
ثم تضربه على الارض فكل ذلك محتمل واما قوله نجينا هودا فاعلم انه يجوز اتيان البلية
على المؤمن وعلى الكافر معا وحينئذ تكون تلك البلية رحمة على المؤمن وعذابا على
الكافر فاما العذاب النازل من يكتب الانبياء عليهم السلام فانه يجب في حكمة الله تعالى
ان ينجي المؤمن منه ولو لاذللك لما عرف به كونه عذابا على كفرهم فلهذا السبب قال الله
تعالى ههنا نجينا هودا والذين آمنوا معه واما قوله برحمة منافقيه وجوه (الاول) اراد
انه لا ينجو احد وان اجتمع في الايمان والعمل الصالح الابرجة من الله (الثاني) المراد
من الرحمة ما هداهم اليه من الايمان بالله والعمل الصالح (الثالث) انه رحيم في ذلك
الوقت وميرهم عن الكافرين في السقاب واما قوله ونجيناهم من عذاب غليظ فالمراد
من النجاة الاولى هي النجاة من عذاب الدنيا والنجاة الثانية من عذاب القيامة واما وصفه
بكونه غليظا ثيبها على ان العذاب الذي حصل لهم يعمدوهم بالنسبة الى العذاب الذي
وقفوا فيه كان عذابا غليظا والمراد من قوله ونجيناهم اي حكمنا بانهم لا يستحقون
ذلك العذاب الغليظ ولا يقيمون فيه واعلم انه تعالى لما ذكر قصة عاد خطب قوم محمد صلى
الله عليه وسلم فقال وتلك عاد فؤاد فؤاد الى قبورهم وآثارهم كأنه تعالى قال سبروا
في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم انه تعالى جمع اوصافهم ثم ذكر عاقبة احوالهم
في الدنيا والاخرة فلما اوصافهم فهي ثلاثة (الصفة الاولى) قوله جحدوا بايات ربهم
والمراد انهم جحدوا دلالة الحجرات على الصدق او جحدوا دلالة الحداثات على وجود
الصانع الحكيم ان ثبت انهم كانوا زنادقة (الصفة الثانية) قوله وعصوا رسله والسبب فيه
انهم اذا عصوا رسولا واحدا فقد عصوا جميع الرسل لقوله تعالى لا تفرق بين احد من
رسله وقيل لم يرسل اليهم الا نوح عليه السلام (الصفة الثالثة) قوله واتبعوا امر كل جبار
عند النبي ان السفلة كانوا يقتلون الرؤساء في قواهم ما هذا الا بشر مثلكم والمراد من
الجبار المرتفع المتعبد والعند العنود والمائد وهو المنازع المارض واعلم انه تعالى لما ذكر
اوصافهم ذكر بعد ذلك احوالهم فقال واتبعوا في هذه الدنيا لعة ويوم القيامة اي جعل
الهن رديالهم ومتابعا ومصاحبا في الدنيا وفي الآخرة ومعنى اللة الاعداد من رحمة
الله تعالى ومن كل خير ثم انه تعالى بين السبب الاسلي في نزول هذه الاحوال المكروهة بهم
فقال الان عادا كفروا ربهم قيل اراد كفروا ربهم بخذف الباء وقيل الكفر هو التجدد
فالتقدير الان عادا جحدوا ربهم وقيل هو من باب حذف الخفاف اي كفروا بعبادة ربهم
ثم قال الابداء لعد قوم هود وفيه سؤالان (السؤال الاول) الهم هو البعد فلما قال
واتبعوا في هذه الدنيا لعة ويرم القيامة فالقائدة في قوله الابداء لعد (والجواب)

اول الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وقد كره لهم تبييه على انه عليه السلام اذ لم يتطعموه وانهم هم كثرهم لما لم
يعلموا فكيف برا حذمتهم (فاصبر) متفرع على الانبياء والدم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل

هذا اى واقد اوحياها اليك اوعلتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كاصبر نوح على ما سمعه من انواع البسالة في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى طه (١٠٢) تارك بمعنى ما يوحى اليك الخ (ابن العلقمة) بالظفر في الدنيا

والباقى في الاسطر (الخمين)
كما شاهدته في نوح عليه الصلاة والسلام وقومهم وفيه اسوة حسنة فهي تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الجميلة لثقتين وهو في اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه عليه الصلاة والسلام ويعين عليه الطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدره وهذا على تقدير ان يراء بالتقوى الدرجة الاولى منه اعني التوقى من العذاب الخلد بالتقوى من الشرك وعليه قوله تعالى والزهم كلمة التقوى ويجوز ان يراء الدرجة الثالثة منه وهى ان يتأذى عما يشغل مبره عن الحق ويتبدل اليه بشرا شره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حتى تقاته فان التقوى بهمئذ المعنى منطوق على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصائرين (والى عاد) متعلق بخصم مطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى (اخاهم) اى وارسلنا الى عاد اخاهم اى واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب ههنا لعدا عن الاستمرار قبل الذ كر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق وانشاء مطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراب وقوله تعالى (هودا) عطف بيان لآخاهم وكان عليه الصلاة والسلام من جعلهم فاهود بن عبد الله بن رياح بن الحارث بن العوس بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم اقدم لكلامه واعرف بماله وارغب في اقتضائه (قريب) (قال) لما كان ذكر ارساله عليه الصلاة والسلام اليهم مظنة لسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستئناف قليل

التكرير بعبارتين مختلفتين يدل على غاية التأكيد (السؤال الثاني) ما الفائدة في قوله لعاد اقوم هود (الجواب) كان عاد عادين فالاولى القديهم قوم هود والثانية هم ارم ذات العماد فذكر ذلك لازالة الاشتباه (والثاني) ان المبالغة في التنصيص يدل على مزيد التأكيد * قوله تعالى (والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هوانشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا انما اتانا فبعد ما يعبد آباؤنا واننا لنخشى مما تدعونا اليه مرب) اعلم ان هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة وهى قصة صالح مع ثمود ونظمها مثل النظم المذكور في قصة هود الان ههنا لما مرهم بالوحيد ذكر في تقريره دليلين (الدليل الاول) قوله هوانشاكم من الارض وفيه وجهان (الاول) ان الكل مخلوقون من صلب آدم وهو كان مخلوقا من الارض واقول هذا صحيح لكن فيه وجه آخر وهو اقرب منه وذلك لان الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني انما تولد من الدم فالانسان مخلوق من الدم والدم انما تولد من الاغذية وهذه الاغذية اما حيوانية واما نباتية والحيوانات حالها كحال الانسان فوجب انتهاء الكل الى النبات وظاهر ان تولد النبات من الارض ثبت انه تعالى انشأنا من الارض (الوجه الثاني) ان تكون كلمة من معناها في والتقدير انشأكم في الارض وهذا ضعيف لانه متى امكن جل الكلام على ظاهره فلا حاجة الى صرفه عنه واما تقرير ان تولد الانسان من الارض كيف يدل على وجود الصانع فقد شرحنه مرارا كثيرة (الدليل الثاني) قوله واستعمركم فيها وفيه ثلاثة اوجه (الاول) جعلكم عمارها قالوا كان ملوك فارس قد اكتروا من حفر الانهار وخرس الاشجار لاجرم حصلت لهم الاعمار الطويلة فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه ما سبب تلك الاعمار فأوحى الله تعالى اليه انهم همروا بلادى فعاش فيها عبادى واخذ معاوية في احياء ارض في آخر عمره فقيل له ما جعلت عليه فقال ما جعلنى عليه الا قول القائل

ليس الفتى ببقى لا يستضاء به * ولا يكون له في الارض آثار

(الثاني) انه تعالى اطال اعماركم فيها واشتقاق واستعمركم من العمر مثل استبقاكم من البقاء (الثالث) انه ماخوذ من العمرى اى جعلها لكم طول اعماركم فاذا تم انتقلت الى غيركم واعلم ان في كون الارض قابلة للعمارات النافعة للانسان وكون الانسان قادرا عليها دلالة عظيمة على وجود الصانع ويرجع حاصله الى ما ذكره الله تعالى في آية اخرى وهى قوله والذى قدر فهدى وذلك لان حدوث الانسان مع انه حصل في ذاته العقل الهادى والقدرة على التصرفات الموافقة يدل على وجود الصانع الحكيم وكون الارض موصوفة بصفات مطابقة للصالح موافقة للمنافع يدل ايضا على وجود الصانع الحكيم اما قوله فاستغفروه ثم توبوا اليه فقد تقدم تفسيره * واما قوله ان ربي قريب مجيب يعنى انه

بن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم اقدم لكلامه واعرف بماله وارغب في اقتضائه (قريب) (قال) لما كان ذكر ارساله عليه الصلاة والسلام اليهم مظنة لسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستئناف قليل

قال (يا قوم اعبدوا الله) اى وحده كما ينبغي عند قوله تعالى (ما لكم من اله غيره) فانه استثنائى يجرى بجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعبد للارسل بها كما نه قيل خصوه (١٠٣) بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً انذلس لكم من اله سواء وغيره بالرفع صفة لانه

قريب بالعلم والسمع يجب دعاء المحتاجين بفضلته ورحمته ثم بين تعالى ان صالحا عليه السلام لما قرر هذه الدلائل قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا وفيه وجوه (الاول) انه لما كان رجلا قوى العقل قوى الخاطر وكان من قبلتهم قوى رجائهم في ان ينصر دينهم ويقوى مذهبهم ويقرر طريقهم لانه متى حدث رجل فاضل في قوم طمعوا فيه من هذا الوجه (الثانى) قال بعضهم المراد انك كنت تططف على قراشا وتعين ضعفانا وتعود مرضانا وقوى رجائنا فكيف باظهار العدواة والبغضة ثم انهم اضافوا الى هذا الكلام التعجب الشديد من قوله فقالوا انثنا ان نعبد ما يعبد آباؤنا والمقصود من هذا الكلام التمسك بطريق التقليد ووجوب متابعة الآباء والاسلاف ونظير هذا التعجب ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة حيث قالوا اهل الالهة الها واحد ان هذا لشيء عجاب ثم قالوا واتنا فى شك بما تدعوننا اليه مرىب والشك هو ان يبقى الانسان متوقفا بين النفى والاثبات والمربى هو الذى يظن به السوء فقوله واتنا لنى شك يعنى به انه لم يترجى في اعتقادهم صحة قوله وقوله مرىب يعنى انه ترجى في اعتقادهم فساد قوله وهذا مبالغة في تريف كلامه * قوله تعالى (قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رجلا فنصرني من الله ان عصيته فارتدوني غير محسبر) اعلم ان قوله ان كنت على بينة من ربي ورد بحرف الشك وكان على يقين تام في امره الا ان خطاب المخالف على هذا الوجه اقرب الى القبول فكانه قال قدروا انى على بينة من ربي واى نبى على الحقيقة وانظروا انى ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يعنى من عذاب الله فارتدوني على هذا التقدير غير محسبر وفي تفسير هذه الكلمة وجهان (الاول) ان على هذا التقدير تخسرون اعمالى وتبطلونها (الثانى) ان يكون التقدير فارتدوني بما تقولونى وتحملونى عليه غير ان اخسركم اى انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون والقول الاول اقرب لان قوله فنصرني من الله ان عصيته كالدلالة على انه اراد ان اتبعكم فيما اتم عليه من الكفر الذى دعوتونى اليه لم ازد الا خسرانا في الدين فاصير من الهالكين الخاسرين * قوله تعالى (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية قدروها تا كل في ارض الله ولا تسموها بسوء فياخذكم عذاب قريب فقروها فاقبل فتمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلكم وعد غير مكذوب) اعلم ان العادة فيمن يدعى النبوة عند قوم يعبدون الاصنام ان يبتدىء بالدعوة الى عبادة الله ثم يتبعه بدعوى النبوة لا بدوان يطلبوا منه المجزة وامر صالح عليه السلام هكذا كان * يروى ان قومه خرجوا في عيدهم فسالوه ان ياتهم بآية وان يخرج لهم من صخرة معينة وأشاروا اليها فاقه فدعا صالح ربه فخرجت الناقة كاسألوا واعلم ان تلك الناقة كانت معجزة من وجوه (الاول) انه تعالى خلقها من الصخرة (وثانيا) انه تعالى خلقها في جوف الجبل ثم شق عنها الجبل (وثالثا) انه تعالى خلقها حاملا من غير ذكر (ورابعها) انه خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة

قريب بالعلم والسمع يجب دعاء المحتاجين بفضلته ورحمته ثم بين تعالى ان صالحا عليه السلام لما قرر هذه الدلائل قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا وفيه وجوه (الاول) انه لما كان رجلا قوى العقل قوى الخاطر وكان من قبلتهم قوى رجائهم في ان ينصر دينهم ويقوى مذهبهم ويقرر طريقهم لانه متى حدث رجل فاضل في قوم طمعوا فيه من هذا الوجه (الثانى) قال بعضهم المراد انك كنت تططف على قراشا وتعين ضعفانا وتعود مرضانا وقوى رجائنا فكيف باظهار العدواة والبغضة ثم انهم اضافوا الى هذا الكلام التعجب الشديد من قوله فقالوا انثنا ان نعبد ما يعبد آباؤنا والمقصود من هذا الكلام التمسك بطريق التقليد ووجوب متابعة الآباء والاسلاف ونظير هذا التعجب ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة حيث قالوا اهل الالهة الها واحد ان هذا لشيء عجاب ثم قالوا واتنا فى شك بما تدعوننا اليه مرىب والشك هو ان يبقى الانسان متوقفا بين النفى والاثبات والمربى هو الذى يظن به السوء فقوله واتنا لنى شك يعنى به انه لم يترجى في اعتقادهم صحة قوله وقوله مرىب يعنى انه ترجى في اعتقادهم فساد قوله وهذا مبالغة في تريف كلامه * قوله تعالى (قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رجلا فنصرني من الله ان عصيته فارتدوني غير محسبر) اعلم ان قوله ان كنت على بينة من ربي ورد بحرف الشك وكان على يقين تام في امره الا ان خطاب المخالف على هذا الوجه اقرب الى القبول فكانه قال قدروا انى على بينة من ربي واى نبى على الحقيقة وانظروا انى ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يعنى من عذاب الله فارتدوني على هذا التقدير غير محسبر وفي تفسير هذه الكلمة وجهان (الاول) ان على هذا التقدير تخسرون اعمالى وتبطلونها (الثانى) ان يكون التقدير فارتدوني بما تقولونى وتحملونى عليه غير ان اخسركم اى انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون والقول الاول اقرب لان قوله فنصرني من الله ان عصيته كالدلالة على انه اراد ان اتبعكم فيما اتم عليه من الكفر الذى دعوتونى اليه لم ازد الا خسرانا في الدين فاصير من الهالكين الخاسرين * قوله تعالى (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية قدروها تا كل في ارض الله ولا تسموها بسوء فياخذكم عذاب قريب فقروها فاقبل فتمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلكم وعد غير مكذوب) اعلم ان العادة فيمن يدعى النبوة عند قوم يعبدون الاصنام ان يبتدىء بالدعوة الى عبادة الله ثم يتبعه بدعوى النبوة لا بدوان يطلبوا منه المجزة وامر صالح عليه السلام هكذا كان * يروى ان قومه خرجوا في عيدهم فسالوه ان ياتهم بآية وان يخرج لهم من صخرة معينة وأشاروا اليها فاقه فدعا صالح ربه فخرجت الناقة كاسألوا واعلم ان تلك الناقة كانت معجزة من وجوه (الاول) انه تعالى خلقها من الصخرة (وثانيا) انه تعالى خلقها في جوف الجبل ثم شق عنها الجبل (وثالثا) انه تعالى خلقها حاملا من غير ذكر (ورابعها) انه خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة

(ولا تقولوا) اى لا تعرضوا عما دعوتكم اليه (بجر من مصرين على ما كنتم عليهم من الاجرام) قالوا يهود ما جئنا بنبية اى بحجة تدل على صحة دعواك ولما قالوه لقرط عنا دم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من النبيات الفاتية للحصر (وما نعبد تاركى الهتنا) اى نعبده

غداً بها (عن قولك) اي صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك ، باستدحال الوصف الى المؤمنين وسماه لتبليغ بني ابراهيم دلالة على كونه علة فاعلية ولأفضله الياء واللام وهذا قولهم (١٠٤) المقول عنهم فيه وقالوا من لا يؤمن بالله فهو سعادته نكر ما كان

يبداً اي المؤمن (المؤمنون) اي جسدتين في شيء مما تأتي وتقدر شئنا من حيث ما نعلم اليه من التوسعة وترتبه سبحانه والهة وفيه من الدلالة على شدة الشكوة ويجاوز الحد في القوم ما لا يخفى (ان تقول الاعتراف) اي ما تقول الاقولنا بعتراك اي اصحابك (بعض ألهتنا يسوء) يجهنون لسبك ايها وصدك من عبادتها وسطك لها عن رتبة اللوهمية والمعمودية يمس من قولك الكرم من اله غيره ان أتم الأمفرون والتكرير في سوء التحليل كأنهم لم يبالغوا في السوء كأي شيء عنه نسبة ذلك الى بعض ألهتهم دون كلوا والجملة مقول القول والالف لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي ألهتنا عن قولك وما نحن بالتبوعين فان اعتقادهم بكونه عليه الصلاة والسلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلاً عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون ان الاندكلامك الامن قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيات الصادرة عن الجبابرة فكيف تصدقه وتؤمن به وتعمل بوجهه ولقد سلكوا في طريقة الخرافة والعدا الى السبيل الترقى من الادق الى الاعلى حيث اخبروا واولا عن عدم جميته بالبين مع احتمال كون ما جاء به عليه الصلاة والسلام حجة في نفسه وان لم تكن واضحة للدلالة على الربوبانية من ترك الاشتغال بقوله عليه الصلاة والسلام بقولهم وما نحن بتاركي ألهتنا عن قولك

مع امكان تحقق ذلك تصديقهم له عليه الصلاة والسلام في كلامه ثم نقوا تصديقهم له عليه الصلاة والسلام بقولهم وما نحن (الذي) لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه الصلاة والسلام مما يقبل التصديق ثم نقوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا فاطمهم الله

اى يؤفكون (قال اى اشهد الله واشهدوا اى برى عاشركون من دونه) اى من اشرككم من دون الله اى من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف آياتنا دلونى (١٠٥) في اسماء سميتوها اتم وآياؤكم ما نزل الله بها من سلطان وانما تشركونه من

الذى لزمهم وبقى العار فيه مأثور عنهم ومنسوب اليهم لان معنى الخزى العيب الذى تظهر فضيخته ويستحي من مثله فحذف ما حذف اعتمادا على دلالة ما بقى عليه (الثاني) ان يكون التقدير نجينا صاحب راحة منا ونجينا هم من خزي يومئذ (المسئلة الثانية) قرأ الكسائى ونافع في رواية ورش وقالون واحدى الروايات عن الاعشى يومئذ يفتح الميم وفي المعارج عذاب يومئذ والباقون بكسر الميم فيهما فنقرأ بالفتح فعلى ان يوم مضاف الى اذ وان اذ مبنى والمضاف الى المبنى يجوز جعله مبنيا الا ترى ان المضاف يكتب من المضاف اليه التعريف والتكثير فكذا ههنا واما الكسر في اذا فالسبب انه يضاف الى الجملة من المبتدأ والخبر فتقول جئتكم اذا الشمس طالعة فلما قطع عنه المضاف اليه نون ليدل التنوين على ذلك ثم كسرت الذال لسكونها وسكون التنوين واما القراءة بالكسر فعلى اضافة الخزى الى اليوم ولم يلزم من اضافته الى المبنى ان يكون مبنيا لان هذه الاضافة غير لازمة (المسئلة الثالثة) الخزى الذل العظيم حتى يبلغ حد الفضيحة ولذلك قال تعالى في المحاريين ذلك لهم خزى في الدنيا واماسمى الله تعالى ذلك العذاب خزيا لانه فضيحة باقية يعتبر بها امثالهم ثم قال ان ربك هو القوى العزيز واتما حسن ذلك لانه تعالى بين انه اوصل ذلك العذاب الى الكافرو صان اهل الايمان عنه وهذا القير لا يصح الامن القادر الذى يقدر على قهر طبايع الاشياء فيجعل الشيء الواحد بالنسبة الى انسان بلاء وعذابا وبالنسبة الى انسان آخر راحة وريحانة ثم انه تعالى بين ذلك الامر فقال واخذ الذين ظلموا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) انما قال اخذ ولم يقل اخذت لان الصيغة مجعولة على الصباح وايضا فصل بين الفعل والاسم المؤنث بفصل فكان الفواصل كالعوض من تاء التأنيث وقد سبق لها نظائر (المسئلة الثانية) ذكرنا في الصيغة وجهين قال ابن عباس رضى الله عنهما المراد الصاعقة (الثاني) الصيغة صيغة عظيمة هائلة سمعوها فلما اجتمع منها فاصبحوا وهم موقى جائئين في دورهم ومساكنهم وجنومهم سقوطهم على وجوههم يقال انه تعالى امر جبريل عليه السلام ان يصبح بهم تلك الصيغة التى ماتوا بها ويجوز ان يكون الله تعالى خلقها والصباح لا يكون الا الصوت الحادث في خلق وقوم وكذلك الصراخ فان كان من فعل الله تعالى فقد خلقه في خلق حيوان وان كان فعل جبريل عليه السلام فقد حصل في خلقه وحلقه والدليل عليه ان صوت الرعد اعظم من كل صيحة ولا يسمى بذلك ولا بأنه صراخ فان قيل فالسبب في كون الصيغة موجبة للموت فلنا فيه وجوه (احدها) ان الصيغة العظيمة انما تحدث عند سبب قوى يوجب موج الهوام ذلك القوج الشديد ربما يمتدى الى صماخ الانسان فيزق غشاء الدماغ فيموت الموت (الثاني) انما هو مهيب فتحدث الهيئة العظيمة عند حدوثها والاعراض النفسانية اذا قويت او جبت الموت (الثالث) ان الصيغة العظيمة اذا حدثت من السحاب فلا بد وان يصحبها برق شديد يحرق وذلك هو الصاعقة التى ذكرها ابن عباس

الذى لزمهم وبقى العار فيه مأثور عنهم ومنسوب اليهم لان معنى الخزى العيب الذى تظهر فضيخته ويستحي من مثله فحذف ما حذف اعتمادا على دلالة ما بقى عليه (الثاني) ان يكون التقدير نجينا صاحب راحة منا ونجينا هم من خزي يومئذ (المسئلة الثانية) قرأ الكسائى ونافع في رواية ورش وقالون واحدى الروايات عن الاعشى يومئذ يفتح الميم وفي المعارج عذاب يومئذ والباقون بكسر الميم فيهما فنقرأ بالفتح فعلى ان يوم مضاف الى اذ وان اذ مبنى والمضاف الى المبنى يجوز جعله مبنيا الا ترى ان المضاف يكتب من المضاف اليه التعريف والتكثير فكذا ههنا واما الكسر في اذا فالسبب انه يضاف الى الجملة من المبتدأ والخبر فتقول جئتكم اذا الشمس طالعة فلما قطع عنه المضاف اليه نون ليدل التنوين على ذلك ثم كسرت الذال لسكونها وسكون التنوين واما القراءة بالكسر فعلى اضافة الخزى الى اليوم ولم يلزم من اضافته الى المبنى ان يكون مبنيا لان هذه الاضافة غير لازمة (المسئلة الثالثة) الخزى الذل العظيم حتى يبلغ حد الفضيحة ولذلك قال تعالى في المحاريين ذلك لهم خزى في الدنيا واماسمى الله تعالى ذلك العذاب خزيا لانه فضيحة باقية يعتبر بها امثالهم ثم قال ان ربك هو القوى العزيز واتما حسن ذلك لانه تعالى بين انه اوصل ذلك العذاب الى الكافرو صان اهل الايمان عنه وهذا القير لا يصح الامن القادر الذى يقدر على قهر طبايع الاشياء فيجعل الشيء الواحد بالنسبة الى انسان بلاء وعذابا وبالنسبة الى انسان آخر راحة وريحانة ثم انه تعالى بين ذلك الامر فقال واخذ الذين ظلموا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) انما قال اخذ ولم يقل اخذت لان الصيغة مجعولة على الصباح وايضا فصل بين الفعل والاسم المؤنث بفصل فكان الفواصل كالعوض من تاء التأنيث وقد سبق لها نظائر (المسئلة الثانية) ذكرنا في الصيغة وجهين قال ابن عباس رضى الله عنهما المراد الصاعقة (الثاني) الصيغة صيغة عظيمة هائلة سمعوها فلما اجتمع منها فاصبحوا وهم موقى جائئين في دورهم ومساكنهم وجنومهم سقوطهم على وجوههم يقال انه تعالى امر جبريل عليه السلام ان يصبح بهم تلك الصيغة التى ماتوا بها ويجوز ان يكون الله تعالى خلقها والصباح لا يكون الا الصوت الحادث في خلق وقوم وكذلك الصراخ فان كان من فعل الله تعالى فقد خلقه في خلق حيوان وان كان فعل جبريل عليه السلام فقد حصل في خلقه وحلقه والدليل عليه ان صوت الرعد اعظم من كل صيحة ولا يسمى بذلك ولا بأنه صراخ فان قيل فالسبب في كون الصيغة موجبة للموت فلنا فيه وجوه (احدها) ان الصيغة العظيمة انما تحدث عند سبب قوى يوجب موج الهوام ذلك القوج الشديد ربما يمتدى الى صماخ الانسان فيزق غشاء الدماغ فيموت الموت (الثاني) انما هو مهيب فتحدث الهيئة العظيمة عند حدوثها والاعراض النفسانية اذا قويت او جبت الموت (الثالث) ان الصيغة العظيمة اذا حدثت من السحاب فلا بد وان يصحبها برق شديد يحرق وذلك هو الصاعقة التى ذكرها ابن عباس

والمضارة وحتمهم على التصدي لاسباب المعازة (١٤) (را) (خا) والمعلمة فلم يقدروا على مباشرة شئ مما كفوه وظهور مجرمهم من ذلك ظهورا يأتى كيف لا وقد اتجا اليه كن متبع وفيه واعتصم ببجل متين حيث قال (اى تركت على الله ربي وركبتم)

يعني انكم وان بذلتم في مضارفي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون في فاني متوكل على الله تعالى وانما هي بلفظ الماضي
لكونه اذل على الانشاء المناسب للقام وواق بكلاقي وحفظي (١٠٦) عن غوثكم وهو مالي ومالككم لا يصدر

عنكم شيء ولا يصيبني امر الا
بارادته ومشيئته نعم من عليه
يقوله (ما من دابة الا هو اخذ
بناصيتها) اي الا هو مالك لها قادر
عليها يصرفها كيف يشاء غير
مستعصية عليه فان اخذ بالناصية
تمثيل لذلك (ان ذري على مراط
مستقيم) لتليل لما يدل عليه التوكل
من عدم قدرتهم على اضراره اي
هو على الحق والعدل فلا يكاد
يسطركم على الا يوضح عنه
معصم ولا يثبت عليه ظلم
والاقتصار على اضافة الرب الى
نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور
المراد واما لان فائدة كونه تعالى
مالكهم ايضا واجبة اليه عليه
الصلاة والسلام (فان تولوا) اي
تولوا يصدف احدى التاويل اي
ان تستمروا على ما كنتم عليه
من التولي والامراض (فقد
بلغتكم ما ارسلت به اليكم) اعلم
أطاعتني تفرط في الابلاغ وكنتم
محبوبين بان بلغكم الحق فأيتم الا
التكذيب والتمحود (ويستخلف
ربى فوما يؤمنكم) استثنائا بالوصف
لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف
في ديارهم واموالهم قوما آخرين
او عطف على الجواب بالقائه
ويؤيد قرآن من معبود رضى الله
عنه بالجزم مطلقا على الموضع كما
يقول فان تولوا يصدروا ويهلككم
ويستخلف مكانكم آخرين وفي
اقتصار اضافة الرب عليه عليه
السلام من الى اللطف به والتدعيم
للمضامين (ولا تضروه) بتوليكم
(عينا) من الضرر لاختلاف ذلك
عليه ومن جزم ويستخلف اسقط
منه التولي (ان ذري على كل شيء

رضي الله عنهما) ثم قال تعالى فأصبحوا في ديارهم جائئين والجثوم هو السكون يقال للظير
اذا بايت في او كارهاتها جثمت ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموت
فوصف الله تعالى هؤلاء المهلكين بأنهم سكنوا عند الهلاك حتى كأنهم ما كانوا احياء
وقوله كأن لم يغنوا فيها اي كأنهم لم يوجدوا والمغنى المقام الذي يقبى الخى به يقال غنى
الرجل يمكن كذا اذا اقام به * ثم قال تعالى الان نمود كفو وارهم الابدان فمؤدرا حجة
وحصص عن عاصم لان نمود غير نمون في كل القرآن وقرأ الباقون نمودا بالتونين واثمود
كلاهما بالصرف والصرف للذهاب الى الخى او الى الاب الاكبر ومنعه للتعريف
والتأنيث بمعنى القليلة * قوله تعالى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالو اسلما قال
سلام فآلبث ان جاء بهل حنيد فلما رأى ايدهم لاتصل اليه نكرهم ووجس منهم خيفة
قالو الاتخاف انارسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحك فبشرناها باسحق ومن وراء
اهمى يعقوب) اعلم ان هذا هو القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة
وهنما مسائل (المسئلة الاولى) قال النحويون دخلت كلمة قد ههنا لان السامع لقصص
الانبياء عليهم السلام يتوقع قصة بعد قصة وقد لتوقع ودخلت اللام في لقتلنا كيد
الخبر ولفظ رسلنا جع وافله ثلاثة فهذا بقيد القطع بمحصل ثلاثة واما الزائد على هذا
العدد فلا سبيل الى اثباته الا بدليل آخر واجعوا على ان الاصل فهم كان جبريل عليه
السلام ثم اختلفت الروايات فقبل آناه جبريل عليه السلام ومعه اثنا عشر ملكا على
صورة الفلمن الذين يكونون في غاية الحسن وقال الضحك كانوا تسع وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وهم الذين
ذكرهم الله في سورة والذاريات في قوله هل اناك حديث ضيف ابراهيم وفي الجبر
ونبهم عن ضيف ابراهيم (المسئلة الثانية) اختلفوا في المراد بالبشرى على وجهين
(الاول) ان المراد ما بشره الله بعد ذلك بقوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق
يعقوب (الثاني) ان المراد منه انه بشر ابراهيم عليه السلام بسلامة لوط وباهلاك
قومه * واما قوله قالوا اسلما قال سلام ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حجة
والكسائي قالوا سلم قال سلم بكسر السين وسكون اللام بغير الف وفي والذاريات مثله
قال الفراء لافرق بين القارئين كما قالوا حل وحلال وحرم وحرام لان في التفسير انهم لما
جاؤا اسئلوا عليه قال ابو على الفارسي ويحتمل ان يكون سلم خلاف العدو والحرب كما بهم
لما امتنعوا من تناول ما قدمه اليهم نكرهم ووجس منهم خيفة قال اناسلم ولست بحرب
ولا عدو فلا تمتعوا من تناول طعامي كما تمتع من تناول طعام العدو وهذا الوجه عندي
بعيد لان على هذا التقدير ينبغي ان يكون تكلم ابراهيم عليه السلام بهذا اللفظ بعد
احضار الطعام الان القرآن يدل على ان هذا الكلام اتوا جديلا احضار الطعام لانه
تعالى قال قالوا اسلما قال سلام فآلبث ان جاء بهل حنيد والاسماء لتعقيب فدل ذلك على

حفظ) اي رقيب مهيمن فلا تفتنى عليه اعمالكم فيجاز بكم بمسبها اوحاطة مستول على كل شيء فكيف (ان)
يصبره شيء وهو الحافظ لكل (ولما جاء امرنا) اي نزل عذابنا وفي التمييز عنه بالاميمضا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالحي

ما ينبغي من التفخيم والتهويل او وورد امرنا بالذباب (نجينا هودا والذين امنوا معه) وكانوا اربعة الاف (برحمة) عظيمة كائنه له (منسا) وحى الايمان الذي النصنا (١٠٧) به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه (ونجيناهم من عذاب غليظ) اى كانت

تلك النجية تقيية من صذاب غليظ وهى السجود التى كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أذنه ففقطهم اربا اربا وتيل أريد بالثانية النجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أخلف منه واشد وهذه النجية وان لم تكن مقيدة بجمي الامر لكن هى تكمل النجاة لهم وتريضا بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسجود فهم معذبون في الآخرة بالذباب الغليظ (ولذلك عاد) أنت اسم الإشارة باعتبار القبيحة (ولان الإشارة الى جبرهم وآثارهم) (سجدوا) بآياتهم (كفروا) بها بعدما استيقنوها (وعصوا رسله) جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود عليه الصلاة والسلام فقطعنا لحالهم وظهارا لكمال كفرهم وعنادهم بيان ان عصيانهم عليه الصلاة والسلام عصىان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلهم على التوحيد لا تفرق بين احد من رسله فيجوز ان يراد الآيات ما تلى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملامة لما تقدم من جميع الآيات وما تأخر من قوله (واتبعوا امر كل جبار عنيد) من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى التكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كاسي من جسود الآيات وعصيان الرسل في الشوق لكل فرد فرد منهم لان الاتباع للامرين اوصاف الاسافل دون الرؤساء فتبين من عندنا اذ اطاعوا الحق عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا لمن

ان يحبه بذلك الجهل الخنيد كان بعد ذكر السلام (المسئلة الثانية) قالوا سلا ما تقديره سلا عليك سلا ما قال سلام تقديره امرى سلام اى لست مريدا غير السلامة والصالح قال الواحدى ويحتمل ان يكون المراد سلام عليكم فجاء به مرفوعا حكاية لقوله كما قال وحذف عنه الخبر كاحذف من قوله فصر جيل وانما يحسن هذا الحذف اذا كان المقصود معلوما بعد الحذف وهذا المقصود معلوم فلا جرم حسن الحذف ونظيره قوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام على حذف الخبر واعلم انه انما سلم بعضهم على بعض رعاية للاذن المذكور في قوله تعالى لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسئلوا على اهلها (المسئلة الثالثة) اكثر ما يستعمل سلام عليكم بغير الف والام وذلك لانه في معنى الدنيا فهو مثل قولهم خير بين يدك فان قيل كيف جاز جعل التكررة مبتدا قلنا التكررة اذا كانت موصوفة جاز جعلها مبتدا فاذا قلت سلام عليكم فالتكرير في هذا الموضع يدل على التمام والكمال فكانه قيل سلام كامل تام عليكم ونظيره قولنا سلام عليك وقوله تعالى قال سلام عليك سأستغفر لك ربي وقوله سلام قولا من رب رحيم سلام على نوح في العالمين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم فأما قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فهذا ايضا جائز والمراد منه الماهية والحقيقة واقول قوله سلام عليكم اكل من قوله السلام عليكم لان التكرير في قوله سلام عليكم يفيد الكمال والمبالغة والقام واما نطق السلام فانه لا يفيد الا الماهية قال الاخفش من العرب من يقول سلاما عليكم فيعري قوله سلام عن الالف واللام والتنوين والسبب في ذلك ان كثرة الاستعمال أباح هذا التخفيف والله اعلم ثم قال تعالى خالبت ان جاء بهل حنيذ قالوا مكث ابراهيم خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاعتم لذلك ثم جاءه الملائكة فرأى اضيافا لم ير مثلهم فحمل وجاء بهل حنيذ فقله خالبت ان جاء بهل حنيذ معناه خالبت في الجهي به بل عمل فيه او التقدير فسالبت بحبيته والجهل ولد البقرة اما الخنيد فهو الذي يشوى في حفرة من الارض بالحجارة الصمغة وهو من فضل اهل البادية معروف وهو مخوذ في الاصل كما قيل طيخ ومطبوخ وقبل الخنيد الذي يقطر دمه يقال خنذت الفرس اذا لقيت عليه اجل حتى تقطر حرقا ثم قال تعالى فلما رأى ايديهم لاتصل اليه اى الى الجهل وقال الفراء الى الطعام وهو ذلك الجهل نكرهم اى انكرهم يقال نكرو وانكرو واستنكرو واعلم ان الاضياف انما امتنعوا من الطعام لانهم ملائكة والملائكة لا يأكلون ولا يشربون وانما اتوه في صورة الاضياف ليكونوا على صفة يحبها وهو كان مشقوا بالضيق واما ابراهيم عليه السلام فنقول اما ان يقال انه عليه السلام ما كان يعلم انهم ملائكة بل كان يعتقد فيهم انهم من البشر او يقال انه كان طالما بانهم من الملائكة اما على الاحتمال الاول فسيب خوفه امران (احدهما) انه كان ينزل في طرف من الارض بعيد من الناس فلما امتنعوا من الاكل خاف ان يردهوا به مكروها (وثانيها) ان من

جداهم الى الردى (واتبعوا في هذه الدنيا لمة) اهداء عن الرحمة وعن كل شئ اى جعلت اللمة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتسمية للبالغة فكانها لاعتبارهم وان ذهبوا كل مذهب قيل قدوس معهم حشدا داروا ولو قوم في حصة اتباعهم رؤسائهم ليجي أنهم

لا أتبعوهم أتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وظافاً (ويوم القيامة) أي أتبعوا يوم القيامة أينما لعتة وهي عذاب النار الخلد حذفت
للدلالة الأولى عليها وللايدان يكون كل من الميتين نوعاً برأسه (١٠٨) لم يجمعاً في قرن واحد بأن يقال وأتبعوا في هذه الدنيا ويوم

لا يعرف اذا حضر وقدم اليه طعام فان اكل حصل الا من وان لم يأكل حصل الخوف
واما الاحتمال الثاني وهو انه عرف انهم ملائكة الله تعالى فسبب خوفه على هذا التقدير
ايضاً امر ان (احدهما) انه خاف ان يكون تزولهم لامر انكره الله تعالى عليه (والثاني)
انه خاف ان يكون تزولهم لتعذيب قومه * فان قيل فأى هذين الاحتمالين اقرب واطهر قلنا
اما الذي يقول انه ما عرف انهم ملائكة الله تعالى فله ان يخرج بأمر (احدها) انه تسارع
إلى احضار الطعام ولو عرف كونهم من الملائكة لما فعل ذلك (وثانيها) انه لما رآهم
تمتعين من الاكل خافهم ولو عرف كونهم من الملائكة لما استدل بترك الاكل على
حصول الشر (وثالثها) انه رآهم في اول الامر في صورة البشر وذلك لا يدل على كونهم
من الملائكة واما الذي يقول انه عرف ذلك اخرج بقوله لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط
وأما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف بأى سبب ارسلوا * ثم بين تعالى ان الملائكة ازالوا
ذلك الخوف عنه فقالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط ومعناه ارسلنا بالعباد الى قوم لوط
لانه اضمر لقيام الدليل عليه في سورة اخرى وهو قوله انا ارسلنا الى قوم نجر من نزل
عليهم جارة * ثم قال تعالى وامرأته قائمة بمعنى سارة بنت آزر بن باحورا بنت عم ابراهيم
عليه السلام وقوله قائمة قيل كانت قائمة من وراء الستر تستمع الى الرسل لانها ربما خافت
ايضاً وقيل كانت قائمة تخدم الاضياف و ابراهيم عليه السلام جالس معهم ويؤكد هذا
التأويل قراءة ابن مسعود وامرأته قائمة هو قاعد * ثم قال تعالى فضحكك فبشرناها بما سبق
واختلفوا في الضحك هل قولين منهم من حله على نفس الضحك ومنهم من حل هذا اللفظ
على معنى آخر سوى الضحك اما الذين حملوه على نفس الضحك فاختلفوا في انهم لم ضحك
وذكروا وجوها (الاول) قال القاضي ان ذلك السبب لا بد ان يكون سبباً جرى ذكره في
هذه الآية وعما ذاك لانها فرحت بزوال ذلك الخوف عن ابراهيم عليه السلام حيث
قالت الملائكة لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وعظم سرورهابسبب سروره بزوال خوفه
وفي مثل هذه الحالة قد يضحك الانسان وباجللة فقد كان ضحكها بسبب قول الملائكة
لابراهيم عليه السلام لا تخف فكان كالبشارة فقبل لها بجعل هذه البشارة بشارتين فكما
حصلت البشارة بزوال الخوف فقد حصلت البشارة ايضاً بحصول الولد الذي كنتم
تطلبونه من اول العمر الى هذا الوقت وهذا تأويل في غاية الحسن (الثاني) يحتمل انها
كانت عظيمة الانكار على قوم لوط لما كانوا عليه من الكفر والعمل الخبيث فلما ظهروا
انهم جاؤا لاهلاكهم لحقها السرور فضحكت (الثالث) قال السدي قال ابراهيم عليه
السلام لهم الان اكلوا لان اكل طعاما الاياثن قتل ثمنه ان ذكروا اسم الله تعالى
على اوله وتحمده على آخره فقال جبريل ليكايل عليهما السلام حق مثل هذا الرجل ان
يتخذ به خليلاً فضحكت امرأته فرحاً منها بهذا الكلام (الرابع) ان سارة قالت لابراهيم
عليه السلام ارسل الى ابن اخيك وضه الى نفسك فان الله تعالى لا يترك قومه حتى

القيامة لعنة كما في قوله تعالى
واكتبنا في هذه الدنيا حسنة
وفي الاخر فايداً باختلاف نوعي
الحسنتين فان المراد بالحسنة
الدنيوية نحو الصحة والكفاف
والتوفيق للتصير والحسنة
الاخرية الثواب والرحمة (الا
ان عاداً كفروا ولهم) اي يريم
اونصة ولهم جلالة على نفسه
الذي هو الشكر او جسدوه (الا ايضاً
لعاد) دعا عليهم بالهلاك مع
كونهم هالكين اي هالكاً تسجيلاً
عليهم واستحقاق الهلاك واستصواب
النار وتكرير حرف التنبيه
واعادة عاد للبالغة في تعظيم حالهم
والحث على الاعتبار بقصصهم (قوم
هود) عطف بيان لعاد قائدة
القبيلة عن عاد الثانية عاد ادم
والايمان الى ان استغفروهم للبعد بسبب
ما جرى بينهم وبين هود عليه
الصلاة والسلام وهم قومه
(والى نود اخاهم صالحاً)
عطف على ما سبق من قوله تعالى
والى عاد اخاهم هوداً ونود
قبيلة من العرب سكنوا بآسهم
الأكبر بنمود بن طابر بن ارمين
سام وقيل انما سموا بذلك لقتل
ما لهم من الله وهو الماء القليل
وصالح عليه الصلاة والسلام هو
ابن حيدر بن اسف بن ماشع بن
جيب بن جادر بن نود وما كان
الاخبار بأمر الله اليهم مخفية لان
يحيى ويقال ماذا قال لهم قيل
جواباً عنه بطريق الاستغناء
(قال يا قوم اعبدوا الله) اي
بحسنه وعسل ذلك بقوله
(ما لكم من الله غير) ثم زيد
فيما بينهم على الايمان والترديد
ويجئهم على زيادة الاخلاص فيه
بقوله (هو انشأكم من الارض)
اي هو كونكم وخلقكم منها

لاغيره فصر قلب اوقصر افراد فان خلق آدم عليه الصلاة والسلام منها خلق جميع افراد البشر منها لما سر مراراً (يعنيهم)
من ان خلقته عليه الصلاة والسلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت نموذجاً منظوياً على خلق جميع ذرياته اليه سبه حشد

الى يوم القيامة انطوا اجاليا وقيل ان خلق آدم عليه الصلاة والسلام وانشاء مواد التطف التي منها خلق نسله من التراب الشاه لجسج الخلق من الارض فتدبر (واستعمر) من العصر (١٠٩) اى عزمك واستيقظك (فيها) اومن العساة اى اقدرتك على

عاجتها واورسك بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمرك فيها ديارك وورثها منك بعد انصرام اعامرك اوجهكم معبرين يداكم تسكنونها مدة عمركم ثم تتوكلونها للملك (فاستغفروه ثم توبوا اليه) فان ما قبل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفریط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبايح وقدر يدي بيان ما يوجب ذلك ههنا (ان ربي قريب) اى قريب الرحمة كقوله تعالى ان رجعا الله ربي من المحسنين (عيب) لى دعاء وسأله وقد روي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر الصلاة الباقية المقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخره ذكر الغاية المتأخرة عنهما فى الوجود اى الاجابة (قالوا) اصالح قد كنت فينا مرجوا) اى كنسا نرجو منك لما كننا نرى منك من دلائل السداد وعما لى الرشاه ان تكون لنا سيدا ومستشارا فى الامور وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاضلا خيرا تقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (قبل هذا) الذى يشرع من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الالهة اوقبل هذا الوقت فكانا لم يكنوا الى الان على راس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالان قد انصرم عنك وجاؤنا وقرأ اطعمه مسخرا بالدم الهرة (انتهتا) ان تعبد ما يبدى آياؤنا) عبيدو العذول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية (واتانالى شك مما تمدونا اليه) من التوحيد وترك عبادة

يعذبهم فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على ابراهيم عليه السلام فلما اخبروه بانهم اتعاجوا لاهلاك قوم لوط صار قولهم موافقا لقولها فضحكت لشدة سرورها بمحصل الموافقة بين كلامها وبين كلام الملائكة (الخامس) ان الملائكة لما اخبروا ابراهيم عليه السلام انهم من الملائكة لامن البشر وانهم اتعاجوا لاهلاك قوم لوط طلب ابراهيم عليه السلام منهم معجزة دالة على انهم من الملائكة فدعوا ربهم باحياء الجمل المشوى ففطر ذلك الجمل المشوى من الموضع الذى كان موضوعا فيه الى مرعاه وكانت امرأة ابراهيم عليه السلام قائمة فضحكت لما رأت ذلك الجمل المشوى قد طفر من موضعه (السادس) انها ضحكت فحبا من ان قوما اتاهم العذاب وهم فى غفلة (السابع) لا بعد ان يقال انهم بشرها بمحصل مطلق الولد فضحكت اما على سبيل التعجب فانه يقال انها كانت فى ذلك الوقت بنت بضع وتسعين سنة و ابراهيم عليه السلام ابن مائة سنة و اما على سبيل السرور ثم لما ضحكت بشرها الله تعالى بان ذلك الولد هو اسحق ومن وراء اسحق يعقوب (الثامن) انها ضحكت بسبب انها انجبت من خوف ابراهيم عليه السلام من ثلاث انفس حال ما كان معه حشمه وخدمه (التاسع) ان هذا على التقديم والتأخير والتقدير وامرأته قائمة فبشرناها باسحق فضحكت سرورا بسبب تلك البشارة فقدم الضحك ومعناه التأخير (الثانى) هو ان يكون معنى فضحكت حاضت وهو منقول عن مجاهد وعكرمة فالاضحكت اى حاضت عند فرحها بالسلامة من الخوف فلما ظهر حبسها بشرت بمحصل الولد وانكر الفراء وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت قال ابو بكر الانبارى هذه الآية ان لم يعرفها هؤلاء فقد عرفها غيرهم حكى التليث فى هذه الآية فضحكت طمئت وحكى الازهرى عن بعضهم ان اصله من ضحك الطلعة يقال ضحكت الطلعة اذا انشقت واعلم ان هذا الوجه كلها زوائد وانما الوجه الصحيح هو الاول ثم قال تعالى ومن وراء اسحق يعقوب وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر وحزرة وحفص عن حاصم ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع اما وجه النصب فهو ان يكون التقدير بشرناها باسحق ومن وراء اسحق وهبنا ليعقوب واما وجه الرفع فهو ان يكون التقدير ومن وراء اسحق يعقوب مولودا وموجودا (المسئلة الثانية) فى لفظ وراء قولان (الاول) وهو قول الاكثر ان من معناه بعداى بعد اسحق يعقوب وهذا هو الوجه الظاهر (والثانى) ان الوراء ولد الولد عن الشعبي انه قيل له هذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وهذا الوجه عندى شديد التعسف واللفظ كما به ينبوعه قوله تعالى (قالت ياويلتى اللدوانا يجوز وهذا بلى شيئا ان هذا لشيء عجب قالوا انجيبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حديد مجيد) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال الفراء اصل الويلوى وهو الخزى ويقال وى لفلان اى خزى له فقوله وبك اى خزى لك وقال سيبويه ويح زجر لمن اشرف على الهلاك وويل لمن وقع فيه قال الخليل ولم اسمع

الاوران وغير ذلك من الاستغفار والتوبة (مررب) اى موقع فى الربة من اربابه اى اوقعه فى الربة اى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة اومن ارباب اذا كان ذرية وبهما كان قالاندا مجازى والتثنية فيه وفى شك التخييم (قال يا قوم ارايت) اى اخبروني (ان كنت)

في الحقيقة (على بينة) أي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة (من ربّي) ملكي ومتولي امرئ (وأنأي منه) من جهته (درجة) نبوة وهذه الامور وإن كانت محققة الوقوع لكنها صدمت بكلمة الشك اعتبارا لما (١١٠) الخطابين ورعاية لحسن المحاوراة لاستئصالهم عن

الكتابة (لمن يصري من الله) أي ينبغي من عذابه والعدول إلى الظهور لزيادة التحويل وإلغاء ترتيب تكاد البصرة على ما سبق من إيتاء النبوة كونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى (إن عصيته) أي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاهراتكم فيما تأتون وتذرون فإن العصيان عن ذلك شأنه أبعد والمؤاخذة عليه المزم والتكاد نصرة ادخل (فلا تزدوني) إذن باستتبابكم إياي كما ينبغي منه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أي لا تقيدوني إذ لم يكن فيه أصل الخبران حتى يزدوه (غير تحضي) أي غيران يحملوني خاسرا بإبطال اعلى وتعرضي لسطط الله تعالى أو فائز بدوني بما تقولون غير أن النسب إلى الطمران وأقول لكم انكم ظالمون فإني أزيد على معناه وإلغاء ترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر الفهوم من استكانه على تقدير العصيان مع صحت ما يفييه من كونه عينه الصلاة والسلام على يدي من ربه وإيتائه النبوة (ويأقوم هذه نافة الله) (الاضافة للتشريف والتفنية على انها مفارقة لساير ما يما لها من حيث الحقيقة ومن حيث الخلق (لكم آية) معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من نافة الله والسلام ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية مقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت فكانت نسفة لها ويجوز أن يكون نافة الله بدلا من هذه أو عطف بيان ولكم خيرا وعلا في آية (فذروها) خلوها وشأنها (تأكل في أرض الله) ترح

على بناءه الأويح وويس وويلك ووبه وهذه الكلمات متقاربة في المعنى وأما قوله يا ويلتا فخير من قال هذه الألف ألف الندبة وقال صاحب الكشف الألف في ويلتا مبدلة من ياء الاضافة في ياولتي وكذلك في يالهنسا وياعجبا ثم ابدل من الياء والكسرة الألف والفحة لأن الفتح والالف اخف من الياء والكسرة أما قوله ألدونا عجوز وهذا يعلى شيئا فقيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وأد بهجمة ومدة والباقون بهمزتين بلامد (المسئلة الثانية) لقائل ان يقول انها تعجب من قدرة الله تعالى والتعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر بيان المقدمة الاولى من ثلاثة أوجه (اولها) قوله تعالى حكاية عنها في معرض التعجب ألدونا عجوز (وثانيها) قوله ان هذا شيء عجب (وثالثها) قول الملائكة لها أتعجبين من امر الله وأما بيان ان التعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر فلان هذا التعجب يدل على جهلها بقدرة الله تعالى وذلك يوجب الكفر (والجواب) انها إنما تعجبت بحسب العرف والعادة لا بحسب القدرة فان الرجل المسلم لو أخبره مخبر صادق بأن الله تعالى يقلب هذا الجبل ذهابا ابرزا فلا شك انه يتعجب نظر الى احوال العادة لالاجل انه استنكر قدرة الله تعالى على ذلك (المسئلة الثالثة) قوله وهذا يعلى شيئا فاعلم ان شيئا منصوب على الحال قال الواحدى رحمه الله وهذا من لطائف النحو واضمه فان كلمة هذا للإشارة فكأن قوله وهذا يعلى شيئا قائم مقام ان يقال اشير الى يعلى حال كونه شيئا والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة وهي الشفوخة (المسئلة الرابعة) قرأ بعضهم وهذا يعلى شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف أي هذا يعلى وهو شيخ أو يعلى بدل من البدن أو شيخ خبر أو يكونان معا خبرين ثم حكي تعالى ان الملائكة قالوا أتعجبين من امر الله والمعنى انهم تعجبوا من تعجبنا ثم قالوا راحة الله وبركانه عليكم اهل البيت والمقصود من هذا الكلام ذكر ما يزيل ذلك التعجب وتقديره ان راحة الله عليكم متكررة وبركانه لديكم متوالية متعاقبة وهي النبوة والمعجزات القاهرة والتوفيق للخيرات العظيمة فاذرايت ان الله خرق العادات في تخصيصكم بهذه الكرامات العالوية الرفيعة وفي اظهار خوارق العادات واحداث الينيات والمعجزات فكيف يليق به التعجب وأما قوله اهل البيت فانه مدح لهم فهو نصب على النداء أو على الاختصاص ثم أكدوا ذلك بقولهم انه حديد مجيد والحديد هو المحمود وهو الذي تصمد افعاله والمجيد الماجد وهو ذو الشرف والكرم ومن محمد الاعمال ابصال العبد المطيع الى مراده ومطلوبه ومن انواع الفضل والكرم ان لا يسمع الطالب عن مطلوبه فاذا كان من المعلوم انه تعالى قادر على الكل وانه حديد مجيد فكيف يبق هذا التعجب في نفس الامر فثبت ان المقصود من ذكر هذه الكلمات ازالة التعجب * قوله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم ازوع وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم خليل أم منيب) اعلم ان هذا هو القصة الخامسة وهي قصة لوط عليه السلام واعلم ان الزوع هو الخوف وهو ما وجس

لبائها وتترب ماها وازافة الارض الى الله تعالى لتربية استحقاقها لذلك وتلليل الامر بتربها وشأنها (ولا تمسوها بسوء) بولغ (من) في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادئ الاضابة ونجسك السوء أي لا تضربوها ولا تطردوها

ولا تقربوها بشئ من سوء فضلا عن غيرها وقتلها (فياخذكم عذاب قريب) اي قريب القول روى انهم طلبوا منه ان يخرج من مصفرة
تسمى الكلبة ناقة عشرة مشرحة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت (١١١) ذلك صدقناك فآخذناك عليه الصلاة والسلام عليهم مواثيقهم

من الخليفة حين أنكر أضيافه والمعنى انه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب مجئ
البشرى بموصول الولد اخذ يجادلنا في قوم لوط وجواب لما هو قوله اخذ الا انه حذف
في اللفظ لدلالة الكلام عليه وقيل تقديره لما ذهب عن ابراهيم الروح جادلنا واعلم ان قوله
يجادلنا اي يجادل رسلنا فان قيل هذه المجادلة ان كانت مع الله تعالى فهي جراءة على الله
والجرأة على الله تعالى من اعظم الذنوب ولان المقصود من هذه المجادلة ازالة ذلك الحكم
وذلك يدل على انه ما كان راضيا بقضاء الله تعالى وانه كفر وان كانت هذه المجادلة مع
الملككة فهي ايضا هجبة لان المقصود من هذه المجادلة ان يتركوا الاهلاك قوم لوط فان
كان قد اعتقد فيهم انهم من تلقاء انفسهم يجادلون في هذا الاهلاك فهذا سوء ظن بهم
وان اعتقد فيهم انهم بأمر الله جاؤا فهذه المجادلة تقتضي انه كان يطلب منهم مخالفة امر
الله تعالى وهذا منكر (والجواب) من وجهين (الاول) وهو الجواب الاجبالي انه تعالى
مدحه عقيب هذه الآية فقال ان ابراهيم حلیم أواه منيب ولو كان هذا الجدل من
الذنوب لما ذكر عقيبه ما يدل على المدح العظيم (الوجه الثاني) وهو الجواب التفصيلي
ان المراد من هذه المجادلة سعي ابراهيم في تأخير العذاب عنهم وتقريره من وجوه (الاول)
ان الملككة قالوا انا مهلكواهل هذه القرية فقال ابراهيم أرايت لو كان فيها خسون
رجل من المؤمنين أهلكنوها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال قتلون قالوا لا حتى بلغ
العشرة قالوا لا قال أرايت ان كان فيها رجل مسلم أهلكنوها قالوا لا اصد ذلك قال ان فيها
لوطا وقد ذكر الله تعالى هذا في سورة العنكبوت فقال ولما جاء رسلنا ابراهيم بالبشرى
قالوا انا مهلكواهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم
بمن فيها نتجسبه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ثم قال ولما اجابت رسلنا لوطا سئ
بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك فبان هذا
ان مجادلة ابراهيم عليه السلام انما كانت في قوم لوط بسبب مقام لوط فيما بينهم (الثاني)
يمحتمل ان يقال انه عليه السلام كان يعيل الى ان تحقهم رحمة الله بتأخير العذاب عنهم رجاء
انهم ربما اقدموا على الايمان والتوبة عن المعاصي وربما وقعت تلك المجادلات بسبب
ان ابراهيم كان يقول ان امر الله ورد بإبصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور بل
يقبل التراخي فاصبروا مدة أخرى والملككة كانوا يقولون ان مطلق الامر يقبل الفور
وقد حصلت هناك قرائن دالة على الفور ثم اخذ كل واحد منهم بمذهبه بالوجوه
المعلومة فحصلت المجادلة بهذا السبب وهذا الوجه عندي هو المعتمد (الوجه الثالث)
في الجواب لعل ابراهيم عليه السلام سأل عن لفظ ذلك الامر وكان ذلك الامر مشروطا
بشرط فاختلفوا في ان ذلك الشرط هل حصل في ذلك القوم أم لا فحصلت المجادلة بسببه
وبالجملة نرى العلماء في زماننا يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص وذلك لا يوجب
القدح في واحد منها فكذلكها نعم قال تعالى ان ابراهيم حلیم أواه منيب وهذا مدح عظيم

او وعد غير كذب على انه مصدر كالجلود والمعقول (فلما جاء امرنا) اي عذابنا او امرنا بتوبه وفيه ما لا يخفى من التوبيخ (نتجسنا صاخرنا) الذين
أنعمواهم متعلق بتجسنا اوبأتموا (برحمة) بسبب رحمة عظيمة (منا) وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كآراما وتلحين

برحة ورافقة متا (ومن خزي يومئذ) اى ونعيمناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونعيمناهم من عذاب غليظ على معنى انه كانت تلك النتيجة متنجبة من خزي يومئذ اى من ذلته (١١٢) ومهات اودلهم فضيحتهم يوم القيامة كآفسر به العذاب

من الله تعالى لابراهيم اما الحليم فهو الذى لا يتجمل بمكافاة غيره بل يتأني فيه فيؤخر ويعفو ومن هذا حاله فانه يحب من غيره هذه الطريقة وهذا كالدلالة على ان جداله كان فى امر متعلق بالحلم وتأخير العقاب ثم ضم الى ذلك ماله تعلق بالحلم وهو قوله اواه منيب لان من يستعمل الحلم فى غيره فانه يتأوه اذا شاهد وصول الشدائد الى الغير فلما رأى محيى الملائكة لاجل اهلاك قوم لوط عظم حزنه بسبب ذلك واخذ يتأوه عليه فلذلك وصفه الله تعالى بهذه الصفة ووصفه ايضا بأنه منيب لان من ظهرت فيه هذه الشفقة العظيمة على الغير فانه ينب ويتوب ويرجع الى الله فى ازالة ذلك العذاب عنهم ايقال ان من كان لا يرضى بوقوع غيره فى الشدائد فان لا يرضى بوقوع نفسه فيها كان أولى ولا طريق الى صون النفس عن الوقوع فى عذاب الله الا بالتوبة والانابة فوجب فين هذا شأنه ان يكون منيبا **قوله تعالى (يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيتهم عذاب غير مردود وما جئت رسلا لوطاسي بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب)** اعلم ان قوله يا ابراهيم اعرض عن هذا معناه ان الملائكة قالوا له اترك هذه المجادلة لانه قد جاء امر ربك باصالح هذا العذاب اليهم واذالاح وجه دلالة النص على هذا الحكم فلا سبيل الى دفعه فلذلك امره بترك المجادلة ولما ذكر واثه قد جاء امر ربك ولم يكن فى هذا اللفظ دلالة على ان هذا الامر بماذا جاء لاجرم بين الله تعالى انهم آتيتهم عذاب غير مردود اى عذاب لا سبيل الى دفعه وردهم ثم قال وما جئت رسلا لوطاسي بهم وضاق بهم ذرعا وهذا هو الرسلهم الرسل الذين بشرهم بالولد عليهم السلام قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط وبين القريتين اربع فراسخ فدخلوا عليه على صورة شباب مرد من بنى آدم وكانوا فى غاية الحسن ولم يعرفوا لوط انهم ملائكة الله وكانوا فيه ستة اوجه (الاول) انه ظن انهم من الاناس فخاص عليهم تحيت قومهم وانهم يزوروا عن مقاولتهم (الثاني) ساء مجيئهم لانه ما كان يحد ما ينقذ عليهم وما كان قادرا على القيام بحق ضيافتهم (الثالث) ساء ذلك لان قومه منعوه من ادخال الضيف داره (الرابع) ساء مجيئهم لانه صرف بالخطر انهم ملائكة وانهم انما جاءوا لاهلاك قومه والوجه الاول هو الاصح لدلالة قوله تعالى وجاءهم قومه يهرعون اليه ويقى فى الآية الفاظ ثلاثة لابد من تفسيرها (اللفظ الاول) قوله سى بهم ومعناه ساء مجيئهم وساء يسوء فعل لازم مجاوز يقال سؤته فسى مثل شغلته فشغل وسررته فسرر قال الزجاج اصله سوى بهم الا ان الواو سكنت وتقلت كسرتها الى السين (واللفظ الثانى) قوله وضاق بهم ذرعا قال الازهرى الذرع بوضع موضع الطاقة والاصل فيه البعير يذرع بيديه فى سيره ذرعا على قدر سرعة خطوته فاذا حل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فضعف ومدنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن قدر الوسع والطاقة فيقال مالى به ذرع ولا ذراع اى مالى به طاقة والدليل على صحة ما قلناه انهم يجعلون الذراع فى موضع الذرع فيقولون ضقت بالامر

الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونعيمناهم من عذاب يوم القيامة بعد تبيننا اليهم من عذاب الدنيا ومن تأخر بالغ على اكتساب المضاف بالناس المضاف اليه هنا وفى المخرج فى قوله تعالى من عذاب يومئذ وقرى بالتونين ونصب يومئذ (ان ربك) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (هو القوى العزيز) القادر على كل شئ والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بنجية الاولياء لاسيا عند الانباء علون العذاب اهم ذكرها اولاً ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال (واخذ الذين ظلموا) عدل عن المختصر الى الظاهر تسليما عليهم بالظلم والشارع اقبلته نزول العذاب بهم (الصيحة) اى صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل أنهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ فى الارض فتشظت قلوبهم في صدورهم وفى سورة الاعراف فاتخذتهم اذ جفقت لقلوبهم وقتب بالصيحة المستقيمة لتخرج الهوام (فاصبروا) اى صبروا (فى ديارهم) اى بلادهم او مساكنهم (جائين) خادمين موقى لا يضر كون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المتأخر ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اليهم اذ ليسوا بذلك من حلول غضبك قبل ما رواوا العلامات التى بينها صالح من اصرار وجسدهم وانجرامها واسودادها عدوا الى قتله عليه الصلاة والسلام فقام الله تعالى

الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحطوا وتكفوا بالانطاع فأتتهم الصيحة فتشظت قلوبهم (ذرعا) فجعلوها (كان لم يمتوا اى) كان لهم لم يقيموا (فيها) فى بلادهم اوفى مساكنهم وهو فى موضع الحال اى اصبوا جائين عائلين لم يوجد

ولم يبق في مقام قط (الا انعود) وضع موضع الضمير لزيادة البيان ونونه ابويك هنا وفي النجم وقرأ حفص هذا في الفرقان والعنكبوت
بغير تنوين (كفروا ربه) صرح بكفرهم (١١٣) مع كونه معلوماً من سبق من احوالهم تفصيلاً لحالهم وتقليلاً لاستفادتهم

بالدعاء عليهم بالبعد والهالك في قوله تعالى (الا بعد الفود) وقرأ الكسائي بالتنوين (ولقد جاءت رسالتنا ابراهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل وملاك وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن مجاهد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدي واحد عشر على صور الملائكة الوضاء وجوههم وعن قتال كانوا اثني عشر ملكاً وانما استدبرهم مطلقاً الى بشرى دون الارسل لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط واتما جاءه لداعية البشرية ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسل اليهم ولحقوا العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى عمواد اخاهم صالحاً ثم رجع المبعث قيل والى مدبرنا خاهم شعيباً (البشرى) اى ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرية المنتظمة بالبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باحق الاية وقوله تعالى وبشرناه بغلام حليم وقوله بشروه بغلام عليم وللإشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروح وجاءته البشرية لظهور تورع المجادلة على محبتها كما سيأتي وقيل هي البشارة بهلاك قوم

ذرياء (واللفظ الثالث) قوله هذا يوم عصيب اى يوم شديد وانما قيل للشديد عصب لانه يعصب الانسان بالشر * قوله تعالى (وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياتوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيقه اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد عدلنا ما لتساقى بناتك من حق وانك لتعلم ما تريد قال لو انى بكم قوة او اوى الى ركن شديد) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه لما دخلت الملائكة دار لوط عليه السلام مضت امرأته بحجور سوء فقالت لقومه دخل دارنا قوم ما رأيت احسن وجوهاً ولا انظف ثياباً ولا اطيب رائحة منهم فجاء قومه يهرعون اليه اى يهرعون وبين تعالى ان اسراهم ربما كان لطلب العمل الخبيث بقوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات فنزل ان القوم دخلوا دار لوط وارادوا ان يدخلوا البيت الذى كان فيه جبريل عليه السلام فوضع جبريل عليه السلام يده على الباب فلم يطيعوا فتحه حتى كسروه ففتح اعينهم يده فعموا فقالوا يا لوط قد دخلت علينا السحرة وظهرت الفتنه ولاهل الفتنة في يهرعون قولان (الاول) ان هذا من باب ما جاءت صيغة الفاعل فيه على لفظ المفعول ولا يبرفله فاعل نحو اولع فلان في الامر وارعد زبد رضى عمر ومن الزهو (والقول الثانى) انه لا يجوز ورود الفاعل على لفظ المفعول وهذه الافعال حذف فاعلوها فتأويل اولع زيدانه اولعه طبعه وارعد الرجل ارعده غضبه وزهى عرو معناه جملة ماله زاهيا واهرع معناه اهرعه خوفاً واهرع واخلطوا ايضاً فقال بعضهم الاهرع هو الاسراع مع الرعدة وقال آخرون هو العدو الشديد اما قوله تعالى قال ياتوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فقيه قولان قال قادة المراد بناته لصلبه وقال مجاهد وسعيد بن جبير المراد نساء امته لانهم في انفسهن بنات ولهن اضافة اليه بالتابعة وقبول الدعوة قال اهل التفسير في حسن الاضافة ادنى سبب لانه كان نبيا لهم فكان كالاب لهم قال تعالى وازوجهم امهاتهم وهو اب لهم وهذا القول عندى هو المختار ويدل عليه وجوه (الاول) ان اقدام الانسان على عرض بناته على الاوباش والفجار امر متبع لا يليق بأهل المروءة فكيف بأكابر الانبياء (الثانى) وهو انه قال هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فيناته الواو ان من صلبه لا تنكح للجمع العظيم اماتاء امته فقيهن كفاية لكل (الثالث) انه صححت الرواية انه كان له بنتان وهما تزاور عورا واعلاق لفظ البنات على البنين لا يجوز لما ثبت ان اقل الجمع ثلاثة فاما القائلون بالقول الاول فقد اتفقوا على انه عليه السلام مادعا القوم الى الزنا بالنسوان بل المراد انه دعاهم الى التزويج بين وفيه قولان (احدهما) انه دعاهم الى التزويج بين بشرط ان يقدموا الايمان (والثانى) انه كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر في شريعته وهكذا كان في اول الاسلام بدليل انه عليه السلام زوج ابنته زينب من ابى العاص بن الربيع وكان مشركاً وزوج ابنته من عتبة بن ابى لهب ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات

لوط وبناته مجادلة له عليه الصلاة والسلام في شأنهم (١٥) (روا) (خا) والاظهر انها البشارة بالولد وسعوى ستر تورع المجادلة على ذلك

ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اى قالوا قولنا سلام اذكروا سلاما (قال سلام) اى عليكم سلام و سلام عليكم حياتهم باحسن من
تحياتهم وقرى سلم ككرم في حرام وقرأ ابن ابي عمير قال سلاما وعند انه (١١٤) قرأ بالرفع فيها الخالف اى ابراهيم (ان جاء بجعل)

اى في الجحيم به او مالمث بجيشه
بجعل (حنيد) اى مشوى
بالرفق في الاخذ ودقيل سبعين
يقطروا دمه كقوله بجعل سبعين من
حدثت القرص اذ عرقته بالجلال
(لما رأى ابيدهم لاتصل اليه)
لا يمدون اليه ابيدهم لئلا تكل
(تكروه) اى انكروهم قال تكروه
وانكروه واستكروه بمعنى وانما
انكروهم لانهم كانوا اذا نزل بهم
ضيق ولم يأكل من طعامهم نزلوا
انهم لم يجيئهم فيؤدقروا اليهم كانوا
يكتفون بقدر حاجت في ابيدهم
في اللحم والاتصل اليه ابيدهم
وهذا الانكار منه عليه الصلاة
واسم الى نعمهم المذكور وما انكروا
المنافق بأنفسهم فلا تعلق له برؤية
عدم اكلمهم وانما وقع ذلك عند
رؤيتهم لعدم كونهم من جنس ما
كان يهجم من الناس الا يرى الى
قوله تعالى في سورة الذاريات
سلام قوم منكروا (وواو جوس
منهم) اى احسن او احسن من جهنم
(خفيفة) لانهم انزلوا لهم لاسر
انكروا الله تعالى عليه واثنى عليه
قومه وانما اخر المفعول الصريح
عن الطرف لان المراد الاخبار
بأنه عليه الصلاة والسلام اوجس
من جهنم شيئا هو الحقيقة لانه
اوجس الحقيقة من جهنم لاسر
جهة غيرهم وتحقيقه ان تأخير
ما حقه تقديمه يوجب ترقيب
النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها
ففضل تمكن (قالوا لا تخف) ما قالوه
بجهد ما وادعته غايل الخوف
انزاله له منه بل بعد اظهاره عليه
الصلاة والسلام له قال تعالى في
سورة الحجر قال اننا نكلمكم وجلون

ولم يذكر ذلك ههنا انكشاف بذلك (اننا رسلا) ظاهره انه استئناف معنى التمثيل لله المذكر وكان قوله تعالى اننا نكلمكم تليد (على)
لذلك فان رسلاهم الى قوم آخرين يوجب انهم من الحرف اى ارسلا بالعذاب (الى قوم لوط) خاصة لانه ليس كذلك فان قوله

تعالى قال فا خطبكم أيها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح فانهم قالوه جوابا عن سؤاله عليه الصلاة والسلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك (وامرأته فائمة) وراء (١١٥) الست بحيث تسع محاورتهم او على رؤسهم للتقدمة حسبا هو

على النار قال الواحدى وحذف الجواب ههنا لان الوهم يذهب الى انواع كثيرة من المنع والدفع (المسئلة الثانية) لوانى بكى قوة اى لوانى ما تقوى به عليكم ونسبة موجب القوة بالقوة جائز قال الله تعالى واعذو اليهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل والمراد السلاح وقال آخرون القدرة على دفعهم وقوله او آوى الى الركن شديد المراد منه الموضوع الحصين المنيع تشبيها له بالركن الشديد من الجبل فان قيل ما الوجه ههنا فى عطف الفعل على الاسم قلنا قال صاحب الكشاف فرى او آوى بالنصب باضمار ان كانه قيل لوانى بكم قوة او آوى واعلم ان قوله لوانى بكم قوة او آوى الى الركن شديد لا بد من حل كل واحد من هذين الكلامين على قاعدة مستقلة وفيه وجوه (الاول) المراد بقوله لوانى بكم قوة كونه نفسه قادرا على الدفع وكونه متمكنا ما بنفسه واما عاونه فغيره على قهرهم وتأنيبهم والمراد بقوله او آوى الى الركن شديد هو ان لا يكون له قدرة على الدفع لكنه يقدر على التحصن بحصن ليأمن من شرهم بواسطته (الثالث) انه لما شاهد سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدرك على نفسه وقال بل الاولى ان آوى الى الركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله تعالى وعلى هذا التقدير وقوله او آوى الى الركن شديد كلام منفصل عما قبله ولا يتعلق به وبهذا الطريق لا يلزم عطف الفعل على الاسم ولذلك قال النبي عليه السلام رحم الله اخى لوطا كان باوى الى الركن شديد (قالوا يا لوط انارسل ربك لن يصلوا اليك فأسر باعالت تقطع من

الليل ولا يلتفت منكم احد الامرأنت انه مصيبها ماصابهم ان موعدهم اصبح اليس الصبح قريب) اعلم ان قوله تعالى بخرا عن لوط عليه السلام انه قال لوانى بكم قوة او آوى الى الركن شديد يدل على انه كان فى غاية القلق والحزن بسبب اقدام اولئك الاوياش على ما يوجب الفضيحة فى حق اضيافه فلارأت الملائكة تلك الحالة بشروه بانواع من البشارات (احدها) انهم رسل الله (وثانيها) ان الكفار لا يصلون الى ما هموا به (وثالثها) انه تعالى يهلكهم (ورابعها) انه تعالى ينجيهم مع اهله من ذلك العذاب (وخامسها) ان ركنك شديد وان ناصرک هو الله تعالى فحصل له هذه البشارات وروى ان جبريل عليه السلام قال له ان قومك لن يصلوا اليك فاقبح الباب فدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فأعماه فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم وذلك قوله تعالى ولقد اردوه عن ضيقه فطمسنا اعينهم ومعنى قوله لن يصلوا اليك اى بسوء ومكروه فاناحول بينهم وبين ذلك ثم قال فأسر بأهلك فرائفعا وابن كثير فأسر موصولة والباقون بقطع الالف وهما لغتان يقال سریت بالليل واسریت وأشد حسانا * أسررت اليك ولم تكن تسرى * فجاء بالفتن فن قرأ بقطع الالف فحجبت قوله سبحانه وتعالى سبحانه الذى امرى بعبده ومن وصل فحجبت قوله والليل اذا يسر والسرى السير فى الليل يقال سرى يسرى اذا سار بالليل وامرى ففلان

عليها بهاء السكت (ألدوالا يجوز) بنت تسعين وتسعين سنة (وهذا) الذى تشاهدونه (يعلى) اى زوجى واصل البعل القائم بالامر (شيئا) وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والمعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف فإى هو شئ

او خبر بد خبر او هو الطبري على بدل من اسم الاشارة اوبان له زكنا الجنتين وقمت حالا من الضمير في الدلتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليقه اي آلد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على (١١٦) بيان حاله عليه الصلاة والسلام لان مباينة

حالتها لما ذكر من الولادة وكل
اذربا يولد شيوخ من الشواب اما
الجسائر داؤهن عظام ولان
البشارة متوجهة اليها مريحا
ولان الكس في البيان ديا يروهم
من اول الامر نسبة المانع من
الولادة الى جانب ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وفيه ما لا يخفى
من المحذور وانصرها لاستبعاد
على ولادتها من غير تعرض لحال
الثالثة لانها المستبعد اما ولادة
ولدها فلا يتعلق بها استبعاد (ان
هذا) اي ما ذكر من حصول
الولد من هريمن مثلثا (لثي
هيب) بالنسبة الى سنة الله تعالى
السلوكه فيما بين عباده وهذه
الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق
الاستنباط التحقيقي ومقصدها
استعظام نعمة الله تعالى عليها
ضمن الاستعجاب العادي لاستبعاد
ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه
وتعالى (قالوا ايهي من امر الله)
اي قدرته وحكمته او تكوينه
اوشانه انكروا عليها تعجبهم ان
ذلك لانها كانت ناشئة في بيت
النبو ومهبط الوحي والآيات
ومظهر المعجزات والامور
الخارقة للعادات فكان حقها ان
تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي
سائر الناس من امثال هذه الخوارق
من الطائف التي تعجبوا ولطائف
صنعه الفاتحة على كل احد
عما يتعلق بذلك مشيئة الازلية
لا سيما على اهل بيت النبو الذين
ليست مرتبتهم عند الله سبحانه
كمراتب سائر الناس وان سمى الله
تعالى وتحمده وتمجده والى ذلك
اشا روا بقوله تعالى (دجة
الله) التي وسعت كل شيء
واستبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع الضمير لزيادة تفرسها (وبركاته) اي خيراته النامية المتكاثرة (الجمل)

في كل باب التي من جللتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد

ابراهيم عليه الصلاة والسلام (عليكم اهل البيت) نصب على المدح والاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه (١١٧) العلاء والسلام ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر

بيانه مثل ماخطر ببالها لجملة كلام متأنف على به انكار تعجبا كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شيء قدير ولستم يا اهل بيت النبوة والكرامة والاني كسائر الطوائف بل رجة المستقيمة لكل خبر الواسعة لكل شيء وبركاته اى خيراته النامية الفاضلة منه بواسطة تلك الرجة الواسعة لازمة بكم لاتفاقكم (انه جسد) فاعل ما يستوجب البند (عبد) كثير الخير والاسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم (فلما ذهب عن ابراهيم الروح) اى ما وجس منهم من الخيفة والطمأن قلبه بفرافهم وعرفان سبب مجيئهم والفاطر ربط بعض احوال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ببعض غيب انفصالها بما ليس باجنى من كل وجه بل قد دخل تام في السباق والسباق وتأخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفاعلة فان تأخير ما حقه التقديم تبقى النفس منتشرة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها الفضل تمكن (وجاءته البشرى) ان فسرته البشرى بقولهم لا تخف فسيبىة ذهب الخوف وبغى السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى (ييسرنا لى قوم لوط) اى جادل رسلنا في شأنهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاختصاص صورته اوطسق يجادلنا ظاهرة واما ان فسرت بشارة اللو او بما يعيها فلم يستينها لهما من حيث انها قيد زيادة اطمئنان قلب بسلامته وسلامة اهل كافة وبيادته

الجل هو العذاب فدلّت هذه الآية على ان هذا الامر شرطو العذاب جزاء او الشرط غير الجزاء فهذا الامر غير العذاب وكل من قال بذلك قال انه هو الامر الذى هو ضد انهى (الثالث) انه تعالى قال قبل هذه الآية انا ارسلنا الى قوم لوط فدل هذا على انهم كانوا مأمورين من عند الله تعالى بالذهاب الى قوم لوط وبايصال هذا العذاب اليهم اذ اضرعت هذا فنقول انه تعالى امر جمعا من الملائكة بأن يخبروا تلك المدائن في وقت معين فلما جاء ذلك الوقت اقدموا على ذلك العمل فكان قوله فلما جاء امرنا اشارة الى ذلك التكليف فان قيل لو كان الامر كذلك لوجب ان يقال فلما جاء امرنا جعلوا عاليا سافلها لان الفعل صدر عن ذلك المأمور قلنا هذا لا يلزم على مذهبتنا لان فعل العبد فعل الله تعالى عندنا وايضا ان الذى وقع منهم اتما وقع بأمر الله تعالى وبقدرته فلم يعد اضافته الى الله عز وجل لان الفعل كما تحسن اضافته الى المباشر فقد تحسن ايضا اضافته الى السبب (القول الثانى) ان يكون المراد من الامر ههنا قوله تعالى اتما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقد تقدم تفسير ذلك الامر (القول الثالث) ان يكون المراد من الامر العذاب وعلى هذا التقدير فيحتاج الى الاضمار والمعنى ولما جاء وقت عذابنا جعلنا عاليا سافلها (المسئلة الثانية) اعلم ان ذلك العذاب قد وصفه الله تعالى في هذه الآية بتعيين من الوصف (فالاول) قوله جعلنا عاليا سافلها روى ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى جمع اهل السماء فهوى الخمر ونباح الكلاب وصياح الديوك ولم يتكفى لهم جرة ولم ينكب لهم انا ثم قلبها دفعة واحدة وضربها على الارض واعلم ان هذا العمل كان معجزة قاهرة من وجهين (احدهما) ان قلع الارض واصعادها الى قريب من السماء فعل خارق للعادات (والثانى) ان ضربها من ذلك البعد البعيد على الارض بحيث لم تتحرك سائر القرى المحيطة بها البتة ولم تصل الآفة الى لوط عليه السلام واهله مع قرب مكانهم من ذلك الموضع معجزة قاهرة ايضا (الثانى) قوله وامطرنا عليها حجارة من سجيل واخلقوا في السجيل على وجوه (الاول) انه فارسى معرب واصله سنجكل وانه شيء مركب من الحجر والطين بشرط ان يكون في غاية الصلابة قال الازهرى لما مر به العرب صار حربا وقد صرحت حروفا كثيرة كالد بياب والديوان والاستبرق (الثانى) سجيل اى مثل السجيل وهو الدلو العظيم (الثالث) سجيل اى شديد من الحجارة (الرابع) رسالة عليهم من سجيله اذا ارسلته وهو فعل منه (الخامس) من سجيلته اى اعطيته تقديره مثل العطية في الادرار وقيل كان كتب عليها اسامى العذابين (السادس) وهو من السجيل وهو الكتاب تقديره من مكتوب في الازل اى كتب الله ان يعذبهم بها والسجيل اخذ من السجيل وهو الدلو العظيم لانه يتضمن احكاما كثيرة وقيل مأخوذ من الساجلة وهى المفخرة (السابع) من سجيل اى من جهنم ابدلت النون لاما (الثامن) من السماء

ايام انه قال لهم حين قالوا له انا نملكو اهل هذه القرية ارايت لو كان فيها نجسون رجلا من المؤمنين اهلكونها قالوا لا لاف فاربعون قالوا لا لاف فثلاثون قالوا لا حتى تبلغ العشرة قالوا لا قال ارايت ان كان فيها رجل مسلم اهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان

فيها لوطا قالوا نحن اعلم بما فيها لننجيتهم واهله ان قيل التبادر من هذا الكلام ان يكون ابراهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروح عن نفسه ولكن لم يقدر (١١٨) على محادثتهم في شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروح

فرغ لها مع ان ذهاب الروح
انما هو قيل العلم بذلك لقوله
تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط قلنا كان لوط عليه
السلام على شريعة ابراهيم عليه
السلام وقومه مكلفين بها فلما
رأى من الملائكة ما رأى خاف
على نفسه وعلى كافة امته التي
من جنسهم قوم لوط ولا ريب
في تقديم هذا الخوف على قولهم
لا تخف واما الذي علمه عليه
السلام بعد انتهى عن الخوف
فهو اختصاص قوم لوط
بالحلاك لادخولهم تحت العموم
فتأمل والله الموفق (ان ابراهيم
عليه السلام) غير مجبول على الانتقام
من سوء اليه (اواه) كثير التأوه
على الذنوب والتأسف على
الناس) منيب ارجع الى الله
تعالى والمقصود بتعداد صفاته
الجيدة المذكورة بيان ما جعله
عليه السلام على ما صدر عنه من
المجادلة (يا ابراهيم) قالت
الملائكة يا ابراهيم امرض عن
هذا) الجدال (انه) اي الشأن
(قد جاء) اسر ديك (اي قدسده
الجارى على وفق قضاء الازلى
الذى هو عبارة عن الارادة

الالهيية والعناية الالهية
المقتضية لنظام الموجودات على
ترتيب خاص حسب تعلقيها
بالاشياء في اوقاتها وهو المبرر
عنه بالقدر (والهم آتيهم عذاب
غير مردود) لا يبدل ولا بداء
ولا يغيرهما (ولما جاءت رسلنا
لوطا) قال ابن عباس رضي الله
عنهما انطلقوا من عند ابراهيم
عليه السلام الى لوط عليه السلام
وبين القريتين اربعة فراسخ
ودخاوا عليه في صور غلمان مرد

حسن الوجود فذلك (سي) اي ساء عيبتهم لكانه انهم اتس فحاف ان يقصدهم قومه ويخرج من مدافعتهم وقرأ نافع وابن عباس (الايفاء)
والكسائي وابو عمرو سي وسيتش باشمام السين الضم * روى ان الله تعالى قال للملائكة لاهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع

شهادات ثلثا مشى معهم مطلقا لهم الى منزله قال لهم اما بلكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انهب الشريعة في الارض علا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم (١١٩) يعلم بذلك احد فخرجت امرأتا فخرت به فومها وقالت ان

في بيت لوط رجلا ما رأيت مثل وجهه قط (وضايق بهم ذرا) اى ضاق بكائهم صدره أو قلبه أو وسعه وطافته وهو كناية عن شدة الانقباض للهمز عن مدافعة المكروه، والاحتياط فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكأنه قدر البدين مجازا أى ان بدنه ضاقت قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم الجارحة من الرفق الى الانامل والذرع ممدده ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضايق لهم ذراعا قصرها كأن معنى سخطها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذراع اذا مدها ليتناول ما يناول الطويل الذراع تقاصر عنه وهجر عن تعاطيه فضررب مثلا للذى ضمرت طاقته دون بلوغ الامر (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصيه اذا شده (وجاء) اى لوط وهو قد بينه مع اضافته (فومه) يهرعون اليه) اى يسرعون كائسا بدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضافته والجله حال من فومه وكذا قوله تعالى (ومن قبل) اى من قبل هذا الوقت (كانوا يعملون السيئات) اى جاؤا مسرعين والحال أنهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضرروا بها وتقرؤوا فيها حتى لم يبق عندهم قبائنها ولذلك لم ينهيوا معافلوها من عيشهم مهرعون مجاهرين (قال) يا قوم هؤلاء بناتي هن المهرلكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبيل ولا يجيبهن لبيهن وعدم كفافتهم لاعداء مشرعيته فان تزوج المسلات من الكفار سكان جبارا وقد زوج النبي

الانبياء من قبلهم فيقصون من قدره (والآخر) ان يكون لهم الاستغناء فيأخذون أزيد من الواجب وذلك بوجوب نقصان حق الغيرو في القسمين حصل النقصان في حق الغير ثم قال اى أراكم بخير وفيه وجهان (الاول) انه حذرهم من غلاء السعر وزوال النعمة ان لم يتوبوا فكانه قال اتركوا هذا التطفيف والا أزال الله عنكم ما حصل عندكم من الخير والراحة (والثاني) ان يكون التقدير انه تعالى أناكم بالخير الكثير والمال والرخص والسعة فلاحاجة بكم الى هذا التطفيف ثم قال واني أخاف عليكم عذاب يوم يحبط وفيه اباحت (البحث الاول) قال ابن عباس رضى الله عنهما أخاف اى اعلم حصول عذاب يوم يحبط وقال آخرون بل المراد هو الخوف لانه يجوز ان يتركوا ذلك العمل خشية ان يحصل لهم العذاب ولما كان هذا التخويف قائما فالخاصل هو الظن لا العلم (البحث الثاني) انه تعالى توعدهم بعذاب يحبط بهم بحيث لا يخرج منه احد والمحيط من صفة اليوم في الظاهر وفي المعنى من صفة العذاب وذلك مجاز مشهور كقوله هذا يوم عصيب (البحث الثالث) اختلفوا في المراد بهذا العذاب فقال بعضهم هو عذاب يوم القيامة لانه اليوم الذى نصب لاحاطة العذاب بالمعذنين وقال بعضهم بل يدخل فيه عذاب الدنيا والآخرة وقال بعضهم بل المراد منه عذاب الاستئصال في الدنيا كفى حق سائر الاتبيات والاقر ب دخول كل عذاب فيه واحاطة العذاب بهم كاحاطة الدائرة بما في داخلها فينالهم من كل وجه وذلك مبالغة في الوعيد كقوله واحبط بثمره ثم قال ويقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط فان قيل وقع التكرير في هذه الآية من ثلاثة أوجه لانه قال اولاولا لاتقصوا المكيال والميزان ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم وهذا عين ما تقدم فا الفائدة في هذا التكرير قلنا ان فيه وجوها (الاول) ان القوم كانوا مصرين على ذلك العمل فاحتجج بالمنع منه الى المبالغة والتأكيد والتكرير بقيد التأكييد وشدة العناية والاهتمام (الوجه الثاني) ان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التقصيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر بإفشاء العدل والنهى عن ضد الشيء مغاير للامرية وليس لقائل ان يقول النهى عن ضد الشيء امر به فكان التكرير لازما من هذا الوجه لانا نقول الجواب من وجهين (الاول) انه تعالى جمع بين الامر بالشيء وبين النهى عن ضده للمبالغة كما تقول صل قربك ولا تقطعهم فبدل هذا الجمع على غاية التأكييد (الثاني) ان نقول لانسلم ان الامر كما ذكرتم لانه يجوز ان ينهى عن التقصيص وينهى ايضا عن أصل المعاملة فهو تعالى منع من التقصيص وامر بإفشاء الحق ليدل ذلك على انه تعالى لم يمنع عن المعاملات ولم ينه عن المبايعات وانما منع من التطفيف وذلك لان طائفة من الناس يقولون ان المبايعات لاتفك عن التطفيف ومنع الحقوق فكانت المبايعات محرمة بالكسبة فلاجل ابطال هذا الخيال منع تعالى في الآية الاولى من التطفيف وفي الآية الاخرى امر بالانبياء

عليه الصلاة والسلام ابنته من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد ان يزوجهما ابنتيه واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه

يجرى على الحقيقة من ارادة الكناحل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واطهارا لشدة امتناعه مما اوردوا عليه طمعا فان يسخروا منه ويرقوله اذاسموا ذلك فينجزروا (١٢٠) عما افردوا عليه مع ظهور الامر والاستقرار العلم عنده

واما قوله ثالثا ولا تنسوا لباسا فليس يتكرر لانه تعالى خص المنع في الآية السابقة بالنقصان في المكيال والميزان ثم انه تعالى عم الحكم في جميع الاشياء فظهر بهذا البيان انها غير مكررة بل في كل واحد منها قاعدة زائدة (الوجه الثالث) انه تعالى قال في الآية الاولى ولا تنقصوا المكيال والميزان وفي الثانية قال او فوا المكيال والميزان والافاء عبارة عن الاتيان به على سبيل الكمال والتمام ولا يحصل ذلك الا اذا اعطى قدر ارضا على الحق ولهذا المعنى قال الفقهاء انه تعالى امر بفعل الوجه وذلك لا يحصل الا عند غسل جزء من اجزاء الرأس فالحاصل انه تعالى في الآية الاولى نهى عن نقصان وفي الآية الثانية امر باعطاء قدر من الزيادة ولا يحصل الجزم واليقين بأداء الواجب الا عند اداء ذلك اقدر من الزيادة فكأنه تعالى نهى أولا عن سعي الانسان في ان يجعل مال غيره ناقصا لخصاله تلك الزيادة وفي الثانية امر بالسعي في تنقيص مال نفسه ليخرج باليقين عن العهدة وقوله بالقسط يعني بالعدل ومعناه الامر ببقاء الحق بحيث يحصل معه اليقين بالخروج عن العهدة فالامر بقاء الزيادة على ذلك غير حاصل ثم قال ولا تنسوا الناس اشياءهم والبس هو القسط في كل الاشياء وقد ذكرنا ان الآية الاولى دلت على المنع من القص في المكيال والميزان وهذه الآية دلت على المنع من القص في كل الاشياء ثم قال ولا تنسوا في الارض مفسدين فان قبل الغش والفساد التام فقله ولا تنسوا في الارض مفسدين جار مجرى ان يقال ولا تنسوا في الارض مفسدين فلنا فيه وجوه (الاول) ان من سعى في ابطال الضرر الى الغير فقد سجل ذلك الغير على السعي الى ابطال الضرر اليه فقله ولا تنسوا في الارض مفسدين معناه ولا تنسوا في افساده مصالح الغير فان ذلك في الحقيقة سعي منكم في افساد مصالح انفسكم (والثاني) ان يكون المراد من قوله ولا تنسوا في الارض مفسدين مصالح دنياكم واخرتكم (والثالث) ولا تنسوا في الارض مفسدين مصالح الدارين ثم قال بقاء الله خير لكم قرئ بقاء الله وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي ثم تقول المعنى ما بقي الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير من البس والتطيق يعني المال الحلال الذي يبقى لكم خير من تلك الزيادة الحاصلة بطريق البس والتطيق وقال الحسن بقاء الله اي طاعة الله خير لكم من ذلك القدر القليل لان ثواب الطاعة يبقى ابدا وقال قتادة حظكم من ربكم خير لكم واقول المراد من هذه البقية اما المال الذي يبقى عليه في الدنيا واما ثواب الله واما كونه تعالى راضيا عنه والكل خير من قدر التطيق اما المال الباقي فلان الناس اذا عرفوا انسانا بالصدق والامانة والبعد عن الخيانة اعتمدوا عليه ورجعوا في كل المعاملات اليه فيفتح عليه باب الرزق واذا عرفوه بالخيانة والمكر انصرفوا عنه ولم يتجاطوه البتة فضيق ابواب الرزق عليه واما ان جلنا هذه البقية على الثواب فالامر ظاهر لان كل الدنيا تقضى وتقرض وثواب الله باق واما ان جلنا على حصول رضا الله

وعندهم جميعا بأن لا نأكله بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بنائكم من حق كما ستقف عليه (فاقوا الله) بترك الفواشش او بيلسارهم عليهم (ولا تنسوا في شي) اي لا تنسوا في شأنهم فان اخذوا ضيف الرجل وجاره اخذوا الله ولا يتجملون في الجزية وهي الميلاء (ليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق الصريح ويرعى عن الباطل القبح (قالوا) معرضين عن دفعهم به من الامر بتقوى الله والنهي عن اخذوا مجيبين عن اول كلامه (لقد علمنا اننا في بنائكم من حق) مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى الحكمة بيننا وبينك وما عرضت الارض سائري ولا مطمع لنا في ذلك (وانك لتعلم ما نريد) من انسان الذكر ان لا يلبس عليه السلام من ادعوتهم عامه عليه من النفي (قال لوان لي بك قوة) اي لعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت فقله تعالى ولوان قرأنا سورت به الجبال او قطعت به الارض او كل به الموتى (او اوى الى ركن شديد) عطف على ان لي بكم الى آخره لما فيه معنى الفعل اي لوقوت على دفعكم بنفس او اوى الى ناصر عزيز قوي اتع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم رسم الله اخی لوطا كان يأوي الى ركن شديد وروى انه عليه السلام اغلق بابا به دون اضافته واخذ بمجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب (قالوا) اي الرسل

لما شهدوا مجرم عن مدافعة قومه (يالوط انزل ربك ان يصلوا اليك) بضر ولا مكروه فاتح الباب ودعنا وايهم (تعالى) فتفتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها

فَنَشْرُجُ جَنَاحَهُ وَلَهُ جَنَاحَانِ عَلَيْهِ وَشَاحٌ مِنْ دَرٍ مَنْظُومٍ وَهُوَ بِرَاقِ الشَّيْءِ فَضْرِبُ بَجَانِهِ وَجُوهَهُمْ فَطَمَسَ أَعْيُنَهُمْ وَأَعْمَاهُمْ كَالْقَالِ عَزُوجِلٍ وَعَلَا فَطَمَسْنَا عَيْنَهُمْ (١٢١) فَصَارُوا لَا يَرَوْنَ الطَّرِيقَ فَخَرَجُوا وَهُمْ يَقُولُونَ الْبُهْلَاءُ الْبُهْلَاءُ فِي بَيْتٍ لَوْ طَوَّمَا

تَعَالَى فَأَلَامَرَهُ فِيهِ ظَاهِرٌ قُتِبَ بِهَذَا الْبُرْهَانِ أَنَّ هَيْدَةَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ قَالِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَأَمَّا شَرْطُ الْإِيمَانِ فِي كَوْنِهِ خَيْرًا لَهُمْ لِأَنَّهُمْ أَنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مُقَرِّينَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَرَفُوا أَنَّ السَّعْيَ فِي تَحْصِيلِ الثَّوَابِ وَفِي الْحَذَرِ مِنَ الْعِقَابِ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ السَّعْيِ فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ الْقَلِيلِ وَعَلِمَ أَنَّ الْمَعْلُومَ بِالشَّرْطِ عِنْدَ عَدَمِ الشَّرْطِ فَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ بِظَاهَرِهَا عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْتَرِزْ عَنْ هَذَا التَّطَفُّيفِ فَانَّهُ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَمَا نَأْتِيكُمْ بِحَقِيقَةٍ فِيهِ وَجْهَانِ (الْأَوَّلُ) أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنِّي فَحَسَنْتُكُمْ وَارْشَدْتُكُمْ إِلَى الْخَيْرِ وَمَا نَأْتِيكُمْ بِحَقِيقَةٍ أَيْ لَا تَقْدِرُ لِي عَلَى مَنَعِكُمْ عَنْ هَذَا الْعَمَلِ الْقَبِيحِ (الثَّانِي) أَنَّهُ قَدْ أَشَارَ فِيهَا تَقَدُّمَ إِلَى أَنْ الْإِسْتِغْفَالَ بِالْخُسِّ وَالتَّطَفُّيفِ بِوَجوبِ زَوَالِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ وَمَا نَأْتِيكُمْ بِحَقِيقَةٍ يَعْنِي لَوْلَمْ تَتْرَكُوا هَذَا الْعَمَلِ الْقَبِيحَ لَوَلَمْ نَعْمِ اللَّهُ عَنْكُمْ وَأَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى حِفْظِهَا عَلَيْكُمْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ﴿ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴾ (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَانِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا بَعْدَ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) فِي الْآيَةِ مَسَائِلُ (الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى) قُرْأَةُ الْحِزَّةِ وَالْكَسَائِي وَحِفْصُ عَنْ عَصَمِ أَصْلَانِكَ بِغَيْرِ وَوَالْبَاقُونَ أَصْلَوَاتُكَ عَلَى الْجَمْعِ (الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ) أَعْلَمُ أَنَّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَهُمْ بِبَيْتَيْنِ بِالتَّوْحِيدِ وَتَرْكِ الْخُسِّ فَاقْتَرَبُوا مِنْهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ بِهِذَيْنِ النُّوعَيْنِ مِنَ الطَّاعَةِ فَقَوْلُهُ أَنْ تَتْرَكَ مَا بَعْدَ آبَاؤُنَا أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِالتَّوْحِيدِ وَقَوْلُهُ وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِتَرْكِ الْخُسِّ أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِتَرْكِ الْخُسِّ بِطَرِيقَةِ التَّقْلِيدِ لِأَنَّهُمْ اسْتَبَعَلُوا مِنْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِتَرْكِ عِبَادَةِ مَا كَانَ بَعْدَ آبَاؤِهِمْ بِعَنْ طَرِيقَةِ الَّتِي اخْتَرَاهَا مِنْ آبَائِنَا وَاسْلَافِنَا كَيْفَ تَرَكْنَاهَا وَذَلِكَ تَحْسِكُ بِمَحْضِ التَّقْلِيدِ (الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ) فِي لَفْظِ الصَّلَاةِ هُنَا قَوْلَانِ (الْأَوَّلُ) الْمُرَادُ مِنْهُ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ لِأَنَّ الصَّلَاةَ أَظْهَرَ شُعَارِ الدِّينِ فَجَعَلُوا ذِكْرَ الصَّلَاةِ كِتَابَةً عَنِ الدِّينِ أَوْ يَقُولُ الصَّلَاةُ أَصْلُهُمَا مِنَ الْإِتْبَاعِ وَمِنْهُ اخْتِذَ الْمُصَلِّي مِنَ الْخَلِيلِ الَّذِي يَتْلُو السَّابِقَ لِأَنَّ رَأْسَهُ يَكُونُ عَلَى صَلَوى السَّابِقِ وَهُمَا نَاحِيَةُ الْفَخْذَيْنِ وَالْمُرَادُ دِينُكَ بِأَمْرِكَ بِذَلِكَ (وَالثَّانِي) أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ الْخُصُوصَةُ رَوَى أَنَّ شُعَيْبًا كَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَكَانَ قَوْمُهُ إِذَا رَأَوْهُ يَصَلِّي تَغَامَزُوا وَتَضَاحَكُوا فَقَصَدُوا بِقَوْلِهِمْ أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ بِالْخُرْبَةِ وَالْهَزْؤِ وَكَانَ أَنْكَ إِذَا رَأَيْتَ مَعْنَاهَا يَطْلَعُ كِتَابُهُمْ بِذِكْرِ كَلَامِهِ فَاسْدَادًا فَقَالَ لَهُ هَذَا مِنْ مَطَالَعَةِ تِلْكَ الْكِتَابِ عَلَى سَبِيلِ الْهَزْؤِ وَالْخُرْبَةِ فَكَذَا هُنَا فَإِنْ قَبِلَ تَقْدِيرَ الْآيَةِ أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ وَهُمْ أَمَّا ذِكْرُ هَذَا الْكَلَامِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَهُمْ مَا كَانُوا يَكُونُونَ كَوْنَهُمْ فَاعْلَمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ مَا يَشَاوُونَ فَكَيْفَ وَجْهَ التَّأْوِيلِ فَلَنَافِيهِ وَجْهَانِ (الْأَوَّلُ) التَّقْدِيرُ أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا بَعْدَ آبَاؤُنَا وَإِنْ تَرَكْتَ فَعَلْ مَا نَشَاءُ وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ أَوْ أَنْ تَفْعَلَ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا فِي قَوْلِهِ مَا بَعْدَ آبَاؤُنَا (وَالثَّانِي) أَنْ تَجْعَلَ الصَّلَاةَ أَمْرَةً وَنَاهِيَةً وَالتَّقْدِيرُ أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ بِأَنْ تَتْرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَهْلِكَ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ وَقُرَأَ ابْنُ أَبِي عُبَيْلٍ أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا

عَلَى الْعُيُومِ فَيَكُونُ الْأَسْرَادِيهَا مَأْمُورًا بِهَا طَعْمًا (١٦) (ر) (خ) وَفِي حُلِّ الْأَهْلِيَّةِ فِي أَحَدِي الْقَرَاءَتَيْنِ عَلَى الْأَهْلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ وَفِي الْآخَرِ عَلَى التَّسْيِيمِ عَنِ فِيهِ مَا لَيْغَنِي مِنَ الْحُكْمِ وَالْإِعْتِسَافِ عَلَى مَا فَرَمَنَهُ مِنَ الْمُنَاقَضَةِ فَلَا أُولَى حِينَئِذٍ جَعَلَ الْأَسْتِثْنَاءَ

على القراءتين من قوله لا يلفت مثل الذى فى قوله تعالى ما قلوه الاكليل منهم فان ابن عامر قرأه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد فى كون اكثر القراء على غير الافصح والايلازم من ذلك (١٢٢) اسرها بالانفتاح بل عدم نهيا عنه بطريق

ماتشاه بناد الخطاط فيه ما هو ما كان بأمرهم به من ترك التلطيف والخص والافتناع
بالحلل القليل وأنه خير من الحرام الكثير ثم قال تعالى حكاية عنهم أنك لأنت الحليم
الرشيد وفيه وجوه (الاول) أن يكون المعنى أنك لأنت السفيه الجاهل لأنهم عكسوا
ذلك على سيد الاستهزاء والسخرية به كما يقال للخبيل الخسيس لورأك حاتم لتجذلات
(الثاني) أن يكون المراد أنك موصوف عند نفسك وعند قومك بالحلم والرشد (الوجه
الثالث) أنه عليه السلام كان مشهورا عندهم بأنه حليم رشيد فلما أمرهم بمفارقة طريقتهم
قالوا له أنك لأنت الحليم الرشيد المعروف الطريقة في هذا الباب فكيف تنهاهم عن دين
القيناء من آبائنا واسلافنا والمقصود استبعاد مثل هذا العمل ممن كان موصوفا بالحلم
والرشد وهذا الوجه أصوب الوجوه * قوله تعالى (قل يا قوم أرأيتم إن كنتم عل بنية

من ربي ورزقي منه رزقا حسنا وما أريد أن اخالفكم الى ماأنهاكم عنه ان اريد

الاصلاح ما استطعت، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه ائيب وياقوم لا يجرمنكم

شَقَائِي اِنْ يَصِيْلِيَهٗمْ مِثْلَ مَا اَصَابَ قَوْمَ نُوْحٍ اَوْ قَوْمَ هُوْدٍ اَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ

بعبید واستغفروا ربکم ثم توبوا الیه ان ربی رحیم ودود) فی الآیة مسائل (المسئلة

الاولی) اعلم انه تعالى حکى عن شعيب عليه السلام ما ذكره فى الجواب عن کلماتهم

فالاول قوله ارايم ان كنت على بينة من ربي وزرقي منه رزقا حسنا وفيه وجوه (الاول)

ان قوله ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما ناله الله تعالى من العلم والهداية والدين

والبسوة وقوله ورزقي منه رزقا حسنا أسأله إلى ما أنعم الله من المالح الحلال فإنه يروى

ان سعيها بحية السلام من كبر المال واعلم ان جواب ان السرمية محذوف والتقدير انه تعالى لما آتاه من السعادات الدنيوية والبنية السعادات الحسنة

المال والرزق الحسن، فهل يعني، مع هذا الانعام العظم أن اخوه ن فروجه، إن أخافه

في أمره ونهيهِ وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك لأنهم قالوا له إنك لانت الحليم

الرشيده فكيف يليق بك مع حملك ورشدك ان تنهانا عن دين آبائنا فكانه قال انما

أقدمت على هذا العمل لأن نعم الله تعالى عندي كثيرة وهو أمرني بهذا التبليغ والرسالة

فليف يليق بي مع كثرة نعم الله تعالى علي ان اخالف امره وتكليفه (الثاني) ان يكون

التفتن عليكم في أول ما أتاكم منكم لا اله الا الله

وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَا رَجُلٌ أَرَادَ إِصْلاحَ أَحوَالِهِمْ وَلَا حَاجَ إِلَى أَمْوَالِهِمْ لِأَجْلِ

وفي حكمه (الثالث) قوله ان كنت على لغة من في ايامنا حصا عليه من الحج: فوجه

ورزقني منه رزقا حسنا المراد انه لانسأله امر او لاحمله هو الذي ذكر مسأله الانبياء

من قولهم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الاعلى رب العالمين (المسئلة الثالثة) قوله و ذقن

منه رزقا حسنا يدل على ان ذلك الرزق انما حصل من عند الله تعالى وباعائه وانه لا مدخل

سمع اهل السماء نباح الكلاب وصاح الديكة ثم قلبها عليه . اسناد الجمل (الكلب)

بارانه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب (وامطرنا عليها) على اهل المدن اوشذاذهم

(حجارة من سجيل) من طين معجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فرب و قيل هو من اجسمه اذا ارسله او ادر عطيشه والمعنى من مثل الشئ المرسل او مثل العطية في الادرار (١٢٣) او من السجل اي ما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل

اصله من سجيل اي من جهنم فابدلت
نونه لاماً (منضود) لنشد في السماء
نشدنا معدا للذاب وقيل رسل
بعضه ابريض كقطار الامطار
(مسومة) ممثلة للذاب وقيل ممثلة
ببيض وجرة او بياض تميز به
عن حجارة الارض او باسم من
ترعى به (عندريك) في خراشه
التي لا تصرف فيها غيره عن
وجل (وماهى) اي الحجارة
الموصوفة (من الظالمين) من كل
ظالم (يعيد) فانهم بسبب ظلمهم
مستحقون لها وما لبسوا بها وقيل
وعيد شديد لاهل الظلم كقوله ومن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
سأل جبريل عليه السلام فقال
يعنى ظالمى امتك ما من ظالم منهم
الا هو برض حجر يسقط عليه
من ساعة الى ساعة وقيل الصغير
للقوى اي هي قرية من ظالمى مكة
يرون بها في سائرهم واسفلهم
الى الشام وتذكر البعيد على
تاويل الحجارة بالحجر او اجراه
على موصوف مذكر اى يشئ
يعيد او يمكن يعيد فانها لو كانت
في السماء وهى في غاية البعد من
الارض الا انها حين هوت منها
ففى اسرع شئ لحوقها بهم فكان
قريب منهم ولانه على رنة المصد
كازفير والصهيل والمصاد
يستوى في الوصف بها المذكر
والمؤنث (والى مدین) اي اولاد
مدین بن ابراهيم عليه السلام
او جعل اسما للقبيلة بالغة او
اهل مدین وهو ولد بنه مدین
فسمى باسمه (اخاهم) اي نسبهم
(ثعبيا) وهو ابن ميكيل بن يشجر
بن مدین وكان يقال له خطيب
الانبياء لحسن صراجه قومه
والجملة معطوفة على قوله تعالى

للكسب فيه وفيه تنبيه على ان الاعزاز من الله تعالى والاذلال من الله تعالى ولذا كان
الكلم من الله تعالى فاننا لا ابلى بمخالفتهكم ولا افرح بموافقتكم وانما اكون على تقرير
دين الله تعالى وايضاح شرائع الله تعالى (واما الوجه الثاني) من الاجوبة التي ذكرها
شعيب عليه السلام بقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما نهاكم عنه قال صاحب
الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولي
عنه وانت قاصده ويلقاك رجل صادرا عن الماء قسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى
الماء يريد انه قد ذهب اليه واوردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم
الى ما نهاكم عنه يعنى ان اسبقكم الى شهوراتكم التي نهيتكم عنها لاستند بها دونكم
فهذا بيان الافة وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بانهم حلیم رشيد وذلك يدل على كمال
العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الا صوب الاصلح فكانه عليه السلام
قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا ان الذي اختاره عقلي لنفسى لا بدوا يكون اصوب
الطريق واصحها والدعوة الى توحيد الله وترك الخس والنقصان يرجع حاصلهما
الى جزأين التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى وانا مواظب عليهما غير
تارك لهما في شئ من الاحوال البتة فلما اعترفتم لي بالخلم والرشد وترون اني لا ترك هذه
الطريقة فاعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق واشرف الاديان والشرائع (واما الوجه
الثالث من الوجوه التي ذكرها شعيب عليه السلام فهو قوله ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت والمعنى ما اريد الا ان اصالحكم بموعظتي ونصيحتي وقوله ما استطعت فيه
وجوه (الاول) انه ظرف والتقدير مدة استطاعني للاصلاح وما مدت ممتكنا منه لا
اكونيته جهدا (والثاني) انه بدل من الاصلاح أى القدار الذي استطعت منه (والثالث)
ان يكون مفعولا له أى ما اريد الا ان اصالح ما استطعت اصلاحه واعلم ان المقصود من هذا
الكلام ان القوم كانوا قد اقرروا بانهم حلیم رشيد وانما اقرروا بذلك لانه كان مشهورا
فيما بين الخلق بهذه الصفة فكانه عليه السلام قال لهم انكم تعرفون من حالى اني لا اسعى
الا في الاصلاح وازالة الفساد والخصومة فلما امرتكم بالتوحيد وترك ابداء الناس
فاعلموا انه دين حق وانه ليس فرضي منه ابتاع الخصومة واثارة الفتنة فانكم تعرفون
اننى اقبض ذلك الطريق ولا ادور الاعلى ما يوجب الصلح والصلاح بقدر طاقتي وذلك هو
الابلاغ والانداء روماء الاجبار على الطاعة فلا اقدر عليه ثم انه عليه السلام أكد ذلك
بقوله وما توفيقى الا بالله عايه توكلت واليه اتيب وبين بهذا ان توكله واعتماده في تنفيذ
كل الاعمال الصالحة على توفيق الله تعالى وهدايته واعلم ان قوله عليه السلام توكلت
اشارة الى محض التوحيد لان قوله عليه السلام توكلت يفيد الجحصر وهو انه لا ينبغي
للانسان ان يتوكل على احد الاعلى الله تعالى وكيف وكل ماسوى الحق سبحانه يمكن
لذاته فان بذاته ولا يحصل الا بيجاده وتكوينه واذا كان كذلك لم يجوز التوكل الا على الله

والى غود اخاهم صالحا اى وارسلنا الى مدین اخاهم شعيبا (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال نفا عن صدر الكلام فكانه قيل
فا ذا قال لهم قيل قال كالم من قبله من الرسل عليهم السلام (يا قوم اعبدا الله) وحده ولا تشركوا به شيئا (ما لكم من الله

غيره تحقيقاً للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهائهم عن ترتيب مبادئ الاعتقاد من الجنس والتطهير عادة مستقرة فقال (١٢٤) (ولا تقصوا المكيال والميزان) حتى تسولوا بذلك الى

جنس حقوق الناس (ان اراكم
مجنين) اي ملتزمين بقرعة وسعة
تفنيكم عن ذلك اوبسمة من الله
تعالى فهان تقابل بغير ما تأتونه
من المصاحفة والتفضل على الناس
شكرا عليها او اراكم يتخير فلا
تربوا على انتم عليه من الشر
وهو على كل حال علة للنهي
عقب بدلة اخرى اعنى قوله عن
وجل (وانى انانى عليكم) ان لم
تنتهوا عن ذلك (عذاب يوم
محيط) لا ينفذ منه شاذ منكم
وقيل عذاب يوم مهلك من
قوله تعالى واحيط بشره واصله
من احاطة العدو والمراد عذاب
يوم القيامة لو عذاب الاستئصال
ووصف اليوم بالاحاطة وهى
حال العذاب على الاستناد المجازى
وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان
اليوم زمان يشغل على ما وقع
فيه من الحوادث فاذا احاط
بعذابه فقد اجتمع للعذب ما
اشتمل عليه منه كما اذا احاط
بشيء ويجوز ان يكون هذا
تعليلاً للامر واللهى بهما (ويا
قوم اوفوا المكيال والميزان
بالقسط) اي بالعدل من غير زيادة
ولا نقصان فان الزيادة فى الكيل
والوزن وان كان تفضلاً مندوباً
اليه لكنها فى الآلة مخطورة
كالنقص لئلا يزداد الاستعمال
عند الاتكial والنقص
للاستعمال وقت الكيل وانما
امر بهما وتعدى بهما صريحاً
بعد النهى عن نقصهما لئلا ينفذ
الحمل على الايفاء بالنعم من الجنس
وتبنيها على انه لا يكتفيهم مجرد
الكف عن النقص والجنس بل
يجب عليهم اصلاح ما افسدوه
وجعلوه معياراً لظلمهم وقاؤنا
لعدوانهم (ولا جنوا الناس)

بسبب قصصهما وعدم اعتدالهما (اشياهم) التى يشترونها بهما وقد صرح بالنهى عن الجنس بعدما علم (الدعوة)
ذلك فى ضمن النهى عن نقص المعيار والامر بإيفائه احتمالاً بشأه وتوعياً فى إبقاء الحقوق بعد التهريب والاجر عن نقصها ويجوز ان

يكون المراد بالامر بإفناء الكيالي والميزان الامر بإفناء الكليات والموزونات ويكون النهي عن الجنس عاما للنقص في المقدار وغيره
تعميما بعد تخصيصه كما في قوله تعالى (١٢٥) (ولا تتوا في الأرض مفسدين) فان العتي يتم قص الحقوق وغيره من انواع

الفساد وقيل الجنس المكس كاخذ

العشور في المعاملات قال زهير

بن ابي سئلى أ في كل اسواق

العراق اناوة * وفي كل

ماباع اسر في مكس درهم

والحق في الارض السرقة وقطع

الطريق والغارة وقائدة الحال

اخراج ما يقصده الاصلاح كما

فعله الحضرة عليه السلام من خرق

السفينة وقتل الغلام وقيل معناه

ولا تتوا في الارض مفسدين اسر

آخر تركهم ومصالح دينكم (بقية الله)

اي ما ابقاه لكم من الخلا بعد التذ

عن تعطاي الخمرات (خير لكم)

مما جمعون بالبئس والتطيف

فان ذلك هباء منثور بل شر محض

وان زعم ان فيه خيرا فهو كمن قال

بحق الله البراءة والصدقات

(ان كنتم مؤمنين) بشرط ان

تؤمنوا فان خيرا بها يستتبع

الثواب مع النجاة وذلك مشروط

بالايمان لمعالجة وان كنتم مفسدين

في مقالق لكم وقيل البقية

الطاعة كقوله عز وجل والباقيات

الصالحات خير عند ربك وقرى

بقية الله بالفوقانية وهي تقواه

عن المعاصي (وما انا عليكم بحفيظ)

احفظكم من القبائح واخفظ عليكم

احكامكم فاجازيكم وانما انا صريح مبلغ

وقد اعدت اذا نذرت ولم ان

في ذلك جهدا او مائلا بحفاظ

ومستيق عليكم نعم الله تعالى ان لم

تتركوا ما اتم عليكم من سوء الصنيع

(قالوا يا شبيب اصلك تارك

ان تترك ما يبعد باؤنا) من الاوثان

اجازي بذلك امره عليه السلام يا هم

بعبادة الله وحده لا تشركوا به من

عبادة الاصنام ولقد ابلغوا في ذلك

وبلغوا أقصى مراتب الخلعة

الدعوة لو كانت باطلة لما اشتغل هو بها مع اعترافكم بكونه حليما رشيدا ثم بين صحته
بطريق آخر وهو انه كان معروفا بتخصيص موجبات الصلاح واخفاء موجبات الفتن
فلو كانت هذه الدعوة باطلة لما اشتغل بها ثم لما بين صحة طريقته أشار الى نفى المعارض
وقال لا ينبغي أن تحمليكم عداوتي على مذهب ودين تقعون بسببه في العذاب الشديد
من الله تعالى كما وقع فيه اقوام الانبياء المتقدمين ثم انه لما صحح مذهب نفسه بهذه الدلائل
عاد الى تقرير ما ذكره اولا وهو التوحيد والمنع من الجنس بقوله ثم تو بوا اليه ثم بين
لهم ان سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغي ان يمنعهم من الايمان والطاعة لانه تعالى رحيم
ودود يقبل الايمان والثوبة من الكافر والفاسق لان رحته لعباده وحبه لهم يوجب
ذلك وهذا التقرير في غاية الكمال * قوله تعالى (قالوا يا شبيب ما نفقه كثيرا مما تقول

وانا نراك فينا ضعيفا ولو لا رهنك لرجناك وما انت علينا بعزيز) اعلم انه عليه السلام لما بالغ
في التقرير والبيان اجابوه بكلمات فاسدة فالاول قولهم يا شبيب ما نفقه كثيرا مما تقول وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) لقائل ان يقول انه عليه السلام كان يخاطبهم بلسانهم في
قالوا ما نفقه والعلاء ذكروا عنه اتوا من الجوابات (فالاول) أن المراد ما نفقه كثيرا
مما تقول لانهم كانوا لا يلبقون اليه افهامهم لشدة غرهم من كلامه وهو كقوله وجعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه (الثاني) انهم فهموه بقلوبهم ولكنهم ما افهموا له وزنا
فذكروا هذا الكلام على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذ لم يعبأ به حديثه
ما درى ما تقول (الثالث) ان هذه الدلائل التي ذكرها ما اقتنعهم في صحة التوحيد
والنبوة والبعث وما يجب من ترك الظلم والسرقة فقولهم ما نفقه اي لم نعرف صحة الدلائل
التي ذكرتها على صحة هذه المطالب (المسئلة الثانية) من الناس من قال الفقه اسم لعلم
مخصوص وهو معرفة غرض المتكلم من كلامه واحتجوا بهذه الآية وهي قوله ما نفقه
كثيرا مما تقول فاضاف الفقه الى القول ثم صار اسما لنوع معين من علوم الدين ومنهم
من قال انه اسم لمطلق الفهم يقال اوتي فلان فقها في الدين اي فهمها وقال النبي صلى الله
عليه وسلم من يراد الله به خيرا فقهه في الدين اي يفهمه تأويله (والنوع الثاني) من الاشياء
التي ذكروها قولهم وانا نراك فينا ضعيفا وفيه وجهان (الاول) انه الضعيف الذي يعذر
عليه منع القوم من نفسه (والثاني) ان الضعيف هو الاعمى بلفظ جبر واعلم ان هذا القول
ضعيف لوجوه (الاول) انه ترك للظاهر من غير دليل (الثاني) ان قوله فينا يطل هذا
الوجه الا ترى انه لو قال انا نراك اعمى فينا كان فاسدا لان الاعمى اعمى فهم وفي غيرهم
(الثالث) انهم قالوا بعد ذلك ولو لا رهنك لرجناك فنفا عنه القوة التي اثبتوها في رهنه
ولما كان المراد بالقوة التي اثبتوها لرهط هي النصرة وجب ان تكون القوة التي
نقوها عنه هي النصرة والذين حلوا اللفظ على ضعف البصر لعلهم انما حواه عليه لانه
سبب للضعف واعلم ان اصحابنا يذكرون العمى على الانبياء الا ان هذا اللفظ لا يحسن

والجنون والخلال حيث لم يكنوا بانكار الوحي الاثر بذلك حتى ادعوا ان لا أثر به من العقل واللب أصلا وأنه من احكام
الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء أصلا لك التي هي من نتائج

الوسوسة وأما عيل الجانين تأمرك بأن تترك عبادة الأوثان التي توارثناها أبا عن جد وإنما جعلوه عليه السلام مأمورا معان المصادر عنه إنما هو الأمر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من (١٢٦) الشرائع لانه عليه السلام لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء

الاستدلال به في اثبات هذا المعنى لما بيناه وأما المعتزلة فقد اختلفوا فيه فذهب من قال انه لا يجوز لكونه متعبدا فانه لا يمكنه الاحتراز عن التجاسات ولانه يحل يجوز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من التوبة كان اولى والكلام فيه لا يليق بهذه الآية لاننا ان الآية لا دلالة فيها على هذا المعنى (النوع الثالث) من الاشياء التي ذكروها قولهم ولولا رهطك لرجمنا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشف ارهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وقد كان رهطه على ملته قالوا اولاحرمه رهطك عندنا بسبب كونهم على ملتنا لرجمنا والمقصود من هذا الكلام أنهم بينوا أنه لا حرمه له عندهم ولا وقع له في صدورهم وأنهم انما يقتلوه لاجل احترامهم رهطه (المسئلة الثانية) الرجم في اللغة عبارة عن الرمي وذلك قديكون بالحجارة عند قصد القتل ولما كان هذا الرجم سببا للقتل لاجرم سمو القتل رجا وقديكون بالقول الذي هو القذف كقوله رجا بالغيب وقوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وقد يكون بالشم واللعن ومنه قوله الشيطان الرجم وقديكون بالطرد كقوله رجوما للشياطين اذا عرفت هذا ففي الآية وجهان (الاول) لرجمنا لقتلناك (الثاني) لشنناك وطردناك (النوع الرابع) من الاشياء التي ذكروها قولهم وما انت علينا بمنزلة لئلا تكون علينا عزا سهل علينا الاقدام على قتلك وبذاك واعلم ان كل هذه الوجوه التي ذكروها ليست دافعا لما قرره شعب عليه السلام من الدلائل والبيانات بل هي جارية تجري مقابلة الدليل واجبة بالشم والسفاهة قوله تعالى (قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراكم ظهرا ان ربى بما تعملون محييط بما تقولون واعلموا على مكاتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا انى معكم رقيب) اعلم ان الكفار لما خوفوا شعبا عليه السلام بالقتل والايذاء حكى الله تعالى عنه ما ذكره في هذا المقام وهو نوعان من الكلام (فالنوع الاول) قوله يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراكم ظهرا ان ربى بما تعملون محييط والمعنى ان القوم زعموا أنهم تركوا ايذاء راية لجانب قومه فقال انتم زعمون انكم تكونون قتلى اكراما لرهطى والله تعالى اولى ان ينبع امره فكأنه يقول حفظكم اياى راية راية لامر الله تعالى اولى حفظكم اياى راية لحي رهطى واماقوله واتخذتموه وراكم ظهرا فالعنى انكم نسيتموه وجعلتموه كالشيء المشبوذ وراء الظهر لا يعبأ به قال صاحب الكشف والظهرى منسوب الى الظهور والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسى بكسر الهمزة وقوله ان ربى بما تعملون محييط يعنى انه عالم باحوالكم فلا يخفى علته شئ منها (النوع الثانى) قوله يا قوم اعلموا على مكاتكم انى عامل والمكانة الحالية يتكلم بها صاحبها من عمله والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكانة والقدرة وكل ما فى وسعكم وطاقتكم من افعال السرور الى فاني ايضا عامل بقدر ما اتانى الله تعالى من

نفسه بل من جهة الوحي والله كان يعلمهم بأنه مأمور بتبليغ اليم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلاة من بين سائر احكام النبوة لانه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة معروفا بذلك وكانوا اذا رأوه يصلى يتعاضدون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شامات الدين خفة لهم وقرئ اصولك (اوان تغفل في اموالنا مائشاء) جواب عن امره عليه الصلاة والسلام بايقاف الحقوق ونهيه عن الغش والنقص معطوف على ما اى اوان تترك ان تغفل في اموالنا انما من الاخذوا الاعمال والزيادة والنقص وقرئ في القلمين عطا على مفعول تأمرك اى اصلاحتك تأمر ان تغفل انت في اموالنا مائشاء وتجوز ان العطف على ما قبل يستدعي ان يراد بالترك معنيين مختلفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايقاف والعدل في معاملاتهم لانفس الايقاف فان ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعاله وانما لم تقل عطا على ان تترك لان الترك ليس مأمورا به على الحقيقة بل بالمأمورة بتكليفه عليه السلام اياهم وامرهم بذلك والمعنى اصلاحتك تأمر ان تكلفنا ان تترك ما يبعد اياها وجه على معنى اصلاحتك تأمرك بالليس في وسعك وعهدتك من افعالك غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاة رأيه عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة اياه دخول الهمزة على الصلاة دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه عليه السلام في اثنا الدعوة ما يدل على ذلك ايوهمه

وأنى ذلك فاعلم وقرئ بالنون في الاول والثاني والثالث عطا على ان تترك أى اوان تغفل نحن في اموالنا عند المأنة مائشاء (القدرة) أنت من النسوبة والايقاف (انك) لانت الحليم الرشيد) وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة الهنكم وانما أرادوا بذلك

وصفه بجنديهما كقول الخزنة ذى النك أنت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعميلا لا سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى النك
لاننا الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فيأيه (١٢٧) مقام الاستهزاء اللهم الآن يراد بالصلاة الذين كما قيل

القدرة ثم قال سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وفيه مسكتان
(المسئلة الاولى) لقائل ان يقول لم يقل سوف تعلمون والجواب ادخال الفاء وصل
ظاهر بحرف موضوع للوصل واما بحذف الفاء فأنه يجعله جوابا عن سؤال مقدر
والقدرة انه لما قال ويقوم اعملوا على مكاتكم انى عامل فكأنهم قالوا فاذا يكون بعد
ذلك فقال سوف تعلمون فظهر ان حذف حرف الفاء ههنا اكل في باب الفضاعة
والتحويل ثم قال وارقبوا انى معكم رقيب والمعنى فانظروا العاقبة انى معكم رقيب
اى منتظروا الرقيب بمعنى الرقب من رقبه كالضرب والصريم بمعنى الضارب والصارم
او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى الرقيب كالفقير والرفيع بمعنى المفقور والمرفق
* قوله تعالى (ولما جاء امرنا بجننا شعيبا الذين امنوا معه برجة منا أخذت الذين ظنوا
الصحبة فاصبحوا في ديارهم جائعين كانوا لم يغنوا فيها الا بعد المدين كما بعدت ثمود) روى
الكلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم يعذب الله تعالى امتين بعذاب واحد الا قوم
شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فأخذتهم الصحبة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم من
فوقهم وقوله ولما جاء امرنا بجننا شعيبا المراد منه ولما جاء وقت امرنا ملكا من الملائكة
بتلك الصحبة ويحتمل ان يكون المراد من الامر العقاب وعلى التقديرين فأخبر الله انه
يحيى شعيبا ومن معه من المؤمنين برجة منه وفيه وجهان (الاول) انه تعالى انما خلصه
من ذلك العذاب لحض رحمة تنبيه على ان كل ما يصل الى العبد فليس الا بفضل الله
ورحمته (والثاني) ان يكون المراد من الرحمة الايمان والطاعة وسائر الاعمال الصالحة
وهي ايضا ما حصلت الاتوفيق الله تعالى فهو وصف كيفية ذلك العذاب فقال واخذت
الذين ظنوا الصحبة وانما ذكر الصحبة بالالف واللام اشارة الى العهد السابق وهي
صحبة جبريل عليه السلام فاصبحوا في ديارهم جائعين والجائهم الملازم لمكانه الذي لا يتحول
عنه يعنى ان جبريل عليه السلام لما صاح بهم تلك الصحبة ذهب روح كل واحد منهم
بحيث يقع في مكانه ميتا كانوا لم يغنوا فيها اى كانوا لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين
متزدين ثم قال تعالى الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وقد تقدم تفسير هذه اللفظة وانما
قاس حالهم على ثمود لما ذكرنا انه تعالى عذبهم مثل عذاب ثمود * قوله تعالى (ولقد
ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاقبلوا امر فرعون وامام
فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا في
هذه لعنة ويوم القيمة بئس الفرد المرفود) واعلم ان هذه هي القصة السابعة من القصص
التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة وهي آخر القصص من هذه السورة اما قوله باياتنا
وسلطان مبين فقيه وجوه (الاول) ان المراد من الآيات التوراة مع ما فيها من الشرائع
والاحكام ومن السلطان المبين المعجزات القاهرة الباهرة والتقدير ولقد ارسلنا موسى
بشرائع واحكام وتكاليف وايدناه بمعجزات القاهرة وبيانات باهرة (الثاني) ان الآيات

والسياق ويساعده التعليل الكريم واما ما قيل من ان المحذوف ايصح لى ان لا تترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي
او هل يسع لى مع هذا الانعام الجماع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون فى حبيبه وأخلفه فى أمره

ونهيهم عن ذلك ، وإنما يناسب تقديره ان جل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلاة الدين على معنى أدبكم بأمركم أن تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في أموالنا وتخالفتنا (١٢٨) في ذلك وتشق عصيانا وهذا مما لا ينبغي ان

يصدر عنك فانك أنت المشهور بالعلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فيما مرجوا قبل هذا مسرودا على ذلك أنما نأجيبوا بما أجبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ أخبروني ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقي مالا حلالا استغنى به عن العالمين أصبح أن أخالف أمره وأوافقكم فيما تأتون وما تدرن (وما أريد) ينهي إياكم عما ألهاكم منه من البغس والتطعيف (أن) اخالفكم الى ما ألهاكم عنه (أي) أقصده بعد ما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصده وهو مول عنه وخالفه من كذا اذا كان الامر على العكس (ان أريد) أي ما أريد بما أبشره من الامر والنبى (الاصلاح) الا أن أصلحكم بالصيغة المفعولة (ما استطعت) أي مقدار ما استطعتم من الاصلاح والتقصير به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لاعن ارادة ما ليس في وسع منه (وما أتوقى) أي كوى موقفا لتحقيق ما أتعبه من اصلاحكم (الا بالله) أي بتأييده ومعونه بل الاصلاح من حيث انطلق مستند اليه سبحانه وانما أئامن بمبادئه الطاهرة قاله عليه السلام بتحقيق الحق واناحة لماضى يومه اسناد الاستطاعة اليه بإرادته من استبداده بذلك (عليه توكلت) في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وماعدا عاجز محض في حداثته بل معدوم ساقط

عن درجة الاعتبار بمجمل عن مرتبة الاستعداد به والاستظهار (واليه أتعب) أي أرجع فيما اتا بصدده ويجوز (وهم) ان يكون المراد وما كوى موقفا لاصابة الحق والصواب في كل ما أتى وأذن الالهائيه ومعونه عليه توكلت وهو اشارة الى محض

التوحيد الذاتي والفعل واليه انيب اى عليه اقبل بشر انتر نفسى فى مجامع امورى واينار صيغة الاستقبال على الماضى الا نسب للثقرر والتحقق كفى التوكل لاستحشار الصورة والدلالة (١٢٩) على الاستقرار ولا يخفى مافى جوابه عليه السلام من مراعاة

وهم يتبعونه او يقال كما تقدم قومه فى الدنيا فأدخلهم فى البحر واغرقهم فكذلك يقدمهم يوم القيامة فدخلهم النار ويحرقهم ويجوز ايضا ان يريد بقوله وما امر فرعون برشد اى وما امره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيراً لذلك وايضا له اى كيف يكون امره رشيدا مع ان عاقبته هكذا فان قيل لم لم يقل يقدم قومه فيوردهم النار بل قال يقدم قومه فأوردهم النار بلفظ الماضى قلنا لان الماضى قد وقع ودخل فى الوجود فلا سبيل البتة الى دفعه فاذا عبر عن المستقبل بلفظ الماضى دل على غاية المبالغة ثم قال وبس الورد المورد وفيه بحثان (البحث الاول) لفظ النار مؤنث فكان ينبغى ان يقال وبست الورد المورد الا ان لفظ الورد مذكر فكان التذكير والتأنيث جائزين كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك فذكر غلب المنزل ومن أنشبه على تأنيث الدار هكذا قاله الواحدى (البحث الثانى) الورد قد يكون بمعنى الورد وقد يكون مصدرا وقد يكون بمعنى الوارد قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقد يكون بمعنى المورد عليه كالماء الذى يورد عليه قال صاحب الكشف الورد المورد الذى حصل وروده فشبّه الله تعالى فرعون بمن تقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردين الى الماء ثم قال بس الورد الذى يورده النار الى الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده ثم قال واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة والمعنى انهم اتبعوا فى هذه الدنيا لعنة وفى يوم القيامة ايضا ومعناه ان اللعن من الله ومن الملائكة والانباء ملتبص بهم فى الدنيا وفى الآخرة لا يزول عنهم ونظيره قوله فى سورة القصص واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ثم قال بس الورد المرفود والرفد هو العطية واصله الذى يعين على المطلوب سألنا فع بن الازرق ابن عباس رضى الله عنهما عن قوله بس الورد المرفود قال هو اللعنة بعد اللعنة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله تعالى لعنة فى الدنيا ولعنة فى الآخرة وكل شئ جعلته عونا لثى فقد رفته به قوله تعالى (ذلك من انباء القرى نقصه عليكم منها قائم وحصيد وما ظلماتهم ولكن ظلوا انفسهم فاأغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك وما زادهم غير تنبيب) اعلم انه تعالى لما ذكر قصص الاولين قال ذلك من انباء القرى نقصه عليكم والفائدة فى ذكرها امور (اولها) ان الانتفاع بالدليل العقلى المحض انما يحصل للانسان الكامل وذلك انما يكون فى غاية الندرة فاما اذا ذكرت الدلائل ثم اكدت بأقاصيص الاولين صار ذكر هذه الاقاصيص كالوصل لتلك الدلائل العقلية الى العقول (الوجه الثانى) انه تعالى خلط بهذه الاقاصيص انواع الدلائل التى كان الانبياء عليهم السلام يتسكون بها ويذكر مدافعات الكفار لتلك الدلائل وشبهاتهم فى دفعها ثم يذكر عقبيها أجوبة الانبياء عنها ثم يذكر عقبيها انهم لما اصروا واستكبروا وقعوا فى عذاب الدنيا وبقى عليهم اللعن والعقاب فى الدنيا وفى الآخرة فكان ذكر هذه القصص سببا لايصال الدلائل والجوابات

الى غير متكن كقوله
لهم نعم الشرع بتها غير ان نطق
«جامعة فى حصون ذات اوقال
وهذا وان كان بحسب الظاهر
نهاية للشقاق عن كسب احصاة
الغذاب لكنه فى الحقيقة نهى للكفرة عن مشاقته (١٧) (را) (خا) عليه السلام على اللطف اسلوب وابده كما فى سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجبرنكم شئان قوم الآية (وما قوم لوط منكم ببعد) زمانا او مكانا فان لم تقبلهم من الائم الملعونة فاعتبروا بهم

فكانه انما غير اسلوب التذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى بذكر قريهم ايذا بان ذلك معنى عن ذكره لشدة كونه منظوما في حط ما ذكر من دواهي الالام المروعة اوليسوا بعيد منكم في الكفر (١٣٠) والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم واغراد البعيد

مع ذكره لان المراد وما اهلكهم على نية المضاف او ما هم يثيرون بعد لان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لان حيث خصوصية كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على ذمة الصادرك لتهيق والتهيق ولما ائذهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طعما في اروعائهم عما كانوا فيه يعمهون من غفائهم بالحل على الاستغفار والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مستغفرين مثله في اول السورة (ان ربك رحيم) عظيم الرحمة للتائبين (ودود) مبالغ في فصل ما يغلغل البليغ المودة بين بوءه من اللطف والاحسان وهذا تمثيل للاس بالاستغفار والتوبة وحث عليهما (قالوا يا شيعي ما نفقه كثير) اما تقول (ان الله معرفة خرم المتكلم من كلامه اي ما فهم مرادك وانما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه وابله وضافت عليه الخيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى معاورة سبلا سوى الصدود عن منهاج الحق والسلوك الى سبيل الشقاء كما هو ديدن القيم المصوب يقابل البينات بالسبيل الابراق والاراعضوا كلامه المشغل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم مناد ولا يدرك فهو اودجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب اقصى ما يكون من المزاخنة والعقاب ولعل ذلك مانع من التذير من عواقب الالام السالفة ولذلك قالوا (انا

عن الشبهات الى قلوب المنكرين وسببها لازالة القوة والفلطة عن قلوبهم فثبت ان احسن الطرق في الدعوة الى الله تعالى ما ذكرناه (الفائدة الثالثة) انه عليه السلام كان يذكر هذه القصص من غير مطالعة كتب ولا تذلل لاحد وذلك معجزة عظيمة تدل على النبوة كما قررناه (الفائدة الرابعة) ان الذين يسمعون هذه القصص يتقرر عندهم ان عاقبة الصديق والزندق والموافق والمنافق الى ترك الدنيا والخروج عنها لان الزمن يخرج من الدنيا مع التواء الجليل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة والكافر يخرج من الدنيا مع اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة فاذا تكررت هذه الاقاصيص على السمع فلا بد وان يلين القلب وتخضع النفس وتزول العداوة ويحصل في القلب خوف يحمله على النظر والاستدلال فهذا كلام جليل في فوائد ذكر هذه القصص اما قوله ذلك انباء القرى فقيه ابحاث (البحث الاول) ان قوله ذلك اشارة الى الغائب والمراد منه ههنا اشارة الى هذه القصص التي تقدمت وهي حاضرة لان الجواب عنه ما تقدم في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه (الثاني) ان لفظ ذلك يشار به الى الواحد والاثين والجماعة لقوله تعالى لا تارض ولا بكر وان بين ذلك وايضا يحتمل ان يكون المراد ذلك الذي ذكرناه هو كذا وكذا (البحث الثالث) قال صاحب الكشف ذلك مبتدأ من انباء القرى خبر نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك المذكور بعض انباء القرى مقصود عليك ثم قال منها قائم وحصيد والضمير في قوله منها يعود الى القرى شبه مايق من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وما عفا منها وبطل بالحصيد والمعنى ان تلك القرى بعضها بقي منه شيء وبعضها هلك وما بقي منه اثر البتة ثم قال تعالى وما ظنناهم ولكن ظنلوا انفسهم وفيه وجوه (الاول) وما ظنناهم بالعذاب والهلاك ولكن ظنلوا انفسهم بالكفر والمعصية (الثاني) ان الذي تزل بالقوم ليس يظلم من الله بل هو عدل وحكمة لاجل ان القوم اولظنلوا انفسهم بسبب اقدامهم على الكفر والمعاصي فاستوجبوا لاجل تلك الاعمال من الله ذلك العذاب (الثالث) قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد وما نقصناهم من النعيم في الدنيا والرزق ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استخفوا بحق الله تعالى ثم قال فما أغنت عنهم آلهمتهم التي يدعون من دون الله من شيء اي ما نفعتهم تلك الآلهة في شيء البتة ثم قال وما زادوهم غير تزيين قال ابن عباس رضي الله عنهما غير تخصيص يقال تب اذا خسروا وتبه غيره اذا اوقعه في الخسران والمعنى ان الكفار كانوا يعتقدون في الاصنام انها تعين على تحصيل النافع ودفع المضار ثم انه تعالى اخبر انهم عند مساس الحاجة الى المعين ما وجدوا منها شيئا الا جلبت عليهم المضار من الله تعالى فوجدوا ضده وهو ان ذلك الاعتقاد زال عنهم به منافع الدنيا والآخرة وجلب اليهم مضار الدنيا والآخرة فكان ذلك من اعظم موجبات الخسران (وكذلك اخبرك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليهم شديدان في ذلك لآفة لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم يجمع له الناس وذلك يوم

لنراك فينا) فيما بيننا (ضعيفا) لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والابتاع والدفع (ولو لا دهرطك) لو لا سراعاء (مشهود) جازهم لالولاهم بما عملونا وبدا فموتنا (لرجناك) فان عاتلة الرط وهوامم الثلاثة الى السبعة اوالى العشرة لهم وهم الوف مؤلفة

علايكادشوم وقد ايد ذلك بقوله عز وجل (وما انت علينا بعز) مكرم محترم حتى تمتنع من رجلك وانما تكف عنه للحفاطة على حرمه رهطك الذين يهتوا على ديننا (١٣١) ولم يختاروك علينا ولم يتعوك دوننا وايلاء الصبر حرفة النفي وان لم يكن الجبر فعلنا

غير خال عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل لاسماعهم قريب قوله ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمهم هذه عابدا الى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربائيتين حسبا بوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدان عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والابانة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداده والاعتبار (قال) عليه السلام في جوابهم (يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله) فان الاسنانة عن لا ينز الا به عز وجل استهانته ببجائه العزيز وانما انكر عليهم اعز به رهطه منه تعالى من انما ما يتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعز بهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقرع وتكرير التوضيح حيث انكر عليهم ولا ترجيح جنة الرهط على جنة الله تعالى وثانيا بنى العزة بالمرء والمخني ارهطى اعز عليكم من الله فانه لا يكاد يصح والحال انكم لم تحصلوا له تعالى حظا من العزة اصلا (واخذتموه) بسبب عدم اعتدادم بين لا يراد ولا يصدر الا بامرهم (وراهم ظهريا) اى شينا منهودا وراهم الظاهر منسيا الى بيان به منسوب الى الظاهر أو الكسر لتغير النسب كالامسى في النسبة الى الامس (ان نفي بالعمولون) من الاعمال الشينة التي من جلها عدم مراعاتكم لجانبه (محيط) لا يخفى عليه من انانية وان جعلوه منسيا فيعزبكم عليها ويشتمل ان يكون الانتكاز الرد والتكذيب فانهم

مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حاصم والجحدري اذ اخذ القرى بألف واحدة وقرأ الباقون بالعين (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى لما اخبر الرسول عليه السلام في كتابه بما فعل بأئم من تقدم من الانبياء لما خالفوا الرسل وردوا عليهم من عذاب الاستئصال وبين انهم ظلموا انفسهم فحل بهم العذاب في الدنيا قال بعده وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة فيمن ان عذابه ليس بمقتصر على من تقدم بل الحال في اخذ كل الظالمين يكون كذلك وقوله وهي ظالمة الضمير فيه ما دى الى القرى وهو في الحقيقة ما دى الى اهلهوا ونظيره قوله وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها واعلم انه تعالى لما بين كيفية اخذ الامم المتقدمة ثم بين انه انما يأخذ جميع الظالمين على ذلك الوجه اتبعه بما يزيد تأكيده وتقوية فقال ان اخذه اليه شديد فوصف ذلك العذاب بالايلام وبالشددة ولانقصه في الدنيا الا الايام ولا تشديد في الدنيا وفي الآخرة وفي الوهم والعقل التشديد الا لم واعلم ان هذه الآية تدل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب عليه ان يتدارك ذلك بالتوبة والابانة للثالبع في الاخذ الذي وصفه الله تعالى بانه اليه شديد ولا ينبغي ان يظن ان هذه الاحكام مخصصة بأولئك المتقدمين لانه تعالى لما حكى احوال المتقدمين قال وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة فيمن ان كل من شارك اولئك المتقدمين في فعل ما لا ينبغي فلا بد وان بشارتهم في ذلك الاخذ الاليم الشديد ثم قال تعالى ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة قال القفال تقرير هذا الكلام ان يقال ان هؤلاء انما عذبوا في الدنيا لاجل تكذيبهم الانبياء واسرارهم بالله فاذا عذبوا في الدنيا على ذلك وهي دار العمل فلان يعذبوا عليه في الآخرة التي هي دار الجزاء كان اولى واعلم ان كثيرا ممن تبه لهذا البحث من المفسرين عولوا على هذا الوجه بل هو ضعيف وذلك لان على هذا الوجه الذي ذكره القفال يكون ظهور عذاب الاستئصال في الدنيا دليلا على ان القول بالقيامة والبعث والنشر حق وصدق وظاهر الآية يقتضى ان العلم بان القيامة حق كالشرط في حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستئصال وهذا المعنى كالمضاد ما ذكره القفال لان القفال يحمل العلم بعذاب الاستئصال اصلا لعل بان القيامة حق فبطل ما ذكره القفال والاصوب عندي ان يقال العلم بان القيامة حق موقوف على العلم بان المذب لوجود هذه السموات والارضين فاعل مختار لا موجب بالذات وما لم يعرف الانسان ان الله العالم فاعل مختار وقادر على كل الممكنات وان جميع الحوادث الواقعة في السموات والارضين لا تحصل الا بتكويبه وقضائه لا يمكنه ان يعتبر بعذاب الاستئصال وذلك لان الذين يزعمون ان المؤثر في وجود هذا العالم موجب بالذات لافاعل مختار يزعمون ان هذه الاحوال التي ظهرت في ايام الانبياء مثل الفرق والحرق والخسف والسمخ والصيحة كلها انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واتصال بعضها ببعض واذا كان الامر كذلك فحيث لا يكون

لما ادعوا اليه لا يكفون عز وجهه عليه السلام لقوته وعزته بل مراعاة جانب رهطه عليهم ذلك بانكم ما قدوم الله حق قدوه العزيز ولم تراعوا جانب القوى فكيف تراعون جانب رهطى الاذلة (ويا قوم اعلموا) لاداءى عليه السلام امرهم على الكفر وانهم لا يرعونون

عما هم عليه من المعاصي حتى اجتروا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجه لولا حرمة رطله قال لهم على طرفة
 التهديد اعلموا (على مكاتكم) اى على غاية تمككنم واستنطا (١٣٢) عنكم يقال ممكن مكانة اذا تمكنت ابلغ التمكن وانما

قاله عليه السلام رد الماد هو انهم
 اقوياء قادرين على رجه وانه
 ضعيف فيما بينهم لا عزلة اوعلى
 ناحيتكم وجهتكم التي اتم عليكم من
 قولهم مكان ومكانة كقيام ومقامة
 والمعنى اجتروا على ما اتم عليكم من
 الكفر والمشاقلة وسائر ما اتم
 عليكم مما لا خوف فيه وايذولوا جهنم
 في مضائق واقاع ما في بينكم
 واخراج ما في امينكم من القوة الى
 الفعل (اى عامل) على مكاتني حسبا
 يؤيدني الله ويوفيني بأنواع التأييد
 . والتروفيق (سوف تعلمون) لما
 هدرهم عليه السلام بقوله اعلموا
 على مكاتكم اى عامل كان مظنة ان
 يسأل منهم سائلا فيقول فاذا يكون
 بعد ذلك قليل سوف تعلمون (من
 يأتيه عذاب يخزيه) وصف العذاب
 بالاخزاء ايضا بما وعدوه عليه
 السلام به من الرجم فانه مع كونه
 عذابا فيه خزي ظاهر حيث
 لا يكون الاجنبية عظيمة تورجه
 (ومن هو كاذب) حطفت على من
 يأتيه لاعلى انه فسيح بل حيث
 اوعدوا بالرجم وكذبوا قيل سوف
 تعلمون من المذهب ومن الكاذب وفيه
 تعرض بكذبهم في ادعائهم القوة
 والقدرة على رجه عليه السلام
 وفي لسته اليانصف والهوان
 وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب
 الرهط والاختلاف بين المطوفين
 بالفضيلة والاحسية لان كذب الكاذب
 ليس بمرتقب كاتيان المذاب بل
 اتما المرتقب ظهور الكذب السابق
 المستقر ومن ادا استفهامية معلقة
 لهم عن العمل كانه قيل سوف
 تعلمون ايا تأتيه عذاب يخزيه واما

حصولها دليلا على صدق الانبياء فأما الذي يؤمن بالقيامة فلا يثبت ذلك الايمان الا اذا
 اعتقد ان الله العالم فاعل مختار وانه عالم بجميع الجزئيات واذا كان الامر كذلك لزم
 القطع بان حدوث هذه الحوادث الهائلة والوقائع العظيمة انما كان بسبب ان الله العالم
 خلقها واوجدها وانها ليست بسبب طوابع الكواكب وقراناتها وحينئذ ينفع بسماع
 هذه القصص ويستدل بها على صدق الانبياء ثبت بهذا صحة قوله ان في ذلك لآية
 لمن خاف عذاب الآخرة ثم قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود واعلم انه
 تعالى لما ذكر الآخرة وصف ذلك اليوم بوصفين (احدهما) انه يوم مجموع له الناس والمعنى
 ان خلق الاولين والآخرين كلهم يحشرون في ذلك اليوم ويمجمون (والثاني) انه يوم
 مشهود قال ابن عباس رضى الله عنهما يشهده البر والفاجر وقال آخرون يشهده اهل
 السماء واهل الارض والمراد من الشهود الحضور والمقصود من ذكره انه رجا وقع في قلب
 انسان انهم لما جمعوا في ذلك الوقت لم يعرف كل احد الا واقعة نفسه فبين تعالى ان تلك
 الوقائع تصير معلومة لكل بسبب المحاسبة والمساءلة ثم قال تعالى وما يؤخره الا الاجل
 معدود والمعنى ان تأخير الآخرة وافتاء الديناموقوف على اجل معدود وكل ماله عدد فهو
 مشاه وكل ما كان متناهيًا فانه لا يد وان يفتى فيلزم ان يقال ان تأخير الآخرة سينتهي الى
 وقت لا بد وان يقيم الله القيامة فيه وان تخرب الدنيا فيه وكل ماهوات قريب قوله
 تعالى (يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه فنهى شق وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها
 زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد
 واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء
 غير محذود (في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابو عمرو وعاصم وحزرة يأت بحذف الياء
 والباقون باثبات الياء قال صاحب الكشف وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير
 في لغة هذيل ونحوه قولهم لا ادركناه الخليل وسيبويه (المسئلة الثانية) قال صاحب
 الكشف فاعل يأتي هو الله تعالى كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله وقوله اوبأتى ربك
 ويعضده قراءة من قرأ وما يؤخره الياء اقول لا يجيى هذا التأويل لان قوله هل ينظرون
 الا ان يأتيهم الله حكاه الله تعالى عن اقوام والظاهر انهم هم اليهود وذلك ليس فيه حجة
 وكذا قوله اوبأتى ربك اما ههنا فهو صريح كلام الله تعالى واسناد فعل الايات اليه
 مشكل فان قالوا فاقولك في قوله تعالى وجاء ربك فلنا ههناك تأويلات وايضا فهو صريح
 فلا يمكن دفعه فوجب المصير الى التأويل اما ههنا فليس اللفظ صريحا في اسناد الايات الى
 الله تعالى فوجب الامتناع منه بل الواجب ان يقال المراد منه يوم يأتي الشيء المهيب
 الهائل المستعظم خذف الله تعالى ذكره بعبينه ليكون اقوى في التخويف (المسئلة
 الثالثة) قال صاحب الكشف العامل في اتصاب الظرف هو قوله لا تكلموا او احضار اذكر
 اما قوله لا تكلم نفس الا باذنه فقيه حذف والتقدير لا تكلم نفس فيه الا باذن الله تعالى فان

كاذب واما موصولة اى سوف تعرفون الذى يأتيه جذاب والذي هو كاذب (وادعوا) وانظروا ماكم ما تقول (قيل)
 (اى معكم رقيب) منتظر فصيل بمعنى الرقيب كالصرم او المراقب كالشيد او المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهرا منه

عليه السلام لكمال الوتوق بامر (ولما جاء امرنا) اي عذابنا كما ينبغي* عنه قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب مؤذن بذلك (نجينا شميا والذين آمنوا معه برحمتنا) (١٣٣) وهى الايمان الذى وقناهم له او بمرجة كاشية منالهم وانما

ذكر بالوادى كفى قصة عادا انه لم يسبقه في هذا ذكر وعديجى يجرى السبب مقتضى لدخول الغاء في معنونه كالفى فسق صالح ووط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح (و اخذت الذين ظفروا) عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذى فضل فيما سبق فتونه (الصحة) قيل صاحبهم جبريل عليه السلام فهلكوا وفى سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفى سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة وللهما من روائى الصيغة المستبعة لفوج الهواء المقتضى اليها كاسر فيما قيل (فانصهوا في ديارهم جانيه) مبتين لاذنين لاما كنهم لارواح لهم منها ولم يجعل متعلقا لهم في قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب الخ نفس مجي* العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امر اسم الفوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل نتيجة شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما تقدم تبينه اهتماما ما يشأنا وايدانا بسبق الرجعة التى هى مقتضى الربوبية على الغضب الذى يظهر اثره بموجب جر اثمهم وجرايمهم (كان لم ينسوا) اى لم يقبوا (فيها) متصرفين في اثار افها متقبلين في انكشافها (الاعداء) لذين كما بدعت نمود (العدول عن الاخبار الى الانهار ليكون ادل على طغيانهم الذى ادهم الى هذه المرتبة وليكون نسب بمن شبهه هلاكم هلاكم اعنى نمود وانما شبه هلاكم فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعيد مصدر للمسور (ولقد ارسلنا موسى اياتنا)

قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين سائر الآيات التى توهم كونها مناقضة لهذه الآية منها قوله تعالى يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها ومنها انهم يكذبون ويحلفون بالله عليه وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ومنها قوله تعالى وقوهم انهم مسؤولون ومنها قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون والجواب من وجهين (الاول) انه حيث ورد المنع من الكلام فهو محمول على ذكر الاذعان الكاذبة الباطلة وحيث ورد الاذن في الكلام فهو محمول على الجوابات الحقيقة الصحيحة (الثاني) ان ذلك اليوم يوم طويل وله موافق في بعضها يجادلون عن انفسهم وفى بعضها يكفون عن الكلام وفى بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفى بعضها ينحتم على افواههم وتكلم اليهم وتشهد ارجلهم اما قوله فنههم شق وسعيد فقيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف الضمير في قوله فنههم لاهل الموقف ولم يذكر لانه معلوم ولان قوله لا تكلم نفس الا باذنه يدل عليه لانه قدم ذكر الناس في قوله مجموع له الناس (المسئلة الثانية) قوله فنههم شق وسعيد يدل ظاهره على ان اهل الموقف لا يخرجون عن هذين القسمين فان قيل أليس في الناس مجانين واطفال وهم خارجون عن هذين القسمين قلنا المراد من يحشر عن اطلاق الحساب وهم لا يخرجون عن هذين القسمين فان قيل قد احتج القاضي بهذه الآية على فساد ما يقال ان اهل الاعراف لا في الجنة ولا في النار فاخولكم فيه قلنا لما لم ان الاطفال والمجانين خارجون عن هذين القسمين لانهم لا يحاسبون فلا يجوز ايضا ان يقال ان اصحاب الاعراف خارجون عنه لانهم ايضا لا يحاسبون لان الله تعالى علم من حالهم ان ثوابهم يساوى عذابهم فلا فائدة في حسابهم فان قيل القاضي استدلل بهذه الآية ايضا على ان كل من حضر عرصة القيامة فانه لابد وان يكون ثوابه زائدا او يكون عقابه زائدا فاما من كان ثوابه مساويا لعقابه فانه وان كان جائزا في العقل الا ان هذا النص دل على انه غير موجود قلنا الكلام فيه ما سبق من ان السعيد هو الذى يكون من اهل الثواب والشقى هو الذى يكون من اهل العقاب وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث والدليل على ذلك ان اكثر الآيات مشتملة على ذكر المؤمن والكافر فقط وليس فيه ذكر ثالث لا يكون لا مؤمنا ولا كافرا مع ان القاضي اثبته فاذا لم يلزم من عدم ذكر ذلك الثالث عدمه فكذلك لا يلزم من ذكر هذا الثالث عدمه (المسئلة الثالثة) اعلم انه تعالى حكم الآن على بعض اهل القيامة بانه سعيد وعلى بعضهم بانه شقى ومن حكم الله عليه بحكم وعلم منه ذلك الامر استع كونه بخلافه والارام ان يصير خبر الله تعالى كذبا وعلمه جهلا وذلك محال ثبت ان السعيد لا يتقلب شقيا وان الشقى لا يتقلب سعيدا وتقرر هذا الدليل مر في هذا الكتاب مرارا لا تحصى وزوى عن عمرضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى فنههم شق وسعيد قلت يا رسول الله فعلى ماذا نعمل على شىء فدفترغ منه ام على شىء لم يضرغ منه فقال على شىء قد فرغ منه يا عمر وجفت به الاقلام وجرت به الاقدار ولكن كل يسر لما خلق له وقالت المعتلة نقل عن الحسن انه

يهلاك لانهم اهلنا بنوع من العذاب وهو الضجة غير ان هؤلاء صحبهم من فوقهم ولولئك من تحتهم فقرى بدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعيد مصدر للمسور (ولقد ارسلنا موسى اياتنا)

وهي الآيات التسع المفصلة التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وتقص الحشرات والانفس ومنهم من جعلها آية واحدة وعندها اغلال الجبل وليس (١٣٤) كذلك فانه لقبول احكام التوراة حين اياه بنو اسرائيل والبله

قال ختم شقي بعمله وسعيد بعمله قلنا الدليل القاطع لا يدفع هذه الروايات وايضا فلا نزاع متعلقة بمعدوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او قلنا تصدده المؤكد اى ارسلناه حال كونه ملتبيا بآياتنا او ارسلناه ارسلنا ملتبيا (وسلطنا من) هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لظهور شرفها لكونها ابرها او المراد بالآيات سعادتها او ههنا عارنان عن شيء واحد اى ارسلناه بالجمع بين محكونه آيات او بين كونه سلطانا على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها من ايمان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربك بماذا بال القرون الاولى من الحقائق الراقية والدقائق الثلاثة ويصح عبارة عن التوراتا وادراجها في جملة الآيات يرده قوله من وجبل (الى فرعون وملته) فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه فاطية ليعمل بها بنو اسرائيل فيما يأتون وما يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا موريين عبادة رب العالمين عن سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدهيها الطاغية وقبلها منقذته الباغية وارسال نبي اسرائيل من الاسرى والقسر وتخصيص ملته بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالهم في الراى وتديبر الامور واتباع غيرهم لهم في البورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بآيات الله تعالى ولها ما كفيما كان عليه من الضلال والاضلال بل انصر على ذكر شأن ملته قبل (فانهم اس فرعون) اى

اسمه بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للابذان بوضوح حاله فكان كفره وامر ملته بذلك امر محقق الوجود (بما) غير محتاج الى التذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك شأن ملته المتوردين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال فعلى عليهم سوء اختيارهم

وايراد القصد في اتباعهم المترتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بفجائعتهم في الاتباع ومسارة فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله امتراخا عن الارسال (١٣٥) والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك

بعالم الروحانية والاستكمال بالانوار الالهية والمعارج القدسية ثم قال تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال قوم ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واحبوا بالقرآن والمقول اما القرآن فآيات منها هذه الآية والاستدلال بهما من وجهين (الاول) انه تعالى قال مادامت السموات والارض دل هذا النص على ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والارض ثم توافقتا على ان مدة بقاء السموات والارض متناهية فلم ينكسر مدة عقاب الكفار منقطعة (الثاني) ان قوله الاماشاء ربك استثناء من مدة عقابهم وذلك يدل على زوال ذلك العذاب في وقت هذا الاستثناء وبما تمسكوا به ايضا قوله تعالى في سورة عم يشاء لون لاشين فيها احقابا بين تعالى ان لبهم في ذلك العذاب لا يكون الا حقا معدودة واما العقل فوجهان (الاول) ان معصية الكافر متناهية ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لانهاية له ظم وانه لا يجوز (الثاني) ان ذلك العقاب ضرر خال عن النفع فيكون فيها بيان خلوه عن النفع ان ذلك النفع لا يرجع الى الله تعالى لكونه متعاليا عن النفع والضرر ولا الى ذلك المعاقب لانه في حقه ضرر محض ولا الى غيره لان اهل الجنة مشغولون بلذاتهم فلا غائده لهم في الالتذاع بالعذاب الدائم في حق غيرهم ثبت ان ذلك العذاب ضرر خال عن جميع جهات النفع فوجب ان لا يجوز واما الجمهور الاعظم من الامة فقد اتفقوا على ان عذاب الكافر دائم وعند هذا احتاجوا الى الجواب عن التمسك بهذه الآية اما قوله خالدين فيها مادامت السموات فذكروا عنه جوابين (الاول) قالوا المراد سموات الآخرة وأرضها قالوا والدليل على ان في الآخرة سما وارضاً قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله وأورثنا الارض ننوأم الجنة حيث نشاء وايضا لا بد لاهل الآخرة بما يقلمهم وبظلمهم وذلك هو الارض والسموات ولقائل ان يقول التشبيه بما يحسن ويجوز اذا كان حال المشبه معلوما مقرر فيشبهه به غيره تأكيذا لثبوت الحكم في المشبه ووجود السموات والارض في الآخرة غير معلوم وتقدير ان يكون وجوده معلوما الان بقاءها على وجه لا يفني الية غير معلوم فاذا كان أصل وجودها مجهولا لاكثر الخلق ودوامها ايضا مجهولا لاكثر كان تشبيه عقاب الاشياء به في الدوام كلاما معديما الفائدة أقصى ما في الباب ان قال لما ثبت بالقرآن وجود سموات وأرض في الآخرة وثبت دوامها وجب الاعتراف به وحينئذ يحسن التشبيه الا أن تقول لما كان الطريق في اثبات دوام سموات اهل الآخرة ودوام أرضهم هو السمع ثم السمع دل على دوام عقاب الكافر فحينئذ الدليل الذي دل على ثبوت الحكم في الاصل حاصل بعينه في الفرع وفي هذه الصورة اجعوا على ان القياس ضائع والتشبيه باطل فكذا ههنا (والوجه الثاني) في الجواب قالوا ان العرب يعبرون عن الدوام والابد بقولهم مادامت السموات والارض ونظيره أيضا قولهم ما يختلف الليل والنهار وما طما البحر وما أقام

الملا الذين اتبعوا امر فرعون (في هذه) اي في الدنيا (لفظة) عظيمة حيث يلغمن من بينهم من الامة اليوم القيامة (ويوم القيامة) ايضا حيث يلغمن اهل الموقف طائفة فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم ايما داروا في الموقف

فكما اتبعوا فرعون اتبعتم العنة في الدارين جزاؤفا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وثانهم الشيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فاظنك بحال من اغوامهم والقاهم في هذا (١٣٦) الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع ان يصكونوا

الجبل وانه تعالى خاطب العرب على عرفهم في كلامهم فلما ذكرنا هذه الاشياء بناء على اعتقادهم انها باقية ابدالا بادعنا ان هذه الالفاظ بحسب عرفهم تقيدا لادب الدوام الخالي عن الانقطاع والقتال ان يقول هل تسلمون ان قول القائل خالدين فيها مادامت السموات والارض يمنع من بقائها موجودة بعد فناء السموات او تقولون انه لا يدل على هذا المعنى فان كان الاول فالاشكال لازم لان النص لما دل على انه يجب ان تكون مدة كونهم في النار مساوية لمدة بقاء السموات وينبغي من حصول بقائهم في النار بعد فناء السموات ثم ثبت انه لا بد من فناء السموات فنضاهيكم القول بانقطاع ذلك العقاب واما ان قلتم هذا الكلام لا يمنع بقاء كونهم في النار بعد فناء السموات والارض فلا حاجة بكم الى هذا الجواب البتة فثبت ان هذا الجواب على كلا التقديرين ضائع واعلم ان الجواب الحق عندي في هذا الباب شئ آخر وهو ان المهود من الآية انه متى كانت السموات والارض دائمتين كان كونهم في النار باقيا فهذا يقتضي ان كلا حصل الشرط حصل المشروط ولا يقتضي انه اذا عدم الشرط بعدم المشروط الا ترى اننا نقول ان كان هذا انسانا فهو حيوان فان قلنا لكنه انسان فانه ينتج انه حيوان اما اذا قلنا لكنه ليس بانسان لم ينتج انه ليس بحيوان لانه ثبت في علم المنطق ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئا فكذا ههنا اذا قلنا متى دامت السموات دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات دائمة لم يكن عقابهم حاصل اما اذا قلنا لكنه ما بقيت السموات لم يلزم عدم دوام عقابهم فان قالوا فاذا كان العقاب حاصلًا سواء بقيت السموات او لم يبق لم يبق لهذا التشبيه فائدة قلنا بل فيه اعظم القوائد وهو انه يدل على نفاذ ذلك العذاب دهرًا دهرًا وزمانًا لا يحيط العقل بطوله وامتداده فلما انه هل يحصل له آخرام لا فذلك يستفاد من دلائل اخر وهذا الجواب الذي قررته جواب حق ولكنه انما يفهمه انسان الف شيئا من المعقولات (واما الشبهة الثانية) وهي التمسك بقوله تعالى اما شاربك فقد ذكروا فيه انواما من الاجوبة (الوجه الاول) في الجواب وهو الذي ذكره ابن قتيبة وابن الانباري والفراء قالوا هذا استثناء استثناء الله تعالى ولا يفعله البتة كقولك والله لا ضربك الا ان اري غير ذلك مع ان عزيمتك تكون على ضربه فكذا ههنا وطولوا في تقرير هذا الجواب وفي ضرب الامثلة فيه وحاصله ما ذكرناه ولقائل ان يقول هذا ضعيف لانه اذا قلنا لا ضربك الا ان اري غير ذلك معناه لا ضربك الا اذا رأيت ان الاولى ترك الضرب وهذا لا يدل البتة على ان هذه الرؤية قد حصلت ام لا بخلاف قوله خالدين فيها مادامت السموات والارض اما شاربك فان معناه الحكم بخلودهم فيها المدة التي شاربك فيهاها للفظ يدل على ان هذه المشيئة قد حصلت جزما فكيف يحصل قياس هذا الكلام على ذلك الكلام (الوجه الثاني) في الجواب ان يقال ان كلمة الاهنها وردت بمعنى سوى والمعنى انه تعالى لما قال خالدين فيها مادامت السموات والارض فهم منه انهم يكونون في النار في جميع مدة بقاء السموات

اعوانا للنبوع جلست العنة وفدا لهم على طريقة التكم قيل (بس الرشد المرفود) اي بس العون الحسن وقد فسر الرشد بالمعطاء ولا يلائمه المقام وأصله ما يضاف الى غيره ليحمده والمخصوص بالذم محذوف اي رقد هو العنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لمنهنا معينة ومعدة لصاحبها ومؤيدة لها (ذلك) اشارت الى ما قص من انباء الام وبعبارة باعتبار تقضيها في الذكروا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره (من انباء القرى) الهلكة بما جنت ايدى أهلها (نقصه عليك) خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك (منها) اي من تلك القرى (قائم وحصيد) اي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بق منها بالزرع القائم على ساقه واما فبطل بالحصيد والجملة متأنفة لاجل لها من الاعراب (واما قلنا) بأن اهلكناهم (ولكن ظنوا أنفسهم) بأن جعلوها عرضة للهلاك باقتراح ما يوجبها (فما اغنت عنهم) لما قطعهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم (آلهتهم التي يدعون) اي يعبدونها من دون الله (اوثر صيغة المضارع حكاية لفعال الماضي او دلالة على استمرار عبادتهم لها) في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء (لما جاء امر بك) اي حين جرى عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم التي ويدعون على البناء للجهول (وما زادهم غير تشيب) اي اهلاكهم وتخصير فانهم اهلكوا او خسروا بسبب عبادتهم لها (وكذلك) اي ومثل ذلك الاخذ الذي سريانه وهو رفع على الابتداء وخبر قوله (اخذوك) وقرئ (والارض) اخذ ربك ففعل الكافي النصب على انه مصدر مؤكد (اذا اخذ القرى) اي اهلكها وانما اسند اليها للاشعار بسريان أثر اليها

حسباً ذكر وقرئ اذ اخذ (وهي غائمة) حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما ثبت مقامهم في الاخذ اجريت الحال عليها وفتشتها الاشعار بأنهم اذ اخذوا يظلمهم ليكون (١٣٧) ذلك عبرة لكل ظالم (ان اخذه اليم شديد) وجميع صعب على المأخوذ

لأمر من الله الاصلاح وفيه ما يخفى من التهديد والتحذير (ان في ذلك) اي في اخذه تعالى للام المهلكة او في قصصهم (لاية) لعمرة (بن) خاف عذاب الآخرة (فانه المختار به حيث يستدل بما حلف بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة وامان انكر الآخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو لاشئ من احواله مستنداً الى الفاعل الختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لسبب تقتضيه من اوضاع ظليكية تنفي في بعض الاوقات لما ذكر من المعاصي التي يقرتها الامم الهلكة فهو بمنزل من هذا الاعتبار ثابتهم ولما لهم من الانكار (ذلك) اشارة الى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة (يوم مجموع له الناس) اي يجمع له الناس للحساب والجزاء والتعير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقيق وقوعه لامهاله وعدم انكسار الناس عنه فهو ابغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع (وذلك) اي يوم القيامة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له (يوم مشهود) اي مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فانفس فيه باجرائي القدر يجري الفعل به كما في قوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهده ولو جعل نفس اليوم مشهود لفات ما هو الفرض من تنظيم اليوم وتوحيده وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضاً كذلك (واما أخره) اي ذلك اليوم المحفوظ بمدوناتي الجمع والمشهود (الاجل) معدود) الا لاقتضاء مدة قليلة

والارض في الدنيا ثم قال سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم فذكر أولاً في خلودهم ما ليس عند العرب أطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له بقوله الاماماه ربك والمعنى الاماماه ربك من الزيادة التي لا آخر لها (الوجه الثالث) في الجواب وهو ان المراد من هذه الاستثناء زمان وقوفهم في الموقف فكانه تعالى قال فاما الذين شقوا في النار الاوقت وقوفهم للحساب فانهم في ذلك لا يكونون في النار وقال ابو بكر الاصم المراد الاماماه ربك وهو حال كونهم في القبر أو المراد الاماماه ربك حال عمرهم في الدنيا وهذه الاقوال الثلاث متقاربة والمعنى خالدين فيها بمقدار مكنتهم في الدنيا أو في البرزخ أو بمقدار وقوفهم للحساب ثم يصيرون الى النار (الوجه الرابع) في الجواب قالوا الاستثناء يرجع الى قوله لهم فياز فيرو شهيق وتقريره ان نقول قوله لهم فياز فيرو شهيق خالدين فيها بقيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود فاذا دخل الاستثناء عليه وجب ان يحصل وقت لا يحصل فيه هذا المجموع لكنه ثبت في المعقولات انه كائنتي المجموع بانفاه جميع أجزائه فكذلك يفتي بانفاه فرد واحد من أجزائه فاذا انتهوا آخر الامر الى ان يصيروا ساكنين هامين خامدين غيبت لم يبق لهم زفير وشهيق فأتى أحد أجزاء ذلك المجموع فغيبت يصح ذلك الاستثناء من غير حاجة الى الحكم بانقطاع كونهم في النار (الوجه الخامس) في الجواب ان يحمل هذا الاستثناء على ان اهل العذاب لا يكونون ابدًا في النار بل قد ينقلون الى البرد والزمهرى وسائر أنواع العذاب وذلك يكفي في صحة هذا الاستثناء (الوجه السادس) في الجواب قال قوم هذا الاستثناء يفيد اخراج أهل التوحيد من النار لان قوله فاما الذين شقوا في النار يفيد ان جلة الاشقياء محكوم عليهم بهذا الحكم ثم قوله الاماماه ربك بوجوب ان لا يبق ذلك الحكم على ذلك المجموع ويكفي في زوال حكم الخلود عن المجموع زواله عن بعضهم فوجب ان لا يبق حكم الخلود لبعض الاشقياء ولما ثبت ان الخلود واجب للكفار وجب ان يقال الذين زال حكم الخلود عنهم هم الفساق من اهل الصلاة وهذا كلام قوي في هذا الباب فان قيل فهذا الوجه انما يتعين اذا فسدت سائر الوجوه التي ذكرتموها فالدليل على فسادها وايضا قتل هذا الاستثناء مذكور في جانب السعداء فانه تعالى قال واما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماماه ربك عطاء غير مجذوذ قلنا انا بهذا الوجه بنينا هذه الآية لاندل على انقطاع وعيد الكفار ثم اذ اردنا الاستدلال بهذه الآية على صحة قولنا في انه تعالى يخرج الفساق من اهل الصلاة من النار قلنا اما جل كلمة الاعلى سوى فهو عدول عن الظاهر واما جل الاستثناء على حال عمر الدنيا والبرزخ والموقف فبعد ايضاً لان الاستثناء وقع عن الخلود في النار ومن المعلوم ان الخلود في النار كيفية من كيفيات الحصول في النار قبل الحصول في النار امتنع حصول الخلود في النار واذ لم يحصل الخلود لم يحصل المستثنى منه وامتنع حصول الاستثناء واما قوله الاستثناء عائد الى الزفير

مضروبة حسباً تقتضيه الحكمة (يوميات) (١٨) (را) (خا) اي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر باقتضاء اجله كقوله تعالى ان تأتيم الساعة ٢ قوله في محفل الخ صدره ومشهد قد كفت الفاتين به * اي ورب مشهد تكلمت فيه وثبت عن الفاتين عنه ٨١

وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقبل اى الله عز وجل فان المقام مقام تقويم شأن اليوم وقريء بانبات المياه على الاصل (لا تكلم نفس) اى لا تكلم بما يقع وينجى من جواب او شفاعة (١٣٨) وهو العامل في الطرف او الاستثناء المحذوف في قوله

والشهيق فهذا ايضا ترك لظاهر فلم يبق للآية يحمل صحيح الا هذا الذي ذكرناه واما قوله المراد من الاستثناء نقله من النار الى الزمهرير فقول لو كان الامر كذلك لوجب ان لا يحصل العذاب بالزمهرير الا بعد انقضاء مدة السموات والارض والاخبار الصحيحة دلت على ان النقل من النار الى الزمهرير وبالعكس يحصل في كل يوم مرارا فبطل هذا الوجد واما قوله ان مثل هذا الاستثناء حاصل في جانب السعداء فقول أجمعت الامة على انه يتمتع ان يقال ان احدا يدخل الجنة ثم يخرج منها الى النار فلاجل هذا الاجماع اتفقنا فيه الى حل ذلك الاستثناء على احد تلك التأويلات اما في هذه الآية لم يحصل هذا الاجماع فوجب اجراؤها على ظاهرها فهذا تمام الكلام في هذه الآية واعلم انه تعالى لما ذكر هذا الاستثناء قال ان ربك فعال لما يريد وهذا يحسن انطباقه على هذه الآية اذا حللنا الاستثناء على اخراج الفساق من النار كما انه تعالى يقول اظهرت القهر والقدرة ثم اظهرت المغفرة والرحمة لاني فعال لما يريد وليس لاحد على حكم البتة ثم قال واما الذين سعدوا في الجنة خالدن فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ حزة والكسائي وحفص عن عاصم سعدوا بضم السين والباقون بنقحها وانما جاز ضم السين لانه على حذف الزيادة من اسعد ولان سعد لا تعدى واسعد يتعدى وسعد واسعد بمعنى ومنه المسعود من اسماء الرجال (المسئلة الثانية) الاستثناء في باب السعداء يجب حله على احد الوجوه المذكورة فيما تقدم وهما وجد آخر وهو انه ربما اتفق لبعضهم ان يرفع من الجنة الى العرش والى المنازل الرفيعة التي لا يعلمها الا الله تعالى قال تعالى وعدا الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدن فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر وقوله عطاء غير مجذوذ فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) جذبه يجذبه جزا اذا قطعه وجزا الله دابرهم فقوله غير مجذوذ اى غير مقطوع ونظيره قوله تعالى في صفة نعم الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى لما صرح في هذه الآية انه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة منقطعة فلا يخص هذا الوضع بهذا البيان ولم يذكر ذلك في جانب الاشياء دل ذلك على ان المراد من ذلك الاستثناء هو الانقطاع فهذا تمام الكلام في هذه الآية * قوله تعالى (فلانك في مربة مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لو فوهم نصليهم غير منقوص) اعلم انه تعالى لما شرح اقايص عبدة الاوثان ثم اتبعه باحوال الاشقياء واهوال السعداء شرح للرسول عليه الصلاة والسلام احوال الكفار من قومه فقال فلانك في مربة والمعنى فلانك الا انه حذف النون لكثرة الاستعمال ولان النون اذا وقع على طرف الكلام لم يبق عند التلظف به الا مجرد اللفظة فلاجرم اسقطوه والمعنى فلانك في شك من حال ما يعبدون في انها لا تنصرف ولا تتغير ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل والمراد انهم اشبهوا آباءهم في لزوم الجهل والتقليد ثم قال وانا لو فوهم

مستأنفة كأن سالنا قال ماشاهم فيها فقبل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من (نصيبيهم) النصير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه (خالدن فيها) خلافه ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة (مادامت سموات

والارض) اى مدة دوامهما وهذا التوفيت عبارة عن التأيد ونفى الانقضاء بناء على منهاج قول العرب مادام تعاروما أقام
نيز ومالاح كوكب وماختلف الليل والنهار وماطما البحر (١٣٩) وغير ذلك من كليات التأيد لامتليق قرارهم فيها بدوام

هذه السموات والارض فان
النصوص الثلاثة دالة على
تأيد قرارهم فيها وانقطاع
دوامها وان اريد التعليق فالمراد
سموات الآخرة والارض كما
يدل على ذلك النصوص كقوله
تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وقوله تعالى واورثنا
الارض قديماً من الجنة حيث
نشأ وجزم كل احد بان أهل
الآخرة لا يد لهم من مطقة ومقته
دائمين يكتفى في تعليق دوام
قرارهم فيها بدوامها لا حاجة
الى الوقوف على تفاصيل احوالها
وكيفياتها (الامام شاه ريك)
استثناء من المخلود على طريقة
قوله تعالى لا يدقون فيها المآوت
الامثلة الاولى وقوله ولا تنكبوا
ما نكب آباؤكم من النساء الاما قد
سلف وقوله تعالى حتى يبلغ الجبل
سقف الخيطاط غير ان استثناء المخلود
الذكورة معلومة بحكم العقل
واستثناءه تعلق المشيئة لعدم
المخلود معلومة بحكم النقل يعنى
انهم مستقرون فى النار فى جميع
الازمنة الا فى زمان مشيئة الله
تعالى لعدم قرارهم فيها واذ
لا يمكن لتلك المشيئة ولا زمانها
بحكم النصوص القاطعة الموجبة
لخلود فلا إمكان لانتهاء مدة
قرارهم فيها ولندفع ماصى
يتوهم من كون استثناءه تعلق
مشيئة الله تعالى بعدم المخلود
بغريق الوجوب على الله تعالى
قال (ان ربك فعال لما يريد)
يعنى انه فى تخليد الاشقياء
فى النار بحيث يستحيل وقوع
خلافه فصال بموجب ارادته
قاص يقتضى مشيئته الجارية
على سنن حكمته الداعية الى
ترتيب الاجزى على افعال العباد

نصيبهم غير منقوص فيحتمل ان يكون المراد انما وفوهم نصيبهم اى ما يخصهم من العذاب
ويحتمل ان يكون المراد انهم وان كفروا واعصوا عن الحق فانما وفوهم نصيبهم من
الرزق واخيرات الدينوية ويحتمل ايضا ان يكون المراد انما وفوهم نصيبهم من ازالة
العذر واذاحة العلل و اظهار الدلائل وارسال الرسل واتزال الكتب ويحتمل ايضا
ان يكون الكل مراداً **قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة**
سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب وان كلا لما لوفى بغيره ربك اعمالهم
انه بما عملون خير) اعلم انه تعالى لما بين فى الآية الاولى اصرار كفار مكة على انكار
التوحيد بين ايضا اصرارهم على انكار نبوته عليه السلام وتكذيبهم بكتابه وبين تعالى
انه لو لا الكفار كانوا على هذه السيرة الفاسدة مع كل الانبياء عليهم السلام وضرب لذلك
مثلا وهو انه لما انزل التوراة على موسى عليه السلام اختلفوا فيه فقبله بعضهم وانكروه
آخرون وذلك يدل على ان عادة الخلق هكذا ثم قال تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى
بينهم وفيه وجوه (الاول) ان المراد ولولا ما تقدم من حكم الله تعالى بتأخير عذاب هذه
الامة الى يوم القيامة لكان الذى يستحقه هؤلاء الكفار عند عظيم كفرهم ازال عذاب
الاستئصال عنهم لكن المتقدم من قضائه اخذ ذلك عنهم فى دنياهم (الثانى) ولولا كلمة سبقت
من ربك وهى ان الله تعالى انما يحكم بين المختلفين يوم القيامة والالكان من الواجب تغيير
الحق عن المبطى فى دار الدنيا (الثالث) ولولا كلمة سبقت من ربك وهى ان رحمة سبقت
غضبه وان احسانه راجع على فقره والاقضى بينهم ولما قرر تعالى هذا المعنى قال وانهم
لفى شك منه مريب يعنى ان كفار قومك لفى شك من هذا القرآن مريب ثم قال تعالى
وان كلا لما لوفى بغيره ربك اعمالهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المعنى ان من عملت
عقوبته ومن اخرت ومن صدق الرسل ومن كذب خالفهم سواء فى انه تعالى يوفيههم جزاء
اعمالهم فى الآخرة فجمعت الآية الوعد والوعيد فان توفية جزاء الطاعات وعد عظيم
وتوفية جزاء المعاصى وعد عظيم وقوله تعالى انه بما عملون خير توكيد للوعد والوعيد
فانه لما كان عالما بجميع المعلومات كان عالما بمقادير الطاعات والمعاصى فكان عالما
بالقدر اللائق بكل عمل من الاجزاء فحجبت لا يضيع شئ من الحقوق والاجزى وذلك نهاية
البيان (المسئلة الثانية) قرأ ابوعمر والكسافى وان مشددة النون لما خففه قال ابو على
اللام فى لاهى التى تقتضيه ان وذلك لان حرف ان يقتضى ان يدخل على خبرها واسمها
لام كدوله ان الله لغفور رحيم وقوله ان فى ذلك لآية واللام الثانية هى التى تنبئ بعد
القسم كقوله والله لتفعلن ولما اجمع لامن دخلت ما تفصل بينهما فكلمة ما على هذا
التقدير زائدة وقال الفراء ما موصولة بمعنى من وبقية التقرير كما تقدم ومثله وان منكم
لمن ليطئن (والقرأة الثانية) فى هذه الآية قرأ ابن كثير ونافع وابوبكر عن عاصم وان
كلا لمخففان والسبب فيه انهم اعملوا ان مخففة كما تعمل مشددة لان كلمة ان تشبه

والمدول من الاضمار الى الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من المخلود فى عذاب الناس فانهم لا يخلدون
فيه بل يعذبون بالزهرير وبأنواع أخر من العذاب وبما هو أعظم منها كلها وهو سحق الله تعالى عليهم وحسبهم واهانتهم

اياهم وأنت تدري اننا وان لمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتبهة على انواع لعذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا (١٤٠) مصداق في ذلك للاستثناء ولك ان تقول انهم ليسوا بمخلصين

الفعل فكما يجوز اعمال الفعل تاما ومخوفا في قولك لم يكن زيد قائما ولم يك زيد قائما فكذلك ان وان (والقراءة الثالثة) قرأ حجة وان عامر وحفص وان كلا لما شدتان قالوا واحسن ما قيل فيه ان اصل لما بالتثنية كقوله اكلاما والمعنى ان كلا ملومين اي مجموعين كما نه قيل وان كلا جميعا (المسئلة الثالثة) سمعت بعض الافاضل قال انه تعالى لما اخبر عن توفية الاجزية على المستحقين في هذه الآية ذكر فيها سبعة انواع من التوكيدات (اولها) كلمة ان وهي للتأكيد (وثانيها) كلمة كل وهي ايضا للتأكيد (وثالثها) اللام الداخلة على خبر ان وهي تقيد التأكيد ايضا (ورابعها) حرف ما اذا جعلناه على قول الفراء موصولا (وخامسها) القسم المضر فان تقدير الكلام وان جميعهم والله ليوفيههم (وسادسها) اللام الثانية الداخلة على جواب القسم (وسابعها) النون المؤكدة في قوله ليوفيههم فجميع هذه الالفاظ السبعة الدالة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة تدل على ان امر الربوبية والعبودية لا يتم الا بالبعث والقيامة وامر الحشر والنشر ثم اردفه بقوله انه يعملون خيرا وهو من اعظم المؤكدات * قوله تعالى (فاستقم كما امرت ومن تاب منك ولا تظفوا انه بما تعملون بصير ولا تركزوا الى الذين ظفوا فتمسكم النار) ومالك من دون الله من اولياء ثم لا تتصرون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما اطبق في شرح الوعد والوعيد قال رسوله فاستقم كما امرت وهذه الكلمة كلمة جامعة في كل ما يتعلق بالعقائد والاعمال سواء كان مختصا به او كان متعلقا ببايع الوحي وبيان الشرائع ولا شك ان البقاء على الاستقامة الحقيقية مشكل جدا وأنا اضرب لذلك مثلا يقرب صعوبة هذا المعنى الى العقل السليم وهو ان الخط المستقيم الذي يفصل بين الظل وبين الضوء جزء واحد لا يقبل القسمة في العرض الان عين ذلك الخط مما لا يتميز في الحس عن طرفيه فانه اذا قرب طرف الظل من طرف الضوء اشتبه البعض ببعض في الحس فيقع الحس على ادراك ذلك الخط بعينه بحيث يتميز عن كل ما سواه اذا عرفت هذا في المثال فاعرف مثاله في جميع ابواب العبودية (فأولها) معرفة الله تعالى وتحصيل هذه المعرفة على وجه يقضي العبد مصونا في طرف الايات عن التشبيه وفي طرف النبي عن التعطيل في غاية الصعوبة واعتبر سائر مقامات المعرفة من نفسك وايضا بالقوة الغضبية والقوة الشهوانية حصل لكل واحدة منهما طرفا فراط وتفرط وهما مذمومان والفاصل هو المتوسط بينهما بحيث لا يميل الى احد الجانبين والوقوف عليه صعب ثم العمل به اصعب فثبت ان معرفة الصراط المستقيم في غاية الصعوبة وتقدير معرفته فالبقاء عليه والعمل به اصعب ولما كان هذا المقام في غاية الصعوبة لاجرم قال ابن عباس ما تركت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية اشد ولا اشد عليه من هذه الآية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام شيتني هود واخوانها وعن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روى عنك انك قلت

في العذاب الجماعي الذي هو عذاب النار بل لهم من امانين العذاب ما لا يبلغه الا الله سبحانه وهو القوي بالاولام الروحية التي لا تقف عليها في هذه الحيات الدنيا المنقسمين في احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما افوا من الاحوال الجماعية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك من الاحوال الروحية اذا اتى اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانها واكتفى بهذه المرتبة الاجالية المثبتة عن التحويل وهذه القويات وان كانت تعثرهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون به وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قبل الابن سوي وهو اوفق بما ذكر وقيل ما يعني من على ارادة معنى الوصفية فاعلم ان الذين يتقوا في النار مقبوعون الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين (ولما الذين سمعوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض) الكلام فيه كاللزام فيما سبق خلافا لم يذكر ههنا ان لهم فيها بعية وسورا كما ذكر في أهل النار من انه لهم فيها نعيم وشعيق لان المقام مقام العذبة والانتذار (الاما شاء ربك) ان جعل على طريقة التعليق في المجال فقول له سبحانه (عطاء غير مجذوذ) نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله فاني الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانما مكانه قيل يعطهم عطاء وهو اماس مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى اُنبتكم من الارض نباتا وان جعل على ما عدله لعباده الصالحين من النعيم الروحي الذي عبر عنه بالايعيرات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على (شيتني) الخالية من المقول المآثر للشبهة وتبين فان نسبة شيتني الخروج الى الله تعالى بحيث ان تكون هي جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة

على ما عدله لعباده الصالحين من النعيم الروحي الذي عبر عنه بالايعيرات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على (شيتني) الخالية من المقول المآثر للشبهة وتبين فان نسبة شيتني الخروج الى الله تعالى بحيث ان تكون هي جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة

عطا، غير مجذوذ فهو رافع لادبهم عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطا غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار ويجوز (١٤١) ان يتلق بكلا التعيين او بالاول دفعا للتيههم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه

شديني هود واخوانها فقال نعم فقلت وبأى آية فقال بقوله فاستقم كما أمرت (المسئلة الثانية) اعلم ان هذه الآية اصل عظيم في الشريعة وذلك لان القرآن مسطور بالامر بأعمال الوضوء مرتبة في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله فاستقم كما أمرت ولما ورد الامر في الزكاة باداء الايل من الايل والبقير من البقير وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد امر الله تعالى به وعندي انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه لماسل عموم النص على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقوله فاستقم كما أمرت والعمل بالقياس انحراف عنه ثم قال ومن تاب معك وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى من في محل الرفع من جوه (الاول) ان يكون عطف على الضمير المستتر في قوله فاستقم واغنى الوصل بالجاء عن تأكيده بضمير المتصل في صحة العطف اى فاستقم انتوهم (والثاني) ان يكون عطف على الضمير في أمرت (والثالث) ان يكون ابتداء على تقدير ومن تاب معك فليستقم (المسئلة الثانية) ان الكافر والفاسق يجب عليهما الرجوع عن الكفر والفسق في تلك الحالة لايصح اشتغالهما بالاستقامة واما التائب عن الكفر والفسق فانه يصح منه الاشتغال بالاستقامة على مناهج دين الله تعالى والبقاء على طريق عبودية الله تعالى ثم قال ولا تطفوا ومعنى الطفيان ان يجاوزا المقدار قال ابن عباس يريد تواضعا لله تعالى ولا تكبروا على احد وقيل ولا تطفوا في القرآن فتحلوا حرامه وتحرموا حلاله وقيل لا تجاوزوا ما أمرتم به وحدلكم وقيل ولا تعدلوا عن طريق شكره والتواضع له عند عظم نعمه عليكم والاولى دخول الكل فيه ثم قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا والركون هو السكون الى الشيء والبل الى به بالحبّة وتقضيه النفور عنه وقرأ العامة بفتح التاء والكاف والماضى من هذاركن كعلم وفيه لغة أخرى ركن ركن قال الازهرى وليست بفصيحة قال المحققون الركون المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين تلك الطريقة وترتيبها عندهم وعند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب فأما مداخلتهم لدفع ضرر او اجتناب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون ومعنى قوله فتمسك النار اى انكم ان ركنتم اليهم فهذه عاقبة الركون ثم قال ومالكهم من دون الله من أولياء اى ليس لكم أولياء يخلصونكم من عذاب الله ثم قال ثم لاتنصرون والمراد لاتجندون من نصركم من تلك الواقعة واعلم ان الله تعالى حكم بان من ركن الى الظلمة لا بد وان تمسه النار واذا كان كذلك فكيف يكون حال الظالم في نفسه ~~وقوله تعالى~~ (وأتم الصلاة طرفي النهار وزلفان الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) اعلم انه تعالى لما امره بالاستقامة أردفه بالامر بالصلاة وذلك يدل على ان اعظم العبادات بعد الايمان بالله هو الصلاة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) رأيت في بعض كتب القاضي ابى بكر الباقاني ان الخوارج تمسكوا بهذه الآية في اثبات ان الواجب ليس الا الفجر والعشاء من وجهين (الاول) انها واقعان على طرفي

شديني هود واخوانها فقال نعم فقلت وبأى آية فقال بقوله فاستقم كما أمرت (المسئلة الثانية) اعلم ان هذه الآية اصل عظيم في الشريعة وذلك لان القرآن مسطور بالامر بأعمال الوضوء مرتبة في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله فاستقم كما أمرت ولما ورد الامر في الزكاة باداء الايل من الايل والبقير من البقير وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد امر الله تعالى به وعندي انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه لماسل عموم النص على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقوله فاستقم كما أمرت والعمل بالقياس انحراف عنه ثم قال ومن تاب معك وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى من في محل الرفع من جوه (الاول) ان يكون عطف على الضمير المستتر في قوله فاستقم واغنى الوصل بالجاء عن تأكيده بضمير المتصل في صحة العطف اى فاستقم انتوهم (والثاني) ان يكون عطف على الضمير في أمرت (والثالث) ان يكون ابتداء على تقدير ومن تاب معك فليستقم (المسئلة الثانية) ان الكافر والفاسق يجب عليهما الرجوع عن الكفر والفسق في تلك الحالة لايصح اشتغالهما بالاستقامة واما التائب عن الكفر والفسق فانه يصح منه الاشتغال بالاستقامة على مناهج دين الله تعالى والبقاء على طريق عبودية الله تعالى ثم قال ولا تطفوا ومعنى الطفيان ان يجاوزا المقدار قال ابن عباس يريد تواضعا لله تعالى ولا تكبروا على احد وقيل ولا تطفوا في القرآن فتحلوا حرامه وتحرموا حلاله وقيل لا تجاوزوا ما أمرتم به وحدلكم وقيل ولا تعدلوا عن طريق شكره والتواضع له عند عظم نعمه عليكم والاولى دخول الكل فيه ثم قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا والركون هو السكون الى الشيء والبل الى به بالحبّة وتقضيه النفور عنه وقرأ العامة بفتح التاء والكاف والماضى من هذاركن كعلم وفيه لغة أخرى ركن ركن قال الازهرى وليست بفصيحة قال المحققون الركون المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين تلك الطريقة وترتيبها عندهم وعند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب فأما مداخلتهم لدفع ضرر او اجتناب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون ومعنى قوله فتمسك النار اى انكم ان ركنتم اليهم فهذه عاقبة الركون ثم قال ومالكهم من دون الله من أولياء اى ليس لكم أولياء يخلصونكم من عذاب الله ثم قال ثم لاتنصرون والمراد لاتجندون من نصركم من تلك الواقعة واعلم ان الله تعالى حكم بان من ركن الى الظلمة لا بد وان تمسه النار واذا كان كذلك فكيف يكون حال الظالم في نفسه ~~وقوله تعالى~~ (وأتم الصلاة طرفي النهار وزلفان الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) اعلم انه تعالى لما امره بالاستقامة أردفه بالامر بالصلاة وذلك يدل على ان اعظم العبادات بعد الايمان بالله هو الصلاة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) رأيت في بعض كتب القاضي ابى بكر الباقاني ان الخوارج تمسكوا بهذه الآية في اثبات ان الواجب ليس الا الفجر والعشاء من وجهين (الاول) انها واقعان على طرفي

المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بياناً لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما وجبه (غير منقوص) حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم ولّيتهم مدبرين وفأندته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة لدفع احتمال كونه منقوصاً في حد نفسه

من على لذهول عن كون العامل هو التوفيق فمثل (ولقد آتينا موسى الكتاب) اى التوراة (فاختلف فيه) اى فى شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفريه آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما (١٤٢) آيتناك من القرآن وفولهم لولا انزل

عليه كنز او جاعله ملك وزعمهم انك اقررت به (ولولا كلفه سبقت من ربك) وهى كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيامة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك (لغنى بينهم) اى لا وقع القضاء بين المختلفين من قومك بازال المذاب الذى يستحقه المبطون ليعتروا به عن الغنى وقيل بين قوم موسى وليس بذلك (والهم اى وان كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم خيبر بينهم لامن من الالباس (لنى شك) عظيم (منه) اى من القرآن وان لم يحجره ذكر فان ذكر ابناء كتاب موسى ووقوع الاختلاف في دلائلها بصد التفسير يناديه نداه غير خفي (سريب) موقع في الرية (وان كان) الثوبين عوض عن المضاف اليه اى وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والتكافرين وفرأ ابن كثير وتافع وابوبكر بالغنى مع الاعمال اعتبار الاصل (لما ليو فيهم ربك اعمالهم) اى اجزية اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب القسم المحذوف والماسكة من من الجارة وما الموصولة او الموصوفة واصلها لن ما قبلت الذين عميل الادغام فاجتمع ثلاث معيات اخذت اولاهن والمضى الى الذى اولن خافى او ان فرقى والله ليو فيهم ربك وقرى لما بالغنى على ان ما ساردا الفصل بين اللامين والمضى ونو جمعهم والله ليو فيهم الا بتوقرى لما بالتوبى اى جميعا كقولهم سبحانه اكلنا ما قرأه وان كل لما ليو فيهم على ان ان ناليتو لما بمعنى الاوفد قرى به (انهما يعملون) اى علمهم كل فرد

من المختلفين من الخير والشر (خير) بحيث لا يخفى عليه شئ من جلالة ودقائقه وهو تعليل (حسنا)

للمسبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاطاحة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبها كل عمل بمقتضى الحكمة من الاجزاء

من المختلفين من الخير والشر (خير) بحيث لا يخفى عليه شئ من جلالة ودقائقه وهو تعليل (حسنا)

المخصوص توجب توفيقه كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر (فاستقم كما امرت) الماين في تضاعيف القصص الحكيمه
عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل (١٤٣) واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال

حسنا ثم ليقيم وليصل فآثر الله تعالى هذه الآية فقيل للنبي عليه الصلوة والسلا هذه
خاصة فقال بل هو للناس عامة وقوله وزلفا من الليل قال الليث زلفة من اول الليل طائفة
والجمع الزلف قال الواحدى واصل الكلمة من الزلنى والزلفى هي القربى يقال ازلفته
فازدلف اى قربته فاقترب (المسئلة الرابعة) قال صاحب الكشف قرئ زلفا بضمين
وزلفا باسكان اللام وزلنى بوزن قربى فاثرلف جمع زلفة كظم جمع ظلمة والزلف بالسكون
نحو بصرة وبسر والزلف بضمين نحو بصر فيسر والزلفى بمعنى الزلفة كان القربى بمعنى
القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل في تفسير قوله وزلفا من الليل وقربا
من الليل ثم قال ان الحسنات يذهبن السيئات وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) في تفسير
الحسنات قولان (الاول) قال ابن عباس المعنى ان الصلوات الخمس كفارات لسائر
الذنوب بشرط الاجتناب عن الكبائر (والثاني) روى عن مجاهد ان الحسنات هي قول
العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (المسئلة الثانية) احتج من قال ان
المعصية لاتضر مع الايمان بهذه الآية وذلك لان الايمان اشرف الحسنات واجلها
وافضلها ودلت الآية على ان الحسنات يذهبن السيئات فالاعمال التى هو اعلى الحسنات
درجة يذهب الكفر الذى هو اعلى درجة في العصيان فلا ين بقوى على المعصية التى هي
اقل السيئات درجة كان اولى فان لم يبد ازالة العقاب بالكلية فلا اقل من ان يفيد ازالة
العذاب الدائم المؤبد ثم قال تعالى ذلك ذكرى للذاكرين فقوله ذلك اشارة الى قوله فاستقم
كما امرت الى آخره اذ ذكرى للذاكرين عظة للمعتطين وارشاد للمسترشدين ثم قال واصبر
فان الله لايضيع اجر المحسنين قيل على الصلوة وهو كقوله وأمرأهات بالصلوة واصطبر
عليها قوله تعالى (فلو لا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في
الارض الا قليلا من انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه وكانوا مجرمين) اعلم انه
تعالى لما بين ان الامم المتقدمين حل بهم عذاب الامتنعصال بين ان السبب فيه امران
(السبب الاول) انه ما كان فهم قوم ينهون عن الفساد في الارض فقال تعالى فلو لا كان
من القرون والمعنى فهلا كان وحكى عن الخليل انه قال كل ما كان في القرآن من كلمة لولا
فنهضا هلا الا التى في الصافات قال صاحب الكشف وما صححت هذه الرواية عنه بدليل قوله
تعالى في غير الصافات لولا ان تداركه نعمه من ربه لنبد بالراء ولولا رجال مؤمنون ولولا
ان ثبتنا لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقوله اولو بقية فالمعنى اولو فضل وخير وسمى
الفضل والجلود بقية لان الرجل يستبق بما يخرج من اجوده وفضله فصار هذا اللفظ مثلا
في الجوده يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي
الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اى فهلا كان
منهم ذوبقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وقرئ اولو بقية بوزن لقية من
بقاه بقبه اذا راقبه وانتظره والبقية المرة من مصدره والمعنى فلو لا كان منهم اولو

واستحقاق العذاب مثل اولئك
المعذبين وان نصيبهم من العذاب
واصل اليهم من غير نقص وان
تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب
قوم موسى عليه السلام لتوراة
واندلو لم يسبق كذا القضاء
عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم
الثامة الى يوم القيامة لعل بهم
ما فعل بائتهم من قبل وانهم يوفون
نصيحتهم غير منقوص وان كل
واحد من المؤمنين ولكافرين
يوفي جزاء عمله امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بالانقمامة كما امره في العقائد
والاعمال المشتركة بينه وبين
سائر المؤمنين ولا سيما الاعمال
الخاصة به عليه السلام من
تبليغ الاحكام الشرعية والقيام
بوظائف النبوة وتحمل اعباء
الرسالة بحيث يدخل تحتها امر
به فيما سبق من قوله تعالى فلذلك
تارك بعض ما يوحى اليك وضائق
به صدرك الا يتقوا بالله فهذا
الامر منتظم لجميع محاسن
الاحكام الاصلية والفريضة
والكمالات النظرية والعملية
والخروج عن عهده في غاية
ما يكون من الصعوبة ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئتي سورة هود (ومن تاب
معك) اى تاب من الشرك والكفر
وشارك في الايمان وهو المعنى
بالهتوى وهو معطوف على المستكن
في قوله فاستقم وحسن من غير
تا كيد لكان الفاصل القائم مقامه
وفي الحقيقة هو من عطفا جملة على
الجملة اذا المعنى وليستقم من تاب معك
وقيل هو منصوب على انفعول
مع ما قاله ابو البقاء المعنى استقم
صاحبان تاب معك (ولا تظفوا)

ولا تعرفوا عما حدثكم بافراط او تقريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميمة وانما سمى ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغلظا او
تغليا لحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام (انه بما تعملون بصير) فيصايركم على ذلك وهو تليل للامر والنهي وفي

الآية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل المنصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على (١٤٤) موجب النصوص الاستمارة بالاجتهاد (ولا تركونها)

اي لا تملوا الذي ميل (الى الذين ظلموا) الى اهل الذين وجد منهم الظلم في الجنة ومدار النهي هو الظلم والجور باعتبار جميعه المخاطبين وما قيل من ان ذلك للبالغه في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مهادنتهم اما يتم ان لو كان المراد النهي عن الركوب اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك (ففسكم) بسبب ذلك (النار) واذا كان حال الميل الى الجنة الى من وجد منه ظلم ما لا انقضاء الى ساس النار هكذا لم يفسدك بمن يميل الى الرافضين في الظلم والسدوان مبالغة على وجهه على مصابيحهم ومناذرتهم ويلقى شراره على مؤاسنهم ومعاشرتهم وينتج بالتأني بزيمهم وعد غيبته الى زهرتهم القاتية وينظم بها اوتوامن الغفوف الدائبة وهو في الحقيقة من الحجة لطيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل عن ان يميل اليه القلوب ضفت الطالب والطلوب والاية بالغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركوا على لغة تميم وتركوا على صيغة البناء لفعل من اركنه (وما لكم من دون الله من اولياء) اي من انصار يتخذونكم من النار والجنة نصب على الحالية من قوله ففسكم النار واني الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حق يصعد ان يكون له ولي

بل لمكان لكل بطريق اقسام الاحاد على الاتحاد لكن لا معنى في استقلال كلمتهم بتصديق بل (انكرهما) على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام (ثم لاتصرون) من جهة الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعد بكم بركنكم اليهم

ولا يبقى عليكم ونم لنا خربة كونهم غير متصورين من جهة الله بعد ما وعدهم بالعذاب واوجب عليهم ويجوز ان يكون منزلا مائلا
النار بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى (١٤٥) مذهبهم وان غيره لا ينقذهم اتج انهم لا يصرون اصلا (واقم الصلوة

طريق النهار) اى غدوة وعشية
واشياءه على الطريقة لكونه
مضافا الى الوقت (وزلفان الليل)
اى ساعات منه قريبة من النهار
فانه من ازلقه اذ اقربه جميع زلفة
عطف على طرفي النهار والمراد
بصلاتها صلاة الغداة والعصر
وقيل الظهر موضع الصلوات ما
بعد الزوال عشي وبصلاته الزلف
المغرب والعشاء وقري زلفا
بضمتين وضمه وسكون كبسوس
وزلفى بمعنى زلفه كقري بمعنى
قربة (ان الحسنات) اى التى
من جنسها لمحمد ما امرت به من
الصلوات (يذهبن السيئات) التى
فعلت بخلها منها البشر اى تكفر بها وفى
الحديث ان الصلاة الى الصلاة
كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر
وقيل زلفت الى البشر الانصارى
اذ قبل امرأة ثم تقدمت فأتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما
فعل فقال عليه السلام انظر امرؤى
فلا صلى صلاة العصر زلفت قال
عليه السلام ثم اذهب فانها كفارة
لما علمت او عن من اقترافها كقولها
تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر (ذلك) اشارة الى قوله تعالى
فاستجب لها بعبده وقيل الى القرآن
(ذكرى للذاكرين) اى
عظة للتعلمين (واصبر) على مشاق
ما أمرت به فى تضاعف الاوامر
السابقة واماماتى عنه من الطغيان
والركون الى الذين ظلموا لئلا يفسد
الاستماع منه مشقة فلا وجه لتعميم
الصبر له اللهم الا ان يراد به
ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه
من ادنى ميل بحكم الطبيعة عن
الاستقامة المأمور بها ومن
يسير ميل بحكم البشرية الى من

انكروها والمنكرونها هم السوفسطائية والمقرون هم الجمهور الاعظم من اهل العالم وهم
فريقان منهم من سلم انه يمكن تركيب تلك العلوم البديهية بحيث يستخرج منها نتائج علمية
نظرية ومنهم من انكروا وهم الذين ينكرون ايضا النظر الى العلوم وهم قليلون
والاولون هم الجمهور الاعظم من اهل العالم وهم فريقان منهم من لا يثبت لهذا العالم
الجبلى مبدءا اصلا وهم الاقلون ومنهم من يثبت له مبدءا وهؤلاء فريقان منهم من يقول
ذلك المبدء موجب بالذات وهم جمهور الفلاسفة فى هذا الزمان ومنهم من يقول انه
فاعل مختار وهم اكثر اهل العالم ثم هؤلاء فريقان منهم من يقول انه ما ارسل رسولا الى
العباد ومنهم من يقول انه ارسل الرسول فالاولون هم البراهمة والقسم الثانى ارباب
الشرايع والاديان وهم المسلمون والنصارى واليهود والمجوس وفى كل واحد من هذه
الطوائف اختلافات لاحد لها ولا حصر والعقول مضطربة والمطالب غامضة ومنازعات
الوهم والخيال غير منقطعة ولما حسن من اشرط ان يقول فى صناعة الطب العسر قصير
والصناعة طويلة والقضاء عسر والتجربة خطر فلان يحسن ذكره فى هذا المطالب
العالية والمباحث الفاضلة كان ذلك اولى فان قيل انكم حلتكم قوله تعالى ولا يزالون
مختلفين على الاختلاف فى الايمان فاذا الدليل عليه ولم لا يجوز ان يحمل على الاختلاف
فى الايمان والاسئلة والارزاق والاعمال قلنا الدليل عليه ان ما قبل هذه الآية هو قوله
ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة فيجب حمل هذا الاختلاف على ما يخرجهم من ان
يكونوا امة واحدة وما بعد هذه الآية هو قوله الا من رحم ربك فيجب حمل هذا
الاختلاف على معنى يصح ان يستثنى منه قوله الا من رحم ربك وذلك ليس الا ما قلنا ثم
قال تعالى الا من رحم ربك اخرج اصحابنا بهذه الآية على ان الهداية والايمان لا يحصل
الا بتخليق الله تعالى وذلك لان هذه الآية تدل على ان زوال الاختلاف فى الدين لا يحصل
الا من خصه الله برحمته وتلك الرحمة ليست عبارة عن اعطاء القدرة والعقل وارسال
الرسول واتزال الكتب وازاحة العذر فان كل ذلك حاصل فى حق الكفار فبقى الا ان
يقال تلك الرحمة هو انه سبحانه خلق فيه تلك الهداية والمعرفة قال القاضى معنى الا من
رحم ربك بان يصبر من اهل الجنة والثواب فيرحه الله بالثواب ويحتمل الا من رحم الله
بالطافة فصار مؤمنا بالطافة وتسببه وهذا الجوابان فى غاية الضعف (اما الاول)
فلان قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك يفيد ان ذلك الاختلاف انما زال بسبب
هذه الرحمة فوجب ان تكون هذه الرحمة جارية مجرى السبب المتقدم على زوال هذا
الاختلاف والثواب شئ متأخر عن زوال هذا الاختلاف فالاختلاف جار مجرى
السبب له ويجرى الملول فحمل هذه الرحمة على الثواب بعيد (واما الثانى) وهو حمل هذه
الرحمة على اللطاف فنقول جميع اللطاف التى فعلها فى حق المؤمن فهو مقفولة ايضا
فى حق الكافر وهذه الرحمة امر يختص بالمؤمن فوجب ان يكون شيئا زائدا على تلك

وجد منه ظلم ما كان فى الاحتراز عن امثاله من المشقة (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)
وجد منه ظلم ما كان فى الاحتراز عن امثاله من المشقة (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)
اجور اعمالهم من غير جنس اصلا وانما عبر عن ذلك بنى الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا ولا اعمال غير

موجبة فتشوب حتى يلزم من خلقه عنها ضياع اليان كمال نزاهته تعالى عن ذلك يتصوره بصورة ما يمنع صدوره عنه سبحانه من القبايح وإبراز الأمانة في معرض الأمور الواجبة عليه وإنما عدل (١٤٦) عن التغيير ليكون كإبراهان على المقصود

اللطاف وايضا حصول تلك اللطاف هل يوجب رجحان وجود الايمان على عدمه او لا يوجبه فان لم يوجبه كان وجود تلك اللطاف وعدمها بالنسبة الى حصول هذا المقصود سياتي فذلك لتعاقبه وان اوجب الرجحان فقد بينا في الكتب العقلية انه متى حصل الرجحان فقد وجب وحينئذ يكون حصول الايمان من الله وما يدل على ان حصول الايمان لا يكون الا بخلق الله انه ما لم يغير الايمان عن الكفر والعلم عن الجهل امتنع القصد الى تكوين الايمان والدم وانما يحصل هذا الامتياز اذا علم كون احدهذين الاعتقادين مطابقا للمعتقد وكون الآخر ليس كذلك وانما يصح حصول هذا العلم ان اوعرف ان ذلك المعتقد في نفسه كيف يكون وهذا يوجب انه لا يصح من العبد القصد الى تكوين العلم بالشئ الا بعد ان كان عالما وذلك يقتضي تكوين الكائن وتحصيل الحاصل وهو محال فثبت ان زوال الاختلاف في الدين وحصول العلم والهداية لا يحصل الا بخلق الله تعالى وهو المطلوب ثم قال تعالى ولذلك خلقهم وفيه ثلاثة اقوال (القول الاول) قال ابن عباس والرحمة خلقهم وهذا اختيار جمهور المعتزلة قالوا ولا يجوز ان يقال وللاختلاف خلقهم ويدل عليه وجوه (الاول) ان عود الضمير الى اقرب المذكورين اولى من عوده الى ابعدهما واقرب المذكورين ههنا هو الرحمة والاختلاف ابعدهما (الثاني) انه تعالى لو خلقهم للاختلاف واراد منهم ذلك الايمان لكان لا يجوز ان يعذبهم عليه اذ كانوا مطيعين له بذلك الاختلاف (الثالث) اذا فسرنا الآية بهذا المعنى كان مطابقا لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان قيل لو كان المراد بالرحمة خلقهم لقال ولتلك خلقهم ولم يقل ولذلك خلقهم قلنا ان تأييد الرحمة ليس تأييدا حقيقيا فكأن محمولا على الفضل والغفران كقوله هذا رحمة من ربي وقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين (والقول الثاني) ان المراد للاختلاف خلقهم (والقول الثالث) وهو المختار انه خلق اهل الرحمة لاهل الرحمة واهل الاختلاف للاختلاف روى ابو صالح عن ابن عباس انه قال خلق الله اهل الرحمة لئلا يختلفوا واهل العذاب لئلا يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا والذي يدل على صحة هذا التأويل وجوه (الاول) الدلائل القاطعة الدالة على ان العلم والجهل لا يمكن حصولهما في العبد الا بخلق الله تعالى (الثاني) ان يقال انه تعالى لما حكم على البعض بكونهم مختلفين وعلى الآخرين بأنهم من اهل الرحمة وعلم ذلك امتنع انقلاب ذلك والازم انقلاب العلم جهلا وهو محال (الثالث) انه تعالى قال بعده وتمت كلمة ربك لا ملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا تصريح بانه تعالى خلق اقواما للهداية والجنة واقواما لآخرين للضلالة والنار وذلك يقوى هذا التأويل * قوله تعالى (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) اعلم انه تعالى لما ذكر القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر في هذه الآية نوعين

مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تمثيل للاسر بالصبر وفيه اية الى الصبر على ما ذكر من باب الاحسان (قلولا كان) فلو كان (من القرون) النكاشة (من قبلكم) على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كاشته من قبلكم (اولو بقية) من الرأى والعقل او اولو فضل وخبر وسماها لان الرجل اغايب حتى ما يخرج عاده جوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال شبايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالبقية من القوى اى فيها كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من مخطئ الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولو بقية وهى المرة من مصدر بقاء يتقيها اذ اراقبه وانظره اى اولو مراقبة وخشية من عذاب الله تعالى كما هم ينتظرون نزوله لاشفاقهم (ينهم من الفساد في الارض) الواقع منهم حسب ما حذى عنهم (الا قليلا من انجينا منهم) استثناء منقطع اى لكن قليلا منهم انجينا منهم لكونهم على تلك الصفة على ان من الدين لا يتيسر لان جميع الناجين ناهون ولاصة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تخصيصا لاولى البقية على النهى المذكور الا لقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا فرأيتك القرآن الا الصالح منهم مريدا لاستثناء الصالحين من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء

من النفي اللازم للتخصيص فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الاصح حيثئذ على البدلية (واتبع الذين ظلموا) مجبلة القصد وترك النهى عنه (ما ترفوا فيه) اى انعموا من الشهوات واهتموا

(من)

تصحيحها لما يباينون فظاهروا لما الساحلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بأنه يلزم منه عدم دخول مباشرى الفساد في الظلم والاجرام عبارة (١٤٧) (وكانوا يجرمون) اى كافرين فهو بيان لسبب استئصال الامم

من الفائدة (اولها) تثبيت الفؤاد على اداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الاذى وذلك لان الانسان اذا اتى بمحنة وبلية فاذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت فاذا سمع الرسول هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء صلوات الله عليهم مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليه (والفائدة الثانية) قوله وجاءك في هذا الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وفي قوله في هذه وجوه (احدها) في هذه السورة (وثانيها) في هذه الآية (وثالثها) في هذه الدنيا وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضع واعلم انه لا يلزم من تخصيص هذه السورة بمجىء الحق فيها ان يكون حال سائر السور بخلاف ذلك الاحتمال ان يكون الحق المذكور في هذه السورة اكل حالا بما ذكر في سائر السور ولولم يكن فيها الا قوله فاستقم كما امرت لكان الامر كما ذكرنا ثم انه تعالى بين انه جاء في هذه السورة امور ثلاثه الحق والموعظة والذكرى (اما الحق) فهو اشارة الى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة (واما الذكرى) فهي اشارة الى الارشاد الى اعمال الباقية الصالحة (واما الموعظة) فهي اشارة الى التنفير عن الدنيا وتقبيح احوالها في الدار الآخرة والمذكورة لما هنالك من السعادة والشقاوة وذلك لان الروح اتماجا من ذلك العالم الا انه لاستغراقه في محبة الجسد في هذا العالم نسي احوال ذلك العالم فالكلام الاكهي يذكره احوال ذلك العالم فلهذا السبب صرح اطلاق لفظ الذكر عليه (ثم هنادقيقة أخرى عجبية) وهي ان المعارف الالهية لا بد لها من قابل ومن موجب وقابلها هو القلب والقلب مالم يكن كامل الاستعداد لقبول تلك المعارف الالهية والتجليات القدسية لم يحصل الانتفاع بتمام الدلائل فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكر اصلاح القلب وهو تثبيت الفؤاد ثم لما ذكر صلاح حال القابل أرفده بذكر الموجب وهو مجىء هذه السورة المشتملة على الحق والموعظة والذكرى وهذا الترتيب في غاية الشرف والجلالة ﷻ قوله تعالى (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون والله غيب العمومات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبه وتوكل عليه وماربك بغافل عما تعملون) اعلم انه تعالى لما بلغ الغاية في الاعذار والانهذار والترغيب والترهيب اتبع ذلك بأن قال للرسول وقل للذين لا يؤمنون ولم تؤثر فيهم هذه البيانات البالغة اعملوا على مكانتكم انا عاملون وهذا عين ما حكاه الله تعالى عن شعب عليه السلام انه قال لقومه والمعنى اعملوا كل ما تقدرون عليه في حق من الشر ففطن ايضا عاملون وقوله اعملوا وان كانت صيفته صيغة الامر الا ان المراد منها التهديد كقوله تعالى لا بليس واستغفر من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وقله فبن شاة فليؤمن ومن شاء فليكفر وانتظروا وما بعدكم الشيطان من الخذلان فانا منتظرون ما وعدنا الرحمن من انواع العفوان والاحسان قال ابن عباس رضى الله عنهما وانتظروا الهلاك فانا منتظرون لكم

فما فعله الله تعالى بعباده كما ما كان لما يقرر من قاعدة اهل السنن وقدس تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بغلام للعبيد وقوله تعالى (واهلها محضون) حال من القوم والعامل عامل ولكن لا باعتبار عقيدته بواقع حالا من فاعله اعنى بظلم

الهوى فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكر اتسع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اى لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى الظاهر لا ادراج اليه بل انهم في الحكم والتسويل عليهم بالظلم ولا شمار ببلية ذلك لما صاف بهم من المذاب او على استئناف يرتب على قوله لا اقتبال اى الاقليات ممن انجينا منهم نبوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشرى الفساد وتاركى النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا يجرمون عطف على اتفوا اى اتبعوا الاتراف وكوّنهم يجرمون لان تابع الشهوات مقصور بالاسقام او اريد بالاجرام اغتالهم للشكر او على اتبع اى اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع يجرمون ويجوز ان يكون اعتراضا لتسبيلا عليهم بأنهم قوم يجرمون وفري واتبع اى اتبعوا جزاء ما اتفوا فكانوا الو اول للصلح ويجوز ان يفسره المشهورة ويعضده تقدم الانجاد وما كان ربك ليهلك القرى اى ماصح وما استقام بل استقال في الحكمة ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما بلغ انبأوها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الطائفة والام لتأكيد النفي وقوله (بظلم) اى ملتصبا به قيل هو حال من الفاعل اى ظالمها والتكثير للتخصيم والابذان بأن هلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكتابة بصوره بصوره ما يستحيل صدوره عنه تعالى ولا فلا ظلم

لدلالته على تقيد نفي الاهلاك ظلماً بحال كون اهلها محليين ولا ريب في فساد بل مطلقاً عن ذلك وقيل المراد بالقلم الشرع والبناء للسببية اى لاهلك القرى بسبب اشراك اهلها (١٤٨) وهم مصلحون يتساطون الحق فيما بينهم ولا يصحون الى

شركهم فساداً آخر وذلك لفرط رجسته ومساخنته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراحم الحقو في حقوق العباد الفقراء على حقوق الله تعالى الغني الحريد وقيل الملك يتيق مع الشرك ولا يتيق مع الظلم وانت تدري ان مقام الله عن الشكرات التي اقمها الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولاً اولياً ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت نبأؤهم امته اولاً عن الاشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها قالوجه جل القلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحل الاصلاح على اصلاحه والافلاح عنه يكون بعضهم متصددين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الاعتاط غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد (واوشاد ربك لجل الناس امة واحدة) مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث لا يتكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق (ولا يزالون مختلفين) في الحق اى يختلفون كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بنيا بينهم (الامن رحم ربك) الا قوما قد هدامهم الله تعالى بفضلهم الى الحق فانفقوا عليهم مختلفوا فيه اى لم يخالفوه وجهه على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من الحق والمطلوب بأبداً الاستثناء المذكور (ولذلك) اى ولما ذكر من الاختلاف (خلقهم) اى الذين بقوا بعد النشأ وهم المختلفون فاللام العاقبة اولاً ترجح فالضمير لمان واللام في معناه اولهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى (هذه) مجازى عام (لكل المنين) (وممت كلمة ربك) اى وعبدوا اوقوله للملائكة (لا ملأ من جهن من الجنة والناس اجمعين) اى من عصاها

العذاب * ثم انه تعالى ذكر خامسة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة المقدسة فقال والله غيب السموات والارض واعلم ان مجموع ما يحتاج الانسان الى معرفته أمور ثلاثة وهى الماضى والحاضر والمستقبل اما الماضى فهو ان يعرف الموجود الذى كان موجوداً قبله وذلك الموجود المتقدم عليه هو الذى تنله من العدم الى الوجود وذلك هو الاله تعالى وتقدس واعلم ان حقيقة ذات الاله وكنهه هويته غير معلومة للبشر البتة وانما العلوم بالبر صفاة ثم ان صفاته قسمان صفات الجلال وصفات الاكرام اما صفات الجلال فهى سلوب كقولنا انه ليس بجوهر ولا جسم ولا كذا ولا كذا وهذه السلوب في الحقيقة ليست صفات الكمال لان السلوب عدم وعدم المحض والنقي الصريف لا كمال فيه فقولنا لا تأخذه سنة ولا نوم افاد الكمال لدلالته على العلم المحيط الدائم البرأ عن التغير ولولا ذلك كان عدم النوم ليس يدل على كمال اصلاً ألا ترى ان الميت واجماد لا تأخذه سنة ولا نوم وقوله وهو بطم ولا بطم انما افاد الجلال والكمال والكبرياء لان قوله ولا يطعم يزيد كونه واجب الوجود لذاته غنيا عن الطعام والشراب بل عن كل ما سواه فثبت ان صفات الكمال والعز والعلو هى الصفات الشبوية وأشرف الصفات الشبوية الدالة على الكمال والجلال صفتان العلم والقدرة فلهذا السبب وصف الله تعالى ذاته في هذه الآية بهما في معرض التعظيم والتألم والمدح اما صفة العلم بقوله والله غيب السموات والارض والمراد ان علمه نافذ في جميع الكليات والجزئيات والعدومات والموجودات والحاضرات والغائبات وتام البيان والشرح في دلالة هذا اللفظ على نهاية الكمال ما ذكرناه في تفسير قوله سبحانه وتعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو واما صفة القدرة فقوله واليه يرجع الامر كله والمراد ان مرجع الكل اليه وانما يكون كذلك لو كان مصدر الكل ومبدأ الكل هو هو والذى يكون مبدأ لجميع الممكنات واليه يكون مرجع كل المحدثات والكائنات كان عظيم القدرة نافذ المشيئة فها سارا لعدم بالوجود والتحصيل جبار الله بالقوة والفعل والتكامل فهذان الوصفان هما المذكوران في شرح جلال المبدأ ونعت كبريائه (والمرتبة الثانية) من الراتب التي يجب على الانسان كونه عالماً بما ان يعرف ماهو مهم له في زمان حياته في الدنيا وما ذلك الا تكميل النفس بالمعارف الروحانية والجلاليا القدسية وهذه المرتبة لها بداية ونهاية اما بدايتها فلا اشتغال بالعبادات الجسدانية والروحانية اما العبادات الجسدانية فأفضل الحركات الصلاة وأكل السكناات الصيام وأنفع البر الصدقة واما العبادات الروحانية فهى الفكر والتأمل في عجائب صنع الله تعالى في ملكوت السموات والارض كما قال تعالى ويفكرون في خلق السموات والارض وامانهاية هذه المرتبة فالانتهاء من الاسباب الى مسببها وقطع النظر عن كل الممكنات والمبدعات وتوجيه حدة العقل الى نور عالم الجلال واستغراق الروح في اضواء عالم الكبرياء ومن وصل الى

(خلقهم) اى الذين بقوا بعد النشأ وهم المختلفون فاللام العاقبة اولاً ترجح فالضمير لمان واللام في معناه اولهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى (هذه) مجازى عام (لكل المنين) (وممت كلمة ربك) اى وعبدوا اوقوله للملائكة (لا ملأ من جهن من الجنة والناس اجمعين) اى من عصاها

اجمعين او منهما اجمعين لامن احدهما (وكلا) اى وكل نأ ثلثون عوض عن المضائق اليه (نقص عليك) تخبرك به وقوله تعالى (من آيات الرسل) بيان لكلا وقوله تعالى (١٤٩) (ما ننبت به فؤادك) يدل منه والظاهر ان يكون المضائق اليه المحذوف

في كلا القول المطلق لنقص اى

كل اختصاص اى كل اسلوب

من اساليبه نقص عليك من آيات

الرسل وقوله تعالى ما ننبت به

فؤادك مفعول نقص وفائدته

التنبه على ان المقصود بالاختصاص

زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة

قلبه وثبات نفسه على اداء

الرسالة واحتمال أذية الكفار

بالوقوف على تفاصيل احوال

الامم السالفة في تعاملهم في الضلال

ومالقي الرسل من جهنهم من

مكابدة المشاق (وما لك في هذه)

السورة او الانبايا القصص

عليك (الحق) الذى لا يغيره

(وموعظة وذكرى للمؤمنين)

اى الجامع بين كونه حقا في نفسه

وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين

ولكون الوصف الاول حاله

في نفسه حتى باللام دون ما هو

وصفه بالقياس الى غيره وتقدم

الطرف اعنى في هذه على الفاعل

لان المقصود بيان منافع السورة

او الانبايا القصص لبيانها واشتغالها

على ما ذكر من المنافع المفصلة

لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها

ولان عند تأخير ما حقه التقديم

ينبى النفس متربة اليه فيتمكن

فيها عند الورد وفضل تمكن

ولان في المؤخر نوع طول يخل

تقديمه بتجاوب اطراف النظم

الكريم (وقال الذين لا يؤمنون)

بهذا الحق ولا يتعظون به

ولا يتذكرون (واعلوا على

مكائلكم) على حالكم وجهتكم

التي هي عدم الايمان (اناعاملون)

على حالنا هو لا ايمان به ولا انفاذ

والتذكر به (وانتظروا)

بالدوائر (اننا منتظرون) ان ينزل

هذه الدرجة رأى كل مساواه مهر ولا تأمها في ساحة كبريائه هالكا قائبا في فناء سناء
اسمائيه وحاصل الكلام ان اول درجات السير الى الله تعالى هو عبودية الله وأخرها
التوكل على الله فلماذا السبب قل فاعبده وتوكل عليه (والمرتبة الثالثة) من المراتب
المهمة لكل عامل معرفة المستقبل وهو انه يعرف كيف يصير حاله بعد انقضاء هذه الحياة
الجسمانية وهل لاعماله اثر في السعادة والشقاوة واليه الاشارة بقوله تعالى وما ربك
بغافل عما تعملون والمقصود انه لا يضيع طامات الطامعين ولا يهمل احوال المتردين
الجامحين وذلك بأن يحضروا في موقف القيامة ويحاسبوا على النقيير والقطمير
ويعاتبوا في الصغير والكبير ثم يحصل عاقبة الامر فريق في الجنة وفريق في السعير فظهر
ان هذه الآية وافية بالارشاد الى جميع المطالب العلوية والمقاصد القدسية وانه ليس
وراءها لمفعول مرتقى ولا لنحو اطرمئني والله الهادى للصواب تمت السورة بحمد الله
وعونه وقد وجد مخط المصنف رضى الله عنه في النسخة المنقل منها تم تفسير هذه السورة
قبل طلوع الصبح ليلة الاثنين من شهر رجب حتمه الله بالخير والبركة سنة احدى وستائة
وقد كانى ولد صالح حسن السيرة خوفي في الغربية في عنقوان شبابه وكان قلبي كالحترق
لذلك السبب فانا نشد الله اخواني في الدين وشركائى في طلب اليقين وكل من نظر في هذا
الكتاب وانفع به ان يذكر ذلك الشاب بالرحمة والمغفرة وان يذكر هذا المسكين
بالدعاء وهو قول ربنا لا ترغفلوا بعبادنا هدينا وهب لنا من لدنك درجة انك انت الوهاب
وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة يوسف مائة واحدى عشرة آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ان ثلاث آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرأنا عربيا لعلكم تعقلون) وقد ذكرنا في اول
سورة يونس تفسير الثلاث آيات الكتاب الحكيم فقله تلك اشارة الى آيات هذه السورة
اى تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة المسماة ارمي آيات الكتاب المبين وهو
القرآن واما وصف القرآن بكونه مبينا لوجوه (الاول) ان القرآن معجزة فاهرة آية بيّنة
لمحمد صلى الله عليه وسلم (الثاني) انه بين فيه الهدى والشدو والخلال والحرام والحلال
هذه الاشياء فيه كان الكتاب مبينا لهذه الاشياء (الثالث) انه بينت فيه قصص الاولين
وشرحته في احوال المتقدمين ثم قال انا انزلناه قرأنا عربيا لعلكم تعقلون وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) روى ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل
يعقوب من الشام الى مصر وعن كيفية قصة يوسف نأزل الله تعالى هذه الآية
وذكر فيها انه تعالى عبر عن هذه القصة بألفاظ عربية ليتمكنوا من فهمها وتقدروا
على تحصيل المعرفة بها والتقدير انا انزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف في حال
كونه قرأنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على الكل

بكم فهو منازل بأمتلكم من الكفرة (والله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله) فيرجع بالهالة امرك وأمرهم اليه وقرى على
البناء للفاعل من يرجع رجوعا (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك والغاا لتزيتب الامر بالمعادة والتوكل على كون مرجع الامر كلها الى

الله تعالى وفي تأخير الأمر بالتوكل عن الأمر بالعبادة اشعار بأنه لا ينفع دونها (وماربط بقافل عما يعملون) فينازيهم بموجبه وقرئ تملكون على تطلب الخطاب اى انت وهم فينازى كلامك (١٥٠) ومنهم بموجب الاستحقاق * عن رسول الله صلى الله

والبعض (المسئلة الثانية) احتج الجبائي بهذه الآية على كون القرآن مخلوقا من ثلاثة اوجه (الاول) ان قوله انا انزلناه يدل عليه فان القديم لا يجوز تنزيله وانزاله وتحويله من حال الى حال (الثاني) انه تعالى وصفه بكونه عربيا والقديم لا يكون عربيا ولا فارسيا (الثالث) انه لما قال انا انزلناه قرأنا عربيا دل على انه تعالى كان قادرا على ان ينزله لا عربيا وذلك يدل على حدوثه (الرابع) ان قوله تلك آيات الكتاب يدل على انه مركب من الآيات والكلمات وكل ما كان مركبا كان محدثا (والجواب) عن هذه الوجوه بأمرها ان نقول انها تدل على ان المركب من الحروف والكلمات والالفاظ وال عبارات محدث وذلك لاتراخ فيه انما الذى ندعى قدمه شئ آخر فقط هذا الاستدلال (المسئلة الثالثة) احتج الجبائي بقوله لعلكم تعقلون فقال كلمة لعل يجب حملها على الجزم والتقدير انا انزلناه قرأنا عربيا لتعقلوا معانيه في امر الدين اذ لا يجوز ان يراد بعللکم تعقلون الشك لانه على الله محال فثبت ان المراد انه انزله لارادة ان يعرفوا دلائله وذلك يدل على انه تعالى اراد من كل العباد ان يعقلوا توحيده وامر دينه من عرف منهم ومن لم يعرف بخلاف قول المجبرة (والجواب) هب ان الامر على ما ذكرتم الا انه يدل على انه تعالى انزل هذه السورة واراد منهم معرفة كيفية هذه القصص ولكن لمقلتم انها تدل على انه تعالى اراد من الكل الامان والعمل الصالح * قوله تعالى (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله ان العافلين) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) روى سعيد بن جبيرة انه تعالى لما انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يتلوه على قومه فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت هذه السورة فحلاها عليهم فقالوا لو حدثتنا فنزل الله نزل احسن الحديث كتابا فقالوا لو ذكرنا فنزل الميثان للذين آمنوا ان نخشع قلوبهم لذكر الله (المسئلة الثانية) القصص اتباع الخبر بعرضه بعضا واصله في اللغة المتابعة قال تعالى وقالت لاخته قصصه اى اتبعي اثره وقال تعالى فارتدا على آثارهما قصصا اى اتبعا وانما سميت الحكاية قصصا لان الذى يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا كما قال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو اى يتبع ما حفظ منه آية بعد آية والقصص في هذه الآية يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص يقال قص الحديث يقصه قصا وقصصا اذا طرده وصافه كما يقال ارسله برسله ارسله بالاجور ان يكون من باب تسمية المفعول بالمصدر كقولك هذا قدرة الله تعالى اى مقدوره وهذا الكتاب علم فلان اى معلومه وهذا رجاءنا اى مرجونا فان حملناه على المصدر كان المعنى نقص عليك احسن الاقتصاص وعلى هذا التقدير فالحسن يعود الى حسن البيان لا الى القصة والمرا من هذا الحسن كون هذه الالفاظ فصيحة بالغة في الفصاحة الى حد الاعجاز الا ترى ان هذه القصة مذكورة في كتب التواريخ مع ان شيئا منها لا يشابه هذه السورة في الفصاحة والبالغة وان حملناه على المفعول كان معنى كونه احسن القصص لما فيه

تعالى عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المرسلين فيها عليهم الصلاة والسلام وبعدد من كذبهم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى

* (سورة يوسف عليه السلام) *
* (وهي مائة واحدى عشرة آية) *
* «بسم الله الرحمن الرحيم»

(الى) الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى (تلك آيات الكتاب) عني ما سلف في مطلع سورة يونس (المين) من ايان بمعنى بانى الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى وفي الجاهلية بنوعه لاسيما الاخبار عن الغيب والواضح مصابه للعرب بحيث لا يشبهه عليهم حقائقه ولا يتيسر لديهم دقائمه لتؤله على لغتهم اوجعني بين اى المين لاني من الاحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار الثنائين في الدارين وغير ذلك من الحكم والعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فاباته انباء عن قصة يوسف عليه السلام فانه قد روى ان اخبار اليهود قالوا لروساء المشركين سلوا امجدنا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل كل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فتعلوا ذلك ليكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستتلال لماسبائى ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذى عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافي

فقبل (انا انزلناه) اى الكتاب المنعوت بما ذكر من المنعوت الجلية فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله (من) تعالى (قرأنا عربيا) اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا التعت المتعارف الى القوم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل

عبارة عن السورة فاسميتها قرأنا لما عرفت فها صنف والسر في ذلك انه اسم جنس في الامل يقع على الكل والبعض كالكتاب والانه مصدر بمعنى القول اي انشاء حال كونه مقروا بفتحكم (١٥١) (لعلكم تقولون) اي لكي تفهموا معانيه طرا وتحيطوا بما فيه من البديع خبروا وتعلموا على

من العبر والنكت والحكم والمجائب التي ليست في غيرها فان احسدى القوائد التي في هذه القصة انه لادافع لقضاء الله تعالى ولامانع من قدر الله تعالى وانه تعالى اذ اقضى للانسان بخير ومكرمة فلوان اهل العالم اجتمعوا عليه لم يقدروا على دفعه (والفائدة الثالثة) الثانية دلالتها على ان الحسد سبب للخذلان والنقصان (والفائدة الثالثة) ان الصبر مفتاح الفرج كما في حق يعقوب عليه السلام فانه لما صبر فاز بمقصوده وكذلك في حق يوسف عليه السلام فاما قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن فاعلم اني بوحينا اليك هذا القرآن وهذا التقدير ان جعلنا ما مع الفعل بمنزلة المصدر ثم قال وان كنت من قبله يريد من قبل ان نوحى اليك لمن الغافلين عن قصة يوسف واخوته لانه عليه السلام اعلم ذلك بالوحي ومنهم من قال المراد انه كان من الغافلين عن الدين والشرعية قبل ذلك كما قال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان قوله تعالى (اذ قال يوسف لايه يا ليت اتى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) تقدير الآية اذ ذكر اذ قال يوسف قال صاحب الكشف الصحيح انه سمع عيسى لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف وقرأ بعضهم يوسف بكسر السين ويوسف بفتحها وبضاروى في تونس هذه اللغات الثلاث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذ قيل من الكريم فقالوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام (المسئلة الثانية) قرأ ابن عامر يا ليت بفتح التاء في جميع القرآن والباقيون بكسر التاء اما الفتح فوجهه انه كان في الاصل يا ليتاء على سبيل التندبة فحذفت الالف والهاء واما الكسر فأصله يا ليتي فحذفت الياءواكتفى بالكسرة عنها ثم ادخل هاء الوقف فقال يا ليت ثم كثر استعماله حتى صار كأنه من نفس الكلمة فادخلوا عليه الاضافة وهذا قول ثعلب وابن الانباري واعلم ان النحويين طولوا في هذه المسئلة ومن اراد كلامهم فليطالع كتبهم (المسئلة الثالثة) ان يوسف عليه السلام رأى في المنام ان احد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدت له وكان له احد عشر نفرا من الاخوة ففسر الكواكب بالاخوة والشمس والقمر بالاب والام والسجود بتواضعهم له ودخولهم تحت امره واما حلقنا قوله اتى رأيت احد عشر كوكبا على الرؤيا لوجهين (الاول) ان الكواكب لا تسجد في الحقيقة فوجب حمل هذا الكلام على الرؤيا (والثاني) قول يعقوب عليه السلام لا نقصص رؤياك على اخوتك وفي الآية سؤالات (السؤال الاول) قوله رأيتهم لي ساجدين فقوله ساجدين لا يليق الا بالعقلاء والكواكب جادات فكيف جازت اللفظة المخصوصة بالعقلاء في حق الجمادات قلنا ان جماعة من الفلاسفة الذين يزعمون ان الكواكب احياء ناطقة احتجوا بهذه الآية وكذلك احتجوا بقوله تعالى وكل في فلك يسبحون والجمع بالواو والنون مختص بالعقلاء وقال الواحدى انه تعالى لما وصفها بالسجود صارت كأنها تعقل فآخبر عنها كما يخبر

لنصفها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه (وان كنت) ان مخففة من التثنية وخبر الشان الواقع اسمها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمخفى وان الشأن كنت (من قبله) من قبل ان يحاكيك هذه السورة (لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تحط برياك ولم تفرع عمك

قط وهو قليل لكونه موهي والتعبير عن عدم العلم بالغة لاجلال شان النبي عليه السلام وان قتل عنه بعض الغافلين (اذ قال يوسف)
نسب باختر اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد بأحسن (١٥٢) الاتصاف او بدل من احسن النصص على تقدير

كونه مغفولا بدل اشتغال فان
اقتصاص الوقت الشغل على
المقصود من حيث اشتغاله
عليه اقتصاص للتفصوص
ويوسف اسم عبري لا عربي
خلوه عن سبب آخر غير التعريف
وقح السين وكسر ها على بعض
القرآن بناء على التعليل لا على
انه من ذراع بني لقعود او التعليل
من آسف لشهادة المشهورة
بجهته (لا يسه) يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة
والسلام وقد روى عنه عليه
السلام ان الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
(يابث) اصله (اي) فهو من عن
الياء ، انه التثنية لتناسبها
في الزيادة فلذلك قلبت هاء
في الوقف على قراءة ابن كثير
واي عمرو ويعقوب وكسر تها
لانها عوض عن حرف تناسبها
وقصها ابن عامر في كل القرآن
لانها حرف قصاصها او لان الاصل
يا بئنا غداً الف وبقي الفتحة
واسم لم يجز ان يلايه جمع
بين العوض والعرض وفري
بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ
المؤنثة بالنساء من غير اعتبار
التعويض وعدم تناسبها كاصلها
لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم
فيجب تعريبها ككلمات الخطاب (اي)
رايت) من الرؤيا لان الرؤية
لنقله لا لتقص رؤياك هذا
تاويل رؤيا ولان الظاهر ان
وقوع مثل هذه الامور البديعة
في عالم الشهادة لا يخص برؤية
راء دون راء فيكون طامة كبرى
لا يخفى على احدم الناس (احد
عشر كوكبا والشمس والقمر)
روى عن جابر رضي الله عنه ان

يهود باجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راها يوسف عليه السلام فسكت النبي عليه (قال)
السلام قتل جبريل عليه السلام فآخبره بذلك فقال عليه السلام اذا اخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم قال عليه السلام جبريل والمطارق

والذيال وقابس وعودان والفليق والصبح والنروح (١٥٣) والفرغ ووثاب وذوالكتفين وآها يوسف عليه السلام والقمر نزل من السماء ومجدن له

وقال اليهودى اى والله انها لا سماؤها
وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل
ابوه وخالته والكواكب اخوته
وانما آخر الشمس والقمر من
الكواكب لانها من زميرتهما
وشرفهما على سائر الطوائع
بطفهما عليها كما فى عطف جبريل
وميكائيل على الملائكة عليهم
السلام وقد جوز ان تكون النوا
معنى مع اى رايت الكواكب
مع الشمس والقمر ولا يجد ان
يكون ذلك اشارة الى تأخر
ملاقاته عليه السلام لها عن
ملاقاته لآخرته وعن وهبان
يوسف عليه السلام رأى وهوان
سبع سنين ان احدى عشرة عصا
طوالا كانت سركونة فى الارض
كهية الدائرة واذا عصا صغيرة
تقب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها
فوسف ذلك لايه فقال اياك ان
تذكر هذا اخوتك ثم رآه وهو
ابن نقي عشرة سنة الشمس والقمر
والكواكب تسجد له فقصها على
ايه فقال لا تقصها عليهم فيفوا
لك الذوائل وقيل كان بين رؤيا
يوسف ومصر اخوته الباربعون
سنة وقيل ثمانون (رايتهم
ساجدين) استئناف ببيان حالهم
التي رآهم عليها كائنات لاسال
فقال كيف رايتهم فأجاب بذلك
وانما أجريت جرى الطلاق
الضيق لوصفها بوصف الغلاء
أعنى السجود وتقدم الجار
والجبر ولاظهار الغلبة والاهتمام
بما هو الأهم مع ما فى ضفته من رعاية
الخاصة (قال ياقى) صغره لشفقة
اولها واصغر السن وهو ايضا
ولما عرف يعقوب عليه السلام من

قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعودان والفليق والصبح والضرع
والفرغ ووثاب وذوالكتفين وآها يوسف والنس والقمر نزلت من السماء وسجدت له
فقال اليهودى اى والله انها لا سماؤها واعلم ان كثيرا من هذه الاسماء غير مذكور
فى الكتب المصنفة فى صورة الكواكب والله اعلم بحقيقة الحال * قوله تعالى (قال ياقى
لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين) وكذلك
يحتبك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتهم
على ابوبك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليهم حكيم) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى)
قرأ أحفص يابنى بفتح الياء والباقون بالكسر (المسئلة الثانية) ان يعقوب عليه السلام كان
شديدا يحب ليوسف واخيه فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك المعنى ليعقوب
عليه السلام بالامارات الكثيرة فلما ذكر يوسف عليه السلام هذه الرؤيا وكان تأويلها
ان اخوته وابويه يخصعون له فقال لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها فيكيدوا
لك كيدا (المسئلة الثالثة) قال الواحدى الرؤيا مصدر كالبتىرى والسقى والبقيا
والشورى الا انه لما صار اسما لهذا التخيل فى المنام جرى مجرى الاسماء قال صاحب
الكشاف الرؤيا بمعنى الرؤية لانها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة فلا
جرم فرق بينهما بحرفى التانيث كاقبل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة
واوا وسمع الكسائى يقرأ رايك ورايك بالادغام وضم الراء وكسرهما وهى ضعيفة ثم
قال تعالى فيكيدوا لك كيدا وهو منصوب باضماران والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك
فان قيل فلم يقل فيكيدوك كما قال فيكيدونى قلنا هذه اللام تأكيد للصلة كقوله للرؤيا
تصرون وكقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك وقيل هى من صلة
الكيد على معنى فيكيدوا كيدا لك قال اهل التحقيق وهذا يدل على انه قد كان لهم علم
بتعبير الرؤيا والام يعلموا من هذه الرؤيا ما يوجب حقدا وفضيا ثم قال ان الشيطان للانسان
عدو مبين والسبب فى هذا الكلام انهم لو اقدموا على الكيد لكان ذلك مضافا الى
الشيطان ونظيره قول موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان ثم ان يعقوب عليه السلام
قصده ان تصيحه تعبير تلك الرؤيا وذكر امورا (اولها) قوله وكذلك يحتبك ربك
يعنى وكما اجبتك بمنى هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعن وكبريان كذلك يحتبك
لامور عظام قال الزجاج الاجتهاء مشتق من جيت الشئ اذا خلصته لنفسك ومنه
جيت الماء فى الحوض واختلفوا فى المراد بهذا الاجتهاء فقال الحسن يحتبك ربك
بالنبوة وقال آخرون المراد منه اعلاء الدرجة وتعظيم المرتبة فاما تعيين النسبة فلا
دلالة فى اللفظ عليه (وثانيها) قوله ويعلمك من تأويل الاحاديث وفيه وجوه (الاول)
المراد منه تعبير الرؤيا بماه تأويلها لانه يؤل امره الى ماراه فى المنام يعنى تأويل
احاديث الناس فيما يروونه فى منامهم قالوا انه عليه السلام كان فى علم التعبير غاية

استئناف مبنى على سؤال من قال فاذا قال يعقوب بعد سماع (٢٠) (را) (خا) هذه الرؤيا انجبية ولما عرف يعقوب عليه السلام من

١٠٠ الرابحون من بلغة الله تعالى ملقا جليلا من الحكمة وبصفته (١٥٤) النبوة ويتم عليه بشرى الدارين كما فعل بآياته

الذين آمنوا بالله وحده
ويعتبر من صيانة لهم من
ذلك روى من معاناة المشاق
وقد كانت الاثران وان كان
والقادر بالله تعالى صديق ذلك
لأنه لا يملك حصوله بالمشقة
(روى في روى) هي مائة
التي هي في الرؤية ما في القفلة
فترى بيننا بشر في التأنيث كما
في التراب والقرية وحقيقتها
الذين هم المصورة المصورة من
أشياء الخفية إلى الحس المشترك
والواقعة منها كما تكون بالنسبة
الحس بالمكوت لما بينهما
من التماس عندنا في تدبير
البدن أدنى فراغ فتصور بما
فيها ما يليق من المعاني الحاصلة
منها ثم ان الخفية تصاحبه
بصورة تتناسب فترسلها إلى الحس
المشتركت فتصير مشاهدة ثم اذا
كانت شديدة المناسبة لذلك
الذي يبحث لا يكون التفاوت
الإنشائية والجزئية استغنت
الرؤيا عن التعبير والاحتاج
إليه (على اخوانك فيكيدوا)
نصيب بغير أن أي يفعلوا
(لك) أي لا جلت ولا هلاك
(كيدا) متينا راسخا لا تقدر
على الغش عنه أو خفيها من
أفلاك لا تصمدى لمذاقته وهذا
أول بقى بضم الغدير وان كان
يقرب عليه السلام يعلم أنهم
ليسوا بآدميين على تحويل ما دلت
الرؤيا على وقوعه وهذا الأسلوب
أسبق من أن يقال فيكيدوكيدا
الذي ليس فيه دلالة على كون نفس
المدعي متصورا لا يتقاع وقد قيل
أي يتقاع باللام لتشمسه مع
المدعي المتقاع باللام ليفيد معني
المدعي والضم فيه للتأكيد أي

(والثاني) تأويل الاحاديث في كتب الله تعالى والاحبار المروية عن الأنبياء المتقدمين
كان الواحد من علماء زماننا يشغل بتفسير القرآن وتأويله وتأويل الاحداث المروية
عن الرسول صلى الله عليه وسلم (والثالث) الاحاديث جميع حديث والحديث هو الحادث
وتأويلها ما كها وما ك الحوادث إلى قدرة الله تعالى وتكوينه وحكمته والمراد من
تأويل الاحاديث كفية الاستدلال بأصناف المحلوقات الروحية والجسمانية على قدرة
الله تعالى وحكمته وجلالته (وثالثها) قوله ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب واعلم ان
من فسر الاجتهاد بالنبوة لا يمكن ان يفسر اتمام النعمة ههنا بالنبوة ايضا والازم
التكرار بل يفسر اتمام النعمة ههنا بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة اما سعادات
الدنيا فالأكثر من الأولاد والخدم والاتباع والتوسع في المال والجاه والحشم واجلاله
في قلوب الخلق وحسن النماء والحمد وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والخلق
الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى وأما من فسر الاجتهاد بنيل الدرجات العالية
فهنا يفسر اتمام النعمة بالنبوة ويتأكد هذا بأمور (الأول) ان اتمام النعمة عبارة
عما به تصير النعمة تامة كاملة خالية عن جهات النقصان وما ذاك في حق البشر الابانوبة
فإن جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة ناقصة بالنسبة إلى كمال النبوة فالكمال
المطلق والتمام المطلق في حق البشر ليس بالانبيوة (والثاني) قوله كما أتمها على أبوك من
قبل ابراهيم واسحق ومعلوم ان النعمة التامة التي بها حصل امتياز ابراهيم واسحق
عن سائر البشر ليس بالانبيوة فوجب ان يكون المراد بتمام النعمة هو النبوة واعلم اننا لما
فسرنا هذه الآية بالنبوة لزم الحكم بأن أولاد يعقوب كلهم كانوا أنبياء وذلك لانه قال ويتم
نعمته عليك وعلى آل يعقوب وهذا يقتضي حصول تمام النعمة لآل يعقوب فلما كان
المراد من اتمام النعمة هو النبوة لزم حصولها لآل يعقوب ترك العمل به في حق من عدا
ابناءه فوجب ان يبقى معمول به في حق أولاده وايضا ان يوسف عليه السلام قال اني
رأيت أحد عشر كوكبا وكان تأويله أحد عشر نفسا لهم فضل وكآل ويستضيء بعلمهم
ودينهم اهل الارض لانه لا شيء أضوأ من الكواكب وبها بهتدى وذلك يقتضي ان يكون
جدة أولاد يعقوب أنبياء ورسل فان قيل كيف يجوز ان يكونوا أنبياء وقد اقدموا على
ما اقدموا عليه في حق يوسف عليه السلام فلماذا وقع قبل النبوة وعندنا العصمة إنما
تعتبر في وقت النبوة لا قبلها (القول الثاني) ان المراد من قوله ويتم نعمته عليك خلاصه
من المحن ويكون وجه التشبيه في ذلك بابراهيم واسحق عليهما السلام هو انعام الله تعالى
على ابراهيم بانجاهه من النار وعلى ابنه اسحق بتخليصه من الذبح (القول الثالث) ان
اتمام النعمة هو وصل نعمة الله عليه في الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم في الدنيا أنبياء
وملوكا ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة واعلم ان القول الصحيح هو الأول لأن
النعمة التامة في حق البشر ليست بالانبيوة وكل ما سواها فهي ناقصة بالنسبة إليها فتمامه

فصارت لك ولا هلاك حيلة وكيدا والمراد باخوته ههنا الذين يمشى غوائلهم ومكائدهم (عليه)

بنو علاه الاحد عشرهم يهوذا وروبول وشمعون ولاوى (١٥٥) وربالون ويشعير وديشة بنو يعقوب من ليا بنت راحيل

ودان ونفتالى وجاد وبنو

من سريتن زلفة ربالون ١٦٠

هم المشاعر اليهم بانك كتب

الاحد عشر واما يامين الذى

هو شقية يوسف عليه السلام

وامهما راحيل التى كانت

يعقوب عليه السلام يدونه

اختها ليا اوفى حياتها اسم يكن

جمع الاختين اذ ذكراهما

فليس بدخل تحت اسم ليا

اذ لا تزوج منتهى ولا تسمى

معونه ولم يكن معبودا من ليا

الرؤيا اذ لم يكن معهم من ليا

يوسف والمراد به من ليا

الرؤيا عليهم كذا اورد

الشيخان للانسان عموما

العاورة فلا يألوجهما من سوء

اخوته واضلاهم وجنهم على

مالاخير فيه وهو اسماه فان

يوسف عليه السلام قال ذنب

يصدر ذلك عن اخوتى اللذين

في بيت النبوة قتلان الذين

يحملهم على ذلك ولما نبه عليهما

السلام على ان رؤياه شاة عظيمة

يستمتع منافع وشهوة يباعها

المؤدية الى ان يحول اشرف بيها

وبين ظهور آثارها و - رؤياها

او بوغروا سيل وصلى به شرع

في تعبيرها وتاويلها س - يوسف

اجالى فقال (وكذلك) - وعش

ذلك الاجتناب البسيع الذى

شاهدت آثاره في عالم المثال من

سجود تلك الاجرام البهوية

التيهيك ويصعبه وعلى وشقه

(يحنينك ربك) يشارك ليا

كبريائه ويستنبط اسماء

من جبهه اذاجه ويصلي بك على

اشراف الملائق وسرقات الناس

قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا

في عالم الشهادة حسب ما عاينه من غير

عليه السلام لما وعده بهذه الدرجات الثلاث ختم الكلام بقوله ان ربك عليم حكيم فقوله

عليم اشارة الى قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وقوله حكيم اشارة الى ان الله تعالى

مقدس عن السفه والعبث لا يضيع النبوة الا في نفس قدسية وجوهرة مشرقة علوية

فان قبل هذه البشارات التى ذكرها يعقوب عليه السلام هل كان قاطعا بصحتها لا فان كان

قاطعا بصحتها فكيف حزن على يوسف عليه السلام وكيف جاز ان يشبهه عليه ان الذنب

اكله وكيف خاف عليه من اخوته ان يهلكوه وكيف قال لآخوته وأخاف ان يأكله

الذنب واتهم عنه غافلون مع علمه بأن الله سبحانه سيختيه ويجعله رسولا فاما اذا قلنا انه عليه

السلام ما كان طالما بحجة هذه الاحوال فكيف قطع بها وكيف حكم بوقوعها حكما جازما

من غير تردد قلنا لا يبعد ان يكون قوله وكذلك يحنينك ربك مشروطا بأن لا يكتدوه

لان ذكر ذلك قد تقدم وايضا في تقدير ان يقال انه عليه السلام كان قاطعا بأن يوسف عليه

السلام سيصل الى هذه المناصب الا انه لا يتبع ان يقع في المضايق الشديدة ثم يتخلص منها

ويصل الى تلك المناصب فكان خوفه لهذا السبب ويكون معنى قوله وأخاف ان يأكله

الذنب الزجر عن التهاون في حفظه وان كان يعلم ان الذنب لا يصل اليه قوله تعالى (لقد

كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى ابنا منا ونحن

عصية ان آبانا لفي ضلال مبين) في هذه الآية مسائل (المسئلة الاولى) ذكر صاحب

الكشاف اسماء اخوة يوسف يهوذا رويل شمعون لاوى ربالون ويشعير دينة

دان نفتالى جاد אשר ثم قال السبعة الاولون من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة

الآخرون من سريتن زلفة وبهية فلما توفيت ليا تزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له

بنياامين ويوسف (المسئلة الثانية) قوله آيات للسائلين قرأ ابن كثير آية بغير الف جله على

شان يوسف والباقيون آيات على الجمع لان امور يوسف كانت كثيرة وكل واحد منها آية

بنفسه (المسئلة الثالثة) ذكرها في تفسير قوله تعالى آيات للسائلين وجوها (الاول) قال

ابن عباس دخل جبر من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع منه قراءة يوسف فعاد

الى اليهود فأعلمهم انه سمعهم انه كاهي في التوراة فانطلق ففر منهم فسمعوا كما سمع فقالوا له

من علمك هذه القصة فقال الله عني فزل لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وهذا الوجه

عندى بعيد لان المفهوم من الآية ان في واقعة يوسف آيات للسائلين وعلى هذا الوجه

الذى نقلناه ما كانت الآيات في قصة يوسف بل كانت الآيات في اخبار محمد صلى الله عليه

وسلم عنها من غير سبق تعلم ولا مطالعة وبين الكلامين فرق ظاهر (الثانى) ان اهل مكة

اكثرهم كانوا أقارب الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا ينكرون نبوته ويظهرون

العداوة الشديدة معه بسبب الحسد فذكر الله تعالى هذه القصة وبين ان اخوة يوسف

بألفوا في ابداه لاجل الحسد وبالأخرة فان الله تعالى نصره وقواه وجعلهم تحت يده

ورأيت ومث هذه الواقعة اذا سمعها العاقل كانت زاجرة له عن الاقدام على الحسد

قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة بالتحفة بين الصور الرئيسة في عالم المثال وبين ما وقعت

في صورها واشباهها من

الكلمات الظاهرة بحسبها في عدم الشهادة أي كما صغرت لك تلك (١٥٦) الاجرام العظام يحضر لك وجوه الناس ونواصبهم مدعنين

(الثالث) ان يعقوب لما عبر رؤيا يوسف وقع ذلك التعبير ودخل في الوجود بعد ثمانين سنة فكذلك ان الله تعالى لما وعد محمد عليه الصلاة والسلام بالنصر والظفر على الاعداء فاذا تأخر ذلك الموعد مدة من الزمان لم يدل ذلك على كون محمد عليه الصلاة والسلام كاذبا فيه فذكر هذه القصة نافع من هذا الوجه (الرابع) ان اخوة يوسف بالغوا في ابطال امره ولكن الله تعالى لما وعده بالنصر والظفر كان الامر كما قدره الله تعالى لا كما سعى فيه الاعداء فكذلك واقعة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله لما ضمن له اعلاء الدرجته لم يضره سعي الكفار في ابطال امره واما قوله للسائلين فاعلم ان هذه القصة فيها آيات كثيرة لمن سأل عنها ولمن لم يسأل عنها هو كقوله تعالى في اربعة ايام سواء للسائلين ثم قال تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الي ابناءنا ونحن عصبة وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قوله ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبة لهما امر ثابت لاشبهه فيه واخوه هو يئامين واما قالوا اخوه وهم جميعا اخوة لان اعمما كانت واحدة والعصبة والعصاة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سمو بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ونقل عن علي عليه السلام انه قرأ ونحن عصبة بالنصب قيل معناه ونحن نجتمع عصبة (المسئلة الثانية) المراد منه بيان السبب الذي لاجله قصدوا ابداء يوسف وذلك ان يعقوب كان يفضل يوسف واهاه على سائر الاولاد في الحب وانهم تأذوا منه اوجوه (الاول) انهم كانوا اكبر سنا منهما (وثانيا) انهم كانوا اكثر قوة واكثر قياما صالح الاب منهما (وثالثها) انهم قالوا ان نحن القائمون بدفع المفسدات والآفات والمستغفلون بتحصيل النافع والخيرات اذ اثبت ما ذكرناه من كونهم متقدمين على يوسف واخيه في هذه الفضائل ثم انه عليه السلام كان يفضل يوسف واهاه عليهم لاجرم قالوا ان ابانا في ضلال مبين يعني هذا خيف ظاهر وضلال بين وههنا سؤالات (الاول) ان من الاحور المعلوم ان تفضيل بعض الاولاد على بعض يورث الحقد والحسد ويورث الآفات فلما كان يعقوب عليه السلام عالما بذلك فلما تقدم على هذا التفضيل وايضا الاسن والاعلم والانعاف افضل فلم يلب هذه القضية (والجواب) انه عليه السلام ماضلها على سائر الاولاد في المحبة والمحبة ليست في وسع البشر فكان معذورا فيه ولا يلحقه بسبب ذلك لوم (السؤال الثاني) ان اولاد يعقوب عليه السلام ان كانوا قد آمنوا بكونه رسولا حقاقا عند الله تعالى فكيف اعترضوا عليه وكيف زيفوا طريقته وطعنوا في فعله وان كانوا مكذبين لثبوته فهذا يوجب كفرهم (الجواب) انهم كانوا مؤمنين بنبوة ابيهم مقرين بكونه رسولا حقاقا من عند الله تعالى الا انهم لم يعلموا جو زوا من الانبياء عليهم السلام ان يفعلوا فضلا مخصوصة بمعجزات الاجتهاد ثم ان اجتهادهم ادى الى تخطئة ايهم في ذلك الاجتهاد وذلك لانهم كانوا يقولون هم اصحابان ما بلغا العقل الكامل ونحن متقدمون عليهما في السن والعقل والكفاية والمنفعة وكثرة الخدمة والقيام بالمهمات واصرارهم على

لما فعلت خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراعاة اطاعة ابويه واخوته له لكنه انما لم يصرح به سذرا عن اذاعته (وبذلك) كلام مبتدأ في داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام تأكيد مقاتله وتحقيقها وتوطئته نفس يوسف عليه السلام بما اخبر به على طريقة التصديق والتأويل كأنه قال وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) اى ذلك الجنس من العلوم او طرقا صالحا منه فقطع على خفية ما اقول ولا ينبغي ما فيه من تأكيد ماسبق والبت على تلقى ما سيأتى بالقبول والمراد بتأويل الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم جمع لحدوث كالاباطيل اسم جمع لباطل لاجع احدوثه وقيل كانتهم جمعوا حديثنا على احدة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطعهم واقطعه واطابع وقيل هو تأويل غوامض كتب الله تعالى وسن الانبياء عليهم السلام والاول هو الاظهر وتسمية التعبير تأويلا لانه جعل المرثي آثلا ما يذكره الغير بصدد التعبير ووجهه اليه فكأنه عليه الصلاة والسلام اشار بذلك الى ماسبق من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يلقيه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب عليه السلام ذلك منه

من جهة الوحي اواراد كون هذه الحصة سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ ان (تقديم)

تكون معرفته عليه السلام لذلك بطريق الفراسة والاستدلال (١٥٧) من الشواهد والدلائل والامارات والمخالف بأن من وقفه

تقديم يوسف علينا يخالف هذا الدليل واما يعقوب عليه السلام فلهذا كان يقول زيادة المحبة ليست في الوسع والطاقة فليس الله على فيه تكليف واما تخصيصهما بمزيد البر فيتمثل انه كان لوجوه (احدها) انهما ماتت وهما صغار (وثانيها) لانه كان يرى فيه من آثار الرشد والحجاجة ما لم يجد في سائر الاولاد (وثالثها) لعله عليه السلام وان كان صغيرا الا انه كان يتخدم اياه بأنواع من الخدم اشرف واعلى مما كان يصدر عن سائر الاولاد والحاصل ان هذه المسئلة كانت اجتهدا وقد كانت مخلوطة بميل النفس وموجبات الفطرة فلا يلزم من وقوع الاختلاف فيها طعن احد الخصمين في دين الآخر او في عرضه (السؤال الثالث) انهم نسبوا اباهم الى الضلال المبين وذلك بمبالغة في الذم والطعن ومن بالغ في الطعن في الرسول كفر لاسيما اذا كان الطاعن ولدا فان حق الابوة يوجب مزيد التعظيم (والجواب) المراد منه الضلال من رماية المصالح في الدنيا لا البعد عن طريق الرشد والصواب (السؤال الرابع) ان قولهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا محض الحسد والحسد من امهات الكبائر لاسيما وقد اقدموا على الكذب بسبب ذلك الحسد وعلى تصنيع ذلك الاخ الصالح والقائه في ذل العبودية وتبعده عن الاب المشفق والقوا اباهم في الحزن الدائم والاسف العظيم واقدموا على الكذب بما بقيت خصلة مذمومة ولا طريقة في الشر والفساد الا وقد اتوا بها وكل ذلك بقدر في العصمة والنوبة (والجواب) الامر كما ذكرتم الا ان المعتبر عندنا عصمة الانبياء عليهم والسلام في وقت حصول النبوة واما قبلها فذلك غير واجب والله اعلم **قوله تعالى (اقبلوا يوسف**

اواظروه ارضا يحل لكم وجه ايكم وتكونوا من بعده قوم صالحين قال قائل منهم لا تقبلوا يوسف والقوة في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين) واعلم انه لما قوى الحسد وبلغ النهاية قالوا لا بد من تباعد يوسف عن ابيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقين القتل او التغريب الى ارض يحصل اليأس من اجتماعه مع ابيه ولا وجه في الشر يبلغه الحسد اعظم من ذلك ثم ذكروا العلة فيه وهي قولهم يحل لكم وجه ايكم والمعنى ان يوسف شغلنا عنا وصرف وجهه اليه فاذا فقدناه اقبل علينا بالميل والمحبة وتكونوا من بعده قوما صالحين وفيه وجوه (الاول) انهم علوا ان ذلك الذي عزموا عليه من الكبائر فقالوا اذ افعلنا ذلك تنبأ الى الله ونصير من القوم الصالحين (الثاني) انه ليس المقصود ههنا صلاح الدين بل المعنى يصلح شأنكم عند ايكم ويصير ابوكم محبا لكم مشغلا بشأنكم (الثالث) المراد انكم بسبب هذه الوحشة صرتم مشوشين لا تنفرون لاصلاح مهمم فاذا زالت هذه الوحشة تفرغتم لاصلاح مهماتكم واختلفوا في ان هذا القائل الذي امر بالقتل من كان على قولين (احدهما) ان بعض اخوته قال هذا (والثاني) انهم شاوروا اجنبيا فأشار عليهم بقتله ولم يقل ذلك احد من اخوته فأما من قال بالاول فقد اختلفوا فقال وهب انه شمعون وقال مقاتل روييل فان قيل كيف يليق هذا بهم وهم انبياء قلنا من

الفعل من كالاتهم بحسب ذلك تماما تلك النعمة لامحالة واما اذا اريد تمام تلك النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم

يفتخون آثاره من العز والجاه والمال (كما اتهموا على ايوب) (١٥٨) نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك انما كائنا كانت

نعمته على ايوب وهى نعمة الرسالة والنبوة واتساعها على ابراهيم عليه السلام بانقاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من مصلبه وكل ذلك نعم جليلة وقت نعمة النعمة النبوة واليهيب في تحقق التشبيه كون ذلك في جانب التشبيه به مثل ما وقع في جانب المشبهين كل وجه (من قبل) اي من قبل هذا الوقت اومن قبلك (ابراهيم واسحق) عطف بيان لايوب والتعبير عنها بالاب مع كونها اباجده وابابه للشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وتذكير معنى الولد سرابه ليعلم قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجالى فزادوا الاختصار في التشبيه على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاحتجاب من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضى سابقة النعمة المستندية للاحتجاب (المعالة) ان ربك استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه (علم) بكل شئ يفعل من يستحق الاحتجاب وما يتفرع عليه من التاميم المذكور وتمام النعمة السامة على الوجه المذكور (حكيم) ناعل لكل شئ حسبا تقتضيه الحكمة والصحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جبرياعلى سنن عمله وحكمته والتمس من لنوعان الربوبية في الموضوعين لترية تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية لكرهى وكما احتجك لكل هذه الروايات الدالة على شرف وعز وكال نفس يجتنيك ربك (يعقوب)

النبوة والملك والامور عظام ويتم نعمته عليك (١٥٩) بالنبوة وان يجعل نعمة الدنيا بعملة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء

وملوكا وتعلم عنها الى الدرجات العلى الجنة كما أنها على ابوابك بالرسالة فتأمل والله الهادي (لقد كان في يوسف واخوته اى فى قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنانيين ايضا حصه من القصة ابو نوح وعالته المدودون فيما سلف اذ علمهم يدور سحارها (آيات) علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة (تاسلئين) لكل من سأل من قصتهم وعرفها والطالين للآيات المستبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنفخون بها دون من عداهم عن التدرج تحت قوله تعالى وكأين من آية فى السموات والارض يأمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس القصص او على نبوتهم عليه السلام لمن سألهم من المشركين واليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هم عليه من غير سماع من احد ولا مearسة شئ من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات حيثئذ للاشعار بأن اقتصاص كل طائفة من القصة آية بيّنة كافية على الدلالة على نبوتهم عليه السلام على نحو ما ذكر فى قوله تعالى مقام ابراهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لا ملل من انه لتعد جملة الاعجاز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفى بعض المصاحف هجرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبني اخوته عليه السلام

يعقوب عليه السلام كان يخافهم على يوسف واولا ذلك والاما قالوا هذا القول واعلم انهم لما احكموا العزم ذكروا هذا الكلام واطهروا عند أبيهم انهم فى غاية المحبة ليوسف وفى غاية الشفقة عليه وكانت عادتهم ان يغيثوا عنه مدة الى الرعى فسألوه ان يرسله معهم وقد كان عليه السلام يحب تطيب قلب يوسف فاغتر بقولهم وارسله معهم وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشف لانما قرئ باظهار النونين وبالأدغام باشمام ويفر اشمام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نحبه ونريد الخير به (المسئلة الثانية) فى يرتع ويلعب خمس قرأت (الاولى) قرأ ابن كثير بالنون وبكسر عين ترتع من الارتعاء ويلعب بالياء والارتعاء افضل من رعبت يقال رعبت الماشية الكلا ثمعا رعبا اذا اكثته وقوله ترتع الارتعاء للابل والمواشى وقد اضافوه الى انفسهم لان المعنى ترتع ابلنا ثم نسبوه الى انفسهم لانهم هم السبب فى ذلك الرعى والحاصل انهم اضافوا الارتعاء والقيام بحفظ المال الى انفسهم لانهم بالفن كاملون و اضافوا اللعب الى يوسف لصغره (القرائة الثانية) قرأ نافع كلاهما بالياء وكسر العين من يرتع اضاف الارتعاء الى يوسف بمعنى انه ياشر رعى الابل ليتدرب بذلك فرة يرتع ومرة يلعب كقفل الصبيان (القرائة الثالثة) قرأ ابو عمرو وابن طاهر ترتع بالنون وجزم العين ومثله نلعب قال ابن الاثير اى الرتع الاكل بشره وقيل انه انخصب وقيل المراد من اللعب الاقدام على المباحث وهذا يوصف به الانسان واما نلعب فروى انه قيل لابي عمرو كيف يقولون نلعبوهم اتياء فقال لم يكونوا يموئذ انبياء وايضا جاز ان يكون المراد من اللعب الاقدام على المباحث لاجل انشراح الصدر كإروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لجابر فعلا بكر انلاعبا وتلاعبك وايضا كان لعبهم الاسباق والغرض منه تعلم المحاربة والمقاتلة مع الكفار والدليل عليه قولهم انا ذهبنا نستيق وانما سموه لعبا لانه فى صورته (القرائة الرابعة) قرأ اهل الكوفة كلاهما بالياء وسكون العين ومعناه اسناد الرتع واللعب الى يوسف عليه السلام (القرائة الخامسة) يرتع بالياء ونلعب بالنون وهذا بعيد لانهم انما سألوا ارسال يوسف معهم ليرح هو باللاعب لا ليرحوا باللاعب والله اعلم ﴿ قوله تعالى (قال ائني يحزننى ان تذهبوا به وأخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون) اعلم انهم لما طلبوا منه ان يرسل يوسف معهم اعترض اليهم بشيئين (احدهما) ان ذهابهم به ومفارقة امه بما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة (والثانى) خوفه عليه من الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم اولعهم لقلته اهتمامهم به قيل انه رأى فى النوم ان الذئب شد على يوسف فكان يحذره فن هذا ذكر ذلك وكأنه لفتهم الى المحبة وفى امثالهم البلاء موكل بالنطق وقيل الذئب كانت فى اراضيهم كثيرة وقرئ الذئب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من مذاب الريح اذا أتت من كل جهة فلما ذكر يعقوب عليه السلام هذا الكلام اجابوا بقولهم لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا يوسف وبني اخوته عليه السلام رأى من بنى قومه عليه لئامى به (ان قالوا ليوسف واخوه) اى شقيقه بنيامين وانما لم يذكر

باسمه تلويعا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين لا يرى الى انهم كيف (١٦٠) اكفوا باخراج يوسف من بين من غير تعرض له

حيث قالوا اقتلوا يوسف (احب الى ابينا منا) وحداخبر مع تعدد المبتدأ لان افضل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكور والمؤنث ثم اذا عرفت وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران وفائدة لام الابداء في يوسف تحقيق مضمون الجمل وتأكيد (ونحن عصبه) اى والحال اناجاعة فادرون على الحل والعقد احقاد بالحببة والعصبة والعصابة الشرة من الرجال فصاعدا سواء ذلك لان الامور تعصب بهم (ان انا) في ترجيحها علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمنزل من كفاية الامور بالصغر والقله (لى ضال) اى ذهب عن طريق التعديل اللائق وتزليل كل منا منزله (بين) ظاهر الحال وروى انه كان احب اليه لما يرى فيه من غائب الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا خاض له المحبة بحيث لم يصبر عنه فضاغف حسدهم حتى جعلهم على مباشرة ما قص عنهم (اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا) من جهة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا لبقاين بقضية الصيغة فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان القائل شمعون اودان والبالون كانوا راضين الامن قال لا تقتلوا الخ ففعلوا كما هم القاتلون وادجوا تحت القول المسند الى الجميع اوفاه كل واحد منهم مخاطبا لبقية وهو ادى على مسارعته الى ذلك القول وتكثير ارضنا واخلؤها من الوصف للابهاى ارضا منكرة بجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف والمبهمه (يضل) بالجرم جواب الامر (غالب)

اي يخلص (لكم وجه ابيكم) فيقبل عليكم بكنيته ولا يلتفت (١٦١) عنكم الى غيوك ولا يسهلكم بعيبته احد فذكر الوجه لتصور معنى

اقباله عليهم (وتكونوا) بالجرم عطف على يحل اوبالصب على اضار ان ارالواو بمعنى مع مثل قوله وتكتوا الحق وبشار الخطاب في لكم وما بعدة لئلا يلف في حله على القبول فان اعتناء المرء بشأن نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اعموا كل (من بعده) من بعد يوسف من بعد الفراخ من اسره اوقته او طرحه (قوما صالحين) تائبين الى الله تعالى عما جئتم اوصالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعد عهده اوصالحين في امور دنياكم بانتظامها بعدهم بخلو وجه ابيكم (قال قائل منهم) هو يهودا وكان احسنهم فيه رايوا هو الذي قال فلن ارجع الارض الخو قيل روييل وهو استثنى مني على سؤال من سأل وقال ائتقوا على ما عرض عليهم من خصلي الضع اخطاهم في ذلك احد فقبل قال قائل منهم (لا تقتلوا يوسف) اظهروه في مقام الاخوان استقبالا لشقتهم عليه واستظاما لقتله وهو هو فانه يروي انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الحيلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضت عليهم بقوله (والقوة في غيابة الجب) اي في قعر مغوره مني به الفيتحة عن النساء والجب البئر التي انطويدها لانه ارض حيث جا من غير ان ياد على ذلك شي وقرأ نافع في غيابة الجب في الموضعين كان لتلك الجب غيابة اواراد بالجيب الجبس اي في بعض غيابة الجب وقرئ غيابة وغيبة (بلفظ) باخذ على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط

غائب وياقربا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وروى ان ابراهيم عليه السلام لما اتى في النار جرد عن ثيابه فجاءه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة والبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في ثيجه وعلقها في عنق يوسف عليه السلام فأخرجوه والبسه اياه ثم قال تعالى واوحينا اليه لتبئتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في قوله واوحينا اليه قولان (احدهما) ان المراد منه الوحي والنبوة والرسالة وهذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في انه عليه السلام هل كان في ذلك الوقت بالغوا وكان صبيقال بعضهم انه كان في ذلك الوقت بالغوا وكان سبعة عشر سنة وقال آخرون انه كان صغيرا الا ان الله تعالى اكل عقله وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما في حق عيسى عليه السلام (والقول الثاني) ان المراد من هذا الوحي الالهام كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى وقوله واوحى ربك الى النحل (والاول) اولى لان الظاهر من الوحي ذلك فان قيل كيف يجعله نبيا في ذلك الوقت وليس هناك احد يبلغه الرسالة قلنا لا يمنع ان يشرفه بالوحي والتزويل ويأمره بتبليغ الرسالة بعد اوقات ويكون فائدة تقديم الوحي تأنيسه وتسكين نفسه وازالة الغم والوحشة عن قلبه (المسئلة الثانية) في قوله وهم لا يشعرون قولان (الاول) المراد ان الله تعالى اوحى الى يوسف انك تخبرن اخوتك بصنيعهم بهذا اليوم وهم لا يشعرون في ذلك الوقت بانك يوسف والمقصود تقوية قلبه بأنه سيحصل له الخلاص عن هذه المحنة ويصبر مستويا عليهم ويصبرون تحت قهره وقدرته وروى انهم حين دخلوا عليه لطلب الخطة وعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يدهم فمعه فظن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف فطرحتموه في البئر وقتلتم لايبكم اكله الذئب (والثاني) ان المراد انا ووحينا الى يوسف عليه السلام في البئر بأنك تنبي اخوتك بهذه الاعمال وهم ما كانوا يشعرون بزول الوحي عليه والفائدة في اخفاء نزول ذلك الوحي عنهم انهم لو عرفوه فرما ازداد حسدهم فكانوا يقصدون قتله (المسئلة الثالثة) اذا جلتنا قوله وهم لا يشعرون على التفسير الاول كان هذا امر من الله تعالى نحو يوسف في ان يستتر نفسه عن ابيه وان لا يخبره بأحوال نفسه فلهذا السبب كتم اخبار نفسه عن ابيه طول تلك المدة مع علمه بوجود ابيه به خوفا من مخالفة امر الله تعالى وصبر على تجميع تلك المرارة فكان الله سبحانه وتعالى قد قضى على يعقوب عليه السلام ان يوصل اليه تلك الضموم الشديدة والهجوم العظيمة ليكثر رجوعه الى الله تعالى ويقطع تعلق فكره عن الدنيا فيصل الى درجة مآية في العبودية لا يمكن الوصول اليها الا بتحمل المحن الشديدة والله اعلم قوله تعالى (وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا اباانا اذهبنا نستبق ويتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن من لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على

أخذ شيء مشرف على الضياع (بعض السيادة) اي (٢١) (را) (خا) بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيلة

كألف الجلب وما فيها وفي البعض من الإيهام لتعقيق ما يتوخاه من ترويح (١٦٢) كلامه بما وافقته لغرضهم الذي هو تاني يوسف عنهم

قصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصر جليل والله المستعان على
مانصفون اعلم انهم لما طرخوا يوسف في الجلب رجوا الى ايهم وقت العشاء باكين
ورواه ابن جني عشابض العين والقصر وقال عشوا من البكاء فعند ذلك فرغ يعقوب
وقال هل اصابكم في غنكم شيء قالوا لا قال فاعل يوسف قالوا ذهبناسبق وتركنا يوسف
عندما عنا فأكله الذئب فبكي وصاح وقال ابن القميص فطرحه على وجهه حتى تخضب
وجهه من دم القميص وروى ان امرأة نحاتت الى شريح فبكت فقال الشعبي يا ابا امية
ما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف سيكون وهم ظلة كذبة لا ينبغي للانسان ان يقضي
الاباطق واختلقوا في معنى الاستباق قال الزجاج يسابق بعضهم بعضا في الرمي ومنه قوله
عليه الصلاة والسلام لاسبق الا في خوف او نضل او حار يعني بالنصل الرمي واصل السبق
في الرمي بالسهم هو ان يرمى اثنان ليتبين ايهما يكون اسبق سهما وابدخلوه ثم يوصف
المترايمان بذلك فيقال استبقا وتسابعا اذا فعلا ذلك ليتبين ايهما اسبق سهما ويدل على
صحته هذا التفسير ما روى ان في قراءة عبدالله انا ذهبناسبق فننضل (والقول الثاني) في تفسير
الاستباق ما قاله السدي ومقاتل نسبق نشند ونعدو ليتبين انا اسرع عدوا فان قيل
كيف جاز ان يستبقوا وهم رجال بالفون وهذا من فعل الصيادين قلنا الاستباق منهم كان
مثل الاستباق في الخيل وكانوا يحربون بذلك انفسهم ويدربونها على العدو ولانه كالآلة
لهم في محاربة العدو ومداخلة الذئب اذا اختلس الشاة وقوله فأكله الذئب قبل اكل
الذئب يوسف وقيل عرضوا ارادوا اكل الذئب التاع والوجه هو الاول ثم قالوا وما انت
بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ليس المعنى ان يعقوب عليه
السلام لا يصدق من يعلم انه صادق بل المعنى لو كنا عندك من اهل الثقة والصدق لانهم متسا
في يوسف لشدة محبتك اياه ولظننت ان اقد كذبنا والحاصل انا وان كنا صادقين لكنك
لا تصدقنا لانك تنهمنا وقيل المعنى انا وان كنا صادقين فانك لا تصدقنا لانه لم تظهر عندك
امارة تدل على صدقنا (المسئلة الثانية) احتج اصحابنا بهذه الآية على ان الايمان في اصل
اللغة عبارة عن التصديق لان المراد من قوله وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق واثبت ان
الامر كذلك في اصل اللغة وجب ان يبق في حرف الشرع كذلك وقد سبق الاستصافيه
في اول سورة البقرة في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب ثم قال تعالى وجاؤا على قصه بدم
كذب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انما جاؤا بهذا القميص الملطخ بالدم ليوهم كونهم
صادقين في مقامهم قبل ذبحوا جدبا ولطخوا ذلك القميص بدمه قال القاضي ولعل غرضهم
في ترك قصه بدمه عند القائه في غيبة الجلب ان يفعلوا هذا توكيدا لصدقهم لانه بعد
ان يفعلوا ذلك طمعا في نفس القميص ولا بد في العصبية من ان يقرن بها الخلد لان فلو
خرقوه مع لطخه بالدم لكان الإيهام اقوى فلما شاهد يعقوب القميص صحيحا علم كذبهم
(المسئلة الثانية) قوله وجاؤا على قصه بدم كذب قالوا جاعا على جالهم

يعد من باب التأهب للزور واغابوا عن ذلك بالعيب كونه على هيئة تحقير لما راموه من استحباب يوسف عليه السلام بتصورهم له (باحال)

بصورته بآلامه ساله عليه السلام وفري ترتع وتلمب بالنون (١٦٣) وقرأ ابن كثير ترتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ

يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر الهمزة ويلعب بالرفع على الابتداء (وأنا له لحافظون) من أن يتاله مكروه اكوا مقاتلهم بأصناف التأكيد من إيراد الجمل اسمية وتعليقها بأن واللام واسناد الحفظ إلى كلهم وتقديم له على الخبر اختياراً في تحصيل مقصدهم (قال) استثناف مبني على سؤال من يقول فإذا قال يعقوب عليه السلام قيل قال (أي لغيرني) اللام للإبتداء كافي قوله عن وجل أن ربك ليحكم بينهم (أن تذهبوا به) عنه (و) مع ذلك (أخاف) أن يأكله الذئب لأن الأرض كانت مذابة والحر والقلب يوقوت الحبوب والخوف انزعاج النفس لتزول المكروه ولذلك استدل الأول إلى الذهاب به القوت لا بقرار مصاحبته ومواضعه ليسف والثاني لما يتوقع نزوله من كل الذئب وقيل رأى لها المنام أنه قد شد عليه عليه السلام ذئب وكان يصدده فقال ذلك وقد لقنم العلة أن البلاء موكل بالناطق وقرأ ابن كثير ونافع في رواية البزى بالهمز على الأصل وأبو عمرو به وقفا وعاصم وابن عاصم وحزة ودراج وقيل اشتقاقه من تدهمت الرمح إذا هاجمت من كل جانب وقال الأصمعي الاسم بالعكس وهو أظهر لفظاً ومعنى (وانتم منه حافظون) لا اشتراككم بالرتع واللب اوله والهمزة كالمحفوظة (قالوا) لكن اكله الذئب ونحن عصية أي والجال أنا حاجة كثيرة جدية بأن يعصب بنا الأمور الطاموت كنفي الخطوب بأرائنا وتديراتنا واللام الداخلة على الشرط موثقة للضم

بأجل (المسئلة الثالثة) قال أصحاب العربية وهم الفراء والمبرد والزجاج وابن الأثير بدم كذب أي مكتوب فيه الآله وصف بالمصدر على تقدير دم ذي كذب ولكنه جعل نفسه كذبا للمبالغة قالوا والمفعول والفاعل يعينان بالمصدر كما يقال ماء سكب أي مسكوب ودرهم ضرب الأمير وثوب نسج الخن والفاعل كقوله أن أصبح مأوكم غورا ورجل عدل وصوم ونساء نوح ولما سميا بالمصدر سمى المصدر أيضا بما فاعلوا العقل المعقول والجلد المجلود ومنه قوله تعالى يا أيكم المفتون وقوله إذا هم قتم كل مرق قال الشعبي قصة يوسف كلها في قصه وذلك لأنهم لما القوه في الجب نزعو القصد ولطخوه بالدم وعرضوه على أبيه ولما شهد الشاهد قال أن كان قصه قد من قبل ولما أتى بقميصه إلى يعقوب عليه السلام قال في وجهه ارتد بصيرا ثم ذكر تعالى أن أخوة يوسف لما ذكروا ذلك الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملوخ بالدم قال يعقوب عليه السلام بل سولت لكم أنفسكم أمرا قال ابن عباس معناه بل زينت لكم أنفسكم أمرا والتسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتعانه قال الأزهري كان التسويل تفعل من سؤل الإنسان وهو أميته التي يطلبها فترين لطالها الباطل وغيره وأصله مهموز غير أن العرب استقلوا فيه الهمز وقال صاحب الكشف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء إذا عرفت هذا فنقول قوله بل رد لقولهم أكله الذئب كما أنه قال ليس كما تقولون بل سولت لكم أنفسكم في شأنه أمرا أي زينت لكم أنفسكم أمرا غير ما تصفون واختلפו في السبب الذي به عرف كونهم كاذبين على وجوه (الأول) أنه عرف ذلك بسبب أنه كان يعرف الحسد الشديد في قلوبهم (الثاني) أنه كان عالما بأنه حي لأنه عليه الصلاة والسلام قال ليوسف وكذلك يحنيتك ربك وذلك دليل قاطع على أنهم كاذبون في ذلك (الثالث) قال سعيد بن جبير لما جأوا على قصه بدم كذب وما كان مخفرا قال كذبتم لو أكله الذئب لخرق قصه ومن السدى أنه قال إن يعقوب عليه السلام قال إن هذا الذئب كان رحما فكيف أكل لحمه ولم يخرق قصه وقيل أنه عليه السلام لما قال ذلك قال بعضهم بل قتله للصوص فقال كيف قتلوه وتركوا قصه وهم إلى قصه أحوج منه إلى قتله فلما اختلفت أقوالهم عرف بسبب ذلك كذبهم ثم قال يعقوب عليه السلام فصر جيل وفيه مسائل (المسئلة الأولى) منهم من قال أنه مرفوع بالابتداء وخبره محذوف والتقدير فصر جيل أولى من الجزع ومنهم من أضمر المبتدأ قال الخليل الذي أضاه صبر جيل وقال قطرب معناه فصرى صبر جيل وقال الفراء فهو صبر جيل (المسئلة الثانية) كان يعقوب عليه السلام قد سقط حاجباه وكان يرفهما بخرقه فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الأحران فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب اتشكوني فقال يارب خطيئة أخطأتها فأعفرها لي وروى عن عائشة رضي الله عنها في قصة الأفك أنها قالت والله لئن حلفت لاتصدقوني وإن اعتذرت لاتعذروني بخلي ومثلكم كثر يعقوب وولده فصر جيل والله المستعان على ما تصفون

وقوله (أنا أنا المسارون) جواب مجزئ عن الجزاء أي لها تكون ضمنا وخورا وهجرا أو مستفنون للهلاك ألا خسة

عندنا ولا جدوى في حياتنا أو مستحقون لأن يدهي علينا بالحسار والسمار (١٦٤) ويقال خسرهم الله تعالى ودمهم حيث اكل السذاب

فآثر الله عز وجل في عذرها ما ازل (المسئلة الثالثة) عن الحسن انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله فصر جيل فقال صبر لاشكوى فيه فنيبت لم يصبر ويدل عليه من القرآن قوله تعالى انما لشكوى وحزنى الى الله وقال مجاهد فصر جيل اى من غير جزع وقال الثورى من الصبر ان لا تحدث بوجعك ولا بعصيتك ولا تركى نفسك وههنا بحث وهو ان الصبر على قضاء الله تعالى واجب فاد الصبر على ظلم الظالمين ومكر الماكرين فغير واجب بل الواجب ازالته لاسيما في الضرر العائد الى الغير وههنا اخوة يوسف لما ظهر كتبهم وخيانتهم فلم يصبر يعقوب على ذلك ولم يسالغ في التفتيش والبحث سعيامنه في تخليص يوسف عليه السلام عن البلية والشدة ان كان في الاحياء وفي اقامة التقصاص ان صح أنهم قتلوه ثبت ان الصبر في هذا المقام مذموم وبما يفوى هذا السؤال انه عليه الصلاة والسلام كان طالبا بأنه حتى سليم لانه قال له وكذلك يجزيك ربك ويعلك من تأويل الاحاديث والظاهر انه انما قال هذا الكلام من الوحي واذا كان طالبا بأنه حتى سليم فكان من الواجب ان يسعى في طلبه وايضا ان يعقوب عليه السلام كان رجلا عظيم القدر في نفسه وكان من بيت عظيم شريف واهل العالم كانوا يعرفونه ويعتقدون فيه ويعظمونه فلو بالغ في الطلب والتفحص لظهر ذلك واشهر وزال وجه التليس فاالسبب في انه عليه السلام مع شدة رغبته في حضور يوسف عليه السلام ونهاية حبه له لم يطلبه مع ان طلبه كان من الواجب ثبت ان هذا الصبر في هذا المقام مذموم عقلا وشرعا (والجواب) عنه ان نقول لا جواب عنه الا ان قال انه سبحانه وتعالى منعه عن الطلب تشديدا للصحة عليه وتقليل الاضرار عليه وايضا لانه عرف بقران الاحوال ان اولاده اقوياء وانهم لا يمكنونه من الطلب والتفحص وانه لو بالغ في البحث فرما عاقبوا على ايدائه وقتله وايضا لانه عليه السلام علم ان الله تعالى يصون يوسف عن البلاد والمحنة وان امره سيكف بالآخرة ثم لم يرد هتاك استار سر او اولاده وما رضى بالقائم في آسنة الناس وذلك لان احد الولدين اذا غلب الآخرو وقع الاب في العذاب الشديد لانه ان لم ينقم يحتق قلبه على الولد المظلوم وان اتقم فانه يحتق قلبه على الولد الذي ينقم منه فلما وقع يعقوب عليه السلام في هذه البلية رأى ان الاصبوب الصبر والسكوت وتقويض الامر الى الله تعالى بالكلية (المسئلة الرابعة) قوله فصر جيل يدل على ان الصبر على فحين منه ما قد يكون جيلا وما قد يكون غير جيل فالصبر الجليل هو ان يعرف ان منزل ذلك البلاء هو الله تعالى فثم يعلم ان الله سبحانه مالك الملك ولا اعتراض على المالك في ان يتصرف في ملك نفسه فصرير استغراق قلبه في هذا المقام مانعاه من اظهار الشكاية (الوجه الثاني) انه يعلم ان منزل هذا البلاء حكيم لا يجهل وعالم لا يغفل عليم لا ينسى رحيم لا يطغى واذا كان كذلك فكان كل ما صدر عنه حكمة وصوابا فقد ذلك يسكت ولا يعترض (الوجه الثالث) انه يشكف له ان هذا البلاء من الحق فاستغراقه في شهود نور المبلى يمنعه من الاشتغال

كوكبا تؤنسك فملوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكلن في البرماء فقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها هو سى فنادوه (بالشكابه)

وظن الناحية ادركتهم فاجابهم فاذاذوا ان يرضوه منهم (١٦٥) جودا وكان يأتيه بالطعام كل يوم ويرى ان ابراهيم عليه السلام

حين ألقى في النار وجرد عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقبض من حرر الجنة فالبهاياه فندبه ابراهيم الى الصقي والصحى فاحنى الى يقوب فجعله يقوب في عمية وعقلها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فأخرجوه من الجنة فالبسه اياه (واوحينا اليه) عند ذلك يشهره بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وابناسا له قبل ان ذلك قبل ادراكه كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذذاك مدرسا قال الحسن رضى الله عنه كان له سبع عشرة سنة (لتنبتهم بأمرهم هذا) اى لتخلص مما انت فيه من سوء الخصال وضيق الحال وتصدت لغيرك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) بأنك يوسف تتباين حالك هذا وحالك يومئذ فلو شئت وكبرياء سلطانك وبعدسلكك عن ابراهيم وقيل ليمد اليه المبدل للهيئات المبرر للاشكال والاول ادخل في التسلية دوى الفهم حين دخلوا عليه بمتارين فرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم قرعه فطن فقال انه ليخبرنى هذا الجاه انه

كان لكم اخ من ايسكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقبضوه في غيابة الحب وقتل لايبكم اكله الذئب وبخوه بنى بنى وبخوه ان يتلقوه وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا آسناء الى يحيى وازنا عن قلبه الوحشة التي او رتوه وهم لا يشعرون بذلك ويصرون له مرقق ومستوحش لائس انه وقرئ لتنبئهم بالنون على انه وعيد لهم فقله تعالى وهم لا يشعرون متعلق بأوحينا لاغير (وجاوا اياهم عشاء) آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والضمير جمع اعشى

اي عشوان البكاء (يكون) متباكين روى انه لما سمع يعقوب عليه السلام (١٦٦) بكاهم فرجع وقال ما لكم يا بني وابن يوسف قالوا

يا ابانا اتاهبنا نستبق (اي متسابقين في العدو والرحى وقد يشترك الافعال والتفاعل كالارتضال والتناضل ونظائرهما (وتركنا يوسف عند متاعنا) اي ما نتخذه من الثياب والازواد وغيرها (فاكله الذئب) عقيب ذلك من غير مضي زمان يمتاد فيه التقصد والتهدوحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الفوائد لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ المأمور لاسيما اذا لم يبرحوه ولم يعيخوا عنه فكأنهم قالوا اننا لم نقصر في صافطته ولم نفعل عن مراقبته بل تركناه في مأمننا وبجملنا بمرأى مثالان ميدان السباق لا يكون عادة الابحيت يتراعى غايته وما فرقاه الاساعه يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان (وامانت بمؤمن لنا) يصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره (ولو كنا) عندك وفي اعتقادك (صادقين) موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سي* الظن بنا غير واثق بقولنا وكذا لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق ما بيده الكلام السابق من الحكم الموجب والمتني على كل حال مفروض من الاحوال القارئة له على الاجال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له لظهور بثبوته او انتفاؤه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاسوال بطريق الاولى لما في الشيء حتى تحقق مع الثاني القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يدركه شيء من سائر الاحوال

ويكتفي عنه بذكر الواو والعاطفة للجملة على تلخيصها المقالة لها الشاملة لجميع الاحوال المارة لها عند تعددها وقد تم تفصيله (يوسف)

في سورة البقرة عند قوله تعالى اولوكان (١٦٧) آياؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولوكانا

كارهين (وجازا على قصه)
عنه النصيب على الظرفية من قوله
(بدم) اي جازا فوق تحميمه بدم
كاقول جاء على جاله بأجل
او على الخلية منه والخلاف
في تقدم الحال على الجور فها
اذالم يكن الحال ظرفا (كذب)
مصدر وصفه الدم مبالغة
او مصدر بمعنى المفعول اي
مكذوب فيه او بمعنى ذى كذب
اي ملابس لكذب وقرى ذكرها
على انه حال من الضمير اي جازا
كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة
رضي الله تعالى عنها بغير انجمة
أى كدر وقيل طرى قال ابن
جنى اصله من الكذب وهو اللوق
البياض الذى يخرج على الظفر
الاحداث كأنه دم قد دثر في
خفيه روى انهم ذبوا نخلة
ولطخوه بدمهاوزل عنهم ابن زفوقه
فباسع يعقوب بن يوسف عليهما
السلام صاح بأعلى صوته وقال
ابن التميمي فأخذه وألقاه على
وجهه وبكى حتى خضب وجهه
بدم القميص وقال تالله ما رأيت
كاليوم ذنبا أحمل من هذا كل
ابن ولم يرق عليه قميصه وقيل
كان في قميص يوسف عليه السلام
ثلاث آيات كان دليلا يعقوب
على كذبهم والقاه على وجهه
فارتد بصيرا ودليلا على
برائة يوسف عليه السلام حين
قد من دبر (قال) استئناف
مبنى على سؤال كأنه قيل ما قال
يعقوب هل صدقهم فقالوا ام لا
قيل قال لم يكن ذلك (بل سولت
لكم انفسكم) اي زنت وسهلت
قوله ابن عباس رضي الله عنهما
والتسويل تقدير شئ في
النفس مع الطمع في اتعابه
قال الازهرى كأن التسويل تقويل من سؤل الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزني لطالبها الباطل وغيره واصله مهووز

يوسف هم الذين استخرجوه من البئر وقال محمد بن اسحق ربك اعلم أخوته باعوه أم
السيارة وههنا قول آخر وهو انه يحتمل ان يقال المراد من الشراء نفس الشراء والمعنى أن
القوم اشتروه وكانوا فيه من الزاهدين لانهم علوا بقرائن الحال ان اخوة يوسف كذابون
في قولهم انه عبدنا وربنا عرفوا ايضا انه ولد يعقوب فكرهوا شرائه خوفا من الله تعالى
ومن ظهور تلك الواقعة الاتهم مع ذلك اشتروه بالأخرة لانهم اشتروه بثلث قليل مع انهم
اظهروا من انفسهم كونهم فيه من الزاهدين وغرضهم ان يتوصلوا بذلك الى تقليل الثمن
ويحتمل ايضا ان يقال ان الاخوة لما قالوا انه عبدنا ابقى صار المشتري عديم الرغبة فيه قال
مجاهد وكانوا يقولون استوثقوا منه ثلثا بأق * ثم اعلم انه تعالى وصف ذلك الثمن بصفات
ثلاث (الصفة الاولى) كونه نجسا قال ابن عباس يريد حراما لان ثمن الحر حرام وقال كل
نجس في كتاب الله نقصان الاهدا فانه حرام قال الواحدي سموا الحرام نجسا لانه ناقص
البركة وقال قتادة نجس ظلم والظلم نقصان يقال ظلمه اى نقصه وقال عكرمة والشعبي قليل
وقيل ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا وقيل كانت الدراهم ذبوا ناقصة العيار قال
الواحدي رجه الله تعالى وعلى الاقوال كلها بالنجس مصدر وضع موضع الاسم والمعنى
بثمن نجس (الصفة الثانية) قوله دراهم معدودة قيل تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا
لايزنون الا اذا بلغ اوقية وهي الاربعون ويعدون مادونها ققيلا للقليل معدود لان
الكثيرة يمتنع من عددها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي
اثنين وعشرين درهما قالوا والاخوة كانوا احد عشر فكل واحد منهم اخذ درهمين
الابوذا لم يأخذ شيئا (الصفة الثالثة) قوله وكانوا فيه من الزاهدين ومعنى الزاهد قلعة الرغبة
يقال زهد فلان في كذا اذا لم يرغب فيه واصله القلة يقال رجل زهيد اذا كان قليل الطمع
وفيه وجوه (أحدها) ان اخوة يوسف باعوه لانهم كانوا فيه من الزاهدين (والثاني)
ان السيارة الذين باعوه كانوا فيه من الزاهدين لانهم التقطوه والمثقت لشيء متعاون به
لايأى بأى شئ يبعده اولانهم خافوا ان يظهر المستحق فيزعه من بدهم فلا جرم باعوه بأوكس
الائمان (والثالث) ان الذين اشتروه كانوا فيه من الزاهدين وقد سبق توجيه هذه الاقوال
فيما تقدم والضمير في قوله فيه يحتمل ان يكون عائنا الى يوسف عليه السلام ويحتمل ان يكون
حائدا الى الثمن النجس والله اعلم * قوله تعالى (وقال الذى اشتراه من مصر لأمرأته
اكرهى مثواه عسى ان ينفعنا او يتخذ ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من
تأويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) اعلم انه ثبت في الاخبار ان الذى اشتراه امان الاخوة او من الواردين
على المادذهب به الى مصر وباعه هناك وقيل ان الذى اشتراه قطفرا واظنر وهو العزيز
الذى كان بلى خزائن مصر والملك يومئذ الزيان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن
يوسف ومات في حياة يوسف عليه السلام فلك بعده قابوس بن مصعب فدعا يوسف الى
قال الازهرى كأن التسويل تقويل من سؤل الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزني لطالبها الباطل وغيره واصله مهووز

وقيل من السؤل وهو الاسترخاء (أمر) من الأمور منكرا لا يوصف ولا يعرف (١٦٨) (فصير جيل) أي فأمرى صير جيل

أوفصير جيل أجل أو أمثل وفي الحديث الصبر الجليل الذي لا شكوى فيه أي إلى التلطف والافتقار قال يعقوب عليه السلام إنما اشكوى بني وحزني إلى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بصصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله عن وجل إليه يا يعقوب تشكوى قال يارب خطيئة فأغفره لي وقرأ أبي فصبرا جيلا (والله المستعان) أي المطلوب منه العون وهو إنشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة (على ما تصفون) على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا و اظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحانه ربك وب العزة عما يصفون وهو الايقى بما يحسى من قوله تعالى فصبر جيل عسى الله ان يأتيهم جيما وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزق فيه بإياه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك ولا تصاعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اخبر اليه (وجاءت) شروع في بيان ما جرى على يوسف في الحبس بعد الفراق من ذكر ما وقع بين اخوته وبين اباه والتميز بالجي ليس بالنسبة إلى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب المصري من مدين بل إلى مكان يوسف وفي يافه على المرور أو الاتيان أو نحوهما إيعاء إلى كونه عليه السلام في الكرامعة التي عند ملك مقتدر والظاهر ان الجلب كان في ام الشتاء فان المتبادر من اسناد الجي إلى السيارة مطلقا في قوله عن وجل وجعلت (سيارة) (عن)

اي رقة تسير من جهة مدين الى مصر (١٦٩) وقوعه باعتبار سيرهم المتعاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف بلفظه بعض

عن حكمه في ارضه وسعائه (والثاني) والله غالب على امره يوسف يعنى ان انتظام اموره كان الهياوما كان بسعيه واخوته ارادوا به كل سوء ومكروه والله اراده الخير فكان كما اراد الله تعالى ودبر ولكن اكل الناس لا يعملون ان الامر كله بيد الله واعلم ان من تأمل في احوال الدنيا ومجائب احوالها عرف وتيقن ان الامر كله لله وان قضاء الله غالب **قوله تعالى** (ولما بلغ اشدّه آتيناه حكماء وعلماء وكذلك تجزى المحسنين) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) وجه النظم ان يقال بين تعالى ان اخوته لما اسأوا اليه غم انه صبر على تلك الشدائد والحن مكنته الله تعالى في الارض ثم لما بلغ اشدّه آتاه الله الحكم والعلم والمقصود بيان ان جميع ما فاز به من النعم كان كالجزاء على صبره على تلك الحن ومن الناس من قال ان النبوة جزاء على الاعمال الحسنة ومنهم من قال ان من اجتهد وصبر على بلاء الله تعالى وشكر نعماء الله تعالى وجد منصب الرسالة واحتجبوا على صحبة قوله لهم بأنه تعالى لما ذكر صبر يوسف على تلك الحن ذكر انه اعطاه النبوة والرسالة ثم قال وكذلك تجزى المحسنين وهذا يدل على ان كل من اتى بالطاعات الحسنة التي اتى بها يوسف فان الله يعطيه ثلث المناصب وهذا بعيد لا تفارق العلماء على ان النبوة غير مكتسبة واعلم ان من الناس من قال ان يوسف ما كان رسولا ولا نبيا البتة وانما كان عبدا اطاع الله تعالى فأحسن الله اليه وهذا القول باطل بالاجماع وقال الحسن انه كان نبيا من الوقت الذي قال الله تعالى في حقه واوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا وما كان رسولا ثم انه صار رسولا من هذا الوقت أعنى قوله ولما بلغ اشدّه آتيناه حكماء وعلماء ومنهم من قال انه كان رسولا من الوقت الذي ألقى في غيابة الجب (المسئلة الثانية) قال أبو عبيدة تقول العرب بلغ فلان اشدّه اذا انتهى منه في شيا به وقوته قبل أن يأخذ في نقصان وهذا اللفظ يستعمل في الواحد والجمع يقال بلغ اشدّه وبلغوا اشدّهم وقد ذكرنا تفسير الاشد في سورة الانعام عند قوله حتى يبلغ اشدّه واما التفسير فروى ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس ولما بلغ اشدّه قال ثلاثا وثلاثين سنة وأقول هذه الرواية شديدة الانطباق على القوانين الطبية وذلك لان الاطباء قالوا ان الانسان يحدث في اول الامر ويترادى كل يوم شيئا نشيئا الى ان ينتهي الى غاية الكمال ثم يأخذ في التراجع والانتقاص الى ان لا يبقى منه شيء فكانت حالته شبهة بحال القمر فانه يظهر هلالا ضعيفا ثم لا يزال يزداد الى ان يصير بدرا تاما ثم يتراجع الى ان ينتهي الى العدم والحاق اذا عرفت هذا فنقول مدة دور القمر ثمانية وعشرون يوما وكسرها فاذا جعلت هذه الدورة أربعة اقسام كان كل قسم منها سبعة أيام فلا جرم رتبوا احوال الابدان على الاسابيع فالانسان اذا ولد كان ضعيف الخلقه نحيف التركيب الى ان يتم له سبع سنين ثم اذا دخل في السبعة الثانية حصل فيه آثار الفهم والذكاء والقوة ثم لا يزال في الترقى الى ان يتم له اربع عشرة سنة فاذا دخل في السنة الخامسة عشرة دخل في الاسبوع الثالث وهناك يكمل العقل ويبلغ الى الحد التكليف اي قطعت للتجارة (والله اعلم بما يعملون) وعيد لهم على (٢٢) (١) (خا) ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو عرضة للابتذال

بالبیع والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل (وشروه) اى باعوه والصغير للوارد (١٧٠) واصحابه (غن بخش) ذيف ناقص العيار (دراهم)

وتحرك فيه الشهوة ثم لا يزال يرتقى على هذه الحالة الى أن يتم السنة الحادية والعشرين وهناك يتم الاسبوع الثالث ويدخل في السنة الثانية والعشرين وهذا الاسبوع آخر أسابيع النشو والتناء فاذا تمت السنة الثامنة والعشرون فقد تمت مدة النشو والنماء وينتقل الانسان منه الى زمان الوقوف وهو الزمان الذي يبلغ الانسان فيه أشده وبتمام هذا الاسبوع الخامس يحصل للانسان خمسة وثلاثون سنة ثم ان هذه المراتب مختلفة في الزيادة والنقصان فهذا الاسبوع الخامس الذي هو اسبوع الشدة والكمال يتبدأ من السنة التاسعة والعشرين الى الثالثة والثلاثين وقد تمتد الى الخامسة والثلاثين فهذا هو الطريق المعقول في هذا الباب والله أعلم بحقائق الاشياء (المسئلة الثالثة) في تفسير الحكم والعلم وفيه اقول (الاول) ان الحكم والحكمة اصلهما حبس النفس عن هواها ومنعها عما يشينها فالرأد من الحكم الحكمة العملية والمراد من العلم الحكمة النظرية وانما قدم الحكمة العملية هنا على العملية لان اصحاب الرياضات يشتغلون بالحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية وأما اصحاب الافكار العقلية والانظار الروحية فانهم يصلون الى الحكمة النظرية أولاً ثم يتزلون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه السلام هو الاول لانه صبر على البلاء والمحنة ففتح الله تعالى عليه ابواب المكاشفات فلهاذا السبب قال آتيناها حكماً وهماً (القول الثاني) الحكم هو النبوة لان النبي يكون حاكماً على الخلق والعلم علم الدين (القول الثالث) يستحيل ان يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المنطقية حاكمة على نفسه الامارة بالسوء مستعيلة عليها قاهرة لها ومتى صارت القوة الشهوانية والقضائية مقهورة ضعيفة قاضت الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس وتحقق القول في هذا الباب ان جوهر النفس الناطقة خلقت قابلة للمعارف الكلية والانوار العقلية الا انه قد ثبت عندنا بحسب البراهين العقلية وبحسب المكاشفات العلوية ان جوهر الارواح البشرية مختلفة بالماهيات فمنها ذكية وبلدية ومنها حرة ونذلة ومنها شريفة وخسيسة ومنها عظيمة المبل الى عالم الروحانيات وعظيمة الرغبة في الجسمانيات فهذه الاقسام كثيرة وكل واحد من هذه المقامات قابل للاشوا الاضعف والاكل والافقص فاذا اتفق ان كان جوهر النفس الناطقة جوهرها مشرقاً شريفاً شديد الاستعداد لقبول الاضواء العقلية والوالمح الالهية فهذه النفس في حال الصغر لا يظهر منها هذه الاحوال لان النفس الناطقة انما تقوى على افعالها بواسطة استعمال الآلات الجسدية وهذه الآلات في حال الصغر تكون الرطوبات مستوية عليها فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن فضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت تلك الآلات البدنية صالحة لان تستعملها النفس الانسانية واذا كانت النفس في اصل جوهرها شريفة فعند كمال الآلات البدنية تكمل معارفها وتقوى انوارها وبِعظم

بدل من نحن اى لا دنا نيد (معدودة) اى غير موزونة فهو بيان لقضائه وقضائه مقدار ابد بيان تقضائه في نفسه اذ المعداد قيميا لا يبلغ اربعين العددون الوزن فعن ابن عباس رضى الله عنهما انها كانت عشرين درهما وعن السدي رضى الله عنه انها كانت اثنين وعشرين درهما (وكانوا) اى الباقون (فيه) فى يوسف (من الزاهدین) من الذين لا يرغبون فيما بأيديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الشئ الجسدي وسبب ذلك انهم التفتوه والمنتطف لكلى مهان يعدوا غير واثق بأمره يخاف ان يظهر له مسعق فينتزع منه فيديه من اول مساوم بأوكس من ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكى وهم غير راضين في شرائه شئية ذهب ما لهم لما ظن في أكرالهم من الاياق والعدول عن صيغة الاتصال المنبهة عن الاتخاذ لاسر من ان اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتناب والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدین ان جعل اللذام للتعريف وبين المازهدوا فيه ان جعلت موصولة كالانه قيل في اى شئ زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول (وقال الذى اشتراه من مصر) وهو العزيز الذى كان على خزائنه واسمه تظهير أو اظهير وبيان كونه من مصر لقية ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من المتطهين بما ذكر من الشئ الجسدي وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد الجليلقي و مات في حياة يوسف عليه السلام بعد

أن آمن به فلذلك بعده قابوس بن مصعب قدمه الى الاسلام فأبى وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربع مائة (لعان)

سنة لقوله عن وجده ولقد جاءكم يوسف من قبل (١٧١) بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والا يمتنع قبيل خطاب

للعن الاضواء فيما فقوله ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله آتيانه حكما وعلم اشارة الى استكمال النفس في قوتها العملية والنظرية والله اعلم * قوله تعالى (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذلة انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون) اعلم ان يوسف عليه السلام كان في غاية الجمال والحسن فلما راها المرأة طمعت فيه ويقال ايضا ان زوجها كان عاجزا يقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه اذا حاول كل واحد منهما الوطء والجماع وغلقت الابواب والسبب ان ذلك العمل لا يؤدي به الا في المواضع المستورة لاسيما اذا كان حراما ومع قيام الخوف الشديد وقوله وغلقت الابواب اي اغلقتها قال الواحدى واصل هذا من قولهم في كل شيء تشبث في شيء فلزمه قد غلق يقال غلق في الباطل وغلغ في غضبه ومنه غلق الرهن ثم بعدى بالالف يقال اغلق الباب اذا جعله بحيث يصعب فتحه قال المفسرون وانما جاء غلقت على التكرير لانها غلقت سبعة ابواب ثم دعت الى نفسها ثم قال تعالى وقالت هيت لك وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى هيت لك اسم للفعل نحو رويدا وصه ومه ومعناه هلم في قول جميع اهل اللغة وقال الاخفش هيت لك مقنونة الهاء والتاء ويجوز ايضا كسر التاء ورفضها قال الواحدى قال ابو الفضل المنذرى افادني ابن التبريزي عن ابني زيد قال هيت لك بالعبرانية هيلج اي تعال حربه القرآن وقال الفراء انه لغة لاهل حوران سقطت الى بكة فتكلموا بها قال ابن الانباري وهذا وافي بين لغة قريش واهل حوران كما تفقت لغة العرب والروم في القسطنطينية ولغة العرب والفرس في السجيل ولغة العرب والترك في القساق ولغة العرب والحبيشة في ناشئة الليل (المسئلة الثانية) قرأ نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان هيت بكسر الهاء وقح التاء وقرأ ابن كثير هيت لك مثل حيث وقرأ هشام بن عمار عن ابني عامر هيت لك بكسر الهاء همز الباء وضم التاء مثل جئت من ثياتك والباقون بفتح الهاء واسكان الباء وقح التاء ثم انه تعالى قال ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام قال يوسف عليه السلام معاذ الله انه ربي احسن مثواي فقوله معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا والضمير في قوله انه للشان والحديث ربي احسن مثواي اي ربي وسيدى ومالكي احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فلا يليق بالقل ان اجازبه على ذلك الاحسان بهذه الخيانة الفجيحة انه لا يفلح الظالمون الذين يحازون الاحسان بالاسامة وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم اولان علمهم يقتضي وضع الشيء في غير موضعه وههنا سؤالات (السؤال الاول) ان يوسف عليه السلام كان حرا وما كان عبدا لحد فقوله انه ربي يكون كذا وذلك ذنب وكبيرة (والجواب) انه عليه السلام أجرى هذا الكلام بحسب الظاهر وعلى وفق ما كانوا يعتقدون فيه من كونه عبدا له وايضا انه ربه وانتم عليه بالوجوه الكثيرة ففني بكونه ربه كونه مرياله وهذا من باب المعارض الحسنة فان اهل الظاهر يحملونه على تمكن لكم اي ما لم تفكركم فيها او تمكنكم فيها في الارض الخ والمعنى كما جعلناه مثوى كريما في منزل العزيز او مكناكم هليا في قلبه حتى

امرامرأيدون سائر حواشيها بآكرام مئواه جعلناه مكانة (١٧٢) رقيقة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجهها بين اهلها ومحبيها

كونه رباله وهو كان يعني به انه كان مربياه ومنعها عليه (السؤال الثاني) هل يدل قول يوسف عليه السلام معاذ الله على صحة مذهبنا في القضاء والقدر (والجواب) انه يدل عليه دلالة ظاهرة لان قوله عليه السلام اعوذ بالله معاذاً طلب من الله ان يعينه من ذلك العمل وتلك الاعادة ليست عبارة عن اعطاء القدر والعقل والآلة وازاحة الاعذار وازالة الموانع وفصل اللطاف لان كل ما كان في مقدور الله تعالى من هذا الباب فقد فعله فيكون ذلك اما طلبا لتحصيل الحاصل او طلبا لتحصيل المستع وانما محال فعلمنا ان تلك الاعادة التي طلبها يوسف من الله تعالى لانه انما خلق فيه داعية جازمة في جانب الطاعة وان يزيل عن قلبه داعية المعصية وذلك هو المطلوب والدليل على ان المراد ما ذكرناه ما نقل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقع بصره على زينب قال ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وكان المراد منه تقوية داعية الطاعة وازالة داعية المعصية فكذا ههنا وكذا قوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فالمراد من الاصبعين داعية الفعل وداعية الترك وهاتان الداعيتان لا يحصلان الا بخلق الله تعالى والا لا تفترق الى داعية اخرى ولزم التسلسل فثبت ان قول يوسف عليه السلام معاذ الله من أدل الدلائل على قولنا والله اعلم (السؤال الثالث) ذكر يوسف عليه السلام في الجواب عن كلامها ثلاثة اشياء (احدها) قوله معاذ الله (والثاني) قوله تعالى عنه انه ربى احسن مئواى (والثالث) قوله انه لا يفلح الظالمون فاجوبه تعلق بعض هذا الجواب ببعض (والجواب) هذا الترتيب في غاية الحسن وذلك لان الانقياد لامر الله تعالى وتكليفه اهم الاشياء لكثرة انعامه والطفاف في حق العبد فقوله معاذ الله اشارة الى ان حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل وايضا حقوق الخلق واجبة الرماية فلا كان هذا الرجل قد انعم في حق يقبح مقابلة انعامه واحسانه بالاساءة وايضا صون النفس عن الضرر واجب وهذه اللفة لذة قليلة ويتبعها خزي في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة واللفة القليلة اذا لمها ضرر شديد فالعقل يقتضى تركها والاحتراز عنها فقوله انه لا يفلح الظالمون اشارة اليه فثبت ان هذه الاجابات الثلاثة مرتبة على احسن وجوه الترتيب **وقوله تعالى** (ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) اعلم ان هذه الآية من المهمات التي يجب الاعتناء بالبحث عنها وفي هذه الآية مسائل (المسئلة الاولى) في انه عليه السلام هل صدر عنه ذنب ام لا وفي هذه المسئلة قولان (الاول) ان يوسف عليه السلام هم بالفاحشة قال الواحدي في كتاب البسيط قال المفسرون الموثوق بعلمهم المرجوع الى روايتهم هم يوسف ايضا بهذه المرأة هما جميعا وجلس منها مجلس الرجل من المرأة فلما رأى البرهان من ربه زالت شدة شهوة عنه قال جعفر الصادق رضى الله عنه باسناده عن علي عليه السلام انه قال طمعت فيه وطمع فيها فكان طمعه فيها انه هم ان يحل التكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال حل الهيمان

في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدى الى الغاية المذكورة في قوله تعالى (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) اى وقته لتعريف بعض المنامات التي عدها رؤيا الملك وصاحي المحرم لقوله تعالى ذلكم اعمام على ربي سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كما نقول ومثل ذلك التمكن مكنيا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة عمال عبيته ليرتب عليه ما ترتب بجماري بينه وبين امرأة العزيز ولنعلم بعض تأويل الاحاديث وهو تأويل الرؤيا المذكورة فيؤدى ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه كونه لعل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فلنلذذنا بالتكئين دون غيرها مما ليس له عاقبة جيدة هذا ولا ينبغي عليك ان الذى عليه تدور هذه الامور انما هو التمكن في جانب العزيز واما التمكن في جانب الناس كافة فتأنيته الى ذلك انما هو باعتبار اشتغاله على ذلك التمكن فاذا ان الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنيا ليوسف على ان يكون هو عبارة عن التمكن في قلب العزيز اوق سنزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملازمة انه عزيز فيها لانه يمكن آخر يشبه به كماله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر قصد تشبيه هذا الجمل به فالكان مقسم للدلالة على فضاعة شان المشار اليه انما لا يكاد يذكر في لغة العرب ولا غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يجفل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما (وجلس)

التكئين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر (١٧٣) والنهي فهو من آثار ذلك التعليم وتناجيه المضرعة عليه كما عرفته لامن

هاديه المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غايه له ولم يهد منه عليه السلام في تضاعيف قضائه العمل بموجب المنامات المنتهية على الحوادث قبل وقوعها عهدا مصححا لجله غايه لولايته وما وقع من التدارك في امر السنين

فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المهودة اللهم الان يراد بتعليم تأويل الاحاديث ماسبق من فهم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حثيثا مكناله في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه

معاني كتب الله وحكامها ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيقضى بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غيبر متأخر عن تحكيكه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من التوازل متأخر عن ذلك صالح لان يكون غايه له (والله غالب على امره) لا يستعصى عليه امر ولا يافقه شيء بل انما امره لشيء اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شأنه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او متول على امر يوسف لا يكله الى غيره وقدا ريد به من الفتنة ما يزيد مرة غمرة فلم يكن الامار اذ الله له من الصابية الحبيدة (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) ان الامر كذلك فيأتون وينرون زعمانهم ان لهم من الامر شيئا والى لهم ذلك وان الامر كله تقعز وجل ولا يعلمون لطائف منه وخفايا فضله (والبالغ اشده) اي منتهى بلوغ الحلم والاول هو الاظهر

وجلس منها مجلس الخائن وعنه انها استقلت له وجلس بين رجلها يرتع ثيابه ثم ان الواحدى طول في كلمات عديدة الفائدة في هذا الباب وما ذكر آية يتحجج بها ولا حديثا صحيحا يعول عليه في تصحيح هذه المقالة وما أمكن النظر في تلك الكلمات العارضة عن الفائدة روى ان يوسف عليه السلام لما قال ذلك ليعلم ان لم أخنه بالقيب قال له جبريل عليه السلام ولا حين همت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما يرى نفسي ثم قال والذين اثبتوا هذا العمل ليوسف كانوا اعرف بحقوق الانبياء عليهم السلام وارتفاع منازلهم عند الله تعالى من الذين نفوا الهم عنه فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب (والقول الثاني) ان يوسف عليه السلام كان برأ عن العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والتكلمين وبه نقول وعنه تذب * واعلم ان الدلائل الدالة على وجوب عصمة الانبياء عليهم السلام كثيرة ولقد استقصيناها في سورة البقرة في قصة آدم عليه السلام فلا نعيد بها الا اننا نزيد ههنا وجوها (فالجاءه الاولى) ان انزانا من منكرات الكبرياء واختلانة في معرض الامانة ايضا من منكرات الذنوب وايضا مقابلة الاحسان العظيم بالاساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد ايضا من منكرات الذنوب وايضا الصبي اذا تربى في حجر انسان وبقي مكفى المؤنة مصون العرض من أول صباه الى زمان شبابه وكال فوته فاقدام هذا الصبي على ايصال اقبح انواع الاساءة الى ذلك المنعم العظيم من منكرات الاعمال اذ ثبت هذا فنقول ان هذه المعصية التي نسبوها الى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الاربع ومثل هذه المعصية لو نسبت الى افسق خلق الله تعالى وايدهم عن كل خير لاستنكف منه فكيف يجوز اسنادها الى الرسول عليه الصلاة والسلام المؤيد بالمجربات القاهرة الباهرة ثم انه تعالى قال في غير هذه الواقعة كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء وذلك يدل على ان ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه ولا شك ان المعصية التي نسبوها اليه اعظم انواع السوء والفحش اقسام الفحشاء فكيف يليق برب العالمين ان يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئا من السوء مع انه كان قد أتى باعظم انواع السوء والفحشاء وايضا فالآية تدل على قولنا من وجه آخر وذلك لاننا نقول هب ان هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه لانه لا شك انها تنبذ المدح العظيم والثناء البالغ فلا يليق بحكمة الله تعالى ان يحكى عن انسان اقدامه على معصية عظيمة ثم انه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والاثنية عقيب ان حكى عند ذلك الذنب العظيم فان مثاله ما اذا حكى السلطان عن بعض عبيده اقبح الذنوب والفحش الاعمال ثم انه يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبها فان ذلك يستنكر جدا فكذا ههنا والله اعلم (الثالث) ان الانبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة او هفوة استعظموا ذلك واتبعوها باظهار التدامة والتوبة والتواضع ولو كان يوسف عليه السلام اقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال ان لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو اتى اشتداد جرمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى اربعين سن الشبَاب ومبدأ بلوغ الحلم والاول هو الاظهر

لقله تعالى (آيتاه حكما) حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين (١٧٤) الناس وقها اونوة (وعلا) اى تفقها في الدين وتشكرهما

للتخفيف اى حكما وعلا لا يكتسه
كنهما ولا يقدرا قدرهما فها
ما آاه الله تعالى عند تكامل قواه
سواء كانا عبارة عن النبوة
والحكم بين الناس او غيرهما
كيف لا وقد جعل ايتاؤهما
جزاء لعمله عليه السلام حيث
قيل (وكذلك) اى مثل ذلك
الجزء العجيب (يجرى الحسنين)
اى كل من يحسن في عمله فيجب
ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله
الحسنة التي من جعلتها معاناة
الاحزان والشدائد وقد فسر
العلم بنسب تأويل الاحاديث
ولاحصة له الا ان يخص بعلم
تأويل رؤيا الملك فان ذلك حيث
كان عند تنامي ايام البلاد صح
ان يمد ايتاؤه من جهة الجراء
واما رؤيا صاحي السجن فقد
لبث عليه السلام بعد تبيدها
في السجن بضع سنين وفي تعليق
الجزء المذكور بالحسين اشعار
بعلية الاحسان له وتبيينه على انه
سجانه انما آاه لكونه محسنا في
اعماله متقبيا عنوان امره هل
جزاء الاحسان الا الاحسان
(ورادته الى هوى بيتها) رجوع
الشرح ماجرى عليه في منزل
العزيم بعد ما امر امراته باكرام
منه و قوله تعالى وكذلك كننا
ليوسف الى هنا اعتراض بئى به
اموذجنا للقصص ليعلم السامع من
اول الامر ان ما لقيه عليه السلام
من الفتن التي سخرت بتفاسيلها
له غاية حيلة وعافية جيدة وانه
عليه السلام محسن في جميع اعماله
لم يصدر عنه في سائر السراء
والضراء ما يغفل بزاهته ولا يغفل
ان مدارح حسن القلص الى هذا
الاعتراض قبل تمام الآية
الكرمية انما هو التحسين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجاء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك (يوسف)

بالتوبة لحكى الله تعالى عنه آيتاه بها كافي سائر المواضع وحيث لم يوجد شئ من ذلك علمنا
انه ماصدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا مصيبة (الرابع) ان كل من كان له تعلق بتلك
الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه
الواقعة يوسف عليه السلام وتلك المرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين شهد
ببراءته من الذنب وابليس اقر ايضا ببراءته عن المعصية واذا كان الامر كذلك فيقتل لم يبق
للمسلم توقف في هذا الباب. اما بيان ان يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو
قوله عليه السلام هي راودتني عن نفسي وقوله عليه السلام رب المعجن أحب الى مما
يدعونني اليه. واما بيان ان المرأة اعترفت بذلك فلانها قالت للفسوة ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم وايضا قالت الآن حصص الحق اثاراودته عن نفسه وانه لمن الصادقين. واما
بيان ان زوج المرأة اقر بذلك فهو قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض
عن هذا واستغفر لذنبك. واما الشهود فقد شهدوا ببراءته عليه السلام وشهد شاهد من اهله ان كان قصصه
قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين. واما شهادة الله تعالى بذلك فقوله كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على
طهارته اربع مرات (أولها) قوله لنصرف عنه السوء واللام للتأكيد والمبالغة
(والثاني) قوله والفحشاء اى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء (والثالث) قوله انه من
عبادنا مع انه تعالى قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما (والرابع) قوله المخلصين وفيه قراءتان تارة باسم الفاعل وأخرى
باسم المفعول فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقرابات مع صفة
الاخلاص ووروده باسم المفعول يدل على ان الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته
وعلى كلال وجهين فانه من ادل الانقاط على كونه منزها عما أضافوه اليه. واما بيان ان
ابليس اقر بطهارته فلانه قال فبعزتك لا غويزهم اجمعين الاعداءك منهم المخلصين فقرأناه
لا يمكنه اغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى انه من عبادنا المخلصين فكان هذا
اقرارا من ابليس بانه ما اغواء وما أضله عن طريق الهدى وعند هذا نقول هؤلاء الجهال
الذين نسبوا الى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة ان كانوا من اتباع دين الله تعالى
فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وان كانوا من اتباع ابليس وجنوده فليقبلوا شهادة
ابليس على طهارته ولعلمهم بقولون كنان في اول الامر تلامذة ابليس الى ان تخرجنا عليه
فردنا عليه في السفاهة كما قال الخوارزمي

و كنت امرأ من جند ابليس فارتقى * بي الدهر حتى صار ابليس من جندي

فلومات قبلي كنت أحسن بعده * طرائق فسقى ليس يحسنها بعدي

فتبت بهذه الدلائل ان يوسف عليه السلام برى عما يقوله هؤلاء الجهال واذا عرفت هذا
فتقول الكلام على ظاهر هذه الآية يقع في مقامين (المقام الاول) ان نقول لانسلم ان

الكرمية انما هو التحسين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجاء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك (يوسف)

مكننا كافله الجمهور تاء من التقريب فتأمل والمرادة (١٧٥) المطالبة من راد يروء اذاجا، وذهب اطلب شئ ومنه الرأى

يوسف عليه السلام هم بها والدليل عليه انه تعالى قال وهم بها لولا ان رأى برهان ربه
وجواب لولا هنا مقدم وهو كما يقال قد كنت من الهالكين لولا ان فلانا خلصك وطعن
الزجاج في هذا الجواب من وجهين (الاول) ان تقديم جواب لوشاذ وغير موجود في
الكلام الفصيح (الثاني) ان لولا يجاب جوابها باللام فلو كان الامر على ما ذكرتم لقال
ولقد هممت ولم بها لولا وذكر غير الزجاج سؤال الثالث هو انه لو لم يوجد لهم لما كان لقوله
لولا ان رأى برهان ربه فائدة واعلم ان ما ذكره الزجاج بعيد لانفسه ان تأخير جواب لولا
حسن جائز الا ان جوازها لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب وكيف ونقل عن سيديوه
انه قال انهم يقدمون الهم فالاهم والذي هم بشأنه اعنى فكان الامر في جواز التقديم
والأخير مر بوطايشة الاتهام واما تعيين بعض الالفاظ بالنفع فذلك مما لا يليق بالحكمة
وايضا ذكر جواب لولا باللام جائزا ما هذا الا يدل على ان ذكره بغير اللام لا يجوز نعم انما ذكر
آية اخرى تدل على فساد قول الزجاج في هذين السؤالين وهو قوله تعالى ان كادت لتدسى
به لولا ان ربطنا على قلبها (واما السؤال الثالث) وهو انه لو لم يوجد لهم لم يبق لقوله لولا
ان رأى برهان ربه فائدة فتقول بل فيه اعظم الفوائد وهو بيان ان ترك الهم بها ما كان
لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن بل لاجل ان دلائل دين الله منعه من ذلك
العمل ثم نقول ان الذي يدل على ان جواب لولا ما ذكرناه ان لولا تستدعي جوابا وهذا
المذكور يصلح جوابا له فوجب الحكم بكونه جوابا له لا يقال ان اضطره جوابا وترك
الجواب كثير في القرآن لانفقول لاتزاع انه كثير في القرآن الا ان الاصل ان لا يكون
محدوفا وايضا فالجواب انما يحسن تركه وحذفه اذا حصل في اللفظ ما يدل على تعينه
وهنا بتقدير ان يكون الجواب محذوفا فليس في اللفظ ما يدل على تعين ذلك الجواب فان
ههنا انواعا من الاضمارات يحسن اضمار كل واحد منها وليس اضمار بعضها اولى من
اضمار الباقي فظهر الفرق والله اعلم (المقام الثاني) في الكلام على هذه الآية ان نقول
سلنا ان الهم قد حصل الا انفقول ان قوله وهم بها لا يمكن حمله على ظاهره لان تعليق الهم
بذات المرأة محال لان الهم من جنس القصد والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية ثبتت انه
لا بد من اضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وذلك الفعل غير مذكور فهم زعموا
ان ذلك المضمر هو ايقاع الفاحشة بها ونحن نضمر شيئا آخر غير ما ذكرناه وبانه من وجوه
(الاول) المراد انه عليه السلام هم بدفعه عن نفسه ومنعها عن ذلك الفحج لان الهم هو
القصد فوجب ان يحتمل في حق كل احد على القصد الذي يليق به فاللائق بالمرأة القصد الى
تحصيل اللذة والسم والتمتع واللائق بالرسول المبعوث الى الخلق القصد الى جرح العاصي
عن معصيته والى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقال هممت بفلان اى بضربه ودفعه
فان قالوا فلي هذا التقدير لا يبق لقوله لولا ان رأى برهان ربه فائدة فلناب فيه اعظم
الفوائد وبانه من وجهين (الاول) انه تعالى اعلم يوسف عليه السلام انه لو هم بدفعها

لطلب الماوال الكلام هو مفاعلة
من واحد نحو مطالبة الدائن
ومطالبة المدين ومداواة الطبيب
ونظائرهما مما يكون من احد
الجانبيين الفعل ومن الآخر سببه
فان هذه الافعال وان كانت
صادرة عن احد الجانبين لكن لما
كانت اسبابها صادرة عن الجانب
الآخر جعلت كالفعل صادرة
عنهما وهذا باب لطيف المسالك
يقى على اعتبار دقيق تحقيقه
ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق
عليه اسم كافي في قولهم كادتن
تدائن اى كما تجزى تجزى فان
فعل البادئ وان لم يكن جزءا
لكنه لكونه سببا للجواب أطلق
عليه اسمه وكذلك ارادة القيام
الى الصلاة و ارادة قرء القرآن
كالتسا سببا للقيام والقرأة
هبر عنهما بهما قيل اذا قم الى
الصلاة فاذا قرأت القرآن و هذه
قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت
اسباب الافعال المذكورة فيما
نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل
لجانب فاعلها فان مطالبة الدائن
للمطالبة التي هي من جانب الغريم
وهي منه لمطالبة التي هي من
جانب الدائن وكذا مداواة
الطبيب للمريض الذي هو من
جانب المريض وكذلك مداواة
فما نحن فيه لجمال يوسف عليه
السلام نزل صدورها عن عملها
بمؤلة صدور مسيئتها الى هي تلك
الافعال فبني الصيغة على ذلك
وروي جانب الحقيقة بان اسند
الفعل الى الفاعل واقع على
صاحب السبب فتأمل ويجوز
ان ارد بصيغة المبالغة تعجب المبالغة
وقيل الصيغة على بابها معنى انها
طلبت منه الفعل وهو ما التزم
(عن نفسه) اى طلت ما يفضل

ويجوز ان يكون من الرويد وهو الرقيق والفضل وتعتيها بين لتضيها معنى الخادعة فالحق خادعته (عن نفسه) اى طلت ما يفضل

المخارج لصاحبه عن شيء لا يريد اخراجهم من يده وهو يخال (١٧٦) ان يأخذ منه وهى عبارة عن التمثل في مواقفه اياها والعدل

عن التصريح باسمها للصياغة على
السراول الاستعجاب بذكره وايراد
الموصول لتقرير المارودة فان
كونه في بيتها ما يدعو الى ذلك
قبل لو احدها جاك على ما انت
عليه مما لاخير فيه قالت قرب
الوساد و طول السواد ولاظهار
كال زاهته عليه السلام فان عدم
ملكها مع دوام مشاهدته
لحسانها واستقصائه عليها مع كونه
تحت ملكها ينادى بكونه عليه
السلام في اعلى معارج العقبة
والناراة (وظلقت الابواب)
قبل كانت بسطة ولذلك جاء الفعل
بصفة التضميل دون الانفصال
وقيل للبالغة في الانشقاق
والاحكام (وقالت هيت لك) ترى
بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء
وتأخر كياء أين وعوط وهيت
كبير وهيت كحيت اسم فعل معناه
أقبل وبادر واللام لليان اى لك
أقول هذا كافي علم كوفري
هت لك على صيغة الفعل معنى
تيتات يقال هسا يهي كياء
يحيى اذا تحيا وهيت لك واللام
سنة للفعل (قال معاذ الله) اى
أعوذ بالله معاذعما تدعى اليه
وهذا اجتناب منه على أمر الوجوه
واشارته الى التثنييل بأنه متكرر هائل
يجب ان يعاد بالله تعالى للتلاص
منه وبذلك الالائه عليه السلام
قدشاده بما رآه الله تعالى من
البرهان الثير على ما هو عليه
في حد ذاته من غاية القهر ونهاية
الصوء وقوله عز وجل (انه ربى
أحسن مثواى) كليل للامتناع
بعض الاسباب الخارجية بما عسى
يكون مؤثر عندنا وداعيا لها الى
اعتباره بعد التثنية على سببه
الذاتى الذى لا شك قبله اما
سولته لها نفسها والصير للشان

ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته الفنية عن ذكره وفائدة تصدير الجمله به الايدان بغضامة مضمونها معافيه من زيادة (المتكررات)

تقرره في الذهن فان الصغير لا يفهم منه من اول (١٧٧) الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن متربعا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل

تمكن فكأنه قيل ان الشأن الخطير

هذا وهو يرى اى سيني العزيز

احسن مثوى اى احسن نهدي

حيث اسلكا كرامى فكيف يمكن

ان اسمى اليه بالتيانة في حرمه

وفيه ارشادها الى رعاية حق

العزيز بأنطفئ وجهه وقيل الضمير لله

عز وجل ورى خبران واحسن

مثوى خبر ثان او هو الخبر

والاول بدل من الضمير والمعنى ان

الحال هكذا فكيف اعصيه

بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة

وفيه تعذير لها من عقاب الله

عز وجل وعلى التقديرين ففي

الاقتصار على ذكر هذه الحالة من

غير تعرض لاقتضاها الامتناع

عمادته اليه ايدان بأن هذه

المرتبعة في البيان كافية في الدلالة

على استحقاقه وكونه مما لا يدخل

تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى

(انه لا يفتح الظالمون) تعليل

للامتناع المذكور غيب تعليل

والفلاح الظفر وقيل البقاء في

الخير ومعنى الفتح دخل فيه كاصح

وأخواته والمراد بالنظامين كل من

ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك

المجازيون للاحسان بالاساءة

والعصاة لامر الله تعالى دخولا

اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون

لاقتسامهم ولزنى باهله (ولقد

همت به) بمخالطته اذ الهم لا يتعلق

بالاعيان اى قصدها وعزمت

عليها عما جاز ما لا يوليها عنه

صارف بعدما باشرت مباديها

وقلت ما فعلت من المراونة

وتغليب الابواب ودعوته عليه

السلام الى نفسها بقوله هابت لك

ولمها تصدت هناك لافعال

المنكرات (والثالث) انه رأى مكتوبا في سقف البيت ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
وساء سبيلا (والرابع) انه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش والدليل عليه ان
الانبياء عليهم السلام بعثوا لمنع الخلق عن القبايح والقضايح فلوانهم منعوا الناس عنها
ثم اقدموا على اقبح انواعها واخش اقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وايضا ان الله
تعالى عبر اليهود بقوله اناأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما يكون عيبا في حق
اليهود كيف ينسب الى الرسول المؤيد بالمعجزات * واما الذين نسبوا العصية الى
يوسف عليه السلام فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان امورا (الاول) قالوا ان المرأة
قامت الى صنم مكل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب فقال يوسف لم فعلت
ذلك قالت استحيى من الهى هذا أن برأى على عصية فقال يوسف ألتحيين من صنم
لا يعقل ولا يسمع ولا استحيى من الهى القائم على كل نفس بما كسبت فوالله لا فعلت ذلك
أبد قالوا فمذا هو البرهان (الثاني) نقلوا عن ابن عباس رضى الله عنهما انه تمثل له يعقوب
فراه عاضا على اصابه ويقول له اعمل عمل الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبياء
فاستحي منه قال وهو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقادة والضحاك
ومقاتل وابن سيرين قال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شبوته
من انامله (والثالث) قالوا انه سمع في الهواء قائلا يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير
يكون له ريش فاذا زنا ذهب ريشه (والرابع) نقلوا عن ابن عباس رضى الله عنهما ان
يوسف عليه السلام لم ينجس برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل عليه السلام فلم يبق
فيه شئ من الشهوة الاخرج والمناقل الواحدى هذه الروايات تصلف وقال هذا الذى
ذكرناه قول ائمة التفسير الذين أخذوا التأويل عن شاهد التنزيل فيقال له انك لا تأتينا
البينة الا بهذه التصلفات التى لا فائدة فيها فأين هذا من الحجّة والدليل وايضا فان ترادف
الدلائل على الشئ الواحد جائز وانه عليه الصلاة والسلام كان متمتعاً الزنا بحسب
الدلائل الاصلية فلما انضاف اليها هذه الزواجر قوى الاتجار وكل الاحتراز والعجب
أنهم نقلوا ان جروا دخل جرة النبي صلى الله عليه وسلم وبقي هناك بغير علم قالوا فامتنع
جبريل عليه السلام من الدخول عليه اربعين يوما وهنأ زعموا أن يوسف عليه السلام
حال اشتغاله بالفاحشة ذهب اليه جبريل عليه السلام والعجب أيضا انهم زعموا انه
لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبريل عليه السلام ولو ان افسق الخلق وأكفرهم
كان مشغلا بفاحشة فأذا دخل عليه رجل على زى الصالحين استحيى منه وفرو ترك ذلك
العمل وهنأ انه رأى يعقوب عليه السلام عض على انامله فلم يلتفت اليه ثم ان جبريل
عليه السلام على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع أيضا عن ذلك القبح بسبب حضوره
حتى احتاج جبريل عليه السلام الى ان يركضه على ظهره فنسأل الله ان يصوننا عن الغي

اخر من بسط يدها اليه وقصد الممانعة وغير ذلك (٧٣) (را) (خا) مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عسى ان يترجم من

احتمال افلاعها عما كانت عليه بما في مقالاته عليه السلام من الزواجر (وهم بها) (١٧٨) بمناليتها اى مال اليها بمقتضى الطبيعة

البشرية وشهوة الشباب وقرمه
ميلا جليلا لا ينادي يدخل تحت
التكليف لانه قصدها قصدا
اختياريا لا يرى اليها سبق من
استصمامه المتبى عن كمال كراهيته
له وقره عنه وحكمه بدم
الاحلام الطالين وهل هو الانجيل
باحتالة صدور الهم منه عليه
السلام تسجيلا حكما وانما عبرته
بالهم لجر دوقه في حصة هما
في الذكر بطريق المسألة لا
لشبهه به كاقبل ولقد اشير الى
تباينهما حيث لم يزل في قرن
واحد من التعبير بان قيل ولقد
هما بالخاطلة او هم كل منهما
بالآخر وصدر الاول بماقرر
وجوده من التوكيد القسبي
وعقب الثاني بما يفوته من قوله
عن وجل (لولا ان رأى برهان ربه)
اى حجيته الباهرة الدالة على كمال
قيم الزنا وسوء سبيله والمراد
برؤيته كمال ايقانه بما مشاهدته
لها مشاهدة واصله الى مرتبة
عين اليقين الذى تبين هناك
حقائق الاشياء بصورها الحقيقية
وتفصل عن صورها المستمرة التى
يها تظهر في هذه النشأة على
ما نطبق به قوله عليه السلام خفت
الجنة بالكآرة وحفت النار
بالشهوات وكان عليه السلام
قد شاهده الزنا بموجب ذلك
البرهان الذى علم ما هو عليه في
حد ذاته انهم ما يكون واجب
ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل
ما فعل من الاستصمام والحكم
بعدم افلاح من يرتكبه وجواب
لولا محذور يدل عليه الكلام
اى لولا مشاهدته برهان ربه
في شأن الزنا لجرى على موجب
ميه الجلى ولكنه حيث كان
مشاهده من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه

في الدين والخذلان في طلب اليقين فهذا هو الكلام المخلص في هذه المسئلة والله اعلم
(المسئلة الثالثة) في الفرق بين السوء والفحشاء وفيه وجوه (الاول) ان السوء جنابة
اليد والفحشاء هو الزنا (الثانى) السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة
والفحشاء هو الزنا اما قوله انه من عبادنا المخلصين اى الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ومن
قبح اللام اراد الذين خلصهم الله من الاسواء ويحتمل ان يكون المراد انه من ذرية ابراهيم
عليه السلام الذين قال الله فيهم انا اخلصناهم بخالصة (المسئلة الرابعة) قرأ ابن كثير
وابن عامر وابوعرو المخلصين بكسر اللام في جميع القرآن والباقون بفتح اللام قوله
تعالى (واستبقا الباب وقدت قيصة من دبر والقياس به الدلى الباب قالت ماجز آمن
اراد بأهلك سوا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتنى عن نفسى وشهد شأهم
اهلها ان كان قيصة قدمن قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصة قدمن دبر
فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قيصة قدمن دبر قال انه من كيد كن ان كيدكن
عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين اعلم انه تعالى
لما حكى عنها انها همت اتبعه بكيفية طلبها وهربه فقال واستبقا الباب والمراد انه هرب
منها وحاول الخروج من الباب وعدت المرأة خلفه لتجذبه الى نفسها والاستباق طلب
السبق الى الشئ ومعناه تبادرا الى الباب بحيث يذل واحد منهما ان يسبق صاحبه فان سبق
يوسف قبح الباب وخرج وان سبقت المرأة امسكت الباب لئلا يخرج وقوله استبقا
الباب اى استبقا الى الباب كقوله واختار موسى قومه سبعين رجلا اى من قومه واعلم
ان يوسف عليه السلام سبقها الى الباب واراد الخروج والمرأة تعد وخلفه فلم تصل الا الى
دبر القميص فقدمه اى قطعته طولا وفي ذلك الوقت حضر زوجه وهو المراد من قوله
والقياس به الدلى الباب اى صادقا بعلها تقول المرأة لبعليها سيدى وانما لم يقل سيدها
لان يوسف عليه السلام ما كان مملوكا لذلك الرجل في الحقيقة فصد ذلك خافت المرأة من
التهمة فبادرت الى ان رمت يوسف بالفعل القبيح وقالت ماجز آمن اراد بأهلك سوا
الا ان يسجن او عذاب اليم والمعنى ظاهره وفي الآية لطائف (احداها) ان ما يحتمل ان
تكون نافية اى ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ايضا ان تكون استفهامية يعنى اى شئ
جزاؤه الا ان يسجن كما تقول من في الدار الا يزيد (وثانيها) ان حبها الشديد ليوسف جعلها
على رعية دقيقتين في هذا الموضع وذلك لانها بدأت بذكر العجن واخرت ذكر العذاب
لان الحب لا يسعى في ايلام المحبوب وايضا انها لم تذكر ان يوسف يجب ان يعامل بأحد
هذين الامرين بل ذكرت ذلك ذكرا كليا صونا للمحسوب عن الذكر بالسوء والام وايضا
قالت الا ان يسجن والمراد ان يسجن يوما وائل على مسيل الخفيف فاما المجلس الدائم
فانه لا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب ان يجعل من المسجونين الا ترى ان فرعون
هكذا قال حين تهدد موسى عليه السلام في قوله لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من

عليه السلام لم يكن لعدم مساعلة من جهة الطبيعة بل لمحض (١٧٩) العفة والزهادة مع وفور الدواعي الداخلية وترتيب القدمات

المسجوبين (وثالثها) انها لما شاهدت من يوسف عليه السلام انه استعصم منها مع انه كان في عنفوان العمر وكال القوة ونهاية الشهوة عظم اعتقادها في طهارته وترفاته فاستحييت ان تقول ان يوسف عليه السلام قصدني بالسوء وما وجدت من نفسها ان ترميه بهذا الكذب على سبيل التصريح بل اكتفت بهذا التعريض فانظر الى تلك المرأة ما وجدت من نفسها ان ترميه بهذا الكذب وان هؤلاء الحشوية يرمونه بعد قريب من اربعة آلاف سنة بهذا الذنب القبيح (ورابعها) ان يوسف عليه السلام اراد ان يضربها ويدفعها عن نفسه وكان ذلك بالنسبة اليها جاريا مجرى السوء فقولها ما جزاء من اراد بأهلك سوا جار مجرى التعريض فلعلها بقليلها كانت تريد اقدمه على دفعها ومنعها وفي ظاهر الامر كانت توهم انه قصدني بما لا ينبغي واعلم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام ولطخت عرض يوسف عليه السلام احتاج يوسف الى ازالة هذه التهمة فقال هي راودتني عن نفسي وان يوسف عليه السلام ما هتك سترها في اول الامر الا انه لما خاف على النفس وعلى العرض اظهر الامر * واعلم ان العلامات الكثيرة كانت دالة على ان يوسف عليه السلام هو الصادق (فالاول) ان يوسف عليه السلام في ظاهر الامر كان عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يتسلط على مولاة الى هذا الحد (الثاني) انهم شاهدوا ان يوسف عليه السلام كان يعدو وعدوا شديدا يخرج والرجل الطالب للمرأة لا يخرج من الدار على هذا الوجه (الثالث) انهم راوا ان المرأة زينت نفسها على اكل الوجوه واما يوسف عليه السلام فاكأن عليه اثر من آثار تزيين النفس فكان الحاق هذه القنفة بالرأه اولى (الرابع) انهم كانوا قد شاهدوا احوال يوسف عليه السلام في المدة الطويلة غاروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذا الفعل المنكر وذلك ايضا بما يقوى الظن (الخامس) ان المرأة ما نسبته الى طلب الفاحشة على سبيل التصريح بل ذكرت كلاما بجملا مبهما واما يوسف عليه السلام فانه صرح بالامر ولوانه كان متبها لما قدر على التصريح باللفظ الصريح فان الخائف خائف (السادس) قيل ان زوج المرأة كان عاجزا وآثار طلب الشهوة في حق المرأة كانت متكاملة فالحاق هذه القنفة بها اولى فلما حصلت هذه الامارات الكثيرة الدالة على ان مبدء هذه القنفة كان من المرأة استحيى الزوج وتوقف وسكت لعله بأن يوسف صادق والمرأة كاذبة ثم انه تعالى اظهر ليوسف عليه السلام دليلا آخر يقوى تلك الدلائل المذكورة ويدل على انه بريء عن الذنب وان المرأة هي المذنبه وهو قوله وشهد شاهد من أهلها وفي هذا الشاهد ثلاثة اقوال (الاول) انه كان لها ابن عم وكان رجلا حكما واتفق في ذلك الوقت انه كان مع الملك يريد ان يدخل عليها فقال قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا اننا لا ندرى أيكما قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلفه فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص ورأوا الشق من خلفه قال ابن عمها انه من

باطل تمجها الاذان وتردها المقول والاذهان ويل لمن لا كها ولفها اوسمها وصدتها (كذلك) الكاف منصوب المحل

وذلك اشارة الى الارادة المدلول عليها قوله تعالى لولا ان (١٨٠) رأى برهان ديه اى مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه به هاتين القابتين

اولى التثبيت اللازم له اى مثل ذلك التثبيت مثبتا (لنصرف عنه السوء) على الاطلاق فدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا (والفحشاء) والزنا لانه مفرط في القبح وفيه آفة بيّنة وحسنة فاطعة على انه عليه السلام يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والاقليل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج تصرفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العقوبة والمعصية فتأمل وقارئ ليصرف على استناد الصرف الى ضمير الرب (انه من عباده المخلصين) لتبليغ لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم عما هو قاذر فيها وقارئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلوكهم داخل في زميرهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحصر مادة احتمال صدورهم بالسوء منه عليه السلام بالكيفية (واستبقا الباب) متصل بقوله ولقد هممت به وهربا لولا ان رأى برهان ديه وقوله كذلك الى آخره اعتراض به بين المعطوفين تقريرا لتأنيده عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوث السموات والارض والمضى لقد هممت به وأبى هو واستبقا الباب اى تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وجد بدايعة فيملك وحذف حرف الجر واوصل الفعل الى المحرور نحو واذا كالواهم واضمن الاستباق معنى الابتداء واستناد السبق في ضمن الاستباق اليهامع ان مرادها مجرد منع يوسف وذالوا يوجب (انه)

الاستهال الى الباب لانها لارائه يصرع الى الباب ليتخلص (١٨١) منها اسرعت هي ايضا لتسبغه اليه وتغتمه عن الفتح والخروج وعبر

عن اسراعها اذ بذلك مبالغة (وقدت قبضه من دبر) اجترته من وراءه فاشق طولوا والقد كان الشق عرضا هو القف وقد قيل في وصف على رضى الله عنه انه كان اذا اعتلى قدوا اذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف ايضا دخل فيه اما لانها الجزء الاخير للغة التامة واما لايدان بحسب الفتا في منعه من الخروج وبذل مجهودها في ذلك ففوت المصوب او لنفوس الافتضاع (والفيا سيدها) يصادفا زوجها واذ لم يكن ملكه ليوسف عليه السلام معها لم يقل سيدهما قيل الفيا مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عمه لراة (لدى الباب) اى البراقى كما مر روى كعب رضى الله عنه انه لما هرب يوسف عليه السلام جعل فراش القفل يتنازل ويسقط حتى خرج من الابواب (قالت) استغافنى على سؤال سائل يقول لماذا كان حسين الفيا العزيز عند الباب قبيل قال (ما جزاءه من اراد بأهلك سوا) من الزنا ونحوه (الان يسجن او عذاب اليم) مانافية اى ليس جزاءه الا السجن او العذاب الاليم قبيل المراد به الضرب بالسياط واستقهامية اى اى شئ جزاءه غير ذلك اذ ذلك ولقد اتت في تلك الحالة التى تدعى فيها الفطن حيث شاهدتها العزيز على تلك الهيئة المريبة بجملة جمعت فيها غرضها وهما تبرئة ساحتها عما يلوح من ظاهر الحال واستئزال يوسف عن رأيه في استعماة عليها وعدم موافقة

انه لما ظهر للقوم برامة يوسف عليه السلام عن ذلك الفعل المنكر حتى تعالى عنه انه قال يوسف اعرض عن هذا فقبل ان هذا من قول العزيز وقيل انه من قول الشاهد ومعناه اعرض عن ذكر هذه الواقعة حتى لايشتر خبرها ولايصصل العار العظيم بسببها وكما امر يوسف بكتمان هذه الواقعة امر المرأة بالاستغفار فقال واستغفري لذنبك وظاهر ذلك طلب المغفرة ويحتمل ان يكون المراد من الزوج ويكون معنى المغفرة العفو والصفح وعلى هذا التقدير فالاقرب ان قائل هذا القول هو الشاهد ويحتمل ان يكون المراد بالاستغفار من الله لان اولئك الاقوام كانوا يثبتون الصانع الا انهم مع ذلك كانوا يعبدون الاوثان بدليل ان يوسف عليه السلام قال ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وعلى هذا التقدير فيحوز ان يكون القائل هو الزوج وقوله انك كنت من الخاطئين نسبة لها الى انها كانت كثيرة الخطأ فيما تقدم وهذا احد مايدل على ان الزوج عرف في اول الامر ان الذنب للراة لايوسف لانه كان يعرف منها اقدامها على ما لا ينبغي وقال ابو بكر الاصم ان ذلك الزوج كان قليل الغيرة فاكتفى منها بالاستغفار قال صاحب الكشف واما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليا للذكور على الاناث ويحتمل ان يقال المراد انك من نسل الخاطئين فمن ذلك النسل سرى هذا العرق الخبيث فيك والله اعلم * قوله تعالى (وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا) نا لئرها في ضلال مبين لما سمعت بملهن ارسلت اليهن واعتدت لهن مكانا وانت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأته اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الاملاك حريم (وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) لم يقل وقالت نسوة قلنا لوجهين (الاول) ان النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيق فلذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث (الثاني) قال الواحدى تقديم الفعل يدعو الى اسقاط علامة التأنيث على قياس اسقاط علامة التثنية والجمع (المسئلة الثانية) قال الكلبي هن اربع امرأة ساقى العزيز وامرأة خبازه وامرأة صاحب سجنه وامرأة صاحب دوابه وزاد مقاتل وامرأة الحاجب والاشبه ان تلك الواقعة شاعت في البلد واشتهرت وتحدث بها النساء * وامرأة العزيز هي هذه المرأة المعلومة تراود فتاها عن نفسه الفتى احدث الشاب والفتاة الجارية الشابة * قد شغفها حبا وفيه مسئلان (المسئلة الاولى) ان الشغاف فيه وجوه (الاول) ان الشغاف جلدة محيطه بالقلب يقال لها غلاف القلب يقال شغفت فلانا اذا اصبغ شغافه كما تقول كبدته اذا اصبغ كبدته فقوله شغفها حبا اى دخل الحب الجلد حتى اصاب القلب (والثاني) ان حبه احاط بقلبيها مثل احاطة الشغاف بالقلب ومعنى احاطة ذلك الحب بقلبيها هو ان اشتغالها بحبه صار حجابا بينها وبين كل ماموى هذه المحبة فلا تعقل سواه ولا يخطر بالبال الا اياه (والثالث) قال الزجاج الشغاف حبة القلب وسويداء القلب والمعنى انه وصل حبه الى سويداء قلبها على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في موافقة لها كرها عند بأسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما أمره

ليسين وليكونا من الصاغرين ثم انما جعلت صدور الارادة (١٨٢) المذكورة عن يوسف عليه السلام امرامحققا مفروغاته غيبا

وبالحكمة فهذا كناية عن الحب الشديد والعشق العظيم (المسئلة الثانية) قرأ جاعة من الصحابة والتابعين شعفا بالعين قال ابن السكيت يقال شعفه الهوى اذا بلغ الى حد الاحترق وشعف الهناء البعير اذا بلغ منه الألم الى حد الاحترق وكشف ابو عبيدة عن هذا المعنى فقال الشعب بالعين احراق الحب القلب مع لذة يجدها كما ان البعير اذا هني بالقطران يبلغ منه مثل ذلك ثم يستروح اليه وقال ابن الانباري الشعف رؤس الجبال ومعنى شعف بفلان اذا ارتفع حبه الى اعلى المواضع من قلبه (المسئلة الثالثة) قوله حبا نصب على التمييز ثم قال انالزها في ضلال مين اى في ضلال عن طريق الرش بسبب حبا اياه كقوله ان ابانا في ضلال مين ثم قال تعالى فلا سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعدت لهن متكئا وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) المراد من قوله فلما سمعت بمكرهن انها سمعت قولهن وانما سمى قولهن مكرًا لوجوه (الاول) ان النسوة انما ذكرن ذلك الكلام استدعاء لرؤية يوسف عليه السلام والنظر الى وجهه لانهن عرفن انهن اذا قلن ذلك مرضت يوسف عليهن ليتهد عذرها عندهن (الثاني) ان امرأة العزيز اسرت اليهن حبا ليوسف وطلبت منهن كتمان هذا السر فلما اظهرن السر كان ذلك غدرًا ومكرًا (الثالث) انهن وقعن في غيبتها والغبية انما تذكر على سبيل الخفية فاشبهت المكر (المسئلة الثانية) انها لما سمعت انهن يلظنها على تلك المحبة المفرطة ارادت ابداء عذرها فانخذت مائدة ودعت جاعة من اكبرهن واعتمدت لهن متكئا وفي تفسيره وجوه (الاول) المتكئا الترق الذي يتكأ عليه (والثاني) ان المتكأ هو الطعام قال المعنى والاصل فيه ان من دعوته ليطعم عنده قد اعدت له وسادة فسمى الطعام متكئا على الاستعارة (والثالث) متكئا ترجا وهو قول وهب وانكرا بو عبيد ذلك ولكنه محمول على انها وضعت عندهن انواع الفاكهة في ذلك المجلس (والرابع) متكئا طعاما يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان الطعام متى كان كذلك احتاج الانسان الى ان يتكأ عليه عند القطع ثم نقول حاصل ذلك انها دعوت اولئك النسوة واعتمدت لكل واحدة منهن مجلسا معينا وانت كل واحدة منهن سكين اى لاجل اكل الفاكهة او لاجل قطع اللحم ثم انها امرت يوسف عليه السلام بأن يخرج اليهن ويعبر عليهن وانه عليه السلام ما قدر على مخالفتها خوفا منها فلما رأته اكبرته وقطعن ايديهن ههنا مسائل (المسئلة الاولى) في اكبرته قولان (الاول) اعظمته (والثاني) اكبرته بمعنى حضن قال الازهرى والهاده لاسكت يقال اكبرت المرأة اذا حضنت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحض تخرج من حد الصغرى الى حد الكبر وفيه وجه آخر وهو ان المرأة اذا خافت وفرغت فربما اسقطت ولدها فخاضت فان صح تفسير الاكبار بالحض فالسبب فيه ما ذكرناه وقوله وقطعن ايديهن كناية عن دهشتن وحيرتهن والسبب في حسن هذه الكناية انها لما دهشت فكانت نظن انها تقطع الفاكهة وكانت تقطع يد نفسها او يقال انها لما دهشت صارت

من الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها في تزيينها حسبا يقتضيه قانون الايالة وفي ابهام المرید تفويل لفسان الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل احد كانوا من كان وفي ذكر نفسه بعنوان اهلية العزیز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما تشاء بحكم الفضب والحجة (قال) استئناف وجواب عما قال فاذا قال يوسف حيث ذك قيل قال (هي راودتني عن نفسي) اى طالبتني للموااة لاني اردت بهاموا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتزييه نفسه عما استداليه من الحيانة وعدم معرفة حتى السيد ودفع ما عرضته له من الامرين الامرين وفي التعبير عنها بضمير النسبة دون الخطاب او اسم الإشارة مراعاة لحسن الادب مع الاملاء الى الاراض عنها (وشهد شاهد من اهله) قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض اهله قد بربرها من حيث لا تشعر فأغضبته الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانما اتى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهله ليكون ادل على نزاهته عليه السلام واتى للثمة وقيل كان الشاهد ابن خاله صبياني المهد انطقه الله تعالى براءته وهو الاظهر فانه روى النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صفار ابن ماضة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابى

هر يردضى الله عنه وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه (١٨٣) من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون

الشاهد من اهلها او من غيرهم
(ان كان يقبضه قدم من قبل)
اي ان على انه قد من قبل من
قبل ونظيره ان احسنت الى
فقد احسنت اليك فلياً قبل فان
معناه ان تمتد باحسانك الى
فاعتد باحسانى السابق اليك
(فصدقت) بتقدير قد لانها تقرب
الماضى الى الحال اى قد صدقت
وكذا الحال في قوله فكذبته وهى
وان لم تصرح بأنه عليه السلام
اراد بها سبوا الا ان كلامها
حيث كان واضح الدلالة عليه
اسند اليها الصدق والكذب
بذلك الاعتبار فانهما كما يمر زمان
للكلام باعتبار منطوقه يعبر زمان
له باعتبار ما يستلزمه وبذلك
الاعتبار يعترضان للثلاثآت
(وهو من الكاذبين) وغده
الشرطية حيث لا ملازمة عقلية
ولا عادية بين مقدمها وتأنيها
ليست من الشهادة فغنى وانما
ذكرت توسيعاً للدائرة واروخا
للسنان الى جانب المرأة باجراء
ماعسى يحتمل الحال في الجملة بان
يقع القد من قبل بمناقضتها له
عليه السلام عن نفسها عند
ارادته المخالطة والتكسيف
يجرى الظاهر الغالب الوقوع
تقريباً لما هو المقصود باقامة
الشهادة اعنى مضمون الشرطية
الناية التى هى قوله من قبل
(وان كان قبضة قدم من دبر
فكذبت وهو من الصادقين) الى
التسليم والقبول عند السامع
لكونه اقرب الى الوقوع وادل
على المطلوب وان لم يكن بين
طرفيها ايضاً ملازمة وكناية
الشرطية بعد فعل الشهادة فتكونها
من قبيل الاقوال او بتقدير القول

بحيث لا يميز نصابها من حديدتها وكانت تأخذ الجانب الحاد من ذلك السكين بكفها
فكان يحصل الجراحة في كفها (المسئلة الثانية) اتفق الاكثرون على انهن انما اكبرنه
بحسب الجمال الفائق والحسن الكامل قبل كان فضل يوسف على النساء في الفضل
والحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال
مررت بيوسف عليه السلام ليلة عرج بي الى السماء فقلت لجبريل عليه السلام من هذا
فقال هذا يوسف فقبل يا رسول الله كيف رأته قال كاهم ليلة البدر وقبل كان يوسف
اذا سار في أزقة مصر يرى ثلاثاً وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من السماء عليها
وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وهذا القول هو الذى اتفقوا عليه وعندى انه يحتمل
وجها آخر وهو انهن انما اكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسما إلى سالة أو ثار الخضوع
والاحتشام وشاهدن منه مهابة النبوة وهيبة الملكية وهى عدم الانفسات الى المطعوم
والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان الجمال العظيم مقروناً تلك الهبة والهيئة ففهمن
من تلك الحالة فلا جرم اكبرنه وعظمته ووقع الرعب والمهابة منه في قلوبهن وعندى أن
حل الآية على هذا الوجه أولى فان قيل فاذا كان الامر كذلك فكيف ينطبق على هذا
التأويل قولها فذلكن الذى لفتنني فيه وكيف تصير هذه الحالة عذراً لها في قوة العشق
وافراط المحبة قلنا قد تقرر ان المنموع متبوع فكأنها قالت لهن مع هذا الخلق العجب
وهذه السيرة الملكية الطاهرة المطهرة ففسنه بوجوب الحب الشديد وسيرته الملكية
توجب اليأس عن الوصول اليه فلذلك السبب وقست في المحبة والخسرة والاروق والقلق
وهذا الوجه في تأويل الآية أحسن والله أعلم (المسئلة الثالثة) قرأ أبو عمرو قلن حاشا لله
بأبواب الالف بعد الشين وهى رواية الاصمعي عن نافع وهى الاصل لانهما من الحاشاة
وهى التخمية والتسديد والباقون يحذف الالف للتخفيف وكثرة دورها على اللسان اتباعاً
للمصحف وحاشا كناية تفيد معنى التزنية والمعنى ههنا تزنية الله تعالى من الهجز حيث قدر
على خلق بجبل مثله واما قوله حاش لله ماعلنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق
عقيف مثله (المسئلة الرابعة) قوله ما هذا بشراً ان هذا الاملاك كرم فيه وجهان (الاول)
وهو المشهور ان المقصود منه اثبات الحسن العظيم له قالوا لانه تعالى ركن في الطباع
أن لا يحى أحسن من الملك كما ذكر فيما أن لا يحى أفع من الشيطان ولذلك قال تعالى في صفة
جهنم طلعها كما نه رؤس الشياطين وذلك لما ذكرنا انه تقرر في الطباع أن أفع الأشياء
هو الشيطان فكذلك ههنا تقرر في الطباع أن أحسن الاحياء هو الملك فلما أرادت النسوة
المبالغة في وصف يوسف عليه السلام بالحسن لاجرم شبهته بالملك (والوجه الثاني) وهو
الاقرب عندى ان المشهور عند الجمهور ان الملائكة مطهرون عن بواعث الشهوة
وجوازب الغضب وتواضع الوهم والخيال فطعامهم توحيد الله تعالى وشراهم الشاء
على الله تعالى ثم ان النسوة لما رأين يوسف عليه السلام لم يلفتن اليهن البينة ورأين عليه

اى شهد قائلاً الخ ولستيتها شهادة مع انه لاحكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤداها بل لالها شهادة على الحقيقة وحكم

بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر (١٨٤) اذ هو اخبار بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة

الشرطية للإيدان بأن ذلك ظاهر من العلام أيضا واما على تقدير كونه غيره فلا أن الظاهر أن صورة الحال معلومة على ما هي عليه امام شاهدة او اخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرر ورثه الجزم بانتفاء تالى الاولى وبوقوع تالى الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مسافا مونا من المرحم والطن حيث صورها بصورة الشرطية المتدثرة فظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقة فلا ترد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القيص من قبل فيكون محالا لاهاله ومن ضرورة تقرير كذبها والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بأسر تحقيق الوجود وهو التد من دير فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فين قال لامرأة تزوجيني نفسك قتالت لى زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لى زوج فقد زوجتك نفسى فقبل الرجل فاذا لا زوج لنفسى ففعل نكاح اذ تعليق الشئ بأسر مقرر تقديره وقرى من قبل وبن دير بالضم لانها قطعا عن الاضافة كقبول ويصد وبالفصح كما نسما جعلا عين للبهتين فبما الصنف للتأنيث والعلية وقرى يسكون العين (فارأى قيصه قدمن دير) كأنه لم يكن رأى ذلك بديا ولم يتدبر فلما تدبره وعلم حقيقة الحال (قال الله) اى الامم السدى وقع فيه التشاجر وهو عبارة

هبة النبوة وهبة الرسالة وسيا المهاراة قلن انما رأينا فيه أثر من أثر الشهوة ولا شيئا من البشرية ولا صفة من الانسانية فهذا قد ظهر عن جميع انصافات الغرورة في البشر وقد ترقى عن حد الانسانية ودخل في الملكية فان قالوا فان كان المراد ما ذكرتم فكيف يتهد عذر تلك المرأة عند النسوة فالجواب قد سبق والله اعلم (المسئلة الخامسة) القائلون بأن الملك أفضل من البشر احبوا هذه الآية فقالوا لا شك أنهم انما ذكرن هذا الكلام في معرض تعظيم يوسف عليه السلام فوجب أن يكون اخراجه من البشرية وادخاله في الملكية سببا لتعظيم شأنه وابعاده مرتبته وانما يكون الامر كذلك لو كان الملك أعلى حالا من البشر ثم نقول لا يتخلو اما أن يكون المقصود بيان كمال حاله في الحسن الذى هو الخلق الظاهر أو كمال حاله في الحسن الذى هو الخلق الباطن والاول باطل لوجهين (الاول) أنهم وصفوه بكونه كريما وانما يكون كريما بسبب الاخلاق الباطنة لا بسبب الخلق الظاهرة (والثاني) انما نعلم بالضرورة ان وجه الانسان لا يشبه وجوه الملائكة البتة اما كونه بعيدا عن الشهوة والغضب معرضا عن اللذات الجسمانية متوجها الى عبودية الله تعالى مستغرق القلب والروح فيه فهو أمر مشترك فيه بين الانسان الكامل وبين الملائكة واذ ثبت هذا فنقول تشبيه الانسان بالملك في الامر الذى حصلت المشابهة فيه على سبيل الحقيقة أولى من تشبيهه بالملك فيما لم تحصل المشابهة فيه البتة ثبت أن تشبيه يوسف عليه السلام بالملك في هذه الآية انما وقع في الخلق الباطن لا في الصورة الظاهرة وثبت أنه متى كان الامر كذلك وجب أن يكون الملك أعلى حالا من الانسان في هذه الفضائل ثبت ان الملك أفضل من البشر والله اعلم (المسئلة السادسة) لغة أهل الحجاز اعمال ما عمل ليس وبها ورد قوله ما هذا بشرا ومنها قوله ما هن أمهاتهم ومن قرأ على لغة بنى تميم قرأ ما هذا بشرو هي قراءة ابن مسعود وقرى ما هذا بشرا أى ما هو بعيد ملوك للبشر ان هذا الاملك كريم ثم تقول ما هذا بشرا أى حاصل بشرا بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرا أم بكر أو القراءة المعترضة هي الاولى لموافقها المحقق ولقابلة البشر الملك ﷺ قوله تعالى (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره لبيجن وليكونا من الصافرين) اعلم أن النسوة لما قلن فى امرأه العزيز قد شفها حبا انالتر اها فى ضلالا ميين عظم ذلك عليها فجمعتهن فلأرأينه أكبر نه وقطن أيسين فعند ذلك ذكرت انهن بالوالم أحق لانهن ينظره واحدة لحقهن أعظم مما ناله امع انه طال مكثه عندها فان قيل فلم قالت فذلكن معان يوسف عليه السلام كان حاضرا (والجواب) عنه من وجوه (الاول) قال ابن الانبارى أشارت بصيغة ذلكن الى يوسف بعد انصرفه من المجلس (والثاني) وهو الذى ذكره صاحب الكشاف وهو أحسن ما قيل ان النسوة كن يقن انها عشقت عبدها لكنعانى فلما رأينه ووقعن فى تلك الدهشة قالت هذا الذى رأيتنه هو ذلك العبد الكهانى الذى لمتننى

عن ارادة السوء التى استندت الى يوسف وتدير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد بأهلك سوا الى آخره لكن لامن حيث (فيه)

صدور تلك الآداة والاسناد عنها (١٨٥) بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى (من كذب) اى من جنس حيث كن

ومكرن ايها النساء لان غير
كن عن الافادة وتدير العقوبة
وان لم يكن تجريده عن الاضافة
اليها الا لانها صورة صورته بصورة
الحق انقاد الحكم بكونه من كيدهن
افادة ظاهرة فتأمل ونعبر
الحطاب فينتبه على ان ذلك خلق
لهن عربى

ولا يحسب ان هذا الفذر وحدها
حجية نفس كل غاية هند

ورجع الضيق الى قولها ما جراه
من اراد باهلاك سوا فقط عدول
عن البعث عن اصل ما وقع فيه
النزاع من ارادة سوء عن
هى الى البعث عن شبهة من شبهة
وجعله لسوء اول الامر المخبر به
عن طمعها في يوسف عليه السلام
يا به الخبير فان الكيد يستدعى
ان يمتد مع ذلك هتات اخر من
قبلها كاسترنا اليه (ان كيدكن
عظيم) فانه اللطف وأعلى القلب
واشد تأثيرا في النفس وعن بعض
العلماء اى اخاف من النساء
مالا اخاف من الشيطان فانه
تعالى يقول ان كيد الشيطان
كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن

عظيم ولان الشيطان يوسوس
مستارة وهن يوجعن به الرجال
(يوسف) حذف منه حرف النداء
لقربه وكما تطفئ الحديث وفيه
تقريبه لا تظنن فيه (اعرض
عن هذا) اى عن هذا الامر عن
التحديث به واكتفه فقد ظهر
مدقق وزا هتكت (واستغفرى)
انت يا هذه (الذئب) الذى صدر
عنه وثبت عليك (ان كنت)
بسبب ذلك (من الخاطئين) من
جمله القوم المتعمدين للذنوب
او من جنسهم يقال خطي اذا
اذنب عمدا وهو تقليل للامر
بالاستغفار والتذكير لتخفيف
من مؤاخذتها وقيل بان قلل

فيه يعنى انك لم تصورنه حق تصورنه ولو حصلت في خيالكن صورته لترككن هذه الملامة
واعلم انها لما ظهرت عذرها عند النسوة في شدة محبتها له كشفت عن حقيقة الحال فقالت
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم واعلم ان هذا تصريح بأنه عليه السلام كان بريئا
عن تلك التهمة وعن السدى أنه قال فاستعصم بعد حل السراويل وما الذى يحمله على
الحاق هذه الزيادة الفاسدة الباطلة بنص الكتاب ثم قال ولئن لم يفعل ما أمره ليسجن
وليكونا من الصاغرين والمراد يوسف عليه السلام ان لم يوافقها على مرادها يوقع
في السجن وفي الصغار ومعلوم ان التواعد بالصغار له تأثير عظيم في حق من كان رفيع
النفس عظيم الخطر مثل يوسف عليه السلام وقوله وليكونا كان جزء والكسائي يفتان
على وليكونا بالانثى وكذلك قوله لتسفعا والله أعلم قوله تعالى (قال رب السجن أحب

الى مما يدعونني اليه) والاتصرف عن كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له
ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) واعلم ان المرأة لما قالت ولئن لم يفعل
ما أمره ليسجن وليكونا من الصاغرين وسائر النسوة سمعن هذا التهديد فالتواظرن
اجتمعن على يوسف عليه السلام وقلن لاصطحة لك في مخالفة أمرها والوقت في السجن
وفي الصغار فعند ذلك اجتمع في حق يوسف عليه السلام أنواع من الوسوسة (أحدها) ان
زليخا كانت في غاية الحسن (والثاني) انها كانت ذات مال وثروة وكانت على عزم ان تبذل
الكل ليوسف بتقدير ان يساعدها على مطلوبها (والثالث) ان النسوة اجتمعن عليه وكل
واحدة منهن كانت ترعبه ويخوفه بطريق آخر ومكر النساء في هذا الباب شديد (والرابع)
انه عليه السلام كان خائفا من شرها واقدامها على قتله واهلاكه فاجتمع في حق يوسف
جميع جهات الترهيب على موافقتها وجميع جهات التخويف على مخالفتها فخاف عليه
السلام ان تؤثر هذه الاسباب القوية الكثيرة فيه واعلم ان القوة البشرية والطاقة
الانسانية لا تفي بمحصول هذه العصمة القوية فعند هذا التجأ الى الله تعالى وقال رب السجن

احب الى مما يدعونني اليه وقرأ السجن بالفتح على المصدر وفيه مؤ الان (السؤال الاول)
السجن في غاية المكروهية ومادعونه اليه في غاية المطلوبة فكيف قال المشقة احب الى
من اللذة (والجواب) ان تلك اللذة كانت تستعقب آلاما عظيمة وهى الازم في الدنيا
والعقاب في الآخرة وذلك المكروه وهو اختيار السجن كان يستعقب سعادات عظيمة
وهى المدح في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة فلهذا السبب قال السجن احب الى مما
يدعونني اليه (السؤال الثاني) ان حبسهم له معصية كان الزنا معصية فكيف يجوز ان
يحب السجن مع انه معصية (والجواب) تقدير الكلام انه اذا كان لاد من التزام احد
الامر عنى الزنا والسجن فهذا اولى لانه متى وجب التزام احد شيئين كل واحد منهما
شر فاختفهما اولاهما بالتحمل ثم قال والاتصرف عن كيدهن اصب اليهن وأكن
من الجاهلين اصب اليهن اهل اليقين يقال صبا الى الله يصبو صبا اذا مالوا واختاروا

الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما (٢٤) (را) (خا) فاكثرت بهذا الفذر

الفترة (وقال نسوة) اى جاعة من النساء وكن نجسا امرأة الصافي (١٨٦) وامرأة الطبايز وامرأة صاحب الدواب وامرأة

بهمه الآية على ان الانسان لا يتصرف عن العصية الا اذا صرفه الله تعالى عنها قالوا لان هذه الآية تدل على انه تعالى ان لم يصرفه عن ذلك القبح وقع فيه وتقريره ان القدرة والداعى الى الفعل والترك ان استويا امتنع الفعل لان الفعل رجحان لاحد الطرفين ومرجوحية للطرف الآخر وحصولهما حال استواء الطرفين جمع بين النقيضين وهو محال وان حصل الرجحان في أحد الطرفين فذلك الرجحان ليس من العبد والالذهيته المرتب الي غير النهاية بل هو من الله تعالى فالصرف عبارة عن جعله مرجوحا لانه متى صار مرجوحا صار امتنع الوقوع لان الوقوع رجحان فلو وقع حال المرجوحية لحصل الرجحان حال حصول المرجوحية وهو يقتضى حصول الجمع بين النقيضين وهو محال فثبت بهذا ان انصراف العبد عن القبح ليس الا من الله تعالى وتوجه الى الطاعة ليس الا من الله تعالى ويمكن تقرير هذا الكلام من وجه آخر وهو انه كان قد حصل في حق يوسف عليه السلام جميع الاسباب المرفقة في تلك المعصية وهو الانتفاع بالمال والجاه والتمتع بالنكاح والطعوم وحصل في الاعراض عنها جميع الاسباب المنفرة ومتى كان الامر كذلك فقد قويت الدواعى في الفعل وضعفت الدواعى في الترك فطلب من الله سبحانه وتعالى ان يحدث في قلبه انواعا من الدواعى المعارضة النافية لدواعى المعصية اذ لو لم يحصل هذا المعارض لحصل المرجح للوقوع في المعصية خاليا عما يعارضه وذلك يوجب وقوع الفعل وهو المراد بقوله اصعب اليه واكن من الجاهلين * قوله تعالى ثم بداهم من بعد ما رآوا الآيات ليسجنه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما انى ارانى اعصر خيرا وقال الآخر انى ارانى اجل فوق رأسى خبرنا تأكل الطير منه نبشأ وتأويله ان اتراك من المحسنين) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان زوج المرأة لما ظهر له براءة ساحقة يوسف عليه السلام فلا جرم لم تعرض له فاحتالت المرأة بعد ذلك بجميع الحيل حتى تحمل يوسف عليه السلام على موافقتها على مرادها فإبليت يوسف اليها فلما أيسدت منه احتالت في طريق آخر وقالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى فضخنى في الناس يقول لهم انى راودته عن نفسه وأنا لا أقدر على اظهار عذرى فأمان تأذننى فأخرج واعتذر وأمان تحبسك كما حبسنى فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه حتى يسقط عن السنة الناس ذكر هذا الحديث وحتى تقل الفضيحة فهذا هو المراد من قوله ثم بداهم من بعد ما رآوا الآيات ليسجنه حتى حين لان البداء عبارة عن تغير الرأى عما كان عليه في الاول والمراد من الآيات برامته بقدر القميص من دبر وخش الوجه والزام الحكم اياها بقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وذكرنا انه ظهرت هناك انواع اخر من الآيات بلغت مبلغ القطع ولكن القوم سكتوا عنها سعي في اخفاء الفضيحة (المسئلة الثانية) قوله بداهم فعل وفاعله في هذا الموضع قوله ليسجنه وظهر هذا الكلام يقتضى اسناد الفعل الى فعل آخر الا ان النحويين اتفقوا على ان اسناد الفعل الى الفعل لا يجوز فاذا قلت خرج ضرب

صاحب السجن وامرأة صاحب النسوة اسم مفرد لجميع المرأة وتأنيثه غير حقيقى كتنانيم الجنة وهي لجماعة النساء والتبته وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم ينطق فعله تاء التأنيث (في المدينة) ظرف لقسم اى اشعن الامر في مصر اوصفة لنسوة (اسماء العزى) اى الملك يردن قطيفر واضافن لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها واسمه ليست الا لقصدا بالمبالغة في اشاعة الخبر يصح ان النفوس الى سماع اخبار ذوى الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مراد من تقضي العزيز بل هى لقصدا الاشباع في قولهما بقولهن (تراودتها) اى تطالبه بموافقتها لها وتتصل في ذلك وتغادهه (عن نفسه) وقيل تطلب منه القاسية واخر من لصيفة المضارع للدلالة على دوام الراودة والفنى من الناس الشاب واصله فنى لقولهم فتيان والقنوة شاذة وجهه قية وفتيان ويستعار للملوك وهو المراد هنا وفي الحديث لا قبل احدكم بعبدى واهى وليقل هذى وفتاى وتبيرون عن يوسف عليه السلام بذلك مصانفا اليها لالى العزيز الذى لا تستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يضر بنوع عزة الابانة ما بينهما من التبان بين الناسى من الملكة والملوكية وكل ذلك لثبته مامر من المبالغة والاشباع فاللوم فان من لا زوج لها من النساء اولها زوج دق فقد تمرد في مراودة الاخذان لاسيما اذا كان فيهم علو الجنب وامالتى لها زوج واى زوج عن مصر فورا ودتها لغيره لاسيما لعبدها الذى لا كفارة بينها وبينه اصلا وتماجدتها في ذلك غاية الى ونهاية الضلال (قد شغفها حبا) اى شق حبه شغاف قلبها وهو حبيبها (لم يمد)

أوحدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل إلى ثؤادها (١٨٧) وقرأ شفعها بالعين من شفع البعير إذا هناه فأحرقه بالقطران وعن

الفتح عن ابن عباس رضي الله عنهما الشفط الحب القاتل والشفط

حب دون ذلك وكان الشيء يقول

الشفط حب والشفط جنون

والجملته خبر ثان أو حال من فاعل

تراود أو من مفعوله وإيما كان

فهو تكرر اللوم وتأكيده لعل

بيان اختلال أحوالها القلبية

كأحوالها القلبية وجعلها تعليل

لدوام المراودة من حيث الانية

مضرة إلى الاستدلال على الاجل

بالاخى ومن حيث البلية ميل

إلى تهديد المذنب من قبلها ولعن

بذلك المقام وانصاف جعالي

الخير لنقله عن الفاعلية إذا لاصل

قد شفعها حبه كما اشير إليه (أنا

لرها) أى تعلمها علما متناجيا

لشاهدة والبيان فيا صنعت من

المراودة والمحبة المفرطة مستقرة

(في ضلال) عن طريق الرد

والصواب أو عن سنن العقل

(مبين) واضح لا يخفى كونه ضلالا

على أحد أو مظهر لأمرها

بين الناس فالجثة مقرر لخصون

الجلتين السابقتين السوءتين للوم

والتشجيع وتجميل عليها بأنها

أمرها على خطا عظيم وإنما يقن

النها إلى ضلال مبين إشارا بأن

ذلك الحكم غير صادر عنهم بمجازفة

بل عن عار رأي مع التلويح بأنهم

متزهات عن أمثال ما هي عليه

(لما سمعت بكمرهن) بغيا بين

لم ينفذ البتة فعند هذا قالوا تقدير الكلام ثم بداهم سبحانه إلا أنه أقيم هذا الفعل مقام ذلك

الاسم وأقول الذوق يشهد بأن جعل الفعل مجازا عنه لا يجوز وليس لاحداث يقول الفعل

خبر فعمل الخبر مجازا عنه لا يجوز لأن تقول الاسم قد يكون خبرا كقولك زيد قائم فقام اسم

وخبر فعلنا أن كون الشيء خبرا لا ينافي كونه خبرا عنه بل تقول في هذا المقام شكوك

(أحدها) أنا إذا قلنا ضرب فعل فالخبر عنه بأنه فعل هو ضرب فالفعل صار مجازا عنه فأن

قالوا الخبر عنه هو هذه الصيغة وهى اسم فتقول فعلى هذا التقدير يلزم أن يكون الخبر عنه

بأنه فعل اسم لأفعل وذلك كذب وباطل بل تقول الخبر عنه بأنه فعل أن كان فعلا فقد ثبت

أن الفعل يصح الاخبار عنه وإن كان اسما كان معناه أنا أخبرنا عن الاسم بأنه فعل ومعلوم

أنه باطل وفي هذا الباب مباحث عيقة ذكرناها في كتب المعقولات (المسئلة الثالثة) قال

أهل اللغة الحين وقت من الزمان غير محدود يقع على القصير منه وعلى الطويل وقال ابن

عباس يريد أنى انقطاع المقالة وما شاع في المدينة من الفاحشة ثم قيل الحين ههنا خمس

سنين وقيل بل سبع سنين وقال مقاتل بن سليمان حبس يوسف اثنتي عشرة سنة والصحيح أن

هذه المقادير غير معلومة وإنما القدر المعلوم أنه بقى بمجوسامة طويلة لقوله تعالى وأذكر

بعدامة أما قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان فهنا محذوف والتقدير لما أرادوا حبسه

حبسوه وحذف ذلك لدلالة قوله ودخل معه السجن فتيان عليه قيل هما غلامان كانا لأملاك

الأكبر بمصر أحدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه رفع إليه ان صاحب طعامه

يريد أن يسهه وظن أن الآخر يساعده عليه فأمر بحبسهما في الآية سؤال (الأول)

كيف عرفانه عليه السلام عالم بالتعبير (والجواب) لعله عليه السلام سألهما عن حزنهما

ونهما فذكر أننا في المنام هذه الرؤيا ويحتمل أنهما رأياه وقد أظهر معرفته بأمور

منهاتعبير الرؤيا فعند هذا ذكره ذلك (السؤال الثاني) كيف عرف أنهما كانا عبيدين للملك

(والجواب) لقوله فيسقى ربه خيرا أى ماله ولقوله أذكرنى عند ربك (السؤال الثالث) كيف

عرف أن أحدهما كان صاحب شراب الملك والآخر صاحب طعامه (والجواب) رؤيا

كل واحد منهما تناسب حرفته لأن أحدهما رأى أنه يعصر الخمر والآخر كما أنه يحمل فوق

رأسه خبرا (السؤال الرابع) كيف وقعت رؤية المنام (والجواب) فيه قولان (الأول)

أن يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله أنى أعبر الأحلام فقال أحد الفتيين هلم

فلنخبر هذا العبد العبراني رؤيا نخبرهها فسلأه من غير أن يكون رأيا شيئا قال ابن مسعود

ما كانا رأيا شيئا وإنما نحملنا الخبرا علمه (والقول الثاني) قال مجاهد كانا قد رأيا حين دخلنا

السجن رؤيا فأبى يوسف عليه السلام فسلأه عنها فقال الساقى إني العالم أنى رأيت كما ترى

في بستان فاذأ بصل عنب حسنة فيها ثلاثة أفضان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فحتمتها

وكان كأس الملك يدي ففصرتها فيه وسقيتها الملك فشربه فذلك قوله أنى رأيت أعصر خيرا

وقال صاحب الطعام أنى رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبر وألوان الأطعمة

(أرسلت إليهن)

(تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الحسن المذكورات)

(واعتدت)

(أى احضرتوهن)

(لهن مكان)

(أى ما بينهن)

عليه من الخمار والوسائد اوردت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام (١٨٨) والشراب والحديث كهاده المترفين ولذلك نهي

الرجل ان يأكل متكئا وقيل
متكئا طعاما من قوليهم انكنا
عند فلان اى طعمنا قال جيل
فطلنا بنعمة وانكنا
وشرنا الحلال من قتله
ومن مجاهد متكئا طعاما صرحا
كان المعنى يمتد بالسكين عند
القطع لان المقاطع يتكى على
المقطوع بالسكين وقرئ بغير
همز وقرئ بالمد يشاع حركة
الكاف كمتكئا في متزه وينبع
في ينبع وقرئ متكئا وهو الاترج
والشندواء واهدت متكئا
لبنى أبيها
تغيب بها العثمثة الوفاح
او ما يقطع من متك الشيء اذا
شكه ومتكنا من تكى اذا اتكى
وآآآآآكل واحدة منهن سكتنا
للتسليمه في قطع ما يدهد قطعه
عما قد بين يديهن وقرب اليهن
من الطعام والقوا كه ونصوها
وهن متكئات وغرضها من
ذلك ما يقع من قطع ايديهن
(وقالت) ليسوسه وهن
مشغولات بمعالجة السكاكين
واعمالها فبايد يدين من الفواكه
واضرابها والطف بالواو رعا
يشير الى ان قولها (اخرج عليهن)
اى ازلهن لم يكن عقيب ترتيب
امورهن ليتم غرضها من
استغفالهن (فلما راينه) عطف
على مقدر يستدعيه الامر
بالخروج وينصب عليه الكلام
اى افخرج عليهن فرائيه وانما
حذف تحقيقا لمفاجأة رويتهن
كانها تهاوت عند ذكر خروجه
عليهن كما حذف تحقيق السرعة
في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا
عنده بعد قوله انا آتيك به قيل
ان يرد اليك طرفه اي ابدان
بسرعة مثاله عليه السلام بارها
فيا لا يشاهد مضرة من الافاويل (اكبره) عظمنه وهن حسنه الفائق وجهه الرائع الراق فان فضل جلاله على جلال كل جيل (الكلام)

كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب * (١٨٩) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالشمس

ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤه وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى يكون حصن والهاء السكت اوضحير واجمع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اى حصن لمن شدة الشبق كما قال

المتنبي
خف الله واستردا الجلال يرفع
قال تحت حاضن في الحدود
العواقب (وقطن ايديهن) اى
جرحها بما في ايديهن من
السكاكين لقرط دهشتهم
وخروج حركات جوارحهم
عن مناج الاختيار والاعتقاد
حق لم يعلى ماغلن وفي التعبير
عن الجرح بالقطع مالا يخفى من
الدلالة على كثرة جرحهم ومع
ذلك ما يبالغون به ولم يصرح به
(وقل حاشش) تنزيهه سبحانه
عن صفات النقص والجهن وتعبها
من قدرته على مثل ذلك الصنيع
البديع واصله حاشا كما قرأه ابو
عمر في الدرر جذفت القبه
الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر
يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء
فلا يستثنى به الا ما يكون موجبا
للتنزيه فوضع موضعه لمخى
حاشا الله تنزيه الله وبراهه الله وهى
قراءة ابن مسعود رضى الله عنه
واللام ببيان المنة والبراءة كما في
سبيلك والدليل على وضحه
موضع المصدر قراءة ابى السماء
حاشا بالتونين وفي رواية اخرى
بحذف الالف الاخيرة وقراءة
الاعشى بحذف الاولى فان
التصرف من خصائص الاسم
فيدل على تنزيهه من عدم
التونين لمراد اصله كما في قولك
جلست من عن يمينه وقوله غدت
من عليه منقلب الالف الى
اليسامع الضمير وقرئ حاش
هو الناحية وفاعله ضمير يوسف

الكلام والعباء ذكروا فيه وجوها (الاول) انه لما كان جواب احد السائلين انه يصلب
ولاشك انه متى سمع ذلك عظم حزنه وتشدد فقرته عن سماع هذا الكلام فرأى ان الصلاح
ان يقدم قبل ذلك ما يؤثر معه بملء وكلامه حتى اذا جاء بها من بعد ذلك خرج جوابه عن ان
يكون بسبب تهمه وعداوة (الثاني) لعله عليه السلام اراد ان يبين ان درجته في العلم اعلى
واعظم مما اعتقدوا فيه وذلك لانهم طلبوا منه علم التعبير ولاشك ان هذا العلم مبنى على
الظن والتخمين فبين لهما انه يمكنه الاخبار عن القيوب على سبيل القطع واليقين مع مجز
كل الخلق عنه واذا كان الامر كذلك فبان يكون فائضا على كل الناس في علم التعبير كان
اولى فكان المقصود من ذكر تلك المقدمة تقرير كونه فائضا في علم التعبير واصلها فيدلى
ما لم يصل غيره (الثالث) قال السدي لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم بين ذلك ان عمله
بتأويل الرؤيا ليس بمقصود على شيء دون غيره ولذلك قال الانبا تكلمنا تأويله (الرابع) لعله
عليه السلام لما علم انهما اعتقدا فيه وقبلوا قوله فاورد عليهما ما دل على كونه رسولا من
عند الله تعالى فان الاشتغال باصلاح مهمات الدين اولى من الاشتغال بمهمات الدنيا
(الخامس) لعله عليه السلام لما علم ان ذلك الرجل سيصلب اجتهد في ان يدخله في الاسلام
حتى لا يموت على الكفر ولا يستوجب العقاب الشديد ولمالك من هلك عن بينة ويحيى من
حي عن بينة (السادس) قوله لا يأتيكما طعام ترزقانه الانبا تكلمنا تأويله يحمل على القطة
والمعنى انه لا يأتيكما طعام ترزقانه الا اخبر تكما اى طعام هو اى لون هو وكم هو وكيف
يكون عاقبته اى اذا اكله الانسان فهو يفيد الصحة او السقم وفيه وجه آخر قيل
كان الملك اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما معموما فارسله اليه فقال يوسف لا يأتيكما
طعام الا اخبر تكما ان فيه ساما لانه هو المراد من قوله لا يأتيكما طعام ترزقانه الانبا تكلمنا
بتأويله وحاصله راجع الى انه ادعى الاخبار عن القيوب وهو يجرى مجرى قول عيسى عليه
السلام وأنتكم بماتاً تكون وماتدخرون في موتكم فالوجوه الثلاثة الاولى لتقرير
كونه فائضا في علم التعبير والوجوه الثلاثة الاخر لتقرير كونه نبيا صادقا من عند الله
تعالى فان قيل كيف يجوز حل الآية على ادعاء المجزأة مع انه لم يقدم ادعاء النبوة قلنا
انه وان لم يذكر ذلك لكن يعلم انه لا بد وان يقال انه كان قد ذكره وايضا في قوله ذلكما
مما علمنى ربي وفي قوله واتبع ملة ابائى ما يدل على ذلك قال تعالى ذلكما مما علمنى
ربي اى لست اخبركما على جهة الكهانة والنجوم وانما اخبر تكما بوحى من الله وعلم
حصل بتعليم الله ثم قال انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون وفيه
مسائل (الستة الاولى) لئلا ينقول في قوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله توهم
انه عليه السلام كان في هذه الملة فنقول جوابه من وجوه (الاول) ان الترك عبارة عن
عدم التعرض للشيء وليس من شرطه ان يكون قد كان جائضا فيه (و الثاني) وهو الاصح
ان يقال انه عليه السلام كان عبد الله بحسب زعمهم واعتقادهم الفاسد وعله قبل ذلك
كان لا يظهر التوحيد والايان خوفا منهم على سبيل النقية ثم انه اظهره في هذا الوقت

لله يسكون الشين اجماعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاش الله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى

أي صار في ناحية من أن يشارك مرامته بالله أي لطاعته أو لمكانه وأجانب العصية (١٩٠) لأجل الله (ما هذا بشرا) على أعمال ما يجني

فكان هذا جاريا مجرى ترك ملة أو تلك الكفرة بحسب الظاهر (السئلة الثانية) تكرير لفظ هم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون لبيان اختصاصهم بالكفر ولعل أنكارهم للعاد كان أشد من أنكارهم للبدا فلاجل مباغتتهم في انكار المعاد كرر هذا اللفظ للتأكيد واعلم أن قوله أتى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله إشارة إلى علم البديء وقوله وهم بالآخرة هم كافرون إشارة إلى علم المعاد ومن تأمل في القرآن المجيد وتفكر في كيفية دعوة الانبياء عليهم السلام علم أن المقصود من إرسال الرسل وإزالة الكتب صرف الخلق إلى الإقرار بالتوحيد وبالمبدأ والمعاد وان ما وراء ذلك عبث ثم قال تعالى وأتبعته ملة آباء إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وفيه سؤالات (السؤال الأول) ما الفائدة في ذكر هذا الكلام (الجواب) أنه عليه السلام لما ادعى النبوة وتحدى بالهجرة وهو علم الغيب قرن به كونه من أهل بيت النبوة وإن أباه وجده وجدأيه كانوا أنبياء لله ورسله فإن الإنسان متى ادعى بحرفة أبيه وجده لم يسبقه ذلك منه وإضافتهما أن درجة إبراهيم عليه السلام واسحق ويعقوب كان أمرا مشهورا في الدنيا فإذا ظهر أنه ولدهم عظموه وفتروا إليه بعين الاجلال فكان اقتيادهم له أتم وتأثر قلوبهم بكلامه اكل (السؤال الثاني) لما كان نبيا فكيف قال أتى أتبعته ملة آباءي والنبي لا بد أن يكون مختصا بشريعة نفسه قلنا لعل مراده التوحيد الذي لم يتغير وإيضاحه لعله كان رسولا من عند الله إلا أنه كان على شريعة إبراهيم عليه السلام (السؤال الثالث) لم قال ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وحال كل المكشفين كذلك (الجواب) ليس المراد بقوله ما كان لنا أنه حرم ذلك عليهم بل المراد أنه تعالى طهر آياته عن الكفر ونظيره قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد (السؤال الرابع) ما الفائدة في قوله من شيء (الجواب) أن اصناف الشرك كثيرة فمن يعبد الاصنام ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من يعبد العقل والنفس والطبيعة فقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء رد على كل هؤلاء الطوائف والفرق وإرشاد إلى الدين الحق وهو أنه لا موجد إلا الله ولا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ثم قال ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وفيه مسألة وهي أنه قال ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ثم قال ذلك من فضل الله فقوله ذلك إشارة إلى ما تقدم من عدم الأشراك فهذا يدل على أن عدم الأشراك وحصول الإيمان من الله ثم بين أن الأمر كذلك في حقه بعينه وفي حق الناس ثم بين أن أكثر الناس لا يشكرون ويجب أن يكون المراد أنهم لا يشكرون الله على نعمة الإيمان بحكي أن واحدا من أهل السنة دخل على بشرين المعتر وقال هل تشكر الله على الإيمان أم لا فإن قلت لا فقد خالفت الإجماع وأن شكره فكيف تشكره على ما ليس فعلا له فقال له بشر أنا تشكره على أنه تعالى أعطانا القدرة والعقل والآلة فيجب علينا أن نشكره على إعطاء القدرة والآلة فأما أن نشكره على الإيمان مع أن الإيمان ليس فعلا له فذلك باطل وصعب الكلام على بشر فدخل عليهم فمما بين الأشرس وقال أنا لا تشكر الله على الإيمان بل الله يشكرنا

عليه وما ذكر من القسالة فحق المنتذر قبل ظهور معذرتة وقد قيل في تعليل الملكية أن الجمع بين الجلال والرائق (عليه)

والكمال الفائق والعصمة البالغة من الخواص الملكية وهو (١٩١) ايضا لا يلزم قولها فذل لكن الذى لمنى فيه فان عنوان العصمة

عليه كما قال فأولئك كان سعيهم مشكورا فقال بشر لما صعب الكلام سهل * واعلم ان الذى الزمه نمامة باطل بنى هذه الآية وذلك لانه تعالى بين ان عدم الاشراك من فضل الله ثم بين ان اكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة وانما ذكره على سبيل الذم فذل هذا على انه يجب على كل مؤمن ان يشكر الله تعالى على نعمة الايمان وحينئذ تقوى الحجمة وتكمل الدلالة قال القاضى قوله ذلك ان جعلناه اشارة الى التمسك بالتوحيد فهو من فضل الله تعالى لانه انما حصل بالاطافه وتسهيله ويحتمل ان يكون اشارة الى النبوة (والجواب) ان ذلك اشارة الى المذكور السابق وذلك هو ترك الاشراك فوجب ان يكون ترك الاشراك من فضل الله تعالى والقاضى بصرفه الى الاطاف والتسهيل فكان هذرا تركا للظاهر واما صرفه الى النبوة فبعد لان اللفظ الدال على اشارة يجب صرفه الى اقرب المذكورات وهو هنا عدم الاشراك عليه قوله تعالى (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الاتعبدوا الاياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي فى السجن ويحتمل ايضا انه لما حصلت مرافقتهما فى السجن مدة قليلة أضيفا اليه واذا كانت المرافقة القليلة كافية فى كونه صاحبا فن عرف الله وأحبه طول عمره أولى بان يبقى عليه اسم المؤمن المعارف المحب (المسئلة الثانية) اعلم انه عليه السلام لما ادعى النبوة فى الآية الاولى وكان اثبات النبوة مبني على اثبات الالهيات لاجرم شرع فى هذه الآية فى تقرير الالهيات ولما كان أكثر الخلق مفرقين بوجود الاله العالم القادر وانما الشأن فى انهم يتخذون أصناما على صورة الارواح الفلكية ويعبدونها ويتوقعون حصول النفع والضرر منها لاجرم كان سعى أكثر الانبياء فى المنع من عبادة الاوثان فكان الامر على هذا القانون فى زمان يوسف عليه السلام فلماذا السبب ههنا فى ذكر ما يدل على فساد القول بعبادة الاصنام وذكرنا اوعا من الدلائل والحجج (الحجة الاولى) قوله أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وتقرير هذه الحجمة أن نقول ان الله تعالى بين أن كثرة الآلهة توجب الخلل والفساد فى هذا العالم وهو قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فكثرة الآلهة توجب الفساد والخلل وكون الاله واحدا يقتضى حصول النظام وحسن الترتيب فلما قرر هذا المعنى فى سائر الآيات قال ههنا أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار (الحجمة الثانية) ان هذه الاصنام معمولة لاعامة ومقهوره لافاهرة فان الانسان اذا أراد كسرهما وابطالها فقد رعلها ففى مقهوره لانتأثير لها ولا يتوقع حصول منفعة ولا مضرة من جهةها والله العالم فبالقهار قادر يقدر على ايصال الخيرات ودفع الشرور والآفات فكان المراد ان عبادة الآلهة المقهوره الذليلة خير أم عبادة الله الواحد القهار فقوله أرباب اشارة الى الكثرة فجعل

الغفلان بالتثليل ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت فى المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط

موطئة القسم وجوابه سادسد الجوابين ولقد أتت بهذا الوعيد المنطوي على (١٩٢) فذون التاكيد بمحض من يعلم يوسف عليه السلام

في مقابله كونه تعالى واحدا وقوله متفرون إشارة إلى كونها مختلفة في الكبر والصغر واللون والشكل وكل ذلك إنما حصل بسبب ان الناحية والصانع يجعله على تلك الصورة فقولهم متفرون إشارة إلى كونها مقهورة عاجزة وجعل في مقابله كونه تعالى قهارا فهذا الطريق الذي شرحناه اشتملت هذه الآية على هذين النوعين الظاهرين (الجملة الثالثة) ان كونه تعالى واحدا يوجب عبادته لانه لو كان ثان لم نعلم من الذي خلقنا ورزقنا ودفع الضرر والافات عنا فوقع الشك في أن نعبد هذا أم ذاك وفيه إشارة إلى ما يدل على فساد القول بعبادة الاوثان وذلك لان بتقدير ان تحصل المساعدة على كونها نافعة ضارة الا انها كثيرة فينبذ لانهم ان تفننا ودفع الضرر عنا حصل من هذا الصنم او من ذلك الآخر او حصل بمشاركتهما ومعاونتهما وحينئذ يقع الشك في ان المستحق للعبادة هو هذا أم ذاك اما اذا كان المعبود واحدا ارتفع هذا الشك وحصل اليقين في انه لا يستحق للعبادة الا هو ولا معبود للمخلوقات والكائنات الا هو فهذا ايضا وجه لطيف مستنبط من هذه الآية (الجملة الرابعة) ان بتقدير ان يساعد على ان هذه الاصنام تنفع وتضر على ما يقوله اصحاب الطلسمات الا انه لا نزاع في انها تنفع في اوقات مخصوصة وبمحسب آثار مخصوصة والاله تعالى قادر على جميع القدورات فهو قهار على الاطلاق نافذ المشيئة والقدرة في كل الممكنات على الاطلاق فكان الاشتغال بعبادته أولى (الجملة الخامسة) وهي شريفة عالية وذلك لان شرط القهار أن لا يقهره أحد سواء وأن يكون هو قهارا لكل ماسواه وهذا يقتضي أن يكون الله واجب الوجود لذاته ولو كان ممكنا لكان مقهورا لا قهارا ويجب أن يكون واحدا اذ لو حصل في الوجود وجبان لما كان قاهر الكل ماسواه فالاله لا يكون قهارا الا اذا كان واجبا لذاته وكان واحدا واذا كان العبود يجب أن يكون كذلك فهذا يقتضي أن يكون الله شيئا غير الفلك وغير الكواكب وغير النور والظلمة وغير العقل والنفس فأما من تمسك بالكواكب فهي أبواب متفرون وهي ليست موصوفة بأنها قهارة وكذا القول في الطبائع والارواح والعقول والنفوس فهذا الحرف الواحد كاف في اثبات هذا التوحيد المطلق وانه مقام عال فهذا مجموع الدلائل المستنبطة من هذه الآية بقي فيها سؤالان (السؤال الاول) لم سماها أربابا وليست كذلك (والجواب) لاعتقادهم فيها انها كذلك وايضا الكلام خرج على سبيل الفرض والتقدير والمعنى ان كانت اربابا فهي خير أم الله الواحد القهار (السؤال الثاني) هل يجوز التفاضل بين الاصنام وبين الله تعالى حتى يقال انها خير أم الله الواحد القهار (والجواب) انه خرج على سبيل الفرض والمعنى لو سلمنا انه حصل منها ما يوجب الخير فهي خير أم الله الواحد القهار ثم قال ما تعبدون من دونه الاسماء صحتها انتم وأباؤكم ما نزل الله بها من سلطان وفيه سؤال وهو انه تعالى قال فيما قبل هذه الآية أرباب متفرون خير أم الله الواحد القهار وذلك يدل على وجود هذه التسميات ثم قال عقب تلك الآية ما تعبدون من دونه الاسماء أنفسهم على فضيلة الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فرع منه عليه السلام إلى الطائف الله تعالى جريا (سمعوها)

على سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل (١٩٣) الطيرات والنجماء عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر

عن أنفسهم ومبالغة في استبداءه لطفه في صرف كيدهم باظهار ان لاطافته له بالمداغة كقول المستغيث ادركني ولاهلك لانه يطلب الاخبار والالاء الى العصاة والمغفرة وفي نفسه داعية تدعو الى هوانه والصبوة الليل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها يطلبن سيماء وروحها وقرى أصب اليهن من الصباة وهي رقة الشوق (واكن من الجاهلين) الذين لا يعلمون بما يعملون لان من لا يدري لعله فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونه الى من ليقابح لان الحكيم لا يفعل القبيح (فاستجاب له ربه) دعاء الذي تقضيه قوله والا تصرف عني كيدهم الخ فان فيه استبداءه لصرف كيدهم على ابلغ وجه والطفه كما مرق في اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف (فصرف عنه كيدهم) حسب دعائه ووثيقته على العصاة والمغفرة (انه هو السميع للعلم) لدعاء التضرع اليه (العلم) بأحوالهم وما يصلحهم (ثم بداهم) انهم ظهروا للمعزي واصحابه المتصددين للجل والعقد ربما اكتبوا بامر يوسف بالكتان والاعراض ذلك (من يندساروا) الايات الصارفة لهم من ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على برائه عليه السلام وفاعل بدا امام صدره او الرأى الفهوم من السياق او المحدث المدلول عليه بقوله (لبيحته) والمعنى بداههم اورأى او سمعته الختم قائلين والله لبيحته فالقسم المحذوف ونجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء (٢٥) (را) (خا) الاستئذان المرأة لزوجها وقتلها منه في الذروة والغارب

سميتموها وهذا يدل على ان المسمى غير حاصل وبينهما تناقض (الجواب) ان الذات موجودة حاصلة الا ان المسمى بالاله غير حاصل وبما من وجهين (الاول) ان ذوات الاصنام وان كانت موجودة الا انها غير موصوفة بصفات الالهية واذا كان كذلك كان الشيء الذي هو مسمى بالاله في الحقيقة غير موجود ولا حاصل (الثاني) روى ان عبدة الاوثان مشبهه فاعتقدوا ان الاله هو النور الاعظم وان الملائكة انوار صغيرة ووضعوا على صورة تلك الانوار هذه الاوثان ومعبودهم في الحقيقة هو تلك الانوار السماوية وهذا قول المشبهة قائم تصورا جعما كبيرا مستقرا على العرش وبعبدونه وهذا المخيل غير موجود البتة فصح انهم لا يعبدون الا مجرد الاسماء واعلم ان جماعة ممن يعبدون الاصنام قالوا نحن لا نقول ان هذه الاصنام آلهة العالم بمعنى انها هي التي خلقت العالم الا اننا نطلق عليها اسم الآلهة ونعبدها باعتقادنا ان الله امرنا بذلك فاجاب الله تعالى عنه فقال اما نسبحها بالآلهة فامر الله تعالى بذلك واما نزل في حصول هذه التسمية جنة ولا برهانا ولا دليلا ولا سلطانا وليس لغير الله حكم واجب القبول ولا امر واجب الانترام بل الحكم والامر والتكليف ليس الاله ثم انه امر ان لا تعبدوا الاياه وذلك لان العبادته نهاية التعظيم والاجلال فلا تنطبق الابن حصل منه نهاية الانعام وهو الاله تعالى لان منه الخلق والاحياء والعقل والرزق والهداية ونعم الله كثيرة وجهات احسانه الى الخلق غير متناهية ثم انه تعالى لمساين هذه الاشياء قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون وتفسيره ان اكثر الخلق يسندون حدوث الحوادث الارضية الى الاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية لاجل انه يقرر في العقول ان الحادث لا بد له من سبب فاذا رأوا ان تغير احوال هذا العالم في الحر والبرد والفصول الاربعة انما يحصل عند تغير احوال الشمس في ارباع الفلك ربطوا الفصول الاربعة بحركة الشمس ثم لما شاهدوا ان احوال النبات والحيوان تختلف بمحسب اختلاف الفصول الاربعة ربطوا حدوث النبات وتغير احوال الحيوان باختلاف الفصول الاربعة فهذا الطريق غلب على طباع اكثر الخلق ان المبدء لحدوث الحوادث في هذا العالم هو الشمس والقمر وسائر الكواكب ثم انه تعالى اذا وفق انسانا حتى ترقى من هذه الدرجة وعرف انها في ذواتها صفاتها ممتدة الى موجد ومبدع قاهر قادر عليهم حكيم فذلك الشخص يكون في غاية الندرة فلهذا اقل ولكن اكثر الناس لا يعلمون * قوله عز وجل (يا صاحبي السجن) اما احديكما فيسقى ربه خيرا واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذي فيه تستفتان) اعلم انه عليه السلام لما قرأ من التوحيد والنسبة عاد الى الجواب عن سؤال الذي ذكره والمعنى ظاهر وذلك لان السابق لما قص رؤياه على يوسف وقد ذكرنا كيف قص عليه قال له يوسف ما احسن ما رأيت اما حسن العتبة فهو حسن حالت واما الاغصان الثلاثة فتلاثة ايام بوجه البك الملك عند انقضائهن فرددك الى ملكك فتصير كما كنت بل احسن وقال للجناب لما قص عليه بشمارايت

المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء (٢٥) (را) (خا) الاستئذان المرأة لزوجها وقتلها منه في الذروة والغارب

وكان مطواعا لها فتودته حيث شئت قال السدي انها قالت للعزیز ان هذا (١٩٤) العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم

السلال الثلاث ثلاثا يام بوجه اليك الملك عند انتقضائهم فصلبك وتأكل الطير من رأسك ثم نقل في التفسير انها قالا مارأينا شيئا فقال قضى الامر الذي فيه تستفتيان واختلف فيما لاجله قالا مارأينا شيئا فقيل انهما وضعوا هذا الكلام ليخبرا علمه بالتعبير مع انهما مارأينا شيئا وقيل انهما لما كرها ذلك الجواب قالا مارأينا شيئا فان قيل هذا الجواب الذي ذكره يوسف عليه السلام ذكره بناء على الوحي من قبل الله تعالى او بناء على علم التعبير والاول باطل لان ابن عباس رضي الله عنهما نقل انه اعاد ذكره على سبيل التمهيد وايضا قال تعالى وقال الذي ظن انه ناج منهما ولو كان ذلك التعبير مبينا على الوحي لكان الحاصل منه القطع واليقين لا الظن والتخمين (والثاني) ايضا باطل لان علم التعبير مبني على الظن والحسبان والقضاء هو الازام بالجزم والحكم البتة فكيف بني الجزم والقطع على الظن والحسبان (الجواب) لا يبعد ان يقال انهما لماسأله عن ذلك المنام صدقاه او كذبا فان الله تعالى اوحى اليه ان عاقبة كل واحد منهما تكون على وجه الخصوص فلما نزل الوحي بذلك الغيب عند ذلك السؤال وقع في الظن انه ذكره على سبيل التعبير ولا بعد ايضا ان يقال انه بنى ذلك الجواب على علم التعبير وقوله قضى الامر الذي فيه تستفتيان ما عني به ان الذي ذكره واقع لاحالة بل عني به انه حكمه في تعبیر ماسأله عنه ذلك الذي ذكره * قوله عز وجل (وقال الذي ظن انه ناج منهما اذ كرني عند ربك فانساه الشيطان ذكره ربه فلبث في السجن بضع سنين) فيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في ان الموصوف بالظن هو يوسف عليه السلام او الناجي فعلى الاول كان المعنى وقال الرجل الذي ظن يوسف عليه السلام كونه ناجيا وعلى هذا القول فقيسه وجهان (الاول) ان نعمل هذا الظن على العلم واليقين وهذا اذا قلنا بأنه عليه السلام انما ذكر ذلك التعبير بناء على الوحي قال هذا القائل وورود لفظ الظن بمعنى اليقين كثير في القرآن قال تعالى الذين يظنون انهم ملائكة ربهم وقال اني ظننت اني ملاق حسابه (والثاني) ان نعمل هذا الظن على حقيقة الظن وهذا اذا قلنا انه عليه السلام ذكر ذلك التعبير لانه بناء على الوحي بل على الاصول المذكورة في ذلك العلم وهو لا تقيد الا بالظن والحسبان (والقول الثاني) ان هذا الظن صفة الناجي فان الرجلين السائلين ما كانا مؤمنين بنبوته يوسف ورسالته ولكنهما كانا حن في الاعتقاد فيه فكان قوله لا ينفيد في حقهما الاجمرد الظن (المسئلة الثانية) قال يوسف عليه السلام ذلك الرجل الذي حكم بأنه يخرج من الحبس ويرجع الى خدمة الملك اذ كرني عند ربك اي عند الملك والمعنى اذكر عنده انه مظلوم من جهة اخوته لما اخرجه وباعوه ثم انه مظلوم في هذه الواقعة التي لاجلها حبس فهذا هو المراد من الذكر ثم قال تعالى فانساه الشيطان ذكره وفيه قولان (الاول) انه راجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان انسى يوسف ان يذكره وعلى هذا القول فقيسه وجهان (احدهما) ان تمسكه بغير الله كان مستدركا عليه وتقديره من وجوه (الاول) ان مصلحته كانت في ان لا يرجع

بأنى راودته عن نفسه فامان تأذن في فأخرج فاعتذر الى الناس واما ان تمسكه نفسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلته به من يكتمه وتقاد لها قروته لما صرحت بحبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بشيها وياغوانها وقرئ لتجسته على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم او مخاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الراي المبشرين للسجن والحبس (حتى حين) الى حين انقطاع حالة الناس وهذا بادي الراي عند العزيز وذويه واما عندها فتقيد بذلك السجين ويضطر لها ويحسب الناس انه المحرم وقرئ حتى حين بلفظ هذيل (ودخل منه) اي في محبته (السجن ثنيان) من قتيان الملك ومالكه احدهما شرايه والاخر خيانه مروى ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسا الملك في طعامه وشرايه فأجابهم الى ذلك ثم ان الساقى تكل من ذلك ومضى عليه الخبز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقى لانا كل ايها الملك فان الخبز مسوم وقال الخبز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسوم فقال الملك الساقى اشربه فشربه فلم يضره وقال لخباز كله فاني فجرب بدابة فهلك فامر بجسمهما فائق ان ادخلهما معه وتأخير الفاعل عن الفعل لما في غير سمة من الاهتمام بالقسم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الطرف على القول الصريح في قوله تعالى فاجوس في نفسه خيفة وتأخير السجن عن الطرف لايها العكس ان يكون الطرف خيرا مقدما على الميتة

وتكون الجلة حالا من فاعل دخل فتأمل (قال احدهما) (١٩٥) استثنائي مبني على سؤال من يقول ما صنعنا بعدما دخلنا معه السجن

فاجيب بأنه قال احدهما وهو الشرايبي (ابن ابراهيم) اي رأيتي والتعدي بالمضارع لا يستحسن الصورة الماضية (عصمنا) اي عينا ساء بما يؤبل اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه عصر عينا (وقال الآخر) وهو الحجاز (اي اراي اجل فوق رأسي خبزا) تأخير المفعول عن الظرف لما مرأفنا وقوله (تأكل الطير منه) اي تهس منه صمنة للخبز واستثنائه مبني على السؤال (يشتا بتأويله) يتأويل ماذا كرم من الزوين او ما روى باجرا الضمير يجري ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الإشارة يشاير الى متعدد كافي قوله

فيها خطوط من سواد وبلقي كأنه في الجلد توليع البهي اي كان ذلك السر في المصير الى اجر المصير يجري اسم الإشارة مع انه الحاجة اليه بعد تأويل المرجع بما ذكرنا ويسا رؤى الضمير انما يعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يتبنى تأويله باحد الاعتبارين الا باجرائه يجري اسم الإشارة الذي يدل على المشار اليه بالاقتدار الذي جرى عليه في الكلام فتأمل هذا ان قاله معا او قاله احدهما من جهتهما معا واماذ قاله كل منهما اثر ما قص ماراة فاحطاب المذكور ليس عبارة واحدة ولا عبارة واحدة من جهتهما ليتعدد المرجع بل عبارة كل منهما يتبنى تأويله مستفسر المارة وصيغة المتكلم مع الغير وإقعة في الحكاية دون بصيعة

في تلك الواقعة الى احد من المخلوقين وان لا يعرض حاجته على احد سوى الله وان يقتدى بحمد ابراهيم عليه السلام فانه حين وضع في الجنين ليرى الى النار جاء جبريل عليه السلام وقال هل من حاجة فقال ما لي بك فلا يرجع يوسف الى المخلوق لاجرم وصف الله ذلك بأن الشيطان انساه ذلك التفويض وذلك التوحيد ودماء الى عرض الحاجة الى المخلوقين ثم لما وصفه بذلك ذكر انه بقي لذلك السبب في السجن بضع سنين والمعنى انه لما عدل عن الانقطاع الى ربه الى هذا المخلوق عوقب بأن لبث في السجن بضع سنين وحاصل الامر ان رجوع يوسف الى المخلوق صار سببا لامرين (احدهما) انه صار سببا لاستيلاء الشيطان عليه حتى أنساه ذكره (الثاني) انه صار سببا لبقاء الحنة عليه مدة طويله (الوجه الثاني) ان يوسف عليه السلام قال في ابطال عبادة الاوثان اأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ثم انه هنا اثبت ربا غيره حيث قال اذكرني عند ربك ومعاذ الله ان يقال انه حكم عليه بكونه ربا بمعنى كونه الها بل حكم عليه بالربوبية كما يقال رب الدار ورب التوب على ان اطلاق لفظ الرب عليه بحسب الظاهر يناقض في الأرباب (الوجه الثالث) انه قال في تلك الآية ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء * وذلك نفى للشرك على الاطلاق وتفويض الامور بالكلية الى الله تعالى فهنا الرجوع الى غير الله تعالى كالمنافض لذلك التوحيد واعلم ان الاستعانة بالناس في دفع الظلم جائزة في الشريعة الان حسنات الابرار سيئات المقربين فهذا وان كان جائزا لامة الخلق الان الاول بالصديقين ان يقطعوا نظرهم عن الاسباب بالكلية وان لا يشتغلوا الاسباب (الوجه الثاني) في تأويل الآية ان يقال هب انه تمسك بغير الله وطلب من ذلك الساق ان يشرح حاله عند ذلك الملت الا انه كان من الواجب عليه ان لا يخجل ذلك الكلام من ذكر الله مثل ان يقول ان شاء الله او قدر الله فلا اخلاص من هذا الذكر وقع هذا الاستدراك (القول الثاني) ان يقال ان قوله فأنساه الشيطان ذكر ربه راجع الى الناجي والمعنى ان الشيطان انسى ذلك الفتى ان يذكر يوسف للآل حتى طال الامر فلبث في السجن بضع سنين بهذا السبب ومن الناس من قال القول الاول اولي لما روى عنه عليه السلام قال رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن وعن قتادة ان يوسف عليه السلام عوقب بسبب رجوعه الى غير الله وعن ابراهيم التيمي انه لما انتهى الى باب السجن قال له صاحبه ما حاجتك قال ان تذكرني عند ربك يوسف الذي قال يوسف وعن مالك لما قال يوسف لساق اذكرني عند ربك قبل يا يوسف اتخذت من دوني وكلا لا طيلن حبسك فيكي يوسف وقال طول البلاء أنساني ذكر المولى فقلت هذه الكلمة فويل لآخوتي * قال مصنف الكتاب فخر الدين الرازي رحمه الله والذي جربته من اول عمرى الى آخره ان الانسان كلما عول في امر من الامور على غير الله صار ذلك سببا الى البلاء والحنة والشدة والرزية واذا عول العبد على الله ولم يرجع الى احد من الخلق حصل ذلك المطلوب على احسن الوجوه فهذه التجربة قد استمرت لي من

الحكى على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيعة

مفردة خاصة به (انازاك) لتعليل لعرض رؤيائهما عليه (١٩٦) واستفسارها منه عليه السلام (من الحسين) من الذين يجيدون عبادة الرؤيا

أول عرضي الى هذا الوقت الذي بلغت فيه الى السابع والحسين فعند هذا استقر قلبي على انه لا مصلحة للانسان في التعويل على شيء سوى فضل الله تعالى واحسانه ومن الناس من رجح القول الثاني لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل اولى من صرفها الى يوسف الصديق ولان الاستعانة بالعباد في التخلص من الظلم جائزة واعلم ان الحق هو القول الاول وما ذكره هذا القائل الثاني تمسك بظاهر الشريعة وما قرره القائل الاول تمسك بأسرار الحقيقة ومكارم الشريعة ومن كان له ذوق في مقام العبودية وشرب من مشرب التوحيد حرف ان الامر كما ذكرناه وايضا في لفظ الآية ما يدل على ان هذا القول ضعيف لانه لو كان المراد ذلك لقال فأنساه الشيطان ذكره لربه (المسئلة الثالثة) الاستعانة بغير الله في دفع الظلم جائزة في الشريعة لانكار عليه الا انه لما كان ذلك مستدركا من المحققين المتوغلين في بحار العبودية لاجرم صار يوسف عليه السلام مؤاخذا به وعندهذا نقول الذي يصير مؤاخذا بهذا القدر لان يصير مؤاخذا بالاقدام على طلب الزنا ومكافاة الاحسان بالاساءة كان اولى فلما رأينا الله تعالى آخذه بهذا القدر ولم يؤاخذه في تلك القضية البتة وما جاء به بل ذكره بأعظم وجوه المدح والشهادة انه عليه السلام كان مبرا مما نسب اليه الجاهل والحشوية اليه (المسئلة الرابعة) الشيطان يمكنه لقاء الوسوسة واما التسيان فللانه عبارة عن ازالة العلم عن القلب والشيطان لا قدرة له عليه والالكان قد زال معرفة الله تعالى عن قلوب بني آدم (وجوابه) انه يمكنه من حيث انه يوسوسه يدعو الى سائر الاعمال واشغال الانسان بسائر الاعمال يمنع عن استحضار ذلك العلم وتلك المعرفة (المسئلة الخامسة) قوله فلبث في السجن بضع سنين فيه بحثان (الاول) بحسب اللغة قال الزجاج اشتقاقه من بضعته بمعنى قطعت ومعناه القطعة من العدد قال الفراء ولا يذكر البضع الا مع عشرة او عشرين الى التسعين وذلك يقتضي ان يكون مخصوصا بما بين الثلاثة الى التسعة وقال هكذا رأيت العرب يقولون ومارأيتهم يقولون بضع ومائة وروى الشعبي ان النبي عليه الصلاة والسلام قال لاحبائه كم البضع قالوا الله ورسوله اعلم قال ما دون العشرة واتفق الاكثرون على ان المراد هنا بضع سنين سبع سنين قالوا ان يوسف عليه السلام حين قال لذلك الرجل اذكرني عند ربك كان قد بقي في السجن خمس سنين ثم بقي بعد ذلك سبع سنين قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نضرع يوسف عليه السلام الى ذلك الرجل كان قد اقترب وقت خروجه فلما ذكر ذلك لبث في السجن بعده سبع سنين وروى ان الحسن روى قوله صلوات الله عليه وسلامه رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها لما لبث في السجن هذه المدة الطويلة ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا امر نضرعنا الى الناس **ﷺ** قوله تعالى (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع غنبلات خضر واحرا يابسات يا ايها الملك افنوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين) اعلم انه تعالى اذا اراد شيئا

للمرأيه يقص عليه بعض اهل السمن رؤياه فيقولها له تأويلها حسنا او من العلماء ما سجد يذكر للناس ما يدل على غله وفضله او من الحسين الى اهل السجن اي فاحسن البنا يكشف غمتنا كنت قادر على ذلك روى انه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضايق مكانا اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة رضي الله عنه كان في السجن ناس قد اقتلع رجائهم وطال حزنهم فيقول ابشروا واسبروا ثم جروا فقالوا بارك الله علينا ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فن انت يا بني فقال ابو يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استعنت خليت سبيلك ولكن احسن جوارك فكف في اى بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تمالاه ليصغها فقال الشرايين اراى في بيتنا فاذا بأصل حيلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب قطعتها وصهرتها في كأس الملك وسقيته وقال الجبار اني ارى فوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سابع الطير تنس منها قال لا يا نيكما طعام ترزقانه في مقامكما هذا حسب عادتكما المطردة (الانبياء كما بتأويله) استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا يا نيكما طعام في حال من الاحوال الاحمال ما بتأويله بان يبت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله (قيل ان يا نيكما) واطلاق التساؤل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المعهم بمذلة التأويل

بالنظر الى ما روى في المنام وشبه له واما بطريق المشاكلة حسبا وقع في عبارتهما (هباله)

من قولهما نبشأ بتأويله ولا يعبدان يراد بالتأويل الشيء (١٩٧) الآيل لاما لك فانه في الاصل جعل شي آيات الى شي آخر فكما يجوز

ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول فالعنى الانبائكما بما يؤيل اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام يقول لهما اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيف فيجدهانه كذلك ومراده عليه السلام بذلك يسان كل ما يهيم به من الامور المترتبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التقاض اليه مما استبراه من الرؤيتين المتعلقين بالشراب والطعام وقد جعل الضمير المقتضا من الرؤيتين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا خبرتكما بتأويل ما قصصنا على قبل ان يأتيكما ذلك الطعام الموقت مراد به الانبياء بالاستيصال في النبوة والانبياخير بأن النظم الكريم ظاهري تعدد آيات الطعام والانبياخ بالآويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياهما دخولاً اولياً وانما لم يكتف عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع انه فيه دلالة على فضله لانها لما انتبه عليه السلام بالانتظام في سبط المحسنين وانما قد علما ذلك حيث قالانا نراك من المحسنين توسم عليه السلام فيها خبراً وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج أثر ذي اثر عماني عهده من دعوة الحق الى الحق فيقبل الخوض في ذلك مقدمة تزديها صلايظم شأنه وثقة بامرهم ووقوفه على علو طبقة في بدائع العلوم توسلا

هيا له اسباباً ولما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر في النوم سبع بقرات سمان خرجن من ثمر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت ابعجاف السمان ورأى سبع مذبات خضر قد انقعدت حبا وسبعاً اخرى يسات فالتوت اليها يسات على الخضر حتى غلبن عليها فجمع الكهنة وذكرها لهم وهو المراد من قوله يا أيها الملك اثنوني في رؤياي فقال القوم هذه الرؤيا مختلطة فلا تقدر على تأويلها وتعبيرها فهذا ظاهر الكلام وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال اليت العجف ذهاب السمن والفعل عجف يعجف والذ كرا عجف والائتي عجفاً والجمع عجاف في الذكران والاثاث وليس في كلام العرب افضل وفعلاء جمعاً على فعال غير عجف وعجاف وهى شاذة جلوها على لفظ سمان فقالوا سمان وعجاف لانهما تقيضان ومن دأبهم حل النظر على النظر والتقيض على التقيض واللام في قوله للرؤيا تعبرون على قول البعض زائدة لتقدم المفعول على الفعل وقال صاحب الكشف يجوز ان تكون الرؤيا خبراً كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلاًه متمكناً منه وتعبرون خبراً آخر احوالاً يقال عبرت الرؤيا عبرها عبارة وعبرتها تعبيراً اذا غسرتها وحكى الازهرى ان هذا مأخوذ من العبر وهو جانب النهر ومعنى عبرت النهر والطريق قطعته الى الجانب الآخر فقبل العابر الرؤيا عابراً لانه تأمل جانبي الرؤيا ففكر في اطرافها وينقل من احد الطرفين الى الآخر والاضغاث جمع الضغث وهو الخزمة من انواع الثبت والحشيش بشرط ان يكون مقاماً على ساق واستطال قال تعالى وخذ بيده ضغثاً اذا عرفت هذا فيقول الرؤيا ان كانت مخلوطة من اشياء غير مناسبة كانت شبيهة بالضغث (المسئلة الثانية) انه تعالى جعل هذه الرؤيا سبباً لخالص يوسف عليه السلام من السجن وذلك لان الملك لما رأى قلق واضطرب بسببه لانه شاهد ان الناقص الضعيف استولى على الكامل القوى فشهدت فطرته بأن هذا ليس بمجد وانه منذر بنوع من انواع الشر الا انه ما عرف كيفية الحال فيه والشيء اذا صار معلوماً من وجوه يبق مجهولاً من وجه آخر عظم تشوق الناس الى تكميل تلك المعرفة وقويت الرغبة في اتمام الناقص لاسيما اذا كان الانسان عظيم الشأن واسع الملكة وكان ذلك الشيء دالاً على الشر من بعض الوجوه فهذا الطريق قوى الله داعية ذلك الملك في تحصيل العلم بتعبير هذه الرؤيا ثم انه تعالى اعجز المعبرين الذين حضروا عند ذلك الملك عن جواب هذه المسئلة وعما عليهم ليصير ذلك سبباً لخالص يوسف من تلك المحنة واعلم ان القوم ما توافعن انفسهم كونهم عابرين يعلم التعبير بل قالوا ان علم ان التعبير على قسمين منه ما تكون الرؤيا فيه متنسقة منتظمة فيسهل الانتقال من الامور المتخيلة الى الحقائق العقلية الروحية ومنه ما تكون فيه مختلطة مضطربة ولا يكون فيها ترتيب معلوم وهو المعنى بالاضغاث والقوم قالوا ان رؤيا الملك من قسم الاضغاث ثم اخبروا انهم غير عابرين بتعبير هذا القسم وكانهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة من اشياء كثيرة وما كان كذلك فحق لا تهتدى اليها ولا يحيط بعقلانها وفيه ايهام ان الكامل في هذا العلم والمعتبر

ذلك الى تحقيق ملتونه وقد تخلص اليها من كلامهما فكأنه قال تأويل ما قصصناه على في طرف

التمام حيث رأيتما مثاله في المنام وإني ابن لكما كل جليل ودقيق من الأمور (١٩٨) المستقبل وإن لم يكن هناك مقدمة التمام حتى إن

فيهِ قد ابتدئ بها فعد هذه المقالة تذكرة ذلك الشرائع واقعة يوسف فإنه كان يعتقد فيه كونه متبحراً في هذا العلم * قوله تعالى (وقال الذي نجا منهما وادكر بعدامته أنا أنبأكم بأمره) فإرسلون يوسف إليها الصديق أضنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعل أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون) اعلم ان الملك لما سأل الملك عن الرؤيا واعترف الحاضرون بالهجز عن الجواب قال الشرائع ان في الحليس رجلاً فاضلاً صالحاً كثير العلم كثير الطاعة قصصنا اننا انبأنا عليه منامين فذكرنا وبلغنا فصدق في الكل وما أخطأ في حرف فأن أذنت مضيت إليه وجئتكم بالجواب فمذاهو قوله وقال الذي نجا منهما وادكر بعدامته فنقول سيحى اذكر في تفسير قوله تعالى فهل من مذكر في سورة القمر قال صاحب الكشف وادكر بالدال هو الفصح عن الحسن وادكر بالدال اى تذكر واما الامة فقيه وجوه (الاول) بعدامة اى بعد حين وذلك لان الحين انما يحصل عند اجتماع الايام الكثيرة كما ان الامة انما تحصل عند اجتماع الجمع العظيم فالحين كان أمة من الايام والساعات (والثاني) قرأ الاشهب العقيلي بعدامة بكسر الهمزة والامة التهمة قال عدى

ثم بعد الفلاح والملك والامة وارثهم هناك القبور

والمعنى بعد ما نتم عليه بالنجاة (الثالث) قرأ بعدامة اى بعد نسيان يقال أمة بأمة أمها اذ نسي والصحيح انها يفتح الميم وذكره ابو عبيدة بسكون الميم وحاصل الكلام انه امان يكون المراد وادكر بعدمضى الاوقات الكثيرة من الوقت الذى أوصاه يوسف عليه السلام بذكره عند الملك او المراد وادكره بعد وجدان التهمة عند ذلك الملك او المراد وادكر بعد النسيان فان قيل قوله وادكر بعدامة يدل على ان النامى هو الشرائع وانتم تقولون النامى هو يوسف عليه السلام قلنا قال ابن الانبارى اذكر بمعنى ذكرنا واخبروه هذا لا يدل على سبق النسيان قلعل الساقى انما يذكره للملك خوفاً من ان يكون ذلك اذا كرا لذنبه الذى من اجله حبسه فيرداد الشرى ويحتمل ايضا ان يقال حصل النسيان ليوسف عليه السلام وحصل ايضا ذلك الشرائع واما قوله فإرسلون يوسف اليها الصديق فقيه محذوف والتقدير فإرسلا يوسف اليها وقال اليها الصديق هو البالغ في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه لم يجرب عليه كذبا وقيل لانه صدق في تعبير رؤياه وهذا يدل على ان من اراد ان يتعلم من رجل شيئا فإنه يحب عليه ان يعظمه وان يحاطبه بالالفاظ المشرفة بالاجلال ثم انه أعاد السؤال بعين اللفظ الذى ذكره الملك ونعم مافعل فان تعبير الرؤيا قد يختلف بسبب اختلاف الالفاظ كما هو مذكور في ذلك العلم اما قوله تعالى لعل أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون فالمراد لعل أرجع إلى الناس بفتواك لعلهم يعلمون فضلك وعلتك وانما قال لعل أرجع إلى الناس بفتواك لانه رأى عجز سائر المعبرين عن جواب هذه المسئلة فخاف ان يعجز هو ايضا عنه بسبب الايمان به للتصميم على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليست بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى انه عمل غير صالح (قلهاذا)

الطعام المولف الذى يأتيكم كل يوم ايته لكما قبل آياته ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهى يؤتاه من يشاء من صفاته للنبوة فقال (ذلكما) أى ذلك التأويل والاخبار بالغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته (بما على ربي) بالوحى والالهام اى بضمة من اومن ذلك المجلس الذى لا يحوم حول ادراك العقول ولقد دللنا بذلك على ان له علوماً ما حصى فطمع من جهلته وشعبه من درجته ثم بين ان نبيك تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آباءه الانبياء العظام واستنساخه عن الشرك فقال (اى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) وهو استئناف وقع جواباً عن سؤال نؤمن قوله ذلكا بما على ربي وتعليلاً له لا لتعليم الواقع صلة للوصول لتأديته المعنى انه ما على ربي لهذا السبب دون غيره ولا لخصون الجملة لطيرة لان ما ذكر بصدد التعليل ليس به لكون التأويل المذكور بعضاً مما علمه وبه اولكونه من جنسه بل لنفس تعليم ماعله فكانه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني تركت ملة الكفرة اى دينهم الذى اجتمعوا عليه من الشرك وعبادات الاوثان والمراد بتوكها الانتساب عنها رأساً كما يفتضح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ لا تركها بعد ما لبستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتداء بما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسبب الايمان به للتصميم

(وهم بالآخرة) وما فيها من الجزاء (هم كافرون) (١٩٩) على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر (وابتعت

فلهذا السبب قال لعلي أرجع الى الناس * قوله عز وجل (قال ترعون سبع سنين دأباً ما
حصدم فذرروه في سبيله الا قليلاً مما تآكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يا كائن ما
قدمتم لهم الا قليلاً مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)
اعلم انه عليه السلام ذكر تعبير تلك الرؤيا فقال ترعون وهو خبر بمعنى الامر كقوله
والمطلقات يتربصن والوالدات يرضعن وانما يخرج الخبر بمعنى الامر ويخرج الامر
في صورة الخبر للبيافة في الايجاب فيعمل كانه وجد فهو يخرج عنه والدليل على كونه
في معنى الامر قوله فذرروه في سبيله وقوله دأباً قال اهل اللغة الدأب استمرار الشيء
على حالة واحده وهو دائب بفعل كذا اذا استمر في فعله وقد دأب يدأب دأباً أي زراعة
متوالية في هذه السنين قال أبو علي الفارسي الاكثرون في دأب الاسكان ولعل الفصحى لغة
فيكون تشمع وشمع ونهر ونهر قال الزجاج وانصب دأباً على معنى تدأبون دأباً وقيل انه
مصدروضع في موضع الحال وتقديره ترعون دأبين فاحصدم فذرروه في سبيله الا قليلاً
مما تآكلون كل ما أردتم اكله فذسوه ودعوا الباقي في سبيله حتى لا يفسد ولا يقع السوس
فيه لان ابقاء الحبة في سبيلها يوجب بقاء هاعلى الصلاح ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد
أي سبع سنين مجديات والشداد الصعاب التي تشتد على الناس وقوله يا كائن ما قدمتم
لهم هذا مجاز فان السنة لا تأكل فيجعل اكل اهل تلك السنين مسنداً الى السنين وقوله
الا قليلاً مما تحصنون الاحصان الاحراز وهو القاء الشيء في الحصن يقال احصنه احصاناً
اذا جمعه في حرز والمراد الا قليلاً مما تحرزون أي تدخرون وكلها الفاظ ابن عباس رضي
الله عنهما وقوله ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس قال المفسرون السبعة المتقدمة
سنوات لخصب وكثرة النعم والسبعة الثانية سنوات القحط والمقالة وهي معلومة من الرؤيا وما
حال هذه السنة فاحصل في ذلك المنام شيء يدل عليه بل حصل ذلك من الوحي فكأنه عليه
السلام ذكر انه يحصل بعد السبعة المحصنة السبعة المجدية سنة مباركة كثيرة الخير والنعم
ومن فتادة رآه الله علم سنة فان قيل لما كانت الجفاف سبعة دل ذلك على ان السنين
المجدية لا تزيد على هذا العدد ومن المعلوم ان الحاصل بعد انقضاء القحط هو الخصب وكان
هذا ايضا من مدلولات المنام فلم قلتم انه حصل بالوحي والالهام قلنا هب ان تبدل القحط
بالخصب معلوم من المنام اما تفصيل الحال فيه وهو قوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
لايعلم الا بالوحي قال ابن السكيت يقال غاث الله البلاد يغيتها غيثاً اذا انزل فيها الغيث
وقد غيثت الارض تغاثت وقوله يغاث الناس معناه يمحرون ويجوز ان يكون من قولهم
اغاثه الله اذا اغذه من كرب او غم ومعناه يغذ الناس فيه من كرب الجذب وقوله وفيه
يعصرون أي يعصرون السهم دهنه والغيب خيراً والذين زناوا هذا يدل على ذهاب
الجذب وحصول الخصب والخير وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون من عصره
اذا نجاه وقيل معناه يمحرون من اعصرت السحابة اذا اعصرت بالطر منه قوله واكثرنا

آباء إبراهيم واسحق ويعقوب)
يعني انه انما هذه الكلمات
وقاذ تلك الكرامات بسبب انه
اتبع ملته آباء الكرام ولم يتبع
ملته قوم كقروا بالبداء والمعادون
قاله عليه السلام ترغيباً لصاحبيه
في الايمان والتوحيد وتشفيهما
عما سكتا عليه من الشرك
والضلال وقدم ذكر تركه لئلا
على ذكر اتباعه لئلا يأن
التخليقة متقدمة على التعليمة
(ما كان) اي اسماحاً وما السقام
فضلاً عن الوقوع (لنا) معاشر
الانبياء لقوة نفوسنا ووفور
علمنا ان نشرك بالله من شيء)
أي شيء كان من ملك او جنى
او انسى فضلاً عن الجناد البعث
(ذلك) أي التوحيد المدلول
عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك
بالله من شيء (من فضل الله
علينا) أي نأمن من تأييده
لنا بالنسوة وتر شبيهه اي نا
لقيادة الامة وهدايتهم الى الحق
وذلك مع كونه من موجبات
التوحيد ودواعي نعمة جليلة
وفضل عظيم علينا بالذات (على
الناس) كافة بواسطة وحيث
غير عن ذلك بذلك العنوان غير
عن التوحيد الذي يوجب به الشكر
فقتيل (ولكن اكثر الناس
لا يشكرون) أي لا توحدهون فان
التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر
من التأييد شكره عن وجل على
تلك النعمة وانما وضع الظاهر
موضع الضمير الراجع الى الناس
لزيادة توضيح وبيان ولتعلق توهم
رجوعه الى المجموع الوهم لعدم
اخصاص غير الشاكر بالناس
وقيل ذلك التوحيد من فضل الله
علينا حيث نصب لنا أدلة ونظير
فيها ونستدل بها على الحق وقد
نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس

ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعاً لاهوائهم فيقولون كافرين غير شاكرين وان تقول ذلك التوحيد من فضل الله

علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد (٢٠٠) التي مهدها في الانفس والاكتاف وقد اعطى سائر الناس

من المعصرات ماء نجا **﴿ قوله تعالى ﴾** وقال الملك **﴿ آثوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله مابال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الان ححص الحق انار اودته عن نفسه وانه من الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾** اعلم انه لما رجع الشرابي الى الملك وعرض عليه التعبير الذي ذكره يوسف عليه السلام استحسنته الملك فقال **﴿ آثوني به وهذا يدل على فضيلة العلم فانه سبحانه جعل علمه سبيلا لخلاصه من المحنة الدنيوية فكيف لا يكون العلم سبيلا لخلاص من المحن الاخرية فعاد الشرابي الى يوسف عليه السلام قال اجب الملك فأبى يوسف عليه السلام ان يخرج من السجن الا بعد ان ينكشف امره وتزول التهمة بالكيفية عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال عجت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات الجفاف والسمان ولو كنت مكانه لما خبرتهم حتى اشتريت ان يخرجوني ولقد عجت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وادبرتهم الى الباب ولما ابتغيت العذر انه كان حليما ذانا واعلم ان الذي فعله يوسف من الصبر والتوقف الى ان تفحص الملك عن حاله هو الملائق بالحزم والعقل وبيانه من وجوه (الاول) انه لو خرج في الحال فربما كان يبقى في قلب الملك من تلك التهمة اثرها فلما التمس من الملك ان يفحص عن حال تلك الواقعة دل ذلك على برامته من تلك التهمة فبعد خروجه لا يقدر احد ان يطمحه تلك الرذيلة وان يتوسل بها الى الطعن فيه (الثاني) ان الانسان الذي بقي في السجن اثنتي عشرة سنة اذا طلبه الملك وامر باخراجه الظاهر انه يبادر بالخروج فحيث لم يخرج عرف منه كونه في نهاية العقل والصبر والثبات وذلك بصبر سبيا لان يعتقد فيه البراءة عن جميع انواع التهم ولان يحكم بان كل ما قيل فيه كان كذبا وبهتان (الثالث) ان التماسه من الملك ان يفحص عن حاله من تلك النسوة يدل ايضا على شدة طهارته اذ لو كان ملوثا بوجهه لكان خائفا ان يذكر ما سبق (الرابع) انه حين قال للشرابي اذكرني عند ربك فبقي بسبب هذه الكلمة في السجن بضع سنين وهننا طلبه الملك فلم يلتفت اليه ولم يقم لطلبه وزنا واشتغل باظهار برائه عن التهمة ولعله كان غرضه عليه السلام من ذلك ان لا يبق في قلبه التفات الى رد الملك وقبوله وكان هذا العمل جاريا مجرى التلافي لما صدر منه من التوسل اليه في قوله اذكرني عند ربك ليظهر ايضا هذا المعنى لذلك الشرابي فانه هو الذي كان واسطة في الحالتين مما اما قوله فاسئله مابال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فقيه مسلمتان (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير والكسائي فسله بغير همز والباقون فاسئله بالهمز وقرأ طاصم برواية ابى بكر عنه النسوة بضم النون والباقون بكسر النون وهما لغتان (المسئلة الثانية) اعلم ان هذه الآية فيها انواع من اللطائف (اولها) ان معنى الآية فسل الملك بان يسأل ما شأن تلك النسوة**

ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الا فاقسة والانفسية والعقلية والنقلية (يا صاحي السجن) اي يا صاحي في السجن كما تقول يا سارق اللبنة ناداهما بعنوان المحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفون فيها المودة وتخلص النجعة ليقبلا عليه ويقبلا مقاتله وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق التصاح فقال (الرباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستبعد كما كل منهم حسبا أراد غير مراقب لا آخر من عدم استقلاله (خير) لكم (أم الله) المعبود بالحق (الواحد) المنفرد بالالوهية (القهار) الغالب الذي لا يغاليه احد ويدهم فيها على فساد تعدد الارباب ومن الهما سقوط التهمة عن درجة الاعتبار اسافلا عن الالوهية فقال معمم الخطاب لهما وان على دينها لا متعبون من دونه اي من دون الله شيئا (الاحاد) فارعة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لوجوده (صلا) كانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط (سمنقوها) جعلتوها أسماء وانما لم يذكر المسماة تربية لما يقتضيه المقام من استغفارها عن مرتبة الوجود وايدان بان تسبتهن في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود (انتم وآباؤكم) بمعنى جهلكم وضلالكم (ما ازل الله بها) اي تلك التسمية المستتبعة للعبادة (من سلطان) من جهة تدل على حصة (ان الحكم) في امر العبادة المتفرقة على تلك التسمية (الله) عز سلطانه لانه المستحق (وما حالهن)

لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد لكل والمالك (٢٠١) لامره (أمر) استثنائي مبني على سؤال ثانى من قوله ان الحاكم

الله فكانه قيل فاذا حكم الله في هذا الشأن قيل امر على السنة الانبياء عليهم السلام (ألا تعبدوا) أى بأن لا تعبدوا (الا اياه) حسبما تقضى به قضية العقل ايضا (ذلك) أى تخصيصه تعالى بالمبادء (الدين القيم) الثابت المستقيم الذى تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلوا (ولكن أحمق الناس لا يعلمون) ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين اولا يعلمون شيئا أصلا فيعيّدون أسماء سوءها من تلقاء أنفسهم مرضيين عن البرهان العقلى والسلطان النقلى وبعد تحقيق الحق ودعوتهم اليه ويسانه لهما مقداره الرفيع ومرتبة عله الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال (يا صاحبي السجن أأما احدهما) وهو الشرايى وانما يمينه ثقة بدلالة التعيين وتوسلا بذلك الى ايهام امر صاحبه حذار مشافهته بما يسوء (فيسرق ربه) أى سيده (نرا) روى انه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمه وحسنها الملك وحسن حاله عنده واما الفضيلان الثلاثة فثلاثة ايام تخفى في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرأ عكرمة فيبقى ربه على البناء لمفعول أى يسبق ما يروى به (واما الاثني عشر) وهو طليان (فيصلب فتأكل الطيور من رأسه) روى انه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال الثلاث ثلاثة ايام تمر ثم تخرج فتقتل (قضى)

وما حاله لن يعلم براه قى عن تلك التهمة الا انه اقتصر على ان يسأل الملائكة عن تلك الواقعة لتلا يشتمل اللفظ على ما يجري مجرى امر الملك بعمل أو فعل (وثانيها) انه لم يذكر سيده مع انها هى التى سعت في القائه في السجن الطويل بل اقتصر على ذكر سائر النسوة (وثالثها) ان الظاهر ان أولئك النسوة نسبته الى عمل قبيح وفعل شنيع عند الملك فاقصر يوسف عليه السلام على مجرد قوله ما بال النسوة اللاتي قطعن ابديهن وما شكا منهن على سبيل التعيين والتفصيل ثم قال يوسف عليه السلام بعد ذلك ان ربى يكيدهن عليّ وفي المراد من قوله ان ربى وجهان (الاول) انه هو الله تعالى لانه تعالى هو العالم بخصيات الامور (والثاني) ان المراد به الملك وجعله بالنفسه ليكون مريال وفيه اشارة الى كون ذلك الملك علما بكيدهن ومكرهن واعلم ان كيدهن في حقه يمحتمل وجوها (احدها) ان كل واحدة منهن ربما طمعت فيه فلما لم يجد المطلوب اخذت تطمع فيه وتسد الى القبيح (وثانيها) لعل كل واحدة منهن بالغت في ترغيب يوسف في موافقة سيده على مرادها ويوسف علم ان مثل هذه الخيانة في حق السيد الذم لا تجوز فأشار بقوله ان ربى بكيدهن عليّ الى مبالغتهن في الترغيب في تلك الخيانة (وثالثها) انه استخرج منهن وجوها من المكر والحيل في تقبيح صورة يوسف عليه السلام عند الملك فكان المراد من هذا اللفظ ذلك ثم انه تعالى حكى عن يوسف عليه السلام انه لما اتهم ذلك امر الملك باحضارهن وقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه وفيه وجهان (الاول) ان قوله اذ راودتن يوسف عن نفسه وان كانت صيغة الجمع فالمراد منها الواحدة كقوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم (والثاني) ان المراد منه خطاب الجماعة ثم ههنا وجهان (الاول) ان كل واحدة منهن راودت يوسف عن نفسها (والثاني) ان كل واحدة منهن راودت يوسف لاجل امرأة العزيز فاللفظ محتمل لكل هذه الوجوه وعند هذا السؤال قلن حاش الله ما علمنا عليه من سوء وهذا كالتأكيّد لما ذكرنا في اول الامر في حقه وهو قولهن ما هذا بشرا ان هذا الاملاك كرم واعلم ان امرأة العزيز كانت حاضرة وكانت تعلم ان هذه المناظرات والتفحصات انما وقعت بسببها ولاجلها فكشفت عن الغطاء وصرحت بالقول الحق وقالت الآن حصص الحق أنار اودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذه شهادة جازمة من تلك المرأة بأن يوسف صلات الله عليه كان مبرا عن كل الذنوب مطهرا عن جميع العيوب وههنا دقيقة وهى ان يوسف عليه السلام راعى جانب امرأة العزيز حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن ابديهن فذكرهن ولم يذكر تلك المرأة البتة فعرفت المرأة انه امتاز بذكرها رماية لحقها وتعظيم جانبها واخفاء لامر عليها فأرادت ان تكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم ازال الغطاء والوطاء واعترفت بأن الذنب كله كان من جانبها وان يوسف عليه السلام كان مبرا عن الكل ورأيت في بعض

أى أم واحكم (الاسم الذى فيه تستغنيان) (٢٠٢) (را) (خا) وهو ما رأياه من الرؤيين قطعنا لاما له الذى هو عبارة عن

نجان احدهما وهلاك الآخر كما يوحى به اسناد القضاء اليه اذا استغناه انما يكون (٣٠٢) في الحادثة لاني حكمها يقال استغنى الفقيه

الكتب ان امرأة جاءت بزوجه الى القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي بأن يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اقامة الشهادة فقال الزوج لاحاجة الى ذلك فاني مقر بصديقها في دعواها فقالت المرأة لما اكرمتني الى هذا الحد فشهدوا اني أبرأت ذمتك من كل حق لي عليك (المسئلة الثانية) قال اهل اللغة حصص الحق معناه وضع وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس من قولهم حصص البعير في بروكه اذا تمكن واستقر في الارض قال الزجاج اشتقاقه في اللغة من الحصاة اي بانث حصاة الحق من حصاة الباطل (المسئلة الثالثة) اختلفوا في ان قوله ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب كلام من وفيه اقوال (الاول) وهو قول الاكثرين انه قول يوسف عليه السلام قال الفراء ولا يعبدو صل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه ومثاله قوله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلهما اذلة وهذا كلام بلقيس ثم انه تعالى قال وكذلك يفعلون وايضا قوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه كلام الداعي ثم قال ان الله لا يتخلف الميعاد بقي على هذا القول سؤالات (السؤال الاول) قوله ذلك اشارة الى الغائب والمراد منها الاشارة الى تلك الحادثة الحاضرة (والجواب) اجبنا عنه في قوله ذلك الكتاب وقيل ذلك اشارة الى ما فعله من رد الرسول كما انه يقول ذلك الذي فعلت من ردى الرسول انما كان ليعلم الملك اني لم أخنه بالغيب (السؤال الثاني) متى قال يوسف عليه السلام هذا القول (الجواب) روى عطية عن ابن عباس رضى الله عنهما ان يوسف عليه السلام لما دخل على الملك قال ذلك ليعلم وانما ذكره على لفظ الغيبة تعظيما للملك عن الخطاب والاولى انه عليه السلام انما قال ذلك عند عود الرسول اليه لان ذكر هذا الكلام في حضرة الملك سوء أدب (السؤال الثالث) هذه الخيانة وقعت في حق العزيز فكيف يقول ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب (والجواب) قبل المراد ليعلم الملك اني لم اخن العزيز بالغبية وقيل انه اذا خان وزيره فقد خانته من بعض الوجوه وقيل ان الشرابي لما رجع الى يوسف عليه السلام وهو في السجن قال ذلك ليعلم العزيز اني لم أخنه بالغيب ثم ختم الكلام بقوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين ولعل المراد منه اني لو كنت خائنا لما خلصني الله تعالى من هذه الورطة وحيث خلصني منها ظهر اني كنت مبرا عما نسبوا اليه (والقول الثاني) ان قوله ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب كلام امرأة العزيز والمعنى اني وان أحلت الذنب عليه عند حضوره لكني ما أحلت الذنب عليه عند غيبته اي لم أقبل فيه وهو في السجن خلاف الحق ثم انها بالغت في تأكيد الحق بهذا القول وقالت وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لما أقدمت على الكيد والمكر لاجرم انقضت وانه لما كان بريئا عن الذنب لاجرم طهره الله تعالى عنه قال صاحب هذا القول والذي يدل على صحتها ان يوسف عليه السلام ما كان حاضرا في ذلك المجلس حتى يقال لما ذكرت المرأة قولها الآن حصص الحق انارودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ففي تلك الحالة يقول يوسف ذلك ليعلم اني أخنه

في الحادثة أي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استغنا في حكمها وكذا الاشارة يقال اني فلان في الواقعة الغلانية بكذا ولا يقال اني في حكمها او جواها بكذا (و) هو علم في ذلك قوله تعالى يا أيها الملا أفتوى في رؤياي ومعنى استغناهما فيه طلبهما لتأويله بقولهما ببناءه وتأويله وانما عبر عن ذلك الامر وعن طلب تأويله بالاستغناء فهو بالامر وتخصيما لشأه اذا الاستغناء انما يكون في النوازل المشككة الحكم المجهمة الجواب وابتار صيغة الاستغناء مع سبق استغناهما في ذلك لما انهما يصدده الى ان يقضى عليه السلام من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال ما كبه لانه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في علم المثال تلك الصورة واما توحيد مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وجدته في قولهما نبينا بتأويله لان الامر ما اتهم به وسبعا لاجلهم سم الملك فالحق لم يستغنا فيه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورته كما وعاقبته فتأمل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا لتعيره وتأكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جمعا فلا مراءيا فيها فاعبرهما ان ذلك كان صدقا او كذبا ولعل المحمود من الجواز الاداعي الى جمود الشرابي الا ان يكون ذاك لمراعاة جانبه (وقال اي) يوسف عليه السلام (لذي ظن انه ناج) أوثر على صفة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبا

يفيده قوله تعالى قضى الامر الذي فيه تستفتيان وهو السر في ابتار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذي ظنه (بالغيب)

تاجيا (منهما) من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة (٢٠٣) تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان الثرب المفهوم

من التعبير المذكور وان كان
ادخل في ذلك وادعى التحقيق
ما وصاه به لكنه ليس بوصف
فارق يدور عليه الامتياز بينه
وبين صاحبه المذكور بوصف
الهلاك والطان هو يوسف عليه
السلام لاصاحبه لان التوصية
للكورة لا تدور على ظن التاجي
بل على ظن يوسف وهو يعني
اليقين كافي قوله تعالى خللت ابي
ملاق حسابه فالتعبير بالوحى
كايي عنه قوله تعالى قضى الامر
الحق وقيل هو بمعناه والتعبير
بالاجتهاد والحكم بقضه الاسر
ايضا اجتهداى (انكرى) بما انا
عليه من الحال والصفة (عند ربك)
مسيدك وصفى له بصفتى التى
شاهدتها (فأنسا الشيطان)
اى النى الشرايى بوسوسته
والقاءه فقلبه اشغالا لعمقه عن
الذكر والا فالانساء فى الحقيقة
له عن وجبل والفا للسببة فان
توصيته عليه السلام التضيئة
للاستعانة بغيره سبحانه كانت
باعتة لما ذكر من الانساء (ذكر
ربه) اى ذكر الشرايى عليه
السلام عند الملك والاضافة
لادنى ملابس او ذكر اخباره
فليت اى يوسف عليه السلام
بسبب ذلك الانساء او القول
(فى السجين بضع سنين) البضع
ما بين الثلاث الى التسع من
البضع وهو القطع واكثر
الافاويل انه لبيت فيه سبع سنين
وروى عن النبى عليه السلام
رحم الله اخي يوسف لولم يقل
اذكرى عند ربك لما لبت فى السجن
سبعيا بعد الخمس والاستعانة
بالعباد وان كانت مرخصة

بالغيب بل يحتاج فيه الى ان يرجع الرسول من ذلك المجلس الى السجن ويذكر له ثالث
الحكاية ثم ان يوسف يقول ابتداء ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ومثل هذا الوصل بين
الكلامين الاجنبيين ما جاء البتة فى نثر ولا نظم فقلنا ان هذا من تمام كلام المرأة (المسئلة
الرابعة) هذه الآية دالة على طهارة يوسف عليه السلام من الذنب من وجوه كثيرة (الاول)
ان الملك لما رسل الى يوسف عليه السلام وطلبه فلو كان يوسف متما بفعل قبيح وقد كان
صدر منه ذنب وغش لاستحال بحسب العرف والعادة ان يطلب من الملك ان يتفحص
عن تلك الواقعة لانه لو كان قد اقدم على الذنب ثم انه يطلب من الملك ان يتفحص عن تلك
الواقعة كان ذلك سبعا منه فى فضيحة نفسه وفى تجديد العيوب التى صارت مندرسة مخفية
والعاقل لا يفعل ذلك وهب انه وقع الشك لبعضهم فى عصمته او فى نبوته الا انه لا شك انه
كان عاقلا والعاقل يتمتع ان يسعى فى فضيحة نفسه وفى حل الاعداء على ان يبالوا
فى اظهار عيوبه (والثانى) ان النسوة شهدن فى المرة الاولى بطهارته وتزاهته حيث قلن
حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الاملاك كريم وفى المرة الثانية حيث قلن حاش لله ما هذا عليه
من سوء (والثالث) ان امرأة العزيز اقترت فى المرة الاولى بطهارته حيث قالت ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم وفى المرة الثانية فى هذه الآية واعلم ان هذه الآية دالة على
طهارته من وجوه (اولها) قول المرأة انار او دته عن نفسه (وثانيها) قولها واته لى
الصادق وهو اشارة الى انه صادق فى قوله هى راودتنى عن نفسى (وثالثها) قول يوسف
عليه السلام ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والحشوية يذكرون انه لما قال يوسف هذا
الكلام قال جبريل عليه السلام ولا حين هممت وهذا من روايتهم الخبيثة وما صححت
هذه الرواية فى كتاب معتديلهم بلحوتها بهذا الموضع سبعامتهم فى تحريف ظاهر القرآن
(ورابعها) قوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعنى ان صاحب الخيانة لا بد وان يقتض
فلو كنت خائنا لوجب ان اقتضح وحيث لم اقتضح وخلصنى الله تعالى من هذه الورطة
فكل ذلك يدل على انى ما كنت من الخائنين وهما وجه آخر وهو اقوى من الكل وهو
ان فى هذا الوقت تلك الواقعة صارت مندرسة وتلك الخنة صارت منتهية فاقدمه على
قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب مع انه خافه اعظم وجوه الخيانة اقدم على وقاحه عظيمة
وعلى كذب عظيم من غير ان يتعلق به مضحكة بوجه ما و الاقدام على مثل هذه الواقعة من
غير فائدة اصلا لا يلىق باحد من العقلاء فكيف يلىق اسناده الى سيد العقلاء وقدره الاصفاء
فثبت ان هذه الآية تدل دلالة قاطعة على براته مما يقوله الجهال والحشوية ﷺ قوله تعالى

(وما ابرئى نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) وفى
الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان تفسير هذه الآية يختلف بحسب اختلاف ما
قبلها لاننا قلنا ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كلام يوسف كان هذا ايضا من كلام
يوسف وان قلنا ان ذلك من تمام كلام المرأة كان هذا ايضا كذلك ونحن نفسر هذه الآية

لكن الاثني بمساسب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالمرام (وقال الملك) اى الزيان (اى ارى) اى رأيت وايشار

صيفة المضارع لمكابة الحاصل الماضية (سبع بقرات سمان) جمع - تين (٢٠٤) وسبعة ككرام في جمع كرم وكريمة يقال

على كلا التقديرين اما اذا قلنا ان هذا من كلام يوسف عليه السلام فالحسوبة تمسكوا به وقالوا انه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال جبريل عليه السلام ولا حين هممت بفك سراويلك فمذ ذلك قال يوسف وما برئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء اى بالزنا الامارح ربي اى عصم ربي ان ربي غفور لهم الذى هممت به رحيم اى لوفائه ثاب على واعلم ان هذا الكلام ضعيف فانا بينا ان الآية المتقدمة برهان قاطع على براءته من الذنب بقى ان يقال فاجوابكم عن هذه الآية فنقول فيه وجهان (الاول) انه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كان ذلك جاريا بمجرى مدح النفس وتزكيتها وقال تعالى فلا تزكوا انفسكم فاستدرك ذلك على نفسه بقوله وما برئ نفسي والمعنى وما زكى نفسي ان النفس لامارة بالسوء مبالغة الى القبائح رغبة في المعصية (والوجه الثاني) في الجواب ان الآية لا تدل البتة على شيء مما ذكره وذلك لان يوسف عليه السلام لما قال اني لم اخنه بالغيب بين ان ترك الخيانة ما كان لعدم الرغبة ولعدم ميل النفس والطبيعة لان النفس امارة بالسوء والطبيعة توافقة الى الذات فبين بهذا الكلام ان التزك ما كان لعدم الرغبة بل لقيام الخوف من الله تعالى اما اذا قلنا ان هذا الكلام من بقية كلام المرأة ففيه وجهان (الاول) وما برئ نفسي عن مرادوته ومقصودها تصديق يوسف عليه السلام في قوله هي راودتني عن نفسي (الثاني) انها لما قالت ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قالت وما برئ نفسي عن الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين قد احدثت الذنب عليه وقلت ما جزاء من اراد باهلك سواء الان ينجن او عذاب اليم واودعته السجن كأنها ارادت الاعتذار بما كان فان قيل جعل هذا الكلام كلاما ليوسف اولى ام جعله كلاما للمرأة قلنا جعله كلاما ليوسف مشكل لان قوله قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق كلام موصول بموضع يعض الى آخره فالقول بأن بعضه كلام المرأة والبعض كلام يوسف مع تحلل الفواصل الكثيرة بين القولين وبين المجلسين بعيد وايضا جعله كلاما للمرأة مشكل ايضا لان قوله وما برئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الامارح ربي كلام لا يحسن صدوره الا من احتز عن المعاصي ثم يذكر هذا الكلام على سبيل كسر النفس وذلك لا يليق بالمرأة التي استفرغت جهدها في المعصية (المسئلة الثانية) قالوا ما في قوله الامارح ربي معنى من والتقدير الامن ربح وما ومن كل واحد منهما يقوم مقام الآخر كقوله تعالى فانكسوا ما طاب لكم من النساء وقال ومنهم من يشى على اربع وقوله الامارح ربي استثناء متصل او منقطع فيه وجهان (الاول) انه متصل وفي تقريره وجهان (الاول) ان يكون قوله الامارح ربي اى الالبعض الذى رحه ربي بالعصية كاللائكة (الثاني) الامارح ربي اى الاوقت رحمة ربي بمعنى انها امارة بالسوء في كل وقت الا في وقت العصية (والقول الثاني) انه استثناء منقطع اى ولكن رحه ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينصرون الراحه منا (المسئلة الثالثة) اختلف

رجال كرام ونسوة صكرام (مأكلهن) اى أكلن والمدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات اوصفها (سبع جفاه) اى سبع بقرات جفاه وهي سبع جفاه والقياس جفاه لان فعلا وافعل لا يصح على فعال ولكن عدل به عن القياس جلا لاحد المتعدين على الآخر وانما يقل سبع جفاه بالاضافة لان التميز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضفاه واربعة غلاظ واما قولك ثلاثة فرسان ونجمة ركان فليريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روى انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقبيهن سبع بقرات جفاه في غايه الهرال فابتلت الجفاه السمان (وسبع سبلات خضر) قد افقدت جبهها (واخرى يابسات) اى وسبعها اخر يابسات قد ادركت والتوت على الطنثر حتى غلبت على ماروى ولعل هدم التمرض لذكره لاكتفاءه اذ كمن حال البقرات (يا أيها الملا) خطاب للاشراف من العلماء والحكماء (فتوفى في رؤياي) هذه اى عروها وبينوا حكمها وما تولى اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالاثناء لتعريفهم وتخصيص امرؤياه (ان كنتم رؤيا تعبرون) اى تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مقترنا وهي الاستفهام من الصور الخيالية المشاهدة في المنام مما هي صور وامثلة لاهام الامور الايقية او الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة نقول عبرت النهر اذا قطعه وجاوزته ونحوه اولتها اى ذكرت ما كنها وعبرت (الحكماء)

الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تغيير الواجه بين الماضي والمستقبل (٢٠٥) للدلالة على الاستمرار كالشجر البه والام لابيان اولنقوية

الحكماء في ان النفس الامارة بالسوء ماهي والمحققون قالوا ان النفس الانسانية شئ واحد ولها صفات كثيرة فاذماالت الى العالم الالهى كانت نفسها مطمئنة واذماالت الى الشهوة والغضب كانت اماره بالسوء وكونها اماره بالسوء يفيد المبالغة والسبب فيه ان النفس من اول حدودها قد انفتحت المحسوسات والتذت بها وعشقتها فاما شعورها بعالم الجردات وميلها اليه فذلك لا يحصل الا نادرا في حق الواحد فالواحد وذلك الواحد فاما يحصل له ذلك الجرد والانكشاف طول عمره في الاوقات النادرة فلما كان الغالب هو انجذابها الى العالم الجسداني وكان ميلها الى الصعود الى العالم الاعلى نادرا لاجرم حكم عليها بكونها اماره بالسوء ومن الناس من زعم ان النفس المطمئنة هي النفس العقلية النطقية واما النفس الشهوانية والغضبية فهما مغايرتان للنفس العقلية والكلام في تحقيق الحق في هذا الباب مذكور في المعقولات (المسئلة الرابعة) تمسك اصحابنا في ان الطاعة والايان لا يتصلان الا من الله بقوله الامارح ربى قالوا دلت الآية على ان انصراف النفس من الشر لا يكون الا برحمة ولفظ الآية مشربا به متى حصلت تلك الرحمة حصل ذلك الانصراف فقول لا يمكن تفسير هذه الرحمة باعطاء العقل والقدرة والالطاف كما قاله القاضى لان كل ذلك مشترك بين الكافر والمؤمن فوجب تفسيرها بشئ آخر وهو ترجيح داعية الطاعة على داعية المعصية وقد اثبتنا ذلك ايضا بالبرهان القاطع وحينئذ يحصل منه المطلوب **قوله تعالى (وقال الملك اتوني به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم)** في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في هذا الملك فقم من قال هو العزيز ومنه من قال بل هو اريان الذى هو الملك الاكبر وهذا هو الاظهر لوجهين (الاول) ان قول يوسف اجعلنى على خزائن الارض يدل عليه (الثاني) ان قوله استخلصه لنفسى يدل على انه قبل ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف عليه السلام قبل ذلك خالصا للعزيز فدل هذا على ان هذا الملك هو الملك الاكبر (المسئلة الثانية) ذكروا ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام وهو في الحبس وقال قل اللهم اجعلنى من عندك فرجا ومخرجا وارزقنى من حيث لا احتسب فقبل الله دعاءه وظهر هذا السبب في تخليصه من السجن و تقرير الكلام ان الملك عظم اعتقاده في يوسف لوجوه (احدها) انه عظم اعتقاده في علمه وذلك لانه لما مجزى القوم عن الجواب وقدره على الجواب الموافق الذى يشهد العقل بصحته مال الطبع اليه (وثانيها) انه عظم اعتقاده في صبره وثباته وذلك لانه بعد ان بقى في السجن بضع سنين لما اذن له في الخروج ما أسرع الى الخروج بل صبر وتوقف وطلب او لا ما يدل على راءة حاله عن جميع التهم (وثالثها) انه عظم اعتقاده في حسن اديه وذلك لانه اقتصر على قوله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن وان كان غرضه ذكر امرأة العزيز فستذكرها وتعرض الامر سائر النسوة مع انه وصل اليه من جهتها انواع عظيمة من البلاء وهذا من الادب

تأويل الاحلام مع ان لها تأويلا كالشعر به عدو لهم عما وقع في كلام الملك من العبارة العربية عن مجرد الانتقال من الدال

تأويل الاحلام مع ان لها تأويلا كالشعر به عدو لهم عما وقع في كلام الملك من العبارة العربية عن مجرد الانتقال من الدال

الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التأويل (٢٠٦) النبي عن الصرف والتكلف لما بين الآيل والمآل

من البعد يؤيده قوله وجعل
انا أنبيكم بتأويله (وقال الذي
نجاهتمهما) اى من صاحبي يوسف
وهو الشرايى (وادكر) بغير
المجبة وهو التفسيح وعن الحسن
بالجبة اى تذكر يوسف عليه
السلام وشؤنه التى شاهدها
ووصيته بقرىب رؤيا الملك
واشكال تأويلها على الملأ
(بعد امة) اى مدوة ويلة وقرى
امة بالكسر وهى النعمة اى بعد
ما لزم عليه بالنجاة وامة اى
لسيان والجلبة حال من الموصول
او من مخيرة فى الصلة وقيل
مطلوقة على نجا وليس بذلك
لان حقك من الصلة والصلة
ان تكون ملومة الانساب الى
الموصوف والموصول عند
المخاطب كما عند التكلم ولذلك
قيل ان الصفات قبل العلم بها
اخيار والاخبار بعد العلم بها
صفات وانت تدري ان تذكره
بعد امة انما علم بهذه الجلبة فلا
يجوز لنظمه مع نجاته الملوحة
قبل فى سلك الصلة (انا أنبيكم
بتأويله) اى اخبركم به بالتلقى عن
عنده علمه لامن تلقاه نفسى
ولذلك لم يقل انا أنبيكم فيها
وعقبه بقوله (فارسون) اى
الى يوسف وانما لم يذكر دقة بما
سبق من التذكر وما خلق من
قوله (يوسف أيها الصديق)
اى ارسل اليه فأثاء فقال
يا يوسف ووصفه بالمبالغة
فى الصديق حسبا شاهده وذاق
احواله وجير بها لكونه بصدد
اغترام آثاره واقتباس أنواره
فهو من باب براعة الاستهلال
(أنشأ فى سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف وسبع غلات
خضر واخرى يابس) اى فى رؤيا

ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مراده بقرينة ما سبق من معاملتها ودلالة مضمون الحادثة (المعنى)

عليه حيث لا يمكن لوقوعه في عالم الشهادة اي بين انسا كما (٢٠٧) وحكمها حيث ما ين علو رتبته عليه السلام في الفضل

مير عن ذلك بالاثبات ولم يقل
كان هو وصاحبه اولائنا
بتأويله وفي قوله اقتضا مع انه
استغنى وحده لشعار بأن الرؤيا
ليست له بل لغيره من له ملائكة
بأمور العامة وانه في ذلك مع
وسفي كما أذن بذلك حيث قال
(لعل ارجع الى الناس) اي الى
الملك ومن عنده اولى اهل
البلدان كان السجين في الخارج
كما قيل فأنبئهم بذلك (لعلهم
يعلمون) ذلك ويعلمون يقتضاه
او يعلمون فضلك ومكانك مع
مانت فيه من الخلق فخلص
منه وانما لم يمت القول في ذلك
بجراحة معه على نزع الادب
واحتراز عن المجازفة اذ لم يكن
على يقين من الرجوع فربما
اجترأ منه

هل المبادون ما قد داني
ولان علمهم بذلك فرما لم يعاوه
(قال) استغنى عن السؤال
كأنه قيل فاذا قال يوسف عليه
السلام في التأويل فقبل قال
(تزدعون سبع سنين دأبا) ترى
يفتح الحجرة وسكونها وكلاهما
مصدر دأب في العمل اذ اذقيه
وتعب واتصاه على الحال من
فاعل تزدعون اي دأبني او
تدأبون دأبا على انه مصدر مؤنك
لفعل هو الحال اول عليه السلام
البقرات السمان والسبلات
الحضر بسني مخاصيب والجهنم
والياسات بسني مجدة فأنبئهم
بأنهم يواظبون سبع سنين على
الزراعة وسبل الفول فيها اذ بذلك
يتحقق الخصب لذى هو مصداق
البقرات السمان وتأويلها وادبهم
في تقصاع ذلك على امر نافع
لهم فقال (فاحصدم) اي في
كل سنة (فذرؤه في سنبله) ولا تذرؤوه كليا

المعنى لما حاولت المعتزلة اثبات انه تعالى لا يفعل القبيح قالوا انه تعالى لا يفعل القبيح لانه
تعالى عالم بقبح القبيح عالم بكونه غنيا عنه وكل من كان كذلك لم يفعل القبيح قالوا وانما
يكون غنيا عن القبيح اذا كان قادرا واذا كان منزها عن داعية السفه ثبت ان وصفه
بكونه مكينا امينا نهاية ما يمكن ذكره في هذا الباب ثم حكى تعالى ان يوسف عليه السلام
قال في هذا المقام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) قال المفسرون لما عبر يوسف عليه السلام رؤيا الملك بين يديه قال له الملك فاترى
ايها الصديق قال ارى ان تزرع في هذه السنين المحصنة زراعا كثيرا وتبنى الخزائن وتجمع
فيها الطعام فاذا جاءت السنون المجذبة بفناء الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال
الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض اي على خزائن ارض
مصر وادخل الالف واللام على الارض والمراد منه اليهود السابق روى ابن عباس
رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية انه قال رحم الله اخي
يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك اخبره
عنه سنة واقول هذا من الجاهل لانه لما تأتى عن الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك
على احسن الوجوه ولما تسارع في ذكر الاتماس اخر الله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا
يدل على ان ترك التصرف والتفويض بالكلية الى الله تعالى اولى (المسئلة الثانية) لقاتل
ان يقول لم طلب يوسف الامارة والنبي عليه الصلاة السلام قال لعبد الرحمن بن ممره
لانسأل الامارة وايضا كيف طلب الامارة من سلطان كافرو ايضا لم لم يصبر مدة ولم اظهر
الرغبة في طلب الامارة في الحال وايضا لم طلب امر الخزن في اول الامر مع ان هذا
يورث نوع تهمة وايضا كيف جوز من نفسه مدح نفسه بقوله اني حفيظ عليم مع انه تعالى
يقول فلا تزرؤوا انفسكم وايضا فمسا الفائدة في قوله اني حفيظ عليم وايضا لم ترك الاستئناس
في هذا فان الاحسن ان يقول اني حفيظ عليم ان شاء الله بدليل قوله تعالى ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فهذه اسئلة سبعة لا بد من جوابها فتقول الاصل
في جواب هذه المسائل ان التصرف في امور الخلق كان واجبا عليه فبجازه ان يتوصل
اليه بأي طريق كان انما قلنا ان ذلك التصرف كان واجبا عليه لوجوه (الاول) انه كان
رسولا حقا من الله تعالى الى الخلق والرسول يجب عليه رعاية مصالح الامة بقدر الامكان
(والثاني) وهو انه عليه السلام علم بالوحي انه سيحصل القحط والضيق الشديد الذي ربما
افضى الى هلاك الخلق العظيم فلعله تعالى امره بان يدبر في ذلك ويأتى بطريق لاجله يقل
ضرر ذلك القحط في حق الخلق (والثالث) ان السعي في ائصال النفع الى المستحقين ودفع
الضرر عنهم امر مستحسن في العقول واذا ثبت هذا فنقول انه عليه السلام كان مكلفا
برعاية مصالح الخلق من هذه الوجوه وما كان يمكنه رعاية الامة بالطريق وما لا يتم
الواجب الا به فهو واجب فكان هذا الطريق واجبا عليه ولما كان واجبا سقطت الاسئلة

كل سنة (فذرؤه في سنبله) ولا تذرؤوه كليا كله الموس كما هو شأن غلات مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدلل على ذلك

بالسبلات الحضرة وانما سرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين (٢٠٨) لارداة لم يأمرهم بها وجعلها امرا محققا

الوقوف وتأييد اللوحيا مصداقا لما فيها من البقرات السماوية (الاقليات كما تأخرون) في تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل في الاكل والاقتصاد على الاستثناء لما كوى دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد انعام ما امرهم به شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها حكمة الامام المذكور فقال (ثم يأتي) وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجملة معنى الامر مثاليهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا (من بعد ذلك) اي من بعد السنين السبع المذكورة وانما لم يقل من بعدهن قصد الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلي (سبع شداد) اي سبع سنين صواب على الناس (يا كفن ما قدمت لهم) من المحبوب المتروك في سبيلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة واستنادا لاكل اليهن مع حال الناس فيهن مجازي كما في نهارة صائم وفيه تلويح بأنه تأويل لاكل المعاني السماوية والامم في لهن ترشح لذلك فكان ما ذكر في السائلين من المحبوب شيء قديمي وقدم لهن كالذي يقدم للسائل والافوه في الحقيقة مقدم للناس فيهن (الاقليات كما تأخرون) تخرزون منذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك (اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدواكل الغلال المدخرة (عام) ليعبر عنه بالسنة كما شيا

عن المدلول الاصل لها من عام القطع وتنبئها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق (فيه بقاء الناس) (فادبر)

من الفيت اي يطرون يقال غيثت البلاد اذا (٢٠٩) مطرت في وقت الحاجة او من الفوت يقال اغاث الله تعالى اى امدنا برفع

المكره حين اطلتنا وفيه
يحصرون) اى ما من شأنه ان
يحصر من الغيب والغيب
والزيتون والسمسم ونحوهما من
الفواكه لكثرتها والتعرض
لذكر العصر مع جواز الاكتفاء
عنه بذكر الفيت المستعمله عادة
كما اكتفى به عن ذكر قصرهم
في المحبوب اما لان استزاد الفيت
له ليس كاستزاده للعبوب اذ
المذكورات يتوقف صلاحها
على مباد اخرى غير المطروما
لرعاة جانب المستقى باعتبار
حاله الخاصة به بدارته وهى
التي يدور عليها حسن موقع
تقليبه على الناس في القراءة
بالقافية وقيل معنى يحصرون
يصلبون الضروع وتكرر فيه
اما للاسعار باختلاف اوقات
ما يقع فيه من الفيت والعصر
زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان
الفيت والفوت من فضل الله
تعالى والعصر من فعل الناس واما
لان المقام مقام تعداد منافع ذلك
العام ولاجله قدم في الموضوعين
على الفيلين فان المقصود الاصلى
بيان انه يقع في ذلك العام هذا
التفع وذلك التفع لبيان انها
تقعان في ذلك العام كالقيد للتأخير
ويجوز ان يكون التقديم للقصر
على معنى ان غيبتهم وعصرهم
في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة
الى عامهم ذلك وان يكون ذلك
في الاخير لرعاة القواصل وفي
الاول لرعاية حاله وقرئ
يحصرون على البناء فيقولون من
عصره اذا انجته وهو المناسب
للاعتاق ويجوز ان يكون المبنى
للفاعل ايضا منه كما قيل
فيه يغاث الناس وفيه يغاثون اى يغتهم الله (٢٧) (را) (خا) ويغيت بعضهم بعضا وقيل معنى يحصرون يطرون من اعصرت اسماجة

فأدبر به امرك واما التاج فليس من لباسى ولا لباس آباءى وجلس على السرير ودانت له
القوم وعزل الملك قطفير زوج المرأة الملوحة ومات بعد ذلك وزوجه الملك امرأته فلما
دخل عليها قال أليس هذا خيرا بما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرام وميشا
واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على ياه الملك وكثير من الناس وباع من
اهل مصر في سنى القحط الطعام بالدرهم والدنانير في السنة الاولى ثم باحلى والجواهر
في السنة الثانية ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم سنين فقالوا لله
ما رأينا ملكا اعظم شأننا من هذا الملك حتى صار كل انطلق عبيده فلما سمع ذلك قال انى
شهد الله انى اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع لاحد
من يطلب الطعام اكثر من اجل البعير للابيضق الطعام على الباقيين هكذا رواه صاحب
الكشاف والله اعلم (المسئلة الثالثة) قوله وكذلك الكاف منصوبة بالتمكين وذلك
اشارة الى ما تقدم يعنى به ومثل ذلك الانعام الذى انعمنا عليه في تقربنا اياه من قلب الملك
وانجاساياه من غم الحبس وقوله مكناب يوسف في الارض اى اقدرناه على ما يريد برفع
الموانع وقوله يتبؤأمنها حيث يشاء يتبؤأ في موضع نصب على الحال تقدير مكناه متبؤأ
وقرأ ابن كثير نشاء بالنون مضافا الى الله تعالى والباقيون بالياء مضافا الى يوسف واعلم ان
قوله يتبؤأمنها حيث يشاء يدل على انه صار في الملك بحيث لا يداخه احد ولا ينازع من مزارع
بل صار مستقلا بكل ماشاء واراد ثم بين تعالى ما يؤكده ان ذلك من قبله فقال نصيب
برجتنا من نشاء واعلم انه تعالى ذكر اول ان ذلك التمكين كان من الله لان احد سواه
وهو قوله وكذلك مكناب يوسف في الارض ثم اكد ذلك ثانيا بقوله نصيب برجتنا من
نشاء وفيه فائدتان (الفاشة الاولى) ان هذا يدل على ان الكل من الله تعالى قال
القاضى تلك المملكة لما تمت الامور فعلم الله تعالى صارت كما نها حصلت من قبله
تعالى وجوابه انادى ان نفس تلك المملكة انما حصلت من قبل الله تعالى لان لفظ
القرآن يدل على قولنا والبرهان القاطع الذى ذكرناه يقوى قولنا قصر في هذا اللفظ الى
الحجاز لاسبيل اليه (الفائدة الثانية) انه اتاه ذلك الملك بمحض المشيئة الالهية والقدرة
النافذة قال القاضى هذه الآية تدل على انه تعالى يحرى امر نفسه على ما يقتضيه
الصلاح قلنا الآية تدل على ان الامور معلقة بالشيئة الالهية والقدرة المحضة فاما رعاية
قيد الصلاح فامر اعتبرته انت من نفسك مع ان اللفظ لا يدل عليه ثم قال تعالى ولا نضيع
اجر المحسنين وذلك لان الاضاعة الاجر اما ان يكون للجبر أو للجهل أو للبخل والكل يمنع
في حق الله تعالى فكانت الاضاعة ممنوعة واعلم ان هذا شهادة من الله تعالى على ان يوسف
عليه السلام كان من المحسنين ولو صدق القول بانه جلس بين شعبها الاربع لامتنع ان
يقال انه كان من المحسنين فهنا نرى انما تكذيب الله في حكمه على يوسف بانه كان من
المحسنين وهو عين الكفر او نرى ان تكذيب الحشوى فيما رواه وهو عين الجبان والحق

فيه يغاث الناس وفيه يغاثون اى يغتهم الله (٢٧) (را) (خا) ويغيت بعضهم بعضا وقيل معنى يحصرون يطرون من اعصرت اسماجة

اما بضمين اعصرت معنى طمرت وتعديته واما بحذف الجار والوصول (٢١٠) الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام

ثم قال تعالى ولا تجر الآخرة خير الذين آمنوا وكانوا يتقون وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
في تفسير هذه الآية قولان (الاول) المراد منه ان يوسف عليه السلام وان كان قد وصل
الى المنازل العالية والدرجات الرفيعة في الدنيا الا ان الثواب الذي اعد الله له
في الآخرة خير وافضل واكمل وجهات التزجج قد ذكرناها في هذا الكتاب مرارا
واطوارا وحاصل تلك الوجوه ان الخير المطلق هو الذي يكون تفعالا لصداغاما مقرونا
بالتعظيم وكل هذه القيود الاربعة حاصلة في خيرات الآخرة ومفقودة في خيرات الدنيا
(القول الثاني) ان لفظ الخير قد يستعمل لكون احد الخيرين افضل من الآخر كما
يقال اجلاب خير من الماء وقد يستعمل لبيان كونه في نفسه خيرا من غير ان يكون المراد
منه بيان التفضيل كما يقال الثريد خير من الله يعني الثريد خير من الخيرات حصل باحسان
من الله اذ ثبت هذا فقوله ولا تجر الآخرة خير ان جلنائه على الوجه الاول لم ان تكون
ملاذ الدنيا موصوفة بالخيرية ايضا وان جلنائه على الوجه الثاني لم ان يقال
ان منافع الدنيا ايضا خيرات بل لعله يفيد ان خير الآخرة هو الخير واما ما سواه فثبت
(المسئلة الثانية) لاشك ان المراد من قوله ولا تجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
شرح حال يوسف عليه السلام فوجب ان يصدق في حقه انه من الذين آمنوا وكانوا
يتقون وهذا تفصيل من الله عز وجل على انه كان في الزمان السابق من المؤمنين وليس
ههنا زمان سابق ليوسف عليه السلام يحتاج الى بيان انه كان فيه من المؤمنين الا ذلك
الوقت الذي قال الله فيه ولقد همت به وهم بها فكان هذا شهادة من الله تعالى على انه
عليه السلام كان في ذلك الوقت من المؤمنين وايضا قوله ولا تنصع اجر المحسنين شهادة
من الله تعالى على انه عليه السلام كان من المحسنين وقوله انه من عبادنا المخلصين شهادة
من الله تعالى على انه من المخلصين فثبت ان الله تعالى شهد بأن يوسف عليه السلام كان
من المؤمنين ومن المحسنين ومن المخلصين والجاهل الحشوى يقول انه كان من الاخسرين
المذنبين ولانك ان من لم يقل بقول الله سبحانه وتعالى مع هذه التاكيدات كان من
الاخسرين (المسئلة الثالثة) قال القاضي قوله تعالى ولا تجر الآخرة خير للذين آمنوا
وكانوا يتقون يدل على بطلان قول المرجئة الذين يزعمون ان الثواب يحصل في الآخرة
لمن لم يتق الكبار قلنا هذا ضعيف لاننا جلنا لفظ خير على افعال التفضيل لم ان يكون
الثواب الحاصل للمؤمنين افضل ولا يلزم ان لا يحصل لغيرهم اصلا وان جلنائه على اصل
معنى الخيرية فهذا يدل على حصول هذا الخير للمؤمنين ولا يدل على ان غيرهم لا يحصل لهم
هذا الخير (وجه اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما
جهزهم يجهزهم قال اشئني بأخلكم من أيكم الاترون اتى اوفى الكيل وأنا خير المنزلين
فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سزاود عندنا به وانا لفاعلون) اعلم
انه لما لم يحفظ في البلاد ووصل ايضا الى البلدة التي كان يسكنها يعقوب عليه السلام

هذا العام المبارك ليست مستنبطة
من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه
السلام من جهة الوحي فبشرهم
بها يسد ما اول الرؤيا بما اول
وامرهم بالتدبير اللائق في شأنه
ايانة لملوكه ورسوخ قدمه
في الفضل وانه محيط بما لم يحيط
بإلا احد فضلا عما يرى صورته
في الشام على نحو قوله لصاحبيه
عند استفتائهما في منامهما
لا يأتيكما طعام ترزقانه الا يأتيكما
بشأوه وانما النعمة عليهم
حيث لم يفسد كماله عليه السلام
في العلم بوقوعها احد ولو روية
ما يدل عليها في الشام (وقال الملك)
بعد ما جاءه الشقي بالتبشير وسمع
منه ما سمع من تفسير وقطير
(اشئني به) لما علم من علمه وفصله
(الجاهل) اي يوسف (الرسول)
واستداه الى الملك (قال ارجع
الهديك) اي سيدك (فاسألهما
بال النوة اللاتي تظن يديهن)
اي فلقته عن شاترين وانما لم يقل
فاسأله ان يفتش عن ذلك شتا
للملك على الجذ في التفتيش ليتبين
برأته ويتضح نزاهته اذ السوال
عاجب الانسان على الاهتمام
في البحث للنقص عما توجه اليه
واما الطلب فساد قد يسامح
وتساهل فيه ولا يبالى به وانما
يتعرض لاساءة العزيم مع مالتى
منها مالتى من مقاساة الاحزان
ومساءة الاشجان بحافظة على
موجب الحقوق واحترام اعران
مكرها حيث اعتد لها حقبة في
عبدوة الدواة ولما النوة
فقد كان يلطم في صدره من بالحق
وشهادتين باقرارها بأنهار اودته
عن نفسه فاستصم ولذلك

التصر علي وصفهن بتقطيع الايدى ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالاياء الى ذلك (وصعب)

بقوله (ان ربى بكيفن عليم) جملة معهن واحترارا (٢١١) عن سوء فالتن عند الملك واتصا بهن للخصومة مدافعة عن

أنفسهن حتى سمن بسبته لهن
الى الفساد (قال) استئناف
مبنى على السؤال كأنه قيل
فإذا كان بعد ذلك قيل قال
الملك اثر ما بهن الرسول الجبر
وأحضرهن (ما خطبن) أى
شأنكن وهو الامر الذى يحق
لنظيره ان يخطب المرء فيه
صاحبه (اذ اودتن يوسف)
وخادعته (عن نفسه) ورغبته
في طاعة مولاه هل وجدتن
فيه شيئا من سوء روية (قلن
حاش لله) تزنيها ونجها من
زناهن وغفته (ما علمنا عليه من
سوء) بالنسبة فى نفس جسد سوء
عنه بالتذكير وزيادة من (قالت
امرات العزيز) وكانت حاضرة
فى المجلس وقيل أقبلت النسوة
عليها يقررنها وقيل خافتن
يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم ولئن
لم يفعل ما أمره ليجسن وليكونا
من الصاغرين فأقرت قائلة
(الآن) حصص الحق أى ثبت
ولستقر أوتبين ونظر بعد خفاه
قاله الخليل وقيل هو ما خوذ من
الحصة وهى القطعة من الجلفة
أى تبين حصة الحق من حصة
الباطل كالتبين حصص الاراضى
وغيرها وقيل بان ظهر من حصص
شعره اذا استأصله بحيث ظهرت
بشرة رأسه وقرى على النساء
للفصول من حصص البعير
مباركة أى القاهضا فى الارض
للاخاثة قال

فحصصن فى مم الصفا فتناه
وناه بسلى نواذهم صمما والمعنى
أقر الحق فى مقره ووضع فى
موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور
المواطن خصوصا فيما وقع فيه

وصعب الزمان عليهم فقال لبنيه ان بمصر رجلا صالحا يبيع الناس فاذهبوا اليه بديرا همكم
وخذوا الطعام فخرجوا اليه وهم عشرة ودخلوا على يوسف عليه السلام وصارت هذه
الواقعة كالسبب فى اجتماع يوسف عليه السلام مع اخوته وظهور صدق ما اخبر الله
تعالى عنه فى قوله ليوسف عليه السلام حال ما القوه فى الحب لتنبئتم بأمرهم هذا
وهم لا يشعرون واخبر تعالى ان يوسف عرفهم وهم ما عرفوه البتة اما انه عرفهم فلانه
تعالى كان قد اخبره فى قوله لتنبئتم بأمرهم بأنهم يصلون اليه ويدخلون عليه وايضا
الرؤيا التى رآها كانت دلالة على انهم يصلون اليه فهذا السبب كان يوسف عليه السلام
متر صد الذل الامر وكان كل من وصل الى باب من البلاد البعيدة يتفحص عنهم ويتعرف
احوالهم ليعرف ان هؤلاء الواصلين هل هم اخوته ام لا فلما وصل اخوة يوسف الى باب
داره تفحص عن احوالهم تفحصا تظهر له انهم اخوته ولما انهم ما عرفوه فلو جوه (الاول)
انه عليه السلام امر حجابا بأن يوقفهم من البعد وما كان يتكلم معهم الا بالواسطة
ومتى كان الامر كذلك لاجرم انهم لم يعرفوه لاسيما مهابة الملك وشدة الحاجة وجبان
كثرة الخوف وكل ذلك مما يمنع من التأمل التام الذى عنده يحصل العرفان (والثانى) هو
انهم حين القوه فى الحب كان صغيرا ثم انهم رأوه بعد وفور المحبة وتغير الزى والهبة
فانهم رأوه جالس على سريره وعليه ثياب الحرير وفى عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج
من ذهب والقوم ايضا نسوا واقعة يوسف عليه السلام لطول المدة فيقال ان وقت
ما القوه فى الحب الى هذا الوقت كان قد مضى اربعون سنة وكل واحد من هذه الاسباب
يمنع من حصول المعرفة لاسيما عند اجتماعها (والثالث) ان حصول العرفان والتذكير
بحق الله تعالى فعله تعالى ما خلق ذلك العرفان والتذكير فى قلوبهم تحقيقا لما اخبره
عنه بقوله لتنبئتم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وكان ذلك من معجزات يوسف عليه السلام
ثم قال تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال اليك جهزت القوم نجيرا اذا تكلفت لهم
جهازهم للسفر وكذلك جهاز العروس والمبت وهو ما يحتاج اليه فى وجهه قال وصمعت
اهل البصرة يقولون الجهاز بالكسر قال الازهرى القراء كلهم على فتح الجيم والكسر
لغة ليست بجيدة قال المفسرون جل لكل رجل منهم بعيرا واكرمهم ايضا بالزئول
واعطاهم ما احتاجوا اليه فى السفر فذلك قوله جهزهم بجهازهم ثم بين تعالى انه
لما جهزهم بجهازهم قال لهم اثبوني بأخ لكم من ابيكم واعلم انه لابد من كلام سابق حتى
يصير ذلك الكلام سببا لسؤال يوسف عن حال اخيه وذكروا فيه وجوها (الاول) وهو
احسنا ان عادة يوسف عليه السلام مع الكل ان يعطيه حل بعير لا يزيد عليه ولا ينقص
واخوة يوسف الذين ذهبوا اليه كانوا عشرة فأعطاهم عشرة اجمال فقالوا ان لنا اباشيخا
كبير اواخا آخر بى معه وذكروا ان اباهم لاجل سنه وشدة حزنه لم يحضر وان اخاهم بى
فى خدمة ابيه ولابد لهما ايضا من شئ من الطعام فجهر لهما ايضا بعيرين آخرين من

ما ظهر بشهادتهن من مطلق زناهن عليه السلام فيما اطاعه عليهن من غير تعرض لزناهن فى سائر

التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت (٢١٢) ذلك بل ارادت ظهور ماهو متحقق في نفس الامر وشيؤه من

تراهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها قالت (انا راودته عن نفسه) لانه راودني عن نفسي (وانهن الصادقات) اي في قوله حين اقتربت عليه هي راودتني عن نفسي وارادت بالان زمان تكلمها بهذا الكلام لازمان شهادتهن فتأمل ايها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتكلم الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عليه السلام لتهديد هذه المقدمة قبل الخروج ليطهر براءة ساحته مما قد يذنبه لاسيما عند العزيز قبل ان يصل مآقده كما يعبر عنه قوله عليه السلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن (ذلك) اي ذلك التثبيت المؤدى الى ظهور حقيقة الحال (ليعلم) اي العزيز (اني لم اخنه) في حرمته كما زعم لاعلا مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما يزعمه ولعله لم اعاد حقوق العيادة لان المباشرة للخروج من حبه قبل ظهور بطلان ما حمله سبيله وان كان ذلك بأسر الملك ما يوهم الافتيات على ربه وامان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تحملا لامضاء ما مضاه فلا يلبق بشيئه عليه السلام في التوقي بأسره والتوكل على ربه جلالة (بالغيث) اي يظهر الغيب وهو سال من القائل او القمقول اي لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عني او ظرف اي يمكن الغيب وراه الاستار والابواب

الغلقة وايما ما كان فالقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها (وان الله) اي (لاهم)

وليعلم انه تعالى (لا يهدي كيد الخائنين) (٢١٣) اى لا يقبذه ولا يسدده بل يسلطه ويؤلفه اولايه يهديهم في كيدهم ايضا

لعملهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلمهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابا
منع منا الكيل فارس معنا انا نكفل وانا له حافظون قال هل امنكم عليه الاكابر
امنكم على اخيه من قبل قاله خير حافظا وهو ارحم الراحمين (في الآية مسائل
(المسئلة الاولى) قرأ حزة والكسائي وحفص عن عاصم لقنيته بالالف والنون
والباقون لقنيته بالتاء من غير الف وهما القنات كالصبيان والصبيبة والاخوان والاخوة
قال ابو علي الفارسي القنية جمع فتى في العدد القليل والقنات للكثير فوجه البناء الذي
للعدد القليل ان الذين يحيطون بما يحيطون بضاعتهم فيه من رحالهم يكونون قليلين لان
هذا من باب الاسرار فوجب صوته الا عن العدد القليل ووجد الجمع الكثيراته قال
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال تقيد العدد الكثير فوجب ان يكون الذين يباشرون
ذلك العمل كثيرين (المسئلة الثانية) اتفق الاكثر على ان اخوة يوسف ما كانوا
طالين يجعل البضاعة في رحالهم ومنهم من قال انهم كانوا عارفين به وهو ضعيف لان قوله
لعلمهم يعرفونها يطل ذلك ثم اختلفوا في السبب الذي لاجله امر يوسف بوضع بضاعتهم
في رحالهم على وجوه (الاول) انهم حتى قهقوا التناع فوجدوا بضاعتهم فيه علموا ان ذلك
كان كراما من يوسف وسخاء محضا فيعظم ذلك على العود اليه والحرص على معاملته
(الثاني) خاف ان لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى (الثالث) اراد به
التوسعة على ابيه لان الزمان كان زمان القحط (الرابع) رأى ان اخذ من الطعام من
أبيه واخوته مع شدة حاجتهم الى الطعام يؤم (الخامس) قال القراء انهم متى شاهدوا
بضاعتهم في رحالهم وقع في قلوبهم انهم وضعوا تلك البضاعة في رحالهم على سبيل السهو
وهم انبياء واولاد الانبياء فرجوا يعرفوا السبب فيه اورجعوا ليردوا المال الى مالكه
(السادس) اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يتحقق به عيب ولامنة (السابع) مقصوده
ان يعرفوا انه لا يطلب ذلك الا لاجل الايذاء والعلم ولا لطلب زيادة في الثمن (الثامن)
اراد ان يعرف ابوه انه اكرمهم وطلبه له لمزيد الاكرام فلا ينقل على أبيه ارسال اخيه
(التاسع) اراد ان يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان وكان يختلف للصوص من
قطع الطريق فوضع تلك الدارهم في رحالهم حتى تبقى مخفية الى ان يصلوا الى ابيهم
(العاشر) اراد ان يقابل مبالغتهم في الاساءة بمبالغته في الاحسان اليهم ثم انه تعالى حكى
عنهم انهم لما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابا منع منا الكيل وفيه قولان (الاول) انهم
ما طلبوا الطعام لانهم وللأخ الباقي عنده منعوا منه فقولهم منع منا الكيل اشارة
اليه (والثاني) انه منع الكيل في المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتوني به
فلا كيل لكم عندي والدليل على ان المراد ذلك قولهم فأرسل معنا انا نكفل قرأ حزة
والكسائي بكتل بالياء والباقيون بالنون والقراءة الاولى تقوى القول الاول والقراءة
الثانية تقوى القول الثاني ثم قالوا وانا له حافظون ضموا كونهم حافظين له فلما قالوا

لعملهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلمهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابا
منع منا الكيل فارس معنا انا نكفل وانا له حافظون قال هل امنكم عليه الاكابر
امنكم على اخيه من قبل قاله خير حافظا وهو ارحم الراحمين (في الآية مسائل
(المسئلة الاولى) قرأ حزة والكسائي وحفص عن عاصم لقنيته بالالف والنون
والباقون لقنيته بالتاء من غير الف وهما القنات كالصبيان والصبيبة والاخوان والاخوة
قال ابو علي الفارسي القنية جمع فتى في العدد القليل والقنات للكثير فوجه البناء الذي
للعدد القليل ان الذين يحيطون بما يحيطون بضاعتهم فيه من رحالهم يكونون قليلين لان
هذا من باب الاسرار فوجب صوته الا عن العدد القليل ووجد الجمع الكثيراته قال
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال تقيد العدد الكثير فوجب ان يكون الذين يباشرون
ذلك العمل كثيرين (المسئلة الثانية) اتفق الاكثر على ان اخوة يوسف ما كانوا
طالين يجعل البضاعة في رحالهم ومنهم من قال انهم كانوا عارفين به وهو ضعيف لان قوله
لعلمهم يعرفونها يطل ذلك ثم اختلفوا في السبب الذي لاجله امر يوسف بوضع بضاعتهم
في رحالهم على وجوه (الاول) انهم حتى قهقوا التناع فوجدوا بضاعتهم فيه علموا ان ذلك
كان كراما من يوسف وسخاء محضا فيعظم ذلك على العود اليه والحرص على معاملته
(الثاني) خاف ان لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى (الثالث) اراد به
التوسعة على ابيه لان الزمان كان زمان القحط (الرابع) رأى ان اخذ من الطعام من
أبيه واخوته مع شدة حاجتهم الى الطعام يؤم (الخامس) قال القراء انهم متى شاهدوا
بضاعتهم في رحالهم وقع في قلوبهم انهم وضعوا تلك البضاعة في رحالهم على سبيل السهو
وهم انبياء واولاد الانبياء فرجوا يعرفوا السبب فيه اورجعوا ليردوا المال الى مالكه
(السادس) اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يتحقق به عيب ولامنة (السابع) مقصوده
ان يعرفوا انه لا يطلب ذلك الا لاجل الايذاء والعلم ولا لطلب زيادة في الثمن (الثامن)
اراد ان يعرف ابوه انه اكرمهم وطلبه له لمزيد الاكرام فلا ينقل على أبيه ارسال اخيه
(التاسع) اراد ان يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان وكان يختلف للصوص من
قطع الطريق فوضع تلك الدارهم في رحالهم حتى تبقى مخفية الى ان يصلوا الى ابيهم
(العاشر) اراد ان يقابل مبالغتهم في الاساءة بمبالغته في الاحسان اليهم ثم انه تعالى حكى
عنهم انهم لما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابا منع منا الكيل وفيه قولان (الاول) انهم
ما طلبوا الطعام لانهم وللأخ الباقي عنده منعوا منه فقولهم منع منا الكيل اشارة
اليه (والثاني) انه منع الكيل في المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتوني به
فلا كيل لكم عندي والدليل على ان المراد ذلك قولهم فأرسل معنا انا نكفل قرأ حزة
والكسائي بكتل بالياء والباقيون بالنون والقراءة الاولى تقوى القول الاول والقراءة
الثانية تقوى القول الثاني ثم قالوا وانا له حافظون ضموا كونهم حافظين له فلما قالوا

المغفرة لما يعترى النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بصمتها من الجريان يقتضى ذلك وياتر الاظهار في مقام الضمير

مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادئ المفردة والرجة وقبل الى هنا من كلام (٢١٤) امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت

ليحيى يوسف عليه السلام الى
لم اخذ به ولم أكذب عليه في حال
الغيبه وبحث بما هو الحق الواقع
وما أرى نقي مع ذلك من
الحياسة حيث قلت في حقها
ما قلت وعلقت به ما فعلت ان كل
نفس لا مارة بالسوء الامارم
ردي اى الانفسا رجها الله
بالصحة كنفوس يوسف ان ربي
غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به
رحيم له فلي هذا يكون تأنيبه عليه
السلام في الخروج من السجن
لعدم رضاه عليه السلام بملاعة
الملك وامره بين يدي فعمل ما فعل
حتى يبين نزاهته وانه انما سجن
بظلم عظيم مع ما له من الفضل
ونباهة الشأن لينتقل الملك
بما يليق به من الاعظام والاجال
وقد وقع وقال الملك اشق به
استخلصه اجعله خالصا (نفسه)
وخاصا (لما كلفه) اى قاتوبه
لخصه فلا يذنب بسيرة الاتيان به
فكان له لم يكن بين الامراء حضاره
والخطاب معه زمان اصلا
والضيق المستكن في كلام يوسف
والبارز للملك اى فلما كلفه يوسف
اثر اماته فاستنطقه وشاهد منه
ما شاهد (قال انك اليوم لدينا
مكن) ذومكانة ومثله رفيعة
(اعني) مؤتمن على كل شيء واليوم
ليس بمباركة المكانة والامانة
بل هو ان التكلم والمراد تصعيد
مبدئها احتراز عن احتمال
كونهما بعد حين روى انه عليه
السلام لما جاء الرسول خرج من
السجن ودعا لاهله واقتل وليس
شيا بعدا فلا يدخل على الملك قال
الله اى اسالك بخيرك من غيره
واعوذ بغيرك وقد تركت من شره

ذلك قال يعقوب عليه السلام هل آنتكم عليه الا كما آنتكم على اخيه من قبل والمعنى
انكم ذكرتم هذا الكلام في يوسف وصحتكم حفظه حيث قلتم وانه لحافظون ثم
هنا ذكرتم هذا المفظ بعينه فهل يكون ههنا ما في الاما كان هناك يعنى لم يحصل
الامان هناك فكذلك لا يحصل ههنا ثم قال فله خير حافظا وهو ارحم الراحمين فراهجة
والكسائي حافظا بالالف على التميز والتفسير على تقدير هو خير لكم حافظا كقولهم
هو خير هم رجلا والله دره فارسا قيل على الحال والباقون حفاظا بغير الف على المصدر
يعنى خيركم حفاظا يعنى حفظ الله لبنيامين خير من حفظكم وقرأ الاعمش فله خير حافظ
وقرأ ابوهريرة رضى الله عنه خيرا لحافظين وهو ارحم الراحمين وقيل معناه وثقت بكم
في حفظ يوسف عليه السلام فكان ما كان فالان اتوكل على الله في حفظ بنيامين فان
قيل لم يعنه معهم وقد شاهد ما شاهد قلنا لوجوه (احدها) انهم كبروا ومانوا الى الخير
والصلاح (وثانها) انه كان يشاهد انه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد والخذل مثل
ما كان بينهم وبين يوسف عليه السلام (وثالثها) ان ضرورة القسط احوجته الى ذلك
(ورابعها) لعلمه تعالى اوحى اليه وضمن حفظه وايصاله اليه فان قيل هل يدل قوله فله خير
حافظا على انه اذن في ذهاب ابنه بنيامين في ذلك الوقت قلنا لا كثرون قالوا يدل عليه
وقال آخرون لا يدل عليه وفيه وجهان (الاول) التقدير انه لو اذن في خروجه معهم لكان
في حفظ الله لافي حفظهم (الثاني) انه لما ذكر يوسف قال فله خير حافظا لى يوسف
لانه كان يعلم انه حى الله قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا
يا ابانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمينا ههنا ونحفظ انا وازداد كل بغير ذلك
كل يسير) اعلم ان التناع ما يصلح لان يستمتع به وهو عام في كل شيء ويحوز ان يراد به ههنا
الطعام الذى حلهوه ويحوز ان يراد به اوعية الطعام ثم قال وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
واختلف القراء في ردت فالأكثر بضم الزاء وقرأ علقمة بكسر الزاء قال صاحب
الكشاف كسرة الدال المدغمة نقلت الى الزاء كما في قيل وبيع وحكى قطرب انهم قالوا
في قولنا ضرب زيد ضرب زيد على نقل كسرة الزاء فيمن سكنها الى الضاد او ما قوله ما نبغى
ففي كلمة ما قولان (الاول) انها لتي وعلى هذا التقدير ففيه وجوه (الاول) انهم كانوا
قد صنفوا يوسف بالكرم والطف وقالوا اتاقدنا على رجل في غاية الكرم اترنا
واكرنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب لما فعل ذلك قلولهم ما نبغى اى بهذا الوصف
الذى ذكرناه كذبا ولا ذكر شيء لم يكن (الثاني) انه بلغ في الاكرام الى غاية ما وراء هاشم
آخراته بعد ان بالغ في اكرامنا بضاعتنا فردت الينا (الثالث) المعنى انه رد بضاعتنا
الينا فحقن لانبغى منك عند رجوعنا اليه بضاعة اخرى فان هذه التي معنا كافية لنا
(والقول الثاني) ان كلمة ما ههنا للاستفهام والمعنى لما رأوا انه رد اليهم بضاعتهم قالوا
ما نبغى بعده هذا اى اعطانا الطعام ثم رد علينا نحن الطعام على احسن الوجوه فافى شيء

وشبه غيره ثم سلم عليه ودعاه بالبركة فقال ما هذا السائل قال لسان آباءى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه (شبه)

جميعها فتهب منه فقال احب ان اسمع منك رؤيا (٢١٥) فتكلمها ونعت له البقرات والسنابل واما صكتها على مآرأها

فاجلسه على السرور وفوض اليه امره وقيل توفي قطفي في تلك الليلة فصبه منصبه وزوجه راعيل فوجد هاعذر ابو ولدت له افراميم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لماعين له من امر الخزانة كاعرب عنه قوله عز وجل (قال اجعلني على خزائن الارض) اي ارض مصر اي ولي اسرها من الارباء والصرف (ان خفيظ) لها من الاستغناء (علم) بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه السلام ولعل اتياره عليه السلام لتلك الولاية خاصة اعماكل للقيام بها هو اهم امور السلطنة اذ كان من تدير امر السنين حسب فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لا يجرى عموم الفائدة وجزم الفائدة كقيل وانما يذكر اجابة الملك الى مأسأله عليه السلام من جله على خزائن الارض ايذا بان ذلك امر لاسرده غنى عن التصريح به لاسما بعد تقديم ما يندرج تحته من احكام السلطنة بمجدا فيرها من قوله انك اليوم لدينا مصكين امين ولتتنبه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آله في ذلك قيل (وكذلك) اي مثل ذلك الفكين البليغ (مكنيا يوسف) اي جعلناه مكانا (في الارض) اي ارض مصر وروى انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجمل المذكور بالتكدين في الارض مستندا الى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال

نبي وراء ذلك واعلم اننا اذا جئنا ما على الاستفهام صار التقدير اي شئ نبغي فوق هذا الاكرام ان الرجل رد دراهمنا اليها فاذا ذهب اليه نهر اهلنا ونحفظ احوالنا وزداد كيل بعير بسبب حضور اخينا قال الاصمعي يقال ماره بعيره ميرا اذا اتاه بعيرة اي بطعام ومنه يقال ما عنده خير ولا مير وقوله وزداد كيل بعير معناه ان يوسف عليه السلام كان يكيل لكل رجل حل بعير فاذا حضر اخوه فلا بدوا ان يزداد ذلك الحمل واما اذا جئنا كلمة ما على التي كان المعنى لا نبغي شيئا آخر هذه بضاعتنا ردت اليها فهي كافية لثمن الطعام في الذهاب الثاني ثم نفعل كذا وكذا واما قوله ذلك كيل بسير فقيه وجوه (الاول) قال مقاتل ذلك كيل بسير على هذا الرجل المحسن لسخائه وحرصه على البذل وهو اختيار الزجاج (والثاني) ذلك كيل يسير اي قصير المدة ليس سبيلا مثله ان تطول مدته بسبب الحبس والتأخير (والثالث) ان يكون المراد ذلك الذي يدفع النيا دون اخيائش يسير قليل فابعث اخانا معا حتى نبدل تلك القلة بالكثرة * قوله تعالى (قال لن ارسله معكم حتى تؤوبوا مؤثقا من الله لتأتني به) الان يحاط بكم فلما اتوه موثقه قال الله علي ما تقول (وكيل) اعلم ان الموثق مصدر بمعنى الثقة ومعناه العهد الذي يؤتيه فهو مصدر بمعنى المفعول يقول لن ارسله معكم حتى تصطوبوا عهدا موثوقا به وقوله من الله اي عهدا موثوقا به بسبب تأكده باشهد الله وبسبب القسم بالله عليه وقوله لتأتني به دخلت اللام ههنا لاجل اثبات ان المراد بالموثق من الله الحيين فتقديره حتى تحلفوا بالله لتأتني به وقوله الان يحاط بكم فيه بحثان (الاول) قال صاحب الكشف هذا الاستثناء متصل فقوله الان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتني به في تأويل النبي فكان المعنى لئتمتعون من الاتيان به لعله من الطل الالعة واحدة (البحث الثاني) قال الواحدي للفسرين فيه قولان (احدهما) ان قوله الان يحاط بكم معناه الهلاك قال مجاهد الان يموتوا كلكم فيكون ذلك عنرا عندي والعرب تقول احيط بفلان اذا قرب هلاكه قال تعالى واحيط بثره اي اصابه ما هلكه وقال تعالى وظنوا انهم احيط بهم واصله ان من احاط به العدو وانسدت عليه مسالك النجاة دنا هلاكه فقبل لكل من هلك قد احيط به (والقول الثاني) ما ذكره قتادة الا ان يحاط بكم الان تصيروا مغلوبين مقهورين فلا تقدرين على الرجوع ثم قال تعالى فلما اتوه موثقه قال الله علي ما تقول وكيل يريد شهيد لان الشهيد وكيل بمعنى انه موكل اليه هذا العهد فان وفية به جازاكم باحسن الجزاء وان غدرتم فيه كافاكم بأعظم العقوبات * قوله تعالى (وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شئ ان احكم الله عليه توكلت وعليه فليتكمل المؤمنون) اعلم ان ابناء يعقوب لما عزموا على الخروج الى مصر وكانوا موصوفين بالكمال والجمال وابناء رجل واحد قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وفيه قولان (الاول) وهو قول

ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر الا انه حصل بعد (٢١٦) السؤال مالا يخفى (يتبرأ منها) يتزل من بلادها

(حيث يشاء) ويتخذ مبيدة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وفرأين كثير البون يرى ان الملك توجه وخطه بخضائه ورداء بيسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام اما السرير فاشد بهملكك واما الخاتم فأوبره امرلك واما التاج فليس من لباس ولا لباس أباق فقال قد وضعت احبالا لك واقراها بفنك فيجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بصر واجتبه الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سبي القبط الطعام في السنة الاولى بالتأخير والسخاء وفي الثانية باطى والجواهر وفي الثالثة الدواب ثم بالضياع والفقار ثم برأهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا اليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعطهم زرد اليهم اموالهم وكان لا يبيع من احد من المختارين اكثر من رجل بغير تقييما بين الناس (نصيب رجتنا) ببطاننا في الدمام الملك والفي وغيرهما من النعم (من نساء) يقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة (ولا تضع اجر الحسنيين) بل توفيه بكماله وفيه اشعار بان من نصيبه الرحمة المرقومة وانها اجر له ولذفع توهم انحصار نعماته الاحسان فيما ذكر من الاجر الساجل قيل على سبيل التوكيد (ولا اجر الاخرة) اي اجرهم في الاخرة فلاضافة للبابسة وهو النعم القيم الذي لا يفادله (خير) لهم اي للحسين المذكورين وانما وضع (لا يلقى)

موضعه الموصول قليل (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فيها (٢١٧) على ان المراد بالاحسان اتماهاوا الايمان والثبات على التقوى المستفاد

من جمع صيغتي الماضي والمستقبل (وجاء اخو يوسف) متمازنان لا
أصاب ارض كنعان وبلاد الشام
ما أصاب ارض مصر وقد كان
ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا
غير بنيامين (فدخلوا عليه) اي
على يوسف وهو في مجلس ولايته
(هرفهم) لقوة فهمه وعدم
مبينة احوالهم السابقة لحالهم
يومئذ لفارقته اياهم وهم
رجال وتشابه حياتهم وزعيم
في الحولين ولكنهم همته مقودة
بهم ويعرفون احوالهم لاسيما في
زمن القبط وعن الحسن ما عرفهم
حتى يعرفوا له (وهم لم يتركوا)
اي والحال انهم يتركوا له ليطول
العهد وتبين ما بين حاله عليه
السلام في نفسه ومثله وزيه
ولا يعتقد انهم هلك وحيث
كان انكارهم له اما مستغرافي
حالي الحضر والغيب اخبر عنه
بالجمل الاسمية بخلاف عرفانه
عليه السلام اياهم (ولما جهزهم
بمجهزهم) اي اصحهم بعد ثم
من الزاد وما يحتاج اليه المسافرين
واوتر ركابهم بما جازاه من الميرة
وقرى بكر الجيم (قال اشرفني
بأخ لكم من ابيكم) لم يقل بأخيك
مبالغة في اظهار عدم معرفته
لهم ولعله عليه السلام اتفاهل لا
قبل من انهم سألوه عليه السلام
جلازا سدا على المعتاد لبنيامين
فأعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا
به لالاقتيل من أنه لما رأوه وكلموه
بالعبرية قال لهم من اتم فاني انكركم
فقالوا له نحن قوم من اهل الشام
رعاة اصحابنا الجهد فيجئنا بنمارة
فقال لهم اهلكم بجمتم هيوا فلقوا
معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد

لا يبقى قلب ذلك المكلف متعلقا به فكذا المعنى غير متمنع ثم لا يبعد ايضا انه
لنذكر ربه عند تلك الحادثة وعدل عن الانحجاب وسأل ربه تقيته ذلك فغفده تعين المصلحة
ولما كانت هذه العادة مطردة لاجرم قبل العين حق (الوجه الثالث) وهو قول الحكماء
قالوا هذا الكلام مبني على مقدمة وهي انه ليس من شرط المؤثر ان يكون تأثيره
بحسب هذه الكيفيات المحسوسة اعني الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة بل
قد يكون التأثير نفسانيا محضا ولا يكون للقوى الجسمانية بها تعلق والذي يدل
عليه ان اللوح الذي يكون قليل العرض اذا كان موضوعا على الارض قدر الانسان
على المشي عليه ولو كان موضوعا فيما بين جدارين عالين ليجز الانسان عن المشي عليه
وما ذاك الا لان خوفه من السقوط منه يوجب سقوطه فعلمنا ان التأثيرات النفسانية
موجودة وايضا ان الانسان اذا تصور كون فلان مؤذيا له حصل في قلبه غضب
ويخفق مزاجه جدا فبدا تلك السخونة ليس الا ذلك التصور النفساني ولان مبدأ
الحركات البدنية ليس الا التصورات النفسانية فلما ثبت ان تصور النفس يوجب
تغيير بدنه الخاص لم يبعد ايضا ان يكون بعض النفوس بحيث تعدى تأثيراتها
الى سائر الابدان فثبت انه لا يتمتع في العقل كون النفس مؤثرة في سائر الابدان
* وايضا جواهر النفوس مختلفة بالماهية فلا يتمتع ان يكون بعض النفوس
بحيث يؤثر في تغيير بدن حيوان آخر بشرط ان يراه ويتجسس منه فثبت ان هذا المعنى امر
محتمل والتجارب من الزمن الاقدم ساعدت عليه والنفوس النبوية نطقته فغفده
لا يبقى في وقوعه شك واذا ثبت هذا ثبت ان الذي اطبق عليه المتقدمون من المفسرين
في تفسير هذه الآية بأصابة العين كلام حق لا يمكن رده (القول الثاني) وهو قول ابى على
الجباي ان ابناء يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث الناس بهم وبحسنهم وكمالهم فقال
لاندخلوا تلك المدينة من باب واحد على ما تم عليه من العدد والهبة فلم يأمن عليهم
حسد الناس او يقال لم يأمن عليهم ان يخافهم الملك الاعظم على ملكه فيحبسهم واعلم ان
هذا الوجه محتمل لانكاره الان القول الاول قدينا انه لا امتناع فيه بحسب العقل
والمفسرون اطبقوا عليه فوجب المصير اليه ونقل عن الحسن انه قال خاف عليهم العين
فقال لاندخلوا من باب واحد ثم رجع الى علمه قال وما غنى عنكم من الله من شيء وعرف
ان العين ليست بشيء وكان قتادة يفسر الآية بأصابة العين ويقول ليس في قوله وما غنى
عنكم من الله من شيء ابطال له لان العين وان صح فالله قادر على دفع اثره (القول الثالث)
انه عليه السلام كان عالما بأن ملك مصر هو ولده يوسف الا ان الله تعالى ما اذن له في اظهار
ذلك فلما بعث ابناءه اليه قال لاندخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان
غرضه ان يصل بنيامين الى يوسف في وقت الخلوة وهذا قول ابراهيم الضعفي فأما قوله
وما غنى عنكم من الله من شيء فاعلم ان الانسان مأثور بأن راعى الاسباب المعبرة في

وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء (٢٨) (را) (خا) اسمه يعقوب قال كم اتم قالوا كنا اثني عشر فهلك متواحد فقال كم انتم ههنا

قالوا عشرة قال فابن الحادى عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك (٢١٨) قال فن يشهد لكم انكم لستم عيوناً وان ما تقولون

حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال قد صرنا بعضكم عندى رهينة واتى بأخيك من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فافترعوا فأصاب القرعة شمعون فضلقوه عندما ذللا يساعده ووداد لاس بالانسان به عند التجهيز والالحث عليه باقائه الكيل ولا الاحسان فى الازال ولا الاقتصاد على منع الكيل على تقدير عدم الايمان به ولا جعل بضاعتهم فى رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدمهم بالانسان به بطريق المراودة ولا تملئهم عند ابيهم ارسال اخيم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقا شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسب منها كل قيل وقال (الأترون الى اوف الكيل) اتعلمون انما هذه صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بسند التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستقرة (وانما خير المثلين) جهة الحالية اى الأترون. اى اوف الكيل لكم ايفاء مستقرا والخالف اى فى غاية الاحسان فى الزالك وضياقتكم وقد كان لاسم كذلك وتخصيص الرؤية بالافاد لوقوع الطعاب فى شأنه واما الاحسان فى الازال فقد كان مستقرا فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه بالجهة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحظهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصاد فى الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم فى ذلك كما علمته مع غيرهم فى مراعاة موجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فيفسدهم

فى ذلك بما شاء (فان لم تأتوا به فلا كيل لكم عندى) من بعد فضلا عن ايفائه (والأترون) يسمون ببلدى فضلائى (عباس)

الاحسان في الازل والضيافة وهو اما نهى اولي (٢١٩) معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتياز مرة بعد

أخرى وان ذلك كان مدلوله عليه السلام (قالوا سراود عنه اياه) اى استفادعه عنه وتحال في انتزاعه من يده ونجته في ذلك وفيه تنبيه على عزه المطلوب وصعوبة مثاله (وانا لفاعلون) ذلك غير مفرط فيه ولا متوانين اولقارون عليه لانتعاض به (وقال) يوسف (لفتياه) غلاته الكيانيين

جمع فتى وقرى لفتيته وهى جمع قلة (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) فانه وكل بكل رحل جلايى فيه بضاعتهم التى شرواها بالطعام وكانت لعلوا وادوا وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وسوقا من ان لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى وكل ذلك لتحقيق ما يشاء من رجوعهم بأخييه كما يؤذن به قوله (اعلمهم يعرفونها) اى يعرفون حق ردها والتكرم فى ذلك اولى كى يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله (اذا اقبلوا الى اهلهم) فان معرفتهم لها مفيدة بالرجوع وتقرىخ الاوعية طعا واما معرفة حق التكرم ردها فهى وان مكثت فى ذاتها غير مفيدة بذلك لكن لما كان ابتداء حاجته قيدت به (اعلمهم يرجعون) حسبا امرتهم به فان التفضل عليهم اعطاء البديل ولا سيما عند اعواز البضاعة من القوى الدوامى الى الرجوع وما قيل انما فعله عليه السلام الماهر من التكرم ان يأخذ من ابيه واخوته بما فكلهم حق في نفسه ولكن بأياه التعليل المذكور واما ان عليه العمل المذكور الرجوع من حيث ان دياتهم تحمله على رد البضاعة لانهم

عباس رضى الله عنهما ذلك التفرق ما كان يرد قضاء الله ولا امرا قدر الله وقال الزجاج ان العين لو قدر ان تصيبهم لاصابهم وهم متفرقون كما تصيبهم وهم مجتمعون وقال ابن الانبارى لو سبق في علم الله ان العين تهلكهم عند الاجتماع لكن تفرقهم كاجتماعهم وهذه الكلمات متقاربة وحاصلها ان الحذر لا يدفع القدر (البحث الثانى) قوله من شئ يحتل النصب بالمفعولية والرفع بالفاعلية (اما الاول) فهو كقوله مارأيت من احد والتقدير مارأيت احدا فكذا ههنا تقدير الآية ان تفرقهم ما كان يغنى من قضاء الله شيئا اى ذلك التفرق ما كان يخرج شيئا من تحت قضاء الله تعالى (واما الثانى) فكقولك ما جاني من احدو تقديره ما جاني احدا فكذا ههنا التقدير ما كان يغنى عنهم من الله شئ مع قضاها اما قوله الحاجة في نفس يعقوب قضاها فقال الزجاج انه استثناء منقطع والمعنى لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها يعنى ان الدخول على صفة التفرق قضاها حاجة في نفس يعقوب قضاها ثم ذكروا في تفسير تلك الحاجة وجوها (احدها) خوفه عليهم من اصابة العين (وثانيها) خوفه عليهم من حسد اهل مصر (وثالثها) خوفه عليهم من ان يقصدهم ملك مصر بشر (ورابعها) خوفه عليهم من ان لا يرجعوا اليه وكل هذه الوجوه متقاربة واما قوله وانه لذو علم لعلنا فقال الواحدى يحتل ان تكون ماصدرة والهاء عائدة الى يعقوب والتقدير وانه لذو علم من اجل تعلينا اياه ويمكن ان تكون ما يعنى الذى والهاء عائدة اليها والتأويل وانه لذو علم لعلنا يعنى انا لما علنا شيئا حصل له العلم بذلك الشئ وفى الاية قولان آخران (الاول) ان المراد بالعلم الحفظ اى انه لذو حفظ لعلنا ومراقبة له (والثانى) لذو علم لقوائد ما علناه وحسن آثاره وهو اشارة الى كونه عاملا بما علمه ثم قال ولكن أكثر الناس لا يعلمون وفيه وجهان (الاول) ولكن أكثر الناس لا يعلمون مثل ما علم يعقوب (والثانى) لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة والعلم والمراد بأكثر الناس المشركون فانهم لا يعلمون بأن الله كيف ارشد أوليائه

الى العلوم التى تنفعهم فى الدنيا والآخرة ﴿ قوله تعالى ﴾ (ولما دخلوا على يوسف اوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بيحسانهم جعل السقاية فى رحمل أخيه ثم اذن مؤذنين ايتها الميراثكم لسارقون قالوا اقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا تفقد صواع الملك وامن جانبى حل بعير وانا به زعيم) اعلم انهم لما اتوه بأخييه بنيامين أكرمهم و اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف بقى اخوك وحيدا فأجلسه معه على مائدة ثم أمر ان يزل منهم كل اثنين بيتا وقال هذا لائى له فاتركوه معى فأوام اليه ولما رأى يوسف تأسفه على اخيه هلك قال له انحب أن اكون اهلك بدل اخيك الهالك قال من يجد أخا منك ولكنك لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال انى أنا أخوك فلا تبتس بما كانوا يعملون اذ عرفت هذا

لا يستعملون امساكها فداره حسبانهم انها بقيت فى رحالهم تسيانا وظاهر ان ذلك ما لا يحظر ببال احد أصلا فان هيئة التسمية

تنادى بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين (٢٢٠) رأوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما سيجري به

خبرا (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا) قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع (يا ابانا منعنا الكيل) اى فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتياز ممة بعد ممة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام (فارسل معنا اخانا) يتابعين الى مصر وفيه ايدان بان مصدر المتع عدم كونه معهم (نكتل) بسببه من الطعام ما نفادوا قرا حرة والكساف بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سنيا للاكتيال او يكتل لنفسه مع ا كتيالنا (وانه حافظون) من ان يصيبه مكروه (قال هل آتاكم عليه الا كما آتاكم على اخيه) يوسف (من قبل) وقد تقدم في حقه ايضا ما قلتم ثم فاعلم به ما قلتم فلا اتق بكم ولا يحفظكم وانما افوض الاسرار الى الله (قاله خير حافظا) وقرئ حفظا واتصاهما على التمييز والمالية على القرع الاول توه تم قيد الخيرية بترك الحالة (وهو ارحم الراحمين) فارجو ان يرحسنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين وهذا كثر ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسل لما رأى فيه من المصلحة (ولما قصوا متاعهم وجدوا ابتاعهم وردد اليهم) اى تفضلا وقد علوا ذلك عاى من دلالة الحال وقرئ بقل حركة الدال المدغلة الى الراء كما قيل فى قيل وكيل (قالوا) استكشف منى على سؤال كما نه قيل ماذا قالوا حينئذ قيل قالوا اليهم ولعله كان حاضر اعند الفتح (يا ابانا ما نبتى) اذا فرس البنى بالطلب لما اما استغفانية منصوبة به فالتنى ماذا تبغى وراء ما وصفنا لك من احسان الملك البنا وكرمه الداعى الى امتثال امره والمراجعة اليه فى الجوامع وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا له انا قد علمنا على خير (غير)

فقول قوله اوى اليه اخاه اى ازاله فى الموضع الذى كان اوى اليه وقوله اى انا اخوك فيه قولان قال وهب لم ير دانه اخوه من النسب ولكن اراده اى اقوم لك مقام اخيك فى الاناس ثلثا تستوحش بالثغرى والصحيح ما عليه سائر المفسرين من انه اراد تعريف النسب لان ذلك اقوى فى ازالة الوحشة وحصول الانس ولان الاصل فى الكلام الحقيقة فلا وجه لصرفه عنها الى المجاز من غير ضرورة واما قوله فلا تبئس فقال اهل اللغة تبئس تتعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس وقوله بما كانوا يعملون فيه وجوه (الاول) المراد بما كانوا يعملون من اقامتهم على حسنا والحرص على انصراف وجهه ابتناعا (الثانى) ان يوسف عليه السلام ما بقى فى قلبه شئ من العداوة وصار صافيا مع اخوته فأراد ان يجعل قلب اخيه صافيا معهم ايضا فقال فلا تبئس بما كانوا يعملون اى لا تلنث الى ما صنعوه فيما تقدم ولا تلنث الى اعمالهم المنكرة التى اقدموا عليها (الثالث) انهم انما فعلوا يوسف ما فعلوه لانهم حسدوه على اقبال الاب عليه وتخصيصه بزمى الاحرام فخاف بنيامين ان يحسدوه بسبب ان الملك خصسه بزمى الاحرام فأمنه منه وقال لا تلنث الى ذلك فأذن الله فجمع بينى وبينك (الرابع) روى الكلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اخوة يوسف عليه السلام كانوا يعيرون يوسف واخاه بسبب ان جدما ابا اعلم كان يعبد الاصنام وانام يوسف امرت يوسف فسرق جونة كانت لابها فيها اصنام رجاء ان يترك عبادتها اذا فقدتها فقال له فلا تبئس بما كانوا يعملون اى من التمييز لنا بما كان عليه جدنا والله اعلم ثم قال تعالى فما جهزهم ببجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه وقدمضى الكلام فى الجهاز والرحل اما السقاية فقال صاحب الكشاف مثرية يسقى بها وهو الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وهو بعيد لان الاما الذى يشرب الملك الكبير منه لا يصلح ان يجعل صاعا وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها ايضا وهذا اقرب ثم قال وقيل كانت من فضة موهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر وهذا ايضا بعيد لان الآية التى تسقى الدواب فيها لا تكون كذلك والاولى ان يقال كان ذلك الاناء شيئا له قيمة اما الى هذا الحد الذى ذكروه فلا ثم قال تعالى ثم اذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون يقال اذنه اى علمه وفى الفرق بين اذن وبين اذن وجهان قال ابن الانبارى اذن معناه اعمل اعلاما بعد اعلام لان فعل يوجب تكرير الفعل قال ويحوز ان يكون اعلاما واحدا من قبل ان العرب تجعل فعل بمعنى أفضل فى كثير من المواضع وقال سيويه اذنت وأذنت معانما علئت لافرق بينهما والتأذين معناه النداء والتصويت بالاعلام وأما قوله تعالى أيتها العير انكم لسارقون قال ابو الهيثم كل مسير عليه من الابل والحمر والبغال فهو عير وقول من قال العير الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى عليها الاحال لانها تعيرى تذهب ونجى وقيل هى قافلة الحمر ثم كثر ذلك حتى قيل لكل قافلة عير كما نهاجع

رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب (٢٢١) ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى (هذه بضاعتنا ردت اليها) جهل مستأنف

موضحة لما دل عليه الانكا
من بلوغ اللطف غاية كانه
قالوا كيف لا وهذ بضاعتنا
ردها البنا نقضنا من حيث
ندري بعدما من علينا من المنز
العظام هل من مزيد على هذ
فطلبه ولم يريدوا به الاكتفا
بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب
نظاره بل ارادوا الاكتفا به
في استجاب الامتنال لاسره
والانجاء اليه في استيلا المريد
كاشرنا اليه وقوله تعالى ردت
اليها حال من بضاعتنا والعامل
معنى الاشارة وانما صيغة البناء
للعقول لا يذان بكمال
الحسان الناشئ عن كمال
الاخذ المهوم من كمال غفلتهم
عنه بحيث لم يشعر وابه ولا بغاظة
وقوله عز وجل (وغير اهلنا) اي
تجلب اليهم الطعام من عند الملك
معطوف على مقدر ينسحب عليه
رد البضاعة اي فليس تهر بها
وتغير اهلنا (ونحفظ ائانا) من
المكاره حسبا وعدنا لها يصيبه
من مكروه (وزداد) اي بواسطته
ولذلك وسط الاخبار بمحفظه بين
الاصل والمزيد (كبل بعير) اي
وسق بعيرنا داعي اوساقنا باعرا
على قضية التقسيط (ذلك) اي
ما يحمله باعرا (كبل بعير) اي
مكيل قليل لا يقوم باؤردنا فهو
استئناف وقيل لمسا سبق
كانه قيل اي حاجة الى الزداد
قبيل ما قيل اولئك الكيل الزاد
شيئ قليل لا يضائقنا فيه الملك
اوسهل عليه لا يتعاطفه اوى
مطلب نطلب من مهماتنا والوجه
الواقعة بعده توضيح وبيان لما
يشعر به الانكار من كونهم
قائرين ببعض المطالب او متمكنين

غير وجهها فعل كسقف وسقف اذا عرفت هذا فقول ايها العير المراد اصحاب العير
كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه
قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رجل اخيه امهلم حتى انطلقوا ثم اذن
مؤذن ايها العير انكم لسارقون فان قيل هل كان ذلك النداء بأمر يوسف او ما كان
بأمره فان كان بأمره فكيف يليق بالرسول الحق من عند الله ان يتم اقواما وينسبهم الى
السرقه كذبا وبهتان وان كان الثاني وهو انه ما كان ذلك بأمره فهلا انكره وهلا اظهر
براءتهم عن تلك التهمة قلنا العلماء ذكروا في الجواب عنه وجوها (الاول) انه عليه
السلام لما اظهر لآخيه انه يوسف قال له اني اريد ان احبسك ههنا ولا سليل اليه الا بهذه
الحيلة فان رضيت بها فالامر لك فرضي بأن يقال في حقه ذلك وعلى هذا التقدير لم يتالم
قلبه بسبب هذا الكلام فخرج عن كونه ذنبا (والثاني) ان المراد انكم لسارقون يوسف
من ابيه لانهم ما اظهروا هذا الكلام والمعارض لا تكون الا كذلك (والثالث) ان
ذلك المؤذن ربما ذكر ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير يخرج عن ان
يكون كذبا (الرابع) ليس في القرآن انهم نادوا بذلك النداء عن امر يوسف عليه السلام
والا قرب الى ظاهر الحال انهم فعلوا ذلك من انقسم لانهم لما طلبوا السقاية وما وجدوا ها
وما كان هناك احد الا هم غلب على ظنونهم انهم هم الذين اخذوها ثم ان اخوة يوسف
قالوا قبلوا عليهم ماذا تفقدون وقرأ ابو عبد الرحمن السلي تفقدون من اقصيته اذا
وجده فقيده قالوا تفقد صواع الملك قال صاحب الكشف قرئ صواع وصاع وصوع
وصوع بفتح الصاد وضما والعين معجمة وغير معجمة قال بعضهم جمع صواع صيعان
كفراب وغريان وجمع صاع اصواع كباب وابواب وقال آخرون لافرق بين الصاع
والصواع والدليل عليه قرأة ابي هريرة قالوا تفقد صاع الملك وقال بعضهم الصواع اسم
والسقاية وصف كقولهم كوز وسقاء فالكوز اسم والسقاء وصف ثم قال ولما جاء به جل
بعير اي من الطعام وانه زعيم قال بجاهد الزعيم هو المؤذن الذي اذن وتفسير زعيم كقيل
قال الكلبي الزعيم الكفيل بلسان اهل اليمن روى ابو عبيدة عن الكسائي زعمت به تزعم
زعموا وزعامة اي كفلت به وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم
وقد حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الزعيم غارم فان قيل هذه كفالة لشيئ
محمول قلنا جل بعير من الطعام كان معلوما عندهم فصحت الكفالة به الا ان هذه كفالة
مال لردهم فقدوه هو كفالة بالملم يجب لانه لا يحل للسارق ان يأخذ شيئا على رد السرقة ولعل
مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم ﴿ قوله تعالى ﴾ (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد
في الارض وما كنا سارقين قالوا اجز اؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله
فهو جزاؤه كذلك يجزى الظالمين) قال الصريون الواو في والله بدل من الاء والتاء بدل
من الواو فضعفت عن التصرف في سائر الاسماء وجعلت فيما هو احق بالقسم وهو اسم الله

من تحصيله فكاشم قالوا بضاعتنا حاضرة فستظهر بها وتغيرا هلتنا ونحفظ اخانا لها يصيبه شيء من المكاره وتزداد بسببه غير ما كنا كنا

لانتسناكيل بعير فأى شئ تبغى وراء هذه المباحي (٢٢٢) وقرئ ما تبغى على خطاب يعقوب عليه السلام أى أى شئ تبغى وراء هذه

المباحي بالاشتقاق على سلامة اخينا
وسعة ذات ايدينا او وراء ما
فعل بنا الملك من الاحسان
داعيا الى التوجه اليه والجهة
الاستكنافية موصفة لذلك اوى
شئ تبغى شاهدا على صدقنا
فيمنا وصفناك من احسانه
والجهة المذكورة عبارة عن
الشاهد المدلول عليه بفحوى
الانكار وامانافية فالمعنى ما تبغى
شيئا غير ما رأينا من احسان الملك
في وجوب المراجعة اليه او ما
تبغى غير هذه المباحي وقيل
ما نطلب منك بضاعة اخرى
والجهة المستأنفة تعليل له واما
اذافر البني فيجاوز الحد فما
نافية فقول المعنى ما تبغى في القول
وما تريد فيما وصفنا لك من احسان
الملك اليك وكرمه الموجب لما
ذكر والجهة المستأنفة لبيان
ما ادعوا من عدم البني وقوله
وغير اهلتنا عطف على ما تبغى
ما تبغى فيما ذكرنا من احسانه
وخصيل امثاله من مير اهلتنا
وحفظ اخينا فان ذلك اهو شئ
بواسطة احسانه وقد جوز ان
يكون كلاما مبتدأ أى جهة
اعتراضية تلييلية على معنى وما تبغى
ان غير اهلتنا وشبه ذلك بقولك
سبعيت في حاجة فلان ويجب
ان اسمي وانت خير بان شان
الجل التذيلية ان تكون مؤكدة
لخصون الصدر ومقررة كافي
المثال المذكور وقولك فلان
يعطى بالحق فالحق والحق وقوله
وغير الخ وان ساعدنا في جله على
معنى فبغى ان غير اهلتنا يمحول
من ذلك او ما تبغى في الرأى وما
نفسد من الصواب فيها
نشير به عليك من ارسال اخينا

لاأرى الموت يسبق الموت شئ * نفص الموت الفنى والفقير
واما قوله كذلك نجزي الظالمين أى مثل هذا الجزاء جزاء الظالمين يريد اذا سارق استرق ثم
قبل هذا من بقية كلام اخوة يوسف وقيل انهم لما قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو
جزاؤه فقال اصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين * قوله تعالى (فبدأ بأوعيته قبل وعاء
اخيه ثم استخرجهما من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا
ان يشاء الله ترفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم) اعلم ان اخوة يوسف لما اقروا
بأن من وجد المروق في رحله فهو جزاؤه ان يسترق قال لهم المؤذن انه لا بد من تفتيش
امتعتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيته قبل وعاء اخيه لازالة التهمة والوعية
جمع الوعاء وهولكل ما اذا وضع فيه شئ احاط به ثم استخرجها من وعاء اخيه وقرأ الحسن
وعاء اخيه بضم الواو وهى لغة وقرأ سعيد بن جبيرة اخيه بقلب الواو همزة فان قيل
لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انه قلنا قالوا رجع ضمير المؤنث الى السقاية وضمير المذكر
الى الصواع او يقال الصواع يؤنث ويذكر فكان كل واحد منهما جائزا او يقال لعسل
يوسف كان يحميه سقاية وعبيده صواا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما
يتصل بهم صواا عن قتادة انه قال كان لا يظنر في وعاء الا استغفر الله تابسا مما قد فهم به
معنا والجل الى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيم واصابة رأيهم أى بضاعتنا حاضرة نستظهر بها وغير اهلتنا ونضع كيت وذيت (حتى)

فتأمل (قال ابن ارسله معكم) بعد ما عانيت (٢٢٣) منكم ما عانيت (حتى تؤتوني موثقا من الله) اي ما تؤتيه من جهة الله عز وجل

واما جعله موثقا منه تعالى لان تأكيد اليهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وجل (لتأنيبه) جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأنيبه (الا ان يماط بكم) اي الا ان تفلحوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلى على تاويل الكلام بالني الذي يساق اليه اي لتأنيبه ولا تمن منه في حال من الاحوال اوله من العمل الاحال الاحاطة بكم اوله من الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقتست عليك لما قلت والاقلت اي ما اريد منك الافلاك وقد جوز الاول بل تاويل ايضا اي لتأنيبه على كل حال الاحال الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الايمان به من الافعال المحمودة الشاملة للاحوال على سبيل المعية كافي فذلك لا لزمنك الا ان تعطى حق لم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البذل لا عدا الحال المستثناة كاذا قلت صل الا ان تكون محذاه بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كافي فذلك لا حين العام الا ان احضر فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الجمع الا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البذل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فالعنى الى التأويل المذكور (فلما آتوه موثقهم) عهدهم من الله حسبما

حتى انه لما سبق الاخوة قال ما ارى هذا فداخذ شيئا فقالوا لا نذهب حتى تتفحص عن حاله ايضا فلانظروا في متاعه استخرجوا الصواع من وعاءه والقوم كانوا قد حكموا بأن من سرق يسترق فأخذوا برقيقه وجروا به الى دار يوسف ثم قال تعالى كذلك كذا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك وفيه بحثان (الاول) المعنى ومثل ذلك الكيد كذا ليوسف وذلك اشارة الى الحكم باسترقاق السارق اي مثل هذا الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكيمنا يوسف (الثاني) لفظ الكيد مشعر بالحيلة والخديعة وذلك في حق الله تعالى محال الا انا ذكرنا قانونا معتبرا في هذا الباب وهو ان امثال هذه الالفاظ تحصل على نهايات الاعراض لا على بدايات الاعراض وقررنا هذا الاصل في تفسير قوله تعالى ان الله لا يستحيي فالكيد السعي في الحيلة والخديعة ونهاية اللقاء الانسان من حيث لا يشعر في امر مكروه ولا سبيل له الى دفعه فالكيد في حق الله تعالى محمول على هذا المعنى ثم اختلفوا في المراد بالكيد ههنا فقال بعضهم المراد ان اخوة يوسف سعووا في ابطال امر يوسف والله تعالى نصره وقواه واعلى امره وقال آخرون المراد من هذا الكيد هو انه تعالى التقي فلوب اخوته ان حكموا بأن جزاء السارق هو ان يسترق لاجرم لم يظهر الصواع في رحله حكموا عليه بالاسترقاق وصار ذلك سببا لتكهن يوسف عليه السلام من امساك اخيه عند نفسه ثم قال تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك والمعنى انه كان حكم الملك في السارق ان يضرب ويغرم ضعفي ما سرق فاكان يوسف قادرا على حبس اخيه عند نفسه بناء على دين الملك وحكمه الا انه تعالى كادله ماجرى على لسان اخوته ان جزاء السارق هو الاسترقاق فقد بينا ان هذا الكلام توصل به الى اخذ اخيه وحبسه عند نفسه وهو معنى قوله الا ان يشاء الله ثم قال نرفع درجات من نشاء وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ جزء وعاصم والكسائي درجات بالتثنية غير مضاف والباقون بالاضافة (المسئلة الثانية) المراد من قوله نرفع درجات من نشاء هو انه تعالى يريد وجوه الصواب في بلوغ المراد ويخصه بانواع العلوم واقسام الفضائل والمراد ههنا هو انه تعالى رفع درجات يوسف على اخوته في كل شيء واعلم ان هذه الآية تدل على ان العلم اشرف المقامات واعلى الدرجات لانه تعالى لما هدى يوسف الى هذه الحيلة والفكرة مدحه لاجل ذلك فقال نرفع درجات من نشاء وايضا وصف ابراهيم عليه السلام بقوله نرفع درجات من نشاء عند ابراهيم ذكر دلائل التوحيد والبراءة عن الهية الشمس والقمر والكواكب ووصف ههنا يوسف ايضا بقوله نرفع درجات من نشاء لما هدا الى هذه الحيلة وكين المرتبين من التفاوت ثم قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم والمعنى ان اخوة يوسف عليه السلام كانوا علماء فضلا الا ان يوسف كان زائدا عليهم في العلم واعلم ان المعتزلة احتجوا بهذه الآية على انه تعالى عالم بذاته لا بالعلم فقالوا لو كان عالما بالعلم لكان ذا علم ولو كان كذلك لحصل فوقه عليم تمسكا بعموم هذه الآية وهذا باطل واعلم ان اصحابنا قالوا دلت سائر الآيات على اثبات العلم لله تعالى وهي قوله

اراد يعقوب عليه السلام (قال الله على ما نقول) اي عني ما قلنا في انشاء طلب الموتى وايثاه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال

لاستحضار صورته المؤدى الى التبتيم وعما ظنهم على تذكره ومراقبته (وكيل) (٢٢٤) مطلع رقيب يريد به عرض نقته بالله تعالى

وحسنه على سعادتهم (وقال)
ناصحهم لما ازمع على ارسالهم
جميعا (يابني لا تدحوا) مصر
(من باب واحد) نهاهم عن
ذلك حذرا من اصابة العين فوجد
كاتوا ذوى جال وشارة حسنة وقد
كانوا يجملوا في هذه الكرامة اكثر
من اى مرة الاولى وقد اشترى وافي
مصر بالكرامة والزلي لى الملك
بغلاف الثوب الاولى فكانوا
منتهلوا كل ناظر وطموح كل
طامع واصابة العين بتقدير العزيز
الحكيم ليست بما يذكر وقد ورد
عنه عليه السلام ان العين حق
وعنه عليه السلام ان العين
لتدخل الرجل القبر والجل القدر
وقد كان عليه السلام يعوذ
الحسين رضى الله عنهما بقوله
أعوذ بكلمات الله التامة من كل
شيطان وهامة ومن كل عين لامة
وكان عليه السلام يقول كان
ابوكا يعوذ بها اسمعيل واسحق
عليهم السلام رواء الضارى في
صميمه وقد شهدت بذلك التجارب
ولما يمكن عدم الدخول من باب
واحد مستلزما للدخول من
ابواب متفرقة وكان في دخولهم
من بابين او ثلاثة بعض ما في
الدخول من باب واحد من نوع
اجتماع مصحح لوقوع الخذور قال
(وادخلوا من ابواب متفرقة)
بيانها المراد بالشيء وانما لم
يكتف بهذا الامر مع كونه
مستلزما لظاهر الكمال الضاربة
وايدانها به المراد بالامر المذكور
لا تحقيق لشيء آخر (وما غنى
عنكم) اى لا انفعكم ولا ادفع عنكم
بتدوير (من الله منى) اى شيئا
مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع
القدر ولم يرد به عليه السلام الفاعل الحذر بارادة

تحف لاوة قال من قال لا تفلحوا بآيديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد (والامر)

بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد (٢٢٥) لاعماله بل هو تدبير في الجملة واتما التأثير وترتب المنفعة عليهم من العزيز القدير وان

ذلك ليس بعداثة للتدبر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه (ان الحكم) مطلقا (الله) لا يشاكره احد ولا يخافه شيء (عليه) لا على احد سواء (توكلت) في كل ما آتى وأذرو فيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير محل بالتوكل (عليه) دون غيره (قل يتوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيد بالاول عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نية لفعل غيره من التمتدين به يدخل فيهم بشوء دخولا ولولا فيه ما لا يخفى من حين هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيهم بصدده على الله عز وجل غير مقترب بما وصاهم به من التدبير (ولما دخلوا من حيث امرهم اوبهم) من الابواب المتفرقة من البلد قبل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نوا عنه (ما كان) ذلك الدخول (يعني) فيما سيأتي عند وقوعه وقوع امرهم (عنهم) عن الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق القسارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما التحقق حيثئذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتي فتأمل (من الله) من جهته (من شيء) اي شيئا قضاء عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الرأي

والامر الله احد ثمان العوامل الداخلة على المبدأ والخبر تدخل عليه ايضا نحو ان كقولنا انه من بات ربه مجرما فانها لا تمنى البصائر اذا عرفت هذا فنقول نفس المضمر على شريطة التفسير في كلا القسمين متصل بالجملة التي حصل منها الاضمار ولا يكون خارجا عن تلك الجملة ولا مابا لها وههنا التفسير منفصل عن الجملة التي حصل منها الاضمار فوجب ان لا يحسن (والثاني) انه تعالى قال انتم شرمكانا وذلك يدل على انه ذكر هذا الكلام ولو قلنا انه عليه السلام اضمر هذا الكلام لكان قوله انه قال ذلك كذبوا واعلم ان هذا الطعن ضعيف لوجوه (اما الاول) فلانه لا يلزم من حسن القسمين الاولين فيجوز قسم ثالث واما الثاني فلا نحمل ذلك على انه عليه السلام قال ذلك على سبيل الخفية وبهذا التفسير يسقط هذا السؤال (والوجه الثاني) وهو ان الضمير في قوله فامرها عائدا الى الاجابة كأنهم قالوا ان يسرق قد سرق اخله من قبل فامر يوسف اجابته في نفسه في ذلك الوقت ولم يبداهلهم في تلك الحالة الى وقت ثان ويجوز ايضا ان يكون اضمار الجملة والمعنى اسر يوسف مقاتلهم والمراد من المقالة متعلق تلك المقالة كابر ادخاله الخلق وبالعالم المعلوم يعني اسر يوسف في نفسه كيفية تلك السرقة ولم يبين لهم انها كيف وقعت وانه ليس فيها ما يوجب الذم والطعن روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال عوقب يوسف عليه السلام ثلاث مرات لاجل همه بها عوقب بالحبس وبقوله اذكرني عند ربك عوقب بالحبس الطويل وبقوله انكم لسارقون عوقب بقولهم قد سرق اخله من قبل ثم حكى تعالى عن يوسف انه قال انتم شرمكانا اي انتم شرمزلة عند الله تعالى لما قدمتم عليه من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم فاخذتم احاكم وطرحتموه في الجب ثم قلتم لا ييكمن ان الذئب اكله وانتم كاذبون ثم عتقوه بمشرين درهما ثم بعد المدة الطويلة والزمان المتدمازال الخلد والغضب عن قلوبكم فرميتوه بالسرقة ثم قال تعالى والله اعلم عما تصفون يريد ان سرقة يوسف كانت رضاه الله وبالجملة فهذه الوجوه المذكورة في سرفقه لا يوجب شيء منها عود الذم والوم اليه والمعنى والله اعلم بان هذا الذي وصفتموه به هل يوجب عود مذمة اليه ام لا فله قول تعالى (قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيئا كبيرا فتحذاحدنا مكانه اثارا لمن المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا ظالمون) اعلم انه تعالى بين انهم بعد الذي ذكره من قولهم ان يسرق قد سرق اخله من قبل احبوا مواقفه والعدول الى طريقة الشفاعة فانهم وان كانوا قد اعترفوا ان حكم الله تعالى في السارق ان يستعد الان العفو واخذ الفداء كان ايضا جائزا فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيئا كبيرا اي في السن ويجوز ان يكون في القدر والدين وانماذكروا ذلك لان كونه ابا رجل كبير القدر يوجب العفو والصفح ثم قالوا فتحذاحدنا مكانه يحتمل ان يكون المراد على طريق الاستعساذ ويحتمل ان يكون المراد على طريق ارضه حتى توصل الفداء اليك ثم قالوا اثارك من المحسنين وفيه وجوه (احدها) اثارك من المحسنين لو فعلت ذلك (وثانيها)

حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه (٢٩)(را)(خا) واثنين يجدوا من فضل الله تعالى فليس المراد بيسان

سبب الدخول المذكور لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فليجأهم (٢٢٦) نذر ما زدهم انفقوا فان مجي النذر هناك بسبب زيادة نفورهم

بل بيان عدم سببته للاغناء مع كونها متوقفة في بادئ الرأي كما في قولك حلفان يعطني حتى عند حلول الاجل فلا حل لم يعطني شيئا فان المراد بيان عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرحوة بموجب الحلف لا بيان سببته لعدم الاعطاء فالأمر بيان عدم ترتيب الفرض المقصود على التدبير للمهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترقب عدمه عليه ويجوز ان يرد ذلك ايضا بناء على ما ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيغته انه لا يفي عنهم من الله شيئا كما أنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يقد ذلك شيئا ووقع الامر حسيبا قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل (الاحاجة) استثناء منقطع كاشي ولكن حاجه وحزاة كاشي (في نفس يعقوب قضائها) أي اظهرها ووصاهم بما دفعها للخاطرة غير مضيقا للتدبير تأثير في تدبير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضائها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجه في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالعنى ما كان ذلك الدخول يفي عنهم من جهة الله تعالى شيئا ولكن قضى حاجه حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فلا استثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخطرة ولما اصابه العين فاعلم ان تقع لكونها غير مقدرة عليهم لالائها تدفقت بذلك مع كونها عينية عليهم (والله لئذو علم) جليل (لا عفا) لتعاليها اياه بالوحى ونصب الأدلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التأثير (موضح)

انما اترك من المحسنين السائح اكرمنا واعطينا البذل الكثير وحصلت لنا مطلق ما نعى احسن الوجوه ورددت اليائمين الطعام (وثالثها) نقل انه عليه السلام لما اشتد القحط على القوم ولم يجدوا شيئا يشربون به الطعام وكانوا يبيعون انفسهم منه فصار ذلك سببا لصيرورة اكثر اهل مصر عبد الله ثم انه اعتق الكل فلهلم قالوا انما اترك من المحسنين الى عامة الناس بالاعتاق فكنا محسنا ايضا الى هذا الانسان باعتاقه من هذه المحنة فقال يوسف معاذ الله اى اعوذ بالله معاذ ان نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده اى اعوذ بالله ان اخذ ربنا بمذنب قال الزجاج موضع ان نصب والمعنى اعوذ بالله من اخذ احد بغيره فلما سقطت كله من انتصاب الفعل عليه وقوله انا اذا الظالمون اى لقد تعديت وظلمت ان اذيت انسانا بجرم صدر عن غيره فان قبل هذه الواقعة من اولها الى آخرها تزوير وكذب فكيف يجوز من يوسف عليه السلام مع رسالته الاقدام على هذا التزوير والتزيج وايداء الناس من غير سبب لاسيما ويعلم انه اذا حبس اخاه عند نفسه بهذه التهمة فانه يعظم حزن ابيه ويشد غمه فكيف يليق بالرسول المعصوم البالغة في التزوير الى هذا الحد (والجواب) لعلة تعالى امر بذلك تشديدا للحجة على يعقوب ونهاه عن الغفو والصفح واخذ البذل كما امر تعالى صاحب موسى يقتل من لو بقى لطغي وكفر * قوله تعالى (فلا استأسيأومانه خلصوا نجيبا قال كبيرهم الم تعلموا ان اياكم قد اخذ عليكم موقنا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلان ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انهم لما قالوا اخذنا مكانه وهو نايه ما كنهم بذله فقل يوسف في جوابه معاذ الله ان نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده فانقطع طمعهم من يوسف عليه السلام في رده فعند هذا قال تعالى فلا استأسيأومانه خلصوا نجيبا وهو مبالغة في بأسهم من رده وخلصوا نجيبا أي تفردوا عن سائر الناس بتناجون ولا شبهة ان المراد يتشاورون ويتخيلون الرأي فيما وقعوا فيه لانهم لما اخذوا بنيامين من ايهم بسد المواثق المؤكدة وبعد ان كانوا متهمين في حق يوسف فلوم يعيدوه الى ايهم لحصلت بحن كثيرة (احدها) انه لو لم يعودوا الى ايهم وكان شيخا كبيرا فبقاؤه وحده من غير احد من اولاده محنة عظيمة (وثانيها) ان اهل بيتهم كانوا محتاجين الى الطعام اشد الحاجة (وثالثها) ان يعقوب عليه السلام ربما كان يظن ان اولاده هلكوا بالكيفية وذلك غم شديد ولو عادوا الى ايهم بدون بنيامين لعظم حباؤهم فان ظاهر الامر يومهم انهم خانوه في هذا الابن كانهم خانوه في الابن الاول ولكن يومهم ايضا انهم ما قاموا لتلك المواثق المؤكدة وزنا ولا شك ان هذا الموضع موضع فكرة وحسرة وذلك بوجوب التفاوض والتشاور طلبا لالاصح الاصول فهذا هو المراد من قوله فلا استأسيأومانه خلصوا نجيبا (المسئلة الثانية) قال الواحدى روى عن ابن كثير استأسيأوا حتى اذا استأسيأ الرسل بغير همز وفيه ينس لغتان ينس ويأس مثل حسب وبحسب ومن قال استأسيأ قلب العين الى

(موضح)

سحق يبين الخلل في رأيه عند تخلف الاثر (٢٢٧) اوحيت القول بأنه لا يفتنى عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تأكيده

موضع الفاء فصار استعقل واصله استأس ثم خفت الهزمة قال صاحب الكشف
استأسوا بسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما في قوله استعصم وقوله خلصوا قال
الواحدى يقال خلص الشيء يخلص خلوصا اذا ذهب عنه الشائب من غيره ثم فيه وجهان
(الاول) قال الزجاج خلصوا اى انقردوا وليس معهم اخوهم (والثاني) قال الباقون
غيرنا عن الاجانب وهذا هو الاظهر واما قوله نجيا فقال صاحب الكشف النجى على
معنيين يكون بمعنى الناجى كالعشر والسمير بمعنى المعاصر والمسامر ومنه قوله تعالى
وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذى هو النجى كقيل النجوى بمعنى المتنجين فعلى هذا معنى
خلصوا نجيا اعزوا وانقردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا اى مناجيا روى
نجوى اى فوجا نجيا اى مناجيا المناجاة بعضهم بعضا واحسن الوجوه ان يقال انهم تمحصوا
تاجيا لان من كل حصول امر من الامور فيه وصف بأنه صار عين ذلك الشيء فلما
اخذوا في التناجى على غاية الجدة صاروا كائهم في انفسهم صاروا نفس التناجى حقيقة
واما قوله تعالى قال كبيرهم فقيل المراد كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل كبيرهم في العقل
وهو يهودا وهو الذى نهاهم عن قتل يوسف ثم حكى تعالى عن هذا الكبير انه قال ألم تعلموا
ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف وفيه مشكلتان (المسئلة
الاولى) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما قال يوسف عليه السلام معاذ الله ان تأخذ
الامن ووجدنا متاعنا عنده غضب يهودا وكان اذا غضب وصاح فلا تسمع صوته حامل
الاورضع وقوم شعره على جسده فلا يسكن حتى يضع بعض آل يعقوب يده عليه فقال
لبعض اخوته اكفوني اسواق اهل مصر وانا كفيتك الملك فقال يوسف عليه السلام
لابن صغير له مسه فذهب غضبه وهم ان يصيح فركض يوسف عليه السلام رجله
على الارض واخذ بلباسه وجذبه فسقط فعنده قال يا ايها العزيز قلنا اسبوا من قبل
الشفاعة تذاكروا وقالوا ان ابانا قد اخذ علينا موثقا عظيما من الله وايضا نحن متهمون
بواقعة يوسف فكيف التخلص من هذه الورطة (المسئلة الثانية) لفظ ما في قوله ما فرطتم
فيها وجوه (الاول) ان يكون اصله من قبل هذا فرطتم في شأن يوسف عليه السلام
ولم تحفظوا عهد ابيكم (الثاني) ان تكون مصدرية ومجمله الرفع على الابتداء وخبره
انظر ف هو من قبل ومعناه وقع من قبل تقربطكم في يوسف (الثالث) النصب عطفا على
مفعول ألم تعلموا والتقدير ألم تعلموا اخذ ابيكم موثقا وتقربطكم من قبل في يوسف
(الرابع) ان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اى قد تمتموه في حق يوسف من
اخذائه العظيمة ومجمله الرفع والنصب على الوجهين المذكورين ثم قال فلن ابرح الارض
اى فلن افرق ارض مصر حتى يأذن لى ابى في الانصراف اليه اوحى الله بالخرج
منها وبالانصراف من اخذ اخى او بخلصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحالكين
لانه لا يحكم الا بالعدل والحق وبالجملة فالمراد ظهور عذر زول معه حياؤه وخجله من ابيه
المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلتنى منهم من الحسد والاذى فقد آمنتهم وروى انه قال له فأننا لا نأرقك قال قد علمت باغنام

والذى فى فاذا حبست يردا غه ولا سليل الى ذلك الان انصبك الى ما لا يحمل قال (٢٢٨) لا اناى فاعل ما يدالك قال ادس صاى

او غيره قاله انقطاعا الى الله تعالى فى اظهار عذره بوجه من الوجوه قوله تعالى (ارجعوا الى ابيكم فقالوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما عملنا وما كنا للغيب حافظين) واسأل القرية التى كنافتها والعير التى اقبلنا فيها والناصادقون) واعلم انهم لما تفكروا فى الا صوب ما هو ظهريهم ان الا صوب هو الرجوع وان المذكروا لا يسم كيفية الواقعة على الوجه من غير تفاوت والظاهر ان هذا القول قاله ذلك الكبير الذى قال فلن ابرح الارض حتى يا ذنى ابي قيل انه رويل وبنى هو فى مصر وبعث سائر اخوته الى الاب فان قيل كيف حكموا عليه بأنه سرق من غير بينة لاسيما وهو قد اجاب بالجواب لشافى فقال الذى جعل الصواع فى رحلى هو الذى جعل البضاعة فى رحلكم (والجواب) عنه من وجوه (الاول) انهم شاهدوا ان الصواع كان موضوعا فى موضع ما كان يدخله احد الهم فلما شاهدوا الهم اخرجوا الصواع من رحله غلب على ظنونهم انه هو الذى اخذ الصواع واما قوله وضع الصواع فى رحلى من وضع البضاعة فى رحالكم فالمراد بظاهر لان هناك لما رجعوا بالبضاعة اليهم اعترفوا بانهم هم الذين وضعوها فى رحالهم واما هذا الصواع فان احدا لم يعترف بأنه هو الذى وضع الصواع فى رحله فظهر الفرق فلهذا السبب غلب على ظنونهم انه سرق فشهدوا بناء على هذا الظن ثم بينوا انهم غير فاعلمين بهذا الامر بقولهم وما شهدنا الا بما عملنا وما كنا للغيب حافظين (الوجه الثانى) فى الجواب ان تقدير الكلام ان ابنك سرق فى قول الملك واصحابه ومثله كثير فى القرآن قال تعالى انك لانت الحليم الرشيد اى عند نفسك وقال تعالى ذق انك انت العزيز الكريم اى عند نفسك واما عندنا فلا فكذا ههنا (الوجه الثالث) فى الجواب ان ابنك ظهر عليه ما يشبه السرقة ومثل هذا الشيء يسمى سرقة فان اطلاق اسم احد الشبهين على الشبه الاخر جائز فى القرآن قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (الوجه الرابع) ان القوم ما كانوا انبياء فى ذلك الوقت فلا يعيد ان يقال انهم ذكروا هذا الكلام على سبيل المجازفة لاسيما وقد شاهدوا شيئا يومهم ذلك (الوجه الخامس) ان ابن عباس رضى الله عنهما كان يقرأ ان ابنك سرق بالتشديد اى نسب الى السرقة فهذه القراءة لا حاجة بها الى التأويل لان القوم نسبوه الى السرقة الا اننا ذكرنا فى هذا الكتاب ان امثال هذه القراءات لاتدفع السؤال لان الاشكال انما يدفع اذا قلنا القراءة الاولى باطلة والقراءة الحققة هى هذه القراءة اما اذا سلمنا ان القراءة الاولى حققة كان الاشكال باقيا سواء صححت هذه القراءة الثانية او لم تصح فثبت انه لا بد من الرجوع الى احد الوجوه المذكورة اما قوله وما شهدنا الا بما عملنا فظاهر لانه يدل على ان الشهادة غير العلم بدليل قوله تعالى وما شهدنا الا بما عملنا وذلك يقتضى كون الشهادة مغيرة للعلم ولانه عليه السلام قال اذا علمت مثل الشمس فاشهد وذلك ايضا يقتضى ما ذكرناه وليست الشهادة ايضا عبارة عن قوله اشهد لان قوله اشهد اخبار عن الشهادة والاخبار عن الشهادة غير الشهادة اذ انبت هذا فقول الشهادة عبارة عن الحكم الذهني

فى رحلك ثم نادى عليك بأك سرقته ليتبينالى ودك بعد تبريحك معهم قال اقل (فلا) جهنم بهم اهازم جعل المساقاة اى المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الجبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة موهبة بالذهب وقيل كانت انا مسطوية تشبه المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه يستعمله الا عاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر (فى رحل اخيه) بنيامين وقرى وجعل على حذف جواب لما تقدروا اهلهم حتى انطلقوا (ثم اذن مؤذن) نادى مناد (ايها العير) هى الابل التى عليها الاجال لانهما تدير اى تذهب وتجيى وقيل هى قافلة الحجير ثم كنز حتى قيل لكل قافلة عير كانا جميع عير واسلها فعل مثل سقفت وسقفت فعمل به ما فعل ببعض وغيدوا مراد اصحابها كاتى قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي روى انهم ارتحلوا واهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امرهم فأدركوا ونودوا (انكم لسارقون) هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلهذا اريد بالسرقة اخذهم به من ايمود دخول بنيامين فيه بطريق التخليب والافهون قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفاق للسباق وفرأ الياسنى سارقون باللام (قالوا) اى الاخوة (واقبلوا عليهم) جهة حالية من الضيق قالوا حتى بها للدلالة على انهم جميعهم ماسمعوه لما بينته لحالهم (ماذا تفقدون)

(وهو)

اى تعدمون نقول فقدت الشيء اذا عجمته بأن ضل عنك لا بفعلك ولما كان ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل

لا تتحضر الصورة وقرى تفقدون من اقدسه اذا وجدته (٢٢٩) تقيدا وعلى التقديرين فالعدل عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا

وهو الذى يسميه المتكلمون بكلام النفس واما قوله وما كنا للغيب حافظين ففيه وجوه
(الاول) انقاد رأينا انهم اخرجوا الصواع من رحله واما حقيقة الحال فغير معلومة لنا
فان الغيب لا يعلمه الا الله (والثاني) قال عكرمة معناه لعل الصواع دس في مناعه بالليل
فان الغيب اسم ليل على بعض اللغات (والثالث) قال مجاهد والحسن وقتادة ما كنا نعلم
ان ابنك يسرق ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به الى الملك وما اعطيناك موثقا من الله في رده اليك
(والرابع) نقل ان يعقوب عليه السلام قال لهم فهب انه سرق ولكن كيف عرف الملك
ان شرع بنى اسرائيل ان من سرق يسترق بل انتم ذكرتموه لغرض لكم فقالوا عندهذا
الكلام انقاد ذكرنا له هذا الحكم قبل وقوعنا في هذه الواقعة وما كنا نعلم ان هذه الواقعة
نقع فيها قوله وما كنا للغيب حافظين اشارة الى هذا المعنى فان قيل فهل يجوز من يعقوب
عليه السلام ان يسعى في اخفاء حكم الله تعالى على هذا القول قلنا لعله كان ذلك الحكم
مخصوصا بما اذا كان المسرور منه مسلما فلماذا انكر ذكر هذا الحكم عند الملك الذى
ظنه كافرا ثم حكي الله تعالى عنهم انهم قالوا واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها
واعلم انهم لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف عليه السلام بالغوا في ازالة التهمة عن
انفسهم فقالوا واسأل القرية التى كنا فيها والا كثرون اتفقوا على ان المراد من هذه القرية
مصر وقال قوم بل المراد منه قرية على باب مصر جرى فيها حديث السرقة والتفتيش ثم فيه
قولان (الاول) المراد واسأل اهل القرية الا انه حذف المضاف للإيجاز والاختصار
وهذا النوع من المجاز مشهور في لغة العرب قال ابو على الفارسي ودافع جواز هذا
في اللغة كدافع الضروريات وجاحد المحسوسات (والثاني) قال ابو بكر بن الانباري المعنى
اسأل القرية والعير والجدار والحيطان فانها تجيبك وتذكر لك صحة ما ذكرناه لانك من
اكابر انبياء الله فلا يبعد ان ينطق الله هذه المجادات معجزة لك حتى تجبر بحجة ما ذكرناه
وفيه وجه ثالث وهو ان الشيء اذا ظهر ظهورا تاما كاملا فقد يقال فيه سل السماء
والارض وجميع الاشياء عنه المراد انه بلغ في الظهور الى الغاية التى مابق للشك فيه
بجمال اما قوله والعير التى اقبلنا فيها فقال المفسرون كان قد صحبهم قوم من الكنة اتين
فقالوا سلهم عن هذه الواقعة ثم انهم لما بالغوا في التاكيد والتقرير قالوا وانما الصادقون
يعنى سواء نسبنا الى التهمة اولم تنسبنا اليها فحقن صادقون وليس غرضهم ان يشتموا
صدق انفسهم بأنفسهم لان هذا يجرى مجرى اثبات الشيء بنفسه بل الانسان اذا قدم
ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء فبقديقول بعدوه انما صادق في ذلك يعنى فتأمل فيجاذكره
من الدلائل والبيانات لتزول عنك الشبهة ﴿ قوله تعالى ﴾ (قال بل سولت لكم انفسكم امرا
فصبر جميل عسى الله ان يأتينى بهم جميعا انه هو العليم الحكيم) اعلم ان يعقوب عليه السلام
لما سمع من ابنه ذلك الكلام لم يصدقهم فيما ذكروا كافي واقعة يوسف فقال بل سولت
لكم انفسكم امرا فصبر جميل فذكر هذا الكلام بعينه في هذه الواقعة الا انه قال في واقعة
عليه ذلك ولوبطريق الاتفاق بحيث لا نعرض للانفساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال فجه عندهم وتربية لاستحالة صدورهم عنهم

مكافئ في قوله تعالى ما يبذل القول لدى وما نابذلهم العبيد الدال بنشأه (٢٣٠) على نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم في الجلة الذي هو

يوسف عليه السلام والله المستعان على مانتصرون وقال ههنا عسى الله أن يأتيني بهم
جميعا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال بعضهم ان قوله بل سولت لكم انفسكم امرا ليس
المراد منه ههنا الكذب والاحتمال كما في قوله في واقعة يوسف عليه السلام حين قال بل
سولت لكم انفسكم امرا لكنه عني سولت لكم انفسكم اخراج بنيامين عني والمصير به
الى مصر طلبا للنفعة فعاد من ذلك شرو ضرر والحجتم على في ارساله معكم ولم تعلقوا ان
قضاء الله انما جاءه على خلاف تقدركم وقيل بل المعنى سولت لكم انفسكم امرا خيلت
لكم انفسكم انه سرق وامسرق (المسئلة الثانية) قيل ان زويل لما عزم على الاقامة بمصر
امر المالك ان يذهب مع اخوته فقال اتركوني والاصحت صبيحة لا تبقى بمصر امرأة حامل
الا وتضع حملها فقال يوسف دعوه ولما رجع القوم الى يعقوب عليه السلام واخبروه
بالواقعة بكى وقال يا بني لا تخرجوا من عندى مرة الا ونقص بعضكم ذهبن مرة فنقص
يوسف وفي الثانية نقص شمعون وفي هذه الثالثة نقص روبيل وبنيامين ثم بكى وقال عسى
الله أن يأتيني بهم جميعا وانما حكم بهذا الحكم لوجوه (الاول) انه لما طاع حزنه وبلاؤه
ومحنته علم انه تعالى سيحصل له فرجا ويخرج من قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن
برحمة الله (والثاني) لعله تعالى قد اخبره من بعد محنة يوسف انه حيا وظهرت له علامات
ذلك وانما قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا لانهم حين ذهبوا يوسف كانوا اثني عشر
اضاع يوسف وبقوا احدى عشر ولما ارسلهم الى مصر عادوا تسعة لان بنيامين جسده يوسف
واحبس ذلك الكبير الذي قال فلن ابرح الارض حتى ياخذنى ابى او يحكم الله لى فلما
كان القسامون ثلاثة لاجرم قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا ثم قال انه هو العليم
الحكيم بمعنى هو العالم بمخاتق الامور والحكيم فيها على الوجه المطابق للفضل والاحسان
والرحمة والمصلحة * قوله تعالى (وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من
الحزن فهو كظيم قالوا والله تفتنوننا كرم يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين
قال انما اشكوبنى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بنى اذهبوا فقمسوا من
يوسف واخيه ولا تياسوا من روح الله انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون)
واعلم ان يعقوب عليه السلام لما سمع كلام ابنائه ضاق قلبه جدا واعرض عنهم وفارقهم ثم
بالآخرة طلبهم وعاد اليهم (اما المقام الاول) انه اعرض عنهم وفر عنهم فهو قوله وتولى
عنهم وقال يا اسفى على يوسف واعلم انه لما ضاق صدره بسبب الكلام الذى سمعه من ابنائه
في حق بنيامين عظم اسفه على يوسف عليه السلام وقال يا اسفى على يوسف وانما عظم حزنه
على مفارقة يوسف عند هذه الواقعة لوجوه (الاول) ان الحزن الجديد يقوى الحزن القديم
للكامن والقدح اذا وقع على القدح كان اوجع وقال متمم بن نويرة
وقد لامتني عند القبور على البكا * رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال ابكى بكل قبر رأيت * لغير ثوى بين الوى والدكادك

مقتضى القام من ان المعنى اذا
عذبت من لا يستحق التعذيب
كنت ظلاما مبرحا في الظلم
فكانهم قالوا ان صدرنا فساد
كان مجيئنا لذلك مريدين به
تفخيح حاله واطهار كمال زاهتهم
عنه يعنون انه قد شاع بينكم
في كرتي مجيئنا لمن عليه وقد
كانوا عني غاية ما يكون من الديانة
والصيانة فيما يأتون ويدررون
حتى روى انهم دخلوا مصر
وافواه وراحلهم مكومة لثلا
تتناول زرعوا وطاما لاحد وكانوا
مبارزين على فنون الطاعات
وعلم بذلك انه لا يصدر عن الفساد
(وما كنا سارقين) اى ما كنا
نوصف بالسرقة قط وانما حكموا
بعلهم ذلك لان العلم بأحوالهم
الشاهدة يستلزم العلم بأحوالهم
الغائبة وانما يكفوا بنى الاسرى
الذين كورين بل استشهدوا بعلمهم
بذلك الزام الحكمة عليهم وتحسيفا
للتعجب المجهوم من هذه الضم
(قالوا) اى اصحاب يوسف عليه
السلام (فاجزأوه) الضمير
لصواع على حذف الضمير اى
فا جزأه سرقة عندكم
وفي شريعتكم (ان كنتم كاذبين)
لا في دعوى البرائة عن السرقة
فأنهم صادقون فيها بل فيما
يستلزمه ذلك من نفي كون
الصواع فيهم كاذبين به قوله
عز وجل (قالوا جزأوه من وجد)
اى اخذ من وجد الصواع
(في رحله) حيث ذكر يعنون
الوجدان في الرحل دون عنوان
السرقة وان كان ذلك مستلزما
لها في اعتقادهم المبني على قواعد
العادة ولذلك اجابوا بما
اجابوا فان اخذوا الاسترقاق

سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال غيره فكيفما كان فتأمل واجل كلام كل فريق على ما لا يزعم رأيه فانه اقرب (قلت)

الى معنى الكيد وابعدهن الاثر امو قوله تعالى (فهو جزاؤه) (٢٣١) تقر بذلك الحكم اى فاخذ جزاؤه كقولك حق الضيفان يكرم فهو

حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر مقام الخبر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول من والثاني الظاهر الذى وضع موضعه (كذلك) اى مثل ذلك الجزاا لوفى (نجرى الظالمين) بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان لغم السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال برائتهم عنها وهم عاصف لهم فافلون (فبدا) يوسف بسد مارجعوا اليه للتفتيش (بأوعيتهم) بأوعيتة الاخوة المشرة اى بتفتيشها (قبل) تفتيش (وعاء اخيه) بنيامين لئلا التهمة روى انه لما بلغت التوبة الى وعاءه قال ما ظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى نتطرق رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اى الساقية او الصواع فانه يذكر ويؤث (من وعاء اخيه) لم يقل منه على رجوع الضمير الى الوعاء اومن وعاءه على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وقبلها همزة كافي وشاح (كذلك) نسب على الصدرة والكاف مقصدة للدلالة على فحاشة المشار اليه وكذا ما فى ذلك من معنى البعد اى مثل ذلك التأكيد الجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرأه على السنتهم وبمحلهم عليه بواسطة المستثنى من حيث لم يمتصوا بغير قوله عز وجل (كذنا يوسف) منعناه ودرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التى رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما فى قوله فيكيدوا ك كيدا فانها

فقلته ان الاسى يعث الاسى * فدعى فهذا كله قبر ماله وذلك لانه رأى قبر اتجدد حزنه على اخيه ماله فلاموه عليه فأجاب بأن الاسى يعث الاسى وقال آخر

فم تلى أوفى المصيبات بعده * ولكن نكاه القرح بالقرح أوجع (الوجه الثانى) ان بنيامين وبوسف كانا من أم واحدة وكانت المشابهة بينهما فى الصورة والصفة اكمل فكان يعقوب عليه السلام يتسلى برؤيته عن رؤية يوسف عليه السلام فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السلوة فغظم الالم والوجد (الوجه الثالث) ان المصيبة فى يوسف كانت اصل مصائبه التى عليها ترتب سائر المصائب والزايا لو كان الاسف عليه اسفا على الكل (الرابع) ان هذه المصائب الجديدة كانت اسبابها جارية بحرى الامور التى يمكن معرفتها والبحث عنها واما واقعة يوسف فهو عليه السلام كان يعلم كذبهم فى السبب الذى ذكره واما السبب الحقيقى فاكان معلوما له وايضا انه عليه السلام كان يعلم ان هؤلاء فى الحياة واما يوسف فاكان يعلم انه حى اوميت فلهذه الاسباب عظم وجدده على مفارقتها وقويت مصيبتة على الجهل بحاله (المسئلة الثانية) من الجهال من عاب يعقوب عليه السلام على قوله بأنسى على يوسف قال لان هذا اظهار للجزع وجار بحرى الشكاية من الله وانه لا يجوز والعلماء بينوا انه ليس الامر كما ظنه هذا الجاهل وتقريره انه عليه السلام لم يذكر هذه الكلمة ثم عظم بكاؤه وهو المراد من قوله وابتض عيناه من الحزن ثم امسك لسانه عن النباحة وذكر ما لا ينبغي وهو المراد من قوله فهو كظيم ثم انه ما ظهر الشكاية مع احد من خلقه بدليل قوله انما اشكوبنى وحزنى الى الله وكل ذلك يدل على انه لما عظمت مصيبتة وقويت محنته فانه صبر ويخرج القصة وما ظهر الشكاية فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء العظيم روى ان يوسف عليه السلام سأل جبريل هل لك علم يعقوب قال نعم قال وكيف حزنه قال حزن سبعين ثكلى وهى التى لها ولد واحد ثم يموت قال فهل له فيه اجر قال نعم اجر مائة شهيد فان قيل روى عن محمد بن على الباقر قال مريم يعقوب شيخ كبير فقال له انت ابراهيم فقال انا ابن ابنة والهوم غيرتنى وذهب بمحسنى وقوتى فأوحى الله تعالى اليه حتى متى تشكونى الى عبادى وعزنى وجلالى لو لم تشكنى لابدلك لما خيرا من لحك ودام خيرا من دمك فكان من بعد يقول انما اشكوبنى وحزنى الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان يعقوب أخ مواخ فقال له ما الذى اذهب بصرك وقوس ظهرك فقال الذى اذهب بصرى البكاء على يوسف وقوس ظهرى الحزن على بنيامين فأوحى الله تعالى اليه أما تستغى تشكونى الى غيرى فقال انما اشكوبنى وحزنى الى الله تعالى فقال يارب أمارحهم الشيخ الكبير قوس ظهرى واذهبت بصرى فأردد على ريجائى يوسف وبنيامين فأناه جبريل عليه السلام بالبشرى وقال لو كانا ميتين لنشرتهما لك فاصنع طعاما للمساكين فان أحب عبادى الى الانبياء والمساكين

داخلة على التضرع على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى (ما كان لياخذ أخاه فى دين الملك) استئناف

وتعليل لذلك الكيد ومنعه لالتصير وبإني له كاقيل كانه (٢٣٢) قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه إني كنت لأبخذ أخاه فاعطاه في دين الملك في امر

السارق اي في سلطانه قاله ابن عباس اوفى حكمه وقضاه قاله قتادة الا به لان جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شرع يعقوب عليه السلام فلم يكن يغتن بمسا صنفه من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال (الا ان يشاء الله) اي الاحال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الاحال مشيئته لاخذ بذلك الوجه ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ماصدر عنهم من الافعال والاقوال حسبا شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم الجبرور مأخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيد آخر الا بمعنى لتعليله ببعض يوسف عن اخذ اخيه في دين الملك في شأن السارق قطعنا اذلا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن يأخذ اخاه في دين الملك به الا حال مشيئته لا بما يجزى مجرى الجبر الا بالضرورة من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الانتهاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمنا ما به او حينما به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتب لما شرح مرتبا بخلافه دون بعض من ذلك قطع الخ وعلى كل حال فلا اشتباه من اعم الاحوال كما اشير اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن يأخذ اخاه

(عينا)

من اعم الاحوال كما اشير اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن يأخذ اخاه

لعله من العال اولى سبب من الاسباب الالهية (٢٣٣) مشيئته تعالى والاسباب مشيئته تعالى وايضا كان فهو متصل لان اخذ

السارق اذا كان عن يرى ذلك
ويتعقده دينا لاسما عند رضا
واقفانه ليس مخالفا لدين الملك
وقد قيل معنى الاستثناء لان يشاء
الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك
وانت تدري ان المراد بدنه ما عليه
حيث قد تغيره محل بالاتصال
وارادة مطلق ما يتدين بهام منه
وبما يحدث تقضى الى كون
الاستثناء من قبيل التعليل بالحال
اذ المقصود بان عين يوسف عليه
السلام عن اخذ اخيه حيث قد
لم يتعلق المشيئة بالجل المذكور
اذ ذلك وارادة بهمه مطلقا تؤدى
الى خلاف المراد فان استثناء
حال المشيئة المذكورة من
احوال عجزه عليه السلام مما
يشعر بعدم الحاجة الى الكيد
المذكور فتدبر وقد يجوز
الانقطاع الى لكن اخذه بمشيئة
الله تعالى واذنه في دين غير دين
الملك (نرفع درجات) اى ربنا
كثيرة عالية من العلم واتصالها
على المصدية او القرينة اوعلى
نزع الخافض اى الى درجات
والقول قوله تعالى (من شاء)
اى يشاء رفعه حسبا تقتضيه
الحكمة وتستدعيه المصلحة كما
رفعا يوسف واينار صيغة
الاستقبال للاشارة بان ذلك سنة
مستقرة غير مختصة بهذه المادة
والجمله مستأنة لاجلها من
الاعراب (وفوق كل ذي علم)
من اولئك المرفوعين (عليم)
لايتلون شاء واعلم انه اجل
الكيد عبارة عن العتيرين الاولين
فالمراد برفع يوسف عليه السلام
ما عترف به الشرطية او الشرطية

عينه من الحزن وفيه وجوه (الاول) انه لما قال ياسقى على يوسف غلبه البكاء وعند غلبة
البكاء يكثر الماء في العين فخصير العين كائنا ابيضت من ابيض ذلك الماء وقوله وابتضت
عيناه من الحزن كناية عن غلبة البكاء والدليل على صحة هذا القول ان تأخير الحزن في غلبة
البكاء لا في حصول العمى فلو جلتنا الايضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا
ولو جلتنا على العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه اولى وهذا التفسير مع الدليل
رواه الواحدى في البسيط عن ابن عباس رضى الله عنهما (والقول الثانى) ان المراد
هو العمى قال مقاتل لم يبصر بهما ست سنين حتى كشف الله تعالى عنه بقبص يوسف
عليه السلام وهو قوله قالقوه على وجه اى بات بصرا قبل ان يجرب عليه السلام
دخل على يوسف عليه السلام حينما كان في السجن فقال ان بصرا بأك ذهب من
الحزن عليك فوضع يده على رأسه وقال لبت اسمى لم تلدنى ولم اك حزن اعمى اى والقائلون
بهذا التأويل قالوا الحزن الدائم بوجوب البكاء الدائم وهو بوجوب العمى فالحزن كان سببا
للعنى بهذه الوساطة وانما كان البكاء الدائم بوجوب العمى لانه يورث كدورة في سواد
العين ومنهم من قال ما عى لكنه صار بحيث يدرك ادرا كاضيقا قبل ما جفت عينا
يعقوب من وقت فراق يوسف عليه السلام الى حين لقائه وتلك المدة ثمانون عاما وما كان
على وجه الارض عبد اكرم على الله تعالى من يعقوب عليه السلام اما قوله تعالى من
الحزن فاعلم انه قرى من الحزن برفع الحاء وسكون الزاى وقرأ الحسن بفتح الحاء والزاى
قال الواحدى واختلفوا في الحزن والحزن فقال قوم الحزن البكاء والحزن ضد الفرح
وقال قوم هما لغتان يقال اصابه حزن شديد وحزن شديد وهو مذهب اكثر أهل اللغة
وروى بونس عن ابي عمرو قال اذا كان في موضع النصب فتحوا الحاء والزاى كقوله ترى
اعينهم تقبض من الدمع حزنا واذا كان في موضع الخفض او الرفع ضموا الحاء كقوله
من الحزن وقوله اشكوبى وحزنى الى الله قال هو في موضع رفع بالاتداء واما قوله تعالى
فهو كظيم فيحوز ان يكون بمعنى الكظم وهو المسك على حزنه فلا يظهره قال ابن قتبية
ويحوز ان يكون بمعنى المكظوم ومعناه المملوء من الحزن مع سد طريق نفسه المصدور
من كظم السقاء اذا شده على ملئه ويحوز ايضا ان يكون بمعنى مملوء من الغظ على اولاده
واعلم ان اشرف اعضاء الانسان هذه الثلاثة فين تعالى انها كانت عريضة في الفم فاللسان
كان مشغولا بقوله ياسقى والعين بالبكاء والبياض بالتم الشديد الذى يشبه الواء
المملوء الذى يشد ولا يمكن خروج المائنة وهذا مبالغة في وصف ذلك ثم اما قوله تعالى
قالوا الله تنقض تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين فقيه مسائل
(المسئلة الاولى) قال ابن السكيت يقال ما زلت أفعله وما فتئت أفعله وما برحت أفعله
ولا يتكلم بهن الامع الجدد قال ابن قتبية يقال ما فتيت وما فتئت لغتان قبا وقوا اذا
نسيته وانقطعت عن فعل النعميون وحرف النى ههنا ضمير على معنى قالوا ما فتئوا ولا

من ارشاده عليه السلام الى دس الصواع في رحل اخيه (٣٠) (را) (خا) وما يفرغ عليه من القدمات المرتبة لاستبقاء اخيه ما عيت من قبله

والمعنى أرشدنا أخوته الى الاضاء المذكور لانه لم يكن متفكنا من اخذ اخيه يدونه (٢٣٤) واورشدنا كلامهم ومن يوسف واصحابه

الى الماصدر عنهم ولم نكتف بآتم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متفكنا من اخذ اخيه بذلك قوله تعالى نرفع درجات الى قوله تعالى علم على ذلك على معنى ان الرضع المذكور لا يوجب تمام مرادهم اذ ليس ذلك بحيث لا يوجب عن علمه نبي بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده ووفق كل واحد منهم علم لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه برفع كلامهم الى ما يليق به من مدارج السلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فارشد اخوته الاقناء المذكور فكان ما كان وكانه هليد السلام لم يكن على يقين من صدور الاقناء المذكور عن اخوته وان كان على طبعه من فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعلا والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المباعدة مع التكبير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فضامة شانه وعلا وجلالة مقداره على المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للاقناء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والاقناء وان لم يكن داخل تحت قدرته هليد السلام لكنه كان داخل تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علناه ولم يقتصر على تعليم ما عدا الاقناء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متفكنا من اخذ اخيه الا بذلك قوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من باب الرضع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله

(الله)

وفوق كل ذي علم عليم تذييل له اى نرفع درجاته (٣٣٥) عالية من العلم من نشاء رفته وفوق كل منهم علم هو اعلى درجة قال

ابن عباس رضى الله عنهما
فوق كل عالم عالم الى ان يتقى
العلم الى الله تعالى والاعنى ان اخوة
يوسف كانوا علماء الان يوسف
عليه السلام افضل منهم وقرئ
درجات من نشاء بالاضافة
والاول انبى بالتذليل حيث
نسب فيه الرفع الى من نسب
اليه الفوقية لا الى درجته ويعوز
ان يكون العلم في هذا التفسير
ايضا عبارة عن الله عز وجل
اى وفوق كل من اولئك المرفوعين
عليم يرفع كل منهم الى درجته
اللافتة به والله تعالى اعلم (قالوا
ان يسرق) يمتون بئسامين
(فقد سرق اخ له من قبل)
يريدون به يوسف عليه السلام
وما جرى عليه من جهة عنه
على ما قيل من انها كانت تحضنه
لما شب اراد يعقوب عليه السلام
انزاعه منها وكانت لاتصبر
عنه ساعة وكانت لها منطقة
وربها من ايها الحق عليه السلام
فاحتالت لاسبقاق يوسف عليه
عليه من قمت شيها ثم قالت
فقدت منطقة اسحق عليه السلام
فاقتروا من اخذها فوجدوها
محرومة على يوسف فقالت انه
لى سلم الفعل بهما انشاء فخلاه
يعقوب عليه السلام عندها
حتى ماتت وقيل كان اخذ في
صبا صالا بن امه فكمروه القاء
في الجيف وقيل دخل كنيسة
فاخذت نالا صغيرا من ذهب كانوا
يمبدونه بدفته (فاسرها يوسف)
اى اكن الحرازة الحاصلة مما
قالوا (في نفسه) لانه اسرها
لبعض اصحابه كافي قوله تعالى
واسررت لهم اسرارها (واسريدها
لهم) لاقولوا لافلا صفحا عنهم

الله اليه يعاقب انشكونى الى خلقى فقال يارب خطيئة اخطأتها فاغفرها لى فغفرها له
وكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكوكى وحزنى الى الله وروى انه اوحى الله اليه انما
وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقى الى
الانبياء والمساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع
ولدها فبكت حتى عيت ثم قال يعقوب عليه السلام واعلم من الله ما لاتعلمون اى اعلم من
رحمته واحسانه ما لاتعلمون وهوانه تعالى يأتينى بالفرج من حيث لا احتسب فهو اشارة
الى انه كان يتوقع وصول يوسف اليه ذكروا لسبب هذا التوقع امورا (احدها) ان
ملك الموت اناه فقال له يمالك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا باني الله ثم اشار
الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا (واثانيا) انه علم ان رؤيا يوسف صادقة لان امارات الرشد
والكمال كانت ظاهرة في حق يوسف ويملكه عليه السلام لا تخطف اوثالها (لعله تعالى
اوحى اليه انه سيوصله اليه ولكنه تعالى ما عين الوقت فلم ذائق في القلق) (ورايعها)
قال السدى لما اخبره بنوه بسيرة الملك وكال حاله في اقواله وافعاله طمع ان يكون هو
يوسف وقال بعد ان يظهر في الكفار مثله (وخامسها) علم قطعا ان بنيامين لا يسرق وسمع
ان الملك ما ذاه وماضيه فقلب على ظنه ان ذلك الملك هو يوسف فهذا جلة الكلام في
المقام الاول (والمقام الثانى) انه رجع الى اولاده وتكلم معهم على سبيل اللطف وهو قوله
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه واعلم انه عليه السلام لما طمع في وجود ان يوسف
بنه على الامارات المذكورة قال لبنيه تحسسوا من يوسف والتحسس طلب الشيء
بالخاصة وهو شبهه بالسمع والبصر قال ابو بكر الانبارى يقال تحسسيت عن فلان ولا يقال
من فلان وقيل ههنا من يوسف لانه اقام من مقام عن قال ويجوز ان يقال من للتبعض
والمعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف وستعلوا بعض اخبار يوسف فذكرت كلمة من
لما فيها من الدلالة على التبعض وقرئ تحسسوا بالجمع كما قرئ بهما في الجبرات ثم قال ولا
تيلسوا من روح الله قال الاصمعي الروح ما يجد الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه
وتركيب الرء والواو والحاء فيبدل الحركة والاهواز فتكلموا بهن الانسان له ويلتذ بوجوده
فهو روح وقال ابن عباس لا يتيسوا من روح الله يريد من رحمة الله وعن قتادة من فضل
الله وقال ابن زيد من فرج الله وهذه الالفاظ متقاربة وقرأ الحسن وقادة من روح الله
بالضم اى من رحمته ثم قال انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون قال ابن عباس
رضى الله عنهما ان المؤمن من الله على خير يرجوه في البلاء ويحمده في الرء واعلم ان
اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل الا اذا اعتقد الانسان ان الاله غير قادر على الكمال
او غير عالم بجميع العلومات اوليس بكرىم بل هو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة
يوجب الكفر فاذا كان اليأس لا يحصل الا عند حصول احده هذه الثلاثة وكل واحد منها
كفر ثبت ان اليأس لا يحصل الا لمن كان كافرا والله اعلم وبقينى من تباحث هذه الآية

وحلما وهو تأكيد لما سبق (قال) اى فى نفسه وهو استئناف مبنى على سؤال نفسا من الاخبار بالامرار المذكور كما نه قيل فاذا

قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار قبيل قال (أنتم شركانا) (٢٣٦) اى منزلة حيث سرقتم اناكم من انبياءكم ثم طفتكم تقفرون على

البرى وقيل يدل من اسرها
والخير لقالة المفسرة بقوله انتم
شركنا (والله اعلم بما تصفون)
اى عالم على الناس اى اقصى
المراتب بان الامريئس كالتصفون
من صدور السرقه منا بل انما
هو افتراء علينا فالصيغة تجرد
المبالغة لاتضمن على عز وجل
على علمهم كيف لا وليس لهم
بذلك من علم (قالوا) عند
ما شاهدوا محال أشد بينامين
مستطعين (يا أيها العزيز ان له
ابا لم ير يوابك الاخبار بان له
أبائنا ذلك معلوم بما سبق وانما
ارادوا الاخبار بان له ابا (شيئا
كثيرا) فى السن لا يكاد يسطيع
فراقه وهو هالة بهتمل عن
شقيقه الهالك (فخذ احدا
مكنا) فلما عنده بمنزلة من
الحبة والشقيقة (ان اترك من
المحسنين) البنا فأنهم احسانك
بهذه النعمة المتعودين بالاحسان
فالتقدير عادتكم (قال معاذ الله)
اى لعمد بالله معاذ من (ان تأخذ)
تخذ الفعل واقم مقامه المصدر
مضافا الى المفعول به بعد حذف
الجار (الامن) وجدنا متاعنا
عنده لان اخذنا له انا معاها بقتنية
فتوأم فليس لنا الاخلال بوجها
واينار صيغة التكلم مع الغير مع
كون الخطاب من جانب اخوته
على التحديد من باب السلوك الى
سنن الملوك والاشارة بأن لاخذ
والاعطاء ليس مما يستبد به بل
هو منوط برأى والى الحل والعقد
وايشار من وجدنا متاعنا
عنده دون من سرق متاعنا
لتعقيق الحق والاحتراز
عن الكذب فى الكلام مع
تمام المراد فانهم لا يحملون
وجدان الصواع فى الرحل على يحمل غير السرقه (ان اذا) اى اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو رضاه (لظالمون) (والتقدير)

سؤالات (السؤال الاول) ان بلوغ يعقوب فى حب يوسف الى هذا الحد العظيم لا يليق الا
بمن كان غافلا عن الله فان من عرف الله احبه ومن احب الله لم يفرغ قلبه لحب شئ سوى
الله تعالى وايضا القلب الواحد لا يتسع للحب المستغرق لشئيين فلما كان قلبه مستغرقا
فى حب ولده امتنع ان يقال انه كان مستغرقا فى حب الله تعالى (السؤال الثانى) ان
عند استيلاء الحزن الشديد عليه كان من الواجب عليه ان يشغل بذكر الله تعالى
وبالتفويض اليه والتسليم لقضائه واما قوله يا أئني على يوسف فذلك لا يليق باهل الدين
والعلم فضلا عن أكابر الانبياء (السؤال الثالث) لاشك ان يعقوب كان من أكابر الانبياء
وكان ابوه وجده وعمه كلهم من أكابر الانبياء المشهورين فى جميع الدنا ومن كان كذلك
ثم وقعت له واقعة هائلة صعبة فى اعز اولاده عليه لم تبق تلك الواقعة خفية بل لابد وان
تبلغ فى الشهرة الى حيث يعرفها كل احد لاسيما وقد انقضت المدة الطويلة فيها وبقي
يعقوب على حزنه الشديد واسفه العظيم وكان يوسف فى مصر وكان يعقوب فى بعض بلاد
الشام قريبا من مصر فعرب المسافة يمتنع بقاء مثل هذه الواقعة مخفية (السؤال الرابع)
لم يبعث يوسف عليه السلام احدا الى يعقوب ويعله انه فى الحياة وفى السلامة ولا يقال
انه كان يخاف اخوته لانه بعد ان صار ملكا قاهرا كان يمكنه ارسال الرسول اليه
واخوته ما كانوا يقدرون على دفع الرسول (السؤال الخامس) كيف جاز ليوسف عليه
السلام ان يضع الصاع فى وعاء اخيه ثم يستخرجه منه ويصلقه به نعمة السرقة مع انه كان
بريئا عنها (السؤال السادس) كيف رغب فى الصاق هذه التهمة به وفى حبسه عند نفسه
مع انه كان يعلم انه يزداد حزن ابيه ويغوى (والجواب عن الاول) ان مثل هذه الحنة
الشديدة تربل عن القلب كل مساو من الخواطر ثم ان صاحب هذه الحنة الشديدة يكون
كثير الرجوع الى الله تعالى كثير الاشتغال بالذم والضرر فى صير ذلك سببا لكمال
الاستغراق (وعن الثانى) ان الدواعى الانسانية لاتزول فى الحياة العاجلة فتارة كان
يقول يا أئني على يوسف وتارة كان يقول فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون واما
بقية الاسئلة فالتقاضى اجاب عنها بجواب كفى حسن فقال هذه الوقائع التى نقلت البنا
اما ان يمكن تخريجها على الاحوال المعتادة او لا يمكن فان كان الاول فلا اشكال وان
كان الثانى فنقول كان ذلك الزمان زمان الانبياء عليهم السلام وخرق العادة فى هذا الزمان
خير مستبعد فلم يمتنع ان يقال ان بلدة يعقوب عليه السلام مع انها كانت قريبة من بلدة
يوسف عليه السلام ولكن لم يصل خبر احد همالى الآخر على سبيل نقض العادة قوله
تعالى (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز زمنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف
لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين قال هل علمتم ما فعلنتم يوسف وابنيه
اذ انتم جاهلون قالوا انك لانت يوسف قال ان يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من
يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) اعلم ان المفسرين اتفقوا على ان ههنا محذوفا

وجدان الصواع فى الرحل على يحمل غير السرقه (ان اذا) اى اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو رضاه (لظالمون) (والتقدير)

في مذهبهكم ومالنا ذلك وهذا المعنى هو الذي (٢٣٧) اريد بالكلام في انباء الحواري وللمعنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحى

ان اخذ بنيامين لمصالح عليها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي (فلا استأصوامته) اى يسئوا من يوسف وابائته لهم اشد بأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله مما يطلبوه السدال على كون ذلك عنده فى اقصى مراتب الكراهة وانه مما يحب ان يتجزأ عنه ويأخذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظاهرا قوله ان اذ الطالون (خلصوا) اعتزلوا وانفردوا عن الناس (نجيا) اى ذوى نجوى على ان يكون معنى النجوى والتناسى او فوجا نجيا على ان يكون معنى المنجى كالغدير والسيح بمعنى المعاصر والمسامرونه قوله تعالى وقر بانه نجيا ونجوى ان يقال هم نجى كقائل هم صديق لانه بركة الصادر من الزفير الزئير (قال كبيرهم) فى السن وهو رذيل اوفى العقل وهو هذا اوريسهم وهو شعور (لم تعلموا) كأنهم اجتمعوا عند التناهى على الانقلاب جرة ولم يرض به فقال منكرا عليهم لم تعلموا (ان اياكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لانه فيه ويكون الحلف باسمه الكريم (ومن قبل) اى ومن قبل هذا (ما فرطتم فى يوسف) قصرتم فى شأنه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد فلتتم وانا له لناصون وانا له حافظون وما من ردة او مصدرية وعمل المصدر انصب عطفنا على مفعول تعلموا اى الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا

والتقدير ان يعقوب لما قال لبنيه اذهبوا قمحسوا من يوسف واخيه قبلوا من ابيهم هذه الوصية فعادوا الى مصر ودخلوا على يوسف عليه السلام فقالوا له يا أبا العزى فان قيل اذا كان يعقوب امرهم ان يحمسوا امر يوسف واخيه فلماذا عدلوا الى الشكوى وطلبوا ايفاء الكيل فلنا لان المحمسين يتوسلون الى مطلوبهم بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وقلة المال وشدة الحاجة بما رقى القلب فقالوا بنجره فى ذكر هذه الامور فان رقى قلبه لنا ذكرنا له المقصود والاسكتنا لهذا السبب قدموا ذكر هذه الواقعة وقالوا يا أبا العزى والعزى هو الملك القادر المتبع مسنوا اهلنا الضر وهو الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام وغوا باهلهم من خلفهم وجئنا ببضاعة مزجاة وفيه اباحت (البحث الاول) معنى الازجاء فى اللغة الدفع قليلا قليلا ومثله الترجية يقال اريج نرجى المصاحب قال الله تعالى الم امر ان الله نرجى محبا وزجيت فلانا بالقول دافعتهم فلان نرجى العيش اى يدفع الزمان بالحيلة (البحث الثانى) انما وصفوا تلك البضاعة بانها من مزجاة اما لنقصانها او لردائها اولهما جيعا والمفسرون ذكروا كل هذه الاقسام قال الحسن البضاعة المزجاة القليلة وقال آخرون انها كانت رديئة واختلفوا فى تلك الرداءة فقال ابن عباس رضى الله عنهما كانت دراهم رديئة لا تقبل فى ثمن الطعام وقبل خلق الفرارة والحبل وامتعة رثة وقيل متاع الاعراب الصوف والسمن وقيل الحبة الخضراء وقيل الاقط وقيل التعلال والادم وقيل سويق المقل وقيل صوف المعز وقيل ان دراهم مصر كانت تنقش فيها صورة يوسف والدراهم التى جاؤها ما كان فيها صورة يوسف فما كانت مقبولة عند الناس (البحث الثالث) فى بيان انه لم سميت البضاعة القليلة الرديئة مزجاة وفيه وجوه (الاول) قال الزجاج هى من قولهم فلان نرجى العيش اى يدفع الزمان بالقيليل والمعنى اناجئنا ببضاعة مزجاة ندافع بها الزمان وليست مما يتنفع به وعلى هذا الوجه فالتقدير ببضاعة مزجاة بها الايام (الثانى) قال ابو عبيد انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينقها قال وهى من الازجاء والازجاء عند العرب السوق والدفع (الثالث) ببضاعة مزجاة فى مؤخرة مدفوعة عن الاتفاق لا يتفق مثلها الا من اضطر واحتاج اليها فقد غدرها بما هو اجد منها (الرابع) قال الكلبي مزجاة لغة العجم وقيل هى من لغة القبط قال ابوبكر الانبارى لا ينبغي ان يحصل لفظ عربى معروف الاشتقاق والتصرف منسوب الى القبط (البحث الرابع) قرأ حزة السكاسى مزجاة بالامالة لان اصله الياء والبا قون بالنصب والتخمين واعلم ان حاصل الكلام فى كون البضاعة مزجاة اما لقلتها او لنقصانها او لجموعها وما وصفوا شدة حالهم ووصفوا بضاعتهم بانها من مزجاة قالوا له فأوف لنا الكيل والاردان يساهلهم اما بان يقيم الناقص مقام الزائد او بيقم الردى مقام الجيد ثم قالوا وتصدق علينا والمراد المسامحة بما بين الثمين وان يسعر لهم بالردي كما يسعر بالجيد واختلف الناس

وقر بطكم السابق فى شأن يوسف عليه السلام ولا تثير فى الفصل بين العاطف والمعطف بالظرف وقد جوز

النصب عطفًا على اسم ان والخبير في يوسف اومن قبل على معنى (٢٣٨) لم تعلموا ان تقر بطكم السابق وقع في شان يوسف عليه

السلام اوان تقر بطكم الكائن
او كاشفى شأن يوسف عليه
السلام وقع من قبل وفيه ان
مقتضى المقام انما هو الاخبار
بوقوع ذلك التفريط لا يكون
تقر بطكم السابق واقفاً في شأن
يوسف كما هو مفاد الاول ولا
يكون تقر بطكم الكائن شأنه
واقفاً من قبل كما هو مفاد الثاني
على ان الطرف القاطع عن
الاضافة لا يقع جبراً ولاصفة
ولا صلة ولا حالاً عند البعض كما
تقرر في موضعه وقيل بمحلل الرفع
على الابتداء والخبير من قبل وفيه
ما فيه وقيل ما موصولة او
موصوفة ومحلها النصب والرفع
والحق هو النصب عطفًا على
مفعول تعلموا اى ما فرطوه
بمعنى قد تموت في حقه من الحيانة
واما النصب عطفًا على اسم ان
او الرفع على الابتداء فقد عرفت
حاله (فلن ابرح الارض) متفرع
على ما ذكره وذكره اياه من
ميثاق ابيه وقوله لتأتق به الا
ان يصاط بكم اى فلن افارق
ارض مصر جر يا على قضية
الميثاق (حتى ياذن لى) في
الابح بالانصراف اليه وكان
ايمانهم كالت معقودة على عدم
الرجوع بغير اذن يعقوب عليه
السلام (او يصحتم قللى) بالخروج
منها على وجه لا يؤدى الى نقض
الميثاق او بخلص اخى ليحب
من الاسباب روى انهم كلوا
الزير في اطلاقه فقال روبيل
ايها الملك لتدن الينداخانا
اولا صين صيحة لتاتى بمصر حامل
الا لقت ولدها وقت كل
شجرة في جسده فخرجت من
شبابه وكان بنو يعقوب اذا
غضبوا لا يسطاقون خلا انه
خلاته اذا مس من غضبوا احد منهم يكن غضبه فقال يوسف لابنه ثم الى جنبه فسه فقال روبيل من هذا ان في هذا (عنهم)

خلاته اذا مس من غضبوا احد منهم يكن غضبه فقال يوسف لابنه ثم الى جنبه فسه فقال روبيل من هذا ان في هذا (عنهم)

البلد بذر من بذر يعقوب (وهو خير الحاكين) (٢٣٩) اذ لا يحكم الا بالحق والعدل (ارجعوا) اتم (الى ايكم تقولوا يا ايهنا ان ابنك

سرق) على ظاهر الحال وقرئ

سرق اي نسب الى السرقة وما

شهدنا) عليه (الا ما علمنا) وشاهدنا

ان الصواع استخرجت من

وعائه (وما كنا للغب) اي باطن

الحال (حافظين) لما ندري ان

حقيقة الامر كما شهدنا ام بخلافه

او وما كنا عالمين حين اعطيناك

الموثق انه سيصرف او اننا للاق

هذا الامر او انك تصيبه كما

اصبت بيوسف (واسأل القرية

التي كنا فيها) اي مصر او قرية

بقريةا لحقهم المنادي عندها

اي ارسل الى مالها واسألهم عن

القصة (والهيرالي المبتليها) اي

اصحابها فان القصة معروفة

فيما بينهم وكانوا قوما من كتمان

من جيران يعقوب عليه السلام

وقيل من صنعا (وانما صادفون)

تأكيد في فعل القسم (قال) اي

يعقوب عليه السلام وهو

استثناف مبنى على سؤال نشأما

سبق فكأنه قيل لماذا كان عند

قول التوقف لاخته ما قال

قبيل قال يعقوب عند ما رجعوا

اليه فقالوا له ما قالوا وانما حذف

للايدان بأن مسارعهم الى قبوله

ورجوعهم به الى ايهم امر مسلم

غنى عن البيان وانما احتج الى

جواب ايهم (بل سولت) اي

نفت وسهلت وهو اضراب لافان

صريح كلامهم فاتهم صادفون في

ذلك بل عابضهم من ادعاء البراءة

عن التسبب فيما زل به وانه لم يصدر

عنه ما يؤدى الى ذلك من قول

او قل كأنه قيل لم يكن الامر

كذلك بل زينت (لكم انفسكم

امرا) من الامور فأتيتوه يريد

بذلك فتياهم بأخذ السارق

عنهم وتخفيفا الامر عليهم ثم ان اخوته قالوا انك لانت يوسف قال انا يوسف قرأ ابن كثير
انك على لفظ الخبر وقرأ نافع انك لانت يوسف بفتح الالف غير مدودة وبالياء وبوعمرو انك
بعد الالف وهو رواية قالون عن نافع والباقون انك بهزتين وكل ذلك على الاستفهام
وقرأ ابى اوانت يوسف فحصل من هذه القرائن ان من القراء من قرأ بالاستفهام ومنهم
من قرأ بالخبر اما الاولون فقالوا ان يوسف لما قال لهم هل علمتم وتبسم فابصروا ثيابه
وكانت كالؤلؤ المنظوم شهوه بيوسف فقالوا له استفهاما انك لانت يوسف وبذل
على صحة الاستفهام انه قال انا يوسف وانما اجابهم عما استفهموا عنه وامام قرأ على
الخبر فحجته ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع
التاج عن رأسه وكان في فرقه علامة وكان ليعقوب واسحق مثلها شبه الشامة فلما رفع
التاج عرفوه بتلك العلامة فقالوا انك لانت يوسف ويجوز ان يكون ابن كثير أراد
الاستفهام ثم حذف حرف الاستفهام وقوله قال انا يوسف فيه بحثان (البحث الاول)
اللام لام الابداء وانت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر ان (البحث الثاني) انه انما صرح
بالاسم تعظيما لما تزل به من ظلم اخوته وما عوضه الله من الظفر والنصر فكأنه قال انا الذي
ظلمتموني على اعظم الوجوه والله تعالى اوصلني الى اعظم المناصب انما ذلك العاجز الذي
قصدتم قتله والقائه في البئر ثم صرت كآزرون ولهذا قال وهذا الخي مع انهم كانوا يعرفونه
لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما كما كنت ثم انه صار منكما عليه من قبل
الله تعالى كآزرون وقوله قدم الله علينا قال ابن عباس رضى الله عنهما بكل عز في الدنيا
والآخرة وقال آخرون بالجمع بينما بعد التفرقة وقوله انه من يتق ويصبر معناه من يتق
معاصي الله ويصبر على اذى الناس فان الله لا يضيع اجر المحسنين والمعنى انه من يتق
ويصبر فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين وفيه
مستلذان (المسئلة الاولى) اعلم ان يوسف عليه السلام وصف نفسه في هذا المقام
الشريف بكونه متقيا ولوانه اقدم على ما يقوله الحشوية في حق زليخا لكان هذا القول
كذبا منه وذكر الكذب في مثل هذا المقام الذي يؤمن فيه الكافر وتوب فيه العاصي
لا يليق بالعبادة (المسئلة الثانية) قال الواحدى روى عن ابن كثير في طريق قيل انه من
يتق يثبت الياء في الحالين ووجهه ان يجعل من عذلة الذي فلا يوجب الجزم ويجوز على
هذا الوجه ان يكون قوله ويصبر في موضع الرفع الا انه حذف الرفع طلبا للتخفيف كما
يخفف في عضد وشمع والباقون يحذف الياء في الحالين * قوله تعالى (قالوا لله

لقد آثر الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم
الراحمين اذهبوا فبمضي هذا فآلقوه على وجهه اى بات بصيرا وأتوا بأهلكم اجمعين)
اعلم ان يوسف عليه السلام لما ذكر لاخته ان الله تعالى من عليه وان من يتق المعاصي
ويصبر على اذى الناس فانه لا يضيعه الله صدقوه فيه واعترفوا له بالفضل والزينة قالوا لله

بسرقة (فصير جيل) اي فأمرى صبر جيل لوفصير جيل اجل (عسى الله ان يأتيهم جيمسا) يوسف واخيه والمتوقف بمصر

(انه هو العليم) بحالهم (الحكيم) الذي لم يتاني (٢٤٠) الاحكام بالغة (وتولى) اى اعرض (عنهم) كراهة مع ما معهم (وقال يا اسفا

على يوسف) الاسف اشتد الحزن والحسرة اضافة الى نفسه والالف بدل من الياء فاداه اى يأسف قال فهذا اولئك وانما تأسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزاه كان قاعدة الاضرار غضا عنده وان تقادم عهده اخذوا جميع قلبه لا ينساه ولا يمان وانما جميعا هما عالما بظنهما طامعا في اياهما واما يوسف فلم يكن في شأنه ما يجرى سلسلة درجاته سوى رجة الله تعالى وفوضه وفي الظلم لم يقطع امه من الام انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد عليه الصلاة والسلام الا يرى يعقوب حين اصابه ما صابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجاسر بين لفظي الاسف ويوسف ما يزيد النظم الكريم بهجة كافي قوله عز وجل وهم ينون عنه وينأون عنه وقوله فقم الى الارض ارضيت وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجنتك من سبأ بناتين ونظائرهما (وايضا عينا من الحزن) الموجب للكاء فان العبرة اذا كوت صفت سواد العين وقلبه الى يأس كبرليل قدعى بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روى انه ماجت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه عاتين عامدا على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب عليه السلام على يوسف قال وجد سبعين تكلى قال كان له من الاجر قال اجر مائة شيد ومساء ظنه الله ساعة

قط وفيه دليل على جواز التأسف والكاء عند التواب فان الكف عن ذلك كما يدخل تحت التكليف فانه قل من يلك نفسه عند الشدائد (ملامة)

ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم بيث الشفقة وهز العطف (٦٤٣) والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا (فأوفوا لنا الكيل)

يقولوه هالتي الله وقال الحسن انما خاطبوه بذلك لاعتقادهم ان يوسف قدمات وقد كان يعقوب في ولوعه يذكره ذاهبا عن الرشد والصواب وقوله فلان جاء البشير في ان قولان (الاول) انه لا موضع لهما من الاعراب وقد تذكر تارة كاهننا وقد تحذف كقوله فلما ذهب عن ابراهيم الروح والمذهبان جميعا موجودان في اشعار العرب (والثاني) قال البصريون هي مع ما في موضع رفع بالفعل المضمر تقديره فلما ظهر ان جاء البشير اى ظهر يحيى البشير فاضمر الرفع قال جمهور المفسرين البشير هو يهودا قال أنا ذهبت بالقيص الملقب بالدم وقلت ان يوسف اكله الذنب فاذهب اليوم بالقيص فافرحه كما احزنه قوله القاء على وجهه اى طرح البشير القيص على وجه يعقوب او يقال القاء يعقوب على وجه نفسه فارتد بصيرا اى رجع بصيرا ومعنى الارتداد انقلاب الشيء الى حاله فكان علموا قوله فارتد بصيرا اى صبره الله بصيرا كما يقال طالت النحلة والله تعالى اطالها واختلوا فيه فقال بعضهم انه كان قد عصى بالكلية قاله تعالى جعله بصيرا في هذا الوقت وقال آخرون بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء وكثرة الحزان فلما القوا القيص على وجهه وبشر بحياة يوسف عليه السلام عظم فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوى بصره وزال نقصان عنه فعند هذا قال ألم اقل لكم انى اعلم من الله ما لاتعلمون والمراد علمه بحياة يوسف من جهة الرؤيا لان هذا المعنى هو الذى له تعلق بما تقدم وهو اشارة الى ما تقدم من قوله انما اسكوبى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لاتعلمون روى انه سأل البشير وقال كيف يوسف قال هو ملك مصر قال ما صنع بالملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ثم ان اولاد يعقوب اخذوا يتعدون اليه وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم روى انه هو الغفور الرحيم وظاهر الكلام انه لم يستغفر لهم في الحال بل وعدهم بانه يستغفر لهم بعد ذلك واختلوا في سبب هذا المعنى على وجوه (الاول) قال ابن عباس رضى الله عنهما والا كثرون اراد ان يستغفر لهم في وقت السحر لان هذا الوقت اوفق الاوقات لرجاء الاجابة (الثاني) قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية اخرى اخر الاستغفار الى ليلة الجمعة لانها اوفق الاوقات للاجابة (الثالث) اراد ان يعرف انهم هل تابوا في الحقيقة ام لا وهل حصلت توبتهم مقرونة بالا خلاص التمام ام لا (الرابع) استغفرهم في الحال وقوله سأستغفر لكم معناه انى اداوم على هذا الاستغفار في ايامان المستقبل فقد روى انه كان يستغفر لهم في كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقبل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يده الى السماء وقال اللهم اغفر لى جزى على يوسف وقلة صبرى عليه واغفر لاولادى ما فعلوه فى حق يوسف عليه السلام فاحسب الله تعالى اليه قد غفرت لك ولهم اجمعين وروى ان ابنه يعقوب عليه السلام قالوا ليعقوب وقد غلبهم الخوف والبكاء ما بينى عنا ان لم يغفر لنا فاستقبل الشيخ القيلة قائما يدعو وقام ووظفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتخصص في طلب ينسامين بل يجوز ان يقف عليه السلام بطريق الوحي او الالهام

اخذنا لننا (وتصدق علينا)
يراد اخينا اليها قاله الصحاح وابن جريج وهو الانسب بجمالهم نظرا الى اسم ابيهم اذ لا ينافوا بالمساحة ويقول المزجاة او بالزيادة على ما يوافقها تقضلا وانما سموا تصدقاتا واضعوا ارادوا التصديق فوق ما يعطيهم بالحق بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنيتها عليه الصلاة والسلام وانما لم يسبوا بما امروا به استحيالا للرأفة والشفقة ليعشرا اقدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ماساؤه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا (ان الله يجزى بالتصدقين) يحتمل الحمل على المحللين فلهذا عليه السلام حمله على الحمل الاول ولذلك (قال) جميعا عاقر من ابوه ضمنوه كلامهم من طلب يرد اخيه (هل علم ما فعلتم يوسف واخيه) وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا بأخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا يوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلا به لذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بغير ذلك اى هل تبتم عن ذلك بعد علمكم ببقائه فهو سؤال عن المزموم والمراد لازمه (اذ انتم جاهلون) ببقائه فلذلك اقدمتم على ذلك واجاهلون عاقبته وانما قاله نصا لهم وتصدىضا على التوبة وشفقة عليهم للرأى يجرهم وتمكنهم لاجابة وتوبيخا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطع عن كلامهم وتبينها لهم على ما هو حقهم

على وصية ابيه وارسله اليهم للتخمس منه ومن اخيه فلا (٢٤٤) رآهم قد اشتلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب

يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أدلة خاشعين عشرين سنة حتى قل صبرهم فظنوا انها الهلكة فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله تعالى اجاب دعوتك في ولدك وعقد موافقتهم بعدك على التوبة وقد اختلف الناس في توبتهم وهو مشهور ﴿ قوله تعالى (فلادخلوا على يوسف آوى اليه ابوه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ورفع ابوه على العرش وخر واله سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) اعلم انه روى ان يوسف عليه السلام وجه الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليجتمع اليه بمن معه وخرج يوسف عليه السلام والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر بأجمعهم تلقوا يعقوب عليه السلام وهو عشي تنوكا على يهودا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولذلك يوسف فذهب يوسف يبدأ بالسلام فمع من ذلك فقال يعقوب عليه السلام السلام عليك وقبل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون مابين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى والمقاتلون منهم مائة الف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الصبيان والشيوخ اما قوله آوى اليه ابوه فيه بحثان (البحث الاول) في المراد بقوله ابوه قولان (الاول) المراد ابوه وامه وعلى هذا القول فقيل ان امه كانت باقية حية الى ذلك الوقت وقيل انها كانت قد ماتت الا ان الله تعالى احيها وانشرها من قبرها حتى مجدت له تحقيقا لرؤيا يوسف عليه السلام (والقول الثاني) ان المراد ابوه وخالته لان امه ماتت في النفاس بأخيه بنيامين وقيل بنيامين بالبرانية ابن الوجود ولما ماتت امه تزوج ابوه بناتحه فسمها الله تعالى بأحد الابوين لان الرابطة تدعى اما لقيامهما مقام الام والاب لان الخالة أم كما ان الم أب ومنه قوله تعالى واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق (البحث الثاني) آوى اليه ابوه ضمهما اليه واعتنقهما فان قيل ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلنا كأنه حين استقبالهم تزل بهم في بيت هناك او خيمة فدخلوا عليه وضم اليه ابوه وقال لهم ادخلوا مصر اما قوله ادخلوا مصر ان شاء الله آمين فيه اباحت (البحث الاول) قال السدي انه قال هذا القول قبل دخولهم مصر لانه كان قد استقبلهم وهذا هو الذي قرئناه وعن ابن عباس رضي الله عنهما المراد بقوله ادخلوا مصر اي اقيموا بها آمين سمي الإقامة دخولا لاقتراح احدهما بالآخر (البحث الثاني) الاستثناء وهو قول ان شاء الله فيه قولان (الاول) انه عائذ الى الامن لآلى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمين ان شاء الله ونظيره قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين وقيل انه عائذ الى الدخول على القول الذي ذكرناه انه قال لهم هذا الكلام قبل ان يدخلوا مصر (البحث الثالث) معنى قوله آمين يعني على انفسكم واموالكم واهليكم لتخافون احدا وكانوا فيما سلف يخافون ملوك

على وصية ابيه وارسله اليهم للتخمس منه ومن اخيه فلا (٢٤٤) رآهم قد اشتلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه كتاب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد قانا اهل بيت موكل بنا اليلا ما جدي فشدد يداه ورجلاه فرمى به في النار فقام الله تعالى وجعلت النار بردا وسلاما لما اوى فوضع السكين على قنائه ليقتل قداد الله تعالى واما انا فكان ليابن وكان احب اولادي الى فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقتينه ملطفا بالدم فقالوا قد اكلك الذئب فذهبت عيني من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك الساعين من ولدك والسلام فلما قرأ لم يخافك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأ بكى وكسبا لجواب صبر كما صبروا تلفظ كلفروا (قالوا انك لانت يوسف) استغفهم تقرير وذلك اكدوه بأن والام قالوا استغفروا وتغيبا وقرئ انت بالاجاب قيل عرفوه برواينه وشاهد حين كلمهم به وقيل تسم عرفوه بشاياه وقيل دفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرته تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ انتك وانت يوسف على معنى انتك يوسف وانت يوسف غشفت الاول للدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب (قال انا يوسف) جوابا عن مسئلته وقد زاد عليه قوله (وهذا الخي) اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتغيبا لثان اخيه وكلمة لما افاده قوله هل علم ما فعلتم (مصر)

ولقد نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٤١) على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدعوم ولا تقول ما يسمعك عاربا واناعليك

بإبراهيم المحزونون وانما الذى لا يجوز ما يفعله الجاهل من الصباح واليأسه وتوطين الحدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي عليه السلام انه نبى على ولد يعص بناته وهو يعصود بنفسه فقيل يا رسول الله نبى وقد هيننا عن البكاء فقال ما يتكلم عن البكاء وانما يتكلم عن صوتين احقن صوت عند الفرح وصوت عند الترح (فهو كطير) ملو من الفينة على اولاده معك له في قلبه لا يظهروه فقيل بئس مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من مكظمت السماء اذا شدة على ملته او بمنى فاعل كقوله والكاملين الفيت من كظم الفيت اذا جترسه واصله كظم البعير جترته اذا ردها في جوفه (قالوا ناله تفتق) اى لا تفتق ولا تزال (تذكر يوسف) نصيبا عليه هذوف حرف التثنية كفى قوله فقتل بين الله ابرح فاهدا لعدم الالتباس بالانبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على التثنية البتة (حتى تكون حرضا) مريضا متضايقا على الهلاك وقيل الحزن من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤتى ولا يثنى ولا يجمع والتمت منه بالكسر كدفع وقد قرئ به وبضمين يجب وغرب (او تكون من الهالكين) اى الميتين (قال انما اشكو بئى) البت اصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبش الى الناس اى يشرمه كما هم قالوا له ما قالوا بطريق التلبسة

والاشكاء فقال لهم انى لا اشكو ماى اليكم اوالى غيركم (٣١) (دا) (خا) حتى تصعدوا تسلينى وانما اشكو همى (وحزن) الى

(الله تعالى ملتبسا الى جنبه متضرعا لدى يابه فدفعه وقرئ يفتحين وضمتين (٢٤٢) (واعلم الله ما لا تعلمون) من لطفه ورجته

فأرجو ان يرجي ويلطف في ولايتي رجاى اواعل وحيا اوالها ما من جهة ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام قتله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام انه يهضره ابواه واخوته جدا (يا بنى اذهبوا فقمسوا) اي تفرقوا وهو قتل من الحس وقرئ بالجيم من الحس وهو الطلب اى تطلبوا (من يوسف واخيه) اى من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يصر ازالها (ولا تياسوا من روح الله) لا تقطعوا من فرجه وتغيبه وقرئ بضم الراء اى من رجته الترحى بها المبادو هذا ارشادهم الى بعض ما لهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نبيه بقوله (انه لا يأس من روح الله الا الكافرون) لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقطع في حال من الاحوال (فلا دخلوا عليه) اى على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب امرهم وانما لم يذكر ذلك اذنا بمسارعتهم الى ما امروا به واسعرا بان ذلك امر محقق لا يخفى الى الذكر والبيان (قالوا يا ايها العزيز) اى الملك القادر المتعبد منا واهلنا العزيز الهال من شدة الجوع (وجئنا ببضاعة منجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر وغبة عنها واحتقار لها من الرعية اذ ادفعته وطردته والريح ترجى السماب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعصاب صوفا وسما

واذا كان متعبدا فصدده الفصل قال المفسرون لما خرجت العير من مصر متوجهة الى كنعان قال يعقوب عليه السلام لمن حضر عنده من اهله وقراته وولد وولدته انى لأجدر بريح يوسف لولا ان تقنذون ولم يكن هذا القول مع اولاده لانهم كانوا غائبين بدليل انه عليه السلام قال لهم اذهبوا فقمسوا من يوسف واخيه واختلوا في قدرا لمسافة قيسل مسيرة ثمانية ايام وقيل عشرة ايام وقيل ثمانون فرسخا واختلوا في كيفية وصول تلك الراحة اليه فقال مجاهد هبت ريح فصفت القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت يعقوب فوجد ريح الجنة فلم عليه السلام انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال انى لأجدر بريح يوسف وروى الواحدى باسناده عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اما قوله اذهبوا فقمصى هذا فألقوه على وجهه اى بات بصيرا فان نمر وذالجبار لما لقي ابراهيم في النار نزل عليه جبريل عليه السلام بقميص من الجنة وطمس منه الجنة فلبسه القميص واجلسه على الطنفسة وقعد معه يحذيه فكسا ابراهيم عليه السلام ذلك القميص اسحق وكساه اسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصة من فضة وعلقها في عنقه فألقى في الجب والقميص في عنقه فذلك قوله اذهبوا فقمصى هذا والتحقيق ان يقال انه تعالى اوصل تلك الراحة اليه على سبيل اظهار المجزات لان وصول الراحة اليه من هذه المسافة البعيدة امر مناقض للعادة فيكون معجزة ولا بد من كونها معجزة لاحدهما والا قرب انه ليعقوب عليه السلام حين اخبر عنه ونسبه في هذا الكلام الى ما لا ينبغي فظهر ان الامر كاذب فكان معجزة له قال اهل المعاني ان الله تعالى اوصل اليه ريح يوسف عليه السلام عند انقضاء مدة المحنة وبجئ وقت الروح والفرح من المكان البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدي البلدين من الاخرى في مدة ثمانين سنة وذلك يدل على ان كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان الاقبال سهل ومعنى لأجدر بريح يوسف اشرى وعبر عنه بالوجود لانه وجدانه بحاسة الشم وقوله لولا ان تقنذون قال ابو بكر بن الانبارى افتد الرجل اذا حزن وتغير عقله وفقدنا جهل وقصد ذلك اليه وعن الاصمعي اذا كثرت كلام الرجل من خرف فهو المنفقد قال صاحب الكشف يقال شيخ مفند ولا يقال صبور مفندة لانها لم تكن في شبيبته ذات رأى حتى تفند في كبرها فقوله لولا ان تقنذون اى لولا ان نسبوني الى الخرف ولما ذكر يعقوب ذلك قال الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم وفي الضلال ههنا جوه (الاول) قال مقاتل يعنى بالضلال ههنا الشقاء يعنى شقاء الدنيا والمعنى انك لفي شقاتك القديم بما تكذب من الاحزان على يوسف واحتج مقاتل بقوله انا انذا لفي ضلال وسمر يعنون لفي شقاء دنيا وقال قتادة لفي ضلالك القديم اى لفي حيك القديم لانساه ولانذهل عنه وهو كقولهم ان ايانا لفي ضلال مبين ثم قال قتادة قد قالوا كلمة غليظة ولم يكن يجوز ان

وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقبل سويق المفل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ ابو ضمية وانما قدموا ذلك (يقولها)

فتنفذ في كبرها وجواب لولا محذوف اي لصدمتني (قالوا) اي (٢٤٧) الحاضرون عنده (الله انك لفي ضلالتك القديم) لفي ذهابك

فكان الامر بذلك السجود من تمام التشديد والله اعلم بحقائق الامور (البحث الثاني)
اختلفوا في مقدار المدة بين هذا الوقت وبين الرؤيا فقبل ثمانون سنة وقبل سبعون وقبل
اربعون وهو قول الاكثرين ولذلك يقولون ان تأويل الرؤيا انما صححت بعد اربعين
سنة وقبل ثمانى عشرة سنة وعن الحسن انه ألقى في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وبقى
في العبودية والسجين ثمانين سنة ثم وصل الى ابيه وأقاربه وعاش بعد ذلك ثلاثا
وعشرين سنة فكان عمره مائة وعشرين سنة والله اعلم بحقائق الامور ثم قال
وقد احسن في اي الى يقال احسن به وبالله قال كثير

أستحي بنا واحسنى لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

اذ اخرجني من السجن ولم يذكر اخراجه من البئر لوجوه (الاول) انه قال لاخوته
لا تريب عليكم اليوم ولود ذروا فاعة البئر لكان ذلك تريبا لهم فكان اهلها جارية بحرى
الكرم (الثاني) انه لما خرج من البئر لم يصير ملكا بل صيره عبدا اما لما خرج من السجن
صيره ملكا فكان هذا الاخبار اقرب من ان يكون انصاما كاملا (الثالث) انه لما
أخرج من البئر وقع في المضار الحاصلة بسبب تهمته المرأة فلما أخرج من السجن وصل
الى أبيه واخوته وزالت التهمة فكان هذا اقرب الى المنفعة (الرابع) قال الواحدى
المنفعة في اخراجه من السجن اعظم لان دخوله في السجن كان بسبب ذنبه به وهذا
ينبغي ان يحمل على ميل الطبع ورغبة النفس وهذا وان كان في محل الغفوى في حق غيره
الا انه ربما كان سببا للمواخاة في حقه لان حسنات الابرار سيئات المقيرين ثم قال
وجاء بك من البدو وفيه مستثنان (المسئلة الاولى) في الآية قولان (الاول) جاء بك
من البدو اي من البادية وقال الواحدى البدو بسيط من الارض يظهر فيه الشخص
من بعيد واصله من بدا يبدو ابدوا ثم سمي المكان باسم المصدر فيقال بدو وحضروا كان
يعقوب وولده بأرض كنعان اهل مواش وبرية (والقول الثاني) قال ابن عباس رضى
الله عنهما كان يعقوب قد تحول الى بدا وسكنها ومنها قدم على يوسف وله بها مسجد تحت
جله قال ابن الانبارى بدا اسم موضع معروف يقال هو بين شعب وبدا وهما موضعان
ذكرهما جميعا كثير فقال

وانت التي حبيت شعبا الى بدا * الى واوطاني بلاد سواهما

قال بدو على هذا القول معناه قصد هذا الموضع الذي يقال له بدا اقبال بدا القوم يدون
بدوا اذا اتوا بدا كيقال غار القوم غورا اذا اتوا القور فكان معنى الآية وجاء بك من
قصد بدا وعلى هذا القول كان يعقوب وولده حضريين لان البدو لم يرد به البادية لكن
عني به قصد بدا الى هنا كلام قاله الواحدى في البسيط (المسئلة الثانية) تمسك اصحابنا
بهذه الآية على ان فضل العبد خلق الله تعالى لان خروج العبد من السجن اضافة الى
نفسه بقوله اذ اخرجني من السجن ومحيطهم من البدو اضافة الى نفسه سبحانه بقوله وجاء
وقت الاجابة وقيل اخره الى ان يستحل لهم من يوسف عليه الصلاة والسلام اوعيل انه قد
عفا عنهم فان عفو الظلوم

شرط المغفرة ويعضده أنه روى عنه أنه استقبل القيلة قائماً يدعو (٢٤٨) وقام يوسف خلقه يؤمن وقاموا خلفها اذلة خاشعين عشرين

بكم من البدو وهذا صريح في أن فعل العبد بعينه فعل الله تعالى وحل هذا على أن المراد أن ذلك إنما حصل بأقدار الله تعالى وتيسيره عدول عن الظاهر ثم قال من بعد أن ترغ الشيطان بنى وبين أخوتي قال صاحب الكشف ترغ أقصد بيننا وأغوى واصله من ترغ الراكض الدابة وحلها على الجرى يقال ترغه ونسغه إذا نخسه واعلم أن الجبائي والكبي والقاضي احتجوا بهذه الآية على بطلان الجبر قالوا لأنه تعالى أخبر عن يوسف عليه السلام أنه أضاف الإحسان إلى الله وأضاف الترغ إلى الشيطان ولو كان ذلك أيضاً من الرحمن لوجب أن لا ينسب إليه كافي التلم (والجواب) أن أضافته هذا الفعل إلى الشيطان مجاز لأن عندكم الشيطان لا يمكن من الكلام الخفي وقد أخبر الله عنه فقال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فثبت أن ظاهر القرآن يقتضي إضافة هذا الفعل إلى الشيطان مع أنه ليس كذلك وأيضاً فإن كان أقدام المرء على العصية بسبب الشيطان فأقدام الشيطان على العصية أن كان بسبب شيطان آخر لزم التسلسل وهو محال وإن لم يكن بسبب شيطان آخر فليقل مثله في حق الإنسان فثبت أن أقدام المرء على الجهل والفسق ليس بسبب الشيطان وليس أيضاً بسبب نفسه لأن أحد الأعمى طبعه إلى اختيار الجهل والفسق الذي يوجب وقوعه في ذم الدنيا وهقاب الآخرة ولما كان وقوعه في الكفر والفسق لا بد له من موقع وقد بطل التسامع لم يبق إلا أن يقال ذلك من الله تعالى ثم الذي يؤكد ذلك أن الآية المتقدمة على هذه الآية وهي قوله إذا أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو صريح في أن الكل من الله تعالى ثم قال أن ربني لطيف لما يشاء والمعنى أن حصول الاجتماع بين يوسف وبين أبيه وأخوته مع الالفة والمحبة وطيب العيش وفراغ البال كان في غاية البعد عن العقول إلا أنه تعالى لطيف فإذا أراد حصول شيء سهل أسبابه فحصل وإن كان في غاية البعد عن الحصول ثم قال أنه هو العليم الحكيم أعني أن كونه لطيفاً في أفعاله إنما كان لاجل أنه عليم بجميع الاعتبارات الممكنة التي لانهاية لها فيكون عالماً بالوجه الذي يسهل تحصيل ذلك الصعب وحكم أي محكم في فعله حاكم في قضائه حكيم في أفعاله مبرأ عن العيب والباطل والله أعلم بقوله تعالى (رب قد آتيتني من الملك وعليتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وأحقني بالصالحين) في الآية مسائل (المسألة الأولى) روى أن يوسف عليه السلام أخذ يذبح يعقوب وطاف به في خراشه فادخله خزان القراطيس قال يابني ما أغفلت عندك هذه القراطيس وما كنت أتى على عمن مرأجل قال نهاني جبريل عليه السلام عنه قال سله عن السبب قال أنت أسطت إليه فسأله فقال جبريل عليه السلام امرني الله بذلك لقلوك وأخاف أن يأكله الذئب فلما خفتني وروى أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعة وعشرين سنة ولما قربت وفاته أوصى إليه أن يدفعه

سنة حتى بلغ جهمهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد موافقهم بعدك على النبوة فإن صح ثبت نبوتهم وإن ما عذر عنهم إنما مصدر قبل الاستقبال قبل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روى أنه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل أقام إلى الصلاة في وقت العصر ثم فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزئي على يوسف فمضى صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيم فأوحى الله إليه أن الله قد غفرك ولهم أجمعين (فلا دخلوا على يوسف) روى أنه وجه يوسف إلى أبيه جازاً ومائتاً راحلة ليتبين إليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب عليه الصلاة والسلام وهو عني متوكئاً على يهوذا فنظر إلى الحبل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا بل ولدك لما لقيه قال عليه الصلاة والسلام السلام عليك يذهب الأخران وقيل قال له يوسف يابنت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تميمنا فقال بلى ولكني خشيت أن يسلب دينك فقال بلى وينك وقيل أن يعقوب وولد دخلوا مصر وهم اثنا عشر وسبعون مائتين رجل وإسائة وكانوا من غرجوا مع موسى ستمائة وخمسة مائة وبضعة وسبعين رجلاً سوى

الذرية والهرم وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف (أوى إليه أبوه) أي أباه وخالته وتزولها من ذلة الام كتزول الم من ذلة الاب (بالشام)

يوسف واخيه حسبا بغيره قوله (قدمن الله علينا) فكأنه (٢٤٥) قال هل علمنا ما فعلتم بنامن التفرق والاذلال فأنا يوسف وهذا اخي

مصر وقبل آمنين من القحط والشدة والفاقة وقبل آمنين من أن يضرمهم يوسف بالجرم السالف اما قوله ورفع ابويه على العرش قال اهل اللغة العرش السرير الرفع قال تعالى وله عرش عظيم والمراد بالعرش ههنا السرير الذي كان يجلس عليه يوسف واما قوله وخروا له سجدا ففيه اشكال وذلك لان يعقوب عليه السلام كان ابا يوسف وحق الابوة عظيم قال تعالى وقضى ربك ان لاتعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا فقرن حق الوالدين بحق نفسه وايضا انه كان شيخا والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ (والثالث) انه كان من اكابر الانبياء ويوسف وان كان نبيا الا ان يعقوب كان اعلى حالا منه (والرابع) ان جدي يعقوب واجتهاده في تكثير الطاعات اكثر من جد يوسف ولما جمعت هذه الجهات الكثيرة فهذا اوجب ان يبالغ يوسف في خدمة يعقوب فكيف استجاز يوسف ان يسجد له يعقوب هذا تقرير السؤال (والجواب) عنه من وجوه (الاول) وهو قول ابن عباس في رواية عطاء ان المراد بهذه الآية انهم خروا له اى لاجل وجدانه سجدا لله تعالى وحاصل الكلام ان ذلك المعبود كان معبودا للشكر فالمعبود له هو الله الا ان ذلك المعبود انما كان لاجله والدليل على صحة هذا التأويل ان قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا مشعر بأنهم صعدوا ذلك السرير ثم سجدوا له ولولائم سجدوا ليوسف لمسجدوا له قبل الصعود على السرير لان ذلك أدخل في التواضع فان قالوا فهذا التأويل لا يطابق قوله يا ابت هذا تأويل رؤيى من قبل والمراد منه قوله اى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قلنا بل هذا مطابق ويكون المراد من قوله والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين لاجلى اى انهما سجدت لله لطلب مصلى وللمسعى فى اعلاء منصبى واذا كان هذا محتملا سقط السؤال وعندي ان هذا التأويل متعين لانه لا يستبعد من عقل يوسف ودينه أن يرضى بان يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكال النبوة (الوجه الثانى) في الجواب ان يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكر النعمة وجدانه وهذا التأويل حسن فانه يقال صليت للكعبة كما يقال صليت الى الكعبة قال حسان شعرا

ما كنت اصر ف أن الامر منصرف * عن هاشم ثم منها عن ابي حسن

البس اول من صلى لقبلكم * واصرف الناس بالقرآن والسنة

وهذا يدل على انه يجوز ان يقال فلان صلى القبلة وكذلك يجوز ان يقال سجد للقبلة وقوله وخروا له سجدا اى جعلوه كالقبلة ثم سجدوا لله شكر النعمة وجدانه (الوجه الثالث) في الجواب قد يسمى التواضع معبودا كقوله * ترى الا كم فيها معجدا للخوافر * وكان المراد ههنا التواضع الا ان هذا مشكل لانه تعالى قال وخروا له سجدا وانخرور الى السجدة مشعر بالاتباع بالسجدة على اكل الوجوه وأجيب عنه بان انخرور قد يعنى به المرور فقط قال تعالى لم يخروا عليها صما ومجانا يعنى لم يروا (الوجه الرابع) في الجواب

حيثنذ صفع عن جر يثم وعفا عن جر يرتهم بما فعلوا من التوبة (وهو ارحم الراحمين) يفر الصفا والكبائر

ويُفضل على النائب بالقبول ومن كرمه عليه الصلاة والسلام (٢٤٦) ان اخوته ادسوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيانحن

ان نقول الضمير في قوله وخرواله غير عائد الى الابوين لاحالة والاقبال وخرواله ساجدين بل الضمير عائد الى اخوته والى سائر من كان يدخل عليه لاجل التهنئة والتقدير ورفع ابويه على العرش بالمعلة في تعظيمهما واما الاخوة وسائر الداخلين فخرؤاله ساجدين فان قالوا فهذا الايلاء قوله يابأيت هذا تأويل رؤياي من قبل قلنا ان تعبير الرؤيا لا يجب ان يكون مطابقا للرؤيا بحسب الصورة والصفة من كل الوجوه فمجدد الكواكب والشمس والقمر تعبير عن تعظيم الاكابر من الناس له ولا شك ان ذهاب يعقوب مع اولاده من كنعان الى مصر لاجله في نهاية التعظيم له فكفى هذا القدر في صحة الرؤيا فاما ان يكون التعبير مساويا لاصل الرؤيا في الصفة والصورة فلم يوجب احد من العقلاء (الوجه الخامس) في الجواب لعل الفعل الدال على الحق والاكرام في ذلك الوقت هو السجود وكان مقصود هم من السجود تعظيم وهذا في غاية البعد لان المباعدة في التعظيم كانت اليسى يوسف منها يعقوب فلو كان الامر كما قلتم لكان من الواجب ان يسجد يوسف ليعقوب عليه السلام (الوجه السادس) فيه ان يقال لعل اخوته حلفتم الائمة والاستعلاء على ان لا يسجدوا له على سبيل التواضع وعلم يعقوب عليه السلام انهم لو لم يفعلوا ذلك لصار ذلك سببا لتوران الفن وظهور الأحقاد القديمة بعد كونها فهو عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حقه بسبب الابوة والشجوخة والتقدم في الدين والنبوة والعلم فعل ذلك السجود حتى تصير مشاهدتهم لذلك سببا والائمة والنفرة عن قلوبهم ألا ترى ان السلطان الكبير اذا نصب محتسبا فاذا اراد ترتيبه مكنسه في اقامة الحسبة عليه بصير ذلك سببا في ان لا يلقى في قلب احد منازعة ذلك المحتسب في اقامة الحسبة فكذا هي (الوجه السابع) لعل الله تعالى امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها الا هو كما انه امر الملائكة بالسجود لآدم لحكمة لا يعرفها الا هو ويوسف ما كان راضيا بذلك في قلبه الا انه لما علم ان الله امره بذلك سكت ثم حكي تعالى ان يوسف لما رأى هذه الحالة قال يابأيت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربى حقا وفيه بحثان (الاول) قال ابن عباس رضى الله عنهما انما لما رأى سجدوا ابويه واخوته هاله ذلك واقشعر جلده منه وقال ليعقوب هذا تأويل رؤياي من قبل واقول هذا يقوى الجواب السابع كأنه يقول يا ابت لا يلقى بمثلك على جلالتك في العلم والدين والنبوة ان تسجدوا لذلك الا ان هذا امر امرت به وتكليف كلفته فان رؤيا الانبياء حق كما ان رؤيا ابراهيم ذبح ولده صار سببا لوجوب ذلك الذبح عليه في البقعة فكذلك صارت هذه الرؤيا التي رآها يوسف وحكاها ليعقوب سببا لوجوب ذلك السجود فلهذا السبب حكي ابن عباس رضى الله عنهما ان يوسف عليه السلام لما رأى ذلك هاله واقشعر جلده ولكنه لم يقل شيئا واول لا يبعد ان يكون ذلك من تمام تشديد الله تعالى على يعقوب كأنه قبله انك كنت دائم الرغبة في وصاله ودام الحزن بسبب فراقه فاذا وجدته فاسجد له

الحرف وانتكار القبل وفساد رأى من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال مجوز مفند اذ لم تكن في شيعتها ذات رأى (فكان)

في قوله عز وجل والاه آباءك
ابراهيم واسماعيل واسحق والاولاد
يعقوب عليه الصلاة والسلام
تزوجها بعد أمه وقال
الحسن وابن اسحق كانت أمه
في الحياة فلا حاجة الى التأويل
ومعنى اوى اليه ضمها اليه
واعنتهما وكأني عليه الصلاة
والسلام ضرب في الملقى ضربا
قتل به فدخلوا عليه فأولها
اليه (وقال ادخلوا مصر ان شاء
الله امنين) من الشدائد والمكاره
طابقوا المشقة متطفة بالدخول
على الامن (ورفع ايوب) عند
زولهم بمصر (على العرش) على
السرى تكريما لموافق ما فعله
لاخوته (وخواله) اى ابواه
واخواته (سجد) تحية له فانه كان
يسجد عندهم جارا يجرى العبة
والكرامة كالقيام والمصافحة
وتقبيل اليد ونحو هذه عادات
الناس الفاشية في التعظيم
والترقية وقيل ما كان ذلك الا
انصاه دون تغيير الجباه وبأياه
الخرور وقيل خروا لاجله سجدا
له شكرا ويرده قوله تعالى
(وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي)
التي رأيتها وقصصتها عليك (من
قبل) في زمن الصبا (قد جعلها
رؤيا حسنا) صدقا واقعا بعبه
والاعتذار بجميل يوسف بمنزلة
القبلة وجعل اللام كما في قوله
اليس اول من صلى لقبلكم
تصف لائخى وتأخير من الرفع
على العرش ليس بنص في ذلك
لان الترتيب الذكرى لا يجب كونه
على وفق الترتيب الوقوفى فعمل
تأخير عته ليصل به ذكر كونه
تعبير الرؤيا وما يصل به من قوله

بالشام الى جنس أبيه اسحق بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا
وعشرين سنة فعند ذلك تمت ملك الآخرة فمضى الموت وقيل ماتناهني قبله ولا بعده
فتوفاه الله طيبا طاهرا فقتلهم في مصر في دفنه كل واحد يحب ان يدفن في محلته حتى
هموا بالقتال فرأوا ان الاصالح ان يعملوا له صندوقا من مرمر ويحملهوه فيه ويدفنه
في التل بمكان يمر الماء عليه ثم يصل الى مصر لتصل بركنه الى كل واحد ولله افرانهم
وميشا وولد لافرائيم نون ونون يوشع فتى موسى ثم دفن يوسف هناك الى ان بعث الله
موسى فأخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر أبيه (المسئلة الثانية) من في قوله
من الملك ومن تأويل الاحاديث للتبعض لانه لم يؤت البعض ملك الدنيا او بعض ملك
مصر وبعض التأويل قال الاصم انما قال من الملك لانه كان دون ملك فوقه واعلم ان
مراتب الموجودات ثلاثة المؤثر الذي لا يتأثر وهو الاله تعالى وتقدس والمتأثر الذي
لا يؤثر وهو عالم الاجسام قائما بالثبوت للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والاعراض
التضادة فلا يكون لها تأثير في شيء اصلا وهذا انقسمان متباعدان جدا ويتوسطهما
قسم ثالث وهو الذي يؤثر ويتأثر وهو عالم الارواح فخاصية جوهر الارواح انها تقبل
الاثروا تصرف عن عالم نور جلال الله ثم انما اذا قبلت على عالم الاجسام تصرف فيه
وأثرت فيه فعلق الروح بعالم الاجسام بالتصرف والتدبير فيه وتعلقه بعالم الالهيات
بالمعرفة وقوله قد آتيتني من الملك اشارة الى تعلق النفس بعالم الاجسام وقوله
وعلمتني من تأويل الاحاديث اشارة الى تعلقها بحضرة جلال الله ولما كان الانسابة
لدرجات هذين النوعين في الكمال والنقصان والقوة والضعف والجلاء والخفاء امتنع
ان يحصل منهما للانسان المقدار متناه فكان الحاصل في الحقيقة بعضا من ابعاض
الملك وبعضا من ابعاض العلم فلهاذا السبب ذكر فيه كلمة من لانها دالة على التبعض
ثم قال فاطر السموات والارض وفيه أبحاث (البحث الاول) في تفسير لفظ الفاطر
بحسب اللغة قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت ادرى معنى الفاطر حتى احتكم
الى امر ايمان في بشر فقال احدهما اتا فطرتهما واتا ابتدأت حفرها قال اهل اللغة اصل
الفطر في اللغة الشق يقال فطر ناب البعير اذا بدأ وفطرت الشيء فانفطر اى شقته فانشق
وتفطر الارض بالنبات والشجر بالورق اذا تصدعت هذا اصله في اللغة ثم صار عبارة
عن اليجاد لان ذلك الشيء حال عدمه كائنه في ظلة وخفاء فلما دخل في الوجود صار
كأنه انشق عن العدم وخرج ذلك الشيء منه (البحث الثاني) ان لفظ الفاطر قد يظن انه
عبارة عن تكوين الشيء عن العدم المحض بدليل الاشتقاق الذي ذكرناه الا ان الحق انه
لا يدل عليه ويدل عليه وجوه (أحدها) انه قال الحمد لله فاطر السموات والارض ثم
بين تعالى انه انما خلقهم من الدخان حيث قال ثم استوى الى السماء وهى دخان فدل على ان
لفظ الفاطر لا يفيد انه أحدث ذلك الشيء من العدم المحض (وثانيها) انه تعالى قال فطرة

الله التي فطر الناس عليها مع انه تعالى انما خلق الناس من التراب قال تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى (والتالي) انما الشيء انما يكون حاصله عند حصول مادته وصورته مثل الكوز فانه انما يكون موجودا اذا صارت المادة المخصوصة موصوفة بالصفة المخصوصة فتعند عدم الصورة ما كان ذلك المجموع موجودا وبإيجاد تلك الصورة صار موجودا لذلك الكوز فعلمنا ان كونه موجودا للكوز لا يقتضي كونه موجودا للمادة الكوز فثبت ان لفظ الفاطر لا يفيد كونه تعالى موجودا للاجزاء التي منها تركبت السموات والارض وانما صار الينا كونه تعالى موجودا لها بحسب الدلائل العقلية لا بحسب لفظ القرآن واعلم ان قوله فاطر السموات والارض يوهى ان تخلق السموات مقدم على تخلق الارض عند من يقول الواو قيد الترتيب ثم العقل يؤكد ايضا وذلك لان تعين المحيط يوجب تعين المركز اما حصول المركز وتعيينه فانه لا يوجب تعين المحيط لانه يمكن ان يحيط بالمركز الواحد محيطات لانهاية لها اما لا يمكن ان يحصل للمحيط الواحد الامر كروا واحد بعينه وايضا اللفظ يفيد ان السماء كثيرة والارض واحدة ووجه الحكمة فيه قد ذكرناه في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض (البص الثاني)

قال الزجاج فصبه من وجهين (احدهما) على الصفة لقوله رب وهو نداء مضاف في موضع النصب (والثاني) يجوز ان يصب على نداء ثان ثم قال انت ولي في الدنيا والآخرة والمعنى انت الذي تولى اصلاح جميع مهمتي في الدنيا والآخرة فوصل الملك الثاني بالملك الباقي وهذا يدل على ان الايمان والطاعة كله من الله تعالى اذ لو كان ذلك من العبد لكان المتولى لمصلحة هو وهو حينئذ يبطل عموم قوله انت ولي في الدنيا والآخرة ثم قال توفي مسلما والحقني بالصالحين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان النبي عليه الصلاة والسلام حكى عن جبريل عليه السلام عن رب العزة انه قال من شغله ذكرى عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين فلهذا المعنى ان اراد الدماء فلا بد ان يقدم عليه ذكر الثناء على الله فهنا يوسف عليه السلام لما اراد ان يذكر الدماء قدم عليه الثناء وهو قوله رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض ثم ذكر عقبيه الدماء وهو قوله توفي مسلما والحقني بالصالحين ونظيره ما فعله الخليل صلوات الله عليه في قوله الذي خلقني فهو يهدين فن هنا الى قوله رب هب لي حكما ثناء على الله ثم قوله رب هب لي الى آخر الكلام دعاء فكذا ههنا (المسئلة الثانية) اختلفوا في ان قوله توفي مسلما هل هو طلب منه للوفاة أم لا فقال قتادة سأل الله به الحقوق به ولم يمتن نبي قط الموت قبله وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء يريد اذا توفيتي فتوفني على دين الاسلام فهذا طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه طلب الوفاة واعلم ان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد في الرجل العاقل اذا كل عقله ان يمتن الموت ويعظم رغبته فيه لوجوه كثيرة منها ان كمال النفس

(وقد أحسنه) المشهور استعمال الاحسان بالي وقد يستعمل بالياء ايضا كما في قوله عز اسمه والوالدين احسانا وقيل هذا ابتغين لطف وهو الاحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى اي لطف في محسن الى غيره هذا الاحسان (اذ اخرجني من السجن) بدماء ابتليت به ولم يصح بقصة الحب حذارا من ترطيب اخسوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقب خروجهم سجدا واكتشف بها يفتخه قوله تعالى (وجاءكم من البؤس) اي البادية (من بعد ان تزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) اي اشد بيننا بالاغواء واصله من تخص الراض الدابة وجعلها على الجرى يقال تزغ وتسغه اذا غصصه ولقد بالغ عليه الصلاة والسلام في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان (ان ربي لطيف لما يشاء) اي لطيف التدبير لاجله وفيه حتى يصح على وجه الحكمة والصاب مامن صلب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل (انه هو العليم) بوجوه المصالح (الحكيم) الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليه الصلاة والسلام فطأ به في خراشه فادخله في خزان الورق والذهب وخزائن الخبي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزان القراطيس قال ياخي ما عثرك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمن مراحل قال امرني جبريل قال او ماتاه

قال انت ابسط اليه من فأسأله قال

جبريل الله تعالى أمرني بذلك
لقولك اخاف ان يسأله الذئب
قال فهلا خفتي وروى ان
يعقوب عليه الصلاة والسلام
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم
مات واوصى بدقته بالشام الى
جنب ابيه اصحق بخفى بنشبه
ودقته ثم تم عادلى مصر وعاش
بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم
امره وعلم انه لا يدوم له تانت
نفسه الى الملك الدائم الخالد فتتى
الموت فقال (رب قد آتيتني من
الملك) اى بعضامته عظيم وهو
ملك مصر (وعلمتني من تأويل
الاحاديث) اى بعضا من ذلك
كذلك ان اريد بتعليم تأويل
الاحاديث تفهم غوامض اسرار
الكتب الالهية ودقائق سفي
الانبياء عليهم الصلاة والسلام
فالترييب ظاهر واما ان اريد به
تعليم تغيير الرؤيا كما هو الظاهر
فلم فعل تقديم ايتان الملك عليه في
الذكر لانه مقام تعدد التم
القائضة عليهم من الله سبحانه والملك
اعرفى في كونه لمة من التعليم
المذكور وان كان ذلك ايضا
نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن
تمشية هذا الاعتذار فباسم لان
التعليم هناك واراد على نفع الامة
الغاية للتكئين فان جل على معنى
التعليك لزم تأخره عنه واما
الواقع ههنا فمجرد التأخير في
الذكر والعطف بحرف الواو
ولا يستدعى ذلك الترييب في
الوجود (فاطر السموات والارض)
مبدعها وخالقها نصب على انه
صفة للئادى او منادى آخر وصفه
تعالى به بعد وصفه بالربوبية
مبالغة في ترتيب مبادئ ما يعقبه
من قوله (انت ولي) مالك امورى

الانسانية على ما بيناه في ان يكون عالما بالالهييات وفي ان يكون ملكا ومالكا متصرفا
في الجسمانيات وذكرنا ان مراتب التفاوت في هذين النوعين غير متناهية والكمال المطلق
فيهما ليس الله وكل مادون ذلك فهو ناقص والناقص اذا حصل له شعور بقصاه وذائق
لذة الكمال المطلق بقى في القلق وألم الطلب واذا كان الكمال المطلق ليس الله وما كان
حصوله للانسان متمما لزم ان يبق الانسان ابدا في قلق الطلب والم تعب فاذا عرف
الانسان هذه الحالة عرف انه لا سبل له الى دفع هذا التعب عن النفس الابالوت فحينئذ
يتخى الموت (والسبب الثاني) لتخى الموت ان الخطيئة والبلغاء وان أظنوا في مذمة الدنيا
الا ان حاصل كلامهم يرجع الى امور ثلاثة (احدها) ان هذه السعادات سريعة الزوال
مشرفة على الفناء والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند وجدها
(وثانيها) انها غير خالصة بل هي مزوجة بالنفصات والمكدرات (وثالثها) ان الاراذل
من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما كان حصصة الارذال اعظم بكثير من حصصة
الافاضل فهذه الجهات الثلاثة منفرة عن هذه اللذات ولما عرف العاقل انه لا سبل الى
تحصيل هذه اللذات الامع هذه الجهات الثلاثة المنفرة لاجرم يتخى الموت ليتخلص عن
هذه الآفات (والسبب الثالث) وهو الاقوى عند المحققين رجهم الله اجمعين ان هذه
اللذات الجسمانية لاحقية لها وانما حاصلها دفع الآلام فلذة الاكل عبارة عن دفع
ألم الجوع ولذة الوقوع عبارة عن دفع الألم الحاصل بسبب الدغدة المتولدة من حصول
المنى في أوعية المنى ولذة الامارة والرياسة عبارة عن دفع الألم الحاصل بسبب شهوة الانتقام
وطلب الرياسة واذا كان حاصل هذه اللذات ليس الادفع الألم لاجرم صارت عند العقلاء
حقيرة خسيصة نازلة ناقصة وحينئذ يتخى الانسان الموت ليتخلص عن الاحتياج الى هذه
الاحوال الخسيسة (والسبب الرابع) ان مداخل اللذات الدنيوية قليلة وهى ثلاثة
انواع لذة الاكل ولذة الوقوع ولذة الرياسة ولكل واحدة منها عيوب كثيرة اما لذة الاكل
ففيها عيوب (احدها) ان هذه اللذات ليست قوية فان الشعور بألم القولنج الشديد
والعياء بالله منه اشد من الشعور باللذة الحاصلة عند اكل الطعام (وثانيها) ان هذه
اللذة لا يمكن بقاؤها فان الانسان اذا أكل شبع واذ اشبع لم يبق شوق للالتذاز بالاكل
فهذه اللذة ضعيفة ومع ضعفها غير باقية (وثالثها) انها في نفسها خسيصة فان الاكل
عبارة عن ترتيب ذلك الطعام بالبراق المتجمع في القم ولا شك انه شئ منفرد مستغنى عن المايصل
الى المعدة تظهر فيه الاستحالة الى الفساد والنتن والعفونة وذلك ايضا منفرد (ورابعها)
ان جميع الحيوانات الخسيسة مشاركة فيها فان الزوث في مذاق الجمل كاللوزينج في مذاق
الانسان وكما ان الانسان يكره تناول غذاء الجمل فكذلك الجمل يكره تناول غذاء
الانسان واما اللذة مشتركة فيما بين الناس (وحظسها) ان الاكل انما يطيب عند اشتداد
الجوع وتلك حاجة شديدة والحاجة نقص وافر (وسادسها) ان الاكل يستحق عند

بتولاي بالنعمة فيها واذا قد
اتممت على نعمة الدنيا (توفى)
اقبضني (مسلا والحقي بالصالحين)
من آباء اوباشة الصالحين في
الرتبة والكرامة فانما هم النعمة
بذلك قيل لا دعا توفاه الله عز
وجل طيبا طاهر القاصم اهل
مصرف دفته وتشاحوا في ذلك
حتى هوى بالقتل فرأوا ان
يصنعوا له تابوتا من مرص فعملوه
فيه ودخلوه في التل لير عليه
ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا
واحدا في التبرك به وولده
ابراهيم وميثا ولا فرام يون
ولنون يوشع في موسى عليه
الصلاة والسلام ولقد
توارثت القرعنة من العالقة
بعده مصرو لم يزل بنو اسرائيل
تحت ايديهم على بنيامين يوسف
واباه الى ان بعث الله تعالى
موسى عليه الصلاة والسلام
(ذلك) اشارة الى ما سبق من
نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد
لما مر مرار من الدلالة على بعد
مازلته او كونه بالاقضاء في حكم
البعد والمطلب للرسول
صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ
خبره (من انباء الغيب) الذي
لا يحوم حوله احد قوله (نوحه
اليك) خبر بغير خبر احوال من
الضمير في الخبر ويجوز ان يكون
ذلك اسما موصولا ومن انباء
الغيب صلته ويكون الخبر نوحه
اليك (وما كنت لدنهم) يريد
اخوة يوسف عليه الصلاة
والسلام (اذ اجمعوا امرهم)
وهو جعلهم اياه في غيابة
الجب (وهم يكفرون) يهويون
له الفاعل حتى تنف على ظواهر
اسرائهم

العقلاء قبل من كانت همته ما يدخل في بطنه فحينئذ ما يخرج من بطنه فهذا هو الاشارة
المختصرة في معاني الاكل وامالذة النكاح فكل ما ذكرناه في الاكل حاصل ههنا مع
اشياء اخرى وهي ان النكاح سبب لحصول الولد وحينئذ تكثر الاشخاص فتكثر الحاجة
الى المال فيحتاج الانسان بسببها الى الاحتيا في طلب المال بطرق لانهاية لها وربما صار
هالكا بسبب طلب المال وامالذة الرياسة فيصوبها كثيرة والذي ذكره ههنا سبب واحد
وهو ان كل واحد يكره بالطبع ان يكون خادما مأمورا ومحبا ان يكون مخدوما أمرا فاذا
سعى الانسان في ان يصير رئيسا أمرا كان ذلك دالا على مخالفة كل ما سواه فكانت
يتنازع كل الخلق في ذلك وهو يحاول تحصيل تلك الرياسة وجميع اهل الشرق والغرب
يحاولون ابتغالها ودفعه ولا شأن لكثرة الاسباب توجب قوة حصول الثروة اذا كان كذلك
كان حصول هذه الرياسة كالتعذر ولو حصل فانه يكون على شرف الزوال في كل حين
وأوان بكل سبب من الاسباب وكان صاحبها عند حصولها في الخوف الشديد من الزوال
وعند زوالها في الاسف العظيم والحزن الشديد بسبب ذلك الزوال واعلم ان العاقل
اذا تأمل هذه المعاني علم قطعا انه لا صلاح له في طلب هذه اللذات والسعى في هذه الخيرات
البينة ثم ان النفس خلقت مجبولة على طلبها والعشق الشديد عليها والرغبة التامة
في الوصول اليها وحينئذ ينقد ههنا قياس وهو ان الانسان مادام يكون في هذه الحياة
الجماعية فانه يكون طالبا لهذه اللذات وما دام يطلبها كان في عين الآفات وفي لجة
الحسرات وهذا اللازم مكروه فاللزوم ايضا مكروه فحينئذ يتبين زوال هذه الحساة
الجماعية والسبب في الامور المرضية في الموت ان موجبات هذه اللذة الجماعية
متكررة ولا يمكن الزيادة عليها والتكرير يوجب الملالة اما استعداد الآخرة فهي انواع
كثيرة غير متناهية (قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله عليه) وهو مصنف هذا الكتاب
ان الله سبحانه انا صاحب هذه الحالة والمتوغل فيها ولو قفحت الباب وبالقوت في عيوب
هذه اللذات الجماعية فربما كتبت المجلدات وما وصلت الى القليل منها فلهذا السبب
صرت مواظبا في اكثر الاوقات على ذكر هذا الذي ذكره يوسف عليه السلام وهو قوله
رب قد آتيتني من الملك وعظيتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي
في الدنيا والآخرة توفى مسلا والحقي بالصالحين (المسئلة الثالثة) تمسك اصحابنا في بيان
ان الايمان من الله تعالى بقوله توفى مسلا وتقريره ان تحصيل الايمان وابقائه اذا كان
من العبد كان طلبه من الله قائدا وتقريره كانه يقول افضل يا من لا شغل والمعتزلة ابدا
يشعرون علينا ويقولون اذا كان الفل من الله فكيف يجوز ان يقال للعبد افضل مع
انك لست فاعلا له فحين نقول ههنا ايضا اذا كان تحصيل الايمان وابقاؤه من العبد لا
من الله تعالى فكيف يطلب ذلك من الله قال الجاني والكعي معناه اطلب الفعل اللطيف في
في الاقامة على الاسلام الى ان اموت عليه فهذا الجواب ضعيف لان السؤال وقع على

وبواطنها وتطلع على سرائرهم
طرا وتحيط بما لديهم خبرا
وليس المراد مجرد نفي حضوره
عليه الصلاة السلام في مشهد
اجتماعهم ومكرهم فقط بل في
سائر المشاهد ايضا وانما خصيصه
بالمذكر لكونه مطلع القصة
واخفى احوالها كما ينبغي عنه
قوله وهم يكررون والمطالع
وان كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لكن المراد الزام
المكتفين والمعنى ذلك من انباء
الغيب توجيه اليك اذ لا سبيل
الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم
سماعك ذلك من الغير وعدم
مطالعك للكتب امر لا يشك
فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين
ظهوراتهم عند وقوع الامر حتى
تعرفه كما هو قبليه اليهم وفيه
تهميم بالكفر فكانهم يشكون
في ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا
ايدان بأن ما ذكر من التباها هو
الحق المطابق للواقع وما ينشقه
اهل الكتاب ليس على ما هو عليه
يعني ان مثل هذا التحقيق بالروح
لا يتصور الا بالحضور والملاحظة
واذ ليس ذلك بالحضور فهو
بالوحي ومنته قوله تعالى وما كنت
لديهم اذ يقولون اغلامهم انهم
يكفل مربوب وقوله وما كنت
بجانب الغريق اذ قضيت الى موسى
الامر (وما اكثر الناس) يريد به
(هموم اهل مكة) (واحرصت)
اي على ايمانهم وبالف في اظهار
الايات القسامة الدالة على
صدقتهم (ومؤمنين) لتسميهم على
الكفر وامرارهم على الضماد
روى ان اليهود وفرشا لمسألوا
عن قصة يوسف وعدوا ان يسألوا
فلا اخبرهم بها على موافقة
التوراة فلم يسألوا حزن النبي

الاسلام فحمله على اللطف عدول عن الظاهر وايضا كل ما في المقدور من اللطاف فقد
فعله فكان طلبه من الله محالا (المسئلة الرابعة) لقائل ان يقول الانبياء عليهم السلام
يعلمون انهم يموتون لا محالة على الاسلام فكان هذا الدعاء حاصله طلب تحصيل الحاصل
وانه لا يجوز (والجواب) احسن ما قيل فيه ان كمال حال المسلم ان يستسلم لحكم الله تعالى
على وجه يستقر قلبه على ذلك الاستسلام ويرضى بقضاء الله وقدره ويكون مطمئن
النفس منشرح الصدر منفتح القلب في هذا الباب وهذه الحالة زائدة على الاسلام الذي
هو ضد الكفر فالملطوب ههنا هو الاسلام بهذا المعنى (المسئلة الخامسة) ان يوسف عليه
السلام كان من اكابر الانبياء عليهم السلام والصالح اول درجات المؤمنين فالواصل
الى الغاية كيف يليق به ان يطلب البداية قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من
المفسرين يعني بأبائه ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والمعنى الخفي بهم في ثوابهم
ومراتبهم ودرجاتهم وههنا مقام آخر من تفسير هذه الآية على لسان اصحاب
المكاشفات وهو ان النفوس المفارقة اذا اشرقت بالانوار الالهية والواضع القدسية
فاذا كانت مناسبة متشاكلة انعكس النور الذي في كل واحدة منها الى الاخرى بسبب
تلك الملازمة والمجانسة فتعظم تلك الانوار وتقوى تلك الاضواء ومثال تلك الاحوال
المرأة الصفيقة الصافية اذا وضعت وضعا متماشا اشرقت الشمس عليها انعكس الضوء من كل
واحدة منها الى الاخرى فبنائك تقوى الضوء ويكمل النور وينتهي في الاشراف والبريق
واللمعان الى حد لا تطيقه العيون والابصار الضعيفة فكذلك ههنا ﴿ قوله تعالى ﴾ (ذلك من
انباء الغيب توجيه اليك وما كنت لديهم اذ اجعوا امرهم وهم يكررون) اعلم ان قوله ذلك
رفع بالابتداء وخبره من انباء الغيب وتوجيه اليك خبر ثان وما كنت لديهم اي ما كنت
عند اخوة يوسف اذ اجعوا امرهم اي عزموا على امرهم وذكرنا الكلام في هذا اللفظ
عند قوله فاجعوا امرهم وقوله وهم يكررون اي يوسف واعلم ان المقصد من هذا اخبار
عن الغيب فيكون مجزأ بيان انه اخبار عن الغيب ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما طالع
الكتب ولم يزل لاحد وما كانت البلدة بلدة العلماء فانياته بهذه القصة الطويلة على
وجه لم يقع فيه تعريف ولا غلط من غير مطالعة ولا تعلم ومن غير ان يقال انه كان حاضرا
معهم لابد وان يكون مجزأ وكيف لا يكون مجزأ وقد سبق تقرير هذه المقدمة في هذا
الكتاب مرارا وقوله وما كنت لديهم اي وما كنت هناك ذكر على سبيل التهكم بهم لان
كل احد يعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم ﴿ قوله تعالى ﴾ (وما اكثر الناس ولو
حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكرا للعالمين) كما بين من آية في السموات
والارض يبرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
افانموا ان تأييدهم غاشية من عذاب الله اوتأتيتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (اعلم ان
وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان كفار قريش وجاعة من اليهود طلبوا هذه القصة

من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التعتن واعتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه اذا ذكرها فرما آمنوا فلما ذكرها اصبروا على كفرهم فنزلت هذه الآية وكأله اشارة
الى ما ذكره الله تعالى في قوله انك لانتهى من احببت ولكن الله بهدى من يشاء قال ابو
بكر بن الابارى جواب لوجحف لان جواب لولا يكون مقدا عليها فلا يجوز ان يقال
قت لوقت وقال الفراء في المصادر يقال حرص يحرس حرصا ولغة اخرى شاذة حرص
يحرس حرصا ومعنى الحرص طلب الشيء بأقصى ما يمكن من الاجتهاد وقوله وما نسألهم
عليه من اجر معناه ظاهر وقوله ان هو الا ذكر للعالمين اى هو تذكرة لهم في دلائل التوحيد
والعدل والنوبة والمعاد والقصاص والتكاليف والعبادات ومعناه ان هذا القرآن يشتمل
على هذه المنافع العظيمة ثم لا تطلب منهم مالا ولا جعلوا فلو كانوا عقلاء قبلوا ولم يتردوا وقوله
تعالى وكأين من آية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون يعنى انه لا يجب
اذلم تأملوا في الدلائل الدالة على نبوتك فان العالم مملوء من دلائل التوحيد والقدرة
والحكمة ثم انهم يرون عليها ولا يلتفتون اليها واعلم ان دلائل التوحيد والعلم والقدرة
والحكمة والرحمة لا بد وان تكون من امور محسوسة وهى اما الاجرام الفلكية واما
الاجرام العنصرية اما الاجرام الفلكية فهى قسمان اما الافلاك واما الكواكب اما
الانلاك فقد يستدل بتقديرها المعينة على وجود الصانع وقد يستدل بكون بعضها فوق
البعض او تحتها وقد يستدل باحوال حركاتها اما بسبب ان حركاتها مسبوقة بالعدم فلا بد
من محرك قادر واما بسبب كيفية حركاتها في سرعتها وبطئها واما بسبب اختلاف
جهات تلك الحركات واما الاجرام الكوكبية فتارة يستدل على وجود الصانع بتقديرها
واحيازها وحركاتها وتارة بألوانها واضوائها وتارة بتأثيراتها في حصول الاضواء
والاغلال والظلمات والنور واما الدلائل المأخوذة من الاجرام العنصرية فاما ان تكون
مأخوذة من بسائط وهى مجاثب البر والبحر واما من المواليده وهى اقسام (احدها)
الآثار العلوية كازدوالبرق والمحاب والمطر والثلج والهواء وقوس قزح (وثانيها)
المعادن على اختلاف طبائدها وصفاتها وكيفياتها (وثالثها) النبات وخاصة الخشب
والورق والثمر واختصاص كل واحد منها بطبع خاص وطعم خاص وخاصة مخصوصة
(ورابعها) اختلاف احوال الحيوانات في اشكالها وطبائعها واصواتها وخلقتها
(وخامسها) تشريح ابدان الناس وتشريح القوى الانسانية وبيان المنفعة الحاصلة فيها
فهذه مجامع الدلائل ومن هذا الباب ايضا قصص الاولين وحكايات الاقدمين وان الملوك
الذين استولوا على الارض وخرّبوا البلاد وقهروا العباد ما توافلهم بقى من الدنيا خبر
ولا اثر ثم بقى الوزر والمقاب عليهم هذا ضبط انواع هذه الدلائل والكتاب المحتوى على
شرح هذه الدلائل هو شرح جلة العالم الاعلى والعالم الاسفل والعقل البشرى لافى
بالاحاطة به فلهاذا السبب ذكره الله تعالى على سبيل الابهام قال صاحب الكشف قرئ

صلى الله عليه وسلم قيل له ذلك (وماتسألهم عليهم) اى على
الانبياء اوعلى القرآن (من اجر) من جعل كايضه جلة الاخبار
(ان هو الا ذكر) غلطة من الله تعالى (للعالمين) كافة لان ذلك
مختص بهم (وكأين من آية) اى كائى عدد شئت من الايات
والعلامات الدالة على وجود الصانع ووجدته وكال عليه
وقدرته وحكمته غير هذه الاية لاني جئت بها (في السموات
والارض) اى كائى كائى فيها من الاجرام الفلكية وما فيها من
النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والاعمار وسائر ما في الارض ومن
المجاثب الفاتحة للعصر يرون عليها) اى يشاهدونها ولا
يعتونها لها وقد رى برفع الارض على الابدان يرون خبره وقد رى
بضمها على معنى يعطون الارض يرون عليها وفى مصحف عبد الله
والارض يشعشع عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الامم
المهلكة وغير ذلك من الايات والقرى (وهم عنها معرضون)
غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها (وما يرون اكثرهم بالله) فى
اقرارهم بوجوده وخالفته (الا وهم مشركون) بعبادتهم لغفله
او بتأخذهم الاخبار والهربان اربابا وولهم بتأخذ تعالى ولدا
سجانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بانور والظلمة وهى جلة
حالية اى لا يؤمن اكثرهم الا فى حال شركهم قيل نزلت الآية
فى اهل مكة وقيل فى المشافقين وقيل فى اهل الكتاب (فامؤمنوا)
تأثم غافلين عن عذاب الله اى عقوبة

من غير وازع (وظنوا انهم قد كذبوا) كذبهم انفسهم حين حدثهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم رجالهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتماثت حتى استعصروا القنوط وهما ان لانصر لهم في الدنيا (جاهم نصرنا) فجأة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وظنوا انهم قد اخلعوا ما وعدهم الله من النصر فان مع ذلك عده فعله اراد بالظن ما يغتر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانه اعبر عنه بالظن ثوبلا للخطب واما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من احاد الامة فان تلك بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم هم ومنزلتهم في معرفتهم الله سبحانه منزلتهم وقيل الضمير ان المرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسول وقرئ بالتشديد اي ظن المرسل ان القوم كذبوه فيما وعدوه وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على ان الضمير ان المرسل اي ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حذوهم لما تراضى عنهم ولم يروا له اثر او على الاول. لقومهم (فتبين من نشاء) هم المرسل والمؤمنون بهم وقرئ فتبين على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فيها (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) اذا نزل بهم وفيه بيان ان تلقى بهم المنيعة (لقد كان في قصصهم) اي قصص

الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون اعلم انه قرأ حفص عن عاصم نوحى بالنون والباقون بالياء افلا يعقلون قرأ نافع وابن كثير وابوعمر ورواية حفص عن عاصم تعقلون بالياء على الخطاب والباقون بالياء على الغائب واعلم ان من جملة شبه منكرى نبوته عليه الصلاة والسلام ان الله لو اراد ارسال رسول لبعث ملكا فقال تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من اهل القرى فلما كان الكل هكذا فكيف نجيبوا في حقك يا محمد والآية تدل على ان الله ما بعث رسولا الى الخلق من النساء وايضا لم يبعث رسولا من اهل البادية قال عليه الصلاة والسلام من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ثم قال افلم يسروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة وقوله ولدار الآخرة خبر والمعنى دار الحالة الآخرة لان الناس حالتين حال الدنيا وحال الآخرة ومثله قوله صلاة الاولى اي صلاة الفريضة الاولى واما بيان ان الآخرة خير من الاولى فقد ذكرنا دلالة مرارا في قوله تعالى (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فبهي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) اعلم انه قرأ عاصم وحجرة والكسائي كذبوا بالتخفيف وكسر الذال والباقون بالتشديد ومعنى التخفيف من وجهين (احدهما) ان الظن واقع بالقوم اي حتى اذا استيأس الرسل من ايمان القوم فظن القوم ان الرسل كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر فان قيل لم يجز قياس بقى ذكر المرسل اليهم فكيف يحسن عود هذا الضمير اليهم قلنا ذكر المرسل يدل على المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى في قوله افلم يسروا في الارض فينظروا كيف كان عابدة الذين من قبلهم فيكون الضمير عائدا الى الذين من قبلهم من مكذبي الرسل والظن ههنا بمعنى التوهم والحسبان (و الوجه الثاني) ان يكون المعنى ان الرسل ظنوا انهم قد كذبوا فيما وعدوا وهذا التأويل منقول عن ابن ابي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما قالوا واما كان الامر كذلك لاجل ضعف البشرية الا انه بعينه لان المؤمن لا يجوز ان يظن بالله الكذب بل يخرج بذلك عن الايمان فكيف يجوز مثله على الرسل واما قراءة التشديد ففيها وجهان (الاول) ان الظن بمعنى اليقين اي وايضا وان الامم كذبوه هم تكذبا لا يصدر منهم الايمان بعد ذلك فيئذ دعوا عليهم فهنا لك انزل الله سبحانه عليهم عذاب الاستئصال وورود الظن بمعنى العلم كثير في القرآن قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتيقنون ذلك (والثاني) ان يكون الظن بمعنى الحسبان والتقدير حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم فظن الرسل ان الذين آمنوا ايهم كذبوه وهذا التأويل منقول عن عائشة رضي الله عنها هو احسن الوجوه المذكورة في الآية روى ابن ابي مليكة نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال وظن الرسل انهم كذبوا لانهم كانوا يمشرون الى قوله حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه حتى نصر الله قال فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها فأنكرت وقالت ما وعد الله محمد اصلي الله عليه وسلم شيئا الا وقد علم انه سيوفيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا

من ان يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم وهذا الرد والتأويل في غاية الحسن من عائشة
واما قوله جاءهم نصرنا لى ابلف الحال الى الحد المذكور جاءهم نصرنا فقبحى من نشاء قرأ
عاصم وابن عامر فقبحى من نشاء بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء على ما لم يسم فاعله
واختاره ابو عبيدة لانه فى المصحف بنون واحدة وروى عن الكسائى ادغام احدى
النونين فى الاخرى وقرأ بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء قال بعضهم هذا خطأ
لان النون متحركة فلا تدغم فى الساكن ولا يجوز ادغام النون فى الجيم والباقون بنونين
وتخفيف الجيم وسكون الياء على الاستقبال على معنى ونحن نفعل بهم ذلك واعلم ان هذا
حكاية حال الاثرى ان القصصه فمماضى وانما حكى فعل الحال كما ان قوله هذا من شيعته
وهذا من عدوه اشارة الى الحاضر والقصة ماضية وقوله تعالى (لقد كان فى قصصهم عبرة
لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون) اعلم ان الاعتبار عبارة عن العبور من الطرف المعلوم الى الطرف
المجهول والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بقصصهم امور (الاول) ان الذى
قدر على اعزاز يوسف بعد القائه فى الحب واعلاؤه بعد حبسه فى السجن وتخليكه مصر بعد
ان كانوا يظنون به انه هبد لهم وجمعه مع والديه واخوته على ما أحب بعد المدة الطويلة
لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاؤه كنهه (الثانى) ان الاخبار عنه جار مجرى
الاخبار عن الغيب فيكون معجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الثالث) انه
ذكر فى اول السورة نحن نقص عليك حسن القصص ثم ذكر فى آخرها لقد كان فى قصصهم
عبرة لاولى الالباب تبينها على ان حسن هذه القصص انما كان بسبب انه يحصل منها العبرة
ومعرفة الحكمة والقدرة والمراد من قصصهم قصة يوسف عليه السلام واخوته وابيه
ومن الناس من قال المراد قصص الرسل لانه تقدم فى القرآن ذكر قصص سائر الرسل الا ان
الاولى ان يكون المراد قصة يوسف عليه السلام فان قيل لم قال عبرة لاولى الالباب مع ان
قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا ذوى عقول واحلام وقد كان الكثير منهم لم يعتبر بذلك
فلما ان جميعهم كانوا متمكنين من الاعتبار والمراد من وصف هذه القصص بكونها عبرة
كونها بحيث يمكن ان يعتبر بها العاقل او تقول المراد من اولى الالباب الذين اعتبروا
وتفكروا وتأملوا فيها وانفعوا بعرفتها لا اولى الالباب لفظ يدل على المدح والثناء فلا
يليق الابعاد كثرناه واعلم انه تعالى وصف هذه القصص بصفات (الصفة الاولى) كونها
عبرة لاولى الالباب وقد سبق تقريره (الصفة الثانية) قوله ما كان حديثا يفترى وفيه قولان
(الاول) ان المراد الذى جاء به وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان يفترى لانه لم يقرأ
الكتب ولم يتلذ احد ولم يخاطب العلماء فى الحال ان يفترى هذه القصص بحيث تكون مطابقة
لما ورد فى التوراة من غير تفاوت (والثانى) ان المراد انه ليس بكذب فى نفسه لانه لا يصح
الكذب منه ثم انه تعالى أكد كونه غير مفترى فقال ولكن تصديق الذى بين يديه وهو

الانباء وأعمهم وينصروه فراءت من
قرأ بكسر القاف او قصص يوسف
واخوته (عبرة لاولى الالباب)
لذوى العقول المبرأة عن شوائب
احكام الحس (ما كان) اى
القرآن المدلول عليه بما سبق
لدلالة واخوة (حديثا يفترى
ولكن) كان (تصديق الذى بين
يديه) من الكتب المحسوبة
وقرى بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف اى ولكن هو تصديق
الذى بين يديه (وتفصيل كل شىء)
ما يحتاج اليه فى الدين اذ ما من
امر دينى الا وهو يستند الى
القرآن بالذات او بوسط
(وهدى) من الضلالة (ورحمة)
ينال بها خير الدارين (لقوم
يؤمنون) اى يصدقونه لانهم
المتشققون به وامان عداهم فلا
يهتدون بهداء ولا يشفقون
بمداوئه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم علموا اركانهم سورة
يوسف فانه اعلم تلتها وعلمها
اهله وما ملكت بينه هون الله
عليه سكرات الموتى اعطاء القوة
ان لا يصعد منها

مكية الاقوله ويقول الذين كفروا الآية وآياتها خمس واربعون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم) اسم للسورة وجعله اما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذه السورة سميت بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالسمية كما مر مرارا وقوله تعالى (تلك) على الوجه الاول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وابتدأ من الاول اشير به اليه ايندنا بفخاضه واما النصب فتقدير فصل يناسب المقام نحو اقرأ او اذكر تلك مبتدأ كما اذا جعل المر مسرودا على عط المتعدي او بمعنى ان الله اعاد اى على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والخبير على التقدير قوله تعالى (آيات الكتاب) اى الكتاب العظيم الكامل الذى عن الوصف به الحروف بذلك من بين الكتب الحقيقى باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حيثنحسباً مرقى مطلع سورة يونس اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستثنى عن النعت وبه يظهر ما لم يرد من وصف الآيات بوصف ما اضيفت اليه من لموت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست تلك المتابعة من الشبهة فى الاتصال بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى الكل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من النصف الذى مرقصصه فى سورة يونس (والذى

اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما فى التوراة وسائر الكتب الالهية ونصب تصديقا على تقدير ولكن كان تصديق الذى بين يديه كقوله تعالى ما كان محمداً باحد من رجالكم ولكن رسول الله قاله القراء والزجاج ثم قال ويجوز رفعه فى قياس النحو على معنى ولكن هو تصديق الذى بين يديه (الصفة الثالثة) قوله وتفصيل كل شئ وفيه قولان (الاول) المراد وتفصيل كل شئ من واقعة يوسف عليه السلام مع ابيه واخوته (والثانى) انه ما دالى كل القرآن كقوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ فان جعل هذا الوصف وصفا لكل القرآن أبقى من جملة وصف القصة يوسف وحده واما يكون المراد ما يتضمن من الحلال والحرام وسائر ما ينصل بالدين قال الواحدى على التفسيرين جميعا فهو من العام الذى اريد به الخاص كقوله ورحمتى وسعت كل شئ يريد كل شئ يجوز ان يدخل فيها قوله وأوتيت من كل شئ (الصفة الرابعة والخامسة) كونها هدى فى الدنيا وسلبا لحصول الرحمة فى القيامة لقوم يؤمنون خصهم بالذكرا لانهم هم الذين اتفقوا به كآقروناه فى قوله هدى للمتقين والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب قال المصنف رحمه الله تعالى تم تفسير هذه السورة بحمد الله تعالى يوم الاربعاء السابع من شعبان ختم بخاتم والرضوان سنة احدى وستمائة وقد كنت ضيق الصدر جدا بسبب وفاة الولد الصالح محمد تفجده الله بالرحمة والغفران وخصه بدرجات الفضل والاحسان و ذكرت هذه الآيات فى مرثيته على سبيل الایجاز

فلو كانت الاقدار منقادة لنا * فدينناك من جاك بالروح والجسم
ولو كانت الاملاك تأخذ رشوة * خضعنا لها نازق فى الحكم والاسم
ولكنه حكم اذا احان حينه * سرى من مقر العرش فى لجنة اليم
سأبى عليك العبر بالدم دأما * ولم اعرف عن ذاك فى الكيف والكم
ملام على قبر دفنت بتربه * واتحلفك الرجن بالكرم الجم
وما صدق من جعل جفنى مدقناه جسمك * الا انه أبدا يهيمى
واقسم ان مسوار فأتى ورمى * احسوا بانار الحزن فى مكمن العظم
حياتى وموتى واحد بعدكم * بل الموت أولى من مداومة النعم
رضيت بما مضى الاله بحكمه * لعلى بأنى لا يمحوا زنى حكمى

وانا اوصى من طالع كتابى واستفاد ما فيه من الفوائد النفيسة العالية ان يخص ولدى ويخصنى بقراءة الفائضة ويدعو لمن قدمات فى غربة بعيدا عن الاخوان والاب والام بالرحمة والغفرة فأتى كنت ايضا كثير الدماء لمن فعل ذلك فى حقى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آمين والحمد لله رب العالمين
* (سورة الرعد اربعون وثلاث آيات مكية) *

سوى قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وقوله ومن عنده علم

الكتاب قال الاصم هي مدينة بالاجاج سوى قوله تعالى ولوان قرأنا سيرت به الجبال
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ المرتك آيات الكتاب والذى انزل اليك من ربك الحق ولكن
 اكثر الناس لا يؤمنون اعلم اننا قد تكلمنا في هذه الالفاظ قال ابن عباس رضى الله
 عنهما معناه ان الله اعلم وقال في رواية عطاء ان الله الملك الرحمن وقد املها ابو عمرو
 والكسائي وغيرهما فجمعها جاعة منهم عاصم وقوله تلك اشارة الى آيات السورة المسماة
 بالرحم قال انها آيات الكتاب وهذا الكتاب الذى اعطاه محمد بأن ينزله عليه ويجعله قابلا
 على وجه الدهر وقوله والذى انزل اليك من ربك مبتدأ وقوله الحق خبره ومن الناس من
 تمسك بهذه الآية في نفي القياس فقال الحكم المستنبط بالقياس غير نازل من عند الله
 واللكان من لم يحكم به كافر بالقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون
 وبالاجاج لا يكفر ثبت ان الحكم المتيقن بالقياس غير نازل من عند الله وان كان كذلك
 وجب ان لا يكون حقا لاجل ان قوله والذى انزل اليك من ربك الحق يقتضى انه لاحق
 الاما انزل الله فكل ما لم ينزل الله وجب ان لا يكون حقا وان لم يكن حقا وجب ان يكون
 باطلا لقوله تعالى فاذا بعد الحق الا الضلال ومثبو القياس يحبون عنه بأن الحكم
 المتيقن بالقياس نازل ايضا من عند الله لانه لما امر بالعمل بالقياس كان الحكم الذى دل
 عليه القياس نازلا من عند الله ولما ذكر تعالى ان المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو
 الحق بين ان اكثر الناس لا يؤمنون به على سبيل الجزو والتهديد ﴿قوله تعالى﴾ الله الذى
 رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وصهر الشمس والقمر كل يجرى
 لاجلسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلمكم ببقاء ربكم توتون اعلم انه تعالى لما ذكر
 ان اكثر الناس لا يؤمنون ذكر عقبيه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وهو هذه الآية
 وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشف الله مبتدأ والذى رفع السموات
 خبره بدليل قوله وهو الذى مد الارض ويجوز ان يكون الذى رفع السموات صفة وقوله
 يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وقال الواحدى العهد الاساطين وهو جمع عماد
 يقال عماد وعمد مثل اهاب وأهب وقال الفراء العهد والعمد جمع العمود مثل آدم وادم
 وادم وقضيم وقضم وقضم والعمد والعمود ما يعمده الشئ ومنه يقال فلان عمد قومه
 اذا كانوا يعتمدونه فيما بينهم (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى امتدل بأحوال السموات
 وبأحوال الشمس والقمر وبأحوال الارض وبأحوال النبات اما الاستدلال بأحوال
 السموات بغير عمد ترونها فالمتى ان هذه الاجسام العظيمة بقيت واقفة في الجوالعالى
 ويستحيل ان يكون بقاؤها هناك لاعباتها ولذواتها لوجهين الاول ان الاجسام
 متساوية في تمام الماهية ولو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصول كل جسم
 في ذلك الحيز والثاني ان الخلائق لا نهاية لها لاجاز المعرصة في ذلك اخلاء الصفر غير
 متناهية وهى بأسرها متساوية ولو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصوله في

انزل اليك من ربك اى الكتاب
 المذكور بكماله لاهذه السورة
 وحدها (الحق) الثابت المطابق
 للواقع في كل مناطق بالحقيق بأن
 يخص به الحقيقة لمرافته فيها
 وليس فيه ما يدل على ان معناه
 ليس بحق أصلا على ان حقيقته
 مستتجة لحقيقة سائر الكتب
 السعوية لكونه مصدقا لما بين
 يديه ومعيناعليه وفي التعبير عنه
 بالموصول واسناد الانزال اليه
 بصيغة المثنى للمقول والتعرض
 لوصف الربوبية معناه اني خبره
 عليه السلام من الدلالة على لخاصة
 المنزل التابعة لجلالة شأن القول
 وتكرير المنزل اليه والايمان اليه
 وجه بناء الخبر مالا يخفى (ولكن
 اكثر الناس لا يؤمنون) بذلك
 الحق المبين لاختلافهم بالنظر
 والتأمل فيه فعدم ايمانهم متعلق
 بعنوان حقيقته لانه المرجح
 للتصديق والتكذيب لايعتوان
 كونه مبتدأ كقائل ولانه وارده على
 طريقة الوصف دون الاخبار
 (الله الذى رفع السموات) اى
 خلقهن مرتفعات على طريقة
 قولهم سبحانه من بكر الغيل وصغر
 الجوض لانه رفعها بعد ان لم
 تكن كذلك والجهة مبتدأ وخبر
 كقوله وهو الذى مد الارض (بغير
 عمد) اى بغير دعائم جمع عماد
 كاهاب واهب وهو ما يعمدهاى
 يستدل يقال عمدت الحائط اى
 ادعمتوقرى عمد على جمع عمد
 يعنى عماد كرسول ورسول وارساد
 صيغة الجمع لجمع السموات لان
 النفي عن كل واحدة منها عمد
 لامعاد (ترونها) استئناف
 استشهاده على ما ذكر من رفع

لعمد حتى بها ايها ما لان لها
 عدا غير مرئية هي قدرة الله
 تعالى (ثم استوى) اى استولى
 (على العرش) بالحفظ والتدبير
 واستوى اسمه وعن احصائها
 ان الاستواء على العرش صفة لله
 من وجل بلا كيف وبما كان
 فليس المراد به التقصيد الى
 إيجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى
 جعل كلمة للتراخي في الرتبة (ومعشر
 الشمس والقمر) ذلك ليعلموا جعلهما
 طائفتين لا يردنهما من الحركات
 وغیرها (كل من الشمس والقمر
 يجرى) حسابا يردنهما (لاجل
 مسمى) لمدة معينة فيها تم دورته
 كالسنة للشمس والشهر للقمر فان
 كلامهما يجرى كل يوم على مدار
 معين من المدارات اليومية اولدة
 ينتهى فيها حركاتهما ويخرج
 جميع ما يردنهما من القوة الى
 الفعل اولفاية يتم عندها ذلك
 والجملة ببيان الحكم تضيروهما
 (يدري) بما صنع من الرفع والاستواء
 والتضيرواى يقضى ويقدر حسبا
 تقتضيه الحكمة والمصلحة
 (الامر) امر الخلق كله وامر
 ملكوته وروبيته (يفصل الآيات)
 الدالة على كمال قدرته وببالغ حكمته
 اى اى بها مفصلة وهي ما ذكر
 من الاعمال الصبيحة وما يتلوها من
 الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا
 فشيئا المستتمة لا تكرر العربية
 في السفيات على موجب التدبير
 والتقدير فالجملتان اما لان من
 ضيرو استوى وقوله وسفر الشمس
 والقمر من ثمة الاستواء واما
 مفسر تان له او الاولى حال منه
 والثانية من الضيرو او كلاهما
 من ضمائر

جميع الاحياز ضرورة ان الاحياز بأسرها متشابهة فثبت ان حصول الاجرام الفلكية
 في احيازها وجهتها ليس امرا واجبا لذاته بل لابد من مخصص ومرجح ولا يجوز ان يقال
 انها بقيت بسلسلة فوقها ولا عمدتها والاعمال الكلام في ذلك الحافظ ولزم المرور الى
 ما لا نهاية له وهو محال فثبت ان يقال الاجرام الفلكية في احيازها العالية لاجل ان مدبر
 العالم تعالى وتقدس وقفها هناك فهذا برهان قاهر على وجود الاله القاهر القادر ويدل
 ايضا على ان الاله ليس بجسم ولا مخصص بحيز لانه لو كان حاصلا في حيز معين لامتنع
 ان يكون حصوله في ذلك الحيز لذاته ولعينه لما بينا ان الاحياز بأسرها متساوية فيمتنع
 ان يكون حصوله في حيز معين لذاته فلا بد وان يكون بتخصيص مخصص وكل ما حصل
 بالفاعل المختار فهو محدث فاخصاصه بالحيز المعين محدث وذاته لا تنفك عن ذلك
 الاختصاص وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث فثبت انه لو كان حاصلا في الحيز المعين لكان
 حادثا وذلك محال فثبت انه تعالى متعال عن الحيز والجهة وايضا كل ماسا له فهو
 سماء فلو كان تعالى موجودا في جهة فوق جهة لكان من جملة السماوات فدخل تحت
 قوله الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها فكل ما كان مخصصا بجهة فوق جهة فهو
 محتاج الى حفظ الاله بحكم هذه الآية فوجب أن يكون الاله منزها عن جهة فوق اما قوله
 ترونها ففيه أقوال (الاول) انه كلام مستأنف والمعنى رفع السماوات بغير عمد ثم قال ترونها
 أى وأنتم ترونها اى مرفوعة بلا عمد (الثاني) قال الحسن في تقرير الآية تقديم وتأخير
 تقديره رفع السماوات ترونها بغير عمد واعلم انه اذا أمكن حمل الكلام على ظاهره كان
 المصدر الى التقديم والتأخير غير جائز (الثالث) ان قوله ترونها صفة للعمد والمعنى بغير عمد
 مرئية أى السماوات عمدوا لكن لا تراها قالوا ولها عمد على جبل قاف وهو جبل من زبرجد
 محيط بالدينا ولكنكم لا ترونها وهذا التأويل في غاية السقوط لانه تعالى ائما ذكر هذا
 الكلام ليكون حجة على وجود الاله القادر ولو كان المراد ما ذكره لما ثبت الحجة لانه
 يقال ان السماوات لما كانت مستقرة على جبل قاف فأى دلالة لتبوءها على وجود الاله
 وعندى فيه وجه آخر أحسن من الكل وهو ان العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على ان هذه
 الاجسام المتماثلة واقفة في الجو العالي بقدرة الله تعالى وحينئذ يكون عمدها هو قدرة
 الله تعالى فتج ان يقال انه رفع السماء بغير عمد ترونها اى لها عمد الحقيقة الان تلك العمد
 هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وبقاؤه اياها في الجو العالي واتهم لا يرون ذلك التدبير
 ولا يعرفون كيفية ذلك الامساك * واما قوله ثم استوى على العرش فاعلم انه ليس المراد
 منه كونه مستقرا على العرش لان المقصود من هذه الآية ذكر ما يدل على وجود الصانع
 ويجب ان يكون ذلك الشيء مشاهدا معلوما وان احدا ما رأى انه تعالى استقر على العرش
 فكيف يمكن الاستدلال به عليه وايضا بتقدير ان يشاهد كونه مستقرا على العرش الآن
 لك لا يشعر بكمال حاله وغاية جلاله بل يدل على احتياجه الى المكان والحيز وايضا فهذا

يدل على انه ما كان بهذه الحالة ثم صار بهذه الحالة وذلك يوجب التغير وايضا الاستواء
ضد الاعوجاج فظاهر الآية يدل على انه كان معوجا مضطربا ثم صار مستويا وكل ذلك
على الله محال ثبت ان المراد استوائه على عالم الاجسام بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ
يعنى ان من فوق العرش الى ماتحت الترى في حفظه وفي تدبيره وفي الاحتياج اليه * واما
الاستدلال بأحوال الشمس والقمر فهو قوله سبحانه وتعالى وسخر الشمس والقمر كل يجري
لاجل مسمى * واعلم ان هذا الكلام اشتمل على نوعين من الدلالة (الاول) قوله وسخر الشمس
والقمر وحاصله يرجع الى الاستدلال على وجود الصانع القادر القاهر بحركات هذه
الاجرام وذلك لان الاجسام متعائلة فهذه الاجرام قابلة للحركة والسكون فاختصاصها
بالحركة الدائمة دون السكون لابلده من مخصص وايضا ان كل واحدة من تلك الحركات
مخصصة بكيفية معينة من البطء والسرعة فلا بد ايضا من مخصص لاسيما عند من يقول
الحركة البطيئة معناها حركات مخلوطة بسكنات وهذا يوجب الاعتراف بأنها تتحرك
في بعض الاحياز وتسكن في البعض فخصول الحركة في ذلك الخير المعين والسكون في الخير
الآخر لا بد فيه ايضا من مرجع (الوجه الثالث) وهو ان تقدير تلك الحركات والسكنات
بقادير مخصوصة على وجه يحصل عوداتها وادوارها متساوية بحسب المدة حالة تجب
فلا بد من مقدر (الوجه الرابع) ان بعض تلك الحركات مشرقية وبعضها مغربية وبعضها
مائلة الى الشمال وبعضها مائلة الى الجنوب وهذا ايضا لا يتم الا بتدبير كامل وحكمة بالغة
النوع الثاني من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله كل يجري لاجل مسمى وفيه
قولان (الاول) قال ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلا كل يوم لها منزل وذلك يتم في ستة
اشهر ثم انها تعود مرة اخرى الى الواحد منها في ستة اشهر اخرى وكذلك القمر له ثمانية
وعشرون منزلا فالمراد بقوله كل يجري لاجل مسمى هذا * وتحقيقه انه تعالى قدر لكل
واحد من هذه الكواكب سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء
ومتى كان الامر كذلك لزم ان يكون لها بحسب كل لحظة ولحظة حالة اخرى ما كانت
حاصلة قبل ذلك (القول الثاني) ان المراد كونها متحركين الى يوم القيامة وعند مجيء ذلك
اليوم تنقطع هذه الحركات وتبطل تلك السيرات كما وصف الله تعالى ذلك في قوله اذا الشمس
كورت واذا النجوم انكدرت واذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت وجعل الشمس
والقمر وهو قوله سبحانه وتعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انه تعالى لما ذكر هذه
الدلائل قال يدبر الامر وكل واحد من المفسرين حل هذا على تدبير نوع آخر من احوال
العالم والاولى حله على الكل فهو يدبرهم بالابتعاد والاعدام والاحياء والاماتة والاغناء
والافتقار ويدخل فيه اثر الالهي وبعثة الرسل وتكليف العباد وفيه دليل عجيب على كل
القدرة والرحمة وذلك لان هذا العالم المعلوم من اعلى العرش الى ماتحت الترى انواع
واجناس لا يحيط بها الا الله تعالى والدليل المذكور دل على ان اختصاص كل واحد منها

الافعال المذكورة وقوله كل
يجري لاجل مسمى من تمة
التدبير او خبر ان عن قوله الله
خبر بعد خبره والموصول صفة للتدبير
بهي بالدلالة على تحقيق التدبير
وتعظيم شأنه كما في قول الفرزدق
ان الذي سمك السماء بني لنا
يشاد عاهه اهر واطول
(للكم) عند ممانتك لها وعثورك
على تقاضيلها (بلاقاء ربكم)
بملاقاة للجزاء (توقنون) فان من
تدبر احق التدبر المقتن ان من
قدر على ابداع هذه الصنائع
اليدمية على كل شيء قدير وان
لهذه التدبيرات الثلاثة عواقب
وعايات لا بد من وصولها وقد ثبتت
على السنة الانبياء عليهم السلام
ان ذلك ابتلاء للكافرين ثم جزاؤهم
حسب اعمالهم فان لا بد من
الايقان بالجزاء والمقرر للشواهد
العلوية ودفعها بذكر الدلائل
النفعية فقال (وهو الذي مد
الارض) اي بسطها واولا عرضنا
قال الاصم المدهو البسط الى المالا
يدرك منتهاه فبيد دالة على بعد
مدها وسعة اقطارها (وجعل فيها
رواسي) اي جبالا لا توابت في
احيازها من الرسو وهو ثبتت
الاجسام الثقيلة ولم يذكروا
الموصوف لا غناء غلبة الوصف
بها عن ذلك والمحصار مجيء
فواعل جمعا للفاعل في فوارس
وهو الكس ونواكس انما هو في
صفات العقلاء وما في غيرهم فلا
يراهي ذلك اسلاك في قوله تعالى
اياما معد ودات وقوله الخ اشهر
معلومات الى غير ذلك فلا حاجة
الى ان يجعل مفردها صفة
لجميع القلة اعني اجبالا ويتركب جمع

لطائفة من جوع القلة وتذليل كل منها منزلة مفرد لها كقيل على انه لا مجال لذلك فان جعية كل من صفي الجمعين اعماهي باعتبار الافراد التي تنحصر لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لان جبالا جمع اجبل كان طوائف جمع طائفة ولان ان يتجلى جعل الوصف المذكور بالقلة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كائن على انه لا وجه له لان القلة انما هي في الجمع دون المفرد والتميز من الحال بهذا العنوان ليس ان تفرع قراد الارض على ثلثها (وانهارا) مجارى واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي نظامها مع الجبال في معمولة فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشأ الانهار وبين لقاعدة اخرى للجبس لا غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب لتحل نبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي تعيش بالماء والكلال (ومن كل الثمرات) متعلق بمحمل في قوله تعالى (جعل فيها زوجين اثنين) اي اثنتي عشرة حقيقة وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الاخر واكد به الزوجين لثلاث فبهم ان المراد بذلك الشفعان ان يطبق الزوج على المجموع ولكن اثنتي عشرة ذلك اثنتي عشرة اعتبارية اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصفين اما في اللون كالابيض الاسود اوفي الطعم كالخلو والحامض اوفي القدر كالصغير والكبير اوفي الكيفية

بوضعه وهو وضعه وصفته وطبيعته وحليته ليس الامن الله تعالى ومن المعلوم ان كل من اشتغل بتدبير شيء فانه لا يمكنه تدبير شيء آخر الا بالبارى سبحانه وتعالى فانه لا يشغله شأن عن شأن اما العاقل فانه اذا تأمل في هذه الآية علم انه تعالى يدبر عالم الاجسام وعالم الارواح ويدبر الكبير كما يدبر الصغير فلا يشغله شأن عن شأن ولا يمنعه تدبير عن تدبير وذلك يدل على انه تعالى في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته غير مشابه للمحدثات والممكنات ثم قال بفصل الآيات وفيه قولان (الاول) انه تعالى بين الآيات الدالة على الهيئته وعلمه وحكمته (والثاني) ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسيمان احدهما الموجودات الباقية الدائمة كالافلاك والشمس والقمر والكواكب وهذا النوع من الدلائل هو الذي تقدم ذكره والثاني الموجودات الحادثة المتغيرة وهي الموت بعد الحياة والقبر بعد الفنى والهرم بعد الصحة وكون الاحق في أهنأ العيش والعاقل الذكي في اشد الاحوال فهذا النوع من الموجودات والاحوال دلالتها على وجود الصانع الحكيم ظاهرة باهرة وقوله بفصل الآيات اشارة الى انه يحدث بعضها عقيب بعض على سبيل التغير والتفصيل ثم قال لعلمكم بلفاء ربكم وتوفون واعلم ان الدلائل المذكورة كاندل على وجود الصانع الحكيم فهي ايضا تدل على صحة القول بالحشر والنشر لان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها على عظمتها وكثرتها فلا ن يقدر على الحشر والنشر كان اولي يروى ان رجلا قال لعلى بن ابي طالب رضوان الله عليه انه تعالى كيف يحاسب الخلق دفعة واحدة فقال كبر زعيم الآن دفعة واحدة وكما يسمع نداءهم ويجب دعاءهم الآن دفعة واحدة وحاصل الكلام انه تعالى كاقدر على ابقاء الاجرام الفلكية والنيرات الكوكبية في الجو العالي وان كان الخلق عاجزين عنه وكما يمكنه ان يدبر من فوق العرش الى ما تحت الثرى بحيث لا يشغله شأن عن شأن فكذلك يحاسب الخلق بحيث لا يشغله شأن عن شأن ومن الاحصاء من تمسك بلفظ اللقاء على رؤية الله تعالى وقدم تقريره في هذا الكتاب مرارا وطوارا

قوله تعالى (وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) اعلم انه تعالى لما قرر الدلائل السماوية اردفها بتقرير الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض واعلم ان الاستدلال بمخلقه الارض واحوالها من وجوه (الاول) ان الشيء اذا تزايد حجمه ومقداره صار كائن ذلك الحجم وذلك المقدار بمنتهى قوله وهو الذي مد الارض اشارة الى ان الله سبحانه هو الذي جعل الارض مختصة بذلك المقدار المعين الحاصل له لا ازيد ولا نقص والدليل عليه ان كون الارض ازيد مقدارا مما هو الآن وانقص منه امر جائز ممكن في نفسه فاختصاصه بذلك المقدار المعين لا بد ان يكون بتخصيص وتقدير مقدر (الثاني) قال ابو بكر الاصم المدهو البسط الى ما لا يدرك منتهى قوله وهو الذي مد الارض يشعر بأنه تعالى جعل حجم الارض جمعا عظيما لا يقع البصر على منتهى لان الارض لو كانت

كالجار والبارد وما أشبه ذلك

ويجوز أن يتعلق ببعض الأول ويكون الثاني استثناء البيان كقصة ذلك الجبل (يقش الجبل النهار) استعارة تجعية تمثيلية مبنية على تشبيه إزالة نور الجو بالظلمة بتغطية الأشياء الظاهرة بالظلمة أي يستر النهار بالليل والتوكيد وإن احتمل العكس أيضا بالحل على تقديم القول الثاني على الأول فإن ضوء النهار أيضا استر الظلمة الليل إلا أن الأنسب بالليل أن يكون هو الغاشي وعند هذا في تضاعيف الآيات السلفية وإن كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا باعتبار أن ظهوره في الأرض فإن الليل إنما هو ظلهما وفيما فوق موقع ظلها لا ليل أصلا ولأن الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث القصد والانفعال على الهمما أيضا وجان متقابلان مثلها وقرى يقش من النفسية (أن في ذلك) أي فيما ذكر من مدار الأرض وإسدادها بالرواسي وأجراء الألهار وخلق الجرات وأغشاء الليل النهار وفي الإشارة بذلك تنبيه على عظم شأن المشار إليه في باب (الآيات) باهرة وهي آثار تلك الأفاعيل البديعة جلست حكمة صانها في على معناها فإن تلك الآثار مستقرة في تلك الأفاعيل منوط بها ويجوز أن يشار بذلك إلى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الأفاعيل في تيميز بديهة (لقوم يتفكرون) فإن التفكر فيها يؤدي إلى الحكم بأن تكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والأسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويمتاز

اصفر جماعها أي الآن عليه لما كل الانفعال به (الثالث) قال قوم كانت الأرض مدورة فدها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا وقال آخرون كانت مجتمعة عند البيت المقدس فقال لها اذهبي كذا وكذا أعلم أن هذا القول انما تم إذا قلبت الأرض مسطحة لا كرة واصحاب هذا القول احتجوا عليه بقوله والارض بعد ذلك دحاها وهذا القول مشكل من وجهين الأول أنه ثبت بالدلائل أن الأرض كرة فكيف يمكن المكابرة فيه فإن قالوا وقوله مد الأرض ينافي كونها كرة فكيف يمكن مدّها قلنا لا نسلم أن الأرض جسم عظيم والكرة إذا كانت في غاية الكبركان كل قطعة منها تشهد كالسطح والتفاوت الحاصل بينه وبين السطح لا يحصل إلا في علم الله ألا ترى أنه قال والجبال أو تادا فجعلها أو تادا مع أن العالم من الناس يستقرون عليها فكذلك هنا والثاني أن هذه الآية إمّا ذكرت ليستدل بها على وجود الصانع والشرط فيه أن يكون ذلك أمرا مشاهدا معلوما حتى يصح الاستدلال به على وجود الصانع وكونها مجتمعة تحت البيت أمر غير مشاهد ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع فثبت أن التأويل الحق هو ما ذكرناه والنوع الثاني من الدلائل الاستدلال بأحوال الجبال واليه الإشارة بقوله وجعل فيها رواسي من فوقها ثابتة باقية في أحيائها غير متقلبة عن أماكنها يقال رساهذا الوتد وأرسينته والمراد ما ذكرناه وأعلم أن الاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القصادر الحكيم من وجوه (الأول) أن طبيعة الأرض واحدة فمحصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض لا بد وأن يكون بتخليق القادر الحكيم قالت الفلاسفة هذه الجبال إنما تولدت لأن البحار كانت في هذا الجانب من العالم فكانت تتولد في البحر طبنا لزجاجم يقوى تأثيرا لشمس فيها فيقلب حجرا كما يشاهد في كوز الفقاع ثم إن الماء كان يغور ويقل فيتحجر البقية فلهذا السبب تولدت هذه الجبال قالوا وإنما كانت البحار حاصلة في هذا الجانب من العالم لأن أوج الشمس وحضيضها متحركان في الدهر الأقدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال والشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب إلى الأرض فكان التسخين أقوى وشدة السخونة توجب انجذاب الرطوبات فيعين كان الحضيض في جانب الشمال كانت البحار في جانب الشمال والآن لما انتقل الأوج إلى جانب الشمال والحضيض إلى جانب الجنوب انتقلت البحار إلى جانب الجنوب فثبتت هذه الجبال في جانب الشمال هذا حاصل كلام القوم في هذا الباب وهو ضعيف من وجوه (الأول) أن حصول الطين في البحر أمر عام ووقوع الشمس عليها أمر عام فلم يحصل هذا الجبل في بعض الجوانب دون البعض (والثاني) وهو أن شاهد في بعض الجبال كأن تلك الأجار موضوعة سافسا فثبات البناء لثبات كثيرة موضوع بعضها على بعض وبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الذي ذكره (والثالث) أن أوج الشمس الآن قريب من أول السرطان فعلى هذا من الوقت الذي انتقل أوج الشمس إلى الجانب

الجيد (وفي الأرض قطع)
 جهة مستأنفة مشبهة على طائفة
 أخرى من الآيات أي بقاع
 كثيرة مختلفة في الأوصاف فمن
 طيبة إلى صخرية إلى زهيدة
 وصلية إلى رخوة إلى غير ذلك
 (متجاورات) أي متلاصقات
 وفي بعض المصاحف قطعاً
 متجاورات أي جعل في الأرض
 قطعاً (وجنات من أعناب) أي
 بساكنين كثيرة منها (وزرع)
 من كل نوع من أنواع الحبوب
 وأفراده مراعاة أصله وليس
 تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه
 عمود العاش لظهور حالها في
 اختلافها ومباينتها لسائر
 ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله
 تعالى (ونخيل) للإيقاع بينها
 وبين صفتها وهي قوله تعالى
 (صنون وغير صنون) فاصلة
 والصنونا جمع صنو كقنوان
 وقنو وهي الخلة التي لها رأسان
 وأصلها واحد وقرئ بضم
 الصاد على لغة بني نهم وقيس
 وقرئ جنات بالنصب عطفاً
 على زوجين والجر على كل الثمرات
 فلمل عدم نظم قوله تعالى
 وفي الأرض قطع متجاورات
 في هذا السلك مع أن اختصاص
 كل من تلك القطع بما لها من
 الأحوال والصفات يحض
 جعل الخالق الحكيم جلته قدرته
 حين مد الأرض ودحاها للإيمان
 إلى كون تلك الأحوال صفات
 وأعضاء لتلك القطع وقرئ
 وزرع ونخيل بالجر عطفاً على
 أعناب أوجبات (يسقي) أي
 ما ذكر من القطع والجنات
 والزرع والنخيل وقرئ بالتأنيث
 مراعاة للفظ الأول أو في مقام

التشبيح مضي قريب من تسعة آلاف سنة وبهذا التقدير أن الجبال في هذه المدة
 الطويلة كانت في التفتت فوجب أن لا يبق من الأحجار شيء لكن ليس الأمر كذلك فعلمنا
 أن السبب الذي ذكره ضعيف (الوجه الثاني) من الاستدلال بأحوال الجبال على
 وجود الصانع ذي الجلال ما يحصل فيه من معادن الفلزات السبعة ومواضع الجواهر
 النفيسة وقد يحصل فيها معادن الزاجات والأملاح وقد يحصل فيها معادن النفط والنفير
 والكبريت فكون الأرض واحدة في الطبيعة وكون الجبل واحداً في الطبع وكون
 تأثير الشمس واحداً في الكل يدل دليلاً ظاهراً على أن الكل بتقدير قادر قادر متعال عن
 مشابهة المحدثات والممكنات (الوجه الثالث) من الاستدلال بأحوال الجبال أن يسببها
 تولد الأنهار على وجه الأرض وذلك أن الحجر جسم صلب فإذا تصاعدت البخارة من قعر
 الأرض ووصلت إلى الجبل احتسبت هناك فلا تزال تتكامل فيحصل تحت الجبل مياه
 عظيمة ثم انفال كثرتها وقوتها تنقب وتخرج وتسيل على وجه الأرض فنفقة الجبال في
 تولد الأنهار هو من هذا الوجه ولهذا السبب في أكثر الأمر انما ذكر الله الجبال قرن بها
 ذكر الأنهار مثل ما في هذه الآية ومثل قوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقينكم ماء
 فراتا (والنوع الثالث) من الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بعجائب خلقه
 النبات والبهائم الإشارة بقوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين وفيه مسائل (المسئلة
 الأولى) أن الحبة إذا وضعت في الأرض واثرت فيها تداوة الأرض ربت وكبرت وبسبب
 ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة في الهواء ويخرج
 من الشق الأسفل العروق الفاتصة في أسفل الأرض وهذا من العجائب لأن طبيعة تلك
 الحبة واحدة وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد ثم نخرج من الجانب
 الأعلى من تلك الحبة جرم صاعد إلى الهواء ومن الجانب الأسفل منه جرم فاقص في
 الأرض ومن المحال أن تولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا أن ذلك إنما
 كانت بسبب تدبير المدبر الحكيم والمقدر القديم لا بسبب الطبع والخاصية ثم إن الشجرة
 النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشباً وبعضها يكون نورا وبعضها يكون ثمرة ثم إن تلك
 الثمرة أيضاً يحصل فيها الأجسام مختلفة الطبائع فالجوز له أربعة أنواع من القشور فالقشر
 الأعلى وتحت القشرة الخشبية وتحت القشرة المحيطة باللبه وتحت تلك القشرة قشرة
 أخرى في غاية الرقة تتمازجما فوقها حال كون الجوز رطباً وإيضاً فيحصل في الثمرة
 الواحدة الطبائع المختلفة فالأترج قشره حار رطب ولحمه حار رطب وجباضه بارد يابس
 وبزره حار يابس ونوره حار يابس وكذلك العنب قشره وعججه باردان يابسان ولحمه وماءؤه
 حاران رطبان فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع
 وتأثيرات الأنجم والأفلاك لا بد وأن يكون لاجل تدبير الحكيم القادر القديم (المسئلة
 الثانية) المراد بزوجين اثنين صنفين اثنين والاختلاف إما من حيث الطعم كما جللو

والخامس او الطبيعة كالخار والبارد والون كالابيض والاسود فان قيل الزوجان لابد وان يكونا اثنين فالقائمة في قوله زوجين اثنين قلنا قيل انه تعالى اول ما خلق العالم وخلق فيه الاشجار خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم ان المراد النوع او الشخص اما لما قلنا اثنين علما ان الله تعالى اول ما خلق من كل زوجين اثنين لاقل ولازيد والحاصل ان الناس فهم الآن كثرة لانهم لما ابتدوا من زوجين اثنين بالشخص هما آدم وحواء فكذلك القول في جميع الاشجار والزرع والله اعلم * النوع الرابع من الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بأحوال الليل والنهار واليه الاشارة بقوله يغشى الليل التبار والقصود ان الانعام لا ياكل الا بالليل والنهار وتعاقبها كما قال فغشونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ومنه قوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا وقد سبق الاستقصاء في تقريره فيما سلف من هذا الكتاب قرأ حزة والكسافي وابوبكر عن حاصم يغشى بالتشديد وقبح الفين والياقون بالتخفيف ثم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل النيرة والقواطع القاهرة قال ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون واعلم انه تعالى في اكثر الامر حيث يذكر الدلائل الموجودة في العالم السفلي يذكر بعضها ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون او ما يقرب منه بحسب المعنى والسبب فيه ان الفلاسفة يسندون حوادث العالم السفلي الى الاختلافات الواقعة في الاشكال الكوكبية فاما تقم الدلالة على دفع هذا السؤال لانه المقصود فلهذا المعنى قال ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون كما انه تعالى يقول بحال الفكر باق بعد ولا بد بعد هذا المقام من التفكير والتأمل ليم الاستدلال * واعلم ان الجواب عن هذا السؤال من وجهين الاول ان نقول هب انكم امنتم حوادث العالم السفلي الى الاحوال الفلكية والاتصالات الكوكبية الا اننا لا الدليل القاطع على ان اختصاص كل واحد من الاجرام الفلكية وطبعه ووضعه وخاصيته لابد ان يكون بتخصيص القدر القديم والمدير الحكيم ففقدت هذه السؤال وهذا الجواب قد قرر الله تعالى في هذا المقام لانه تعالى ابتدأ بذكر الدلائل السماوية وقدينا انها كيف تدل على وجود الصانع ثم انه تعالى اتبعها بالدلائل الارضية فان قال قائل لم لا يجوز ان تكون هذه الحوادث الارضية لاجل الاحوال الفلكية كان جوابنا ان نقول فهب ان الامر كذلك الا اننا لئلا فيما تقدم على افتقار الاجرام الفلكية الى الصانع الحكيم حيث لا يكون هذا السؤال قادحا في فرضنا والوجه الثاني من الجواب ان تقيم الدلالة على انه لا يجوز ان يكون حدوث الحوادث السفلية لاجل الاتصالات الفلكية وذلك هو المذكور في الآية التي تأتي بعدها الآية ومن تأمل في هذه الاطائف ووقف عليها علم ان هذا الكتاب اشتمل على علوم الاولين والآخرين * قوله تعالى (وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناق وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم

يبان اتعاد الكل في حالة السقي (بماء واحد) لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الاطوار او بماء الانهار (ونفضل) مع تأخذ اسباب التقايب بمحض قدرتنا واختيارنا (بعضها على بعض) آخرتها (في الاكل) فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل ويفشى وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من القسامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد الفعل الى فاعل آخر ممن عن بناء الفعل للفاعل (ان في ذلك) الذي فصل من احوال القطع والجنات (لايات) ككثرة عطية ظاهرة (قوم يقولون) يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلصق بالجرم بأن من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك البشائر المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حادائق ذات بهجة قادر على اعادة ما يبداء بل هي اهورن في القياس وهذه الاحوال وان كانت هي الايات انفسها لانها فيها الانه قد جردت عنها امثالها مبالغة في كونها آية في تميز مدبة مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد والمشار اليه الاحوال الكلية والآيات افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة وآحادها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها في معنى ما. وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها

اظهر عاسيق خلق كونها آيات
بعض النمل ولذلك لم يترس
لغير تفصيل بعضها على بعض في
الاكل الظاهر لكل عاقل مع
تحقق ذلك في الخواص والكميات
ما يتوقف العنور عليه على نوع
تأمل وتفكر كما أنه لا حاجة في ذلك
الى التفكير ايضا وفيه تريض
بأن المشركين غير عاقلين (وان
تعجب) يعجب من شيء (فجيب)
لا تعجب منه حقيق بأن يقصر
عليه التعجب (قوله) بعد
مشاهدة ما عد ذلك من الآيات
الشاهدة بأنه تعالى على كل شيء
قدير (أنا كنا ترابا) على طريقة
الاستفهام الانكارى الميسر
لكمال الاستبعاد والاستنكار
وهو في محل الرفع على البدلية من
قولهم على أنه معنى الهول او
في محل النصب على المفعولية منه
على أنه مصدر فاعجب على الاول
كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك
والعامل في اذا ما دل عليه قوله
(أنا خلق جديد) وهونبت
او نداد وتقديم الظرف لتقوية
الانكار بالبحث بتوجيه الله
في حالة منافية له وتكرار الجمرة
في قولهم أسألنا كيد الانكار
وليس مدار انكارهم قولهم
ثابتين في الخلق الجديد بالفعل
عد كونهم ترابا بل قولهم بعرضية
ذلك واستعدادهم له وفيه من
الدلالة على حترهم وقما دليهم
في التفكير ما لا يخفى وقيل وأن
تعجب من قولهم في انكار البعث
فجيب قولهم والماك وان تعجب
فقد تعجبت في موضع التعجب
وقيل وان تعجب من انكارهم
البعث فاجيب

يعقلون في الآيات مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان المقصود من هذه الآية اقامة الدلالة
على أنه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث في هذا العالم لاجل الاتصالات الفلكية
والحركات الكوكبية وتقريره من وجهين الاول انه حصل في الارض قطع مختلفة
بالطبيعة والماهية وهي مع ذلك متجاورة فبعضها تكون سبخة وبعضها تكون رخوة
وبعضها تكون صلبة وبعضها تكون منبتة وبعضها تكون حجرية اورملية وبعضها
يكون طينا لزجا ثم انها متجاورة وتأثير الشمس وسائر الكواكب في تلك القطع على
السوية فدل هذا على ان اختلافها في صفاتها بتقدير العليم القدير والثاني ان القطعة
الواحدة من الارض تسقى بماء واحد فيكون تأثير الشمس فيها متساويا ثم ان تلك الثمار
تجى مختلفة في الطعم واللون والطبيعة والخاصية حتى انك قد تأخذ عنقودا من العنب
فيكون جميع حباته حلوة فصيحة الاحبة واحدة فانها بقيت حامضة يابسة ونحن نعلم
بالضرورة ان نسبة الطبايع والافلاك لكل على السوية بل نقول ههنا ما هو اعجب منه
وهو انه يوجد في بعض انواع الورد ما يكون احمر وجيه في غاية الحمرة والوجه الثاني
في غاية السواد مع ان ذلك الورد يكون في غاية الرقة والنعومة فيستحيل ان يقال وصل
تأثير الشمس الى احد طرفيه دون الثاني وهذا يدل دلالة قطعية على ان الكل بتقدير
الفاعل المختار لا بسبب الاتصالات الفلكية وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى تسقى بماء
واحد وتفضل بعضها على بعض في الاكل فهذا تمام الكلام في تقرير هذه الجملة وتفسيرها
وبانها واعلم ان يذكر هذا الجواب قدمت الجملة فان هذه الحوادث السفلية لا بد لها من
مؤثر وبنا ان ذلك المؤثر ليس هو الكواكب والافلاك والطبايع فلهذا يجب القطع
بأنه لا بد من فاعل آخر سوى هذه الاشياء وعند هاتيم الدليل ولا يبقى بعده للتفكير مقام
البتة فلهذا السبب قال ههنا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون لانه لا دافع لهذه الجملة
الا ان يقال ان هذه الحوادث السفلية حدثت لا لمؤثر البتة وذلك بقدرح في كمال العقل
لان العلم بافتقار الحادث الى المحدث لما كان علما ضروريا كان عدم حصول هذا العلم
قاد حافى كمال العقل فلهذا قال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وقال في الآية المتقدمة
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فهذه اللطائف نفيسة من اسرار علم القرآن ونسأل
الله العظيم ان يجعل الوقوف عليها سببا للغفر بالرحمة والغفران (المسئلة الثانية) قوله
وفي الارض قطع متجاورات قال ابو بكر الاصم ارض قريبة من ارض اخرى واحدة
طيبة واخرى سبخة واخرى حرة واخرى رملية واخرى تكون حصباء واخرى تكون
حجرا واخرى تكون سوداء وبالجملة فاختلاف بقاع الارض في الارتفاع والانخفاض
والطبايع والخاصية امر معلوم وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات والتقدير وجعل فيها
رواسي وجعل في الارض قطع متجاورات واما قوله وجنات من اعناب وزرع ونخل
فتقول الجنة البستان الذي يحصل فيه النخل والكرم والزروع وتحفه تلك الاشجار

قولهم الدال عليه تأمل وقد

جوز كون الخطاب لكل من يصلح له أي إن تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة من هذه أفعاله فازد تعجبا عن منكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو أهون من هذه والأنسب بقوله ويستعملونك بالسيف هو الأول وقوله تعالى فعجب خبر قدم على مبتدأ التقصير والتعجيل من أول الأمر يكون قولهم ذلك سرا عجيبا ويجوز أن يكون مبتدأ لكونه موصوفا بالوصف المقدس كما أشير إليه فالمعنى وإن تعجب فالعجب الذي لا يعجب وراء قولهم هذا فاعجب منه وعلى الأول وإن تعجب قولهم هذا يعجب لا يعجب فوقه (أو لئك) مبتدأ والموصول خبره أي أولئك المنكرون لقدس قدرته تعالى على البعث ربنا علموا ما فصل من الآيات الباهرة المجتمة لهم إلى الاعسان لو كانوا يبرءون الذين كفروا بربهم) وتمادوا في ذلك فان تكارهم لقدس قدرته عن وجل سكفر به وأي كفر (وأولئك) مبتدأ خبره قوله (الاعلال في اعناقهم) أي مقبذون بقبود الضلال لا يربى خلاصهم أو مفلولون يوم القيامة (أو أولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات (أصحاب النار هم فيها خالدون) لا ينفكون عنها إذ توسط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكرى البعث خاصة بل للجميع المدلول عليه بقوله تعالى أولئك الذين كفروا بربهم (ويستعملونك بالسيف) بالقبوة التي أنذروها وذلك حين سألوا رسول الله صلى الله عليه

والدليل عليه قوله تعالى جعلنا لأحد هاجنتين من أعناب وحفناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وزرع ونخل صنوان وغير صنوان كلها بالرفع عطفا على قوله وجنات والباقون بالجر عطفا على الأعناب وقرأ حفص عن عاصم في رواية القواس صنوان بضم الصاد والباقون بكسر الصاد وهما لغتان والصنوان جمع صنو مثل قنوان وقنو ويجمع على اصناء مثل اسم واسماء فإذا كثرت فهو الصنى والصنى بكسر الصاد وقبحها والصنوان يكون الأصل واحدا وتبت فيه التختان والثلاثة فأكثر فكل واحدة صنو وذكركم ثلث من ابن الأعرابي الصنو المثل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ألا إن عم الرجل صنوايه أي مثله إذا عرفت هذا فقولنا إذا ضربنا الصنو بالفسر الأول كان المعنى أن النخل منها ما يثبت من أصل واحد شجرتان وأكثر ومنها ما لا يكون كذلك وإذا فسرتنا بالفسر الثاني كان المعنى أن أشجار النخل قد تكون مماثلة لمشابهة وقد لا تكون كذلك ثم قال تعالى تسقى بماء واحد قرأ عاصم وابن عامر يسقى بالماء على تقدير يسقى كله أو تغليب المذكر على المؤنث والباقون بالياء لقوله جنات قال أبو عمرو وما يشهد لتأنيث قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الأكل قرأ حزة والكسائي بفضل بالماء عطفا على قوله بدير ويفضل ويغشى والباقون بالنون على تقدير ونحن نفضل وفي الأكل قولان حكاهما الواحدى حتى عن الزجاج أن الأكل اثر الذى يؤكل وحكى عن غيره أن الأكل المبالا لاكل واقول هذا أولى لقوله تعالى في صفة الجنة أكلها دائم وهوام في جمع المطعومات وابن كثير ونافع يقرآن الأكل ساكنة الكاف في جميع القرآن والباقون بضم الكاف وهما لغتان قوله تعالى (وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لخلق جدي أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاعلال في اعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فيه مسائل (المسئلة الأولى) اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل القاهرة على ما يحتاج إليه في معرفة المبدأ ذكر بعده مسئلة المعاد فقال وإن تعجب فعجب قولهم وفيه اقوال الأول قال ابن عباس رضى الله عنهما أن تعجب من تكذيبهم إياك بعد ما كانوا قد حكموا عليك أنك من الصادقين فهذا عجب والثاني أن تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم نفعا ولا ضرا بعدماعرفوا الدلائل الدالة على التوحيد فهذا عجب والثالث تقدير الكلام أن تعجب يا محمد فقد عجب في موضع العجب لانهم لما عترفوا بأنه تعالى مدبر السموات والأرض وخالق الخلائق أجمعين وأنه هو الذى رفع السموات بغير عمد وهو الذى سخر الشمس والقمر على وفق مصالح العباد وهو الذى أظهر في العالم أنواع العجايب والفرائب فمن كانت قدرته وافية بهذه الأشياء العظيمة كيف لا تكون وافية بأعادة الانسان بعد موته لان القادر على الأقوى الأكل فأن يكون قادرا على الأقل الأضعف أولى فهذا تقرير موضع التعجب ثم أنه تعالى لما حكى هذا الكلام حكم عليهم بثلاثة أشياء أولها قوله أولئك الذين كفروا

وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء
منهم بانذاره (قبل الحسنة) اى
العاقبة والاحسان اليهم بالايمان
(وقد خلت من قبهم المثلثات)
اى عقوبات امثالهم من المكذبين
فألهم لا يتبرهنوا ولا يصترون
حلول مثلها بهم والجله الحسالية
ليبان زكائهم في الاستعمال
بطريق الاستهزاء اى يستجلونك
بها مستهزئين بانذارك متكررين
لوقوع ما نذرتهم اياه والحال انه
قد مضت العقوبات النازلة على
امثالهم من المكذبين والمستزئين
والمثله بوزن العمرة القوية
سميت بها لما بينها وبين العاقبة
عليه من المماثلة ومنه المثال
للفصصا وقرئ المثلثات
يعتبرن باتباع الفاء المعين المثلثات
بفتح الميم وسكون اللام كما يقال
الشرع المثلثات يضم الميم وسكون
اللام تخفيف المثلثات جمع مثله
كركية وركبات (وان ريك
لذومفرة) عظيمة للناس على
ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي
ومحله النصب على الحسالية اى
غالبين والسامل فيه المفرة
والمعنى ان ريك لنفوس الناس لا
يحمل لهم العقوبة وان كانوا
ظالمين بل يحملهم بتأخيرها (وان
ريك لشديد العقاب) يعاقبون
يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما
استعملوه ليس للاهمال وعنه
عليه الصلاة والسلام لولا عفو
الله ونجاؤهم ما هنا لاحد العيش
ولولا عفوهم وعقابهم لانتكل
كل احد (ويقول الذين كفروا)
وهم المستعملون ايضا وانما عدل
عن الاخبار الى الموصول ذمالم
ولمعا عليهم

بربهم وهذا يدل على ان كل من انكر البعث والقيامة فهو كافر وانما لم من انكار
البعث الكفر بربهم من حيث ان انكار البعث لا يثبت الا انكار القدرة والعلم والصدق
اما انكار القدرة فكما اذا قيل ان الله العالم موجب بالذات لا فاعل بالاختيار فلا يقدر على
الاعادة او قيل انه وان كان قادرا لكنه ليس تام القدرة فلا يمكنه استحسان الحيوان
الابواسطة الابوين وتأثيرات الطبائع والافلاك واما انكار العلم فكما اذا قيل انه تعالى
غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز هذا المطيع عن العاصي واما انكار الصدق فكما اذا قيل
انه وان اخبر عنه لكنه لا يفعل لان الكذب جائز عليه ولما كان كل هذه الاشياء كفرا ثبت
ان انكار البعث كفر بالله * الصفة الثانية قوله واولئك الاغلال في اعناقهم وفيه قولان
الاول قال ابو بكر الاصم المراد بالاغلال كفرهم وذلتهم واقسادهم للاصنام ونظيره قوله
تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال الشاعر * لهم عن الرشد اغلال واقباد * ويقال
لرجل هذا غل في عنقه للعمل الردى معناه انه لازم لك وانك مجازى عليه بالعذاب قال
القاضي هذا وان كان محتلا الان حل الكلام على الحقيقة اولى واقول يمكن نصرة
قول الاصم بأن ظاهر الآية يقتضى حصول الاغلال في اعناقهم في الحال وذلك غير
حاصل وانتم تحملون اللفظ على انه يحصل هذا المعنى ونحن نحملة على انه حاصل في الحال
الا ان المراد بالاغلال ما ذكرناه فكل واحد منا تارك الحقيقة من بعض الوجوه فلم كان
قولكم اولى من قولنا والقول الثانى المراد انه تعالى يجعل الاغلال في اعناقهم
يوم القيامة والدليل عليه قوله تعالى اذا الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم
ثم في النار ينجرون والصفة الثالثة قوله تعالى واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
والمراد منه التهديد بالعذاب المحل للوعد واحتج اصحابنا بوجهين ان الله تعالى على ان العذاب
المخلد ليس بالكفر بهذه الآية فقالوا قوله هم فيها خالدون يفيد انهم هم الموصوفون
بالخلود لا غيرهم وذلك يدل على ان اهل الكبر لا يخلدون في النار (المسئلة الثانية) قال
المتكلمون العجب هو الذى لا يعرف سببه وذلك في حق الله تعالى محال فكان المراد وان
تعجب فعجب عندك ولقائل ان يقول ان بعضهم فى الآية الاخرى باضافة العجب الى
نفسه تعالى فيحتمل يجب تأويله وقد بينا ان امثال هذه الالفاظ يجب تزنيها عن مبادئ
الاعراض ويجب جعلها على نهايات الاعراض فان الانسان اذا تعجب من الشئ انكره
فكان هذا محمولا على الانكار (المسئلة الثالثة) اختلف القراء في قوله ائذا كناترا با
ائثالى خلق جديد وامثاله اذا كان على صورة الاستفهام فى الاول والثانى فنهى من
يجمع بين الاستفهامين فى الحرفين وهم ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحزرة ثم اختلف هؤلاء
فابن كثير يستفهم بهززة واحدة الا انه لا يمد وابو عمرو يستفهم بهززة مطولة بمدفها
وحزرة وعاصم بهزتين فى كل القرآن ومنهم من لا يجمع بين الاستفهامين ثم اختلفوا
فنافع وابن عامر والكسائي يستفهم فى الاول ويقرأ على الخبر فى الثانى وابن عامر على

كفرهم بآيات الله تعالى التي

تخبرهم بها من الجبال حيث لم يرفعوا له رأيا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام عنادا ومكابرة والافتى أدنى آية أنزلت عليه عليه الصلاة والسلام غنية وغيره فلاولى الألباب (أما أنت منذر) مرسل للأنذار من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون كذاب من قبلك من الرسل وليس عليك إلا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزمهم والقاهم الحجة بالآيات بما اقتضوا من الآيات (ولكل قوم هاد) معين للأذات بل بعنوان الهداية يعنى لكل قوم نبي مخصوص به هداية مخصوصة يقتضى اختصاص كل منهم بما يخص به حكم لا يطلعها الا الله او لكل قوم هاد عظيم الشأن قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهينك عنادهم وانكارهم لا آيات المتزلة عليك وازدادهم بهائم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبين على الحكم والمصالح تنبها على ان تخصم كل قوم بغيري وكل نبي بحسب معين من الآيات انما هو الحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدى الا من تعلق بهدائه مشيئة التسابعة حكم استأثر بعلمها فقال (الله يعلم ما تعمل كل التي اى تحمله فما موصولة اريد بهما في بطنهما من حين البلوق الى زمن الولادة لابعده تكامل

ان خبر في الاول والاستفهام في الثاني ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فنافع حمزة غير مطولة وابن عامر والكسائي بهزتين اما نافع فكذلك الا في الصفات وكذلك ابن عامر الا في الواقعة وكذلك الكسائي الا في العنكبوت والصفات (المسئلة الرابعة) قال الزجاج العامل في ابدأ كنا ترابا محذوف تقديره ائنا كنا ترابا نبث ودل ما بعده على المحذوف قوله تعالى (ويستجملونك بالسبيئة قبل الحسنة وقد دخلت من قبلهم المثلثات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب) اعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كما هدهم بعذاب القيامة انكروا القيامة والبعث والحشر والشر وهو الذي تقدم ذكره في الآية الاولى وكما هدهم بعذاب الدنيا قالوا له نحن يا هذا العذاب وطلبوا منه اظهاره وانزاله على سبيل الطعن فيه واطهار ان الذي يقوله كلام لا اصل له فلهذا السبب حكى الله عنهم انهم يستجملون الرسول بالسبيئة قبل الحسنة والمراد بالسبيئة ههنا نزول العذاب عليهم كما قال الله تعالى عنهم في قوله فأمطر علينا حجارة وفي قوله لن تؤمن لك حتى نجعلنا من الارض ينبوا الى قوله او نسط الساء كما زعت علينا كسفا وانما قالوا ذلك لطمأنهم فيما ذكره الرسول وكان صلى الله عليه وسلم يهددهم على الايمان بالثواب في الآخرة وبمحصول النصر والظفر في الدنيا فالقوم طلبوا منه نزول العذاب ولم يطلبوا منه حصول النصر والظفر فهذا هو المراد بقوله ويستجملونك بالسبيئة قبل الحسنة ومنهم من فسر الحسنة ههنا بالامهال والتأخير وانما سموا العذاب سبيئة لانه يسوهم ويؤذيهم * اما قوله وقد دخلت من قبلهم المثلثات فاعلم ان العرب يقولون العقوبة مثلة ومثلة مثل صدقة وصدقة فالاولى لفظة الحجاز والثانية لفظة تميم فن قال مثلة فجمعه مثلثات ومن قال مثلة فجمعه مثلثات ومثلثات باسكان التاء هكذا حكاه الواحدي عن الفراء والزجاج وقال ابن الانبارى رحمه الله المثلة العقوبة الميئة في المعاقب شيئا وهو تعبير نقي الصورة معه فبيحة وهو من قولهم مثل فلان بفلان اذا قبح صورته اما يقطع اذنه او انه اوسم عينيه او بقر بطنه فهذا هو الاصل ثم يقال ليعار الباقي وانخرى اللازم مثلة قال الواحدي واصل هذا الحرف من المثل الذي هو التشبه ولما كان الاصل ان يكون العقاب مشابها للعقاب ومما تلاه لاجرم سمي بهذا الاسم قال صاحب الكشاف قرئ المثلثات بضمين لاتباع الفاء العين والمثلثات بفتح الميم وسكون التاء كما يقال السمرة والمثلثات بضم الميم وسكون التاء تخفيف المثلثات بضمين والمثلثات جمع مثلة كركبة وركبات اذا عرفت هذا فنقول معنى الآية ويستجملونك بالعذاب الذي لم تعالجهم به وقد علموا ما زل من عقوباتنا بالامم الخالية فلم يعتبروا بها وكان ينبغي ان يردهم خوف ذلك عن الكفر اعتبارا بحال من سلف * اما قوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم فاعلم ان اصحابنا تمسكوا بهذه الآية على انه تعالى قديعفو عن صاحب الكيكة قبل التوبة ووجه الاستدلال به ان قوله

الخلق فقط والعلم متدلى واحدا
او اى شئ تحصل وعلى اى
حال هو من الاحوال المتواردة
عليه طور افطر افطر استغفاهية
معلقة للعلم او جعلها مصرية
(وما تفيض الارحام وما تزداد اى)
تقصه وتزاد في الجنة كالخديج
والثام وفي المدة كالولود في اقل
مدة الخلق والمولود في اكثرها
وفيها يماثل ان الضحاك ولد
في سنتين وهرم من سبب في اربع
ومن ذلك سبب هرا وفي العدد
كالواحد فان قهرى ان شريك
كان رابع اربعة او يعلم نقصها
وازدادها لما فيها فالعلمان
متدبان كافي قوله تعالى ونحسب
الماه قوله تعالى وازدادوا تسعا
وقوله وتزداد كل بعير لولاهما
قد اسندا الى الارحام مجازا
وهما لما فيها (وكل شئ) من
الاشياء (هنه بمقدار) بقدر
لا يمكن تجاوز عنه كقوله انا كل
شئ خلقناه بقدر فان كل حادث
من الاعيان والاعراض له في كل
مرتبة من مراتب التكسبون
ومباديها وقت معين وحال
مخصوص لا يكاد يجاوز والمراد
بالعندية الحضور العلمي بل العلم
الحضورى فان تحقق الاشياء
في انفسها في اى مرتبة كانت من
مراتب الوجود والاستعداد
لذلك علمه بالنسبة الى الله عز
وجل (طاهر الغيب) اى الغائب
عن الحس (والشهادة) اى
الحاضره عبر عنهما بجملة ما لم
وقيل اريد بالغيب المحسوس
وبالشهادة الموجود وهو خبر
مبتدأ مخوف او خبر بعد خبر
وقرى بالنصب

لذو مغفرة للناس على ظلمهم اى حال اشتغالهم بالظلم كانه يقال رأيت الامير على اكله
اى حال اشتغاله بالاكل فهذا يقتضى كونه تعالى غافرا للناس حال اشتغالهم بالظلم ومعلوم
ان حال اشتغال الانسان بالظلم لا يكون تابا فدل هذا على انه تعالى قديغفر الذنب قبل
الاشتغال بالتوبة ثم تقول ترك العمل بهذا الدليل في حق الكفر فوجب ان يبقى معمولاه
في حق اهل الكبرة وهو المطلوب او تقول انه تعالى لم يقتصر على قوله وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم بل ذكر معه قوله وان ربك لشديد العقاب فوجب ان يحمل
الاول على اصحاب الكبائر وان يحمل الثانى على احوال الكفار فان قيل لم لا يجوز ان
يكون المراد لذو مغفرة لاهل الصغائر لاجل ان عقوبتهم مكفرة ثم تقول لم لا يجوز ان
يكون المراد ان ربك لذو مغفرة اذا تابوا وانه تعالى انما لا يجعل العقاب امهالا لهم
في الاتيان بالتوبة فان تابوا فهو ذو مغفرة لهم ويكون من هذه المغفرة تأخير العقاب الى
الاخرة بل نقول يجب حل اللقط عليه لان القوم لما طلبوا تجيلا للعقاب فالجواب
المذكور فيه يجب ان يكون محمولا على تأخير العقاب حتى ينطبق الجواب على السؤال ثم
نقول لم لا يجوز ان يكون المراد وان ربك لذو مغفرة انه تعالى انما لا يجعل العقوبة امهالا
لهم في الاتيان بالتوبة فان تابوا فهو ذو مغفرة وان عظم ظلمهم ولم يتوبوا فهو شديد
العقاب والجواب عن الاول ان تأخير العقاب لا يسمى مغفرة والا لوجب ان يقال
الكفار كلهم مغفور لهم لاجل ان الله تعالى اخر عقابهم الى الاخرة وعن الثانى انه
تعالى تمدح بهذا والتمدح انما يحصل بالفضل اما باداء الواجب فلا تمدح فيه وعندكم
يجب غفران الصغائر وعن الثالث اننا نراه ان ظاهر الآية يقتضى حصول المغفرة حال
الظلم وينا ان حال حصول الظلم يمنع حصول التوبة فسقطت هذه الاسئلة وصح ما ذكرناه
وقوله تعالى (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم
هاد) اعلم انه تعالى حكى عن الكفار انهم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في اخشرو والنشر
اولا ثم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في صحة ما ينذرهم به من نزول عذاب الاستئصال ثانيا
ثم طعنوا في نبوته بأن طلبوا منه المعجزة والبيئة ثالثا وهو المذكور في هذه الآية واعلم
ان السبب فيه انهم انكروا كون القرآن من جنس المعجزات وقالوا هذا كتاب مثل سائر
الكتب واثان الانسان بتصنيف معين وكتاب معين لا يكون معجزة البتة وانما المعجز
ما يكون مثل معجزات موسى وعيسى عليهما السلام واعلم ان من الناس من زعم انه
لم يظهر معجز في صدق محمد عليه الصلوة والسلام سوى القرآن قالوا ان هذا الكلام
انما يصح اذا طعنوا في كون القرآن معجزة ما نعه ما ظهر عليه نوع آخر من المعجزات لان
بتقدير ان يكون قد ظهر على يد نوع آخر من المعجزات لا يمنع ان يقولوا لولا انزل عليه آية
من ربه فهذا يدل على انه عليه السلام ما كان له معجز سوى القرآن واعلم ان الجواب عنه
من وجهين الاول لعل المراد منه طلب معجزات سوى المعجزات التي شاهدوها منه صلى الله

عليه وسلم كنين الجذع وتبوع الماء من بين اصابحه واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل فطلبوا منه معجزات قاهرة غير هذه الامور مثل فلق البحر وقلب العصا ثعباناً فان قيل فالسبب في ان الله تعالى منعهم وما اعطاهم فلنا انه تعالى لما ظهر المعجزة الواحدة قدتم الغرض فيكون طلب الباقي تحكما وظهور القرآن معجزة فاكان مع ذلك حاجة الى سائر المعجزات وايضا فلعله تعالى علم انهم يصرون على العناد بعد ظهور تلك المعجزات الملتزمة وكانوا يصيرون حينئذ مستوجبين لعذاب الاستئصال فلهذا السبب ما اعطاهم الله تعالى مطلوبهم وقدين الله تعالى ذلك بقوله ولوعلم الله فيهم خيرا الا سمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون بين انه لم يعطهم مطلوبهم لعلمه تعالى انهم لا يتفعون به وايضا ففتح هذا الباب بفضي الى ما لا نهاية له وهوانه كلما أتى معجزة جاء واحد آخر فطلب منه معجزة أخرى وذلك يوجب سقوط دعوة الانبياء عليهم السلام وانه باطل الوجه الثاني في الجواب لعل الكفار ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار ذلك قال امانت منذر ولكل قوم هاد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اتفق القراء على التثوين في قوله هاد وحذف الياء في الوصل واختلقوا في الوقف قرا ابن كثير بالوقف على الياء والباقيون بغير الياء وهو رواية ابن فليح عن ابن كثير للتحفيف (المسئلة الثانية) في تفسير هذه الآية وجوه الاول المراد ان الرسول عليه السلام منذر لقومه مبين لهم ولكل قوم قبله هاد ومنذر وداع وانه تعالى سوى بين الكل في اظهار المعجزة الا انه كان لكل قوم طريق مخصوص لاجله استحق التخصيص بتلك المعجزة الخصوصية فلما كان الغالب في زمان موسى عليه السلام هو السحر جعل معجزته ماهو اقرب الى طريقته ولما كان الغالب في أيام عيسى عليه السلام الطرب جعل معجزته ما كان جنس تلك الطريقة وهو احياء الموتى وبراء الاكثه والابرص ولما كان الغالب في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم الفصاحة والبالغة جعل معجزته ما كان لاشا بذلك الزمان وهو فصاحة القرآن فلما كان العرب لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع كونها اتيق بطباعهم فبان لا يؤمنوا عند اظهار سائر المعجزات اولى فهذا هو الذي قرره القاضي وهو الوجه الصحيح الذي يحق الكلام معه منتظما والوجه الثاني وهو ان المعنى انهم لا يمجحدون كون القرآن معجرا فلا يضيق قلبك بسببه امانت منذر فاهلك الان تنذر الى ان يحصل الايمان في صدورهم ولست بقادر عليهم ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالتطبيق وهو الله سبحانه وتعالى فيكون المعنى ليس لك الا الاذار واما الهداية فمن الله تعالى واعلم ان اهل الظاهر من المفسرين ذكر واهمنا قول الاول المنذر والهادي شيء واحد والتقدير امانت منذر ولكل قوم منذر على حدة ومعجزة كل واحد منهم غير معجزة الآخر الثاني المنذر محمد صلى الله عليه وسلم والهادي هو الله تعالى روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وجماهد والضحاك والثالث

على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى الله يعلم الخ (الكبير) العظيم الشأن الذي كلشي دونه (التمثال) المستعنى على كل شي بقدرته والمآثره عن دعوت المخالقات وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته ويحيط بمالى الغيب والشهادة بين انه تعالى عالم بجميع ما يتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال (سواء منكم) من اسراقول (في نفسه) ومن جهر به) اظهره لغيره (ومن هو مستغف) مبالغ في الاختفاء كانه مخف (بالليل) وطالب للزيادة (وسارب) بارز به كل احد (بالنهار) من سرب سربا اى برز وهو عطف على من هو مستغف او على مستغف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله « تعالى فان عاهدتني لاخونتي » « تكن مثل من ياذب يعطيان » كانه قيل سواء منكم اثنان مستغف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى من اسر ومن جهر والى المستغفى والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما اسره وما جهر به اولى الفاعل من حيث هو فاعل كافى لاخير ين وتقديم الاسرار والاستغفاء لاظهار كمال علمه تعالى فكانه في التعلق بالغيبيات اقدم منه بالظواهر والاقتسائه الى الكل سواء لما مرته آتفا

يعقب بعضاً أولادهم يعقبون
أقواله وأفعاله فيكتبونه أو
اعتقب فادعت التاء في القاف
والتاء بالبالغة والمراد بالمعقبات
الجماعات وقرئ معاقب جمع
معقب أو معقبه على تعريض
الياء من إحدى القافين (من بين
يديه ومن خلفه) من جميع
جوانبه أو من الأعمال ما قدم
واخر (يخفظونه من امرائه)
من بأسه حين الذنب بالاستهتال
والاستغفار له أو يخفظونه من
المضار أو يراقبون أحواله من
اجل امرائه تعالى وقد قرئ
به وقيل من معنى الباء وقيل
من امرائه صفة ثانية لمعقبات
وقيل المعقبات الحراس والجلالزة
حول السلطان يخفظونه في توجيه
من قضاء الله تعالى أن الله لا يغير
ما بقوم (من النعمة والعافية
حتى يغيروا ما بأنفسهم) من
الأعمال الصالحة أو ملكاتها التي
هي فطرته التي فطر الناس
عليها لا ائسادها (وإذا أراد الله
بقوم سوءاً) لسوء اختيارهم
واسفافهم لذلك (فلا مرد له)
فالرد له والمرد في اذاماد له عليه
الاجواب (ومالهم من دونه من
وال) إلى امرهم ويدفع عنهم
السوء الذي اراده الله بهم بما
قدمت ايديهم من تغيير ما بهم
وفيه دلالة على أن تخلف مراده
تعالى بحسب ايدان بأنهم بما
يفرضون انكار البعث واستعمال
السبئية واقتراح الآية قدشعروا
ما بأنفسهم من الفطرة واستغفوا
لذلك حلول غضب الله تعالى
وعذابه (هو الذي يريكم البوق
خوفاً من الصاعقة وطمأناً)

المنذر النبي والهادي على قال ابن عباس رضي الله عنهما وضع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يده على صدره فقال ان المنذر ثم أو مالى منكب على رضي الله عنه وقال انت الهادي
بأعلى بك بهتدى المهتدون من يعدي ﴿ قوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض
الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم
من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار) في الآية مسائل
(المسئلة الاولى) في وجه النظم وجوه الاول انه تعالى لما حكى عنهم انهم طلبوا
آيات أخرى غير ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم بين انه تعالى عالم بجميع المعلومات
فيعلم من حالهم انهم هل طلبوا الآية الأخرى للاسترشاد وطلب البيان أو لاجل التنعت
والعناد وهل ينتفعون بظهور تلك الآيات أو يزداد اصرارهم واستكبارهم فلو
علم تعالى انهم طلبوا ذلك لاجل الاسترشاد وطلب البيان ومزيد الفائدة لظهره الله
تعالى وامانهم عن ذلك لكنه تعالى لما علم انهم لم يقولوا ذلك الا لاجل محض العناد لاجرم انه
تعالى منعهم عن ذلك وهو كقوله تعالى يقولون لولا انزل عليه آية من ربه قل انما
الغيب لله فانتظروا وقوله قل انما الآيات عند الله والثاني ان وجه النظم انه تعالى
لما قال وان تعجب فحجب قولهم في انكار البعث وذلك لانهم انكروا البعث بسبب ان
اجزاء ابدان الحيوانات عند تفريقها وتفتتها يختلط بعضها ببعض ولا يبق الامتياز فيمن
تعالى انه انما لا يبق الامتياز في حق من لا يكون عالماً بجميع المعلومات اما في حق من
كان عالماً بجميع المعلومات فانه يبق تلك الاجزاء بحيث يمتاز بعضها عن البعض ثم احج
على كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات بأنه يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الارحام
الثالث ان هذا متصل بقوله ويستجولونك بالسيئة قبل الحسنة والمعنى انه تعالى عالم
بجميع المعلومات فهو تعالى انما ينزل العذاب بحسب ما يعلم كونه فيه مصلحة والله اعلم
(المسئلة الثانية) لفظ ما في قوله ما تحمل كل أنثى وما تفيض الارحام وما تزداد اما ان
تكون موصولة واما ان تكون مصدرية فان كانت موصولة فالعنى انه يعلم ما تحمل من
الولدا نه من اى الانقسام أهو ذكر أم أنثى تام أو ناقص وحسن أو قبيح وطويل أو قصير
وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمتربة فيه ثم قال وما تفيض الارحام والغيب هو
النقصان سواء كان لازماً او متعدياً يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى
وغيب الماء والمراد من الآية وما تفيضه الارحام الا انه حذف الضمير اراجع وقوله
وما تزداد اى تأخذه زيادة تقول أخذت منه حقاً وازددت منه كذا ومنه قوله
تعالى وازدادوا تسعاً ثم اختلفوا فيما تفيضه الرحم وتزداده على وجوه الاول عدد
الولد فان الرحم قد يشتمل على واحد واثنين وعلى ثلاثة واربعة بروى ان شريكاً كان
رابع اربعة في بطن امه الثاني الولد قد يكون مخدجاً وقد يكون تاماً الثالث مدق ولادته
قد تكون تسعة أشهر وازيد عليها الى سفتين عنداني خفيفة رجح الله تعالى والى

اربعة عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحالك ولد لستين وهم بن حبان
 بقى بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما (الرابع) الدم قاته تارة يقل وتارة يكثر (الخامس)
 ما ينقص بالسقط من غير ان يتم يوما يزاد بالتمام (السادس) ما ينقص بإظهار دم الحيض
 وذلك لانه اذا سال الدم في وقت الحمل ضعف الولد ونقص وبمقدار حصول ذلك النقصان
 يزاد ايام الحمل لتصير هذه الزيادة جارية لذلك النقصان قال ابن عباس رضى الله عنهما
 كلما سال الحيض في وقت الحمل يوما زاد في مدة الحمل يوما ليحصل به الجبر ويعتدل الامر
 (السابع) ان دم الحيض فضلة يجتمع في بطن المرأة فاذا امتلأت صروفها من تلك
 الفضلات قاضت وخرجت وسالت من دواخل تلك العروق ثم اذا سالت تلك المواد
 امتلأت تلك العروق مرة اخرى هذا كله اذا قلنا ان كلمة ماموصولة اما اذا قلنا انها
 مصدرية فالعنى انه تعالى يعلم كل اثنى ويعلم غيب الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء
 من ذلك ولا من اوقاته واحواله واما قوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار فمعناه بقدر واحد
 لا يجاوز ولا ينقص عنه كقوله ان كل شيء خلقناه بقدر وقوله في اول الفرقان وخلق كل
 شيء فقدره تقديرا واعلم ان قوله كل شيء عنده بمقدار يحتمل ان يكون المراد من العندية
 العلم ومعناه انه تعالى يعلم كيفية كل شيء وكيفيته على الوجه الفصل المبين ومتى كان
 الامر كذلك امتنع وقوع التغير في تلك المعلومات ويحتمل ان يكون المراد من العندية
 انه تعالى خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمثابة الازلية وازادته السرمدية
 وعند حكماء الاسلام انه تعالى وضع اشياء كلية وأودع فيها قوى وخواص وحركها
 بحيث يلزم من حركتها المقدرة بالمقادير المخصوصة احوال جزئية معينة ومناسبات
 مخصوصة مقدرة ويدخل في هذه الآية افعال العباد واحوالهم وخواطرهم وهومن
 أدل الدلائل على بطلان قول المعتزلة ثم قال تعالى عالم الغيب والشهادة قال ابن عباس
 رضى الله عنهما يريد علم ما غاب عن خلقه وما شهدوه قال الواحدى فعلى هذا الغيب مصدر
 يريد به الغائب والشهادة أرادها الشاهدواختلفوا في المراد بالغائب والشاهد قال
 بعضهم الغائب هو المعلوم والشاهد هو الموجود وقال آخرون الغائب ما غاب عن الحس
 والشاهد ما حضر وقال آخرون الغائب ما لا يعرف بالخلق والشاهد ما يعرف بالخلق ونقول
 المعلومات قسمان المعدومات والموجودات والمعدومات منها معدومات يمتنع وجودها
 ومنها معدومات لا يمتنع وجودها والموجودات أيضا قسمان موجودات يمتنع هدمها
 وموجودات لا يمتنع هدمها وكل واحد من هذه الاقسام الاربعة له احكام وخواص
 والكل معلوم لله تعالى وحكى الشيخ الامام الوالد عن أبى القاسم الانصارى عن امام
 الحرمين رحمه الله تعالى انه كان يقول لله تعالى معلومات لانها لها وله في كل واحد
 من تلك المعلومات معلومات أخرى لانها لها لان الجواهر الفردية لله تعالى من حاله انه
 يمكن وقوعه في احياز لانها لها على البدل وموصوفا بصفات لانها لها على البدل وهو

في الطر فوجه تقديم الخوف على
 الطمع ظاهر لان الخوف عليه
 النفس والرزق المعتد والمطموع
 فيه الرزق المترقب وقيل الخوف
 أيضا من المطر لكن الخائف منه
 غير الطامع فيه كالخفاف والحراث
 وبأياه الترتيب اللهم الان لا يتكلف
 ما يشير اليه من ان الخوف عتيد
 والمطموع فيه مترقب واتصا بهما
 اما على المصدرية اى تخافون
 خوفا وتطمعون طمعا او على
 الحالية من البرق او الضحاطين
 ياخضر ذوى اوجع عمل المصدر
 بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة
 او على الحالية بتقدير المضاف اى
 ارادة خوف اربثا وقيل
 الاخافة والاطماع لتجدد فاعل
 العلة والفعل الممثل والمجعل
 الممثل هى الرؤية التى تتضمنها
 الارادة على طريقة قول النابعة
 وحلت بيوتى في يافع منع
 نخال به راي الحولة طائرا
 حذارا على ان لا يبال معاوى
 ولا نسوى حتى يمن حراثا
 اى احالته بيوتى حذارا فلا يسبل
 اليه لان ما وقع في معرض الغلة
 الغائبة لا سيما الخوف لا يصلح علة
 لرؤية (ويشئ النصاب)
 انعام المتعصب في الجوى (النقل)
 بانه وهى جمع تقيية وصف بها
 النصاب لكونها اسم جنس في
 معنى الجمع والواحدة محاسبة يقال
 محاسبة تقيية ومحاب يقال كما
 يقال امرأة كريمة ونسوة كرام
 (ويسمى الرعد) اى سمعه من
 العباد الراغبين للطير ملتئين
 (بجمدة) اى يضيئون بسجنان الله
 والحمد لله واستاده الى الرعد لجله

تعالى عالم بكل الاحوال على التفصيل وكل هذا الاقسام داخل تحت قوله تعالى عالم الغيب والشهادة ثم انه تعالى ذكر عقبيه قوله الكبير وهو تعالى بمنزلة أن يكون كبيرا بحسب الجثة والحجم والقدر فوجب ان يكون كبيرا بحسب القدرة والمقادير الالهية ثم وصف تعالى نفسه بأنه المتعال وهو المنزه عن كل ما لا يجوز عليه وذلك يدل على كونه منزها في ذاته وصفاته وافعاله فهذه الآية دالة على كونه تعالى موصوفا بالعلم الكامل والقدرة التامة ومنزها عن كل ما لا ينبغي وذلك يدل على كونه تعالى قادر على البعث الذي انكروه وعلى الآيات التي افترحوها وعلى العذاب الذي استعملوه وانه انما يؤخر ذلك بحسب المشيئة الالهية عند قوم وبحسب الصلحة عند آخرين وقرأ ابن كثير تعالى بآيات الاله في الوقوف والوصل على الاصل والباقيون يحذف اليه في الحالين للتحفيف ثم انه تعالى اكد بيان كونه عالما بكل المعلومات فقال سواء منكم من امر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لفظ سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد وعمر وثم فيه وجهان الاول ان سواء مصدر والمعنى ذو سواء كما تقول عدل زيد وعمر أو ذوا عدل الثاني ان يكون سواء بمعنى مستو وعلى هذا التقدير فلا حاجة الى الاضمار الآن سيبويه يستقيم ان يقول مستو زيد وعمر لان اسماء الفاعلين اذا كانت نكرات لا يبدأ بها ولقائل ان يقول بل هذا الوجه اولى لان حل الكلام عليه يعني عن التزام الاضمار الذي هو خلاف الاصل (المسئلة الثانية) في المستخفي والسارب قولان (الاول) يقال اخفيت الشيء اخفيه اخفاه ففخفي واستخفي فلان من فلان أي توارى واسترق قوله وسارب بالنهار قال الفراء والزجاج ظاهر بالنهار في سر به أي طريقه يقال خلاله سر به أي طريقه وقال الازهرى تقول العرب سربت الابل تسرب سربا أي مضت في الارض ظاهرة حيث شاءت فاذا عرفت ذلك فعنى الآية سواء كان الانسان مستخفيا في الظلمات أو كان ظاهرا في الطرقات فعلم الله تعالى محيط بالكل قال ابن عباس رضى الله عنهما سواء ما أضمرته القلوب واظهرته الاُسنه وقال مجاهد سواء من يقدم على القبايح في ظلمات الليل ومن يأتي بها في النهار الظاهر على سبيل التوالى (والقول الثاني) نقله الواحدى عن الاخفش وقطرب انه قال المستخفي الظاهر والسارب التوارى ومنه يقال خفيت الشيء واخففته أي اظهرته واخفيتها الشيء استختر جتته ويسمى التباس المستخفي والسارب التوارى ومنه يقال للدخول سربا وانسرب الوحش اذا دخل في السرب أي في كناهه قال الواحدى وهذا الوجه صحيح في اللغة الآن الاختيار هو الوجه الاول لاطباق اكثر المفسرين عليه وايضا قائل يدل على الاستتار والتأخر على الظهور والانتشار ﴿ قوله تعالى ﴾ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴾ اعلم ان الضمير فيه عائذ الى من في قوله

لهم على ذلك اولى سمح الرعد نفسه على ان تليسه عبار عن دلالة على وحدانيته تعالى وقضه المستوجب لحجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وماذا اشتد يقول اللهم لا تغلبنا بفضيك ولا تهلكنا بعبادك وعاقنا قبل ذلك وعن ملى رضى الله عنه سبحان من سبحته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود سألت النبي عليه الصلاة والسلام عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مثاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملاك (والملائكة) اى يسبح الملائكة (من خيفته) من هيئته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلك بذلك (وهم) اى الكفرة الخاطبون في قوله تعالى هو الذي يرهم البرق وقد التفت الى الغيبة ايدانا باسقاطهم عن درجة المطالب وامراضهم وتعدبا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذى يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق والشاء السحاب التلألؤ وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويقطعا من يعقلها من المؤمنين او الرعد نفسه او المالك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والوقوف من هيئته تعالى وهما اى الكفرة الذين حكيت هتاهم مع ذلهم وهوا لهم وحفارة شأنهم (يحجادلون في الله)

اي في شأنه تعالى حيث يفعلون

ما يفعلون من انكار البعث واستهجال العذاب استهزاء واقتراح الايات قالوا لعنك الجنة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يرثكم البرق الخ او على قوله الله يعلم ما تحصل الخ ولما لم يطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تعالى الله يعلم الخ استثنائي لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من استهجال العذاب وانكار البعث قاطع لم يطف ما بعده على ما قبله وقيل لطف الى ان يصبى بالصراخ من يشاء وهم في الجبال وقد اريد به ما اصاب اربدين ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيانه القوائل فدخلوا المسجد وهو عليه الصلاة والسلام جالس في نفر من الاصحاب رضى الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجل الناس وقد كان اوصى الى اربدينه اذا راى قتي الحكم محمد عليه الصلاة والسلام فندى من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه الصلاة والسلام فدار اربد من خلفه عليه الصلاة والسلام فاخرته من سيفه شيئا فنجبه الله تعالى فلم يقدر على لده وجعل عامر يرمي اليه فرأى النبي عليه الصلاة والسلام الحال فقال اللهم اكفنيهما ما شئت فأرسل الله عز وجل على اربد مصاعقة في يوم صافق فاحرقته وولى عامر هارباً فذل في بيت امرأة سلوية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرأ يا ملك الموت ويقول

سواء منكم من اسر القول ومن جهر به وقيل على اسم الله في عالم الغيب والشهادة والمعنى لله معقبات واما المعقبات فيجوز ان يكون اصل هذه الكلمة معقبات فأدغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعتدون من الاعراب والمراد المعتدون ويجوز ان يكون من عقبه اذ جاء على عقبه فاسم المعقب من كل شيء ما خلف يعقب ما قبله والمعنى في كلا الوجهين واحد اذا عرفت هذا فنقول في المراد بالمعقبات قولان الاول وهو المشهور الذي عليه الجمهور ان المراد من الملائكة الحفظة وانما صح وصفهم بالمعقبات اما لاجل ان ملائكة الليل يعقب ملائكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم يتعقبون اعمال العباد ويتبعونها بالحفظ والكتب وكل من عمل عملاً ثم عاد اليه فقد عقب فعلى هذا المراد من المعقبات ملائكة الليل وملائكة النهار روى عن عثمان رضى الله عنه انه قال يا رسول الله اخبرني عن العبد كم معه من ملك فقال عليه السلام ملك عن يمينك يكتب الحسنات وهو امين على الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت حسنة واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال لصاحب اليمين اكتب فيقول لالهله يتوب فاذا قال لا تأكلنم اكتب اراحنا الله منه فبئس القربى ماثل مراقبته الله تعالى واستحياءه منا وملكان من بين يديك ومن خلفك فهو قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت ربك رفعك وان تجبرت قمحك وملكان على شفتيك يحفظان عليك الصلاة على وملك على فيك لا يدع ان تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة املاك على كل آدمي تبدل ملائكة الليل بملائكة النهار فهم عشرون ملكاً على كل آدمي وعنه صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر وهو المراد من قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً قبل تصعد ملائكة الليل وهى عشرة وتنزل ملائكة النهار وقال ابن جريج هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد صاحب اليمين يكتب الحسنات والذي عن يساره يكتب السيئات وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظه من الجن والانس والهوام في نومه وبقظته وفي الآية سؤالات (السؤال الاول) الملائكة ذكر كورفم ذكر في جمعها جمع الاناث وهو المعقبات وال جواب فيه قولان الاول قال القرطبي المعقبات ذكر ان جمع ملائكة معقبة ثم جمعت معقبة بمعقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر جمع رجال والذي يدل على التذكير قوله يحفظونه والثاني وهو قول الاخفش انما اثبت لكثرة ذلك منها نحو نسابة وعلامة وهو ذكر (السؤال الثاني) ما المراد من كون اولئك المعقبات من بين يديه ومن خلفه والجواب ان المستحق بالليل والسارب بالنهار قد احاط به هؤلاء المعقبات فيعدون عليه اعماله واقواله بتأمها ولا يشذ من تلك الاعمال والاقوال من حفظهم شيء اصلاً وقال بعضهم بل المراد يحفظونه من جميع الممالك من بين يديه ومن خلفه لان السارب بالنهار اذا سعى في مهماته فاما يتحذر من بين

الشعر ويقول واللات لث
أصغرلى محمد وصاحبه ينى
ملك الموت لافندتهما برعى
فأرسل الله تعالى ملكا فلفظه
بجناحه فأراده فى الزباب فخرجت
على ركبته فى الوقت غدة عظيمة
فعاد الى بيت السلوى وهو يقول
غدة كفدة البعير وموت فى بيت
سلوى ثم دعا بفرسه فركبه
فأجراه حتى مات على ظهره
وفيل يريد به ماروى عن الحسن
انه كان رجلا من طواغيت
الحرب فبعث النبي عليه الصلاة
والسلام نقرامن اصحابه يدعونه
الى الله عن وجيل فقال لهم
أخبروني عما تدعوننى اليه ما هو
وم هو من ذهب أم من فضة أم
من نحاس أم من حديد أم من در
فاستظفوا مقاتله فرجعوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
ما رأينا رجلا كفر قلبا ولا عني
على الله منه فقال عليه الصلاة
والسلام ارجعوا اليه فرجعوا
اليه فآزاد الامقالاته الأولى
وأخبت فرجعوا اليه عليه
الصلاة والسلام وأخبروه بما صنع
فقال عليه الصلاة والسلام
ارجعوا اليه فرجعوا اليه فليثما
هم عنده بنزعونه اذ ارتفعت
سحابة ورددت ورفقت ومرت
بصاحفة فاحترق الكافر فجاؤا
يسعون أخبروه عليه الصلاة
والسلام بطريق سقيطهم الاصحاب
فقالوا احترق صاحبكم قالوا من
ابن عليم قالوا اوى الى النبي صلى
الله عليه وسلم (وهو شديد
الحال) اى والحال انه شديد
المساحة والمكابة والمماكرة
لأصداقه من محله اذا كاده
وعرضه للهلاك ومنه تحيل

يديه ومن خلقه (السؤال الثالث) ما المراد من قوله من امر الله والجواب ذكر القراء فيه
قولين الاول انه على التقديم والتأخير والتقدير له سمعنا من امر الله يحفظونه والثاني
ان فيه اضمارا اى ذلك الحفظ من امر الله اى بما امر الله به فحذف الاسم وباقي خبره
كما يكتب على الكيس الفان والمراد الذى فيه الفان والقول الثالث ذكره ابن الأبارى
ان كلمة من معناها الباء والتقدير يحفظونه بأمر الله وبأمانته والدليل على انه لا بد من
المصير اليه انه لا قدرة للملائكة ولا لاحد من الخلق على ان يحفظوا احدا من امر الله
ومما قضاه عليه (السؤال الرابع) ما الفائدة في جعل هؤلاء الملائكة موكلين علينا
والجواب ان هذا الكلام غير مستبعد وذلك لان المنجحين اتفقوا على ان التدبير في كل
يوم لكوكب على حدة وكذا القول في كل ليلة ولا شك ان تلك الكواكب لها ارواح
عندهم فكل التدبيرات المختلفة في الحقيقة لتلك الارواح وكذا القول في تدبير القمر
والهلال والكذ خدا على ما يقوله المنجمون واما اصحاب الطلسمات فهذا الكلام
مشهور في الستمم ولذلك تراهم يقولون اخبرنى الطباعى التام وماراهم بالطباعى التام
ان لكل انسان روحا فلكية يتولى اصلاح مهماته ودفع بلياته وآفاته واذا كان هذا متفقاً
عليه بين قدماء الفلاسفة واصحاب الاحكام فكيف يستبعد مجيئه من الشرع وتمام
التحقق فيه ان الارواح البشرية مختلفة في جواهرها وطلابعها فبعضها خيرة وبعضها
شريرة وبعضها معزة وبعضها مذلة وبعضها قوية القهر والسلطان وبعضها ضعيفة وخيفة
وكا ان الامر في الارواح البشرية كذلك فكذا القول في الارواح الفلكية ولا شك ان
الارواح الفلكية في كل باب وكل صفة اقوى من الارواح البشرية وكل طائفة
من الارواح البشرية تكون متشاركة في طبيعة خاصة وصفة مخصوصة لما انها تكون
في تربية روح من الارواح الفلكية متشاكلة لها في الطبيعة والخاصية وتكون تلك
الارواح البشرية كائنها اولاد لتلك الروح الفلكي ومتى كان الامر كذلك كان ذلك
ارواح الفلكي معيناتها على مهماتها ومرشدا لها الى مصالحها وما يصلحها عن صنوف
الآفات فهذا كلام ذكره محققو الفلاسفة واذا كان الامر كذلك علمنا ان الذي وردت
به الشريعة امر مقبول عند الكل فكيف يمكن استنكاره من الشريعة * ثم في
اختصاص هؤلاء الملائكة وتسلطهم على بنى آدم فوائد كثيرة سوى التي مر ذكرها من قبل
(الاول) ان الشياطين يدعون الى الشرور والعاصي وهؤلاء الملائكة يدعون الى الخيرات
والطاعات (الثاني) قال مجاهد ما من عبد الا وعهه ملك يحفظه من الجن والاناس والهوام
في نومه ويقظته (الثالث) ان اذى الانسان قد يقع في قلبه داع قوي من غير سبب ثم يظهر
بالآخرة ان وقوع تلك الداعية في قلبه كان سببا من اسباب مصالحة وخيراته وقد كشف
ايضا بالآخرة انه كان سببا لوقوعه في آفة او في معصية فيظهر ان الداعى الى الامر الاول
كان مریدا للخير والراحة والى الامر الثاني كان مریدا للفساد والخلة والاول هو الملك

إذا تكلف استعمال الجبل وقيل

وهو حال من الحمل بمعنى القوة وقيل يحول من الحول والهيئة اعل على غير قياس ويعضده انه قريء بفتح الميم على انه فعل من حال يحول اذا احتال وبحوز ان يكون بمعنى الفسق فيكون مثالا في القوة والقدرة كقولهم فساعدا الله اشد وموساه احد (له دعوة الحق) اي الدعوة الثابتة الواقعة في محلها للجابة عند وقوعها والاضافة للابدان بما يستلزم الحق واختصاصها به وكونه يعمل من شأته البطلان والضلال كما يقال كلة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اي الدعوة الالفة بمحضته كما في قوله عليه الصلاة والسلام في كانت هجرته الى الله ورسوله فحجرت به الى الله ورسوله والتمرض لوصف الحقبة لتربية معنى الاستجابة والاولى هو الاول لقوله تعالى وماءد الكافرين الا في ضلال وتلقى الجنين بما قبلهما من حيث ان اهلك اريد وعام حال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت الآية نزلت في شأنهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير حل بحاله بهم وتحذيرهم باجابة دعوته عليهم (والذين يدعون) اي الاصنام الذين يدعوه المشركون فخذف العائد (من دونه) من دون الله عن وجيل (لا يستجيبون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كاستجابة الى الماء) اي الاستجابة كاستجابة الله لمن يسأله كفيه اليه من بعيد فالاستجابة تصدر من

الهادي والثاني هو الشيطان المعنوي (الرابع) ان الانسان اذا علم ان الملائكة تخصى عليه اعماله كان الى الخذر من المعاصي اقرب لان من آمن يعتقد جلاله الملائكة وعلو مراتبهم فاذا حاول الاقدام على معصية واعتقد انهم يشاهدونها زجره الحياء منهم عن الاقدام عليها كما زجره عنها اذا حضر من يعظمه من البشر واذا علم ان الملائكة تخصى عليه تلك الاعمال كان ذلك ايضا رادعا له عنها واذا علم ان الملائكة يكتبونها كان الردع اكمل (السؤال الخامس) ما الفائدة في كسبة اعمال العباد قلنا ههنا مقاصد الاول ان تفسير الكسبة بالمعنى المشهور من الكسبة قال المتكلمون الفائدة في تلك الصحف وزنها يعرف رجحان احدي الكفتين على الاخرى فانه اذا رجحت كفة الطاعات ظهر للخلائق انه من اهل الجنة وان كان بالصدف بالضد قال القاضي هذا بعيد لان الادلة قد دلت على ان كل واحد قبل مماته عند المعالجة يعلم انه من السعداء او من الاشقياء فلا يتوقف حصول تلك المعرفة على الميزان ثم اجاب القاضي عن هذا الكلام وقال يمنع ايضا ما روي لا مرجع الى حصول سروره عند الخلق العظيم انه من اولياء الله في الجنة وبالضد من ذلك في اعداء الله والمقام الثاني وهو قول حكيم الاسلام ان الكتابة عبارة عن نقوش مخصوصة وضعت بالاصطلاح لتعريف المعاني المخصوصة فلو قدرنا كون تلك النقوش دالة على تلك المعاني لاجابها وذواتها كانت تلك الكسبة اقوى واكمل اذ اثبت هذا فنقول ان الانسان اذا اتى بعمل من الاعمال مرات وكرات كثيرة متوالية حصل في نفسه بسبب تكررها ملكة قوية راسخة فان كانت تلك الملكة ملكة صارة بالاعمال النافعة في السعادات الروحانية عظم ابتهاجه بها بعد الموت وان كانت تلك الملكة ملكة ضارة في الاحوال الروحانية عظم تضرره بها بعد الموت اذ اثبت هذا فنقول ان التكرير الكثير لما كان سببا لحصول تلك الملكة الراسخة كان لكل واحد من الاعمال المتكررة اثر في حصول تلك الملكة الراسخة وذلك الاثر وان كان غير محسوس الا انه حاصل في الحقيقة واذا عرفت هذا ظهر انه لا يحصل للانسان لحظة ولا حركة ولا سكون الا ويحصل منه في جوهر نفسه اثر من آثار السعادة أو آثار الشقاوة قل او كثر فهذا هو المراد من كسبة الاعمال عنده هؤلاء والله اعلم بحقائق الأمور هذا كله اذا صرنا قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه بالملائكة القول الثاني وهو ايضا منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره ابو مسلم الاصفهاني المراد انه يستوى في علم الله تعالى السر والجهر والمستخفي بظلمة الليل والسارب بالنهار المستظهر بالمعانونين والانصار وهم الملوك والامراء فمن جاء الى الليل فلن يفوت الله امره ومن سار قهقرا بالمعقبات وهم الاحراس والاعوان الذين يحفظونه لم ينجم احراسه من الله تعالى والمعقب العون لانه اذا ابصر هذا ذلك فلا بد ان يبصر ذلك هذا قصير بصيرة كل واحد منهم معاقبة لبصيرة الآخر فهذه المعقبات لا تنحصر من قضاء الله ومن قدره وهم وانظروا انهم يخلصون

مخدو منهم من امر الله ومن قضائه فانهم لا يقدرون على ذلك البتة والمقصود من هذا الكلام بعث السلاطين والامراء والكبراء على ان يطلبوا الخلاص من المكروه عن حفظ الله وعصمته ولا يعولوا في دفعه على الاعوان والانصار ولذلك قال تعالى بعده واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له وماله من دونه من وال * اما قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فكلام جميع المفسرين يدل على ان المراد لا يغير ما هم فيه من النعم بانزال الانقسام الابان يكون منهم المعاصي والفساد قال القاضي والظاهر لا يحتمل الا هذا المعنى لانه لا شيء مما فعله تعالى سوى العقاب الا وقد ابتدئ به في الدنيا من دون تغيير يصدر من العبد فيما تقدم لانه تعالى ابتدا بالنعم دينا ودينا ويفضل في ذلك من شاء على من يشاء فالمراد بما ذكره الله تعالى التغيير بالهلاك والعقاب ثم اختلفوا فبعضهم قال هذا الكلام راجع الى قوله ويستعملونك بالسيئة قبل الحسنة فين تعالى انه لا ينزل بهم عذاب الاستئصال الا والعلم منهم الاصرار على الكفر والمعصية حتى قالوا اذا كان المعلوم ان فيه من يؤمن اوفى عقبه من يؤمن فانه تعالى لا ينزل عليهم عذاب الاستئصال وقال بعضهم بل الكلام يجري على اخلاقه والمراد منه ان كل قوم بالغوا في الفساد وغيروا طريقهم في اظهار عبودية الله تعالى فان الله يزل عنهم النعم وينزل عليهم انواعا من العذاب وبعضهم ان المؤمن الذي يكون مختلطا باولئك الاقوام فريسا دخل في ذلك العذاب روى عن ابي بكر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس اذا راوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك ان يعمهم الله تعالى بعقاب واحجج ابو علي الجبائي والقاضي بهذه الآية في مسئلتين (المسئلة الاولى) انه تعالى لا يعاقب اطفال المشركون بذنوب آبائهم لانهم لم يغيروا ما بانفسهم من نعمة فيغير الله حالهم من النعمة الى العذاب (المسئلة الثانية) قالوا الآية تدل على بطلان قول المجرة انه تعالى يبدئ العبد بالضلال والخذلان اول ما يبلغ وذلك اعظم من العقاب مع انه ما كان منه تغيير والجواب ان ظاهر هذه الآية يدل على ان فعل الله في التغيير مؤخر عن فعل العبد الا ان قوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله يدل على ان فعل العبد مؤخر عن فعل الله تعالى فوقع التعارض واما قوله واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له فقد اخرج اصحابنا به على ان العبد غير مستقل في الفعل قالوا وذلك لانه اذا كفر العبد فلا شك انه تعالى يحكم بكونه مستحقا للذم في الدنيا والعقاب في الآخرة فلو كان العبد مستقلا بتحصيل الايمان لكان قادرا على رد ما اراد الله تعالى وحينئذ يبطل قوله واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له ثبت ان الآية السابقة وان اشعرت بمذهبهم الا ان هذه الآية من اقوى الدلائل على مذهبنا قال الضحاك عن ابن عباس لم تكن العقوبات شيئا وقال عطاء عنه لا راد لعذابي ولا ناقض لحكمي وماله من دونه من وال اى ليس لهم من دون الله من يتولاهم ويمنع قضاء الله عنهم والمعنى ماله من وال اى الى امرهم ويمنع العذاب عنهم * قوله

المعنى للفاعل على ما يقتضيه الفعل الطاهر اعى لا يستجيرون ويجوز ان يكون من النبي للمعقول ويضاف الى الياسط بناء على استلزام المصدر من النبي للفاعل للمصدر من النبي للمعقول وجودا وعندما فكنا نه قيل لا يستجيرون لهم بشئ فلا يستجاب لهم الا استجابة كاشة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما في قوله وعصاة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا سمعت ابو جعفر اى لم تدع فلم يسبق الا سمعت ابو جعفر (ليبلغ) اى الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشئ من اناه ونحوه (فاه وما هو) اى الماء (بالباه) ببالغ فيه ابدا لكونه جادا لا ينشعر بقطره ولا ينسط يده اليه فضلا عن الاستطاعة لا اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركون في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شيء اسلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من يمد الى الماء يسقى وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شئ نافع بخلاف آلهتهم والمراد في الاستجابة راسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهمك بهم فقيل لا يستجيرون لهم شيئا من الاستجابة الاستجابة كاشة في هذه الصورة التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالحال وقرئ تدعون بالناء وكبسط بالتثنية (وماء الماء الكافر) الا في ضلال

اي ذهاب وضباع وخسار
(وقه) وحده (يخسد) يفضح
وينقاد لآلئ غيره استغلا لا
ولا اشترا كافا تقصر بنظر القلب
والا افراد (من في السوات
والارض) من الملائكة والمثلين
(طوعا وكرها) اي طبائين
وكارهين او اقياد طوع وكره
او حال طوع وكره فان خضوع
الكل لعظمة الله عز وجل
واقبيادهم لاحداث ما اراده
فيهم من اسكام التكوين والاعدام
شاؤا او ابوا وعدم مداخله حكم
غيره بل غير حكمه تعالى في تلك
الشؤون عما لا يخفى على احده
(وظلالهم) اي وتقلاده تعالى
ظلال من له ظل منهم اعني الانس
حيث تصرف على مشيئته
وتأني لارادته في الامتداه
والانقاص والتي هو الزوال
(بالدو والاصال) طرف
للمجود المقدور او حال من الظلال
وتخصيص الوقتين بالذ كرمع
ان اقيادها متعق في جميع
اوقات وجودها لظهور ذلك
فيها والدور جمع غداة كفتى
في جمع فتاة والاتصال جمع اميل
وقيل جمع اصل وهو جمع اميل
وهو ما بين مصر والمغرب وقيل
الدور مصدر ويؤيده انقري
والا اتصال اي الدخول في الاصيل
هذا وقيل ان المراد حقيقة
الوجود فان الكفرة حال
الاضطرار وهو المعنى بقوله تعالى
وكرها يخضون السجود به سبحانه
قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله تخضعون له الدين ولا
يبعدن عن خلق الله تعالى في الظلال
انها موقعة ولا يها سجدته سبحانه
كأن خلقها للعبال حتى اشتغل
بالسبح وظهر

تعالى (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده
والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يخادلون في الله هو
شديد المحال) اعلم انه تعالى للمخوف العباد بازال ما لامر دله اتبعه بذكر هذه الآيات
وهي مشبهة على امور ثلاثة وذلك لانها دلائل على قدرة الله تعالى وحكمته وانها تشبه
النعم والاحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب والقهر من بعض الوجوه واعلم انه
تعالى ذكر ههنا امور الربعة الاول البرق وهو قوله تعالى يريكم البرق خوفا وطمعا وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشف في انصاب قوله خوفا وطمعا وجوه
الاول لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل الملل الاعلى تقدير
حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطمعا الثاني يجوز ان يكونا
منتصين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع والتقدير ذاخوف وذاطمع
او على معنى اخفا واطمعا الثالث ان يكونا حالا من المخاطبين اي خاضعين واطاعين
(المسئلة الثانية) في كون البرق خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف
وقوع الصواعق ويطمع في نزول الفيث قال المتنبي

فتي كالسحاب الجون يخشى ويرتجى * برجي السيامنها يخشى الصواعق
الثاني انه يخاف الطمر من له فيه ضرر كالسافر وكمن في جرابه الثمر والزبيب ويطمع فيه
من له فيه نفع الثالث ان كل شيء يحصل في الدنيا فهو خير بالنسبة الى قوم وشر بالنسبة
الى آخرين فذلك الطريق في حق من يحتاج اليه في اوانه وشر في حق من يضره ذلك
اما بحسب المكان او بحسب الزمان (المسئلة الثالثة) اعلم ان حدوث البرق دليل عجيب
على قدرة الله تعالى وبيانه ان السحاب لاشك انه جسم مركب من اجزاء رطبة مائية
ومن اجزاء هوائية ونارية ولاشك ان الغالب عليه الاجزاء المائية والماء جسم بارد
رطب والنار جسم حار يابس وظهور الضد من الضد التام على خلاف العقل فلا بد من
صانع مختار يظهر الضد من الضد فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان الريح احتقن في داخل
جرم السحاب واستولى البرد على ظاهره فانجمد السطح الظاهر منه ثم ان ذلك الريح يمزقه
تمزيقا عتيقا فيتولد من ذلك التمزيق الشديد حركة عنيفة والحركة العنيفة موجبة
للسخونة وهي البرق والجواب ان كل ما ذكرتموه على خلاف المقول وببانه
من وجوه الاول انه لو كان الامر كذلك اوجب ان يقال انما يحصل البرق فلا بد وان يحصل
الرعد وهو الصوت الحادث من تفرق السحاب ومعلوم انه ليس الامر كذلك فانه كثيرا
ما يحدث البرق القوى من غير حدوث الرعد الثاني ان السخونة الحاصلة بسبب قوة
الحركة مقابلة للطبيعة المائية الموجبة للبرد وعند حصول هذا العارض القوى كيف
يحدث النارية بل نقول النيران العظيمة تنطق بصب الماء عليها والسحاب كله ماء فكيف
يمكن ان يحدث فيه شعلة ضعيفة نارية * الثالث من مذهبكم ان النار الصرفة لا لون

فيها آثار العجلى كما قاله ابن الانباري
ويجوز ان يراد بمجودها
ما يشاهد فيها من هيئة السجود
تبعاً لاصحابها وانت خبير بأن
اختصاص سجود الكافر حالة
الضرورة والشدّة بالله سبحانه
لا يجيدى فان سجودهم لاصنامهم
حالة الرخاء محل بالقصر المستفاد
من تقديم الجار والمجرور فالوجه
حل السجود على الاقياد ولأن
تحقيق اقياد الكل في الإبراهيم
والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ
على اتقاد اولياء من دونه من
تحقيق سجودهم له تعالى
وتخصيص اقياد الصلابة بالذكر
مع كون غيرهم أيضاً كذلك لانهم
العمدة واتيادهم دليل اقياد
غيرهم على انهم ذلك بقوله عن
وجل من رب السموات
والارض) فانه تحقيق ان
خالقهما ومتولى امرهما مع ما
فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه
وقوله تعالى (قل الله اسر الجواب
من قبله عليه الصلاة اشعاراً بأنه
متعين للجوابية فهو واتهم في
تقريره سواء او امره محسوبة
اعترافهم ايذاناً بأنداس لا بد لهم
من ذلك كما قيل اسك اعترافهم
فيكبتهم بما يلزمهم من الحجّة
والقهم الحبر أو امر بتلقيهم
ذلك ان التفتوا في الجواب حذراً
من الاضرار فانهم لا يتكلمون اذ
ذاك ولا يتحدون على انكاره
(قل) انزالهم وبتكينا (فانما يجدتم)
لانفسكم والهمزة لا تكثر الواقع
كافي قولك اضررت اياك لا لا تكثر
الوقوع كافي قولك اضررت لى
والفاء المطفة على تقدير بعد
الهمزة اى اعلم ان ذريتهما هو الله
الذى يتقاد لاسره من فيها كافة

لها البتة فهب انه حصلت النارية بسبب قوة المحاكاة الحاصلة بأجزاء السحاب لكن من
اين حدث ذلك اللون الاحمر فثبت ان السبب الذى ذكره ضعيف وان حدوث النار
الحاصلة في جرم السحاب مع كونه مائخلاً لا يمكن الا بقدرة القادر الحكيم (النوع
الثانى) من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وينشئ السحاب الثقال قال
صاحب الكشف السحاب اسم جنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول
سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهى الثقال بالماء واعلم
ان هذا ايضا من دلائل القدرة والحكمة وذلك لان هذه الاجزاء المائية امان يقال
انها حدثت في جوف الهواء او يقال انها تصاعدت من وجه الارض فان كان الاول وجب
ان يكون حدوثها باحداث محدث حكيم قادر وهو المطلوب وان كان الثانى وهو ان يقال
ان تلك الاجزاء تصاعدت من الارض فلما وصلت الى الطبقة الباردة من الهواء بردت
فتقلبت فرجعت الى الارض فنقول هذا باطل وذلك لان الاطوار مختلفة فتارة تكون
القطرات كبيرة وتارة تكون صغيرة وتارة تكون متقاربة وتارة تكون متباعدة وتارة
تدوم مدة زول المطر زماناً طويلاً وتارة قليلاً فاختلاف الامطار في هذه الصفات مع ان
طبيعة الارض واحدة وطبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لابد وان يكون
بمخصص الفاعل المختار وايضاً بالتجربة دلت على ان النداء والتضرع في زول الغيث اثره
عظيماً ولذلك كانت صلاة الاستسقاء مشروعة فلما ان المؤثر فيه هو قدرة الفاعل
لا الطبيعة والخاصية (النوع الثالث) من الدلائل المذكورة في هذه الآية الرعد وهو
قوله ويسج الرعد بحمده والملائكة من خيفته وفيه اقوال (الاول) ان الرعد اسم ملكت
من الملائكة وهذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك بالسيبج والتهليل عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من
الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما
الصوت الذى نسمع قال زجره السحاب وعن الحسن انه خلق من خلق الله ليس بملك فعلى
هذا القول الرعد هو الملك الموكل بالسحاب وصوته تسبيح لله تعالى وذلك الصوت ايضا
يسمى بالرعد ويؤكد هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سمع الرعد قال
سبحان الذى سمعت له وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ينشئ السحاب الثقال
فينطق احسن النطق ويضحك احسن الضحك فتنطق الرعد وصحكه البرق واعلم ان هذه
القول غير مستبعد وذلك لان عند اهل السنة البنية ليست شرطاً لحصول الحياة فلا يبعد
من الله تعالى ان يخلق الحياة والعلم والقدرة والنطق في اجزاء السحاب فيكون هذا
الصوت المسموع فضلاله وكيف يستبعد ذلك ونحن نرى ان السمندل يتولد في النار
والضفادع تتولد في الماء البارد والدودة العظيمة ربما تتولد في التلوج القديمة وايضاً
فاذا لم يبعد تسبيح الجبال في زمن داود عليه السلام ولا تسبيح الحصى في زمان محمد صلى

فالتختم عليه (من دونه اولياء)
عاجزين (لا يكون لانفسهم
نفعاً) يستجلونه (ولا ضرراً)
يدفعونه عن انفسهم فضلاً
عن القدرة على جلب النفع لغيره
ودفع الضرر عنه لاعلى ان
يكون الانتكار متوجهاً الى
المطوفين مما كما في قوله تعالى
أفلا تعقلون اذا قدر المطوف
عليه الاثمعون بل الى ترتيب
الشئ على الاول مع وجوب
ان يترتب عليه تقيضه كما اذا
قدر اثمعون والمضى أبعد ان
علم ان ربهما هو الله جل
جلاله اتخذتم من دونه اولياء
مجهزاً الحال ان قضية العلم بذلك
انما هو الاختصاص على توليه
فكمستم الامر كما في قوله تعالى
كان من الجن فسحق عن أسر به
أفخذونه وذريته اولياء من
دونه ووصف الاولياء ههنا بدم
الملكية للنفع والضرر في ترشيح
الانكار وتأكيده كتحديد
الانكار هناك بالجهة الحالية اعني
قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلاً
منهما بما ينفي الانكار المذكور
ويؤكد انكاره (قل) تصورا
لآرائهم الركيكة بصورة
المحسوس (هل يتوسى الاعشى)
الذى هو المشرك الجاهل
بالعبادة ومسحقها (والبصير)
الذى هو الموحد السلام بذكر
اولا من عبادة عن العبادة الغافل
والثاني اشارة الى العبادة العالم
بكل شئ (أم هل تستوى الظلمات)
التي هي عبارة عن الكفر
والضلال (والنور) الذى هو
عبارة عن التوحيد واليمان
وقرىء بالياء ولما دل النظم
الكرام على ان

الله عليه وسلم فكيف يستبعد تسبيح السحاب وعلى هذا القول فهذا الشئ المسمى بالرعد
ملك اولياء ليس ملك فيه قولاً واحداً هما انه ليس ملك لانه عطف عليه الملائكة فقال
والملائكة من خيفته والمطوف عليه مغاير للمطوف والثاني وهو انه لا يعد ان يكون
من جنس الملائكة وانما احسن افراده بالذكر على سبيل التثريب كما في قوله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال وفي قوله واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح (القول
الثاني) ان الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص ومع ذلك فان الرعد يسبح الله سبحانه لان
التسبيح والتقديس وما يجري مجرىهما ليس الوجود لفظ يدل على حصول التنزيه
والتقديس لله سبحانه وتعالى فلما كان حدوث هذا الصوت دليلاً على وجود موجود
متعال عن النقص والامكان كان ذلك في الحقيقة تسبيحاً وهو معنى قوله تعالى وان من
شئ الا يسبح بحمده (القول الثالث) ان المراد من كون الرعد مسبحاً ان من يسمع الرعد
قانه يسبح الله تعالى فلهذا المعنى اضيف هذا التسبيح اليه (القول الرابع) من كلمات
الصوفية الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكأؤهم فان قيل
وما حقيقة الرعد قلنا استقصينا القول فيه في سورة البقرة في قوله فيه ظلمات ورعد يورق
اما قوله والملائكة من خيفته فاعلم ان من المفسرين من يقول عني بهؤلاء الملائكة
أعوان الرعد فانه سبحانه جعل له أحوالاً ومعنى قوله والملائكة من خيفته اى وتسبح
الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته قال ابن عباس رضى الله عنهما انهم خائفون من
الله لا يخوف ابن آدم فان احدهم لا يعرف من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن
عبادة الله طعام ولا شراب ولا شئ واعلم ان المحققين من الحكماء يذكرون ان هذه الآثار
العلوية انما تتم بقوة روحانية فليكن ذلك السحاب روح معين من الارواح الفلكية يدبره
وكذا القول في الرياح وفي سائر الآثار العلوية وهذا عين ما نقلناه من ان الرعد اسم ملك
من الملائكة يسبح الله فهذا الذى قاله المفسرون بهذه العبارة هو عين ما ذكره المحققون
من الحكماء فكيف يليق بالعالم الانكار (النوع الرابع) من الدلائل المذكورة في هذه
الآية قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء واعلم اننا قد ذكرنا معنى الصواعق في
سورة البقرة قال المفسرون نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة الخ
ليدين ربيعة أنبا النبي صلى الله عليه وسلم بخاصته ويجادلانه ويريدان الفتك به
فقال أربد بن ربيعة اخو ليدين ربيعة أخبرنا عن ربنا امن نحاس هوام من حديد ثم انه
لما رجع اربدارسل الله عليه صاعقة فاحرقته ورمى عامراً بقعدة كعدة البعير ومات
في بيت سلوية واعلم ان امر الصاعقة عجيب جداً وذلك لانها تار تولد من السحاب واذا
نزلت من السحاب فرمى غاصت في البحر واهرقت الحيتان في جلة البحر والحكماء بالقوافي
وصف قوتها ووجه الاستدلال ان النار حارة يابسة وطبيعتها ضد طبيعة السحاب فوجب
ان تكون طبيعتها في الحرارة واليبوسة أضعف من طبيعة النيران الحادثة عندنا على

الكفرة فيما فعلوا من انضاد
الاصنام اولياء من دون الله
سبحانه في الضلال المحض
ونطاش البعث بحيث لا يخفى
بطلانه على احد وانهم في ذلك
كالاعى الذى لا يهتدى الرشى
أصلا وليس لهم في ذلك شبهة
تصلح ان تكون منشأ لغلطهم
وخطئهم فضلا عن المحبة اكد ذلك
فقل (أم جعلوا الله) أى بل
أجعلوا الله (شركاء خلقوا كخلقهم)
سبحانه والمهرة لا تكثر الوقوع
لا لتكثر الواقع مع وقوعه وقوله
خلقوا كخلقهم هو الذى يتوجه
اليه الإنكار وما نفس الجمل
فهو واقع لا يتعلق بالإنكار بهذا
المعنى والمعنى أنهم لم يجعلوا الله
قائل شرعاً خلقوا كخلقهم
(فتشابه الخلق عليهم) بسبب ذلك
وقالوا هو لا خلقوا كخلقهم تعالى
فاستقصوا بذلك العبادة كما
استحقها ليكون ذلك منشأ لغلطهم
بل انما جعلوا له شركاء ما هو
بمعزل من ذلك بالمرء وفيه ما لا يخفى
من التريض برسكاً كثر أيهم
والتهكم بهم (قل) تحقيقاً
للعق وارشادهم اليه (الله خالق
كل شئ) كافة لا خالق سواء
فيشاركه في استحقاق العبادة (وهو
الواحد) المتوحد بالالوهية
المتفرد بالربوبية (القهار) لكل
ما سواه فكيف يشعرون ان
يكون له شريك ويسموا مثل
الشرك والشرك بالاعى
والظلمات والموجد والتوحيد
بالصير والنور مثل الحق الذى
هو القرآن العظيم في فضائه
من جنبات القدس على
قلوب خالصة عنه متفاته
لا استعداد وفي جرياته عليها

العادة لكنه ليس الامر كذلك فأنما أقوى نيران هذا العالم قنبت ان اختصاصها بمزيد تلك
القوة لا بد وان يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل
الاربعة قال وهم يحادلون في الله والمراد انه تعالى بين دلائل كمال علمه في قوله يعلم ما تحمل
كل شئ وبين دلائل كمال القدرة في هذه الآيات ثم قال وهم يحادلون في الله يعنى هؤلاء
الكفار مع ظهور هذه الدلائل يحادلون في الله وهو يحتمل وجوها احدها ان يكون
المراد الرد على الكافر الذى قال اخبرنا عن ربنا أمن نحاس أم من حديد وثانيها ان
يكون المراد الرد على جدالهم في انكار البعث وبطلان الحشر والنشر وثالثها ان يكون
المراد الرد عليهم في طلب سائر المعجزات ورابعها ان يكون المراد الرد عليهم في استنزاع
عذاب الاستئصال وفي هذه الواو قولان الاول انها المحال والمعنى فيصيب بالصاعقة من
يشاء في حال جداله في الله وذلك ان اريد لما جادل في الله احرقت الصاعقة والثاني انها و
الاستئناف كأنه تعالى لما تم ذكر هذه الدلائل قال بعد ذلك وهم يحادلون في الله ثم قال
تعالى وهو شديد المحال وفي لفظ المحال أقوال قال ابن قتيبة الميم زائدة وهو من الحلول
ونحوه ميم مكان وقال الأزهري هذا غلط فان الكلمة اذا كانت على مثال فعال اوله ميم
مكسورة فهي اصلية نحو مهاد وملاك ومداس ومداد واختلفوا ام اخذ على وجوه
الاول قيل من قولهم محل فلان بفلان اذا سعى به الى السلطان وهرضه للهلاك وبمحل
لكذا اذا تكلف استتممال الحيلة واجتهد فيه فكان المعنى انه سبحانه شديد المنكر
لاعدائه يهلكهم بطريق لا يتوقعونه الثاني ان المحال عبارة عن الشدة ومنه تسمى
السنة الصعبة سنة المحل وما حلت فلان محالاً اي قاومتها انما اشد قال ابو مسلم وبمحال
فعال من المحل وهو الشدة ولفظ فعال يقع على المجازاة والمقابلة فكان المعنى انه تعالى
شديد العقوبة وللمفسرين ههنا عبارات فقال مجاهد وقناة شديد القوة وقال ابو عبيدة
شديد العقوبة وقال الحسن شديد الثقمة وقال ابن عباس شديد الحلول الثالث قال ابن
عرفة يقال ما حل عن امره اي جادل فقوله شديد المحال اي شديد الجدال الرابع روى
عن بعضهم شديد المحال اي شديد الحقد قالوا هذا لا يصح لان الحقد لا يمكن في حق الله
تعالى الا ان اذ ذكرنا في هذا الكتاب ان امثال هذه الالفاظ اذا وردت في حق الله تعالى
فأنما تحمل على نهايات الاعراض لاعلى مبادئ الاعراض فالمراد بالحقد ههنا هو انه تعالى
يريد ابطال الشر اليه مع انه يخفى عنه تلك الارادة قوله تعالى (له دعوة الخلق والذين
يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى السماء ليبلغ قاه وما هو بالعلم
ومادعا الكافرين الا في ضلال) اعلم ان قوله له دعوة الخلق اي لله دعوة الخلق وفيه بحثان
(البحث الاول) في اقوال المفسرين وهي امور احدها ما روى عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال دعوة الخلق قول لا اله الا الله وثانيها قول الحسن ان الله هو الخلق
فدعاؤه هو الخلق كأنه يوحي الى ان الانقطاع اليه في الدعاء هو الخلق وثالثها ان عبادته هي

ملاحظة وحفظا وعلى الألسنة
مذاكرة وتلاوة وفي ثباتها
مع كونه حمدا لحياها الروحانية
وإبتلاؤها من الملكات السنية
والأعمال المرضية بالماء الدازل
من السائل في أودية إبسة
لم تخرج عادتاً بذلك سبيلاً مقدر
يقدر اقتضته الحكمة في أحياء
الأرض وما عليها الباقى فيها
حسباً يدور عليه منافع الناس
وفي كونه حلية تحلى به أنفوس
وتصل إلى البهجة الأبدية ومتاعاً
يتنعم به في العاش والمعاد بالذهب
والفضة وسائر الفلزات التي تخذ
منها أنواع الآلات والأدوات
وتبقى منتفعا بها مدة طويلة
ومثل الباطل الذي ابتلى به
الكفر وتصور لهم ما يظهر
فيها من غير مداخلة له فيها
واخلال بصفاها من الزبد
الرائى فوقها المضمحل سريعاً
قتيل (أنزل من السماء) أى من
جهنم (ماء) أى كثيراً أنواعه
وهو ماء المطر (فسات) بذلك
(أودية) واقصة في مواقعها
لا جميع الأودية إذا لاقطار
لاستوعب الاقطار وهو جمع
واد وهو مفرج بين جبال
أو تلال أو أكام على الغدود
كناد والندبة وناج ونجمة قالوا
وجهان فاعلاججى بمعنى فيل
كناصر ونصير وشاهد وشهد
وعلم وحلم وحيت جمع فيل
على أكمة كجرب واجربة جمع
فاعل أيضاً على أكمة فإن أريد
بها ما يسيل فيها مجازاً فاستاد
السيلان إليها حقيق وإن أريد
مناها الحقيقي فالاستاد مجازى
كأن جرى النهر وإبار التحليل بها

على

الحق والصدق وأعلم أن الحق هو الموجود الموجود قسم يقبل العدم وهو حق
يمكن أن يصير باطلاً وقسم لا يقبل العدم فلا يمكن أن يصير باطلاً وذلك هو الحق الحقيقي
وإذا كان واجب الوجود لذاته موجوداً لا يقبل العدم كان أحق الموجودات بأن
يكون حقاً هو هو وكان أحق الاعتقادات وأحق الأذكار بأن يكون حقاً هو اعتقاد
بثبوته وذكرو وجوده ثبت بهذا أن وجوده هو الحق في الموجودات واعتقاد وجوده هو
الحق في الاعتقادات وذكروه بالثناء والالهية والكمال هو الحق في الأذكار فلماذا قال له
دعوة الحق (البحث الثاني) قال صاحب الكشف دعوة الحق فيه وجهان أحدهما أن
تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو تقيض الباطل كإضافة إليه الكلمة في قوله كلمة الحق
والمقصود منه الدلالة على كون هذه الدعوة مختصة بكونها حقة وكونها خالية عن أمارات
كونه باطلاً وهذا من باب إضافة الشيء إلى صفته والثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله
سبحانه على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجب وعن الحسن الحق هو الله وكل
دعاه إليه فهو دعوة الحق ثم قال تعالى والذين يدعون من دونه نعى الآلهة الذين يدعونهم
الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشئ ما يطلبونه الاستجابة كاستجابة باسط كفيه
إلى الماء والماء يجاد لا يشمر بسط كفيه ولا يعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يعجب
دعاه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع أجابتهم ولا يقدر
على نفعهم وقبل شبهوا في قلة فائدة دعائهم لا تهمهم من أراد أن يعرف الماء بيديه لشربه
فيسطها أنثر أصابعه ولم تصل كفاه إلى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من شربه وقرئ
تدعون بالثناء كباسط كفيه بالتشوين ثم قال ومادعاه الكافرين إلا في ضلال أى في ضياع
لا منفعة فيه لأنهم أن دعوا الله لم يجبه وإن دعوا الآلهة لم تستطع أجابتهم * قوله تعالى
(والله يسجدون في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) أعلم أن في
المراد بهذا السجود قولين (الأول) أن المراد منه السجود بمعنى وضع الجبهة على الأرض
وعلى هذا الوجه ففيه وجهان أحدهما أن اللفظ وإن كان عاماً الآن المراد به
الخصوص وهم المؤمنون فبعض المؤمنين يسجدون لله طوعاً بسهولة وتشاؤ ومن
المسلمين من يسجد لله كرها لصعوبة ذلك عليه مع أنه يحمل نفسه على أداء تلك الطاعة
شأن أم أبى والثاني أن اللفظ عام والمراد منه أيضاً العام وعلى هذا في الآية أشكال لأنه
ليس كل من في السموات والأرض يسجد لله بل اللائكة يسجدون لله والمؤمنون من
الجن والإنس يسجدون لله تعالى وأما الكافرون فلا يسجدون الجواب عنه من وجهين
الأول أن المراد من قوله والله يسجد من في السموات والأرض أى ويجب على كل من في
السموات والأرض أن يسجد لله فبهر عن الوجوب بالوقوع والحصول والثاني وهو أن
المراد من السجود التعظيم والاعتراف بالعبودية وكل من في السموات ومن في الأرض
يعترفون بعبودية الله تعالى على ما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن

الانهار المسقرة الجريان لوضوح
المنطقة بين شأنها وشأن ماسهل
بها كما اشيع اليه (بقدرها)
اى سالت ملتية بمقدارها الذى
عنه الله تعالى واقتضته حكمته
في نفع الناس او بمقدارها
المتفاوتة وكثرة بحسب تفاوت
معالها صفا وكبر الالكونها مالة
لهما منطوقة عليها بل مجرد
قلتها بصرفها المستلزم لفة
موارد الماء وكثرتها بكبرها
المستدعي لكثرة الموارد فان
مورد السيل الجارى فى الوادى
الصغير اقل من مورد السيل
الجارى فى الوادى الكبير هذا ان
اريد بالآودة ما يسيل فيها
اما ان اريد بها معناها الحقيقي
فالمنى سالت مياهها بقدر تلك
الآودة على ضوء ما عرفت آفا
او يراد بضمها مياهها بطريق
الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر
اولا من المعنيين (فاحتمل السيل)
الجارى فى تلك الآودة اى
جل منه (زيدا) اى غدا و غوة
واما وصف ذلك بقوله تعالى
(رابيا) اى عاليا منتخفا فوقه
بيانا لما اراد بالاحتمال المحتمل
لكون الجبل غير طاف كالاستبحار
التيقظ والاعمال يدفع ذلك الاحتمال
بان يقال فاحتمل السيل فوقه
للايدان بان ذلك القسوية
مقتضى شأن الزبد لا من جهة
الحتمل تصفيا للمائة بينه وبين
ما سهل به من الباطل الذى شأنه
الظهور في ابدى الراى من غير
مداخلة فى الحق (وما يوقدون)
عليه فى النار) اى يفعلون
الافتقار عليه كاشفى النار والظنير
لناس اخير مع عدم

الله (واما القول الثانى فى تفسير الآية) فهو ان السجود عبارة عن الانقياد والخضوع
وعدم الامتناع وكل من فى السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى لان قدرته ومشيئته
نافذة فى الكل وتحقيق القول فيه ان ماسواه ممكن لذاته والممكن لذاته هو الذى يكون
ماهية قابلة لعدم الوجود على السوية وكل من كان كذلك امتنع رجحان وجوده على
عدمه او بالعكس الابتائير موجد ومؤثر فيكون وجود كل ماسوى الحق سبحانه بايجاده
وعدم كل ماسواه باعدامه فتأثيره نافذ فى جميع الممكنات فى طرفى الاتحاد والاعدام
وذلك هو السجود وهو التواضع والخضوع والانقياد وظاهر هذه الآية قوله بل له ما فى
السموات والارض كل له قانون وقوله وله اسلم من فى السموات والارض واما قوله تعالى
طوعا وكرها فالمراد ان بعض الحوادث بما يميل الطبع الى حصوله كالحياة والبنى وبعضها
بما يفر الطبع عنه كال موت والفقر والعلى والحزن والامانة وجميع اصناف المكروهات
والكل حاصل بقضائه وقدره وتكوينه وابعاده ولا قدرة لاحد على الامتناع
والمدافعة ثم قال تعالى وظلالهم بالغدو والاصال وفيه قولان الاول قال المفسرون
كل شخص سواء كان مؤمنا او كافرا فان ظله يسجد لله قال مجاهد ظل المؤمن يسجد
لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء فى
التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله وعندها قال ابن الانبارى لا يبعد ان
يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافهاما يسجد بها تخضع كما جعل الله للعبال افهاما حتى
اشتغلت بتسبيح الله تعالى وحتى ظهر اثر التبعيل فيها كما قال فلما تبعلى ربه للجل جعله ذكرا
والقول الثانى وهو ان المراد من سجود الظلال ميلاتها من جانب الى جانب وطولها
بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس فهى متقادة مستقيمة فى طولها
وقصرها وميلها من جانب الى جانب وانما خص الغدو والاصال بالذكرا لان الظلال
انما تعظم وتكثر فى هذين الوقتين قوله تعالى (قل من رب السموات والارض قل الله

قل افأخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الاعمى
والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقة فتشابه الخلق
عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار) اعلم انه تعالى لما بين ان كل من فى
السموات والارض ساجد لله بمعنى كونه خاضعا له ادا الى الرد على عبدة الاصنام فقال قل
من رب السموات والارض قل الله ولما كان هذا الجواب جوابا يقرب المسؤل ويعترف
به ولا يشكره امره صلى الله عليه وسلم ان يكون هو الذكرا لهذا الجواب تنبها على انهم
لا يشكروه البتة ولما بين انه سبحانه هو الرب لكل الكائنات قال قل لهم فلم اتخذتم من
دون الله اولياء وهى جادات وهى لاتملك لانفسها نفعا ولا ضرا ولما كانت عاجزة عن
تحصيل النفعة لانفسها ودفع المضرة عن انفسها فبان تكون عاجزة عن تحصيل النفعة
لغيرها ودفع المضرة عن غيرها كان ذلك اولى فاذا لم تكن قادرة على ذلك كانت عبادتها

محض البعث والسفء ولما ذكر هذه الجملة الظاهرة بين ان الجاهل يمثل هذه الجملة يكون
 كالأعمى والعالم بها كالصير والجهل يمثل هذه الجملة كالظلمات والعلم بها كالنور وكما
 ان كل احد يعلم بالضرورة ان الأعمى لا يساوى البصير والظلمة لا تساوى النور كذلك كل
 احد يعلم بالضرورة ان الجاهل بهذه الجملة لا يساوى العالم بها فارجزة والكسافى وابوبكر
 وعمر بن الخطاب يستوى الظلمات والنور بالياء لانها مقدمة على اسم الجمع والباقيون بالياء
 واختاره ابو عبيدة ثم أكد هذا البيان فقال ام جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه
 الخلق عليهم يعنى هذه الاشياء التى زعموا انها شركاء لله ليس لها خلق يشبه خلق الله حتى
 يقولوا انها تشارك الله فى الخلقية فوجب ان تشاركه فى الالهية بل هؤلاء المشركون
 يعملون بالضرورة ان هذه الاصنام لم تصدر عنها فعل البتة ولا خلق ولا اثر واذا كان الامر
 كذلك كان حكمهم بكونها شركاء لله فى الالهية محض السفء والجهل وفى الآية مسائل
 (المسئلة الاولى) اعلم ان اصحابنا استدلوا بهذه الآية فى مسئلة خلق الافعال من وجوه
 الاول ان العزلة زعموا ان الحيوانات تخلق حركات وسكنات مثل الحركات والسكنات
 التى تخلقها الله تعالى وعلى هذا التقدير قد جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه ومعلوم
 ان الله تعالى اعماد ذكر هذه الآية فى معرض الذم والانتكار فدللت هذه الآية على ان العبد
 لا يخلق فعل نفسه قال القاضي نحن وان قلنا ان العبد يفعل ومحدث الا انا لانطق
 القول بأنه يخلق ولو اطلقناه لم نقل انه يخلق كخلق الله لان احداثا بفعل بقدرته الله وانما
 يفعل جلب منفعة ودفع مضرة والله تعالى منزع عن ذلك كله فثبت ان تقدير كون
 العبد خالقا الا انه لا يكون خلقه كخلق الله تعالى وايضا فهذا الارزام لازم للجبرية لانهم
 يقولون عين ما هو خلق الله تعالى فهو كسب العبد وفعله وهذا عين الشرك لان الاله
 والعبد فى خلق تلك الافعال بمنزلة الشريكين الذين لا مال لاحدهما الا الآخر فبه حق
 وايضا فهو تعالى اعماد ذكر هذا الكلام عيا للكفار وذما لطريقتهم ولو كان فعل العبد
 خلقا لله تعالى لما بقى لهذا الذم فائدة لان الكفار ان يقولوا على هذا التقدير ان الله
 سبحانه وتعالى لما خلق هذا الكفر فينا فإيذنا عليه ولم ينسبنا الى الجهل والتقصير معانه
 فمحصل فينا لا بفعلنا ولا باختيارنا والجواب عن السؤال الاول ان لفظ الخلق اما
 ان يكون عبارة عن الاخراج من العدم الى الوجود او يكون عبارة عن التقدير وعلى
 الوجهين فبتقدير ان يكون العبد محدثا فانه لابد وان يكون حادثا اما قوله والعبد
 وان كان خالقا الا انه ليس خلقه كخلق الله قلنا خلق عبارة عن اليجاد والتكوين
 والاخراج من العدم الى الوجود ومعلوم ان الحركة الواقعة بقدره العبد لما كانت مثلا
 للحركة الواقعة بقدره الله تعالى كان احدا للمخلوقين مثلا للمخلوق الثانى وحيث يصح ان
 يقال ان هذا الذى هو مخلوق العبد يمثل ما هو مخلوق لله تعالى بل لاشك فى حصول المخالفة
 فى سائر الاعتبارات الا ان حصول المخالفة فى سائر الوجوه لا يقدح فى حصول المماثلة

سبق الذكر لظهوره وتروى
 بالخطاب (بتفاحلية اوتناع)
 الى طلب انخساز حلية وهى
 ما يتزين ويتجمل به كالحلى
 المتخذة من الذهب والفضة او
 اتخذ متاع وهو ما يتبع به من
 الاواني والاكلات المتخذة من
 الرصاص والحديد وغير ذلك من
 الفلزات (زيد) خبت (مثله) مثل
 ما ذكر من مزيد المالى كونه راييا
 فوقه فقوله زيد مبتدأ خبره
 الظرف المقدم ومن ابتدائية
 دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئا
 منه لان تعيضية معربة عن كونه
 بعضا منه كقيل لا خلال ذلك
 بالتيسيل وفى التفسير عن ذلك
 بالموصول والتعرض للمالى حيث
 الصلة من ايقاد النار عليه جرى
 على سن الكبرياء فظهر التباين به
 كافى قوله تعالى فأوقد لي ايامان
 على الطين واشارة الى كيفية
 حصول الزيد منه بدوائه وفى
 زيادة فى النار اشعار بالمبالغة فى
 الاعتمال للاذابة وحصول الزيد
 كما يشير اليه وعدم التعرض
 لاجراجه من الارض لعدم دخل
 ذلك العنوان فى التفتيل كما ان
 لعنوان انزال الماعن السماء دخلا
 فيه حسبا فصل فيما سلف بل به
 اخلاص بذلك (كذلك) اى مثل
 ذلك الضرب اليدى الممثل على
 نكت راقصة (يضرب الله الحق
 والباطل) اى مثل الحق ومثل
 الباطل والحذف للاتباع عن كمال
 التفاضل بين الممثل والممثل به كان
 المثل المضروب عن الحق والباطل
 وبدقيق التمثيل مع الالاء
 تضاعف ذلك الى وجود المماثلة
 على ابدع وجوه وأقبحا حسبا
 اشير اليه فى مواضعها بين ما يتكلم من

من هذا الوجه وهذا القدر يكفي في الاستدلال واما قوله هذا لازم على المجرة حيث قالوا
ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فقول هذا غير لازم لان هذه الآية دالة على انه لا يجوز ان
يكون خلق العبد مثلا لخلق الله تعالى ونحن لانثبت للعبد خلقا البتة فكيف يزعمون ذلك
واما قوله لو كان فعل العبد خلقا لله تعالى لما حسن ذم الكفار على هذا المذهب قلنا
حاصله يرجع الى انه لما حصل المدح والذم وجب ان يكون العبد مستقلا بالفعل وهو
منقوض لانه تعالى ذم بالهيب على كفره مع انه عالم منه انه يموت على الكفر وقد ذكرنا
ان خلاف المعلوم محال الوقوع فهذا تقرير هذا الوجه في هذه الآية واما الوجه الثاني
في التمسك بهذه الآية قوله قل الله خالق كل شيء ولشأن فعل العبد شيء فوجب ان يكون
خالقه هو الله وسؤالهم عليه ما تقدم والوجه الثالث في التمسك بهذه الآية قوله وهو
الواحد القهار وليس يقال فيه انه تعالى واحد في اى المعاني ولما كان المذكور السابق
هو الخالقية وجب ان يكون المراد هو الواحد في الخالقية القهار لكل مأساة وحيدة
يكون دليلا ايضا على صحة قولنا (المسئلة الثانية) زعم جهم ان الله تعالى لا يقع عليه اسم
الشيء اعلم ان هذا النزاع ليس الا في اللفظ وهو ان هذا الاسم هل يقع عليه ام لا وزعم انه
لا يقع هذا الاسم على الله تعالى واحتج عليه بأنه لو كان شيئا لوجب كونه خالقا لنفسه
لقوله تعالى الله خالق كل شيء ولما كان ذلك محسالا وجب ان لا يقع عليه اسم الشيء
ولا يقال هذا عام دخله التخصيص لان العام المخصوص انما يحسن اذا كان المخصوص
اقل من الباقي واخص منه كما اذا قل أكلت هذه الزمانة مع انه سقطت منها حبات
ما كلها وهنا ذات الله تعالى اعلى الموجودات واشرفها فكيف يمكن ذكر اللفظ العام
الذى يتناول مع كون الحكم مخصوصا في حقه والجملة الثانية تمسك بقوله تعالى ليس كمثل
شيء والمعنى ليس مثل مثله شيء ومعلوم ان كل حقيقة فانها مثل مثل نفسها فالبارى
تعالى مثل مثل نفسه مع انه تعالى نبه على ان مثل مثله ليس بشيء فهذا تنصيص على انه
تعالى غير مسمى باسم الشيء والجملة الثالثة قوله تعالى والله الاسماء الحسنى فادعوه بها دلت
هذه الآية على انه لا يجوز ان يدعى الله الا بالاسماء الحسنى ولفظ الشيء يتناول الخس
الموجودات فلا يكون هذا اللفظ مشعرا بمعنى حسن فوجب ان لا يكون هذا اللفظ
من الاسماء الحسنى فوجب ان لا يجوز دعاء الله تعالى بهذا اللفظ والاعجاب تمسكوا
في اطلاق هذا الاسم عليه تعالى بقوله قل اى شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم
واجاب الخصم عنه بأن قوله قل اى شيء اكبر شهادة سؤال متروك الجواب وقوله قل الله
شهيد بيني وبينكم كلام مبتدأ مستقل بنفسه لا لتعلقه بما قبله (المسئلة الثالثة) تمسك
المعزلة بهذه الآية في انه تعالى عالم لذاته بالاعمال وقادر لذاته بالقدرة قالوا لانه لو حصل لله
تعالى علم وقدر وخياة لكانت هذه الصفات امانا ان يحصل بخلق الله اولا بخلقه والا
باطل واللازم التسلسل والثاني باطل لان قوله الله خالق كل شيء يتناول الذات والصفات

المتئين على وجه التمثيل مع التصريح
بمعنى ما به الماتة من الذهاب
والبقاء بقية الغرض من التمثيل
من الحث على اتباع الحق الثابت
والردع عن الباطل الزائد فقيل
(فلما الزيد) من كل منهما
(فيذهب بظاه) اى مرميا به
وقرى جفلا والمعنى واحد
(واما ما يقع الناس) منهما كالماء
الصافي والقر والخالص (فيثبت
في الارض) الماء فيثبت بعضه
في مناقحه ويسلك بعضه في عروق
الارض الى العيون والنبات
والايار واما القر فيصاغ من
بعضه انواع الحلى ويتخذ من
بعضه اصناف الاسلحة
والادوات فينتفع بكل من ذلك
انواع الانتفاعات مدة طويلة
فالمراد بالمثل في الارض ما هو
اعم من المكث في نفسها ومن
البقاء يدى المتقين فيها وتغيير
ترتيب القلوب الواقع في التمثيل
مرعاة للملازمة بين حالى الذهاب
والبقاء وين ذكر فيما فان المعبر
انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب
الذاهب لاقوله (كذلك يضرب
الله) اى يمثل ذلك الضرب
العجيب يضرب الله (الامثال) في
كل باب اظهارا لكمال العطف
والمنية في الارشاد والهداية
وفيه تعظيم لشأن هذا التمثيل
وتأكيد لقوله كذلك يضرب الله
الحق والباطل اما باعتبار ابقاء
هذا على التمثيل الاول او بحمل
ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد
ما بين شأن كل من الحق والباطل
حالا وما تلا اكمل بيان شرع

في بيان حال أهل كل منها ما لا
تكميلاً لا دعوتهم غير ما لا
لقد استجابوا للرهبان اذ دعاهم
الى الحق فبنون الدعوة التي من
جلبها ضرب الامثال فانه العطف
ذريعة الى تفهم القلوب الغبية
واقوى وسيلة الى تحفيز النفوس
الالية كيف لا وهو تصوير
للعقول بصورة المحسوس وبرز
لاوادي الهادي في هيئة المأموس
فاى دعوة اولى منه بالاستجابة
والقبول (الحسنى) اى المثوبة
للمستجيبة (والله) وعادوا الحق
الى (لوان لهم ما فى الارض)
من اصفاء الاموال (جمعاً)
بحيث لم يشتمه شاذ في اقطارها
او يجمعوا غير متفرق بحسب
الازمان (ومثله مع لاقتدوا به)
اى باقى الارض ومثله مع جمعاً
ليقتصوا مما بهم وفيه من
تحويل ما يقتضاهم ما لا يحيط به
البيان فالوصول مبتدأ
والشرطية كما هي خبره لكن
لاعلى انها وضعت موضع السؤاى
فوقمت في مقابلة الحسنى الموافقة
في القرينة الاولى لرعاة حسن
المقابلة فصار كما قيل وللذين
لم يستجيبوا له السؤاى كما توهم
فان الشرطية وان دللت على كمال
سوء حالهم لكنها بمنزلة من القيام
مقام لفظ السؤاى مصحوب باللام
الدخلة على الموصول اوضحه
وعليه يدور حصول المرام وانما
الواقع في تلك المقابلة سوء
الحساب في قوله تعالى اولئك
لهم سوء الحساب (وحيث كان
اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه
الجملة عبارة عن الموصول

حكمنا بدخول التخصيص فيه في حق ذات الله تعالى فوجب ان يبقى فيما سوى الذات على
الاصل وهو ان يكون تعالى خالقاً لكل شيء سوى ذاته تعالى فلو كان لله علم وقدره لوجب
كونه تعالى خالقاً لهما هو محال وايضا تمسكو ابهذه الآية في خلق القرآن قالوا الآية
دالة على انه تعالى خالق لكل الاشياء والقرآن ليس هو الله تعالى فوجب ان يكون مخلوقاً
وان يكون داخل تحت هذا العموم والجواب اقصى ما فى الباب ان الصفة عامة الا ان
نخصصها في حق صفات الله تعالى بسبب الدلائل العقلية قوله تعالى (انزل من
السماء ماء فسالنا اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدار اياها وما توقدون عليه في النار
اتقاء حلية اومتاع زيد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فلما ازبد فيذهب جفاء
واما ما يتبع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم
الحسنى والذين لم يستجيبوا له لوان لهم ما فى الارض جميعاً ومثله معه لاقتدوا به اوائك
لهم سوء الحساب وماؤهم جهنم وبئس المهاد افن يعلم انما نزل اليك من ربك الحق
كن هو اعلم انما يذكر او لوالا للباب اعلم انه تعالى لما شبه المؤمن والكافر والايان
والكفر بالايمى والبصير والظلمات والنور ضرب للايمان والكفر مثلاً آخر فقال
انزل من السماء ماء فسالنا اودية بقدرها ومن حق الماء ان يستقر في الاودية المنخفضة
عن الجبال والتلال بمقدار سعة تلك الاودية وصغرها ومن حق الماء اذا زاد على قدر
الودية ان ينسبط على الارض ومن حق الزبد الذى يحتمله الماء فيطفو ويربوع عليه ان
يبند في الاطراف ويبطل سواء كان ذلك الزبد ما يجرى مجرى الفليان من البياض او ما
يختلط بالماء من الاجسام الخفيفة ولما ذكر تعالى هذا الزبد الذى لا يظفر الاعتدال بتداد
جرى الماء ذكر الزبد الذى لا يظفر الا بالنار وذلك لان كل واحد من الاجساد السبعة
اذا اذيب بالنار لا يتغاثر حلية اومتاع آخر من الامتعة التى يحتاج اليها في مصالح البيت
فانه يفصل عنها نوع من الزبد والخبث ولا يتغاثر به بل يضيع ويبطل ويبقى الخالص
فالخالص ان الوادى اذا جرى طفا عليه زبد وذلك الزبد يبطل ويبقى الماء الاجساد
السبعة اذا اذيت لاجل اتخاذ الحلى اولا لاجل اتخاذ سائر الامتعة انفصل عنها خبث
وزبد فيبطل ويبقى ذلك الجوهر المتغاثر به فكذلك هنا انزل من سماء الكبرياء والجلالة
والاحسان ما هو القرآن والودية قلوب العباد وشبه القلوب بالودية لان القلوب
تستقر فيها انوار علوم القرآن كما ان الاودية تستقر فيها المياه النازلة من السماء وكان
كل واحد قائماً يحصل فيه من مياه المطار ما يليق بسعته اوضيقه فكذلك هنا كل
قلب قائم يحصل فيه من انوار علوم القرآن ما يليق بذلك القلب من طهارته وخبثه وقوة
فهمة وقصور فهمه وكان الماء يعلوه زبد الاجساد السبعة المذابة بخلاطها حيث ثم ان
ذلك الزبد والخبث يذهب ويضيع ويبقى جوهر الماء وجوهر الاجساد السبعة كذا
هنا بيانات القرآن تختلط بها شكوك وشبهات ثم انها بالآخرة تزل وتضيع ويبقى

الواقع مبتدأ في الجملة السابقة
كان خبرها عن الجملة الظرفية
خبراً عن الموصول في الحقيقة
ومبتدأ لأبهم مضمون الشرطية
الواقعة خبراً عنه الأول وذلك
ترك اللفظ فصاح كأنه قيل
والذين لم يستجيبوا له لهم سوء
الحساب وذلك في قوة أن يقال
ولذين لم يستجيبوا له سوء الحساب
مع زيادة تأكيدهم حسن المقابلة
على أبلغ وجه وأكمل ثم بين
مؤدى ذلك بقيل (وما أهاهم) أى
مرجههم (جهنم) وفيه نوع
تأكيد لتفسير الحسن بالجنة
(وبئس المهاد) أى المستقر
والخصوص بالذم محذوف وقيل
اللام في قوله تعالى الذين استجابوا
لربهم متعلقة بقوله يضرب الله
الأمثال أى الأمثال السافكة
وقوله الحسن صفة للصدر أى
استجابوا الاستجابة الحسن وقوله
والذين لم يستجيبوا له مطوف
على الموصول الأول وقوله لو أن
لهما الخ كلام مستأنف مسوق
ليبين ما أعد للذين لم يستجيبوا
من العذاب والمضى كذلك يضرب
الله الأمثال للذين آمنوا
والكافرين المعادين أى هما مثلاً
الفرقيين وأنت خبير بأن
عنوان الاستجابة وعدها
لائمة بينهما وبين ما يدور عليه
امر التمثيل وإن الاستعمال
المستفيض دخول اللام على من
يقصد تذكيره بالمثل ثم قد
يستعمل في هذا المعنى أيضاً كما
في قوله سبحانه ضرب الله مثلاً
لذين آمنوا امرأة فرعون
وقطاعته على أن بعض الأمثال
الضرورية لاسياً

السبعة جعلها في النار فهذا السبب قال ههنا وما توفدون عليه في النار (البحث الثالث) في قوله ابتغاء حلية قال اهل المعاني الذي يوقد عليه لابتغاء الحلية الذهب والفضة والذي يوقد عليه لابتغاء الامتعة الحديد والنحاس والرصاص والاسرب يتخذ منها الاواني والاشياء التي يتفنع بها والمتاع كل ما يتفنع به وقوله زيد مثله اى زيد مثل زيد الماء الذي يحمله السبل ثم قال تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للحق والباطل ثم قال اما يزيد فيذهب جفاء واما ما يتفنع الناس قال الفراء الجفاء الرمي والاطراح يقال جفا الوادى غثاه يحقوه جفاء اذا رماه والجفاء اسم للمجتمع منه النضم بعضها الى بعض وموضع جفاء نصب على الحال والمعنى ان يزيد قد يعلو على وجه الماء ويربوو ويتفنع الا انه بالآخرة يضمحل ويبقى الجوهر الصافي من الماء ومن الاجساد السبعة فكذلك الشبهات والخيالات قد تقوى وتعظم الا انها بالآخرة تبطل وتضمحل وتزول ويبقى الحق ظاهرا لا يشوبه شئ من الشبهات وفي قراءة رؤبة بن الجراح جفالا عن أبي حاتم لا يقرأ ببراء رؤبة لانه كان يأكل الفاراما قوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى فقيه وجهان الاول انه تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف الكلام بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى ومجمله الزفع بالابتداء والذين خبره وتقديره لهم الخصلة الحسنى والحالة الحسنى الثاني انه متصل بما قبله والتقدير كأنه قال الذي يبقى هو مثل المستجيب والذي يذهب جفاء مثل من لا يستجيب ثم بين الوجه في كونه مثلا وهوانه لمن يستجيب الحسنى وهو الجنة ولن لا يستجيب انواع الحسنة والعقوبة وفيه وجه آخر وهو ان يكون التقدير كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الاستجابة الحسنى فيكون الحسنى صفة لمصدر محذوف واعلم انه تعالى ذكر ههنا احوال السعداء واهوال الاشقياء اما احوال السعداء فهي قوله للذين استجابوا لربهم الحسنى والمعنى ان الذين اجابوه الى ما دعاهم اليه من التوحيد والعدل والنبوة بعث الرسل والتزام الشرائع الواردة على لسان رسوله فلمهم الحسنى قال ابن عباس الجنة وقال اهل المعاني الحسنى هي النعمة العظمى في الحسن وهي النعمة الخالصة عن شوائب المضرة الدائمة الخالية عن الانقطاع المقرونة بالعظم والاجلال ولم يذكر الزيادة ههنا لانه تعالى قد ذكرها في سورة أخرى وهو قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة واما احوال الاشقياء فهي قوله والذين لم يستجيبوا لله فلمهم انواع اربعة من العذاب والعقوبة (فانوع الاول) قوله لو ان لهم مافي الارض جميعا ومثله معه لاقتدوا به والاقتداء جعل احد الشئيين بدلا من الآخر ومفعول لاقتدوا به محذوف تقديره لاقتدوا به انفسهم اى جعلوه فداء انفسهم من العذاب والكناية في به جاء الى مافي قوله مافي الارض واعلم ان هذا المعنى حق لان المحبوب بالذات لكل انسان هو فطرته وكل ما سواه فانما يحبه لكونه وسيلة الى مصالح ذاته فاذا كانت النفس في الضرر والالم

المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل القرطين بل مثل الحق والباطل ولا ماساغ لجل القرطين مضروبا لهم ايضا بأن يعمل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه حينئذ لتتويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين فتأمل (اني يعلم ان ما نزل اليك من ربك) من القرآن الذي مثل الماء المثل من السماء والابرار الخالص فانمعة والجدوى (الحق) الذي لاحق وراه اوافق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له (من هو اعمى) عى القلب لا يشاهده وهو تارة على ولا يقدر قدره وهو في اقصى مراتب العلو والعظم فيبقى حاراً في ظلمات الجهل وغياهب الضلال او لا يتذكر ما مضى من الامثال اى كن لا يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقييد حاله فغير غنما لا عى وايراد القادميد الجمرة لتوجيه الانكار الى ترتب توههم الامانة على ظهور حال كل منهما بما مضى من الامثال وبين المصير والمآل كأنه قيل ابعد ما بين حاله كل من القرطين وما آلهما يتوهم الجملة بينهما اسم متوقف فقيل (انما يتذكر) بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت الثاني (اولو الابواب) اى العقول الخالصة الميرة من مشايعة الاف وممارسة الوهم (الذين يوفون بعهده الله) بما عقدوا على انفسهم من الاعتراف بروبيته تعالى حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتابه (ولا يتقنون

والتعبد وكان مالكا لما يساوى عالم الاجساد والارواح فانه يرضى بأن يجعله فداء لنفسه لان المحبوب بالعرض لا بد وان يكون فداء لما يكون محبوبا بالذات (النوع الثاني) من انواع العذاب الذى اعده الله لهم هو قوله اولئك لهم سوء الحساب قال الزجاج ذلك لان كفرهم احبط اعمالهم واقول ههنا حالتان فكل ما شغلك بالله وعبوديته ومحبة فيهى الحاله السعيدة الشريفة العالوية القدسية وكل ما شغلك بغير الله فهى الحاله الضارة المؤذية الخسيسة ولا شك ان هاتين الحالتين يقبلان الاشد والاضعف والافل والازيد ولا شك ان المواظبة على الاعمال المناسبة لهذه الاحوال توجب قوتها ورسوخها لما ثبت في المعقولات ان كثرة الافعال توجب حصول الملكات الراسخة ولا شك انه لما كانت كثرة الافعال توجب حصول تلك الملكات الراسخة وكل واحدة من تلك الافعال حتى الصحة والحظوة والخطور بالبال والاتفات الضعيف فانه يوجب اثر ما في حصول تلك الحاله في النفس فهذا هو الحساب وعند التأمل في هذه الفصول يتبين للانسان صدق قوله فخذ يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اذا ثبت هذا فالعبداء هم الذين استجابوا ربهم في الاراضى عماسوى الله وفي الاقبال بالكليه على عبودية الله تعالى ولا جرم حصل لهم الحسنى • واما الاشقياء فهم الذين لم يستجيبوا ربهم فلهذا السبب وجب ان يحصل لهم سوء الحساب والمراد بسوء الحساب انهم احبوا الدنيا وارضوا عن المولى فلما ماتوا بقوا محرومين عن معشوقهم الذى هو الدنيا وبقوا محرومين عن الفوز بخدمة حضرة المولى (النوع الثالث) قوله تعالى وماؤاهم جهنم وذلك لانهم كانوا غافلين عن الاستعداد بخدمة حضرة المولى عاكفين على لذات الدنيا فاذا ماتوا فارقوا ومعشوقهم فحترقون على مفارقتها وليس عندهم شئ آخر يجبر هذه المصيبة فلذلك قال وماؤاهم جهنم ثم انه تعالى وصف هذا المأوى فقال وبئس المهاد ولا شك ان الامر كذلك • ثم قال تعالى أمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كن هو اعمى فهذا اشارة الى المثل المتقدم ذكره وهو ان العالم بالشيء كالصبر والجلال به كالاعمى وليس احدهما كالاخر لان الاعمى اذا اخذ بمشى من غير قائد فالظاهر انه يقع في البثر وفي المهالك وربما فسد ما كان على طريقه من الامتعة النافعة اما البصير فانه يكون آمنا من الهلاك والاهلاك ثم قال انما تذكر اولوا الالباب والمراد انه لا ينفع بهذه الامثلة الارباب الالباب الذين يطلبون من كل صورة معناها وياخذون من كل قشرة لبابها ويعبرون بظاهرها كل حديث الى سره ولبابه في قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله ولا يتقنون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم عاصبرتم فنع عقى الدار) اعلم ان هذه الآية هل هى متعلقة بما

من الايمان بالله وغيره من الواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعبر بعد تخصيص وفيه تأكيد للاستقرار المقهور من صيغة المستقبل (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) من الرحم وموالا المؤمنين والايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق من غير تفرق بين احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهوى والنجاس (ويخشون ربهم) خشية جلال وهدية ورهبة فلا يصنعون فيما امر به (ويخافون سوء الحساب) فحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على كمال قضاة حسبا ذكر فيما قبل (والذين صبروا) على كل ما تكرهه النفس من الافصال والتروك (ابتغاء وجه ربهم) طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الى جانب الخلق رياء وسعة ولا الى جانب النفس رغبة وهبنا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر من الصلوات السابقة واللاحقة اورد على صفة الماضى اعتناء بشأنه ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اما فى انفس الصلوات كما فيها عدا الاولى والرابعة والخامسة او فى اظهار احكامها كما فى الصلوات الثلاث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر فى انفسها حيث لامتعة على النفس فى الاعتراف بالربوبية والخشية والوفى لكن اظهار احكامها والجري على موجبها

قبلها ام لافيه قولان الاول انها متعلقة بما قبلها وعلى هذا التقدير ففيه وجهان الاول انه يجوز ان يكون قوله الذين يوفون بعهد الله صفة لاولى الالباب والثاني ان يكون ذلك صفة لقوله اذن يعلم انما ازل اليك من ربك الحق والقول الثاني ان يكون قوله الذين يوفون بعهد الله مبتداً واولئك لهم عقي الدار خبره كقوله والذين يقضون عهد الله اولئك لهم المنة واعلم ان هذه الآية من اولها الى آخرها جملة واحدة شرط وجزاء وشرطها مشتمل على قيود وجزاؤها يشتمل ايضا على قيود اما القيود المعتبرة في الشرط فهي تسعة (القيود الاول) قوله الذين يوفون بعهد الله وفيه وجوه الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الذي عاهدكم عليه حين كانوا في صلب آدم واشهدهم على انفسهم ائتت بربكم قالوا بلى والثاني ان المراد بعهد الله كل امر قام الدليل على صحته وهو من وجهين احدهما الاشياء التي اقام الله عليها دلائل عقلية قاطعة لا تقبل النسخ والتغيير والاخر التي اقام الله عليها الدلائل السمعية وبين لهم تلك الاحكام والحاصل انه دخل تحت قوله يوفون بعهد الله كل مقام الدليل عليه وبصح اطلاق لفظ العهد على الجملة بل الحق انه لا عهد او كد من الجملة والدلالة على ذلك ان من حلف على الشيء قائما يلزمه الوفاء به اذا ثبت بالدليل وجوبه لا بمجرد الجمين ولذلك رما يلزمه ان يحسن نفسه اذا كان ذلك خيرا له فلا عهد او كد من ازام الله تعالى اياه ذلك بدليل العقل او بدليل السمع ولا يكون العبد موفيا للعهد الا بان يأتي بكل تلك الاشياء كان الخالف على اشياء كثيرة لا يكون بارا في عيئه الا اذا فعل الكل وبدخل فيه الايمان بجميع المأمورات والانتها عن كل المنهات ويدخل فيه الوفاء بالعقود في المعاملات ويدخل فيه اداء الامانات وهذا القول هو المختار الصحيح في تأويل الآية (القيود الثاني) قوله ولا يقضون الميثاق وفيه اقوال الاول وهو قول الاكثرين ان هذا الكلام قريب من الوفاء بالعهد فان الوفاء بالعهد قريب من عدم نقض الميثاق والعهد وهذا مثل ان يقول انه لماوجب وجوده لم ان يمنع عدمه فهذا ان المفهوم ان متفاران الانفهام متلا زمان فكذلك الوفاء بالعهد يلزمه ان لا ينقض الميثاق واعلم ان الوفاء بالعهد من اجل مراتب السعادة قال عليه السلام لايمان لمن لا امانته له ولادين لمن لا عهد له والآيات الواردة في هذا الباب كثيرة في القرآن والقول الثاني ان الميثاق ما وثقه المكلف على نفسه فالحاصل ان قوله الذين يوفون بعهد الله اشارة الى ما كلف الله العبدية ابتداء وقوله ولا يقضون الميثاق اشارة الى ما لزمه العبد من انواع الطاعات بحسب اختيار نفسه كالنذر بالطاعات والخيرات والقول الثالث ان المراد بالوفاء بالعهد عهد الربوبية والعبودية والمراد بالميثاق المواثيق المذكورة في التوراة والانجيل وسائر الكتب الالهية على وجوب الايمان بقوة محمد صلى الله عليه وسلم عند ظهوره واعلم ان الوفاء بالعهد امر مستحسن في العقول والشرائع قال عليه السلام من عاهد الله فقدر كانت فيه خصلة من النفاق وعنه عليه السلام ثلاثة

غير خال عن الاحتياج اليه (واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم) اي بعينه الذي يجب عليهم اتفائه (سرا) لمن لم يعرف بالمال اولى ان لا يترك الزكاة او عند اتفائه واعطائه من ثمنه المروية من اخذه ظاهرا (وعلاية) لمن لم يكن كاذرا او الاول في التطوع والشاق في الفرض (ويدرون بالحسنة السيئة) اي يجازون الامانة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتسوها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفون بالحسن من الكلام ما ردد عليهم من سي غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا خلوا اغفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا ادنوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره وتقديم الجور على المنصوب لظاهر كمال العتابة بالحسنة (اولئك) المتعوتون بالتموت الجلية والملاكات الجسية وهو مبتدا خبر الجملة الظرفية اعني قوله تعالى (لهم عقي الدار) اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل امر اهلها وهي الجنة وقيل الجسار والجور خبر لا وائتك وعقي الدار فاعل الاستفراد وايضا كان فليس فيه قصر حتى يرد ان بعض ما في حيز الصلة ليس من العزام التي ينزل احسانها بالوصول الى حسن العاقبة والجهة خير للموصلات المتعاطفة او استثنائي لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لا ولي الالباب على طريقة المدح من غير ان يقصد

ان يكون للصلاة المذكورة مدخل في التذکر (جنت عدن) بدل من عقبي الدار اومتداخيره (يدخلوها) والمدن الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنات اى جنتا يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آياتهم) جمع ابرى كل واحد منهم فكانه قيل من آياتهم وامهاتهم (واذا وجههم وذر ياتهم) وهو عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساع ذلك الفصل بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من آياتهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم بعبادتهم نظفيا لسانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم بعضا بل منهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في النعم وفي التقييد بالصلاح قطع للأطباع الفارقة لئلا يغفل بمجرد جبل الانساب (واللائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والنصف قائلين سلام عليكم بشاؤهم بدوام السلامة (بما يصبرتم) متعلق بليكن او محذوف اى هذه الكرامة العظمى بما يصبرتم اى بسبب صبركم لو بدلت ما احتلتم من مشاق الصبر ومتابعه والمعنى لئن تعبد في الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخفص الصبر بما ذكر من بين الصفات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا في كل منها ومزية زائدة من حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شيئا منها لا يمتد به الا

اناخصهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمه رجل اعطى عهدا ثم غدر ورجل استأجر اجيرا استوفى عمله وظله اجره ورجل باع حرافقة ثم خروا كل ثمنه وقيل كان بين معاوية ومالك الروم عهد فأراد ان يذهب اليهم وينقض العهد فاذا رجل على فرس يقول وفاء بالعهد لا غدر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يبذن اليهم عهدا ولا يحلها حتى ينقضى الامد ويبذل اليهم على سواء قال من هذا قالوا عمرو بن عيينة فرجع معاوية (القيد الثالث) والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل وهنا سؤال وهو ان الوفاء بالعهد وترك نقض الميثاق اشتمل على وجوب الايمان بجميع الامور والاحتراز عن كل النيات خالف الفائدة في ذكر هذه القيود المذكورة بعدهما والاجواب من وجهين الاول انه ذكر لثلاث بظن ظان ان ذلك فيما بينه وبين الله تعالى فلا جرم افرد ما بينه وبين العباد بالذكر والثاني انه تأكيدا زاعفرت هذا فقوله ذكر وفى تفسيره وجوها الاول ان المراد منه صلة الرحم قال عليه السلام ثلاث بائين يوم القيامة لها ذلقى الرحم تقول اى رب قطعت والامانة تقول اى رب رثت والنعمة تقول اى رب كفرت والقول الثانى ان المراد صلة محمد صلى الله عليه وسلم ومؤازرته ونصرته في الجهاد والقول الثالث رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد فيدخل فيه صلة الرحم وصلة القرابة الثابتة بسبب اخوة الايمان كما قال انما المؤمنون اخوة ويدخل في هذه الصلة امدادهم بايصال الخيرات ودفع الآفات بقدر الامكان وعبادة المريض وشهود الجنائز وافشاء السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الاذى عنهم ويدخل فيه كل حيوان حتى الهرة والدباجة وعن الفضيل بن عياض رحه الله ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من خراسان فقال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن كل الاحسان وكان له داجة فأساء اليها لم يكن من المحسنين واقول حاصل الكلام ان قوله الذين يوفون بعهد الله ولا يتقصون الميثاق اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل اشارة الى الشفقة على خلق الله (القيد الرابع) قوله ويخشون ربهم والمعنى انه وان اتى بكل ما قدر عليه في تعظيم امر الله وفي الشفقة على خلق الله الا انه لا بد وان تكون الخشية من الله والخوف منه مستوليا على قلبه وهذه الخشية نوعان احدهما ان يكون خاشعا من ان يقع زيادة او نقصان او يخل في عبادته وطاعته بحيث يجب فساد العبادة او يوجب نقصان ثوابه والثانى وهو خوف الجلال وذلك لان العبد اذا حضر عند السلطان المهيبة القاهر فانه وان كان في عين طاعته الا انه لا يزول عن قلبه مهابة الجلالة والرفعة والعظمة (القيد الخامس) قوله ويخافون سوء الحساب اعلم ان القيد الرابع اشارة الى الخشية من الله وهذا القيد الخامس اشارة الى الخوف والخشية وسوء الحساب وهذا يدل على ان المراد من الخشية من الله ما ذكرناه من خوف الجلال والمهابة والعظمة والازم

بان يكون لا ابتغاء وجد الرب

تعالى وقد سدس (فهم عقي الدار)
ايضاً عقي الدار الجنة وقرى
بفتح النون والاصل ثم سكن
العين بنقل حركتها الى النون
قارة وبدونه اخرى ومن النبي
عليه السلام انه كان يأتي قبور
الشهداء على رأس كل حول
فيقول سلام عليكم بما صبرتم
فهم عقي الدار وكذا عن الخلفاء
الاربعة رضوان الله عليهم
أجمعين (والذين يقضون
عهده الله) أريد بهم من يقابل
الاولين ويعاندهم في الاتصاف
بتفاض صفاتهم (من بعد
ميتاه) من بعد ما وقوه من
الاعتقادات والقبول (ويقتلون
ما أساء الله به ان يوصل) من
الايان بجميع الآتياء المجمعين
على الحق حيث يؤمنون ببعضهم
ويكفرون ببعضهم ومن حقوق
الارحام وموالاة المؤمنين وغير
ذلك مما لا يعاون حقوقه من
الامور المدودة فيمأسف وانما
لم يشرع لنفي الخشية والخوف
عنهم مرسياً لدلالة القرض
والقطع على ذلك واما عدم
التمرض لنفي الصبر المذكور
فلانه انما اعتبر تحققه في ضمن
الحسنات المدودة ليقيم معتدا
بهن فلا وجه لنفيه عن بينه
وبين الحسنات بعد الشترين كما
لا وجه لنفي الصلاة والزكاة
من لا يحوم حول اصل الايمان
بأنه تعالى فضلاً عن فروع
الشرائع وان اريد بالاتفاق
التطوع فتفيه مندرج تحت قطع
ما أساء الله تعالى بوصله وامادره
السنية بالحسنة فتنافوا
عنهم فلاهر مما سبق ولحق

التكرار (القيد السادس) قوله تعالى والذين صبروا ابتغاء وجهه فهم قيدخل فيه
الصبر على فعل العبادات والصبر على ثقل الامراض والمضار والغموم والاحزان
والصبر على ترك المشتيات وبالجملة الصبر على ترك المعاصي وعلى اداء الطاعات ثم ان
الانسان قد يقدم على الصبر لوجوه احدها ان يصبر حال ما اكل صبره واشد قوته على
تحمل النوازل وثانيها ان يصبر لتلاعب بسبب الجزع وثالثها ان يصبر لتلا محصل شمانية
الاعداء ورابعها ان يصبر لعله بأن لا فائدة في الجزع فالانسان اذا اتى بالصبر لاحد هذه
الوجوه لم يكن ذلك داخل في كمال النفس وسعادة القلب اما اذا صبر على البلاء لعله بأن
ذلك البلاء قسمه حكيمها القسم العلام المنزه عن العيب والباطل والسفه بل لا بد ان
تكون تلك القيمة مشتملة على حكمة بالغة ومصلحة راجحة ورضى بذلك لانه تصرف
المالك في ملكه ولا اعتراض على المالك في ان يتصرف في ملكه او يصبر لانه صار
مستغفراً في مشاهدة المولى فكان استغفره في تحلي نور المولى اذ هله عن التسالم بالبلاء
وهذا اعلى مقامات الصديقين فهذه الوجوه الثلاثة هي التي يصدق عليها انه صبر ابتغاء
وجه ربه ومعناه انه صبر لجر دثوابه وطلب رضا الله تعالى واعلم ان قوله ابتغوا وجهه
فيه دققة وهي ان العاشق اذا صبره معشوقه فرما نظر العاشق لذلك الضارب وفرح به
فقوله ابتغاء وجهه ربه يحتمل على هذا المجاز يعني كأن العاشق يرضى بذلك الضرب
لأنه اذا نظر الى وجه معشوقه فكذلك العبد يصبر على البلاء والخنة ويرضى به
لاستغفره في معرفة نور الحق وهذه دققة لطيفة (القيد السابع) قوله واقاموا الصلاة
واعلم ان الصلاة والزكاة وان كانتا داخلتين في الجملة الاولى الا انه تعالى افرد هاتين
تنبها على كونها اشرف من سائر العبادات وقد سبق في هذا الكتاب تفسير اقامة الصلاة
ولا يمنع ادخال النوافل فيه ايضاً (القيد الثامن) قوله تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا
وعلاية وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال الحسن المراد الزكاة المفروضة فان لم يتم
بترك اداء الزكاة فالاولى اداؤها سرا وان لم يتم بترك الزكاة فالاولى اداؤها في العلانية
وقبل السر ما يؤديه بنفسه والعلانية ما يؤديه الى الامام وقال آخرون بل المراد الزكاة
الواجبة والصدقة التي يؤتى بها على صفة التطوع فقوله سرا يرجع الى التطوع وقوله
علانية يرجع الى الزكاة الواجبة (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة انه تعالى رغب في
الاتفاق من كل ما كان رزقا وذلك يدل على انه لا رزق الا لخلل اذ لو كان الحرام رزقا
لكان قد رغب تعالى في اتفاق الحرام وانه لا يجوز (القيد التاسع) قوله ويدرون بالحسنة
السنية وفيه وجهان الاول انهم اذا اتوا بمصيبة دروها ودفعوها بالتوبة كما روى ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لعاذن جبل اذا علمت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فتحملها الثاني
ان المراد انهم لا يصابون الشر بالشر بل يقابلون الشر بالخير كما قال تعالى واذمروا بالغو
مروا كراما وعن ابن عمر رضي الله عنهما ليس الوصول من وصل ثم وصل تلك المجازاة

فان من يجازى احسانه بمن وجل
بعض العهد ومخالفة الامر
ويأثر الفساد بدأحسباً يمكنه
قوله من وعلا (وفسدون
في الارض) اى بالظلم ونهيج
الفتن كيف يصور منه جازا لافاسدة
بالاحسان على ان ذلك يشعربان
له دخلا في الافضاء الى العقوبة
التي بنى عنها قوله تعالى (اولئك
الح اى اولئك الموصوفون بما
ذكر من القابح لهم) بسبب
ذلك (اللمنة) اى الابعاد من
رحمة الله تعالى (ولهم) مع ذلك
(سواد النار) اى سوء عاقبة الدنيا
او عذاب جهنم فانها سادهم
لان ترتيب الحكم على الموصول
مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى
انه لا دخل له في ذلك على اكثر
التأثير فان مجازاة السيئة بمثلها
مأذون فيها ودفع الكلام السيئ
بالحسن وكذا الاعطاء عند
المنع والفوق عند الظلم والوصل
عند القطع ليس مما يورث تركه
تبعة واماما اعتبر اندراج تحت
الصلة الثانية من الاخلال ببعض
الحقوق المندوبة فلا خير في ذلك
لان اعتباره من حيث انه من
مستتجات الاخلال بالزمانم
بالكفر ببعض الانبياء وعقوق
الوالدين وترك سائر الحقوق
الواجبة وتكرير لهم للتأكيد
والايدان باختلافهما واستقلال
كل منهما في الشبوت (الله
يسبسط الرزق) اى يوسعه
(ان يشاء) من عباده (ويقرر)
اى يضييقه على من يشاء
حسب مقتضى الحكمة من غير ان
يكون لاحد مدخل في ذلك
ولا شعور بمحكمته فرما

لكنه من قطع ثم وصل وعطف على من لم يصله وليس الخليم من ظلم ثم ظلم حتى اذا هيج قوم
اهتاج لكن الخليم من قدرهم عقا وعن الحسن هم الذين اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا
عفووا وروى ان شقيق بن ابراهيم البخى دخل على عبدالله بن المبارك متكررا فقال من
أنت فقال من بلغ فقال وهل تعرف شقيقا قال نعم فقال وكيف طريقة اصحابه فقال
اذا منعوا صبروا وان اعطوا شكروا فقال عبدالله طريقة كلانا هكذا فقال وكيف
ينبغي ان يكون فقال الكاملون هم الذين اذا منعوا شكروا واذا اعطوا آثروا واعلم ان
جحلة هذه القيود التسعة هي القيود المذكورة في الشرط اما القيود المذكورة في الجزاء
فهي اربعة (القيد الاول) قوله اولئك لهم عقي الدار اى عاقبة الدار وهي الجنة لانها
هي التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها قال الواحدى العقي كالعاقبة
ويجوز ان تكون مصدرا كالشورى والقربى والرجعى وقد يسمى مثل هذا ايضا على
فعل كالبصوى والدعوى وعلى فعل كالكبرى والصبرى ويجوز ان يكون اسما وهو هنا
مصدر مضاف الى الفاعل والمعنى اولئك لهم ان تعقب اعمالهم الدار التي هي الجنة
(القيد الثاني) قوله جنات عدن يدخلونها وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال الزجاج
جنات عدن بدل من عقي والكلام في جنات عدن ذكرناه مستقصى عند قوله تعالى
ومساكن طيبة في جنات عدن وذكرنا هناك مذهب المفسرين ومذهب اهل اللغة
(المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وابو عمرو يدخلونها بضم الياء وقمع الخاء على ما لم يسم فاعله
والباقون بفتح الياء وضم الخاء على اسناد الدخول اليهم (القيد الثالث) قوله ومن صلح
من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن عليه صلح بضم اللام
قال صاحب الكشف والفتح أفصح (المسئلة الثانية) قال الزجاج موضع من رفع لاجل
العطف على الواو في قوله يدخلونها ويجوز ان يكون نصبا كما تقول قد دخلوا وزيدا أى
مع زيد (المسئلة الثالثة) في قوله ومن صلح قولان الاول قال ابن عباس يريد من صدق
بما صدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم وقال الزجاج بين تعالى ان الانساب لا تنفع اذا لم
يحصل معها اعمال صالحة بل الآباء والأزواج والذريات لا يدخلون الجنة الا بالاعمال
الصالحة قال الواحدى والصحيح ما قال ابن عباس لان الله تعالى جعل من ثواب المطيع
سروره بحضور اهله معه في الجنة وذلك بدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع الآتى
بالاعمال الصالحة ولودخلوها بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة
في الوعد به اذ كل من كان مصلحا في عمله فهو يدخل الجنة واعلم ان هذه الحجة ضعيفة لان
المقصود بشارة المطيع بكل ما يزيده سرورا وبهجة فاذا بشر الله المكلف بانه اذا دخل
الجنة فانه يحضر معه أبؤه وأزواجه واولاده فلا شك انه يعظم سرور المكلف بذلك
وتقوى بمجتمه به ويقال ان من اعظم موجبات سروره ان يجتمعوا فيستذكروا
احوالهم في الدنيا ثم يشكرون الله على الخلاص منها والفوز بالجنة ولذلك قال تعالى

(في صفة)

يسطه للكافرين ملاء واستدرجاً

وربما يضيقه على المؤمنين زيادة لا جرح

فلا يفتقر بسطه للكافر كالأيقظ

يقدّمه المؤمن (و فرحوا) أي

أهل مكة فرحوا بشيئهم وبطولا

فرح سرور بفضل الله تعالى

(بالجنة الدنيا) وما بسط لهم فيها

من نعمها (وما الحياة الدنيا) وما

يتبعها من النعيم (في الآخرة)

أي في جنب نعيم الآخرة (الامتاع)

الأيّ "زرتتمتع به كعباءة الزاكب

وزاد الرأى والغنى انهم رضوا

بمحط الدنيا معرضين عن نعيم

الآخرة والحال انما انشروا به في

جنب ما عرضوا عنه شيء قليل

النفخ سريع النفاد (ويقول

الذين كفروا) أي أهل مكة

ولما رأوا هذه الطريقة على

الاضمار مع ظهور ارادتهم

عقيد كد فرحهم بالحياة الدنيا

لذمتهم والتسليم عليهم بال كفر

فيما حكى عنهم من قولهم (لولا

انزل عليه آية من ربه) فان

ذلك في اقصى مراتب المكابرة

والغناد كان ما انزل عليه عليه

السلام من الآيات العظام الباهرة

ليس بأية حتى اقترحوا مالا

تقتضيه الحكمة من الآيات

المحسوسة التي لا يتقوى لاحد بعد

ذلك طاقة بدم القبول ولذلك

امر في الجواب بقوله تعالى (قل

ان الله يضل من يشاء) اضلاله

مشيئة تامة للحكمة الداعية

اليهاى يخلق فيه الضلال لصرفه

اختياره الى تحصيله ويدعه

منه كما فيه لعله بأنه لا يضيع فيه

اللطيف ولا ينفسه الارشاد كن

كان على صفتك في المكابرة والغناد

وشدة أشكهم والغلو في الفساد

فلا سبيل له الى الاهتداء

في صفة أهل الجنة انهم يقولون ياليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلتني من المكرمين

(المسئلة الرابعة) قوله وازواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل

الاولى من مات عنها او ماتت عنه وماروى عن سودة انه لما هم الرسول صلى الله عليه وسلم

بطلاقها قالت دعني يا رسول الله احشمر في زمرة نسائك كالدليل على ما ذكرناه (القيد

الرابع) قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فتم عقبي الدار

وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال ابن عباس لهم خيمة من درة بجوفه طولها فرسخ

و عرضها فرسخ لها الف باب مصاريعها من ذهب يدخلون عليهم الملائكة من كل باب

يقولون سلام عليكم بما صبرتم على امر الله وقال ابو بكر الاصم من كل باب من ابواب البر

كتاب الصلاة وباب الزكاة وباب الصبر ويقولون ونعم ما عقبكم الله بعد الدار الاولى

واعلم ان دخول الملائكة ان جلنائه على الوجه الاول فهو مرتبة عظيمة وذلك لان الله

تعالى اخبر عن هؤلاء المطيعين انهم يدخلون جنة الخلد ويجمعون بآبائهم وازواجهم

وذرياتهم على احسن وجه نعم ان الملائكة مع جلالة مراتبهم يدخلون عليهم لاجل النجبة

والاكرام عند الدخول عليهم بكرمهم بالنجبة والسلام ويشيرونهم بقوله فتم عقبي

الدار ولا شك ان هذا غير ما يذكره المتكلمون من ان الثواب منفعة خالصة دائمة

مقروفا بالاجلال والتعظيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء

رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فتم عقبي الدار والخلفاء الاربعة هكذا

كانوا يفعلون واما ان جلنائه على الوجه الثاني ففسير الآية ان الملائكة طوائف منهم

روحانيون ومنهم كرويون فالعبد اذا راض نفسه بأنواع الرياضات كالصبر والشكر

والمراقبة والمحاسبة ولكل مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسي وروح علوي يختص

بتلك الصفة من زيد اختصاص فعند الموت اذا اشترقت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها

من كل روح من الارواح السماوية ما يناسبها من الصفة المخصوصة بها فيفيض عليها

من ملائكة الصبر كالات مخصوصة نفسانية لتظهر الا في مقام الصبر ومن ملائكة الشكر

كالات روحانية لتجلى الا من مقام الشكر وهكذا القول في جميع المراتب (المسئلة

الثانية) تسمك بعضهم بهذه الآية على ان الملك افضل من البشر فقال انه سبحانه ختم

مراتب سعادات البشر بدخول الملائكة عليهم على سبيل النجبة والاكرام والتعظيم

فكانوا به اجل مرتبة من البشر ولو كانوا اقل مرتبة من البشر لما كان دخولهم عليهم

لاجل السلام والنجبة موجبا علو درجاتهم وشرف مراتبهم الا ترى ان من عادم سفره

الى بيته فاذا قبل في معرض كمال مرتبته انه يزوره الامير والوزير والقاضي والفتى

فهذا يدل على ان درجة ذلك الزور اقل وادنى من درجات الزائر فكذلك ههنا

(المسئلة الثالثة) قال الزجاج ههنا محذوف تقديره الملائكة يدخلون عليهم من كل باب

ويقولون سلام عليكم فاضمر القول ههنا لان في الكلام دليلا عليه واما قوله بما صبرتم

ولوجهه كل آية (ويهدى اليه) الى االى جنبه العلى الكبير هداية موصلة اليه لادلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف (من اناب) اقبل الى الحق وتامل في تضاعيف ما زل من دلالة الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وابتار ابرادها في الصلة على ايراد المشيئة كافي الصلة الاولى لتبنيه على الداعي الى الهداية بل في مشيئتها والاشعار بماذا الى المشيئة الاولى من المكابرة وفيه بحث للكفرة على الاقلاع عظام عليه من العدو والعناد وابتار صيغة الماضي للرجاء الى استدامة الهداية لسابقة الانابة كان ابتار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم (الذين آمنوا) بدل من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى لليقين اى الصائرين الى التقوى والا فالايامن لا يؤدى الى الهداية نفسها او خير مبتدا محذوف اى هم الذين آمنوا او منصوب على المدح (وتطهرن قلوبهم) اى تستقروا وتسكن (بذكر الله) بكلامه العجز الذى لا ريب فيه كقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله اتانحن نزلنا الذكر واناله لحافظون ويعلمون ان لا آية اعظم منه فيقتروها

فعم عبي الدار فقيه وجهان احدهما انه متعلق بالسلام والمعنى انه انما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم على الطاعات وترك المحرمات والثاني انه متعلق بمحذوف والتقدير ان هذه الكرامات التى ترونها وهذه الخيرات التى تشاهدونها انما حصلت بواسطة ذلك الصبر (والذين يقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) اعلم انه تعالى لما ذكر صفات السعداء وذكر ما ترتب عليها من الاحوال الشريفة العالية اتبعها بذكر حال الاشقياء وذكر ما يرتب عليها من الاحوال المحزنة المكروهة واتبع الوعد بالوعيد والثواب بالعقاب ليكون البيان كاملا فقال والذين يقضون عهد الله من بعد ميثاقه وقد بينا ان عهد الله ما لزم عباده بواسطة الدلائل العقلية والسمعية لانها اوكد من كل عهد وكل يمين اذا لايامن انما تقيد التوكيد بواسطة الدلائل الدالة على انها توجب الوفاء بمقتضاها والمراد من نقض هذه العهود ان لا ينظر المرء فى الادلة اصلا فيحتثذ لا يمكنه العمل بموجبها او بان ينظر فيها ويعلم صحتها ثم يعاند فلا يعمل بعلمه او بان ينظر فى الشبهة فيعتقد خلاف الحق والمراد من قوله من بعد ميثاقه اى من بعد ان وثق الله تلك الادلة واحكمها لانه لاشئ اقوى بماد الله على وجوبه فانه ينفع فعله ويضطره فان قبل اذا كان العهد لا يكون الا مع الميثاق فمما فائدة اشترطه تعالى بقوله من بعد ميثاقه قلنا لا يمنع ان يكون المراد بالعهد هو ما كلف الله العبد به والمراد بالميثاق الادلة المؤكدة لانه تعالى قد يؤكد اليك العهد بدلائل اخرى سواء كانت تلك المؤكدات دلائل عقلية او سمعية ثم قال تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل وذلك في مقابلة قوله والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل فيعمل من صفات هؤلاء ما لا قطع بالضد من ذلك الوصل والمراد به قطع كل ما وجب الله وصله ويدخل فيه وصل الرسول بالوالات والمعاونة وصل المؤمنين وصل الارحام ووصل سائر من له حق ثم قال ويفسدون فى الارض وذلك الفساد هو الدعاء الى غير دين الله وقد يكون بالظلم فى النفوس والاموال وتخريب البلاد ثم انه تعالى بعد ذكر هذه الصفات قال اولئك لهم اللعنة واللعنة من الله الابعاد من خيرى الدنيا والاخرة الى ضد هما من عذاب ونقمة ولهم سوء الدار لان المراد جهنم وليس فيها الا ميسر سوء الصائر اليها (الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما للحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع) اعلم انه تعالى لما حكم على من نقض عهد الله فى قبول التوحيد والنبوة بانهم ملعونون فى الدنيا ومعذبون فى الآخرة فكأنه قيل لو كانوا اعداء الله لما قبح الله عليهم ابواب النعم والذات فى الدنيا فاجاب الله تعالى عنه بهذه الآية وهوانه يسطر الرزق على البعض ويضيقه على البعض ولا تعلق له بالكفر والايمان فقد يوجد الكافر موسعا عليه دون المؤمن ويوجد المؤمن مضيقا عليه دون الكافر فالدنيا دار امتحان قال الواحدى معنى القدر فى اللغة قطع الشئ على مساواة

والعدول الى صفة المضارع
لأفادته دوام الالمثان وتجدده
حسب تجديد الآيات وتمدها
(الآية كراهة) وحده (تطمئن
القلوب) دون غيره من الامور
التي تحيل اليها الذ فوس من
الذباويات وهذا ظاهر واماسا
المجرات فالقصر من حيث انها
ليست في افادة الطمأنينة بالنسبة
الى من لم يشاهدها بناية
القرآن المجيد فانه مهجرة باقية الى
يوم القيامة يشاهدها كل احد
وتطمئن به القلوب كافة وفيه
اشعار بان الكفرة ليست لهم
قلوب وأقديتهم هوا حيث لم
يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه
آية وهو اظهر الآيات وابهرها
وقيل: تطمئن قلوبهم بذكر رحمة
ومغفرة تهميد القلب والاضطراب
من خشية كقوله تعالى ثم لتبين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او
بذكر دلائله الدالة على وحدانيته
او بذكره جل وعلا انسابه وتبلا
اليه فالمراد بالهداية دواهما
واستمرارها (الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) يدل من القلوب على
حذف المضارع بدل الكل حسبا
رمز اليه اى قلوب الذين آمنوا
وفيه إيماء الى ان الانسان انما
هو القلب او مبتدأ خبره الجملة
الدعائية على التأويل اثنى قوله
(طوبى لهم) او خبر مبتدأ
مضمر او نصب على المدح
فطوبى لهم حال عاملها الفعلان
وطوبى مصدر من طاب كيشري
وزنى والواو متقلبة من الياء
كقرف وموسر وقرا مكورة
الاعراب طوبى لتسلم الياء
والمنى اسابوا خيرا وعملها
النصب كسلاما لك او ارفع

غيره من غير زيادة ولا نقصان وقال المفسرون معنى يقدر ههنا يضيق ومثله قوله
تعالى ومن قدر عليه رزقه اى ضيق ومعناه اتمه يعطيه بقدر كفايته لا يفضل عنه
شيء وما قوله وفرحوا بالحياة الدنيا فهو راجع الى من بسط الله رزقه وبين تعالى ان ذلك
لا يوجب الفرح لان الحياة العاجلة بالنسبة الى الآخرة كالحقير القليل بالنسبة الى
مالها نهاية * قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله
يضل من يشاء ويهدي اليه من انا ب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله
تطمئن القلوب) اعلان الكفار قالوا يا محمد ان كنت رسولا فأتنا بآية ومهجرة قاهرة
ظاهرة مثل معجزات موسى وعيسى عليهما السلام فأجاب عن هذا السؤال بقوله
قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من انا ب وبيان كيفية هذا الجواب من وجوه
(احدها) كانه تعالى يقول ان الله انزل عليه آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة ولكن
الاضلال والهداية من الله فأضلكم عن تلك الآيات القاسرة الباهرة وهدى أقواما
آخرين اليها حتى عرفوا بها صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة واذا كان
كذلك فلا فائدة في تكثير الآيات والمعجزات (وثانيها) انه كلام يجري مجرى التعجب من
قولهم وذلك لان الآيات الباهرة المتكررة التي ظهرت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانت اكثر من ان تصير مشبهة على العاقل فلما طلبوا بعدها آيات أخرى كان
موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء من
كان على صفتكم من التصميم وشدة الشك في الكفر فلا تسي الى اعتنائكم وان
انزلت كل آية ويهدى من كان على خلاف صفتكم (وثالثها) انهم لما طلبوا سائر
الآيات والمعجزات فكانه قيل لهم لا فائدة في ظهور الآيات والمعجزات فان الاضلال
والهداية من الله فلو حصلت الآيات الكثيرة ولم تحصل الهداية فانه لم يحصل الانتفاع بها
ولو حصلت آية واحدة فقط وحصلت الهداية من الله فانه يحصل الانتفاع بها فلا تشتغلوا
بطلب الآيات ولكن تضرعوا الى الله في طلب الهدايات (ورابعها) قال ابو علي الجبائي
المعنى ان الله يضل من يشاء عن رحمة وثوابه عقوبة له على كفره فلستم ممن يحبه الله تعالى
الى ما يسأل لاستحقاقكم العذاب والاضلال عن الثواب ويهدى اليه من انا ب اى
يهدى الى جنته من تاب وآمن قال وهذا بين ان الهدى هو الثواب من حيث انه عقبه
بقوله من انا ب اى تاب والهدى الذى بفعاله بالؤمن هو الثواب لانه يستحقه على ايمانه
وذلك يدل على انه تعالى اعماضل عن الثواب بالعقاب لاعن الدين بالكفر على مذهب اليه
من خالفه اذ اتهم كلام ابي علي وقوله انا ب اى اقبل الى الحق وحقيقته دخل في توبة الخير
* قوله تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) اعلم ان قوله الذين آمنوا يدل من قوله من
أنا ب قال ابن عباس يربذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأنت فان قيل أليس انه

تعالى قال في سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد
الاطمئنان فكيف وصفهم ههنا بالاطمئنان والجواب من وجوه (الاول) انهم اذا ذكروا
العقوبات ولم يأمنوا من ان يقدموا على المعاصي فهناك وصفهم بالوجل واذا ذكروا
وعده بالثواب والرحمة سكنت قلوبهم الى ذلك وأحد الامرين لياتي في الآخر لان الوجمل
هو بذكر العقاب والطمأنينة بذكر الثواب ويوجد الوجمل في حال فكرهم في المعاصي
وتوجد الطمأنينة عند اشتغالهم بالطاعات (الثاني) ان المراد ان عليهم بكون القرآن
معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم في كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقاً من عند الله
اماسكهم في انهم أتوا بالطاعات على سبيل التمام والكمال فيوجب حصول الوجمل في قلوبهم
(الثالث) انه حصلت في قلوبهم الطمأنينة في ان الله تعالى صادق في وعده ووعيدوه وان
محمد صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر عنه الا انه حصل الوجمل والخوف في قلوبهم
انهم هل أتوا بالطاعة الموجبة للثواب ام لا وهل احترزوا عن المعصية الموجبة للعقاب
أم لا واعلم ان لنا في قوله لا يذكر الله تطمئن القلوب بحاشا دقيقة غامضة وهي من وجوه
(الاول) ان الموجودات على ثلاثة اقسام مؤثر لا يتأثر ومؤثر لا يؤثر وموجود يؤثر في شيء
ويتأثر من شيء فالؤثر الذي لا يتأثر هو الله سبحانه وتعالى والتأثر الذي لا يؤثر هو الجسم
فانه ذات قابلة لصفات المختلفة والآثار المتشابهة وليس له خاصية الالقول فقط واما
الموجود الذي يؤثر تارة ويتأثر اخرى فهي الموجودات الروحانية وذلك لانها اذا توجهت
الى الحضرة الالهية صارت قابلة للآثار الفاضلة عن مشيئة الله تعالى وقدرته وتكونه
وايجادها واذا توجهت الى عالم الاجسام اشاقت الى التصرف فيها لان عالم الارواح مدير
لعالم الاجسام واذا عرفت هذا فاعلم ان كل توجه الى مطالعة عالم الاجسام حصل فيه
الاضطراب والقلق والميل الشديد الى الاستيلاء عليها والتصرف فيها اما اذا توجه القلب
الى مطالعة الحضرة الالهية حصل فيه اتوار الصمدية والاضواء الالهية فهناك يكون
ساكنا فلهذا السبب قال لا يذكر الله تطمئن القلوب (الثاني) ان القلب كلما وصل الى شيء
فانه يطلب الانتقال منه الى حالة اخرى اشرف منها لانه لا يساعد في عالم الاجسام الا فوقها
مرتبة اخرى في الذة والقبطة اما اذا انتهى القلب والعقل الى الاستعداد بالعارف
الالهية والاضواء الصمدية بقي واستقر فلم يقدر على الانتقال منه البتة لانه ليس هناك
درجة اخرى في السعادة اعلى منها واكل فلهذا المعنى قال لا يذكر الله تطمئن القلوب
(الوجه الثالث) في تفسير هذه الكلمة ان الاكسبر اذا وقعت منه ذرة على الجسم
النحاسي انقلب ذهباً باقيا على كرا الدهور والازمان صابرا على الذوبان الحاصل بالنار
فاكسبر جلال الله تعالى اذا وقع في القلب اولى ان يقلبه جوهر باقيا صافيا نورانيا
لا يقبل التغير والتبدل فلهذا قال لا يذكر الله تطمئن القلوب ثم قال تعالى الذين آمنوا
وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ما بوفيه مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير كلمة

(طوبى)

على الابتداء وان كانت نكرة
لكونها في معنى الدعاء كسلام
عليك يدل على ذلك القراءة في
قوله تعالى (وحسن ما ب)
بالنصب والرفع واللام في لهم
ليبين مثلها في سياتيك (كذلك)
مثل ذلك الارسال العظيم الشأن
المصوب بهذه المجيزة الباهرة
(ارسلناك في امة قد خلت اى
مضت (من قبلها) كثيرة قد
ارسل اليهم رسل (لنتلو) لتقرأ
(عليهم الذى اوحينا اليك) من
الكتاب العظيم الشأن وتهدى بهم
الى الحق رجة لهم وتقدم المجرور
على المنصوب من قبيل الابهام ثم
البيان كما في قوله تعالى ووضنا
عك وزرك وفيه ما لا يخفى من
ترقب النفس الى ما يرد وحسن
قبولها عند ورودها عليها (وهم)
اى الحال التي يكفرون بالرحن
بالبلغ الرحمة الذى وسع كل
شيء رحته واحاط به نعمته
والعدول الى المظهر المتعرض
لوصف الرحمة من حيث ان
الارسال ناشئ منها كما قال تعالى
وما ارسلناك الا رجة للعالمين فلم
يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه
لا سيما ما انعم به عليهم بالرسال
منك اليهم وازال القرآن الذى
هو مدار المنافع الدينية والدنيوية
عليهم وقبل تزلت في مشركى مكة
حين امروا بالحدود فقتلوا
وما الرحمن (قل هو) اى الرحمن
الذى كفرتم به وانكرتم معرفته
(ربى) الرب في الاصل بمعنى
القرية وهي تبليغ الشيء الى الكالة
شيئا فشيئا ثم وصف به بمباقة
كالصوم والعدل وقيل هو
نعت اى خالق ومبلى الى
مراتب الكمال وايراد قبل قوله

(لا اله الا هو) اي لا مسحق للعبادة

سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان الجاهل سمع النبي عليه السلام يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعوا اليه فقلت وتزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية (عليه توكلت) في جميع اموري لاسيما في النصره عليكم لاهل احد سواء (واليه) خاصة (متاب) اي توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك ارسله بالسلام بذلك الهة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة الانبياء وبشا للكفرة على الرجوع عاهم عليه بابلغ وجهه والطفه فانه عليه السلام حيث امرها وهو مزه من شابة اقتران ما يوجبهما من الذنب وان قل قوتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا يد منه اصلا وقد سفر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيكم يعني ويبيدكم وقد قيل فيبيدني على مصابركم فتأمل (ولوان قرآنا) اي قرآنا وهو اسم ان وانجز قوله تعالى (سيرت الجبال) وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من التالى والمقصود لما بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأى الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلى ولم يعبدوا من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوى موسى وعيسى عليهما السلام وامايان غلوهم في التكبر والمعاد وتماذيم في الضلال والفساد فالتمس على الاول لوان قرآنا سيوت به الجبال اي بآياته او بتلاوته عليها وازعزت عن مفارها

طوبى ثلاثة اقول الاول انها اسم شجرة في الجنة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة في الجنة غرسها الله بيده تثبت الحلى والحلل وان اغصانها لتزى من وراء سور الجنة وحكى ابو بكر الاصم رضى الله عنه ان اصل هذه الشجرة في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن واقول الثانى وهو قول اهل اللغة ان طوبى مصدر من طاب كبشري وزانى ومعنى طوبى لك اصبت طيبا ثم اختلفوا على وجوه فقيل فرح وقرعة عين لهم عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل نعم مالهم عن عكرمة وقيل غبطة لهم عن الضحاك وقيل حسنى لهم عن قتادة وقيل خير وكرامة عن ابى بكر الاصم وقيل العيش الطيب لهم عن الزجاج واعلم ان المعانى متقاربة والفاوت يقرّب من ان يكون في اللفظ والحاصل انه مبالغة في نيل الطيبات ويدخل فيه جميع الازدات وتفسيره ان طيب الاشياء في كل الامور حاصل لهم والقول الثالث ان هذه اللفظة ليست عربية ثم اختلفوا فقال بعضهم طوبى اسم الجنة بالجشية وقيل اسم الجنة بالهندية وقيل البستان بالهندية وهذا القول ضعيف لانه ليس في القرآن الا لعربى لاسيما واشتقاق هذا اللفظ من اللغة العربية ظاهر (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشف الذين آمنوا متبدا وطوبى لهم خبره ومعنى طوبى لثاى اصبت طيبا ومحلهما النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلاما لك والقراءة في قوله وحسن ما ب الرفع والنصب تدل على محلهما وقرأ مكررة الاعرابى طيبى لهم اما قوله وحسن ما ب فالمراد حسن المرجع والمقروكل ذلك وعدمين الله بأعظم العيم ترغيبا في طاعته وتحذيرا عن المعصية قوله تعالى (كذلك ارسلناك في امة قد دخلت من قبلها ام تتلو عليهم الذى اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب) اعلم ان الكاف في كذلك لتشبيهه بقتل وجه التشبيه ارسلناك كما ارسلنا الانبياء قبلك في امة قد دخلت من قبلها اتم وهو قول ابن عباس والحسن و قتادة وقيل كما ارسلنا الى اتم واعطيناهم كتبنا تنلى عليهم كذلك اعطيناك هذا الكتاب وانت تلوه عليهم فلماذا افترحوا غيره وقال صاحب الكشف كذلك ارسلناك اى مثل ذلك الارسل ارسلناك يعنى ارسلناك ارسلاله شان وفضل على سائر الارسلات ثم فسركيف ارسله فقال في امة قد دخلت من قبلها اتم اى ارسلناك في امة قد تقدمتها اتم فهى آخر الامم وانت آخر الانبياء اما قوله لتتلوا عليهم الذى اوحينا اليك فالمراد لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذى اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحن اى وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحن الذى رحته وسعت كل شىء وما يهيم من نعمته فنه وكفروا بتمتته في ارسال مثلك اليهم واتزال هذا القرآن المعجز عليهم قل هو ربى الواحد المتعالى عن الشركاء لا اله الا هو عليه توكلت في نصرى عليكم واليه متاب فيعني على مصابركم ومجاهدكم قيل نزل قوله وهم يكفرون بالرحن في عبد الله بن امية المخزومى وكان يقول اما الله فتمرفه واما بالرحن فلا تعرفه الا صاحب الجلالة يعنون مسلمية

الصلاة والسلام (أوقطعت به الأرض) أى شقت وجعلت انهارا وحيونا كافل بالمجرحين ضربه عليه السلام بعصاه واجعلت قطعاً متصدعة (أوكلهم به الموتى) أى بعد ان احياى بقرانه عليها كما احيت ليعسى عليه السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى فى الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وحيثه عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله لافى العجايب اذ لا مدخل لى هذه الآثار ولا فى التذكير والانذار والنفوذ لا خفاصها بالبقاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض القول اليها محل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور فى المواضع الثلاثة على المرفوع لما فيه مرة من قصد الانباه ثم التفسير لزيادة التفرير لان تقديم ماحقه التأخير يسبق النفس مستمرة ومتوقفة الى اخره ماذا فليكن هند وروده عليها فضل تمكن وكلة اوفى الموضعين لمنع الخلو لالنع الجمع والافتراحهم وان كان متعلقاً بمجرد ظهور مثل هذه الافاويل العجيبة على يده عليه السلام لا يظهرها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبيهاً على عدم اشتغاله برفعهم على الخوارق نبط ظهورها به مبالغة فى بيان اشتغاله عليها وانه حقيق بأن يكون مصدر الكل خارق وابانة تركاكة رأيهم فى شأنه الربيع كأنه قيل لو ان ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذى

الكذاب فقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وكقوله واذ اقبل لهم اسجدوا للرحن قالوا وما الرحمن وقيل انه عليه السلام حين صالح قريشا من الحديبية كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال المشركون ان كنت رسول الله وقد قاتلناك فقد ظننا ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فكتب كذلك ولما كتب فى الكتاب بسم الرحمن الرحيم قالوا اما الرحمن فلا نعرفه وكانوا يكتبون باسمك اللهم فقال عليه السلام اكتبوا كما تريدون واعلم ان قوله وهم يكفرون بالرحن اذ اجلناه على هاتين الروايتين كان معناه انهم كفروا باطلاق هذا الاسم على الله تعالى لانهم كفروا بالله تعالى وقال آخرون بل كفروا بالله اما جسد الله واما لاثباتهم الشركاء معه قال القاضى وهذا القول أليق بالظاهر لان قوله تعالى وهم يكفرون بالرحن يقتضى انهم كفروا بالله وهو المفهوم من الرحمن وليس المفهوم منه الاسم كما لو قال قائل كفروا بمحمد وكذبوا به لكان المفهوم هودون اسمه قوله تعالى (ولوان قرأنا سيرته الجبال أوقطعت به الأرض أو كلهم به الموتى بل لله الأمر جميعاً أفلم يأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا حتى يصيبهم ما صنعوا قارعة أو يحلّ قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد) اعلم انه روى ان اهل مكة قدعوا فى فناء مكة فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الاسلام عليهم فقال له عبد الله بن امية المخزومى سير لنا جبال مكة حتى ينفسخ المكان علينا واجعل لنا فيها انهارا تزرع فيها أو احمى لنا بعض امواتنا لنسألهم احق ما تقول أو باطل فقد كان عيسى يحى الموتى واسخر لنا الرب حتى نركبها ونسير فى البلاد فقد كانت الريح معضرة لسليمان فلست بأهون على ربك من سليمان فترل قوله ولوان قرأنا سيرته الجبال أى من اماكنها وأوقطعت به الأرض أى شقت فجعلت انهارا وحيونا كافلهم به الموتى لكان هو هذا القرآن الذى اترناه عليك وحذف جواب لولكونه معلوماً وقال الزجاج المحذوف هو انه لو ان قرأنا سيرته الجبال وكذا وكذا لما آمنوا به كقوله ولوان انا نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى ثم قال تعالى بل لله الامر جميعا يعنى ان شاء فعل وان يشأ لم يفعل وليس لاحد ان يتحكم عليه فى افعاله واحكامه ثم قال تعالى أفلم يأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً وفيه مستلثان (المسئلة الاولى) فى قوله أفلم يأس قولنا احدهما أفلم يعلموا وعلى هذا التقدير ففيه وجهان الاول يأس يعلم فى لغة النفع وهذا قول اكثر المفسرين مثل مجاهد والحسن وقنادة واحضوا عليه بقول الشاعر

ألم يأس الاقوام ائى انايته * وان كنت عن ارض العشرة نائبا
وانشد أبو عبيدة

اقول لهم بالشعب اذ بأسرونى * ألم تأسوا ائى ابن فارس زهدهم
أى ألم تعلموا وقال الكسافى ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت البتة والوجه

ثم يعود آية وفيه من تفهيم
شأنه العزيز ووصفهم بركاة
العقل ما لا ينبغي (بل لله الامر
جميعا) اى له الامر الذى عليه
يدور فلك الاكوان وجودا
وعندما يفعل ما يشاء ويحكم ما
يريد لما يدعو اليه من الحكم البالغة
وهو اضرب عما قصته الشريعة
من معنى النفي لا بحسب منطوقه
بل باعتبار موجه ومؤداه اى
لوان قرأنا فعله ما ذكر كان
ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل
بل فعل ما عليه الشأن الا ان لان
الامر كله له وحده فالاضراب
ليس بمفوج الى كون الامر لله
سجانه بل الى ما يؤدى اليه ذلك
من كون الشأن على ما كان لما
تقتضيه الحكمة من بناء التكليف
على الاختيار (افعلى يأس الذين
آمنوا) اى افعلى يعملوا على لغة
هو ازن او قوم من الضعاف وعلى
استعمال اليأس فى معنى العلم
لتفضله له ويؤيده قرأته على
وابن عباس وجاعة من الصحابة
والتابعين رضى الله عنهم افعلى
يتبين بطريق التفسير والقراء
للمطوف على مقدر اى اغفلوا عن
كون الامر جميعا لله تعالى فلا يعملوا
(ان لو يشاء الله) على حسنة
ضمير الشأن وتخصيف (لهدى
الناس جميعا) بانها ارشال
تلك الآثار العظيمة فالانكار
متوجه الى المعطوفين جميعا او
اعلوا كون الامر جميعا لله فلم
يعملوا بما يوجه ذلك العلم ما ذكر
فهو متوجه الى ترتيب المعطوف
على المطوف عليه اى تخلف
العلم الثانى عن العلم الاول وعلى
التقديرين فالانكار انكار الوقوع
كما فى قوله تعالى الم يعدكم ربكم
وعدا حسنا لانكار الواثق

الثانى ماروى ان عليا وابن عباس كانا يقرآن افعلى يأس الذين آمنوا فقبل لابن عباس افعلى
يأس فقال اظن ان الكاتب كتبها وهو ناعس انه كان فى الخط يأس فزاد الكاتب سنة
واحدة فصار يأس فقرأ يأس وهذا القول بعيد جدا لانه يقتضى كون القرآن محلا
للتخريف والتصحيف وذلك يخرج عن كونه حجة قال صاحب الكشف ماهذا القول
والله الا فرية بلامرية والقول الثانى قال الزجاج المعنى أو ليس الذين آمنوا من ايمان
هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعا وتقريره ان العلم بأن الشئ لا يكون بوجوب اليأس
من كونه والملازمة توجب حسن الحجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ اليأس لارادة
العلم (المسئلة الثانية) اخرج اصحابنا بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وكلمة
لوتقيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره والمعنى انه تعالى ماشاء هداية جميع الناس والمعزلة تارة
يحملون هذه المشيئة على مشيئة الاجزاء وتارة يحملون الهداية على الهداية الى طريق
الجنة وفيهم من يجرى الكلام على الظاهر ويقول انه تعالى ماشاء هداية جميع الناس
لانه ماشاء هداية الاطفال والمجانين فلا يكون شائيا لهداية جميع الناس والكلام فى هذه
المسئلة قد سبق مرارا اما قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعا وتول
قريبا من دارهم ففيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قوله الذين كفروا فيه قولان قيل اراد به
جميع الكفار لان الوقائع الشديدة التى وقعت لبعض الكفار من القتل والسبي اوجب
حصول التمس فى قلب الكل وقيل اراد بعض الكفار وهم جماعة معينون والافق واللام
فى لفظ الكفار للمعهود السابق وهو ذلك الجمع المعين (المسئلة الثانية) فى الآية وجهان
الاول ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية
تقرعهم بما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب فى نفوسهم واولادهم
واموالهم او تحمل القارعة قربانهم فيفزعون وبضطربون وبظاير البهم شرارها
وتعدى اليهم شرورها حتى يأتى وعد الله وهو موتهم او القيامة والقول الثانى ولا يزال
كفار مكة تصيبهم بما صنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث سرايا فتعير حول مكة وتختطف
منهم وتصيب من مواشيهم او تحمل انت يا محمد قربان دارهم يمحشك كاحل بالحدبية
حتى يأتى وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعد ذلك ثم قال ان الله لا يتخلف الميعاد
والغرض منه تقوية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه قال القاضى وهذا
يدل على بطلان قول من يجوز الخلف على الله تعالى فى ميعاده وهذه الآية وان كانت
واردة فى حق الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب اذ بعمومه يتناول
كل وعيد ورد فى حق الفساق وجوابنا ان الخلف غير وتخصيص العموم غير ونحن لا نقول
بالخلف ولكننا نخصص عومات الوعيد بالآيات الدالة على العفو * قوله تعالى (ولقد
استهزئ برسلى من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقابنا) هو قائم

كما في قوله الم تخف الله حتى
عصيته ثم ان مناط الانتكار ليس
عدم علمهم بضميرون الشرطية
قط بل مع عدم علمهم بعدم
تحقق مقدمها كما قيل الم يعلموا
ان الله تعالى لو شاء هدايتهم
لهداهم وانهم يشاهدوا ذلك لانهم
كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا
من الايات ليثبتوا على الايمان
وعلى الثاني لو ان قرأنا فعل به
ماض من التعجب بما آمنوا به
كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى الاية
قالوا رب حينئذ متوجه الى
ما ملكت من اقتراحهم مع كونهم في
العناد على ما شرح ابي طليس لهم
ذلك بل الله المرحب بما انشأوا
بما اقترحوا وان شئت بآيات بهما
تستدعيه داعية الحكمة من غير
ان يكون لاحد عليه تحكم او
اقتراح والباس معنى الفتوى اى
الم يعلم الذين آمنوا انهم هذه فلم
يقنطوا من ايمانهم حتى احبوا
ظهور مقترحاتهم فالانتكار متوجه
الى المعطوفين او اعموا ذلك فلم
يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه
الى وقوع المعطوف بعد المعطوف
عليه اى الى تخلف الفتوى عن
العلم المذكور والانتكار على
التقديريين انتكار الواقع كما في
قوله تعالى افلا يتقون وقطاره
لانتكار الوقوع فان عدم
تقوئهم منه بما مرده وقوله
تعالى ان لو يشاء الله الخ متعلق
بمحذوف اى افلا يسوا من ايمانهم
علا منهم او عالين بانه لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا وانه لم يشأ
ذلك او استأوى اقل بقسط الذين
آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا على معنى

على كل نفس بما كسبت وجعلوا الله شركاء قل سموهم ام تنبؤنه بما يعلم في الارض ام
بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضل الله فانه من
هادلهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق ومالهم من الله من واق اعلم ان
القوم لما طلبوا سائر المجزات من الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء والسخرة
وكان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يأذى من تلك الكلمات قاله
تعالى انزل هذه الآية تسلياً له وتصبراً له على سفاقة قومه فقال له ان اقوام سائر الانبياء
استهزؤا بهم كان قومك يستهزؤن بك فأملت للذين كفروا اى اطلت لهم المدة بتأخير
العقوبة ثم اخذتهم فكيف كان عقابي لهم واعلم انى سأنتقم من هؤلاء الكفار كما
انتقمتم من اولئك المتقين والاملاء الامهال وان يتركوا مدة من الزمان في خفض
وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الايات على رسول
الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء ثم انه تعالى اورد على المشركين ما يجرى مجرى
الاجحاج ويكون توبيخاً لهم وتعجباً من عقولهم فقال أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت
والمعنى انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكليات واذا
كان كذلك كان عالم بجميع احوال النفوس وقادراً على تحصيل مطالبها من تحصيل
المنافع ودفع المضار ومن ايصال الثواب اليها على كل الطاعات وايصال العقاب اليها على
كل المعاصي وهذا هو المراد من قوله قائم على كل نفس بما كسبت وماذا الا الحق سبحانه
ونظيره قوله تعالى قائماً بالقسط واعلم انه لا بد لهذا الكلام من جواب واختلفوا فيه على
وجوه (الاول) التقدير أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت كى ليس بهذه الصفة وهى
الاصنام التى لاتنفع ولا تضر وهذا الجواب مضمر في قوله تعالى وجعلوا الله شركاء
والتقدير أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت كى شركائهم التى لاتنفع ونظيره قوله
تعالى أفن شرح الله صدره الاسلام فهو على نور من ربه وما جاء جوابه لانه مضمر في قوله
فويل للقاتية قلوبهم من ذكر الله فكذا ههنا قال صاحب الكشف يجوز ان يقدر
ما يقع خبر المبتدأ ويعطف عليه قوله وجعلوا والتقدير أفن هو بهذه الصفة لم يوجد ولم
يمجدوه وجعلوا شركاء (والوجه الثانى) وهو الذى ذكره السيد صاحب حل العقد فقال
نجد الوافى في قوله وجعلوا واو الحال ونضم للمبتدأ خبرا يكون المبتدأ معه جملة مقرر
لا يمكن ما يشارنا من الحال والتقدير أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت موجود والحال
انهم جعلوا شركاء ثم اقيم الظاهر وهو قوله لله مقام المضمر تقريراً للالهيية وتقصيراً عما
وهذا كما تقول جواد يعطى الناس وينعم بوجود ويحرم مثلى واعلم انه تعالى لما قره هذه
الجملة زاد في الاجحاج فقال قل سموهم وانما يقال ذلك في الامر المستحق الذى بلغ في الحقايرة
الى ان لا يذكر ولا يوضع له اسم فعند ذلك يقال سمه ان شئت يعنى انه اخس من ان يسمى
ويذكر ولكن ان شئت ان تضع له اسماً فاعل فكأنه تعالى قال سموهم بالآلهة على سبيل

افل يأس من اعانهم المؤمنون
 يحسون الشرطة وعدم محقق
 مقدمهم منهم من مكابرتهم حسبا
 تحكيه كلمة لوالف وصف المذكور
 من دواعي انكار بأسهم وقيل ان
 اباجهم واضرا به قال الرسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان كنت
 نبيا فسير بقرآنك الجبال عن
 مكة حتى تسع لنا ونفخذ فيها
 البساتين والقطائع وقد حضرت
 لدادو عليه السلام فسلمت باهون
 على الله منه ان كنت نبيا كراعت
 او حمر لنا به الرمح كما حضرت
 لسليمان عليه السلام لتجبر عليها
 الى الشام فقد قس علينا فطع البقرة
 البعيدة اوابت لنا به رحلتي
 او ثلاثة من مات من آياتنا فزالت
 نخني تقطيع الارض حينئذ قطعها
 بالسير ولا حاجة حينئذ الى
 الاعتذار في اسناد الاقاييل
 المذكورة الى القرآن كما احتج اليه
 في الوجوه الاولى ومن اقراء
 انه متعلق بما قبله من قوله وهم
 يكفرون بالرحمن وما بينهما
 اعتراض وهو الحقيقة دال على
 الجواب والتقدير ولو ان قرآنسوت
 به الجبال اوقطعت به الارض
 او كمل به الموتى لكفروا بالرحمن
 والتذكير في كبره الموتى لتغليب
 المذكر من الموتى على غيره (ولا
 يزال الذين كفروا) من اهل
 مكة (تصبيه بما صنعوا) اى
 بسبب ما صنعوه من الكفر
 الى التجاؤف فيه وعدم بيانه اما للقصود
 الى تسويله واستحقاقه وهو
 تصريح بالشعوبه بناء الحكم مع
 الموصول من علية الصلة مع
 ما في صيغة الصنع من الابدان
 برسوخهم في ذلك (فارعة) داهية
 تفرعهم وتشتقهم وهو ما كان
 يصيبهم من انواع البلاء والمصائب
 من القتل

التهديد والمعنى سواء سميتهم بهذا الاسم او لم تسمهم به فانها في الحقايرة بحيث لا تستحق
 ان يلفت العاقل اليها ثم زاد في الحجاج قتال ام تنبؤ به بالاعلم في الارض والمراد ان تقدر
 على ان تخبروه وتعلموه بأمر تعلمونه وهو لا يعلمه وانما خص الارض بنى الشريك عنها وان
 لم يكن شريك البتة لانهم ادعوا ان له شركاء في الارض لافى غيرهم بظاهر من القول يعنى
 تموهون باظهار قول لا حقيقة له وهو كقوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم غم انه تعالى بين
 بعد هذا الحجاج سوء طريقته فقال على وجه التحقير لاهم عليه بل زين للذين كفروا ومكرهم
 قال الواحدى معنى بل هنا كما أنه يقول دع ذكر ما كنا فيه زين لهم مكرهم وذلك لانه تعالى
 لما ذكر الدلائل على فساد قولهم فكأنه يقول دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه لانه زين لهم
 كفرهم ومكرهم فلا ينتفعون بذلك هذه الدلائل قال القاضى لاشبهة في انه تعالى انما ذكر
 ذلك لاجل ان يذمهم به واذا كان كذلك امتنع ان يكون ذلك المزين هو الله بل لابد ان
 يكون اما شياطين الانس واما شياطين الجن واعلم ان هذا التأويل ضعيف لوجوده الاول
 انه لو كان المزين احد شياطين الجن او الانس فالزين في قلب ذلك الشيطان ان كان
 شيطانا آخر لزم التسلسل وان كان هو الله فقد زال السؤال والثاني ان يقال القلوب
 لا يقدر عليها الا الله والثالث انا قد دللنا على ان ترجيح الداعي لا يحصل الا من الله تعالى
 وعند حصوله يجب الفعل اما قوله وصدوا عن السبيل فاعلم انه قرأ عصم وحزة والكسائي
 وصدوا بضم الصاد وفيهم المؤمن وصدوا عن السبيل على ما لم يسم فاعلم معنى ان الكفار
 صددهم وغيرهم وعند اهل السنة ان الله صددهم ولعنة في وجهه قبل الشيطان وقيل
 انفسهم وبعضهم بعض كما يقال فلان محبب وان لم يكن ثممة غيره وهو قول ابى مسلم
 والباقون وصدوا بفتح الصاد في السورتين يعنى ان الكفار صدوا عن سبيل الله اى
 اعرضوا وقيل صرفوا غيرهم وهو لازم ومتعد ووجه القراءة الاولى مشاكاتها لما قبلها
 من بناء الفعل للفعل ووجه القراءة الثانية قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم
 قال ومن يضلل الله فاعلم ان هاد اعلم اصحابنا تمسكوا بهذه الآية من وجوه (اولها)
 قوله بل زين للذين كفروا ومكرهم وقد بينا بالدليل ان ذلك المزين هو الله (وثانيها) قوله
 وصدوا عن السبيل بضم الصاد وقد بينا ان ذلك الصاد هو الله (وثالثها) قوله ومن يضلل
 الله فاعلم ان هاد وهو صريح في المقصود وتصريح بأن ذلك المزين وذلك الصاد ليس الا
 الله (ورابعها) قوله تعالى لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق اخبر عنهم انهم
 سيقعون في عقاب الآخرة واخبار الله تمتع التغير واذا امتنع وقوع التغير في هذا الخبر
 امتنع صدور الايمان منه وكل هذه الوجود قد خصناها في هذا الكتاب مرارا قال القاضى
 من يضلل الله اى عن ثواب الجنة لكفره وقوله فاعلم ان هاد منى بذلك ان الثواب لا ينال الا
 بالطاعة خاصة فمن زاعغ عنها لم يجدها سبيلا وقيل المراد بذلك من حكمه بان ضال وسامه ضالا
 وقيل المراد من يضله الله عن الايمان بان يجده كذلك ثم قال والوجه الاول اقوى واعلم ان

والاسر والنهب والسلب وتهديم
المجرو على القاعل لاسر مرارا
من ارادة التفسير اثر الابهام
لزيادة التقرير والاحكام مع
ما فيه من بيان ان مدار الاسبابة
من جهتهم اتردى اتري (اتوخل)
تلك القارة (قربا) اى مكانا
قربا (من دارهم) فيفزعون
منها ويتطايرو اليهم شرارها
شبهت القارة بالمدو المتوجه
اليهم فاستند اليها الاسبابة
تاروا الحلول اخرى فيه استعارة
بالكتابة وتخيل وترشيع (حتى
يأتى وعد الله) اى موتهم
او القيامه فان كلا منهما وعد
صنوم لاسر لاه وفيه دلالة على ان
ما يصيبهم عند ذلك من العذاب
في غاية الشدة وأن ما ذكر سابقا
نقطة يسيرة بالنسبة اليه ثم سقى
ذلك بقوله تعالى (ان الله لا يخلط
اليمساد) اى الوعد كاليلاد
واليثاق بمعنى الولادة والتوثيق
لاستحالة ذلك على الله سبحانه
وقال ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما اراد بالقارة السرايات
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمها وكانوا بين غارة واختطاف
وتخوف بالهموم عليهم في
ديارهم فالاسبابة والحلول حيثئذ
من احوالهم ويجوز على هذا ان
يكون قوله تعالى واتوخل قريبا
من دارهم خطا بالرسول صلى الله
عليه وسلم مراد به حلوله الحديدية
والمراد بوعده الله ما وعده من فتح
مكة (ولقد استهزئ برسول)
كثيره خلت (من قبلك فانليت
الذين كفروا) اى تركهم ملاوة
من الزمان فاسن ودعة كما على
للهمجة في المرعى وهذا تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عائلي

الوجه الاول ضعيف جدا لان الكلام انما وقع في شرح ايمانهم وكفرهم في الدنيا ولم يجز
ذكر ذهابهم الى الجنة البتة فصرف الكلام عن المذكور الى غير المذكور بعيد وايضا
فهب اننا نساعد على ان الامر كما ذكره الا انه تعالى لما اخبرناهم لايدخلون الجنة فقد
حصل المقصود لان خلاف معلوم الله ومخبره محال يمنع الوقوع واعلم انه تعالى لما اخبر
عنهم بتلك الامور المذكورة بين انه جمع لهم بين عذاب الدنيا وبين عذاب الآخرة
الذى هو اشق واته لادافع لهم عنه لافى الدنيا ولا فى الآخرة اما عذاب الدنيا فبالقتل
والقتال واللعن والذم والاهانة وهل يدخل المصائب والأمراض في ذلك ام لا اختلفوا
فيه قال بعضهم انها تدخل فيه وقال بعضهم انها لا تكون عقابا لان كل احد نزلت به
مصيبة فانه مأمور بالصبر عليها ولو كان عقابا لم يجز ذلك فالمراد على هذا القول من
الآية القتل والسبي واغتنام الاموال واللعن وانما قال ولعذاب الآخرة اشق لانه
ازيد ان شئت بسبب القوة والشدة وان شئت بسبب كثرة الانواع وان شئت بسبب انه
لا يختلط بها شيء من موجبات الراحة وان شئت بسبب الدوام وعدم الانقطاع ثم بين
بقوله وما لهم من الله من وفاق اى ان احدا لا يقسم منازل بهم من عذاب الله قال الواحدى
اكثر القراء وقفا على القاف من غير اثبات به فى قوله وفاق وكذلك فى قوله ومن يضل الله
فاله من هاد وكذلك فى قوله وال وهو الوجه لانه يقول فى الوصل هذا هاد وال وفاق
فخفف الياء لسكونها والتقاها مع التنوين فاذا وقعت انحدف التنوين فى الوقف
فى الرفع والجبر والياء كانت انحدفت فى الوصل فصا داف الوقف الحر كة التى هى كسرة
فى غير قاعل فخذفها كما تحذف سائر الحركات التى تقف عليها فصير هاد وال وفاق وكان
ابن كثير يقف بالياء فى هادى والى وفاقى ووجهه ما حكى سيويه ان بعض من يؤتى به من
العرب يقول هذا داعى فيقفون بالياء * قوله تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون تجري
من تحتها الأنهار اكلمها دائم وظلها تلك عقي الذين اتقوا وعقي الكافرين النار)
وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر عذاب الكفار فى الدنيا والآخرة
اتبعه بذكر ثواب المتقين وفى قوله مثل الجنة اقوال الاول قال سيويه مثل الجنة مبتدأ
وخبره مخذوف والتقدير فيما قصصنا عليكم مثل الجنة والثاني قال الزجاج مثل الجنة
جنة من صفتها كذا وكذا والثالث مثل الجنة مبتدأ وخبره تجرى من تحتها الأنهار
كاقول صفة زيد اسم والرابع الخبر هو قوله اكلمها دائم لانه الخارج عن العادة كأنه قال
مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار كما تعملون من حال جناتكم الان هذه
اكلمها دائم (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى وصف الجنة بصفات ثلاث اولها تجرى من
تحتها الأنهار وثانيها ان اكلمها دائم والمعنى ان جنات الدنيا لا يدوم ورقها وثمرها وانما
اماجنات الآخرة فثمارها دائمة غير منقطعة وثالثها ان ظلها دائم ايضا والمراد انه ليس
هناك جرو لا بد ولا شمس ولا قمر ولا ظلة ونظير مقوله تعالى لا يرون فيها شمس ولا زمهريرا ثم

من المشركين من التكذيب والافتراح على طريقة (٣٠٥) الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر عارض

تفضل ذلك برسل كثيرة كاشة
من قبلك فاهملت الذين فعلوه بهم
والعدول في الصلة الى وصف
الكفر ليس لان المعلى لهم غير
المستهزين بل لارادة الجمع بين
بين الوصفين اى فاهملت للذين
كفروا مع استهزائهم لباستهزائهم
فقط (ثم اخذتهم فكيف كان
عقاب) اى عقابي اياهم وفيه
من الدلالة على شأه كيفية
في الشدة والفظاعة ما لا ينبغي
(ان هو قائم) اى رقيب مهمين
(على كل نفس) كاشة من كانت
(بما كتبت) من خير او شر
لا ينبغي عليه شئ من ذلك بل
يجازى كلا بماله وهو الله تعالى
والخير عذوب فإى كن ليس كذلك
انكارا لذلك وادخال القراء
لتوجيه الانكار الى توهم المبالة
غيب ماعل عاقل تعالى بالمستزين
من الاملاء المديد والاخذ الصديد
ومن كون الامر كله لله تعالى
وكون هداية الناس جميعا منوطة
بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع
على الكفرة القيان يأتى وعد الله
كأنه قيل الامر كذلك فمن هذا
شأنه كالىس في عدد الاشياء حتى
تتركبه بالانكار متوجه الى
ترتب المصطفى اعنى توهم
المبالة على المصطفى عليه المقدر
اعنى كون الامر كذا ذكر كفى قولك
اتعمل الحق فلا تعلم به لالى
المصطفين جميعا كما اذا قلت الا
تعمله فلا تعلم به وقوله تعالى
وجعلوا لله شركاء (جلة مستقلة
على الدلالة على انهم ابراهيمية
اى انهم هذه صفاته كما ليس
كذلك وقد جعلوا لله شركاء لا يشركوا
واحدا او معطوفة على الخبر ان
قد مر ما يصلح لذلك اى ان هذا

انه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاث بين ان ذلك عقيب الذين اتفوا يعنى عاقبة
اهل التقوى هى الجنة وعاقبة الكافرين النار وحاصل الكلام من هذه الآية ان ثواب
المتقين منافع خالصة عن الشوائب موصوفة بصفة الدوام واعلم ان قوله اكلها دائم فيه
مسائل ثلاث (المسئلة الاولى) انه يدل على ان اكل الجنة لا يقتضى كما يحكى عن جهنم
واتباعه (المسئلة الثانية) انه يدل على ان حركات اهل الجنة لا تنتهى الى سكون دائم كما
يقوله ابو الهذيل واتباعه (المسئلة الثالثة) قال القاضى هذه الآية تدل على ان الجنة
لم تخلق بعد لانها لو كانت مخلوقة لوجب ان تنهى وان يقطع اكلها لقوله تعالى كل من عليها
فان وكل شئ هالك الا وجهه لكن لا يقطع اكلها لقوله تعالى اكلها دائم فوجب ان
لا تكون الجنة مخلوقة ثم قال فلا ننكر ان يحصل الآن في السموات جنات كثيرة يتبع بها
الملائكة ومن بعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما يرى في ذلك الا ان الذى
نذهب اليه ان جنات الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة والجواب ان دليلهم مركب من
آيتين احدهما قوله كل شئ هالك الا وجهه والاخرى قوله اكلها دائم وظلها فاذا ادخلنا
التخصيص في احد هذين العمومين سقط دليلهم قصص تخصص احد هذين العمومين
بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة وهو قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للذين * قوله تعالى (والذين آتيناها الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن
الاحزاب من يشرك بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا شريك به اليه ادعوا اليه ما ب)
اعلم ان في المراد بالكتاب قولين الاول انه القرآن والمراد ان اهل القرآن يفرحون بما انزل
على محمد انواع التوحيد والعدل والنوثة والبعث والاحكام والقصص ومن الاحزاب
الجماعات من اليهود والنصارى وسائر الكفار من يشرك بعضه وهو قول الحسن وقناة
فان قيل الاحزاب ينكرون كل القرآن قلنا الاحزاب لا ينكرون كل ما في القرآن لانه
ورديه اثبات الله تعالى واثبات علمه وقدرته وحكمته واقاصيص الانبياء والاحزاب
ما كانوا ينكرون كل هذه الاشياء والقول الثانى ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل
وعلى هذا التقدير فى الآية قول الاول قال ابن عباس الذين آتيناها الكتاب هم الذين
آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب كعبدة الله بن سلام وكعب واصحابهما
ومن اسم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون نجران وثمانية يابن واثنا
وثلاثون بأرض الحبشة وفرحوا بالقرآن لانهم آمنوا به وصدقوه والاحزاب بقية اهل
الكتاب وسائر المشركين قال القاضى وهذا الوجه اولى من الاول لانه لا شبهة في ان من
اوى القرآن فانهم يفرحون بالقرآن اما اذا جلتاه على هذا الوجه ظهرت الفائدة ويمكن
ان يقال ان الذين اوتوا القرآن يزداد فرحهم به لما رأوا فيه من العلوم الكثيرة والفوائد
العظيمة فلهذا السبب حكى الله تعالى فرحهم به والثاني والذين آتيناها الكتاب اليهود
اعطوا التوراة والنصارى اعطوا الانجيل يفرحون بما انزل في هذا القرآن لانه مصدق

شأنه لوجوده وجعلوا لله شركاء ووضع الظاهر موضع الضمير (٣٩) (را) (خا) للتخصيص على وحدانيته ذاتا واسما ولتنبيه على اختصاصه

باستغفار العباد مع ما فيه من البيان بعد الانهزام بإرادته موصولا للدلالة على التغميم (٣٠٦) وقوله تعالى (قل سمعتم) نكتت لهم

للمعهم ومن الأحزاب من سائر الكفار من ينكر بعضه وهو قول مجاهد قال القاضي وهذا لا يصح لأن قوله يفرحون بما أنزل اليك يم جميع ما أنزل اليه ومعلوم أنهم لا يفرحون بكل ما أنزل اليه ويمكن أن يجاب فيقال أن قوله بما أنزل اليك لا يفيد العموم بدليل جواز ادخال لفظ الكل والبعض عليه ولو كانت كلمة المعهم لكان ادخال لفظ الكل عليه تكريرا وادخال لفظ البعض عليه نقصا منه تعالى لما بين هذا جمع كل ما يحتاج المرء اليه في معرفة المبدأ والمعاد في الفضاة قليلة منه فقال قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه ادعو إليه ما ب وهذا الكلام جامع لكل ما ورد التكليف به وفيه فوائد (اولها) أن كلمة إنما المحصر ومعناه أني ما أمرت إلا بعبادة الله تعالى وذلك يدل على أنه لا تكليف ولا امر ولا نهى إلا بذلك (وثانيها) أن العبادة غاية التعظيم وذلك يدل على أن المرء مكلف بذلك (وثالثها) أن عبادة الله تعالى لا يمكن إلا بعد معرفته ولا سبيل إلى معرفته إلا بالدليل فهذا يدل على أن المرء مكلف بالنظر والاستدلال في معرفة ذات الصانع وصفاته وما يجب ويجوز ويستحيل عليه (ورابعها) أن عبادة الله واجبة وهو يبطل قول نفاة التكليف ويبطل القول بالجبر المحض (وخامسها) قوله ولا أشرك به وهذا يدل على نفي الشركاء والانداد والاضداد بالكلية ويدخل فيه إبطال قول كل من أثبت معبودا سوى الله تعالى سواء قال أن ذلك المعبود هو الشمس أو القمر أو الكواكب أو الأصنام أو الأوثان والأرواح العلوية أو زردان وأهر من على ما يقوله المجوس أو النور والظلمة على ما يقوله الثنوية (وسادسها) قوله إليه ادعوه المراد منه أنه كما وجب عليه الاتيان بهذه العبادة فكذلك يجب عليه الدعوة إلى عبودية الله تعالى وهو إشارة إلى نبوته (وسابعها) قوله وإليه ما ب وهو إشارة إلى الخشوع والتسربل والبعث والقيامة فإذا تأمل الإنسان في هذه الالفاظ القليلة ووقف عليها عرف أنها محتوية على جميع المطالب المعتبرة في الدين ﷺ قوله تعالى (وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد مجاهدك من العلم مالك من الله من ولى ولا ولى) وفيه مسائل (المسئلة الأولى) اعلم أنه تعالى شبه أنزاله حكما عربيا بما أنزل إلى من تقدم من الأنبياء أي كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم كذلك أنزلنا عليك القرآن والكناية في قوله أنزلناه تعود إلى ما في قوله يفرحون بما أنزل اليك يعني القرآن (المسئلة الثانية) قوله أنزلناه حكما عربيا فيه وجوه الأول حكمه عربيه مترجمة بلسان العرب الثاني القرآن مشتمل على جميع اقسام التكليف فالحكم لا يمكن إلا بالقرآن فلا كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل البالغة الثالث أنه تعالى حكم على جميع المكلفين بقبول القرآن والعمل به فلا حكم على الخلق بوجوب قبوله جعله حكما واعلم أن قوله حكما عربيا نصب على الحال والمعنى أنزلناه حال كونه حكما عربيا (المسئلة الثالثة) قالت المعتزلة الآية دالة على حدوث القرآن من وجوه الأول أنه تعالى وصفه بكونه منزلا وذلك لا يليق إلا بالحدث

والثانية منبهة للتأكيد (مثل) الجنة أي صفتها الجمية الشأن التي في القرابة كالمثل (إلى وعد الحقون) (الثاني)

عن الكفر والمصاى وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه (٣٠٧) أى فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى (تجري من تحته الأنهار)

تفسير ذلك المثل على أنه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد إلى الجنة أى وعدا وهو الجوى عند غيره كفولا شأن زيد يأتيه الناس ويعظمونه أو على حذف موصوف أى مثل الجنة جسمة تجري الخ (أكلمها) عمرها (دائم) لا يتقطع (وظلها) أيضا كذلك لا تنقصه الشمس كما تنقص ظلال الدنيا (تلك) الجنة الموعودة بما ذكره (عقي الذين اتقوا) الكفر والمصاى أى ما لهم ومنهمى امرهم (وعقي الكافرين النار) لاغير وفيه ما يخفى من اطماع المتقين واقتبال الكافرين (والذين آتيناها الكتاب) هم المسلمون من أهل الكتاب كسيد الله بن سلام وكعب وأضرابها ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بغيران وخمسة وأربعين واثنان وثلاثون بالحنيفة (فخرحرن بأئزل اليك) اذ هو السكتاب الموعود في التوراة والانجيل (ومن الاحزاب) أى من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والصائب اسقى نجران وتابعهما (من ينكر بعضه) وهو الشرائع الحادثة انشاء اولسها لا ما يوافق ما حرقوه واللى عليهم من اول الامر ان مدار ذلك اما هو جنات ايدلهم واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالوصول الاول عامتهم قائم ايضا بشرحون به لكونه مصداقا لكتهم في الجنة فيجوز ان يكون قوله تعالى ومن الاحزاب الخ تنمة بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه (قل) انما لهم وردا لا تكرارهم (انما أمرت ان عبد الله

الثانى انه وصفه بكونه عربيا والعربى هو الذى حصل بوضع العرب واصلاحهم وما كان كذلك كان محدثا الثالث ان الآية دالة على انه انما كان حكما عربيا لان الله تعالى جعله كذلك ووصفه بهذه الصفة وكل ما كان كذلك فهو محدث والجواب ان كل هذه الوجوه دالة على ان المركب من الحروف والاصوات محدث ولا تراعى فيه والله اعلم (المسئلة الرابعة) روى ان المشركين كانوا يدعونه الى ملة آباءه فتوعده الله تعالى على متابعتهم في تلك المذاهب مثل ان يصلى الى قبلتهم بعد ان حوله الله عنها قال ابن عباس الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه وقيل بل الغرض منه حث الرسول عليه السلام على القيام بحق الرسالة وتحذيره من خلافها ويضمن ذلك ايضا تحذير جميع المكلفين لان من هو ارفع منزلة اذا حذر هذا التحذير فهم احق بذلك واولى قوله تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي بأية الا باذن الله لكل اجل كتاب يحصى الله ما شاء ويثبت ام الكتاب) اعلم ان القوم كانوا يذكرون اتواها من الشبهات في ابطال نبوته (فالشبهة الاولى) قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق وهذه الشبهة انما ذكرها الله تعالى في سورة اخرى (والشبهة الثانية) قولهم الرسول الذى رسله الله الى الخلق لابد وان يكون من جنس الملائكة كما حكي الله عنهم في قوله لوما تاتينا بالملائكة وقوله لولا انزل عليه ملك فأجاب الله تعالى عنه ههنا بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم ازواجا وذرية يعنى ان الانبياء الذين كانوا قبله كانوا من جنس البشر لا من جنس الملائكة فاذا جاز ذلك في حقهم فلم لا يجوز ايضا مثله في حقهم (الشبهة الثالثة) ما رواه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وقالوا لو كان رسولا من عند الله لما كان مشغولا بأمر النساء بل كان معرضا عنهم مشغولا بالنسك والزهة فأجاب الله تعالى عنه بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم ازواجا وذرية وبالجملة فهذا الكلام يصلح ان يكون جوابا عن الشبهة المقدمة ويصلح ان يكون جوابا عن هذه الشبهة فقد كان لسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة مهيبة وسبع مائة سريية ولدوا مائة امرأة (والشبهة الرابعة) قالوا لو كان رسولا من عند الله لكان اى شئ طلبنا منه من المعجزات أتى به ولم يتوقف والملم يكن الامر كذلك علنا ان ليس رسول فأجاب الله عنه بقوله وما كان لرسول ان يأتي بأية الا باذن الله وتقريره ان المعجزة الواحدة كافية في ازالة العذر والملة وفي اظهار الحق والبيئة فأما الزائد عليها فهو مفوض الى مشيئة الله تعالى ان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ولا اعتراض لاحد عليه في ذلك (الشبهة الخامسة) انه عليه السلام كان يخوفهم بترؤل العذاب وظهور النصر له ولقومه ثمان ذلك الموعود كان يتأخر فلما لم يشاهدوا تلك الامور احتجوا بها على الطعن في نبوته وقالوا لو كان نبيا صادقا لما ظهر كذبه فأجاب الله عنه بقوله لكل اجل كتاب يعنى تزول العذاب على الكفار وظهور الفتح والنصرة للاولياء

ولا اشرك به) اى شيئا من الاشياء اولا افضل الامراكية والمراد (٣١٨) قصر الامر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على

عبادته تعالى خاصة اى قل لهم اتعامرت فيما انزل الى عبادته وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لطباقي جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعهد الا الله ولا نشرك به شيئا فالحكم تشرعون به عزيرا والجميع وقرى ولا اشرك به بالرفع على الاستئناس اى وانا لا اشرك به (اليه) الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد (ادعو) الناس الى غيره ولا الى شئ آخر مما لم يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم الصلاة والسلام فواجه انكاركم (واليه) الى الله تعالى وحده (ما ب) مرجعى للجزا ومحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم ليصدقونها بحججنا امر عليه الصلاة والسلام بأن يحاط بهم بذلك الزما وتبكيهم ثم شرع في رد انكارهم لقروى الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك قبي (وكذلك انزلناه) اى ما انزل اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليك وعمله النسب على المصدرية اى مثل ذلك الانزال السديع المنتظم لاصول جميع عملها ودرج معتبة الى موافقة وخلافة حسبا تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه (حكما) حاكما بحكم في القضايا والوقائع بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لثبوتية وجوب مراعاته

وقم المحاطة عليه (هربا) مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة (ما يشاء)

قضى الله بمحصلوها في اوقات معينة مخصوصة ولكل حادث وقت معين ولكل اجل كتاب فقبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث فتأخر تلك المواعيد لا يدل على كونه كاذبا (الشبهة السادسة) قالوا او كان في دعوى الرسالة محقا لما نسخ الاحكام التى نص الله تعالى على ثبوتها في الشرائع المتقدمة نحو التوراة والانجيل لكنه نسخها وحرفها نحو تحريف القبلة ونسخ اكثر احكام التوراة والانجيل فوجب ان لا يكون نبيا حقيا فأجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله يحو الله ما يشاء وبثبت وعنده ام الكتاب ويمكن ايضا ان يكون قوله لكل اجل كتاب كالقدمة لتقرير هذا الجواب وذلك لانا نشاهد انه تعالى يخلق حيوانا عجيب الخلقة بديع الفطرة من فطرة من النطفة ثم يقيه مدة مخصوصة ثم يميت ويرفق اجزاءه وايضا ضة فلما لم يمنع ان يحيى اولا ثم يميت ثانيا فكيف يمنع ان يشرع الحكم في بعض الاوقات ثم ينسخه في سائر الاوقات فكان المراد من قوله لكل اجل كتاب ما ذكرناه ثم انه تعالى لما قرر تلك المقدمة قال يحو الله ما يشاء وبثبت وعنده ام الكتاب والمعنى انه يوجد تارة وبعدم اخرى ويحيى تارة ويميت اخرى وبغنى تارة وبفقر اخرى فكذلك لا بعد ان يشرع الحكم تارة ثم ينسخه اخرى بحسب ما اقتضته المشيئة الالهية عند اهل السنة او بحسب ما اقتضته راية المصالح عند المعتزلة فهذا تمام التحقيق في تفسير هذه الآية ثم ههنا مسائل (المسئلة الاولى) قوله تعالى لكل اجل كتاب فيه اقوال الاول ان لكل شئ وقتا مقدرا فالآيات التى سألوها هالها وقت معين حكم الله به وكتبه في الوح المحفوظ فلا يتغير عن ذلك الحكم بسبب تحكمتهم الفاسدة ولوان الله اعطاهم ما لنفوسا لكان فيه اعظم الفساد الثانى ان لكل حادث وقتا معينا قضى الله حصوله فيه كالخياة والموت والفنى والفقير والسعادة والشقاوة ولا يتغير البتة عن ذلك الوقت والثالث ان هذا من القلوب والمعنى ان لكل كتاب منزل من السماء اجلا ينزل فيه اى لكل كتاب وقت يعمل به فوق العمل بالتوراة والانجيل فدانقضى ووقت العمل بالقرآن فدائى وحضر وازابع لكل اجل معين كتاب عند الملائكة الحفظة فللناس احوال او لها نطفة ثمعلقة ثم مضغة ثم يصير شابا ثم شيخا وكذا القول في جميع الاحوال من الايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحسن والقبح الخامس كل وقت معين مشتمل على مصلحة خفية ومنفعة لا يعلمها الا الله تعالى فاذا جاء ذلك الوقت حدث ذلك الحادث ولا يجوز حدوثه في غيره واعلم ان هذه الآية صريحة في ان الكل بقضاء الله وبقدرة وان الامور مرهونة بأوقاتها لان قوله لكل اجل كتاب معناه ان تحت كل اجل حادث معين ويستحيل ان يكون ذلك التعيين لاجل خاصية الوقت فان ذلك محال لان الاجزاء المفروضة في الاوقات المتعاقبة متساوية فوجب ان يكون اختصاص كل وقت بالحادث الذى يحدث فيه بفعل الله تعالى واختياره وذلك يدل على ان الكل من الله تعالى وهو نظير قوله عليه السلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة (المسئلة الثانية) يحو الله

عبادته تعالى خاصة اى قل لهم اتعامرت فيما انزل الى عبادته وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لطباقي جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعهد الا الله ولا نشرك به شيئا فالحكم تشرعون به عزيرا والجميع وقرى ولا اشرك به بالرفع على الاستئناس اى وانا لا اشرك به (اليه) الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد (ادعو) الناس الى غيره ولا الى شئ آخر مما لم يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم الصلاة والسلام فواجه انكاركم (واليه) الى الله تعالى وحده (ما ب) مرجعى للجزا ومحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم ليصدقونها بحججنا امر عليه الصلاة والسلام بأن يحاط بهم بذلك الزما وتبكيهم ثم شرع في رد انكارهم لقروى الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك قبي (وكذلك انزلناه) اى ما انزل اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليك وعمله النسب على المصدرية اى مثل ذلك الانزال السديع المنتظم لاصول جميع عملها ودرج معتبة الى موافقة وخلافة حسبا تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه (حكما) حاكما بحكم في القضايا والوقائع بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لثبوتية وجوب مراعاته

وقم المحاطة عليه (هربا) مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة (ما يشاء)

لكتب السابقة ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك (٣٠٩) يسهل فهمه وادراك تجارزه والافتصار على اشتمال الانزال على اصول

الديانات المجمع عليها حسب ما بيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الخ يا اياه الترض لاتباع اهلوتهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع (ولئن اتبعت اهلوتهم) التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما اتزل اليك من الحق كالصلاة التي يثبت المقدس بعد التحويل (بعد ما جاءك من العلم) العظيم الشأن الفاضل من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه (مالك) من الله (من جنبه العزيز والانتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة قال الازهرى لا يكون الهاحق يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورارفا ومديرا (من ولى) يلى امرتك وينسرك على من يبيحك الفوائ (ولو اداق) يبيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم في الناصر على العدو في الواقع من تكتيته ادخل على المطوف حرف النفي للتأكيد كقولك مالي دينار ولا درهم او مالك من باس الله من ناصر وفاق لاتباعك اهلوتهم وامثال هاتيك الفوارع انما هي لتقطع اطماع الكفرة وتبيح المؤمنين على الثبات في الدين والام في الثن موطنه ومالك ساد مسد جواب الشرط والقسم (ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كاشفة من قبيك وجعلناهم ازواجا وذرية نساء واولادا كاجلنا هالك وهودر لما كانوا يعبونهم صلى الله عليه وسلم بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون مال هذا الرسول يا سائل الطعام الخ (وما كان لرسول) منهم اى ماصح وما استقام ولم يكن في وسعه (ان يأتى بآية) مما اقترح عليه وحكم بما اتفق منه (الا باذن الله) ومشيئته المبنية على

الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لاسيما مثل هذه (٣٩٠) الامور النظام والافات لا قدمناه وتحقيق مضمون الجملة

وليس الامر بأنف فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والابتن قلنا ذلك المحو والابتن ايضا مانح به القلم فلا يحو الا ما سبق في علمه وقضائه محوه (المسئلة الخامسة) قالت الرافضة البدء جائر على الله تعالى وهو ان يعتقد شيئا ثم يظهر له ان الامر بخلاف ما اعتقده ونمسكوا فيه بقوله محو الله ما يشاء ويثبت واعلم ان هذا باطل لان علم الله من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محالا (المسئلة السادسة) اما ام الكتاب فالمراد اصل الكتاب والعرب تسمى كل ما يجري مجرى الاصل للشيء اماله ومنه ام الرأس للدماغ وام القرى لمكة وكل مدينة فهي أم لما حولها من القرى فكذلك ام الكتاب هو الذي يكون اصلا لجميع الكتب وفيه قولان (الاول) ان ام الكتاب هو اللوح المحفوظ وجميع حوادث العالم العلوي والعالم السفلي ثبت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولاشيء معه ثم خلق اللوح واثبت فيه احوال جميع الخلق الى قيام الساعة قال المتكلمون الحكمة فيه ان يظهر للملائكة كونه تعالى عالما بجميع المعلومات على سبيل التفصيل وعلى هذا التقدير فعند الله كتابان احدهما الكتاب الذي يكتبه الملائكة على الخلق وذلك الكتاب محل المحو والابتن والكتاب الثاني هو اللوح المحفوظ وهو الكتاب المشتل على تعين جميع الاحوال العلوية والسفلية وهو الباقي روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيحسم ما يشاء ويثبت ما يشاء ولحكما في تفسير هذين الكتابين كانت عجيبة وامرار فامضة (والقول الثاني) ان ام الكتاب هو علم الله تعالى فانه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات وان تغيرت الا ان علم الله تعالى بها باق مزمع عن التغير فالمراد بأم الكتاب هو ذلك والله اعلم * قوله تعالى (وامارتك بعض الذي نعدهم او توفيك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) اعلم ان المعنى وامارتك بعض الذي نعدهم من العذاب او توفيك قبل ذلك والمعنى سواء اريتك ذلك او توفيك قبل ظهوره فالواجب عليك تبليغ احكام الله تعالى واداء امانته ورسالته وعلينا الحساب والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ كالسراح والاداء * قوله تعالى (اولم يروا اننا اناني الارض نقصها من اطرافها والله يحكم لامعقب حكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقي الدار) اعلم انه تعالى لما وعده رسوله بان يره بعض ما وعده او يوفاه قبل ذلك بين في هذه الآية ان آثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت وقويت وقوله اولم يروا اننا اناني الارض نقصها من اطرافها فيه اقوال (الاول) المراد اننا اناني الارض الكفرة نقصها من اطرافها وذلك لان المسلمين يستولون على اطراف مكة ويأخذونها من الكفرة قهرا وجبرا فانقص احوال الكفرة وازدياد قوة المسلمين من أقوى العلامات والامارات على أن الله تعالى ينجز وعده (وامارتك) أصله ان ترك

وما من بدة تأكيد معنى الشرط ومن ثم الحقت النون بالفعل (بعض الذي نعدهم) اي وعدناهم من ازال العذاب عنهم (وتظير)

والمدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وانمدهم (٣١١) وعدم تعدد احكامها تنقصية الحكمة من الذارغب الذاروي ايراد

ونظيره قوله تعالى أفلا يرون ان اتأتى الارض نقصها من اطرافها أفهم الغالبون وقوله سز بهم آياتنا في الآفاق (والقول الثاني) وهو ايضا منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما ان قوله نقصها من اطرافها المراد موت اشرافها وكبرائها وعلمائها وذهاب الصلحاء والاخيار وقال الواحدى وهذا القول وان احتمله اللفظ ألا ان اللاحق بهذا الموضع هو الوجه الاول ويمكن ان يقال هذا الوجه ايضا يليق بهذا الموضع وتقرر ان يقال أولم يروا ما يحدث في الدنيا من الاختلافات خراب بعد عماره وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة خالذي يؤمنهم من ان يقلب الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ان كانوا عزيزين ويجعلهم مهزومين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه فيصمن اتصال هذا الكلام بما قبله وقبل نقصها من اطرافها موت اهلهما وتخريب ديارهم وبلادهم فهؤلاء الكفرة كيف آمنوا من ان يحدث فيهم امثال هذه الوقائع ثم قال تعالى مؤكدا لهذا المعنى والله يحكم لامعقب حكمه معناه لاراد حكمه والمعقب هو الذى يعقبه بالردو الابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه بالانقضاء والطلب فان قيل ما محل قوله لامعقب حكمه قلنا هو جملة محلها النصب على الحال كما أنه قيل والله يحكم نافذا حكمه خالبا عن المدافع والمعارض والمنازع ثم قال وهو سريع الحساب قال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعنى ان حسابه للجازاة بالخير والشر يكون مريبا قريبا لا يدهسه دافع اما قوله وقد مكر الذين من قبلهم يعنى ان كفار الامم الماضية قدمكروا برسلهم وانبيائهم مثل نمرود مكر ابراهيم وفرعون مكر موسى واليهود مكرهم يعيسى ثم قال فله المكر جميعا قال الواحدى معناه ان مكر جميع الماكرين له ومنه اى هو حاصل بتقليقه وارادته لانه ثبت ان الله تعالى هو الخالق لجميع اعمال العباد وايضا فذلك المكر لا يضر الا باذن الله تعالى ولا يؤثر الابتداده وفيه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم كما أنه قيل له اذا كان حدوث المكر من الله وتأثيره في المكور به ايضا من الله وجب ان لا يكون الخوف الا من الله تعالى وان لا يكون الرجاء الا من الله تعالى وذهب بعض الناس الى ان المعنى فله جزاء المكر وذلك لانهم لما مكروا بالؤمنين بين الله تعالى انه يجازيهم على مكرهم قال الواحدى والاول اظهر القولين بدليل قوله يعلم ما تكسب كل نفس يريد ان اكساب العباد بأسرها معلومة لله تعالى وخلاف المعلوم من منع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم الله وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان منتهى الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله تعالى قالت المعتزلة الآية الاولى ان دللت على قولكم فلا يلة الثانية وهى قوله يعلم ما تكسب كل نفس دللت على قولنا لان الكسب هو الفعل المشتل على دفع مضرة او جلب منفعة ولو كان حدوث الفعل بخلق الله تعالى لم يكن لقدرة العبد فيه اثر فوجب ان لا يكون للعبد كسب وجوابه ان مذهبا ان مجموع

الكفر بالذلة والادبار حسبا يشاهد من الخبايل والاشعار وفي الالتفات من التكلم الى القبة وبناء الحكم

على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق (٣١٢) مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يفتى وهي جلة اعتراضية

القدرة مع الداعي مستلزم للفعل وعلى هذا التقدير فالكسب حاصل للعبد ثم انه تعالى
أكد ذلك التهديد فقال وسيعلم الكافر ان عقبي الدار وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ
نافع وابن كثير وابو عمرو وسيعلم الكافر على لفظ المفرد والباقون على الجمع قال صاحب
الكشاف قرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اى اهله وقرأ جناح بن
حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اى سيخبر (المسئلة الثانية) المراد بالكافر المجلس كقوله
تعالى ان الانسان لئى خسر والمعنى انهم وان كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة
الحيدة وذلك كازجر والتهديد والقول الثانى وهو قول عطاء يريد المستزين وهم خمسة
والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون والقول الثالث وهو قول ابن عباس يريد ابا جهل
والقول الاول هو الصواب ع قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لست مر سلاقل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) اعلم انه تعالى حكى عن القوم انهم انكروا
كونه رسولا من عند الله ثم انه تعالى اخبر عليهم بأمرين الاول شهادة الله على نبوته والمراد
من تلك الشهادة انه تعالى اظهر المعجزات الدالة على كونه صادقا في ادعاء الرسالة وهذا
اعلى مراتب الشهادة لان الشهادة قول يفيد غلبة الظن بأن الامر كذلك اما المعجزاته
فعل مخصوص يوجب القطع بكونه رسولا من عند الله تعالى فكان اظهار المعجزات اعظم
مراتب الشهادة والثاني قوله ومن عنده علم الكتاب وفيه قراءتان احدهما القراءة
المشهورة ومن عنده يعنى والذي عنده علم الكتاب والثانية ومن عنده علم الكتاب وكلمة من
ههنا لا ابتداء الغاية اى ومن عنده علم الكتاب حصل علم الكتاب اما على القراءة الاولى ففي تفسير
الآية وجوه (الاول) ان المراد شهادة اهل الكتاب من الذين آمنوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري وروى عن سعيد بن جبير انه
كان يبطل هذا الوجه ويقول السورة مكية فلا يجوز ان يراد به ابن سلام واصحابه لانهم
آمنوا في المدينة بعد الهجرة واجيب عن هذا السؤال بأن قيل هذه السورة وان كانت
مكية الا ان هذه الآية مدنية وايضا فاثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع كونهما
غير معصومين عن الكذب لا يجوز وهذا السؤال واقع (القول الثاني) اراد بالكتاب
القرآن اى ان الكتاب الذى جئتكم به معجز قاهر وبرهان باهر الا انه لا يحصل العلم بكونه
معجزا الا ان علم ما في هذا الكتاب من الفصاحة والبلاغة واشتماله على الغيوب وعلى العلوم
الكثيرة فن عرف هذا الكتاب على هذا الوجه علم كونه معجزا فقلوه من عنده علم الكتاب
اى ومن عنده علم القرآن وهو قول الاصم (القول الثالث) ومن عنده علم الكتاب المراد به
الذى حصل عنده علم التوراة والانجيل يعنى ان كل من كان عالما بهذين الكتابين علم
اشتمالهما على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فاذا انصف ذلك العالم ولم يكذب كان
شاهدا على ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول حق من عند الله (القول الرابع) ومن
عنده علم الكتاب هو الله تعالى وهو قول الحسن وسعيد بن جبير والزجاج قال الحسن

بئى بها لتأ كيد فوى ما تقدمها
وقوله تعالى (لا معقب لحكمه)
اعتراض في اعتراض لبيان علو
شأن حكمه جل جلاله وقيل
نصب على الحسالية كأنه قيل
والله يحكم فإذا حكمه كاتقول
جاء زيد لا هامة على رأسه اى
حاسرا والمعقب من يكر على الشئ
فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفه
بالرد والابطال ومنه قيل
لصاحب الحق معقب لانه بقى
غريمه بالانتضاء والطلب (وهو
سريع الحساب) فما قيل
يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة
بأنافين العذاب غيب ما عندهم
بالقتل والاسرو الاجراء حسبا
يرى قال ابن عباس رضى الله عنهما
سريع الانتقام (وقد مكر الكفار
الذين) خلوا (من قبلهم) من
قبل كفار مكة بأنبيائهم والماؤمين
كما مكر هؤلاء وهذا تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأنه لا عبرة بفكرهم ولا تأخير
بل لا وجود له في الحقيقة ولم
يصرح بذلك اكفاء بدلالة
القصر المستفاد من تعليله اعنى
قوله تعالى (فلا مكر) اى
جنس المكر (جما) لا وجود
لمكرهم اصلا اذ هو صبرة عن
ايصال المكر الى الغير من
حيث لا يشمر به وحيث كان
جميع ما يأتون وما يدرون يعلم
الله تعالى وقدرته واعمالهم مجرد
الكسب من غير فعل ولا تأثير
حسبا بينه قوله عز وجل (يعلم
ما تكسب كل نفس) ومن قضيته
صحة اوليائه وعقاب الماكرين
بهم توفية لكل نفس جزاء
ما تكسبه فظهر ان ليس لمكرهم
بالنسبة الى من مكروا بهم عين
ولا أثر وان المكر كلاله تعالى

(لا والله)

حيث يؤخذهم بما كسبوا من فزون المعاصى التى من جعلها مكرهم من حيث

لا يجتنبون أو لله المكر الذي ياثروه جميعا لآلهم على معنى ان ذلك ليس مكرًا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى لهم وهم لا يشعرون حيث لا يجنب المكر السيئ (٣١٣) الاباهله (وسيعلم الكفار) حين يقتضى يقتضى دله فيؤتى كل نفس جزا ما اكتسبه

(من عقي الدار) أى العاقبة الجيدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين تأنيديا وقوع ذلك وعلمهم به حيثئذ وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر أى اهله والذين كفروا وسيعلم على صفة الجهول من الاعلام أى سيعرف ويقول الذين كفروا لت (مرسل) قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاضطرار صورة كلهم الشهادتهم جميعا منها واللداء على تعبد ذلك واستقراره منهم (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) فانه قد اظهر على رسالي من الجميع القاطعة والبنات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر (ومن عنده علم الكتاب) أى علم القرآن وما عليه من الظلم الظهور أو من هو من علماهل الكتاب الذين اسلوا لانهم يشهدون بشهادة عليه الصلاة والسلام في كتبهم والآية مدينة بالافتقار أو من عنده علم الوحي المحفوظ وهو الله سبحانه أى كفى به شاهدا بيننا بالذى يستحق العبادة فانه قد شهد كتابه بالدعوات عبادته وايدى بانواع التأييد وبالذى يخص به ما فى الوحي من الاشياء الكاشفة الثابتة التى من جلتها رسالتى وقرئ من عنده بالكسر وعلم الكتاب صلى الاول مرفوع بالظرف المتعدي الموصول او مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل حباب مضي وكل حباب يكون الى يوم القيامة

لا والله ما يعنى الله والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم ما فى الوحي الا هو شهيدا بيني وبينكم وقال الزجاج الاشبه ان الله تعالى لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وهذا القول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا فى الجملة الا انه خلاف الاصل لا يقال شهد بهذا زيد والفقير بل قال شهد به زيد والفقير واما قوله ان الله تعالى لا يستشهد بغيره على صدق حكمه فبعد لانه لما جاز ان يقسم الله تعالى على صدق قوله بقوله والتين والزيتون فأى امتناع فيما ذكره الزجاج واما القراءة الثانية وهى قوله ومن عنده علم الكتاب على من الجارة فالعنى ومن لدنه علم الكتاب لان احدا لا يعلم الكتاب الا من فضله واحسانه وتعليمه ثم على هذه القراءة فیه ايضا قراءتان ومن عنده علم الكتاب والمراد العلم الذى هو ضد الجهول أى هذا العلم اتم احصل من عند الله والقراءة الثانية ومن عنده علم الكتاب بضم العين وبكسر اللام وفتح الميم على ما لم يسم فاعله والمعنى انه تعالى لما امر به ان يخرج عليهم بشهادة الله تعالى على ما ذكرناه وكان لافعى لشهادة الله تعالى على نبوته الا اظهر القرآن على وفق دعواه ولا يعلم كون القرآن معجزا الا بعد الاحاطة بما فى القرآن واسرارها بين تعالى ان هذا العلم لا يحصل الا من عند الله والمعنى ان الوقوف على كون القرآن معجرا لا يحصل الا اذا شرف الله تعالى ذلك العبد بان يجعله علم القرآن والله تعالى اعلم بالصواب * ثم تفسير هذه السورة يوم الاحد الثامن عشر من شعبان سنة احدى وستائة واثنا عشر من كل من نظرت فى كتابي هذا وانفع به ان يخص ولدى محمد بالرحمة والغفران وان يذكر فى بالدماء واقول فى مرثية ذلك الولد شعرا

أرى معالم هذا العالم الفاني * بمزوجة بمخافات وأحزان
خيراته مثل احلام مفزعة * وشرة فى البرايا دائم داني

(سورة ابراهيم عليه السلام خسون وآيات مكية) *
(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الكتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) اعلم ان الكلام فى ان هذه السورة مكية او مدنية طريقه الآحاد ودعى لم يكن فى السورة ما ينص بالاحكام الشرعية فنزولها بمكة والمدنية سواء وانما يختلف الغرض فى ذلك اذا حصل فيه ناسخ ومنسوخ فيكون فيه قائمة عظيمة وقوله الركناء ههنا ان السورة المسماة بالركن انزلناه اليك لغرض كذا وكذا وقوله الركناء ههنا ان السورة انزلناه اليك صفة لذلك الخبر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) دلت هذه الآية على ان القرآن موصوف بكونه منزلا من عند الله تعالى قالت المعتزلة النازل والمنزل لا يكون قدما وجوابنا ان الموصوف بالنازل والمنزل هو هذه الحروف وهى محدثة بلا نزاع (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة اللام فى قوله لتخرج الناس لام الغرض والحكمة وهذا يدل على انه تعالى

وبعث يوم القيامة من المؤمنين بعد الله عز وجل والله (ع *) (را) (خا) اعلم بالصواب * سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى احدى ونجسون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ال) مر الكلام فيه وفى محله غير مرقوقه تعالى (كتاب) خبره على تقدير كون المرتبدا

او ابتداء مضى على تقدير كونه خيرا لابتداء محذوف او مسرودا على نط التعديد (٣١٤) ويجوز ان يكون خبر اثنا لهذا المبتدأ المحذوف

وقوله تعالى (انزلناه اليك) صفة له
وقوله تعالى (لتخرج الناس)
متعلق بانزلناه اى لتخرجهم كافة
ما فى تضاعفه من اليات
الواضحة المفصلة من كونه من
عند الله عز وجل الكاشفة عن
العقائد الخلقية وقرئ يخرج الناس
(من الظلمات) اى يخرج به الناس
من عقائد الكفر والضلال الى
كلها ظلمات محضة وجهالات
صرفة (الى النور) الى الحق الذى
هو نور يمتد لكن لا يكتمها كان
فانك لا تهدي من احببت بل (باذن
ربهم) اى بتيسر موافقة وللانبياء
عن كون ذلك نمطا بآيائهم الى
الحق كما يفصح عنه قوله تعالى
ويهدى اليه من ائب استعمله
الاذن الذى هو عبارة عن تهويل
الحجاب ان يقصد ورود
وأضيف الى خبرهم اسم الرب
المفصّل عن التربة التى هى عبارة
عن تبليغ الشئ الى كمال التوجه
اليه وشمول الاذن بهذا المعنى
لكل واضح وعليه يدور كون
الانزال اخراجهما جميعا وعدم
تحقيق الاذن بالفعل فى بعضهم لعدم
تحقق شرطه المستند الى سوء
اختيارهم غير محض بل ذلك والياء
متعلقة بخرج او يفسر وقع حالا
من مفعوله اى ملتصقين باذن ربهم
وجعله حالا من فاعله بآية اضافة
الرب اليهم والى الله وحيث كان
الحق مع وضوحه فى نفسه
وايضاحه لغيره موصلا الى الله
عز وجل استعمله النور تارة
والصراط اخرى قليل (الى
صراط العزيز الحميد) على وجه
الابدال بتكرير الصراط كما فى
قوله تعالى الذين استغفروا
ان آمن منهم واخلاق البذل
والبيان بالاستعارة انما هو فى
الحقبة لافى الجواز كما فى قوله

سبحانه حتى يتبين لكم الخط الابيض من الخط الاسود من الغجر وقيل هو استئناف مبنى على سؤال كأنه قيل الى (عليه)

اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط (٣١٥) اليه تعالى لانه مقصده الموبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب

عليه وسلم لا يمكنه اخراج الناس من الظلمات الى النور الابشيشة الله وتخليقه فان قيل لم يجوز ان يكون المراد من الاذن الانطاف فلنا لفظ اللطف لفظ مجمل ونحن نفصل القول فيه فنقول المراد بالاذن اما ان يكون امر يقضي ترجيح جانب الوجود على جانب عدمه او لا يقضي ذلك فان كان الثاني لم يكن فيه امر البتة فانتفع ان يقال انه مما حصل بسببه ولا جله في الاول وهو ان المراد من الاذن معنى يقضي ترجيح جانب الوجود على جانب عدمه وقد دللنا في الكتب العقلية على انه متى حصل الرحمان فقد حصل الوجوب ولا معنى لذلك الا الداعية الموجبة وهو عين قولنا والله اعلم (المسئلة السادسة) القائلون بان معرفة الله تعالى لا يمكن تحصيلها الا من تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم والامام اخرجوا عليه هذه الآية وقالوا انه تعالى صرح في هذه الآية بأن الرسول هو الذي يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وذلك يدل على ان معرفة الله تعالى لا تحصل الا من طريق التعليم وجوابنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكون كالنبي واما المعرفة فهي انما تحصل بالدليل والله اعلم (المسئلة السابعة) الآية دالة على ان طرق الكفر والبدعة كثيرة وان طريق الخير ليس الا الواحد لانه تعالى قال ليخرج الناس من الظلمات الى النور فخرج من الجهل والكفر بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهداية بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الجهل كثيرة واما طريق العلم والايمان فليس الا الواحد (المسئلة الثامنة) في قوله تعالى الى صراط العزيز الحميد وجهان (الاول) انه يدل من قوله الى النور بذكر العامل كقوله للذين استضعفوا لامن منهم الثاني يجوز ان يكون على وجه الاستئناف كانه قيل اي اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد (المسئلة التاسعة) قالت المعتزلة الفاعل انما يكون آتيا بالصواب والصلاح تاركا للقبح والعبث اذا كان قادرا على كل القدورات عالم بجميع العلومات غنيا عن كل الحاجات فانه ان لم يكن قادرا على الكل فربما فعل القبيح بسبب العجز وان لم يكن عالما بكل المعلومات فربما فعل القبيح بسبب الجهل وان لم يكن غنيا عن كل الحاجات فربما فعل القبيح بسبب الحاجة اما اذا كان قادرا على الكل عالما بكل غنيا عن الكل انتفع منه الاقدام على فعل القبيح فقوله العزيز اشارة الى كمال القدرة وقوله الحميد اشارة الى كونه مستحقا للحمد في كل افعاله وذلك انما يحصل اذا كان عالما بكل غنيا عن الكل فثبت بما ذكرنا ان صراط الله اتم اكمل موصوفاً بكونه شريفاً رفيحاً عالماً بكونه صراطاً مستقيماً لاله الموصوف بكونه عزيزاً حليماً فلذلك المعنى وصف الله نفسه بهذين الوصفين في هذا المقام (المسئلة العاشرة) انما قدم ذكر العزيز على ذكر الحميد لان الصحيح ان اول العلم بالله العلم بكونه تعالى قادراً ثم بعد ذلك العلم بكونه عالماً بعد ذلك العلم بكونه غنيا عن الحاجات والعزيز هو القادر والحميد هو العالم الغني فلما كان العلم بكونه تعالى قادراً متقدماً على العلم بكونه عالماً بكل غنيا عن الكل لا جرم قدم الله ذكر العزيز على ذكر الحميد والله اعلم بقوله تعالى (الله الذي له ما في السموات وما في الارض وما في الكافرين من عذاب شديد الذين يستحقون الحياة الدنيا

في سلوكه بيان ما فيه من الامن والصافية الحميدة (الله) بالجر عطفاً بيان العزيز الحميد بانه جرى الاعلام بالادب بالاختصاص بقرئ بالحق كالنجم في النور يا وقرئ بالرفع على هو الله اي العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الله (الذي له) ملكا وملكاً (ما في السموات وما في الارض) اي ما يوجد فيهما داخل فيهما خارجا عنهما ممكنات فيهما كما مر في آية الكرسي فقيه على القراءتين بيان لكمال فضامة شأن الصراط واطهار نعم سلوكه على الناس فاطبة وتجويز الرفع على الابتداء يجعل الموصول خبراً منبأه القول عن هذه النكتة وقوله عز وجل (وويل للكاثرين) وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو تقييد الوال وهو النجاة واسمه النصيب كاستر المصدر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك (من عذاب شديد) منعلق بويل على معنى بولولون ويصيرون منه فائين يا وياه كقوله تعالى دعوا هؤلاء شيورا (الذين يستحقون الحياة الدنيا) اي يؤثروا استفعال من المحبة فان المؤثر الشيء على غيره كما انه يطبق من نفسه ان يكون أحب اليها وأفضل عند هامن غيره (على الآخرة) اي الحياة الآخرة الابدية (ويصدقون) الناس (عن سبيل الله) التي بين شأنها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المتطوى على كل وصف جليل لزوم الاختصار وهو من صده صيدا وقرئ يصدون من اصد المتقول من صدودوا اذا تكب وهو غير فصيح كما وقف فان في صده ووقفه لمدوحة عن تكلف النقل (ويغونها) اي يفيون لها فخذ الجار وواصل الفعل الى الضمير

اي يطالبون بها (عوجا) اي زيفا واعوجاجا وهي ابعد شئ من ذلك اي يشولون (٢١٦) ابن ريون صده واسلاله انها سيل ناكبة وزائفة

غير مستقيمة ويصل موصول هذه الصلات الجر على انه بدل من التكاثرين اوصفه له فيبتكر كل وصف من او صافهم بازاء ما يناسبه من المعاني المخترة في الصراط فالكفر المنسي عن السرباز كونه نوروا استجاب الحيات الدنيا الفانية القصعة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تماديهم في التي لا يمحى او النصب على الذم او الرفع على الايتياء والجر قوله تعالى (اولئك في ضلال بعيد) وعلى الاول جهة مستأنفة وقعت معللة لمسبق من لحوق الولي بهم تأكيد لما اشهر به بناء الحكم على الموصول اي اولئك الموصوفون بالانقياس المذكورة من استجاب الحساسة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه يزدق ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضلال الا انه قد وصف به وصفه مجاز للمبالغة كجندبه وداهية دهباء ويحسوز ان يكون المعنى في ضلال ذي بد او فيه بد فان الضلال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال يحيط بهم احاطة الظرف بما فيه مالا يخفى من المبالغة (ومارسلنا) اي في الامم الخالصة من قبلك كما سيذكر اجالا (من رسول الا) ملتبسا (لبسان قومه) متكلمة بلفظ من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بحث فيها أولا وقري بلن وهو لغة فيه كروش ورياش وبلسن

على الآخرة يصلون عن سبيل الله ويغفونها عوجا اولئك في ضلال بعيد) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا نافع وابن عامر الله مرفوعا بالابداء وخبره ما بعده وقيل التقدير هو الله والباقيون بالجر عطفا على قوله العزيز الحميد (وهنا بحث) وهو ان جماعة من المحققين ذهبوا الى ان قولنا الله جار مجرى الاسم العلم لذات الله تعالى وذهب قوم آخرون الى انه لفظ مشتق والحق عندنا هو الاول ويدل عليه وجوه (الاول) ان الاسم المشتق عبارة عن شئ ما حصل له المشتق منه فالاسود مفهومه شئ ما حصل له السواد والناطق مفهومه شئ ما حصل له النطق فلو كان قولنا الله اسما مشتقا من معنى لكان المفهوم منه انه شئ حصل له ذلك المشتق منه وهذا المفهوم كلى لا يمنع من حيث هو هو عن وقوع الشركة فيه فلو كان قولنا الله لفظا مشتقا لكان مفهومه صالحا لوقوع الشركة فيه ولو كان الامر كذلك لما كان قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد لان المشتق هو قولنا الله وهو غير مانع من وقوع الشركة فيه ولما اجتمعت الامة على ان قولنا لا اله الا الله يوجب التوحيد المحض علما ان قولنا الله جار مجرى الاسم العلم (الثاني) انه كلما اردنا ان نذكر سائر الصفات والاسماء ذكرنا اولها قولنا الله ثم وصفناه بسائر الصفات كقولنا هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس ولا يمكن ان نكسر الامر فقول الرحمن الرحيم الله فعلمنا ان الله هو اسم علم لذات الخصوصية وسائر الالفاظ دالة على الصفات والنوع (الثالث) ان ماسوى قولنا الله كلها دالة اما على الصفات السلبية كقولنا القدوس السلام او على الصفات الاضافية كقولنا الخالق الرازق او على الصفات الحقيقية كقولنا العالم القادر او على ما يتركب من هذه الثلاثة فلو لم يكن قولنا الله اسما لذات الخصوصية لكان جميع اسماء الله تعالى الفاظا دالة على صفاته ولم يحصل فيها ما يدل على ذاته الخصوصية وذلك بعيد لانه بعيد ان لا يكون له من حيث انه هو اسم مخصوص (الرابع) قوله تعالى هل تعلم له سميا والمراد هل تعلم من اسمه الله غير الله وذلك يدل على ان قولنا الله اسم لذاته الخصوصية واذا ظهرت هذه المقدمة فالترتيب الحسن ان يذكر الاسم ثم تذكر عقيب الصفات كقوله تعالى هو الله الخالق الباري المصور فاما ان يعكس فيقال هو الخالق المصور الباري الله فذلك غير جائز واذا ثبت هذا فنقول الذين قرؤوا الله الذي له ما في السموات بالرفع ارادوا ان يجعلوا قوله الله مبتدأ ويجعلوا ما بعده خبرا عنه وهذا هو الحق الصحيح فأما الذين قرؤوا الله بالجر عطفا على العزيز الحميد فهو مشكل لما بينا ان الترتيب الحسن ان يقال الله الخالق وامان يقال الخالق الله فهذا لا يحسن و عندهما اختلاف في الجواب على وجوه (الاول) قال ابو عمرو ابن العلاء القراءة بالخفض على التقديم والتأخير والتقدير صراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات (والثاني) انه لا يعد ان يذكر الصفة او لاثم يذكر الاسم ثم يذكر الصفة مرة أخرى كما يقال مررت بالامام الاجل محمد الفقيه وهو بعينه نظير قوله صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وتحقق القول فيه اننا بينا ان الصراط انما يكون بمدوحا محمودا

بضتين وضمة وسكون كمد و عدد (ليبين لهم) ما امروا به فنتلقوه منه يسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة (اذا)

من لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه (٣١٧) القاعدة في شأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته الخلق كافة

اذا كان صراط العالم القادر الغنى والله تعالى عبر عن هذه الامور الثلاثة بقوله العزيز الحميد ثم لما ذكر هذا المعنى وقعت الشبهة في ان ذلك العزيز من هو عطف عليه قوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ازالة لتلك الشبهة (الثالث) قال صاحب الكتاب الله عطف بيان للعزيز الحميد وتحقيق هذا القول ما قررناه فيما تقدم (الرابع) قد ذكرنا فى اول هذا الكتاب ان قولنا الله فى اصل الوضع مشتق الا انه بالعرف صار جاريا مجرى الاسم العلم فحيث بدأ يذكره ويعطف عليه سائر الصفات فذلك لاجل انه جعل اسم علم واما فى هذه الآية حيث جعل وصفا للعزيز الحميد فذلك لاجل انه حل على كونه لفظا مشتقا فلا جرم يبق صفة (الخامس) ان الكفار ربما وصفوا الوثن بكونه من عزاجيد فلما قال تعرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد يبق فى خاطر عبدة الاوثان انه ربما كان ذلك العزيز الحميد هو الوثن فأزال الله تعالى هذه الشبهة وقال الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض اى المراد من ذلك العزيز الحميد هو الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض (المسئلة الثانية) قوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض يدل على انه تعالى غير مختص بجهة العلو البتة وذلك لان كل ماسماك وعلاك فهو سماه فلو حصل ذات الله تعالى فى جهة فوق لكان حاصل فى السماء وهذه الآية دالة على ان كل ما فى السموات فهو ملكه فزعم كونه ملكا لنفسه وهو محال فدلّت هذه الآية على انه منزّه عن الحصول فى جهة فوق (المسئلة الثالثة) احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى خالق الاعمال العباد لانه قال له ما فى السموات وما فى الارض واعمال العباد حاصلة فى السموات والارض فوجب القول بأن اعمال العباد له بمعنى كونها مملوكة له والملك عبارة عن القدرة فوجب كونها مقدورة لله تعالى واذا ثبت انها مقدورة لله تعالى وجب وقوعها بقدرته الله تعالى والا لكان العبد قد منع الله تعالى من ايقاع مقدوره وذلك محال واهل العلم ان قوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض يفيد الحصر والمعنى ان ما فى السموات وما فى الارض له لا لغيره وذلك يدل على انه لا مال الا الله ولا حاكم الا الله ثم انه تعالى لما ذكر ذلك عطف على الكفار بالوعيد فقال وويل للكافرين من عذاب شديد والمعنى انهم لما تركوا عبادة الله تعالى الذى هو المالك للسموات والارض ولكل ما فيها الى عبادة ما لا يملك ضرا ولا نفعا ويخلق ولا يخلق ولا ادراك لها ولا فعل قالوا بل لعل الويل لمن كان كذلك وانما خص هؤلاء بالويل لان المعنى يولون من عذاب شديد ويصيرون منه ويقولون يا ويله ونظيره قوله تعالى دعوا هؤلاء ثبورا ثم يمين تعالى صفة هؤلاء الكافرين الذين توعدهم بالويل الذى يفيد اعظم العذاب وذكر من صفاتهم ثلاثة انواع (الاول) قوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان شئت جعلت الذين صفة الكافرين فى الآية المتقدمة وان شئت جعلته مبتدأ وجعلت اخبر قوله اولئك وان شئت نصبت على الذم (المسئلة الثانية) الاستحباب طلب محبة الشيء واقول ان الانسان قد يجب

لبانسة اسبابه المؤدية اليه او يحذله ولا يبلطف به لما يعلم انه لا ينجح فيه الا لطف (ويهدى) بالتوفيق ومنع اللطف (من يشاء)

هدياته لافيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد القليلين الى الاسم الجليل (٣١٨) لتطوى على الصفات لتفخيم شأنها

وتشرح مناطق كل منها والقاء
فصحة مثلها في قوله تعالى
فقلنا اضرب بعصاك البحر
فانفلق كما تقول فينتوهم فاضل
الله منهم من شاء اضلاله لا يلبق
الايه وهدى من شاء هديته
لاستحقاقها والحذف فلا يذيان
بأن مساعرة كل رسول الى ما أمر
به وجريان كل من أهل الخذلان
والهداية على سبته أمر محقق
غنى عن الذكر واللسان
والبدول الى صيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة والولدلالة على
التجدد والاستمرار حسب تجديد
البيان من الرسل المتعاقبة عليهم
السلام وتقديم الاضلال على
الهداية امالا نه ابقا ما كان على
ما كان والهداية انشاء ما لم يكن
اولي بالغة في بيان ان لا تأتير للتبيين
والتذكير من قبل الرسل وان
مدار الامر انما هو مشيئة تعالى
بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك
اسرع من ترتب الاهتداء وهذا
محقق بالأسلف من تنبيذ الاخراج
من الظلمات الى النور بأذن الله
تعالى (وهو العزيز) فلا يقابل
في مشيئته (الحكيم) الذي لا يفعل
شيئا من الاضلال والهداية
الاحكام بالغة وفيه ان ما فوض
الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة
وتبيين طريق الحق واما الهداية
والارشاد اليه فذلك بيد الله
سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
(ولقد ارسلنا موسى) شروع
في تفصيل ما أجل في قوله عز وجل
وامرنا من رسول الا بلسان
قومه لبيان لهم الآية (يا ايها
الذين آمنوا) وهي معجزاته التي
اظهرها لبي اسرائيل (ان
اخرج قومك) بمعنى اخرج
لان الارسال في معنى القول او بأن اخرج كما في قوله تعالى وان لم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر (المراد

المراد

سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك (٣١٩) اخراج بني اسرائيل بعدمهلك فرعون (من الطلث) من الكفر والجهالات التي

ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة (الى التور) الى الايمان بالله وتوحيدِه وسائر ما مرورا به (و ذكرهم بيايم الله) اي بعهده وبلائه كما بنى عنه قوله اذكر وانعمة الله عليكم لكن لا تمسجروا عليهم قط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام الحالية حسبا بنى عنه قوله تعالى الم بانكم بنا الذين من قبلكم الا آيات بايامه المتطوية على ذلك كما يلوح في قوله تعالى اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى القصة باضافة الايام الى الاسم الجليل للابذان بفخامة شأنها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المسامحة بالخطأب وقومها كاتوجه الاضمار الى تغيير المتكلم اى ظههم بالستر غيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل ايام الله وقائه التي تمت على الام قبلهم وياهم العرب وقائعا وحروبها وملاحهاى اندرهم وقائه التي دهمتم الام الداريجة ويرد ما قصدى عليه الصلوة والسلام بصدد الامثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبا يتلى عليك (ان فى ذلك لذكر ليهما اوفى بمجموع تلك النعماء والبلاء اوفى اياهما (لايات) عظيمة وكثيرة دالة على وحدانية تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهى على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهرا وما على الثاني

المراد انه يعبردهم عن طريقة الضلال الى الهدى لانه قد تمكن ذلك في نفوسهم (و الوجه الثالث) ان يكون المراد من الضلال الهلاك والتقدير اولئك في هلاك بطول عليهم فلا ينقطع واراد بالبعد اعتداده وزوال انقطاعه قوله تعالى (وما رسلنا من رسولا الا بلسان قومهم ليبين لهم فضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر في اول السورة كتاب ازلناه اليك لنخرج الناس من الظلمات الى النور كان هذا انعاما على الرسول من حيث انه فوض اليه هذا المنصب العظيم وانعاما ايضا على الخلق من حيث انه ارسل اليهم من خلصهم من ظلمات الكفر وارشدهم الى نور الايمان فذكر في هذه الآية ما يجرى مجرى تكميل النعمة والاحسان في الوجهين اما بالنسبة الى الرسول عليه الصلاة والسلام فلانه تعالى بين ان سائر الانبياء كانوا مبعوثين الى قومهم خاصة وامانت يا محمد فبعثت الى عامة الخلق فكان هذا الانعام في حقه افضل واكمل واما بالنسبة الى عامة الخلق فهو انه تعالى ذكر انه مبعث رسول الى قوم الابلسان اولئك القوم فانه متى كان الامر كذلك كان فهمهم لاسرار تلك الشريعة ووقوفهم على حقائقها اسهل وعن الغلط والخطأ أبعد فهذا هو وجه النظم (المسئلة الثانية) اخرج بعض الناس بهذه الآية على ان اللغات اصطلاحية لا توقيفية قال لان التوقيف لا يحصل الا برسال الرسل وقد دلت هذه الآية على ان ارسال جميع الرسل لا يكون الا بلغة قومهم وذلك يقتضى تقدم حصول اللغات على ارساله الرسل واذا كان كذلك امتنع حصول تلك اللغات بالتوقيف فوجب حصولها بالاصطلاح (المسئلة الثالثة) زعم طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية ان محمدا رسول الله لكن الى العرب لالى سائر الطوائف وتمسكوا بهذه الآية من وجهين (الاول) ان القرآن لما كان نازلا بلغة العرب لم يعرف كونه معجزة بسبب ما فيه من الفصاحة الا العرب وحينئذ لا يكون القرآن حجة الا على العرب ومن لا يكون عربيا لم يكن القرآن حجة عليه (الثانى) قالوا ان قوله وما رسلنا من رسول الا بلسان قومهم المراد بذلك اللسان لسان العرب وذلك يقتضى ان يقال انه ليس له قوم سوى العرب وذلك يدل على انه مبعوث الى العرب فقط والجواب لم يلجوز ان يكون المراد من قومهم اهل بلده وليس المراد من قومهم اهل دعوته والدليل على عموم الدعوة قوله تعالى قل يا ايها الناس اتي رسول الله اليكم جعابا الى التثمين لان الهدى لا وقع مع الانس فقد وقع مع الجن بدليل قوله تعالى قل انى اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (المسئلة الرابعة) تمسك اصحابنا بقوله تعالى فضل الله من يشاء ويهدى من يشاء على ان الضلال والهداية من الله تعالى والآية صريحة في هذا المعنى قال الاصحاب ومما يؤكد هذا المعنى ما روى ان ابا بكر وعمر اقبلا في جماعة من الناس وقد ارتفعت اصواتهما فقال عليه السلام ما هذا فقال بعضهم يا رسول الله يقول ابو بكر الحسنات من الله والسيئات

وهو كونه اشارة الى مجموع النعماء فمن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع

اوكله في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد (الكل صبار) على بلائه (٣٢٠) (شكور) لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم

من انفسنا ويقول عمر كلاهما من الله وتبع بعضهم ابا بكر وبعضهم عمر فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ما قاله ابو بكر وارض عنه حتى عرف ذلك في وجهه ثم اقبل على عمر فعرف ما قاله وعرف البشر في وجهه ثم قال اقضى بينكما قضي يبنكما كما قضى به اسرافيل بين جبريل وميكائيل قال جبريل مثل مقاتلك يا عمر وقال ميكائيل مثل مقاتلك يا ابا بكر فقضاء اسرافيل ان القدر كله خيره وشره من الله تعالى وهذا قضائي بينكما قالت الملائكة هذه الالة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها وبيانه من وجوه (الاول) انه تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لبيّن لهم والمعنى انا انما ارسلنا كل رسول بلسان قومه لبيّن لهم تلك التكليف بلسانهم فيكون ادراكم لذلك البيان اسهل ووقوفهم على المقصود والغرض المكل وهذا الكلام انما يصح لو كان مقصود الله تعالى من ارسال الرسل حصول الايمان للتكليف فأما لو كان مقصوده الاضلال وخلق الكفر فيهم لم يكن ذلك الكلام ملائما لهذا المقصود (الثاني) انه عليه السلام اذا قال لهم ان الله يخلق الكفر والضلال فيكم فلهم ان يقولوا له يا الفاضل في بيانك وما المقصود من ارسائك وهل يمكننا ان نزيل كفرا خلقه الله تعالى فينا عن انفسنا وحينئذ تبطل دعوة النبوة وتفسد بمئة الرسل (الثالث) انه اذا كان الكفر حاصلًا بتخليق الله تعالى ومشيئته وجب ان يكون الرضا به واجبا لان الرضا بضم الله تعالى واجب وذلك لابقوله عاقل (الرابع) اننا قد لنا على ان مقدمة هذه الآية وهي قوله تفرج الناس من الظلمات الى النور يدل على مذهب العدل وايضا مؤخره الآية يدل عليه وهو قوله وهو العزيز الحكيم فكيف يكون حكيمًا من كان خالقا للكفر والقبائح ومردا لها ثبت بهذه الوجوه انه لا يمكن حمل قوله فضل الله من يشاء ويهدي من يشاء على انه تعالى يخلق الكفر في العبد فوجب المصير الى التأويل وقد استقصينا ما في هذه التأويلات في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ولا بأس باعادة بعضها فالاول ان المراد بالاضلال هو الحكم بكونه كافرا ضالا كما يقال فلان بكفر فلانا ويضله اى يحكم بكونه كافرا ضالا والثاني ان يكون الاضلال عبارة عن الذهاب بهم عن طريق الجنة الى النار والهداية عبارة عن ارشادهم الى طريق الجنة والثالث انه تعالى لما ترك الضلال على اضلاله ولم تعرض له صار كأنه اضله والمهتدى لما اياهه بالالطاف صار كأنه هو الذى هداه قال صاحب الكشاف المراد بالاضلال الضلالة ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق والطف والجواب عن قولهم اولان قوله تعالى لبيّن لهم لا يليق به ان يضلهم قلنا قال الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان كان الفعل الثاني مشا كلال الاول نسقته عليه وان لم يكن مشا كلاله استأنقته ورفعته ونظيره قوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله فتقوله ويأبى الله في موضع رفع لا يجوز الا ذلك لانه لا يحسن ان يقال يريدون ان يأبى الله فلما لم يمكن وضع الثاني موضع الاول بطل العطف ونظيره ايضا قوله لبيّن لكم وتفرق الارحام ومن ذلك قولهم اردت ان ازورك فيعني المطر بارفع غير منسوق على ما قبله لما ذكرناه ومثله قول الشاعر * يريدان يعربه فيعجه * اذا عرفت هذا

بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اى لكل من يدين بكيمال الصبر والشكر والايمان ويصير امره اليهما لاني اتصف بها بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكر المؤدى الى تلك المرتبة فان من تدر كما فاض او نزل عليه او على قلبه من النعماء والبلاء وتنبه لمساكنة الشكر والصبر والايمان لا يكد ان يفارقه وتخصيص الايات بهم لانهم المتفنون بها لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبر على الشكر لتقديم مشق الصبر اعنى البلاء على متعلق الشكر اعنى النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر (واذ قال موسى لقومه) شروع في بيان تصديده عليه الصلاة والسلام لما امر به من التذكير للاخراج المذكور واذا منصوب على المفعولية بضمير خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام وتعليق الذكر بوقت معان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اى اذ كرلهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لقومه (اذ كرنا نعم الله عليكم) بدأ عليه الصلاة والسلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهو اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او محذوف وقع حالا متناهيا جعلت اسماءى اذكر وانعماء عليكم واذكروا نعمته كاشة عليكم وكذلك كلمة اذ في قوله تعالى (اذ انجاكم من آل فرعون) اى اذكر وانعماء عليكم وقت انجاكم اياكم من آل

فرعون واذكر وانعمة الله مستمرة عليكم وقت انجاكم اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية (فتقول)

(يسومونكم) يبعثونكم من سامه خسفا اذا اولاه (٣٢١) ظلموا وصل السوء الذهب في طلب الشيء (سوء العذاب السوء)

مصدر ساء يسوء والمراد به

جنس العذاب السيئ او

استعدادهم واستعمالهم في الاعمال

الشاقة والاستهانة بهم وغير

ذلك مما لا يحصر ونصبه على

انه مفعول ليسومونكم

(ويذبحون أبناءكم) المولودين

وانما عطفه على يسومونكم

اخراجا له عن مرتبة العذاب

المعادوا وانما فعلوا ذلك لان فرعون

رأى في النام اوقال له الكهنة

انه سيلود منهم من يذهب بملكه

فاجتهدوا في ذلك فلبس عنهم من

قتله الله شيئا (ويسخرون نساءكم)

اي يقولون في الحيلة مع الذل

والصغار ولذلك عد من جهة البلاء

والجل احوال من آذ فرعون

او من ضمير المخاطبين او منهما

جسالا فيها ضمير كل منهما (وفي

ذلك) اي فيما ذكر من افعالهم

الفضيحة (بلاء من ربكم) اي

ابتلاء منه لان البلاء عين تلك

الافعال اللهم الا ان تجعل في

تجريدية فسميته الله تعالى اما

من حيث الخلق والاقدار

والتمكين (عظيم) لا يطابق ويحوز

ان يكون المشار اليه الانبياء من

ذلك والبلاء ابتلاء بالنعمة وهو

الانسيب كما يلوح به التعرض

لوصف الربوبية وعلى الاول

يكون ذلك باعتبار المال الذي

هو الانبياء او باعتبار ان بلاء

المؤمن تربية له (واذنآذ ربكم)

من جهة مقال موسى عليه الصلاة

والسلام لقومه معطوف على

نعمته الله اي اذكروا نعمته الله

عليكم واذكروا حين تاذن ربكم

اي اذن ايماننا بليغا لا يفي معه

شأنه شيئا لما في صيغة الفعل من معنى

فقول ههنا قال تعالى لبيّن لهم ثم قال فيضّل الله من يشاء ذكر فيضّل بالرفع فدل على انه
مذكور على سبيل الاستئناف وانه غير معطوف على ما قبله واقول تقرير هذا الكلام
من حيث المعنى كأنه تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا لبسان قوم ليكون بآئه لهم تلك
الشرائع بلسانهم الذي القوه واعتادوه ثم قال ومع ان الامر كذلك فانه تعالى يضل من
يشاء ويهدي من يشاء والغرض منه التنبيه على ان تقوية البيان لا توجب حصول
الهداية فرمما قوى البيان ولا تحصل الهداية وربما ضعف البيان وحصلت الهداية وانما
كان الامر كذلك لاجل ان الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى اما قوله ثانيا
لولا كان الضلال حاصلًا بخلق الله تعالى لكان للكفار ان يقول له ما الفائدة في بيانك
ودعوتك فقول يعارضه ان الخصم يسلم ان هذه الآيات اخبار عن كونه ضالا فيقول
له الكافر لما اخبر الهك عن كوني كافرا فان امنت صار الهك كاذبا فهل اقدر على جعل
الهك كاذبا وهل اقدر على جعل علمه جهلا واذالم اقدر عليه فكيف يأمرني بهذا الايمان
فثبت ان هذا السؤال الذي اورده الخصم عليها و ايضا وارد عليه واما قوله ثالثا يلزم
ان يكون الرضا بالكفر واجبالا ان الرضا بقضاء الله تعالى واجب ومالا يتم الواجب الا به فهو
واجب قلنا ويلزمك ايضا على مذهبك انه يجب على العبد السعي في تكذيب الله وفي
تجهيله وهذا اشد استحالة مما ارادته علينا لانه تعالى لما اخبر عن كفره وعلم كفره فازالة
الكفر عنه يستلزم قلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا واما قوله رابعا ان مقدمة الآية
وهي قوله تعالى لنخرج الناس من الظلمات الى النور يدل على صحة الاعتزال فنقول
قد ذكرنا ان قوله باذن ربهم يدل على صحة مذهب أهل السنة واما قوله خامسا انه تعالى
وصف نفسه في آخر الآية بكونه حكما وذلك بنافي كونه تعالى خالقا للكفر مريدا له
فنقول وقد وصف نفسه بكونه عزيزا والعز يز هو الغالب القاهر فلوراد الايمان
من الكافر مع انه لا يحصل اوراد عمل الكفر منهم وقد حصل لما بقى عزرا غالبا ثبت ان
الوجوه التي ذكروها ضعيفة واما التأويلات الثلاث التي ذكروها فقد مر ابطالها في هذا
الكتاب مرارا فلا فائدة في الاعادة ﴿ قوله تعالى (ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج
قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور
واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء
العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وفي الآية
مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما بين انه ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى
الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور وذكر كل انعامه عليه وعلى قومه في ذلك
الارسل وفي تلك البعثة اتبع ذلك بشرح بعثة سائر الانبياء الى اقوامهم وكيفية معاملته
اقوامهم معهم نصبر الرسول عليه السلام على اذى قومه وارشاد الله الى كيفية مكاتبتهم
ومعاملتهم فذكر تعالى على العادة المألوفة قصص بعض الانبياء عليهم السلام فبدأ بذكر

التكليف المحمول في حقه سبحانه على غاية ما في الكمال (٤١) (را) (خا) وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اي اذ كروا نعمته تعالى

في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله تعالى عليهم ينالون (٢٢٢) بها خيري الدنيا والاخرة وفي قراءة ابن مسعود

رضي الله تعالى عنه واذ قال ربكم
ولقد ذكرهم عليه الصلاة
والسلام ولا ينعمائه تعالى عليهم
صريحاً وخمنه تذكير ما صالهم
قبل ذلك من الضراء اسمهم
ثانياً يذكر ما جرى من الله سبحانه
من الوعد بالازدة على تقدير الشكر
والوعيد بالعذاب على تقصير
الكفر والاراد بتذكير الاوقات
تذكير ما وقع فيها من الحوادث
فصفة اذهى عيطة بذلك فاذا
ذكرت ذكر ما فيها كانه مشاهد
معين (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل
ما خولتكم من نعمة الانبياء
واهلاك العدو وغير ذلك من النعم
والالاك الفاضلة للصبر وقابلية
بالايمان والطاعة (لا تريدنكم)
نعمة الانعمة (ولئن كفرتم)
ذلك وعصمتوه (ان عذابا لشديد)
فسي يصيبكم منه ما يصيبكم
ومن عادة الكرام التصريح
بالوعد والتحريض بالوعيد فاذا
ظنك باكرم الاكرمين ويصور
ان يكون المذكوور تليلاً للجواب
الحذوف في لا عذبتكم واللام
في الموضعين موطنه للقسم وكل
من الجوابين ساد مسد جوابي
الشرط والقسم والجملة اما
مفعول لتأذن لانه ضرب من
القول والقول مقدر بعد كانه
قيل واذ تأذن ربكم فقال الخ
(وقال موسى ان تكفروا) نعمه
تعالى (ما تشكروها) انتم يا بني
اسرائيل (ومن في الارض) من
الخالقين جميعاً (فان الله لفي)
عن شكركم وشكر غيركم (جيد)
مستوجب الحمد بذاته لكثرة
ما يوجب من اياه وان لم يحمد
احد او محمود يحمد الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم باطقة بحمد الواحد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل (تنبيه)

كان ادل على كاله سبحانه وهو تليل لما حذف من جواب (٢٢٣) أن اى ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لافى

عن شكر الشاكرين ولله عليه الصلاة والسلام انما قاله عندما عاب منهم دلائل النادى عاب الابرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترهيب ولا التمرىض بالترهيب اوقاله غيب تذكريهم باذكر من قول الله عزسلطانه تحفة بالفضونه وتذبرا لهم من الكفر ان ثم شرع فى التزهيب بتذكير ماجرى على الانام الخالية فقال (اى ياكنم يا الذين من قبلكم) لينذروا ما أصاب كل واحد من حزبي المؤمن والكافر فيقلعوا عنهم عليم من الشر وينبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله تعالى خطبا للكفرة فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم فخص تذكير موسى عليه الصلاة والسلام بما اختص بنى اسرائيل من السراء والضراء والايات بالامام الجارية عليهم فقط وفيه حالا ينفى من البعد وايضا لا يظهر حيث تدبر وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين فى عهد النبي عليه الصلاة والسلام بما أصاب اولئك المذمومين مع ان غيرهم اسوة لهم فى الخلو قبل هؤلاء (قوم نوح) بدل من الموصول او عطف بيان (وعاد) معطوف على قوم نوح (وعود الذين من بعدهم) اى من بعد هؤلاء المذكورين عطف عام على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى (لا يعلم الا الله) اعتراض او الموصول مبتدأ ولا يعلم الى آخره خبره والجملة اعتراض والمسى انهم من الكفرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

تنبه على ان المؤمن يجب ان لا يخلو زمانه عن أحد هذين الامرين فان جرى الوقت على ما يلائم طبعه ويوافق ارادته كان مشغولا بالشكر وان جرى بما لا يلائم طبعه كان مشغولا بالصبر فان ذلك التذكير آيات للكل فلما داخض الصبار الشكور بها قلنا فيه وجوه (الاول) انهم لما كانوا المنفعون بتلك الآيات صارت كأنها ليست آيات الا لهم كما فى قوله هدى للميقين وقوله انما انت منذر من يخشاها (والثانى) لا يعد ان يقال الانفع بهذا النوع من التذكير لا يمكن حصوله الا ان كان صابرا او شاكرا اما الذى لا يكون كذلك لم ينفع بهذه الآيات واعلم انه تعالى لما ذكر انه امر موسى عليه السلام بأن يذكرهم بأيام الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام انه ذكرهم بها فقال واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب فقوله اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اى اذكروا انعام الله عليكم فى ذلك الوقت بقى فى الآية سؤال (الاول) ذكر فى سورة البقرة يذبحون وفى سورة الاعراف يقتلون وهما يذبحون مع الواو خالف الفرق والجواب قال تعالى فى سورة البقرة يذبحون بغير واو لانه تفسير لقوله سوء العذاب وفى التفسير لا يحسن ذكر الواو تقول انا فى القوم زيد وعمرو لانك أردت ان تقرر القوم بهما ومثله قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق انا ما يصاعقه العذاب فالانعام لما صار مفسرا بمصاعفة العذاب لاجرم حذف عنه الواو اما فى هذه السورة فقد داخل الواو فيه لأن المعنى انهم يعذبونهم بغير التذبيح وبالتذبيح ايضا فقوله يذبحون نوع آخر من العذاب لانه تفسير لما قبله (السؤال الثانى) كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم والجواب من وجهين احدهما ان تمكين الله اياهم حتى فعلوا ما فعلوا كان بلاء من الله والثانى وهوان ذلك اشارة الى الانجا وهو بلاء عظيم والبلاء هو الابتلاء وذلك قد يكون بالنعمة تارة وبالحنطة اخرى قال تعالى وتبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه اولى لانه يوافق صدر الآية وهو قوله تعالى واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم (السؤال الثالث) هب ان تذبح الاشياء كان بلاء اما استحياء النساء كيف يكون بلاء الجواب كانوا يستخدمونهن بالاستحياء وفى الخلاص منه نعمة وايضا ابقاؤهن منفردات عن الرجال فيه اعظم المضار فقوله تعالى (واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد) اعلم ان قوله واذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن اذن ربكم ونظير تأذن واذن تعدوا وعد وتفضل وافضل ولا بد فى فعل من زيادة معنى ليس فى اقل كأنه قيل واذ اذن ربكم اذنا بلغا ينفى عنه الشكوك وتزاح الشبهة والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم فأجزي تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه واذ قال ربك لئن شكرتم واعلم ان المصود من الآية بيان ان من اشتغل بشكر نعم الله زاده الله من نعمه

بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اذ قرأ هذه الآية قال كذب النساوون يعنى انهم

يدعون علم الانساب وقد نفي الله تعالى عنها عن العباد (جاءتهم رسلكم) (٣٢٤) استثناف لبيان نبهم (بالبنات) بالمجترات الطاهرة والبنات

الباهرة فين كل رسول لآمنه طريق الحق وهدايم اليه لخصر جمع من الظلمات الى النور (فردوا ايديهم في افواههم) منيرين بذلك الى الستم وما يصدر عنها من المقالة اعتناءهم بشأنها وتنبها للرسول على تلقها والحفاطة عليها واقتنا لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه (وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) اي على زعمكم وهي البنات التي اظهروها حاجة على صعد رسالتهم كقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بايتنا وصادمهم بالكفر بها الكفر بدلائها على صحة رسالاتهم او فضوها غيظا ومضرا بمجرات به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الا نامل من العبط او وضوها عليها نهبها منه واستهزاء به كن غلبه الضحك او اسكاتا لالتباهي عليهم السلام واسرا لهم باطاني الاقواء او ردها في اقواء الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجمعونهم من التكلم تحقيقا او غيلا اوجواو ايدي الانبياء في افواههم نهبها من عتوهم وعنادهم كما ينبغي عنه نهيهم بقوله افي الله شك الخ وقيل الايدي بمعنى الايدي غير بها من مواظهم ونصائحهم وشكرهم التي هي مدار النعم الدينية والدنيوية لا لزوم لما كذبوها في يقبلوها فكنا بهم ردوها الى حيث جاءت منه (وانا في شك) اعظم (عاندوننا) اليه من الايمان بالله والتوحيد فلا يتناقضهم في ذلك تكفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البنات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المجترات ولذلك قالوا فانونا بسلطان مبين وقرئ تدعون بالادغام (مرتب) موقع في الرية من أرا به (الكفران)

اودى ربية من ارباب الرجل وهي قلق النفس (٣٢٥) وعدم اطمئنانها بالشيء (قالت رسولهم) استثناف مني على سؤال ينساق اليه

الحال كأنه قيل قل لماذا قالت لهم رسولهم فأجيب بأنهم ظالمون كبريائهم وشميعين من مفسداتهم الخفاء (أفى الله شك) بادخال الهمة على الظرف لاديان بأن مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيها لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا متفادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بأن يقولوا أفى في شك من رب من الله تعالى مبالغة في تشكيكهم وسحابة من شائبة الشك وتسهيل عليهم بوضافة القول اى فى شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلى حتى تكونوا من قبله في شك من رب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الاعيان والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة لذلك لم يمتنعوا الجواب عن قول الكفرة انا كفروا بما أرسلنا به واقتضوا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجب من الشواهد الدالة على استقامتنا المكنى فقالوا (فاطر السموات والارض) اى مبدعهما وبأفهامهما من المصنوعات على نظام الشاهد بتحقق ما تم منه في شك وهو صفة الاسم الجليل اوبدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتقاده على الاستفهام وجهه مبتدأ على ان الظرف خبره يفضى الى الفصل بين الموصوف والصفة والاجنبى اعنى المبتدأ والفعل ليس باجنبى من رافعه وقد جوز ذلك ايضا (يدعوكم) الى الايمان برسالة ايانا لاننا ندعوكم اليه

الكفران اما المعبود والشكور فانه متعال عن ان ينفع بالشكر او يستنصر بالكفران فلا حرم قال تعالى وقال موسى ان تكفروا اثم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى جبار والعرض منه بيان انه تعالى اتمام بهذه الطاعات لما نفع عاثة الى العابد لما نفع عاثة الى المعبود والذي يدل على ان الامر كذلك ما ذكره الله في قوله ان الله لغنى وتفسيره انه واجب الوجود لذاته واجب الوجود بحسب صفاته واعتباراته فانه لو لم يكن واجب الوجود لذاته لاقتصر رجاء وجوده على عدمه الى مرجح فلم يكن غنيا وقد فرضناه غنيا هذا خلف فثبت ان كونه غنيا يوجب كونه واجب الوجود في ذاته واذا ثبت انه واجب الوجود لذاته كان ايضا واجب الوجود بحسب جميع كالاته اذ لو لم تكن ذاته كافية في حصول ذلك الكمال لاقتصر في حصول ذلك الكمال الى سبب منفصل فيثبت لا يكون غنيا وقد فرضناه غنيا هذا خلف فثبت ان ذاته كافية في حصول جميع كالاته واذا كان الامر كذلك كان جيدا لذاته لانه لا معنى للحميد الا الذى استحق الحمد فثبت بهذا التقرير الذى ذكرناه ان كونه غنيا جيدا يقتضى ان لا يزداد بشكر الشاكرين ولا ينقص بكفران الكافرين فلهذا المعنى قال ان تكفروا اثم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى جيد وهذه المعاني من لطائف الاسرار واعلم ان قوله ان تكفروا اثم ومن فى الارض جميعا سواء حل على الكفر الذى يقابل الايمان او على الكفران الذى يقابل الشكر فالغنى فانه تعالى غنى عن العالمين في كالاته وفي جميع نعمت كبريائه وجلاله ثم انه تعالى قال ألم يكنم نبال الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وذكر ابوسلم الاصفهاني انه يحتمل ان يكون ذلك خطابا من موسى عليه السلام لقومه والمقصود منه انه عليه السلام كان يخوفهم بمثل هلاك من تقدم ويجوز ان يكون مخاطبة من الله تعالى على لسان موسى لقومه بذكرهم امر القرون الاولى والمقصود اتمامه حصول العبرة بأحوال المتقدمين وهذا المقصود حاصل على التقديرين الا ان الاكثرين ذهبوا الى انه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم واعلم انه تعالى ذكر اقواما ثلاثة وهم قوم نوح وعاد وثمود ثم قال تعالى والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله وذكر صاحب الكشف ان فيه احتمالين الاول ان يكون قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا والثاني ان يقال قوله والذين من بعدهم معطوف على قوم نوح وعاد وثمود وقوله لا يعلمهم الا الله فيه قولان الاول ان يكون المراد لا يعلم كنه مقاديرهم الا الله لان المذكور في القرآن جملة فاما ذكر العدد والعمر والكيفية والكمية فغير حاصل والقول الثاني ان المراد ذكر اقوام ما بلغنا اخبارهم اصلا كذبوا رسلا لم تعرفهم اصلا ولا يعلمهم الا الله والقائلون بهذا القول الثاني طعنوا في قول من يصل الانساب الى آدم عليه السلام كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعنى انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علما عن العباد وعن ابن

من تلقا انفسنا كما بهمه قولكم بما تدعوننا اليه (ليغفر لكم) بيبه اوبدعوكم لاجل المغفرة كفواكم دعوتكم لياكل معي (من

ذونكم (أي بعضهما هو ماعد الظالم ما بينهم وبينه تعالى فإن الاسلام (٢٢٦) يحبه قبل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون

وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على بعض الإيمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي وبحوزة فيتناول الخروح من الظالم وقيل المعنى لبغفر لكم بدلا من ذنوبكم (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت سماه الله تعالى وسعته انتهى اعماركم على تقدير الايمان (قالوا) استأنف كاسبق (ان) أتم) ايمانكم (الابشر مثنا) من غير فضل يؤهلكم لتدعونه من النبوة (تريدون) صفة ثانية ليشترجلا على المعنى كقوله تعالى أيشر يهدونا او كلام مستأنف اي تريدون بما تصدون له من الدعوة والارشاد (ان تصدونا) بغضض العبادة لله سبحانه (عما كان يعبد آباؤنا) اي من عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غوثى يوجبها والا (فانآونا) اي وان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كادعونه فانآونا (بسلطان مبين) يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا آتوهم من الآيات الظاهرة والبيانات الباهرة بما غفل عنه الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظماء كابر وعنادا وادارة لمن وراءهم ان ذلك ليس من جنس ما ينطلق عليه السلطان المبين (قالت لهم رسلهم) بجماعة معهم في اول مقاتلهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اراد الزمهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع

الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اخصص بهم ما يعبه (ان نحن الابشر مثلكم) كما تقولون (عليهم)

(ولكن الله ين) بالنبوة (على من يشاء) (٣٢٧) من عباده) يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها لمن يشاء من عباده بمحض الفضل

عليهم والثاني ان الكفار وضعوا ايديهم على افواه الانبياء عليهم السلام منعاهم من الكلام ومن بالغ في منع غيره من الكلام فقد يفعل به ذلك اما على القول الثاني وهوان ذكر اليد والقم توسع وبجاز فقيه وجوه الاول قال ابو مسلم الاصفهاني المراد باليد ما انطقت به الرسل من الحجج وذلك لان اسماع الحجج اعظم والانعام يسمى يدا يقال لفلان عندي يد اذا اولاه معروفا وقد يذكر اليد والمراد منها صفقة البيع والعقد كقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله بالله فوق ايديهم قالينبات التي كان الانبياء عليهم السلام يذكرونها ويقررونهاهم وايداء ايضا اليهود التي كانوا يأتون بهامع القوم ايدى وجع اليد في العدد القليل هو الايدى وفي العدد الكثير هو الايدى ثبت ان بيانات الانبياء عليهم السلام وعهودهم صح تسميتها بالايدي واذا كانت النصائح والعهود انما تظهر من القم فاذا لم تقبل صارت مردودة الى حيث جاءت ونظيره قوله تعالى اذ لقونه بالأسنمكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم فلما كان القول تلقيا بالا فواء عن الافواه كان الدفع ردافي الافواه فهذا تمام كلامي مسلم في تقرير هذا الوجه (الوجه الثاني) نقل محمد بن جرير عن بعضهم ان معنى قوله فردوا ايديهم في افواههم انهم سكتوا عن الجواب يقال للرجل اذا امسك عن الجواب رديه فيه وفيه وتقول العرب كلمت فلانا في حاجة فرديه فيه اذا سكت عنه فلم يجب ثم انه يرف هذا الوجه وقال انهم اجابوا بالكذب لانهم قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به (الوجه الثالث) المراد من الايدى نعم الله تعالى على ظاهريهم وباطنيهم ولما كذبوا الانبياء فقد عرضوا تلك الذم للزالة والابطال بقوله ردوا ايديهم في افواههم اي ردوا نعم الله تعالى عن أنفسهم بالكلمات التي صدرت عن افواههم ولا يعبد حل في على معنى الباء لان حروف الجر لا تمنع اقامة بعضها مقام بعض (الزوع الثاني) من الاشياء التي حكاه الله تعالى عن الكفار قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به والمعنى انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم فيه لانهم ما قرءوا بأنهم ارسلوا واعلم ان المرتبة الاولى هو انهم سكتوا عن قبول قول الانبياء عليهم السلام وحوالوا اسكات الانبياء عن تلك الدعوى وهذه المرتبة الثانية انهم صرحوا بكفرهم كافرين بتلك البعثة (والنوع الثالث) قولهم وانما نرى شك بما مدعونا اليه مريب قال صاحب الكشاف وقرئ مدعونا بادغام النون مريب موقع في المرتبة الاولى ربة من اربابه والربة قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر فان قيل لماذا ذكرنا في المرتبة الثانية انهم كافرون برسالتهم كيف ذكرنا بعد ذلك كونهم شاكين مرتابين في صحة قولهم قلنا كائهم قالوا اما ان تكون كافرين برسالتكم او ان لم تدع هذا الجزم واليقين فلا أقل من ان تكون شاكين مرتابين في صحة نبوتكم وعلى التقديرين فلا سبيل الى الاعتراف بنبوتكم والله اعلم * قوله تعالى (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا

التوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد بما سبق من ان يحجب التوكل على انفسهم والمراد بالتوكلين المؤمنون

والتعبد عنهم بذلك لسبق ذكر انصافهم به ويجوز ان يراد عليه فليتوكل من يتوكل (٣٢٨) دون غيره (وقال الذين كفروا لعل هؤلاء

تريدون ان تصدونا بما كان يعد آبؤنا فأوتوا بسطان مبین) اعلم ان اولئك الكفار لما قالوا للرسول واتالف شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلم وهل تشكون في الله وفي كونه فاطر السموات والارض واطرا لا تقصا وارواحنا وارزاقنا وجميع مصالحنا وانالندعوك الاالى عبادة هذا الاله النعم ولا نمنعكم الا عن عبادة غيره وهذه المعاني يشهد صريح العقل بحجتها فكيف قلتم واتالف شك مما تدعوننا اليه مريب وهذا النظم في غاية الحسن وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله أفي الله شك استفهام على سبيل الانكار فلما ذكر هذا المعنى اردفه بالدلالة على وجود الصانع المختار وهو قوله فاطر السموات والارض وقد ذكرنا في هذا الكتاب ان وجود السموات والارض كيف يدل على احتجاجة الى الصانع المختار الحكيم مرارا واطوارا فلا نعيد هنا (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشف ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في ان وجود الله تعالى لا يحتمل الشك واقول من الناس من ذهب الى انه قبل الوقوف على الدلائل الدقيقة فالقطرة شاهدة بوجود الصانع المختار ويدل على ان القطرة الاولى شاهدة بذلك وجوه (الاول) قال بعض العقلاء ان من لم يطمع على وجه صبي لطمعة فتلك اللطمة تدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف وعلى وجوب دار الجزاء وعلى وجود النبي امدالاتها على وجود الصانع المختار فلان الصبي العاقل اذا وقعت اللطمة على وجهه يصيح ويقول من الذي ضربني وماذا الان شهادة فطرته تدل على ان اللطمة لما حدثت بعد عدمها وجب ان يكون حسدوشا لاجل فاعل فعلها ولاجل مختار ادخلها في الوجود فلما شهدت القطرة الاصلية بافتقار ذلك الحادث مع قلتمو حقارته الى الفاعل فبان تشهد بافتقار جميع حوادث العالم الى الفاعل كان اولي واما دلالتها على وجوب التكليف فلا ان ذلك الصبي نادى ويصيح ويقول لم ضربني ذلك الضارب وهذا يدل على ان فطرته شهدت بان الافعال الانسانية داخله تحت الامر والنهي ومندرجة تحت التكليف وان الانسان ما خلق حتى يفعل اى فعل شاء واشتهى واما دلالتها على وجوب حصول دار الجزاء فهو ان ذلك الصبي يطلب الجزاء على تلك اللطمة وما دام يمكنه طلب ذلك الجزاء فانه لا يتركه فلما شهدت القطرة الاصلية بوجوب الجزاء على ذلك العمل القليل فبان تشهد على وجوب الجزاء على جميع الاعمال كان اولي واما دلالتها على وجوب النبوة فلانهم يحتاجون الى انسان يبين لهم ان العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي ولا معنى للنبي الا الانسان الذي يقدر هذه الامور وبين لهم هذه الاحكام فثبت ان فطرة العقل حاكمة بأن الانسان لا بدله من هذه الامور الاربعة (الوجه الثانى) في التنبيه على ان الاقرار بوجود الصانع بسببى هو ان الفطرة شاهدة بأن حدوث دار منقوشة بالقوش العجمية مبنية على التراكيب اللطيفة الموافقة للحكم والمصلحة يستحيل الاعتد وجود نقاش عالم وبان حكيم ومعلوم

والثالثين بعض المخردين العائنين الغالين في الكفر من أولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرارهم ولذلك لم يقل وقالوا (رسلم) لتخرجكم من ارضنا اولتعودن في ملتنا) لم يفتعوا بعضهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما رأوا البيات القائمة للمصير حتى اجتروا على مثل هاتيك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان خلفوا على ان يكون احد المصلين والودود اياهم مطلق الصيرورة او باعتبار قلب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسأنى في الكهف (فاقى بهم) اى الى الرسل (رهم) مالك امرهم عند تناهى كفر الكفرة وبلوغهم من الفتوى الى غاية لامطمع بعدها في ايمانهم (لهلك الظالمين) على اضرار القول او على اجراء الايجاب اجراء لكونه ضربا منه (ولتكننكم الارض) اى ارضهم وديارهم عقوبتهم بقولهم لتخرجكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا الغوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها (من بعدهم) أى من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم باليد اعتبارا لاسمى كفولهم حلف ريد ليخرجن غدا (ذلك) اشارة الى ما نوحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين وديارهم اى ذلك الامر محقق ثابت (لمن خاف مقامى) موقفى وهو الموقف الذى يقف فيه العباد يوم يقوم الناس

(ان)

لرب العالمين اوقى عليه وحفظى لاعماله وقيل لفظ القام مقسم (وخاف وعيد) وعيدى بالعذاب او عذابا

الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق لتلقي كقولہ (٣٢٩) والعاقبة للثقلين (واستمعوا) اى استمعوا الله على اعدائهم كقوله تعالى

ان تستمعوا فقد جاءكم الفتح او استمعوا وسألوهم القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله تعالى ربنا افق بيننا وبين

قومنا بالحق فالصغير للرسول وقيل للكفرة وقيل للفرقين فانهم المبطل وهو معطوف على اوصى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على

لنهلك الظالمين اى اوصى اليهم ربهم لنهلك وقال لهم استمعوا (وخاب) اى خسرو هلك (كل

جبار عتيد) متصف بصفة ما تصف به الثنونا اى فنعصروا عند استفتاحهم ونظفروا بما سألوهم

والحقوا وخاب كل جبار عتيد وهم قومهم الماسدون بالحقية بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان

عن المطلوب اودك اعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسول وخابوا ولم يفهموا وانما قيل وخاب كل

جبار عتيد ذمالهم وتجيلا اعدبهم بالقيود والصاد لان بعضهم ليسوا كذلك واتاه لم يصعبهم الحية

واستفتحوا جميعا فنصر الرسول ومقره فالحية بمعنى الحرمان غيب الطلب وفى استناد الحية الى كل

منهم مالا يضي من المبالغة (من وراء جهنم) اى بين يديه فانه مرصدا واقف على شفيها

فى الدنيا يموت اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ماتوا رى عنك (وبقى) معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل

كانه قيل فاذا يكون اذن قيل بلى فيها ويسقى (من ماء) مخصوص لا كليات اليهود

(صديد) وهو قبح اودم محتلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل (٤٢) (را) (خا) من اجساد اهل النار وهو عصف بيان لآلهم اول ما بين

ان آثار الحكمة فى العالم العلوى والسفلى اكثر من آثار الحكمة فى تلك الدار المختصرة فاشهدت الفطرة الاصلية بافتقار النفس الى النقاش والبناء الى البانى فبان تشهد بافتقار كل هذا العالم الى الفاعل المختار الحكيم كان اولى (الوجه الثالث) ان الانسان اذا وقع فى محنة شديدة وبلية قوبة لا يبقى فى ظنه رجاء المعاونة من احد فكأنه بأصل خلقته ومقتضى جبلته يتضرع الى من يخلصه منها ويخرجه عن علاقته وحبا لئلا وما ذاك الا شهادة الفطرة بالافتقار الى الصانع المدبر (الوجه الرابع) ان الموجود اما ان يكون غنيا عن المؤثر او لا يكون فالكان غنيا عن المؤثر فهو الموجود الواجب لذاته فانه لا معنى للواجب لذاته الا الموجود الذى لا حاجة به الى غيره وان لم يكن غنيا عن المؤثر فهو محتاج والمحتاج لابد له من المحتاج اليه وذلك هو الصانع المختار (الوجه الخامس) ان الاعتراف بوجود الاله المختار المكلف وبوجود المعاد احوط فوجب المصبر اليه فهذه مراتب اربعة اولها ان الاقرار بوجود الاله احوط لانه لو لم يكن موجودا فلا ضرر فى الاقرار بوجوده وان كان موجودا فى انكاره اعظم المضار وثانيها الاقرار بكونه فاعلا مختارا لانه لو كان موجبا فلا ضرر فى الاقرار بكونه مختارا اما لو كان مختارا فى انكاره كونه مختارا اعظم المضار وثالثها الاقرار بأنه كلف عباده لانه لو لم يكلف احدا من عبده شيئا فلا ضرر فى اعتقاد انه كلف العباد امانته لو كلف فى انكار تلك التكليف اعظم المضار ورابعها الاقرار بوجود المعاد فانه ان كان الحق انه لا معاد فلا ضرر فى الاقرار بوجوده لانه لا يفتوت الا هذه الذات الجسمانية وهى حقيرة ومنقوصة وان كان الحق هو وجوب المعاد فى انكاره اعظم المضار فظهر ان الاقرار بهذه المقامات احوط فوجب المصبر اليه لان بدية العقل حاكمة بأنه يجب دفع الضرر عن النفس بقدر الامكان (المسئلة الثانية) لما قام الدلالة على وجود الاله بدليل كونه فاطر السموات والارض وصفه بكمال الرحمة والكرم والجود وبن ذلك من وجهين (الاول) قوله يدعوكم ليفقر لكم من ذنوبكم قال صاحب الكشف لوقال قائل مامعنى التبعض فى قوله من ذنوبكم ثم اجاب فقال ما جاء هكذا الا فى خطاب الكافرين كقوله ان اعبدوا الله واتقوه وامنعوا يفقر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يفقر لكم من ذنوبكم وقال فى خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى ان قال يفقر لكم ذنوبكم قال والاستغفاره يدل على صحة ما ذكرناه ثم قال وكان ذلك للفرقة بين الخطائين وثلاث بسوى بين الثمانيين فى المعاد وقيل انه اراد انه يفقر لهم ما بينهم وبين الله تعالى بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم هذا كلام هذا الرجل وقال الواحدى فى البسيط قال ابو عبدة من زائدة وانكر سيديوه زيادتها فى الواجب واذ قلنا انها ليست زائدة فهنا وجهان احدهما انه ذكر البعض ههنا وأريد به الجميع توسعا والثانى ان من ههنا للبدل والمعنى لتكون المغفرة بدلا من الذنوب فدخلت من تضمن المغفرة معنى البدل من

محتلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل (٤٢) (را) (خا) من اجساد اهل النار وهو عصف بيان لآلهم اول ما بين

بالصديق نبويلا لاسره وتخصيصه بالذكر من بين عذائها يدل (٣٣٠) على انه من اشد انواعه (يقرعه) قيل هو صفة ثا، اوحال منه

والاظهر انه استثناف منى على السؤال كانه قيل فاذا يقبل به فقيل يقرعه اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لفلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه (ولا يكاد يسيفه) اي لا يقارب ان يسيفه فتلا عن الاساعفة بل ينصبه فيشر به بعد الثبا والتي جرعة غيب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشره على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب في الحلق يسوولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب في ماذ كر جعيا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساعفة لانها المجهود في الاثر بقوه وحال من فاعل يقرعه او من مقعوله او منه جاعيا (ويأتيه الموت) اي اسبابه من الشدائد (من كل مكان) ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شري واهام رجليه (وما هو ميت) اي والحال انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجي اسبابه لاسيا من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصنائ الوقتات (ومن ورائه) من بين يديه (عذاب غليظ) يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله فيه دفع ما يشوم من الخلفة بحسب الاعتقاد في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستتاع والحيية استسقاءهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته عليه الصلاة والسلام وخبيثهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديق اهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) اي صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالثلث في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بحقيقة)

السيئة وقال القاضي ذكر الاصم ان كلمة من ههنا تفيد التبعض والمعنى انكم اذا تبتم فانه يغفر لكم الذنوب التي هي من الكبائر فاما التي تكون من باب الصغائر فلا حاجة الى غفرانها لانها في انفسها مغفورة قال القاضي وقد اُعيد في هذه التأويل لان الكفار صغائرهم ككبارهم في انها لا تغفر الا بالتوبة وانما تكون الصغيرة مغفورة من المؤمنين الموحدين من حيث يزيد ثوابهم على عقابهم فاما من لا تواب له اصلا فلا يكون شيء من ذنوبه صغيرا ولا يكون شيء منها مغفورا ثم قال وفيه وجه آخر وهو ان الكافر قد ينسى بعض ذنوبه في حال توبته وانائه فلا يكون المغفور منها الاما ذكره وتاب منه فهذا جلة أقوال الناس في هذه الكلمة (المسئلة الرابعة) أقول هذه الآية تدل على انه تعالى قد يغفر الذنوب من غير توبة في حق اهل الايمان والدليل عليه انه قال يدعوك ليغفر لكم من ذنوبكم وعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير اشتراط التوبة فوجب ان يغفر بعض الذنوب مطلقا من غير التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانفاد الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب ان يكون البعض الذي يغفر له من غير التوبة هو ما عدا الكفر من الذنوب فان قيل لم لا يجوز ان يقال كلمة من صلة على ما قاله ابو عبيدة او نقول المراد من البعض ههنا هو الكل على ما قاله الواحدى او نقول المراد منها ابدال السيئة بالحسنة على ما قاله الواحدى ايضا او نقول المراد منه تمييز المؤمن عن الكافر في الخطاب على ما قاله صاحب الكشف او نقول المراد منه تخصيص هذا الغفران بالكبائر على ما قاله الاصم او نقول المراد منه الذنوب التي يذكرها الكافر عند الدخول في الايمان على ما قاله القاضي فنقول هذه الوجوه بأسرها ضعيفة اما قوله انها صلة فمعناه الحكم على كلمة من كلام الله تعالى بأنها حوض ضائع فاسد والعاقلة لا يجوز المصير اليه من غير ضرورة فأما قول الواحدى المراد من كلمة من ههنا هو الكل فهو عين ما قاله ابو عبيدة لان حاصله ان قوله يغفر لكم من ذنوبكم هو انه يغفر لكم ذنوبكم وهذا عين ما قاله عن ابي عبيدة وحكي عن سيويه انكاره واما قوله المراد منه ابدال السيئة بالحسنة فليس في اللغة ان كلمة من تفيد ابدال واما قول صاحب الكشف المراد تمييز خطاب المؤمن عن خطاب الكافر بمزيد التشريف فهو من باب الطامات لان هذا التبعض ان حصل فلا حاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الجواب فاسدا واما قول الاصم قد سبق ابطاله واما قول القاضي فجوابه ان الكافر اذا سلم صارت ذنوبه بأسرها مغفورة لقوله عليه السلام التائب من الذنب بكن لا ذنب له ثبت ان جميع ما ذكره من التأويلات تعسف ساقط بل المراد ما ذكرناه انه تعالى يغفر بعض ذنوبه من غير توبة وهو ما عدا الكفر واما الكفر فهو ايضا من الذنوب وانه تعالى لا يفره الا بالتوبة واذابته انه تعالى يغفر كباثر كافر من غير توبة بشرط ان يأتي بالايمان فبان تحصل هذه الحالة للمؤمن كان اولي هذا ما خطر بالبال على سبيل الارتجال والله اعلم

(اعمالهم كرماد) كقولك صفة زيد عمره مهتوك وماله (٣٣١) منهوب وهو استئثاف مبنى على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي

عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة المسكين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فأجيب بأن ذلك كرماد (اشتدت به الريح) جلته واسرعت الذهاب به (في يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مصالفة كقولك ليلة ساكرة واما السكور لربما شبهت صنائعهم المعدودة لا يتأنيها على غير أساس من معرفة الله تعالى واليمان به والتوجه بها اليه تعالى كرماد طيرته الريح العاصفة اواستئثاف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام او مبتدأ خبره محذوف كما هو رأى سيبويه اى لفتايل عليك مثلهم وقوله اعمالهم جلته مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقبل اعمالهم كيت وكيت سواء اريد بها صنائعهم او اعمالهم لاصنامهم وقيل اعمالهم يدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره (لا يتقدرون) اى يوم القيامة (عما كسبوا) من تلك الاعمال (على شئ) ما لا يورون له اثر من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التحميط والا كقوله ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطالان اعتقادهم وزعمهم انها شفاعا لهم عند الله تعالى وفيه حكم لهم (ذلك) اى ما دل عليه القليل دلالة واضحة من مثالهم مع حسابهم انهم على شئ (هو الضلال البعيد) عن طريق الحق والصواب اوعن نيل الثواب

بمحققة الحال (النوع الثانى) بما وعد الله تعالى به في هذه الآية قوله ويؤخركم الى اجل مسمى وفيه وجهان (الاول) المعنى انكم ان آمنتم اخر الله موتكم الى اجل مسمى والاعاجلكم بعذاب الاستئصال (الثانى) قال ابن عباس المعنى يمنعكم في الدنيا بالطيبات والذلات الى الموت فان قيل أليس انه تعالى قال فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال ههنا ويؤخركم الى اجل مسمى قلنا قد تكلمنا في هذه المسئلة في سورة الانعام في قوله ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم حكي تعالى ان الرسل لماذكروا هذه الاشياء لاؤلئك الكفار قالوا ان انتم الابشر مثلنا تريدون ان تصدوننا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين واعلم ان هذا الكلام مشتمل على ثلاثة انواع من الشبهة (الشبهة الاولى) ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية فيجتمع ان يبلغ التفاوت بين تلك الاشخاص الى هذا الحد وهو ان يكون الواحد منهم رسولا من عند الله مطلعا على الغيب مخالطا لزمرة الملائكة والباقيون يكونون غافلين عن كل هذا الاحوال وايضا كانوا يقولون ان كنت قد قارفتنا في هذا الاحوال العالية الالهية الشريفة وجب ان تقارفتنا في الاحوال الخسيسة وهى الحاجة الى الاكل والشرب والحديث والواقع وهذه الشبهة هى المراد من قولهم ان انتم الابشر مثلنا (والشبهة الثانية) التعمك بطريقة التقليد وهى انهم وجدوا آباءهم وعلماءهم وكبراءهم مطبقين متفقين على عبادة الاوثان قالوا وبعد ان يقال ان اولئك القدماء على كثرتهم وقوة خواطرهم لم يعرفوا بطلان هذا الدين وان الرجل الواحد عرف فساده ووقف على بطلانه والعوام ربما زادوا في هذا الباب كلاما آخر وذلك ان الرجل العالم اذ ادين ضعف كلام بعض المتقدمين قالوا له ان كلامك انما يظهر صحته لو كان المتقدمون حاضرين اما المناظرة مع الميت فسهلة فهذا كلام يذكره الحق والرعاع واولئك الكفار ايضاذكروه وهذه الشبهة هى المراد من قوله تريدون ان تصدوننا عما كان يعبد آباؤنا (والشبهة الثالثة) ان قالوا المجز لا يدل على الصدق اصلا وان كانوا سلوا على ان المجز يدل على الصدق الا ان الذى جاء به اولئك الرسل طعنوا فيه وزعموا انها امور معتادة وانها ليست من باب المعجزات الخارجة عن قدرة البشر والى هذا النوع من الشبهة الاشارة بقوله فأتونا بسلطان مبين فهذا تفسير هذه

الآية بحسب الوسع والله اعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله ين علي من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا بان الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آتيناونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ اعلم انه تعالى لما حكي عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكي عن الانبياء عليهم السلام جوابهم عنها (اما الشبهة الاولى) وهى قولهم ان انتم الابشر مثلنا فجوابه ان الانبياء سلوا ان الامر كذلك لكنهم بينوا ان التماثل في البشرية والانسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة لان هذا المنصب

(الم تر) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب

وقوله تعالى (ان الله خلق السموات والارض) ساد مسد (٣٣٢) ففعلوها اى الم تعلم انه تعالى خلقهما (بالحق) ملتبسة بالحكمة

والوجه الصحيح الذى يحق ان
تخلق عليه وقرئ خالق السموات
والارض (ان يشاء بكم)
يعلمكم بالمرء (وياتى بخلق جديد)
اى يخلق بخلق اخر مستانفا
لا علاقة بينكم وبينهم رتب
قدرته تعالى على ذلك على قدرته
تعالى على خلق السموات والارض
على هذا الخط البديع ارشادا
الى طريق الاستدلال فان من
قدر على خلق مثل هباتك
الاجرام العظيمة كان على تدبير
خلق آخرهم اقدر ولذلك
قال (وما ذلك) اى اذ هاتكم
والايمان بخلق جديد مكانكم
(على الله بغير يز) يعتمد او
متعسر فانه قادر لذاته على جميع
الممكنات لا اختصاص له بتقدير
دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق
بأن يؤمن به ويرى نوابه ويحشى
عقابه (وبرؤا لله جميعا) اى
يرزون يوم القيامة وياتر صفة
الماضى للدلالة على تصق وقوعه
كافى قوله سبحانه ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار اولانه لامضى
ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه
والمراد بوزهم من قبورهم
لا مراثى الله ومحاسنه اوله
على ظنهم فانهم كانوا يظنون
عند ارتكابهم الفواحش سرا
انها تخفى على الله سبحانه فاذا
كان يوم القيامة انكشفوا الله عند
انفسهم (فقال الضعفاء) الاتباع
جمع ضعيف المراد ضعف الرأى
وانما كتب بالواو على لفظ من
يفهم الانقباض الهمزة للذين
استكبروا) لروا عنهم الذين
استمعوهم واستفوهوهم (ان اكنا)

في الدنيا لكم بما في تكذيب الرسل عليهم السلام والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كقبح في جمع غائب او مصدر نعت به (بهذه)

مبالغة او على امتار اى ذوى تبع (فهل اتم مفتون) (٣٣٣) دافعون (عنا) والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ

والغتاب والتفريع والتبكيث

(من عذاب الله من نبي) من

الاولى لبيان واقعة موقع

الحال والثانية للتبعض واقعة

موقع المقول اى بعض

الشيء الذى هو عذاب الله تعالى

ويتصور كونهما للتبعض اى

بعض شئ هو بعض عذاب الله

والاعراب كما سبق ويجوز ان

تكون الاولى مفعولا والثانية

مصدرا اى فهل اتم مفتون عنا

بعض العذاب بعض الاغناء

ويتخذ الاول قوله تعالى فهل

اتم مفتون عنا نصيبا من النار

(قالوا) اى المستكبرون جوابا

من معاتبة الاتباع واعتذرا

عما فعلوا بهم (لوهذا الله) اى

للايمان وقتاله (لهديناكم)

ولكن مثلنا فاعلمناكم اى اخترنا

لكم ما اخترناه لانفسنا اولوهذا

الله طريق النجاة من العذاب

لهديناكم واغنيا عنكم كما

عرضناكم له ولكن سددوا

طريق الخلاص ولا تنصص

(سواء علينا اجرنا) عاقلينا

(اصبرنا) على ذلك اى مستو

علينا الجزع والصبر فى عدم

الانجاء والهمزة وام لساكيد

التسوية كما فى قوله تعالى سواء

عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم واما

استدوهم ونسوا استواءهما

الى ضمير المتكلم المنتظم للاضاطين

ايضا مبالغة فى النهي عن التوبيخ

باعلم انهم شركاءهم فيما ابتلوا

به وتولية لهم ويجوز ان يكون

قوله سواء علينا الخ من كلام

الفرقيين على منوال قوله تعالى

ليعلم انهم اخوتهم ويؤيده ما روى

انهم يقولون تسالوا انجزع

فيعبرون خمسمائة عام فلا

الاتباع من باب الجزع ذيلوا

بهذه الدرجات الروحانية والمعارف الالهية الربانية فكيف يليق بنان لاتوكل على الله بل اللائق بنان لاتوكل الاعليه ولانقول فى تحصيل المهات الاعليه فان فاز بشرف العبودية ووصل الى مقام الاخلاص والمكاشفة يقبح به ان يرجع فى امر من الامور الى غير الحق سواء كان ملكا او ملكا او روحا او جسما وهذه الآية دالة على انه تعالى يعصم اوليائه المختصين فى عبوديته من كيد اعدائهم ومكرهم ثم قالوا ولنصبرن على ما آذيتونا فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخبرات والحق لا بد وان يصير غالبا ظاهرا والباطل لا بد وان يصير مغلوبا مقهورا ثم اعادوا قولهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون والفائدة فيه انهم امروا انفسهم بالتوكل على الله فى قوله وما لنا ان لاتوكل على الله ثم لما فرغوا من انفسهم امروا بالتابعه بذلك وقالوا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وذلك بدل على ان الامر بالخير لا يؤثر قوله الا اذا اتى بذلك اخيرا ولا يورث فى كلام الشيخ ابى حامد الغزالي رحمه الله فضلا حسنا وحاصله ان الانسان امانا يكون ناقصا او كاملا او خاليا عن الوصفين اما الناقص فاما ان يكون ناقصا فى ذاته ولكنه لاسبى فى تقصص حال غيره واما ان يكون ناقصا ويكون مع ذلك ساعيا فى تقصص حال الغير فالاول هو الضال والثانى هو الضال المضل واما الكامل فاما ان يكون كاملا ولا يقدر على تكميل الغير وهم الاولياء واما ان يكون كاملا ويقدر على تكميل الناقصين وهم الانبياء ولذلك قال عليه السلام علماء امتى كانوا بنى اسرائيل ولما كانت مراتب نقصان والكمال ومراتب الاكمال والاضلال غير متناهية بحسب الكمية والكيفية لاجرم كانت مراتب الولاية والحياة غير متناهية بحسب الكمال والنقصان قالوا هو الانسان الكامل الذى لا يقوى على التكميل والنبي هو الانسان الكامل المكمل ثم قد تكون قوته الروحانية النفسانية وافية بتكميل انسانين ناقصين وقد تكون اقوى من ذلك فبقي بتكميل عشرة ومائة وقد تكون تلك القوة قاهرة قوية تؤثر تأثير الشمس فى العالم فيقلب ارواح اكثر اهل العالم من مقام الجهل الى مقام المعرفة ومن طلب الدنيا الى طلب الآخرة وذلك مثل روح محمد صلى الله عليه وسلم فان وقت ظهوره كان العالم مملوا من اليهود اكثرهم كانوا مشبهة ومن النصارى وهم حلولية ومن الجوس وقبح مذاهبهم ظاهرون من عبدة الاوثان ومخف دينهم اظهرون ان يحتاج الى بيان لما ظهرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم سررت قوة روحه فى الارواح فقلب اكثر اهل العالم من الشرك الى التوحيد ومن الجسم الى التنزيه ومن الاستغراق فى طلب الدنيا الى التوجه الى عالم الآخرة فمن هذا المقام يتكشف للانسان مقام النبوة والرسالة اذا عرفت هذا فنقول قوله وما لنا ان لاتوكل على الله اشارة الى ما كانت حاصلة لهم من كالات نفوسهم وقولهم فى آخر الامر وعلى الله فليتوكل المتوكلون اشارة الى تأثير ارواحهم الكاملة فى تكميل الارواح الناقصة فهذه اسرار عالية مخزونة فى الفاظ القرآن فمن نظر فى علم القرآن وكان غافلا عنها كان محروما من اسرار علوم القرآن والله

يفهمه فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم ففسد ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا

جوابهم ببيان ان لاجدوى في ذلك فقالوا (مالنا من محرم) من مئبي (٣٣٤) ومهر من العذاب من حاص الحار اذا عدل بالفرار

واعلم وفي الآية وجه آخر وهو ان قوله وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون المراد منه ان الذين يطلبون سائر المجزات وجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على الله تعالى لاعلمها فان شامها ظهرها وان شامها بظهرها واما قوله في آخر الآية ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون المراد منه الامر بالتوكل على الله في دفع شر الناس الكفار وسفاهتهم وعلى هذا التقدير فالتكرار غير حاصل لان قوله وعلى الله فليتوكل وارجو في موضعين مختلفين بحسب مقصودين متقاربين وقيل ايضا الاول ذكر لاستحداث التوكل والثاني للسعي في ابقائه وادامته والله اعلم بقوله تعالى (وقال الذين كفروا ارسلمهم لنفخ جنكم من ارضنا اولتعودن في ملتنا قالوا سحي اليهم ربهم لتلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستقصوا وحاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقي من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ) اعلم انه تعالى لما حكى عن الانبياء عليهم السلام انهم اختلفوا في دفع شرور اعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه وحياطه حكى عن الكفار انهم اختلفوا في السفاهة وقالوا لنفخ جنكم من ارضنا اولتعودن في ملتنا والمعنى ليكون احد الامرين لاحالة اما اخر احكم واما عودكم الى ملتنا والسبب فيه ان اهل الحق في كل زمان يكونون قليلين واهل الباطل يكونون كثيرين والظلمة والفسقة يكونون متعاونين متعاضدين فلهذه الاسباب قدروا على هذه السفاهة فان قيل هذا بوجه انهم كانوا على ملتهم في اول الامر حتى يعودوا فيها قلنا الجواب من وجوه (الاول) ان اولئك الانبياء عليهم السلام انما شؤوا في تلك البلاد وكانوا من تلك القبائل وفي اول الامر ما ظهرها والمخالفة مع اولئك الكفار بل كانوا في ظاهر الامر معهم من غير اظهار مخالفة فالتقوم ظنوا لهذا السبب انهم كانوا في اول الامر على دينهم فلهذا السبب قالوا اولتعودن في ملتنا (الوجه الثاني) ان هذا حكاية كلام الكفار ولا يجب في كل ما قالوه ان يكونوا صادقين فيه فلعلمهم توهمو ذلك مع انه ما كان الامر كما توهمو (والثالث) لعل الخطاب وان كان في الظاهر مع الرسل الان المقصود بهذا الخطاب اتباعهم واصحابهم ولا بأس ان يقال انهم كانوا قبل ذلك الوقت على دين اولئك الكفار (الرابع) قال صاحب الكشف العود بمعنى الصيرورة كثير في كلام العرب (الخامس) لعل اولئك الانبياء كانوا قبل ارسالهم على ملّة من الملل ثم اتاه تعالى اوحي اليهم بتمسك تلك الملّة وامرهم بشريعة اخرى وبقي الاقوام على تلك الشريعة التي صارت منسوخة بمصرين على سبيل الكفر وعلى هذا التقدير فلا يبعد ان يطلبوا من الانبياء ان يعودوا الى تلك الملّة (السادس) لا يبعد ان يكون المعنى اولتعودن في ملتنا اي الى ما كنتم عليه قبل اداء الرسالة من السكوت عن ذكر معاييد ديننا وعدم التعرض له بالظعن والقدح وعلى جميع هذه الوجوه فالسؤال زائل والله اعلم واعلم ان الكفار

وهو اما اسم مكان كما لميت والمصيف او مصدر كالغيب والمشيّب وهي جبهة مفترسة لاجال ما فيه الاستواء فلا يحمل لهما من الاعراب احوال مؤكدة او بدل منه (وقال الشيطان) الذي اضلل كلا الفريقين واستنهما عندما عتياه عاقاله الاتباع المستكبرين (لما قضى الامر) اى احكم وفرغ منه وهو الحجاب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين (ان الله وعدهم وعد الحق) اى وعدهم حق ان ينزع فائمه او وعده ان يجزه وهو الوعد بالثبوت والجزاء (ووعدهم اى وعده الباطل وهو ان لا يثبت ولا جزا او لئلا كان فالصنام شعفاؤكم ولم يصرح بطلانه لئلا يلد عليه قول (فاختلنكم) اى موعده على حذف المفعول الثاني اى نقصته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كما انه كان قادرا على انجازه وائى له ذلك (وما كان في عليكم من سلطان) اى تسلط او حجة تدل على صدق (الان دعوتكم) الادعاء اياكم اليه وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في مبرز على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفى السلطان عن نفسه كما انه قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجردا لطلبه بابه ويجوز كون الاستئناس طلبا (فاستجبني) فاستجب اجابني (فلا تمولوني) وعدى اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالاء كما يدل عليه القاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما قاله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم (ولوموا انفسكم) حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل (ذكروا)

بمجرد تزيير وتسويل ولم تسجيّبوا بركم اذ دعاءكم الحق (٣٣٥) المقرونة بالبنات والجميع وليس مراده التوصل عن توجه اللائمة

اليه بالمرّة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدومه الكسابة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يحلّق افعاله حسبما يختار له وعليه ترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستعصى ان يقبل فلا تلاموني ولا أشككم فان الله قضى عليكم الكفر والجبرك عليه مبنى على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية (ما انا بمصرخكم) اى يغيثكم بما اتم فيه من العذاب (وما اتم مصرخى) بما انا فيه وما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال بمبالغة في بيان عدم اصراره اياهم واذا بان انه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به وحتاج الى الاصرار فكيف من اصرار الفيلولذلك آثر الجملة الاسمية فكانه ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريدهم وهذا جواب عن استفتائهم واستعانتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وفري بكرة الباء (اى كفرت) اليوم (بما اشركتوني من قبل) اى اشراكم اى بمعنى تيرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم بينى ان اشرأكلكم بالله سبحانه هو الذى يطعمكم فى نصرتكم بأن كان لكم على حق حيث جعلتوني معبودا وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم اجد له ولم اقبله منكم بل تيرأت منه ومنكم فلم يسبق بينى وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ايتت السجود لآدم

ذكروا هذا الكلام قال تعالى فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم قال صاحب الكشف لنهلكن الظالمين حكاية تقتضى اضمار القول او اجراء الاتحاد بجرى القول لانه ضرب منه قرأ ابوحية ليهلكن الظالمين وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى فان هذا اللفظ لفظ الغيبة ونظيره قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونظيره قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أدى جاره اورثه الله داره واعلم ان هذه الآية تدل على ان من توكل على ربه في دفع عدوه كفاه الله امره عدوه ثم قال تعالى ذلك لمن خاف مقامى وخاف عيد قوله ذلك اشار الى ان ما قضى الله تعالى به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اثر ذلك الامر حق لمن خاف مقامى وفيه وجوه (الاول) المراد موقفى وهو موقف الحساب لان ذلك الموقف موقف الله تعالى الذى يقف فيه عباده يوم القيامة ونظيره قوله وامان خاف مقام ربه وقوله ومن خاف مقام ربه جنتان (الثانى) ان المقام مصدر كالقيام يقال قام فقاما ومقاما قال الفراء ذلك لمن خاف قياى عليه ومراقبتي اياه كقوله ائن هو قائم على كل نفس بما كسبت (الثالث) ذلك لمن خاف مقامى اى اقامتى على العدل والصواب فانه تعالى لا يقضى الا بالحق ولا يحكم الا بالعدل وهو تعالى مقيم على العدل لا يميل عنه ولا يخوف البتة (الرابع) ذلك لمن خاف مقامى اى مقام العائد عندى وهو من باب اضافة المصدر الى المفعول (الخامس) ذلك لمن خاف مقامى اى لمن خافى وذكر المقام ههنا مثل ما يقال سلام الله على المجلس الثلاثى العالى والمراد سلام الله على فلان فكذا ههنا ثم قال تعالى وخاف وعيد قال الواحدى الوعيد اسم من اوعد ايعادا وهو التهديد قال ابن عباس خاف ما واعدت من العذاب واعلم انه تعالى ذكر اولا قوله ذلك لمن خاف مقامى ثم عطف عليه قوله وخاف وعيد فهذا يقتضى ان يكون الخوف من الله تعالى مغايرا للخوف من وعيد الله ونظيره ان حب الله تعالى مغاير لحب ثواب الله وهذا مقام شريف عال فى اسرار الحكمة والتصديق ثم قال تعالى واستغفروا فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) للاستغناح ههنا معنيان احدهما طلب الفتح بالنصرة فقوله واستغفروا اى واستنصروا الله على اعدائهم فهو كقوله ان تستغفروا فقد جاءكم الفتح والثانى الفتح بالحكم والقضاء فقوله ربنا واستغفروا اى واستنصروا الله وسألوه القضاء بينهم وهو مأخوذ من الفتحاحة وهى الحكومة كقوله ربنا اقض بيننا وبين قومنا بالحق اذا عرفت هذا فنقول كلا القولين ذكره المفسرون اما على القول الاول فالمستغفرون هم الرسل وذلك لانهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما لبسوا من ايمانهم قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس الآية وقال لوط رب انصرنى على القوم المفسدين واما على القول الثانى وهو طلب الحكومة والقضاء

بالذى اشركتوني وهو الله تعالى كما في قوله سبحانه ما ضركن لنا فيكون تليسا لعدم اصراره فان الكاف

بأنه سبحانه يعزل من اللاتاة والاعانة سواء كان ذلك بالمداخلة (٣٣٦) والشفاعة واما جعله تمليلا لعدم امراهم اياه فلا وجه له

فالاولى ان يكون المستفتون هم الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا ومنه قول كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وكقول آخرين اننا بعذاب الله ان كنت من الصادقين (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشف قوله واستفتخوا معطوف على قوله اوحى عليهم وقرئ واستفتخوا بلفظ الامر وعطفه على قوله لنهلكن اى اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتخوا ثم قال تعالى وخاب كل جبار عنيد وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) ان قلنا المستفتون هم الرسل كان المعنى ان الرسل استفتخوا فنصروا وظفروا بمقصودهم ونازوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وان قلنا المستفتون هم الكفرة فكان المعنى ان الكفار استفتخوا على الرسل فلما منهم انهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم وما اطلع بسبب استفتاحه على الرسل (المسئلة الثانية) الجبار ههنا المتكبر على طاعة الله تعالى وعبادته ومنه قوله تعالى ولم يكن جبارا عصيا قال ابو عبيدة عن الاخر يقال فيه جبرية وقجيرة وجبروت وجورة وحكى الزجاج الجبرية والجبر بكسر الجيم والباء والتجبار والجبر ياء قال الواحدى فهى ثمان لغات فى مصدر الجبار وفى الحديث ان امرأة حضرت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها امرأتان عليه فقال دعوهما فانها جبارة اى مستكبرة واما العنيد فقد اختلف اهل اللغة فى اشتقاقه قال النضر بن شميل العنود بالخلاف والتباعدو التزلزل قال غيره اصله من العند وهو الناحية يقال فلان بمشى هذا اى ناحية فمضى عانده وعند اخذ فى ناحية معرضا وعانده فلان فلانا اذا جابته وكان منه على ناحية اذا عرفت هذا فقول كونه جبارا متكبرا اشارة الى الخلق النفسانى وكونه عنيدا اشارة الى الاثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجابا عن الحق مغفرا عنه ولا شك ان الانسان الذى يكون خلقه هو التجبر والتكبر وفعله هو العنود وهو الانحراف عن الحق والصدق كان خائبا عن كل الخيرات خاسرا عن جميع اقسام السعادات واعلم انه تعالى لما حكم عليه بالخيبة ووصفه بكونه جبارا عندا وصف كيفية عذابه بأموال الاول قوله من ورأه جهنم وفيه اشكال وهو ان المراد امامه جهنم فكيف اطلق لفظ الوراء على القدام والامام واجابوا عنه من وجوه (الاول) ان لفظ وراء اسم لما يورى عنك وقدام وخلف متوار عنك فصح اطلاق لفظ وراء على كل واحد منهما قال الشاعر

عسى الكرب الذى امسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

ويقال ايضا الموت وراء كل احد الثانى قال ابو عبيدة وابن السكيت الوراء من الاضداد يقع على الخلف والقدام والسبب فيه ان كل ما كان خلفا فانه يجوز ان يتقلب قداما وبالعكس فلا جرم جاز وقوع لفظ الوراء على القدام ومنه قوله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ اى امامهم ويقال الموت من وراء الانسان (الثانى) قال ابن الانبارى وراء بمعنى بعد قال الشاعر * وليس وراء الله لمرء مذهب * اى وليس بعد الله مذهب اذا

اذلا احتمال له حتى يحتاج الى التليل ولان تليل عدم امراهم يكفره يومهم انهم يسيل من ذلك لولا المانع من جهته (ان الظالمين لهم عذاب اليم) ثقة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفى حكاية امثاله لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم (وادخل الذين آمنوا وعلوا الصلوات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم) اى بأمره او بتوفيقه وهدايته وفى النضر لوصفه ربوبية مع الاضافة الى ضميره اظهار مزيد اللطف بهم والمداخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلق بقوله تعالى (تحميت فيها سلام) اى يحميه الملائكة بالسلام باذن ربهم (المتر) الخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقد علق ما بعده من قوله تعالى (كيف ضرب الله مثلا) اى كيف اعتده ووضعه فى موضعه (الاثني به) كلمة طيبة منصوب بضمى اى جعل كلمة طيبة هى كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالسبحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة) اى حكم بانها مثله لانه تعالى صبرها مثله فى الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا فكذلك شرف الامير زيد اسما حلة وجهه على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفها او خير مبتدا محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مقعولى ضرب اجراءه مجرى جعل قدأخر

عن ثانيهما اعمى مثلا لئلا يبعد من صفته التى هى كشجرة وقد قرئت بالرفع على الابتداء (اصلها ثابت) (ثبت)

اي ضارب بعروقه في الارض وقرأ انس بن مالك رضي الله (٣٣٧) عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها وقناة الجماعة اقوى سكاوا نسب

بقرينته اعني قوله تعالى (وفرعها)
اي اعلاها (في السماء) في جهة
العلو ويمر ان راد فروعها
على الاكتفاء بلفظ الجنس عن
الجمع (ذؤى أكسها) تعطي
ثمرها (كل حين) وقته الله تعالى
لانها (باذن ربها) بإرادة
خالقها والمراد بالشجرة المنوعة
اما النخلة كما روى مرفوعا او
شجرة في الجنة (ويضرب الله
الامثال للناس لعلهم يتذكرون)
لان في ضربها زيادة الفهم وتذكير
فانه تصور المعاني بصورة
المحسوسات (ومثل كل نخلة)
هي كل الكفر والدعاء اليه او
تكذيب الحق او ما يعم الكل او
كل كل قبحة (كشجرة خبيثة)
اي كمثل شجرة خبيثة قيل هي
كل شجرة لا يطيب ثمرها
كالنخل والكثوث ونحوهما
وتغيير الاسلوب للايدان بأن
ذلك غير مقصود الضرب والبيان
وانما ذلك اسطرار يرفعه كل
واحد (اجثلت) استوصلت
واخذت جذبا الكلية (من فوق
الارض) لكونه فوقها قريبة
منه (ماله من قرار) استقرار
عليها (يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت) الذي ثبت بالحجة
عندهم (ويمكن في قلوبهم وهو
الكلية الطيبة التي ذكرت صفاتها
العصية) (في الحياة الدنيا) فلا
يزالون منه اذا اقتنوا في دينهم
سكزكريا ويحيى وجرجيس
وشمسون والذين قتلهم اصحاب
الاخود (وفي الآخرة) فلا
يتطهون اذا سلخوا عن معتقدهم
في الوقت ولا تشبه احوال
القيامة او عند سؤال القبر روى

ثبت هذا فنقول انه تعالى حكم عليه بالخمية في قوله وخاب كل جبار عند ثم قال
من ورائه جهنم اي ومن بعده الخمية يدخل جهنم (النوع الثاني) ما ذكره الله تعالى
من احوال هذا الكافر قوله ويسقي من ماء صديد يجرعه ولا يكاد يسيغه وفيه سؤالات
(السؤال الاول) علام عطف ويسقي الجواب على محذوف تقديره من ورائه جهنم بلقي
فيها ويسقي من ماء صديد (السؤال الثاني) عذاب اهل النار من وجوه كثيرة فلم يخص هذه
الحالة بالذكر الجواب يشبه ان تكون هذه الحالة اشدة انواع العذاب فخصص بالذ كرمع
قوله ويأتي الموت من كل مكان وما هو عيت (السؤال الثالث) ما وجه قوله من ماء صديد
الجواب انه عطف بيان والتقدير انه لما قال ويسقي من ماء فكأنه قيل وما ذلك الماء
فقال صديد والصديد ما يسيل من جلود اهل النار وقبل التقدير ويسقي من ماء كالصديد
وذلك بأن يخلق الله تعالى في جهنم ما يشبه الصديد في اللون والغلظ والقدرة وها ايضا
يكون في نفسه صديدا لان كراهته تصد عن تناوله وهو كقوله وسقوا ماء حيا قطع
امعاءهم وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب (السؤال
الرابع) ما معنى يجرعه ولا يكاد يسيغه الجواب التجرع تناول المشروب جرعة جرعة
على الاستمرار ويقال ساغ الشراب في الخلق يسوغ سوغا وساغه اساغه واعلم ان يكاد
فيه قولان (احدهما) ان فيه اثبات واثباته نفي فقوله ولا يكاد يسيغه اي ويسيقه بعد
إبطاء لان العرب تقول ما كدت اقوم اي قمت بعد إبطاء قال تعالى فذبحوها وما كادوا
يعلمون يعني فعلوا بعد إبطاء والدليل على حصول الاساغة قوله تعالى يصبر به
ما في بطونهم والجلود ولا يحصل الصبر الا بعد الاساغة وايضا فان قوله يجرعه يدل على
انهم اساغوا الشيء بعد الشيء فكيف يصح ان يقال بعده انه يسيغه البتة (والقول الثاني)
ان كاد للمقاربة فقوله لا يكاد لنفي المقاربة يعني ولم يقارب ان يسيغه فكيف يحصل
الاساغة كقوله تعالى لم يكذب راها اي لم يقرب من رؤسها فكيف راها فان قيل فقد ذكرت
الدليل على حصول الاساغة فكيف الجمع بينه وبين هذا الوجه قلنا عن جوابان
احدهما ان المعنى ولا يساغ جميعه كما انه يجرع البعض وما ساغ الجميع (الثاني ان
الدليل الذي ذكرتم انما يدل على وصول بعض ذلك الشراب الى جوف الكافر الا ان ذلك
ليس باساغة لان الاساغة في اللغة اجراء الشراب في الخلق بقبول النفس واستطابة
المشروب والكافر يجرع ذلك الشراب على كراهية ولا يسيغه اي لا يستطيبه ولا يشربه
شرابا مرة واحدة وعلى هذين الوجهين يصح حل لا يكاد على نفي المقاربة والله اعلم (النوع
الثالث) ما ذكره الله تعالى في وعيد هذا الكافر قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو
يميت والمعنى ان موجبات الموت احاطت به من جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت
وقيل من كل جزء من اجزاء جسده (النوع الرابع) قوله ومن ورائه عذاب غليظ وفيه
وجهان الاول ان المراد من العذاب الغليظ كونه دائما غير منقطع الثاني انه في كل وقت

انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض (٤٣) (را) (خا) روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيأسلانه

في قوله فيقولان من ربك ومادريك ومن نبيك فيقول ربى (٣٣٨) الله ودينى الاسلام ونبى محمد عليه الصلاة والسلام فينادى مناد من

السماء انه صدق عيسى فذلك قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا مثال ابتاء الشجرة المذكورة أكلها كل حين قال الشعبي في تفسيره اخبرني ابو القاسم بن حبيب في سنة ست وعشرين وثلاثمائة قال سمعت ابا الطيب محمد بن علي الحياطي يقول سمعت سهل بن عمار العملي يقول رأيت يزيد ابن هرون في منامى بعد موته قلت ما فعل الله بك قال أنا في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فأخذت بلحيتي البيضاء فقلت لهما ألتى يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما عشرين سنة فذهبا (ويضلل الله الظالمين) أى يخلق فيهم الضلال عن الحق الذى ثبت المؤمن عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرته الله التى فطر الناس عليها فلا يهندوا الى القول الثابت اوكل من ظلم نفسه بالافتقار على التقليد والامراض عن البينات الواضحة فلا تثبت في مواقف الفتن ولا يهتدى الى الحق فالمراد بالذين آمنوا حيثئذ المخلصون في الايمان الراسخون في الايمان كما ينبى عنه التثبيت لكنه بهم كون كلمة التوحيد اذا كانت لا عن إيمان باخلة تمتح مالا قرأه من الشجرة فالحزب وبقته ملا (ويضلل الله ما يشاء) من تثبيت بعض وازلال آخرين حججا توجه به مشيئته السابعة للحكم البالغة المختصية لذلك وفي انقهار الاسم الجليل في الموضوعين من الفخامة وتورية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من

(وانما)

من

الايدان بالتفاوت في مبدأ التثبيت والاضلال فان مبدأ (٣٣٩) صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلا غير ما هو مبدأ

صدور الآخر (المرت) تعجب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ولكل احدا صنع الكفر من
 الاطيل التي لا تتكد تصد عن
 له ادنى ادر الاى الم تنظر الى
 الذين بدلوا نعمة الله اى شكر
 نعمته تعالى بأن وضعوا موضع
 (كفرا) عظاما وعظاما او بدلوا
 نفس النعمة كفرا فاتهم لما كفروا
 سلبوا فافساروا مستبدلين بها
 ككرا كما هل مكتحيت خلقهم الله
 سبحانه واسكنهم حرمة الا من
 الذى يحى اليه نجات كل شئ
 وجعلهم قوم بينه وشرفهم
 يحمده عليه الصلاة والسلام
 فكفروا ذلك فحطوا سبع سنين
 وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا
 اذلا مسلوبى النعمة باين بالكفر
 بدلها وعن عمر وعلى رضى الله
 عنهم اهل الاخيران من فريش
 بنو الميرة وبنو اسية ما بنوا الميرة
 فكفروهم يوم بدر وما بنوا مية
 فتمتوا الى حين كاشما يتاولان
 ما سبى من قوله عز وجل قل
 نتمنوا الاية (وأطوا) اى
 ازلوا (قومهم) بارشادهم اياهم
 الى طريقة الشرك والاضلال وعدم
 التمسك لحوالهم لدلالة الاحلال
 عليه اذ هو فرع الحلول كقوله
 تعالى يقدم قومه يوم القيامة
 فأوردهم النار (دار البوار)
 دار الهلاك الذى لا هلاك وراءه
 (جهنم) عطف بيان لها وفى
 الالهام ثم البيان مالا يخفى من
 التحويل (يصلوها) حال منها
 من قومهم اى داخلين فيها مقاسين
 لحرا او استنكاف لبيان كيفية
 الحلول او مفسر لقولهم بقدر
 ناصب الجحيم فالمراد بالاحلال
 المذكور حيث شذ تعريضهم للهلاك بالقتل والامر لكن قوله تعالى قل تمتموا فان مصيركم الى النار السب بالتفسير الاول

واما السكور لربحها قال القراء وان شئت قلت في يوم ذى عصف وان شئت قلت
 في يوم عاصف الريح خفف ذكر الريح لكونه مذكورا قبل ذلك وقرئ في يوم عاصف
 بالاضافة (المسئلة الرابعة) قوله لا يقدرון بما كسبوا على شئ اى لا يقدرون بما كسبوا
 على شئ متعقبة لافى الدنيا ولاقى الآخرة وذلك لانه ضاع بالكلية وفسدوا هذه الآية
 دالة على كون العبد مكتسبا لافعاله واعلم انه تعالى لما تم هذا المثال قال الم تر ان الله خلق
 السموات والارض بالحق وفيه مسائل (المسئلة الاولى) وجه النظم انه تعالى لما بين ان
 اعمالهم تصير باطلة ضائعة بين ان ذلك البطلان والاحباط انما جاء بسبب صدر منهم وهو
 كفرهم واعراضهم عن العبودية فان الله تعالى لا يبطل اعمال المخلصين ابتداء وكرب
 يلحق بحكمته ان يفعل ذلك وانه تعالى ما خلق كل هذا العالم الا لداعية الحكمة
 والصواب (المسئلة الثانية) قرأ حزة والكسائى خالق السموات والارض على اسم
 الفاعل على انه خبر ان السموات والارض على الاضافة كقوله فاطر السموات
 والارض فائق الاصباح وجاعل الليل سكنا والباقون خلق على فعل الماضى السموات
 والارض بالنصب لانه مفعول (المسئلة الثالثة) قوله بالحق نظير لقوله في سورة يونس
 ما خلق الله ذلك الا بالحق ولقوله في آل عمران ربنا ما خلقت هذا باطلا ولقوله في ص
 وما خلقتنا السماء والارض وما بينهما باطلا اما اهل السنة فيقولون الا بالحق وهو
 دلالة على وجود الصانع وعلمه وقدرته واما المعتزلة فيقولون الا بالحق اى لم يخلق ذلك
 عبثا بل لغرض صحيح ثم قال تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد والمعنى ان من كان
 قادرا على خلق السموات والارض بالحق فبأن يقدر على افناء قوم وامانتهم وعلى ايجاد
 آخرين واحباثهم كان أولى لان القادر على الاصبغ الاعظم بأن يكون قادرا على
 الاسهل الاضعف أولى قال ابن عباس هذا الخطاب مع كفار مكة يريد امينكم يا معشر
 الكفار واخلق قوما خيرا منكم واطوع منكم ثم قال وما ذلك على الله بعزيز اى منيع
 لما ذكرنا ان القادر على افناء كل العالم وايجادهم بأن يكون قادرا على افناء اشخاص
 مخصوصين وايجاد امثالهم اولى واخرى والله اعلم بقوله تعالى (وبرزوا لله جميعا فقال
 الضعفاء الذين استكبروا انا كنا لكم نعا فضل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ) قالوا
 لو هذا نال الله لهديناكم سواء علينا نجز عنا من صبرنا ما لنا من محيص) اعلم انه تعالى لما ذكر
 اصناف عذاب هؤلاء الكفار ثم ذكر عقيبه ان اعمالهم تصير محبطة باطلة ذكر في هذه
 الآية كيفية خيبتهم عند تمسك اتباعهم بهم وكيفية افتضاحهم عندهم وهذا اشارة
 الى العذاب الروحاني الحاصل بسبب الفضيلة والخيالة وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
 برز معناه فى اللغة ظهر بعد الخفاء ومنه يقال للمكان الواسع البراز لظهوره وقبل في قوله
 وترى الارض بارزة اى ظاهرة لا يستترها شئ وامرأة برزة اذا كانت تظهر للناس ويقال
 برز فلان على اقرانه اذا قامهم وسبقهم واصله فى الخيل اذا سبق احدها قبل برز عليها كأنه

المذكور حيث شذ تعريضهم للهلاك بالقتل والامر لكن قوله تعالى قل تمتموا فان مصيركم الى النار السب بالتفسير الاول

(وبئس القرار) على حذف المخصوص بالذم أى بئس القرجهنم (٣٤٠) وبئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان أن حلولهم وصليهم على

خرج من غمارها فظهر اذا عرفت هذا فنقول ههنا بالبحاث (البحث الاول) قوله وبرزوا ورد بلفظ الماضي وان كان معناه الاستقبال لان كل ما أخبر الله تعالى عنه فهو صدق وحق فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود ونظيره قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة (البحث الثانى) قد ذكرنا ان البروز في اللغة عبارة عن الظهور بعد الاستتار وهذا في حق الله تعالى محال فلا يبدى من التأويل وهو من وجوه (الاول) انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية (الثانى) انهم خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (الثالث) وهو تأويل الحكماء ان النفس اذا فارقت الجسد فتكأنه زال الغطاء والوطاء وبقيت مجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها وذلك هو البروز لله (البحث الثالث) قال ابو بكر الاصم قوله وبرزوا لله قريب المراد من قوله في الآية السابقة ومن رواه عذاب غليظ واعلم ان قوله وبرزوا لله قريب من قوله يوم تلى السرائر فانه من قوته ولا ناصر وذلك لان البواطن تظهر في ذلك اليوم والاحوال الكامنة ينكشف فان كانوا من السعداء برزوا للحاكم الحكيم بصفاتهم القدسية واحوالهم العلوية وجوههم المشرقة وارواحهم الصافية المستنيرة فيقبل لها نور الجلال ويعظم فيها اشراق عالم القدس فالجل تلك الاحوال وان كانوا من الاشقياء برزوا لموقف العظمة ومناسل الكبرياء ذليلين مهينين خاضعين خاشعين واقعين في خزي الخجالة ومذلة الضعيفة وموقف المهانة والفرح نعوذ بالله منهم حتى الله تعالى ان الضعفاء يقولون للرؤساء هل تقدر ان تدفع عذاب الله عنا والمعنى انه اعلمنا اننا نعلم ان هذا اليوم ثم ان الرؤساء يعترفون بالخزي والعجز والنذل قالوا اسواء علينا امرنا صبرنا ما نمان عذاب الله من محبس ومن المعلوم ان اعتراف الرؤساء والسادة والمتبعين بمثل هذا العجز والخزي والنكال يوجب الخجالة العظيمة والخزي الكامل التام فكان المقصود من ذكر هذه الآية استيلاء عذاب الضعيفة والخجالة والخزي عليهم مع ما تقدم ذكره من سائر وجوه انواع العذاب والعقاب نعوذ بالله منها والله اعلم (المسئلة الثانية) كتبوا الضعفاء واو قبل الهزيمة في بعض المصاحف والسبب فيه انه كتب على لفظين يفهم الالف قبل الهزيمة فيعلمها الى الواو ونظيره علماء بنى اسرائيل (المسئلة الثالثة) الضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا هم السادة والكبراء قال ابن عباس المراد اكابرهم الذين استكبروا عن عبادة الله تعالى انا كنا لكم تبعاً في الدنيا قال الفراء واكثر اهل اللغة التسع جمع تابع مثل خادم وخدم وبارق وقر وحارس وحرس وراصد ورصد قال الزجاج وجاز ان يكون مصدر اسمى به أى كذا نوى تبع واعلم ان هذه التبعية يحتمل ان يقال المراد منها التبعية في الكفر ويحتمل ان يكون المراد منها التبعية في احوال الدنيا فهل انتم مغنون عن عذاب الله من شئ أى هل يمكنكم دفع عذاب

وجه الدوام والاستمرار (وجعلوا) عطف على احلوا واما عطف عليه داخل معهما في حين الصلة وحكم التجيب أى جعلوا في اعتقادهم وحكمهم (لله) الفرد الصمد الذى ليس كشيء وهو الواحد القهار (انداد) اشياء في التسمية او في العباد (ليضلوا) قومهم الذين يشاء يعونهم حسبما ضلوا (عن سبيله) القوم الذى هو التوحيد ويوقعهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم فسمي الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدى الى احلالهم دار البوار لثبنته التجيب وتكريره الايدان بأن كل واحد من وضع الكفر موضع الفكر واحال القوم دار البوار واتخذ الانداد للاضلال امر يقتضى منه العجب ولوسيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التجيب من مجموع الهنات الثلاث كافي قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح وايماء كان فليس ذلك غرضاً حقيقياً لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالفرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبية (قل) تهديد الارشاد الضالين الضالين ونعيا عليهم وايداناً بانهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انفعالهم في الباطل وعدم ادعائهم عن ذلك بحال احقاء بأن يضرب عنهم صفها ويطفئ عنهم عيان الفتوة وغلوا وشأنهم ولا يشعروا عنه بل يؤرموا بمبكرته مما لفتة في الغلبة والخذلان ومسارة الى بيان عاقبة الوخية ويقال لهم (تنعموا) بما انتم عليه من الشهوات التى من جهتها (الله)

كفر ان انتم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام (٣٤١) (فان مصيركم الى الجحيم) ليس الا فايد لكم من تعاطي ما يوجب

ذلك ويقتنيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال له حجابيلوح به قوله سبحانه واحلوا قلوبهم دار البوار الخ فهو تعليل للامر بالمأمر وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد مالا يوصف او قل لهم تصورا لحالهم وتعبيرا عما يليقهم الى ذلك تمنعوا ايذانا بأنهم لفرط انفعالهم في التمتع بآهائهم فيه من غير صارف يلوعهم ولا غافل يتيقنهم مأمورون بذلك من قبل أمر الشهوة مدعون لحكمه منقادون لاسره كدأب مأمور ساع في خدمة آتمطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ تعظيلا للامر بل هو جواب شرط ينصب عليه الكلام كما انه قيل هذه حالكم فان دتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لافى الامر (قل لبادي الذين آمنوا) خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيون لو غلبت العبودية المولوفن بحقوقها وتركوا العاطف بين الامرين للاذان ببيان حالهما باعتبار القول تهديدا وتشريفا والقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اي قل لهم اقيموا وانفقوا (يقولوا الصلوة وينفقوا عما رزقناهم) اي يداوموا على ذلك وفيه ايدان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعته الى الامتثال بأوامره وقد جوزوا ان يكون القول يقولوا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف في قوله محمد فقد نفس كل نفس * اذا ماخضت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيوا وانفقوا قد افيا مقامهما وليس

الله عنا فان قيل هذا الفرق بين من في قوله من عذاب الله وبينه في قوله من شيء قلنا كلاهما للتبعيض بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو عذاب الله اي بعض عذاب الله وعند هذا حكى الله تعالى عن الذين استكبروا انهم قالوا لو هدا الله لهديناكم وفيه وجوه (الاول) قال ابن عباس معناه لو ارشدنا الله لارشدناكم قال الواحدى معناه انهم اتحدوهم الى الضلال لان الله تعالى اضلهم ولم يهدهم فدعوا اتباعهم الى الضلال ولو هداهم لدعوهم الى الهدى قال صاحب الكشاف لعلمهم قالوا ذلك مع انهم كذبوا فيه ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يوم يمشهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعلم ان المعتزلة لا يجوزون صدور الكذب عن اهل القيامة فكان هذا القول منه مخالفا لاصول مشايخه فلا يقبل منه (الثانى) قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلفظ بنا ربنا واهدنا لهديناكم الى الايمان وذكر القاضي هذا الوجه وزيفه بان قال لا يجوز حل هذا على اللطف لان ذلك قد فعله الله تعالى (الثالث) ان يكون المعنى لو اخلصنا الله من العقاب وهدانا الى طريق الجنة لهديناكم والدليل على ان المراد من الهدى هذا الذى ذكرناه ان هذا هو الذى التجسوه وطلبوه فوجب ان يكون المراد من الهداية هذا المعنى ثم قال سواء علينا اجزنا ام صبرنا اى مستو علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتوسيع ونظيره اصبروا او لاتصبروا سواء عليكم ثم قالوا ما لنا من محيص اى مغيى ومهرب والمحيص فديكون مصدرا كالغيب والتيب ومكانا كالبيت والضيق ويقال حاص عنه وحاض بمعنى واحد والله اعلم وقوله تعالى (وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان ادعوتكم فاستجبتم لى فلاتؤمنونى ولوموا انفسكم ما انابمصر خكم وما انتم بمصرحى انى كفرت بما امرتكمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم) اعلم انه تعالى لما ذكر المناظرة التى وقعت بين الرؤساء والاتباع من كفره الانس ارد فيها بالمناظرة التى وقعت بين الشيطان وبين اتباعه من الانس فقال تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر وفى المراد بقوله لما قضى الامر وجوه (الاول) قال المفسرون اذا استقر اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار اخذ اهل النار فى لوم ابليس وتقريبه فيقوم فى النار فيما بينهم خطيبا ويقول ما اخبر الله عنه بقوله وقال الشيطان لما قضى الامر (الثانى) ان المراد من قوله قضى الامر لما انقضت الحاسبة والقول والاول اولى لان آخر امر اهل القيامة استقرار المطيعين فى الجنة واستقرار الكافرين فى النار ثم يدوم الامر بعد ذلك (القول الثالث) وهو ان مذهبنا ان الفساق من اهل الصلاة يخرجون من النار ويدخلون الجنة فلا بعد ان يكون المراد من قوله لما قضى الامر ذلك الوقت لان فى ذلك الوقت تقطع الاحوال المعترية ولا يحصل بعده الادوام ما حصل قبل ذلك واما الشيطان فالمراد به ابليس لان لفظ الشيطان لفظ مفرد فتناول الواحدوا ابليس

بذاك (سرا وعلائية) منتصبان على المصدية من الأمر المقدر (٣٤٢) لامن جواب الامر المذكور اى انفقوا انفاقى مر

وعلائية والاحب فى الانفاق اخفاء التطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لئلا يسهوا بحال العبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والكون اليها كاهو صنيع الكفرة (من قبل ان يأتى يوم لا يسع فيه) فينتاع القصر ما يتلا فيه قصيره او يقتدى به نفسه والقصور دنى عند المعاضة بارة وتخصيص البيع بالذكر للايمان مع المبالغة فى نفي المقد اذا انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع (ولا خلال) ولا مخالفة فيشفع له خليل او يساعه بما لا يقتدى به نفسه او من قبل ان يأتى يوم لا ترفيه لما لججوا بتسليمه من البيع والمخالفة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه والطاهران من متعلقة بانفقوا وتذكير اتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كافي سورة البقرة من حيث ان كلا من قد ان الشفاعة وما يتبادر به التفسير معاوضة وتبوعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين فى الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعى الى الاتيان بما تبقى عوائده وتدوم فوائده من الانفاق فى سبيل الله عز وجل اومن حيث ان ادخاره المال وترك انفاقه انما يقع خالبا للتجارات والمعاداة فيجب لا يمكن ذلك فى الآخرة فلاجبه لا يدخره الى وقت الموت وتخصيص التأكد بذلك ليل الطباع الى المال وكونها

بجمله على حبه والشفعة ولا يبعد ان يكون تأكيداً لمضمون الامر باقامة الصلاة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون (ازالة)

رأس الشياطين ورئيسهم فحمل اللفظ عليه اولى لاسيا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جمع الله الخلق وقضى بينهم بقول الكافر قد وجد المسلمون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذى اضلنا فأتونه ويسألونه فنعد ذلك يقول هذا القول اما قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم فيه مباحث (الاول) المراد ان الله تعالى وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وتقرير الكلام ان النفس تدعو الى هذه الاحوال النبوية ولا تصور كيفية السعادات الآخروية والكمالات النفسانية والله يدعو اليها ويرغب فيها كما قال والآخرة خير وانى (البحث الثانى) قوله وعد الحق من باب اضافة الشيء الى نفسه كقوله حب الحصيد ومجدد الجامع على قول الكوفيين والمعنى وعدكم الوعد الحق وعلى مذهب البصريين يكون التقدير وعد اليوم الحق او الامر الحق او يكون التقدير وعدكم الحق ثم ذكر المصدر تأكيذا (البحث الثالث) فى الآية اضمار من وجبين (الاول) ان التقدير ان الله وعدكم وعد الحق فصدقكم ووعدتكم فأخلفتكم وحذف ذلك لدلالة تلك الحالة على صدق ذلك الوعد لانهم كانوا يشاهدونها وليس وراء العيان بيان ولانه ذكر فى وعد الشيطان الاخلاف فدل ذلك على الصدق فى وعد الله تعالى (الثانى) ان قوله ووعدتكم فأخلفتكم الوعد يقتضى مفعولا ثانيا وحذف هنا للعلم به والتقدير ووعدتكم ان لاجنة ولا نار ولا حشر ولا حساب اما قوله وما كانى عليكم من سلطان اى قدرة ومكنة وتسلط وقهر فاقهركم على الكفر والمعاصى واحكمكم اليها الا ان دعوتكم اى الادعاءى اياكم الى الضلالة بوسوستى وترتيبى قال النخعيون ليس الدعاء من جنس السلطان قوله الا ان دعوتكم من جنس قولهم ما نصحتهم الا الضرب وقال الواحدى انه استثناء منقطع اى لكن دعوتكم وعندي انه يمكن ان يقال كلمة الاهنا استثناء حقيق لان قدرة الانسان على جعل الغير على عمل من الاعمال تارة يكون بالقهر والقسر وتارة يكون بقوة الداعية فى قلبه بالقاء الوسوس اليه فهذا نوع من انواع التسلط ثم ان ظاهر هذه الآية يدل على ان الشيطان لا قدرة له على تصريع الانسان وعلى تعويج اعضائه وجوارحه وعلى ازالة العقل عنه كما يقوله العوام والخشوية ثم قال فلا تلومونى ولوموا انفسكم بمعنى ما كان منى الا الدعاء والوسوسة وكنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم بحجى انباء الله تعالى فكان من الواجب عليكم ان لا تفتروا بقولى ولا تتلفنوا الى فلان رجعت قولى على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم لاعلى فى هذا الباب وفى الآية مسئلتان (المسئلة الاولى) قالت المتزلة هذه الآية تدل على اشياء (الاول) انه لو كان الكفر والمعصية من الله تعالى لوجب ان يقال فلا تلومونى ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه (الثانى) ظاهر هذه الآية يدل على ان الشيطان لا قدرة له على تصريع الانسان وعلى تعويج اعضائه وعلى

بجمله على حبه والشفعة ولا يبعد ان يكون تأكيداً لمضمون الامر باقامة الصلاة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون (ازالة)

بالاشتغال بالبياعات والحالات كما في قوله (٣٤٣) تعالى واذا رآوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح بينهما على امر ارادة انفي العام

ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطائي هو وقوعه في جواب هل فيه سبغ او خلل (الله) مبتدأ خبره (الذي خلق السموات) وما فيها من الاجرام العلوية (والارض) وما فيها من انواع الحيوانات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى واسر المؤمنين بأقامة مراسم الطاعة شكرا لنعمه شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام الثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام واليمن الجسام حشا للؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المحتلين بها الواضحين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والظهور الاسم الموصول تلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار المبهجة ما لا يحصى من تربية الهابة والدلالة على قوة السلطان (وانزل من السماء) اى السحاب فان كل ما عداك تساء اومن القلك فان المظرمه يتدنى الى السحاب ومنه الى الارض على ما دللت عليه ظواهر النصوص اومن اسباب سخاوية تثير الاجراء الرطبة من اغلاق الارض الى الجو فينفقد سخاها مطرا وايضا كان في ابتدائية (ماء) نوعا من هو المطر وتقدم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ نزوله او تشريفه كالى قولك اعطاه السلطان من خزائنه مالا او ليامر سرارا من القشوف الى المؤخر (فاخرج به) بذلك الماء (من الثمرات) الفائتة للحصر اما لان صيغ الجوع يتشاور بعضها موضع بعض وامالانه اريد بفردا جاعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان (رزقا لكم) تعيشون به وهو بمعنى

ازالة العقل عنه كما تقول الخشوية والعوام (الثالث) ان هذه الآية تدل على ان الانسان لا يجوز ذمه ولومه وعقابه بسبب فعل الغير وعندهذا يظهر انه لا يجوز عقاب اولاد الكفار بسبب كفر آبائهم اجاب بعض الاصحاب عن هذه الوجوه بأن هذا قول من هذا القول فلابحوز التمسك به واجاب الخصم عنه بأنه لو كان هذا القول منه باطلا لبن الله بطلانه واظهر انكاره وايضا فائدة في ذلك اليوم في ذكر هذا الكلام الباطل والقول الفاسد ألا ترى ان قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفنكم كلام حق وقوله وما كان لي عليكم من سلطان قول حق بدليل قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الفاوين (المسئلة الثانية) هذه الآية تدل على ان الشيطان الاصل هو النفس وذلك لان الشيطان بينه ما أتى الابالوسوسة فلول الميل الحاصل بسبب الشهوة والغضب والهوى واخيال لم يكن لو سوسه تأثير الية فدل هذا على ان الشيطان الاصل هو النفس فان قال قائل بينوا الحقيقة الوسوسة قلنا الفعل انما يصدر عن الانسان عند حصول امور اربعة يترتب بعضها على البعض ترتبا لازما طبيعيا وببانه ان اعضاء الانسان بحكم السلامة الاصلية والصلاحيية الطبيعية صالحة للفعل والتك والافدام والاحكام فالحاصل في القلب ميل الى ترجيح الفعل على الترك او بالعكس فانه يمنع صدور الفعل وذلك الميل هو الارادة الجازمة والقصد الجازم ثم ان تلك الارادة الجازمة لا تحصل الا عند حصول علم او اعتقاد او ظن بأن ذلك الفعل سبب لنفع او سبب للضرر فان لم يحصل فيه هذا الاعتقاد لم يحصل الميل لالى الفعل ولا الى الترك فالحاصل ان الانسان اذا احس بشئ ترتب عليه شعوره بكونه ملائمة او بكونه منافرة او بكونه غير ملائم ولا منافر فان حصل الشعور بكونه ملائمة ترتب عليه الميل الى الفعل وان حصل الشعور بكونه منافرة ترتب عليه الميل الى الترك وان لم يحصل لاهذا ولا ذلك لم يحصل الميل لالى ذلك الشئ ولا لالى ضده بل بقي الانسان كما كان وعند حصول ذلك الميل الجازم تصير القدرة مع ذلك الميل موجبة للفعل اذا عرفت هذا فنقول صدور الفعل عن مجموع القدرة والداعي الحاصل امر واجب فلا يكون للشيطان فيه مدخل وحصول تصور كونه خيرا او تصور كونه شرا امر واجب فلا يكون للشيطان فيه مدخل وحصول تصور كونه خيرا او تصور كونه شرا عن مطلق الشعور بذاته امر لازم فلا مدخل للشيطان فيه فليبق للشيطان مدخل في شئ من هذه المقامات الا في ان يذكره شيئا بأن يلقى اليه حديثه مثل ان الانسان كان غافلا عن صورة امرأة فليق الشيطان حديثها في خاطره فالشيطان لا قدرته الا في هذا المقام وهو عين ما حكى الله تعالى عنه انه قال وما كان عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني يعنى ما كان منى الامر هذه الدعوة فاما بقية المراتب فاصدرت منى وما كان لي فيها اثر البتة * بقی فی هذا المقام سؤالان (السؤال الاول)

بعضها موضع بعض وامالانه اريد بفردا جاعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان (رزقا لكم) تعيشون به وهو بمعنى

المرزوق شامل للمطعم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفتت (٣٤٤) من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات

مفعول لاورزقا حالامنه او مصدرا
من اخرج بمعنى رزق او للتبيض
بداول قوله تعالى فاخرجناه
ثمرات كانه قيل ازل من السماء
بعض الماء فأخرج به بعض
الثمرات ليكون بعض رزقكم
اذ لم ينزل من السماء كل الماء
ولا أخرج بالمطر كل الثمر ولا
جعل كل الرزق ثمرا وخروج
الثمرات وان كان عيشة تدعو لرجل
وقدرته لكن جرثوماته تعالى
بافاضة صورها وكيفية ثمرها على
المواد المتجزئة من الماء والثراب
او اودع في الماء قوة فاعلة وفي
الارض قوة قابلة يتولد من
اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر
على إيجاد الاشياء بلا اسباب
ومواد كما يدع نفوس الاسباب
كذلك لما انله تعالى في انشاء
مدرجا من طور الى طور صنائع
وحكما يجدها في الاولى الاصدار
هيرا وسكونها الى العظيم قدرته
ليس ذلك في ابداعها مدفوع قوله
لكم كسفة لقوله رزقا ان اريد به
المرزوق ومفعول به ان اريد به
المصدر كانه قيل رزقا ايكم
(وسفر لكم الفلك) بان اقدركم
على صحتها واستعمالها بما الهكم
كيفية ذلك (لتبرى في البحر)
جريا ناعا لارادتمكم (بأمره)
بعيشته التي تفيض بها كل شيء
وتخصيصه بالذكر للتبصير على
ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال
واستعمال الآلات كما يقرأ
من ظاهر الحال (وسفر لكم
الانهار) ان اريد بها المياه العظيمة
الجارية في الانهار النظام كايروي
اليذكر هاء عند البحر فتفسيرها
جعلها مدنة لانتفاع الناس حيث
يتخذون منها جداول يسبقون

بها زروعهم وجنائهم وما شبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتفسيرها تيسيرها لهم (وسفر لكم

(كان)

الشمس والقمر دائبين) يدأبان في سيرهما واثارتها اصابة (٣٤٥) وخلافة واصلاحه بالماضي بعواملا من المكونات (ومضركم

الليل والنهار) يتعاقبان خلفه
لناتكم ومماشكم ولقد انار
واضاجها ذكر سبحانه وتعالى
انواع النسم الفاضلة عليهم
وابرز كل واحدة منها في جملة
مستقلة تنويرها لسانها وتنبيهها
على رفعة مكانها وتنصيصا على
كون كل منها نعمة جليلة
مستوجبة للشكر وفي التعبير
عن التصريف المتعلق بما ذكر
من الفلك والانهار والشمس
والقمر والليل والنهار بالتضخيم
من الاشعار بما فيها من مصوبة
الماخذورة المثال والدلالة على
عظم السلطان وشدة المحال
مالا يخفى وتأخير تضخيم الشمس
والقمر عن تضخيم ما تقدمه من
الامور المدورة مع ما بينه وبين
خلق السموات من المناسبة
الطاهرة لاستيعاب ذكرها لذكر
الارض المستديرة لذكر ازال
الماد منها اليها الموجب لذكر
اخراج الرزق الذي من جلته
ما يحصل بواسطة الفلك والانوار
او للتفادي عن توهم كون الكل
اعنى خلق السموات والارض
وتضخيم الشمس والقمر نعمة
واحدة كما مر في قصة البقرة
(وآتاكم من كل ما سألتموه) اي
اعطاكم بعض جميع ما سألتموه
حسبا تقتضيه مشيئة العتبة
الحكمة والصفحة كقولہ سبحانه
من كان يريد العاجلة لمجلاله فيها
ما فيها لمن يريد او آتاكم من كل
ذلك ما احبتم اليه وينطبق به نظام
احوالكم على الوجه المقدور
فكانتكم سألتموه او كل ما سألتموه
بلسان الاستعداد او كل ما سألتموه
على ان من البيان وكلمة ككل
التكثير كقولك فلان يعلم كل
وقيل الاصل وآتاكم من كل

كان في باب الشر كان وسوسة فهذه وجوه محتملة تقريرا على القول بآيات جواهر
قدسية مبرأة عن الجسمية والخيال والقول بالارواح الطاهرة والخيالية كلام مشهور
عند قدماء الفلاسفة فليس لهم ان ينكروا اثباتها على صاحب شريعتنا محمد صلى الله
عليه وسلم واما القول الثاني وهو ان الملائكة والشياطين لا بد وان تكون اجساما
فقول ان على هذا التقدير يمتنع ان يقال انها اجسام كثيفة بل لا بد من القول بأنها
اجسام لطيفة والله سبحانه ركبها تركيبا عجيبا وهي ان تكون مع لطافتها لا تقبل التفرق
والتجزؤ والفساد والبطلان ونفوذ الاجرام اللطيفة في عمق الاجرام الكثيفة غير
مستبعد ألا ترى ان الروح الانسانية جسم لطيف ثم انه نفذ في داخل عمق البدن
فاذا عقل ذلك فكيف يستبعد نفوذ انواع كثيرة من الاجسام اللطيفة في داخل
هذا البدن أليس ان جرم النار يسرى في جرم الفحم وما الورد يسرى في ورق الورد
ودهن السمسم يجرى في جسم السمسم فكذا ههنا فظهر بما قررنا ان القول بآيات
الجن والشياطين امر لا تخجله العقول ولا تبطله الدلائل وان الاصرار على الانكار
ليس الا من نتيجة الجبل وقلة الفطنة ولما ثبت ان القول بالشياطين ممكن في الجملة
فقول الاحق والاولى ان يقال الملائكة على هذا القول مخلوقون من النور
والشياطين مخلوقون من الدخان والاهب كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار
السموم وهذا الكلام من الشهوات عند قدماء الفلاسفة فكيف يليق بالعاقل
ان يستبعد من صاحب شريعتنا صلى الله عليه وسلم (السؤال الثاني) لم قال الشيطان
فلا تلوموني ولوموا انفسكم وهو ايضا ملوم بسبب اقامه على تلك الوسوسة الباطلة
والجواب اراد بذلك فلا تلوموني على ما فعلتم ولوموا انفسكم عليه لانكم عدلتم عما توجب
هداية الله تعالى لكم ثم قال الله تعالى حكاية عن الشيطان انه قال ما انا بمصر حكيم
وما انا بمصرخي وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال ابن عباس يريد بغيبكم ولا متقدكم
قال ابن الاعراب الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث يقال صرخ فلان اذا استغاث
وقال واغوثاه واصرخته اغثته (المسئلة الثانية) قرأ حزة بمصرخي بكسر الياء قال
الواحدى وهي قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب قال الفراء اولها من وهم القراءات قل من
سلم منهم عن الوهم ولعله ظن ان الباء في قوله بمصرخي خافضة لجملة هذه الكلمة وهذا خطأ
لان الياء من المتكلم خارجة من ذلك قال وبما ترى انهم وهموا فيه قوله نوله ما تولى ونصله
جهنم يحزم الهاء ظنوا والله اعلم ان الجزم في الهاء وهو خطأ لان الهاء في موضع نصب
وقد انجزم الفعل قبلها بسقوط الياء منه ومن النحويين من تكلف في ذكر وجه لفتحته
الا ان الاكثرين قالوا انه لحن والله اعلم ثم قال تعالى حكاية عنه اني كفرت بما اشركتوني
من قبل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما في قوله اني كفرت بما اشركتوني من قبل فيه
قولان (الاول) انها مصدرية والمعنى كفرت باشراككم اباي مع الله تعالى في الطاعة والمعنى

ثاني واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فقننا (٤٤) (را) (خا) عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل وآتاكم من كل

ماسألوه ومالم تسألوه فعندى الثانى لدلالة ما أتى على الماتى وقرئ (٣٤٦) بقونين كل على ان ما نافيه ويجعل ماسألوه والتعصب على

الخالية اى انا كم من كل غير سائليه (وان تعدوا نعمة الله) التى انعم بها عليكم (لاتحسوها) لا تطبقوها بحسرها ولو اجد لا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصة يحفظ بها ففيه ايمان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ فانها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان فى اقصى مراتب الفقر والافلاس ممنوا بأصناف النساءى مبتلى بأنواع الرزاق فهو بحيث لو تأملته ألفيته متقبلا فى نعم لاتعد ومن لاتحصى ولا تعد كأنه قد اعطى كل ساعة وأن من العماء ما حواه حيطه الامكان وان كنت فى ريب من ذلك فقد ارأته ملك ملك اقطار العالم ودانته كافة الامم واذنعت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما فى الدنيا من اصناف الاموال من غير تدبيره ولا شريك يساهمه بل قد ران جميع ما فيه من حجير ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدرانه قد وقع من فقد مشروب او مغموم فى حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشتري وهو فى تلك الحال بجميع ماله من الملك والمال لقمة تبخيه من رواء او شرية ترويه من ظمأ أم يختار الهلاك فذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا تقع يعود اليه كل بلا يسهل لذلك كلما تحويه اليدين كأنما كان وليس فى صفته شائبة اصران فاذن تلك اللقمة والثروة خير مما فى الدنيا بألف ربه مع انهما فى طرف النام ينالهما متى شاء (بها)

انه جحد ما كان يعتقده اولئك الاتباع من كون ابليس شريكا لله تعالى فى تدبير هذا العالم وكفره اوبكون المعنى انهم كانوا يطيعون الشيطان فى اعمال الشر كما كانوا يقبطعون الله فى اعمال الخير وهذا هو المراد بالاشراك (والثانى) وهو قول القرامان المعنى ان ابليس قال انى كفرت بالله الذى اشركتونى به من قبل كفركم والمعنى انه كان كفره قبل كفرأولئك الاتباع ويكون المراد بقوله ما فى هذا الموضوع من والقول هو الاول لان الكلام انما ينظم بالنفسير الاول ويمكن ان يقال ايضا الكلام منتظم على التفسير الثانى والتقدير كأنه يقول لانا تأثير لوسوسى فى كفركم دليل انى كفرت قبل ان وقعتم فى الكفر وما كان كفرى بسبب وسوسة اخرى والازم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الوقوع فى الكفر شئ آخر سوى الوسوسة وعلى هذا التقدير ينظم الكلام اما قوله ان الظالمين لهم عذاب اليم فالظاهر انه كلام الله عز وجل وان كلام ابليس تم قبل هذا الكلام ولا يبعد ايضا ان يكون ذلك من بقية كلام ابليس قطعاً لاطماع اولئك الكفار عن الاغاة والاغاة والله اعلم * قوله تعالى (وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتم فيها سلام) وفيه مستلثان (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما بالغ فى شرح احوال الاشقياء من الوجوه الكثيرة شرح احوال السعداء وقد عرفت ان الثواب يجب ان يكون منفعة خالصة دائمة مفرقة بالتعظيم فالمنفعة الخالصة اليها الاشارة بقوله تعالى وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وكونها دائمة اشير اليه بقوله خالدين فيها والتعظيم حصل من وجهين احدهما ان تلك المنافع انما حصلت باذن الله تعالى وامره والثانى قوله يحيتم فيها سلام لان بعضهم يحى بعضا بهذه الكلمة والملائكة يحبونهم بها كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والرب الرحيم يحبيهم ايضا بهذه الكلمة كما قال سلام قولا من رب رحيم واعلم ان السلام مشتق من السلامة والاطمئن ان المراد انهم سلوا من آفات الدنيا وحسراتها اوفنون آلامها واستامها وانواع غومها وهمومها وما اصدق ما قالوا فان السلامة من محن عالم الاجسام الكائنة الفاسدة من اعظم النعم لاسيما اذا حصل بعض خلاص منها الفوز بالبحية الروحانية والسعادة الملكية (المسئلة الثانية) قرأ الحسن وادخل الذين آمنوا على معنى وادخلهم انا وعلى هذه القراءة فقوله باذن ربهم متعلق بما بعده اى تحيتم فيها سلام باذن ربهم يعنى ان الملائكة يحبونهم باذن ربهم * قوله تعالى (الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجثت من فوق الارض مالمها من قرار) اعلم انه تعالى لما شرح احوال الاشقياء واهوال السعداء ذكر مثالا بين الحال فى حكم هذين القسمين وهو هذا التل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى ذكر شجرة موصوفة بصفات اربعة ثم شبه الكلمة الطيبة فى صفته شائبة اصران فاذن تلك اللقمة والثروة خير مما فى الدنيا بألف ربه مع انهما فى طرف النام ينالهما متى شاء (بها)

من الليالي والايام اوقدر انه قد احتسب عليه النفس فلا دخل (٣٤٧) منه ما خرج ولا خرج منه ما لم يخرج والحين فادخلنا واتاه انوث من

كل مكان اما يعطى ذلك كله عقابا لنفس واحد بل يعطيه وهو رأيها حامد فاذن هو خير من احوال الدنيا بعمليتها ومطالبتها برمتها مع انه قد اجمع على كل آن من آيات الليالي والايام حال البقطة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت المشور على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السروق فاعلم ان الانسان لا يستقر له القرار ولا طمأنينة يستقر عليه حقيقة الممكنة يعزل عن اصقاف الوجود وما يتبعه من الكمالات الدائمة والملاكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العتبة الالهية من الملائكة لما استقر له القرار ولا طمأنينة بالدار الا في مطبوعة العدم والبولار ومهاوى الهلاك والدمار لكن يفتش عليه من اجباب الا قدس تعالى شأنه وتقدس في كل زمان ومكان وكل آن يمر ويتنقى من الوعاء القيوس المتعلقة بذاته ووجوده واسترفاته الروحية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يبلغه الا لعلم الطير وتوضيحه انه لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحق بقاء وانما ذلك من جناب المبدى الاول من وجوه فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم يسد عليه جميع انحاء عدمه الاصل لا يتصور بقاءه على الوجود بهد محققه بل يتم ما يسد عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لان الاستقرار والادوام من خصائص الوجود الواجب وانت خبير بأن ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علة

بها (فالصفة الاولى) تلك الشجرة كونها طيبة وذلك يحتمل امورا احدها كونها طيبة المنظر والصورة والشكل وثانيها كونها طيبة الرائحة وثالثها كونها طيبة الثمرة يعني ان الفواكه المتولدة منها تكون لذينة مستطابة ورابعها كونها طيبة بحسب المنفعة يعني انها كما يستلذ بأكلها فكذلك يعظم الانتفاع بها ويجب حل قوله شجرة طيبة على مجموع هذه الوجوه لان اجتماعها يحصل كمال الطيب (والصفة الثانية) قوله اصلها ثابت اي راسخا في امان من الانقلاص والانقطاع والزوال والفناء وذلك لان الشيء الطيب اذا كان في معرض الانقراض والانقضاء فهو وان كان يحصل الفرح بسبب وجوده لانه اعظم الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه اما اذا علم ان حاله انه باق دائم لا يزول ولا ينقضى فانه يعظم الفرح بوجوده ويكمل المرور بسبب الفوز به (والصفة الثالثة) قوله وفرعها في السماء وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين الاول ان ارتفاع الاغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الاصل ورسوخ العروق والثاني انها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعدة عن عفونات الارض وقاذورات الابنية فكانت ثمراها نفيسة طاهرة طيبة عن جميع الشوائب (والصفة الرابعة) قوله ثوى اكلها كل حين باذن ربها والمراد ان الشجرة المذكورة كانت موصوفة بهذه الصفة وهي ان ثمراتها لا بد ان تكون حاضرة دائمة في كل الاوقات ولا تكون مثل الاشجار التي يكون ثمارها حاضرة في بعض الاوقات ودون بعض فهذا شرح هذه الشجرة التي ذكرها الله تعالى في هذا الكتاب الكريم ومن المعلوم بالضرورة ان الرغبة في تحصيل مثل هذا الشجرة يجب ان تكون عظيمة وان العاقل متى امكنه تحصيلها وتملكها فانه لا يجوز له ان يتغافل عنها وان يتساهل في الفوز بها اذا عرفت هذا فنقول معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته وفي خدمته وطاعته تشبه هذه الشجرة في هذه الصفات الاربعة اما الصفة الاولى وهي كونها طيبة فهي حاصلة بل نقول لا طيب ولا لذ في الحقيقة الا هذه المعرفة وذلك لان الالذ الحاصلة يتناول الفاكهة المعينة انما حصلت لان ادراك تلك الفاكهة امر ملائم لزاج البدن فلاجل حصول تلك الملازمة والمناسبة حصلت تلك الالذ العظيمة وههنا الملائم لجوهر النفس النطقية والروح القدسية ليس الامعرفة الله تعالى ومحبته والاستغراق في التباهج به فوجب ان تكون هذه المعرفة لذينة جدا بل نقول الالذ الحاصلة من ادراك الفاكهة يجب ان تكون اقل حالا من الالذ الحاصلة بسبب اشراق جوهر النفس بمعرفة الله وبان هذا التفاوت من وجوه (احدها) ان المدركات المحسوسة انما تصير مدركة بسبب ان سطح الحاس يلاق سطح المحسوس فقط فاما ان يقال ان جوهر المحسوس نفذ في جوهر الحاس فليس الامر كذلك لان الاجسام يمنع تداخلها امامها بمعرفة الله تعالى وذلك النور وذلك الاشراق صار ساريا في جوهر النفس متحدا به وكأن النفس عند حصول ذلك الاشراق تصير غير النفس التي كانت قبل حصول ذلك

ونراطة وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست

كذلك اذلا استعماله في ان يكون شئ واحد موانع غير متناهية وانما (٣٤٨) الاستحالة في دخولها تحت الوجود فارشاع تلك الموانع التي

الاشراق فهذا فرق عظيم بين البابين (الوجه الثاني) في الفرق ان في الالتذاذ بالفاكهة المدرك هو القوة الناذقة والمحسوس هو الطعم المخصوص وههنا المدرك هو جوهر النفس القدسية والعلوم والمشعوره هو ذات الحق جل جلاله وصفات جلاله واكماره فوجب ان تكون نسبة احدى الالذين الى الاخرى كنسبة احدى المدركين الى الاخر (الوجه الثالث) في الفرق ان الذات الحاصلة بتناول الفاكهة الطيبة كلما حصلت زالت في الحال لانها كيفية سريعة الاستحالة شديدة التغير اما كمال الحق وجلاله فانه بمنع التغير والتبدل واستعداد جوهر النفس لقبول تلك السعادة ايضا بمنع التغير فظهر الفرق العظيم من هذا الوجه واعلم ان الفرق بين النوعين يقرب ان يكون من وجود غير متناهية فليكتف بهذه الوجوه الثلاثة تبديها للعقل السليم على سائرهما واما الصفة الثانية وهي كون هذه الشجرة ثابتة الاصل فهذه الصفة في شجرة معرفة الله تعالى اقوى واكمل وذات لان هروق هذه الشجرة راسخة في جوهر النفس القدسية وهذا الجوهر جوهر مجرد عن الكون والفساد بعيد عن التغير والفناء وايضا مدد هذا الرسوخ اتما هو من تجلي جلال الله تعالى وهذا التجلي من لوازم كونه سبحانه في ذاته نور النور وبدا الظهور وذلك بما يتمتع عقلا زواله لانه سبحانه واجب الوجود لذاته وواجب الوجود في جميع صفاته والتغير والفناء والتبدل والزوال والبطل والمنع محال في حقه فثبت ان الشجرة الموصوفة بكونها ثابتة الاصل ليست الا هذه الشجرة (الصفة الثالثة) لهذه الشجرة كونها بحيث يكون فرعها في السماء واعلم ان شجرة المعرفة لها اغصان صاعدة في هواء العالم الالهي واغصان صاعدة في هواء العالم الجسماني اما النوع الاول فهي اقسام كثيرة ويجمعها قوله عليه السلام التعظيم لامر الله ويدخل فيه التأمل في دلائل معرفة الله تعالى في عالم الارواح وفي عالم الاجسام وفي احوال عالم الافلاك والكواكب وفي احوال العالم السفلي ويدخل فيه محبة الله تعالى والشوق الى الله تعالى والمواظبة على ذكر الله تعالى والاعتماد بالكلية على الله تعالى والانقطاع بالكلية عما سوى الله تعالى والاستقصاء في ذكر هذه الاقسام غير مطموع فيه لانها احوال غير متناهية واما النوع الثاني فهي اقسام كثيرة ويجمعها قوله عليه السلام والشققة على خلق الله ويدخل فيه الرحمة والرفقة والصفح والتجاوز عن الذنوب والسعي في ابطال الخيراتهم ودفع الشر عنهم ومقابلة الاساءة بالاحسان وهذه الاقسام ايضا غير متناهية وهي فروع ثابتة من شجرة معرفة الله تعالى فان الانسان كلما كان اكثر توغلا في معرفة الله تعالى كانت هذه الاحوال عنده اكل واقوى وافضل (واما الصفة الرابعة) فهي قوله تعالى توتى اكلها كل حين باذن ربها فهذه الشجرة اولى بهذه الصفة من الاشجار الجسمانية لان شجرة المعرفة موجبة لهذه الاحوال ومؤثرة في حصولها والسبب لا ينفك عن السبب فأتى رسوخ شجرة المعرفة في ارض القلب ان يكون نظره بالعبرة كاقال فاعتبروا يا اولى

لا تنهاه اعنى بقاءها على عدم مع امكان وجودها في نفسها في كل آن من آتات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادابو كذلك الحال في وجودات علمه وشرايطه القرية والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كالاته التابعة لوجوده فانقض انه يفيض عليه كل آن نعم لا تنهاه من وجوه شتى فستجاءك سجاياك ما عظم سلطانت لا تلاحظك العيون بانظارها ولا تاملك العقول بافكارها شاك لا يضاها واحسانك لا يتساوى ونصن في معرفتك حازون وفي اقامة مراسم شكرك قاصرون نالك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نصصى تشاء عليك لاله الا انت تستغفر وتوب اليك (ان الانسان لظالم) يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضنه اياها في غير موضعها او بظلم نفسه بغيرها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلم في الشدة يشكو ويمرغ كفار في نعمة يجمع ويمنع والماد في الانسان الجسد ومصدق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجده فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخول اوليا (واذ قال ابراهيم) اي واذكروا قول عليه الصلاة والسلام والقصد من تذكيره تذكير ما وقع فيه من عقالاته عليه السلام على سبج التفضيل والمراد به تأكيد ما سلف من توجيهه عليه السلام ببيان فن آخر من جساياتهم حيث كفروا بالتم الما صفة بهم بعدما كفروا بالتم العامة وعصوا

والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأله (٣٤٩) تعالى ان يجعله بلدا مانورا يزعم من الثمرات وتهوى قلوب الناس

اليهم من كل اوب صحيح
فاستجاب الله تعالى دعاء وجهه
حرما آمنا ينجي اليه ثمرات كل
شئ فكفروا بتلك النعم العظام
واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار
وجعلوا الله اندادا وفعلوا ما فعلوا
(رب اجعل هذا البلد) يعني مكة
شرفها الله سبحانه (آمنا) اى اذا
امن أو آمنا اهله بحيث لا يخاف
فيه على مامر في سورة البقرة
والفرق بينه وبين ما فيها من
قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا
ان المسؤل هناك البلدية والا من
معاونهن الا من قطع حيث جعل
هو المفعول الثانى لليجعل وجعل
البلد صفة للمفعول الاول فان
جبل على تعدد المسؤل قلعه عليه
السلام سأل اولا كاد الامر من
فاستجيب له في احدهما وتأخر
الاستجابة وقته المقدر لما يقتضيه
من الحكمة الداعية اليه ثم كرر
السؤال كما هو المعتاد في الدعاء
والإتهال وكان المسؤل اولا
بجرد الامن بالصبح ولكن كافي
سائر البلاد وقد اجيب اليه وثنانيا
الامن المعهود وكان هو المسؤل
فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن
السؤال الثانى للاستدانة
والاقتصار على ذلك لانه المقصود
الاصلى اولا ان المعتاد في البلدية
الاستقرار بعد الصبح بخلاف
الامن وان حل على وحدة
السؤال وتكرر الحكاية كما هو
التبادر فالظاهر ان المسؤل كلا
الامر من وقد حكي اولا واقتصر
هنا على حكاية سؤال الامن
لأن مجرد ان نعمة الامن ادخل
في استيجاب الشكر فذكره نسب
بقام تقرير الكفرة على اغفاله
كاقيل بل لان سؤال البلدية قد
سكى بقوله تعالى فاجعل آفئدة من الناس تهوى اليهم اذ المسؤل هو بيتهم للمساكنة معهم لالنج
فقط وهو عين سؤال البلدية

تدعى بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن (٣٥٠) جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة

والسلام لما اسكن احمدا وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبته هاجروا وجمعت قول الى من تكلمنا في هذا بفتح وهو لا يريد عليها وياحقى قالت آله اسرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يبيننا فرضيت ومضى حتى استوى على ثنية كدها اتبل على الودى فقال ربنا افاستكت الآية وانما فصل ما بينهما ثنية للامتنان وايدانا بأن كلامنا نعمة جليلة مستبعدة لشكر كثير كافي فسة البقرة (واجتنبى وبني) بمنى وياهم (ان تعبد الاصنام) واجعلنا منها جانب بعيد اى يبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعده من عبادة الاصنام وقرى وأجتنى من الفضل وهما لغة اهل نجد يقولون جتنى شره وأجتنى شره واما اهل الحجاز فيقولون جتنى شره وفيه دليل على ان عممة الانبياء عليهم السلام يتوفى الله تعالى والظاهر ان المراد ببنيه اولاده الصليبة فلا احتياج به لابن عيينة رضى الله عنه على ان احسدا من اولاد احمدا عليه السلام لم يعبد الصنم وانما كان لكل قوم سحر نصبوه وقالوا هو سحر والبيت سحر فكانوا يدورون به ويسعون الدوار فاستعجب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار البيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما فى القرآن العظيم من قوارع تنهى عن قريش عبادة الاصنام على ان يمازكوه كرا على ما قرئتم (رب انهن اى الاصنام) أضلن كثيرا من الناس اى تسببن له كقولهم تعالى وغرهم الجبال الدنيا وهو

رجل الى ابن عباس فقال نذرت ان لا اكلم اخي حتى حين فقال الحين ستة اشهر وتلا قوله تعالى تؤتى اكلمها كل حين وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل الثمرة وقال سعيد بن المسيب شهران لان مدة اطعام النخلة شهران وقال الزجاج جميع من شهدنا من اهل اللغة يذهبون الى ان الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الازمان كلها طالعت ام قصرت والمراد من قوله تؤتى اكلمها كل حين انه ينشعب بها في كل وقت وفي كل ساعة ليلا او نهارا او شتاء او صيفا قالوا والسبب فيه ان النخلة اذا تزكروا عليها الثمر من السنة الى السنة انتفعوا بها في جميع اوقات السنة واقول هؤلاء وان اصابوا في البحث عن مفردات الفاظ الآية الا انهم بعدوا عن ادراك المقصود لانه تعالى وصف هذه الشجرة بالصفات المذكورة ولا حاجة بنا الى ان تلك الشجرة هى النخلة ام غيرها فاننا علم بالضرورة ان الشجرة الموصوفة بالصفات الاربع المذكورة شجرة شريفة ينبغي لكل عاقل ان يسعى في تحصيلها وتملكها وادخارها لنفسه سواء كان لها وجود في الدنيا او لم يكن لان هذه الصفة امر مطلوب التحصيل واختلافهم في تفسير الحين ايضا من هذا الباب والله اعلم بالامور ثم قال ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون والمعنى ان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكروا تصور للعاني وذلك لان المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس واخيال والوهم فاذا ذكر ما يابوا من المحسوسات ترك الحس واخيال والوهم تلك المنازعة وانطبق العقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول الى المطلوب واما قوله تعالى ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار فاعلم ان الشجرة الخبيثة هى الجهل بالله فانه اول الآفات وعنوان المخافات ورأس الشقاوات ثم انه تعالى شبهها بشجرة موصوفة بصفات ثلاث (اولها) انها تكون خبيثة ففهم من قال انها الثوم لانه صلى الله عليه وسلم وصف الثوم بأنها شجرة خبيثة وقيل انها الكراث وقيل انها شجرة الخنظل لكثرة ما فيها من المضار وقيل انها شجرة الشوك واعلم ان هذا التفصيل لا حاجة اليه فان الشجرة قد تكون خبيثة بحسب الرائحة وقد تكون بحسب الطعم وقد تكون بحسب الصورة والمنظر وقد تكون بحسب اشتغالها على المضار الكثيرة والشجرة الجامعة لكل هذه الصفات وان لم تكن موجودة الا انها لما كانت معلومة الصفة كان التشبيه بها نافعا في المطلوب (والصفة الثانية) قوله اجتثت من فوق الارض وهذه الصفة في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها وقوله من فوق الارض معناه ليس لها اصل ولا عرق فكذلك الشرك بالله تعالى ليس له حجة ولا ثبات ولا قوة (والصفة الثالثة) قوله ما لها من قرار وهذه الصفة كالجمعة للصفة الثانية والمعنى انه ليس لها استقرار يقال قرالشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت واعلم ان هذا المثال في صفة الكلمة الخبيثة في غاية الكمال وذلك لانه

تقليل لدعائه وانما صدره بالذات اظهارا لاعتناؤه به ورغبة في استجابته (لئن تبخى) منهم فيما ادعوا اليه من (تعالى)

النوحيد وملة الاسلام (فانعمنى) اى بعضى (٣٥١) قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به او متصل بى لايشك فى نفي امره

الدين (ومن عصاى) اى لم يقبضى
والتميز عنه بالعصيان لانه يذنب
بأنه عليه السلام مقتر على
الدعوة وأن عدم اتساع من
لم يتبعه اغاها لعصيانه لالاندام
بيلغة الدعوة (فانك غفور رحيم)
قادر على أن تغفر له وترجه ابتداء
أوبعد توبته وفيه ان كل ذنب قلبه
تعالى أن ينفقه حتى الشركه خلا
ان الوعيد قضى بالفرق بينه وبين
غيره (ربنا) آثر عليه السلام ضمير
الجماعة لا المائل من تقدم ذكره
وذكر بنيه والاراءه في قوله رب
الناس الخ بل لان الدعاء الصدريه
وما أورده بصدد محمد ببادئ
اجابته من قوله (انى أسكنت)
الآية متعلق بذريته فالعرض
لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل
في القبول واجابة السؤال (من
ذريق) اى بعضهم او ذرية من
ذريق فحذف المفعول وهو
اسم على السلام وما سئل عنه
فان اسكانه حيث كان على وجه
الاطشيان متضمن لاسكانهم
روى أن هاجر أم اسميل عليه
السلام كانت لسارة فوهبتها من
ابراهيم عليه السلام فلما ولدت له
اسمى عليه السلام غارت عليها
فنادتاهم بخرجهما من عندها
فاخرجهما الى ارض مكة فأنظر
الله تعالى عين زهرم (بواد غريدى
زهر) لا يكون فيه زرع أصلا
وهو وادى مكة شرقها الله تعالى
(عنديتك) ظرف لاسكنت
كقولك صليت بمكة عند الركن
لاناه صفة لواد أو بدل منه
إذا التقصود اظهار كون ذلك
الاسكان مع قنبلان مبايعة بالمره
لخص التقرب الى الله تعالى
والانتماء الى جواره الكريم كائين
عنه التعرض لنوان الحرمه المؤذن بعزة الملتجا وعصمته عن المسكاره في قوله تعالى (الحرم) حيث حرم التعرض له والتهاون به اولم

تعالى بين كونها موصوفة بالمضار الكثيرة وخالية عن كل المنافع اما كونها موصوفة
بالمضار قاله الاشارة بقوله خبيثة واما كونها خالية عن كل المنافع قاله الاشارة بقوله
اجتنت من فوق الارض مالها من قرار والله اعلم قوله تعالى (يثبت الله الدين آمنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) اعلم
انه تعالى لما بين ان صفة الكلمة الطيبة ان يكون اصلها ثابتا وصفه الكلمة الخبيثة
ان لا يكون لها اصل ثابت بل تكون منقطعة ولا يكون لها قرار ذكر ان ذلك القول
الثابت الصادر عنهم في الحياة الدنيا يوجب ثبات كرامة الله لهم وثبات ثوابه عليهم والمقصود
بيان ان الثبات في المعرفة والطاعة يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله تعالى
فقوله ثبت الله اى على الثواب والكرامة وقوله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة اى بالقول الثابت الذي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحياة الدنيا ثم قال
ويضل الله الظالمين يعنى كان الكلمة الخبيثة ما كان لها اصل ثابت ولا فرع باقى
فكذلك اصحاب الكلمة الخبيثة وهم الظالمون يضلهم الله عن كراماته وعينهم عن الفوز
بثوابه وفي الآية قول آخر وهو القول المشهور ان هذه الآية وردت في سؤال الملكين
في القبر وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال وتبئته اياه على الحق وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الآخرة قال حين يقال له في القبر من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى
الاسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من الباء في قوله بالقول الثابت هو ان الله
تعالى انما ينبتهم في القبر بسبب مواظبتهم في الحياة الدنيا على هذا القول ولهذا الكلام
تقرير عقلى وهو انه كلما كانت المواظبة على الفعل اكثر كان رسوخ تلك الحالة في العقل
والقلب اقوى فكلما كانت مواظبة العبد على ذكر لاله الا الله وعلى التأمل في حقائقها
ودقائقها كل واتم كان رسوخ هذه المعرفة في عقله وقلبه بعد الموت اقوى واكمل
قال ابن عباس من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا ينبت الله عليها في قبره ويلقنه اياها
وإنما فسر الآخرة ههنا بالقبر لان الميت انقطع بالموت عن احكام الدنيا ودخل في احكام
الآخرة وقوله ويضل الله الظالمين يعنى ان الكفار اذا سئلوا في قبورهم قالوا الاندى واما
قال ذلك لان الله اضله وقوله ويفعل الله ما يشاء يعنى ان شاء اضل ولا اعتراض
عليه في فعله البتة قوله تعالى (الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار
البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا الله اندادا ليهضوا عن سبيله قل تمتعوا فان
مصيركم الى النار) اعلم انه تعالى عاد الى وصف احوال الكفار في هذه الآية فقال ألم تر الى
الذين بدلوا نعمة الله كفرا نزل في اهل مكة حيث اسكنهم الله تعالى حرمه الآمن وجعل
عيشهم في السعة وبعث فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم فلم يعرفوا قدر هذه النعمة ثم انه تعالى
حكى عنهم اتوا عا من الاعمال الفبيحة (النوع الاول) قوله بدلوا نعمة الله كفرا وفيه

يزل معظمنا عننا إيهابه الجبارة في كل عصر او منع منه الطوفان فلم يشول عليه وذلك (٣٥٢) سعى عتقا وتحيته اذ ذاك يتنا ولم يكن له

بناء وانما كان نشرا مثل الرابية
ثانية السيول فتأخذ ذات اثنين
و ذات السحال ليست باعتبار
ماسيؤل اليه الامر من بناءه عليه
السلام فانه يتزع الى اعتبار عنوان
الحرمة ايضا كذلك بل انما هي
باعتبار ما كان من قبل فان تعدد
بناء الكعبة المظفة مما لا ريب فيه
وانما الاختلاف في كيفة عدده وقد
ذكرناها في سورة البقرة بفضل
الله تعالى (ربنا ليقوي الصلاة)
متوجهين اليه متبركين به وهو
متعلق بأسكت وتخصيصها
بالذكر من بين سائر شأنا الدين
لفعله وتكرير النداء وتوسيطه
لاظهار كمال العناية بأقامة الصلاة
والاحتماء بمرص ان الغرض من
اسكتهم بذلك الوادي البلقع ذلك
المقصد الاقصى والمطلب الاسنى
وكل ذلك لتفهيد مبادئ السجادة
دعائه واعطائه مسؤله الذي لا ينسى
ذلك المرام الابيه ولذلك ادخل
عليه الفاء فقال (فاجعل أئمة
من الناس) أى أئمة من
أقنتم من للتبعض ولذلك قيل
لوقال أئمة الناس لازدجت
عليهم فارس والروم وأماما زيد
عليه من قولهم ولجحت اليهود
والنصارى فقير مناسب للقام
اذ المسؤل توجيه القلوب اليهم
للسكنة معهم لا لتوجيهها الى
البيت للنج والاقبال سوى اليه
فانه عين الداء بالبلدية قد حكي
بعبارة أخرى كما مر أول ابتداء
العناية كقولك القلب نبي من قسم أى
أئمة ناس وقرى أئمة على القلب
كأدر في أدور أوعلى انه اسم
فاعل من اذنت الرحمة أى جعلت
أى جاعلة من الناس وأؤدة بطرح

وجوه (الاول) يجوز ان يكون بدلوا شكر نعمه الله كفر لانه لما وجب عليهم الشكر
بسبب تلك النعم اثنوا بالكفر فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا (الثاني)
انهم بدلوا نفس نعمه الله كفر لانهم لما كفروا سلبوا الله تلك النعمة عنهم فبقى الكفر
عنهم بدلا من النعمة (الثالث) انه تعالى انعم عليهم بالرسول والقرآن فاختروا الكفر على
الايمان (النوع الثاني) ما حكي الله تعالى عنهم قوله واحلوا قومهم دار البوار وهو
الهلاك يقال رجل بار وقوم بور ومنه قوله تعالى وكنتم قوما بورا وأراد دار البوار جهنم
بدل انهم فسرها بجهنم فقال جهنم يصلونها وبئس القرار اى المقروه وهو مصدر سمي به
(النوع الثالث) من اعمالهم القبيحة قوله وجعلوا الله اندادا لياوعن سبيله وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى لما حكي عنهم انهم بدلوا ازمة الله كفر اذكر انهم بعد
ان كفروا بالله جعلوا له اندادا والمراد من هذا الجعل الحكم والاعتقاد والقول والمراد
من الانداد الاشياء والشركاء وهذا الشرك يحتمل وجوها احدها انهم جعلوا الاصنام
حظا فقيام الله به عليهم نحو قولهم هذا الله وهذا شركائنا وثانيها انهم شركوا بين
الاصنام وبين خالق العالم في العبودية وثالثها انهم كانوا يصرحون بآيات الشركاء لله
وهو قولهم في الحج ليك لا لشريك لك الا شريك هولاك تملكه ومملك (المسئلة الثانية) قرأ
ابن كثير وابوعرو ليضلو ايفتح الباء من ضل بضل والباون يضم الباء من اضل غيره
يضل (المسئلة الثالثة) اللام في قوله ليضلوا عن سبيله لام العاقبة لان عبادة الاوثان سبب
يؤدى الى الضلال ويحتمل ان تكون لام كى اى الذين اتخذوا الوثن كى يضلوا خيهر هذا
اذ قرئ بالضم فانه يحتمل الوجهين واذ قرئ بالنصب فلا يحتمل اللام العاقبة لانهم
لم يريدوا ضلال انفسهم وتحقيق القول في لام العاقبة ان المقصود من الشيء لا يحصل
الا في آخر المراتب كاقبال اول الفكر آخر العمل وكل ما حصل في العاقبة كان شبيها
بالامر المقصود في هذا المعنى والمشابهة احد الامور المحمجة لحسن المجاز فلهذا السبب
حسن ذكر اللام في العاقبة ولما حكي الله تعالى عنهم هذه الانواع الثلاثة من الاعمال
القبيحة قال قل تمتعوا فان مصيركم الى النار والمراد ان حال الكافر في الدنيا كيف كانت
فانها بالنسبة الى ما يصل اليه من العقاب في الآخرة تمتع ونعيم فلهذا المعنى قال قل
تمتعوا فان مصيركم الى النار وايضا ان هذا الخطاب مع الذين حكي الله عنهم انهم بدلوا نعمته
الله كفرا فأؤتلك كانوا في الدنيا في نعم كثيرة فلا جرم حسن قوله تعالى قل تمتعوا
فان مصيركم الى النار وهذا الامر يسمى امر التهديد ونظيره قوله تعالى اعلموا ما كنتم
و كقوله قل تمتع بكفر قليلا انك من اصحاب النار قوله تعالى (قل لعبادى الذين آمنوا
يقموا الصلاة ويتقوا ما رزقناهم سرا وعلاينة من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال)
اعلم انه تعالى لما امر الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعيم الدنيا امر
المؤمنين في هذه الآية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في الجاهدة بالنفس والمال وفيه مسائل

الهجرة من الاثمة أو على التمتع من أقد (هى اليهم) تسرع اليهم شوفا وادادوا قرى (المسئلة)

على البناء للفعول من احواء غيره وتهوى من باب علم اى (٣٥٣) تحب وتعتبه بالى لتضمنه معنى الشوق والذوق واول اكل هذه

الدعوة ماروى انه مرت رقة
من جرحهم تريد الشام ذروا
الطير تحوم على الجبل قبالوا
ان هذا الطائر لعافت على الماء
فأشر فوافا ذاهم بهاجر فقالوا لها
ان شئت كنا معك وآلستك
والماء مأوك فأذنت لهم وكانوا
معها الى ان شب اسمعيل عليه
السلام ومات هاجر فنزج
اسمعيل منم كما هو المشهور
(وارزقهم) اى ذريق الذين
استكتم هناك اوع مع من يغار
اليهم من الناس وانما لم يخص
الدعاء بالؤمنين منهم كافي قوله
وارزق اهلهم من الخيرات من آمن
منهم بالله واليوم الآخر كفتاه
بذكر اقامة الصلاة (من الخيرات)
من انواعها بان يجعل يقرب منه
قرى يحصل فيه ذلك او يجرى اليه
من الاقطار الشائعة وقد حصل
كلها حتى ان يجتمع فيه الفواكه
الربعية والصيفية والاربية
في يوم واحد روى عن ابن
عباس رضى الله عنهما ان
الطائف كانت من ارض فلسطين
فلما دعا ابراهيم عليه السلام
بهذه الدعوة رفعها الله تعالى
ووضعها حيث وضعها رزق الخمر
وعن الزهرى رضى الله عنه انه
قال نقل قريقتن قرى الشام
فوضعهما بالطائف فدعوا ابراهيم
عليه السلام (لعلهم يشكرون)
تلك النعمة بأقامة الصلاة واداء
سائر مراسم العبودية وقيل
اللام في لقيموا لام الامر والمراد
اسرهم بأقامة الصلاة والذناء
من الله تعالى بتوفيقهم لها
ولا يناسب الفاء في قوله تعالى
فاجعل الخ في دعائه عليه
السلام من مراعاة حسن الادب

(المسئلة الاولى) قرأ جزء والكسائي لعبادى بسكون الياء والباقون بفتح الياء لانلقاء
الساكنين فحرك الى النصب (المسئلة الثانية) في قوله يقيموا وجهان الاول يجوز ان يكون
جوابا لامر محذوف هو القول تقديره قل لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلاة وافقوا
يقيموا الصلاة وينفقوا الثاني يجوز ان يكون هو امرا مقولا محذورا منه لام الامر اى
ليقيموا كقولك قل لزيد ليضرب عمرا وانما جاز حذف اللام لان قوله قل عوض منه ولو
قبل ابتداء يقيموا الصلاة لم يجز (المسئلة الثالثة) ان الانسان بعد الفراغ عن الايمان
لا قدرته على التصرف فى شئ الا فى نفسه او فى ماله اما النفس فيجب شغلها بخدمة
المعبود فى الصلاة واما المال فيجب صرفه الى البذل فى طاعة الله تعالى فهذه الثلاثة هى
الطاعات المعتبرة وهى الايمان والصلاة والزكاة وتام ما يجب ان يقال فى هذه الامور
الثلاثة ذكرناه فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وعمارزقاهم
ينفقون (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة الآية تدل على ان الرزق لا يكون حراما لان
الآية دلت على ان الانفاق من الرزق مباح ولا شئ من الانفاق من الحرام ممدوح فينج
ان الرزق ليس بحرام وقد مر تقرير هذا الكلام مرارا (المسئلة الخامسة) فى انصاب
قوله سرا وعلاية وجوه احدها ان يكون على الحال اى ذوى سر وعلاية بمعنى مدين
ومعلنين وثانها على الظرف اى وقت سر وعلاية وثالثها على المصدر اى اتفاق سر
وانفاق علاية والمراد اخفاء التطوع واعلان الواجب واعلم انه تعالى لما امر بأقامة
الصلاة وابتاء الزكاة قال من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال قال ابو عبيدة البيع
ههنا الفداء والخلال الخالة وهو مصدر من خالت خللا وخالة وهى المصادقة قال مقاتل
انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا بخالة ولا قرابة فكانه تعالى يقول انفقوا اموالكم فى
الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك الاتفاق فى مثل هذا اليوم الذى لا تحصل فيه مبايعة ولا بخالة
ونظير هذه الآية قوله تعالى فى سورة البقرة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة فان قيل كيف
نفى الخالة فى هاتين الآيتين مع انه تعالى اثبتها فى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الملتقين قلنا الآية الدالة على نفى الخالة محمولة على نفى الخالة بسبب ميل الطبيعة ورغبة
النفس والآية الدالة على ثبوت الخالة محمولة على حصول الخالة الحاصلة بسبب عبودية
الله تعالى ومحبة الله تعالى والله اعلم * قوله تعالى (الله الذى خلق السموات والارض
وازل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر
بأمره وسخر لكم النهار والليل وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار
وآتاكم من كل ماسألتوه وان تعدوا نعمات الله لا تحصوها ان الانسان لظلم لظلوم كفار)
اعلم انه لما طال الكلام فى وصف احوال السعداء واحوال الاشقياء وكانت العبدية
العظمى والمنزلة الكبرى فى حصول السعادات معرفة الله تعالى بذاته وبصفاته وفى
حصول الشقاوة فقدان هذه المعرفة لاجرم ختم الله تعالى وصف احوال السعداء

والمحافظة على قوانين الضراعة ومرض الحاجة واستئزال (٤٥) (را) (خا) الرحمة واستجلاب الرأفة لا يخفى فانه عليه السلام يذكر كون

الوادي غير ذي زرع بين كل افتقارهم الى المؤول وبذكر (٣٥٤) كون اسكانهم عند البيت المحرم اشار الى ان جوار الكريم

والاشقياء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وذكرهنا عشرة انواع من الدلائل اولها خلق السموات وثانيها خلق الارض والهما الاشارة بقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وثالثها قوله واتزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقكم ورابعها قوله وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وخامسها قوله وسخر لكم الانهار وسادسها وسابغها قوله وسخر لكم الشمس والقمر دائين وثامنها وتاسعها قوله وسخر لكم الليل والنهار وعاشرها قوله وآتاكم من كل ما سألتموه وهذا الدلائل العشرة قد مر ذكرها في هذا الكتاب وتقريرها وتفسيرها مراراً واطواراً ولا بأس بأن نذكر ههنا بعض القوائد فاعلم ان قوله تعالى الله مبتدأ وقوله الذي خلق خبره ثم انه تعالى بدأ بذكر خلق السموات والارض وقد ذكرنا في هذا الكتاب ان السماء والارض من كونه تدل على وجود الصانع الحكيم وانما بدأ بذكرهما ههنا لانهما هما الاصلان اللذان يتفرع عليهما سائر الادلة المذكورة بعد ذلك فانه قال بعده واتزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقكم وفيه مباحث (الاول) لولا السماء لم يصح اتزال الماء منها ولولا الارض لم يوجد ما يستقر الماء فيه فظهر انه لا بد من وجودهما حتى يحصل هذا المقصود وهذا المطلوب (البحث الثاني) قوله واتزل من السماء ماء وفيه قولان (الاول) ان الماء تزل من السحاب وسمى السحاب سماء اشتقاقاً من السمو وهو الارتفاع والثاني انه تعالى اتزله من نفس السماء وهذا بعيد لان الانسنان ربما كان واقفاً على قلة جبل عال ويرى الغيم اسفل منه فاذا تزل من ذلك الجبل يرى ذلك الغيم مائطراً عليهم واذا كان هذا امراً مشاهداً بالصركان النزاع فيه باطلاً (البحث الثالث) قال قوم انه تعالى اخرج هذه الثمرات بواسطة هذا الماء المتزل من السماء على سبيل العادة وذلك لان في هذا المعنى مصلحة للمكلفين لانهم اذا علوا ان هذه المنافع القليلة يجب ان تحصل في تحصيلها المشاق والتعاب فالنافع العظيمة الدائمة في الدار الآخرة أولى ان تحمل المشاق في طلبها واذا كان المرء يترك الراحة والذة طلباً لهذه الخيرات الحظيرة فبأن يترك اللذات الدنيوية ليفوز بثواب الله تعالى ويتخلص عن عقابه أولى ولهذا السبب لما زال التكليف في الآخرة اتزال الله تعالى كل نفس مشتهاها من غير تعب ولا نصب هذا قول المتكلمين وقال قوم آخرون انه تعالى يحدث الثمار والزروع بواسطة هذا الماء النازل من السماء والمسئلة كلامية محضه وقد ذكرناها في سورة البقرة (البحث الرابع) قال ابو مسلم لفظ الثمرات يقع في الاغلب على ما يحصل على الاشجار ويقع ايضا على الزروع والنبات كقوله تعالى كلاوا من ثمرة اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده (البحث الخامس) قال تعالى فأخرج به من الثمرات رزقكم والمراد انه تعالى انما اخرج هذه الثمرات لاجل ان تكون رزقنا والمقصود انه تعالى قصد بتخليق هذه الثمرات ابصال الخير والمنفعة الى المكلفين لان الاحسان لا يكون احساناً الا اذا قصد المحسن بفعله ابصال النفع الى

يستوجب افاضة النعم ويعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعواز مرافق العاش لحضن اقامة الصلاة وادام حقوقي اليتم مهة جميع مبادئ اجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بسمن القبول (ربنا انك تعلم ما نحن وما نعلم) من الحاجيات وغيرها والمراد بما نحن ما يقابل ما نحن سواء تعلق به الاخفاء اولاً اي تسلم ما نظره وما لا نظره فان علمه تعالى متعلق بما لا يحيط به علمه عما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديمه ما نحن على ما نحن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على البطل وجه فكان تعلقه بما نحن اقدم منه بما يلمن اولان مرتبة السر والخصا متقدمة على سرية العلن اذ ما من شيء يملن الا هو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بجهالة الاولى اقدم من تعلقه بجهالة الثانية وفصده عليه السلام ان اظهار هذه الحاجيات وما هو من مبادئها وتجانها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لظاهر العبودية والتخضع لعظمتك والتسذلل لعزتك ومرض الافتقار الى ما عندك والاستتجال لنيل ايديك وتكسيري النماء للخالقة في الضراعة والابتهال وخير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلمه بل بجميع خفايا امك والمكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض (وما نحن على الله من شيء في الارض ولا في السماء) لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود سكاناً

ما كان في زمان من الازمان الا وجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما نحن على الله الخ دون ان يقول ويعلم ماني (الحسن)

السموات والارض تحقيقا لا غناه بقوله (٣٥٥) تعلم ما تخفى من ان عله تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة

الى عله تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخوقات وكلة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اى من محض كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او ينفى وتقدم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعده مثلا المستدعين لتفاوت بالنسبة الى علو منا والاتفات من لطاب الاسم الذات المستجمعة للصفات القوية المهابية والاشعار بعلية الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلقى وهو اللطيف الخبير والايذان به يومه لا من له لطف بشأن يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فاناسب ذكره تعالى بعبارة واضحة لبدأ الشئ وقيل هو من كلام الله عز وجل واراد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين (الجد لله الذى وهب على الكبر) اى مع كبرى وبأسى من الولد قيد الهبة استظاما للنعمة واطهارا لشكرها (اسمعيل واسحق) اروى له ولده اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة ولده واسحق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة (ان زكريا) ومالك اسرى (السميع الدعا) لبيحه من قوله سبحانه الملك كلمه اذا اعتدبه وهى من ابيانة المبالغة العالمة على الفعل اضيف الى حقوله او فاعه باسناد السماع الى دعائه تعالى مجازا وهو مع كونه من نحة الحمد والشكر اذ هو وصفه تعالى بأن ذلك الخليل سنته المستمرة لتليل على طريقة التذليل للهبة المذكورة وفيه ايدان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله

المحسن اليه (البعث السادس) قال صاحب الكشف قوله من الثمرات بيان للرزق اى اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حال من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه فى معنى رزق والتقدير ورزق من الثمرات رزقا لكم (فأما الخطة الرابعة) وهى قوله وسخر لكم الفلك لتجربى فى البحر بأمره ونظيره قوله تعالى ومن آياته الجوارى فى البحر كالاعلام فقها مباحث (البعث الاول) ان الانتفاع بما يثبت من الارض انما يكمل بوجود الفلك الجارى فى البحر وذلك لانه تعالى خص كل طرف من اطراف الارض بنوع آخر من انعمه حتى ان نعمة هذا الطرف اذا نقلت الى الجانب الآخر من الارض وبالعكس كثر الربح فى الجارات ثم ان هذا النقل لا يمكن الا بسفن البر وهى الجمال او بسفن البحر وهى الفلك المذكورة فى هذه الآية فان قيل ما معنى وسخر لكم الفلك مع ان تركيب السفينة من اعمال العباد قلنا اما على قولنا ان فعل العبد خلق الله تعالى فلا سؤال واما على مذهب المعتزلة فقد اجاب القاضى عنه فقال لو لا انه تعالى خلق الاشجار الصلبة التى منها يمكن تركيب السفن ولو لا خلقه للمعدى سائر الآلات ولو لا تعريفه العباد كيف يتخذونه ولو لا انه تعالى خلق الماء على صفة السيلان التى باعتبارها يصح جرى السفينة ولو لا خلقه تعالى الرياح وخلق الحركات القوية فيها ولو لا انه وسع الانهار وجعل فيها من العرق ما يجوز جرى السفن فيها لما وقع الانتفاع بالسفن فصار لاجل انه تعالى هو الخالق لهذه الاحوال وهو المدبر لهذه الامور والمسخر لها حسنت اضافة السفن اليه (البعث الثانى) انه تعالى اضاف ذلك التسخير الى امره لان الملك العظيم قبا بوصف بأنه فعل وانما يقال فيه انه امر بكذا تعظيما لشأنه ومنهم من جله على ظاهر قوله انما امرنا بشئ اذا اردنا ما نؤول له كن فيكون وتحقيق هذا الوجه راجع الى ما ذكرناه (البعث الثالث) الفلك من المجدادات فتسخيرها مجاز والمعنى انه لما كان يجرى على وجه الماء كبشفيه الملاح صار كانه حيوان مسخر له (الخطة الخامسة) قوله تعالى وسخر لكم الانهار واعلم ان ماء البحر قلما يتغلبه فى الاثر ارات لاجرم ذكر تعالى انعامه على الخلق بتغيير الانهار والعيون حتى ينبعث الماء منها الى مواضع الزرع والنبات وايضا ماء البحر لا يصلح للشرب والصالح لهذا المهم هو مياه الانهار (الخطة السادسة والسابعة) قوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين واعلم ان الانتفاع بالشمس والقمر عظيم وقد ذكره الله تعالى فى آيات منها قوله وجعل القمر فى نور او جعل الشمس سرابا ومنها قوله الشمس والقمر بحسبان ومنها قوله وجعل فى سائر اجزا قرانها ومنها قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقوله دائبين معنى الدؤب فى اللغة مرور الشئ فى العمل على عادة مطردة يقال دأب يدأب دأبا ودؤبا وقد ذكرنا هذا فى قوله قال تزرعون سبع سنين دأبا قال المفسرون قوله دائبين معناه بدأ بان فى سيرهما وانارتهما وتأثيرهما فى ازالة الظلمة وفى اصلاح النبات والحيوان فان الشمس سلطان النهار والقمر

رب هبلى من الصالحين فانقرنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المكلم (٣٥٦) واركان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة

فانقضة عليه خاصة وهما من النعم
لأن النعم عليهم (رب اجعلنى
مقيم للصلاة) مثار عليها ممدلا
لها وتوحيد ضمير التكلم مع شعول
دعوتها لذريته ايضا حيث قال
(ومن ذريتي) اى بعضهم من
المذكورين ومن يسير سريتها
من اولادها للاشعار بأنه
المتقدي في ذلك وذريته اتباع له
وان ذكرهم بطريق الاستطراد
لا تكفى قوله ربنا انى اسكنت الخ
فان سكناه مع عدم تحققه بلا
ملازمة لمن اسكنه انما هو
مذكور بطريق التمهيد للدعاء
الذى هو مخصوص بذريته وانما
خص هذا الدعاء ببعض ذريته
عليه من جهة الله تعالى ان بعضا
منهم لا يكون مقيم للصلاة كقوله
تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا امة مسلمة لك (ربنا
وتقبل دعاء) اى دعائى هذا
المتعلق بجعلى وجعل بعض
ذريتي مقيمي الصلاة تائبين على
ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام
ولذلك جئ بضمير الجماعة (ربنا
اغفرلى) اى ما فرط منى من ترك
الاولى في باب الدين وغير ذلك
مما لا يسلم منه البشر (ولو لادى)
وقرى بالتوحيد ولا يولى وهذا
الاستغفار منه عليه السلام انما
كان قبل تبين الاسر له عليه السلام
وقيل أراد ابو الدية آدم وحواء
وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله
تعالى الاول ابراهيم الاية وقد
مر في سورة التوبة نوع تحقيق
للنعم وسبأى غامه في سورة مريم
يفضل الله تعالى (وللمؤمنين) كافة
من ذبته وغيرهم وللايمان
باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة

سلطان الليل ولولا الشمس لما حصلت الفصول الاربعة ولولاها لاختلفت مصالح العالم
بالكلية وقد ذكرنا منافع الشمس والقمر بالاستقصاء في اول هذا الكتاب (الجملة الثامنة
والثامنة) قوله وسخر لكم الليل والنهار واعلم ان منافعها مذكورة في القرآن كقوله
تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقوله وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرات قال المتكلمون تسخير الليل والنهار مجاز لانهما عرضان والاعراض
لا تسخر (الجملة العاشرة) قوله وآتاكم من كل ما سألتموه ثم انه تعالى لما ذكر تلك النعمة
العظيمة بين بعد ذلك انه يقتصر عليها بل اعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتى على
بعضها التعديد والاحصاء فقال وآتاكم من كل ما سألتموه والمفعول محذوف تقديره من
كل مسؤل شيئا وقرى من كل بالنون وما سألتموه نفي ومحله نصب على الحال اى آتاكم من
جميع ذلك غير سائله ويجوز ان تكون ما موصولة والتقدير آتاكم من كل ذلك ما حاجتكم
اليه ولم تصلح احوالك ومعايشكم الا به فكا نكهم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال ثم انه
تعالى لما ذكر هذه النعم ختم الكلام بقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الواحدى
النعمة هنا اسم اقيم مقام المصدر يقال انعم الله عليه نيم انعاما ونعمة اقيم الاسم مقام
الانعام كقوله اتفقت عليه اتفاقا ونفقة بمعنى واحد ولذلك لم يجمع لانه في معنى المصدر
ومعنى قوله لا تحصوها اى لا تقدر على تعديدها لكثرتها واعلم ان الانسان اذا اراد
ان يعرف ان الوقوف على اقسام نعم الله تمتع فضله ان يتأمل في شئ واحد يعرف عجز
نفسه عنه ونحن نذكر منهم مثالين (المثال الاول) ان الاطباء ذكروا ان الاعصاب قيمان
منها دماغية ومنها نخاعية اما الدماغية فانها سبعة ثم اتبعوا انفسهم في معرفة الحكم
الناسئة من كل واحد من تلك الازواج السبعة ثم مالاشك فيه ان كل واحد من
الازواج السبعة ينقسم الى شعب كثيرة وكل واحد من تلك الشعب ايضا الى شعب دقيقة
ادق من الشعر ولكل واحد منها يمر الى الاعضاء ولوان شعبة واحدة اختلفت اما بسبب
الكمية او بسبب الكيفية او بسبب الوضع لاختلفت مصالح البلية ثم ان تلك الشعب
الدقيقة تكون كثيرة العدد جدا ولكل واحدة منها حكمة مخصوصة فاذا نظر الانسان
في هذا المعنى عرف ان الله تعالى بحسب كل شظية من تلك الشظايا العصبية على العبد نعمة
عظيمة لو فانت لعظم الضرر عليه وعرف قطعاً انه لا سبيل له الى الوقوف عليها والاطلاع
على احوالها وعندهذا يقطع بحجة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكما اعتبرت
هذا في الشظايا العصبية فاعتبر في الشرايين والاوردة وفي كل واحد من الاعضاء
البسيطة والمركبة بحسب الكمية والكيفية والوضع والفعل والانفعال حتى ترى
اقسام هذا الباب بحرا لاساحل له واذا اعتبرت هذا في بدن الانسان الواحد عرف
اقسام نعم الله تعالى في نفسه وروحه فان عجائب عالم الارواح اكثر من عجائب عالم
الاجساد ثم لما اعتبرت حالة الحيوان الواحد فعند ذلك اعتبر احوال عالم الافلاك

العدل استعبره من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة (٣٥٧) ومنه قامت الحرب على ساق والمراد

بجرازا اوحذف المشاء كما في
واسأل لقريه واعلم ان ما حكي عنه
عليه السلام من لادعية ولا دكار
وما يتعلق بها ليس بصادر عنه
على الترتيب المحكي ولا على وجه
الدية بل صدر عنه في ازمة
متفرقة حكي مرتبا للدلالة على
سوء حال الكفرة بعد ظهور
امرهم في الله وارشاد الناس اليها
والنصر على الله تعالى لمصالحهم
الدنيوية والدنيوية (ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون)
خطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والمراد تهيئة على ما كان
عليه من عدم حسبانته عن رجل
كذلك نحو قوله ولا تكونن من
المشركين ونظرا مع ما فيه
من لا يذن بكونه واجب الاحتران
عنه في الغاية حتى ينسب عنه من لا
يمكن تقاطيعه او نفيه عليه السلام
عن حسبانته تعالى تاركا للاحكام
على طريقة العقول والتعجب عنه
بذلك لتباليغة في النسي والايدين
بأن ذلك الحسبان يغتزل حسبانته
تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العالم
بذلك مستوجب لعقابهم لاجلهم
فتركه لو كان لكان للعقل عما
يوجب من اعمالهم الخبيثة وفيه
تسلي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ووعد له اكيد ووعد
بالكفرة وسائر الظالمين شديدا و
لكل احد من يستعمل عند الله او
يتوهم اعمالهم للأجل بصفاته
تعالى والاعتزاز بامهاله وقيل
معناه لا تحسبنه تعالى بمعاملهم
معاملة الله فلعاملوا بل معاملة
من يحافظ على اعمالهم ويمتاز بهم
بذلك تقيرا والمراد
بالظالمين اهل مكة من عدت
مساوهم من تبديل نعمة الله تعالى
كفرا واحلال قومهم دار البوار
واتخاذ الانداد كما يؤذن به
التعرض لحكمة التأخير التي

والكواكب وطبقات العناصر وعجائب البر والبحر والنبات والحيوان وعند هذا
تعرف ان عقول جميع الخلائق لوركت وجعلت عقلا واحدا ثم بذلك العقل يتأمل
الانسان في عجائب حكمة الله تعالى في اقل الاشياء لما ادرك منها الا القليل فسبحانه
تقدس عن اوهام المتوهمين (المثال الثاني) انك اذا اخذت اللقمة الواحدة لتضعها في
الفم فانظر الى ما قبلها والى ما بعدها اما الامور التي قبلها فاعرف ان تلك اللقمة من الخبر
لا تتم ولا تكمل الا اذا كان هذا العالم بكتلته قائما على الوجه الاصوب لان الحنطة
لا بد منها وانها لا تثبت الا بمعونة الفصول الاربعة وتركيب الطبائع وظهور الرياح
والامطار ولا يحصل شيء منها الا بعد دوران الافلاك واتصال بعض الكواكب ببعض
على وجوه مخصوصة في الحركات وفي كيفيتها في الجهة والسرعة والبطء ثم بعد ان
تكون الحنطة لا بد من آلات الطحن والخبر وهي لا تحصل الا بعد تولد الحديد في ارحام
الجبال ثم ان الآلات الحديدية لا يمكن اصلاحها الا بالآلات اخرى حديدية سابقة عليها
ولا بد من انتابها الى آلة حديدية هي اول هذه الآلات فتأمل انها كيف تكونت
على الاشكال المخصوصة ثم اذا حصلت تلك الآلات فانظر انه لا بد من اجتماع العناصر
الاربعة وهي الارض والماء والهواء والنار حتى يمكن طبع الخبر من ذلك الدقيق فهذا هو
النظر فيما تقدم على حصول هذه اللقمة واما النظر فيما بعد حصولها فتأمل في تركيب بدن
الحيوان وهو انه تعالى كيف خلق هذه الابدان حتى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة وانه
كيف ينضج الحيوان بالاكل وفي اي الاعضاء تحدث تلك المضار ولا يمكنك ان تعرف
القليل من هذه الاشياء الا بمعرفة علم التسميح وعلم الطب بالكلية فظهر بما ذكرنا ان
الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته الا بمعرفة جملة هذه الامور والعقول قاصرة
عن ادراك ذرة من هذه المباحث فظهر بهذا البرهان القاهر صحة قوله تعالى وان تعدوا
نعمت الله لا تحصوها ثم انه تعالى قال ان الانسان لظلوم كفار قيل يظلم النعمة باغفال
شكرها كفار شديد الكفر ان لها وقيل ظلوم في الشدة يشكرو ويحزج كفار في النعمة
يجمع ويمتنع والمراد من الانسان ههنا الجنس يعني ان عادة هذا الجنس هو هذا الذي
ذكرناه وههنا بجنان (البحث الاول) ان الانسان مجبول على النسيان وعلى الملامة فاذا
وجد نعمة نسى في الحال وظلها بترك شكرها وان لم ينسها فانه في الحال يملها فيقع في
كفران النعمة وايضا فانهم الله كثيرة حتى حاول التأمل في بعضها غفل عن الباقي (البحث
الثاني) انه تعالى قال في هذا الموضع ان الانسان لظلوم كفار وقال في سورة البحل ان الله
لغفور رحيم ولما تأملت فيه لاحتمالي فيه دقيقة كما أنه يقول اذا حصلت النعم الكثيرة
فانت الذي اخذتها وانا الذي اعطيتها فحصل لك عند اخذها وصفان وهما كونك ظلوما
كفارا ولي وصفان عند اعطائها وهما كونك غفورا رحيم والمقصود كما أنه يقول ان كنت
ظلوما غافرا غفورا وان كنت كفارا فانارحيم اعلم عجزك وقصورك فلا تقابل تقصيرك

منه قوله تعالى قل تمتعوا الآية اوجنس الطامنين وهم داخلون (٣٥٨) في الحكم دخولا اوليا (انما يؤخرهم) عنهم متمتعين بالخطوط

الدنياوية ولا يجعل عقوبتهم حسبا يباهد وهو استثناء وقع تليدا للهي السابق اى دم على ما كنت عليه من عدم حسبي تعالى عاقبة عن اعمالهم ولا يحزن بتأخير ما تسوجبه من العذاب لانهم اذناؤهم القشديد والتعظيم ولا تحسبه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها اما ذلك لاجل هذا اول نصيبه تعالى بعمالهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير انما هو لهذه الحكمة وقضى بالنون وايضا التأخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتحويل الحطب وتقطع الحال يبين انهم متوجهون الى العذاب مرصودون لاسمها لانهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستفصال بالرة وان لا يبق منهم في الوجود عين ولا اثر وللايدان بأن المؤخره من جهة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عنهم الخ لما فهم ذلك (ليوم) هائل (تختص فيه) (الالبصار) ترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل في رستهم الكفرة المهودون دخولا اوليا اى تبقى مفتوحة لاتصلح لاجفائهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في اما كتبها اما باعتبار الارتقاء الحسى في جرم الدين ولما يجعل الضيعة من شخص من بلد الى بلد سار في ارتقاء (مهطمين) مسرعين الى الداهى متبئين عليه بالحق والذل والخشوع او متبئين بابصارهم عليه ليطغون عنه ولا يطفون هبة وخروفا حيث كان اداة النظر ههنا بالنظر الى الداهى قيل (مقضى رؤسهم) اى رافعيها مع اداة النظر من غير التفات الى

(حاصل)

شيء قاله العتي وابن عرفة اونا كسيها ويقال اقنع (٣٥٩) رأسه اى طأطأها ونكسها فهو من الاضداد وهما حالان مادل عليه الاضرار

من حصه ايضا او الشان حال

متداخلة من الضير فى الاول

واضافه غير حقيقة فلا يتبقى

الحالية (لا يرتد اليهم طرفهم)

اى لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم

حسبما كان يرجع اليهم كل خطوة

بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف

او لا ترجع اليهم اجفانهم التى هى

الله الطرف فيكون استناد

الرجوع الى الطرف مجازا وهو

نفس الجفن قال التوريز امدى

الطرف العين لا يصح لانه مصدر

فى الاصول واسم جاسر للعين ولا

يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا

عن ان يرجع الى شئ آخر فيكون

مبهوتين وهو ايضا حال او بدل

من مقبى الخ او استئناف والمعنى

لا يزول ما اتقاهم من شغفوس

الاضرار وتأخير عما هو من يقته

من الاطعام والافتاع مع ما بينه

وبين الشغفوس المذكور من

المناسبة ان رتبة هذا المعنى (واختتم

هوا) خالية من الغل والقهم

لفرط الحيرة والدهش كأنه لا

نفس الهوا الخالى من كل شغل

ومنه قيل للبيان والاجق قلبه

هوا اى لا قوة ولا رأى فيه

واعتبار خلوها عن كل خير لا

يتاسب المقام وهو امحال عاملها

لا يرتد مقيدة لكون شغفوس

اضرارهم وعدم ارتداد طرفهم

بلاذهم ولا اختيارا ووجه مستقلة

(وانتد التاس) خطاب لرسول

الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه

ان تأخيرهم لاذوا امره بالذاهر

وتخوفهم منه والمراد بالناس

الكفار المبصر عنهم بالظالمين

كما يقتضيه ظاهر آيات المذاب

لالتعريف للازجاج والاذاء

حاصل لامحاجة والجواب عن السؤال الثانى قال الزجاج معناه ثبتنى على اجتناب عبادتها
كما قال واجعلنا مسلمين لك اى ثبتنا على الاسلام ولقائل أن يقول السؤال باق لانه لما
كان من المعلوم انه تعالى يثبت الانبياء عليهم السلام على الاجتناب من عبادة الاصنام
فما الفائدة فى هذا السؤال والصحيح عندى فى الجواب وجهان (الاول) انه عليه
السلام وان كان يعلم انه تعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه ذكر ذلك هضمًا للنفس
واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله فى كل المطالب (والثانى) ان الصوفية يقولون
ان الشرك نوعان شرك حلى وهو الذى يقول به المشركون وشرك خفى وهو تعليق القلب
بالوسائط وبالاسباب الظاهرة والتوحيد المحض هو ان ينقطع نظره عن الوسائط ولا يرى
متصرفا سوى الحق سبحانه وتعالى فيحتمل ان يكون قوله واجتنبى وبى ان تعبد الا الاصنام
المراد منه انه يعصمه عن هذا الشرك الخفى والله اعلم بمراده والجواب عن السؤال الثالث
من وجوه (الاول) قال صاحب الكشف قوله وبى اراد بنيه من سلبه والفائدة فى هذا
الدعاء عين الفائدة التى ذكرناها فى قوله واجتنبى (الثانى) قال بعضهم اراد من اولاده
واولاد اولاده كل من كانوا موجودين حال الدعاء ولا شبهة ان دعوته بحجابه فيهم
(الثالث) قال مجاهد لم يعبد احد من ولد ابراهيم عليه السلام صنما والصنم هو التمثال
المصور وماليس بمصور فهو وثن وكفار قرش ماعبدوا التمثال وانما كانوا يعبدون اصجارا
مخصوصة واشجارا مخصوصة وهذا الجواب ليس بقوى لانه عليه السلام لا يجوز ان يريد
بهذا الدعاء الاحادة غير الله تعالى والجر كالصنم فى ذلك (الرابع) ان هذا الدعاء يخص
بالؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال فى آخر الآية فن تبعنى فانه منى وذلك يفيد ان
من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ونظيره قوله تعالى لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير
صالح (الخامس) لعله وان كان عم فى الدعاء الا ان الله تعالى اجاب دعاءه فى حق البعض
دون البعض وذلك لاوجب تحقير الانبياء عليهم السلام ونظيره قوله تعالى فى حق ابراهيم
عليه السلام قال اتى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين
(المسئلة الثالثة) اخبر اصحابنا بقوله واجتنبى وبى ان تعبد الا الاصنام على ان الكفر
والايمان من الله تعالى وتقرير الدليل ان ابراهيم عليه السلام طلب من الله ان يجنحه
ويجنب اولاده من الكفر فدل ذلك على ان التبعيد من الكفر والتقريب من الايمان
ليس الا من الله تعالى وقول المعتزلة انه محمول على اللطاف فاسد لانه عدول عن الظاهر
ولا نافذ ذكرنا وجوها كثيرة فى افساد هذا التأويل ثم حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه
السلام انه قال رب انهن اضلال كثيرا من الناس واتفق كل الفرق على ان قوله اضلال
مجاز لانها جادات والجماد لا يفعل شيئا البتة الا انه لما حصل الاضلال عند عبادتها اضيف
اليها كما تقول فتدبرهم الدنيا وخرتهم اى افتنوا بها واغتر واسبىها ثم قال فن تبعنى فانه منى
يعنى من تبعنى فى دينى واعتقادى فانه منى اى جار مجرى بعضى لفرط اختصاصه بى وقربه

والعدول اليه من الاضمار للاشعار بأن المراد بالانتذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم

فلاناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم والناس جميعا (٣٦٠) فان الانذار عام للتريقين كقوله تعالى انما تنذروا من تبع الذكر والانيان

يعني من حيث كونهما في الموتوان كان لحوقه بالكفار خاصة في نذرهم وخوفهم (يوم يأتيهم العذاب) العذاب وهو اليوم الذي وصف بمسا لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيامة وقبل هويوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا يشري او يوم هلاكهم بالمعذب العاجل وباباء القصر السابق (فيقول الذين ظلموا) اي فيقولون والمدوا هل هنه الى ما عليه نظم الكرم للتصيل عليهم بالظلم وللشمار بان الملقوه من الشدة تخاهو لظلمهم ويثاره على صيغة الفاعل حسبا ذكر اول الانذار بان الظلم في الجملة كلف في الاغصاء المما ذكر من الاحوال من غير حاجة الى الاستقراء عليه كما ينبغي عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يومئذ المسلمين ايضا فالهفي الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيره من الامم الحالية فان اتيان العذاب بعمهم كما يشهر بذلك ومعهما بالتابع (الرسل) (ربنا) اخر (ردنا الى الدنيا واهلنا) الى اجل قريب الى امد واحد من الزمان قريب (يجب دعوتك) اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لناعلى السنة الرسل فيه ايماء الى انهم صدقوه في انهم سرسلون من عند الله تعالى (وتبع الرسل) فيما جاؤا بهاء تتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتبع الرسل والجميع اما باعتبار اتصاف الجميع على التوحيد وكون عصياتهم الرسول صلى الله عليه وسلم عصياتهم جميعا واما باعتبار ان الحق كدم ظالي الامم جميعا والمقصود بيان وعدك (تحمل)

امة باباع رسولها (اولم تكونوا اقمتم من قبل) (٣٦١) على اضرار القول معطوفا على فيقول اى فيقال لهم توبوا وبكنتم الم تؤخروا

في الدنيا ولم تكونوا اقمتم اذذاك بالستكم بطرا واشارا وجهاد وسفها (مالكم من زوال) مما اتم عليهم من التمتع بالحفظ الديني او بالسنة الحلال حيث بنيت مشيدا وألمت مبدا ولم تحدوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه اموالكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقموا بالله جسد ايمانهم لا يثبت الله من موت وصيفة الخطاب في جواب القسم لمرعاة حال الخطاب في اقمتم كافي قوله حلف بالله لغير جن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال مالنا مراعاة الحال القسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ايدا يقولون ربنا امثنا ثلاثة واحببتنا اثنين فاعترفوا بذنوبنا هل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتهم وان يشرك به تؤمنسوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسعدنا فارحنا نعمل صالحا اماموفون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الاية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب تجيب دعوتك وتضع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقمتم الاية ثم يقولون ربنا اخرنا نعمل صالحا غير الذي كتبنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعلمكم النذير فذوقوا فما للظالمين ولا تذكرون فلا يتكلمون بعدها

تحمل المغفرة والرحمة على ترك تعجيل العقاب او ترك تعجيل الامانة فنقول هذا باطل لان كفار زمانها اكثر منهم ولم يعاجلهم الله تعالى بالعقاب ولا بالموت مع ان اهل الاسلام متفقون على انهم ليسوا مغفورين ولا مرحومين فبطل تفسير المغفرة والرحمة على ترك تعجيل العقاب بهذا الوجه وظهر بما ذكرنا صحة ما قررناه من الدليل والله اعلم قوله تعالى (ربنا انى امكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا ربنا انك تعلم ما تخفى ومانعنا وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى للمؤمنين يوم يقوم الحساب) اعلم انه سبحانه وتعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام في هذا الموضع انه طلب في دعائه امورا سبعة (الاول) طلب من الله نعمة الامان وهو قوله رب اجعل هذا البلد آمنا ولا تبوءا بطول نعمة الامن في هذا الدعاء يدل على انه اعظم انواع النعم واخيرات وانه لا يتم شئ من مصالح الدين والدنيا الا به وسئل بعض العلماء آلام افضل ام الصحة فقال لا من افضل والدليل عليه ان شاة لو انكسرت رجلها فانها تصح بعد زمان ثم انها تقبل على الرعى والاكل ولوانها ربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب فانها تمسك عن العلف ولا تناوله الى ان تموت وذلك يدل على ان الضرر الحاصل من الخوف اشد من الضرر الحاصل من المأكلة (والمطلوب الثانى) ان يرزق الله التوحيد ويصونه عن الشرك وهو قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام (والمطلوب الثالث) قوله ربنا انى امكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فقوله من ذريتي اى بعض ذريتي وهو اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادى مكة غير ذى زرع اى ليس فيه شئ من زرع كقوله قرأنا عبرا غير ذى عوج بمعنى لا يحصل فيه اعوجاج عند بيتك المحرم وذكرنا في تسميته بالمحرم وجوها (الاول) ان الله حرم التعرض له ولو التهاون به وجعل ماحوله حرما ملكا (الثانى) انه كان لم يزل يمنعنا عن زيارته كل جبار كالشئ المحرم الذى حقنه ان يحتجب (الثالث) سمي محرما لانه محترم عظيم الحرمه لا يحل انتهاكه (الرابع) انه حرم على الطوفان اى منع منه كاسى عتيقاله اعتق منه فلم يستعمل عليه (الخامس) امر السائرين اليه ان يحرموا على انفسهم اشياء كانت تحل لهم من قبل (السادس) حرم موضع البيت حين خلق السموات والارض وحفه بسبعة من الملائكة وهو مثل البيت المعمور الذى بناه آدم فرفع الى السماء السابعة (السابع) حرم على عباده ان يقره بالدماء والاقدار وغير هاروى ان هاجر كانت امة لاسارة فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت اسمعيل عليه السلام فقالت سارة كنت ارجوان محبب الله لى ولدا من خليله فغنعه ورزقه خادمى وقالت لابراهيم بعدهما منى فقلهما الى مكة واسمعيل رضيع ثم رجع فقالت هاجر الى من تكلمنا فقال الى الله ثم دعا الله تعالى بقوله ربنا

من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين (٤٦) (را) (خا) فيجيبهم الله تعالى اخسأ فيها ولا تذكرون فلا يتكلمون بعدها

أبدان هو الأفيروشيقي وعند ذلك انقطع وجاؤهم واقبل بعنهم بنح (٣٦٢) في وجه بعض وطبعت عليهم جهنم اللهم انا بك نعوذ وبكنفك

نلوذ عن جارك وجل ثناؤك
والله غيرك (وسكنتم) من السكنى
يعنى التهوؤ والإيطان وأما
استعص بكلمة في حيث قبل
(في مساكن الذين علوا أنفسهم)
جريا على الأصل لأنه منقول عن
مطلق السكون الذى حقه التندبة
بها ومن السكون واللبث اى
قررت في مساكنهم مطمئنين
سائرين سرتهم في الظلم بالكفر
والعاصى غير محدثين لانفسكم
بما قلوا بسبب ما اجتروا من
اوقبات وفي إفساع الظلم على
انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف
ايدان بأن غائلة الظلم آتية الى
صاحبه والمراد بهم اما جمع من
تقدم من الامم المهلكة على تقدير
اختصاص الاستعمال والخطاب
السابق بالمذنبين واما اوائهم
من قوم نوح وهود على تقدير
عومهم لكل وهذا الخطاب
وما يتلو باعتبار حال واخرهم
(وتبين لكم) بمثابة الاشارة
وقواتر الاخبار (كيف فلنا بهم)
من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا
من الظلم والفساد وكيف منصوب
بما بعده من الفعل وليس الجمله
فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين
بل فاعله ما دلت هى عليه دلالة
واختصاص فلنا ليجوب بهم وفيه
من المسالفة ما ليس في ان يقال
ما فعلنا بهم كما في قوله تعالى
ليجنته وقرى دين (وضربنا
لكم الامثال) اى يبين لكم
في القرآن العظيم على تقدير
اختصاص الخطاب بالمذنبين او
على ألسنة الانبياء عليهم السلام
على تقدير عومهم لطبع الطائين
صفات ما فعلوا وما فعل بهم
من الامور التى هى في القرابة
كالامثال المخروبة لكل
ظالم تعتبر بها وتقبوا أعمالكم على أعمالهم وما كنتم على ما كنتم وتنتقلون من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب (اسماعيل)

ظالم تعتبر بها وتقبوا أعمالكم على أعمالهم وما كنتم على ما كنتم وتنتقلون من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب (اسماعيل)

الاجل قد دعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي (٣٦٣) اوبينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث

في موقع الحال من ضمير السمع اى
اقسمتم بالخلو ودو الحال انكم كنتم في
مساكن المهلكين بالظلمتين
لكم فلما العجب بهم وبهناكم
على جليلة الحال بضرب الامثال
وقوله عز وجل (وقد مكروا
مكرهم) حال من الضمير الاول
في فعلناهم اومن الثاني اومنها
جها ونما قدم عليه قوله تعالى
وضربناكم الامثال لشدت ذنوبكم
بما كنتم تعملون فلما حال
الهم قد مكروا في ابطال الحق
وتقرر الباطل مكرهم العظيم
الذى استغروا في عمله المجهود
وجاوزوا فيه كل حد مهود
بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد
بان تهاهم في استحقاق ما فعل
لهم او قد مكروا مكرهم المذكور
في ترتيب ما يدى البقاء ومدافعة
اسباب الزوال فالتقصود اظهار
مكرهم واضمحلال قدرتهم
وحقارتها عند قدرة الله تعالى
مكرهم الذى فعلوه على ان
المكر مضاعف الى فاعله او اخذه
تعالى بهم على انه مضاف الى
مفعوله وتسميته مكر لكونه
بمقابلة مكرهم وجودا وذكرنا
اول لكونه في صورة المكر في الاتيان
من حيث لا يشعرون وعلى
التقديرين فالمراد بما اقامه قوله
عز وجل كيف فعلنا بهم لانه
وعيد مستأنف والجملة حال من
الضمير في مكروا اى مكروا مكرهم
وعند الله جزاء او ما هو اعظم
منه المقصود بيان فساد رأيهم
حيث باثروا فصلاص تخفى
ما يوجب تركه (وان كان مكرهم)
في الظلم والشدّة (لتزول منه
الجبال) اى وان كان مكرهم في غاية

اسماعيل وما نعلن من البكاء وقيل ما نخفى من الحزن المتكفن في القلب وما نعلن بريد ما جرى
بينه وبين هاجر حيث قالت له عند الوداع الى من تكفنا فقال الى الله اكلمكم قالت الله
امر ك هذا قال نعم قالت اذن لا نخشى ثم قال وما نخفى على الله من شئ في الارض ولا في
السماء وفيه قولان (احدهما) انه كلام الله عز وجل تصديقا لاراهيم عليه السلام
كقوله وكذلك يفعلون (والثاني) انه من كلام ابراهيم عليه السلام يعنى وما نخفى على
الذى هو عالم الغيب من شئ في كل مكان ولفظ من يفيد الاستغراق كأنه قيل وما نخفى
عليه شئ ما ثم قال الحمد لله الذى وهب لى الكبر اسمعيل واسحق وفيه مباحث (البحث
الاول) اعلم ان القرآن يدل على انه تعالى انما اعطى ابراهيم عليه السلام هذين الولدين
اعنى اسمعيل واسحق على الكبر والشيوخه فأما مقدار ذلك السن فقير معلوم من
القرآن وانما يرجع فيه الى الروايات فقيل لما ولد اسمعيل كان سن ابراهيم تسعا وتسعين
سنة ولما ولد اسحق كان سنه مائة واثنى عشرة سنة وقيل ولد له اسمعيل لاربعة وستين
سنة وولد اسحق لتسعين سنة وعن سعيد بن جبير لم يولد لاراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة
سنة وانما ذكر قوله على الكبر لان المنة بهمة الولد في هذا السن اعظم من حيث ان هذا
الزمان زمان وقوع البأس من الولادة والظفر بالحاجة في وقت البأس من اعظم النعم
ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لاراهيم * فان قيل ان ابراهيم عليه السلام
انما ذكر هذا الدماء عندما سكن اسمعيل وهاجر امه في ذلك الوادى وفي ذلك الوقت ما ولد له
اسحق فكيف يمكنه ان يقول الحمد لله الذى وهب لى الكبر اسمعيل واسحق فقلنا قال
القاضى هذا الدليل يقتضى ان ابراهيم عليه السلام انما ذكر هذا الكلام في زمان آخر
لا عقب ما تقدم من الدماء ويمكن ايضا ان يقال انه عليه السلام انما ذكر هذا الدماء بعد
كبر اسمعيل وظهور اسحق وان كان ظاهر الروايات بخلافه (البحث الثانى) على قوله
على الكبر يعنى مع كقول الشاعر

انى على ماترين من كبرى * اعلم من حيث يؤكل الكنف

وهو في موضع الحال ومعناه وهب لى في حال الكبر (البحث الثالث) في المناسبة بين قوله
ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما نخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء وبين قوله
الحمد لله الذى وهب لى الكبر اسمعيل واسحق وذلك هو كأنه كان في قلبه ان يطلب
من الله اعانتها واعانة ذريتهما بعد موته ولكنه لم يصرح بهذا المطلوب بل قال ربنا انك
تعلم ما نخفى وما نعلن اى انك تعلم ما في قلوبنا وضامرتنا ثم قال الحمد لله الذى وهب لى
الكبر اسمعيل واسحق وذلك يدل ظاهرا على انها يقين بعدموته وانه مشغول القلب
بمسببها فكان هذا دعاء لها بالخير والمعونة بعد موته على سبيل الرمز والتعريض وذلك
يدل على ان الاشتغال بالثناء عند الحاجة الى الدماء افضل من الدماء قال عليه السلام حاكيا
عربه انه قال من شغله ذكرى عن مسائل اعطيته افضل ما اعطى السائلين ثم قال ان ربى

المتانة والشدّة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعدلا لانه الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرية بان الوصاية معطوفة على .

جلة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرمهم او المكروه الذي يحيق (٣٦٤) بهم ان لم يكن مكرمهم لتزول منه الجبال وان كان الحق قد حذف

ذلك حذف امطر والدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق منه وجود المانع القوي قل ان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصيلة من التأكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرمهم وقيل ان ثافية واللام لتأكيد ما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم ويضربهم اذ لم يمسودوا في الله فنه وما كان مكرمهم فالجثة حينئذ حال من الضمير في مكره والامن قوله تعالى وعند الله مكرمهم اي مكرهوا مكرمهم والحال ان مكرمهم لم يكن لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومجهراته الطاهرة على ايدى الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الرسالية في الرسوخ واما كونها عبارة عن امثال الله صلى الله عليه وسلم واسم القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذا ما كروهم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من مخاطبين وان خص الخطاب بالمؤمنين وقيل هي عتقة من ان والمعنى انهم ان مكرمهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات كما ذكر من الآيات والشرائع والمجرات والجملة كما هي حال من ضمير مكرهوا اي مكرهوا مكرمهم اليهود وان الشأن كان مكرمهم لازالة الآيات والشرائع على معنى انهم لم يكن يصح ان يكون منهم مكرم كذلك وكان شأن الآيات والشرائع ما لما من مباشرة المكروه لازالته وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى تعظيم مكرمهم فالجثة حال من قوله تعالى وعند الله مكرمهم اي عند الله جزاء مكرمهم او المكروههم والحال ان مكرمهم بحيث تزول منه الجبال (يوم)

اى فى غايه الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح (٣٦٥) لام كى وان كاد مكرهم هذا هو الذى يقتضيه النظم الكريم وينساق

اليه الطبع السليم وقد قيل
ان الضير في مكرها المنذر ين
والمراد بمكرهم ما افاده قوله
عن رجل واذبحك بك السدين
كفروا ليشتوك او يقتلوك او
يخرب جوك الآية وغیره من
انواع مكرهم برسول الله صلى الله
عليه وسلم ولعل الوجه حيث
ان يكون قوله تعالى وقدمكروا
الح حالا من القول المقدر اى
فيقال لهم ما يقال والحال انهم
مع ما فعلوا من الاقسام المذكور
مع ما يناسبه من السكون في
مساكن المهلكين وتبين احوالهم
وضرب الامثال فدمكروا
مكرهم العظيم اى لم يكن الصادر
عنهم مجرد الاقسام السدى
وبخوابه بل اجتروا على مثل
هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله
مكرهم حال من ضمير مكروا
حسبا ذكرنا من قبل وقوله
تعالى وان كان مكرهم لتزول منه
الجبال مسوق لبيان عدم
تفاوت الحال في تحقيق الجزاء
بين كون مكرهم قويا وضعيفا
كأمر هناك وعلى تقدير كون ان
نافية فهو حال من ضمير مكروا
والجبال عبارة عن امر النبي
صلى الله عليه وسلم اى وقدمكروا
والحال ان مكرهم ما كان لتزول
منه هاتيك الشرائع والآيات
التي هي في القوه كالجبال وعلى
تقدير كونها تخففة من التقييد
واللام مكسورة يكون حالا منه
ايضا على معنى ان ذلك المكر
العظيم منهم كان لهذا الغرض
على معنى انه لم يكن يصح ان يكون
منهم مكر كذلك لما انشأ الشرائع
اعظم من ان يكر بهما كروعي
تقدير لضعف الامم فهو حال من قوله
تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا
من قبل فليتأمل (فلا تحسبن

الله مخلف وعده رسله) لم يرد به والله سبحانه اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلتنا الآية وقوله كتب الله لاغيا انا ورسلى كافي

وانه لا اختصاص له بالعذاب لاسيما الاخرى بل ما سلف (٣٦٦) انما من وعدة بعذاب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الا بئسما يصنع

عنه الغاء الداجلة على النبي
الذي اراد به تهيئة عليه الصلاة
والسلام على ما كان عليه من
الثقة بالله تعالى واليقين بخيار
وعده المذكور القرون بالاسر
بانتارهم يوم اتيان العذاب
للتحقق لذكر تعذيب الامم
والتعذيب بغيرهم وعصيانهم
رسلم بعد ما وعدهم بذلك كما
ضلت قصة كل منهم في القرآن
الظيم فكانه قيل واذا وعدناك
بالعذاب الفاسلين يوم القيامة
واخبرناك بما يقفون من الشدايد
ويا يسألونهم من الرد الى الدنيا
ويا اجنباهم بهوقراضهم بعدم
تأملهم في احوال من سبقهم من
الام الذين اهلكناهم بظلمهم
بعد ما وعدنا رسلم باهلاكهم
فقد على ما كنت عليه من
الثقة بعدم اخلاف رسلا وعدنا
(ان الله عزيز غلب لا يماكر
قادرا لبقادر ذو انتقام) لا لايائه
من اعدائه والجللة لتعليل للنهي
المذكور وتبديل له وحيث كان
الوعد عبارة عما ذكرنا من
تعذيبهم خاصة لم يبدل بأن يقال
ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض
لوصف العرة والانتقام الشمرين
بذلك والمراد بالانتقام ما اثير
اليه بالفعل وعبر عنه بالكر (يوم
تبدل الارض غير الارض) ظرف
بعضر مستأنف يسحب عليه النبي
المذكور اى يغيره يوم احو
معطوف عليه نحو وارتقب
يوم تبدل الارض غير الارض
والانتقام يوم يوم يأتيهم العذاب
بغيره ولكن له احوال جنة
يذكر كل مرتبة يعنون مخصوص
والتعقيب به مع عموم انتقامه
والاوقات كلها للافصاح عما

هو المغتوود من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم، وجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب اول نصب اذكر (كانوا)

او باخفا لا يخاف وعده يوم تبدل الخ وفيه ايضا ما في الوجه الثالث (٣٦٧) من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب بقوله مختلف وعده

لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده
وقيل هو غير مانع لان قوله
تعالى ان الله عزيز ذو انتقام
جاء باعتراضية فلا ياتي بها فاعلا
واعلم ان التبدل قد يكون في
الذات كما في بدلت الدرهم دينار
وعليه قوله عز وجل بدلناهم
جلودا غيرها وقد يسكنون
في الصفات كما في قولك بدلت
الحققة خاتما اذا غيرت شكلها
ومنه قوله تعالى يبدل الله
سيئاتهم حسنات على بعض
الاقوال والاية الكريمة ليست
بعض في احد الوجهين فن
على رضى الله عنه تبدل ارضنا من
فتنة وسعوات من ذهب وعن ابن
مسعود رضى الله عنه تبدل الارض
بأرض كالفنة يضاء لقيت
لم يسطك فيها دم ولم يعمل عليها
خطية وعن ابن عباس رضى الله
عنه ما هي تلك الارض وانما تغير
صفتها وانشد
وما الناس بالناس الذين عهدتهم
وما الدار بالدار التي كنت تعلم
وتبدل السموات بالسموات كواكبها
وكسوف شمسه وخسوف غيرها
وانشقاقها وكونها ابوابا وبدل
عليه ما روى ابو هريرة رضى الله
عنه انه عليه الصلاة والسلام قال
تبدل الارض غير الارض فتبسط
وتعتمد الارض المتكاثرة لا ترى فيها
صواعج الامثال والسموات اي
وتبدل السموات غير السموات
حسبا من من التفصيل وتقديم
تبدل الارض لغيرها لما لوكون
تبدلها اعظم اثر بالنسبة اليها
(وروي) اي الدنيا والارض والسموات
المدلول عليهم بموتة السابق
والراد بوزنهم من اجسادهم التي
في بطون الارض او ظهورهم
بأعمالهم التي كانوا يعملونها سرا

كانوا طالين للدنيا ثم انهم فنوا واقرضوا فعند هذا يعلمون انه لا فائدة في طلب الدنيا
والواجب الجدد الاجتهاد في طلب الدين والواجب على من عرف هذا ان يكون خاشعا وجلال
فيكون ذلك زجراله هذا اذا قرئ بالتاء اما اذا قرئ بالنون فلا شبهة فيه لان التقدير كما أنه
تعالى قال اولم نرين لكم كيف فعلنا بهم وليس كل ما بين لهم تبينه اما قوله وضربناكم
الامثال فالمراد ما اورده الله في القرآن ما يعمله انه قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء
وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المجمل وذلك في كتاب الله كثير والله اعلم
بقوله تعالى (وقدمكموا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) اعلم
انه تعالى لما ذكر صفة عقابهم اتبعها بذكر كيفية مكرهم فقال وقدمكموا مكرهم وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في ان الضمير في قوله وقدمكموا الى ما يعود على وجوه
(الاول) ان يكون الضمير عائدا الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظفروا انتقمهم وهذا
القول الصحيح لان الضمير يجب عوده الى اقرب المذكورات (الثاني) ان يكون المراد به
قوم محمد صلى الله عليه وسلم والدليل عليه قوله واذنر الناس يا محمد وقدمكموا مكرهم
وذلك المكر هو الذي ذكره الله تعالى في قوله واذنر الذين كفروا اليثبوك او يقتلوك
او يخرجوك وقوله مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم (الثالث) ان
المراد من هذا المكر ما نقل ان نمرود حاول الصعود الى السماء فانخذ لنفسه تابوتا وربط
قوائم الاربع بأربعة نسور وكان قد جوعها ورفع فوق الجوانب الاربع من التابوت
حصيا اربعا وعلق على كل واحدة منهن قطعة لحم ثم اثناءه جلس مع حاجبه في ذلك التابوت
فلما ابصرت النسور تلك اللحوم تصاعدت في جوار الهواء ثلاثة ايام وغابت الدنيا عن عين
نمرود ورأى السماء بحالها فنكس تلك العصي التي علق عليها اللحم فسفلت النسور
وهبطت الى الارض فهذا هو المراد من مكرهم قال القاضي وهذا بعيد جدا لان الخطر فيه
عظيم ولا يكاد العاقل يقدم عليه وما جاء فيه خبر صحيح معتمد لا حاجة في تأويل الآية اليه
(المسئلة الثانية) قوله وعند الله مكرهم فيه وجهان (الاول) ان يكون المكر مضافا الى
الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو يجازيهم عليه بمكرهم اعظم منه
(والثاني) ان يكون المكر مضافا الى المفعول والمعنى وعند الله مكرهم الذي يكره بهم هو
عذابهم الذي يستحقونه بأنهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون اما قوله تعالى وان
كان مكرهم لتزول منه الجبال فاعلم انه قرأ الكسائي وحده لتزول يقع اللام الاولى ورفع
اللام الاخرى منه والباقيون بكسر الاولى ونصب الثانية اما القراءة الاولى فعناها ان
مكرهم كان معدا لآن تزول منه الجبال وليس المقصود من هذا الكلام الاخبار عن وقوعه
بل التعظيم والتهويل وهو كقوله تكاد السموات يتفطرن منه واما القراءة الثانية فالتعني
ان لفظة ان في قوله وان كان مكرهم بمعنى ما واللام المكسورة بعدها يعني بها الجمحد من
سبيلها نصب الفعل المستقبل والخويون يسمونها لام الجمحد ومثله قوله تعالى وما كان الله

يرزعون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم معاته لا اعمالهم لا ايدان بتشاكلهم بأشكال تناسبها

وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على (٣٦٨) تحقق وقوعه احوال من الارض بتقدير قدوارابط بينهما وبين

صاحبها الواو (قد الواحد القهار) الحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتحويل الخطيب وترتبة المهابة واطهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم وعلى تقدير كونه ظرفا له وتحقق آيات العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامراء كان الواحد غضب لا يعار وقادر لا ينسار ولا يفار كان في غابة ما يكون من الشدة والصعوبة (وترى العجريين)

عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة اولدلالة على الاستقرار واما البروز فهو دفعي لاستقرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه يجزء (يومئذ) يوم ابرزوا له عز وجل اويوم اذ تبدل الارض او يوم اذ يجزء (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض حسب اقتراهم في الجرائم والجرائر او قروا مع الشياطين الذين اغووه او قروا مع ما افترقا من المقاصد الزائفة والمكائ

الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصورة الموحدة والاشكال الهائلة او قرت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من الجحيم (في الاصفاذ) في القيود والاعلال وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين احوال من ضميره اى مصدقين (سرايبهم) اى قصائهم (من قفران) جهة من مبتدا وخبر محلها النصب على المحالية من الجحيم من اومن ضميرهم في مقرنين رابطتها الضمير قط كما في كلفه فوه الى في او مستأنفة والقطران ما يتصلب من الابل

ليطلعكم على الغيب ما كان الله ليذر المؤمنين والجلال ههنا مثل الامر النبي صلى الله عليه وسلم ولا مردين الاسلام واعلامه ودلالته على معنى ان ثبوتها كشوت الجبال الراسية لان الله تعالى وعديته اظهار دينه على كل الاديان ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى بعد هذه الآية فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اى قد وعدك الظهور عليهم والقبلة لهم والمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال اى وكان مكرهم اوهن واضعف من ان تزول منه الجبال الراسيات التي هي دين محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل شريعته وقرأ على وعبرو ان كان مكرهم **قوله تعالى** (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عز وجل ذو انتقام) اعلم انه تعالى قال في الآية الاولى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقال في هذه الآية فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله والمقصود منه التنبيه على انه تعالى لو لم يقم القيامة ولم ينتقم للمظلومين من الظالمين لم اما كونه غافلا واما كونه مخلفا في الوعد ولما تقرر في العقول السليمة ان كل ذلك محال كان القول بأنه لا يقيم القيامة باطلا وقوله مخلف وعده رسله يعنى قوله ان الله عز وجل لا يترك رسلنا وقوله كتب الله لا غلب ان اورد رسلنا قال قبله لا يقيم القيامة وعده رسله وعده ولم يقدم المفعول الثاني على الاول قلنا ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليدل به على انه تعالى لا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد والتقدير مخلف رسله وعده وهذه القراءة في الضمف كن قرأ قل اولادهم شركائهم ثم قال ان الله عز وجل اى غالب لا يماكر ذو انتقام لا ولياه **قوله تعالى** (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى الجحيمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرايبهم من قفران وتغشى وجوههم النار تجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس لينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب) اعلم ان الله تعالى لما قال عز وجل ذو انتقام بين وقت انتقامه فقال يوم تبدل الارض غير الارض وعظم من حال ذلك اليوم لانه لا امر اعظم في العقول والنفوس من تغير السموات والارض وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) ذكر الزجاج في نصب يوم وجهين اما على الظرف لان انتقام او على البدل من قوله يوم يأتيهم العذاب (المسئلة الاولى) اعلم ان التبدل يحتمل وجهين احدهما ان تكون الذات باقية وتبدل صفتها بصفة اخرى والثاني ان تقضى الذات الاولى وتحدث ذات اخرى والدليل على ان ذكر لفظ التبدل لارادة التغير في الصفة جائز انه يقال بدلت الحلقة خاتما اذا اذنتها وسويتها خاتما فقلنتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ويقال بدلت قبصى جبة اى نقلت العين من صفة الى صفة اخرى ويقال تبدل زيدا ذاتا تغيرت احواله واما ذكر لفظ التبدل عند وقوع التبدل في الذات فكقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه قوله بدلناهم جلودا غيرها وقوله بدلناهم بجنتهم جنتين اذا

بطحن فتنهاه الابل الجري فيخرج الجرب بغايه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته (هرفت)

عرفت ان اللفظ محتمل لكل واحد من هذين المقيمين في الآية قولان (الاول) ان
 المراد تبديل الصفة لا تبديل الذات قال ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض
 التي انما تغيرت في صفاتها فتغير عن الارض جبالها وتغير بحارها وتسمى فلا يرى فيها
 عوج ولا ملت وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يبدل
 الله الارض غير الارض فيبدلها ويمدها مدا لديم السما على فلا ترى فيها عوجا ولا ملت
 وقوله والسموات أى تبدل السموات غير السموات وهو كقوله عليه السلام لا يقتل مؤمن
 بكافر ولا ذوعهد في عهدته والمعنى ولا ذوعهد في عهده بكافر وتبديل السموات بالتبديل
 كواكبها وانقطاعها وتكون ريشها وخسوف قرها وكونها أبوابا وانما تارة تكون
 كالمهل وتارة تكون كالدهان (والقول الثاني) ان المراد تبديل الذات قال ابن مسعود
 تبدل بأرض كالفضة البيضاء النقية لم يصفك عليها آدم ولم تعمل عليها خطيئة فهذا شرح
 هذين القولين ومن الناس من رجع القول الاول قال لان قوله يوم تبدل الارض المراد
 هذه الارض والتبدل صفة مضافة اليها وعند حصول الصفة لا بد وان يكون الموصوف
 موجودا فلما كان الموصوف بالتبدل هو هذه الارض وجب كون هذه الارض باقية
 عند حصول ذلك التبدل ولا يمكن ان تكون هذه الارض باقية مع صفاتها عند حصول
 ذلك التبدل واللامتنع حصول التبدل فوجب ان يكون الباقي هو الذات ثبت ان هذه
 الآية تقتضى كون الذات باقية والقائلون بهذا القول هم الذين يقولون ان عند قيام
 القيامة لا يعدم الله الا ذات والاجسام وانما يعدم صفاتها واحوالها واعلم انه لا يعذر
 يقال المراد من تبديل الارض والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم ويجعل
 السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله كلا ان
 كتاب العجبار لفي سجين والله اعلم اما قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار فقوله اما البروز
 لله فقد فسرناه في قوله تعالى وبرزوا لله جيبا وانما ذكر الواحد القهار هنا لان الملك اذا
 كان لما لك واحد غلب لا يقابل قهار لا يهزم فلا مستغاث لاحد الى غيره فكان الامر في
 غاية الصعوبة ونفسه قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولما وصف نفسه سبحانه
 بكونه قهارا بين عجزهم وذلتهم فقال وترى المجرمين يومئذ واعلم انه تعالى ذكر من صفات
 عجزهم وذلتهم امورا (فالصفة الاولى) كونهم مقرنين في الاصفاذ يقال قرنت الشيء بالشيء
 اذا شدته به ووصلته والقران اسم للجل الذي يشده شيان وجاءهنا على الكثير لكثرة
 اولئك القوم والاصفاذ جمع صفة وهو القيد اذا مررت هذا فقول في قوله مقرنين ثلاثة
 أوجه (احدا) قال الكلبي مقرنين كل كافر مع شيطان في غل وقال عطاء هو معنى قوله
 واذا النفوس زوجت أى قرنت فيقرن الله تعالى نفوس المؤمنين بالحوار الصبين ونفوس
 الكافرين بقرنائهم من الشياطين واقول حظ البحث العقلي منه ان الانسان اذا فارق
 الدنيا فاما ان يكون قد ارض نفسه وهنبا ودعاها الى معرفة الله تعالى وطاعته ومحبته

الى الجوف وهو اسود منتن
 يسرع فيه اشتعال النار يطل به
 جلود اهل النار حتى يودط لونه
 لهم كالمر او يلبس عليهم
 الالوان الاربعة من العذاب
 لذعه وحررته واسراع النار في
 جلودهم والالوان الموحش والنار
 على ان التفاوت بينه وبين ما
 نشاهده وبين الناس ان لا يكاد
 يقدر قدره فكان ما نشاهده
 من هذه السمات مسميات في الآخرة
 فيكرهه المصمم فهو ذكركه
 الواسع نلوه ويحتمل ان يكون
 ذلك تمثيل لما يحيط به الجوهر النفس
 من الملكات الرديئة والهيات
 الوحشية فيقبل اليها الا لآلام
 والقهر بل وان يكون القطران
 المذكور عين ما لا يسهو في هذه
 النشأة وجلوه شعارهم من
 القناد الباطية والاعمال السيئة
 الخبيثة لتفنون في العذاب قد
 تحدثت في النشأة الآخرة بتلك
 الممودة المستتعبة لاشتداد
 العذاب عمن الله سبحانه عن
 ذلك عنه ولفظه وقرى من
 قطر أنى نحاس مذاب متناه
 حره (وتفسر وجوههم النار) أى
 تلوها وتحيطنها النار التي تمس
 جسدكم المسربل بالنظران
 وتفحص الوجوه بالحكم
 المذكور مع عومل سائر اعتنائهم
 لكونها اعم الاعضاء الظاهرة
 واشر فيها كقوله تعالى انى يتقى
 بوجهه سوء العذاب الخ وكونها
 مجمع الشاعر والحواس

او ما فصل ذلك بل تركها متوغلة في الذات الجسدانية مقبلة على الاحوال الوهمية
 واخيالية فان كان الاول فذلك النفس تفارق مع تلك البهجة بالحضرة الالهية والسعادة
 بالنعاية الصمدانية وان كان الثاني فذلك النفس تفارق مع الاسف والحزن والبلاء الشديد
 بسبب الميل الى عالم الجسم وهذا هو المراد بقوله واذا النفوس زوجت وشيطان النفس
 الكافرة هي الملكات الباطلة والحوادث الفاسدة وهو المراد من قول عطاء ان كل كافر
 مع شيطانه يكون مقرونا في الاصفاد (والقول الثاني) في تفسير قوله مقرنين في الاصفاد
 هو قرن بعض الكفار ببعض والمراد ان تلك النفوس الشقية والارواح المكدره
 الظلمانية كونها متجانسة متشاكله ينضم بعضها الى بعض وتنادى ظلمة كل واحدة
 منها الى الاخرى فتحذر كل واحدة منها الى الاخرى في تلك الظلمات والخسارات هي
 المراد بقوله مقرنين في الاصفاد (والقول الثالث) قال زيد بن ارقم قرنت ايدهم وارجلهم
 الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل من ذلك ان الملكات الحاصلة في جوهر النفس انما تحصل
 بتكرير الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء فاذا كانت تلك الملكات ظلمانية كدرة
 صارت في المثال كأن ايديها وارجلها قرنت وغلت في رقبتها واما قوله في الاصفاد فقيه
 وجهان احدهما ان يكون ذلك متعلقا بمقرنين والمعنى يقرون بالاصفاد والثاني ان لا
 يكون متعلقا به والمعنى انهم مقرونون مقيدون وحظ العقل معلوم مما سلفت الاشارة اليه
 (الصفة الثانية) قوله تعالى سرايلهم من قطران السرايل جمع سرايل وهو القميص
 والقطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران ويقع القاف وكسر هاء مع سكون الطاء
 ويقع القاف وكسر الطاء وهو شئ يحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ ويطلق به الابل
 الجرب فيحرق الجرب بحارته وحمته وقد تصل حرارته الى داخل الجوف ومن شأنه ان
 يتسارع فيه اشتعال النار وهو اسود اللون منتن الريح فتطلق به جلود اهل النار حتى
 يصير ذلك الطلي كالسرايل وهي القصص فيحصل بسببها اربعة انواع من العذاب لذع
 القطران وحرقة وامسراع النار في جلودهم واللون الوحش ومنتن الريح وايضا التفاوت
 بين قطران القيامة وقطران الدنيا كالتفاوت بين النارين واقول حظ العقل من هذا ان
 جوهر الروح جوهر مشرق لامع من عالم القدس وغية الجلال وهذا البدن جار مجرى
 السرايل والقميص له وكل ما يحصل للنفس من الآلام والغموم فانه يحصل بسبب
 هذا البدن فلهذا البدن لذع وحرقة في جوهر النفس لان الشهوة والحرص والغضب
 انما تسارع الى جوهر الروح بسببه وكونه للكثافة والكندورة والظلمة هو الذي يخفى
 لعان الروح وضوءه وهو سبب حصول التنق والعمقونة فشيبه هذا الجسد بسرايل
 من القطران والقطر وقرأ بعضهم من قطران والقطر الجاس أو الصفر المذاب والاكنى
 المتساهي حره قال ابو بكر بن الانباري وتلك النار لا تبطل ذلك القطران ولا تقنيه
 كالانه تلك النار أجسادهم والاغلال التي كانت عليهم (الصفة الثالثة) قوله تعالى

التي خلقت لادراك الخلق وقد
 اعرضوا عنه ولم يستعملوها
 في تدبره كما ان الفؤاد اشرف
 الاعتناء بالباطنة وحمل المعرفة
 وقدم لها بها لآلات ولذلك قيل
 تطلع على الاقدسة او خلوها عن
 التطهرن المعنى عن ذكر غشيان
 النار لها ولعل تخليتها عنه
 لينتعارفوا عند انكشاف الخزي
 احياها ويتضاعف عذابهم بالخزي
 على رؤس الاشهاد وقرئ
 نفسى ان تشفى بحدس احدى
 التارين والجملة نصب على الحالية
 لادنى الالواح الحالية لانه مضارع
 مثبت بل على انها معطوفة على
 الحال فانه ابوالقاء (يعبرى الله)
 متعلق بمضراى يفيد لهم ذلك
 ليعبرى (ككل نفس) بجرمة
 ما كسبت من انواع الكفر
 والمعاصي جزاء موافق العملها
 وفيه ايدان بان جزاءهم مناسب
 لاعمالهم او بقوله يزود على
 تقدير كونه معطوفا على تبدل
 والضمير للخلق وقوله وترى
 الجبر من الخ اعراضا بين المتعلق
 والمتعلق بهى بروز الحساب
 ليعبرى الله كل نفس مطبوعة او
 عاصية كما كتبت من خير او شر
 وقد اكنفى بذكر عقاب العصاة
 تعويلا على شهادته لخال لاسيما
 مع ما ذكره سابقا من الرجاء الواسعة
 ان الله سريع الحساب اذ لا
 يشغله شأن عن شأن فيعجل في اجل
 ما يكون من الزمان فيؤتى الجزاء
 بحسبه او سريع الجيئ يتأتى عن

وتغشى وجوههم النار ونظيره قوله تعالى اني يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يصبحون في النار على وجوههم واعلم ان موضع المعرفة والتكبر والعلم والجهل هو القلب وموضع الفكر والوهم والخيال هو الرأس واثر هذه الاحوال انما تظهر في الوجه فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بظهور آثار العقاب فيهما فقال في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على الاقدسة وقال في الوجه وتغشى وجوههم النار بمعنى تغشى ولما ذكر تعالى هذه الصفات الثلاثة قال يعجز الله كل نفس ما كسبت قال الواحدى المراد منه انفس الكفار لان ما سبق ذكره لا يليق ان يكون جزاء لاهل الايمان واقول يمكن اجراء اللفظ على عومه لان لفظ الاية يدل على انه تعالى يعجز كل شخص بما يليق بعمله وكسبه ولما كان كسب هؤلاء الكفار الكفر والمعصية كان جزاؤهم هو هذا العقاب المذكور ولما كان كسب المؤمنين الايمان والطاعة كان اللائق بهم هو الثواب وايضا انه تعالى لما عاقب الجرمين بجرمهم فلائ يثيب المطيعين على طاعتهم كان اولى ثم قال تعالى ان الله سريع الحساب والمراد انه تعالى لا يظلمهم ولا يزيد على عقابهم الذي يستحقونه وحظ العقل منه ان الاخلاق الظلمية هي المبادئ لحصول الآلام الروحية وحصول تلك الاخلاق في النفس على قدر صدور تلك الاعمال منهم في الحياة الدنيا فان الملكات النفسانية انما تحصل في جوهر النفس بسبب الافعال المتكررة وعلى هذا التقدير فذلك الآلام تنافوت بحسب تلك الافعال في كثرتها وقتها وشدها وضعفها وذلك يشبه الحساب ثم قال تعالى هذا بلاغ للناس اى هذا التذكير والموعظة بلاغ للناس اى كفاية في الموعظة ثم اختلفوا فقيل ان قوله هذا اشارة الى كل القرآن وقيل بل اشارة الى كل هذه السورة وقيل بل اشارة الى المذكور من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب واما قوله ولينذروا به فهو معطوف على محذوف اى ليتصحوا ولينذروا به اى بهذا البلاغ ثم قال وليعلموا انما هو الله واحد وليذكر اولوا الالباب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا في هذا الكتاب مرارا ان النفس الانسانية لها شعبتان القوة النظرية وكمال حالها في معرفة الموجودات فآقسامها واجناسها وانواعها حتى تصير النفس كالمرآة التي يتجلى فيها قدس الملكوت ويظهر فيها جلال اللاهوت ورئيس هذه المعارف والجلالة معرفة توحيد الله بحسب ذاته وصفاته وافعاله والشعبة الثانية القوة العملية وسعادتها في أن تصير موصوفة بالاخلاق الفاضلة التي تصير مبادئ لصعود الافعال الكاملة عنها ورئيس سعادات هذه القوة طاعة الله وخدمته اذا عرفت هذا فقول قوله وليعلموا انما هو الله واحد اشارة الى ما يجرى مجرى الرئيس لكمال حال القوة النظرية وقوله وليذكر اولوا الالباب اشارة الى ما يجرى مجرى الرئيس لكمال حال القوة العملية فان الفائدة في هذا التذكر انما هو الاعراض عن الاعمال الباطلة والافعال على الاعمال الصالحة وهذه الخاتمة كالدليل القاطع في انه

قريب او سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب (هذا) اى ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب (بلاغ) كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما يطوى عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون الطقات والفوارع (لناس) للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس اولهم وللمؤمنين كافة على تقدير شمولهم ايضا وان كان ما شرح مختصا بالفالين (ولينذروا به) عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اى كفاية لهم في ان يتصحوا وينذروا به او هذا بلاغ لهم ليفهموه ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى البلاغ كافي قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اولينذروا به انزل او تلى وقرئ لينذروا به من نذر بالشئ اذا علمه وحذره واستعد له (ولينعلموا) بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهاذك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما ما سبق وخلق (انما هو الله واحد) لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداهي الى التأمل المؤدى الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى (وليذكر اولوا الالباب) اى ليتذكروا ما كانوا يعملونه

اسمى ما يدريك ان رب قية * باكرت لذتهم بأذكر مسرع

ورب يسكن الباء وانشدوا بيت الهذلي

ازهر ان يسب القذال فاني * رب هيضل مرس كفت بهيضل

والهيضل جماعة متسلحة وايضا هذه الكلمة قد نجى حالتى تشديد الباء وتخفيفها مع حرف ما كقولك ربما وربما ما كقولك ربما وربما هذا كله اذا كانت الراء من رب مضمومة وقد تكون مفتوحة فيقال رب وربما وربما حكاة قطرب قال ابو علي من الحروف ما دخل عليه حرف التأنيث نحو ثم وثم ورب وربت ولاولات فهذه اللغات بأسرها رواها الواحدى فى البسيط (المسئلة الثانية) رب حرف جر عند سيبويه ويحذف ما على وجهين احدهما ان تكون نكرة بمعنى شئ وذلك كقوله

رب ما تكره النفوس من الامر * له فرجة كل العقال

فان فى هذا البيت اسم والدليل عليه عود الضمير اليه من الصفة فان المعنى رب شئ تكرهه النفوس واذا عاد الضمير اليه كان اسما ولم يكن حرفا كما ان قوله تعالى يحسبون انما يمدهم به من مال وينين لما ناد الضمير اليه علنا بذلك انه اسم ومما يدل على ان ما قد يكون اسما اذا وقع بعد رب وقوع من بعدها فى قول الشاعر

يارب من ينقص أزوادنا * رحن على نقصاته واخذن

فكما دخلت رب على كلمة من وكانت نكرة فكذلك تدخل على كلمة ما فهذا ضرب والضرب الآخر ان تدخل ما كافة كافي هذه الآية والخويعون يسمون ما هذه الكافة يريدون انها بدخولها كفت الحرف عن العمل الذى كان له واذا حصل هذا الكف فحينئذ تنهى للدخول على ما لم تكن تدخل عليه ألا ترى ان رب انما تدخل على الاسم المفرد نحو رب رجل يقول ذلك ولا تدخل على الفعل فلما دخلت ما عليها بانها للدخول على الفعل كهذه الآية والله اعلم (المسئلة الثالثة) اتفقوا على ان رب موضوعة للتقليل وهى فى التقليل نظيرة كم فى التكثير فاذا قال الرجل ربما زارنا فلان دل ربما على تقليله الزيادة قال الزجاج ومن قال ان رب بمعنى بها الكثرة فهو ضد ما يعرفه اهل اللغة وعلى هذا التقدير فهنا سؤال وهوان تمنى الكافر الاسلام مقطوع به وكلمة رب تعيد الظن وايضا ان ذلك التمنى يكثر ويتصل فلا يلبق به لفظه ربما مع انها تعيد التقليل والجواب عنه من وجوه (الاول) ان من عادة العرب انهم اذا أرادوا التكثير ذكروا لفظا وضع للتقليل واذا أرادوا البين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود منه اظهار التوقع والاستغناء عن التصريح بالغرض فيقولون ربما ندمت على ما فعلت ولعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصل بكثر الندم ووجوده بفيرشك ومنه قول القائل * قد ترك القرن مصفرا أنامله * (والوجه الثانى) فى الجواب ان هذا التقليل اباغ فى التهديد ومعناه انه يكفيك قليل الندم فى كونه زاجرا لك عن هذا العمل فكيف كثيره

على الاطلاق اى يعنى منه عاجز
ممتثل باسم خاص فهو عبارة
عن جميع القرآن او عن الجبر
لنقل ان ذاته اذ هو المتسارع
الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه
يرتقب فائدة ومسبب الآيات
بعت ما ضيفت اليه من ا ر ت
الكمال لاعلى جملة عبارة عن
السورة اذ هو فى الانصاف بذلك
ليست تلك المرتبة من الشبهة
حتى يستغنى عن التبريح
بالوصف على انها عبارة عن
جميع آياتها فلا بد من جعل تلك
شارة لى كل واحدة منها وفيه
من الشكاف ما لا يجنى كاذ كرفى
سورة رعد (ورقرآن) كاذ فران
عظيم الشأن (مبين) مظهر لما فى
تضاعفه من الحكم والاحكام او
لسبيل الرشود الى اوقاف بين
الحق والباطل والحلال والحرام
ولقد فطم شأنه العظيم مع ما جمع
فيه من وصفي الكتابية والقرآنية
على طريقين احدهما اشتغاله
على صفات كمال جنس الكتب
الالهية فكانه كلها والشانية
طريقة كونه ممتازا عن غيره
نسيج وحده بديعا فى بابه خارجا
عن دائرة البيان واخرت الطريقة
الثانية لما ان الاشارة الى امتياز
عن سائر الكتب بعد التنبيه على
الظواهر على كالات غيره من
الكتب ادخل فى المدح كى لا
يتوهم من اول الامر ان امتياز
عن غيره لاستحقاقه باوصاف
خاصة به من غير اشتغال على
نوع كمال سائر الكتب الكريمة
وهكذا الكلام فى فائحة سورة
الجل خلا انه قدم فيها القرن
على الكتاب لما سيذكر هناك
ولان كون السورة الكريمة

بعضاً من الكتاب والقرآن
لتوجيه الخاطئين إلى حسن تلقى
ما فيها من الأحكام والتقصص
والمواظف شرع في بيان ما تضمنته
قيل (ربما) بنسب الراوي تخفيف
الباء المتشوجة وقرى بالتشديد
ولفتح الراء مخففاً وبزيادة التاء
مشدداً وفيه ثمانى لغات فتح الراء
وخفها مشدداً ومخففاً وبزيادة التاء
ايضاً مشدداً ومخففاً ورب
حرف جر لا يدخل الاعلى
الاسم وما كافة مصححة للدخول
على الفعل وحقه الدخول على
الماسي ودخوله على قوله
تعالى (يود الذين كفروا) لما ان
الترقب في اخباره تعالى كالماضي
المقطوع في تحقق الوقوع فكانه
قيل ربما ودالذين كفروا
والمراءد كفروهم بالكتاب والقرآن
ويكونه من عند الله تعالى (لو
كانوا مسلمين) متقادين لحكمه
ومذنبين لاسمه وفيه ايدان
بأن كفروهم انما كان بالحدود
بعد ما علموا كونه من عند الله
تعالى وتلك الودادة يوم القيامة
او عند موتهم او عند معاينة
حاليهم وحال المسلمين او عند
رؤيتهم خروج عصاة المسلمين
من النار روى ابو موسى
الاشعري رضى الله عنه انه قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيامة واجتمع اهل النار
في النار ومعهم من شاء الله تعالى من
اهل القبلة قال لهم الكفار
الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما
اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم
معنا إلى النار قالوا كانت لنا
ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله
سبحانه لهم بفضل رحمة فيأمر
بكل من كان من اهل القبلة
في النار فيخرجون

(والوجه الثالث) في الجواب انه يشغلهم العذاب عن تمنى ذلك الا في القليل (المسئلة
الرابعة) اتفقوا على ان كلمة رب مخصوصة بالدخول على الماضي كما يقال ربما قصصني عبد
الله ولا يكاد يستعمل المستقبل بعدها وقال بعضهم ليس الامر كذلك والدليل عليه قول
الشاعر ربما نكره الفوس من الامر وهذا الاستدلال ضعيف لانباينا ان كلمة رب في
هذا البيت داخله على الاسم وكلامنا في انها اذا دخلت على الفعل وجب كون ذلك
الفعل ماضياً فأين احدهما من الآخر الا أني اقول قول هؤلاء الادباء انه لا يجوز دخول
هذه الكلمة على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلي وانما الرجوع فيه الى
النقل والاستعمال ولوانهم وجدوا يبتاعشتملا على هذا الاستعمال لقالوا انه جائز صحيح
وكلام الله اقوى واجل واشرف فلم تمسكوا بوجوده في هذه الآية على جوازه وصحته
ثم نقول ان الادباء اجابوا عن هذا السؤال من وجبين (الاول) قالوا ان المترقب في
اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحقيقه فكانه قيل ربما ودوا (الثاني) ان
كلمة ما في قوله ربما يود الذين كفروا اسم ويود صفة له والتقدير رب شيء يوده الذين كفروا
قال الزجاج ومن زعم ان الآية على اضمار كان وتقديره ربما كان يود الذين كفروا
فتدخرج بذلك عن قول سيويه ألا ترى ان كان لانضم عنده ولم يحز عبدالله المقبول
وأنت تريد كان عبدالله المقبول (المسئلة الخامسة) في تفسير الآية وجوه على مذهب
المفسرين فان كل احد حل قوله ربما يود الذين كفروا على يحمل آخروا الاصح ما قاله الزجاج
فانه قال الكافر كبارأى حالاً من احوال العذاب ورأى حالاً من احوال المسلم ودلو كان
مسلماً وهذا الوجه هو الاصح واما المتقدمون فقد ذكروا وجوها قال الضحاك المراد
منه ما يكون عند الموت فان الكافر اذا شاهد علامات العقاب ودلو كان مسلماً وقيل
ان هذه الحالة تحصل اذا سودت وجوههم وقيل بل عند دخولهم النار وتزول العذاب
فانهم يقولون اخرنا إلى اجل قريب نجب دعوتك وتبوع الرسل وروى ابو موسى ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة واجتمع اهل النار في النار ومعهم
من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار لهم الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم
اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيفضل الله تعالى بفضل رحته فيأمر باخراج كل من
كان من اهل القبلة من النار فيخرجون منها فيثبتون يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وعلى هذا القول اكثر المفسرين وروى مجاهد
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما زال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار
ويدخلهم الجنة بشفاعه الانبياء والملائكة حتى انه تعالى في آخر الامر يقول من كان
من المسلمين فليدخل الجنة قال فهناك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال القاضي هذه
الروايات مبينة على انه تعالى يخرج اصحاب الكبار من النار وعلى ان شفاعه الرسول
مقبولة في اسقاط العقاب وهذا ان الاصلان عنده مردودان فعندها حل هذا الخبر على

منها فيجئذ يود الذين كفروا

لو كانوا مسلمين وروى جاهد
عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال لا يزال الرب يرحم
ويشفع اليه حتى يقول من كان
من المسلمين فليدخل الجنة فعند
ذلك يتنون الاسلام والحقي ان
ذلك محمول على شدة وادانته
واما نفس الوداعة ليست بمختصة
بوقت دون وقت بل هي مقررة
مستمرة في كل آن يمر عليهم وان
المراد ببيان ذلك على ما هو عليه
من الكثرة وانما هي ببسبب
التقليل جريا على سنن العرب
فيما يقتضون به الافراط فيها
يعكسون عنه تقول بعض قواد
العساكر عندكم من الفرسان
فيقول رب فارس عندى اولا
تقدم عندى فارس وعندى مغارب
جاء من الكتاب وقصد في ذلك
القارى في تكثير فرسانه ولكنه
يريد اظهار براءته من التزديد
وابراز انه من يقلل لعواظهم
كثير ما عنده فضلا عن تكثير
القليل وهذه طريقته انما تسلك
اذا كان الامر من الموضوع
بحيث لا يبحر حوله شابتهيب
فيصير اليه هضما لحق فدل
النظم الكريم على ودادة
الكافرين للاسلام في كل آت من
آيات اليوم الاخر وان ذلك من
الظهور بحيث لا يشبهه على احد
ولو سعى بكلامه على من صدق على
ان تلك الودادة مع كبريتها في
نفسها عما يستقل بالنسبة الى
جناب الكبرياء وهذا هو الموافق
لقام بيان حقارة شأن الكفار
وعدم الاعتداد بمسامح فيه
من الكفر والتكذيب كما ينطق به
قوله تعالى ذرهم يأكلوا الاية

وجه مطابق قوله ويوافق مذهبه وهو انه تعالى يؤخر ادخال طائفة من المؤمنين الجنة
بحيث يغلب على ظن هؤلاء الكفرة انه تعالى لا يدخلهم الجنة ثم انه تعالى يدخلهم الجنة
فيزدادهم الكفرة وحسرتهم وهناك يودون لو كانوا مسلمين قال في هذه الطريق تصحيح هذه
الاخبار والله اعلم فان قيل اذا كان اهل القيامة قد يتنون امثال هذه الاحوال وجب
ان يتنى المؤمن الذى يقل ثوابه درجة المؤمن الذى يكثر ثوابه والمتنى لما لم يحده يكون في
القصة وتألم القلب وهذا يقتضى ان يكون اكثر المؤمنين في القصة وتألم القلب قلنا
احوال اهل الآخرة لا تقاس بأحوال اهل الدنيا فلهذا سبحانه ارضى كل واحد بما فيه
وتزعم عن قلوبهم طلب الزادات كما قال وتزعمنا ما في صدورهم من غل والله اعلم اما قوله
تعالى ذرهم يأكلوا ويتنوا ويلهمهم الامل فسوف يعلمون ففيه مسائل (المسئلة
الاولى) المعنى دع الكفار يأخذوا حظوظهم من دنياهم فذلك اخلاقهم ولا خلق لهم في
الآخرة وقوله ويلهمهم الامل يقال لهيت عن الشيء الهى الهيا جاء في الحديث ان ابن
الزبير كان اذا سمع صوت الرعد لهي عن حديثه قال الكسائى والصمى كل شيء تركته
فقد لهيت عنه وأنشد

صرمت حبالك فله عنزاييب * ولقد اطلت عتاما الوتعب

فقوله فله عنزاييب اتركها واعرض عنها قال المفسرون شغلهم الامل عند الاخذ بحظهم
عن الايمان والطاعة فسوف يعلمون (المسئلة الثانية) احيى اصحابنا بهذه الآية على
انه تعالى قد يصعد عن الايمان ويقع بالمكلف ما يكون له مفسدة في الدين والدليل
عليه انه تعالى قال رسوله ذرهم يأكلوا ويتنوا ويلهمهم الامل فحكم بأن اقبالهم على
التمتع واستغراقهم في طول الامل يلهمهم عن الايمان والطاعة ثم انه تعالى اذن لهم فيها
وذلك بدل على المقصود قالت المعتزلة ليس هذا اذنا ونحوها بل هذا تمديد ووعد قلنا
ظاهر قوله ذرهم اذن اقصى ما في الباب انه تعالى نبه على ان اقبالهم على هذه الاعمال
يضرهم في دينهم وهذا عين ما ذكرناه من انه تعالى اذن في شيء مع انه نص على كون ذلك
الشيء مفسدة لهم في الدين (المسئلة الثالثة) دلت الآية على ان اثار التلذذ والتنوما
يؤدى اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التفرغ في الدنيا من اخلاق
الهالكين والاخبار في ذم الامل كثيرة فتماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنان الحرص على المال وطول الامل وعنه صلى الله عليه وسلم
انه نقط ثلاث نقط وقال هذا ابن آدم وهذا الامل وهذا الاجل ودون الامل تسع
وتسعون مئة فان اخذته احداهن والا فالهرم من ورأته وعن علي عليه السلام انه قال
انما اخشى عليكم اثنين طول الامل واتساع الهوى فان طو الامل ينسى الآخرة
واتباع الهوى يصد عن الحق والله اعلم قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم ما تنسب من امرة اجلها وما يستأخرون) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم

وذهابها الى الاشعار بأن من شأن العاقل اذعان له امر يكون مشيئون الحد او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفرقه ولا يشارف ضده فكيف اذا كان متيقن الحد كما في قوله له انك ستندم على ما فعلت وربما ندّم الانسان على ما فعل من القصور ليس يسان كون الندم مرجو الوجود بل يتيقن به او قيل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يجرى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف يقطع الوقوع منه بكفى قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره والتمسود من سلك عذبة الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالعرض بناء على ادعاء ظهوره فالعقل لو كانوا يردون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفرقوه فكيف وهم يردون كل آن وهذا اوفى مقام استزلالهم عما هم عليه من الكفر وهذا طرفان متايزان ذاتا ومقاما فمن ثلثها واحدا فقد نأى عن قودنا انهم حق (ذوهم) دعهم عن الزنى عما هم عليه بالذكورة والنسبية فلا سبيل الى ارجعهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل سرهم بتعاطي ما يتعاطونه (ياكلوا ويتنعموا) بدنائهم وفي تقديم الاكل ايدان بأن تنعمهم انما هو من قبل تمتع الالهام بالآكل والمشرب والمراد دواهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك اوقعتهم بلا اعتناء ما ينشئ عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه

انه تعالى لما توقعه من قبل من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون اتبع بما يؤكدا الزجر وهو قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم في الهلاك والعذاب وانما يقع فيه التقديم والتأخير فالذين تقدموا كان وقت هلاكهم في الكتاب مجعلا والذين تأخروا كان وقت هلاكهم في الكتاب مؤخرا وذلك نهاية في الزجر والتحذير (المسئلة الثانية) قال قوم المراد بهذا الهلاك عذاب الاستئصال الذي كان الله ينزله بالكلية المعادين كايته في قوم نوح وقوم هود وغيرهم وقال آخرون المراد بهذا الهلاك الموت قال القاضي والا قرب ما تقدم لانه في الزجر بالغ فيبين تعالى ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل لان العذاب مدخر فان لكل امة وقاما معينا في نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وقال قوم آخرون المراد بهذا الهلاك مجموع الامر بنو هو نزول عذاب الاستئصال ونزول الموت لان كل واحد منهما يشارك الآخر في كونه هلاكا فوجب حمل اللفظ على القدر المشترك الذي يدخل فيه القسمان معا (المسئلة الثالثة) قال الفراء لو لم تكن الواو مذكورة في قوله ولها كتاب كان صوابا كما في آية أخرى وهي قوله وما اهلكنا من قرية الا لهما منذرون وهو كما تقول ما رأيت احدا الا وعليه ثياب وان شئت قلت الاعليه ثياب اما قوله ما سبق من امة اجلها وما يستأخرون ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدي من في قوله من امة زائدة مؤكدة كقولك ما جاني من احد وقال آخرون انها ليست بزيادة لانها قيد التبعيض اي هذا الحكم لم يحصل في بعض من اباض هذه الحقيقة فيكون ذلك في اعادة عموم النفي أكد (المسئلة الثانية) قال صاحب النظم معنى سبق اذا كان واقعا على شخص كان معناه انه جاز وخلف كقولك سبق زيد عمرا اي جازه وخلفه وراه ومعناه انه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان كان بالعكس في ذلك كقولك سبق فلان عام كذا معناه مضى قبل آتياته ولم يبلغه فقوله ما سبق من امة اجلها وما يستأخرون معناه انه لا يحصل ذلك الاجل قبل ذلك الوقت ولا بعده بل انما يحصل في ذلك الوقت بعينه والسبب فيه ان اختصاص كل حادث بوقته المعين دون الوقت الذي قبله او بعده ليس على سبيل الاتفاق الواقع لاعن مرجح ولا عن مخصص فان رجحان احد طرفي الممكن على الآخر لا مرجح محال وانما اختص حدوثه بذلك الوقت المعين لان الاله العالم خصصه بعينه واذا كان كذلك فقدرته الاله وادارته اقتضت ذلك التخصيص وعمله وحكمته تعلقا بذلك الاختصاص بعينه ولما كان تغير صفات الله تعالى اعني القدرة والارادة والعلم والحكمة متمتعاً كان تغير ذلك الاختصاص متمتعاً اذا عرفت هذا فنقول هذا الدليل بعينه قائم في افعال العباد اعني ان الصادر من زيد هو الايمان والطاعة ومن عمرو هو الكفر والعصية فوجب ان يتمتع دخول التنفير فيهما فان قالوا هذا انما يلزم لو كان مقتضى حدوث الكفر والايمان من زيد وعمرو هو قدرة الله تعالى ومشيتة اماذا قلنا

امر حادث يصح ان يكون متشبها على تخليتهم (٣٧٧) وشأنهم (ويلهم) ويؤخلفهم عن اتباعك او عن التفكير فيما هم يصيرون اليه

او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع فضيلتان الى ذلك (الامل)

والتمتع لطول الاعمار وبلوغ

الاولى واستقامة الاحوال

وان لا يلقوا في العاقبة والمآل

الاخيرا فالافعال الثلاثة بمنزلة

على الجوابية للامر حسب ما عرفت

من تضمن الامر بالترك الامر بها على

طريقة التماس او على ان يكون

المراد بالافعال المرفوعة مباشرة

لها غايلين عن وخامة عاقبتها غير

سامعين لسوء مقبها اصلا

ولاربيب ترتب ذلك على الامر

بالترك فان النهي عامهم عليه من

ارتكاب القصاص عما يشوش

عليهم متمهم ويتغن عليهم

عشهم فامر عليه السلام بتركه

ليترغوا فيما هم فيه من حظوظهم

فيدهم ما يدعهم وهم عنه

خافلون (فسوف يعطون) سوء

صنيعهم او وخامة عاقبتها وحقيقة

الحال التي الجأهم الى التفتي

للمذكور حيث لم يعلموا ذلك من

جهتهم وهو مع كونه بعيدا عما

وعيد وتهديد اغضب تهديدا لعل

للامر بالترك فان ملهم ذلك عليه

ترك النهي والنصيحة لهم وفيه

الزام للعبية ومبالغة في الانذار

اذ لا يتحقق الامر بالصد الاميد

تكرر الانذار وتقرر المجهود

والانكار وكذلك ما ترتب عليه

من الاكل والتمتع والالاه (وما

المقتضى لذلك هو قدرة زيد وعمرو ومشيئتهما طذلك قلنا قدرة زيد وعمرو ومشيئتهما

كانتا موجبتين لذلك الفعل المعين فخالق تلك القدرة والمشيئة الموجبتين لذلك الفعل هو

الذي قدر ذلك الفعل بعينه فيعود الازام وان لم تكونا موجبتين لذلك الفعل بل كانتا

صالحتين له ولصدده كان رجحان احد الطرفين على الآخر لم يكن لرجح فقد عاد الامر الى انه

حصل ذلك الاختصاص بالتحصيص وهو باطل وان كان لمخصص فذلك المخصص ان كان هو

العبد عاد البحث وزم التسلسل وان كان هو الله تعالى فيثبت بعود البحث الى ان فعل

العبد انما عين وتقدر بتخصيص الله تعالى وحيد بعود الازام (المسئلة الثالثة) دلت

الآية على ان كل من مات او قتل فنام مات بأجله وان من قال يجوز ان يموت قبل اجله

فمخطئ فان قالوا هذا الاستدلال انما يتم اذا جلتنا قوله وما اهلكنا على الموت اما اذا جلتنا

على عذاب الاستئصال فكيف يلزم قلنا قوله وما اهلكنا اما ان يدخل تحت الموت

او لا يدخل فان دخل فلا استدلال ظاهر لازم وان لم يدخل فنقول ان ما اجله وجب في

عذاب الاستئصال ان لا يتقدم ولا يتأخر عن وقته المعين قائم في الموت فوجب ان يكون

الحكم ههنا كذلك والله اعلم (وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكرا انك لجنون

لو ما تأتينا باللائكة ان كنت من الصادقين ما نزل الملائكة بالخالق وما كانوا اذا منظرين

انما نحن نزلنا الذكرا وانه لحافظون) اعلم انه تعالى لما بالغ في تهديد الكفار ذكر بعده شبههم

في انكار نبوته (فالشبهة الاولى) انهم كانوا يحكمون عليه بالجنون وفيه احتمالا (الاول)

انه عليه السلام كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبيهة بالغشي فظنوا انها جنون

والدليل عليه قوله ويقولون انه لجنون وما هو الا ذكر للعالمين وايضا قوله اولم يتفكروا

ما يصاحبهم من جنه (والثاني) انهم كانوا يستبعدون كونه رسولا حقما عند الله تعالى

فازجل اذا سمع كلاما مستبعدا من غيره فرجا قال له هذا جنون وانت لجنون بعد ما يد كره

من طريقة العقل وقوله انك لجنون في هذه الآية يحتمل الوجهين اما قوله يا ايها الذي نزل

عليه الذكرا انك لجنون ففيه وجهان الاول انهم ذكروه على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون

ان رسولكم الذي ارسل اليكم لجنون وكما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد وكما

قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم لان البشارة بالعداب متضمنة والثاني يا ايها الذي نزل عليه

الذكر في زعمه واعتقاده وعند اصحابه واتباعه ثم حكى عنهم انهم قالوا في تقرير شبههم

لو ما تأتينا باللائكة ان كنت من الصادقين وفيه مسئلتان (الاولى) المراد لو كنت صادقا

في ادعاء النبوة لا تأتينا باللائكة يشهدون عندنا بصدقك فيما تدعيه من الرسالة لان المرسل

الحكيم اذا حاول تحصيل امره له طريق يفضي الى تحصيل ذلك المقصود قطعوا طريق

آخر قد يفضي وقد لا يفضي ويكون في محل الشكوك والشبهات فان كان ذلك الحكم

اراد تحصيل ذلك المقصود فانه يحاول تحصيله بالطريق الاول لا بالطريق الثاني وازال

الملائكة الذين يصدقونك ويقرون قولك طريق يفضي الى حصول هذا المقصود قطعوا

عن اهلها غيب اهلهم كما فعل باخريين (الاولا) (٤٨) (را) (خا) في ذلك الشأن (كتاب) اي اجل مقدرو مكتوب في اللوح

واجب المرامة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المتقضية له (٣٧٨) (معلوم) لا ينسب ولا يفعل عنه حتى تصور النفس

عنه بالتقدم والتأخر فكتاب
مبتدأ خبره الطرف والجلية حال
من قرية فانها لعمومها لاسيا
بعد تأكيده بكلمة من في حكم
الموصوفة كأشير اليه والمعنى
ما أمكن تقريبه من القرى في حال
من الاحوال الاحال ان يكون
لها كسباب اى اجل موث
لمهلكها قد كتبت له انهلكها قبل
بلوغه معلوم لا يفعل عنه حتى
يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر او
مرتفع بالطرف والجلية كما هي
حال اى ما هلكتا قرية من القرى
في حال من الاحوال الا وقد كان
لها في حق هاتكها كتاب اى
اجل مقدر مكتوب في اللوح
معلوم لا يفعل عنه اوصفة
لا للقرية المذكورة بل للقدرة
التي هي بدل من المذكورة على
اختيار فيكون بمنزلة كونه موصفة
للكورة اى ما هلكتا قرية من
القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما
في قوله تعالى ليس لهم طعام لامن
ضرب لايمن فان قوله تعالى
لايمن صفة لكن لا للطعام
المذكور لانه انما يدل على انحصار
طعامهم الذي لايمن في الشريع
وليس المراد ذلك بل للطعام
المقدر بعد الاى ليس لهم طعام
من شئ من الاشياء لا طعام لايمن
فليس فيه نصل بين الموصوف
والصفة بكلمة الا كما توهم وما
توسط الواو بينهما وان كان
القياس عدمه فلا يذنب ان يكمل
الاصاق بينهما من حيث ان
الواو ضمها للجمع والربط فانما
نحن فيه من الصفة اقوى اذ هو
بالموصوف منها به في قوله تعالى
وما اهلكنا من قرية الا الهيا
مذكرون فان امتناع الفكاه

والطريق الذى يقرر به صحة نبوتك طريق في محل الشكوك والشبهات فلو كنت صادقا
في ادعاء النبوة لوجب في حكمة الله تعالى انزال الملائكة الذين يصرحون بتصديقك
وحيث لم تفعل ذلك علمنا انك لست من النبوة في شئ فهذا تقرير هذه الشبهة ونظيرها قوله
تعالى في سورة الانعام وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر وفيه احتمال
آخر وهو ان لنبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب ان لم يؤمنوا به فلقوم
طالبوه بنزول ذلك العذاب وقالوا له لوماتنا بينا بالملائكة الذين ينزلون عليك ينزلون علينا
بذلك العذاب الموعود وهذا هو المراد بقوله تعالى ويستجملونك بالعذاب ولولا اجل مسمى
لجاءهم العذاب ثم انه تعالى اجاب عن هذه الشبهة بقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا
اذا منظرين فنقول ان كان المراد من قولهم لوماتنا بينا بالملائكة هو الوجه الاول كان
تقرير هذا الجواب ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وعده حصول الفائدة وقد علم الله
تعالى من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل عليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم وعلى
هذا التقرير فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فلماذا السبب ما نزلهم الله تعالى
وقال المفسرون المراد بالحق ههنا الموت والمعنى انهم لا ينزلون الا بالموت والابواب
الاستئصال ولم يبق بعد نزولهم انظار ولا مهال ونحن لا نريد عذاب الاستئصال بهذه الامة
فلماذا السبب ما انزلنا الملائكة وامان كان المراد من قوله تعالى لوما تأيذا بالملائكة
استجبالهم في نزول لعذاب الذى كان الرسول عليه السلام يتوعدهم به بتقرير الجواب
ان الملائكة لا تنزل الا بعذاب الاستئصال وحكما في امة محمد صلى الله عليه وسلم ان لا تفعل
بهم ذلك وان فهم لهم لاعتنا من ايمان بعضهم ومن ايمان اولاد الباقي (المسئلة الثانية)
قال الفراء والزجاج لولا ولوما لغتان معناهما هلا ويستعملان في الخبر والاستفهام فاخبر
مثل قولك لولا انت لفعلت كذا ومنه قوله تعالى لولا انتم لكننا مؤمنين والاستفهام كقولهم
لولا انزل عليه ملك وكهذه الآية وقال الفراء لوما الميم فيه بدل عن اللام في لولا ومثله
استولى على الشئ واستوحى عليه وحكى الاصمعي خالته وخلمته اذا سادفته وهو خلى
وخلمى اى صديق (المسئلة الثالثة) قوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قرأ جزء والكسافى
وحفص عن عاصم ما ننزل بالنون وبكسر الزاى والتشديد والملائكة بالنصب لوقوع
الانزال عليها والمنزل هو الله تعالى وقرأ ابوبكر عن عاصم ما ننزل على فعل ما لم يسم فاعله
والملائكة بارفع والباقيون ما ننزل الملائكة على اذ ناد فعل النزول الى الملائكة والله اعلم
(المسئلة الرابعة) قوله وما كانوا اذا منظرين يعنى لو نزلت الملائكة لم ينظروا اى لم يجهلوا
فان التكليف يزول عند نزول الملائكة قال صاحب النظم لفظ اذن مرة كبة من كبتين من
اذ هو اسم بمنزلة حين الا ترى انك تقول اتيتك اذ جئتني اى حين جئتني ثم ضم اليه ان
فصار اذ ان ثم استقلوا الهمة فحذفوا فصار اذن ويجئى لفظة اذن دليل على اضمار
فعل بعدها والتقرير وما كانوا منظرين اذ كان ما طلبوا وهذا تأويل محسن ثم قال تعالى

لمن منهم وقت معين لهلاكهم وان دلائلهم لم يكن لاحسباً (٣٧٩) كان مكتوباً في الارواح بين ان كل امة من الامة منهم ومن غيرهم
 ليها كتب لا يغفل الله عنهم عليه
 ولا تأخر عنه قليل (ما سبق)
 من امة) من الامة المهيكلة
 وغيرهم (أجلاً) المكتوب
 في كتابها اي لا يمحى هلاكها
 قبل محي كتابها او لا محي امة
 قبل مني أجلها فان السبق
 اذا كان واقعا على زمني
 فغناه البوازة والتخلف فاذا
 قلت سبق زيد عمر الفناء انه جاوزه
 وخلفه وراءه واذا كان واقعا
 على زمان كان الامر بالعكس
 والسبق في ذلك الزمان يعتبر فيه
 الحركة والنزول الى المتكلم فاما
 سبقه يخفق قبل تحققه واما
 الزماني فانهما يعتبر فيه الحركة
 والتوجه الى ماضي من الزمان
 فالسابق ما تقدم الى المقصد
 وايراده بعنوان الاجل باعتبار
 ما يتعسف من السبق كما ان
 ايراده بعنوان الكتاب المعلوم
 باعتبار ما يوجب من الاهلاك
 (وما يستأخرون) اي وما
 تأخرون ومضيعة الاستغلال
 للشعار بغيرهم من ذلك مع طلبهم
 له واذا رصيفة المتنازع في الفعلين
 بعدما ذكر في الاهلاك بصيغة
 الماضي لان القصود بيان دواهما
 واستقرارهما في ايتين الامة الماضية
 والباقية واستنادهما الى الامة
 بعد استناد الاهلاك الى القرية
 لما ان السبق والاستأخار حال
 الامة دون القرية مع ما في الامة
 من العموم لاهل تلك القرى
 وبغيرهم من اخرت عقوبتهم الى
 الآخرة وتأخير ذكر عدم
 تأخيرهم عن ذكر عدم سبقهم
 مع كون المقام مقام المبالغة
 في بيان تحقق صدائهم اما
 باعتبار تقدم السبق في الوجود
 واما باعتبار ان المراد بيان
 على المعنى مع التفتيش ولرعاية
 سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفصل على صيغة جمع المذكور للمحمل

الافواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبنية لما سبق (٣٨٠) والمعنى ان تأخير عذابهم الى يوم القيامة حسبا اشير اليه ببيان

والتحريف والتشوير اما في الكثير منه او في القليل وبقاء هذا الكتاب مصونا عن جميع جهات التحريف مع ان دواعي المحدثو اليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وفساده من اعظم المعجزات وايضا اخبر الله تعالى عن بقاءه محفوظا عن التغير والتحريف وانقضى الآن قريبا من ستمائة سنة فكان هذا اخبارا عن الغيب فكان ذلك ابضسا بمعجزا قاهرا (المسئلة الرابعة) احجج القاضي بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون على فساد قول بعض الامامية في ان القرآن قد دخله التغير والزيادة والنقصان قال لانه لو كان الامر كذلك لما بقى القرآن محفوظا وهذا الاستدلال ضعيف لانه يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه فالامامية الذين يقولون ان القرآن قد دخله التغير والزيادة والنقصان لعلمهم يقولون ان هذه الآية من جملة الزوائد التي اُلحقت بالقرآن ثبت ان اثبات هذا المطلوب بهذه الآية يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه وانه باطل والله اعلم (وقوله تعالى) (ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتينهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه في قلوب الجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين) اعلم ان القوم لما اساءوا في الادب وخطبوه بالسفاهة وقالوا انك لنحون بالله تعالى ذكر ان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء هكذا كانت ولك اسوة في الصبر على سفاهتهم وجهالتهم بجميع الانبياء عليهم السلام فهذا هو الكلام في نظم الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في الآية محذوف والتقدير وقد ارسلنا من قبلك رسلا لانه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله في شيع الاولين اي في امم الاولين واتباعهم قال الفراء الشيع التابع واحدهم شعبة وشيعة الرجل اتباعه والشيعاة الامة سموا بذلك لان بعضهم شابع بعضا وشاكله وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله اوليسكم شيعا قال الفراء وقوله في شيع الاولين من اضافة الصفة الى الموصوف كقوله حق اليقين وقوله يجانب الغربي وقوله وذلك دين القيمة اما قوله وما يأتينهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن اي عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء والرسول ذلك الاستهزاء بهم كما فعلوا بك ذكره تسمية لاني صلى الله عليه وسلم واعلم ان السبب الذي يحمل هؤلاء الجهال على هذه العادة الخبيثة امور (الاول) انهم يستنقلون التزام الطاعات والعبادات والاحراز عن الطيبات والذات (الثاني) ان الرسول يدعوهم الى ترك ما لقوه من اديانهم الخبيثة ومذاهبهم الباطلة وذلك شاق شديد على الطباع (والثالث) ان الرسول متبوع مخدوم والاقوام يجب عليهم طاعته وخدمته وذلك ايضا في غاية المشقة (والرابع) ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد يكون فقيرا ولا يكون له اعوان وانصار ولا مال ولا جاه فالتعميم وارؤساء يتقل عليهم خدمة من يكون بهذه الصفة (والخامس) خذلان الله لهم والقاء دواعي الكفر والجهل في قلوبهم وهذا هو السبب الاصل لهذه الاسباب وما يشهق مع الجهال والضلال مع اكابر الانبياء عليهم السلام في هذه الاعمال القبيحة والافعال المنكرة اما قوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب

ودادتهم للسلام اذذاك وبالامر بتركهم وشأنهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لنا خير اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جعلها ماعلم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيامة (وقالوا) شروع في بيان كفرهم من ازل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقاتلون مشركومة لفاسدة عبادهم في الفتوى والغنى (يا ايها الذي نزل عليه الذكر) خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسليها لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه الصلاة والسلام واستعاروا بعبه حكمهم الباطل في قوله (انك لنحون) كتاب فرعون اذ قال لن رسولكم الذي ارسل اليكم لنحون نعمون يا من يدهي مثل هذا الامر البدع الطارق للمادات انك بسبب تلك الدعوى اوبشهادة ما يعترك عند مادي انه يازل عليك لنحون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين لمظلم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وإيراد الفعل على صيغة المجهول لانهم ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى استناده الى الفاعل (لومأتينا) كلة لو عند تركها مع ما تنقيد ما تنقيد عند تركها مع لاهن معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التخصيص خلا انه عند ارادته لا يليها (الجرمين)

الافضل ظاهر او مضمر وعند ارادة الاول لايليه (٣٨١) الاسم ظاهر او مقدر عند البصريين والمراد ههنا هو الثاني اى هلا تبتنا

(باللائكة) يشهدون بصحة

نبوتك وبعضدوك في الانذار

كنو له تعالى اول انزل عليه ملك

فيكون معه نذيرا اذ يعاقبونا

على التكذيب كما تأتي الامم

المكذبة لرسلهم (ان كنت من

الصادقين) في دعواك فان قدرة

الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه

وكذا احتيا بك اليه في تخفية

امرك فانا لا نصدفك بدون ذلك

اوان كنت من جهة تلك الرسل

بصادقين الذين عذبت ائمتهم

المكذبة لهم (ما نزل الملائكة)

بالنوع على بناء الفعل ضمير الملائكة

من التنزيل وقرئ من الانزال

وقرئ تنزل مضارع من التنزيل

على صيغة البشاء للمفعول ومن

التنزيل بمحض فاحدى التانيين و

ماضيانه من التنزيل ومن الثلاثي

وهو كلام مسوق الى النبي صلى

الله عليه وسلم جوابا لهم عن

مقاتلتهم المحكية ورد الافتراءهم

الباطل ولشدة استدعاء ذلك

لجواب قدم رده على ما هو

جواب عن اولها اعني قوله انا

نحن نزلنا الذكر الآية كاعفل

في قوله تعالى قال انما يايتكم به الله

فانه مع كونه جوابا عن قولهم

فاننا عاتدنا قدم على قوله ولا

ينفكر نصي الآية مع كونه

جوابا عن اول كلامهم الذي

هو قولهم ياوح قد جادلنا لما

ذكر من شدة اقتضائه للجواب

وليكون احد الجوابين متصلا

بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال

كل من الجوابين عن سؤاله

والعدول عن تطبيقه لظاهر

كلامهم بصد الافتراء وهو ان

يقال ما تأيهم بهم لا لاذان

بأنهم قد اخطوا في التعبير حسبا

المجرمين ففيه مسئلتان (المسئلة الاولى) السلك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخط

في الخيط والرح في المطعون وقيل في قوله ما سلككم في سقر اى ادخلكم في جهنم وذكر

ابوعبيدة وابوعبيد سلكته واسلكته بمعنى واحد (المسئلة الثانية) احتجب احصانا بهذه

الآية على انه تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه اى كذلك

نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين قالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل

هذا اللفظ فلا يمكن ان يكون الضمير عائدا اليه لا يقال انه تعالى قال وما يأتهم من رسول

الا كانوا يستهزؤن وقوله يستهزؤن بدل على الاستهزاء الضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا

اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال ثبتت صحة قولنا المراد من قوله كذلك نسلكه

في قلوب المجرمين هو انه كذلك نسلك الكفر والضلال والاستهزاء بآي الله تعالى ورسله

في قلوب المجرمين لاننا نقول ان كان الضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا الى الاستهزاء وجب

ان يكون الضمير في قوله لا يؤمنون به عائدا ايضا الى الاستهزاء لانهما ضميران تعاقبا

وتلاصقا فوجب عودهما الى شيء واحد فوجب ان لا يكونا مؤمنين بذلك الاستهزاء

وذلك يوجب التناقض لان الكافر لا بد وان يكون مؤمنا بكفره والذي لا يكون كذلك هو

المسلم العالم بطلان الكفر فلا يصدق به وباضافوا لكان تعالى هو الذي يسلك الكفر في قلب

الكافر ويخلق فيه فاحد اولي بالذم من هؤلاء الكفار ولكان على هذا التقدير يمنع

ان يذمهم في الدنيا وان يعاقبهم في الآخرة عليه ثبت انه لا يمكن حل هذه الآية على هذا

الوجه فقول التأويل الصحيح ان الضمير في قوله تعالى كذلك نسلكه عائدا الى الذكر الذي

هو القرآن فانه تعالى قال قبل هذه الآية اتانحن نزلنا الذكر وقال بعده كذلك نسلكه اى

هكذا نسلك القرآن في قلوب المجرمين والمراد من هذا السلك هو انه تعالى بسهم هذا القرآن

ويخلق في قلوبهم حفظ هذا القرآن ويخلق فيهم العلم بمعانيه وبين انهم لجهلهم واصرارهم

لا يؤمنون به مع هذه الاحوال عنادا وجهلا فكان هذا موجبا للحق الذم الشديد بهم

وبدل على صحة هذا التأويل وجهان (الاول) ان الضمير في قوله لا يؤمنون به عائدا الى القرآن

بالاجماع فوجب ان يكون الضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا اليه ايضا لانهما ضميران

تعاقبان فيجب عودهما الى شيء واحد (والثاني) ان قوله كذلك معناه مثل ما علمنا كذا

وكذا فعل هذا السلك فيكون هذا تشبيها لهذا السلك بفعل آخر ذكره الله تعالى قبل هذه

الآية من اعمال نفسه ولم يجر لعمل من اعمال الله ذكر في سابقة هذه الآية الاقوله

اتانحن نزلنا الذكر فوجب ان يكون هذا معطوفا عليه ومشبهاه ومتى كان الامر كذلك

كان الضمير في قوله نسلكه عائدا الى الذكر وهذا تمام تقرير كلام القوم والجواب لا يجوز

ان يكون الضمير في قوله نسلكه عائدا الى الذكر وبدل عليه وجوه (الاول) ان قوله كذلك

نسلكه مذکور بحرف النون والمراد منه اظهار نهاية التعظيم والجلالة ومثل هذا

التعظيم مما يحسن ذكره اذ فعلنا بظهور اثر قوى كامل بحيث صار المنازع والمدافع

اخطوا في الافتراء وان الملائكة لعلو رتبهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الشامل للاتصال من احد الامكنة

المناوئة الى الآخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون (٣٨٢) مقصد حر كآتهم اولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت

له مغلوبا مقهورا فأما ذاقفل فعلا ولم يظهر له اثر البتة صار المنازع والدافع غالبا قاهرا .
فان ذكر اللفظ المشعر بنهاية العظمة والجلالة يكون مستقما في هذا المقام والامر ههنا
كذلك لانه تعالى سالت اسماع القرآن وتحفظه وتعليمه في قلب الكافر لاجل ان يؤمن به ثم
انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله تعالى كالمدر الضائع وصار الكافر والشيطان
كالمغالب الدافع واذا كان كذلك كان ذكر النون المشعر بالعظمة والجلالة في قوله
نسلكه غير لائق بهذا المقام فثبت بهذا الوجه ان التأويل الذي ذكره فاسد (الوجه
الثاني) انه لو كان المراد ما ذكره لوجب ان يقال كذلك نسلكه في قلوب الجرمين
ولا يؤمنون به اى ومع هذا السعي العظيم في تحصيل ايمانهم لا يؤمنون اما لما لم يذكروا
فعلمنا ان قوله لا يؤمنون به كالتفسير والبيان لقوله نسلكه في قلوب الجرمين وهذا انما يصح
اذا كان المراد انفس الكفر والضلال في قلوبهم (الوجه الثالث) ان قوله انما نحن نزلنا
الذكر بعيدو قوله يستهزؤن قريب وعود الضمير الى اقرب المذكورات هو الواجب اما قوله
لو كان الضمير في قوله نسلكه عائدا الى الاستهزاء لكان في قوله لا يؤمنون به عائدا اليه
وحيث ان يلزم التناقض قلنا الجواب عنه من وجوه (الاول) ان مقتضى الدليل عود الضمير
الى اقرب المذكورات ولا مانع من اعتبار هذا الدليل في الضمير الاول وحصل المانع من
اعتباره في الضمير الثاني فلا جرم قلنا الضمير الاول عائدا الى الاستهزاء والضمير الثاني عائدا
الى الذكر وتربيق الضمائر المتعاقبة على الاشياء المختلفة ليس بقيل في القرآن اليس
ان الجبائي والكهبي والقاضي قالوا في قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها ليسكن اليها فلما نفقشاها جلت جلا خفيفا فرت به فلما انقضت يدعو الله ربهما
لئن اتينا صاحبا لنتكون من الشاكرين فلما آتاهاما صاحبا جعلناه شركاء فيما آتاهاما
فعلى الله عما يشكرون فقالوا هذه الضمائر من اول الآية الى قوله جعلناه شركاء عائدة
الى آدم وحواء واما في قوله جعلناه شركاء فيما آتاهاما فتعالى الله عما يشكرون عائدة الى
غيرهما فهذا ما اتفقوا عليه في تفاسيرهم واذ ثبت هذا ظهر انه لا يلزم من تعاقب الضمائر
عودها الى شيء واحد بل الامر فيه موقوف على الدليل فكذا ههنا والله اعلم (والوجه
الثاني) في الجواب قال بعض الادباء من اصحابنا قوله لا يؤمنون به تفسير للكنية في قوله
نسلكه والتقدير كذلك نسلك في قلوب الجرمين ان لا يؤمنوا به والمعنى نجعل في قلوبهم
ان لا يؤمنوا به (والوجه الثالث) وهو اننا بالبراهين العقلية القاهرة ان حصول
الايمان والآخر يمنع ان يكون بالعبد وذلك لان كل احد انما يريد الايمان والصدق
والعلم والحق وان احدا لا يقصد تحصيل الكفر والجهل والكذب فلما كان كل احد
لا يقصد الا الايمان والحق فمما به لا يحصل ذلك وانما يحصل الكفر والباطل علما ان
حصول ذلك الكفر ليس منه فان قالوا انما حصل ذلك الكفر لانه غن انه هو الايمان
فنقول في هذا التقدير انما رضى بتحصيل ذلك الجهل لاجل جهل آخر سابق عليه فيقتل

احد من البشر وانما الذي يليق
بشأنهم التزول من مقامهم العالي
وكون ذلك بطريق التنزيل
من جانب الرب الجليل (الابا الحق)
اى ملتبسا بالوجه الذى يحق
ملازمة التنزيل به مما تقتضيه
الحكمة وتجبرى به السنة الالهية
كقوله سبحانه وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق
والذى اقترحوه من التنزيل
لاجل الشهادة لديهم وهم هم
ومنزلتهم في العقارة والهو ان
منزلتهم بما لا يكد يدخل تحت
العصاة والحكمة اصلا فان ذلك
من باب التنزيل بالوحي الذى
لا يتكبد فتح على غير الانبياء الكرام
من افراد كل المؤمنين فكيف
على امثال اولئك الكفرة اللثام
وانما الذى يدخل في حقهم
تحت الحكمه فالحكمة هو
التنزيل للتعذيب والاستعمال
كما فعل بأمرهم من الامم السابقة
ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمره
(وما كانوا اذا منظرين) اجزاء
الشرط مقدر وفيه ايدان
بانتاج مقدماتهم لتقبض مطلوبهم
كافي قوله تعالى واذا لا يلبثون
خلافك الا قليلا قال صاحب
النظم لفظه اذن مركبة من اذ
وهو اسم بمعنى الحين تقول
أنتك اذ جئت اى حين جئت
ثم ضم اليه ان فصار اذ ان ثم
استعملوا الهمزة فجذوها
فجئى لفظان دليل على اختار
فعل بمرادها والتقدير وما كانوا
اذا ان كان مطلوبا منظرين
وامعنى لو نزلناهم ما كانوا
مؤخرين كدأب سائر الامم
المكذبة المستهزئة ومع استخفافهم
لذلك قد جرى قبل القضاء
بأخير عذابهم الى يوم القيامة حسبا أجبل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتعوا ويلهمهم الامل الخ وحال حائل الحكمة بينهم (الكلام)

وبين استحقاقهم لتعلق العلي والارادة بازديادهم عذابا (٢٧٣) وبما كان معنى ذلهم وانما نظر ايمان بعضهم في سط الحكمة قيا بما قسم
 بين عادتهم في الكفر والفساد
 والجاهل في المكابرة والعناد هذا
 هو الذي يستدعيه الجحيم النزول
 الجليل واما ما قيل في تليل
 عدم موافقة التزويل للحكمة
 من انهم حينئذ يكونون مصدقين
 عن اضطراب اوائه لاحكمة في
 ان تأنيك بصور تشاهدونها
 فانه لا يزيدكم الا ليلسا اوان
 ازال الملائكة لا يكون الاحق
 وحصول الفائدة بازالهم وقد
 علم الله تعالى من حال هؤلاء
 الكفار انه لو ازال اليهم الملائكة
 لبقوا مصرين على كفرهم فيصير
 ازالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا
 فمع اخلال كل من ذلك بقضية
 الباقى لا يلزم من فرض وقوع
 شيء من ذلك تعجيل العذاب
 الذي يفيد قوله تعالى وما كانوا
 اذا منظرين هذا على تصديق كون
 اقتراحهم لتاين الملائكة لاجل
 الشهادة امامي تقدير كون ذلك
 لتعذيبهم فالعنى اما ما نزل
 الملائكة للتعذيب بالانزياد
 ملتبا بالحق الذي تقتضيه
 الحكمة وتندعيه اسلمة حقا
 بحيث لا يحيد عنه ولو نزلناهم
 حسبما اقترحوا ما مكان ذلك
 التزويل ملتبا بمقتضى الحكمة
 الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم
 القيمة لارقا بهم بل تشديدا
 عليهم كما من قبل وحيث كان
 في نسبة تعذيبهم للتعذيب الى
 عدم استحقاقهم التعذيب عدل
 عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه
 الظن الكريم فكانه قيل لو
 نزلناهم كانوا منظرين وذلك
 غير موافق للحكمة الموجبة
 لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل
 المراد بالحق الوحى وقيل العذاب فتدبر (انما نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم التزويل واستهزاءهم برسول الله صلى الله عليه

والذي لم يزل الجحيم السابق فان كان ذلك لاجل جهل آخر لم يتسلسل و من جهل
 والموجب انتهاء كل الجهالات الى جهل اول سابق حصل في قلبه لا يتحصيه بل بتخليق الله
 تعالى وذلك هو الذى فناءه ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب الجرمين لا يؤمنون به
 والمخى نجعل في قلوبهم ان لا يؤمنوا به وهو انه تعالى يخاف الكفر والضلال فيها وايضا
 قدماء المفسرين مثل ابن عباس وتلامذته اطبقوا على تفسير هذه الآية بأنه تعالى يخلق
 الكفر والضلال فيها والتأويل الذى ذكره المعتزلة تأويل محدث لم يقل به احدهم
 المتقدمين فكان مردودا وروى المفاضى عن عكرمة ان المراد كذلك نسلك القسوة في
 قلوب الجرمين ثم قال المفاضى ان القسوة لا تحصل الا من قبل الكفار بأن يستمر على كفره
 ويتمادى فلا يصح اضافته الى الله تعالى فيقال للمفاضى ان هذا يجرى مجرى المكابرة وذلك
 لان الكافر يجلد من نفسه نفرة شديدة عن قبول قول الرسول ونبوة عظيمة عنه حتى انه كلما
 رآه تغير لونه واصفر وجهه وربما ارتعدت اعضاؤه ولا يقدر على الالتفات اليه والاصغاء
 لقوله فحصل هذه الاحوال في قلبه امر اضطرارى لا يمكنه دفعها عن نفسه فكيف يقال
 انها حصلت بفعله واختياره فان قالوا انه يمكنه ترك هذه الاحوال الرجوع الى الانقياد
 والقبول فتقول هذا غلط محض لانك ان أردت انه مع حصول هذه النفرة الشديدة
 في القلب والنبوة العظيمة في النفس يمكنه ان يعود الى الانقياد والقبول والطاعة والرضا
 فهذا مكابرة وان أردت ان عند زوال هذه الاحوال الفسائية يمكنه العود الى القبول
 والتسليم فهذا حق الا انه لا يمكنه ازالة هذه الدواعى والصوارف عن القلب فانه ان كان
 الفاعل لها هو الانسان لا تقدر في تحصيل هذه الدواعى والصوارف الى دواعى سابقة عليها
 ونزمت الذهاب الى ما لا ينفك به وذلك محال وان كان الفاعل لها هو الله تعالى فيجئذ يصح ان
 تعالى هو الذى يسلك هذه الدواعى والصوارف في القلوب وذلك عين ما ذكرناه والله اعلم
 اما قوله تعالى وقد دخلت سنة الاولين فقيه قولان (الاول) انه تهديد لكفار مكة بقول قد
 مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل في القرون الماضية (الثاني) وهو قول الزجاج وقد
 مضت سنة الله في الاولين بأن يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا اللفظ بظاهر اللفظ
 قوله تعالى (ولو فحشنا عليهم بابا من السماء فنزلوا فيه يرحلون لقالوا انما مكرت ابصارنا
 بل نحن قوم مسحورون) اعلم ان هذا الكلام هو المذكور في سورة الانعام في قوله ولو نزلنا
 عليك كتابا في قرطاس فسوف يؤيدهم بقال الذين كفروا ان هذا الاسحرامين والحاصل
 ان القوم لما طلبوا نزول ملائكة يصرحون بتصديق الرسول عليه السلام في كونه رسولا
 من عند الله تعالى بين الله تعالى في هذه الآية ان تقدير ان يحصل هذا المعنى لقال الذين
 كفروا هذا من باب المحرور هؤلاء الذين يظن ان آثارهم يقين في الحقيقة لا زمام والحاصل
 انه لما علم الله تعالى انه لا فائدة في نزول الملائكة فهذا السبب ما تزلهم فان قيل كيف
 يجوز من الجماعة العظيمة ان يصيروا مشاكين في وجود ما يشاهدونه بالنسبة السليمة في النهار
 المراد بالحق الوحى وقيل العذاب فتدبر (انما نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم التزويل واستهزاءهم برسول الله صلى الله عليه

وسلم بذلك وتسليمة الى نحن يعظم شأننا وعلو جناننا (٢٨٤) ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك وتسبوا لك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا

الواضح ولو جاز حصول الشك في ذلك كانت السفطة لازمة ولا يبقى حينئذ اعتماد على الحس والمشاهدة اجاب القاضي عنه بأنه تعالى ما وصفهم بالشك فيما يصرون وانما وصفهم بأنهم يقولون هذا القول وقد يجوز ان يقدم الانسان على الكذب على سيل العناد والمكابرة ثم سأله نفسه وقال أفصح من الجمع العظيم ان ينظروا الشك في المشاهدات واجاب بأنه بصح ذلك اذا جمعهم عليه فرض صحيح معبر من مواطاة على دفع جحدها وغلبة خصم وايضا فهذه الحكاية انما وقعت عن قوم مخصوصين سألو الرسول صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة وهذا السؤال ما كان الا من رؤساء القوم وكانوا قليلا العدد واقدام العدد القليل على ما يجري مجرى المكابرة جائز (المسئلة الثانية) قوله تعالى فظنوا فيه يرجون بقا لظن فلانهم ظنوا انهم اذا فعله كذا اذا فعله بالهار ولا تقول العرب ظل يظل الا لشيء عمل على بالهار كالايتولون بات يبت الا بالليل والمصدر الظنول وقوله فيه يرجون يقال عرج يعرج عروجا ومنه المعارج وهى المصاعد التى يصعد فيها وللمفسرين فى هذه الآية قولان (احدهما) ان قوله فظنوا فيه يرجون من صفة المشركين قال ابن عباس رضى الله عنهما لو ظل المشركون يصعدون فى تلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادته الملائكة الذين هم من خشيته مشفقون لشكوا فى تلك الرؤية ويقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المجهزات من انشقاق القمر وما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المبحر الذى لا يستطيع الجن والانسان أن يتوا بمثله (القول الثانى) ان هذا العروج للملائكة والمعنى انه تعالى لوجعل هؤلاء الكفار بحيث يروا اربابا من السماء مفتوحة وتصدر منها الملائكة وتنزل لصرف اذالك عن وجهه ولقالوا ان الحجره سحرنا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التى لاحقيقة لها وقوله لقالوا انما سكرت ابصارنا فيه مستلثان (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف والباقون مشددة الكاف قال الواحدى سكرت غشيت ومددت بالسحر هذا قول اهل اللغة قالوا واصله من السكر وهو سد الشق ثلا بنفجر الماء فكان هذه الابصار منعت من النظر كما يمنع السكر الماء من الجرى والتشديد بوجوب زيادة وتكثيرا وقال ابو عمرو بن العلاء هو مأخوذ من سكر الشراب يعنى ان الابصار حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغير العقل فاذا كان هذا معنى التخفيف فسكرت بالتشديد يراد به وقوع هذا الامر مرة بعد اخرى وقال ابو عبيدة سكرت ابصارنا اى غشيت ابصارنا فوجب سكونها وبطلانها على هذا القول اصله من السكون يقال سكرت الریح سكرًا اذا سكنت وسكر الحربى سكرًا ليلة ساكرة لا ریح فيها وقال أوس

جذلت على ليلة ساهره فليست بطلق ولا ساكرة

ويقال سكرت عينه سكرًا اذا تحيرت وسكنت عن النظر وعلى هذا معنى سكرت ابصارنا اى سكنت عن النظر وهذا القول اختيار الزجاج وقال ابو على الفارسي سكرت صارت

النعل للمفعول اياه اياه امر لا مصدر له وفعل لا تفاعل له (وانه لا حظون) من كل مالا يلبق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاءهم به بدخولا اوليا فيكون وعيدا للستهزئين واما الحفظ عن مجرد التعريف والزيادة والنقص وامثالها فان ليس بمقتضى لقام فالوجه الجمل على الحفظ من جميع ما يقدم فيه من الطعن فيه والجدالة فى حقيقته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلًا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غيره لانتظر عليه الزيادة والنقص والاختلاف وسبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى ضخامة شأن التنزيل مالا ينفى وفى ايراد الثانية بالجهة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل لضيق الجورج للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل رداله لما ذكر آتفا ولا ارتباطه بما يقبه من قوله تعالى (ولقد ارسلنا) اى رسالا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه (من قبلك) متعلق بأرسلنا او بحذوف هو نعمت للمفعول المحذوف اى رسلا كائنه من قبلك (فى شيع الاولين) اى فرقهم واحزابهم جمع شيعه وهى الفرقة المنفقة على طريقة ومذهب من شاعها ذاتهم واصنافه

الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفة عند القراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اى شيع الامم الاولين (بحيث)

ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيا (٣٨٥) بين طائفة منهم ليتبايعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين (وما يأتيهم من رسول)

المراد في آياتهم كل رسول
اشيئته الخاصة به لا في آيات
كل رسول لكل واحدة من تلك
الشعوب معا اولى سبيل البذل
وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة على طريقة حكاية
الحال الماضية فان ما لا تدخل
في الغالب على مضارع الا وهو
في معنى الحال ولا على ماضى الا
وهو قريب من الحال اى ما أتى
شعبة من تلك الشعوب رسول
خاص بها (الا كانوا يستنبئون)
كألفه هؤلاء الكفرة والجملة
في عمل النصب على انها حال
مقدرة من ضمير المفعول في
يأتهم اذا كان المراد بالآيات
حدوده او في عمل الرفع على انها
صفة رسول فان عمله الرفع على
الفاعلية اى الارسل كانوا به
يستنبئون واما الجر على انها صفة
باعتبار لفظه فيفيض الى زادة
من الاستباقية في الالفاظ
وبجوز ان يكون منصوبا على
الوصفية بأن يقدر الموصوف
منصوبا على الاستثناء وان كان
المختار الرفع على البدلية وهذا
كأثر تسليط رسول الله صلى
الله عليه وسلم بأن هذه عادة الجاهل
مع الانبياء عليهم السلام وحيث
كان الرسول منصوبا بكتاب
من عبدالله تعالى تضمن ذكر
استهزائهم بالرسول استهزاهم
بالكتاب ولذلك قيل (كذلك)
اشارة الى ما دل عليه الكلام
السابق من القاء الوحي مقرونا
بالاستهزاء اى مثل ذلك السلك
الذى سلكناه في قلوب اولئك
المنهزين برسلم وعما جاء به
من الكتب (نسلكه) اى الذكر

بحيث لا ينفذ نورها ولا تدرك الاشياء على حقائقها وكان معنى السكر قطع الشيء عن
سنه الجارى فن ذلك تسكير الماء وهو رده عن سنه في الجربة والسكر في الشراب هو
ان ينقطع عما كان عليه من المضاء في حال الصحو فلا ينفذ رايه على حد نفاد في الصحو
فهذه اقوال اربعة في تفسير سكرت وهى في الحقيقة متقاربة والله اعلم (المسئلة الثانية)
قال الجبائي من جوز قدرة السحرة على ان يأخذوا بأعين الناس حتى يروههم الشيء على
خلاف ما هو عليه لم يصح ايمانه بالانبياء والرسول وذلك لانهم اذا جوزوا ذلك فعلل هذا
الذي يرى انه محذور عند الله ليس هو ذلك الرجل وانما هو شيطان ولعل هذه المعجزات
التي نشاهدها ليس لها حقائق بل هى تكون من باب الارادة الباطلة من ذلك الساحر
واذا حصل هذا التجويز بطل الكل والله اعلم * قوله تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا
وزيناها للنظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم ااسترق السمع فأتبعه شهاب
مبين) اعلم انه تعالى لما اجاب عن شبهة منكرى النبوة وكان قد ثبت ان القول
بالنبوة مفرغ على القول بالتوحيد أتبعه تعالى بدلائل التوحيد ولما كانت دلائل
التوحيد منها سماوية ومنها ارضية بدأ منها بذكر الدلائل السماوية فقال ولقد جعلنا
في السماء بروجا وزيناها للنظرين قال البيت البرج واحد من بروج الفلك والبروج
جمع وهى اثنا عشر برجاً ونظيره قوله تعالى تبارك الذى جعل في السماء بروجا وقال
والسموات البروج ووجه دلالتها على وجود الصانع المختار هو ان طبائع هذه البروج
مختلفة على ما هو متفق عليه بين ارباب الاحكام واذا كان الامر كذلك فالفلك مركب
من هذه الاجزاء المختلفة في الماهية والابعاض المختلفة في الحقيقة وكل مركب فلا بد له
من مركب يركب تلك الاجزاء والابعاض بحسب الاختيار والحكمة ثبت ان كون
السماء مركبة من البروج يدل على وجود الفاعل المختار وهو المطلوب واما قوله وزيناها
لنظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الامن استرق السمع فأتبعه شهاب مبين فقد
استقصينا الكلام فيه في سورة الملك في تفسير قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين فلانعيد ههنا الا القدر الذى لا بد منه قوله وزيناها اى
بالشمس والقمر والنجوم للنظرين اى للمعتبرين بها والمستندين بها على توحيد صانعها
وقوله وحفظناها من كل شيطان رجيم فان قيل ما معنى وحفظناها من كل شيطان
رجيم والشيطان لا قدر له على هدم السماء فأى حاجة الى حفظ السماء منه قلنا لما منع
من القرب منها فقد حفظ السماء من مقاربة الشيطان حفظ الله السماء منهم كما قد يحفظ
منازلنا عن مخسوس يخشى منه الفساد ثم نقول معنى الرجم في اللغة الرمى بالجارة ثم قيل
للقتل رجم تشبيها بالرمى بالجارة والرجم ايضا السب والشتم لانه رمى بالقول القبيح
ومنه قوله لا رجيتك اى لا سبكتك والرجم اسم لكل ما رمى به ومنه قوله وجعلنا هارجوما
لشياطين اى امرأى لهم والرجم القول بالظن ومنه قوله رجما بالغيب لانه رميه بذلك

(في قلوب الجرمين) اى اهل مكة وجنس الجرمين (٤٩) (را) (خا) فيدخلون فيه دخولا اوليا وعمله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او

حال منه اى نسلكه سلكا مثل ذلك السلك اونسلك (٣٨٦) السلك حال كونه مثله اى مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لماقتضيه الحكمة

الظن والرجم ايضا لعن والطرده وقوله الشيطان الرجيم قدفسده بكل هذه الوجوه
قال ابن عباس رضى الله عنهما كانت الشياطين لا تتجسس عن السموات فكانوا يدخلونها
ويسمعون اخبار الغيوب من الملائكة فيلقونها الى الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام
منعوا من ثلاث سموات فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها
فكل واحد منهم اذا اراد استراق السمع رعى بشهاب وقوله الامن استرق السمع لا يمكن
حل لفظة الالهنا على الاستثناء بدليل ان اقدامهم على استراق السمع لا يخرج السماء
من ان تكون محفوظة منهم الا انهم ممنوعون من دخولها وانما يحاولون القرب منها
فلا يصح ان يكون استثناء على التحقيق فوجب ان يكون معناه لكن من استرق السمع
قال الزجاج موضع من نصب على هذا التقدير قال وجائز ان يكون في موضع خفض
والتقدير الامن قال ابن عباس في قوله الامن استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك
لان المارد من الشياطين يعلو فوى بالشهاب فيحرقه ولا يقتله ومنهم من يجلبه فصير
غولا يضل الناس في البرارى وقوله فاتبعه ذكرنا معناه في سورة الاحراف في قصص بلقيس
باعورا في قوله فاتبعه الشيطان معناه خلقه والشهاب شعله نار ساطع ثم يسمى الكواكب
شهابا والسنان شهابا لاجل انهما لما فيهما من البريق يشبهان النار واعلم ان في هذا
الموضع بحثا دقيقة ذكرناها في سورة الملك وفي سورة الجن ونذكر منها ههنا اشكالا
واحدا وهو ان لقائل ان يقول اذا جوزتم في الجملة ان يصعد الشيطان الى السموات
ويختلط بالملائكة ويسمع اخبار الغيوب عنهم ثم انها تنزل وتلقى تلك الغيوب على
الكهنة فعلى هذا التقدير وجب ان يخرج الاخبار عن الغيبات عن كونه مجزا لان
كل غيب يخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فام فيه هذا الاحتمال وحينئذ يخرج عن
كونه مجزا دليلا على الصدق لا يقال ان الله تعالى اخبر انهم عجزوا عن ذلك بعد
مولد النبي صلى الله عليه وسلم لانا نقول هذا الجوز لا يمكن اثباته الا بعد القطع بكون
محمد رسولا وكون القرآن حقا والقطع بهذا لا يمكن الا بواسطة المعجز وكون الاخبار
عن الغيب مجزا لا يثبت الا بعد ابطال هذا الاحتمال وحينئذ يلزم الدور وهو باطل محال
ويمكن ان يجاب عنه باننا ثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا بآثار المعجزات
ثم بعد العلم بذنوبه نفع بان الله تعالى اعجز الشياطين عن تلقف الغيب بهذا الطريق
وعند ذلك يصير الاخبار عن الغيوب معجزة وبهذا الطريق يندفع الدور والله اعلم
* قوله تعالى (والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شئ موزون
وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين) اعلم انه تعالى لما شرح الدلائل السماوية
في تقرير التوحيد اتبعها بذكر الدلائل الارضية وهى انواع (النوع الاول) قوله
تعالى والارض مددناها قال ابن عباس بسطناها على وجه الماء وفيه احتمال آخر وذلك
لان الارض جسم والجسم هو الذى يكون ممتدا في الجهات الثلاث وهى الطول

فانهم من اهل الخلد لان ليس
لهم استحقاق لقبول الحق
وصيفة المضارع لكون المشبه به
مقدما في الوجود وهو السلك
الواقع في الامم السالفة اولدلالة
على استحضار الصورة والسلك
ادخال الشئ في آخر يقال سلكت
الحيط الى الابد والرخ في المطمون
(لا يؤمنون به) اى بالذكر حال
من ضمير نسلكه اى غير مؤمن به
اوبيان الجملة السابقة فلا يصلح
لها وقد جعل الضمير للاستزادة
فيتعين البائية الا ان يصلح
الضمير الجور ايضا لله على ان البلد
للادبسة اى نسلك الاستهزاء
في قولهم حال كونهم غير مؤمنين
بعبادته والحال اما مقدردا
مقارنة للايدان بان كثرهم
مقارن للقاء كما في قوله تعالى
لما جاءهم ما هم فوا كفروا به
(وقد خلت سنة الاولين) اى قد
مضت طريقهم التي سنها الله
تعالى في اهلها حين ضلوا
ما فعلوا من التكذيب
والاستهزاء وهواستئناف على به
تكملة للتسليية وقصر بها بالوعيد
والتهديد (واوقنا عليهم) اى على
هؤلاء المقترحين للمعتدين (بابا
من السماء) اى بابا مالا بابا من
ابوابها المعهودة كالفيل ويسرنا
لهم الرق والصعود اليه (فظلوا
فيه) في ذلك الباب (يرجون)
بآله اوفيه ها يرون ما فيها من
العجائب عيانا كما يفيد الظلول
اوظل الملائكة الذين اقترحوا
ايمانهم يرجون في ذلك الباب
وهو برؤيه عيانا مستو حصين
طول نهارهم (فقالوا)
لفرق عنادهم وغلوهم في
المكابرة وتقاديعهم عن قبول
الحق (انما سكرت ابصارنا) اى سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة الغريبة واحيرت كما يعضده قراءة من (والعرض)

قرأ سكرت اى حارت (بل نحن قوم مسحورون) قد (٣٨٧) سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر

الآيات الباهرة وفي كل من الحصر
والاضراب دلالة على انهم يشنون
القول بذلك وان ما يرونه لا حقيقة
له وانما هو ما ركب اليهم بالسحر
وفي اسمية الجبل الشانية دلالة
على دوام مضوئهما
وايرادها بعد تسكير الابصار
ليبين التكرار لغير ما يرونه فان
هروج كل منهم الى السماء وان
كان مرئيا لغيره فهو معلوم
بطريق الوجدان مع قطع
النظر عن الابصار فهم يدعون
ان ذلك نوع آخر من السحر
غير تسكير الابصار (ولقد
جعلنا في السماء بروجاً) قصورا
يتزلها السيارات وهي البروج
الاثنا عشر المشهورة المختلفة
الهيات والخواص حسب ما يدل
عليه الرصد والتجرب مع ما اتفق
عليه الجمهور من بساطة السماء
والجل ان جعل بمعنى الخلق
والابداع وهو الطاهر الفاجر
متعلق به وان جعل بمعنى التصوير
فهو مفصول ثان له متعلق
بمحذوف اى جعلنا بروجاً كاشة
في السماء (وزيناها) اى السماء
بتلك البروج المختلفة الاشكال
والكواكب سيارات كانت او
توابت (للناظرين) اليها لغنى
الذين ظاهروا او للتفكيرين
المحتيرين المستدئين بذلك على
قدرة مقدرها وحكمة مدبرها
فترتيبها ترتيبها على نظام بديع
مستتب للاستار الحسنه
(وحفظناها من كل شيطان
رجيم) مرى بالنجوم فلا يقدر
ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها
ويتصرف فيها ويقبض على احوالها
(الا ان اسرق السمع) محله
النصب على الاستثناء التوصل
ان فسر الحفظ بمنع الشياطين

والعرض والثنى واذا كان كذلك فتمدد جسم الارض في هذه الجهات الثلاث بمقدار معين لما ثبت ان كل جنم فانه يجب ان يكون متاهيا واذا كان كذلك كان تمدد جسم الارض مختصا بمقدار معين مع ان الازدياد عليه معقول والانتقاص عنه ايضا معقول واذا كان كذلك كان اختصاص ذلك التمدد بذلك القدر المقدر مع جواز حصول الازيد والانتقص اختصاصا بأمر جازئ وذلك يجب ان يكون بتخصيص شخص وتقدير مقدر وهو الله سبحانه وتعالى فان قيل هل يدل قوله والارض مددناها على انها بسيطة قلنا نعم لان الارض بتقدير كونها كرة فهي كرة في غاية العظمة والكرة العظيمة يكون كل قطعة صغيرة منها اذا نظر اليها فانها ترى كالسطح المستوى واذا كان كذلك زال ما ذكره من الاشكال والدليل عليه قوله تعالى والجبال اوتادا سماها اوتادا مع انه قد يحصل عليها سطوح عظيمة مستوية فكذا ههنا (النوع الثاني) من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى والقينا فيها رواسى وهى الجبال التوابت واحدها راسى والجمع راسية وجمع الجمع رواسى وهو كقوله تعالى والقي في الارض رواسى ان تميد بكم وفي تفسيره وجمان (الاول) قال ابن عباس لما بسط الله تعالى الارض على الماء مالت بأهلها كالسفينة فأرسلها الله تعالى بالجبال الثقيل لئلا تميل بأهلها فان قيل ليقولون انه تعالى خلق الارض بدون الجبال فالت بأهلها فخلق فيها الجبال بعد ذلك او يقولون ان الله خلق الارض والجبال معا قلنا كلا الوجهين محتمل (الوجه الثاني) في تفسير قوله والقينا فيها رواسى يجوز ان يكون المراد انه تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق الارض ونواحي لانها كالاعلام فلا تمل الناس عن الجادة المستقيمة ولا ينعون في الضلال وهذا الوجه ظاهر الاحتمال (النوع الثالث) من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وانشأنا فيها من كل شئ موزون وفيه بحثان (الاول) ان الضمير في قوله وانشأنا فيها يحتمل ان يكون راجعا الى الارض وان يكون راجعا الى الجبال الرواسى الا ان رجوعه الى الارض اولى لان انواع النبات المنفع بها انما تولد في الاراضى فأما الفواكه الجبلية فقليلة النفع ومنهم من قال رجوع ذلك الضمير الى الجبال اولى لان المعادن انما تولد في الجبال والاشياء الموزونة في العرف والعادة هى المعادن لا النبات (البحث الثاني) اختلفوا في المراد بالموزون وفيه وجوه (الاول) ان يكون المراد انه مقدر بقدر الحاجة قال القاضي وهذا الوجه اقرب لانه تعالى يعلم المقدار الذى يحتاج اليه الناس ويتفنون به فثبت تعالى في الارض ذلك المقدار ولذلك اتبعه بقوله وجعلنا لكم فيها معايش لان ذلك الرزق الذى يظهر بالنبات يكون معيشة لهم من وجهين (الاول) بحسب الاسكل والارتفاع بعينه (الثاني) ان ينفع بالحجارة فيه والقائلون بهذا القول قالوا الوزن انما يدعى معرفة المقدار فكان اطلاق لفظ الوزن لارادة معرفة المقدار من باب اطلاق اسم السبب على

عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجنة او المتقطع ان فسر ذلك بالنسج من دخولها والتصرف فيها

* عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا لا يحبون (٣٨٨) عن السموات فلا ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث

المسبب قالوا ويتأكد ذلك ايضا بقوله تعالى وكل شيء عنده بقدر وقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم (الوجه الثاني) في تفسير هذا اللفظ ان هذا العالم عالم الاسباب والله تعالى اتم الخلق المعادن والنبات والحيوان بواسطة تركيب طبائع هذا العالم فلا بد وان يحصل من الارض قدر مخصوص ومن الماء والهواء كذلك ومن تأثير الشمس والكواكب في الحر والبرد مقدار مخصوص ولو قدرنا حصول الزيادة على ذلك القدر الخصوص او النقصان عنه لم تولد المعادن والنبات والحيوان فآلة سبحانه وتعالى قدرها على وجه مخصوص بقدرته وعلمه وحكمته فكانه تعالى وزنها بمران الحكمة حتى حصلت هذه الانواع (الوجه الثالث) في تفسير هذا اللفظ ان اهل العرف يقولون فلان موزون الحركات اى حركاته حركات متناسبة حسنة مطابقة للحكمة وهذا الكلام كلام موزون اذا كان متناسبا حسنا بعيدا عن القفو والسخف فكان المراد منه انه موزون بمران الحكمة والعقل وبالجملة فقد جعلوا لفظ الموزون كناية عن الحسن والتناسب فقوله وابتنا فيها من كل شيء موزون اى متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة ومطابقة المصلحة (الوجه الرابع) في تفسير هذا اللفظ ان الشيء الذى يثبت من الارض نوعان المعادن والنبات اما المعادن فهى بأمرها موزونة وهى الاجساد السبعة والاجارو الاملاح والزاجات وغيرها واما النبات فيرجع ما فيها الى الوزن لان الجيوب توزن وكذلك الفواكه فى الاكثر والله اعلم وقوله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) ذكرنا الكلام فى المعاش فى سورة الاعراف وقوله ومن لستم له برازقين فيه قولنا (القول الاول) انه معطوف على محل لكم والتقدير وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (والقول الثانى) انه عطوف على قوله معايش والتقدير وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين وعلى هذا القول ففيه احتمالات ثلاثة (الاول) ان كلمة من مختصة بالعقلاء فوجب ان يكون المراد من قوله ومن لستم له برازقين العقلاء وهم العيال والمالِك والخدم والعبيد وتقرير الكلام ان الناس يظنون فى اكثر الامر انهم الذين يرزقون العيال والخدم والعبيد وذلك خطأ فان الله هو الرزاق يرزق الخدام والخدم والمملوك والمالِك فانه لولاه تعالى خلق الطعام والاشربة واعطى القوة الغذائية والهاضمة والام لم يحصل لأحد رزق (والاحتمال الثانى) وهو قول الكلبي قال المراد بقوله ومن لستم له برازقين الوحش والطير فان قيل كيف يصح هذا التأويل مع ان صيغة من مختصة بمن يعقل قلنا الجواب عنه من وجهين (الاول) ان صيغة من قد دورت فى غير العقلاء والدليل عليه قوله تعالى والله خلق كل دابة من ما فمنهم من مشى على بطنه ومنهم من مشى على رجلين ومنهم من مشى على اربع (والثانى) انه تعالى اثبت لجميع الدواب رزقا على الله حيث قال وما من دابة فى الارض الا اعطى الله رزقا ويعلم مستقرها ومستودعها فكانه تعالى اعطى رزقا لكل من

سموات ولا ولد الذى صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واسرائى السبع اختلاسرا شبهه خفتهم السير من قطن السموات بما بينهم من المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع (فاتبعه) اى تبعه ولحقه (شهاب) لهب يحرق وهو شعله نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب والسنان لها فيهما من البرق (مئين) ظاهر امره للبصرين قال مبرر قلت لابن شهاب الزهري كان يرى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم وان انهم ينقض ويرى به الشيطان فيقتله اربعيه لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال الرايت قوله تعالى وانا كنا نعبد منها مقامات الآية قال غلطت وتشدد امرها حين يمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن تيمية ان الرجم كان قبل مبته عليه الصلاة والسلام ولكن لم يكن فى شدة الحراسة كما بعد مبته عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء بالنسبة يسترقون السمع من الملائكة فيمرقون بالكواكب فلا يغطى ايدا منهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ووده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخبئه فيصير غولا فيقتل الناس فى البوادي قال القرطبي اختلقوا فى ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس رضى الله عنهما يجرح ويحرق ويخجل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال

والاول اصح (والارض مدتها) بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم شرأ بالرفع (خالفها)

لربحمان النصب العطف على الجمله الفعلية اعني (٣٨٩) قوله تعالى ولقد جعلنا الخ وليوافق ما بعده أعني قوله تعالى (والقينا فيها

رواسي) اي جبال الانوابت وقد
مر بناه في اول الردء وانبتنا
فيها) اي في الارض اوقفيها وفي
رواسيها (من كل شئ موزون)
بمزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدرا
وقيل ما يوزن من الذهب والفضة
وغيرهما او من كل شئ مستحسن
مناسب او ما يوزن وقدر من
ابواب النعمة (وجعلنا لكم فيها
معاشين) كما يعيشون به من الطعام
والملابس وغيرهما مما يتعلق
به البقاء وهي ياء صريحة وقري
بالهمزة تشبيها له بالثالث (ومن
لستم له برازقين) عطف على
معاش اول محل لكم كما
قيل جعلنا لكم معاش
وجعلنا لكم من لستم
من العيال والمالك والخدم
والدواب وما شبهها على طرقة
التظليل وذكرهم بهذا العنوان
لردحسانهم انهم يكتفون مؤانهم
ولتحقيق ان الله تعالى هو الذي
يرزقهم وايهم او جعلنا لكم
فيها معاشين ولن لستم له برازقين
(وان من شئ) ان اللقي ومن
منبذة للتأكيد وشئ في محل
الرفع على الابتداء اي ما من شئ
من الاشياء الممكنة فيدخل فيه
ما ذكر دخولا اوليا (الا عندنا
خزائنه) الظرف خبر للبتداء
وخزائنه مرتفع به على انه فاعله
لاعتقاده او خبر له والجمله خبر
للبتداء الاول والخزائن جمع
الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس
الاموال لا غير غلب في العرف
على المملوك والاسلاطين من
خزائن اوراق الناس شبهت
مقدوراتها تعالى الفاشة للصر
المتدرجة تحت قدرته الشاملة
فيها وكونها مهيأة

خالقها فصارت شبيهة بمن يعقل من هذه الجهة فلم يعد ذكرها بصيغة من يعقل الا ترى انه
قال بالياء الخل ادخلوا مسكنكم فذكرها بصيغة جمع العقلاء وقال في الاصنام فانهم
عدولي وقال كل في ذلك يسبحون فكذا ههنا لا بعد اطلاق اللفظة المختصة بالعقلاء على
الوحش والطير لكونها شبيهة بالعقلاء من هذه الجهة وسمعت في بعض الحكايات انه قلت
المياه في الاودية والجبال واشتد الحر في عام من الاعوام فحكي عن بعضهم انه رأى بعض
الوحش رافعا رأسه الى السماء عند اشتداد عطشه قال فرأيت الغيوم قد اقبلت
وامطرت بحيث امتلأت الاودية منها (والاحتمال الثالث) اننا نحمل قوله ومن لستم له
برازقين على الاماء والعبيد وعلى الوحش والطير وانما اطلق عليها صيغة من تغلب الجانب
العقلاني على غيرهم (المسئلة الثانية) قوله ومن لستم له برازقين لا يجوز ان يكون مجرورا
عطفًا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور لا يقال اخذت منك
وزيد الا باعادة الخافض كقوله تعالى واذاخذنا من التينين ميثاقهم ومنك ومن نوح
واعلم ان هذا المعنى جائز على قراءة من قرأ تسألون به والارحام بانخفض وقد ذكرنا هذه
المسئلة هنالك والله اعلم * قوله تعالى (وان من شئ الا عندنا خزائنه) وما ننزله الا بقدر
معلوم وارسلنا الرياح فاترنا من السماء ماء فأسقينا كوه وما انتم له بخازنين)
اعلم انه تعالى لما بين انه انبت في الارض كل شئ موزون وجعل فيها معاشين اتبعه بذكر
ما هو كالسبب لذلك فقال وان من شئ الا عندنا خزائنه (وهذا هو النوع الرابع) من
الدلائل المذكورة في هذه السورة على تقرير التوحيد وفي الآية مسائل (المسئلة
الاولى) قال الواحدى رحمه الله الخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن
فيه الشئ اي يحفظ والخزانة ايضا عمل الخازن ويقال خزن الشئ يخزنه اذا احرز
في خزنة وعامة المفسرين على ان المراد بقوله وان من شئ الا عندنا خزائنه هو المطر
وذلك لانه هو السبب للارزاق والمعاش بني آدم وغيرهم من الطيور والوحوش فلذا كرر
تعالى انه يعطيهم المعاش بين ان خزائن المطر الذي هو سبب المعاش عنده اي في امره
وحكمه وتديره وقوله وما ننزله الا بقدر معلوم قال ابن عباس رحمه الله يريد
قدر الكفاية وقال الحكم مامن عام بأكثر مطرا من عام آخر ولكنه يطر قوام ويجرم
قوم آخرون وربما كان في البحر يعني ان الله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم غير انه
بصرفه الى من يشاء حيث شاء كاشاء ولقائل ان يقول لفظ الآية لا يدل على هذا المعنى
فان قوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم لا يدل على انه تعالى ينزله في جميع الاعوام على قدر
واحد واذا كان كذلك كان تفسير الآية بهذا المعنى تحكما من غير دليل واقول ايضا
تخصيص قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه بالمطر تحكما محض لان قوله وان من
شئ يتناول جميع الاشياء اما خصه الدليل وهو الموجود القديم الواجب لذاته وقوله
الا عندنا خزائنه اشارة الى كون تلك الاشياء مقدورة له تعالى وحاصل الامر فيه ان

في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورجبتهم

فناثية لأيجاده وتكويته بحيث متى تعلقت الإرادة بوجودها (٣٩٠) وجدت بلا تأخر بنفائس الأموال الخزونة في الخزان السلطانية فذكر الخزان على طريقة الاستعمارة الخيلية (وما نزل) أي ما يوجد وما تكون شيئا من تلك الأشياء ملتبسا بشئ من الأشياء (الأبقدر معلوم) أي الألبتسا بقدر معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة الناجبة لها لإيجاده مقتضية القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ماعدا ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان سر عدم تكوين الأشياء على وجه الكثرة حسبا هو في خزائن القدرة وهو اما عطف على مقدر أي نزل وما نزل الخ اوضاعا مما سبق أي عندنا خزائن كل شيء والحال ان ما نزل الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كافي قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وكان ذلك بطريق التدريج عبرته بالتزليل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وارسلنا الريح) عطف على جعلناكم فيها معاش وما فيها اعتراض تحقيق ما سبق وترشيح ما خلف أي ارسلنا الريح (لواقع) أي حوامل شهت الريح التي تجي بالخير من انشاء هاب ماطر بالجميل كاشبه بالقيم ما لا يكون كذلك او لمقتضات

المراد ان جميع الممكنات مقدورة له وملوكة يخرجهما من العدم الى الوجود كيف شاء الا انه تعالى وان كانت مقدوراته غير متناهية الا ان الذي يخرجها منها الى الوجود يجب ان يكون متناهي لان دخول ما لا نهاية له في الوجود محال فقله وان من شيء الا عندنا خزائنه اشارة الى كون مقدوراته غير متناهية وقوله وما نزل الا بقدر معلوم اشارة الى ان كل ما يدخل منها في الوجود فهو متناه ومنه كان الخارج منها الى الوجود متناهي كان لا محالة مختصا في الحدوث بوقت مقدر مع جواز حصوله قبل ذلك الوقت او بعده بدلا عنه وكان مختصا بغير معين مع جواز حصوله في سائر الاحياز بدلا عن ذلك الخير وكان مختصا بصفات معينة مع انه كان يجوز في العقل حصول سائر الصفات بدلا عن تلك الصفات واذا كان كذلك كان اختصاص تلك الأشياء المتناهية بذلك الوقت المعين والخير المعين والصفات المعينة بدلا عن اضدادها لا بد وان يكون بتخصيص مختص وتقدير مقدر وهذا هو المراد من قوله وما نزل الا بقدر معلوم والمعنى انه لو لا القادر المختار الذي خصص تلك الأشياء بتلك الاحوال الجائزة لامتنع اختصاصها بتلك الصفات الجائزة والمراد من الاتزال الاحداث والانشاء والابداع كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وقوله وانزلنا الحديد والله اعلم (المسئلة الثانية) تمسك بعض المعتزلة بهذه الآية في اثبات ان المعدم شيء قال لان قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه يقتضي ان يكون لجميع الأشياء خزائن وان تكون تلك الخزائن حاصلة عند الله تعالى ولا جائز ان يكون المراد من تلك الخزائن الموجودة عند الله تعالى هي تلك الموجودات من حيث انها موجودة لاننا بينا ان المراد من قوله تعالى وما نزل الا بقدر معلوم الاحداث والابداع والانشاء والتكوين وهذا يقتضي ان يكون حصول تلك الخزائن عند الله مقدما على حدوثها ودخولها في الوجود واذا بطل هذا وجب ان يكون المراد ان تلك الذوات والحقائق والماهيات كانت مقررة عند الله تعالى بمعنى انها كانت ثابتة من حيث انها حقائق وماهيات ثم انه تعالى انزل بعضها أي اخرج بعضها من العدم الى الوجود ولقائل ان يجيب عن ذلك بقوله لاشك ان لفظ الخزائن انما ورد معنا على سبيل التمثيل والتخييل فلم لا يجوز ان يكون المراد منه مجرد كونه تعالى قادرا على ايجاد تلك الأشياء وتكوينها واخراجها من العدم الى الوجود وعلى هذا التقدير يسقط الاستدلال والمباحث الدقيقة باقية والله اعلم اما قوله تعالى وارسلنا الريح لواقع فاعلم ان هذا هو النوع الخامس من دلائل التوحيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في وصف الريح بأنها لواقع اقوال (الاول) قال ابن عباس الريح لواقع للشجر وللحجاب وهو قول الحسن وقتادة والضحاك واصل هذا من قوله لم تفتح النافذة والفتح الفتح اذا القى الماء فيها فحملت فكذلك الريح جارية مجرى الفتح للحجاب قال ابن مسعود في تفسير هذه الآية بعث الله الريح لتفتح الحجاب فتحمل بالشجر والحجاب وتقلبه الطواغيع بمعنى المطيعات في قوله * وعظمت عما تطيح الطواغيع * أي المهلكات وفرئ وارسلنا (الله)

الريح على ارادة الجنس (فانزلنا ٣٩١) من السماء) بعد ما انشأنا بتلك الرياح سحابا مطرا (ما فأسقينا كوه) اى جعلناه كوه

الماء وتجه في السحاب ثم انه يعصر السحاب ويدره كاتدر اللقحة فهذا هو تفسير القاحها السحاب واما تفسير القاحها للشجر فاذكروه فان قيل كيف قال لواقع وهى ملقحة والجواب ماذهب اليه ابو عبيدة ان لواقع ههنا بمعنى ملافتح جمع ملقحة وانشد لسهيل يرثى اخاه

ليك يزيد يائس ذو ضراعة * واشعث مما ملوحته الطوائح
اراد المطوحات وقران الانبارى ذلك فقال تقول العرب باقل الثبت فهو باقل يريدون فهو مقل وهذابل على جواز ورود لافتح عبارة عن ملقح (والوجه الثانى) في الجواب قال الزجاج يجوز ان يقال له لواقع وان القحت غيرها لان معناها النسبة وهو كما يقال درهم وازن اى ذو وزن ورايح وسائف اى ذو ريشة وذو سيف قال الواحدى هذا الجواب ليس بعن لانه كان يجب ان يصح الافتح بمعنى ذات القلاح وهذا ليس بشئ لان الافتح هو المنسوب الى اللقحة ومن افاد غير اللقحة فله نسبة الى اللقحة فصح هذا الجواب والله اعلم (والوجه الثالث) في الجواب ان الريح في نفسها لافتح وتقرره بطريقين (الاول) ان الريح حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وهو الذى يرسل الرياح نشر اين يدي رحمة حتى اذا ذلقت سحابا قال اى حلت فعلى هذا المعنى تكون الريح لافحة بمعنى انها حاملة تحمل السحاب والماء (والطريق الثانى) قال الزجاج يجوز ان يقال للريح هتعت اذا انت بالخير كما قيل لها عقيم اذ لم تنأت بالخير وهذا كما تقول العرب قد هتعت الحرب وقد هتجت ولدا انتكد يشبهون ما شتمل عليه من ضروب الشر بما تحمله الناقة فكذا ههنا والله اعلم (المسئلة الثانية) الريح هواء متحرك وحركة الهواء بعد ان لم يكن متحركا لبدله من سبب وذلك السبب ليس نفس كونه هواء ولا شيئا من لوازم ذاته والا لدامت حركة الهواء بدوام ذاته وذلك محال فمبق الان يقال انه يتحرك بحريك الفاعل المختار والاحوال التى تذكرها الفلاسفة في سبب حركة الهواء عند حدوث الريح قد حكيناها في هذا الكتاب مرارا فأبطلناها وبينا انه لا يمكن ان يكون شئ منها سببا لحدوث الريح فبقى ان يكون محركها هو الله سبحانه واما قوله وانزلنا من السماء ماء فأسقينا كوه ومائمه له بخازنين فقيه مباحث (الاول) ان ماء المطر هل ينزل من السماء او ينزل من ماء السحاب وتقدير ان يقال انه ينزل من السحاب كيف اطلق الله على السحاب لفظ السماء (وثانيا) انه ليس السبب في حدوث المطر ما ذكره الفلاسفة بل السبب فيه ان الفاعل المختار ينزله من السحاب الى الارض لغرض الاحسان الى العباد كما قال ههنا فأسقينا كوه قال الازهرى تقول العرب لكل ما كان في بطون الانعام ومن السماء او نهر يجرى اسقيته اى جعلته شربا له وجعلت له منها مسقى فاذا كانت السقيا لسقيه قالوا سقاه ولم يقولوا اسقاه والذى يؤكد هذا اختلاف القراء في قوله نسقيهم مما في بطونه فقرؤا بالعتين ولم يختلفوا في قوله وسقاهم ربه شربا طهورا يخرج بعد اومن تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان

لكماله عليه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه (٣٩٢) وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من

وفي قوله والذي هو يطعمني ويسقين قال ابو علي سقيه حتى روى واسقيه نهر اى جعلته شرباله وقوله فأسقينا كوه اى جعلناه سقيا لكم وربما قالوا في اسقى سقى كقول لبيد يصف صحابا

اقول وصوبه منى بعيد * يحط السيب من قلل الجبال

سقى قومي بنى نجد واسقى * نيرا والقبائل من هلال

فقوله سقى قومي ليس يريد به ما روى عطاشهم ولكن يريد رزقهم سقيا بلا دهم يخصبون بها وبعد ان يسأل لقومه ما روى العطاش ولغيرهم ما يخصبون به واما سقيا السقية فلا يقال فيها اسقاء واما قول ذي الرمة

واسقيه حتى كادما يشه * تكلمني اجاره وملا به

فمعنى اسقيه ادعوه بالاسقاء واقول سقاء الله وقوله وما انتم له بخازنين يعنى به ذلك الماء المنزل من السماء يعنى لستم له بحافظين * قوله تعالى (وانالحن نحى ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) اعلم ان هذا هو (النوع السادس) من دلائل التوحيد وهو الاستدلال

بمحصول الاحياء والامانة لهذه الحيوانات على وجود الاله القادر المختار اما قوله وانا لنحن نحى ونميت ونميت فقيه قولان منهم من حله على القدر المشترك بين احياء النبات والحيوان ومنهم من يقول وصف النبات بالاحياء مجاز فوجب تخصيصه باحياء الحيوان ولما ثبت بالدلائل العقلية انه لا قدرة على خلق الحياة الا للحق سبحانه كان حصول الحياة للحيوان دليلا فاطعا على وجود الاله الفاعل المختار وقوله وانا نحن نحى ونميت يفيد الحصر اى لا قدرة على الاحياء ولا على الامانة الا لنا وقوله ونحن الوارثون معناه انه اذا مات جميع الخلائق فحيث يزول ملك كل احد عند موته ويكون الله هو الباقي الحق المالك لكل المملوكات وحده فكان هذا شيئا بالارث فكان وارثا من هذا الوجه واما قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين فقيه وجوه (الاول) قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عطاء المستقدمين يريد اهل طاعة الله تعالى والمستأخرين يريد المتخلفين عن طاعة الله (الثانى) اراد بالمستقدمين الصف الاول من اهل الصلاة وبالمستأخرين الصف الآخر روى انه صلى الله عليه وسلم رغب في الصف الاول في الصلاة فازدحم الناس عليه فأتزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انما يجزيهم على قدر نياتهم (الثالث) قال الضحاك ومقاتل يعنى في صف القتال (الرابع) قال ابن عباس في رواية ابى الجوزاء كانت امرأة حسنة تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها وآخرون يتخلفون ويتأخرون ليروها واذا ركعوا جافوا ايديهم لينظروا من تحت آباطهم فأتزل الله تعالى هذه الآية (الخامس) قيل المستقدمون هم الاموات والمستأخرون هم الاحياء وقيل المستقدمون هم الامم

الدلالة على كمال التأكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فآزدهموا عليه فزلت وقيل ان امرأة حسنة كانت تصلى خلف رسول الله عليه الصلاة والسلام فتقدم بعض الناس لئلا يروها وتأخر آخرون ليروها فزلت والاول هو المناسب لما سبق وما لم ين من قوله تعالى (وان ربك هو يحشرهم) اى الجزاء وتوسيط خير العقوبة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والتولاه لا غير لانهم سكتوا يستجدون ذلك ويستكبرونه ويقول من يحيى العظام وهى رميم اى هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بده الحكم وفي الاضافة الى خبره عليه الصلاة والسلام دلالة على اللطف به عليه الصلاة والسلام (انه حكيم) بالغ الحكمة متقن في انفصاله فانيا عبارة عن العلم بمقتضى الاشياء على ما هي عليه والايان بالافعال على ما ينبغي (عليم) وسع علمه كل شئ ولعل تقديم صفة الحكمة لادبانه باقتضائها للحشروا الجزاء (ولقد خلقنا الانسان) اى هذا النوع بأن خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا يدعى انطويا على خلق سائر افراده انطواء اجاليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام (من صلصال) من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اى يصوت عند تفرقه قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجعيا فهو صلصلة وقيل هو تضيغ فصل اذا أتن (من جأ) من طين تفر واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اى من صلصال كائن من جأ (السالفة)

(ممنون) أي مصور من سنة الوجه وهي صورته (٣٩٣) أو مصبوب من من المأصبة أي مفرغ على هيئة الإنسان كما تفرغ الصور من

الجواهر المذابة في القلوب وقيل
متن فهو صفة لها وعلى الأولى
حقه أن يكون صفة لصلصال
وإنما آخر عن جعلها على
أن ابتداء مسنونه ليس في
حال كونه صلصلا بل في حال
كونه جأ كما أنه سبحانه أفرغ الخا
فصور من ذلك تشمل الإنسان
أجوف فيس حتى إذا قرصوت
ثم غمدته إلى جوهر آخر فتبارك الله
أحسن الخالقين (والجآن) أيا
الجن وقيل إبليس ويصور أن يرد
به الجنس حكما هو الظاهر
من الإنسان لأن تشعب الجنس لما
كان من فرد واحد مخلوق من
مادة واحدة كان الجنس بأسره
مخلوقا منها وقرئ بالهمزة
والتصا به بفعل يفسره (خلقتاه)
وهو أقوى من الرفع العطف على
الجملة الفعلية (من قبل) من قبل
خلق الإنسان ومن هذا يظهر
جواز كون المراد بالسقديمين
أحد الثقلين وبالسقديين
الآخر والخطاب بقوله منكم
لكل (من نار السموم) من نار
الحر الشديد النافذ في المسام
ولا امتناع من خلق الحياة في
الاجرام البسيطة كما لا امتناع
من خلقها في الجواهر الباردة
فتلا عن الأجساد المؤلفة التي
غالب اجزائها الجزء الناري
فأما أقبل لها من التي غالب
اجزائها الجزء الأرضي وقوله
تعالى من نار باعتبار الغالب
كقوله تعالى خلقكم من تراب
ومساق الآية الكريمة كما هو
للدلالة على كمال قدرة الله تعالى
وبأن يبدع خلق الثقلين فهو للتنبه
على المقدمة الثانية تأتي يتوقف

الساقية والمستأخرون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة المستقدمون من خلق
والمستأخرون من لم يخلق وأعلم أنه تعالى لما قال وأتلفن نحيي ونميت أتبعه بقوله ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين تنبيها على أنه لا ينبغي على الله شيء من أحوالهم
فيدخل فيه علمه تعالى بتقدمهم وتأخرهم في الحدوث والوجود وتقدمهم وتأخرهم
في أنواع الطامات والخيرات ولا ينبغي أن يخص الآية بحالة دون حالة وأما قوله وإن ربك
هو يحشرهم فالمراد منه التنبيه على أن الحشر والنشر والبعث والقيامة أمروا واجب
وقوله أنه حكيم عليهم معناه أن الحكمة تقتضي وجوب الحشر والنشر على مافرقناه
بالدلائل الكثيرة في أول سورة يونس عليه السلام ﴿قوله تعالى﴾ (ولقد خلقنا الإنسان من
صلصال من جأ مسنون والجآن خلقناه من قبل من نار السموم) وفي الآية مسائل
(المسئلة الأولى) أعلم أن هذا هو النوع السابع من دلائل التوحيد فانه تعالى لما
استدل بخلق الحيوانات على صحة التوحيد في الآية المتقدمة أردفه بالاستدلال بخلق
الإنسان على هذا المطلوب (المسئلة الثانية) ثبت بالدلائل القاطعة أنه يمنع القول بوجود
حوادث لأولها وإذا ثبت هذا ظهر وجوب انتهاء الحوادث إلى حادث أول هو أول
الحوادث وإذا كان كذلك فلا بد من انتهاء الناس إلى إنسان هو أول الناس وإذا كان
كذلك فذلك الإنسان الأول غير مخلوق من الابوين فيكون مخلوقا لا بحالة بقدره الله تعالى
فقوله ولقد خلقنا الإنسان إشارة إلى ذلك الإنسان الأول والمفسرون أجعوا على أن
المراد منه هو آدم عليه السلام ونقل في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر عليه السلام
أنه قال قد انقضى قبل آدم الذي هو ابونا ألف الف آدم أو أكثر وأقول هذا لا يتحد
في حدوث العالم بل الأمر كيف كان فلا بد من الانتهاء إلى إنسان أول هو أول الناس
وأما أن ذلك الإنسان هو ابونا آدم فلا طريق إلى إثباته إلا من جهة السمع وأعلم أن الجسم
يحدث فوجب القطع بأن آدم عليه السلام وغيره من الأجسام يكون مخلوقا عن عدم
محض وايضاد لقوله تعالى أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب على أن آدم
مخلوق من تراب ودلت آية أخرى على أنه مخلوق من الطين وهي قوله أتى خالق بشرا من
طين وجاء في هذه الآية أن آدم عليه السلام مخلوق من صلصال من جأ مسنون والأقرب
أنه تعالى خلقه أولا من تراب ثم من طين ثم من جأ مسنون ثم من صلصال كالخمار ولا شك
أنه تعالى قادر على خلقه من أي جنس من الأجسام كان بل هو قادر على خلقه ابتداء
وإنما خلقه على هذا الوجه المالحض المشيئة والمسايق دلالة الملائكة ومصلحتهم
ومصلحة الجن لأن خلق الإنسان من هذه الأمور أعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه
(المسئلة الثالثة) في الصلصال قولان قيل الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير
مطبوع وإذا طبخ فهو فخار قالوا إذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وإذا توهمت فيه
ترجيعا فهو صلصلة قال المفسرون خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين فصوره وتركه

عليها إكبان الحشر وهو قول الواجد (٥٠) (وا) (خا) والاحياء (واذ قال ربك) أنصب بالخمار ذكره كبر الوقت لما مر من

انه دخل في تدكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف (٣٩٤) الربوبية المثبتة عن تبليغ الشئ الى كاله الاثنى به شيئا فشيئا

مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام اشارة الى الحكم وتشريف له عليه الصلاة والسلام اى اذكر وقت قوله تعالى (لئلا تكة اتي خالق) فيما سياتى وفيه ما ليس في صيغة الخنار عن الدلالة على انه تعالى فاعله البتة من غير صارف يثنيه ولا عاقف يلويه (بشر) اى انسانا قيل ليس هذا عن العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم اتي خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كشفا ياذى ويشاور قيل خلقا بآدى البشرية بلا صوف ولا شعر (من صلصال) متعلق بخالق او بمعدن ووقع صفة لمفعوله اى بشرا كما من صلصال كائن (من جاسنون) تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشران طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التفسير الاسوداد والمآورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع الحكى غاية انه لم يتعرض له هناك اكثاف بما شرح ههنا (فاذا سويته) اى موره بالصورة الانسانية والطفة البشرية اوسويت اجزاء يده بتعديل طباقه (ونقيت فيه من روى) النفع اجراء الرمح الى تجويف جسم صالح لا ماسكها والامتلاء بها وليس نعمة ترفع ولا متفوخ وانما هو تمثيل لافانته ما به الحياة بالنقل على المادة الغالية لها اى فاذا مكملت استعدادها

في الشمس اربعين سنة فصار صلصالا كالخرف ولا يدري احدا ما يراده ولم يروا شيئا من الصور يشبهه الا ان نفخ فيه الروح وحقيقة الكلام انه تعالى خلق آدم من طين على صورة الانسان جفف فكانت الرمح اذا مرت به سمع له صلصلة فلذلك سماه الله تعالى صلصالا (والقول الاثنى) الصلصال هو التنت من قولهم صل اللحم واصل اذا أنتن وتغير وهذا القول عندى ضعيف لانه تعالى قال من صلصال من جامسنون وكونه جامسنونا يدل على التنت والتغير وظاهر الآية يدل على ان هذا الصلصال انما تولد من الجاسنون فوجب ان يكون كونه صلصالا مغفيرا لكونه جامسنونا ولو كان كونه صلصالا عبارة عن التنت والتغير لبقى بين كونه صلصالا وبين كونه جامسنونا تفاوت واما الجاسن فقال الليث الجمأة بوزن فعلة والجمع الجأ وهو الطين الاسود التنت وقال ابو عبدة والاكثر من جاء بوزن كائة وقوله مسنون فيه اقوال (الاول) قال ابن السكيت سمعت ابا عمرو يقول في قوله مسنون اى متغير قال ابو الهيثم يقال سن الماء فهو مسنون اى تغير والدليل عليه قوله تعالى لم ينسئ اى لم يتغير (الثانى) المسنون المحكوك وهو مأخوذ من سنت الحجر على الحجر اذا حككته عليه والذي يخرج من بينهما يقال له السن وسمى المسن مسنا لان الحديد ين سن عليه (الثالث) قال الزجاج هذا اللفظ مأخوذ من انه موضوع على سن الطريق لانه متى كان كذلك فقد تغير (الرابع) قال ابو عبدة المسنون المصبوب والسن الصب يقال سن الماء على وجهه سنا (الخامس) قال سيويه المسنون المصور على صورة ومثال من سنة الوجه وهى صورته (السادس) روى عن ابن عباس انه قال المسنون الطين الرطب وهذا يعود الى قول ابى عبدة لانه اذا كان رطبا يسيل وينسب على الارض فيكون مسنونا بمعنى انه مصبوب اما قوله تعالى والجآن خلقناه فاختلفوا في ان الجآن من هو فقال عطاء عن ابن عباس يريد ابليس وهو قول الحسن ومقاتل وقسادة وقال ابن عباس في رواية اخرى الجآن هو اب الجآن وهو قول الاكثرين وسمى جانا لتواريه عن الابعين كما سمي الجنين جنينا لهذا السبب والجنين متوار في بطن أمه ومعنى الجآن في اللغة السائر من قولك جن الشئ اذا ستره فالجآن المذكور ههنا يحتمل انه سمي جانا لانه يستتر نفسه عن أعين بنى آدم او يكون من باب الفاعل الذى يراد به المفعول كما يقال في لابن تامر وماء دافق وعيشة راضية واختلّفوا في الجآن فقال بعضهم انهم جنس غير الشياطين والاصح ان الشياطين قسم من الجن فكل من كان منهم مؤمنا فانه لا يسمى بالشياطين وكل من كان منهم كافرا يسمى بهذا الاسم والدليل على صحة ذلك ان اللفظ الجآن مشتق من الاستتار فكل من كان كذلك كان من الجن وقوله تعالى خلقناه من قبل قال ابن عباس يريد من قبل خلق آدم وقوله من نار السموم معنى السموم في اللغة الرمح الحرة تكون بالنهار وقد تكون بالليل وعلى هذا فالرمح الحارة فيها نار ولها الفخ وأوار على ما ورد في الخبر انها الفخ جهنم قبل سميت سموما لانها بلطفها تدخل في مسام البدن وهى الخروق

وافقت عليه بما يجيبه من الروح التى هى من امرى (فقوله) امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس الامر به مجرد (الخفية)

الانحناء كما قيل اى اسقطوا له (ساجدين) (٣٩٥) تحية له وتعتيا او اسجدوا لله تعالى على انه عليه الصلاة والسلام بمنزلة القلب

حيث ظهر فيه تعجب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضى الله عنه

اليس اول من صلى لقبيلكم

واعلم الناس بالقرآن والسنة

(مسجد الملائكة) اى خلقه

فسواء ففتح فيه الروح فوجد

الملائكة (كلهم) بحيث لم يشذ

منهم احد (اجمعون) بحيث لم

يتأخر في ذلك احد منهم من احد

ولا اختصاص لافادة هذا المعنى

بالحالية بل يفيد التأكيد ايضا

فان الاشتقاق الواضح يرشد الى

ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب

الوضع والاصل في الخطاب

التنزيل على اكل الحوام الشئ

والارب في ان السجود مما اكل

استثنى السجود لكن شاع

استعماله تأكيذا واقام مقام كل

افادة معنى الاطاعة من غير نظر

الى الكمال فاذا فهمت الاطاعة

من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة

الاصل صوتا والكلام عن الالفاء

وقيل اكدت اكيدين مبالغة في

التعميم هذا وامان موجودهم

هذا هل ترتب على ما حكى من

الامر التعلق كما تقتضيه هذه

الآية الكريمة والتي في سورة

ص او على الامر التخييز كما

يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا

بفضل الله عز وجل عن عهدة

تحقيقه في تفسير سورة البقرة

(الالبليس) استثناء متصل بالقرآن

كان جنيا مفردا مغفورا بالوف

من الملائكة فدمعتهم تعلقا واما

لان من الملائكة جنسا يتولدون

وهو منهم وقوله تعالى (اى

ان يكون مع الساجدين) استئناف

مبين لكيفية خدم السجود

المهموم من الاستثناء فان

الخفية التي تكون في جلد الانسان يبرز منها عرقه وبحار باطنه قال ابن مسعود هذه
السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق الله منها الجن وتلا هذه الآية فان قيل
كيف يعقل خلق الجن من النار قلنا هذا على مذهبينا ظاهر لان البنية عندنا ليست شرطا
لامكان حصول الحياة فالله تعالى قادر على خلق الحياة والعلم في الجوهر الفرد فكذلك
يكون قادرا على خلق الحياة والعقل في الجسم الحار واستدل بعضهم على ان الكواكب
يمنع حصول الحياة فيها قال لان الشمس في غاية الحرارة وما كان كذلك امتنع حصول
الحياة فيه فنقضه عليه بقوله تعالى والجن خلقناه من قبل من نار السموم بل المعتمد في في
الحياة من الكواكب الاجماع عليه قوله تعالى (واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من
صلصال من جامسود فاذا سمعوه سوتوه ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فوجد
الملائكة كلهم اجمعون الالبليس ابنى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا
تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من جامسودون قال
فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين) اعلم انه تعالى لما ذكر حدوث
الانسان الاول واستدل بذكره على وجود الاله القادر المختار ذكر بعده واقعه وهوانه
تعالى امر الملائكة بالسجود له فأتاعوه الالبليس فانه ابى وتمرد وفي الآية مسائل
(المسئلة الاولى) ما مقصود بكونه بشرا فالمراد منه كونه جسما كسما يباشر ويلاقي
والملائكة والجن لا يباشرون للطف اجسادهم من اجسام البشر والبشرة ظاهر الجلد من
كل حيوان واما كونه صلصالا من جامسودون فقد تقدم ذكره واما قوله فاذا سمعوه ففيه
قولان (الاول) فاذا سمعوا شكله بالصورة الانسانية واخلقه البشرية (والثاني)
فاذا سمعوا اجزاء بدنه باعتدال الطباع وتناسب المشاج كما قال تعالى انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج واما قوله ونفخت فيه من روحي ففيه مباحث (الاول) ان
النفخ اجراء الريح في تجايف جسم آخر وظاهر هذا اللفظ بشرا بان الروح هي الريح
والاصح وصفها بالنفخ لان البحث الكامل في حقيقة الروح سيجي في قوله تعالى
قل الروح من امر ربي وانما اضاف الله سبحانه روح آدم الى نفسه تشريفا له وتكراما
وقوله فقعوا له ساجدين فيه مباحث (احدها) ان ذلك السجود كان لآدم في الحقيقة
او كان آدم كالقبة لذلك السجود وهذا البحث قد تقدم ذكره في سورة البقرة (وثانيها)
ان المأمورين بالسجود لآدم عليه السلام هم كل ملائكة السموات اوبعضهم او ملائكة
الارض من الناس من لا يجوز ان يقال ان اكابر الملائكة كانوا مأمورين بالسجود
لآدم عليه السلام والدليل عليه قوله تعالى في آخر سورة الاعراف في صفة الملائكة
ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون فقوله وله
يسجدون يفيد الحصر وذلك يدل على انهم لا يسجدون للاله تعالى وذلك يتنافى كونهم
ساجدين لآدم عليه السلام ولا احد غير الله تعالى اقصى ما في الباب ان يقال ان قوله

مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الالباء والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده اى لكن ابليس ابى ان

يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادبح في معصية واحدة ثلاث (٣٩٦) ماص مخالفة الامر والاستكبار مع

تعالى ففعلوا الساجدين يفيد العموم الا ان الخاص مقدم على العام (وثالثها) ان ظاهر الآية يدل على انه تعالى كما تنفخ الزوج في آدم عليه السلام وجب على الملائكة ان يسجدوا له لان قوله فاذا سوتيه ونفخت فيه من روحي ففعلوا له ساجدين مذ كور بقاء التعقيب وذلك يمنع من التراخي وقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون قال الخليل وسيبويه قوله كلهم اجمعون توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة احتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر انهم بأسرهم يسجدوا ثم بعد هذا بقي احتمال آخر وهو انهم يسجدوا دفعة واحدة او يسجد كل واحد منهم في وقت آخر فلما قال اجمعون ظهر ان الكل يسجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه اجود لان اجمعين معرفة فلا يكون حالا وقوله الابليس اجمعوا على ان ابليس كان مأمورا بالسجود لآدم واختلفوا في انه هل كان من الملائكة ام لا وقد سبقت هذه المسئلة بالاستقصاء في سورة البقرة وقوله افي ان يكون مع الساجدين استئناف وتقديره ان قائلا قال هلا يسجد فقيل ابي ذلك واستكبر عنه اما قوله قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين فاعلم انهم اجمعوا على ان المراد من قوله قال يا ابليس اجمعوا على ان ابليس قال الله تعالى له يا ابليس وهذا يقتضي انه تعالى تكلم معه فنجد هذا قال بعض المتكلمين انه تعالى اوصل هذا الخطاب الى ابليس على لسان بعض رسله الا ان هذا ضعيف لان ابليس قال في الجواب لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال فقوله خلقته خطاب الحضور لا خطاب الغيبة وظاهره يقتضي ان الله تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وان ابليس تكلم مع الله تعالى بغير واسطة وكيف يعقل هذا مع ان مكلمة الله تعالى بغير واسطة من اعظم المناصب واشرف المراتب فكيف يعقل حصوله لرأس الكفرة وريسم ولعل الجواب عنه ان مكلمة الله تعالى انما تكون منصبا عاليا اذا كان على سبيل الاكرام والاعظام فأما اذا كان على سبيل الاهانة والاذلال فلا وقوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من جأسمون فقيه بخشان (الاول) اللام في قوله لاسجد لتسا كيد النبي ومعناه لا يصح مني ان اسجد لبشر (البحث الثاني) معنى هذا الكلام ان كونه بشرا يشرب كونه جسا كشيفا وهو كان روحانيا لطيفا فالفرقة حاصله بينهما في الحال من هذا الوجه كما انه يقول البشر جساما فيكشف له بشرة وانا روحاني لطيف والجسماني الكشف ادون حال من الروحاني اللطيف والادون كيف يكون مسجودا للاله اعلى وايضا ان آدم مخلوق من صلصال تولد من جأسمون فهذا الاصل في غاية الدناءة واصل ابليس هو النار وهي اشرف العناصر فكان اصل ابليس اشرف من اصل آدم فوجب ان يكون ابليس اشرف من آدم والاشرف يقع ان يؤمر بالسجود للادون فالكلام الاول اشارة الى الفرق الحاصل بسبب البشرية والروحانية وهو فرق حاصل في الحال والكلام الثاني اشارة الى الفرق الحاصل بحسب العنصر والاصل فهذا

وخلقته من طين ولم يكنف العيين بمجرد ذكر كونه عليه الصلاة والسلام من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها (مجموع)

بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا (٣٩٧) متفيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه

ههنا فاقصر على حكاية تعرضه
خلقه عليه لصلاة والسلام من
طين وكذا في سورة بني
اسرائيل حيث قيل اسجد لن
خلقت طينا وفي جوابه دليل
على ان قوله تعالى مالك ليس
استفسارا عن الفرض بل هو
استفسار عن السبب وفي عدوله
عن تطبيق جوابه على السؤال
وروم للتفصي عن المناقشة واني له
ذلك كما قاله الله تعالى لا يفتخر
الامر ولا عن الانظمة في ملك
الملك بل على ايليقي بشأني من
الافتقار للمفضول ولقد جرى
خذه الله تعالى على سن قياس
عظيم وزل عنه ان ما يدور عليه
فلك الفضل والكمال هو الخلق
بالمعارف الربانية والخلق عن
الملك الربانية التي افهمها التكبر
والاستعلاء على امر رب العالمين
جل جلاله (قال فخرج منها)
اي من زمرة الملكة العزيزين
لان السماء فان وسوسته لا تم
عليه الصلاة والسلام في الجنة
انما كانت بعد هذا الطرد وقوله
تعالى فاقبض منها ليس نصا في ذلك
فان الخروج من بين الملائكة لا على
هبوط واي هبوط او من الجنة
على ان وسوسته كانت بطريق
النساء من بابها كما روى عن
الحسن البصري او بطريق
المشاهدة بعد ان احتال في
دخولها وتوصل اليه بالحيلة كما
روى عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ولا ينافي هذا طرده
على رؤس الاشهاد لما يقتضيه
من الحكم البالغة (فانك رجيم)
مترود من كل خير وكذا ما كان
من يطرد رجيم بالحجارة وشيطان
يرجم بالشهب وهو وعيد

مجموع شبهة ابليس وقوله تعالى قال فخرج منها فانك رجيم فهذا ليس جوابا عن تلك
الشبهة على سبيل التصريح ولكنه جواب عنها على سبيل التنبيه وتقريره ان الذي قاله
الله تعالى نص والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان رجما ملعونا
وتمام الكلام في هذا المعنى ذكرناه مستقصى في سورة الاعراف وقوله فخرج منها قيل
المراد من الجنة عدن وقيل من السموات وقيل من زمرة الملائكة وتمام هذا الكلام مع
تفسير الرجيم قد سبق ذكره في سورة الاعراف وقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال
ابن عباس يريد يوم اجزاء حيث يجازى العباد بأعمالهم مثل قوله مالك يوم الدين فان قيل
كلمة الى تفيد انتهاء الغاية فهذا يشعر بأن اللعن لا يحصل الا الى يوم القيامة وعند قيام
القيامة يزول اللعن اجابوا عنه من وجوه (الاول) المراد منه التأيد بذكر القيامة بعد
غاية ذكرها للناس في كلامهم كقولهم مادامت السموات والارض في التأيد (الثاني)
انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان يعذب
فاذ جاء ذلك اليوم عذب عذابا ينسى اللعن معه فصير اللعن حينئذ كإزارا بل بسبب
ان شدة العذاب تذهل عنه **وقوله تعالى** (قال رب فانظرنى الى يوم يعثون قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتني لزين لهم في الارض ولا غوينهم
اجمعين الا عباده منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم) في الآية مسائل (المسئلة
الاولى) قوله فانظرنى متعلق بما تقدمه والتقدير اذ جعلتني رجما ملعونا الى يوم الدين
فانظرنى فطلب الابقاء من الله تعالى عند اليأس من الآخرة الى وقت قيام القيامة لان
قوله الى يوم يعثون المراد منه يوم البعث والنشور وهو يوم القيامة وقوله قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اعلم ان ابليس استنظر الى يوم البعث والقيامة وغرضه
منه ان لا يموت لانه اذا كان لا يموت قبل يوم القيامة وظهره ان بعد قيام القيامة لا يموت
احد فحينئذ يلزم منه ان لا يموت البتة ثم انه تعالى منعه عن هذا المطلوب وقال انك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم واختلفوا في المراد منه على وجوه (احدها) ان المراد من
يوم الوقت المعلوم وقت النفخة الاولى حين يموت كل الخلائق وانما سمى هذا الوقت
بالوقت المعلوم لان من المعلوم انه يموت كل الخلائق فيه وقيل انما سمى الله تعالى بهذا
الاسم لان العالم بذلك الوقت هو الله تعالى لا غير كما قال تعالى انما علمها عند ربى لا يعلمها
لوقتها الا هو وقال ان الله عنده علم الساعة (وثانيها) ان المراد من يوم الوقت المعلوم هو
الذي ذكره ابليس وهو قوله الى يوم يعثون وانما سماه تعالى يوم الوقت المعلوم لان ابليس
لماعينه و اشار اليه بعينه صار ذلك كالمعلوم فان قيل لما جابه الله تعالى الى مطلوبه ثم
ان لا يموت الى وقت قيام الساعة وبعد قيام القيامة لا يموت ايضا فيلزم ان يندفع عنه
الموت بالكلية قلنا يحمل قوله الى يوم يعثون الى ما يكون قريبا منه والوقت الذي يموت
فيه كل المكلفين قريب من يوم البعث وعلى هذا الوجه فيرجع حاصل هذا الكلام الى

يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون (وان عليك اللعنة) الابدان عن الرحمة وحيث

كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاويا على السنة العباد (٣٩٨) قيل في سورة ص وان عليك لعنتي (اليوم الدين) الى يوم الجزاء

والعقوبة وفيه اشعار بتأخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال قضاعتها ليست جزاء لفصله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التحويل مالا يوصف وجعل ذلك انهي امد اللعنة ليس لانها تقطع هناك بل لانه عند ذلك يذهب عايشيه اللعنة من افانين العذاب فتصير هي كالزائل وقيل انما يحدث به لانه ابعد غاية يضر بها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث يمكن كون تأخير العقوبة مع الموت كسائر من اشرفت عقوبتهم الى الآخرة من الكفرة طلب الممن تأخير موته كما يحكي عنه قوله تعالى (قال رب فانظرنى اى امهلى واخرنى ولا تخنى والفاء متعلق بمحذوف ينصب عليه الكلام اى اذ جعلتى رجيا فامهلنى (الى يوم يعثرون) اى آدم وذريته للجزاء بعد فائتهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحقاقه بعد يوم البعث (قال فالتك من المظنرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشعور مأسأله لاخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدّر لهم ازلا لا انشا لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اى انك من جهة الذين اشرفت آجالهم ازلا جميعا تقتضيه حكمة التكوين فالقضاء ليست تربط نفس الانظار بالاستئظار بل تربط الاخبار المذكورة كافي قوله فان ترحم فانت ذلك اهل فيه فانه لا يمكن جعل القضاء فيه

الوجه الاول (وثالثها) ان المراد يوم الوقت المعلوم يوم لا يعلم الله تعالى وليس المراد منه يوم القيامة فان قيل انه لا يجوز ان يعلم المكلف متى يموت لان فيه اغراء بالمعاصي وذلك لا يجوز على الله تعالى اجيب عنه بأن هذا الالتزام انما يتوجه اذا كان وقت قيام القيامة معلوما للمكلف فاما اذا علم انه تعالى امهله الى وقت قيام القيامة الا انه تعالى ما علمه الوقت الذى تقوم القيامة فيه فلم يلزم منه الاغراء بالمعاصي واجيب عن هذا الجواب بأنه وان لم يعلم الوقت الذى فيه تقوم القيامة على التعيين الا انه علم في الجملة ان من وقت خلقه آدم عليه الصلاة والسلام الى وقت قيام القيامة مدة طويلة فكانه قد علم انه لا يموت في تلك المدة الطويلة اما قوله تعالى قارب بما اغويتنى لآزين لهم في الارض ولا غوتهم اجمعين ففيه بحثان (الاول) الباء في بما اغويتنى للقسم ومصدره وت جواب القسم لآزين والمعنى اقسم باغوائك اياى لآزين لهم ونظيره قوله تعالى فيعزتك لاغوتهم اجمعين الا انه في ذلك الموضع اقسم بعزة الله وهى من صفات الذات وفي قوله بما اغويتنى اقسم باغواء الله وهى من صفات الافعال والفهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح اما بصفات الافعال فقد اختلفوا فيه ونقل الواحدى عن قوم آخرين انهم قالوا الباء ههنا بمعنى السبب اى بسبب كونى غاويا لآزين كقول القائل اقسم فلان بمعصيته ليدخل النار وبطاعته ليدخل الجنة (البحث الثانى) اعلم ان اصحابنا قد احتجوا بهذه الآية على انه تعالى قد يدخل خلق الكفر في الكافر ويصده عن الدين ويغويه عن الحق من وجوه (الاول) ان ابليس استهل وطلب البقاء الى قيام القيامة مع انه صرح بأنه انما يطلب هذا الامهال والابقاء لاغواء بني آدم واضلالهم وانه تعالى امهله واجابه الى هذا المطلوب ولو كان تعالى راعى مصالح المكلفين في الدين لما امهله هذا الزمان الطويل ولما مكّنه من الاغواء والاضلال والوسوسة (الثانى) ان اكابر الانبياء والاولياء مجدون ومجتهدون في ارشاد الخلق الى الدين الحق وان ابليس ورهطه وشيعته مجدون ومجتهدون في الضلال والاغواء فلو كان مراد الله تعالى هو الارشاد والهداية لكان من الواجب ابقاء المرشدين والمحقين واهلاك المضلين والمغويين وحيث فعل بالضد منه علما انه اراد بهم الخذلان والكفر (الثالث) انه تعالى لما علم بأنه يموت على الكفر وانه ملعون الى يوم الدين كان ذلك اغراء به بالكفر والقيبح لانه اذا أسس عن المغفرة والفوز بالجنة يستترى حينئذ على انواع المعاصي والكفر (الرابع) انه لما سأل الله تعالى هذا العمر الطويل مع انه تعالى علم منه انه لا يستفيد من هذا العمر الطويل الا زيادة الكفر والمعصية وبسبب تلك الزيادة يزداد استحقاقه لانواع العذاب الشديد كان هذا الامهال سببا لزيادته عذابه وذلك يدل على انه تعالى اراد به ان يزداد عذابه وعقابه (الخامس) انه صرح بأن الله اغواء فقال رب بما اغويتنى وذلك تصريح بأن الله تعالى اغواء لا يقال هذا كلام ابليس وهوليس بحجة وايضا فهو معارض بقول ابليس فيعزتك لاغوتهم اجمعين فاضاف

لربط مافيه تعالى من الاهلية التقديرة للرجة بوقوع الرجة الحادثة بل هى لربط الاخبار بتلك الاهلية للرجة (الاغواء)

يوقعها ومن استنظاره كان طلباً لتأخير الموت اذ به (٣٩٩) يتحقق كونه من جلهم للتأخير العقوبة كما قيل وتعلمه في ذلك في ذلك

من اخرت عقوبتهم الى الآخرة
في علم الله تعالى من سبق من الجن
ولحق من التلقين لا يلائم مقام
الاستنظار مع الحياة ولأن ذلك
التأخير معلوم من اضافة اليوم
الى الذين مع اضافته في السؤال
الى البحث كما عرفت وفي سورة
الاعراف قال انظرني الى يوم
يبعثون قال انك من المنظرين
بقوله التوقيت والنداء والقائه في
الاستنظار والانتظار تعوبلاعي
ما ذكره هنا وفي سورة ص فإن
يراد كلام واحد على أساليب
متعددة غير عن ين في الكتاب
المعزى واما كل أسلوب من
أساليب النظم الكريم لا بد أن
يكون له مقام يقتضيه مقام المقام
غیره وان ما حكى من اللعين انما
صدر عنه مرة وكذا جوابه لم
يقع الدفعة مقام المحاوره ان
اقتضى احد الأساليب المذكورة
في المطابق لمقتضى الحال والبالغ
الى طبقه الانجاز وماعدا مقرر
عن رتبة البلاغة فضلا عن
الارتقاء الى معالم الانجاز فقدس
تحقيقه بثوفيق الله تعالى في سورة
الاعراف (الى يوم الوقت المعلوم)
وهو وقت النفخة الاولى التي علم
ان يصعق عندها من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله
تعالى ويجوز ان يكون المراد
بالايام واحدا والاختلاف في
العبارات لاختلاف الاعتبارات
فالتعبير بيوم البعث لان غرض
العين به يتحقق ويوم الدين لما
ذكر من الجزاء ويوم الوقت
المعلوم لما ذكر اول استنظاره
تعالى بعله فلعل كلا من هلاك
الحق جميعا وبهشهم وجزئهم في
يوم واحد بموت اللعين في اوله

الاغواء الى نفسه لاننا نقول (اما الجواب عن الاول) فهو انه لما ذكر هذا الكلام فان الله
تعالى ما انكره عليه وذلك يدل على انه كان صادقا فيما قال (واما الجواب عن الثاني)
فهو انه قال في هذه الآية رب بما اغويتني لازين لهم فالمراد ههنا من قوله لازين لهم هو
المراد من قولك في تلك الآية لا غويتهم اجمعين الا انه بين في هذه الآية انه انما امكنه
ان يزني لهم الا باطيل لاجل ان الله تعالى اغواء قبل ذلك وعلى هذا التقدير فقد زال
التناقض ويتأكد هذا بما ذكره الله تعالى حكاية عن الشياطين في سورة القصص هؤلاء
الذين اغويتنا اغويتناهم كما غويتنا (السؤال السادس) انه قال رب بما اغويتني وهذا
اعتراف بأن الله تعالى اغواء فنقول اما ان يقال انه كان قد عرف بأن الله تعالى اغواء
او ما عرف ذلك فان كان قد عرف بأن الله تعالى اغواء امتنع كونه غاويا لانه انما يعرف
ان الله تعالى اغواء اذا عرف ان الذي هو عليه جهل وباطل ومن عرف ذلك امتنع بقاؤه
على الجهل والضلالة واما ان قلنا بانه ما عرف ان الله اغواء فكيف امكنه ان يقول رب
بما اغويتني فهذا مجموع السؤالات الواردة في هذه الآية (اما الاشكال الاول)
فللمعزلة فيه طريقان (الاول) وهو طريق الجأبي انه تعالى انما امهل ابليس تلك المدة
الطويلة لانه تعالى علم انه لا يتفاوت احوال الناس بسبب وسوسته فتقدير ان لا يوجد
ابليس ولا وسوسه فان ذلك الكافر والعاصي كان يأتي بذلك الكفر والمعصية فلا كان
الامر كذلك لاجرم امهله هذه المدة (الطريق الثاني) وهو طريق ابي هاشم انه لا يجد
ان يقال انه تعالى علم ان اقواما يقعون بسبب وسوسته في الكفر والمعصية الا ان
وسوسته ما كانت موجبة لذلك الكفر والمعصية بل الكافر والعاصي بسبب اختياره
اختار ذلك الكفر وتلك المعصية اقصى ما في الباب ان يقال الاحتراز عن القبح حال
عدم الوسوسة اسهل منه حال وجودها الا ان على هذا التقدير تصير وسوسته سببا لزيادة
المشقة في اداء الطاعات وذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما ان ازال المشاق واتزال
المشابهات صار سببا لمزيد الشبهات ومع ذلك فلم يمتنع فعله فكذا ههنا وهذان
الطريقان هما بعينهما الجواب عن السؤال الثاني (واما السؤال الثالث) وهو ان
اعلامه بأنه يموت على الكفر يحمله على الجرماء على المعاصي والاكثر منها جوابه ان هذا
انما يلزم اذا كان علم ابليس بموته على الكفر يحمله على الزيادة في المعاصي اما اذا علم الله
تعالى من حاله ان ذلك لا يوجد التفاوت البتة فالسؤال زائل وهذا بعينه هو الجواب عن
السؤال الرابع (واما السؤال الخامس) وهو ان ابليس صرح بأن الله تعالى اغواء
واضله عن الدين فقد اجابوا عنه بأنه ليس المراد ذلك بل في وجوده اخرى (حدها) المراد
بما يخيبني من رحمتك لا خيبتهم بالدعاء الى معصيتك (وثانيها) المراد كما اضللتني عن طريق
الجنة اضلهم انا ايضا عنه بالدعاء الى المعصية (وثالثها) ان يكون المراد بالاغواء الاول
الخفية والثاني الاضلال (ورابعها) ان المراد باغواء الله تعالى اياه هو انه امره بالسجود

وبيعت في اواسطه وبعاغب في بقيته * يروى ان بين موته وبشته اربعين سنة من سن الدنيا مقدار ما بين النخطين

ونزل عن الانحناء بن قيس رحمه الله تعالى انه قال قدمت المدينة (٤٠٠) ليريد امير المؤمنين ع رضي الله عنه فاذا انا بخلة

لا آدم فافضى ذلك الى غيبه يعني انه حصل ذلك الغي عقبيه باختيار ابليس فاما ان يقال ان ذلك الامر صار موجبا لذاته لحصول ذلك الغي فعلوم انه ليس الامر كذلك هذا جملة كلام القوم في هذا الباب وكله ضعيف اما قوله انه لا تفاوت الحال بسبب وسوسة ابليس فنقول هذا باطل ويدل عليه القرآن والبرهان اما القرآن فقوله تعالى فآزرهما الشيطان فاضاف تلك الزلة الى الشيطان وقال فلا يخرجكما من الجنة فتشقى فاضاف الاخراج اليه وقال موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان وكل ذلك يدل على ان لعمل الشيطان في تلك الافعال اثر او اما البرهان فلان بداية العقول شاهدة بانه ليس حال من ابتلى بمجالسة شخص يرغب ابدا في القباح وينفره عن اخيرات مثل شخص كان حاله بالضد منه والعلم بهذا التفاوت ضروري واما قوله ان وجوده يصير سببا لزيادة المشقة في الطاعة فنقول تأخير زيادة المشقة انما هو في كثرة الثواب على احد التقديرين وفي الالقاء في العذاب الشديد على التقدير الثاني وهو التقدير الاكثر الاغلب وكل من يراعى المصالح فان رعاية هذا التقدير الثاني اولى عنده من رعاية التقدير الاول لان دفع الضرر العظيم اولى من السعى في طلب النفع الزائد الذي لا حاجة الى حصوله اصلا ولما اندفع هذان الجوابان عن هذا السؤال قويت سائر الوجوه المذكورة واما قوله المراد من قوله رب بما اغويتني الخيبة عن الرجعة او الاضلال عن طريق الجنة فنقول كل هذا بعيد لانه هو الذي خيب نفسه عن الرجعة وهو الذي اضل نفسه عن طريق الجنة لانه لما اقدم على الكفر باختياره فقد خيب نفسه عن الرجعة واضل نفسه عن طريق الجنة فكيف يحسن اضافته الى الله تعالى فثبت ان الاشكالات لازمة وان اجوبتهم ضعيفة والله اعلم * اما قوله الاعداء منهم المخلصين ففيه مسائل (الاولى) اعلم ان ابليس استثنى المخلصين لانه علم ان كيد لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه وذكر في مجلس التذكير ان الذي حل ابليس على ذكر هذا الاستثناء ان لا يصير كاذبا في دعواه فلما احتذر ابليس عن الكذب علمنا ان الكذب في غاية الخساسة (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو المخلصين بكسر اللام في كل القرآن والباقون بفتح اللام وجه القراءة الاولى انهم الذين اخلصوا دينهم وعبادتهم عن كل شائب بنافس الايمان والتوحيد ومن فتح اللام فمعناه الذين اخلصهم الله بالهداية والايمان والتوفيق والعصمة وهذه القراءة تدل على ان الاخلاص والايمان ليس الا من الله تعالى (المسئلة الثالثة) الاخلاص جعل الشيء خالصا عن شائبة الغير فنقول كل من اتى بعمل فاما ان يكون قد اتى به لله فقط او لغير الله فقط او لمجموع الامرين وعلى هذا التقدير الثالث فاما ان يكون طلب رضوان الله اجمعا او مرجوحا او معادلا والتقدير الرابع ان يأتي به لا لفرض اصلا وهذا محال لان الفعل بدون الداعية محال (اما الاول) فهو الاخلاص في حق الله تعالى لان الحامل له على

عظيمه وكتب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول للمحضر آدم عليه الصلاة والسلام الوفاة قال يارب سيئتم بى عدوى ابليس اذا رآنى ميتا وهو منظر الى يوم القيامة فاجب ان يآدم انك سترى الى الجنة ويؤخر العين الى النظرة ليدوق ألم الموت بعد الاولين والاخرين ثم قال تلك الموت صف كيف تدينه الموت فلما وصفه قال يارب حسبي فنهج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لمالك الموت عقيب النخبة الاولى قد جعلت نيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع واهل البستك اليوم ابواب المخطو والمغضب كلها فانزل بعضى وسقوط على رجبى ابليس فاذهبه الموت واجل على فيه مرارة الاولين والاخرين من التخلين أضعافا مضاعفة وليكن ملك من الربا يسبهمون الفا قد امتلأوا غيظا وغضباً وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من أغلالها وازرع روحه الملتن بسبعين الف كلاب من كلابها ونادى مالك ليضع ابواب الديوان فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لما تواقفته من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قل يا خبيث لا تدينك الموت كم من عمر أدركت وفرون امتلئت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب الامين الى المشرق فاذا هو بمكان الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيبوس الجعر فتنت منه الجعر فلا

تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا يحصى له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويترغ في التراب من المشرق (ذلك)

الى الغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه الصلاة والسلام وقد نذبت له الزانية الكلابية وصارت الارض كالجرة احتوشته الزبانية وطعنوه (٤٠٦) بالكلاليب وبقى في الزرع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى ويقال

لا دم وحوا اطلعا اليوم الى
عدوك كما كيف يذوق الموت
فيظن ان فيظن ان الما هو فيه
من شدة العذاب فيقولان ربنا
آمنت علينا نعمتك (قال رب بما
اغويتني) بالالقسم وما مصدرية
والجواب (لا زين لهم) اي اقم
باغواك اي لا زين لهم المعاصي
(في الارض) اي في الدنيا التي
هي دار الفور كقوله تعالى
اخذ الى الارض واقسامه بمنة
الله القسرة بسلطانه وقهره
لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع
من فروعه واثر من آثاره فاعلمه
اقسم لهما جميعا حكى تارة قومه
بهذا واخرى بذلك والاسببية
وقوله لا زين جواب قسم
مخدوف والمعنى بسبب تسبيلك
لاغوائى اقم لا فطن بهم مثل
ما فعلت بي من التسبيل لاغوائهم
بتزيين المعاصي وتسويل الابطال
والعساة اولوا الاغواء
بالنسبة الى التي اوال تسبيل له
بأمر اياه بالسجود لا دم عليه
الصلاة والسلام واعتذروا عن
امهال الله تعالى وتسليطه على
اغواء بني آدم بأنه تعالى قد علم
منه ومن تبعه انهم يعمدون على
الكفر ويصيرون الى النار امهل
امهل يهمل وان في امهاله تعريضا
لن خالقه لاستحقاق مزيد الثواب
(ولاغويتهم اجمعين) لاجلهم
على القواية (الاعبادك منهم
المخلصين) الذين اخلصهم لطاعتك
وطهرتهم من الشوائب فلا يميل
فيهم كيدى وقرئ بكسر الهم
اي الذين اخلصوا نفوسهم
لله تعالى (قال هذا صراط)
اي حق (على) ان اراعيه

ذلك الفعل طلب رضون الله وما جعل هذه الداعية مشوبة بداعية اخرى بل بقيت
خالصة عن شوائب الغير فهذا هو الاخلاص (واما الثاني) وهو الاخلاص في حق غير الله
فظاهر ان هذا لا يكون اخلاصا في حق الله تعالى (واما الثالث) وهو ان يشغل على
الجهتين الان جانب الله يكون واجعا فهذا يرجح ان يكون من المخلصين لان المثل يقابله
المثل فيق القدر الزائد خالصا عن الشوب (واما الرابع والخامس) فظاهر انه ليس من
المخلصين في حق الله تعالى والاصل ان القسم الاول اخلاص في حق الله تعالى قطعا
والقسم الثاني يرجح من فضل الله ان يجعله من قسم الاخلاص وامامنا الاقسام فهو
خارج عن الاخلاص قطعا والله اعلم اما قوله تعالى قال هذا صراط على مستقيم فيه
وجوه (الاول) ان ابليس لما قال الاعدادك منهم المخلصين فلفظ المخلص يدل على
الاخلاص فقوله هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق على والى اي
انه يؤدى الى كرامتى وثوابى وقال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال آخرون
هذا صراط من مر عليه فكأنه مر على وعلى رضوانى وكرامتى وهو كما يقال طريقك على
(الثاني) ان الاخلاص طريق العبودية فقوله هذا صراط على مستقيم اي هذا الطريق
في العبودية طريق على مستقيم (الثالث) قال بعضهم لما ذكر ابليس انه يقوى بنى آدم
الامن معصية الله بتوفيقه تضمن هذا الكلام تفويض الامور الى الله تعالى والى ارا دته
فقال تعالى هذا صراط على اي تفويض الامور الى ارادتي ومشيئتي طريق على مستقيم
(الرابع) معناه هذا صراط على تقريره وتأكيده وهو مستقيم حق وصلوق وقرأ يعقوب
صراط على بالرفع والتثنية على انه صفة لقوله صراط اي هو على بمعنى انه رفيع مستقيم
لا عوج فيه قال الواحدى معناه ان طريق التفويض الى الله تعالى والايمان بقضاء الله
طريق رفيع مستقيم * قوله تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم) اعلم ان
ابليس لما قال لا زين لهم في الارض ولا غوينهم اجمعين الاعدادك منهم المخلصين او هم
هذا الكلام ان له سلطانا على عباد الله الذين يكونون من المخلصين فين تعالى في هذه الآية
انه ليس له سلطان على احد من عبيد الله سواء كانوا مخلصين او لم يكونوا مخلصين بل من
اتبع منهم ابليس باختياره صار متبعاله ولكن حصول تلك المتابعة ايضا ليس لاجل ان
ابليس يقهره على تلك المتابعة او يجبره عليها والاصل في هذا القول ان ابليس او هم
ان له على بعض عباد الله سلطانا فين تعالى كذبه فيه وذكر انه ليس له على احد منهم
سلطان ولا قدرة اصلا ونظير هذه الآية قوله تعالى حكاية عن ابليس انه قال وما كان لى
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وقال تعالى في آية اخرى انه ليس له سلطان
على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
قال الجلبى هذه الآية تدل على بطلان قول من زعم ان الشيطان والجن يمكنهم صرح

(مستقيم) لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنته (٥١) (را) (خا) الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على
معنى انه طريق يؤدى الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال والظاهر ان ذلك الموقع في عبارة ابليس حيث قال لا قدن لهم صراطك

المستقيم ثم لا ينجيهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية وقرئ على من علو الشرف (ان عبادي) وهم المشار اليهم بالخلصين (ليس لك عليهم سلطان) تسلط وتصرف بالاغواء (الامن اتيك من الغاوين) وفيه (٤٠٢) مع كونه تحقيقا لما قاله الامين تقضي لسان المخلصين وبيان

لنزلهم ولا تقاطع غلب الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق اتباعهم بل بطريق اتباعهم له بدو اختيارهم (وان جهنم لموعدهم) اى موعده المتبعين او الغاوين والاول النسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعد بما اوصف في الفطاعة (اجعين) تأكيد للتضير احوال والمعامل فيها الموعد ان جعل مصدرا على تقدير الالتفات او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان (لهاسبة ابواب) يدخلونها كثيرا كثيرا اوسع طبقات يزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سفر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم) من الاتباع او الغاوى (جزء مقسوم) حزب معين مفرز من غيره حجابا يقتضيه استداده فاعلاها للوحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصائبين والخامسة للجحوس والسادسة للمشركين والسابعة للتافقين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان جهنم لان ادنى الرتبة ولظى لمبدء النار والحطمة لمبدء الاصنام وسفر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصائبين والهاوية للوحدين ولعل حصصها في السبع لا يحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والفتنة وقرئ بضم الزاى ويحذف الهزلة والقاء حركتها المتأخرا مع تشديد حركتها في الوقف والوصل ومنهم حال

من جزاء او من غيره في الطرف لافى مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها (ان المتقين) من اتباعه في الكفر والنواحيش (الوصف) فان غيرها مكفر (في جنات وعيون) اى مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنه وعين او لكل منهم عدة منها كقوله تعالى وان

خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم (ادخلوها) على ارادة القول امرنا من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امرنا منه تعالى للالفة بادخالهم وقرأ الحسن (٤٠٣) ادخلوها مبنيًا للفعول على صيغة الماضي من الادخال

(بسلام) ملتبسين بسلام اي
سالمين او مسلًا عليهم (آمين)
من الاكاث والزوال (وزعنا
ما في صدورهم من غل) اي
حقد كان في الدنيا وعن على
رضي الله تعالى عنه ارجو ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين (اخوانا) حال من الضمير
في قوله تعالى في جنات او من
فاعل ادخلوها او من الضمير في
آمين او الضمير المضاف اليه
والعامل فيه معنى الاضافة وكذلك
قوله تعالى (على سرر متقابلين)
وبجوز كونها صفتين لـ اخوانا
اوحالين من ضميره لانه بمعنى
متصافين وكون الشئ حالاً
من المستكن في الاول وعن مجاهد
تدور بهم الاسر حثفاً داروهم
متقابلون في جميع احوالهم (لاسهم
فيها نصيب) اي تهب بأن
لا يكون لهم فيها ما يوجبهم الكد
في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول
كل ما يريدونه من غير منازلة
عمل اصلاً او بان لا يعجزهم ذلك
وان يأسروا الحركات النيفة
لكمال قوتهم وهو استئناف او
حال بعد حال او حال من الضمير في
متقابلين (وما هم منها بغير حين)
اي لا يبادلان تمام النعمة بالخلود
فيها الذين هم وهم الذين عبر
عنهم بالمتقين (اي ان الله عز وجل
الرحم وان عذابي هو العذاب
الاليم) فذلك لما سلف من الوعد
والوعيد وتقريره وفي ذكر
المغفرة اشعار بأن ليس المراد
بالمؤمنين من يتق جميع الذنوب
كبيرة وصغيرة وفي وصف
ذاته تعالى بها وبالرحمة على
وجه القصر دون التعذيب
ايدان بانهما مما يقتضيهما

الوصف بكونه ضارباً وقاتلاً كونه آتياً بجميع انواع الضرب والقتل فكذلك امس
من شرط صدق الوصف بكونه متقياً كونه آتياً بجميع انواع التقوى والذي يقوى هذا
الكلام ان الآتي بفرد واحد من افراد التقوى يكون آتياً بالتقوى لان كل فرد من
افراد الماهية فانه يجب كونه مشتركاً على تلك الماهية فالآتي بالتقوى يجب ان يكون
متقياً فثبت ان الآتي بفرد واحد من افراد التقوى يصدق عليه كونه متقياً ولهذا
الصحيح اتفق المفسرون على ان ظاهر الامر لا يفيد التكرار اذا ثبت هذا فنقول ظاهر
قوله ان المتقين في جنات وعيون يقتضي حصول الجنات والعيون لكل من اتقى عن شئ
واحد الا ان الامة مجمعة على ان التقوى عن الكفر شرط في حصول هذا الحكم وايضا
فان هذه الآية وردت عقب قول ابليس الاعداء منهم المخلصين وعقب قول الله تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلاجل هذه الدلائل اعتبرنا الايمان في هذا الحكم
فوجب ان لا يزيد فيه قيد آخر لان تخصيص العمام لما كان بخلاف الظاهر فكما كان
التخصيص اقل كان اوفق لمقتضى الاصل والظاهر ثبت ان قوله ان المتقين في جنات
وعيون يتناول جميع القائلين بلالة الله محمد رسول الله قولاً واحتقاراً سواء كانوا من
اهل الطاعة او من اهل العصية وهذا تقرير بين وكلام ظاهر (المسئلة الثانية) قوله تعالى
في جنات وعيون اما الجنات فأربعة لقوله تعالى ولن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن
دونهما جنتان فيكون المجموع أربعة وقوله ولن خاف مقام ربه جنتان يؤكد ما قلناه
لان من آمن بالله لا ينفك قلبه عن الخوف من الله تعالى وقوله ولن خاف يكفي في صدقه
حصول هذا الخوف مرة واحدة واما العيون فيحتمل ان يكون المراد منها ما ذكر الله تعالى
في قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه
وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ويحتمل ان يكون المراد من هذه
العيون يتابع مغارة لتلك الانهار فان قيل اتقولون ان كل واحد من المتقين يخص
بعيون او تجري تلك العيون من بعض الى بعض قبل لا يمنع كل واحد من الوجع
فيحوز ان يخص كل احد بعين وينفع به كل في خدمته من الخور والولدان ويكون
ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهواتهم ويحتمل ان يكون يجري من بعضهم الى بعض
لانهم مطهرون عن الحقد والحسد وقوله ادخلوها بسلام آمين يحتمل ان القائل لقوله
ادخلوها هو الله تعالى وان يكون ذلك القائل بعض ملائكته وفيه سؤال لانه تعالى
حكم قبل هذه الآية بأنهم في جنات وعيون واذا كانوا فيها فكيف يمكن ان يقال لهم
ادخلوها واجواب عنه من وجعين (الاول) لعل المراد به قبل لهم قبل دخولهم فيها
ادخلوها بسلام (الثاني) لعل المراد للملكوا جنات كثيرة فكما أرادوا ان ينقلوا من
جنة الى اخرى قيل لهم ادخلوها وقوله ادخلوها بسلام آمين المراد ادخلوا الجنة مع
السلامة من كل الآفات في الحال ومع القطع بقاء هذه السلامة والامن من زوالها

الذات وان العذاب انما يقعق بما يوجب من خارج (ونعيم) عطف على نبي عبادي والقصد اعتبارهم بما جرى على ابراهيم
عليه الصلاة والسلام مع الله من البشرية في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاة عليه الصلاة والسلام مع الله

التابعين له في ضمن الخوف وتنبههم بحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم جبريل عليه الصلاة (٤٠٤) والسلام وملكان معه وقال مجذبن كعب وسبعة معه وقيل جبريل

ثم قال تعالى وتزعنا ما في صدورهم من غل والغل الحقد الكامن في القلب وهو مأخوذ من قولهم اغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر تزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي عليه السلام انه قال ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة وازير منهم وحكي عن الحرث بن الاعور انه كان جالسا عند علي عليه السلام اذ دخل زكريا بن طلحة فقال له علي مر حيا بك يا ابن اخي أما والله اني لارجو ان اكون أنا وابوك من قال الله تعالى في حقهم وتزعنا ما في صدورهم من غل فقال الحرث كلا بل الله اعدل من ان يجعلك وطلحة في مكان واحد قال عليه السلام فلن هذه الآية لام لك يا اعور وروى ان المؤمن ينجسون على باب الجنة فيقتص لبعضهم من بعض ثم يؤمرهم الى الجنة وقد نفى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد وقوله اخوانا نصب على الحال وليس المراد الاخوة في النسب بل المراد الاخوة في المودة والمخالصة كما قال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض الاتقيين وقوله على سرر متقابلين السرير معروف واجمع اسرور سرر قال ابو عبيدة يقال سرور سرور بفتح الراء وكذا كل فعل من المضاعف فان جمعه فعل وفعل نحو سرور سرور وجدود جدد قال الفضل بعض عجم وكلب يفتخون لانهم يستقلون صحتين متواليتين في حرفين من جنس واحد وقال بعض اهل المعاني السرير مجلس رفيع مهيا للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور قال الليث وسرير العيش مستقره الذي اطمان اليه في حال سروره وفرحه قال ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاه الى الجابية وقوله متقابلين التقابل التواجه وهو نقض التدابر ولا شك ان المواجهة اشرف الاحوال وقوله لايهمهم فيها نصب نصب الاعياء والتعب اي لا يلائهم فيها تعب وما هم منها بمخرجين والمراد به كونه خلودا بلا زوال وبقاء بلا فناء وكلا بلا نقصان وفوزا بلا حرمان واعلم ان الثواب اربع شرائط وهي ان تكون منافع مقرونة بالتعظيم خالصة عن الشوائب دائمة (اما القيد الاول) وهو كونها منفعة فاليه الاشارة بقوله ان المتقين في جنات وعيون (واما القيد الثاني) وهو كونها مقرونة بالتعظيم فاليه الاشارة بقوله ادخلوها بسلام آمين لان الله سبحانه اذ قال لعبيده هذا الكلام اشعر ذلك بنهاية التعظيم وغاية الاجلال (واما القيد الثالث) وهو كون تلك المنافع خالصة عن شوائب الضرر فاعلم ان المضار اما ان تكون روحانية واما ان تكون جسمانية اما المضار الروحانية فهي الحقد والحسد والغل والغضب واما المضار الجسمانية فتكاليع والتعب فقوله وتزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين اشارة الى نفي المضار الروحانية وقوله لايهمهم فيها نصب اشارة الى نفي المضار الجسمانية (واما القيد الرابع) وهو كون تلك المنافع دائمة امانة من الزوال فاليه الاشارة بقوله وما هم منها بمخرجين فهذا ترتيب حسن معقول بناء على القيود الاربعة المعبرة في ماهية الثواب ولحكماء الاسلام في هذه الآية مقال فانهم قالوا المراد من قوله

وميكاييل واسرافيل عليهم الصلاة والسلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضوء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا وانما لم يتعرض لعدد رسلهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بل الى قوم لوط حسبياني ذكره (اذ دخلوا عليه) نصب بفعل مضارع معطوف على نبي انا واذكر وقت دخولهم عليه او خبر مقدر مضاف الى ضيفاي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بنسب ضيف على انه مصدر في الاصل (فقالوا) عند ذلك (سلاما) اي تسليما سلاما او سلمنا او سلمت سلاما (قال انا منكم وجلون) اي خائفون فان الرجل اضطراب النفس لتوقع مكروه فانه عليه الصلاة والسلام حين استنوا من اكل ما قرب اليهم من الجبل الحنيد لما ان المعتاد تقدمه انه اذا نزل بهم ضيف بل يأكل من طعامهم فلما انه لم يمس بخير لاهسد ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلارأي ايديهم لاتصل اليه تكرم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه الصلاة والسلام بسبب دخولهم بغير اذن ولا نهي وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا حينئذ بما اجابوا به ولم يتصد عليه الصلاة والسلام لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء عسا بين في غير هذا الموضع الا ترى الى انه لم يذكر ههنا انه عليه الصلاة والسلام لسلامهم (قالوا لا توجل) لان خوف فرئ لا تأجل ولا توجل من واجله بمعنى اوجهه (ان يترك) استئناف لتعليل النهي عن التوجل فان المبرهنة لا تكاد يحوم حول ساحتها خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في حافية وسلامة زمانا طويلا (بلام) هو اسحق عليه

اوجهه اي اخافه ولا توجل من واجله بمعنى اوجهه (ان يترك) استئناف لتعليل النهي عن التوجل فان المبرهنة لا تكاد يحوم حول ساحتها خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في حافية وسلامة زمانا طويلا (بلام) هو اسحق عليه

السلامة والسلام لقوله تعالى فيشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه الصلاة والسلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود (علم) اذا بلغ وفي موضع آخر بفلام حليم (٤٠٥) (قال أبشروني) بذلك (على منى الكبير) وار في نجيب عليه الصلاة

والسلام من بشارتهم بالولدف
حالة مائة ولادة وزاد في ذلك
فقال (فهم يشرون) اى باى
العجوبة يشروننى فان البشارة
لا تصور وقوعه عادة بشارة
بغير شئ او باى طريقة يشروننى
وقرى بتشديد النون المكسورة
على ادغام نون الجمع في نون الواقية
(قالوا بشرناك بالحق) اى بما يكون
لاحالة اواباليقين الذى لا لبس
فيه اوبطريقة هى حق وهو
امر الله تعالى وقوله (فلا تكن
من القاطنين) من الاكسين من ذلك
فان الله قادر على ان يخلق بشرا
بغير ايون فكيف من شئ فان
ومجوز عاقر وقرى من القاطنين
وكان مقصده عليه الصلاة
والسلام استظام لغته تعالى عليه
فيض التعجب العادى المبني على
سنة الله تعالى السلوكه فيما بين
عباده لاستبعاد ذلك بالنسبة الى
قدرته سبحانه كما بينى عنه قول
الملائكة فلانكن من القاطنين
دون ان يقولوا من المبترين او
نحوه (قال ومن يقطع) استفهام
انكارى اى لا يقطع (من رجه ربه
الا الضالون) الخاطئون طريق
العرفه والصواب فلا يعرفون
سعة رجه وكال علم وقدرته
كما قال يعقوب عليه الصلاة
والسلام لا يأس من روح الله
الا القوم الكافرون ومراده نفي
القطوع عن نفسه على ابلغ وجه
اى ليس يقطع من رجه تعالى
واما الذى اقول لبيان منافاة
حلى لفيضان تلك النعمة الجليلة
على وفي التعرض لوصف الربوبية
والرحمة مالا يخفى من الجزالة
وقرى بضم النون وبكسر ها
من ققط بالفتح ولم تكن هذه

ونزعنا ما في صدورهم من غل اشارة الى ان الارواح القدسية النطقية نقية مطهرة عن
علائق القوى الشهوانية والغضبية مبرأة عن حوادث الوهم والخيال وقوله اخوانا على
سرر متقابلين معناه ان تلك النفوس لما صارت صافية عن كدورات عالم الاجسام
ونوازع الخيال والاهوام ووقع عليها انوار عالم الكبرياء والجلال فأشرقت تلك الانوار
الالهية وتلاثت تلك الاضواء الصمدية فكل نور فاض على واحد منها انعكس منه
على الآخر مثل المرايا المتعاقبة المتخاذية فلكونها بهذه الصفة وقع التعبير عنها بقوله
اخوانا على سرر متقابلين والله اعلم * قوله تعالى (نبي عبادى انا الغفور الرحيم وان
عذابى هو العذاب الاليم) في الآية مسئلتان (المسئلة الاولى) اثبتت الهزاة السالكنة
في نبي صورة وما اثبتت في قوله دف وجزء لان ما قبلها ساكن فهي تحذف كثير او تلقى
حركتها على الساكن قبلها فني في الخط على تحقيق الهزاة وليس قبل هزاة نبي ساكن
فأجروها على قياس الاصل (المسئلة الثانية) اعلم ان عباد الله قسمان منهم من يكون
متقيا ومنهم من لا يكون كذلك فلما ذكر الله تعالى احوال المتقين في الآية المتقدمة ذكر
احوال غير المتقين في هذه الآية فقال نبي عبادى واعلم انه ثبت في اصول الفقه ان
ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بكون ذلك الوصف علة لذلك الحكم فههنا
وصفهم بكونهم عباد الله ثم اثبت عقيب ذكر هذا الوصف الحكم بكونه غفورا رحيم
فهذا يدل على ان كل من اعترف بالعبودية ظهر في حقه كون الله غفورا رحيم ومن
انكر ذلك كان مستوجبا لعقاب الاليم * وفي الآية لطائف (احداها) انه اضاف
العباد الى نفسه بقوله عبادى وهذا شريف عظيم الا ترى انه لما اراد ان يشرف سجدا
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذى اسرى بعبده (وثانها) انه لما
ذكر الرحمة المغفرة بالغ في التاكيد بالفاظ ثلاثة اولها قوله انا * وثانيها قوله انا
* وثالثها ادخال حرف الالف واللام على قوله الغفور الرحيم ولما ذكر العذاب لم يقل انا
انا العذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وان عذابى هو العذاب الاليم (وثالثها) انه امر
رسوله ان يبلغ اليهم هذا المعنى فكانه اشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة
(ورابعها) انه لما قال نبي عبادى كان معناه نبي كل من كان معترفا بعبوديتي وهذا كما
يدخل فيه المؤمن المطيع فكذلك يدخل فيه المؤمن العاصي وكل ذلك يدل على تغليب
جانب الرحمة من الله تعالى وعن قتادة قال بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم
العبد قدر عفو الله تعالى ما تورع من حرام ولو علم قدر عقابه لبتغ نفسه اى قتلها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه مر بفرد من اصحابه وهم يضحكون فقال انضحكون والنار بين
ايديكم فزل قوله نبي عبادى انا الغفور الرحيم والله اعلم * قوله (وبئهم عن
ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا اسلاما قال انا منكم وجلون قالوا الا توجل انا نبشرك
بفلام عليم قال ابشروني على ان منى الكبير فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن

المفاوضة من الملائكة مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام خاصة بل مع سارة ايضا حسبا شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء
بما ذكر هناك كما لم يذكر هذه هناك اكتفاء بما ذكر ههنا (قال) اى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتوسطه بين قوله العاصي وبين قوله

(لما خطبكم) أي اسرتم وشأنكم الخبير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة (أيها المرسلون) صريح في ان بينهما مقابلة مطوية لهم اشير به الى مكانها كما في قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طيناً قال أأرى أنك (٤٠٦) هذا الذي كرمتم على الآية فان قوله الأخير ليس

موصولاً بقوله الأول بل هو مبني على قوله تعالى فآخر ج منها فأكبر رجيم فان توسط قال بين قوليه للابدان بعدم اتصال الثاني بالأول وعدم ابتناؤه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بعدما كان خطابه السابق مجرداً عن ذلك مع تصديره بالفادليل على ان مقاتلهم العلوية كانت متفحظة لبيان ان رجيم ليس مجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجله ارسلوا فكأنه قال عليه الصلاة والسلام ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فلماذا هو فلا حاجة الى الالتفات الى ان عليه الصلاة والسلام بأن كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدو البشارة لا تضاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في ذكرها عليه الصلاة والسلام وسري ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجع ولو كانت تمام المقصود لا يتدبر لها فتأمل (قالوا انا ارسلنا الى قوم عجمين) هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وبنهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم (الآل لوط) استثناء متصل من الضمير في جرمين اي الى قوم اجرموا جميعاً الآل لوط فالقوم والارسل شاملان للعجميين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الآل لوط لتلك الاولين ونهى الآخرين ويدل عليه قوله تعالى (انا انجيهم) اي مما يصيب القوم فانه استثناء للاخيار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول

من القانتين قال ومن يقنطن رحمة ربه الا الضالون (في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما بالغ في تقرير امر التوبة ثم اردفه بذكر دلائل التوحيد ثم ذكر عقبيه احوال القيامة وصفة الاشقياء والسعداء اتبعه بذكر قصص الانبياء عليهم السلام ليكون سماعها مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الانبياء ومحذرا عن المعصية لاستحقاق دركات الاشقياء فبدأ بالقبصة ابراهيم عليه السلام والضمير في قوله ونبئهم راجع الى قوله عبادي والتقدير ونبئ عبادي من ضيف ابراهيم يقال انبأت القوم انبياء ونبأهم تنبيه اذا خبرتهم وذكر تعالى في الآية ان ضيف ابراهيم عليه السلام بشروه بالولد بعد الكبر وبانجاء المؤمنين من قوم لوط من العذاب واخبروه ايضا بأنه تعالى سيعذب الكفار من قوم لوط بعذاب الاستئصال وكل ذلك يقوى ما ذكره من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم في حق الكفار (المسئلة الثانية) الضيف في الاصل مصدر ضاف بضيف اذا اتى انسانا لطلب القرى ثم سمي به ولذلك وحده في اللفظ وهم جماعة فان قيل كيف سماهم ضيفا مع امتناعهم عن الاكل قلنا لما ظن ابراهيم انهم ادخلوا عليه لطلب الضيافة جاز نعمتهم بذلك وقيل ايضا ان من يدخل دار الانسان ويلتجئ اليه يسمى ضيفا وان لم يأكل وقوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا اسلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما فقال ابراهيم انا انكم وجلون اي خاشعون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا عليه بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله بوجهه اذا خافه وقرئ لا تاجل ولا توجل من واجله بمعنى اوجله وهذه القصة قد مر ذكرها بالاستقصاء في سورة هود وقوله قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام علم فيه اباحت (الاول) قرأ حزة انا نبشرك بفتح النون وتخفيف الباء والباون نبشرك بالشديد (البحث الثاني) قوله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجع والمعنى انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل (البحث الثالث) قوله انا نبشرك بغلام علم بشروه بأمرين (احدهما) ان الولد ذكر والاخر انه بصير علموا واختلوا في تفسير العلم قيل بشروه بنبوته بعده وقيل بشروه بأنه علم بالدين ثم حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام انه قال ابشروني على ان أسئلكم فبهم تبشرون فغنى على ههنا الحال اي حالة الكبر وقوله فبهم تبشرون فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) لفظة ما ههنا استفهام بمعنى التعجب كما أنه قال باي اجمعه تبشروني فان قيل في الآية اشكالان (الاول) انه كيف استبعد قدرة الله تعالى على خلق الولد منه في زمان الكبر وانكار قدرة الله تعالى في هذا الموضع كفر (الثاني) كيف قال فبهم تبشرون مع انهم قد بينوا ما بشروه به وما فائدة هذا الاستفهام قال القاضي احسن ما قيل في الجواب عن ذلك انه اراد ان يعرف انه تعالى يعطيه الولد مع انه يقيه على صفة الشيوخوخة او يقيه شابا ثم يعطيه الولد والسبب في هذا الاستفهام ان العادة جارية بأنه لا يحصل الولد لحال الشيوخوخة التامة وانما يحصل في حال الشباب فان

العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين او لتعليله فان من تعلق بهم النتيجة بمنجى من شمول العذاب او منقطع (قيل) من قوم وقوله تعالى انا انجيهم متصل بالآل لوط جدير بجري خبر لكن وعلى هذا قوله تعالى (الاسرائه) استثناء من آل لوط او من

ضيرهم وعلى الاول من الضير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لحيوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف (قدرنا انها لن الغابرين) الباقي مع الكفرة لتهاك (٤٠٧) معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف واتماعلق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بأفعال القلوب

قيل اذا كان معنى الكلام ماذكرتم فلم قالوا بشركنا بل خلق فلا تكن من القانطين قلنا انهم بنوا ان الله تعالى بشره بالولد مع ابقائه على صفة الشيوخوخة وقولهم فلا تكن من القانطين لا يدل على انه كان كذلك بل على انه صرح في جوابهم بما يدل على انه ليس كذلك فقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وفيه جواب آخر وهو ان الانسان اذا كان عظيم الرغبة في شيء وفاته الوقت الذي يغلب على ظنه حصول ذلك المراد فيه فاذا بشر بعد ذلك بحصوله عظم فرحه وسروره ويصير ذلك الفرح القوي كالدش له والمزبل لقوة فهمه وذكائه فلعله يتكلم بكلمات مضطربة من ذلك الفرح في ذلك الوقت وقيل ايضا انه يستطيب تلك البشارة فرما يعيد السؤال ليسمع تلك البشارة مرة أخرى ومرتين واكثر طلبا للانداز بسماع تلك البشارة وطلباً لزيادة الطمأنينة والوثوق مثل قوله ولكن ليطمئن قلبي وقيل ايضا استنهم أبأمر الله تبشرون ام من عند انفسكم واجتهادكم (المسئلة الثانية) قرأ نافع تبشرون بكسر النون خفيفة في كل القرآن وقرأ ابن كثير بكسر النون وتشديدها والباقيون بفتح النون خفيفة اما الكسر والتشديد فتقدره تبشرونني ادغمت نون الجمع في نون الاضافة واما الكسر والتخفيف فعلى حذف نون الجمع استقالات الاجتماع التلحين وطلباً للتخفيف قال ابو حاتم حذف الياء مع النون قال واسقاط الحرفين لا يجوز واجيب عنه بانه اسقط حرفاً واحداً وهي النون التي هي علامة للرفع وعلى ان حذف الحرفين جائز قال تعالى في موضع ولتلك وفي موضع ولا تكن فاما قنط النون فعلى غير الاضافة والنون علامة الرفع وهي مفتوحة ابداً وقوله بشركنا بالحق قال ابن عباس يريد ما قضاه الله تعالى والمعنى ان الله تعالى قضى ان يخرج من صلب ابراهيم اسحق عليه السلام ويخرج من صلب اسحق مثل ما اخرج من صلب آدم فانه تعالى بشر بانه يخرج من صلب اسحق اكثر الانبياء فقله بالحق اشارة الى هذا المعنى وقوله فلا تكن من القانطين نهي لاراهيم عليه السلام عن القنوط وقد ذكرنا كثيراً ان نهي الانسان عن الشيء لا يدل على كون النهي فاعلنا للنهي عنه كما في قوله ولا تطلع الكافرين والمنافقين ثم حكى تعالى عن ابراهيم عليه السلام انه قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) هذا الكلام حق لان القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل الا عند الجهل بامور (احدها) ان يجهل كونه تعالى قادر اعليه (وثانيها) ان يجهل كونه تعالى طالباً باحتياج ذلك العبد اليه (وثالثها) ان يجهل كونه تعالى منزها عن الغل والحاجة والجهل فكل هذه الامور سبب للضلال فلهذا المعنى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون (المسئلة الثانية) قرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بكسر النون ولا تقنطوا كذلك والباقيون بفتح النون وهما لغتان قنط يقنط نحو ضرب يضرب وقنط يقنط نحو عمل يعلم وحكى ابو عبيدة قنط يقنط بضم النون قال ابو علي الفارسي قنط يقنط بفتح النون في الماضي وكسرها في المستقبل من اعلى اللغات يدل

على الصلاة والسلام جليلة الامر فأتى يمكن ان يعتربه بعد ذلك المباشرة وضيق الذرع وليست كقيل اضربا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقربه عينك بل هي اضرب عما فهمه عليه الصلاة والسلام من تركه

عليه الصلاة والسلام جليلة الامر فأتى يمكن ان يعتربه بعد ذلك المباشرة وضيق الذرع وليست كقيل اضربا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقربه عينك بل هي اضرب عما فهمه عليه الصلاة والسلام من تركه

النصرة له والمخفى ما خذلناك وما خلتنا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل
تقدم هذه المقالة على ما جرى بينه وبين أهل المدينة من المجادلة للسرعة (٤٠٨) إلى ذكر بشاره لوط عليه الصلاة والسلام

على ذلك اجتماعهم في قوله من يمد ما قبطوا وحكاية ابن عبدة تدل ايضا على ان قبط يقع
النون اكثر لان المضارع من فعل يحمي على يفعل ويفعل مثل فسق يفسق ويفسق ولا يحمي
مضارع فعل على يفعل والله اعلم * قوله تعالى (قال فاخطبكم ايها المرسلون قالوا انا
ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لنجوه اجمعين الامر انه قدرنا اليهم ان الغابرين)
في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله فاخطبكم سؤال عاجل لجهلهم الله تعالى
واخطب والشان والامر مسوا الا ان لفظ الخطب ابدل على عظم الحال فان قيل ان
الملائكة لما بشروه بالولد الذكر العليم فكيف قال لهم بعد ذلك فاخطبكم ايها المرسلون
قلنا فيه وجوه (الاول) قال الاصم معناه ما الامر الذي توجهتم له سوى البشرى
(الثاني) قال القاضي انه علم انه لو كان كمال المقصود ايصال البشارة لكان الواحد من
الملائكة كافيا فلما رأى جمعا من الملائكة علم ان لهم فرضا اخر سوى ايصال البشارة فلا
جزم قال فاخطبكم ايها المرسلون (الثالث) يمكن ان يقال انهم انما قالوا انا نبشركم بغلام
عليم في معرض ازالة الخوف والوجل الا ترى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما خاف
قالوا له لا توجل انا نبشركم بغلام عليم ولو كان تمام المقصود من الجحى هو ذكر تلك
البشارة لكانوا في اول ما دخلوا عليه ذكروا تلك البشارة فلما لم يكن الامر كذلك علم
ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا الطريق انه ما كان يجهمه لمجرد هذه البشارة بل كان
لفرض آخر فلا جزم سألهم عن ذلك الغرض فقال فاخطبكم ايها المرسلون ثم حكى تعالى
عن الملائكة انهم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وانما اقتصرنا على هذا القدر لعل
ابراهيم عليه السلام بان الملائكة اذا ارسلوا الى الجرمين كان ذلك لاهلاكهم
واستئصالهم وايضا فقولهم الا آل لوط انا لنجوه اجمعين يدل على ان المراد بذلك الارسال
اهلاك القوم اما قوله تعالى الا آل لوط فالمراد من آل لوط اتباعه الذين كانوا على دينه
فان قيل قوله الا آل لوط هل هو استثناء منقطع او متصل قلنا قال صاحب الكشف ان
كان هذا الاستثناء استثناء من قوم كان منقطعا لان القوم موصوفون بكونهم مجرمين
وآل لوط ما كانوا مجرمين فاختلف الجنس فوجب ان يكون الاستثناء منقطعا وان
كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا كانه قيل الى قوم قد اجمعوا كلهم الا آل لوط
وحدهم كما قال فاوجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم قال صاحب الكشف ويختلف
المعنى بحسب اختلاف هذين الوجهين وذلك لان آل لوط يخرجون في المنقطع من حكم
الارسال لان على هذا التقدير الملائكة ارسلوا الى القوم الجرمين خاصة وما ارسلوا الى
آل لوط اصلا وما في المتصل فالملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليلكوا هؤلاء ويحبوا هؤلاء
واما قوله انا لنجوه اجمعين فاعلم انه قرأ جزءه والكسائي فنجوهم خفيفة والباقون
مشددة وهما الغتان اما قوله تعالى الامر انه قال صاحب الكشف هذا استثناء
من الضمير الجور في قوله لنجوههم وليس ذلك من باب الاستثناء من الاستثناء لان

بأهلك قوله وتجيبة آله عقيب
ذكر بشاره ابراهيم عليه الصلاة
والسلام لهما وحيث كان ذلك
مستعدبا لبيان كيفية النجاة
وترتيب مبادئها اشير الى ذلك
اجالا ثم ذكر ما فضل القوم وما
فعلهم ولم يبال بتغيير الترتيب
الوقوعي ثقة بعراة في مواقع
اخر ونسبة الجحى بالعذاب اليه
عليه الصلاة والسلام مع انه
نازل بالقوم بطريق تفويض اسم
اليه لا بطريق نزوله عليه كما تم
جأزه وفوضوا امره اليه
ليرسله عليهم حسبا كان
يتوعدهم به (وأنتك بالحق) اي
باليقين الذي لا مجال فيه للاعتراض
والشك وهو عذابهم عبر عنه
بذلك تنصيصا على نفى الامتناع
عنه او المراد بالحق الاخبار
بجحى العذاب المذكور وقوله
تعالى (وان الصادقون) تأكيد
اي ايها الذين يثقون بالحق اي
المطيعين للواقع وانا لصادقون
في ذلك الخبر او في كل كلام
فيكون كالدليل على صدقهم فيه
وعلى الاول تأكيد اثر تأكيد
وقوله تعالى (فأمر باهلك)
شروع في ترتيب مبادئ النجاة
اي اذهب بهم في الليل وقرئ
بالوصل وكلاهما من السرى
وهو السير في الليل وقرئ فسر
من السرى (يقطع من الليل) بظافة
منه او من آخره قال
افنى الباب وانظر في التوهم
كم علبنا من قطع ليل بهم وقيل
هو بعد ما مضى منه شيء
صالح (واتبع ادبارهم) وكن
على اثرهم تدودهم وتسرع
بهم وتطلع على حوالهم ولعل

اشار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للبالغة في ذلك اذا السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر (الاستثناء)
عن بعض ويلزمه عادة الغلظة عن حال المتأخر والانتفاة المنهى عنه بقوله تعالى (ولا يفتنك) اي منك ومنهم (احد) فيرى

ماوراء من الهول فلا يطيقه اوعصيه ماصابهم اوولا ينصرف منك احد ولا يتخلف لغرض فيصبيه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا أنفسهم على المهاجرة او هو نهى عن ربط القلب بما (٤٠٩) خلفه او هو للاسراع في السير فان التفتت فلا يتأخر من ادنى

استثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه كما لو قيل اهلكناهم الا آل لوط الامرأته وكما لو قال المطلق لامرأته انت طالق ثلاثا الا اثنين الواحدة وكذا قال المقر لقن على عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهم فأما في هذه الآية فقد اختلف الحكماء لان قوله الا آل لوط متعلق بقوله ارسنا او بقوله مجرمين وقوله الامرأته قد تعلق بقوله منجهم فكيف يكون هذا استثناء من استثناء واما قوله قدرنا انها لمن الغابرين ففيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان معنى التقدير في اللغة جعل الشيء على مقدار غير ميقال قدر هذا الشيء بهذا اى جعله على مقداره وقدر الله تعالى الاقوات اى جعلها على مقدار الكفاية ثم يفسر التقدير بالقضاء فيقال قضى الله عليه كذا وقدره عليه اى جعله على مقدار ما يكتفى في الخير والشر وقيل في معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج درنا وقيل فضينا والكل متقارب (المسئلة الثانية) قرأ ابوبكر عن عاصم قدرنا بخفيف الدال ههنا وفي النمل وقرأ الباقون فيها بالتشديد قال الواحدي يقال قدرت الشيء وقدرته ومنه قراءة ابن كثير نحن قدرنا بينكم الموت خفيا وقراءة الكسائي والذي قدر فهدي ثم قال والمشددة في هذا المعنى اكثر استعمالا لقوله تعالى وقدر فيها اقواتها وقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا (المسئلة الثالثة) لقائل ان يقول لم اسند الملائكة فعل التقدير الى انفسهم مع انه لله تعالى ولم يقولوا قدر الله تعالى والجواب انما ذكرنا هذه العبارة لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما يقول خاصة الملك درنا كذا وامرنا بكذا والمدير والامر هو الملك لا هم وانما يريدون بذكر هذا الكلام اظهار ما لهم من الاختصاص بذلك الملك فكذا ههنا والله اعلم (المسئلة الرابعة) قوله انها لمن الغابرين في موضع مفعول التقدير قضينا انها تتخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك كما يهلكون ولا تكون ممن يبقى مع لوط فتصل الى النجاة والله اعلم * قوله تعالى (فلما جاء آل لوط المرسلون) قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناكم بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق وانما لصادقون) اعلم ان الملائكة لما بشروا ابراهيم بالولد واخبروه بأنهم مرسلون لعذاب قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط والى آله وان لوطا وقومه ما عرفوا انهم ملائكة الله فهذا قال لهم انكم قوم منكرون وفي تأويله وجوه (الاول) انه انما وصفهم بأنهم منكرون لانه عليه الصلاة والسلام ما عرفهم فلما هجموا عليه استكره منهم ذلك وخاف انهم دخلوا عليه لاجل شر يوصلونه اليه فقال هذه الكلمة (والثاني) انهم كانوا شباهم ارحسان الوجوه فخاف ان يهجم قومه عليه بسبب طلبهم فقال هذه الكلمة (والثالث) ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون اى لا اعرفكم ولا عرف انكم من اى الاقوام ولا اى فرض دخلتم على فعدت هذه الكلمة قالت الملائكة بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى بالعذاب الذي كانوا يشكون في تزوله ثم اكذبوا ماذكروه بقولهم واتيناك بالحق قال الكلبي بالعذاب وقيل باليقين والامر التابت الذي لاشك فيه وهو عذاب

بعد ما اثير الرذائل اجالا حسبياته طيهاى جانا هل سدوم (٥٢) (را) (خا) مؤول لوط عليه الصلاة والسلام (يستبشرون) اى مستبشرين باضيافه عليه نصالة والسلام طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضيق) الضيق حيث كان مصدرا في الاصل المطلق على الواحد

والتعدد والمذكر والمؤنث وإطلاقة على الملائكة بحسب اعتقاده عليه الصلاة والسلام لكونهم في رضى الضيف والتأكيد ليس لانكارهم بذلك بل تحقيق اتصافهم به واطهار اعتناؤه بشأنهم وتشميره (٤١٠) لمراعاة حقوقهم وحمايتهم من السوء ولذلك قال (فلا تقضون) أى عندهم

بأن تعرضوا لهم بسوء فعلوا أنه ليس لي عندكم قدر وحرمة أولا تقضون فضيحة ضيفي فإن من أسئ إلى ضيفه فقد أسئ إليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا ظهر من امره ما يلزمه العار (واقفوا لله) في مباشرتكم لما يسوء (ولا تحزون) أى لا تدلوني ولا تهنئوني بالتعرض لمن اجرحتم بمثل تلك القصة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان فهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله فلا تقضون اكثر تأثيرا في جانب عليه الصلاة والسلام واجلب للعار اليه اذا تعرض للجار قبل شعور الجبر بذلك ربما يساهج فيه واما بعد الشورى والمناسبة لحاجته والذب عنه فذلك اعظم العار عبر عليه الصلاة والسلام عما يفتنه من جهتهم بعد التنبؤ المذكور بسبب الجاهل ومجاهرتهم بمخافته الخنزى واسرهم بتقوى الله تعالى في ذلك والاعمال يصرح بالتنبؤ من نفس تلك الفاحشة

لأنه كان يعرف انه لا يقيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسطه بين التبيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه الصلاة والسلام وكذلك قوله تعالى (قالوا اولم تنهك عن العالين) أى عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضياقتهم والهمزة للانكسار والواو المصطف على مقدر أى المتقدم اليك ولم تنهك عن ذلك فانهم كانوا يعرضون لكل واحد من الغريب بالسوء وكان عليه الصلاة والسلام يتهاهم عن ذلك بشكر وسعه وكافا قد نوه

افقى الباب وانظرى في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهم وقوله واتبع ادبارهم معناه اتبع آثار نباتك واهلك وقوله ولا يلتفت منكم احد الفائدة فيه اشياء (احدها) لئلا يتخلف منكم احد فيناله العذاب (وثانيها) لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من البلاء (وثالثها) معناه الاسراع وترك الالهام لما خلف وراءه كما تقول امض لشأنك ولا تخرج على شئ (ورابعها) لئلا يوقع منه متاع في ذلك الموضع فلا يرجع بسببه البتة وقوله وامضوا حيث تؤمرون قال ابن عباس يعنى الشام قال المفضل حيث يقول لكم جبريل وذلك لان جبريل عليه السلام امرهم ان يمضوا الى قرية معينة اهلها ما عملوا مثل عمل قوم لوط وقوله وقضينا اليه عدى قضينا بالى لانه ضمن معنى او حينما كانه قيل و او حيناه اليه مقضيا مبتوتا ونظيره قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل وقوله ثم اقضوا الى ثمانه فسر بعد ذلك القضاء المبثوث بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ايهامه اولا وتفسيره ثانيا تفصيلا للامر وتعظيمه وقرأ الاعشى ان بالكسر على الاستئناف كأنه قالوا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعنى يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وقوله مصيحين أى حال ظهور الصبح * قوله تعالى (وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تقضون واقفوا لله ولا تحزون قالوا اولم تنهك عن العالين قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لى سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للتوحيين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للؤمنين) اعلم ان المراد بأهل المدينة قوم لوط وليس في الآية دليل على المكان الذى جاؤه الا ان القصة تدل على انهم جاؤا دار لوط قيل ان الملائكة لما كانوا في غاية الحسن اشتهر خبرهم حتى وصل الى قوم لوط وقيل امرأة لوط اخبرتهم بذلك وبالجملة قال قوم قالوا تزل بلوط ثلاثة من المرد ما رأينا قط اصبح وجهها ولا حسن شكلها منهم فذهبوا الى دار لوط طلبا منهم لاؤ لك المرد والاستبشار اظهار السرور فقال لهم لوط لما قصدوا اضيافه كلامين (الاول) قال ان هؤلاء ضيفي فلا تقضون يقال فضحه فضحه ففضحا وفضيحة اذا ظهر من امره ما يلزم به العار والمعنى ان الضيف يجب اكرامه فاذا قصد تمويههم بالسوء كان ذلك اهانة في نعمك كد ذلك بقوله واقفوا لله ولا تحزون فأجابوه بقولهم اولم تنهك عن العالين والمعنى ألسنا قد نهيناك ان تكلمنا في احد من الناس اذا

عليه الصلاة والسلام عن ان يبيح احدا فكأنهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخرى انما جاءك من قبلك لامن قبلنا اذ لولا (قصدنا) تعرضك لما تصدى له لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا يلقون عمام عليه (قال هؤلاء بناتى) يعنى نساء القوم فان نبى كل

أمة بمنزلة أبيهم أوبناؤه حقيقة أى تزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبون ولا يجيبهم عليهم وعدم كفائهم للأدم مشروعية المناكحة بين السلالت والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود (٤١١) (ان كنتم فاعلين) أى قضاء الوطر أو ما أقول لكم (لمعرك) قسم من الله

قصدناه بالفاحشة (والكلام الثانى) بما قاله لوط قوله هؤلاء باقى ان كنتم فاعلين قيل المراد بناته من صلبه وقيل المراد نساء قومه لأن رسول الأمة يكون كالأب لهم وهو كقوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه امهاتهم وفى قراءة أبى وهو اب لهم والكلام فى هذه المباحث قد مر بالاستقصاء فى سورة هود عليه السلام أما قوله أمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فبهم مسائل (المسئلة الاولى) العمر والعمر واحد وسمى الرجل عمرا تقاؤلا ان يبقى ومنه قول ابن جرير * ذهب الشباب واخلى العمر * وعمر الرجل يعمر عمرا وعمرا فاذا اضمحوا به قالوا لمعرك ومعرك قصوا العين لا غير قال الزجاج لأن الفتح اخف عليهم وهم يكثران القسم بالمعرى ولمعرك قالزموا الاخف (المسئلة الثانية) فى قوله لمعرك انهم لفي سكرتهم يعمهون قولان (الاول) ان المراد ان الملائكة قالت لوط عليه السلام لمعرك انهم لفي سكرتهم يعمهون أى فى غوايتهم يعمهون أى ينجيرون فكيف يقبلون قولاك ويلفتون الى نصيحتك (والثانى) ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه تعالى اقسم بحياته وما قسم بحياة احد وذلك يدل على انه اكرم الخلق على الله تعالى قال الضحويون ارتفع قوله لمعرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لمعرك قسمى وحذف الخبر لأن فى الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه الفعل نحو بالله لافعلن والمعنى احلف بالله فيحذف لعلم مخاطب بأنك حالف ثم قال تعالى فأخذتهم الصيحة أى صيحة جبريل عليه السلام قال اهل المعانى ليس فى الآية دلالة على ان تلك الصيحة صيحة جبريل عليه السلام فان ثبت ذلك بدليل قوى قبله وبالأفليس فى الآية دلالة الا على انه جاءهم صيحة عظيمة مهلكة وقوله مشرقين يقال شرق الشارق يشرق شروقا لكل ما طلع من جانب الشرق ومنه قولهم ما ذر شارق أى طلع طالع فقوله مشرقين أى داخلين فى الشروق يقال اشرق الرجل اذا دخل فى الشروق وهو بزوغ الشمس واعلم ان الآية تدل على انه تعالى عذبهم بثلاثة انواع من العذاب (احدها) الصيحة الهائلة المنكرة (وثانيها) انه جعل عاليها سافلها (وثالثها) انه امطر عليهم حجارة من سجيل وكل هذه الاحوال قد مر تفسيرها فى سورة هود ثم قال تعالى ان فى ذلك لآيات للنوسين يقال توسعت فى فلان خيرا أى رأيت فيه اثرا منه وتفرسته فيه واختلعت عبارات المفسرين فى تفسير التوسمين قيل التفرسين وقيل الناظرين وقيل المتفكرين وقيل العبرين وقيل المتبصرين قال الزجاج حقيقة التوسمين فى اللغة المتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا سمعة الشئ وصفته وعلامته والتوسم الناظر فى السمعة الدالة بقول توسمت فى فلان كذا أى عرفت وسم ذلك وسمته فيه ثم قال وانها لبسبل مقيم الضمير فى قوله وانها عائد الى مدينة قوم لوط وقد سبق ذكرها فى قوله وجاء اهل المدينة وقوله لبسبل مقيم أى هذه القرى وما ظهر فيها من آثار قهر الله وغضبه لبسبل مقيم ثابت لم يندرس ولم يخف والذين يبرون من الجاز الى الشام يشاهدونها ثم قال ان فى ذلك لآية للمؤمنين أى

ان ما حاق بهم من العذاب الذى ترك ديارهم بلاقع اتحاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فحصلون ذلك على الاتفاق والالواضع الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد ههنا بقية الآثار لاكل القصة كالتيما سلف (وان كان) ان خففة من ان وصحير الشأن

الذى هو اسمهم محذوف واللام هي الفارقة اي وان الشان كان (اصحاب الايكة) وهم قوم شيعب عليه الصلاة والسلام والايكة والايكة
الشجرة المتلفة المتكاشة وكان حامة خببرهم المقل وكانوا (٤١٢) يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم (لطالين) متجاوزين عن الحد

(فانتقمنا منهم) بالعذاب روى
ان الله تعالى سلط عليهم الحر
سبعة ايام ثم بعث صحابة فالتقوا
اليها فيتمشون الروح فيبت الله
تعالى عليهم منها نارا فأحرقهم
فهو عذاب يوم الطلة (ولنما)
يعنى سدوم والايكة وقيل
الايكة ومدين فانه عليه الصلاة
والسلام كان مبعوثا اليهما فذكر
احدهما منه على الآخر (للبام)
مبين) لطريق واضح والامام
اسم ما يؤتم به سمي به الطريق
وهو طبر البناء ولوح الذى
يكتب فيه لانها ما يؤتم به (ولقد
كذب اصحاب الحجر) يعنى عود
(المرسلين) اى صالحا فان من كذب
واحد من الانبياء عليهم السلام
فقد كذب الجميع لانهاهم على
التوحيد والاصول التى لا تختلف
باختلاف الامم والاعصار وقيل
المراد صالح ومن معه من المؤمنين
كاقيل الجيبون نبي بن عبدالله
ابن زهير واصحابه والحجر واد
بين المدينة والشام كانوا يسكنونه
(وآتيانهم آياتنا) وهى الآيات
المتولة على بيهم والحجرات من
الدقة وسقيها وشربها ودرها
او الدلة المنصوبة لهم فكانوا
عنها معرضين (اهراضا كليا
بل كانوا معرضين لها حيث فعلوا
بالناقة ما فعلوا) وكانوا يخشون
من الجبال بيوتا آمنين) من
الانهدام ونقب اللصوص
وتخريب الاعداء لوثقتهم اومن
العذاب حسب ما هم ان ذلك
يحجمهم منه «من جابر رضى الله
تعالى عنه انه قال مرنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين
ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين
كل من آمن بالله وصدق الانبياء والرسل عرف ان ذلك انما كان لاجل ان الله تعالى انتقم
لانيانها من اولئك الجهال اما الذين لا يؤمنون بالله فانهم يحملونه على حوادث العالم
ووقائعهم وعلى حصول القرانات الكوكبية والاتصالات الفلكية والله اعلم * قوله
تعالى (وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانقمنا منهم وانما لبامام مبين) اعلم ان هذه
هى القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة (فأولها) قصة آدم والبليس
(وثانيها) قصة ابراهيم ولوط (وثالثها) هذه القصة واصحاب الايكة هم قوم شيعب عليه
السلام كانوا اصحاب غياض فكذبوا شعبا فاهلكهم الله تعالى بعذاب يوم الطلة وقد ذكر
الله تعالى قصتهم في سورة الشعراء والايكة الشجرة المنلفة يقال ايكة وابك كشجرة وشجر
قال ابن عباس الايك هو شجر المقل وقال الكلبي الايكة الغضة وقال الزجاج هؤلاء
اهل موضع كان ذئب شجر قال الواحدى ومعنى ان واللام للتوكيد وان ههنا هى الخففة
من الثقلة وقوله فانقمنا منهم قال المفسرون اشتد الحر ففهم اياما ثم اضطرم عليهم المكان
نارا فهلكوا عن آخرهم وقوله وانما فيه قولان (الاول) المراد قرى قوم لوط عليه
السلام والايكة (والقول الثانى) الضمير للايكة ومدين لان شعبا عليه السلام كان
مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدن فجاء بضميرهما وقوله لبامام مبين اى
بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به قال الفراء والزجاج انما جعل الطريق اماما لانه يؤتم
ويتبع قال ابن قتبية لان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذى يريد وقوله مبين يحتمل
انه مبين فى نفسه ويحتمل انه مبين لغيره لان الطريق يهتدى الى المقصد * قوله تعالى
(ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيانهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا يخشون
من الجبال بيوتا آمنين فأخنتهم الصيحة مصححين فاغنى عنهم ما كانوا يكسبون) هذا
هو القصة الرابعة وهى قصة صالح قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه عود وقوله
المرسلين المراد منه صالح وحده ولعل القوم كانوا براهمه منكرين لكل الرسل وقوله
وآتيانهم آياتنا يريد الناقة وكان فى الناقة آيات كثيرة كخروجها من الصخرة وعظم
خلقها وظهور نتاجها عند خروجها وكثرة لبنها واضاف الايتاء اليهم وان كانت الناقة
آية لصالح لانها آيات رسولهم وقوله فكانوا عنها معرضين يدل على ان النظر والاستدلال
واجب وان التقليد مذموم وقوله وكانوا يخشون من الجبال قد ذكرنا كيفية ذلك
النحت فى سورة الاحراف وقوله آمنين يريد من عذاب الله وقال الفراء آمنين ان يقع
سقمهم عليهم وقوله فاغنى عنهم ما كانوا يكسبون اى ما دفع عنهم الضر والبلاء ما كانوا
يعملون من نحت تلك الجبال ومن جمع تلك الاموال والله اعلم * قوله تعالى (وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصبر صبرا جميلا ان ربك
هو الخلاق العليم) اعلم انه تعالى لما ذكر انه اهلك الكفار فكأنه قيل الاهلاك
والتعذيب كيف يليق بالرحيم الكريم فأجاب عنه بأنى اما خلقت الخلق ليكونوا مستغفلين

حذوا ان يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحته فأسرع حتى خلفها (بالعبادة)
(فأخنتهم الصيحة مصححين) وهكذا وقع فى سورة هود قيل صاح بهم جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل انهم من السماء صيحة فيها صوت

كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاحقاف فاخذهم الرجفة اى الزلزلة ولعلها من روادى السجدة المستتبعة لقوج الهول (١٣) عوجا شديدا يقضى اليها كاس في سورة هود (فاغنى عنهم) وايديهم عنهم ما نزل بهم (ما كانوا يكسبون) من بنا البيت

الوثيقة والاموال الوفرة والعدد المتكثرة وفيه تكريمهم والفاقر ترتيب عدم الانعام الخاص بوقت نزول المذاب حسب كانوا يرجونه لاعداء المطلق فانه امر مستمر (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) والاختلاف ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلبث استقرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لن يبق الى الصلاح او الاسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كائنه منه قوله تعالى (وان الساعة لا تية) فينتظر الله تعالى لك فيها عن كذبت (فاصفح) اى اعرض عنهم (الصفيح الجليل) امر احسانا جيل وتعمل انيتهم ولا تنجل بالانتقام منهم وعالمهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة باية السيف (ان ربك) الذى يهلك الى غاية الكمال (هو) المطلق (ك) ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق (العلم) بأحوال واحوالهم يتفاضلها فلا يحق عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع الامور اليه ليحكم بينهم او هو الذى خلقهم وعلم تفاصيل احوالهم وقدم على ان الصفيح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصليح فهو تعليل للامر بالصفيح على التقديرين وفي منتصف غمائي واني رضى الله تعالى عنها هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والمخلوق مخصص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهي السابعة

بالعبادة والطاعة فاذا تركوها واعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكم وتطهير وجه الارض منهم وهذا النظم حسن الالاف انما يستقيم على قول المعتزلة قال الجبائي دلت الآية على انه تعالى ما خلق السموات والارض وما بينهما الاحقا وبكون الحق لا يكون الباطل لان كل ما فعل باطلا واريد بفعاله كون الباطل لا يكون حقا ولا يكون مخلوقا بالحق وفيه بطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون ان اكثر ما خلقه الله تعالى بين السموات والارض من الكفر والمعاصي باطل واعلم ان اصحابنا قالوا هذه الآية تدل على انه سبحانه هو الخالق لجميع اعمال العباد لانها تدل على انه سبحانه هو الخالق للسموات والارض ولكل ما بينهما ولا شك ان افعال العباد بينهما فوجب ان يكون خالقها هو الله سبحانه وفي الآية وجه آخر في النظم وهو ان المقصود من ذكر هذه القصص تصيير الله تعالى بمحمد عليه الصلاة والسلام على سفاهة قومه فانه اذا سمع ان الامم السالفة كانوا يعاملون انبياء الله تعالى بمثل هذه المعاملات الفاسدة سهل تحمل تلك السفاهات على محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لما بين انه انزل العذاب على الامم السالفة فعند هذا قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وان الساعة لا تية وان الله لينتقم لك فيها من اعدائك ويحازيك وياهم على حسناتك وسيأتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق والعدل والانصاف فكيف يليق بحكمته اهمال امرك ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه رغبة بعد ذلك في الصفيح من سياهم فقال فاصفيح الصفيح الجليل اى فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جبلا بجل واغضاء وقيل هو منسوخ باية السيف وهو بعيد لان المقصود من ذلك ان يظهر اخلق الحسن والعفو والصفح فكيف يصير منسوخا ثم قال ان ربك هو الخالق العليم ومعناه انه خلق الخلق مع اختلاف طبائعهم وتفاوت احوالهم مع علمه بكونهم كذلك واذا كان كذلك فاما خلقهم مع هذا التفاوت ومع العلم بذلك التفاوت اما على قول اهل السنة فلمحض المشيئة والارادة اما على قوله المعتزلة فلاجل المصلحة والحكمة والله اعلم * قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا) من الميثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينك الى ما متعنا به ازواجنا منهم ولا تحزن عليهم واخفف جناحك للمؤمنين اعلم انه تعالى لما صبر على اذى قومه واره بأن يصفح الصفيح الجليل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم بل بالان الانسان اذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصفيح والتجاوز وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان قوله آتيناك سبعا يحتمل ان يكون سبعا من الآيات وان يكون سبعا من السور وان يكون سبعا من القوائد وليس في اللفظ ما يدل على التمين واما الثاني فهو صيغة جمع واحدة مثناة والثناة كل شيء يثنى اى يجعل اثنين من قولك ثبت الشيء اذا عطفته او ضممت اليه آخر ومنه يقال لكتبي الدابة ومرتفعها ثنائى لانها تثنى بالفتح والعصد وثنائى الوادى معاطفه اذا عرفت هذا فقول سبعا من الميثاني

وعليه عروى وابن مسعود وابو هريرة رضى الله تعالى عنهم والحسن وابو المالبية وبجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابتعتها والاقفال والثوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك يفضل بينهما بالتمية وقيل بونس

والخواص السبع وقيل الصحائف السبع وهى الاسباع (من المثاني) بيان السبع من التثنية وهى التكرير فان كان المراد الفاشحة وهو الظاهر فليسها مثنى لتكرر قرأتها في الصلاة ولما تكرر قرأتها (٤١٤) في غير الصلاة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا

للتسمية ولانها تلى بما يقرا بعدها في الصلاة وامانكر نزولها فلا يكون وجهها للتسمية لانها كانت صفة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذا لسورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها من السور فوجه كونها من المثاني ان كلامه ذلك تكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواضعه او من الثناء لاشتغاله على ما هو ثناء على الله واحدا من ثناء او ثنية صفة للثانية واما الصحائف وهى الاسباع فلا وقع فيها من تكرير القصص والمواظ والوعد والوعيد وغير ذلك وان فيها من الثناء على الله تعالى كما تلى عليه سبحانه بأفعاله وصفاته الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن لما ذكر اوله انتهى عليه بالاجمال او كتب الله تعالى كلها فن التمييز وعلى الاول للبيان (والقرآن العظيم) ان اريد بالسبع الايات او السور فن عطف الكل على البعض والعام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكاتب في المزدحم اى ولقد آتيناك بما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم (لا عدى عنك) لا تخطع يصيرك طموح رغب و لا تدم تفكر (الى ما تشاء به) من خراف الدنيا و زيتها وعاسها وزهرتها (الزواجا منهم) اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة الى ما لو تيته مستحق ليعاينها اصلا وفي حديث ابن بكروضى الله تعالى عنه من اوتي

مفهومه سبعة اشياء من جنس الاشياء التى تلى ولا شك ان هذا القدر مجمل ولا سبيل الى تعيينه الا بدليل منفصل ولاناس فيه اقوال (الاول) وهو قول اكثر المفسرين انه فاتحة الكتاب وهو قول عرو على وابن مسعود وابن هريرة والحسن وابن العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هى السبع المثاني رواه ابو هريرة والسبب في وقوع هذا الاسم على الفاتحة انها سبع آيات واما السبب في تسميتها بالمثاني فوجه (الاول) انها تلى في كل صلاة بمعنى انها تقرأ في كل ركعة (الثاني) قال الزجاج سميت مثنى لانها تلى بعدها ما يقرأ معها (الثالث) سميت آيات الفاتحة مثنى لانها قسمت قسمين اثنين والدليل عليه ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين والحديث مشهور (الرابع) سميت مثنى لانها قسمان ثناء ودعاء وايضا النصف الاول منها حق الربوبية وهو الثناء والنصف الثانى حق العبودية وهو الدعاء (الخامس) سميت الفاتحة بالمثاني لانها تلى مرتين مرة بمكة في اوائل منازل من القرآن ومرة بالمدينة (السادس) سميت بالمثاني لان كلماتها مشاة مثل الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم وفي قراءة عمر غير المقصوب عليهم وغير الضالين (السابع) قال الزجاج سميت الفاتحة بالمثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واعلم اننا جلنا قوله سبعا من المثاني على سورة الفاتحة فهنا احكام (الاول) نقل القاضي عن ابن بكر الاصم انه قال كان ابن مسعود لا يكتب في مصحفه فاتحة الكتاب رأى انها ليست من القرآن واقول لعل حجة فيدان السبع المثاني لما ثبت انه هو الفاتحة ثم انه تعالى عطف السبع المثاني على القرآن والمعطوف مغاير للمعطوف عليه وجب ان يكون السبع المثاني غير القرآن الا ان هذا يشكك بقوله تعالى واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وكذلك قوله وملائكته وجبريل وميكائيل وللخصم ان يحجب بأنه لا يبعد ان يذ كر الكل ثم يعطف عليه ذكر بعض اجزائه واقسامه لكونه اشرف الاقسام اما اذا كر شى ثم عطف عليه شى آخر كان المذكور اولاً مغايراً لهذ كر ثانياً وهما ذكر السبع المثاني ثم عطف عليه القرآن العظيم فوجب حصول المغايرة والجواب الصحيح ان بعض الشى مغاير لمجموعه فلم لا يكتفى هذا القدر من المغايرة في حسن العطف والله اعلم (الحكم الثانى) انه لما كان المراد بقوله سبعا من المثاني هو الفاتحة دل على ان هذه السورة افضل سور القرآن من وجين (احدهما) ان افرادها بالذ كر مع كونها جزءاً من اجزاء القرآن لا بد وان يكون لاختصاصها بمنزلة الشرف والفضيلة (والثانى) انه تعالى لما تزلها مرتين دل ذلك على زيادة فضلها وشرفها واذ ثبت هذا فنقول لما رأينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واظب على قراءتها في جميع الصلوات طول عمره واما مقام سورة أخرى مقامها في شى من الصلوات دل ذلك على

القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي قد صغر عظيماً وعظم صغيراً وروى انه وافق من بصري واذ رعت سبع قوافل (انه) ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوتنا بها

وانفقناها في سبيل الله فقيل لهم فداعيتهم سبع آيات وهي خبر من هذه القوا قل السبع (ولا تحزن عليهم) حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليقوى بهم ضعف المسلمين وقيل اوانهم (٤١٥) المتحزون به ويا بدالة على فان تتمتع به لا يكون مدارا للحرز عليهم

(واخضع جنتك للؤمنين)

انه يجب على المكلف ان يقرأها في صلاته وان لا يقيم سائر آيات القرآن مقامها وان يحترز عن هذا الابدال فان فيه خطرا عظيما والله اعلم (القول الثاني) في تفسير قوله سبعين المثنائي السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وسعيد بن جبير في بعض الروايات ومجاهد وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانشال والتوبة معاقلوا وسميت هذا السور مثنائي لان الفرائض والحدود والامثال والعبر ثبت فيها وانكر الرابع هذا القول وقال هذه الآية مكية واكثر هذه السور السبعة مدنية وما نزل شيء منها في مكة فكيف يمكن حل هذه الآية عليها ويجاب قوم عن هذا الاشكال بأن الله تعالى انزل القرآن كله الى السماء الدنيا ثم انزله على نبيه منها مجزأ فلما انزله الى السماء الدنيا وحكم بانزله عليه فهو من جملة ما آتاه وان لم ينزل عليه بعد ولقائل ان يقول انه تعالى قال ولقد آتيناك سبعاً من المثنائي وهذا الكلام انما يصدق اذا وصل ذلك الشيء الى محمد صلى الله عليه وسلم فاما الذي انزله الى السماء الدنيا وهو لم يصل بعد الى محمد عليه السلام فهذا الكلام لا يصدق فيه واما قوله بأنه لما حكم الله تعالى بانزله على محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك جارا بجري ما نزل عليه فهذا ايضا ضعيف لان اقامة ما لم ينزل عليه مقام النازل عليه مخالف للظاهر (والقول الثالث) في تفسير السبع الثاني انها هي السور التي هي دون الطوال والمئين وفوق الفصل واختار هذا القول قوم واحجوا عليه بما روى ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع الطوال مكان التوراة واعطاني المئين مكان الانجيل واعطاني المثنائي مكان الزبور وفضلني ربي بالفصل قال الواحدى والقول في تسمية هذه السور مثنائي كالقول في تسمية الطوال مثنائي واقول ان صح هذا التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا غبار عليه وان لم يصح فهذا القول مشكل لانا بيننا ان المسمى بالسبع الثاني يجب ان يكون افضل من سائر السور واجمعوا على ان هذه السور التي سموها بالمثنائي ليست افضل من غيرها فيمنع حل السبع الثاني على تلك السور (والقول الرابع) ان السبع المثنائي هو القرآن كله وهو منقول عن ابن عباس في بعض الروايات وقول طائوس قالوا دليل هذا القول قوله تعالى كتابا متشابها مثنائي فوصف كل القرآن بكونه مثنائي ثم اختلف القائلون بهذا القول في انه ما المراد بالسبع وما المراد بالمثنائي اما السبع فذكروا فيه وجوها (احدها) ان القرآن سبعة اسباع (وثانيها) ان القرآن مشتمل على سبعة انواع من العلوم التوحيد والتبوة والمعاد والقضاء والقدر وحوال العالم والقصص والتكليف (وثالثها) انه مشتمل على الامر والنهي والخبر والاستخبار والتداء والقسم والامثال واما وصف كل القرآن بالمثنائي فلانه كرر فيه دلائل التوحيد والتبوة والتكليف وهذا القول ضعيف ايضا لانه لو كان المراد بالسبع المثنائي القرآن لكان قوله والقرآن العظيم عطفاً لشيء على نفسه وذلك غير جائز واجيب عنه بأنه انما يحسن ادخال حرف العطف فيه لاختلاف

وتزليل التوقع مثله الواقع له موقع جليل من العجائب لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كافي قوله تعالى ان افصحنا قصصا بيننا ونظائرنا على ان تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص المذاب المذكور بهم مشركتهم للتصاري في الاقتسام المتضرع على المواقفة

والمخالفة وفي الاقسام بمعنى التحريف الشامل للكاتبين بل تخصيص المذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقسام تخصيص من غير
مخصص وقد جعل الموصول مفتوحا اول لانه لا يندرج تحت المصنفين (٤١٦) الذين يجوزون القرآن الى مصر وشعر واساطير مثل ما نزلنا

الافظين كقول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام = وليت الكتيبة في الزدحم

واعلم ان هذا وان كان جائزا لاجل وروده في هذا البيت الا انهم اجعوا على ان الاصل
خلافه (والقول الخامس) يجوز ان يكون المراد بالسبع الفاتحة لانها سبع آيات
ويكون المراد بالثاني كل القرآن ويكون التقدير ولقد آتيناك سبع آيات هي الفاتحة
وهي من جملة الثاني الذي هو القرآن وهذا القول عين الاول والتفاوت ليس الا بقليل
والله اعلم (المسئلة الثانية) لفظة من في قوله سبعا من الثاني قال الزجاج فيها وجهان
(احدهما) ان تكون للتبعض من القرآن اي ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات
التي يثني بها على الله تعالى وآتيناك القرآن العظيم قال ويجوز ان تكون من صلة والمعنى
آتيناك سبعا هي الثاني كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان المعنى اجتنبوا الاوثان
لان بعضها رجس والله اعلم اما قوله تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجنا
منهم فاعلم انه تعالى لما صرف رسوله عظم نعمه عليه فيما يتعلق بالدين وهو انه آتاه
سبعا من الثاني والقرآن العظيم نهى عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه ان يمد عينه اليها رغبة
فيها وفي مدالعين اقوال (الاول) كانه قيل له انك اوتيت القرآن العظيم فلا تشغل
سرك وخطرك بالانفلات الى الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال ابو
 بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما
وعظم صغيرا وقيل وافت من بعض البلاد سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها
انواع البر والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا
لثقوبنا بها ولا نقتناها في سبيل الله تعالى فقال الله تعالى لهم لقد اعطيتكم سبع آيات
هي خير من هذه القوافل السبع (القول الثاني) قال ابن عباس لا تمدن عينيك اي لا تمتن
ما فضلنا به احدا من متاع الدنيا وقرر الواحدى هذا المعنى فقال انما يكون
ماداعينه الى الشيء اذا دام النظر ونحوه وادامة النظر الى الشيء تدل على استحسانه
وتعنيه وكان صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى ما يستحسن من متاع الدنيا وروى انه نظر الى
نعم بنى المصطلق وقد عسبت في ابوالها وابعارها ففتن في ثوبه وقرأ هذه الآية وقوله
عسبت في ابوالها وابعارها هو ان تجف ابوالها وابعارها على اخذها اذا تركت من
العمل ايام الاربعة فتكثر شهوها ولحومها وهي احسن مما تكون (والقول الثالث)
قال بعضهم ولا تمدن عينك اي لا تحسد احدا على ما اوتي من الدنيا قال القاضي هذا
بعيد لان الحسد من كل احد قبيح لانه ارادة زوال نعم الغير عنه وذلك يجرى مجرى
الاعتراض على الله تعالى والاستباح لحكمه وقضائه وذلك من كل احد قبيح فكيف
يحسد مخصص الرسول صلى الله عليه وسلم به واما قوله تعالى ازواجهم قال ابن قتيبة
اي اصنافا من الكفار والزوج في اللغة الصنف ثم قال ولا يحزن عليهم ان لم يؤمنوا

على المؤمنين وهم الانبياء عشر
الذين يقتسموا داخل مكة ايام
الموسم فقد كل منهم في مدخل
لينفروا الناس عن الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بعضهم لا تقتروا بالخراج
منا فانهم ساجدون ويقول الآخر
شاعروا لا تحركوا ذنابنا فلهكم
الله تعالى يوم بدر وقيله يا قات
وفيه مع ما فيه من الاشرار لا
سبق في عدم كون المذاب
الذي شبهه المذاب المشد
واقعا ولا معلوما للذين ولا
موجودا للوقوع انه لا داعي
الى تخصيص وصف التعنية بهم
واخراج المقتسمين من بينهم
مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان
وصفهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بما وصفوا من المحر
والشعر والكذب متفرع على
وصفهم للقرآن بذلك وهل
هو الا نفس التعنية ولا الى
اخراجهم من حكم الاذراع على
ان ما نزل لهم من المذاب يمكن
من الضدة بحيث يشبهه عذاب
غيرهم ولا خصوصيات بل علما
لكلا الفريقين وغيرهم مع ان
بعض المشددين كالوليد بن
الغيرة والماسين وائل والاسود
بن المطلب قد هلكوا قبل
مهلك اكفر المؤمنين يوم بدر
ولالى تقديم المفعول الثاني على
الاول كما ترى وقيل انه وصف
لمفعول الشدريه اقيم مقامه
والفاسدون هم القاصدون في
مداخل مكة كالمسرح وفيه مع
ما مر ان قوله تعالى كاذبا لصريح
فانه من قول الله تعالى لان
قول الرسول عليه الصلاة
والسلام والاعتذار بأن ذلك
من باب ما يقوله بعض خواص
الامة امرنا بكفذا وان كان

الامر هو الملك حسبا سلف في قوله تعالى قدرنا بها لمن الغابرين تصف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف (فيقوى)
عما لا يجوز البصريون فلا بد من الهرب الى الكوفيين الواضحين الى جهة مفتوحا لا يصرح اي انا انذار المؤمنين بمذاب مثل

عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين (٤١٧) الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام فأحلّكم الله تعالى واثت

تدري ان عذابهم حيث كان متحققا ومعلوما للذرين حسبا لنطق به القرآن العظيم صالح لان يقع مشبهابه العذاب المذخر لكن الموصول المذكور عقيب حيث لم يمكن كونه صفة للمقتسمين حيث ذكروا جهنم فمفعول اول للذير اولاد هو عليه من انذر لا يكون للعرض لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان الاقسام بالمعنى المزبور في حيز المفعول الثاني فائدة للمال ذلك انما يكون للأشعار بداية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المعتصمين يعملون من التقاسم على التثبيت الذي هو السبب لهلاك اولئك كما ان اولئك يعملون من التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء وعلاقة بين السببين مفهوم لا وجودا وتصح وقوع احدهما في جانب والاخر في جانب واتفاق القرنيين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر الخصوص الذي هو التثبيت الدلول عليه بالتقاسم غير مفيد ازلال لالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على ان خبره بالجملة النسيئة لا يليق بجملة التثنية وجملة شاهد الجميل اذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكنائس وان الموصول مع صلتها صفة مبنية لكيفية اقتسامهم وجعل الكافي النصب على المصدرية وحديث

فيقوى بمكانهم الاسلام وينتش بهم المؤمنون والحاصل ان قوله ولا تمدن عيذك الى ما تدعاه ازواجاً منهم نهي له عن الالتفات الى اموالهم وقوله ولا تحزن عليهم نهي له عن الالتفات اليهم وان يحصل لهم في قلبه قدر ووزن ثم قال واخفض جناحك للمؤمنين الحفص معناه في اللغة تقيض الرفع ومنه قوله تعالى في صفة القيامة خافضة رافعة اي انها تخفض اهل المعاصي وترفع اهل الطاعات فانخفض معناه الوضع وجناح الانسان يده قال البيهقي الانسان جناحه ومنه قوله واضم اليك جناحك من الرهب وخفض الجناح كناية عن الين والرفق والتواضع والمقصود انه تعالى لما نهاهم عن الالتفات الى اولئك الاغنياء من الكفار امره بالتواضع لفقراء المسلمين ونظيره قوله تعالى اذلة على المؤمنين اذرة على الكافرين وقال في صفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشداء على الكفار رجاء بينهم * قوله تعالى (وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين) اعلم انه تعالى لما امر رسوله بالزهد في الدنيا وخفض الجناح للمؤمنين امره بأن يقول للقوم اني انا النذير المبين فيدخل تحت كونه نذيرا كونه مبلغا لجميع التكليف لان كل ما كان واجبا ترتب على تركه عقاب وكل ما كان حراما ترتب على فعله عقاب فكان الاخبار بمحصول هذا العقاب داخلا تحت لفظ النذر ويدخل تحته ايضا كونه شارحا لمراتب الثواب والعقاب والجنة والنار ثم اورد فيه بكونه مبينا ومعناه كونه آتيا في كل ذلك بالبيانات الشافية والبيانات الوافية ثم قال بعسده كما انزلنا على المقتسمين وفيه بحثان (البحث الاول) اختلفوا في ان المقتسمين من هم وفيه اثنان (الاول) قال ابن عباس هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب عددهم من اربعين وقال مقاتل بن سليمان كانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة امام الموسم فاقسموا عقبات مكة وطرقها يتولون لمن يسلكها لا تغفروا بالخارج منا والمدعى للنبوة فانه يجنون وكانوا ينفرون الناس عنه بأنه ساحر او كاهن او ساحر فأنزل الله تعالى بهم خزيا فماتوا مية والمعنى انذرتكم مثل ما نزل بالمقتسمين (والقول الثاني) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما في بعض الروايات ان المقتسمين هم اليهود والنصارى واختلفوا في ان الله تعالى لم يسمهم منقسمين قبيل لانهم جعلوا القرآن عضين آمنوا بما وافق التوراة وكفروا بالباقي وقال عكرمة لانهم اقتسموا القرآن استهزاء به فقال بعضهم سورة كذا وقال بعضهم سورة كذا وقال مقاتل بن حبان اقتسموا القرآن فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم أساطير الاولين (والقول الثالث) في تفسير المقتسمين قال ابن زيد هم قوم صالح تقاسموا لنيته واهل فرمتهم الملائكة بالجماعة حتى قالوا هم فعلى هذا الاقسام من القسم لامن القصة وهو اختيار ابن قتيبة (البحث الثاني) ان قوله كما انزلنا على المقتسمين يقتضى تشبيه شيء بذلك فاذلكت الشيء والجواب عنه من وجهين

جلافة المقام عن التشبيه من لوازم النظر الجليل والحق لقد آتيناك سبعا من المثاني (٤١٨) والقرآن العظيم آياته عائلا لانزال الكتابين

(الاول) التقدير ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم كما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعبادهم وجهلهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقسموه الى حق وباطل فان قيل فعلى هذا القول كيف توسط بين التشبيه والمشببه قوله ولا تمدن عينك الى آخره قلنا لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لعنى التسليية من النهى عن الالتفات الى ذنوبهم والتأسف على كفرهم (و الوجه الثاني) ان يتعلق هذا الكلام بقوله وقل انى انا النذير المبين واعلم ان هذا الوجه لا يتم الا باحد امرين اما التزام اضممار الحذف اما الاضممار فهو ان يكون التقدير انى انا النذير المبين عذابا كما انزلناه على المقتسمين وعلى هذا الوجه المفعول محذوف وهو المشبه ودل عليه المشبه به وهذا كما تقول رأيت كالمقهر فى الحسن اى رأيت انسانا كالمقهر فى الحسن واما الحذف فهو ان يقال الكاف زائدة محذوفة والتقدير انى انا النذير المبين ما انزلناه على المقتسمين وزيادة الكاف له نظير وهو قوله تعالى ليس كمثلهم شئ والتقدير ليس مثله شئ وقال بعضهم لاجابة الى الاضممار والحذف والتقدير انى انا النذير اى انذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين وقوله الذين جعلوا القرآن عضين فيه بحثان (البحث الاول) فى هذا اللفظ قولان الاول انه صفة للمقتسمين والثاني انه مبتدأ وخبره هو قوله لنسألكم وهو قول ابن زيد (البحث الثاني) ذكر اهل اللغة فى واحد عضين قولين (الاول) ان واحدا عضه عضه مثل عزة وبرة وثبة واصلها عضوة من عضيت الشئ اذا فرقته وكل قطعة عضه وهى ما نقص منها واهى لام الفعل والتعضية التجزئة والتفريق يقال عضيت الجزور والشاة تعضية اذا جعلتها اعضاء وقسمتها وفى الحديث لاتعضية فى ميراث الافياء احتمل القسمية اى لاتجزئة فيما لا يحتمل القسمة كالجوهره والسيف قوله جعلوا القرآن عضين يريد جزؤهم اجزاء فقالوا سحر وشعروا ساطير الاولين ومقرئى (والقول الثانى) ان واحدا عضه واصلها عضه فاستقلوا الجميع بين هاهن فقالوا عضه كما قالوا شفة والاصل شفة بدليل قولهم شافهت مشافهة وسنة واصلها سانهة فى بعض الاقوال وهو مأخوذ من العضه بمعنى الكذب ومنه الحديث اياكم والعضه وقال ابن السكيت العضه بأن بعضه الانسان ويقول فيه ما ليس فيه وهذا قول الخليل فيما روى اليث عنه فعلى هذا القول معنى قوله تعالى جعلوا القرآن عضين اى جعلوه مقرئى وجهت العضه جمع ما يقبل لما خلفها من الحذف فجعل الجميع بالواو والنون عوضا لما خلفها من الحذف * قوله تعالى (فوربك لنسألكم اجمعين) كما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفييناك المستهزئين الذين يعملون مع الله الها آخر فسوف يعلنون فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله فوربك لنسألكم اجمعين يحتمل ان يكون راجعا الى المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين لان عود

على اهلها وعدم التعرض لذكر ما ازل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة بين الايتين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما فى جانب المشبه على ما فى جانب المشبه بان يقال كما آتينا المقتسمين حسبا وقع فى قوله تعالى الذين آتيناكم الكتاب الخ التقية على ما بين الايتين من المثاني فان الاول على وجه التكرمة والامتنان وشتان بينه وبين الثانى ولا يقدح ذلك فى وقوعه مشبهاه فان ذلك انما هو لمحيته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لانه تمود الى ذاته كفى الصلاة الجارية فان التشبيه فيها ليس لكونه درجة لى الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه الصلاة والسلام واهل اتم واكن عافاض على النبي عليه الصلاة والسلام واعاد ذلك لتقدم فى الوجود والتخصيص على فى القرآن العظيم فليس فى التشبيه شائبة اشعار بأفضلية المشبه من المشبه فضلا عن ايهام افضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به الثانى وانما ذكرنا لبنوان الاقسام انكارا لاتصافهم به مع تحقق ما يفهم من الازال المذكور وايدان بأنه كان من حقهم ان يؤمنوا بكله حسب اعلمهم بما ازل عليهم يحكم الاشتراك فى العلة والاتحاد فى الحقيقة التى هى مطلق الوحي وتوسط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال الصالة بما هو المقصود من بيان حال ما أوتي النبي عليه الصلاة والسلام ولقد بين اولاعلوا شأنه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه الصلاة والسلام بمكانه واستغناؤه عما سواه من شئ عن الالتفات الى زهرة

(الضمير)

الدنيا وعبر عن إيتائها لأهلها بالتبعية المتبى عن وشك (٤١٩) زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم إيمان المهملين فيها أو سمر برعاها المؤمنين

ولا اكتشافهم عن غيرهم وباطلها
قيامه بواجب الرسالة وصرام
التذرة حسنا فصل في تنصيف
ما لوى من القرآن العظيم ثم رجع
إلى كيفية إيتائها على وجه ادب
فيه ما يريح شبه المتكبرين ويستأثرهم
عن العناد من بيان مشاركته لما
لارباب لهم في كونه وحيا صادقا
تأمل والله عنده علم الكتاب
هذا وقد قيل المني قل إني أنا
النذير المبين كما قد تزل في الكتب
التي سأتى نذيرا على المؤمنين
أهل الكتاب انتهى يريد أن
ما كان موصولة والمراد بالمشابهة
الاستفادة من الكافي الواقعة
وهي مع ما في حيزها في محل النصيب
على الحال من مفقولة قل إني
هذا القول حال كونه كما تزلنا
على أهل الكتابين أي مواهبا
لذلك فالأدب حينئذ محل
الانقسام على التصريف ليكون
وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا
من تحريفهم وكتبتهم لنت التي
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
مضين جمع عضة وهي القرعة
اسلها عضوة فعدة من عضى
الشاة تعضية إذا جعلها أعضاء
وإنما جمع السلاعة جبرا
للمحذوف كسنتين وعزتين والتعبير
عن تجزئة القرآن بالتعضية التي
هي تقريظ الأعضاء من ذي
الروح المستزاد لا زالة حياته
وابطال اسمه دون مطلق
التجزئة والتفريق الذين ربما
يوجدان فيما لا يضره البعض
من التليات للتخصيص على كمال
قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم
ويدل هي فعدة من عضته أي
يهته وعن عكرمة لعنه السحر
بلان قريش فتشاهنا على
الأول وأو على الثاني هاه (فوريك
نفسا لهم أجمعين) أي لناسن

الضمير إلى الأقرب أولى ويكون التقدير أنه تعالى أقسم بنفسه أن يسأل هؤلاء المؤمنين عما كانوا يقولونه من انقسام القرآن وعن سائر المعاصي ويحتمل أن يكون راجعا إلى جميع المكلفين لأن ذكرهم قد تقدم في قوله وقل إني أنا النذير المبين أي لجميع الخلق وقد تقدم ذكر المؤمنين وذكر الكافرين فيعود قوله فوريك لنسألتهم أجمعين على الكل ولا معنى لقول من يقول أن السؤال إنما يكون عن الكفر أو عن الإيمان بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الأعمال لأن اللفظ عام فيتناول الكل فإن قيل كيف الجمع بين قوله لنسألتهم أجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان أجابوا عنه من وجوه (الأول) قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يسئلون سؤال الاستفهام لأنه تعالى عالم بكل أعمالهم وإنما يسئلون سؤال التقرير يقال لهم لم فعلتم كذا ولقائل أن يقول هذا الجواب ضعيف لأنه لو كان المراد من قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان سؤال الاستفهام لما كان في تخصيص هذا النبي بقوله فيومئذ فائدة لأن مثل هذا السؤال على الله تعالى محال في كل الاوقات (والوجه الثاني) في الجواب أن يصرف النبي إلى بعض الاوقات والاثبات إلى وقت آخر لأن يوم القيامة يوم طويل ولقائل أن يقول قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان هذا تصريح بأنه لا يحصل السؤال في ذلك اليوم فلو حصل السؤال في جزء من أجزاء ذلك اليوم لحصل التناقض (والوجه الثالث) أن نقول قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يفيد عموم النبي وقوله فوريك لنسألتهم أجمعين عائد إلى المؤمنين وهذا خاص ولا شك أن الخاص مقدم على العام أماقوله فأصعد بما تؤمر فأعلم أن معنى الصعد في اللغة الشق والفصل وانشد ابن السكيت جرب هذا الخليفة فأرضوا ما قضى لكم * بالحق يصعد ما في قوله حيف

فقال يصعد يفصل وتصدع القوم إذا تفرقوا ومنه قوله تعالى يومئذ يصعدون قال الفراء يفرقون والصدع في الزجاج الإبانة أقول ولعل ألم الرأس إنما سمي صدعا لأن خفف الرأس عند ذلك الألم كأنه ينشق قال الأزهري وسمى الصبح صدعا كما يسمى فلما وقد انصدع وانفلق الفجر وانفطر الصبح إذا عرفت هذا فاعصد بما تؤمر أي فرق بين الحق والباطل وقال الزجاج فأصعد أظهر بما تؤمر به يقال صدع بالجملة إذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها وهذا في الحقيقة يرجع أيضا إلى الشق والتفريق أماقوله بما تؤمر فيه قولان (الأول) أن يكون ما بمعنى الذي أي بما تؤمر به من الشرائع فخذ الجار كقوله * امرتك الخير فأصل ما أمرت به (الثاني) أن تكون ما مصدرية أي فأصعد بأمرك وشأنتك قالوا وما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستغنيا حتى تزلت هذه الآية ثم قال تعالى وأعرض عن المشركين أي لا تبال بهم ولا تلتفت إلى لو مهم أياك على اظهار الدعوة قال بعضهم هذا منسوخ بآية القتال وهو ضعيف لأن معنى هذا الأعراض ترك المبالاة بهم فلا يكون منسوخا ثم قال أنا كفييناك المستهزئين قبل كانوا خسة نفر من المشركين

يوم القيامة اصناف الكفرة من المفسدين وغيرهم سؤال توبيع وتبريع (٤٢٠) (عما كانوا يعملون في الدنياه من قول وفعل وترك فيدخل

الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن عبد
يعوث قال جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكم فأومأ الى عقب
الوليد فربنا لم تعلق شويه سهم فلم يعطف تعظما لاخذ فأصاب عرقا في عقبه فقطعه
فأت وأومأ الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفتحت
رجله حتى صارت كالرحا ومات وأشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمى وأشار الى انف
عدي بن قيس فامحط قبحا فأت وأشار الى الاسود بن عبد يعوث وهو قاعد في اصل شجرة
فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات واعلم ان المفسرين
قد اختلفوا في عدد هؤلاء المستزئين وفي اسمائهم وفي كيفية طريق استزائهم ولا حاجة
الى شيء منها والقدر المعلوم انهم طبقة لهم قوة وشوكة ورياسة لان امثالهم هم الذين
يقدر على اظهار مثل هذه السفاهة مع مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في علوق قدره
وعظم منصبه ودل القرآن على ان الله تعالى افانهم وبادهم وازال كيدهم والله اعلم
* قوله تعالى (ولقد علم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من
الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) اعلم انه تعالى لما ذكر ان قومه يسفهن عليه
ولاسما اولئك المقتسمون واولئك المستزئون قال له ولقد علم انك يضيق صدرك
بما يقولون لان الجلبة البشرية والمزاج الانساني يقتضى ذلك فعندهذا قال له فسبح
بحمد ربك فأمره بأربعة اشياء بالسبح والتحميد والاسجود والعبادة واختلف الناس
في انه كيف صار الاقبال على هذه الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن فقال
العارفون المحققون اذا اشتغل الانسان بهذه الانواع من العبادات انكشفت له اضاء
عالم الربوبية ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكليّة حقيرة واذا صارت حقيرة
خف على القلب فقدائها ووجد انها فلا يستوحش من فقدائها ولا يستريح بوجودها
وعند ذلك يزول الحزن والغم وقالت المعتزلة من اعتقد تنزيه الله تعالى عن القبايح سهل
عليه تحمل المشاق فانه يعلم انه عدل منزّه عن ازال المشاق به من غير غرض ولا فائدة فينبذ
يطيب قلبه وقال اهل السنة اذا زل بالبعد بعض المكابر فزع الى الطاعات كأنه يقول
تجب على عبادتك سواء اعطيني الخيرات او القنيتي في المكروهات وقوله واعبد ربك
حتى يأتيك اليقين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الموت وسمى الموت باليقين لانه امر
متيقن فان قيل فأي فائدة لهذا التوقيت مع ان كل احد يعلم انه اذا مات سقطت عنه
العبادات قلنا المراد منه واعبد ربك في زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة
عن هذه العبادة والله اعلم ثم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا
محمد وآله وسلم

فيه ما ذكر من الاقسام
والنقص يدخولها ولا ينجز ينهم
بذلك جزء موفورا وفيه من
التشديد وتأكيّد الوعيد مالا
يغني والقاء لتريب الوعيد على
اعمالهم التي ذكر بعضها وفي
العرض لوصف الربوبية
مضافا اليه عليه الصلاة والسلام
اظهار اللطيف به عليه الصلاة
والسلام (فاصدع بما تؤمر)
فاجهر به من صديق بالحجة اذا
تكلم بها جهارا او افرق بين
الحق والباطل واصله الاانة
والتيقن وبامصدرية او موصولة
والعائد صديقي اي مائوسر به
من الشرائع المودعة في تضاعيف
ملاوتهم من المثاني السبع والقرآن
الظيم (واعرض عن المشركين)
اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا
تبال بهم ولا تصد للانتقام منهم
(انا كفيناك المستهزين) قسمهم
وتدبرهم قيل كانوا خمسة
اشرف قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والحارث بن
قيس بن الطلالة والاسود بن
عبد يعوث والاسود بن المطلب
يألفون في ابداء النبي صلى الله
عليه وسلم والاستهزاء به فذل
جبريل عليه الصلاة والسلام فقال
قد امرت ان اكفيكم فأومأ الى
ساق الوليد فربنا لم تعلق شويه
سهم فلم يعطف تعظما لاخذ ف
فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فأت
واومأ الى اخمص العاص فدخلت
فيه شوكة فقال لدغت لدغت
وانتفتحت رجله حتى صارت
كالرحا فأت وأشار الى عيني
الاسود بن المطلب فعمى وإلى
انف الحارث فامحط قبحا فأت
والى الاسود بن عبد يعوث وهو
قاعد في اصل شجرة ففعل
ينطح برأسه بالشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات (الذين

(سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وحكي الاصم عن بعضهم ان كلامه)
(وقال آخرون من اولها الى قوله كن فيكون مدني وما سواه فكي وعن قتادة بالعكس)

(واعلم)

الاستزاهه عليه الصلاة والسلام
بل اجفوا على الظلمة التي هي
الامرالك بالله سبحانه (فوف
يعلون) غافله ما يأتون ويذرون
(وقد علمت انك يعقني صدرك
ما يقولون) من كالت الشريك
والطن في القرآن والاستزاهه
وبك وتحمله الجله بالناسكيد
لا فاده تحقيق ما تضمنه من التسليمه
وصيغه لاستقبال الا فاده استمرار
العلم حسب استمرار متعلقه
باستمرار ما يوجب من اقوال
الذكفره (فصح محمد ريك)
فاقر على الله تعالى فيما ناك من
ضيق الصدر والخرج بالتسبيح
والقديس ملتبا بمحمد وفي
العرض لنوعان الروييه مع
الاختلاف الى غيره عليه الصلاة
والسلام ما لا يخفى من اظهار
اللطيفه عليه الصلاة والسلام
والاشعار بعمه الحكم اعني الامر
بالنبيج والحد (وسكن من
السايدن) اعني الصالحين يكفك
ويكفون ألم عنك واقتضه عما
يقولون ملتبا بمحمد عليه ان
هذه لك الحق المبين وعنه عليه
الصلاة والسلام انه كان اذا حوز به
امر فزع الى الصلاة (واجهد
ريك) دم على ما أنت عليه من
صيده تعالى وايشار الاظهار
بالنوعان السالف آتفا لتأكيد
مادته من اظهار الطيفه عليه
الصلاة والسلام والاشعار بعمه
الامر بالمعباده (حتى يتيقن
اليقين) ان الموت فانه متيقن
لحقوق بكل شيء ضلوق واستناد
الايان اليه لا يذيان بأنه
موجه الى الخي طالب للوصول
اليه والحق دم على العباده مادته
حيامن غير اخلال بها فلهمة * من
رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ هِيَ سُورَةُ الْاِسْمِ وَهِيَ السُّورَةُ الْاُولَى فِي الْقُرْآنِ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) *

(أَتَى أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ تُذَكِّرُوا إِنَّهُ لَإِلَٰهُ الْأُنَآثِقُونَ) فِيهِ مَسَائِلُ (السُّمْلَةُ الْاُولَى) أَعْلَمُ أَنَّ مَعْرِفَةَ تَقْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مَرَّةً عَشْرًا ثَلَاثَةٌ (فَالسُّؤَالُ الْاَوَّلُ) أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْشَوْهُمْ بِعَذَابِ الدُّنْيَا نَارًا وَهُوَ الْقَتْلُ وَالْإِسْتِيلَاءُ عَلَيْهِمْ كَمَا حَصَلَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ وَنَارًا بِعَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُوَ الَّذِي يَحْصُلُ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ ثَمَّ أَنْتَقِمُ لِمَا بَشَّاهُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَحْتَجُوا بِذَلِكَ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَطَلَبُوا مِنْهُ الْإِيْثَانَ بِذَلِكَ الْعَذَابِ وَقَالُوا لَهُ إِنَّمَا بَشَّاهُ وَرَوَى أَنَّهُ لِمَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى اقْرَبْتَ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ قَالَ الْكُفْرَارُ فَيَا بَنِيهِمْ إِنَّ هَذَا يُزْعَمُ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَرِبَتْ فَأَسْكُوا عَنْ بَعْضِ مَا تَعْمَلُونَ حَتَّى نَنْظُرَ مَا هُوَ كَأَنَّ فُلَانًا خَرَجَ قَالُوا مَا نَرَى شَيْئًا مَخْشَوْنَا بِهِ فَنَزَلَ قَوْلُهُ اقْرَبَ النَّاسُ حِسَابَهُمْ فَأَشْفَقُوا وَاتَّظَرُوا أَيَوْمَهَا فَلَمَّا مَدَّتِ الْآيَامَ قَالُوا بِأَحْمَدٍ مَا نَرَى شَيْئًا مَخْشَوْنَا بِهِ فَنَزَلَ قَوْلُهُ أَتَى أَمْرَ اللَّهِ فَوَيْلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَفَعَ النَّاسُ رُؤُوسَهُمْ فَنَزَلَ قَوْلُهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا كَثُرَ مِنْ تَهْدِيدِهِمْ بِعَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ وَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا يَنْسُبُوهُ إِلَى الْكُذْبِ فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ بِقَوْلِهِ أَتَى أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ وَفِي تَقْرِيرِ هَذَا الْجَوَابِ وَجْهَانِ (الْاَوَّلُ) أَنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ ذَلِكَ الْعَذَابُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ وَاجِبَ الْوُقُوعِ وَالشَّيْءُ إِذَا كَانَ بِهَذِهِ الْحَالَةِ وَالصِّفَةِ فَانْهَ يُقَالُ فِي الْكَلَامِ الْمُعْتَادِ أَنَّهُ قَدْ أَتَى وَوَقَعَ أَجْرًا لِمَا يَجِبُ وَقُوعُهُ بِعَذَابِ ذَلِكَ يَجْرِي الْوَاقِعُ يُقَالُ لِمَنْ طَلَبَ الْإِغَاثَةَ وَقَرَّبَ حَصُولَهَا قَدْ جَاءَكَ الْغَوْثُ فَلَا يَنْجِزُ (وَالْوَجْهُ الثَّانِي) وَهُوَ أَنَّ بَقَالَ أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ بِذَلِكَ وَحُكْمُهُ بِهِ قَدْ أَتَى وَحَصَلَ وَوَقَعَ فَأَمَّا الْمَحْكُومُ بِهِ فَاعْلَامُ بَقِيعِ لَاحَةِ تَعَالَى بِحُكْمِهِ بِوُقُوعِهِ فِي وَقْتٍ مَعِينٍ قَبْلَ حُجْمِي ذَلِكَ الْوَقْتُ لَا يَخْرُجُ إِلَى الْوُجُودِ وَالْحَاصِلُ كَأَنَّهُ قِيلَ أَمْرَ اللَّهِ وَحُكْمُهُ بِنَزُولِ الْعَذَابِ قَدْ حَصَلَ وَوُجِدَ مِنْ الْإِزَالِ إِلَى الْإِبْدَ فَصَحَّ قَوْلُنَا أَتَى أَمْرَ اللَّهِ إِلَّا أَنَّ الْمَحْكُومَ بِهِ وَالْمَأْمُورَ بِهِ أَمَّا لِمُحْصِلٍ لَاحَةِ تَعَالَى خُصَّصَ حَصُولُهُ بِوَقْتٍ مَعِينٍ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ وَلَا تَطْلُبُوا حَصُولَهُ قَبْلَ حُضُورِ ذَلِكَ الْوَقْتِ (السُّؤَالُ الثَّانِي) قَالَتِ الْكُفْرَارُ هَبْ أَنْتَا مَلَأْنَا بِأَحْمَدٍ صِحْحَةَ مَا تَقُولُ مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى حُكْمٌ بِأَزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْنَا مَا فِي الدُّنْيَا وَمَا فِي الْآخِرَةِ إِنَّا نَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ فَانْهَا شَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَهِيَ تَشْفَعُ لَنَا عِنْدَهُ فَتُخَلَّصُ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ الْمَحْكُومُ بِهِ بِسَبَبِ شَفَاعَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ فَزَهْ نَفْسُهُ عَنْ شَرِكَةِ الشُّرَكَاءِ وَالْإِضْدَادِ وَالْإِنْدَادِ وَإِنْ يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ وَالْإِحْسَامِ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَ الْإِبَادَةِ وَمَا فِي قَوْلِهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ يَحْجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُصَدِّقَةً وَالتَّقْدِيرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ أَشْرَاكِهِمْ وَيَحْجُوزُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى الَّذِي أَيْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي جَعَلُوها شُرَكَاءَ لَهُ لَأَنَّهُمَا جَادَاتُ خَسِيسَةٌ فَأَيُّ مُنَاسِبَةٍ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ

بجناحه وتعالى عما يشركون فيزل
روا انه لاله الا أنا قاقون في
ة مرتبة على سؤالات ثلاثة (فأ)
هم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل
القيامة وهو الذي يحصل
حججوا بذلك على تكذيبه وطلب
المائل قوله تعالى اقرب الساع
امة قد قربت فأسكوا عن بعض
شيئا مما تخوفنا به فيزل قوله اقرب
يام قالوا يا محمد ما ترى شيئا مما تخم
به وسلم ورفع الناس رؤسهم فزل
بهديهم بعذاب الدنيا وعذاب
عن هذه الشبهة بقوله أتى امر
ل) انه وان لم يأت ذلك العذاب
والصفة فانه يقال في الكلام أن
رى الواقع يقال لمن طلب الاغاث
الثاني) وهو ان يقال ان امر الله
به فاعلم بضع لانه تعالى حكمه بوقو
وجود والحاصل كأنه قيل امر
الى الابد فصيح قولنا أتى امر الله
من حصوله بوقت معين فلا تستج
ال الثاني) قالت الكفار هب اتانا
اب علينا ما في الدنيا وما في الآ
تشفعنا عنده فنخلص من هذا
الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله
شركا، والاضداد والانداد وا
الابانة وما في قوله عما يشركون
ان اشراكهم ويجوز ان تكون
ها شرك الله لانها جادات خبي

من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمسلمين

من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والسهرتين بمحمد صلى الله عليه وسلم

(سورة النحل مائة وعشرون وعشرون آية) ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٤٢٢) (أي الساعة أو ما يعيها وغيرها من

الذباب الموعود للكفرة عبر
عن ذلك بأمر الله للنفيم والتوبيل
والإيدان بأن تحققه في نفسه
وأنيانه منوط بحكمه السافذ
وفضائه الغالب وأنيانه
عبارة عن تدور واقتراه على
طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع
أو على آتيان مبادئ القرية على
نجم استناد حال الأسباب إلى
المسببات وأيا ما كان فقيه تقيبه
على كمال فهمه من الوقوع واتصاله
وتكميل لحسن موقع الفريع
في قوله عز وجل (فلا تستجلوه)
فان النهي عن استجبال الشيء وان
صح تقريبه على قرب وقوعه أو
على وقوع أسبابه القريبة لكنه
ليس بمثابة تقريبه على وقوعه
اذ بالوقوع يستحيل الاستجبال
وأسألا ما ذكر من قرب وقوعه
ووقوع مبادئ والطالب للكفرة
خاصة كالمثل عليه القراءة على
صيغة نهى الغائب واستجبالهم
وان كان بطريق الاستهزاء لكنه
حل على الحقيقة ونحوه عنه
بضرب من التهكم لامة المؤمنين
سواء اريد بأمر الله ماذكر أو
الغذاب الموعود للكفرة خاصة
اما الاول فانه لا يتصور من
المؤمنين استجبال الساعة أو ما
يعيها وغيرها من العذاب حتى
يعيهم النهي عنه واما الثاني
فلا استجبالهم بطريق الحقيقة
واستجبال الكفرة بطريق
الاستهزاء كاعتقده فلا ينظمهما
صيغة واحدة والاتجاه إلى ارادة
معنى مجازي يعيها معا من غير
ان يكون هناك رعاية نكتة
مربية تصنف لايلاق بشأن
التنزيل الجليل وما روى من انه
لما نزلت اقربت

أدون الموجودات فضلا عن ان يحكم بكونها شركاء لدبر الارض والسموات (السؤال
الثالث) هبانه تعالى قضى على بعض عبيده بالسراء وعلى آخرين بالضراء ولكن كيف
يمكنك ان تعرف هذه الاسرار التي لا يعلمها الا الله وكيف صرت بحيث تعرف اسرار
الله واحكامه في ملكه وملكوته فأجاب الله تعالى عنه بقوله ينزل الملائكة بالروح من
أمره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا أنا فاتقون وتقرر هذا الجواب انه
تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عباده ويأمر ذلك العبد بأن يبلغ إلى سائر الخلق
ان اله العالم واحد كلهم بمعرفة التوحيد والعبادة وبين انهم ان فعلوا ذلك فازوا وبخبري
الدنيا والآخرة وان تمردوا وقعوا في شرى الدنيا والآخرة فهذا الطريق صار مخصوصا
بهذه المعارف من دون سائر الخلق وظهر بهذا الترتيب الذي لخصناه ان هذه الآيات
منظمة على احسن الوجوه والله اعلم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع
وعاصم وحزرة والكسائي ينزل بالياء وكسر الزاى وتشدها والملائكة بالنصب وقرأ
ابن كثير وابوعمر ينزل بضم الباء وكسر الزاى وتخفيفها والاول من التفعيل والثاني من
الافعال وهما لغتان (المسئلة الثانية) روى عن عطاء عن ابن عباس قال يريد بالملائكة
جبريل وحده قال الواحدى وتسمية الواحد باسم الجمع اذا كان ذلك الواحد رئيسا
مقدما جازى كقوله تعالى انارسلنا نوحا الى قومه وانا انزلناه وانا نحن نزلنا الذكر وفي حق
الناس كقوله الذين قال لهم الناس وفيه قول آخر سيأتى شرحه بعد ذلك وقوله بالروح
من أمره فيه قولان (الاول) ان المراد من الروح الوحي وهو كلام الله ونظيره قوله تعالى
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده
قال اهل التحقيق الجسد موات ككيف مظلم فاذا اتصل به الروح صار حيا لطيفا نورانيا
فظهرت آثار النور في الخواص الخمس ثم الروح ايضا ظلمانية جاهلة فاذا اتصل بالعقل بها
صارت مشرفة نورانية كما قال الله تعالى والله اخبركم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ثم العقل ايضا ليس بكامل النورانية والصفاء
والاشراق حتى يستكمل بمعرفة ذات الله تعالى وصفاته وافعاله ومعرفة احوال عالم
الارواح والاجساد وعالم الدنيا والآخرة ثم ان هذه المعارف الشريفة الالهية لا تكمل
ولا تنصو الانور الوحي والقرآن اذا عرفت هذا فنقول القرآن والوحي به تكمل
المعارف الالهية والمكاشفات الربانية وهذه المعارف بها يشرق العقل ويصفو ويكمل
والعقل به يكمل جوهر الروح والروح به يكمل حال الجسد وعند هذا يظهر ان الروح
الاصلي الحقيقي هو الوحي والقرآن لانه يحصل الخلاص من رقدة الجهالة ونوم الغفلة
وبه يحصل الانتقال من حضيض البهيمية الى اوج الملكية فظهر ان اطلاق لفظ الروح
على الوحي في غاية المناسبة والمشاكله وما يقوى ذلك انه تعالى اطلق لفظ الروح على
جبريل عليه السلام في قوله نزل به الروح الامين على قلبك وعلى عيسى عليه السلام

الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة (٤٢٣) قد قربت فأسكروا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما أخرت

في قوله روح الله وأما حسن هذا الاطلاق لانه حصل بسبب وجودهما حياة القلب وهى الهداية والمعارف فلما حسن اطلاق اسم الروح عليها هذا المعنى فلان يحسن اطلاق لفظ الروح على الوحي والتنزيل كان ذلك اولي (والقول الثانى) فى هذه الآية وهو قول ابى عبيدة ان الروح ههنا جبريل عليه السلام والباء فى قوله بالروح بمعنى مع كقولهم خرج فلان بقبابه اى مع ثيابه وركب الأمير بسلاحه اى مع سلاحه فيكون المعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل والاول اقرب وتقرر هذا الوجه انه سبحانه وتعالى ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم جبريل وحده بل فى أكثر الاحوال كان ينزل مع جبريل افواجا من الملائكة ألا ترى ان فى يوم بدر وفى كثير من الغزوات كان ينزل مع جبريل عليه السلام افواجا من الملائكة وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة ملك اجبال وتارة ملك البحار وتارة رضوان وتارة غيرهم وقوله من امره يعنى ان ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بأمر الله تعالى ونظيره قوله تعالى وما ننزل الا بأمر ربك وقوله لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقوله وهم من خشيتهم مشفقون وقوله يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله لا يصنعون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فكل هذه الآيات دالة على انهم لا يقدمون على عمل من الاعمال الا بأمر الله تعالى واذنه وقوله على من يشاء من عباده يرسل الانبياء الذين خصصهم الله تعالى برسائله وقوله ان اندروا قال الزجاج ان بدل من الروح والمعنى ينزل الملائكة بأن اندروا اى اعلاوا الخلائق انه لا اله الا انا والاندثار هو الاعلام مع الضويف (المسئلة الثالثة) فى الآية فوائد الفائدة الاولى ان وصول الوحي من الله تعالى الى الانبياء لا يكون الا بواسطة الملائكة وما يقوى ذلك انه تعالى قال فى آخر سورة البقرة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فبدأ بذكر الله سبحانه ثم اتبعه بذكر الملائكة لانهم هم الذين يتلقون الوحي من الله ابتداء من غير واسطة وذلك الوحي هو الكتب ثم ان الملائكة يوصلون ذلك الوحي الى الانبياء فلا جرم كان الترتيب الصحيح هو الابتداء بذكر الله تعالى ثم بذكر الملائكة ثم بذكر الكتب وفى الدرجة الرابعة بذكر الرسل اذا عرفت هذا فنقول اذا اوحى الله تعالى الى الملك فعلم ذلك الملك بأن ذلك الوحي وحى الله علم ضرورى او استدلالى وتقدير ان يكون استدلالا فكيف الطريق اليه وايضا الملك اذا بلغ ذلك الوحي الى الرسول فعلم الرسول بكونه ملكا صادقا لا شيطانا رجسيا ضرورى او استدلالى فان كان استدلالا فكيف الطريق اليه فهذه مقامات ضيقة وتمام السلم بها لا يحصل الا بالبحث عن حقيقة الملك وكيفية وحى الله اليه وكيفية تبلغ الملك ذلك الوحي الى الرسول فاما اذا اجرينا هذه الامور على الكلمات المألوفة صعب المرام وزال النظام وذلك لان آيات القرآن ناطقة بأن هذا الوحي والتنزيل انما حصل من الملائكة او تقول هب ان آيات القرآن لم تدل على ذلك الا ان احتمال كون الامر كذلك قائم فى بسطة العقل

قالوا ما زى شيئا فنزلت اقرب للناس في حسابهم فاشفقوا وانظروا قريبها لما امتدت الايام قالوا لا محمد ما زى شيئا مما تخوفناه فنزلت انى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمانوا قليلا فيه دلالة على عموم الخطاب لكامل الامم وهم من ان التصدير بالقاء يا اباة فانه بمنزل عن ابائه حسبا تحققت به لان مناط اطمنانهم اتما هو وقوفهم على ان المراد بالآيتين هو الايمان الا دعائى لا الحقيقى الموجب لاستجابة الاستجبال المستلزمة لامتناع النهي عنه لما ان لئس عن الشيء يقتضى إمكانه فى الجهة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهي عن الاستجبال المستلزم لامكانه المتقضى لعدم وقوع الاستجبال بعد ولا يختلف ذلك باختلاف الاستجبال كاشا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استجبالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب النوعى للكفرة خاصة لكن الذى يقتضى بدال العجز والتنزيل انه خاص بالكفرة كما استغف عليه ولما كان استجبالهم ذلك من نتائج اشراكهم للسمع بالنسبة لله عز وجل الى المايلين به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان احدا يحجزه عن نجا زعمه واضعاء وعيده وقد قالوا فى تضاعفه ان صح محيى العذاب فالاصنام تخلصنا عنه

بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستئناف (سبحانه وتعالى عايشركون) (٤٢٤) اى تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدى

الى صدور امثال هذا لا باطل
عنهم اوعن ان يكون له شريك
في دفع ما اراد بهم بوجه من
الوجود وصيغة الاستقبال
للدلالة على تيميد اشراكهم
واستمراره والالتفات الى الغيبة
للايدان باقتضاه ذكر قباضهم
للاعراض عنهم وطرحهم عن
رتبة الخطاب وحكاية شنائهم
لفيهم وعلى تقدير تخصيص
الخطاب بالمؤمنين تقوت هذه
التكئة كما يقوت ارتباط المسمى
عنه بانزعه عنه وقرئ على
صيغة الخطاب (ينزل الملائكة)
بيان لقسم التوحيد حسابيه
عليه تنبيه اجاليا ببيان قدس
جناب الكبرياء وتعالى عن ان
يضم حوله شائبة ان يشاركه
شي في شيء وايذان باندين اجم
عليه جمهور الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وامروا بدعوى الناس
اليه مع الاشارة الى سرالجنة
والتفريع وكيفية لقاء الوحي
والتنبيه على طريق علم الرسول
عليه الصلاة والسلام بآيات ما
اوعدهم به باقترابه اراحة
الاستبعادهم اختصاصه عليه
الصادة والسلام بذلك واظهار
لبطلان رأيهم في الاستقبال
والتكذيب وابشار صيغة
الاستقبال للاشعار بأن ذلك
عادة مستمرة له سبحانه والمراد
بالملائكة اما جبريل عليه السلام
قال الواحدى يسمى الواحد
بالجمع اذا كان ريسا وهو من
معه من حفظة الوحي باسرا لله
تعالى وقرئ ينزل من الانزال
وتنزل بخلاف احدى التاءين
وعلى صيغة المبني للمفعول من
التنزيل (بالروح) اى بالوحي
الذى من جهلته

اذا عرفت هذا فنقول لانعلم كون جبريل عليه السلام صادقا معصوما عن الكذب
والتليس الا بالدلائل السمعية وصحة الدلائل السمعية موقوفة على ان محمدا صلى الله عليه
وسلم صادق وصدقه يتوقف على ان هذا القرآن مجز من قبل الله تعالى لا من قبل شيطان
خيثو العالم بذلك يتوقف على العلم بأن جبريل صادق بحق مبرأ عن التليس وعن افعال
الشيطان وجبئ يلزم الدور فهذا مقام صعب اما اذا عرفنا حقيقة النبوة وعرفنا حقيقة
الوحي زالت هذه الشبهة بالكلية والله اعلم (المسئلة الرابعة) هذه الآية تدل على ان
الروح المشار اليها بقوله ينزل الملائكة بالروح من امره ليس الا مجرد قوله لا اله الا انا
فاتقون وهذا كلام حق لان مراتب السعادات البشرية اربعة اولها النفسانية وثانيها
البدنية وفي المرتبة الثالثة الصفات البدنية التى لا تكون من الوازم وفي المرتبة الرابعة
الامور المنفصلة عن البدن (اما المرتبة الاولى) وهى الكمالات النفسانية فاعلم ان
النفس لها قوتان احدهما استعدادها لقبول صور الموجودات من عالم الغيب وهذه
القوة هى القوة السماسة بالقوة النظرية وسعادة هذه القوة فى حصول المعارف واشرف
المعارف واجلها معرفة انه لا اله الا هو واليه الاشارة بقوله ان اندروائه لا اله الا انا
والقوة الثانية للنفس استعدادها للتصرف فى اجسام هذا العالم وهذه القوة هى القوة
سماسة بالقوة العملية وسعادة هذه القوة فى الايمان بالاعمال الصالحة واشرف
الاعمال الصالحة هو عبودية الله تعالى واليه الاشارة بقوله فاتقون ولما كانت القوة
النظرية اشرف من القوة العملية لاجرم قدم الله تعالى كالات القوة النظرية وهى قوله
لا اله الا انا على كالات القوة العملية وهى قوله فاتقون (واما المرتبة الثانية) وهى
السعادات البدنية فهى ايضا قسمان الصحة الجسدية وكالات القوى الجسدية
اعنى القوى السبع عشرة البدنية (واما المرتبة الثالثة) وهى السعادات المتعلقة
بالصفات العرضية البدنية فهى ايضا قسمان سعادة الاصول والفروع اعنى كمال حال
الآباء وكمال حال الاولاد (واما المرتبة الرابعة) وهى اخس المراتب فهى السعادات
الحاصلة بسبب الامور المنفصلة وهى المال والجاه فثبت ان اشرف مراتب السعادات
هى الاحوال النفسانية وهى محصورة فى كالات القوة النظرية والعملية فلهذا السبب
ذكر الله ههنا اعلى حال هاتين القوتين فقال ان اندروائه لا اله الا انا فاتقون * قوله
تعالى (خلق السموات والارض بالحق تعالى عايشركون) اعلم انه تعالى لما بين فيما سبق
ان معرفة الحق لذاته وهى المراد من قوله انه لا اله الا انا ومعرفة الخير لاجل العمل به
وهى المراد من قوله فاتقون روح الارواح ومطلع السعادات ومنبع الخيريات
والكرامات اتبعه بذكر الدلائل على وجود الصانع الاله تعالى وكمال قدرته وحكمته
واعلم اننا ان دلائل الالهيات اما التمسك بطريقة الامكان فى الذوات او فى الصفات
او التمسك بطريقة الحدوث فى الذوات او فى الصفات او بمجموع الامكان والحدوث

القرآن على نهج الاستعارة فانه يحى القلوب الميتة بالجمال ويقوم في الدين مقام الروح في الجسد والبالغة بالفعل وما هو حال من معقوله اى ملتبيين بالروح (من امره) بيان للروح الذى اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اى حال كونه ناشئا ومبتدأ منه او وصفه له على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى بالروح الكائن من امره النسائي منه او متعلق بيزل ومن للسببية كالإمتثال ما في قوله تعالى عما خطبتم اى يتزلهم بأمره (على من يشاء من عباده) ان يتزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك (ان انذروا) بدل من الروح اى يتزلهم ملتبيين بأن انذروا اى بهذا القول والخاصة بهم بالانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم والامر هو الله سبحانه والملائكة تقىه للامر كما يشعر به الباء في المبدل منه وان اما حقيقة من ان وصية الشأن الذى هو انهما محذوف اى يتزلهم ملتبيين بأن الشأن اقول لكم انذروا او مضرة على ان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كما قيل يقول بواسطة الملائكة من يشاء من عباده انذروا فلاحل لهما من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلته انشائية كما في قوله تعالى وان اقم وجهك حسبا ذكر في اوائل سورة هود فعلها الجرح على البدلية ايضا والانتذار الاعلام خلالة مختص باعلام المحذور من نذر بالشئ اذ اعلمه فيحذره

في الذوات او الصفات فهذه طرق ستة والطريق المذكور في كتاب الله تعالى المنزل هو التمسك بطريقة حدوث الصفات وتغيرات الاحوال ثم هذا الطريق يقع على وجهين (احدهما) ان تمسك بالظاهر فالظاهر مترقيا الى الاخفى فالاخفى وهذا الطريق هو المذكور في اول سورة البقرة فانه تعالى قال اعبدوا ربكم الذى خلقكم فجعل تعالى تغير احوال نفس كل واحد دليلا على احتياجه الى الخالق ثم ذكر عقبيه الاستدلال بأحوال الآباء والامهات واليه الاشارة بقوله والذين من قبلكم ثم ذكر عقبيه الاستدلال بأحوال الارض وهى قوله الذى جعل لكم الارض فراشالان الارض اقرب اليامن السماء ثم ذكر في المرتبة الرابعة قوله والسماء بناء ثم ذكر في المرتبة الخامسة الاحوال المتولدة من تركيب السماء بالارض فقال واتزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم (الثاني من الدلائل القرآنية) ان يتحجج الله تعالى بالاشرف فالاشرف نازل الى الادون فالادون وهذا الطريق هو المذكور في هذه السورة وذلك لانه تعالى ابتدأ في الاحتجاج على وجود الاله المتنازلة كرا الاجرام العالية الفلكية ثم نبى بذكر الاستدلال بأحوال الانسان ثم ثلث بذكر الاستدلال بأحوال الحيوان ثم رابع بذكر الاستدلال بأحوال النبات ثم خمس بذكر الاستدلال بأحوال العناصر الاربعة وهذا الترتيب في غاية الحسن اذا عرفت هذه المقدمة فنقول (النوع الاول) من الدلائل المذكورة على وجود الاله الحكيم الاستدلال بأحوال السموات والارض فقال خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض ان لفظ الخلق من كم وجه يدل على الاحتياج الى الخالق الحكيم والباس بأن تعبد تلك الوجوه ههنا فنقول الخلق عبارة عن التقدير بمقدار مخصوص وهذا المعنى حاصل في السموات من وجوه (الاول) ان كل جسم متناه بجسم السماء متناه وكل ما كان متناهيا في الجرم والقدر كان اختصاصه بذلك القدر المعين دون الازيد والانقص امرا جازئا وكل جائز فلا بد له من مقدور مخصص وكل ما كان مفتقرا الى الغير فهو محدث (الثاني) وهو ان الحركة الازلية متعنة لان الحركة تقتضى المسبوقية والغير والازل نافية فالجمع بين الحركة والازل محال اذا ثبت هذا فنقول اما ان يقال ان الاجرام والاجسام كانت معدومة في الازل ثم حدثت او يقال انها وان كانت موجودة في الازل الا انها كانت ساكنة ثم تحركت وعلى التقديرين فلحركاتها اول حدوث الحركة من ذلك المبدأ دون ما قبله او ما بعده خلق وتقديره فوجب افتقاره الى مقدور خالق ومخصص له (الثالث) ان جسم الفلك مركب من اجزاء بعضها حصلت في عمق جرم الفلك وبعضها في سطحه والذي حصل في العمق كان يعقل حصوله في السطح وبالعكس واذا ثبت هذا كان اختصاص كل جزء بموضع المعين امرا جازئا فيفتقر الى المخصص والمقدورية الوجوه المذكورة في اول سورة الانعام واعلم انه سبحانه لما احتج بالخلق والتقدير على حدوث

والسموات والارض قال بعده تعالى عما يشركون والمراد ان القائلين يقدم السموات والارض كأنهم اتبوا الله شريكا في كونه قديما ازليا فزه نفسه عن ذلك وبين انه لا يقدم الا هو وبهذا البيان ظهر ان القائدة المطلوبة من قوله سبحانه وتعالى عما يشركون في اول السورة غير القائدة المطلوبة من ذكر هذه الكلمة ههنا لان المطلوب هناك ابطال قول من يقول ان الاصنام تشفع للكفار في دفع العقاب عنهم والمقصود ههنا ابطال من يقول الاجسام قديمة والسموات والارض ازلية فزه الله سبحانه نفسه عن ان يشركه غيره في الازلية والقدم والله اعلم * قوله تعالى (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) اعلم ان اشرف الاجسام بعد الافلاك والكواكب هو الانسان فلما ذكر الله تعالى الاستدلال على وجود الاله الحكيم بأجرام الافلاك اتبعه بذكر الاستدلال على هذا المطلوب بالانسان واعلم ان الانسان مركب من بدن ونفس فقوله تعالى خلق الانسان من نطفة اشارة الى الاستدلال ببدنه على وجود الصانع الحكيم وقوله فاذا هو خصيم مبين اشارة الى الاستدلال بأحوال نفسه على وجود الصانع الحكيم اما الطريق الاول فتقريره ان نقول لاشك ان النطفة جسم متشابه الاجزاء بحسب الحس والمشاهدة الا ان من الأطباء من يقول انه يختلف الاجزاء في الحقيقة وذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع فان الغذاء يحصل له في المعدة هضم اول وفي الكبد هضم ثان وفي العروق هضم ثالث وعند وصوله الى جواهر الاعضاء هضم رابع ففي هذا الوقت وصل بعض اجزاء الغذاء الى العظم وظهريه اثر من الطبيعة العظمية وكذا القول في اللحم والعصب والعروق وغيرها ثم عند استيلاء الحرارة على البدن عند هيجان الشهوة يحصل ذوبان من جلة الاعضاء وذلك هو النطفة وعلى هذا التقدير تكون النطفة جعما مختلف الاجزاء والطبائع اذا عرفت هذا فنقول النطفة في نفسها اما ان تكون جعما متشابه الاجزاء في الطبيعة والماهية او مختلف الاجزاء فيها فان كان الحق هو الاول لم يجز ان يكون مقتضى تولد البدن منها هو الطبيعة الحاصلة في جوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تأثرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا علمت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعلها والكرة وعلى هذا الحرف عولوا في قولهم البسائط يجب ان تكون اشكالها الطبيعية في الكرة فلو كان مقتضى تولد الحيوان من النطفة هو الطبيعة لوجب ان تكون شكلها الكرة وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا ان مقتضى حدوث الابدان الحيوانية ليس هو الطبيعة بل فاعل مختار هو بخلق بالحكمة والتدبير والاختيار واما القسم الثاني وهو ان يقال النطفة جسم مركب من اجزاء مختلفة في الطبيعة والماهية فنقول بتقدير ان يكون الامر كذلك فانه يجب ان يكون تولد البدن منها بتدبير فاعل مختار حكيم وبانه من وجوه (الاول) ان النطفة رطوبية سريعة الاستحالة واذا كان كذلك كانت الاجزاء الموجودة فيها لتحتفظ الوضع

وانتدبه بالامر انذارا الى اعلم وحذره وخوفه في ابلاغه كذا في القاموس اى اعلموا الناس (انه لا اله الانا) فالضمير الشأن ومدار وضعه موضع ادعاء شهرته الغنية عن التصريح به وفائدة تصدر الجلبة به الايدان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الشأن منهم له خطر فيبقى الذهن متوقفا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشأن الخطير هذا وانباء مضمونه من الحذور ليس لذاته بل من حيث انصاف المنذرين بما يصاحبه من الاشرار وذلك كاف في كون اعلامه انذارا وقوله سبحانه (فاتقون) خطاب للمستعملين على طريقة الالتفات والفاء فصية اى اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتزليل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بأن ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلاص بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشرار وفروعه التي من جعلتها الاستعمال والاستزاد ولهد تمهيد الدليل السعي للتوحيد شرع في تحرير الادللة العقلية فقول (خلق السموات والارض بالحق) اى اوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفسائي والخط اللائقي (تعالى) وتقصد بذاته لاسما بأفضاله التي من جعلتها ابداع هذين المخلوقين (عما يشركون) عن اشراكهم للمهود وعن شركة

ما يشركونه من

الباطل الذي لا يبدى ولا يعيد
 ويبد ما به على صنعه الكلى
 المنطوى على تفاصيل مخلوقاته
 شرع في تعداد ما فيه من خلقاته
 فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال
 (خلق الانسان) اى هذا النوع
 غير القرء الاول منه (من نطفة)
 جاد لا حس له ولا حراك سيال
 لا يحفظ شكله ولا وضعه (فاذا هو)
 بعد الطلق (خصيم) منطيق
 مجادل من نفسه متناكب للخصوم
 (مبين) لمحجته لقن بها وهذا
 انصب مقام الامتنان بعبادة القدرة
 على الاستدلال بذلك على قدرته
 تعالى ووحدته او غصام لما قلناه
 منكره قائل من يحسى العظام
 وهى رميم وهذا السب مقام
 تعداد هزات الكفرة روى
 انه ابن خلف الجسمى اقرى الله
 عليه السلام بعظم رميم فقال
 يا محمد اترى الله تعالى يحسى هذا
 بعد ما قدم فقولت (والانعام)
 وهى الازواج الثمانية من الابل
 والبقرة والضأن والماعز واتصافها
 بخضرة يشمره قوله تعالى (خضرة)
 اوباللفظ على الانسان وما بعده
 بيان ما خلق لاجله والذي بعده
 تفصيل لذلك وقوله تعالى
 (لكم) امامتكم بخلقها وقوله
 (فيها) خير مقدم وقوله (دفع)
 مبتدأ وهو ما يدفعه فيمنع من البرد
 والجملة حال من المفعول او الظرف
 الاول خبر للمبتدأ المذكور
 وفيها حال من دفع اذ لو تأخر
 لكان صفة (ومنافع) هى
 درهاور كونهما وجلهما والحراثة
 لهما وغير ذلك وانما عبر عنها
 بهما ليتناول الكل مع انه الانصب
 بتمام الامتنان بالتم وتقديم
 الدفع على المناقح

والنسبة فالجزء الذى هو مادة الدماغ يمكن حصوله فى الاسفل والجزء الذى هو مادة القلب
 قد يحصل فى الفوق واذا كان الامر كذلك وجب ان لا تكون اعضاء الحيوان على هذا
 الترتيب المعين امرا دائما ولا كثيرا وحيث كان الامر كذلك علمنا ان حدوث هذه الاعضاء
 على هذا الترتيب الخاص ليس بالابتدبير الفاعل المختار الحكيم (والوجه الثانى) ان النطفة
 بتقدير انها جسم مركب من اجزاء مختلفة الطبائع الا انه يجب ان ينتهى تحليل تركيبها الى
 اجزاء يكون كل واحد منها فى نفسه جمعا بسيطا واذا كان الامر كذلك فلو كان المدبر
 لها قوة طبيعية لكان كل واحد من تلك البسائط يجب ان يكون شكله هو الكرة فكان
 يلزم ان يكون الحيوان على شكل كرات مضغوطة بعضها الى بعض وحيث لم يكن الامر
 كذلك علمنا ان مدبر ابدان الحيوانات ليس هى الطبائع ولا تاثيرات الانجم والافلاك
 لان تلك التأثيرات متشابهة فعملنا ان مدبر ابدان الحيوانات فاعل مختار حكيم وهو المطلوب
 هذا هو الاستدلال بابدان الحيوانات على وجود الاله المختار وهو المراد من قوله
 سبحانه وتعالى خلق الانسان من نطفة واما الاستدلال على وجود الصانع المختار الحكيم
 بأحوال النفس الانسانية فهو المراد من قوله فاذا هو خصيم مبين وفيه مسائل (المسئلة
 الاولى) فى بيان وجه الاستدلال وتقريره ان النفوس الانسانية فى اول الفطرة اقل فهما
 وذكاء وفطنة من نفوس سائر الحيوانات الا ترى ان ولد الدجاجة كما يخرج من قشر
 البضعة بميز بين العدو والصديق فيهرب من الهرة ويلجئ الى الام ويميز بين الغذاء الذى
 يوافقه والغذاء الذى لا يوافقه واما ولد الانسان فانه حال انفصاله عن بطن الام لا يميز البينة
 بين العدو والصديق ولا بين الضار والنافع فظهر ان الانسان فى اول الحدوث انقص حالا
 واقل فطنة من سائر الحيوانات ثم ان الانسان بعد كبره يقوى عقله ويعظم فهمه وبصير
 بحيث يقوى على مساحة السموات والارض ويقوى على معرفة ذات الله وصفاته وعلى
 معرفة اصناف المخلوقات من الارواح والاجسام والفلكيات والعنصرىات ويقوى على
 اراد الشبهات القوية فى دين الله تعالى والخصومات الشديدة فى كل المطالب فانقال
 نفس الانسان من تلك البلادة المفرطة الى هذه الكياسة المفرطة لا بد وان يكون بتدبير
 اله مختار حكيم بقل الارواح من نقصانها الى كالاتها ومن جمالاتها الى معارفها
 بحسب الحكمة والاختيار فهذا هو المراد من قوله سبحانه وتعالى خلق الانسان من
 نطفة فاذا هو خصيم مبين واذا عرفت هذه الدقيقة امكنك التنبيه لوجوه كثيرة (المسئلة
 الثانية) انه تعالى انما يخلق الانسان من النطفة بواسطة تغيرات كثيرة مذكورة
 فى القرآن العزيز منها قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة
 فى قرار مكين الا انه تعالى اختصر هنا لاجل ان ذلك الاستقصاء مذكور فى سائر
 الآيات وقوله فاذا هو خصيم مبين فيه بحثان (الاول) قال الواحدى اخصيم بمعنى
 الخصام قال اهل اللغة خصيم الذى يخاصمك وفعل بمعنى مفاعل معروف كالنسيب

بمعنى المناسب والعشير بمعنى المعاشر والاكيل والشريب ويجوز ان يكون خصيم فاعلا من خصيم يخصم بمعنى اختصم ومنه قراءة حزة تأخذهم وهم يخصمون (البحث الثاني) لقوله فاذا هو خصيم مين وجهان (احدهما) فاذا هو منطبق يجادل عن نفسه منازع الخصوم بعد ان كان نطفة قدرة وجادا لاحس له ولا حركته والمقصود منه ان الانتقال من تلك الحالة الخسيسة الى هذه الحالة العالية الشريفة لا يحصل الابتدير مدبر عليهم حكيم (والثاني) فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحى العظام وهى رميم والغرض منه وصف الانسان بالافراط في الوقاحة والجمل والتخادى في كفران النعمة والوجه الاول اوفق لان هذه الآيات مذكورة لتقريب وجه الاستدلال على وجود الصانع الحكيم للتقريب وقاحة الناس وتماديهم في الكفر والكفران * قوله تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفا ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جبال حين تريحون وحين تصرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان اشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلى بعد الانسان سائر الحيوانات لاختصاصها بالقوى الشريفة وهى الخواص الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب ثم هذه الحيوانات قسمان منها ما ينفع الانسان بها ومنها ما لا يكون كذلك والقسم الاول اشرف من الثاني لانه لما كان الانسان اشرف الحيوانات وجب في كل حيوان يكون انتفاع الانسان به اكل واكثر ان يكون اكل واشرف من غيره ثم نقول والحيوان الذى ينفع الانسان به امان ينفعه في ضروريات معيسته مثل الاكل واللبس او لا يكون كذلك وانما ينفعه في امور غير ضرورية مثل الزينة وغيرها والقسم الاول اشرف من الثاني وهذا القسم هو الانعام فلهذا السبب بدأ الله بذكره في هذه الآية فقال والانعام خلقها لكم واعلم ان الانعام عبارة عن الازواج الثمانية وهى الضأن والمز والابل والبق وقد يقال ايضا الانعام ثلاثة الابل والبق والغنم قال صاحب الكشف واكثر ما يقع هذا اللفظ على الابل وقوله والانعام منصوبة واتصافها بمضمر يفسره الظاهر كقوله تعالى والقر قدرناه منازل ويجوز ان يعطف على الانسان اى خلق الانسان والانعام قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ وقال لكم فيها دفا ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ وقال فيها دفا قال صاحب النظم احسن الوجوه ان يكون الوقف عند قوله خلقها والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جبال والتقدير لكم فيها دفا ولكم فيها جبال (المسئلة الثانية) انه تعالى لما ذكر ان خلق الانعام للمكفنين اتبعه بتعدي تلك المنافع واعلم ان منافع النعم منها ضرورية ومنها غير ضرورية والله تعالى بدأ بذكر المنافع الضرورية فلنفعه الاولى قوله لكم فيها دفا وقد ذكر هذا المعنى في آية اخرى فقال ومن اصوافها واوبارها واشعارها والدفا عند اهل اللغة ما يستفاد به من

لرعاية اسلوب الترقى الى الاملى (و) منها تأكلون) اى تأكلون ما يؤكل منها من العوم والشعور وغير ذلك وتفسير النظم للاعياء الى التلباتى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدفا والمنافع والجمال يحصل منها وهى باقية على حالها ولذلك جعلت محال لها بخلاف الاكل وتقديم الطر فلالبيان بأن الاكل منها هو المتعاد المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من السباح والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه سرعة القواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الخبواب والخبز المأكولة تكتسب بأكراة الابل وبأمان تناجها واللبان وجلودها (ولكم فيها) مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جبال اى زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم (حين تريصون) تردونها من مراعيها الى مراعيها بالشقى (وحين تصرحون) تخرجونها بالعداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية القواصل وتعين الوقتين لان ما يدور عليه اسراجال من تزين الانسية والاكناف بها وتجاوب ثغلاها ورغلاها اغماها عند ورودها وصودورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعى فيقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الراحة على السرح لتقديم الورود على الصدور وكونها التاهر

الاكسية قال الاصمعي وبكون الدفء السخونة يقال اقدف هذا الخائط اى
في كنهه وقرئ دفي بطرحا لهزة والفاء حركتها على الفاء والمنفعة الثانية قوله ومنافع
قالوا المراد نسلها ودرها وانما عبر الله تعالى عن نسلها ودرها بلفظ المنفعة وهو اللفظ
الدال على الوصف الاعم لان النسل والدر قد ينفع به في الاكل وقد ينفع به في البع
بالتقود وقد ينفع به بأن يبدل بالشباب وسائر الضروريات فعبّر عن جملة هذه الاقسام
بلفظ المنافع ليتناول الكل والمنفعة الثالثة قوله ومنها تأكلون فان قيل قوله ومنها
تأكلون يفيد الحصر وليس الامر كذلك فانه قد يؤكل من غيرها وايضا منفعة الاكل
مقدمة على منفعة اللبس فلم اخر منفعته في الذكر قلنا الجواب عن الاول ان الاكل منها
هو الاصل الذي يعتمد عليه الناس في معاشهم واما الاكل من غيرها كالدرج والبط
وصيد البر والبحر فيشبه غير المعتاد وكما يجارى مجرى التفكه ويحمل ايضا ان غالب
اطعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر والحب والثمار التي تأكلونها منها وايضا تكتسبون
بأكره الابل وتنفقون بألبانها وتاجها وجلودها وتشترون بها جميع اطعمتكم والجواب
عن السؤال الثاني ان الملابس اكثر بقاء من الطعام فلماذا قدمه عليه في الذكر (واعلم)
ان هذه المنافع الثلاثة هي المنافع الضرورية الحاصلة من الانعام واما المنافع الحاصلة
من الانعام التي هي ليست بضرورية فأمور (المنفعة الاولى) قوله تعالى ولكم فيها مجال
حين ترعىون وحين تسرحون الراحة رد الابل بالعشى الى مراحيها حيث تأوى اليه
ليلا ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرمى قال اهل اللغة هذه
الراحة اكثر ما تكون ايام الاربعة اذا سقط الغيث وكثر الكلا وخرجت العرب للجمعة
واحسن ما يكون النعم في ذلك الوقت واعلم ان وجه التجميل بها ان الراعى اذا روجها
بالعشى وسرحها بالغداة تربت عند تلك الراحة والتسريح الاقية وتجواب فيها
الثغاء والرغاء وفرحت اربابها وعظم وقعهم عند الناس بسبب كونهم مالكين لها فان
قبل لم قدمت الراحة على التسريح قلنا لان الجمال في الراحة اكثر لانها تقبل ملائ
البطون حافلة الضروريات ثم اجتمعت في الحظائر حاضرة لاهلها بخلاف التسريح فانها
تند خروجهما الى المرمى تخرج جائعة عادمة الابن ثم تأخذ في التفرق والانتشار فظهر ان
الجمال في الراحة اكثر منه في التسريح (والمنفعة الثانية) قوله وتحمل اثقالكم الى البلد
لم تكونوا بالفيه الانفس ان ركبكم لرؤف رحيم وفيه مشتلان (الاولى) الاثقال
جمع ثقل وهو متاع المسافر لم تكونوا بالفيه الايشق الانفس قال ابن عباس يريد من مكة
الى المدينة او الى اليمن او الى الشام او الى مصر قال الواحدي هذا قوله والمراد كل بلد
لو تكلفتم بلوغه على غير ابل لشق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لان متاجرا اهل مكة
كانت الى هذه البلاد وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وقبحها واكثر القراء على كسر
الشين والشق المشقة والشق نصف الشيء وحل اللفظ ههنا على كلا المعنيين جائز فان

منه في استتباع ما ذكر من الجبال
وام في استتباع الانس والبهيمة
اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال
بعد ادبار على احسن ما يكون
ملائى البطون مرتفعة الضلوع
حافلة الضروريات وقرئ حين
ترعىون وحين تسرحون على
ان كلا الفعلين وصف لنا معنى
ترعىون فيه وتسرحون فيه
(وتحمل اثقالكم) جمع ثقل
وهو متاع المسافر وقيل اثقالكم
اجرامكم (الى البلد) قال ابن عباس
رضي الله عنه اريد به اليمن ومصر
والشام ولعله نظر الى انها متاجر
اهل مكة وقال عكرمة اريد به
مكة ولعله نظر الى ان اقاليمهم
واجالهم عند القول من متاجرهم
اكثر وحاجتهم الى الجمل والانس
والظواهر انه عام لكل بلد
هقيق (لم تكونوا بالفيه) واصلين
اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال
لولا الابل (الابيشق الانفس)
فضلا عن انقصها بكم وقرئ
بفتح الشين وهما لفنان بمعنى
الكلفة والمشقة وقيل المفتوح
مصدر من شق الامر عليه شقا
وحقيقته واجبة الى الشق الذي
هو الصدع والمكسور النصف
كأنه يذهب نصف القوة ثمانية
من الجهد فالاضافة الى الانفس
بجناية او على تقدير مضاف اى
الابيشق قوى الانفس وهو استثناء
مفرغ من اعم الاشياء اى لم
تكونوا بالفيه بشئ من الاشياء
الابيشق الانفس ولعل تغيير
اللفظ الكريم السابق الدال على
كون الانعام مددرا للنعم السابقة
الى الجمل الفلية الفسيدة لمجرد
الحدوث للاشارة بان هذه النعمة

جلناه على المشقة كان المعنى لم تكونوا بالغية الا بالمشقة وان جلناه على نصف الشئ كان المعنى لم تكونوا بالغية الا عند ذهاب النصف من قوتكم أو من بدنتكم ورجع عند التحقيق الى المشقة ومن الناس من قال المراد من قوله والانعام خلقها الا بل فقط بدليل انه وصفها في آخر الآية بقوله وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغية وهذا الوصف لا يليق الا بالابل قلنا المقصود من هذه الآيات تعديد منافع الانعام فبعض تلك المنافع حاصلة في الكل وبعضها مختص والدليل عليه ان قوله ولكم فيها جبال حاصلة في البقر والغنم مثل حصوله في الابل والله اعلم (المسئلة الثانية) احتج منكم وكرامات الاولياء بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على ان الانسان لا يمكنه الانتقال من بلد الى بلد الا بشق الانفس وحمل الاثقال على الجبال ومثبتوا الكرامات يقولون ان الاولياء قد ينتقلون من بلد الى بلد آخر بعيد في ليلة واحدة من غير تعب وتحمل مشقة فكان ذلك على خلاف هذه الآية فيكون باطلا ولما بطل القول بالكرامات في هذه الصورة بطل القول بهافي سائر الصور لانه لا قائل بالفرق وجوابه انا نخصص عموم هذه الآية بالادلة الدالة على وقوع الكرامات والله اعلم ﴿ قوله ﴾ (واخيل والبالغ والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) اعلم انه تعالى لما ذكر منافع الحيوانات التي ينفع الانسان بها في المنافع الضرورية والحاجات الاصلية ذكر بعده منافع الحيوانات التي ينفع بها الانسان في المنافع التي ليست بضرورية فقال واخيل والبالغ والحمير لتركبوها وزينة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله واخيل والبالغ والحمير عطف على الانعام اي وخلق الانعام لكذا وكذا وخلق هذه الاشياء للركوب وقوله وزينة اي وخلقها زينة ونظيره قوله تعالى 'ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظنا المعنى وحفظناها حفظا قال ان جاج نصب قوله وزينة على انه مفعول له والمعنى وخلقها للزينة (المسئلة الثانية) احتج القائلون بتحريم لحوم الخيل بهذه الآية فقالوا منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو كان اكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى اولي بالذكر وحيث لم يذكر الله تعالى علنا انه يحرم اكله ويمكن ايضا ان يقول هذا الاستدلال من وجه آخر فيقال انه تعالى قال في صفة الانعام ومنها تأكلون وهذه الكلمة تفيد الحصر فيقتضي ان لا يجوز الاكل من غير الانعام فوجب ان يحرم اكل لحم الخيل بمقتضى هذا الحصر ثم انه تعالى بعد هذا الكلام ذكر الخيل والبالغ والحمير وذكر انها مخلوقة للركوب فهذا يقتضي ان منفعة الاكل مخصوصة بالانعام وغير حاصلة في هذه الاشياء ويمكن الاستدلال بهذه الآية من وجه ثالث وهو ان قوله لتركبوها يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلاثة هو الركوب والزينة ولو حل اكلها لما كان تمام المقصود من خلقها هو الركوب بل كان حل اكلها ايضا مقصودا وحيث نخرج جواز ركوبها عن ان يكون تمام المقصود بل يصير بعض المقصود واجاب الواحدى بجواب في غاية الحسن فقال لودلت هذه الآية على

ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشئ وللادوات والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشأ وخاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلين فيها للتجارة وغيرها في الحايين غير مطردة واماسائر النعم المحدودة فوجوده في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة الخاطئين دائما وفي عامة الاوقات (ان ربكم لرؤف رحيم) ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور المشاقة (واخيل) هو اسم جنس للغرس لا واخذله من نطفه كالا بل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل (والبالغ والحمير لتركبوها) تعليل بعظم منافعها والا فالاستغناء بالحل ايضا لا اريب في تحققة (وزينة) عطف على محل تركبوها وتجريده عن اللام لكونه فصلا لفاعل الفعل الملل دون الاول وتأخير مكمون الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتزينا بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا او فاعلا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعولا اي تزينا بها او تزينا بها (ويخلق ما لا تعلمون) اي يخلق في الدنيا غير ما عد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعبدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد والاستحضار الصورة او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس

تحريم اكل هذه الحيوانات لكان تحريم اكلها معلوما في مكة لاجل ان هذه السورة
مكية ولو كان الامر كذلك لكان قول عامة المفسرين والمحدثين ان لحوم الجر الاهلية
حرمت عام خيرا باطلا لان التحريم لما كان حاصل قبل هذا اليوم لم يبق تخصيص هذا
التحريم بهذه الشبهة فائدة وهذا جواب حسن متين (المسئلة الثالثة) القائلون بأن
افعال الله تعالى معاملة بالمصالح والحكم احتجوا بظاهر هذه الآية فانه يقتضي ان هذه
الحيوانات مخلوقة لاجل المنفعة الفلانية ونظيره قوله كتاب ائتنا اليك لتخرج الناس
من الظلمات الى النور وقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والكلام فيه معلوم
(المسئلة الرابعة) لقائل ان يقول لما كان معنى الآية انه تعالى خلق الخيل والبغال
والحمير لتزكوها ولجعلها زينة لكم فترك هذه العبارة وجوابه انه تعالى لو ذكر هذا
الكلام بهذه العبارة لصار المعنى ان التزينة بما احدث الامور المعتبرة في المقصود وذلك غير
جائز لان التزينة بالشيء يورث المحبب والنبه والتكبر وهذه اخلاق مذمومة والله تعالى
نهى عنها وزجر عنها فكيف يقول انى خلقت هذه الحيوانات لتحصي هذه المعاني بل قال
خلقها لتزكوها قد نفوا عن انفسكم بواسطتها ضرر الاعياء والمشقة واما التزينة بها
فهو حاصل في نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات فهذا هو الفائدة في اختيار هذه
العبارة واعلم انه تعالى لما ذكر اول احوال الحيوانات التي يتنفع الانسان بها تنافعا
ضروريا وثانيا احوال الحيوانات التي يتنفع الانسان بها تنافعا غير ضروري بقى القسم
الثالث من الحيوانات وهي الاشياء التي لا يتنفع الانسان بها في الغالب فذكرها على سبيل
الاجال فقال ويخلق ما لا تعلمون وذلك لان انواعها واصنافها واقسامها كثيرة خارجة
عن الحد والاحصاء ولو خاض الانسان في شرح عجائب احوالها لكان المذكور بعد
كتابة المجلدات الكثيرة كالقطرة في البحر فكان احسن الاحوال ذكرها على سبيل
الاجال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية وروى عطاء ومقاتل والضحك عن ابن عباس
انه قال ان علي بن العرش نهر من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار
السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر ويقتل فيرد دونه الى نوره وجبال الى
جباله ثم ينتفض فيخلق الله من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم
كل يوم سبعون الفا اليه المعمور وفي الكعبة ايضا سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى
ان تقوم الساعة * قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) ومنها جاز ولو شاء لهذا كم اجعبن
اعلم انه تعالى لما شرح دلائل التوحيد قال وعلى الله قصد السبيل اي انما ذكرت هذه
الدلائل وشرحتها ازا حجة لعدو وازالة لعلل لبطل من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى القصد استقامة الطريق يقال طريق
قصد وقاصدا اذا ادلك الى مطلوبك اذا عرفت هذا ففي الآية حذف والتقدير وعلى الله
بان قصدا السبيل ثم قال ومنها جازى عادل مائل ومعنى الجوز في اللغة الميل عن الحق

من شأنكم ان تعلو وهو ما اشد
اليه بقوله عليه الصلاة والسلام
حكاية عن الله تعالى اعددت
لعبادى الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر ويحجز ان يكون هذا
اخبارا بأنه سبحانه يخلق من
بلائنا ما لا علم لنا به دلالة على
قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد
كعبته الباطنة والظاهرة من
ابن عباس رضى الله عنهما ان
من عين العرش نهرا من نور
مثل السموات السبع والارضين
السبع والبحار السبعة يدخل
فيه جبريل عليه السلام كل سحر
فيقتل فيزداد نورا الى نور
وجبالا الى جبال وعظما الى
عظم ثم ينتفض فيخلق الله تعالى
من كل قطرة تقع من ريشه كذا
وكذا الف ملك يدخل منهم كل
يوم سبعون الف ملك اليه
للمعمور وسبعون الف ملك
الكعبة لا يعودون اليه الى يوم
القيامة (وعلى الله قصد السبيل)
القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال
سبيل قصد وقاصد اي مستقيم
على طريقة الاستعارة وعلى سبيل
استدخال سالكه اليه كأنه يقصد
الوجه الذى يؤمه السالك
لا يبدل عنه اى حق عليه سبحانه
وتعالى بموجب رجه ووعده
المحمود بيان الطريق المستقيم
الموصل الى يسلكه الى الحق الذى
هو التوحيد ينصب الادلة
وارسال الرسل وازال الكتب
لدعوة الناس اليه اومصدر
بمعنى الاقامة والتعديل فانه
ابوابه اى عليه عز وجل
تقومها وتعديلها اى جعلها بحيث
يصل سالكها الى الحق لكن

لا بد ما كانت في نفسها مفردة عنه بل ابتدعها ابتداء كذلك على نبح قوله سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته واجبة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لا يحصى ليعتدى بمناره وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتباً من جهتها الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق الهادي الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفضية الى عالم الهدى الخفية عن فيا في الضلالة ومعاوى الردى الا يرى كيف بين ولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشراك ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيتهم عن الاشراك ثم ذكر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافصال مرشدا الى طريقة الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بحيط العالم الجماعي ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض باق تعالى عما يشركون ثم فصل افعله المتعلق بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس الخاطئين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بداهم متعلق بما يشعرون ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد غيب بيان وتعديله لاجتناب كل ما راد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة

والكتابة في قوله ومنها جاثر تعود على السبيل وهي مؤنثة في لغة الجحاز يعني ومن السبيل ما هو جاثر غير فاصد للحق وهو انواع الكفر والضلال والله اعلم (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة دلت الآية على انه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية الى الدين وازاحة العلل والاعذار لانه تعالى قال وعلى الله قصد السبيل وكلمة على للوجوب قال تعالى والله على الناس حج البيت ودلت الآية ايضا على انه تعالى لا يضل احدا ولا يفويه ولا يصد عنه وذلك لانه تعالى لو كان فاعلا للضلال لقال وعلى الله قصد السبيل وعليه جاثرها او قال وعليه الجاثر فلما لم يقل كذلك بل قال في قصد السبيل انه عليه ولم يقل في جور السبيل انه عليه بل قال ومنها جاثر دل على انه تعالى لا يضل عن الدين احدا اجاب اصحابنا ان المراد على الله بحسب الفضل والكرم ان بين الدين الحق والمذهب الصحيح فاما ان بين كيفية الاغواء والاضلال فذلك غير واجب فهذا هو المراد والله اعلم (المسئلة الثالثة) قوله ولوشاء لهذا كرجعين يدل على انه تعالى ماشاء هداية الكفار وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تعني انشاء شيء لا تنفاه شيء غيره قوله ولوشاء لهذا كرجعين هدايتكم لهذا كرجعين يفيد انه تعالى ماشاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم وذلك يدل على المقصود واجاب الاصم عنه بان المراد لوشاء ان ينجيكم الى الايمان لهذا كرجعين وهذا يدل على ان مشيئة الاجام لم تحصل واجاب الجباي بان المعنى ولوشاء لهذا كرجعين الى الجنة والى نيل الثواب لكنه لا يفعل ذلك الا بين يستحقه ولم يرد به الهدى الى الايمان لانه مقدور جميع المكلفين واجاب بعضهم فقال المراد ولوشاء لهذا كرجعين الى الجنة ابتداء على سبيل التفضل الا انه تعالى عرفكم للزلة العظيمة بما نصب من الادلة وبين فمن تمسك بما قاربت تلك المنازل ومن عدل عنها فاته وصار الى العذاب والله اعلم واعلم ان هذه الكلمات قد ذكرناها مرارا واطوارا مع الجواب فلا فائدة في الاعادة * قوله تعالى (هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون ثبت لكم به الزرع واليتون والخيول والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يفكرون) اعلم ان اشرف اجسام العالم السفلى بعد الحيوان النبات فلما قرر الله تعالى الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بهما احوال الحيوانات اتبعه في هذه الآية بذكر الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بهما احوال احوال النبات واعلم ان الماء المنزل من السماء هو المطر واما ان المطر نازل من السحاب او من السماء فقد ذكرناه في هذا الكتاب مرارا والواصل ان ماء المطر قسمان احدهما هو الذي جعله الله تعالى شرابا لنا ولكل حي وهو المراد بقوله لكم منه شراب وقديين الله تعالى في آية اخرى ان هذه النعمة جليلة فقال وجعلنا من الماء كل شيء حي فان قيل افتقولون ان شرب الخلق ليس الامن المطر او تقولون قديكون منه وقديكون من غيره وهو الماء الموجود في قعر الارض اجاب القاضي بأنه تعالى بين ان المطر شرابا ولم ينف ان تشرب من غيره ولقائل ان يقول ظاهر الآية يدل على الحصر لان قوله لكم منه

(شراب)

النفس اليه وقوله تعالى (ومنها)

في محل الرفع على الابتداء لما باعتبار
مضمونه واما بتقدير الموصوف
كما في قوله تعالى ومنادون ذلك
وقدم في قوله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
الحق اي بعض السبل وبعض
من السبل فانها تؤنث وتذكر
(جاء) اي مائل عن الحق
مخوف عنه لا يوصل سالكه اليه
وهو طرق الضلال التي لا تكاد
يحصى عددها المدرج كلها
تحت الجائر وعلى الثاني نفس
السبل المستقيم والغير في منها
راجع اليها بتقدير المضاد اي ومن
جنسها لما عرفت من ان تعديل
السبل وتقويع ابداعه ابتداء
على وجه الاستقامة والعدالة
لا تقويعه بعد انصرفه وايما كان
فليس في النظم الكريم تفسير
الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما
قيل فان ذلك انما يكون فيما
اقتضى الظاهر سبكاً معيناً ولكن
يعدل عن ذلك لكنة اهم منه
كما في قوله سبحانه الذي يطعمني
ويسقين واذا مرمت فهو
يشفين فان مقتضى الظاهر ان
يقال والذي يسقيني ويشفين
ولكن غير ما عليه النظم الكريم
فما يراعى اسناد ما ذكره النفس اليه
سبحانه وليس المراد بيان قصد
السبل مجرد اعلام انه مستقيم
حتى يصح اسناده جائر اليه تعالى
فيحتاج الى الاعتذار عن عدم
ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد
لتفريق الاسلوب نكتة وقدين
فذلك في مواضع غير معدود بل
المراد ما من نصب الادلة لهداية
الناس اليه ولا يمكن لاسناد مثله

شرب بقيد الحصر لان مناه منه لامن غيره اذ انبت هذا فيقول لا يمنع ان يكون
الماء العذب تحت الارض من جلة ماء المطر يسكن هناك والدليل عليه قوله تعالى
في سورة المؤمنین واتزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض ولا يمنع ايضا
في غير العذب وهو البحر ان يكون من جلة ماء المطر والقسم الثاني من المياه
النازلة من السماء ما يحمله الله سبحانه لتكوين النبات واليه الاشارة بقوله ومنه
شجر فيه تسميون الى آخر الآية وفيه مباحث (البحث الاول) ظاهر هذه الآية
يقضي ان اسامة الشجر ممكنة وهذا انما يصح لو كان المراد من الشجر الكلا والعشب
وهنا قولان (الاول) قال الزجاج كل ما تب على الارض فهو شجر وأنشد

يلعنها الحيم اذا عر الشجر * يعني انهم يسقون الخيل اللبن اذا أجذبت الارض وقال
ابن قتيبة في هذه الآية المراد من الشجر الكلا وفي حديث عكرمة لاناً كانوا عن الشجر
فانه سميت الكلا ولقائل ان يقول انه تعالى قال والنجم والشجر يسجدان والمراد من
النجم ما ينجم من الارض ما يلبس له ساق ومن الشجر ما له ساق هكذا قال القسرون وبالجملة
فما عطف الشجر على النجم دل على التغاير بينهما ويمكن ان يجاب عنه بان عطف الجنس
على النوع وبالضد مشهور وايضا لفظ الشجر مشعر بالاختلاط بقول تشاجر القوم
اذا اختلف اصوات بعضهم ببعض وتشاجرت الريح اذا اختلفت وقال تعالى حتى
يحكموك فحاش الشجر بينهم ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلا فوجب جواز
اطلاق لفظ الشجر عليه (القول الثاني) ان الابل تقدر على رعي ورق الاشجار الكبار
وعلى هذا التقدير فلا حاجة الى ما ذكرناه في القول الاول (البحث الثاني) قوله في تسميون
أي في الشجر ترعون مواشكم يقال اسمت الماشية اذا خيلتها ترعى وسامت هي تسوم
سوما اذا رعت حيث شئت فهي سوام وسائمة قال الزجاج أخذ ذلك من السومة وهي
العلامة وتأويلها انها تؤثر في الارض برعيها علامات وقال غيره لانها تعلم للارسال في
الرعي وتام الكلام في هذا اللفظ قد ذكرناه في سورة آل عمران في قوله تعالى والخيول
المسومة اما قوله تعالى ينبت لكم به الزرع واليتون والنجيل والاعاب ففيه مباحث
(البحث الاول) هو ان النبات الذي ينبت الله من ماء السماء قسمان احدهما معد على
الانعام واسامة الحيوانات وهو المراد من قوله فيه تسميون والثاني ما كان مخلوقا لاكل
الانسان وهو المراد من قوله ينبت لكم به الزرع واليتون فان قيل انه تعالى بدأ في هذه
الآية بذكر ما يكون مرعى للحيوانات وأتبعه بذكر ما يكون غذاء للانسان وفي آية أخرى
عكس هذا الترتيب فبدأ بذكر ما كولا الانسان ثم بما رعاها مسائر الحيوانات فقال كانوا
وارعوا لانعماك فالفاضة فيه قلنا ما الترتيب المذكور في هذه الآية فينبه على ما كرم
الاخلاق وهو ان يكون اهتمام الانسان بمن يكون تحت يده اكل من اهتمامه بحال
نفسه واما الترتيب المذكور في الآية الاخرى فالقصد منه ما هو المذكور في قوله عليه

اليه تعالى بالنسبة الى الطريق
الجائر بأن يقال وجارها
حتى يصرف ذلك الاسناد منه
تعالى الى غيره لكتلة تستدعي
ولا توهمه منوهم حتى يقتضى
الحال دفع ذلك بأن يقال لا جائر لها
ثم يغير سبك النظم عن ذلك لداعيه
اقوى منه بل الجلة الظرفية
اعتراضية بحى لها لبيان الحاجة
الى البيان والتعديل والظهار
جلالة قدر النعمة في ذلك والمخى
على الله تعالى ببيان الطريق
المستقيم الموصل الى الحق
وتعديلهما ذكر من نصب الادلالة
ليسلكه الناس باختيارهم
ويصلوا الى المقصد وهذا هو
الهداية المنيرة بالدلالة على
ما يوصل الى المطلوب لا الهداية
المستزمنة للاعتناء بالثبات ذلك
عما ليس بحق على الله تعالى
لا بحسب ذاته ولا بحسب رجه
بل هو محل محكمته حيث
يستدعى تسوية الحسن والمسى
والمطيع والمصاصي بحسب
الاستعداد واليه اشير بقوله
تعالى (ولو شاء لهداكم اجمعين)
اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر
من التوحيد هداية موصلة اليه
البسة مستزمنة لاعتناءكم
اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشاء
لان مشيئة تايبة للحكمة الداعية
اليها ولا مكمية في تلك المشيئة
ان الذى عليه يدور ذلك التكليف
واليه ينسحب الثواب والعقاب
انما هو الاختيار الجزئى الذى
عليه يقرب الاعمال الى ما ينط
الجزء هذا هو الذى يقتضيه المقام
ويستدعيه حسن الانظام وقد
فسر كون قصد السبيل عليه تعالى
بانتهاه

السلام ابدأ بنفسك ثم بمن تعول (البحث الثانى) قرأ حاصم في رواية ابى بكر ثبت بالنون
على التفعيم والباقون بالياء قال الواحدى والبلاء اشبه بما تقدم (البحث الثالث) اعلم
ان الانسان خلق محتجا الى الغذاء والغذاء اما ان يكون من الحيوان او من النبات
والغذاء الحيوانى اشرف من الغذاء النباتى لان تولد اعضاء الانسان عند اكل اعضاء
الحيوان اسهل من تولدها عند اكل النبات لان المشابهة هناك اكل واتم والغذاء
الحيوانى انما يحصل من اسامة الحيوانات والسعى في نتيها بواسطة الرعى وهذا هو الذى
ذكره الله تعالى فى الاسامة واما الغذاء النباتى فمقتضى حبوب وفواكه اما الحبوب. قالها
الاشارة بلفظ الزرع واما الفواكه فأشرفها الزيتون والنخيل والاعناب اما الزيتون
فلانه فاكهة من وجه وادام من وجه آخر لكثرة ما فيه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة
فى الاكل والطلى واشتعال السرج واما امتياز النخيل والاعناب من سائر الفواكه
فظاهر معلوم وكما انه تعالى لما ذكر الحيوانات التى ينفع الناس بها على التفصيل ثم قال
فى صفة البقرة ويخلق ما لتعملون فكذلك ههنا لما ذكر الانواع المنفعة بها من النبات قال
فى صفة البقرة ومن كل الثمرات تنبها على ان تفصيل القول فى اجناسها وانواعها وصفاتها
ومنافعها لا يمكن ذكره فى مجلدات فالاولى الاقتصاد فيه على الكلام المجلد ثم قال ان فى
ذلك لآية لقوم يفكرون وههنا بحثان (الاول) فى شرح كون هذه الاشياء آيات دالة
على وجود الله تعالى فنقول ان الحبة الواحدة تقع فى الطين فاذا مضت على هذه الحالة
مقادير معينة من الوقت نفدت فى داخل تلك الحبة اجزاء من رطوبة الارض ونداوتها
فتنتفخ الحبة فينشق اعلاها واسفلها فيخرج من اعلى تلك الحبة شجرة صاعدة من داخل
الارض الى الهواء ومن اسفلها شجرة اخرى غائصة فى قعر الارض وهذه الغائصة هى
السماة بعروق الشجرة ثم ان تلك الشجرة لاتزال تزداد وتنمو وتقوى ثم يخرج منها
الاوراق والازهار والاكمام والثمار ثم ان تلك الثمرة تشتمل على اجسام مختلفة الطبائع
مثل العنب فان قشره وعججه باردان يابسان كثيفان ولحمه وماؤه حاران رطبان لطيفان
اذا عرفت هذا فنقول نسبة الطبائع السفلية الى هذا الجسم متشابهة ونسبة التأثيرات
الفلكية والحرركات الكوكبية الى الكل متشابهة ومع تشابه نسب هذه الاشياء ترى
هذه الاجسام مختلفة فى الطبع والطعم واللون والرائحة والصفة فدل صريح العقل على
ان ذلك ليس الا لاجل فاعل قادر حكيم رحيم فهذا تقدير هذه الدلالة (البحث الثانى) انه
تعالى ختم هذه الآية بقوله لقوم يفكرون والسبب فيه انه تعالى ذكر انه ازل من
السماء ماء فأبنت به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ولقائل ان يقول لانسم الله تعالى
هو الذى ابتها ولم لا يجوز ان يقال ان هذه الاشياء انما حدثت وتولدت بسبب تعاقب
الفصول الاربعة وتأثيرات الشمس والحر والكواكب واذا عرفت هذا السؤال فلما يقم
الدليل على فساد هذا الاحتمال لا يكون هذا الدليل تاما وافيا باقادة هذا المطلوب بل

(يكون)

أريد على نفع الاستقامة وإثارة حرف

الاستقامة على أدلة لا تتهاون بكيد

الاستقامة على وجه تمثيل من

غير أن يكون هناك استقامة

لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه

علوا كثيرا كافي قوله تعالى هذا

صراط على مستقيم فالقصد

مصدر بمعنى القساعل والمراد

بالسبيل الجنس كأمرو وقوله تعالى

ومنها جائر معطوف على الجملة

الاول والمعنى أن قصد السبيل

واصل اليه تعالى بالاستقامة

وبعضها مخرف عنه ولو شاء

لهذا جمعا إلى الاول وانت

خير بأن هذا حق في نفسه

ولكنه يعمل عن نكتة موجبة

لتوسطه بين ما سبق من أدلة

التوحيد وبين ما لحق والمبين

الطريق السمي للتوحيد على

وجه اجالي وفصل بعض أدلته

المتعلقة بأحوال الحيوانات

وعقب ذلك ببيان السامع

اليهيشا للمخاطبين على التامل

ليسبق وحشا على حسن التقى

لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل

عليه من احوال النبات قليل

(هو الذي ازل) بقدرته القاهرة

(من السماء) أي من المصايب او

من جانب السماء (ماء) أي نوحا

منه وهو المطر وتأخيره عن

الجرور لسامع مرارا من أن

المقصود هو الاخبار بأنه ازل

من السماء شيئا هو الماء لانه ازل

من السماوات فيه ما سلف من

أن عند تأخير ما حقه التقديم

يبقى الذهن متربها مشتاقا اليه

فيتذكر لديه عند وروده عليه

فضل تمكن (لكم من شراب)

أي ما تشربونه وهو ما سرق

بالطرف الاول او مبتدأ وهو

خبره والجملة صفة

يكون مقام الفكر والتأمل باقيا فلهذا السبب ختم هذه الآية بقوله لقوم يتفكرون

﴿قوله تعالى (وسمخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره)﴾

في ذلك آيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه أن في ذلك آية لقوم

يذكرون (في الآية مسائل (المسئلة الأولى) اعلم أن الله تعالى أجاب في هذه الآية عن

السؤال الذي ذكرناه من وجهين (الاول) أن تقول هب أن حدوث الحوادث في هذا

العالم السفلى مستندة الى الانصالات الفلكية والتشكلات الكوكبية الا انه لا بد

لحركاتها واتصالاتها من اسباب واسباب تلك الحركات اما ذواتها واما امور مغايرة لها

والاول باطل لوجهين (الاول) أن الأجسام متماثلة فلو كان جسم علة لصفة لكان كل

جسم واجب الانصاف لتلك الصفة وهو محال (والثاني) أن ذات الجسم لو كانت علة

لحصول هذا الجزء من الحركة لوجب دوام هذا الجزء من الحركة بدوام تلك الذات ولو كان

كذلك لوجب بقاء الجسم على حاله واحدة من غير تغير اصلا وذلك يوجب كونه ساكنا

ويمنع من كونه متحركا ثبت أن القول بأن الجسم متحرك لذاته يوجب كونه ساكنا لذاته

وما مضى ثبوته الى عدمه كان باطلا ثبت أن الجسم يمتنع أن يكون متحركا لكونه جمما

فبقي أن يكون متحركا بغيره وذلك الغير اما أن يكون ساريا فيه او ميانعا عنه والاول باطل

لان البحث المذكور عاثر في أن ذلك الجسم بعينه لم يختص بتلك القوة بعينها دون سائر

الاجسام ثبت أن محرك اجسام الافلاك والكواكب امور ميانعة عنها وذلك المبين

أن كان جمما او جمما مادا لتقسيم الاول فيه وان لم يكن جمما ولا جمما مادا فان

يكون موجبا بالذات او فاعلا مختارا والاول باطل لان نسبة ذلك الموجب بالذات الى

جميع الاجسام على السوية فلم يكن بعض الاجسام بقبول بعض الآثار المعينة اولى من

بعض ولما بطل هذا ثبت أن محرك الافلاك والكواكب هو الفاعل المختار القادر المميز

عن كونه جمما وجمما مادا وذلك هو الله تعالى فالخلاص انا ولو حكمنا باسناد حوادث

العالم السفلى الى الحركات الفلكية والكوكبية فهذه الحركات الكوكبية والفلكية

لا يمكن اسنادها الى افلاك اخرى والآنزم التسلسل وهو محال فوجب أن يكون خالق هذه

الحركات ومدبرها هو الله تعالى واذا كانت الحوادث السفلية مستندة الى الحركات

الفلكية وثبت أن الحركات الفلكية حادثة بتخليق الله تعالى وتقديره وتكوينه فكان

هذا اعتزافا بأن الكل من الله تعالى واحداثه وتخليقه وهذا هو المراد من قوله وسمخر لكم

الليل والنهار والشمس والقمر يعني أن كانت تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب الليل

والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء لا بد وأن يكون حدوثها بتخليق الله تعالى

وتسخيره قطعاً للتسلسل ولما هذا الدليل في هذا المقام لا جرم ختم هذه الآية بقوله أن في

ذلك آيات لقوم يعقلون يعني أن كل من كان عاقلا علم أن القول بالتسلسل باطل ولا بد من

الانتهاء في آخر الامر الى الفاعل المختار القدير فهذا تقرير احد الجوابين والجواب الثاني

عن ذلك السؤال ان نقول نحن نقيم الدلالة على انه لا يجوز ان يكون حدوث النبات والحيوان لاجل تأثير الطبايع والافلاك والانجم وذلك لان تأثير الطبايع والافلاك والانجم والشمس والقمر بالنسبة الى الكل واحد ثم نرى انه اذا تولد العنب كان قشره على طبع وعجمه على طبع ولحمه على طبع ثالث وماؤه على طبع رابع بل نقول ان اثرى في الوردة يكون احد وجهي الورقة الواحدة منه في غاية الصفرة والوجه الثاني من تلك الورقة في غاية الحمرة وتلك الورقة تكون في غاية الرقة واللطافة ونعني بالضرورة ان نسبة الانجم والافلاك الى وجهي تلك الورقة الرقيقة نسبة واحدة والطبيعة الواحدة في المادة الواحدة لاتعمل الافعلا واحدا الا ترى انهم قالوا الشكل البسيط هو الكرة لان تأثير الطبيعة الواحدة في المادة الواحدة يجب ان يكون متشابها والشكل الذي يشابه جميع جوانبه هو الكرة وايضا اذا وضعنا الشمع فاذا استضاء خسة اذرع من ذلك الشمع من احدا الجوانب وجب ان يحصل مثل هذا الاثر في جميع الجوانب لان الطبيعة المؤثرة يجب ان تشابه نسبتها الى كل الجوانب اذا ثبت هذا فنقول ظهر ان نسبة الشمس والقمر والانجم والافلاك والطبايع الى وجهي تلك الورقة الرقيقة نسبة واحدة وثبت ان الطبيعة المؤثرة متى كانت نسبتها واحدة كان الاثر متشابها وثبت ان الاثر غير متشابها لان احدا جانبي تلك الورقة في غاية الصفرة والجانب الثاني في غاية الحمرة فهذا يفيد القطع بان المؤثر في حصول هذه الصفات والالوان والاحوال ليس هو الطبيعة بل المؤثر فيها هو الفاعل المختار الحكيم وهو الله سبحانه وتعالى وهذا هو المراد من قوله وما ذرا لكم في الارض مخلقا لو انه اعلم انه لما كان مدار هذه الحجة على ان المؤثر الموجب بالذات وبالطبيعة يجب ان يكون نسبته الى الكل نسبة واحدة فلماذا لالحس في هذه الاجسام النباتية على اختلاف صفاتها وتاخر احوالها ظهر ان المؤثر فيها ليس واجبا بالذات بل فاعلا مختارا فهذا تمام تقرير هذه الدلائل وثبت ان ختم الآية الاولى بقوله لقوم تفكرون والآية الثانية بقوله لقوم يعقلون والآية الثالثة بقوله لقوم يذكرون هو الذي نبه على هذه القوائد النفيسة والدلائل الظاهرة والحمد لله على الطافة في الدين والدنيا (المسئلة الثانية) قرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم كلها بالرفع على الابتداء والخبر هو قوله مسخرات وقرأ حفص عن عاصم والنجوم بالرفع على ان يكون قوله والنجوم ابتداء وانما جعلها على هذا الثلاثي لفظ التسخير الذي هو رفع الشيء عن كونه مسخرا فلو انه اراد ان يرفعها عن كونه مسخرا لكان كونه مسخرا تحت قدرته و ارادته وهذا هو الكلام الصحيح والتقدير انه تعالى سخر للناس هذه الاشياء وجعلها موافقة لمصلحتهم حال كونها مسخرة تحت قدرة الله تعالى وامره واذنه وعلى هذا التقدير فالتكرار الخالي عن الفائدة غير لازم والله اعلم ببقى الآيات (الاول) السخيرة عبارة عن القمر والقمر ولا يليق ذلك الا بمن هو قادر بجوز ان يهرف كيف يصح ذلك في الليل والنهار وفي

الحالية من شراب ومن تعضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يقتصر الى الاعتقاد بأنه لا بأس به لان مياه العيون والايار منه لقوله تعالى فلكل ينابيع في الارض وقوله تعالى فأسكناه في الارض وقيل الطرف الاول متعلق بأثر والثاني خبر لشراب والجهة صفة الماء وانت خير بأن ما فيه من توسط المنسوب بين الجوردين وتوسط الثاني منهما بين الماء وصفته عمالايقي بجزالة نظم التنزيل الجليل (ومنه شعر) من ابتداء اي ومنه يحصل تغير تراه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق ولا او تبعية مجازا لانه لما كان سقيه من الماء جعل كأنه منه كقوله اسقه الاابل في ربابه يعني بالمطر الذي ينبت به الكلاء الذي تأكله الابل فحين استنبتها وفي حديث عكرمة لاتأكلوا من الشجر فانه سحت يعني الكلاء (فيه تسميون) ترعون من سامت الماشية واسماها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرمي علامات في الارض (ينبت) اي الله عز وجل وقرئ بالنون (لكم به) بما ازل من السماء (الزروع والزيتون والخليل والاعناب) بيان للنم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وابشار صيغة الاستقبال للدلالة على التعداد والاستقرار وانها مستنبتة لاجل ما على من السدهور أولاختصار صورة النبات وتقديم الطرفين على القول

الشرح لما مر آتاه مع ما في تقديم

اولها من الاحتكام به لادخال
المسرة ابتداء وتقديم الزرع على
ماعداه لانه اصل الاغذية
وعود الماش وتقدم الزيتون
لما فيه من الشرف من حيث انه
ادم من وجه وفا كهة من وجه
وتقدم النخيل على الاعناب
لظهور اصلتها وبقائها وجمع
الاعناب للاشارة الى ما فيها من
الاشتغال على الاصناف المختلفة
وتخصيص الانواع المدودة
بالذكر مع اندراجها تحت قوله
تعالى (ومن كل الثمرات)
للاشارة بفضلها وتقديم الشجر
عليها مع كونه غذاء للانعام
لحصوله بغير صنع من البشر
اولا لارشاد الى مكارم الاخلاق
فان مقتضاها ان يكون اهتمام
الانسان بأمر ما تحت يده اكل
من اهتمامه بأمر نفسه ولان اكل
الحاصلين من احسان المولى ليس
لهم ذرع ولا ثمر وقيل المراد
تقديم ما يسام لا تقديم غذائه فانه
غذاء حيواني للانسان وهو
انثري الاغذية وقرئ يثبت من
الثلثي مستندا الى الزرع وما
عطف عليه (ان في ذلك) اي
في انزال الماء وانبات ما فضل
(لاية) عظيمة دالة على تقوده
تعالى بالالوهية لاشتماله على
كمال العلم والقدرة والحكمة
(لقوم يتفكرون) فان من شكر
في ان الحيات والنوا تنقع في الارض
وتصل اليها ندوة تنفذ فيها
فينشق اسفلها فيخرج منه عروق
تنبسط في اعماق الارض وينشق
اعلاها وان كانت متمسكة في
الوقوف ويخرج منه ساق فينبو
ويخرج منه الاوراق والازهار
والحبوب والثمار المشتهة

الجمادات والشمس والقمر والجواب من وجهين الاول انه تعالى لما در هذه الاشياء على
طريقة واحدة مطابقة لمصالح العباد صارت شبيهة بالبعد المتقاد المطواع فلهاذا المعنى
اطلق على هذا النوع من التدبير لفظ التسخير وعن الوجه الثاني في الجواب وهو لا يستقيم
الا على مذهب اصحاب علم الهيئة وذلك لانهم يقولون ان الحركة الطبيعية للشمس والقمر هي
الحركة من المغرب الى المشرق والله تعالى يحرك هذه الكواكب بواسطة حركة الفلك
الاعظم من المشرق الى المغرب فكانت هذه الحركة قسرية فلهاذا السبب ورد فيها لفظ
التسخير (السؤال الثاني) اذا كان لا يحصل للنهار والليل وجود الا بسبب حركات الشمس
كان ذكر النهار والليل مغنيا عن ذكر الشمس والجواب ان حدوث النهار والليل ليس
بسبب حركات الشمس بل حدوثهما بسبب حركات الفلك الاعظم الذي دللنا على ان حركته
ليست الا بتحرك الله سبحانه واما حركات الشمس فانها علة لحدوث السنة لحدوث اليوم
(السؤال الثالث) ما معنى قوله مسخرات بأمره والمؤثر في التسخير هو القدرة لا الامر
والجواب ان هذه الآية مبينة على ان الافلاك والكواكب جادات ام لا واكثر
المسلمين على انها جادات فلا جرم حلوا الامر في هذه الآية على الخلق والتقدير ولفظ
الامر بمعنى الشان والفعل كثير قال تعالى انما امرنا لنشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون ومن الناس من يقول انها ليست جادات فهنا يحمل الامر على الاذن
والتكليف والله اعلم **قوله تعالى (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا**
وتسخر جوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكروا) اعلم انه تعالى لما اخبر على اثبات الاله في المرتبة الاولى بأجرام السموات
وفي المرتبة الثانية ببدن الانسان ونفسه وفي المرتبة الثالثة بجباب خلقه الحيوانات
وفي المرتبة الرابعة بجباب طبائع النبات ذكر في المرتبة الخامسة الاستدلال على وجود
الصانع بجباب احوال العناصر فبدأ منها بالاستدلال بعنصر الماء واعلم ان علماء الهيئة
قالوا ثلاثة ارباع كرة الارض فائصة في الماء وذاك هو البحر المحيط وهو كلية عنصر الماء
وحصل في هذا الربع المسكون بسبعة من البحار كما قال بعده والبحر يمد من بعده سبعة البحر
والبحر الذي سخره الله تعالى للناس هو هذه البحار ومعنى تسخير الله تعالى اياها الخلق جعلها
بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها اما بالركوب او بالقوص واعلم ان منافع البحار كثيرة قال الله
تعالى ذكر منها في هذه الآية ثلاثة انواع (المنفعة الاولى) قوله تعالى لتأكلوا منه لحما
طريا وفيه مسائل (الاولى) قال ابن الاعرابي لجم طري غير مهموز وقد طرو ويطرو وطراوة
وقال الفراء طرايطرا طراء ممدودا وطراوة كما يقال شقي شقيا وشقا وشقاو واعم ان في
ذكر الطري مزيد فائدة وذلك لانه لو كان السمك كله ملح لما عرف به من قدرة الله تعالى
ما يعرف بالطري فانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الذي لجمه في غاية العذوبة علم
انه انما حدث لا بحسب الطبيعة بل بقدرة الله وحكمته حيث اظهر الضد من الضد

والالوان والمواس والطباع
وعلى نواة ثابتة لتوليد الامثال
على لفظ المحرر الى نهاية مع
اتحاد المواد واستواء نسبة
الطبايع السقفية والتأثيرات
العلوية بالنسبة الى الكل عزان
من هذه افعاله وآثاره لا يمكن
ان يشبه شئ في شئ من صفات
الكمال فضلا عن ان يشاركه
اخص الاشياء في اخص صفاته
التي هي الالوهية واستعفا
العبادت تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وحيث افترس سلوك
هذه الطريقة الى ترتيب القدمات
الفكرية قطع الآية الكريمة
بالتفكر (وسخر لكم الليل
والنهار) يتعاقبان خلفتنا لنامكم
ومعكم ولقد انار ونضاجها
(والشمس والقمر) يدأ بان في
سيرهما وانارهما اصاله وخلافة
واصلاحهما لانيط بهما صلاحه
من المكونات التي من جعلها ما
فصل واجل كل ذلك لمصالحكم
ومتفكر وليس المراد بتخفيفها
لهم تمكينهم من تصرفها كيف
شاءوا كما في قوله تعالى سبحان الذي
سخر لنا هذا ونظأره بل هو
تصرفه تعالى لها حسيما يترتب
عليه منافعه ومصالحهم كأن
ذلك تسخير لهم وتصرف من
قبلهم حسب ارادتهم وفي التخيير
عن ذلك التصريف بالتخيير اجاء
الى ما في المضمرات من صعوبة
الماخذ بالنسبة الى الخططين وايتار
صيغة الماضي للدلالة على ان
ذلك امر واحد مستمر وان
تجددت آثاره (والنجوم
مضمرات بأمره) مبتدأ وخبر
اي سائر النجوم في حركاتها
واوضاعها

(المسئلة الثانية) قال ابو حنيفة رحمه الله لو حلف لا يأكل اللحم فأكل لحم السمك لا يحنث
قالوا لان لحم السمك ليس بلحم وقال آخرون انه يحنث لانه تعالى نص على كونه لحما في هذه
الآية وليس فوق بيان الله بيان * روى اباحنيفة رحمه الله لما قال بهذا القول وسمعه
سفيان الثوري فأنكر عليه ذلك واخرج عليه بهذه الآية بعث اليه رجلا وسأله عن رجل
حلف لا يصلي على البساط فصلى على الارض هل يحنث ام لا قال سفيان لا يحنث فقال
السائل اليس ان الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا قال فعرف سفيان ان ذلك
كان بتلقين ابى حنيفة ولقائل ان يقول هذا الكلام ليس بقوى لان اقصى ما في الباب
ان تركنا العمل بظاهر القرآن في لفظ البساط للدليل الذي قام عليه فكيف يلزمنا ترك
العمل بظاهر القرآن في آية أخرى والفرق بين الصورتين من وجهين (الاول) انه لما حلف
لا يصلي على البساط فلو ادخلنا الارض تحت لفظ البساط لزمنا ان نمنعه من الصلاة لانه
ان سلمى على الارض المفروشة بالبساط لزمه الحنث لمحاللة ولو سلمى على الارض التي
لا تكون مفروشة لزمه الحنث ايضا على تقدير ان يدخل الارض تحت لفظ البساط فهذا
يقضى منعه من الصلاة وذلك مما لا سبيل اليه بخلاف ما اذا ادخلنا لحم السمك تحت لفظ
اللحم لانه ليس في منعه من اكل اللحم على الاطلاق محذور فظهر الفرق (الثاني) انما
نعمل بالضرورة من عرف اهل اللغة ان وقوع اسم البساط على الارض الخالصة مجازا ما
وقوع اسم اللحم على لحم السمك فليعرف انه مجاز فظهر الفرق والله اعلم وجه ابى حنيفة
رحمه الله ان مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم
منه لحم السمك بدليل انه اذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذا الدراهم لحما فجاء بالسمك كان
حقيقا بالانكار والجواب اننا ناكم في كتاب الايمان تارة تعتبرون اللفظ وتارة تعتبرون
العرف وما رأيناكم ذكرتم ضابطا بين القسمين والدليل عليه انه اذا قال لغلامه اشتر بهذه
الدراهم لحما فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار عليه مع انكم تقولون انه يحنث
باكل لحم العصفور فثبت ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين والله
اعلم (المنفعة الثانية) من منافع البحر قوله تعالى وتسخر جوا منه حلية تلبسونها والمراد
بالحلية الاؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منها الاؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسا ثم
لانهم من جعلهم ولان اقدامهم على التزين بها انما يكون من اجلهم فكانها زينتهم
ولباسهم ورأيت بعض اصحابنا تمسكوا في مسئلة انه لا يجب الزكاة في الحلي المباح بحديث
عروة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا زكاة في الحلي فقلت هذا الحديث ضعيف
ارواية وتقدرا لصحة فيمكن ان يقال فيه لفظ الحلي لفظ مفرد محلي بالالف واللام وقد
بيننا في اصول الفقه ان هذا اللفظ يجب حمله على المعهود السابق والحلي الذي هو المعهود
السابق هو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في هذه الآية وهو قوله وتسخر جوا منه حلية
تلبسونها فنصار بتقدير صحة ذلك الخبر لا زكاة في اللآلئ وحنثنا يسقط الاستدلال به والله

اعلم (المنفعة الثالثة) قوله تعالى وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله قال اهل اللغة
 بحر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء انه صوت جرى الفلك بالرياح اذا عرفت هذا
 يقول ابن عباس مواخر اي جوارى انما حسن التفسير به لانها لاتشق الماء الا اذا كانت
 جارية وقوله تعالى ولتبتغوا من فضله يعني لتزكوه للتجارة فتطلبوا الربح من فضل الله
 واذا وجدتم فضل الله تعالى واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره والله اعلم وقوله تعالى
 (والقى في الارض رواسي ان تعبدكم وانهارا وسيلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالحجيم هم
 يهتدون) اعلم ان المقصود من هذه الآية ذكر بعض النعم التي خلقها الله تعالى في الارض
 (فالنعم الاول) قوله وألقى في الارض رواسي ان تعبدكم وفيه مسئلتان (المسئلة
 الاولى) قوله ان تعبدكم يعني ثلاثا تعبدكم على قول الكوفيين وكراهة ان تعبدكم على قول
 البصريين وذكرنا هذا عند قوله تعالى بين الله لكم ان تضلوا والميدان الحركة والاضطراب
 معنا وشمالا يقال ما يدعي مبدأ (المسئلة الثانية) المشهور عن الجمهور في تفسير هذه الآية
 ان قالوا ان السفينة اذا ألقيت على وجه الماء فلها تمديد من جانب الى جانب وتضطرب فاذا
 وضعت الاجرام الثقلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فاستوت قالوا فكذلك
 لما خلق الله تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله تعالى عليها هذه
 الجبال فقال استقرت على وجه الماء بسبب ثقل هذه الجبال ولقاتل ان يقول هذا
 بشكل من وجوه (الاول) ان هذا التعليل امان يذكر مع تسليم كون الارض والماء
 ثقيلة بالطبع اومع المنع من هذا الاصل ومع القول بأن حركات هذه الاجسام بطباعها
 او ليست بطباعها بل هي واقعة بتخليق الفاعل المختار اما على التقدير الاول فهذا التعليل
 مشكل لان على هذا الاصل لاشك ان الارض اثقل من الماء والانتقل من الماء بغوص
 في الماء ولا يبقى طافيا عليه واذا لم يبق طافيا عليه امتنع ان يقال انها تميدو تميل وتضطرب
 وهذا بخلاف السفينة لانها متخذة من الخشب وفي داخل الخشب تجويفات مملوءة من
 الهواء فلهذا السبب تبقى الخشبية طافية على الماء فينتد تضطرب وتميدو تميل على وجه
 الماء فاذا ارسيت بالاجسام الثقلة استقرت وسكنت فظهر الفرق واما على التقدير
 الثاني وهو ان يقال ليس للارض والالهام طبائع توجب الثقل والرسوب والارض انما
 تنزل لان الله تعالى اجري عاده يجمعها كذلك وانما صار الماء يحيط بالارض لمجرد
 اجراء العادة وليس ههنا طبيعة للارض والالهام توجب حالة مخصوصة فقول فعلي هذا
 التقدير حلة سكون الارض هي ان الله تعالى يخلق فيها السكون وحلة كونها مائدة
 مضطربة هي ان الله تعالى يخلق فيها الحركة وعلى هذا التقدير فانه يفسد القول بأن
 الارض كانت مائدة مائدة فخلق الله الجبال وارساها عليها لتبقى ساكنة لان هذا انما يصح
 اذا كانت طبيعة الارض توجب الميدان وطبيعة الجبال توجب الارساء والاثبات ونحن
 انما نتكلم الآن على تقدير نفى الطبايع الموجبة لهذه الاحوال فثبت ان هذا التعليل

مضطرات تدعدل او لما خلق الله
 بارادته ومشيئته وحيث لم يكن
 عود منافع لتجوز النعم في الظهور
 بمثابة اقبالها من المليون والقهرين
 لم يسبب تضربها اليهم بأداة
 الاختصاص بل ذكر على وجه
 يفيد كون تحت ملكوته تعالى
 من غير دلالة على شيء آخر ولذلك
 عدل عن الجملة الفعلية الدالة
 على الحدوث الى الاسمية المفيدة
 للدوام والاستمرار وقرئ يرفع
 الشمس والقمر ايضا وقرئ
 ينصب النجوم على انه مفعول اول
 لنقل مقدر يني عنه الفعل
 المذكور ومضطرات مفعول ثان
 له اي وجعل النجوم مضطرات
 باسمه اوعلى انه معطوف على
 المنصوبات المتقدمة ومضطرات
 حال من الكل والمعامل ما مضى
 من معنى تقع اي تفكك بها حال
 كونها مضطرات لله الذي خلقها
 وديرها كيف شاء او لما خلق الله
 بايجاده وتقديره او لحكمه او
 مصدر هي جمع لاختلاف
 الانواع اي انواعا من التسخيف
 وما قبل من ان فيه ايدانا بالجواب
 عما سي قال ان المؤثر في تكوين
 النسات حركات الكواكب
 واوضاعها بأن ذلك ان سلاطير
 فيها ايضا امور ممكنة الذات
 والصفات واقعة على بعض
 الوجوه الممكنة فلا بد لها من
 موجد مخصص مختار واجب
 الوجود دفعا للدور والتسلل
 فبناء حسابا ماذكر ادلة على
 وجود الصانع تعالى وقدرته
 واختياره وانما تدرى ان ليس
 الامر كذلك فانه ليس بما ينزع
 فيه الخصم ولا يتلثم في قبوله
 قال تعالى ولئن سألتهم من خلق

والقمر يقولون الله فأنزل فكون
وقال تعالى ولئن سألتهم
من نزل من السماء ماء فأجبي
به الأرض من بعدهم أتقولون
الله الآتي وانما ذلك ادلة التوحيد
من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم
ان يشاركه شيء في شيء فضلا
عن ان يشاركه الجاد في الألوهية
(ان في ذلك) اي فيما ذكر
من التنزيه التعليل بما ذكر بحمل
ومفصلا (لايات) باهرة
متكاثرة (يقولون) وحيث
كانت هذه الآثار العلوية
متعددة ودلالة ما فيها من عظيم
القدرة والعلم والحكمة على
الوحدانية اظهر جمع الآيات
وعقبت بمجرد العقل من غير
ساجدة الى التأمل والتفكر
ويحوز ان يكون المراد لقوم
يعلمون ذلك فالشارع ليس يخذل
تعاجيب الدقائق المودعة في
العالويات للدلول عليها بالتنزيه
التي لا تصدى لمرتبها الا الهمة
من اساطين علماء الحكمة
ولاربيب في ان احتياجها الى
التفكر اكثر (وما ذرا) عطف
على قوله تعالى والتوهم رفعا
ونصبا على انه مفعول لجعل اي
وما خلق (لكم في الأرض) من
حيوان ونبات حال كونه
اختلفا الوان) اي اصنافه فان
اختلافها غالبا يكون باختلاف
اللون مضمرته تعالى او الما خلق
له من الخواص والاحوال
والكيفيات او جعل ذلك
مختلف الالوان اي الاصناف
لتمتعوا من ذلك بأي صنف شتم
وقد عطف على ما قبله من
المتنوعات وعقب بأن ذكر
الخلق لهم

مشكل على كل التقديرات (السؤال الثاني) هو ان ارساء الأرض بالجبال انما يعقل
لاجل ان تبقى الأرض على وجه الماء من غير ان تميدو تميل من جانب الى جانب وهذا انما
يعقل اذا كان الماء الذي استقرت الأرض على وجهه واقفا فنقول فما المقتضى لسكون
ذلك الماء ووقوفه في حيزه المخصوص فان قلت المقتضى لسكونه في ذلك الحيز المخصوص
هو ان طبيعته المخصوصة توجب وقوفه في ذلك الحيز المعين فقلت نقول مثله في الأرض وهو
ان الطبيعة المخصوصة التي للأرض توجب وقوفها في ذلك الحيز المعين وذلك بفسيد القول
بأن الأرض انما وقفت بسبب ان الله تعالى ارساها بالجبال فان قلت المقتضى لسكون
الماء في حيزه المعين هو ان الله تعالى سكن الماء بقدرته في ذلك الحيز المخصوص فقلت نقول
مثله في سكن الأرض وحيث يفسد هذا التعليل ايضا (السؤال الثالث) ان مجموع
الأرض جسم عظيم فيقدر ان تميد كايته وتضطرب على وجه البحر المحيط لم تظهر تلك
الحالة للناس فان قيل ليس ان الأرض تحركها البحارات المحتقة في داخلها عند الزلازل
وتظهر تلك الحركات للناس فبم تنكرون على من يقول انه لو لا الجبال لتحركت الأرض
الا انه تعالى لما ارساها بالجبال الثقال لم تقو الرياح على تحريكها فلنا تلك البحارات انما
احتقت في داخل قطعة صغيرة من الأرض فلما حصلت الحركة في تلك القطعة الصغيرة
ظهرت تلك الحركة قال القائلون بهذا القول ان ظهور الحركة في تلك القطعة المعينة من
الأرض يجري مجرى اختلاج يحصل في عضومعين من بدن الانسان اما لو حركت كاية
الأرض لم تظهر تلك الحركة الا ترى ان الساكن في السفينة لا يحس بحركة كاية السفينة
وان كانت واقعة على اسرع الوجوه واقواها فكذا ههنا فهذا ما في هذا الموضع من
المباحث الدقيقة العميقة والذي عندي في هذا الموضع المشكل ان يقال ثبت بالدلائل
البينة ان الأرض كرهة وثبت ان هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى
خشونات تحصل على وجه هذه الكرة اذا ثبت هذا فنقول لو فرضنا ان هذه الخشونات
ما كانت حاصلة بل كانت الأرض كرهة حقيقية خالية عن الخشونات والتنزيرات
لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بأدنى سبب لان الجرم البسيط المستدير اما ان يجب كونه
متحركا بالاستدارة على نفسه وان لم يجب ذلك عقلا الا انه بأدنى سبب يتحرك على هذا
الوجه اما لما حصل على ظاهر سطح كرهة الأرض هذا الجبال وكانت كاخشونات الواقعة
على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما توجه بطبعه نحو مركز العالم وتوجه
ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوالد الذي يمنع
كرهة الأرض من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على وجه الأرض كالواتاد
المروزة في الكرة المانعة لها عن الحركة المستديرة فكانت مانعة للأرض من الميول الميل
والاضطراب بمعنى انها منعت الأرض من الحركة المستديرة فهذا ما وصل اليه بحثي
في هذا الباب والله اعلم برأيه (النعمة الثانية) من النعم التي اظهرها الله تعالى على وجه

مغن عن ذكر التفسير واعتذر

بان الاول لا يستلزم الثاني
لزوما عقليا لجواز كون ما خلق
لهم من المرام صعب المثل
وقيل هو منصوب بفعل مقدر
اي خلق وانبت على ان قوله
مختلفا الوانه حال من مقوله
(ان في ذلك) الذي ذكر من
التفسيرات ونحوها (لاية)
بينه للدلالة على ان من هذا شأنه
واحد لاندله ولا ضد (لقوم
بذكرون) فان ذلك غير محتاج الا
الى تذكر ما صي ينفل عنه من
العلوم الضرورية واما ما قيل
من ان اختلافها في الطبع
والهيئات والمناظر ليس الا يصنع
صانع حكيم لمدهر ما لو حثابه
من حساب ما ذكر دليلا على
اثبات الصانع تعالى وقد عرفت
حقيقة الحال فان اراد الله

الارض هي انه تعالى اجري الانهار على وجه الارض واعلم انه حصل ههنا بحثان (البحث
الاول) ان قوله وانهارا معطوف على قوله والقي في الارض رواسي والتقدير والقي
رواسي وانهارا وخلق الانهار لا يبعد ان يسمى باللقاء فيقال ان الله في الارض انهارا
كما قال والقي فيها رواسي واللقاء معناه الجعل الا ترى انه تعالى قال في آية اخرى وجعل فيها
رواسي من فوقها وبارك فيها واللقاء يقارب الاتزال لان اللقاء يدل على طرح الشيء من
الاعلى الى الاسفل الا ان المراد من هذا اللقاء الجعل والخلق قال تعالى والقيت عليك
حجبة مني (البحث الثاني) انه ثبت في العلوم العقلية ان اكثر الانهار انما تنفجر منابها
في الجبال ولهذا السبب لما ذكر الله تعالى الجبال اتبع ذكرها بتفجير العيون والانهار
(التعنية الثالثة) قوله تعالى وسبلا لعلمك تهتدون وهي ايضا معطوفة على قوله والقي
في الارض رواسي والتقدير والقي في الارض سبلا ومعناه انه تعالى اظهرها ليوصلها لاجل
ان تهتدوا بها في اسفاركم ونظيره قوله تعالى في آية اخرى وسلك لكم فيها سبلا وقوله لعلمك
تهتدون اي لكي تهتدوا واعلم انه تعالى لما ذكر انه اظهر في الارض سبلا معينة ذكر انه
اظهر فيها علامات مخصوصة حتى يتمكن المكلف من الاستدلال بها فيصل بواسطتها الى
مقصوده فقال وعلامات وهي ايضا معطوفة على قوله في الارض رواسي والتقدير والقي
في الارض رواسي والقي فيها انهارا وسبلا والقي فيها علامات والمراد بالعلامات معالم
الطرق وهي الاشياء التي بها يهتدى وهذه العلامات هي الجبال والرياح ورأيت جماعة
يشعرون الزاب وبواسطة ذلك التسم يعرفون الطرق قال الاخفش تم الكلام عند قوله
وعلامات وقوله وبالنجم هم يهتدون كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كقولك
كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الزيا والفرقدان وبنات نعش والجدى وقرأ
الحسن وبالنجم بضمين وبضمه فسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل
حذف الواو من النجم تخفيفا فان قيل قوله ان تمديدكم خطاب الحاضرين وقوله وبالنجم هم
يهتدون خطاب للفاوتين فالسبب فيه قلنا ان قريشا كانت تكثر اسفارها لطلب المال
ومن كثرت اسفاره كان عمله بالمنافع الحاصلة من الاهتداء بالنجوم اكثر وأتم فقوله وبالنجم
هم يهتدون اشارة الى قريش للسبب الذي ذكرناه والله اعلم واختلف المفسرون فذهب
من قال قوله وبالنجم هم يهتدون مخصص بالنجم لانه تعالى لما ذكر صفة البحر وما فيه من المنافع
بين ان من يسرون فيه يهتدون بالنجم ومنهم من قال بل هو مطلق يدخل فيه السير في البر
والبحر وهذا القول اولى لانه اعم في كونه نعمة ولان الاهتداء بالنجم قد يحصل في الوقتين
معا ومن الفقهاء من يجعل ذلك دليلا على ان المسافر اذا عيبت عليه القبة فانه يجب عليه
ان يستدل بالنجوم وبالعلامات التي في الارض وهي الجبال والرياح وذلك صحيح لانه
كما يمكن الاهتداء بهذه العلامات في معرفة الطرق والمسالك فكذلك يمكن الاستدلال بها
في معرفة طلب القبة واعلم ان اشتباه القبة امان ان يكون بعلامات لا تحتمل الا يكون

على اتصافه سبحانه بما ذكر
صفات الكمال ليس بطريق
الاستدلال عليه بل من حيث
ان ذلك من المقدمات المسجلة به
للاستدلال به على ما يقتضيه
ضرورة من وحدانيته تعالى
واسخاثة ان يشركه شيء في
الالهوية (وهو الذي سخر
البحر) كسرع في تعداد النجم المتعلق
بالبحر اثره في سبيل النجم المتعلقة
بالبحر حيوانا ونباتا اي جمعه بحيث
تتمكن من الاستفادة به بالركوب
والفوس والاصطياد) لناكلوا
منه لحاطريا هو السحاب والتعبير
عنه بالنجم مع كونه حيوانا
للتلويح بمحصار الاستفادة به
في الاكل ووصفه بالطروقة
للاشارة بطافته والنبية على
وجوب المسارعة الى اكله كيلا
يتسارع اليه الفساد كما ينبغي عنه
جعل البحر مبدءا لأكله وللإيدان
بكمال قدرته تعالى خلقه غذيا
طريا في ماء زقاق ومن اطلاق
النجم عليه ذهب

مالك والثوري ان من حلف
لا ياكل اللحم حث بأ كفه
والجواب ان معنى الايمان العرف
ولا ياب في انه لا يفهم من اللحم
عند الاطلاق ولذلك لو اسماخه
بشراء اللحم فبما بالسلم لم يكن
ممتثلا بالامر الا ترى الى ان الله
تعالى سمي الكافرا بانه حيث قال
ان شر الدواب عند الله الذين
كفروا ولا يجتمع بكروبه من حلف
لا يركب دابة (وتنفر جوامه
حالية) كالكواكب والمرجان
(تلتسونها) غير في مقام
الامتنان عن ليس نسايتهم
بلسهم لكونهم منهم اولكون
لبسهم لاجلهم (وترى القلق)
السنن (مواخر فيه) جوارى
فيه مقبلة ومدبرة ومترصة
يرجع واحدة تشبه بجذ وهما
من الخمر وهو شق الله وقيل
هو صوت جرى القسك
(ولتبثوا) عطف على تنفروا
وما عطف هو عليه وما بينهما
اعتراض للهيبة مبادئ الاتياء
ودفعهم كونه باستفراج الحلية
او على علة محذوفة ان تنفروا
بذلك ولتبثوا ذكر ان الانبارى
او متعلقة بفعل محذوف اى
وفعل ذلك لتبثوا (من فضله)
من سعة رزقه بركوبها للتجارة
(ولعلكم تشكرون) اى تعرفون
حقوق نعمه الجليلة فتقومون
بأدائها بالطاعة والتوحيد ولعل
تخصيص هذه النعمة بالتعقيب
بالشكر من حيث ان فيها قطعا
لمسافة طويلة مع احوال قصيرة
في مدة قليلة من غير مزاولة
اسباب السفر بل من غير
حركة اصلا مع انها في تضاعيف
المسالك وعدم توسيط الفوز
بالمجاوب بين الابتداء والشكر

فان كانت لائحة وجب ان يجب الاجتهاد وتوجهه الى حيث غلب على لظن انه هو القبلة
فان تين الخطأ وجب الاعادة لانه كان مقصرا فيما وجب عليه وان لم تظهر العلامات
فهيها طريقان (احدهما) ان يكون مخيرا في الصلاة الى اى جهة شاء لان الجبهات
لما تساوت وانتم التجميع لم يبق الا التغيير (والطريق الثانى) ان يصلى الى جميع الجبهات
فحينئذ يعلم يقين انه خرج عن العهدة وهذا كما يقوله الفقهاء فيمن نسي صلاة لا يرفعها بعينها
ان الواجب عليه في القضاء ان يأتى بالصلوات الخمس ليكون على يقين من قضاء ما لزمه
ومنهم من يقول الواجب منها واحدة فقط وهذا غلط لانه لما لزمه ان يفعل الكل كان
الكل واجبا وان كان سبب وجوب كل هذه الصلوات فوت الصلاة الواحدة والله اعلم
قوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) وان تدعوا نعمت الله لا تحصىها ان الله
لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يعشون) في الآية مسائل (المسئلة
الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل الدالة على وجود الاله القادر الحكيم على الترتيب
الاحسن والنظم الاكمل وكانت تلك الدلائل كما انها كانت دلائل فكذلك ايضا كانت شرحا
وتفصيلا لانواع نعم الله تعالى واسما احسانه اتيه بذكر ابطال عبادة غير الله تعالى
والقصود انه لما دلت هذه الدلائل الباهرة والبيئات الزاهرة القاهرة على وجوده قادر
حكيم وثبت انه هو المولى لجميع هذه النعم والمعطى لكل هذه الخيرات فكيف يحسن في
العقول الاشتغال بعبادة وجود سواء لاسما اذا كان ذلك الموجود جادا لا يفهم
ولا يشتر فلماذا الوجه قال بعد تلك الآيات أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون والمعنى
أفمن يخلق هذه الاشياء التى ذكرناها كمن لا يخلق بل لا يقدر البتة على شيء أفلا تذكرون
فان هذا القدر لا يحتاج الى تدبر وتفكر ونظر ويكفى فيه ان تنبهوا على ما فى قولكم من
ان العبادة لتلقي الابائهم الاعظم وانتم ترون في الشاهد انسانا ما قلا فاهما ينعم بالنعمة
العظيمة ومع ذلك فتعلمون انه يقبح عبادته فهذه الاصنام جادات محضة وليس لها فهم
ولا قدرة ولا اختيار فكيف تقدمون على عبادتها وكيف تجوزون الاشتغال بخدمتها
وطاعتها (المسئلة الثانية) المراد بقوله من لا يخلق الاصنام وانها جادات فلا يلقى بهالفظه
من لانها لا ولى العلم واجيب عنه من وجوه (الاول) ان الكفار لما سموها آلهة وعبدوها
لاجرم اجريت مجرى اولى العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون (والوجه الثانى) في الجواب ان السبب فيه المشاكلة بينه
وبين من يخلق (والثالث) ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم
فكيف من لاعم عنده كقوله ألهم ارجل يشوبها يعنى ان الآلهة التى تدعونها حالهم
مضطعة عن حال من لهم ارجل واليدوا آذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف
يصح منهم عبادتها وليس المراد انه لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قيل

(قوله)

لا يذنان باستغناهما عن التصريح به
وبخصوصهما معا (والتي في الارض
رواسي) اي جبالا وتواب وتقدس
تحقيقه في اول سورة الرعد
(ن تميمكم) كراهة ان يميل بكم
وتضطرب او ثلا تميمكم فان
الارض قبل ان تخلق فيها الجبال
كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع
وكان من حقها ان تتحرك
بالاستدارة كالافلاك وتتحرك
بأدى سبب محرك لها خلقت
الجبال فتاوتت حاثاتها وتوجت
الجبال بنقلها نحو المركز فصارت
كالأوتاد وقيل للمخلق الله تعالى
الارض جعلت عمود فقالت
الملائكة ما هي بقدر احد على
ظهرها فأصعبت وقد أرست
الجبال (وانهارا) اي وجعل
فيه تسهلا لان في التي معنى
الجميل (وسلا لعلكم تهتدون)
بها الى مقاصدكم (وعلامات) معالم
يستدل بها السابلة بالانهار من
جبل ومنهل وريح وقد نقل ان
جاعة يشعرون الزلازل ويعرفون
به الطرقات (وبالنجم هم يهتدون)
بالليل في البراري والبحار حيث
لا علامة غير ما اراد بالنجم الجنس
وقيل هو الزلازل والفرقدان ونبات
النمش والجدي وقرى بختين
وبضعة وسكون وهو جمع كرهن
ورهن وقيل الاول بطريق
حذف الواو من الضمير التثنية
ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا
كثيري الزدد للتجارة مشهورين
بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم
وصرف النظم عن سنن الخطاب
وتقديم النجم واقسام الضمير
للتخصيص كأنه قيل وبالنجم
خصوصا هؤلاء خصوصا
يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر
عليه ازم لهم واوجب عليهم

قوله أفن يخلق كن لا يخلق المقصود منه ازام عبدة الاوثان حيث جعلوا غير الخالق مثل
الخالق في التسمية بالاله وفي الاشتغال بعبادتها فكان حق الازام ان يقال أفن لا يخلق
كن يخلق والجواب المراد منه ان من يخلق هذه الاشياء العظيمة ويعطي هذه المنافع
الجليلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية باسم الاله وفي الاشتغال
بعبادتها والاقدام على غاية تعظيمها فوقع التعبير عن هذا المعنى بقوله أفن يخلق كن لا يخلق
(المسئلة الثالثة) احتج بعض اصحابنا بهذه الآية على ان العبد غير خالق لافعال نفسه فقال
انه تعالى ميز نفسه عن سائر الاشياء التي كانوا يعبدونها بصفة الخالقية لان قوله أفن يخلق
كن لا يخلق الفرض منه بيان كونه متمازا عن الاعداد بصفة الخالقية وانه انما استحق
الالهية والمعبودية بسبب كونه خالقا فهذا يقتضي ان العبد لو كان خالقا لبعض الاشياء
لوجب كونه الها معبودا ولما كان ذلك باطلا علمنا ان العبد لا يقدر على الخلق والايجاد
قالت المعتزلة الجواب عنه من وجوه (الاول) ان المراد أفن يخلق ما تقدم ذكره من
السموات والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار والجموم والجبال كن لا يقدر
على خلق شيء اصلا فهذا يقتضي ان من كان خالقا لهذه الاشياء فانه يكون الها ولم يلزم
منه ان من يقدر على افعال نفسه ان يكون الها (والثاني) ان معنى الآية ان من كان خالقا
كان افضل ممن لا يكون خالقا فوجب امتناع التسوية بينهما في الالهية والمعبودية وهذا
القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا فانه يجب ان يكون الها والدليل عليه قوله تعالى
ألهم ارجل يمشون بها ومعناه ان الذي حصل له رجل يمشي بها يكون افضل من الذي
حصل له رجل لا يقدر ان يمشي بها وهذا يوجب ان يكون الانسان افضل من الصنم
والافضل لا يليق به عبادة الاخرس فهذا هو المقصود من هذه الآية ثم انما لا تدل على ان
من حصل له رجل يمشي بها ان يكون الها فكذلك ههنا المقصود من هذه الآية بيان ان
الخالق افضل من غير الخالق فيمتنع التسوية بينهما في الالهية والمعبودية ولا يلزم منه ان
بمجرد حصول صفة الخالقية يكون الها (والوجه الثالث) في الجواب ان كثيرا من المعتزلة
لا يطلقون لفظ الخالق على العبد قال الكشي في تفسيره اننا نقول انما يخلق افعالا قال
ومن اطلق ذلك فقد اخطأ الا في مواضع ذكرها لله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين
كمشية الطير وقوله فبارك الله احسن الخالقين واعلم ان اصحاب ابي هاشم يطلقون لفظ
الخالق على المبدئ حتى ان ابا عبد الله البصير بالغ وقال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة
وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وذلك عبارة عن الظن والحسبان وهو في حق
العبد حاصل وفي حق الله تعالى محال واعلم ان هذه الاجوبة قوية والاستدلال بهذه الآية
على صحة مذهبنا ليس بقوى والله اعلم اما قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فقيه
مسئلان (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما بين بالآية المتقدمة ان الاشتغال بعبادة غير الله
باطل وخطأ بين هذه الآية ان العبد لا يمكنه الاتيان بعبادة الله تعالى وشكره والقيام

(الغن يخلق) هذه المصنوعات العظيمة وفضل هاتيك الاعمال البديعة او يخلق كل شيء (كن لا يخلق) شيئاً أصلاً وهو يكتسب للكفرة وبطلان لأشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك القضاء ظاهراً وتقيب المهرمة بالغاء لتوجيه الانتكاز الى ترتيب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومه كذلك فيما بينهم حسباً يؤذن به ما تواتر من قوله تعالى ولئن سألتهم الايتين والانتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واطهرها واستباحه اياها والكون كل منها خلقاً مخصوصاً أي ابداً ظهور اختصاصه تعالى بمبدئه هذه الشؤون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة يتصور للمشابهة بينه وبين ما هو بمنزلة من ذلك بلرة كاهو قضية اشراككم ومدارها وان كان على تشبيه غير الخالق بالمخلق لكن التنبيه حيث كان نسبة تقوم بالمتبين اختير ما عليه التظن الكريم مراعاة لخلق سبق الملوكه على القدم وتقادي عن توسطه عديها بينها وبين جبريتها المفصلة قبلها وتنبه على كمال فروع ما فصوله من حيث ان ذلك ليس مجرد دفع الاصنام عن محلها بل هو حط لتزلة الربوبية الى مرتبة الجذبات ولا يرب في فاته افهم من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شأنه كائناً ما كان والتعبير عنه

بحقوق كرمه على سبيل الكمال والتمام بل العبد وان اتعب نفسه في القيام بالطاعات والعبادات وبالغ في شكر نعمة الله تعالى فانه يكون مقصراً وذلك لان الاشتغال يشكر النعم مشروط بعلمه تلك النعم على سبيل التفصيل والحصيل فان ما يكون متصوراً ولا مفهوماً ولا معلوماً امتنع الاشتغال بشكره الا ان العلم بنعم الله تعالى على التفصيل غير حاصل للعبد لان نعم الله تعالى كثيرة واقسامها وشعبها واسعة عظيمة وعقول الخلق قاصرة عن الاحاطة بمباديها فضلاً عن غاياتها فثبت لها غير معلومة على سبيل التفصيل وما كان كذلك امتنع الاشتغال بشكره على الوجه الذي يكون ذلك الشكر لانها تلك النعم فهذا هو المفهوم من قوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها يعني انكم لا تعرفونها على سبيل التمام والكمال واذ لم تعرفوها امتنع منكم القيام بشكرها على سبيل التمام والكمال وذلك يدل على ان شكر الخلق قاصر عن نعم الحق وعلى ان طاعات الخلق قاصرة عن ربوبية الحق وعلى ان معارف الخلق قاصرة عن كنهه جلال الحق وبما يدل قطعاً على ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة اقسام نعم الله تعالى ان كل جزء من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه اذى خلل تنفس العيش على الانسان ولتفتي ان ينق كل الدنيا حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه تعالى يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الاكل الاصلح مع ان الانسان لا عمل له بوجود ذلك الجزء ولا بكيفية مصالحه ولا بدفع مفاسده فايكن هذا المثال حاضراً في ذهنك ثم تأمل في جميع ما خلق الله في هذا العالم من المعادن والنبات والحيوان وجعلها مهياً لانتفاعك بها حتى تعلم ان عقول الخلق تقف في معرفة حكمه الرحمن في خلق الانسان فضلاً عن سائر وجوه الفضل والاحسان فان قيل فلما قررت ان الاشتغال بالشكر موقوف على حصول العلم باقسام النعم ودلتم على ان حصول العلم باقسام النعم محال او غير واقع فكيف امر الله الخلق بالقيام بشكر النعم قلنا الطريق اليه ان يشكر الله تعالى على جميع نعمه مفصلهاو يمجملها فهذا هو الطريق الذي به يمكن الخروج من عبدة الشكر والله اعلم (المسئلة الثانية) قال بعضهم انه ليس لله على الكافر نعمة وقال الاكثرون لله على الكافر والمؤمن نعم كثيرة والدليل عليه ان الانعام لمخلق السموات والارض والانعام لمخلق الانسان من المنطقة والانعام لمخلق الانعام ولمخلق الخيل والبغال والحمير ولمخلق اصناف النعم من الارز والزيوت والخيل والاعناب وبشخير البحر لرب كل الانسان منه لحماطياً ويستخرج منه حلية يلبسها كل ذلك مشتركة فيه بين المؤمن والكافر ثم اكد تعالى ذلك بقوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وذلك يدل على ان كل هذه الاشياء نعم من الله تعالى في حق الكل وهذا يدل على ان نعم الله واصلة الى الكفار والله اعلم اما قوله ان الله لغفور رحيم اعلم انه تعالى قال في سورة ابراهيم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلم كفار وقال ههنا ان الله لغفور رحيم والمعنى انه لما بين ان الانسان لا يمكنه القيام باداء الشكر على سبيل التفصيل قال ان الله لغفور رحيم اي غفور

١٠ يختص بالعقلاء للمشاكله او

العقلاء خاصة و يعرف منه حال
غيرهم بدلالة النص فان من يخاف
حيث لم يكن كمن لا يخاف وهو
من جهة العقلاء فاما تلك الجاد
وايما كان قد دخل الاصنام في
حكم عدم المماثلة والمشابهة اما
بطريق الاندراج تحت الموصل
العام واما بطريق الانتهاء بدلالة
النص على الطريقة البرهانية لا بانها
هي المرادة بالموصل خاصة
(افلا تذكرون) اي الانلا حظون
فلا تذكرون ذلك فانه لو مشوه
بحيث لا يقتصر الى شيء سوى
التذكير (وان تمدوا نعمت الله)
تدكيح ايجالي لنعمه تعالى بعد
تعداد طائفة منها وكان الظاهر
ايراده عقبيها تكمة لهسا على
طريقة قوله تعالى ويخلق مالا
تعدون ولعل فصل ما بينهما
بقوله تعالى افترى بخلق كمن لا يخلق
فلا تذكرون لهبادر الى ازام
الحجة والقام الجبر اتفصيل
ما فصل من الافعال التي هي
ادلة الوحدة مع ما فيه من
سرسقف عليه ودلائلها عليها
وان لم تكن مقصورة على حيثة
الخلق ضرورة ظهور دلالتها
عليها من حيثة لانما ايضا لكنها
حيث كانت من مستتبعات الحيثة
الاولى استغنى عن التصرح بها
ثم بين حالها بطريق الاجال اي
ان تمدوا نعمته الغافضة عليكم
ذكر ما لم يذكر حسبا يعرب
عنه قوله تعالى هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا
(لاتصموا) اي لاتصموا
حصرها وضبط عددها ولو اجالا
فضلا عن القيام بشكرها وقد
خرجنا عن مهدة تحقيقه في سورة
ابراهيم بمثل الله

للتصبر الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه رحيم بكم حيث لم يقطع نعمه عنكم بسبب
تقصيركم امانوله والله يعلم ما تسمرون وما تعلمون فقيه وجهان (الاول) ان الكفار كانوا
مع اشتغالهم بعبادة غير الله تعالى يسرون ضروبا من الكفر في مكابد الرسول عليه السلام
بجعل هذا زجر الهمة عنها (والثاني) انه تعالى زيف في الآية الاولى عبادة الاصنام بسبب
انه لا قدرة لها على الخلق والانعام وزيف في هذه الآية ايضا عبادتها بسبب ان الاله يجب
ان يكون طالبا بالمروءة العلانية وهذه الاصنام جادات لا معرفة لها بشيء اصلا فكيف
تحسن عبادتها امانوله والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فاعلم انه
تعالى وصف هذه الاصنام بصفات كثيرة (فالصفة الاولى) انهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
قرأ حفص عن عاصم يسرون ويعلمون ويدعون كلها بالياء على الحكاية عن الغائب وقرأ
ابوبكر عن عاصم يدعون بالياء خاصة على الغاية وتسمرون وتعلمون بالياء على الخطاب
والباقون كلها بالياء على الخطاب عطف على ما قبله فان قيل اليس ان قوله في اول الآية
افترى بخلق كمن لا يخلق يدل على ان هذه الاصنام لا تخلق شيئا وقوله ههنا لا يخلقون شيئا يدل
على نفس هذا المعنى فكان هذا محض التكرير وجوابه ان المذكور في اول الآية انهم
لا يخلقون شيئا والذكر ههنا انهم لا يخلقون شيئا وانهم يخلقون لغيرهم فكان هذا زيادة
في المعنى وكأنه تعالى بدأ بشرح تفصيص صفاتهم وذواتهم فين اولها لا يخلقون شيئا ثم
بين ثانيا انها لا تخلق غيرها هي مخلوقة لغيرها (والصفة الثانية) قوله اموات غير احياء
والمعنى انهم لو كانت آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت
كالحى الذى لا يموت سبحانه وتعالى وامر هذه الاصنام على العكس من ذلك فان قيل لما
قال اموات علم انها غير احياء فاما القاعدة في قوله غير احياء واجواب من وجهين (الاول)
ان الاله هو الحى الذى لا يحصل عقيب حياته وموت وهذه الاصنام اموات لا يحصل عقيب
موتها الحياة (والثاني) ان هذا الكلام مع الكفار الذين يعبدون الاوثان وهم في نهاية
الجهالة والضلالة ومن تكلم مع الجاهل الغر العربي فقد تحسن ان يعبر عن المعنى الواحد
بالعبارات الكثيرة وخرضه منه الاعلام يكون ذلك الخطاب في غاية الغباوة وانه انما يعيد
تلك الكلمات لتكون ذلك السامع في نهاية الجهالة وانه لا يفهم المعنى المقصود بالعبرة
الواحدة (الصفة الثالثة) قوله وما يشعرون ايان يشعرون والضمير في قوله وما يشعرون عائذ
الى الاصنام وفي الضمير في قوله يعشون قولان (احدهما) انه عائذ الى العابدين للاصنام
يعنى ان الاصنام لا يشعرون متى بعثت عبدتهم وفيه تحكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون
وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم (والثاني) انه عائذ الى الاصنام
بمعنى ان هذه الاصنام لا تعرف متى بعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله يبعث الاصنام
ولها ارواح ومعها شياطينا فيؤمر بها الى النار فان قيل الاصنام جادات والجمادات
لا توصف بانها اموات ولا توصف بأنهم لا يشعرون كذا وكذا والجواب عنه من وجوه

(الاول) ان الاجاد قد يوصف بكونه ميّنا قال تعالى يخرج الحى من الميت (الثاني) ان القوم لما وصفوا تلك الاصنام بالالهية والمعبودية قيل لهم ليس الامر كذلك بل هى اموات ولا يعرفون شيئا فزلت هذه العبارات على وفق معتقدهم (الثالث) ان يكون المراد بقوله والذين يدعون من دون الله الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله انهم اموات لا يدلهم من الموت غير احياء اى غير باقية حياتهم وما يشعرون ايان يعيشون اى لا علم لهم بوقت بعثهم والله اعلم ﴿ قوله تعالى (الهكم) اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لاجرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين) اعلم انه تعالى لما زيف فيما تقدم طريقة عبدة الاوثان والاصنام وبين فساد مذهبهم بالدلائل القاهرة قال الهكم اله واحد ثم ذكر تعالى ما لاجله اصر الكفار على القول بالشرك وانكار التوحيد فقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون والمعنى ان الذين يؤمنون بالآخرة ويرغبون في الفوز بالثواب الدائم ويخافون الوقوع في العقاب الدائم اذا سمعوا الدلائل والترغيب والترهيب خافوا العقاب فتأملوا وتفكروا فيما يسمونه فلا جرم ينتفعون بسماع الدلائل ويرجعون من الباطل الى الحق اما الذين لا يؤمنون بالآخرة ويتكبرونها فانهم لا يرغبون في حصول الثواب ولا يهربون من الوقوع في العقاب فيقولون منكرين لكل كلام يخالف قولهم ويستكبرون عن الرجوع الى قول غيرهم فلا جرم يقولون مصرين على ما كانوا عليه من الجهل والضلال ثم قال تعالى لاجرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون والمعنى انه تعالى يعلم ان اصرارهم على هذه المذاهب الفاسدة ليس لاجل شبهة تصورها او اشكال تخيلوها بل ذلك لاجل التقليد والنفرة عن الرجوع الى الحق والشغف بنصرة مذاهب الاسلاف والتكبر والخفة فلهذا قال انه لا يحب المستكبرين وهذا الوعيد يتناول كل المتكبرين ﴿ قوله

تعالى (واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين بضلونهم بغير علم الاسماء ما يزرون) اعلم انه تعالى لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد واورد الدلائل القاهرة في ابطال مذاهب عبدة الاصنام ذكر بعد ذلك شبهات منكرى النبوة مع الجواب عنها (فالشبهة الاولى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احتج على صحة نبوة نفسه بكون القرآن محمزة طعنوا في القرآن وقالوا انه اساطير الاولين وليس هو من جنس المعجزات وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في ان ذلك السائل من كان قيل هو من كلام بعضهم بعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مدخل مكة بفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (المسئلة الثانية) لقائل ان يقول كيف يكون تنزيل ربهم اساطير الاولين وجوابه من وجوه (الاول) انه مذكور على سبيل الخبرية كقوله تعالى عنهم ان رسولكم الذى ارسل اليكم لجنون وقوله يا ايها

يستر ما فرطتم من كفر انما هو بالقيام بمقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك (رحيم) حيث يفرضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرامان بما تأتون وتذرون من اصناف الكفر التى من جنسها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وايضا نعمة فاجلة لتليل الحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على تمت الرحمة بتقديم العقوبة على التحلية (والله يعلم ما يسرون) تضمنونه من العباد والاعمال (وما يعلنون) اى تظهرونه منهما وحذف المساعد لمرعاة الفواصل اى يستوى بالنسبة الى علمه المحيط مركب وعلمكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنبوت الالهية ما لا ينفى وتقدم السر على العلن لما ذكرنا في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين عليه المتقين بها على ابلغ وجهه كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن اولان كل شئ يعلن فهو قبل ذلك مضمّن في القلب فتلحق على تعالى بجلاله الاولى اقدم من تعلقه بجلاله الثانية (والذين يدعون) شروع في تحقيق كون الاصنام بمحل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبق فيه شائبة ريب بتعديدا وصفاتها واحوالها الخافية لذلك منافاة ظاهرة لتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها اشروحت للتنبيه على كمال جفافة عبدها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اى والالهة الذين يعبدون الكفار (من دون الله) سبحانه وقرئ على صيغة المبني

للفعل وعلى الطاب (لا يخلفون شيئا) من الاشياء اصلا ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخلقية وبين الخلقية تلازم بحسب المهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا وقيل (وهم مخلوقون) أى شأنهم ومقتضى ذاتهم الخلقية لانها ذات ممكنة مفترقة في ماهيتها ووجوداتها الى الموجودين الفعل للفعل لتحقيق التضاد والقبالة بين ما ثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي الخلقية والخالقية ولذا يدان بعدم الاقتدار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النعت والتصوير رعاية لشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لبيدتهم وعجز عنهم وايدان اكمل ركافة عقولهم حيث انشروا بخالفهم عقولهم واما جعل الاول ايضا عبارة عن ذلك كإفصل فلا وجه له اذا القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات الخلقية لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك فقيل (اموات) وهو خبر ثان للوصول للضمير كقيل او خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتبره الحياتا سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والطف التي يشتملها الله تعالى حيوانا احتز عن ذلك فقيل (غير احياء) أى لا يعتبرها الحياة اصلا فهي اموات على الإطلاق واما قوله تعالى (وما يشعرون ايان

الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وقوله يا أيها الساحر ادع لئاريك (الثاني) ان يكون التقدير هذا الذى تدكرون انه منزل من ربكم هو اساطير الاولين (الثالث) يحتمل ان يكون المراد ان هذا القرآن بتقدير ان يكون مما نزل الله لكنه اساطير الاولين ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والدقائق والحقائق واعلم انه تعالى لما حكى شبههم قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اللام في يحملوا لام العاقبة وذلك لانهم لم يصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين لاجل ان يحملوا اوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن ذكر هذه اللام كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقوله كاملة معناه انه تعالى لا يخفف من عقابهم شيئا بل يوصل ذلك العقاب بكتيته اليهم واقول هذا يدل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل في حق الكل لم يكن تخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكبير معنى وقوله ومن اوزار الذين يضلونهم معناه يحصل للرؤساء مثل اوزار الاتباع والسبب فيه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايعادع دعا الى الهدى فاتبع كان له مثل اجر من اتبعه لا ينقص من اجورهم شيء واما داع دعا الى ضلالة فاتبع كان عليه مثل وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء واعلم ان ليس المراد منه انه تعالى يوصل العقاب الذى يستحقه الاتباع الى الرؤساء وذلك لان هذا لا يليق بعبد الله تعالى والدليل عليه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله ولا تزروا زرة وزر اخرى بل المعنى ان الرئيس اذا وضع سنة فيحتمل عقابه حتى ان ذلك العقاب يكون مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع قال الواحدى ولقطة من في قوله ومن اوزار الذين يضلونهم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض خلف عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك غير جائز لقوله عليه السلام من غير ان ينقص من اوزارهم شيء ولكنها للجنس أى يحملوا من جنس اوزار الاتباع وقوله بغير معنى ان هؤلاء الرؤساء انما يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال ثم انه تعالى ختم الكلام بقوله الاسماء ما يزررون والمقصود بالمبالغة في الزجر فان قيل انه تعالى لما حكى عن القوم هذه الشبهة لم يجب عنهابل اقتصر على محض الوعيد فالا سبب فيه قلنا السبب فيه انه تعالى بين كون القرآن معجزا بطريقتين (الاول) انه صلى الله عليه وسلم تحداهم بكل القرآن وتارة بمسور وتارة بسورة واحدة وتارة بمحدث واحد ومعجز واعر المعارضة وذلك يدل على كونه معجزا (الثاني) انه تعالى حكى الشبهة هذه بعينها في آية اخرى وهو قوله اكتبها نهى على عليه بكرة واصبلا وابطلها بقوله قل انزله الذى يعلم السر في السموات والارض ومعناه ان القرآن مشتمل على الاخبار عن الغيوب وذلك لا يتأتى الا من يكون عالما بأسرار السموات والارض فلما ثبت كون القرآن معجزا بهذين الطريقتين وتكرر شرح هذين الطريقتين مرارا كثيرة لاجرم اقتصر في هذه الآية على مجرد الوعيد ولم يذكر ما يجرى مجرى الجواب عن هذه الشبهة والله اعلم ﴿ قوله تعالى (قد مكر الذين

يعثون (اى مادشعر اولئك
 الالهة ايان يبعث عبدتهم
 فى طريقة لتكلم بهم لان شعور
 الجداد بالامور الظاهرة تدبى
 الاستحالة عند كل احد فكيف
 بما لا يعلمه الا لعلم الخبير وفيه
 ايدان بأن البعث من لوازم
 التكليف وان معرفة وقته مما لا يد
 منه فى الالوهية (الحكم اله
 واحد) لا يشاركه شئ فى شئ
 وهو تصريح بالمعنى ونعويض
 للنتيجة غيب الامة الحية (فالذين
 لا يؤمنون بالآخرة) واحوالها
 التى من جعلتها ما ذكر من البعث
 وما يقبى من الجزاء المستلزم
 لعقوبتهم وذلتهم (فلو بهم منكرة)
 لوعداية جاحدتها واللايات
 الدالة عليها (وهم مستكبرون)
 عن الاعتراف بها او عن الآيات
 الدالة عليها والفاء للانداز بأن
 اصرارهم على الانكار واستمرارهم
 على الاستكبار وقع موقع
 النتيجة للدلائل الظاهرة
 والبراهين الباهرة والمعنى انه
 قد ثبت بما قرر من الحجج والبراهين
 اختصاص الالهية به سبحانه فكان
 من نتيجة ذلك اصرارهم على
 ما ذكر من الانكار والاستكبار
 وبناء على المذكور على الموصول
 للامار بكونه ملاما فى فيز
 الصلة فان الكفر بالآخرة وما
 فيها من البعث والجزاء المتوع
 الى الثواب على الطاعة والعقاب
 على المعصية يؤدى الى قصر النظر
 على العاجل والاغراض عن
 الدلائل السمعية والعقلية الموجب
 لانكارها وانتكار مؤايدها
 والاستكبار عن اتباع الرسول
 عليه الصلاة والسلام وتصديقه
 ولما الايمان بها وبما فيها

من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وآتاهم العذاب من
 حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائ الذين كنتم تشاقون فيهم قال
 الذين اتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين اتوا فاهم الثلاثة ظالمى
 انفسهم قالوا السلم ما كنا نفعل من سوء بل ان الله علم بما كنتم تعملون اعلم ان المقصود
 من هذه الآية المبالغة فى وصف وعيد اولئك الكفار وفى المراد بالذين من قبلهم قولان
 (الاول) وهو قول الاكثر من المفسرين ان المراد منه عمرو بن كنعان بنى صرحا عظيما
 ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام منه الصعود الى السماء ليقاتل اهلها
 فالمراد بالكرههنا بناء الصرح لمقاتلة اهل السماء (والقول الثانى) وهو الاصح ان هذا عام
 فى جميع البطلين الذين يحاولون الحاق الضرر والمكر بالحقين اما قوله تعالى فأتى الله
 بنيانهم من القواعد فقيه مسئلتان (المسئلة الاولى) ان الاتيان والحركة على الله
 محال فالمراد انهم لما كفروا اتاهم الله بزلزل قلع بها بنيانهم من القواعد والاساس
 (المسئلة الثالثة) فى قوله فأتى الله بنيانهم من القواعد قولان (الاول) ان هذا محض
 التمثيل والمعنى انهم رتبوا منصوبات ليكفروا بها اتينا الله تعالى فجعل الله تعالى حالهم
 فى تلك المنصوبات مثل حال قوم بنوا بنيانا وعمدوم بالاساطين فانهدم ذلك البناء وضعفت
 تلك الاساطين فسقط السقف عليهم ونظيره قولهم من حفر بئرا لا أخيه اوقعه الله فيه
 (والقول الثانى) ان المراد منه ما دل عليه الظاهر وهو انه تعالى اسقط عليهم السقف
 واماتهم تحته والاول اقرب الى المعنى اما قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم فقيه
 سؤال وهو ان السقف لا يختر الامن فوقهم فامعنى هذا الكلام وجوابه من وجهين
 (الاول) ان يكون المقصود التأكيد (والثانى) ربما خسر السقف ولا يكون تحته احد فلما
 قال فخر عليهم السقف من فوقهم دل هذا الكلام على انهم كانوا تحته وحينئذ يفيد هذا
 الكلام ان الابنية قد تهدمت وهم ماتوا تحته وقوله وآتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
 ان جعلنا هذا الكلام على محض التمثيل فالامر ظاهر والمعنى انهم اعتمدوا على منصوباتهم
 ثم تولد البلاء منها باعياتها وان جعلنا على الظاهر فالمعنى انه نزل ذلك السقف عليهم بغتة
 لانه اذا كان كذلك كان اعظم فى الزجر لمن سلك مثل سبيلهم ثم بين تعالى ان عذابهم لا يكون
 مقصورا على هذا القدر بل الله تعالى يخزيهم يوم القيامة والخزي هو العذاب مع
 الهوان وفسر تعالى ذلك الهوان بأنه تعالى يقول لهم أين شركائ الذين كنتم تشاقون
 فيهم وفيه ابحاث (الاول) قال الزجاج قوله أين شركائ معنى أين شركائ فى زعمكم
 واعتقادكم ونظيره قوله أين شركاؤكم الذين كنتم ترعون وقال ايضا وقال شركاؤهم
 ما كنتم ابان تعبدون وانما حسفت هذه الاضافة لانه يكتفى فى حسن الاضافة اذنى سبب وهذا
 كما يقال لمن يحمل خشبة خذ طرفك واخذ طرفي فأضيف الطرف اليه (البحث الثانى) قوله
 تشاقون فيهم اى تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم وقيل المشاقة عبارة عن كون

فدعوا لاحكامه الى التسامح في
الآيات والدلائل رغبة ورهبة
فيورث ذلك يقينا بالوحداية
وخضوعا لاسمائه تعالى (لاجرم)
اي حقاقه من تحقيقه في سورة
هود (ان الله يعلم مايسرون)
من قلوبهم (وما يملنون) من
استكبارهم وقولهم للقرآن
اساطير الاولين وغير ذلك من
قبائحهم فجازيهم بذلك (انه
لا يحب المستكبرين) تغليل لما
تضمنه الكلام من الوعيد اي
لا يحب المستكبرين عن التوحيد
او عن الايات الدالة عليها اولا
يجب جنس المستكبرين فكيف
بمن استكبر بما ذكر (واذا قيل
لهم) اي لاؤلك المشركين
المستكبرين وهو بيان لاضلالهم
غيب بيان ضلالهم (ماذا انزل ربكم)
القائل الوافدون عليهم والمسجون
اوبعض منهم على طريق التهكم
وماذا منصوب بما بعد او مرفوع
اي اي شيء انزل او ما الذي انزله
قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون
نزوله او المنزل بطريق السخرية
احاديث الاولين واباطيلهم وليس
من الازال في شيء قيل هؤلاء
القاتلون هم المقتسمون الذين
اقتسموا مداخل مكة يفرزون عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
سؤال وفود الحاج عمازل عليه
عليه السلام (ليعملوا) متعلق بقالوا
اي قالوا ما قالوا ليعملوا (او اوزارهم)
الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم
(كاملة) لم يكفر منها شيء بنكبة
اصابهم في الدنيا كما يكفر بها
اوزار المؤمنين (يوم القيامة)
ظرف ليعملوا

احدا لخصمين في شق وكون الآخر في الشق الآخر (البحث الثالث) قرأنا نافع تشاقون
بكسر النون على الاضافة والباقون بفتح النون على الجمع ثم قال تعالى قال الذين اوتوا العلم
ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفيه بحثان (الاول) قال الذين اوتوا العلم قال ابن
عباس يريد الملائكة وقال آخرون هم المؤمنون يقولون حين يرون خزي الكفار يوم
القيامة ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين والفاضة فيه ان الكفار كانوا ينكرون
على المؤمنين في الدنيا فاذا ذكر المؤمن هذا الكلام يوم القيامة في معرض اهانة الكافر
كان وقع هذا الكلام على الكافر وتأثيره في اذائه أكمل وحصول الشتمانة به أقوى
(البحث الثاني) المرجئة احتجوا بهذا الآية على ان العذاب مختص بالكافر قالوا لان قوله
تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يدل على ان ماهية الخزي والسوء في يوم
القيامة مختصة بالكافر وذلك ينفي حصول هذه الماهية في حق غيرهم وتأ كدهذا بقول
موسى عليه السلام اتقوا الله واتقوا النار التي انزل الله على من كذب وتولى ثم انه تعالى وصف
عذاب هؤلاء الكفار من وجه آخر فقال الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم فارجزة
توفاهم الملائكة بالياء لان الملائكة ذكور والباقون بالناء لفظ ثم قال فألقوا السلم
ما كنا نعمل من سوء وفيه قولان (الاول) انه تعالى حكى عنهم لقاء السلم عند القرب من
الموت قال ابن عباس اسلموا وأقروا لله بالعبودية عند الموت وقوله ما كنا نعمل من سوء
اي قالوا ما كنا نعمل من سوء والمراد من هذا السوء الشرك فقالت الملائكة ردا عليهم
وتكذيبا بلى ان الله عليهم بما كنتم تعملون من التكذيب والشرك ومعنى بلى رد قولهم
ما كنا نعمل من سوء وفيه قولان (الاول) انه تعالى حكى عنهم لقاء السلم عند القرب من
الموت (والقول الثاني) انه تم الكلام عند قوله ظالمى انفسهم ثم عاد الكلام الى حكاية
كلام المشركين يوم القيامة والمعنى انهم يوم القيامة القوا السلم وقالوا ما كنا نعمل في الدنيا
من سوء ثم همنا اختلفوا فالذين جوزوا الكذب على اهل القيامة قالوا هذا القول منهم
على سبيل الكذب وانما أقدموا على هذا الكذب لغاية الخوف والذين قالوا ان الكذب
لا يجوز عليهم قالوا معنى الآية ما كنا نعمل من سوء عند انفسنا او في اعتقادنا واما بيان
ان الكذب على اهل القيامة هل يجوز أم لا فقد ذكرناه في سورة الانعام في تفسير قوله
تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين واعلم انه تعالى حكى عنهم
انهم قالوا ما كنا نعمل من سوء قال بلى ان الله عليهم بما كنتم تعملون ولا يبعد ان يكون
قائل هذا القول هو الله تعالى او بعض الملائكة ردا عليهم وتكذيبا لهم ومعنى بلى الرد
لقولهم ما كنا نعمل من سوء وقوله ان الله عليهم بما كنتم تعملون يعنى انه عالم بما كنتم عليه
في الدنيا فلا يفتنكم هذا الكذب فانه يحازيكم على الكفر الذى علمه منكم ثم صرح بذكر
العقاب فقال (فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها) وهذا يدل على تفاوت منازلهم
في العقاب فيكون عقاب بعضهم أعظم من عقاب بعض وانما صرح تعالى بذكر الخلود

(ومن اوزار الذين يضلونهم) وبعض اوزار من مثل بائعهم وهو زور الاضلال لانهم يريكم هذا يضلوه وهذا يطاعوه فيعاملان الوزر والدم للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون عرضا وصيغقا للاستقبال للدلالة على استقرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لاحال الحل (بغير علم) حال من الفاعل اى يضلونهم غير طالعين بأن ما يدعون اليه طريق الضلال واما حله على معنى غير طالعين بأنهم يحملون يوم القيامة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا وتأييده بما سأتى من قوله تعالى واناهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حل ماذكر من اوزار الضلال والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرد ان الحل المذكور انما هو يوم القيامة والعذاب المذكور انما هو العذاب الديني كما ستقف عليه احوال من المفعول اى يضلون من لا يلبث انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذى لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتبعية على ان جهلهم ذلك لا يكون عدرا اذ كان يجب عليهم ان يبصروا ويبنوا بين الحق والحقيق بالاتباع وبين البطل (الاساء مايزرون) اى ينس شيئا يزرونه ماذكر (قد مكر الذين من قبلهم) وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من

ليكون الفؤا الحزن اعظم * ثم قال (فلنفس مثوى المتكبرين) عن قبول التوحيد وسائر ما انت به الانبياء وتفسير التكبر قد مر في هذا الكتاب غير مرة * والله اعلم * قوله تعالى (وقيل للذين اتقوا ماذا ائزلكم ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولداد الآخرة خيرا ولنم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزى الله المتقين الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) اعلم انه تعالى لما بين احوال الاقوام الذين اذا قبل لهم ماذا ائزلكم ربكم قالوا اساطير الاولين وذكر انهم يحملون اوزارهم ومن اوزار اتباعهم وذكر ان الملائكة توفاهم ظالمى انفسهم وذكر انهم في الآخرة يلقون السلم وذكر انه تعالى يقول لهم ادخلوا ابواب جهنم اتبعه بذكر وصف المؤمنين الذين اذا قبل لهم ماذا ائزلكم ربكم قالوا خيرا وذكر ما اعده لهم في الدنيا والآخرة من منازل الخيرات ودرجات السعادات ليكون وعد هؤلاء مذكورا مع وعيد اولئك وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال القاضي يدخل تحت التقوى ان يكون تارك لكل المحرمات فاعلا لكل الواجبات ومن جمع بين هذين الامرين فهو مؤمن كامل الايمان وقال اصحابنا يريد الذين اتقوا الشرك وايقنوا انه لا اله الا الله محمد رسول الله واقول هذا اولى بمقالة القاضي لاننا انما يكفى في صدق قوله فلان قائل او ضارب كونه آتيا يقتل واحدا وضرب واحد ولا يتوقف صدق هذا الكلام على كونه آتيا بجميع انواع القتل وجميع انواع الضرب فعلى هذا قوله وقيل للذين اتقوا يتناول كل من اتى بنوع واحد من انواع التقوى الا انما اجعنا على انه لابد من التقوى عن الكفر والشرك فوجب ان لا يزبد على هذا القيد لانه لما كان تقييد المطلق خلاف الاصل كان تقييد المقيد اكثر مخالفة للاصل وايضا فلانه تعالى انما ذكر هؤلاء في مقابلة اولئك الذين كفروا واشركوا فوجب ان يكون المراد من اتقى عن ذلك الكفر والشرك والله اعلم (المسئلة الثانية) لقائل ان يقول انه قال في الآية الاولى قالوا اساطير الاولين وفي هذه الآية قالوا خيرا فلم رفع الاول ونصب هذا الجواب صاحب الكشاف عنه بأن قال المقصود منه الفصل بين جواب المقرو جواب الجاحد يعنى ان هؤلاء لما شئوا لم يتلعموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوف مفعولا للاتزال فقالوا خيرا اى ائزلكم خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الاتزال فى شئ (المسئلة الثالثة) قال المفسرون هذا كان في ايام الموسم بائى الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وامره فيقولون انه ساحر وكاهن وكذاب فيأتى المؤمنين ويسألهم عن محمد وما ائزلكم الله عليه فيقولون خيرا والمعنى ائزلكم خيرا ويحتمل ان يكون المراد الذى قالوه من الجواب موصوف بأنه خير وقولهم خير جامع لكونه حقا وصوابا وكونهم معتزين بصحته ورومده فهو بالصد من قول الذين لا يؤمنون بالآخرة ان ذلك اساطير الاولين على وجه التكذيب (المسئلة الرابعة) قوله للذين

احسنوا وما بعده يدل من قوله خيرا وهو حكاية لقول الذين اتقوا اى قالوا هذا القول ويجوز ايضا ان يكون قوله للذين احسنوا اخبارا عن الله والتقدير ان المتقين لما قيل لهم ماذا ازل ربكم قالوا خيرا ثم انه تعالى اكد قولهم وقال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وفي المراد بقوله للذين احسنوا قولان اما الذين يقولون ان اهل لاله الا الله يخرجون من النار فانهم يحملونه على قول لاله الا الله مع الاعتقاد الحق واما المعترلة الذين يقولون ان فساق اهل الصلاة لا يخرجون من النار يحملون قوله احسنوا على من اتى بالايان وجيع الواجبات واحتز عن كل المحرمات واما قوله في هذه الدنيا ففيه قولان (احدهما) انه متعلق بقوله احسنوا والتقدير للذين اتقوا بعمل الحسنة في الدنيا فلم في الآخرة حسنة وتلك الحسنة هي الثواب العظيم وقبل تلك الحسنة هو ان ثوابها بضاعف بعشر مرات وبسبعائة الى مالا نهاية له (والقول الثاني) ان قوله في هذه الدنيا متعلق بقوله حسنة والتقدير للذين احسنوا ان تحصل لهم الحسنة في الدنيا وهذا القول أولى لانه قال بعده ولدنار الآخرة خير وعلى هذا التقدير في تفسير هذه الحسنة الحاصلة في الدنيا ووجه (الاول) يحتمل ان يكون المراد ما يستحقونه من المدح والتعظيم والشأن والرفعة وجميع ذلك جزء على ما علموه (والثاني) يحتمل ان يكون المراد به الظفر على اعداء الدين بالحق والغلبة لهم واستغنام اموالهم وفتح بلادهم كما جرى بغير وعقد قمع مكفوقا جلهم عنها واخرجوهم الى الهجرة واجلاء الوطن ومفارقة الاهل والولد وكل ذلك مما يعظم موقعه (والثالث) يحتمل ان يكون المراد انهم لما احسنوا بمعنى انهم اتوا بالطاعات فحس الله عليهم ابواب المكاشفات والمشاهدات والالطاف كقوله تعالى والذين اهدوا ازادهم هدى واما قوله ولدنار الآخرة خير فديننا في سورة الانعام في قوله ولدنار الآخرة خير للذين يتقون بالدلائل القطعية العقلية حصول هذا الخير ثم قال ولنم دار المتقين اى لنم دار المتقين دار الآخرة فحذف لسبق ذكرها هذا اذا لم يجعل هذه الآية متصلة بما بعدها فان وصلتها بما بعدها قلت ولنم دار المتقين جنات عدن فترفع جنات على انها اسم لنم كما تقول نعم الدار دار ينزلها زيد اما قوله جنات عدن ففيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انها ان كانت موصولة بما قبلها فقد ذكرنا وجه ارتقاها واما ان كانت مقطوعة فقال الزجاج جنات عدن مرفوعة باضمار هي كما نك ما قلت ولنم دار المتقين قبل اى دار هي هذه المدوحة فقلت هي جنات عدن وان شئت قلت جنات عدن رفع بالابتداء ويدخلونها خبره وان شئت قلت نعم دار المتقين خبره والتقدير جنات عدن نعم دار المتقين (المسئلة الثانية) قوله جنات يدل على القصور والبساتين وقوله عدن يدل على الدوام وقوله تجري من تحتها الانهار يدل على انه حصل هناك ابنة يرتفعون عليها وتكون الانهار جارية من تحتهم ثم انه تعالى قال لهم فيها ما يشاؤون وفيه بحثان (الاول) ان هذه الكلمة تدل على حصول كل الخيرات والسعادات وهذا

العذاب العاجل اى قد سوا
منصوبات ليكرهاها رسول الله
تعالى (فأتى الله) اى امره
وحكمه (بنيانهم) وقرئ بينهم
ويومهم (من القواعد) وهى
الاساطين التى تصعد او اساسه
فضمضت اركانها (فخر عليهم
السقف من فوقهم) اى سقط
عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له
القيام بعد تهديم القواعد شبهت
حال أولئك الماكرين في تسويتهم
المكابد والمنصوبات التي ارادوا
بها الايقاع برسالة الله سبحانه وفى
ابطاله تعالى تلك الحيل والمكاييد
وجعله اياها اسبابا لهلاكهم بحال
قوم بنو ابينا واعدوه بالاساطين
فأتى ذلك من قبل اساطينهم بأن
ضمضت فسقط عليهم السقف
فهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف
بضمتين (وأناهم العذاب) اى
الهلاك والدمار (من حيث
لا يشعرون) بآتيانه منه بل
يتوقعون آيات مقابله بما يريدون
ويستشعرون والمعنى ان هؤلاء
الماكرين القائلين للقرآن العظيم
اساطير الاولين سيأتيهم من
العذاب مثل ما أتاهم وهم
لا يحتسبون والمراد به العذاب
العاجل لقوله سبحانه (ثم يوم
القيامة يخزيهم) فانه عطف على
مقدر ينسحب عليه الكلام اى
هنا الذى فهم من التثليل من
عذاب هؤلاء او ما هو اعم منه
وبما ذكر من عذاب أولئك
جزاؤهم في الدنيا ويوم القيامة
يخزيهم اى يذلهم بعذاب الخزي
على رؤس الاشهاد واصل الخزي
ذل يسخي منه وتم للايمان الى
ما بين الجزأين من التناقض مع
ما يدل عليه من التناقض

الزمانى وتغير السبب بتقديم
الطرف ليس لقصر الحرجى على
يوم القيامة كما هو المتبادر
من تقديم الطرف على الفصل
بل لان الاخبار يصر انهم فى الدنيا
مؤذن بأن لهم جزاء اخرويا
فتبقى النفس مترتبة الى وروده
سائلة عنه بأنه ماذا مع تيقنها
بأنه فى الآخرة فسبق الكلام
على وجه يؤذن بأن المقصود
بالذكر اخراؤهم لا كونه
يوم القيامة والضمير اما المقترن
فى حق القرآن الكريم اولهم
ولن مثلوا لهم من المالكين كما
اشير اليه. وتقصيصهم بهم بأية
السباق والسياف كما ستخف
عليه (ويقول) لهم تقضيصا
وتوبيضا فهو بيان للاخلاق
(ابن شركاى) اضافهم اليه
سجانه سكاية لاضايقهم الكاذبة
فقد تبيخوا توبخ مع الاستهزاء
بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم)
اى خصامون الالبياء والمؤمنين
في شأنهم بأنهم شركاء خفاجين
بينوا لكم بطلانها والمراد
بالاستهزاء احتضارها بالشفاعة
او المدافعة على طريقة الاستهزاء
والتهكيت والاستفسار عن
مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة
حتى يعتذر بأنه يصور ان مجال
بينهم وبين عيبتهم حيث
ليتفقدوها في ساعة علقوا بها
الرجاء فيها واثبتهم لئلا ينفعهم
فكانهم غيب بل يكفى في ذلك
عدم حضورهم بال عنوان الذى
كانوا يزعمون انهم متشفعون به
من عنوان الالهية فليس هناك
شركاء ولا اما كنهم على ان
قوله ليتفقدوا هاليس بسيد قاته

قد تبين عندهم الامر

اباغ من قوله فيها ماتت نفس وتلد الاعين لان هذين القسمين داخلان فى قوله لهم
فيها ما يشاؤون مع اقسام أخرى (الثانى) قوله لهم فيها ما يشاؤون يعنى هذه الحالة لا تحصل
الا فى الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤون يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل
ما يريد فى الدنيا ثم قال تعالى كذلك يجزى الله المتقين اى هكذا يكون جزاء التقوى ثم انه
تعالى عاد الى وصف المتقين فقال الذين تتوفاهم الملائكة طيبين وهذا مذكور فى مقابلة
قوله الذين تتوفاهم الملائكة على انفسهم وقوله الذين تتوفاهم الملائكة صفة للمتقين
فى قوله كذلك يجزى الله المتقين وقوله طيبين كلمة مختصرة جامعة للبعثات الكثيرة وذلك
لانه يدخل فيه اتيانهم بكل ما مروا به واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيه كونهم
موصوفين بالاخلاق الفاضلة مبرئين عن الاخلاق الذمومة ويدخل فيه كونهم مبرئين
عن العلائق الاجتماعية متوجهين الى حضرة القدس والطهارة ويدخل فيه انه طاب
لهم قبض الارواح وانهم لم يقبض الامع البشارة بالجنة حتى صاروا كما كنهم مشاهدون
لها ومن هذا حاله لا يتألم بالموت واكثر المفسرين على ان هذا التوفى هو قبض الارواح
وان كان الحسن يقول انه وفاة الحشر ثم بين تعالى انه يقال لهم عنده هذه الحالة ادخلوا
الجنة فاحج الحسن بهذا على ان المراد بذلك التوفى وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض
الارواح فى الدنيا ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ومن ذهب الى القول الاول وهم
الاكثرون يقولون ان الملائكة لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكانهم
فيها فيكون المراد بقولهم ادخلوا الجنة اى هى خاصة لكم كما كنتم فيها وقوله تعالى (هل
ينظرون الا ان تأتيم الملائكة اوبأتى امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم
الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)
اعلم ان هذا هو الشبهة الثانية لمنكرى النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان
يؤزل الله تعالى ملكا من السماء يشهد على صدقه فى ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون
فى التصديق بنبوته الا ان تأتيم الملائكة شاهدين بذلك ويحتمل ان يقال ان القوم لما
طعنوا فى القرآن بأن قالوا انه اساطير الاولين وذكر الله تعالى انواع التهديد والوعيد لهم
ثم اتبعه بذكر الوعد لمن وصف القرآن بكونه خيرا وصدقوا باعادى بيان ان اولئك
الكفار لا ينزجرون عن الكفر بسبب البيانات التى ذكرناها بل كانوا لا ينزجرون عن
تلك الاقوال الباطلة الا اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد واتاهم امر ربك وهو عذاب
الاستئصال واعلم ان على كلا التقديرين قد قلنا تعالى كذلك فعل الذين من قبلهم اى
كلام هؤلاء واصفاهم يشبه كلام الكفار المتقدمين وافعالهم ثم قال وما ظلمهم الله
ولكن كانوا انفسهم يظلمون والتقدير كذلك فعل الذين من قبلهم فأصابهم الهلاك المجل
وما ظلمهم الله بذلك فانه اتزل بهم ما صدقوه بكفرهم وظلموا انفسهم بأن كفروا
وكذبوا الرسل فاستوجبوا ما تزل بهم ثم قال فأصابهم سيئات ما عملوا والمراد اصابهم

(عقاب)

حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم
 الباطل فكيف يصور منهم
 التفقد وقرئ بكسر النون
 أى تشافونى على أن مشافة
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام
 والمؤمنين لاسمافى شأن متعلق به
 صحابته مشافة عز وجل (قال
 الذين اتوا العلم) من أهل الموقف
 وهم الانبياء والمؤمنون الذين
 اوتوا علم دلائل التوحيد وكانوا
 يدعونهم فى الدنيا الى التوحيد
 فيجادلونهم وشكروا عليهم أى
 يقولون توبيتنا لهم وانظروا
 لآشانة بهم وتقريرنا لاسكانوا
 يظفونهم وتحققا لما وعدوهم به
 وايتار صيغة الماضي للدلالة على
 تحققه وتتم وقوعه حسبا هو
 المعتاد فى اخباره سبحانه وتعالى
 كقوله ونادى اصحاب الجنة
 ونادى اصحاب الاعراف (ان
 اتزى) الفتححة والذلل والهوان
 (اليوم) منصوب بالخزى على
 رأى من يرى اعمال المفسد
 المصدر باللام او بالاستقرار
 فى الظرف وفيه فصل بين العامل
 والمعمول بالمعطوف الا انه متغير
 فى الظروف وإرادة للاستمرار
 بأنهم كانوا قبل ذلك فى عز وشفاق
 (والسوء) العذاب (على
 الكافرين) بالله تعالى وبآياته
 ورسله (الذين تنوفاهم الملائكة)
 تأييد الفعل وقرئ بتذكيره
 وبادغام التاء فى التاء والمعدول
 الى صيغة المضارع لاستحضار
 صورة توفيقهم اياهم لما فيها من
 الهول والموصول فى محل الجر
 على انه نعت للكافرين او بدل
 منه اوفى محل النصب او الرفع
 على الذم وفائدته تخصيص اخرى
 والسوء بمن استمر كفره الى حين

عقاب سيأت ماعلموا وحق بهم أى تزل بهم على وجه احاط بجوانبهم ما كانوا به
 يستهترون أى عقاب استهزأهم ﴿ قوله تعالى ﴾ وقال الذين اشركوا لوشاء الله ماعبدنا من
 دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على
 الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا فى كل اممة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
 ففهم من هدى الله ومنهم من حققت عليه الضلالة ففسدوا فى الارض فانظروا كيف
 كان عاقبة المكذبين ان نحرص على هدايتهم فان الله لا يهدى من يضلل ومالهم من
 ناصرين (اعلم ان هذا هو الشبهة الثالثة لمنكرى النبوة وتقريرها انهم تمسكوا بصحة
 القول بالجبر على الطعن فى النبوة فقالوا لوشاء الله الايمان لحصل الايمان سواء جئت اولم
 تجئ ولوشاء الله الكفر فانه يحصل الكفر سواء جئت اولم تجئ واذا كان الامر كذلك
 فالكل من الله تعالى ولا فائدة فى جبرك وارسالك فكان القول بالنبوة باطلا وفى الآية
 مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان هذه الشبهة هى عين ما حكاه الله تعالى عنهم فى سورة
 الانعام فى قوله سيقول الذين اشركوا لوشاء الله ما اشركنا ولا آبائنا ولا حرمنا من شيء
 كذلك كذب الذين من قبلهم واستدلال المعترلة به مثل استدلالهم تلك الآية والكلام
 فيه استدلالا واعتراضا عين ما تقدم هناك فلا فائدة فى الاعداد ولا بأس بأن نذكر منه
 القليل فنقول الجواب عن هذه الشبهة هى انهم قالوا لما كان الكل من الله تعالى كان
 بعثة الانبياء عبثا فنقول هذا اعتراض على الله تعالى فان قولهم اذا لم يكن فى بعثة
 الرسول مزيد فائدة فى حصول الايمان ودفع الكفر كانت بعثة الانبياء غير جائزة من الله
 تعالى فهذا القول جار مجرى طلب العلة فى احكام الله تعالى وفى افعاله وذلك باطل بل لله
 تعالى ان يحكم فى ملكه وملكوته ما يشاء ويفعل ما يريد ولا يجوز ان يقال له لم فعلت هذا
 ولم تفعل ذلك والدليل على ان الانكار انما توجه الى هذا المعنى انه تعالى صرح فى آخر
 هذه الآية بهذا المعنى فقال ولقد بعثنا فى كل اممة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
 الطاغوت فبين تعالى ان منتهى عبادة ارسال الرسل اليهم وامرهم بعبادة الله ونهيهم عن
 عبادة الطاغوت ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حققت عليه الضلالة والمعنى انه تعالى
 وان امر الكل بالايمان ونهى الكل عن الكفر الا انه تعالى هدى البعض وأضل البعض
 فهذه سنة قديمة لله تعالى مع العباد وهى انه يأمر الكل بالايمان وينهاهم عن الكفر ثم
 يخلق الايمان فى البعض والكفر فى البعض ولما كانت سنة الله تعالى فى هذا المعنى سنة
 قديمة فى حق كل الانبياء وكل الامم والملل وانما يحسن منه تعالى ذلك بحكم كونه الهام منزها
 عن اعتراضات المعتز ضيق ومطالبات المنازعين كان اثر هذا السؤال من هؤلاء الكفار
 موجبا للجهل والضلال والبعد عن الله فثبت ان الله تعالى انما حكم على هؤلاء باستحقاق
 الخزي واللعن لآلئهم كذبوا فى قولهم لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شيء بل لانهم اعتقدوا
 ان كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الانبياء والرسل وهذا باطل فلا جرم استحقوا

على هذا الاعتقاد من يد الذم واللعن فهذا هو الجواب الصحيح الذي يعول عليه في هذا الباب وامان تقدمنا من المتكلمين والمفسرين فقد ذكروا فيه وجها آخر فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شعب عليه السلام له انك لانت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك معتقدين لكانوا مؤمنين والله اعلم (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى لما حكى هذه الشبهة قال كذلك فعل الذين من قبلهم اى هؤلاء الكفار ايمانا كانوا متمسكين بهذه الشبهة ثم قال فهل على الرسل الابلاغ للمؤمن اما المعتزلة فقالوا معناه ان الله تعالى مامنع احدا من الايمان وما وقع في الكفر والرسول ليس عليهم الا التبليغ فلا بلغوا التكليف وثبت انه تعالى مامنع احدا عن الحق كانت هذه الشبهة ساقطة اما اصحابنا فقالوا معناه انه تعالى امر الرسل بالتبليغ فهذا التبليغ واجب عليهم فاما ان الايمان هل يحصل ام لا يحصل فذلك لاتعلق للرسول به ولكنه تعالى يهدى من يشاء باحسانه ويضل من يشاء بخذلانه (المسئلة الثالثة) اخبر اصحابنا في بيان ان الهدى والضلال من الله بقوله ولقد بضنا في كل امه رسولان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وهذا يدل على انه تعالى كان ابدافى جميع الملل والامم امرا بالايمان وناهيا عن الكفر ثم قال ففهم من هدى الله ومنهم من حق عليه الضلالة يعنى ففهم من هداه الله الى الايمان والصدق والحق ومنهم من اضله عن الحق واعماه عن الصدق ووقعه في الكفر والضلال وهذا يدل على ان امر الله تعالى لا يوافق ارادته بل قديا امر بالشئ ولا يريده وينهى عن الشئ ويريده كما هو مذهبنا والحاصل ان المعتزلة يقولون الامر والارادة متطابقان اما العلم والارادة فمختلفان ولفظ هذه الآية صريح في قولنا وهو ان الامر بالايمان عام في حق الكل اما ارادة الايمان فخاصة ببعض البعض دون البعض اجاب الجباني بأن المراد ففهم من هدى الله لنيل ثوابه وجنته ومنهم من حق عليه الضلالة اى العقاب قال وفي قوله حق عليه دلالة على انها العذاب دون كلمة الكفر لان الكفر والعصية لا يجوز وصفهما بأنه حق واىضا قال تعالى بعده فسير وا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وهذه العاقبة هى آثار الهلاك لمن تقدم من الامم الذين استأصلهم الله تعالى بالعذاب وذلك يدل على ان المراد بالضلال المذكور هو عذاب الاستئصال واجاب الكعبي عنه بأن قال قوله ففهم من هدى الله اى من اهتدى فكان فى حكم الله مهتديا ومنهم من حق عليه الضلالة يريد من ظهرت ضلالتهم كما يقال للظالم حق ظلمك وتبين ويجوز ان يكون المراد حق عليهم من الله ان يضلمهم اذ ضلوا كقوله ويضل الله الظالمين واعلم انا بينا فى آيات كثيرة بالدلائل العقلية القاطعة ان الهدى والضلال لا يكونان الا من الله تعالى فلا فائدة فى الاعداد وهذا الوجه المتعسف والتأويلات المستكرهة قد بينا ضعفها وسقوطها امر ارفلا حاجة الى الاعداد والله اعلم (المسئلة الرابعة) فى الطاغوت قولان (احدهما) ان المراد به اجتنبوا عبادة ما تعبدون من دون الله فمضى الكل طاغوتا

آخر عمره اى على الكافرين المستترين على الكفر الى ان يتوفاهم الملائكة (ثاني انفسهم) اى حال كونهم مستقرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واى ظلم حيت عرضوها للعذاب الخلد وادخلوا فطرة الله تبديلا (فألقوا السلم) اى فيلقون والدعول الى صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى ويقول ابن شركائى وما بينهما جلة اعتراضية بنى بها تحقيقا لما حق بهم من الخزي على رؤس الاشهاد اى فيسألون ويتكون المشافة وينزلون عما كانوا عليه فى الدنيا من الكبر وبعدة الشبهة ثالثين (ما كنا نعمل) فى الدنيا (من سوء) اى من شرك قالوه مشركين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عجبوا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدلال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه ابن شركائى كما فى سورة الانعام لاعتقائهم العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لما دهم من الخزي والسوء (يلى) رد عليهم من قبل اولى العلم وثابت لا نقوه اى بلى كنتم تعملون ما تعملون (ان الله علم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا اوا له (فادخلوا ابواب جهنم) اى كل صنف باب له معد له وقيل ابوابها اصناف عذابها

ولا يمنع ان يكون المراد اجتنابوا طاعة الشيطان في دعائه لكم (المسئلة الخامسة) قوله تعالى ومنهم من حقت عليه الضلالة يدل على مذهبا لانه تعالى لما خبر عنه انه حقت عليه الضلالة امتنع ان لا يصدر منه الضلالة والانتقلب خبر الله الصدق كذبا وذلك محال ومستلزم المحال محال فكان عدم الضلالة منهم محالا ووجود الضلالة منهم واجبا عقلا فهذه الآية دالة على صحة مذهبنا من هذه الوجوه الكثيرة والله اعلم ونظائر هذه الآية كثيرة منها قوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون وقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون ثم قال تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين والمعنى سيروا في الارض معتبرين لتعرفوا ان العذاب نازل بكم كما نزل بهم ثم أكد ان من حقت عليه الضلالة فانه لا يهتدى فقال ان نحصر على هداهم اى ان نطلب بجهنك ذلك فان الله لا يهتدى من يضل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فراعاصم وحزة والكسائي يهتدى بفتح الياء وكسر الدال والباقون لا يهتدى بضم الياء وقبح الدال اما القراءة الاولى ففيها وجهان (الاول) فان الله لا يرشد احدا اضله وبهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما (والثاني) ان يهتدى بمعنى يهتدى قال الفراء العرب تقول قد هدى الرجل يريدون قد اهتدى والمعنى ان الله اذا اضل احدا لم يصبر ذلك مهتديا واما القراءة المشهورة فالوجه فيها ان الله لا يهتدى من يضل اى من يضل فاراجع الى الموصول الذى هو من محذوف مقدر وهذا كقوله من يضل الله فلا هادى له وكقوله فني يهديه من يبدالله اى من بعد اضلال الله اياه ثم قال تعالى ومالهم من ناصرين اى وليس لهم احد ينصرهم اى يعينهم على مطلوبهم في الدنيا والآخرة واقول اول هذه الايات موهوم لمذهب المعتزلة وآخرها مشتمل على الوجوه الكثيرة الدالة على قولنا واكثر الايات كذلك مشتملة على الوجهين والله اعلم وقوله تعالى (واقسموا بالله جند ايمانهم لا يبعث الله من عوت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وفيه مستثنان (الاولى) اعلم ان هذا هو الشبهة الرابعة لمنكرى النبوة فقالوا القول بالبعث والحشر والنشر باطل فكان القول بالنبوة باطلا (اما المقام الاول) فقريه ان الانسان ليس الالهة البنية المخصوصة فاذامات وتفرقت اجزاؤه وبطل ذلك المزاج والاعتدال امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقدنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعدفائه وعدمه فالذى يعود يجب ان يكون شيئا مغايرا للاول فلا يكون عينه (واما المقام الثانى) وهوانه لما بطل القول بالبعث بطل القول بالنبوة وتقريره من وجهين (الاول) ان نحمدا كان داعيا الى تقرير القول بالمعاد فاذا بطل ذلك ثبت انه كان داعيا الى القول الباطل ومن كان كذلك لم يكن رسولا صادقا (الثانى) انه يقرر نبوة نفسه ووجوب طاعته بناء على الترغيب في الثواب

فالدخول عبارة عن الملازمة والقسامة (خالد بن فيها) لا اريد بالدخول حدوته فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة (فبئس مثوى المتكبرين) من التوحيد كما قال تعالى فلوهم منكروهم مستكبرون وذكرهم بدنوان التكبر للاشعار بعليته لثوابهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اى جهنم وتأويل قولهم ما كنا فعل من سوء بأننا ما كنا عاملين ذلك في اعتقادنا روما للصفاة على ان لا كذب نعمة ربه الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم) وقيل للذين (اتوا) اى المؤمنين وصفوا بالقوى اشعارا بأن ما صدر عنهم من الجواب نأتى من القوى (ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) سلخوا في الجواب مسلك السؤال من غير تغلب ولا تغيير في الصورة والمعنى اى انزل خيرا فانه جواب مطابق للسؤال سبكا ولواقف في نفس الامر مضونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن تنج الحق الواقع الذى ليس له من دافع غير واصوره وعدلوا بما عن سنن السؤال حيث زفوا الاساطير روما لاسر من انكار القول روى ان الحياء العرب كانوا يبعثون ايام القوم من بانهم غير النجى عليه السلام فاذا جاء الوافكته بالفتنسون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر واذا ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر مجدوار له فيلقى اصحاب النبي صلى

والتهيب عن العقاب واذابطل ذلك بطلت نبوته اذا عرفت هذا فقولوا قسموا بالله جهد ايمانهم لايعد الله من يموت معناه انهم كانوا يدعون العلم الضروري بأن الشيء اذا فني وصار عدماً محضاً ونقياً صرفاً فانه بعد هذا عدم الصرف لا يعود بديعه بل العائد يكون شيئاً آخر غيره وهذا القسم واليمين اشارة الى انهم كانوا يدعون العلم الضروري بأن عودته بعينه بعد عدمه محال في بدية العقل وقسموا بالله جهد ايمانهم على انهم يحذون من قلوبهم وعقولهم هذا العلم الضروري واما بيان انه لما بطل القول بالبعث بطل القول بالنبوة فلما ذكره على سبيل التصريح لانه كلام جلي متبادر الى العقول فتركوه لهذا العذر ثم انه تعالى بين ان القول بالبعث ممكن ويدل عليه وجهان (الاول) انه وعد حق على الله تعالى فوجب تحقيقه ثم بين السبب الذي لاجله كان وعدا حقا على الله تعالى وهو التمييز بين المطيع وبين العاصي وبين المحق والمبطل وبين الظالم والمظلوم وهو قوله ليعين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين وهذه الطريقة قد بالغنا في شرحها وتقريرها في سورة يونس (والوجه الثاني) في بيان امكان الحشر والنشر ان كونه تعالى موجداً للشيء ومكنواً لما لا يتوقف على سبق مادة ولامدة ولا آلة وهو تعالى اتم ما يكونها بمحض قدرته ومشيئته وليس لقدرته دافع ولا لمشيئته مانع فعبّر تعالى عن هذا النفاذ الخالي عن المعارض بقوله اتمامقولا لشيء اذا اردناه ان نقوله كن فيكون واذا كان كذلك فكما انه تعالى قدر على اليجاد في الابتداء وجب ان يكون قادراً عليه في الازادة ثبت بهذين الدليلين القاطعين ان القول بالبحر والنشر والبعث والقيامة حق وصديق والقوم انما طعنوا في صحة النبوة بناء على الطعن في هذا الاصل فلما بطل هذا الطعن بطل ايضا طعنهم في النبوة والله اعلم (المسئلة الثانية) قوله ولاقسموا بالله جهد ايمانهم حكاية عن الذين اشركوا وقوله بلى ايات لما بعد النبي اى بلى بعثهم وقوله وعدا عليه حقا مصدر مؤكد اى وعد بالبعث وعدا حقا لا خلف فيه لان قوله بعثهم دل على قوله وعد بالبعث وقوله ليعين لهم الذي يختلفون فيه من امور البعث اى بلى بعثهم ليعين لهم وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما قسموا فيه ثم قال تعالى اتمامقولا لشيء اذا اردناه ان نقوله كن فيكون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لقاتل ان يقول قوله كن ان كان خطابا مع المعدم فهو محال وان كان خطابا مع الموجود كان هذا امرا بتحصيل الحاصل وهو محال والجواب ان هذا تمثيل لنبي الكلام والمعاية وخطاب مع المخلوق بما يعقلون وليس خطابا للمعدم لان ما اراده الله تعالى فهو كائن على كل حال وعلى ما اراده من الاسراع ولو اراد خلق الدنيا والآخرة بما فيها من السموات والارض في قدر لمح البصر لقد رعى ذلك ولكن العباد خاطبوا بذلك على قدر عقولهم (المسئلة الثانية) قوله تعالى قولنا مبتداً وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا حدوث شيء فليس الا ان نقوله

(احدث)

الله عليه وسلم ورضي عنهم فينبو عنه بمحققه لحال فهم الذين قالوا خيرا (الذين احسنوا اى) اعمالهم اوفلوا الاحسان (في هذه) الدار (الدنيا حسنة) اى مثوبة حسنة مكافاة فيها (ولدار الآخرة) اى مثوبتهم فيها (خير) مما لو توالى الدنيا من المثوبة او خير على الاطلاق فيكون اسناد الخبرية الى نفس دار الآخرة (ولنم دار المتقين) اى دار الآخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتداً مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم اغنى من جلة احسانهم ووعدهم بذلك نوابي الدنيا والآخرة فلا محمل له من الاعراب او بدل من خيرا او تحصيله اى انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيباً للسائل (جنات عدن) خبر مبتداً محذوف او مبتداً خبر محذوف اى لهم جنات ويحوز ان يكون هو المخصوص بالمدح (يدخلونها) صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك (يجرى من تحتها الانهار) او كلاهما حال على تقدير علميته (لهم فيها) في تلك الجنات (ما يشاؤون) الطرف الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل ما في الاول او متعلق به اى حاصل لهم فيها ما يشاؤون من انواع المستحبات وتقديره للاحتراز عن توهم لطفه بالمشيئة او لما مرمرارا من ان تأخير ما حقه التقديم يوجب رقيب النفس اليه فيمكن عند ورودها عليها ففضل يمكن (كذلك) مثل ذلك الجزء الا في (يجرى الله المتقين) اللام

البحر من اى كل من يتقى من الشرك
والمعاصي ويدخل فيه المتقون
الذين كورون دخولوا اوليا
ويكون فيه بمثل لغوهم على
التقوى والولعده فيكون فيه
تفسير للكهنة (الذين تنوفاهم
اللائكة) نعمت للمتقين وقوله
تعالى (طيبين) اى طاهرين عن
دنس الظلم لا تقسم حال من
الخير وفادته الايدان بان ملاك
الامر في التقوى هو الطهارة
عازر الى وقت توفيه فقيه
حث للؤمنين على الاستقرار
على ذلك ولغيرهم على تحصيله
وقيل فرحين طيب النفس
بشارة لللائكة اياهم بالجنة
طيبين بقبض ارواحهم لتوجه
نفسهم بالكلية الى جناب
القدس (يقولون) حال من
اللائكة اى قائلين لهم (سلام
عليكم) قال القرطبي رحمه الله
اذا سمعت نفس المؤمن جاءه
ملك الموت عليه السلام فقال
السلام عليك ياولى الله الله تعالى
يقرأ عليك السلام ويشره بالجنة
(ادخلوا الجنة) اللام للهدى اى
جنات عدن الخ ولذلك جردت
عن النسب والمراد دخولهم لها
وقفتان ذلك بشارة عظيمة وان
ترامح البشر به لادخول القبر الذى
هو روضة من رياضها اذ ليس
في البشارة ما فى البشارة
بمدخول نفس الجنة بما كنتم
تعملون (بسبب ثباتكم على
التقوى والطاعة اوبالذى كنتم
تعملونه من ذلك وقيل المراد
بالثوبى التوفى للعشر لان الامر
بالدخول حيثن يتحقق (هل
ينظرون) اى ما ينظر كفار
مكة المار ذكرهم (الان تأتهم
اللائكة) لقبض ارواحهم

احدث فيحدث عقب ذلك من غير توقف (المسئلة الثالثة) قرأ ابن عامر والكسائى
فيكون بنصب النون والباقون بالرفع قال الفراء القراءة بالرفع وجهها ان يجعل قوله
ان نقول له كلاما تاما ثم يخبر عنه بانه سيكون كايقال ان زيدا يكفيه ان امر فيفعل
فترفع قوله فيفعل على ان يجعله كلاما مبتدا واما القراءة بالنصب فوجهه ان يجعله
عطفيا على ان نقول والمعنى ان نقول كن فيكون هذا قول جميع النحويين قال الزجاج
ويحوز ان يكون نصبا على جواب كن قال ابو علي لفظه كن وان كانت على لفظه الامر
فليس القصد به ههنا الامر انما هو والله اعلم الاخبار عن كون الشيء وحدوثه واذا
كان الامر كذلك فيثبت بطل قوله انه نصب على جواب كن والله اعلم (المسئلة الرابعة)
احتج بعض اصحابنا بهذه الآية على قدم القرآن فقالوا قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا
أردناه ان نقول له كن فيكون يدل على انه تعالى اذا اراد احداث شيء قاله كن فيكون
فلو كان قوله كن حادثا لاقتصر احداثه الى ان يقول له كن وذلك يوجب التسلسل وهو
محال ثبت ان كلام الله قديم واعلم ان هذا الدليل عندى ليس فى غاية القوة وبانه من
وجوه (الاول) ان كلمة اذا لا تفيد التكرار والدليل عليه ان الرجل اذا قال لامر اثم اذا
دخلت الدار فانت طالق فدخلت الدار مرة طلقت طفلة واحدة فلو دخلت ثانيا لم تطلق
طفلة ثانية فعلمنا ان كلمة اذا لا تفيد التكرار واذا كان كذلك ثبت انه لا يلزم في كل
ما يحدثه الله تعالى ان يقول له كن فيلزم التسلسل (والثاني) ان هذا الدليل ان صح
لزم القول بقديم لفظه كن وهذا معلوم البطلان بالضرورة لان لفظه كن مركبة
من الكاف والنون وعند حضور الكاف لم تكن النون حاضرة وعند مجي النون
تبولى الكاف وذلك يدل على ان كلمة كن بمنع كونها قديمة وانما الذى يدعى اصحابنا
كونه قديما صفة مغايرة للفظه كن فالذى تدل عليه الآية لا يقول به اصحابنا والذى
يقولون به لا تدل عليه الآية فسمعت التمسك به (والثالث) ان الرجل اذا قال ان فلانا
لا يقدم على قول ولا فعل الا ويستعين فيه بالله تعالى فان عاقلا لا يقول ان استعانة
بالله فعل من افعاله فيلزم ان يكون كل استعانة مسبوقه باستعانة أخرى الى غير النهاية
لان هذا الكلام بحسب العرف باطل فكذلك ما قالوه (والوجه الرابع) ان هذه الآية
مشيرة بحدوث الكلام من وجوه (الاول) ان قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه
يقضى كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث (والثاني) انه علق القول
بكلمة اذا ولا شك ان لفظه اذا تدخل للاستقبال (والثالث) ان قوله ان نقول له لا خلاف
ان ذلك يبي من الاستقبال (والرابع) ان قوله كن فيكون يدل على ان حدوث الكون
حاصل عقب قوله كن فكيف يكون كلمة كن مقدمة على حدوث الكون بزمن واحد والمقدم
على المحدث بزمن واحد يجب ان يكون محدثا (والوجه الخامس) انه معارض بقوله تعالى
وكان امر الله مفعولا وكان امر الله قدرا مقسودا الله تزل احسن الحديث فليأتوا

بالمذاب جعلوا منتظرين لذلك
 وشتان بينهم وبين انتظاره لآلانه
 ليحققهم البتة فوق الاسرار المنتظرين
 لمباشرتهم لاسبابه الموجبة له
 المودية اليه فكأنهم قصدون
 اتيانه ويتصدون لوروده
 وفري بتذكير الفعل (اوبأى
 امر ديك) التعرض لوصف
 الربوبية مع الاضافة الى
 ضميره عليه الصلاة السلام
 اشعار بأن اتيانه لطيف به عليه
 الصلاة والسلام وان كان عذابا
 عليهم والمراد بالامر المذاب
 الدينوى للقيامه لكن لآلان
 انتظارها يجمع انتظار اتيان
 الملائكة فلا يلائمه اللطف
 بأولائها ليست نصا في العناد اذ
 يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد
 بآوادها كفاية كل واحد من
 الامرين في عذابهم بل لان قوله
 تعالى فيما ساقى ولكن كانوا
 انفسهم يظنون فاصابهم الآية
 صريح في ان المراد به ما اسالهم
 من المذاب الدينوى (كذلك)
 اى مثل فعل هؤلاء من الشرك
 والظلم والتكذيب والاستهزاء
 (فعل الذين) خلو (من قبلهم) من
 الام (وما ظلم الله) بما ساقى من
 عذابهم (ولكن كانوا) بما كانوا
 معتقدين عليهم من القابح الموجبة
 لذلك (انفسهم يظنون) كان
 الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم
 الظالمين كما في سورة الزخرف
 لكنه اورد ما عليه النظم الكريم
 لافادة ان غاية ظلمهم آية اليهم
 وعاقبته مقصورة عليهم مع
 استنزام اقصار ظلم كل احد على
 نفسه من حيث الوقوع اقتصاره
 عليه من حيث الصدور وقد
 مر تحقيقه في سورة يونس

محدث مثله ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة فان قيل فبهم ان هذه الآية لا تدل على
 قدم الكلام ولكنكم ذكرتم انها تدل على حدوث الكلام فالجواب عنه قلنا نصرف
 هذه الدلائل الى الكلام المسموع الذى هو مركب من الحروف والاصوات ونحن نقول
 بكونه محدثا مخلوقا والله اعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظنوا ان
 بنو نضير قد كفروا) الذين هاجروا الى الله من بعد ما ظنوا ان بنو نضير قد كفروا
 فى الدنيا حسنة ولا اجر الاخرة كبر لو كانوا يعملون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون اعلم
 انه تعالى لمساكن عن الكفار انهم اقسعوا بالله جهدا يمانتهم على انكار البعث والقيامة
 دل ذلك على انهم تهادوا فى الغي والجهل والضلال وفى مثل هذه الحالة لا يبعد اقدامهم على
 ابداء المسلمين وضرمهم وازال العقوبات بهم وحينئذ يلزم على المؤمنين ان يهاجروا عن
 تلك الديار والمساكن فذكر تعالى فى هذه الآية حكم تلك الهجرة وبين مالهؤلاء المهاجرين
 من الحسنات فى الدنيا والاجر فى الاخرة من حيث هاجروا وصبروا وتوكلوا على الله وذلك
 ترغيب لغيرهم فى طاعة الله تعالى قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فى ستة
 من الصحابة صهيب وبلال وهما وخباب وعابس وجابر ومولين لقريش فجعلوا يعذبونهم
 ليردوهم عن الاسلام اما صهيب فقال لهم انار رجل كبير ان كنت لكم لم انفعكم وان كنت
 عليكم لم اضركم فاعتدى منهم بماله فلما رآه اوبى بكر قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر بن
 الخطاب لرجل صهيب لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريدون ان يخلق الله النار لا طاعة فكيف
 ظنك به وقد خلقها واما سائرهم فقد قالوا بعض ما اراد اهل مكة من كلمة الكفر والرجوع
 عن الاسلام فزكوا عذابهم ثم هاجروا فنزلت هذه الآية وبين الله تعالى بهذه الآية عظم
 محل الهجرة ومحل المهاجرين فالوجه فيه ظاهر لان بسبب هجرتهم ظهرت قوة الاسلام كما
 ان بنصرة الانصار قويت شوكتهم ودل تعالى بقوله والذين هاجروا فى الله ان الله ان الهجرة اذا لم
 تكن لله لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد وقوله من بعد ما ظنوا معناه
 انهم كانوا مظلومين فى ابدى الكفار لانهم كانوا يعذبونهم ثم قال لنبوئهم فى الدنيا حسنة
 وفيه وجوه (الاول) ان قوله حسنة صفة للمصدر من قوله لنبوئهم فى الدنيا والتقدير
 لنبوئهم نبوة حسنة وفى قراءة على عليه السلام لنبوئهم ابواء حسنة (الثانى) لنزلتهم
 فى الدنيا منزلة حسنة وهى الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل
 المشرق والمغرب وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله
 لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ذكر لك فى الاخرة كبر (والقول الثالث) لنبوئهم
 مائة حسنة وهى المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم وهذا قول الحسن والشعبي
 وقادة والتقدير لنبوئهم فى الدنيا دارا حسنة او بلدة حسنة يعنى المدينة ثم قال تعالى
 ولا اجر الاخرة اكبر واعظم واشرف لو كانوا يعملون والضمير الى من يعود فيه قولان
 (الاول) انه عائد الى الكفار اى او علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المستضعفين فى ايديهم
 الدنيا والاخرة لرغبوا فى دينهم (والثانى) انه راجع الى المهاجرين اى لو كانوا يعملون ذلك

(فأصابعهم) عطف على قوله تعالى

فعل الذين من قبلهم وما بينهما
اعتراض ليسان أن فعلهم ذلك
ظلم لأنفسهم (سيئات ما عملوا)
أي اجزية أعمالهم السيئة على
طريقة تحسية السبب باسم سببه
أي إذا ما بقطاعته لا على حذف
المضاف فإنه هوهم أن لهم أعمالا
غير سيئاتهم (وحاق بهم) أي احاط
بهم من الحيق الذي هو احاطة
الشروع والبلغ من الاصابة وانقطع
(ما كانوا به يستهزون) من
العذاب (وقال الذين ائتمروا)
أي اهل مكة وهو بيان لمن آخر
من كفرهم والعدل عن الأخبار
الموصول لتقريرهم بأن حيز
الصلة ومنهم بذلك من اول
الامر (لوشاء الله ما عبدا من
دونه من شيء) أي لو شاء عدم
عبادتنا لشيء غيره كما تقول لما
عبداً ذلك (نحن ولا آئونا) الذين
نعتدي بهم في ديننا (ولا حرمناهم
دونه من شيء) من السوابب
والجائز وغيرهما كما قالوا ذلك
تكذيباً للرسول عليه الصلاة
والسلام وطمنا في الرسالة رأساً
متسكين بأن ما شاء الله تعالى يجب
ومأمراً بما يتبعه فلو شاء الله أن
نوحده ولا نفر كشيء أو لا نحرم
ما حرمنا شيئاً كما يقوله الرسل
ويقولونه من جهة الله من وجل
لكان الامر كما شاء من التوحيد
وأي الاثر الكوفاً بما تبعها وحيث
لم يكن كذلك ثبت أنه لم يباشراً
من ذلك وأما بقوله الرسل من
تلقاه أنفسهم فاجيب عنه بقوله
عز وجل (كذلك) أي مثل ذلك
الفعل الشنيع (فعل الذين من
قبلهم) من الامم أي ائتمروا بالله
وحرروا حمله وردو ارسله
وجادلوهم بالباطل حين نهوهم
عن الخطأ

زادوا في اجتهادهم وصبرهم ثم قال الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وفي محل الذين وجوه
(الاول) انه بدل من قوله والذين هاجروا (والثاني) ان يكون التقدير هم الذين صبروا
(والثالث) ان يكون التقدير اعني الذين صبروا وكلا الوجهين مدح والمعنى أنهم صبروا
على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله وعلى المجاهدة وبذل الاموال والانتس
في سبيل الله وبالجملة فقد ذكر فيه الصبر والتوكل اما الصبر فلا يسعى في قهر النفس واما
التوكل فللانتفاع بالكيفية من الخلق والتوجه بالكيفية الى الحق (فالاول) هو مبدأ
السلوك الى الله تعالى (والثاني) آخر هذا الطريق ونهايته والله اعلم قوله تعالى
(وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم فاستلوا اهل الذكر ان كنتم لانتعون بالبينات
والزبر واتلنا اليك الذكريات لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) فأن الذين هموا
السيئات ان يخصف الله بهم الارض اوبأتهم العذاب من حيث لا يشعرون اوبأخذهم
في قلوبهم فاهم مجبرين اوبأخذهم على تخوف فان ربكم رؤوف رحيم في الآية مسائل
(المسئلة الاولى) اعلم ان هذا هو الشبهة الخامسة لتكرى النبوة كانوا يقولون الله اعلى
واجل من ان كون رسوله واحدا من البشر بل وأراد بعثة رسول اليالكان يعث
ملكا وقد ذكرنا تقرير هذه الشبهة في سورة الانعام فلا تعدده ههنا ونظير هذه الآية قوله
تعالى حكاية عنهم وقالوا لولا انزل عليه ملك وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقالوا ما هذا
الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعمتم بشرامثلكم
وقال اكان للناس عجباً ان اوحينا الى رجل منهم وقالوا لولا انزل عليه ملك فيكون معه
تذير افأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم والمعنى
ان عاده الله تعالى من اول زمان الخلق والتكليف انه لم يعث رسولا الا من البشر فهذه
العادة مستمرة لله سبحانه وتعالى وطعن هؤلاء الجهال بهذا السؤال الركيك ايضا طعن
قديم فلا يلتفت اليه (المسئلة الثانية) دلت الآية على انه تعالى ما ارسل احدا من النماء
ودلت ايضا على انه ما ارسل ملكا لكن ظاهر قوله جاعل الملائكة رسلا يدل على ان
الملائكة رسل الله الى سائر الملائكة فكان ظاهر هذه الآية دليلا على انه ما ارسل رسولا
من الملائكة الى الناس قال القاضي وزعم ابو علي الجبائي انه لم يعث الى الانبياء عليهم
السلام الا من هو بصورة الرجال من الملائكة ثم قال القاضي لعله أرا دان الملك الذي
يرسل الى الانبياء عليهم السلام بحضرة أهمهم لانه اذا كان كذلك فلا بد من ان يكون ايضا
بصورة الرجال كما روى ابن جرير عليه السلام حضر عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم في صورة دحية الكلبي وفي صورة سرافة واما قلنا ذلك لان المعلوم من حال الملائكة
ان عند ابلاغ الرسالة من الله تعالى الى الرسول فتديقون على صورتهم الاصلية الملكية
وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على صورته التي هو

وهدهم الى الحق (فهل على
الرسول الذين يبلغون رسالات
الله وعوامهم امر وينبه الا
البلاغ المبين اى ليست وظيقتهم
الاتبليغ الرسالة تبليغا واضحا او
موضعا واثابة طريق الحق واظهار
احكام الوحي الذى من جلالتها
تحتم تعلق مشيئة الله تعالى
باهتدائه من صرف قدرته
واختياره الى تحصيل الحق
لقوله تعالى وان الذين جاهدوا
فيما لئن هديتهم سلبنا واما
الجاؤهم الى ذلك وتنفيد قولهم
عليهم شأوا اوابوا كما هو مقتضى
استدلالهم فليس ذلك من
وظيقتهم ولا من الحكمة التى عليها
يدور امر التكليف فى شئ حتى
يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم
حقيقة لرسول او على عدم تعلق
مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب
عليه الثواب والعقاب من افعال
العباد لا بد فى تعلق مشيئته تعالى
بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له
وصرف اختيارهم الجزئى الى تحصيله
والا لكان الثواب والعقاب
اضطرابا ريبا فالفاء لتعليل كانه
قبل كذلك فعل اسلافهم وذلك
باطل فان الرسل ليس شأنهم
الاتبليغ او امر الله تعالى ونواهيهم
لا تحقيق معنوا نهما واجراء
موجبهما على الناس فمر اوانجاه
وايراد كلمة على للابدان بانهم
فى ذلك مأمورون اوابان ما
يبلغونه حق للناس عليهم اغاذه
وبهذا ظهر ان حل قولهم لوشاء
الله اى على الاستعزاء بالآيات
الجواب والله تعالى اعلم بالصواب
(ولقد يشأ فى كل امه وسولا)
تحقيق لكيفية تعلق مشيئته
تعالى بافعال العباد بعد بيان
ان الاجلاء ليس من وظائف

عليهم امرتين وعليه تأولو قوله تعالى ولقد آتاكم الزلزال فاعلموا ان الله تعالى بما تعملون خبير
اتبعه بقوله فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فى المراد
بأهل الذكر وجوه (الاول) قال ابن عباس رضى الله عنهما ما يريدها التوراة والذكر هو
التوراة والدليل عليه قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر يعنى التوراة (والثانى)
قال الزجاج فاسألوا اهل الكتب الذين يعرفون معانى كتب الله تعالى فانهم يعرفون
ان الانبياء كلهم بشر (والثالث) اهل الذكر اهل العلم باخبار الماضين اذ العالم بالشيء
يكون ذا كراهة (والرابع) قال الزجاج معناه سلوا كل من يذكر بعلمه وتحقيقه واول الظاهر
ان هذه الشبهة وهى قولهم الله اعلى واجل من ان يكون رسوله واحدا من البشر انما
تمسك بها كفار مكة ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود والنصارى اصحاب العلوم والكتب
فأمرهم الله بان يرجعوا فى هذه المسئلة الى اليهود والنصارى ليسوالهم ضعف هذه
الشبهة وسقوطها فان اليهودى والنصرانى لا بد لهما من تعريف هذه الشبهة وبيان
سقوطها (المسئلة الثانية) اختلف الناس فى انه هل يجوز للمجتهد تقليد المجتهد منهم من
حكم بالجواز واخرج بهذه الآية فقال المالم يكن احد المجتهدين عالما وجب عليه الرجوع
الى المجتهد الاخر الذى يكون عالما لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون فان
لم يجز فلا قل من الجواز (المسئلة الثالثة) احتج نقاة القياس بهذه الآية فقالوا المكلف
اذا تزلت به واقعة فان كان بالمحكمها لم يجز له القياس وان لم يكن عالما بحكمها وجب
عليه سؤال من كان عالما بالظاهر هذه الآية ولو كان القياس حجة لما وجب عليه سؤال
العالم لاجل انه يمكنه استنباط ذلك الحكم بواسطة القياس فثبت ان تجوز العمل
بالقياس يوجب ترك العمل بظاهر هذه الآية فوجب ان لا يجوز والله اعلم وجوابه
انه ثبت جواز العمل بالقياس باجتماع الصحابة والاجماع اقوى من هذا الدليل والله اعلم
ثم قال تعالى بالبينات والزبر وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) ذكروا فى الجالب لهذه
الباء وجوها (الاول) ان التقدير وما رسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم
وانكر الفراء ذلك وقال ان صلة ما قبل الا لا يتأخر الى ما بعد الا والدليل عليه ان المستثنى
عنه هو مجموع ما قبل الامع صلته فلم يصرف هذا المجموع مذكورا بشماه متنع ادخال
الاستثناء عليه (الثانى) ان التقدير وما رسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم بالبينات والزبر
وعلى هذا التقدير قوله بالبينات والزبر متعلق بالمستثنى (الثالث) ان الجالب لهذه
الباء محذوف والتقدير ارسلناهم بالبينات وهذا قول الفراء قال ونظيره مامر الاخوانك
زيد مامر الاخوانك ثم يقول مر زيد (الرابع) ان قال الذكر بمعنى العلم والتقدير فاسألوا
اهل الذكر بالبينات والزبر ان كنتم لاتعلمون (الخامس) ان يكون التقدير ان كنتم
لاتعلمون بالبينات والزبر فاسألوا اهل الذكر (المسئلة الثانية) قوله تعالى بالبينات والزبر
لفظة جامعة لكل ما تكامل به الرسالة لان مدار امرها على المجزات الدالة على صدق من

يدعى الرسالة وهى البينات وعلى التكليف التى يلقها الرسول من الله تعالى الى العباد وهى الزبريم قال تعالى واتزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ظاهر هذا الكلام يقتضى ان هذا الذكر مفقود الى بيان رسول الله والمفتقر الى البيان بجمل فظاهر هذا النص يقتضى ان القرآن كله بجمل فلهذا المعنى قال بعضهم متى وقع التعارض بين القرآن وبين الخبر وجب تقديم الخبر لان القرآن بجمل والدليل عليه هذه الآية والخبر مبين له بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل والجواب ان القرآن منه محكم ومنه متشابه والمحكم يجب كونه مبينا ثبت ان القرآن ليس كله بجمل بل فيه ما يكون بجملا لقوله لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على المجملات (المسئلة الثانية) ظاهر هذه الآية يقتضى ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبين لكل ما نزل الله تعالى على المكلفين فعند هذا قال نفاة القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول بيان كل ما نزل الله تعالى على المكلفين من الاحكام لاحتمال ان يبين المكلف ذلك الحكم بطريقة القياس ولما دلت هذه الآية على ان المبين لكل التكليف والاحكام هو الرسول صلى الله عليه وسلم هلنا ان القياس ليس بحجة واجيب عنه بأنه صلى الله عليه وسلم لما بين ان القياس حجة فنرجع فى تبين الاحكام والتكليف الى القياس كان ذلك فى الحقيقة رجوعا الى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى افأمن الذين مكروا السيئات المكفر فى اللغة عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء ولا بد ههنا من اضممار والتقدير المكرات السيئات والمراد اهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبي المراد بهذا المكروا اشتغالهم بعبادة غير الله تعالى والاقراب ان المراد سعيهم فى ابداء الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه على سبيل الخفية ثم انه تعالى ذكر فى تهديدهم امور الربعة (الاول) ان يحسف الله بهم الارض كما حسف بقارون (والثاني) ان ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون والمراد ان ياتيهم العذاب من السماء من حيث يفتجوهم فيه لئلا يفتكروا (والثالث) ان يأخذهم فى قلوبهم غاهم بمجيزين وفى تفسير هذا القلب وجوه (الاول) انه يأخذهم بالقوبة فى اسفارهم فانه تعالى قادر على اهلاكهم فى السفر كما انه قادر على اهلاكهم فى الحضر وهم لا يحجزون الله بسبب ضربهم فى البلاد العبدية بل يدركهم الله حيث كانوا وحل لفظ القلب على هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى لا يفرتك قلب الذين كفروا فى البلاد (وثانيهما) تفسير هذا اللفظ بأنه يأخذهم بالليل والنهار فى احوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وحقيقته فى حال تصرفهم فى الامور التى تصرف فيها امثالهم (وثالثها) ان يكون المعنى اوى يأخذهم فى حال ما يقلبون فى قضايا افكارهم فيقول الله بينهم وبين اتمام تلك الحيل قسرا كما قال ولونشاء لطمسنا على اعينهم فاسبقوا الصراط فأتى بصرون وحل لفظ القلب على هذا المعنى مأخوذ من قوله وقلوبوا لك الامور فانهم اذا قلبوها فقد قلبوا فيها (والنوع الرابع) من الاشياء التى ذكرها الله تعالى فى هذه الآية

الرسالة ولأمن باب انثنية المتعلقة
يدور عليه الثواب والعقاب
من الاقبال الاختيارية لهم اى
بعثنا من كل امة من الائمة
رسولا خلاصا لهم (ان اعبدوا
الله) يجوز ان تكون ان مفسرة
لما فى البحث من معنى القول وان
تكون مصدرة اى بعثنا بأن
اعبدوا الله وحده (واجتنبوا
الطاغوت) هو الشيطان وكل
ما يدعو الى الضلالة (فهم) اى
من تلك الائمة والغياض فصحة اى
فلقوا ما يشاءوا به من الامور
التي وحده واجتناب الطاغوت
ففسروا فهم (من هدى الله)
الى الحق السدى هو عبادته
واجتناب الطاغوت بعد صرف
قدرتهم واختيارهم الجزئى الى
تخصيله (ومنهم من هدى الله
الضلالة) اى وجهت وبثت الى
حين الموت لغناه واصرارها عليها
وعدم صرف قدرته الى تحصيل
الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان
ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى
واذا سرعنت فهو يشقى فمن
يكن كل من مشيئة الهداية
وعندهما الاحتمال حصل منهم من
التوجه الى الحق وعدمه الا
بطريق القسر والالهاء حتى
يستدل بدمهم على عدم تلقى
مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى
وحده (فسيروا) يامعشر قرش
(فى الارض فانظروا) فى كتابها
(كيف كان عاقبة المكذبين) من
عاد وعمود ومن سار سريتهم من
حققت عليه الضلالة لعلكم تتنبرون
حين تشاهدون فى منازلهم
ويذابهم آثار الهلاك والعذاب
وتزيب الامر بالسيرة على مجرد
الاخبار بثبوت الضلالة

عليهم من غير اخبار يحسول العذاب لا لايذان بأنه غنى عن البيان وان ليس ظهير كاليمين ورتيب النظر على السير لما انه بعده وان ملك الامر في تلك المابقة هو التكذيب والتعلل بأنه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء (ان تقرر) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يفتح الراء وهى لفظة (على هدام) اى ان تطلب هدايتهم ببهدك (فان الله لا يهدي من يشاء) اى فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قرش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتخصيص على انهم ممن حقت عليهم الضلالة وللشعار بجملة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للبراء المحذوف اى ان تقرر على هدام فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يشاء وهؤلاء من جعلهم وقرئ لا يهدي على بناء المفعول اى لا يهدي احدهم على هداية من يضل الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدى في الدال ويجوز ان يكون يهتدى بمعنى يهتدى وقرئ يضل بفتح الباء وقرئ لا هادى لمن يضل ولن اضل (وما لهم من ناصرين) يتصور لهم في الهداية او يدفون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الاتحاد الى الاتحاد لا لأن المراد نفي طاعة من الناصرين من كل معنهم (واقسموا بالله) شروع في بيان فن آخرن اباطيلهم وهو انكارهم البعث (جهدا عنهم) مصدر في موقع

على سبيل التهديد قوله تعالى او يأخذهم على تخوف وفي تفسير الخوف قولان (الاول) الخوف تفعل من الخوف يقال خفت الشيء وتخوفته والمعنى انه تعالى لا يأخذهم بالعذاب اولاً بل يخيفهم اولاً ثم يعذبهم بعده وتلك الاخافة هو انه تعالى يهلك فرقة فخفاف التي تلها فيكون هذا اخذاً ورد عليهم بعد ان يبرهم قبل ذلك زماناً طويلاً في الخوف والوحشة (والقول الثاني) ان الخوف هو التقص قال ابن الاعراب يقال تخوفت الشيء وتخيفته اذا تقصته وعن عرائنه قال على المنبر ماتقولون في هذه الآية فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا الخوف التقص فقال عزّهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد

تخوف الرجل منها ما كقردا * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر ايها الناس عليكم بدو انكم لاتصلوا قالوا وما بدونا قال شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم اذا عرفت هذا فقول هذا التقص يحتمل ان يكون المراد منه ما يقع في اطراف بلادهم كما قال تعالى ولا يرون اننا نأتى الارض ننقصها من اطرافها والمعنى انه تعالى لا يعاجلهم بالعذاب ولكن ينقص من اطراف بلادهم الى القرى التي تجاورهم حتى يخلص الامر اليهم فيقتلهم يهلكهم ويحتمل ان يكون المراد انه ينقص اموالهم وانفسهم قليلاً قليلاً حتى يأتى الفناء على الكل فهذا تفسير هذه الامور الاربعة والخاص ان الله تعالى خوفهم بخسف يحصل في الارض او بعذاب ينزل من السماء او باقتات تحدث دفعة واحدة حال ما لا يكونون عالمين بعلا ماتها ودلائلها او باقتات تحدث قليلاً قليلاً الى ان يأتى الهلاك على آخرهم ثم ختم الآية بقوله فان ربكم رؤوف رحيم والمعنى انه يسهل في اكثر الامر لانه رؤوف رحيم فلا يعاجل بالعذاب ﴿ قوله تعالى (اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يفيؤ ظلاله عن الجين والسمائل سجدوا لله وهم داخرون والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يسكنون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما خوف المشركين بالانواع الاربعة المذكورة من العذاب اردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير احوال العالم العلوى والسفلى وتدبير احوال الارواح والاجسام ليظهر لهم ان مع كمال هذه القدرة القاهرة والقوة الغير المتناهية لا يجزع عن ايصال العذاب اليهم على احد تلك الاقسام الاربعة (المسئلة الثانية) قرأ حجة والكسافي اولم تروا بالتاء على الخطاب وكذلك في سورة العنكبوت اولم تروا ان الله بدأ الخلق ثم يعيده بالتاء على الخطاب والباقون بالياء فيهما كناية عن الذين مكروا السيئات وايضا ان ماقبله غيبة وهو قوله ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب او يأخذهم فكذا قوله اولم يروا وقرأ ابو عمرو وحده تفيؤ بالتاء والباقون بالياء وكلاهما جائز لتقدم الفعل على الجمع (المسئلة الثالثة) قوله اولم يروا الى ما خلق الله لما كانت الرؤية ههنا بمعنى النظر وصلت بألى لان المراد به الاعتبار

(والاعتبار)

الحال اى جاهدن في ايمانهم
(لا يمشي الله من موت) ولقد
رد الله تعالى عليهم ابلغ رد
بقوله الحق (بلى) اى بلى بيشمهم
(وعدا) مصدر مؤكدا مل عليه
بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه
او تحذوف اى وعد بذلك وعدا
(عليه) صفة لوعدا اى وعدا ثابتا
عليه انجازا لامتناع الخلف في
وعده والان البعث من مقتضيات
الحكمة (حقا) صفة اخرى له او
لصحب على المصدرة اى حق حقا
(ولكن اكثر الناس) لجهلهم بشؤون
الله عز شأنه من العلم والقدرة
والحكمة وغيرها من صفات
الكمال وما يجوز عليه وما لا يجوز
وعدم وقوفهم على سر التكوين
والغاية القصوى منه وعلى ان
البعث بما يقتضيه الحكمة التى
جرت عادته سبحانه بمراتقاتها
(لا يلحقون) انه يمشي فيثبون
القول بعدهم اوانه وعد عليه
حق فيكذبونه فالتين لقد
وعدا نحن وآباؤنا هذا من قبل
ان هذا الاساطير الاولين (ليبين
لهم) غاية لما دل عليه بلى من البعث
والضيم لمن يموت اذ التبيين يعم
المؤمنين ايضا فانهم وان كانوا
عابدين بذلك لكنه عند معاينة
حقيقة الحال يتضح الامر فيصل
علمهم الى مرتبة عين اليقين اى
ييشمهم لبيان لهم بذلك وما يحصل
لهم من مشاهدة الاحوال كاهى
ومعانيها بصورها الحقيقية
الشأن (الذى) يغفلون فيه من
الحق المنتظم لجميع ما خلقوه مما
جابه الشرع المبين ويدخل فيه
البعث دخولا وائلا (وليعلم الذين
كفروا) بالله سبحانه بالاشراك
وانكسر البعث وتكذيب وعده
الحق (انهم كانوا كاذبين) فى كل ما

والاعتبار لا يكون بنفس الرؤية حتى يكون معها نظر الى الشئ وتأمل لاحواله وقوله الى
ما خلق الله من شئ قال اهل المعاني اراد من شئ له ظل من جبل وشجر وبنا وجسم قائم
ولفظ الآية يشعر بهذا القيد لان قوله من شئ يتفيؤ ظلله عن اليقين والشكائيل يدل على
ان ذلك الشئ كشف بقعه ظل على الارض وقوله يتفيؤ ظلله اخبار عن قوله شئ وليس
يوصف له ويتفيؤ يفعل من الشئ يقال غاء الظل بى فيا اذا رجع وعاد بعد ما نحه ضياه
الشمس واصل الشئ الرجوع ومنه فى المولى وذكرنا ذلك فى قوله تعالى فان فاؤا كان الله
خفورا رحيم وكذلك فى المسلمين لما يعود على المسلمين من مال من خالف دينهم ومنه قوله تعالى
ما افاء الله على رسوله منهم واصل هذا كله من الرجوع اذا عرفت هذا فنقول اذا عدى فاء
فانه يعدى اما بزيادة الهزلة او بتضعيف العين اما التعدية بزيادة الهزلة فكقوله ما افاء
الله واما بتضعيف العين فكقوله فاء الله الظل خفيا وتفيؤ مطاوع فاء قال الازهرى تفيؤ
الظلال رجوعها بعد ان تصاف النهار فالنفيؤ لا يكون الا بالعيشى بعد ما انصرفت عنه
الشمس والظل ما يكون بالقدادة وهو ما لم تله الشمس كما قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه * ولا الشئ من برد العشى تنوق

قال ثعلب اخبرت عن ابى عبيدة ان رؤبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالته عنه فهو
فى وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل ومنهم من انكر ذلك فان ابازيد النشد
لنايفة الجعدى

فسلام الاله بقدو عليهم * وفيوه الفروس ذات الظلال

فهذا الشعر قد اوقع فيه لفظ الشئ على ما لم تنسخه الشمس لان ما فى الجنة من الظل
ما حصل بعد ان كان زائلا بسبب نور الشمس وتقول العرب فى جمع فى افيه وهى للعدد
القليل وفيؤ للكثير كالنفوس والعبود وقوله ظلله اضاف الظلال الى مفرد ومعناه
الاضافة الى ذوى الظلال واما حسن هذا لان الذى عاد اليه الضيم وان كان واحدا
فى اللفظ وهو قوله الى ما خلق الله الا انه كثير فى المعنى ونظيره قوله تعالى لتستنوا على
ظنهوره فاضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد اريد به الكثرة وهو
قوله ما تركبون هذا كله كلام الواحدى وهو بحث حسن اما قوله عن اليقين والشكائيل
ففيه بحثان (الاول) فى المراد باليعين والشكائيل قولان (الاول) ان يعين الفلك هو المشرق
وشماله هو المغرب والسبب فى تخصيص هذين الاسمين بهذين الجانبين ان اقوى جانبى
الانسان يمينه ومنه تظهر الحركة القوية فلما كانت الحركة الفلكية اليومية اخذة من
المشرق الى المغرب لاجرم كان المشرق يمين الفلك والمغرب شماله اذا عرفت هذا فنقول
ان الشمس عند طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط الفلك تقع الاظلال الى الجانب الغربى
فاذا انحدرت الشمس من وسط الفلك الى الجانب الغربى وقع الاظلال فى الجانب الشرقى
فهذا هو المراد من تفيؤ الظلال من اليقين الى الشمال وبالعكس وعلى هذا التقدير فالظلال

الله من موت والتعبير عن الحق
بالموصول للدلالة على فضامته
ولاشعار بعلية ما ذكر في حيز
الصلة للثنين وما عطف عليه
وجعلها غاية للبحث المشار اليه
باعتبار وروده في معرض الرد على
الخالفين وإبطال مقالة المعادين
المستدعي للتعرض لما يرددهم
عن الخالفة وليتهم الى الاذعان
لحقى فان الكفرة اذا علموا ان
تحقيق البعث اذا كان للثنين انه
حق وليعلموا انهم كاذبون في
انكاره كان ذلك ازجر لهم عن
انكاره وادعى الى الاعتراف به
ضرورة انه يدل على صدق العزيمة
على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك
تصل لاصليين رغلا نك واطهارا
لكذبك ولان تكرر الغيائات
ادل على وقوع الفعل الميالها
والا فالغاية لا صلي للبحث باعتبار
ذاته انها جزاء الذي هو الغاية
القصورى للخلق بالغيا بغير فته عن
وجل وعبادته واتهم يذكر ذلك
لتكرر ذكره في مواضع اخر
وشهرته واتهم يدرك الكفار
بكذبهم تمت التبيين بان يقال
وان الذين كفروا كانوا كاذبين
بل سعى بصيغة العلم لان ذلك
ليس مما تعلق به التبيين الذي
هو عبارة عن اظهار ما كان
مبها قبل ذلك بان يحسبه
فيختلف فيه كما ثبت الذي نطق به
القرآن فاختلف فيه المختلفون
واما كذب الكافرين فليس من
هذا القبيل لما يتعلق به علم
ضرورى حاصل لهم من قبل
انفسهم وقدس تحقيقه في سورة
التوبة عند قوله تعالى حتى
يتبين لك الذين صدقوا واتما
خص الاستاد بهم حيث لم يقل

في اول النهار بتدئ من بين الفلك على الربع الغربى من الارض ومن وقت انحدار
الشمس من وسط الفلك بتدئ الاظلال من شمال الفلك واقعة على الربع الشرقى من
الارض (القول الثانى) ان البلدة التى يكون عرضها اقل من مقدار الميل فان في الصيف
تحصل الشمس على يسارها وحينئذ يقع الاظلال على يمينه فهذا هو المراد من انتقال
الاظلال عن الايمان الى الشكائيل وبالعكس هذا ما حصلته في هذا الباب وكلام المفسرين
فيه غير ملخص (المبحث الثانى) لقائل ان يقول ما السبب في ان ذكر اليمين يلفظ الواحد
والشكائيل بصيغة الجمع واجيب عنه باشياء (احدها) انه وحدا ليمين والمراد الجمع ولكنه
اقتصر في اللفظ على الواحد كقوله تعالى ويولون الدر (وثانيها) قال الفراء كانه اذا وحده
ذهب الى واحدة من ذوات الاظلال واذا جمع ذهب الى كلها وذلك لان قوله ما خلق الله
من شىء لفظه واحد ومعناه الجمع على ما ينهه فيحتمل كلا الامرين (وثالثها) ان العرب اذا
ذكرت صيغتي جمع عبرت عن احدهما بلفظ الواحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
وقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم (ورابعها) انا اذا فسرنا ليمين بالشرق كانت النقطة
التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها فكانت اليمين واحدة واما الشكائيل فهي عبارة عن
الانحرافات الواقعة في تلك الاظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة فلذلك عبر الله
تعالى عنها بصيغة الجمع والله اعلم (المسئلة الرابعة) اما قوله سبحانه الله ففهمه احتمالات
(الاول) ان يكون المراد من الجحود الاستسلام والانقياد يقال سجد البعير اذا طسأ
رأسه ليركب وسجدت الخلة اذا مالت لكثرة الحمل ويقال سجد لرد السوء في زمانه اى
اخضع له قال الشاعر * ترى الاكم فيها سجد السحواف * اى متواضعة اذا عرفت هذا
فنقول انه تعالى دبر النيرات الفلكية والاشخاص الكوكبية بحيث يقع اضواءها على
هذا العالم السفلى على وجوده مخصوصة ثم انشاهد ان تلك الاضواء وتلك الاظلال لا تقع
في هذا العالم الاعلى وفق تدبير الله تعالى وتقديره فنشاهد ان الشمس اذا طلعت وقعت
للاجسام الكثيفة اظلالا تمتد في الجنب الغربى من الارض ثم كلما زادت الشمس
طلوعا وارتفاعا زادت تلك الاظلال تقلصا وانقصا الى الجنب الشرقى الى ان تفصل
الشمس الى وسط الفلك فاذا انحدرت الى الجنب الغربى ابتدأت الاظلال بالوقوع
في الجنب الشرقى وكلما زادت الشمس انحدارا زادت الاظلال تمسدا وتزايدها
في الجنب الشرقى وكما اننا نشاهد هذه الحالة في اليوم الواحد فكذلك نشاهد احوال
الاظلال مختلفة في التيامن والتيسار في طول السنة بسبب اختلاف احوال الشمس
في الحركة من الجنوب الى الشمال وبالعكس فلما شاهدنا احوال هذه الاظلال مختلفة
بسبب الاختلافات اليومية الواقعة في شرق الارض وغربها وبحسب الاختلافات
الواقعة في طول السنة في بين الفلك ويساره ورأينا انها واقعة على وجه مخصوص وترتيب
معين علمنا انها منقادة لقدرة الله خاضعة لتقديره وتدبيره فكانت السجدة عبارة عن هذه

وليعلموا ان الكافرين الآية لان
 هم المؤمن بذلك حاصل قبل
 ايضا (انما قولنا) استناد لبيان
 كيفية التكوين على الاطلاق ابداء
 واعادة بعد التنبيه على اية البعث
 ومنه يظهر كيفيته بما كافة
 وقولنا مبتداً وقوله (لشيء) اى
 اى شئ كان عامراً وهان متعلق
 به على ان اللام للتبليغ كهي في
 قولك قلت له ثم فقام وجعلها
 الزجاج سببية اى لاجل شئ
 وليس بواضح والتعبير به بذلك
 باعتبار وجوده عند تعلق
 مشيئة تعالى به لانه كان شيئاً
 قبل ذلك (انما اردناه) ظرف
 لقولنا اى وقت ارادتنا لوجوده
 (ان نقول له كن) خبر للبتداء
 (فيكون) اما عطف على مقدر
 ينص عنه الفاء وينصب عليه
 الكلام اى فنقول ذلك فيكون
 كقولنا تعالى اذ قضى امرنا ما يقول
 له كن فيكون واما جواب الشرط
 محذوف اى فاذا قلنا ذلك فهو
 يكون وليس هناك قول ولا مقول
 له ولا امر ولا ما أمر حتى يقال
 انه يلزم منه احد الحالتين اما
 خطاب المقدم او تخصيص
 الحاصل او يقال انما يستدعيه
 انحصار قوله تعالى كن وليس
 يلزم منه انحصار اسباب التكوين
 فيه كما يفيد قوله تعالى انما امره
 اذا اراد شيئاً ان يقول له كن
 فيكون فان المراد بالامر هو
 الشأن الشامل للقول والفعل
 ومن ضرورة انحصاره في كل شئ
 انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل
 تماهوا بمثل لسهولة تأني القديرات
 حسب تعلق مشيئته تعالى بها

الحالة فان قيل لم لا يجوز ان يقال اختلاف حال هذه الاظلال معلل باختلاف سير النير
 الاعظم الذى هو الشمس لالاجل تقدير الله تعالى وتديره قلنا قد دللنا على ان الجسم
 لا يكون متحركاً لذاته اذ لو كانت ذاته علة لهذا الجزء المخصوص من الحركة لبقى هذا
 الجزء من الحركة لبقاء ذاته ولو بقى ذلك الجزء من الحركة لامتنع حصول الجزء الآخر
 من الحركة ولو كان الامر كذلك لكان هذا سكوناً لا حركة فالقول بان الجسم متحرك
 لذاته يوجب القول بكونه ساكناً لذاته وانه محال وما افضى ثبوته الى نفيه كان باطلاً
 فعلمنا ان الجسم يمنع كونه متحركاً لذاته وايضاً فقد دللنا على ان الاجسام متماثلة في تمام
 الماهية فاختصاص جرم الشمس بالقوة المعينة والخاصية المعينة لا بد وان يكون
 بتدبير الخالق المختار الحكيم اذا ثبت هذا فنقول هب ان اختلاف احوال الاظلال
 انما كان لاجل حركات الشمس الا اننا لما دللنا على ان محرك الشمس بالحركة الخاصة ليس
 الا الله سبحانه كان هذا دليلاً على ان اختلاف احوال الاظلال لم يقع بالتدبير الله
 تعالى وتخليقه ثبت ان المراد بهذا السجود الانقياد والتواضع ونظيره قوله والنجم
 والشجر يسجدان وقوله وظلالهم بالغدو والاصال قدم بياناً وشرحه (والقول
 الثانى) في تفسير هذا السجود ان هذه الاظلال واقعة على الارض ملتصقة بها على
 هيئة الساجد قال ابو العلاء المعرى في صفة واد

بحرف يطيل الخنج فيه سجدته * وللارض زى الراهب المتعبد

فلا كانت الاظلال تشبه بشكلها شكل الساجدين اطلق الله عليها هذا اللفظ وكان
 الحسن يقول اما ظلك فمجد ربك واما انت فلا تسجد له باسماء صنعت وقال مجاهد ظل
 الكافر يصلى وهو لا يصلى وقبل ظل كل شئ يسجد لله سواء كان ذلك ساجداً ام لا واعلم
 ان الوجه الاول اقرب الى الحقائق العقلية والثانى اقرب الى الشبهات الظاهرة (المسئلة
 الخامسة) قوله يسجد حال من الظلال وقوله وهم داخرون اى صاغرون يقال دخروا
 دخوراً اى صغروا صغراً وهو الذى يفعل ما تأمره شاه ام ابى وذلك لان هذه الاشياء
 متقادة لقدرة الله تعالى وتديره وقوله وهم داخرون حال ايضاً من الظلال فان قيل
 الظلال ليست من العقلاء فكيف جاز جمعها بالواو والنون قلنا لانه تعالى لما وصفهم
 بالطاعة والدخور اشبهوا بالعلاء اما قوله تعالى والله يسجد ما فى السموات وما فى الارض
 من دابة والملائكة ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا ان السجود على نوهين
 سجود هو عبادة كسجود المسلمين تعالى وسجود هو عبارة عن الانقياد لله تعالى
 والخضوع ويرجع حاصل هذا السجود الى انها في نفسها ممكنة الوجود والعدم
 قابلة لهما وانه لا يترجح احد الطرفين على الآخر الا لمرجح اذا عرفت هذا فنقول من
 الناس من قال المراد بالسجود المذكور في هذه الآية السجود بالمعنى الثانى وهو
 التواضع والانقياد والدليل عليه ان اللائق بالدابة ليس الا هذا السجود ومنهم من قال

وتصور لسرعة حدوثها بما هو على ذلك من طاعة المأمور المطيع لأمر الأستمر المطاع فاللهي اما إيجادا لشيء عند تعلق مشيئته ان توجد في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الإيجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الضخامة والجزالة ما يصار فيه القول والالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على تقول او تشبها بجواب الامر (والذين هاجروا في الله) اي في سبيل الله تعالى ورضه وفي حقه ولوجهه (من بعد ما ظنوا) ولعلمهم الذين ظنهم اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم يوافق الله تعالى المدينة حسبا وعد بقوله سبحانه (لتبوشه في الدنيا حسنة) اي مائة حسنة او ثبوت حسنة كمال قتاد فهو الانسب بما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية وامامنا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وطاس وجبير وابي جندل ابن سهيل اخذهم المشركون ففعلوا بغيرهم ليردوهم عن الاسلام فأما صهيب فقال لهم انا رجل كبر ان كنت معكم لم اتفكم وان كنت عليكم لم اضره فأتدنى منهم بالله وهاجر فأمر أبو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه ثم البعد صهيب لو لم ينف الله

إليه

المراد بالسجود ههنا هو المعنى الاول لان اللاحق باللائكة هو السجود بهذا المعنى لان السجود بالمعنى الثاني حاصل في كل الحيوانات والنباتات والمعادن ومنهم من قال السجود لفظ مشترك بين الغنيين وحمل اللفظ المشترك لأفاده مجموع معنيته جائز فحمل لفظ السجود في هذه الآية على الامرين معا اما في حق الدابة فبمعنى التواضع واما في حق الملائكة فبمعنى سجد المسلمين لله تعالى وهذا القول ضعيف لانه ثبت ان استعمال اللفظ المشترك لأفاده جميع مفهوماته معا غير جائز (المسئلة الثانية) قوله من دابة قال الاخفش يريد من الدواب واخبر بالواحد كما تقول ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من الرجال مثله وقال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض (المسئلة الثالثة) لقائل ان يقول ما الوجه في تخصيص الدواب والملائكة بالذكر فنقول فيه وجوه (الاول) انه تعالى بين في آية الظلال ان الجمادات بأسرها منقاد لله تعالى وبين بهذه الآية ان الحيوانات بأسرها منقاد لله تعالى لان اخسها الدواب واشرفها الملائكة فلما بين في اخسها وفي اشرفها كونها منقاد لله تعالى كان ذلك دليلا على انها بأسرها منقاد خاضعة لله تعالى (والوجه الثاني) قال حكماء الاسلام الدابة اشتقاقها من الدبيب والدبيب عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم لكل حيوان جسماني يتحرك ويدب فلما بين الله تعالى الملائكة عن الدابة علمنا انها ليست بما يدب بل هي ارواح محضة مجردة ويمكن الجواب عنه بأن الجناح للطيران مغاير للدبيب بدليل قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه والله اعلم اما قوله تعالى وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ففيه مسائل (المسئلة الاولى) المقصود من هذه الآية شرح صفات الملائكة وهي دلالة قاهرة قاطعة على عصمة الملائكة عن جميع الذنوب لان قوله وهم لا يستكبرون يدل على انهم منقادون لصانعهم وخالقهم وانهم ما خلقوه في امر من الامور ونظيره قوله تعالى وما ننزل الا بأمر ربك وقوله لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون واما قوله ويفعلون ما يؤمرون فهذا ايضا يدل على انهم فعلوا كل ما كانوا مأمورين به وذلك يدل على عصمتهم عن كل الذنوب فان قالوا هب ان هذه الآية تدل على انهم فعلوا كل امر واياه فلم قلتم انها تدل على انهم تركوا كل ما نهوا عنه قلنا لان كل من نهى عن شيء فقد امر بتركه وحيثئذ يدخل في اللفظ واذا ثبت بهذه الآية كون الملائكة معصومين من كل الذنوب وثبت ان ابليس ما كان معصوما من الذنوب بل كان كافرا لزم القطع بأن ابليس ما كان من الملائكة (والوجه الثاني) في بيان هذا المقصود انه تعالى قال في صفة الملائكة وهم لا يستكبرون ثم قال لا بليس أستكبرت ام كنت من العالمين وقال ايضا له اخرج منها فاني لست ان تستكبر فيها ثبت ان الملائكة لا يستكبرون وثبت ان ابليس تكبر واستكبر فوجب ان لا يكون من الملائكة وايضا لما ثبت بهذه الآية وجوب عصمة الملائكة ثبت ان القصة الخبيثة التي يذكرونها في حق

(هاروت)

فانما يتاحسب ما حكي عن الاصم
من كون كل السورة مدنية
وما نقل عن قتادة من كون
هذه الآية في آخر السورة مدنية
فحمل ما نقلناه عنه من نزول
الآية في اصحاب المهاجرين على
ان يكون نزولها بالمدينة بين
المهاجرين واما جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جهنم فلا
يساعده نظم التنزيل ولا شأنه
الجليل وقرئ لثوبتهم ومعناه
انودة حسنة ولتنزلهم في الدنيا
منزلة حسنة وهي الجنة على من
ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب
قاطبة واهل الشرق والعرب
كافة (ولا تجر الاخرة) اي اجر
اعمالهم المذكورة في الاخرة
(اكرر) مما جهل لهم في الدنيا
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا
اعطى رجلا من المهاجرين عطاء
قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه
هذاما وهذا الله تعالى في الدنيا
وما دخر في الاخرة افضل (لو
كانوا يعلمون) الضمير للكفار اي لو
علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء
المهاجرين خيري الدارين لوافقوا
هم في الدين وقيل للمهاجرين اي
لوعلموا ذلك لزدادوا في الاجتهاد
اولماتوا لما اصابهم من المهاجرة
وشددا شداها (الذين صبروا)
على انشدائهم من اذية الكفار
ومطارقة الاهل والوطن وغير
ذلك وعمله النصب والرفع
على المدح (وعلى ربه) اشارة
(يتوكلون) مقطعين اليه
تعالى مرضين عماماه مفضين
اليه الامر كله والجهة امامه معلقة
على الصلة وتقديم الجار والمجرور
للدلالة على قصر التوكل
على الله تعالى وصيغة الاستقبال

للدلالة على

هاروت وماروت كلام باطل فان الله تعالى وهو اصدق القائلين لما شهد في هذه الآية
على عصمة الملائكة وبرائتهم عن كل ذنب وجب القطع بأن تلك القصة كاذبة باطلة والله
اعلم واحتج الطاعنون في عصمة الملائكة بهذه الآية فقالوا انه تعالى وصفهم بالخوف
ولولا انهم يحوزون على انفسهم الاقدام على الكبائر والذنوب والام يحصل الخوف
والجواب من وجهين (الاول) انه تعالى حذرهم من العقاب فقال ومن يقل منهم ائني الله
من دونه فذلك نجزيه جهنم وهم لهذا الخوف يتركون الذنب (والثاني) وهو الاصح ان
ذلك الخوف خوف الاجلال هكذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والدليل على صحته
قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا يدل على انه كلما كانت معرفة الله تعالى
أتم كان الخوف منه اعظم وهذا الخوف لا يكون الا خوف الاجلال والكبرياء والله اعلم
(المسئلة الثانية) قالت المشبهة قوله تعالى يخافون ربه من فوقهم هذا يدل على ان الاله
تعالى فوقهم بالذات واعلم اننا لنبينا في الجواب عن هذه الشبهة في تفسير قوله تعالى وهو
التاخر فوق عباده والذي يزيد ههنا ان قوله يخافون ربه من فوقهم معناه يخافون ربه
من ان ينزل عليهم العذاب من فوقهم واذا كان اللفظ محتملا لهذا المعنى سقط قولهم وايضا
يجب حل هذه الفوقية على الفوقية بالقدرة والقهر كقوله وانا فوقهم قاهرون والذي
يقوى هذا الوجه انه تعالى لما قال يخافون ربه من فوقهم وجب ان يكون المقضى
لهذا الخوف هو كون ربه فوقهم لما ثبت في اصول الفقه ان الحكم المرتب على الوصف
يشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف اذا ثبت هذا فنقول هذا التعليل انما يصح
لو كان المراد بالفوقية الفوقية بالقهر والقدرة لانها هي الموجبة للخوف اما الفوقية بالجهة
والمكان فهي لا توجب الخوف بدليل ان حارس البيت فوق الملك بالمكان والجهة مع
انه احسن عبيده فسقطت هذه الشبهة (المسئلة الثالثة) دلت هذه الآية على ان
الملائكة مكلفون من قبل الله تعالى وان الامر والنهي متوجه عليهم كسائر المكلفين
ومتى كانوا كذلك وجب ان يكونوا قادرين على الخير والشر (المسئلة الرابعة) تملك
قوم بهذه الآية في بيان ان الملك افضل من البشر من وجوه (الاول) انه تعالى قال والله
يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وذكرنا اننا نخصيص هذين
النوعين بالذكر انما يحسن اذا كان احد الطرفين احسن المراتب وكان الطرف الثاني
اشرفها حتى يكون ذكر هذين الطرفين منها على الباقي واذا كان كذلك وجب ان
يكون الملائكة اشرف خلق الله تعالى (الثاني) ان قوله تعالى وهم لا يستكبرون يدل على
انه ليس في قلوبهم تكبر وترفع وقوله يفعلون ما يؤمرون يدل على ان اعمالهم خالية عن
الذنب والمعصية فمجموع هذين الكلامين يدل على ان بواطنهم وظواهرهم مبرأة من
الاخلاق الفاسدة والافعال الباطلة واما البشر فليسوا كذلك ويدل عليه القرآن
والخبر اما القرآن فقوله تعالى قل الانسان ما كفره وهذا الحكم عام في الانسان واقل

مراتبه ان تكون طبيعة الانسان مقتضية لهذه الاحوال الذميمة واما الخبر فقوله عليه السلام ماما الا وقد عصى اوهم بالمعصية غير يحيى بن زكريا ومن المعلوم بالضرورة ان المبرأ عن المعصية والهيم بها افضل ممن عصى اوهم بها (الوجه الثالث) انه لا شك ان الله تعالى خلق الملائكة قبل البشر بأدوار متطاولة وازمان ممتدة ثم انهم وصفهم بالطاعة والخضوع والخشوع طول هذه المدة وطول العمر مع الطاعة يوجب مزيد الفضيلة لوجهين (الاول) قوله عليه السلام الشيخ في قومه كالنبي في امته فضل الشيخ على الشاب وما ذاك الا لانه لما كان عمره اطول فالتاخر ان طاعته اكثر فكان افضل (والثاني) انه صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة فلما كان شروع الملائكة في الطاعات قبل شروع البشر فيها لزم ان يقال انهم هم الذين سنوا هذه السنة الحسنة وهى طاعة الخالق القديم الرحيم والبشر انما جاؤا بعدهم واسنوا سنتهم فوجب بمقتضى هذا الخبر ان كل ما حصل للبشر من الثواب فقد حصل مثله للملائكة ولهم ثواب القدر الزائد من الطاعة فوجب كونهم افضل من غيرهم (الوجه الرابع) في دلالة الآية على هذا المعنى قوله يخافون ربهم من فوقهم وقد بينا بالدليل ان هذه الفوقية عبارة عن الفوقية بالرتبة والشرف والقدرة والقوة فظاهر الآية يدل على انه لاشئ فوقهم في الشرف والرتبة الا الله تعالى وذلك يدل على كونهم افضل المخلوقات والله اعلم

وقوله تعالى (وقال الله لاتخذوا الهين اثنين اما هو الواحد قايى قاربون وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تقون وما بكم من نعمه فغن الله ثم اذما سمعتم الضرب فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضرب عنكم اذافريق منكم برهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمنعوا فسوف تعلمون) اعلم انه تعالى لما بين في الآية الاولى ان كل ماسوى الله سواء كان من عالم الارواح او من عالم الاجسام فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى وكبريائه اتبعه في هذه الآية بالنهى عن الشرك وبالامر بأن كل ماسواء فهو ملكه وملكه وانه غنى عن الكل فقال لاتخذوا الهين اثنين اما هو الله واحد وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) لقائل ان يقول ان الالهين لابد وان يكونا اثنين فما الفائدة من قوله الهين اثنين وجوابه من وجوه (احدها) قال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير والتقدير لاتخذوا اثنين الهين (وثانيها) وهو الاقرب عندى ان الشئ اذا كان مستكبرا مستقبها فن أراد المبالغة في التفتير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توالى تلك العبارات سببا لوقوف العقل على ما فيه من القبح اذ عرفت هذا فالقول بوجود الالهين قول مستقيم على العقول ولهذا المعنى فان احدا من العقلاء لم يقل بوجود الهين متساوين في الوجوب والقدم وصفات الكمال فقوله لاتخذوا الهين اثنين المقصود من تكريره تأكيد التفتير عنه وتكميل وقوف العقل على ما فيه من القبح (وثالثها) ان قوله الهين لفظ واحد يدل على امرين ثبوت الاله وثبوت التعدد فاذا قيل لاتخذوا الهين لم يعرف من هذا اللفظ ان

دوام التوكل واحوال من ضيبر صبروا (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) وقرئ بالياء مبنيا للقول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر فاهو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اى جرت السنة الالهية حسبا اقتضسته الحكمة بأن لا يثبت للدعوة العامة الا بشر او نوحى اليهم بواسطة الملك او امره ونواهيه ليلفوعا الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم قبيل (فاستلوا اهل الذكر) اى اهل الكتاب او عموما الاخبار او صكل من يذكر يعلم وتعتيق ليعلم ذلك (ان كنتم لا تعلمون) حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معنا رسلا الى الملائكة اولى الرسل ولا سراة ولا صليبا ولا نافية نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو فى المهد لانها أعم من الرسالة وشارة الى وجوب المراجعة الى العلاء فيما لا يميز (بالينيات والزبر) بالهجات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا من سؤال من قال بارسولوا فقيل ارسلا بالينيات والزبر او بارسلا داخل تحت الاستثناء مع رجالا عنه من يجوزه اى ما رسلنا الا رجلا بالينيات كقولك ساشرت الا زيدا بالسوط وعلى نية التقديم قبل اداة الاستثناء اى ما رسلنا من قبلك بالينيات

النهي وقع عن اثبات الاله او عن اثبات التعدد او عن مجموعهما فلما قال لاتخذوا الهين اثنين ثبت ان قوله لاتخذوا الهين نهى عن اثبات التعدد فقط (ورابعها) ان الاتينية منافية للالهية وتقريره من وجوه (الاول) انا لو فرضنا موجودين يكون كل واحد منهما واجبا لذاته لكانا مشتركين في الوجوب الذاتي ومتباينين بالتعيين وما به المشاركة غير مابة للبانية فكل واحد منهما مركب من جزأين وكل مركب فهو ممكن فثبت ان القول بان واجب الوجود اكثر من واحد ينفي القول بكونهما واجبي الوجود (الثاني) انا لو فرضنا الهين وحاول احدهما تحريك جسم والاخر تسكينه امتنع ككون احدهما اولي بالفعل من الثاني لان الحركة الواحدة والسكون الواحد لا يقبل القسمة اصلا ولا التفاوت اصلا واذا كان كذلك امتنع ان تكون القدرة على احدهما اكل من القدرة على الثاني واذا ثبت هذا امتنع كون احدي القدرتين اولي بالتأثير من الثانية واذا ثبت هذا فلما ان يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال او لا يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال ولا يحصل مراد واحد منهما البتة فثبت ان يكون كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الهائبت ان كونهما اثنين ينفي كون كل واحد منهما الهيا (الثالث) انا لو فرضنا الهين اثنين لكان اما ان بقدر احدهما على ان يستملكه عن الآخر او لا يقدر فان قدر فذاك اله والاخر ضعيف وان لم يقدر فهو ضعيف (الرابع) وهو ان احدهما اما ان يقوى على مخالفة الآخر او لا يقوى عليه فان لم يقو عليه فهو ضعيف وان قوى عليه فذاك الآخر ان لم يقو على الدفع فهو ضعيف وان قوى عليه فالاول المغلوب ضعيف فثبت ان الاتينية والالهية متضادتان فقوله لاتخذوا الهين اثنين المقصود منه التنبيه على حصول المناقاة والمضادة بين الالهية وبين الاتينية والله اعلم واعلم انه تعالى لما ذكر هذا الكلام قال انما هو اله واحد والمعنى انه لما دلت الدلائل السابقة على انه لا بد لعالم من الاله وثبت ان القول بوجود الالهين محال ثبت انه لا اله الا الواحد الاحد الحق الصمد ثم قال بعده فايها فارهبون وهذا رجوع من الغيبة الى الحضور والتقدير انه لما ثبت ان الاله واحد وثبت ان المتكلم بهذا الكلام اله فثبت ان الاله العالم الاتكلم بهذا الكلام فثبت بحسن منه ان يعدل من الغيبة الى الحضور ويقول فايها فارهبون وفيه دققة اخرى وهى ان قوله فايها فارهبون يفيد الحصر وهوان لا يرهب الخلق الا الله وان لا يرغبوا الا في فضله واحسانه وذلك لان الموجود اما قديم واما محدث اما القديم الذي هو الاله فهو واحد واما ما سواه فمحدث واما محدث بتخليق ذلك القديم وابتجاده واذا كان كذلك فلا رغبة والاله ولا رهبة الا الله فيفضله تندفع الحاجات بتكوينه وبتخليقه تقطع الضرورات ثم قال بعده وله ما في السموات والارض وهذا حق لانه لما كان الاله واحدا والواجب لذاته واحدا كان كل ما سواه حاصلا بتخليقه وتكوينه وابتجاده فثبت بهذا البرهان صحة

والزبر الارجالا عند من يجوز تأخر صلة ما قبل الالى ما بعده او بما وقع صفة للمستثنى اى الا رجالا ملتصقين بالبنات وابنوهي على المعنوية احوالية من القائم مقام فاعل يوصى وهو الهيم على ان قوله تعالى فاستلوا اعراض او بقوله لاتعلمون على ان الشرط للتبكي كقول الاجران كنت علمت لك فاعطى حق (وازننا اليك الذكر) اى القرآن وانما سمي به لانه تدكروا به للفاطين (لتبين للناس) كافة ويدخل فيه من ادخل مكة دخولا اوليا (مازل الهيم) في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بانانيين العذاب حسب افعالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبغي عنه صفة التفصيل في الفعين لا سيما بدورود الثاني ولا على صفة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحفه القياس على الاخلاق سواء كان في الاحكام الشرعية واخرها ولعل قوله عز وجل (ولعلم يتفكرون) اشارة الى ذلك اى اراد ان يتأملوا فينتبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويعتزلوا عما يؤدى الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب) اثم الذين سكروا السيئات) هم اله مكة الذين مكروا بوسول الله صلى الله عليه وسلم وادعوا ضد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين استنالوا الهلاك الانبياء كاقيل ولا من يرمي الفريقين لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما اصاب

اولئك من فزون العذاب المعدودة
والسيئات نعت لصدر محذوف
اى مكروا المكورات السيئات التى
قصت عنهم او مفعول به بالفعل
المذكور على تضيئه معنى العمل
اى علوا السيئات فقول الله تعالى
(ان يخفف الله بهم الارض)
مفعول لامن او السيئات صفة
لما هو المفعول اى فأمّن الماكرون
العقوبات السيئة وقوله ان
يخفف الخ يدل من ذلك وعلى
كل حال فالله للعطف على مقدر
ينصب عليه اللفظ الكريم اى
انزلنا اليك الذكر لتبين لهم
مضمونه الذى من جلته ابياد الامم
المهلكة بفنون العذاب ويفكرون
في ذلك الخ يتفكرون فأمّن الذين
مكروا السيئات ان يخفف الله
بهم الارض كما تامل بقارون على
توجه الانتكار الى المطوفين
مما اوقفكروا فأمّنوا على توجيهه
الى المطوف على ان الامن بعد التفكر
كما لا يكاد يفعله أحد وقيل هو
عطف على مقدر يئى عنه الصلة
اى امكر فأمّن الذين مكروا الخ
(او يا أيهم العذاب من حيث
لا يشعرون) باتيانه اى في حالة
غفلتهم او من مأمّنهم او من حيث
يرجون اتيان ما يشعرون كما حكي
في اسلاف مما نزل بالماكرين (أو
ياخذهم في قلبهم) اى في حالة
قلوبهم في مسيرهم ومتاجرهم
(فاهم بمخمين) بمخمين
او فاشين بالهرب والفرار على
ما يوجبهم حال التغلب والسير
والفناء بالتعطيل الاخذ والتزييت
عدم الاجهاز عليه دلالة على شدته

قوله وله ما فى السموات والارض واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان افعال العباد مخلوقة
لله تعالى لان افعال العباد من جملة ما فى السموات والارض فوجب ان تكون افعال
العباد لله تعالى وليس المراد من كونها لله تعالى انها مفعولة لاجله ولغرض طاعته لان
فيها المباحات والمحظورات التى يؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فوجب
ان يكون المراد من قولنا ان الله انما واقعة بشكوته وتخليقه وهو المطلوب ثم قال بعده
وله الدين واصبا الدين ههنا الطاعة والواصب الدائم يقال وصب الشئ يصب وصوبا
اذا دام قال تعالى ولهم عذاب واصب ويقال واصلب على الشئ وواصب عليه اذا دام
ومقازة واصبة اى بعيدة لا غاية لها يقال للعليل واصب لكون ذلك المرض لازما له قال
ابن قتية ليس من احدينا له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة او بالموت الا
الحق سبحانه فان طاعته واجبة ابداء وامل ان قوله واصباحا والعامل فيه ما فى الظرف
من معنى الفعل واقول الدين قد يعنى به الانقياد يقال يامن دانت له الرقاب اى انقادت
فقوله وله الدين واصبا اى انقياد كل ماسواه له لازم ابدال الانقياد غيره له لمعمل بان غيره
يمكن لذاته والممكن لذاته يلزمه ان يكون محتاجا الى السبب في طرفي الوجود والعدم
والماهيات يلزمها الامكان لروما ذاتيا والامكان يلزمه الاحتياج الى المؤثر لروما ذاتيا
ينبج ان الماهيات يلزمها الاحتياج الى المؤثر لروما ذاتيا فهذه الماهيات موصوفة
بالانقياد لله تعالى اتصافا دائما واجبالا من ممتنع التغرير وقول فى الآية دقيقة اخرى
وهي ان العقلاء اتفقوا على ان الممكن حال حدوثه محتاج الى السبب المرجح واختلفوا
في الممكن حال بقاء هل هو محتاج الى السبب قال المحققون انه محتاج لان علة الحاجة
هي الامكان والامكان من لوازم الماهية فيكون حاصلها للماهية حال حدوثها وحال
بقائها فتكون علة الحاجة حال حدوث الممكن وحال بقاءه فوجب ان تكون الحاجة
حاصلة حال حدوثها وحال بقاءها اذا عرفت هذا فقوله وله ما فى السموات والارض معناه
ان كل ماسوى الحق فانه محتاج في انقلابه من العدم الى الوجود او من الوجود الى العدم
الى مرجح ومخصص وقوله وله الدين واصبا معناه ان هذا الانقياد وهذا الاحتياج حاصل
دائما ابداء واهو اشارة الى ما ذكرناه من ان الممكن حال بقاءه لا يستغنى عن المرجح
والمخصص وهذه دقائق من اسرار العلوم الالهية مودعة في هذه الالفاظ الفاضة من
عالم الوحي والنسوة ثم قال تعالى أفغير الله تقون والمعنى انكم بعدما عرقت ان اله العالم
واحدو عرقت ان كل ماسواه محتاج اليه في وقت حدوثه ومحتاج اليه ايضا في وقت دوامه
وبقاءه فبعد العلم بهذه الاصول كيف يعقل ان يكون للانسان رغبة في غير الله تعالى
او رهبة عن غير الله تعالى فهذا المعنى قال على سبيل التعجب أفغير الله تقون ثم قال
وما بكم من نعمة فمن الله وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انهما لابين بالآية الاولى ان
الواجب على العاقل ان لا يتق غير الله بين في هذه الآية انه يجب عليه ان لا يشكر احدا

وفظاعته حسبا قال عليه السلام
ان الله ليلى للظالم حتى اذا اخذه
لميفته واوراد الجملة الاسمية
للدلالة على دوام النفي لانفي
الدوام (وايأخذهم على تخوف)
اي عذابة وحذر عن الهلاك
والعذاب بأن يهلك قوما قبلهم
فيخوفوا فأيأخذهم العذاب وهم
متخوفون وحيث كانت حالتنا
القلب والتخوف مظنة للهرب
عبر عن اصابته العذاب فيها
بالأخذ وعن اصابته حالة الغفلة
المنبهة عن السكون بالانسان
وبقل التخوف والتنقص قال قائلهم
تخوف الرجل منها لتكافردا
كالتخوف عود النجعة السفن
اي يأخذهم على ان يتخفهم شيئا
يعيشي في انفسهم واموالهم حتى
يهلكوا والمراد بذكر الاحوال
الثلاث بيان قدرة الله سبحانه على
اهلاكهم بأي وجه كان لا الحصر
فيها (فان ربكم لرؤف رحيم)
حيث لا يصابكم بالعقوبة
ويعلم عنكم مع استحقاقكم لها
(اولم يروا) استفهام استكباري
وفري على صيغة الخطاب والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي المينظروا ولم يروا متوجهين
(اي ما خلق الله من شيء) اي من
كل شيء (شيئا ظلالا) اي يرجع
شيئا فشيئا حسبا يقتضيه ارادة
الخالق تعالى فان الشيء مطاوع
الافاء وفري بتأنيث الفعل (عن
العين والشمال) اي المروا
الاشياء التي لها ظلال متفشية عن
ايانها وشمالها اي عن جانبي كل
واحد منها استمر لهما ذلك
من بين الانسان وشماله (مجد الله)
حال من الظلال كقوله تعالى

الا الله تعالى لان الشكر انما يلزم على النعمة وكل نعمة حصلت للانسان فهي من الله
تعالى اقلوه وما بكم من نعمة فمن الله ثبت بهذا ان العاقل يحب عليه ان لا يخاف وان
لا يثق احدا الا الله وان لا يشكر احدا الا الله تعالى (المسئلة الثانية) احتج اصحابنا بهذه
الآية على ان الايمان حصل بخلق الله تعالى فقالوا الايمان نعمة وكل نعمة فهي من الله
تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله ينتج ان الايمان من الله وانما قلنا ان الايمان نعمة
لان المسلمين مطبقون على قولهم الحمد لله على نعمة الايمان وايضا فالنعمه عبارة عن كل
ما يكون منتقابه واعظم الاشياء في النفع هو الايمان ثبت ان الايمان نعمة واذا ثبت
هذا فقول وكل نعمة فهي من الله تعالى لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وهذا اللفظة
تفيد العموم وايضا بما يدل على ان كل نعمة فهي من الله لا ان كل ما كان موجودا
فهو اما واجب لذاته واما ممكن لذاته والواجب لذاته ليس الا الله تعالى والممكن لذاته
لا يوجد الا المرجح وذلك المرجح ان كان واجبا لذاته كان حصول ذلك الممكن بايجاد الله
تعالى وان كان ممكنا لذاته عاد التقسيم الاول فيه ولا يذهب الى التسلسل بل ينتهي الى
ايجاد الواجب لذاته ثبت بهذا البيان ان كل نعمة فهي من الله تعالى (المسئلة
الثالثة) النعم امدانية واما دنيوية اما النعم الدينية فهي امدانية واما الدنيوية وكل
انخير لاجل العمل به واما النعم الدنيوية فهي امانتية واما دنيوية واما خارجية وكل
واحد من هذه الثلاثة جنس تحت انواع خارجة عن الحصر والتحديد كما قال وان تعدوا
نعمه الله لا تحصوها والاشارة الى تفصيل تلك الانواع قد ذكرناها مرارا فلا نعيد
(المسئلة الرابعة) انما دخلت الفاء في قوله فمن الله لان الباء في قوله بكم متصلة بفعل
مضمر والمعنى ما بكم بكم او ما حل بكم من نعمة فمن الله ثم قال تعالى ثم اذا مسكم الضر
قال ابن عباس يريد الاستقام والامراض والحاجة فاليه تجأرون اي ترفون اصواتكم
بالاستغاثة وتنضرون اليه بالدعاء يقال جأر يجأر جؤارا وهو الصوت الشديد كصوت
البقرة وقال الاعشى يصف راهبا

يرواح من صلوات المليك * طورا سجدوا وطورا جؤارا

والعنى انه تعالى بين ان جميع النعم من الله تعالى ثم اذا اتفق لاحد مضرة توجب زوال
شيء من تلك النعم قال الله يجأر اي لا يستغيث احدا الا الله تعالى لعله بأنه لا مفرج للخلق
الا هو فكأنه تعالى قال لهم فأنتم عن هذه الطريقة في حال الرخاء والسلامة ثم قال
بعده ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم يرمي بكم يمين تعالى ان عند
كشف الضر وسلامة الاحوال يفترون فريق منهم يبق على مثل ما كان عليه عند
الضر في ان لا يفرج الا الى الله تعالى وفريق منهم عند ذلك يغيثون فيشركون بالله غيره
وهذا جهل وضلال لانه لما شهدت فطرته الاصلية وخلقته الغريزية عند نزول البلاء
والضراء والآفات والخافات ان لا يفرج الا الى الواحد ولا مستغاث الا الواحد فعند

زوال البلاء والضراء وجب ان يبقى على ذلك الاعتقاد فأما انه عند نزول البلاء يقربأه
 لاستغاث الاله تعالى وعند زوال البلاء ثبت الاضداد والشركاء فهذا جهل عظيم
 وضلال كامل ونظيره الآية قوله تعالى فلا تنهاهم الى البراذم يمشكون ثم قال
 تعالى ليكفروا بما آتيناهم وفي هذه اللام وجهان (الاول) انها لام نهي والمعنى انهم
 اشركوا بالله غيره في كشف ذلك الضر عنهم وغرضهم من ذلك الاشراك ان ينكروا
 كون ذلك الانعام من الله تعالى الا ترى ان العليل اذا اشتد وجعه تضرع الى الله
 تعالى في ازالة ذلك الوجع فاذا زال احال زواله على الدواء الفلاني والعلاج الفلاني
 وهذا اكثر احوال الخلق وقال مصنف هذا الكتاب محمدين عرازاى رحمه الله في
 اليوم الذى كنت اكتب هذه الاوراق وهو اليوم الاول من محرم سنة اثنين وستمئة
 حصلت زلزلة شديدة وهذه عظيمة وقت الصبح ورايت الناس يصيحون بالدعاء والتضرع
 فلما سكنت وطاب الهواء وحسن انواع الوقت نسوا في الحال تلك الزلزلة وما دوا الى
 ما كانوا عليه من تلك السفاهة والجهالة وكان هذه الحالة التي شرحها الله تعالى في هذه
 الآية تجرى مجرى الصفة اللازمة لجوهر نفس الانسان (والقول الثاني) ان هذه اللام
 لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا يعنى ان عاقبة تلك
 التضرعات ما كانت الا هذا الكفر واعلم ان المراد بقوله بما آتيناهم فيه قولان (الاول)
 انه عبارة عن كشف الضر وازالة المكروه (والثاني) قال بعضهم المراد به القرآن وما جاء به
 محمد صلى الله عليه وسلم من النبوة والشرائع واعلم انه تعالى توعدهم بعد ذلك فقال فتمنعوا
 وهذا لفظ امر والمراد منه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقوله قل آمنوا به
 اولاً ثم آمنوا به ثم قال تعالى فسوف تعلمون اى عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب والله اعلم
 بقوله تعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم) والله لتسألن عما كنتم تفترون
 ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر احدكم بالانثى ظل وجهه مسوداً
 وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما ينسبه ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الاساء
 ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم
 اعلم انه تعالى لما بين بالدلائل القاهرة فساد اقوال اهل الشرك والتشبيه شرح في هذه
 الآية تفاصيل اقوالهم وبين فسادها وصفاتها (فالنوع الاول) من كتابهم الفاسدة
 انهم يجعلون لما لا يعلمون نصيباً وفيه مستثنان (المستثنى الاول) الضمير في قوله لما لا يعلمون
 الى ماذا يعود فيه قولان (الاول) انه حائد الى المشركين المذكورين في قوله اذا فريق
 منكم يربهم بشركون والمعنى ان المشركين لا يعلمون (والثاني) انه عائد الى الاصنام اى
 لا يعلم الاصنام ما يفعل عبادها قال بعضهم الاول اولى لوجوه (احدها) ان نفي العلم عن
 الحي حقيقة وعن الجاد مجاز (وثانيها) ان الضمير في قوله ويجعلون حائد الى المشركين
 فكذلك في قوله لما لا يعلمون يجب ان يكون عائداً اليهم (وثالثها) ان قوله لما لا يعلمون جمع

(بالواو)

وظلالهم بالقدو والاتصال
 والمراد بوجودها تصرفها على
 مشيئة الله سبحانه وتأييدها
 لارادته تعالى في الامتداد
 والتخلص وغيرهما غير ممنوعة عليه
 فيما سطرها وقوله تعالى (هم)
 داخرون اى صاغرون
 منقادون حال من الضمير في ظلاله
 والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة
 الخاصة بالقله لا ان الدخور
 من خصائصهم والمعنى ترجع
 الظلال من جانب الى جانب
 بارتفاع الشمس وانحدارها او
 باختلاف مشارقتها ومغاربتها
 فلما كل يوم من ايام السنة تتحرك
 على مدار معين من المدارات
 اليومية بتقدير العزيز العليم
 متفاد لا قدر لها من التنقيذ او
 واقعة على الارض متصفة بها
 على هيئة الساجد والحال ان
 اصحابها من الاجرام داخرون
 متفاد لحكمه تعالى ووصفها
 بالدخور مفرد عن وصف ظلالها
 بما ذكرنا من حال من الضمير المشار
 اليه والمعنى ترجع ظلال تلك
 الاجرام حال كونها متفاد لله
 تعالى داخرون فوصفها بهما من
 عن وصف ظلالها بهما ولعل
 المراد بالوصول المجادات من
 الجبال والاشجار والاحجار الى
 لا يظهر لظلالها اثر سوى التنقيذ
 بما ذكر من ارتفاع الشمس
 وانحدارها واختلاف مشارقتها
 ومغاربتها ولما الحيوان فظله
 يتحرك لا يتحرك وقيل المراد بالبين
 والشمائل عين القلب وهو جانيه
 الشرق لان الكواكب منه
 تظهر اخسدة في الارتضاع
 والسطوع وشماله وهو جانيه

بالواري والنون وهو بالعقلاء البقي منه بالاصنام التي هي جادات ومنهم من قال بل القول الثاني اولي وجوه (الاول) اناذا قلنا انه عائد الى المشركين افقرنا الى اضمار فان التقدير ويجعلون لما لايعلمون الها او لما لايعلمون كونه نافعاً ضاراً واذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم نفتقر الى الاضمار لان التقدير ويجعلون لما لايعلم لها ولا فهم (والثاني) انه لو كان العلم مضافاً الى المشركين لفسد المعنى لان من المحال ان يجعلوا نصيباً من رزقهم لما لايعلمونه فهذا ما قيل في ترجيح احدهذين القولين على الآخر واعلم اناذا قلنا بالقول الاول افقرنا فيه الى الاضمار وذلك محتمل وجوهاً (احدها) ويجعلون لما لايعلمون به حقاً ولايعلمون في طاعته نفعاً ولا في الاعراض عنه ضرراً قال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لايعلمون انه ينفعهم ويضرهم نصيباً (وثانيها) ويجعلون لما لايعلمون الهيتها (وثالثها) ويجعلون لما لايعلمون السبب في صبروتهم عبودة (ورابعها) المراد استحقاق الاصنام حتى كاثمها قلنا لا تعلم (المسئلة الثانية) في تفسير ذلك النصيب احتمالات (الاول) المراد منه انهم جعلوا الله نصيباً من الحرث والانعام يقربون الى الله تعالى به ونصيباً الى الاصنام يقربون به اليها وقد شرعنا ذلك في آخر سورة الانعام (والثاني) المراد من هذا النصيب البعيرة والسائبة والوصيلة والحام وهو قول الحسن (والثالث) ربما اعتقدوا في بعض الاشياء انه انما حصل باعانة بعض تلك الاصنام كان المتجملين يوزعون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لرحل كذا من العادن والنبات والحيوانات وللمشترى اشياء أخرى فكذا ههنا واعلم انه تعالى لما حكى عن المشركين هذا المذهب قال الله لتسألن وهذا في هؤلاء الاقوام خاصة بمنزلة قوله فوريك لتسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وعلى التقديرين فأقسم الله تعالى بنفسه انه يسألهم وهذا تهديد منه شديد لان المراد انه يسألهم سؤال توبيخ وتهديد وفي وقت هذا السؤال احتمالان (الاول) انه يقع ذلك السؤال عند القرب من الموت ومعانة ملائكة العذاب وقيل عند عذاب القبر (والثاني) انه يقع ذلك في الآخرة وهذا اول لانه تعالى قد اخبر بما يجري هناك من ضروب التوبيخ عند المسئلة فهو الى الوعيد اقرب (النوع الثاني من كلامهم الفاسدة) انهم يجعلون لله النبات ونظيره قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا ان كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة نبات الله اقول اظن ان العرب انما اطلقوا لفظ النبات لان الملائكة لما كانوا مستترين عن العيون اشبهوا النساء في الاستتار فاطلقوا عليهم لفظ النبات وايضا قرص الشمس يجري مجرى المستتر عن العيون بسبب ضوئه الباهر ونوره القاهر فاطلقوا عليه لفظ النبات في هذا ما يغلب على الظن في سبب اقدمهم على هذا القول الفاسد والمنهه الباطل ولما حكى الله تعالى عنهم هذا القول قال سبحانه وفيه وجوه (الاول) ان يكون المراد منه ذاته عن نسبة الوالد اليه (والثاني) تعجب اخلق من هذا الجهل القبيح وهو وصف الملائكة بالانوثه ثم نسبها

الفريق المقابل لعنان الظلال في اول النهار بتدنى من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال بتدنى من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبسما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السلفية الثابتة في اسيانها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود الخلق وانما بالارادة سواء كانت لها ظلال اولاً او لا (ولله سبحانه) ائله تعالى وحده يخضع ويقعد لا كئى غيره استقلالاً واشترافاً كالقصر ينظم القلب والافراد الان الانسب بحال الخاطئين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تقفوا الهين اثنين (ما في السموات) فاطية (وما في الارض) كاشاً ما كان (من دابة) بيان لما في الارض وتقديره لقلته وكثرتها يقع بين المبين والمبين فصل الافراد مع ان المراد اجمع لفائدة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله (والملائكة) عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيماً واجلالاً او على ان يرد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او رايده ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم (وهم) اي الملائكة مع علو شأنهم (لا يتكبرون) عن عبادته وجل والسجود له وتقديم الصغير ليس للقصر والجلالة اماحال من

ضئير الفاعل في مسجد مستدال
 الملائكة او استثنى خبر عنهم
 بذلك (مخافون ربه) اى مالك
 امرهم وفيه تربية لهابة واشمار
 بعبء الحكم (من فوقهم) اى
 يخافونه جل وعلا خوف هيبه
 واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله
 تعالى وهو القاهر فوق عباده
 او يضافون ان يرسل عليهم
 عذابا من فوقهم والجملة حال
 من الضعيف لا يستكبرون اويبان
 له وتقرر لان من يخاف الله
 سبحانه لا يستكبر عن عبادته
 (ويفعلون ما يؤمرون) اى
 ما يؤمرون به من الطاعات
 والتدبيرات وباد الفعل مبني
 لفعلول جرى على سنن الجلالة
 وايدان بضم الحاء الى
 الصريح بالفاعل للاحتمال
 استناده الى غيره سبحانه وفيه ان
 الملائكة مكلفون مبادرون بين
 الخوف والرجاء وبعد ما بين ان
 جميع الموجودات يخضعون
 الخضوع والافتقار الطبيعي وما
 يجري مجرى عبادة الملائكة
 حيث لا يتصور منهم عدم
 الافتقار اصل الله عز وجل ارف
 ذلك بمكايهته سبحانه وتعالى
 للمكلفين عن الاشراك قبيل
 (وقال الله) عطا على قوله وقه
 يعبود اظهار الفاعل وتخصيص
 لفظة الجلالة بالذکر للايدان
 بأنه متعين الالوهية واعمالا لله عنه
 هو الاشراك به لان المعنى عنه
 مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق
 الانتهاء عنه برفض ليسا كان
 اى قال تعالى لجميع المكلفين
 (لا تتخذوا الهين اثنين) وانما
 ذكر المدمع ان صيغة التثنية

مغنية

بالولدية الى الله تعالى (والثالث) قيل في التفسير معناه معاذ الله وذلك مقارب للوجه
 الاول ثم قال تعالى ولهم ما يشتهون اجاز القراءة في ما وجهين (الاول) ان يكون في محل
 النصب على معنى ويجعلون لانفسهم ما يشتهون (والثاني) ان يكون رفعا على الابتداء
 كانه تم الكلام عند قوله سبحانه ثم ابتدا فقال ولهم ما يشتهون يعنى البنين وهو كقوله
 ام له البنات ولكم البنون ثم اختار الوجه الثاني وقال لو كان نصيبا لقال ولانفسهم
 ما يشتهون لانك تقول جعلت لنفسك كذا وكذا ولا تقول جعلت لك واى الزجاج اجازة
 الوجه الاول وقال ما في موضع رفع لا غير والتقدير ولهم الشيء الذى يشتهونه ولا يجوز
 النصب لان العرب تقول جعل لنفسه ما تشتهى ولا تقول جعل له ما يشتهى وهو
 يعنى نفسه ثم انه تعالى ذكر ان الواحد من هؤلاء المشركين لا يرضى بالولد البنت لنفسه
 فالأمر تنصيه لنفسه كيف ينسب لله تعالى فقال واذا بشرا احدهم بالانثى ظل وجهه
 مسودا وهو كظيم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) التبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذى
 يفيد السرور الا انه يحسب اصل اللغة عبارة عن الخبر الذى يؤثر في تغير بشرة الوجه
 ومعلوم ان السرور كالموجب تغير البشرة فكذلك الحزن يوجب ان يكون لفظه
 التبشير حقيقة في القميين ويتا كدهذا بقوله فيشرهم بعذاب اليم ومنهم من قال المراد
 بالتبشير ههنا الاخبار والقول الاول ادخل في التحقيق اما قوله ظل وجهه مسودا فالمعنى
 انه يصير متغيرا تغير مغمم ويقال لمن لقي مكروها فانداسود وجهه غما وحزنا واقول انما
 جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم وذلك لان الانسان اذا قوى فرحه افشرح صدره
 وانبسط روح قلبه من داخل القلب ووصل الى الاطراف ولا سيما الى الوجه لما بينهما
 من التعلق الشديد واذا وصل الروح الى ظاهر الوجه اشرق الوجه وتلاها واستنار
 واما اذا قوى غم الانسان احتقن الروح في باطن القلب ولم يبق منه اترقى في ظاهر
 الوجه فلا جرم يربد الوجه ويصفر ويسود ويظهر فيه اثر الارضية والكشافة ثبت ان
 من لوازم الفرح استنارة الوجه واشراقه ومن لوازم الغم كودة الوجه وغبرته وسواده
 فلهمذا السبب جعل يابض الوجه واشراقه كناية عن الفرح وغبرته وكودته وسواده
 كناية عن الغم والحزن والكراهية ولهذا المعنى قال ظل وجهه مسودا وهو كظيم اى
 متلى غما وحزنا ثم قال تعالى يتوارى من القوم من سوء اى يتخفى ويتغيب من سوء
 ما يشربه قال المفسرون كان الرجل في الجاهلية اذا ظهر آثار الطلق بامرأته توارى
 واختفى عن القوم الى ان يعلم ما يولد له فان كان ذكرا اتبع به وان كان انثى حزن ولم يظهر
 فتناس اياما يدبر فيها انه ماذا يصنع بها وهو قوله امسك عليك زوجك وانما قال امسك ذكره
 بضمير الذکر لان هذا الضمير مأمور على ما في قوله ما يشربه والهون الهوان قال النضر
 ابن شميل يقال انه هون عليه هوانا وهوانا واهنته هوانا وهوانا وذكرنا هذا في سورة

الانعام عند قوله عذاب الهون وفي ان هذا الهون صفة من قولان (الاول) انه صفة الملوادة ومعناه انه يسكنها على هون مندها (والثاني) قال عطاء عن ابن عباس انه صفة للاب ومعناه انه يسكنها مع الرضا به وان نفسه وعلى رغم أنه ثم قال لم يدسه في التراب والدس اخفاء الشيء في الشيء يروى ان العرب كانوا يحفرون حفيرة ويحعلونها فيها حتى تموت وروى عن قيس بن عاصم انه قال يا رسول الله اني واريت ثمانى بنات في الجاهلية فقال عليه السلام اعتقن عن كل واحدة منهن رقبة فقال يا بني الله اني ذوابل فقال اهد عن كل واحدة منهن هديا وروى ان رجلا قال يا رسول الله ما وجد حلاوة الاسلام منذ اسلمت فقد كانت لي في الجاهلية ابنة فأمرت امرأتى ان تريها فاخرجتها الى فانتهيت بها الى واد بعيد القر فالتقيتها فيه فقالت يا بنة فلتلني فكلمنا ذكرت قولها لم ينفعني شيء فقال عليه السلام ما كان في الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما في الاسلام يهدمه الاستغفار واعلم انهم كانوا مختلفين في قتل البنات فذهب منهم من يحفر الحفيرة ويدفن فيها الى ان تموت ومنهم من يرميها من شاطئ جبل ومنهم من يفرقها ومنهم من يذبحها وهم كانوا يفعلون ذلك نارة للغيرة والحيفة وتارة خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة ثم انه تعالى قال الاساء ما يحكمون وذلك لانهم بلغوا في الاستنكاف من البنت الى اعظم الغيابات (فأولها) انه يسود وجهه (وثانيها) انه يخفى عن القوم من شدة فقره عن البنت (وثالثها) ان الولد محبوب بحسب الطبيعة ثم انه بسبب شدة فقره عنها يقدم على قتلها وذلك يدل على ان النفرة عن البنت والاستنكاف عنها قد بلغ مبلغا لا يزداد عليه اذا ثبت هذا الشيء الذي بلغ الاستنكاف منه الى هذا الحد العظيم كيف يليق بالعاقل ان ينسبه لاله العالم المقدس العالی عن مشابهة جميع المخلوقات ونظير هذه الآية قوله تعالى الكرم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيرى (المسئلة الثانية) قال القاضي هذه الآية تدل على بطلان الجبر لانهم يضيفون الى الله تعالى من الظلم والفواحش ما اذا ضيف الى احدهم اجهد نفسه في البراءة منه والتباعد عنه فحكمهم في ذلك مشابه لحكم هؤلاء المشركين ثم قال بل اعظم لان اضافة البنات اليه اضافة فج واحد وذلك اسهل من اضافة كل القبايح والفواحش الى الله تعالى فيقال للقاضي انه لما ثبت بالدليل استحالة الصاحبة والولد على الله تعالى اردف الله تعالى بذكر هذا الوجه الاقناعي والافليس كل ما قيل منافي العرف قبح من الله تعالى الا ترى لو ان رجلا زين اماءه وعبيده وبالغ في تحسين صورهن ثم بالغ في تقوية الشهوة فيهن وفيهن ثم جمع بين الكل وازال الحائل والمانع فان هذا بالاتفاق حسن من الله تعالى وقبح من كل الخلق فلما ان التعويل على هذه الوجوه المبينة على العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقه بالدلائل القطعية القينية وقد ثبت بالبراهين القطعية امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية اما افعال العباد قد ثبت بالدلائل القينية القاطعة ان خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق

عن ذلك دلالة على ان مساقى النهى هي الانبئية وانها مبنية للالوهية كان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى (انما هو اله واحد) للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدة وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه الثبات من التكلم الى الغيبة على رأى من اكتفى في تصديق الالتفات بكون الاسلوب المتلفته عنه حق الكلام ولم يستطع سبق الذكر على ذلك الوجه (فاى قارهون) الثقات من الغيبة الى التكلم لترسية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اى ان كنتم راهبين شيئا يابى ارهبا قارهون لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض (وله ما في السموات والارض) خلقا وملكا تقرير لعدا اتيقادهما في له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الطرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى (وله الدين) اى الطاعة والاقبياد (واصبا) اى واجبا ثابتا لازوال لما قرر ان الاله وحده الحقيق بان يربى ويقتل واصبا من الوصف اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع نوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (أفترى الله يتقون) المهمة للانكار والفساد للطف على مقدر يسجد عليه السياق اى أعقبت قرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات

تلهجوديه تعالى وكون ذلك كله ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصحاب المستدي ذلك الشخص القصى به سبحانه غير الله الذى شأنه ماذكر تتخون قطعون (وما بكم اى اى شئ يلايكم ويصاحبكم من نعمة) اية نعمة كانت (لن الله) فهى من الله فا شرطية او موصولة متضمنة لعمى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملايسة النعمة بهم سبب للاخبار بأنها منه تعالى لا لكونها منه تعالى (ثم اذا سكم الضر) مساسا بغيره (فاليه تجارون) يتضرعون في كشفه لالغيره والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يرواح من صلوات المليك طورا بهجودا وطورا جؤرا وقرئ تجرون بطرح الهزة والقاء حر كها الى ما قبلها وفى ذكر المساس المني من ادنى اصابة واردة بالجملة الفعلية المعربة عن الحدث مع ثم الدالة على وقوعه بعد رجة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المقيدة لمساس ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على السدوم والتعبير عن ملايستها للمخاطبين بياء المصاحبة واردة ما للعربة عن العموم بالايحني من الجرالة والفتحة ولعل ايراد اذا دون ان التوسل به الى تحقق وقوع الجواب (ثم اذا كشف الضر عنكم) وقرئ كاشف الضر وكذا لم ليست للدلالة على غاى زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل

احد البابين بالآخر لولاشدة التعصب والله اعلم ثم قال تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى والمثل السوء عبارة عن الصفة السوء وهى احتياجهم الى الولد وكراهتهم الاناث خوف الفقر والعار والله المثل الاعلى اى الصفة العالية المقدسة وهى كونه تعالى منزها عن الولد فان قيل كيف جاء والله المثل الاعلى مع قوله فلا تضربوا لله الامثال قلنا المثل الذى يذكره الله حق وصدق والذى يذكره غيره فهو الباطل والله اعلم قوله تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم مترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون ونصف السهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امة من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم ومازلنا عليك الكتاب الاتيين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورجلة قوم يؤمنون) اعلم انه تعالى لما حكي عن القوم عظيم كفرهم وقبح قولهم بين انه يهمل هؤلاء الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهارا للفضل والرحمة والكرم وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اخبر الطاعنون فى عصمة الانبياء عليهم السلام بقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم مترك عليها من دابة من وجهين (الاول) انه قال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم فأضاف الظلم الى كل الناس ولا شك ان الظلم من المعاصي فهذا يقتضى كون كل انسان آتيا بالذنب والمعصية والانباء عليهم السلام من الناس فوجب كونهم آتين بالذنب والمعصية (والثاني) انه تعالى قال مترك على ظهره من دابة وهذا يقتضى ان كل من كان على ظهر الارض فهو آت بالظلم والذنب حتى يلزم من افاء كل من كان ظالما افاء كل الناس اما اذا قلنا الانبياء عليهم السلام لم يصدر عنهم ظلم فلا يجب افناؤهم وحيث لا يلزم من افاء كل الظالمين افاء كل الناس وان لا يبقى على ظهر الارض دابة ولما لم نعلمنا ان كل البشر ظالمون سواء كانوا من الانبياء اولم يكونوا كذلك والجواب ثبت بالدليل ان كل الناس ليسوا ظالمين لانه تعالى قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات اى فى العباد من هو ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق ولو كان مقتصدو السابق ظالما لفسد ذلك التقسيم قطعنا ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فثبت بهذا الدليل انه لا يجوز ان يقال كل الخلق ظالمون واذا ثبت هذا فقول الناس المذكورون فى قوله ولو يؤاخذ الله الناس اما كل العصاة المستحقين للعقاب او الذين تقدم ذكرهم من المشركين ومن الذين اثبتوا لله البنات وعلى هذا التقدير فيسقط الاستدلال والله اعلم (المسئلة الثانية) من الناس من احتج بهذه الآية على ان الاصل فى المضار الحرمه فقال لو كان الضر مشروعا لكان اما يكون مشروعا على وجه يكون جزاء على جرم صادر منهم او لا على هذا الوجه والقسمان باطلان فوجب ان لا يكون مشروعا اصلا اما بيان فساد القسم الاول فللقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم

ماترك على ظهرها من دابة والاستدلال به من وجهين (الاول) ان كلمة لو وضعت لاتنفاء الشيء لاتنفاء غيره فقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك على ظهرها من دابة يقتضى انه تعالى ما اخذهم بظلمهم وانه ترك على ظهرها من دابة (والثاني) انه لما دلت الآية على ان لازمة اخذ الله الناس بظلمهم هو ان لا يترك على ظهرها دابة ثم اننا شاهد انه تعالى ترك على ظهرها دواب كثيرين فوجب القطع بأنه تعالى لا يؤاخذ الناس بظلمهم فثبت بهذا انه لا يجوز ان تكون المضار مشروعة على وجه تقع اجزية عن الجرائم (واما القسم الثاني) وهو ان يكون مشروعا ابتداء لاهل وجه يقع اجزية عن جرم سابق فهذا باطل بالاجماع فثبت ان مقتضى هذه الآية تحريم المضار مطلقا وثباته هذا ايضا بآيات أخرى كقوله تعالى ولا تسدوا في الارض بعد اصلاحها وكقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج وكقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وكقوله عليه السلام لا ضرر ولا ضرار في الاسلام وكقوله ملعون من ضرر مسلما فثبت بمجموع هذه الآيات والأخبار ان الاصل في المضار الحرمة فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على الضرر من كل الوجوه فان وجدنا نصا خاصا يدل على كونه مشروعا قضينا به تقديم الخاص على العام والاقصينا عليه بالحكمة بناء على هذا الاصل الذي قررناه ومنهم من قال هذه القاعدة تدل على ان كل ما يريده الانسان وجب ان يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع بمقتضى هذا الاصل وكل ما يكرهه الانسان وجب ان يحرم لان وجوده ضرر والضرر غير مشروع فثبت ان هذا الاصل يتناول جميع الوقائع الممكنة الى يوم القيامة ثم نقول القياس الذي يتمسك به في آيات الاحكام امان ان يكون على وفق هذه القاعدة او على خلافها والاول باطل لان هذا الاصل يغني عنه الثاني باطل لان النص راجع على القياس والله اعلم (المسئلة الثالثة) قالت المعتزلة هذه الآية دالة على ان الظلم والمعاصي ليست فعلا لله تعالى بل تكون افعالا للعباد لانه تعالى اضاف ظلم العباد اليهم وما اضاف الى نفسه فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم وايضا فلو كان خلقا لله تعالى لكانت مؤاخذتهم به ظلما من الله تعالى ولما منع الله تعالى العباد من الظلم في هذه الآية فبان يكون منزها عن الظلم كان اولي قالوا ويدل ايضا على ان اعمالهم مؤثرة في وجوب الثواب والعقاب ان قوله بظلمهم الباء فيه تدل على العلية كما في قوله ذلك بأنهم شاقوا الله واعلم ان الكلام في هذه المسائل قد ذكرناه مرارا فلا نعيد والله اعلم (المسئلة الرابعة) ظاهر الآية يدل على ان اقدام الناس على الظلم يوجب اهلاك جميع الدواب وذلك غير جائز لان الدابة لم يصدر عنها ذنب فكيف يجوز اهلاكها بسبب ظلم الناس والجواب عنه من وجهين (الاول) اننا لانسلم ان قوله ماترك على ظهرها من دابة يتناول جميع الدواب واجاب ابو علي الجبائي عنه ان المراد لو يؤاخذهم الله بما كسبوا من كفر ومصيبة لعل اهلاكهم وحينئذ لا يبق لهم نسل ثم من المعلوم انه لا احد الا في احد آياته من يستحق

للدلالة على تراخي رتبة ما يتركب عليه من عقابا لا لشراك المادول عليها بقوله سبحانه (اذ فرقي منكم بربهم يشركون فان تربتها على ذلك في ابعد غايقة من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن التبويض والفرقي فرقي الكفرة وان وجهه الى الكفرة فمن البيان كانه قيل اذا فرقي كافروهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر واذا جرح كقوله تعالى فلا تنجاه الى البر فمنهم مقتصد فمن تبويض ايضا والقرص لوصف الربوبية للابن بكمال فيع ما تركبوه من الاشراك والكفران (ليكفروا بما آتيناكم) من لمة الكشف عنهم كما هم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل (فتفتوا) استهديد والالتفات الى الخطاب للابن بتساوي الخطأ وقرئ بالياء مبني للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتفتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون لام الامر الوارد التهديد (فسوف تعلمون) عاقبة امركم ما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد مني عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بأنه مما لا يوصف (ويجملون) لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعددا لجبايتهم اى يفعلون ما يفعلون من الجوار الى الله تعالى عند ما ساس الشر ومن الاشراك به عند كشفه ويجملون (لما لا يعلمون) اى لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجسادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة

وصفاة ويرعون انما تفهم
وتشفع لهم على ما موصولة
والعائد اليها محذوف أو لا أعلم
له اصلا وليس من شأنه ذلك
موصولة ايضا والعائد اليها
ما في الفعل من الضمير المستكن
وصيغة جمع المقادير تكون ما عبارة
عن آلهتهم التي وصقوها بصفات
المقادير ومصدرية واللام للتعليل
اي لعدم علمهم والمجموع له
محذوف للعلم بكانه (نصيبا ما
رزقاهم) من النزرع والانعام
وغیرهما قرأ بالياء (تالله لتسألن)
سؤال توبيخ وتقرع (عما كنتم
تفترون) في الدنيا بأنها آلهة
حقيقة بأن يتقرب اليها وفي
تصدير الجلبة بالقسم وصرف
الكلام من الغيبة الى الخطاب المنهي
عن كمال الغضب من شدة الوعيد
مالا يخفى (ويعملون لله البنات)
هم خزاسة وكثانة السذین
يقولون الملائكة بنات الله
(سبحانه) تزيده وتهديس له عز
وجل عن مضمون قولهم ذلك
او تهيب من جرابتهم على التفوه
بمثل تلك العظيمة (ولهم
ما يشتهون) من البنين وما
مرفوعة المحل على انه مبتدأ
والطرف المقدم خبره والجملة
حالية وسببها اعتراض في حاق
موقعه وجملته منصوبة بالعطف
على البنات اي يحملون لانفسهم
ما يشتهون من البنين يؤدى الى
جعل الجمل بمعنى يم الزعم
والاختيار (واذا بشر احدهم
بالانثى) اي اخبر بولادتها
(ظل وجهه) اي صار اودوام
النهار كله (مسودا) من الكآبة
والحيا.

العذاب واذا هلكوا فقد بطل تسلمهم فكان يلزمه ان لا يبقى في العالم احد من الناس واذا
بطلوا وجب ان لا يبقى احد من الدواب ايضا لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصلحتهم
فهذا وجه لطيف حسن (والوجه الثاني) ان الهلاك اذا ورد على الظلة ورد ايضا على
سائر الناس والدواب فكان ذلك الهلاك في حق الظلة عذابا وفي حق غيرهم امتحانا
وقد وقعت هذه الواقعة في زمان نوح عليه السلام (والوجه الثالث) انه تعالى لو اخذهم
لانقطع القطر وفي انقطاعه انقطاع التبت فكان لا يبقى على ظهرها دابة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الانفسه فقال لا والله بل ان الجباري
في وكرها تقوت بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد اجعل يهلك في جحيمه بذنب
ابن آدم فهذه الوجوه الثلاثة من الجواب مفرعة على تسليم ان لفظة الدابة يتناول جميع
الدواب (والجواب الثاني) ان المراد من قوله ماترك على ظهرها من دابة اي ماترك على
ظهرها من كافر فالمراد بالدابة الكافر والدليل عليه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل
والله اعلم (المسئلة الخامسة) الكناية في قوله عليها مائدة الى الارض ولم يسبق لها ذكر الا
ان ذكر الدابة يدل على الارض فان الدابة انما تادب عليها كثيرا ما يكتفى عن الارض وان لم
يقدم ذكرها لانهم يقولون ما عليها مثل فلان وما عليها اكرم من فلان يعنون على الارض
فقال تعالى ولكن يؤخروهم الى اجل مسمى لينوالدوا وفي تفسير هذا الاجل قولان
الاول وهو قول عطاء عن ابن عباس انه يريد اجل القيامة (والقول الثاني) ان المراد
منتهى العمر وجه القول الاول ان معظم العذاب يوافيهم يوم القيامة ووجه القول
الثاني ان المشركين يؤخذون بالعقوبة اذا انقضت اعمارهم وخرجوا من الدنيا (النوع
الثالث) من الاقاويل الفاسدة التي كان يذكرها الكفار وحكاها الله تعالى عنهم قوله
ويجعلون لله ما يكرهون واعلم ان المراد من قوله ويجعلون اي البنات التي يكرهونها
لانفسهم ومعنى قوله يجعلون يصفون الله بذلك ويحكمون به له كقوله جعلت زيدا على
الناس اي حكمت بهذا الحكم وذكرنا معنى الجعل عند قوله ما جعل الله من بحيرة ولا
سابقة ثم قال تعالى وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى قال الفراء والزجاج موضع
ان نصب لان قوله ان لهم الحسنى بدل من الكذب وتقدير الكل لا توصف السنتهم ان لهم
الحسنى وفي تفسير الحسنى هنا قولان (الاول) المراد منه البنون يعنى انهم قالوا لله
البنات ولنا البنون (والثاني) انهم مع قولهم باثبات البنات لله تعالى يصفون انفسهم
بانهم فازوا برضوان الله تعالى بسبب هذا القول وانهم على الدين الحق والمذهب الحسن
(الثالث) انهم حكروا لانفسهم بالجنة والثواب من الله فان قيل كيف يحكمون
بذلك وهم كانوا منكرين للقيامة قلنا حكمهم ما كانوا منكرين للقيامة فقد قيل انه كان
في العرب جمع يقرون بالبعث والقيامة ولذلك فانهم كانوا يربطون البعير النفيس على
قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا احشر فانه يحشر معه حركوبه

من الناس واسوداد الوجه كناية

عن الاغتمام والتشويش (وهو كظيم) بمعنى حقا ويظا (يتوارى) اي يخفى (من القوم من سوء ما يشرب) من اجل سوءه والتعبير عنها بما لا سقاطها عن درجة العقلاء (أيسكه) اي مترددا في امره بهذا نفسه في شأنه (أيسكه) (على هون) ذل وقرى هوان (لم يدسه) يخفيه (في التراب) بالولاد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرى بالتأنيث (الأساء ما يمكنون) حيث يعملون ما هذشانه عندهم من الهون والخساسة لله التملأ عن الصاحب والولد والحال انهم يخشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فدار الخطاب جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم ايا لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مداره التكميل بقوله تعالى تلك اذا نسمة منبى (للذين لا يؤمنون بالآخرة) من ذكرت قبائحهم (مثل السوء) صفة السوء الذي هو كالثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عندهم وابتار الذكور للاستظهار بهم وواد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادى كل ذلك بالجنز والقصور والتشع البالغ ووضع الموصول موضع الشئ والاشارة بأن مدار انصافهم بتلك القبايح هو الكفر بالآخرة (ولله) سبحانه وتعالى (مثل الاعلى) اي العفة العينية التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والتزاهة عن صفات الخلقين ويدخل فيه علوه تعالى عما علوه علوا

وايضاف تقدير انهم كانوا منكرين للقيامه فلعلهم قالوا ان كان محمدا صادقا في قوله بالبعث والنشور فانه يحصل لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه ومن الناس من قال الاولى ان يحمل الحسنى على هذا الوجه بدليل انه تعالى قال بعده لاجرم ان لهم النار فرد عليهم قوله وان ثبت لهم النار فدل هذا على انهم حكموا لانفسهم بالجنة قال الزجاج لا رد لقولهم والمعنى ليس الامر كما وصفوا جرم فعلهم اي كسب ذلك القول لهم النار فعلى هذا لفظ ان في محل نصب بوقوع الكسب عليه وقال قطرب ان في موضع رفع والمعنى وجب ان لهم النار وكيف كان الاعراب فالمعنى هو انه يحق لهم النار ويجب وثبت وقوله وانهم مفرطون قرأنا فعقوبة عن الكسائي مفرطون بكسر الراء والباقون مفرطون بفتح الراء اما قرأنا نافع فقال الفراء المعنى لهم كانوا مفرطين على انفسهم في الذنوب وقيل افراطوا في الافتراء على الله تعالى وقال ابو على الفارسي كانه من افراط اي صار ذا فرط مثل اجرب اي صار ذا جرب والمعنى انهم ذوو فرط الى النار كأنهم قد ارسوا من برئ لهم مواضع فيها اما قرأة قوله مفرطون بفتح الراء فقيه قولان (الاول) المعنى متروكون في النار قال الكسائي يقال ما افطت من القوم احدا اي ما تركت وقال الفراء تقول العرب افطت منهم ناسا اي خلفتهم وانسيهم (والقول الثاني) مفرطون اي مجبولون قال الواحدي رحمه الله وهو الاختيار ووجهه ما قال ابو زيد وغيره فرط الرجل اصحابه بفرطهم فرطا وفرطوا اذا تقدم الى الماء ليصلح الدلاء والارسان وافرط القوم الفارط وفرطوه اذا قدموه فغنى قوله مفرطون على هذا التقدير كأنهم قدموا الى النار فهم فيها فرط للذين يدخلون بعدهم ثم بين تعالى ان مثل هذا الصنع الذي يصدر من مشركي قريش قد صدر من سائر الامم السابقين في حق الانبياء المتقدمين عليهم السلام فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزین لهم الشيطان اعمالهم وهذا يجري مجرى التسليمة لرسول صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم قالت المعتزلة الآية تدل على فساد قول الجيرة من وجوه (الاول) انه اذا كان خالق اعمالهم هو الله تعالى فلا قائمة في التزيين (والثاني) ان ذلك التزيين لما كان بخلق الله تعالى لم يجزئ الشيطان بسببه (والثالث) ان التزيين هو الذي يدعو الانسان الى الفعل واذا كان حصول الفعل فيه بخلق الله تعالى كان ضروريا فلم يكن التزيين داعيا (والرابع) ان على قولهم الخالق لذلك العمل اجدر ان يكون وليهم من الداعي اليه (والخامس) انه تعالى اضاف التزيين الى الشيطان ولو كان ذلك المزين هو الله تعالى لكانت اضافته الى الشيطان كذبا وجوابه ان كان مزين القبايح في عين الكفار هو الشيطان فزین تلك الوساوس في عين الشيطان ان كان شيطانا آخر لزم التسلسل وان كان هو الله تعالى فهو المطلوب ثم قال تعالى فهو وليهم اليوم وفيه احتمالا (الاول) ان المراد منه كفار مكة وبقوله فهو وليهم اليوم اي الشيطان يتولى

كبيراً (وهو العزيز) المتفرد
بكمال القدرة لاسيما على
مؤاخذتهم بذنوبهم (الحكم)
الذى يفعل كل مايفيد مقتضى
الحكمة البالغة وهذا ايضا من
جدة صفاته العجيبة تعالى (ولو
يؤاخذ الله الناس) الكفار
(بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم التي
من جعلها ماعدد من قبائحهم
وهذا تصریح بالغادة قوله تعالى
وهو العزيز الحكيم وايدان بأن
ماأنه من القبايح قد تنهى الى
امد لا غاية وراه (ماترك عليها)
على الارض المدلول عليها
بالناس وبقوله تعالى (من دابة)
اي ما ترك عليها شيئا من دابة
قط بل اهلكها بالمرثيؤم ظل
الظالمين كقوله تعالى واقفائة
لالتصين الذين ظلوا منكم خاصة
وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه
سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر
الانفسه فقال بلى والله حتى
ان الجبارى نفوت في وكرها
بظلم الظالم وعن ابن مسعود
رضي الله عنه كاد الجمل يهلك في
سجيره بذنب ابن آدم او من دابة
ظالمة قيل لو اهلك الابل لم يكن
الابناء فيلزم ان لا يكون في
الارض دابة لما نخلوكة لنافع
البشر لقوله سبحانه هو الذى
لكم مافى الارض جيما (ولكن)
لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم
الى اجل مسمى لا اعلمهم او
لذنبهم حتى يشاءوا او يكثر
عذابهم (فاذا جلا اجلهم) المسمى
(لايسأخرون) عن ذلك الاجل
اي لا يتأخرون وصيغة
الاستفعال للاشعار بجبرهم
عنه مع طلبهم له (ساعة) فذمة
وهي مثل فيلة المدة

اغواءهم وصرفهم عنك كما فعل بكفار الامم قبلك فيكون على هذا التقدير رجوع عن
اخبار الامم الماضية الى الاخبار عن كفار مكة (الثاني) انه اراد باليوم يوم القيامة يقول
فهو لى أولئك الذين كفروا يزين لهم اعمالهم يوم القيامة واطلق اسم اليوم على يوم
القيامة لشهرة ذلك اليوم والمقصود من قوله فهو وليهم اليوم هو انه لاولى لهم ذلك اليوم
ولا ناصر وذلك لانهم اذا عاينوا العذاب وقد نزل بالشيطان كنزوله بهم ورأوا انه لا مخلص له
منه كما لا مخلص لهم منه جاز ان ينجحوا بأن يقال لهم هذا وليكم اليوم على وجه التجربة
ثم ذكر تعالى ان مع هذا الوعيد الشديد قد اقام الله الحجة وازاح العلة فقال وما ننزلنا عليك
الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
المعنى انما ننزلنا عليك القرآن لتبين لهم بواسطة بياتات هذا القرآن الاشياء التى
اختلفوا فيها والمختلفون هم اهل الملل والاهواء وما اختلفوا فيه هو الدين مثل التوحيد
والشرك والجبر والقدر وثبات المعاد ونفيه ومثل الاحكام مثل انهم حرموا اشياء تحل
كالبحيرة والسائبة وغيرهما وحلوا اشياء تحرم كالسبي (المسئلة الثانية) اللام فى قوله لتبين
تدل على ان افعال الله تعالى معللة بالاعراض ونظيره آيات كثيرة منها قوله كتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس وقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وجوابه انه لما ثبت
بالعقل امتناع التعليل وجب صرفه الى التأويل (المسئلة الثالثة) قال صاحب
الكشاف قوله هدى ورحمة معطوفان على محل قوله لتبين لانها امنتصبا على انه مفعول
لهما لانها فعلا الذى اتزل الكتاب ودخلت اللام فى قوله لتبين لانه فعل المخاطب
لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعلا لذلك الفاعل (المسئلة الرابعة) قال النكبي
وصف القرآن بكونه هدى ورحمة لقوم يؤمنون لا ينفى كونه كذلك فى حق الكل كما ان
قوله تعالى فى اول سورة البقرة هدى للمتقين لا ينفى كونه هدى لكل الناس كما ذكره فى
قوله هدى للناس ويبينات من الهدى والفرقان وانما خص المؤمنين بالذكر من حيث
انهم قبلوه فانفعوا به كما فى قوله انما انت منذر من يخشاها لانه انما انتفع بالذاهر هذا
القوم فقط والله اعلم قوله تعالى (والله انزل من السماء ماء فأحى به الارض بعد
موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم فى الانعام لبرة لتسقينكم بما فى بطونه من
بين فرت ودم لبناخالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات الخيل والاعصاب تغذون منه سكرا
ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) اعلم اننا قد ذكرنا ان المقصود الاعظم من هذا
القرآن العظيم تقرير اصول اربعة الالهيات والنبوات والمعاد وثبات القضاء والقدر
والمقصود الاعظم من هذه الاصول اربعة تقرير الالهيات فلهذا السبب كلما امتد
الكلام فى فصل من الفصول فى وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات وقد ذكرنا فى اول
هذه السورة انه تعالى لما اراد ذكر دلائل الالهيات ابتداء بالاجرام الفلكية ونهى
بالانسان وثلت بالحيوان وربيع بالنبات وخمس بذكر احوال البحر والارض فهنا فى هذه

الآية لما عاد الى تقرير دلائل الالهيات بدأ اولاً بذكر الفلكيات فقال والله انزل من السماء ماء فأحياه الارض بعد موتها والمعنى انه تعالى خلق السماء على وجه ينزل منه الماء ويصير ذلك الماء سبباً لحياة الارض والمراد بحياة الارض نبات الزرع والشجر والنور والثر بعد ان كان لاثر وبقع بعد ان كان لايفع وتقرير هذه الدلائل قد ذكرناه مراراً كثيرة ثم قال ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه اصم لم يسمع (والنوع الثاني) من الدلائل المذكورة في هذه الآيات الاستدلال بمجائب احوال الحيوانات وهو قوله وان لكم في الانعام لعلبة نسقيكم مما في بطونه قد ذكرنا معنى العبرة في قوله لعلبة لاولى الابصار وفيد مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير وابوعرو وحفص عن عاصم وحزرة والكسائي نسقيكم بضم النون والباقون بالفتح اما من فتح النون فحجته ظاهرة تقول سقيته حتى روى اسقيه قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال والذي هو يطعمني ويسقين وقال وسقوا ماء حميا من ضم النون فهو من قولك اسقاه اذا جعل له شرابا كقوله واسقيناكم ماء فراثا وقوله فأسقيناهوه والمعنى ههنا انا جعلناه في كثرته وادامته كالسقياء اختار ابو عبيد الضم قال لانه شرب دائم واكثر ما يقال في هذا المقام اسقيت (المسئلة الثانية) قوله مما في بطونه الضمير عائد الى الانعام فكان الواجب ان يقال مما في بطونها وذكر النورين فيه وجوها (الاول) ان لفظ الانعام لفظ مفرد وضع لقاعدة جمع كالرط والقوم والبقر والزم فهو بحسب اللفظ لفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو التذكير وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو التأنيث فلهاذا السبب قال ههنا في بطونه وقال في سورة المؤمنين في بطونها (الثاني) قوله في بطونه اى في بطون ما ذكرنا وهذا جواب الكسائي قال المبرد هذا شائع في القرآن قال تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي يعني هذا الشئ الطالع ربي وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره اى ذكر هذا الشئ واعلم ان هذا انما يجوز فيما يكون تأنيثه غير حقيقى اما الذى يكون تأنيثه حقيقيا فلا يجوز فانه لا يجوز في مستقيم الكلام ان يقال جاريتك ذهب ولا غلامك ذهبت على تقدير ان نحمله على النسبة (الثالث) ان فيه اضمارا والتقدير نسقيكم مما في بطونه الذين اذ ليس كلها ذات لبن (المسئلة الثالثة) الفرث سرجين الكرش روى الكلبي عن ابى صالح عن ابن عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دما واسفله لبنا فيجربى الدم في العروق والبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك هو قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه الدم ولا الفرث ولقائل ان يقول الدم والبن لا يتولدان البتة في الكرش والدليل عليه احس فان هذه الحيوانات تذبذبها متواليا وما رأى احد في كرشها لادما ولا لبنا ولو كان تواد الدم والبن في الكرش لوجب ان يشاهد ذلك في بعض الاحوال والشئ الذى دلت المشاهدة على فساده لم يجز المصير اليه بل الحق ان الحيوان اذا تناول

(ولا يستقدمون) اى لا يتقدمون واعلم ان قوله لا يسمع مع انه لا يتصور الاستفهام عند مجئ الاجل مبالة في بيان عدم الاستفهام ينظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انا تبت الان ولا الذين يعوتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له راسا قد نظم في سطر من لم يقبل توبته لا يذنبان بأنهم ماسيان في ذلك وقد سر في تفسير سورة يونس (ويجعلون لله اى يقبضون له سبحانه وينسبون اليه في ذعهم ما يكرهون) لانفسهم ما ذكر وهو تكرير لا سبق لتثنية للترغيع وتوطئة لقوله تعالى (وتصف السنتهم الكذب اى يجعلون له تعالى ما يصحون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو (ان لهم الحسنى) السابقة الحسنى عند الله تعالى كقوله ونش رجعت الربى انى عنده الحسنى وقرئ الكذب وهو جمع الكذب على انه صفة الالسة (لاجرم) رد لكلامهم ذلك واثبت لتقينه اى حقا (ان لهم) مكان ما لم يؤمنوا الحسنى (النار) التى ليس وراء عذابها عذاب وهى علم فى السوائى (وانهم مفرطون) اى مقدمون اليها من افترطه اى قدمته فى طلب الماء وقيل منسوب من افترط فلانا خلق اذا خلقته ونسبته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته فى طلب الماء وبكر الراء المشددة من التفريط فى الطاعات

وبكر الخنفه من الافراط في المعاصي فلا يكونان حيثئذ من احوالهم الاخرية كما عطف عليه (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسليق رسول الله صلى الله عليه وسلم عيانا له من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اى ارسلنا اليهم رسلا فدفعوهم الى الحق فلم يسمعونوا المذلل (فزين لهم الشيطان اعمالهم) الفبيحة فعكفوا عليها مصرين (فهو وليهم) اى قريشهم وبش القرن (اليوم) اى يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية اوفى الدنيا او يوم القيامة على طريق حكاية الحال الآتية وهى حال كونهم معذنين فى النار والولى يعنى الناصر اى فهو ناصرهم اليوم لانا ناصرهم غيره بمباقة فى نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشرك قريش والمعنى زين للائم السالفة اعمالهم فهو ولى هؤلاء للائم منهم وان يكون على حذف المضاف اى ولى امثالهم (وليهم) فى الآخرة (عذاب اليم) هو عذاب النار (وما نزلنا عليك الكتاب) اى القرآن (اللاتين) استثناء مفرغ من اعم الملل اى ما نزلناه عليك لغة من الملل اللاتين (الهم) اى الناس (الذى اخلفوا فيه) من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد (وهدى ورجة) مطوفان على عل لبنين اى وللهداية والرجة (لقوم يؤمنون) وانما اتصبا لكونهما اترى فاعل الفعل

الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبع وحصل الهضم الاول فيه فاكأن منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كشيئا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذى يحصل منه فى الكبد ينطج فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثانى ويكون ذلك الدم مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائة اما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل فى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم فى تلك العروق الى الضرع والضرع لم خددى رخو ابيض فيقلب الله تعالى الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددى الرخو الايض من صورة الدم الى صورة اللبن فهذا هو القول الصحيح فى كيفية تولد اللبن فان قيل فهذه المعاني حاصلة فى الحيوان الذكر فلم يحصل منه لبن قلنا الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شئ على الوجه اللائق به الموافق لمصلحته فزاج الذكر من كل حيوان يجب ان يكون حارا يابس ومزاج الانثى يجب ان يكون باردا رطبا والحكمة فيه ان الولد انما يتكون فى داخل بدن الانثى فوجب ان تكون الانثى مختصة بمزيد الرطوبات لوجهين (الاول) ان الولد انما يتولد من الرطوبات فوجب ان يحصل فى بدن الانثى رطوبات كثيرة لتصير مادة لتولد الولد (والثانى) ان الولد اذا اكبر وجب ان يكون بدن الام قابلا للتمد حتى ينسج لذلك الولد فاذا كانت الرطوبة غالبة على بدن الام كان بدنهما قابلا للتمد فتسج للولد ثبث بما ذكرنا انه تعالى خص بدن الانثى من كل حيوان بمزيد الرطوبات لهذه الحكمة ثم ان الرطوبات التى كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين حين كان فى رحم الام فعند انفصال الجنين تنصب الى الثدي والضرع ليصير مادة لغذاء ذلك الطفل الصغير اذا عرفت هذا فاعلم ان السبب الذى لاجله يتولد اللبن من الدم فى حق الانثى غير حاصل فى حق الذكر فظهر الفرق اذا عرفت هذا التصور فنقول المفسرون قالوا المراد من قوله من بين فرث ودم هو ان هذه الثلاث تتولد فى موضع واحد فالفرث يكون فى اسفل الكرش والدم يكون فى اعلاه واللبن يكون فى الوسط وقد دللنا على ان هذا القول على خلاف الحس والعبرة ولان الدم لو كان يتولد فى اعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قل ان يبقى الدم وذلك باطل قطعاً واما نحن فنقول المراد من الآية هو ان اللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء الطيفية التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة الحاصلة فى الكرش وهذا اللبن متولد من الاجزاء التى كانت حاصلة فيما بين الفرث اولا ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانيا فصفاه الله تعالى عن تلك الاجزاء الكشفة الغليظة وخلق فيها الصفات التى باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل فهذا ما حصلناه فى هذا المقام والله اعلم (المسئلة الرابعة) اعلم ان حدوث اللبن فى الثدي واتصافه بالصفات التى باعتبارها يكون موافقا لتغذية الصبي مشتمل على حكم عجبية (واسرار)

وامرار بدنية يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل الابتدير الفاعل الحكيم والمدير الرحيم وبانه من وجوه (الاول) انه تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء او شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كلياً لا يخرج منه شئ من ذلك المأكول والمشروب الى ان يكمل انهضامه في المعدة ويجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ ويترل منه ذلك الثفل وهذان الجانبان التي لا يمكن حصولها الابتدير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة الى بقاء الغذاء في المعدة حاصلة انطبق ذلك المنفذ واذا حصلت الحاجة الى خروج ذلك الجسم عن المعدة انفتح فحصول الانطباق تارة والانفتاح أخرى بحسب الحاجة وتقدير المنفعة بما لا يتأتى الابتدير الفاعل الحكيم (الثاني) انه تعالى اودع في الكبد قوة تجذب الاجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك المأكول او المشروب ولا تجذب الاجزاء الكشيفة وخلق في الامعاء قوة تجذب تلك الاجزاء الكشيفة التي هي الثفل ولا تجذب الاجزاء اللطيفة البتة ولو كان الامر بالعكس لاختلفت مصلحة البدن ولفسد نظام هذا التركيب (الثالث) انه تعالى اودع في الكبد قوة هاضمة طابخة حتى ان تلك الاجزاء اللطيفة تتطبخ في الكبد وتغلب دائما انه تعالى اودع في المرارة قوة جاذبة للصفر وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية حتى يبق الدم الصافي الموافق لتغذية البدن وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بتلك القوة والخاصية لا يمكن الابتدير الحكيم العليم (الرابع) ان في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الام ينصب من ذلك الدم نصيب واقر اليه حتى يصير مادته لنمو اعضاء ذلك الولد وازدياده فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب الى جانب الثدي ليتولد منه اثنان الذي يكون غذاءه فاذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لالي الرحم ولا الى الثدي بل ينصب على مجموع بدن المتغذى فانصباب ذلك الدم في كل وقت الى عضو آخر انصبابا موافقا للمصلحة والحكمة لا يتأتى الابتدير الفاعل المختار الحكيم (الخامس) ان عند تولد الابن في الضرع احدث تعالى في حمة الثدي تقويا صغيرة ومسام ضيقة وجعلها بحيث اذا اتصل المص او الحلب بتلك الحمة انفصل اللبن عنها في تلك المسام الضيقة ولما كانت تلك المسام ضيقة جدا فحينئذ لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفاء والطاقة واما الاجزاء الكشيفة لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل والحكمة في احداث تلك الثقوب الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس حمة الثدي ان يكون ذلك كالمصفاة فكل ما كان لطيفا يخرج وكل ما كان كثيفا احتبس في الداخل ولم يخرج فهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبي سائغا لشاريين (السادس) انه تعالى اهتم ذلك الصبي الى المص فان الام كلما اقمته حمة الثدي في فم الصبي فذلك الصبي في الحال يأخذ في المص فلو لا ان الفاعل المختار الرحيم اهتم ذلك الطفل الصغير ذلك

المخل بمخلاف التبيين حيث لم يتجنب فقدان شرطه ولعل تقديره عليهما لتقديمه في الوجود وتخصيص كونهما هدي ورحمة بالمؤمنين لانهم المتقنون آثاره (واقفا نزل من السماء) من السحاب او من جانب السماء حسب امر هذا تكرير لما سبق تأكيدها لضمونه وتوطئة لما يقبىه من ادلة التوحيد (ما) نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقدم الجبرور على المنسوب لاسرار مرار من التشويق الى المؤخر (فاخي به الارض) بما ثبت به فيها من انواع النباتات (بعد موتها) اى بعد يسها وما يفيد الفاء من التقريب العادى لايضا فيه ما بين المعطوفين من الهمية (ان في ذلك) اى في نزال الماء من السما واجاء الارض الميتة به (لاية) وآية آية دالة على وحدته سبحانه وعله وفدريته وحكمته (تقوم يسمون) هذا التذكير ونظائره سماع تشكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم (وان لكم في الانعام لعبرة) واية تحارفي دركها العقول وتبين في فهمها الباب الفصول (تفكيك) استئناف لبيان ما هم اولاً من العبرة (عاني بطونه) اى بطون الانعام. والتذكير هنا لمرعاة جانب اللفظ فانه جمع ولذلك عدة سبويه في المقررات البنية على افعال كالكاش واخلاق كما ان تأنيبه في سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع فم جعل الضمير للبيض فان اللبن ليس لجمعهما اوله على المعنى فان المراد به المجلس وقرئ

بفتح النون ههنا وفي سورة المؤمنين (من بين فريث ودم لبناء) الفريث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المتخضبة من الانضمام وكثيف ما يبقى في المهي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البعيرة اذا اعتلقت وانطبع العلف في كرشها كان اسفلها فريثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يفتو البدن لان عدم تكررهما في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد فيجذب صفافه الطعام المنهضم في الكرش ويبقى فقله وهو الفريث ثم يمسكها ريما يعضها فبصدت اخلاطا اربعة معها مائة فيقوى القوة الهزئة تلك المائة بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فغير على كل حقه على ما يليق به بتقدير العز العلم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد اوبعضه الى الضروج فيبيض لجوارحه لحومها الغذوية البيض ويلد طمسه فصيير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من اخلاط والالبان واعداد مقارها وجارها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفه فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه

العمل المخصوص والالم يحصل الانتفاع بتخليق ذلك اللبن في الثدي (السابع) اثابنا انه تعالى اما خلق اللبن من فضلة الدم واما خلق الدم من الغذاء الذي يتناوله الحيوان فالشاة لما تناولت العشب والماء قاله تعالى خلق الدم من لطيف تلك الاجزاء ثم خلق اللبن من بعض اجزاء ذلك الدم ثم ان اللبن حصلت فيه اجزاء ثلاثة على طبائع متضادة غافيه من الدهن يكون حاراً رطبا وغافيه من المائيه يكون بارداً رطبا وغافيه من الجبنه يكون بارداً يابسا وهذه الطبائع ما كانت حاصلة في ذلك العشب الذي تناوله الشاة فظهر بهذا ان هذه الاجسام لا تزال تقلب من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة مع انه لا يناسب بعضها بعضا ولا يشاكل بعضها بعضا وعند ذلك يظهر ان هذه الاحوال انما تحدث بتدبير فاعل حكيم رحيم يدبر احوال هذا العالم على وفق مصالح العباد فيسبحان من تشهد جميع ذرات العالم الاعلى والاسفل بكمال قدرته ونهاية حكمته ورحمته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين اما قوله سائفا للشاربين فعناه جاريا في حلوقهم لذينا هنينا يقال ساغ الشراب في الخلق واساغه صاحبه ومنه قوله ولا يكاد يسيقه (المسئلة الخامسة) قال اهل التحقيق اعتبار حدوث اللبن كابدل على وجود الصانع المختار سبحانه فكذلك يدل على امكان الخسر والنشر وذلك لان هذا العشب الذي يأكله الحيوان انما يتولد من الماء والارض فخالق العالم دبر تدبيرا فقلب ذلك الطين نباتا وعشبا ثم اذ اكله الحيوان دبر تدبيرا آخر فقلب ذلك العشب دما ثم دبر تدبيرا آخر فقلب ذلك الدم لبنا ثم دبر تدبيرا آخر فحدث من ذلك اللبن الدهن والجبن فهذا يدل على انه تعالى قادر على ان يقلب هذه الاجسام من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة فاذا كان كذلك لم يمتنع ايضا ان يكون قادرا على ان يقلب اجزاء ابدان الاموات الى صفة الحياة والعقل كما كانت قبل ذلك فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على ان البعث والقيامة امر يمكن غير متنع والله اعلم ثم قال تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تخذون منه سكرا ورزقا حسنا اعلم انه تعالى لما ذكر بعض منافع الحيوانات في الآية المقدمة ذكر في هذه الآية بعض منافع النبات وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فان قيل هم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلنا بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء (المسئلة الثانية) قال الواحدى الاعناب عطف على الثمرات لاعلى النخيل لانه بصير التقدير ومن ثمرات الاعناب والعنب نفسه ثمرة وليست له ثمرة اخرى (المسئلة الثالثة) في تفسير السكر وجوه (الاول) السكر الحمر سميت بالمصدر من سكر سكر وسكر انحور شد رشدا ورشدا واما الرزق الحسن فسائر ما يتخذ من النخيل والاعناب كالرب والخل والدبس والتمر والزبيب فان قيل الحمر محرمة فكيف ذكرها الله في معرض الانعام اجابوا عنه من وجوه (الاول) ان هذه السورة مكية وتحريم الحمر نزل في سورة المائدة فكان نزول هذه الآية

وقدرته وحكمته وتساوى رأته
ورحمته فمن الأولى تبعيته لما
ان الذين بعض ما في بطونه لانه
مخلوق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التي
في الفرت حسبا فليل والثانية
ابتدائية كقوله سقيت من
الحوض لان بين الفرت والدم
مبدأ الاسقاء وهي متعلقة
بسيقكم وتقديعه على القفول
للممرار من ان تقديم ماحقه
للتأخير يبعث للنفس شوقا الى
المؤخر موجبا للفعل فمكنه عند
وروده عليها لاسيما اذا كان
القدم متفتحا لوصف مناسف
لوصف المؤخر كالذي نحن فيه
فان بين وصفي للقدم والمؤخر
تباينا وتباينا بحيث لا يتراعى
ناهما فان ذلك مجازيد الشوق
والاستراخ الى المؤخر كما في
قوله تعالى الذي جعل لكم من
الشجر الاخضر نارا اوحال من
لبنا قدم عليه لتذكيره وللتنبية
على انه موضع العبرة (خلافا)
عن شائبة ما في الدم والفرت
من الاوصاف يبرز من القدرة
القاهرة الخارجة عن بني ادمهما
عليه مع كونهما مكنتين له
(سائلا للدارين) سهل المرور
في فلقهم قبل ان يفص احد بالين
وقرى سيقا القشديا والضعيف
مثل هين وهين (ومن ثمرات
الخيل والاعتاب) متعلق بما
يدل عليه الاسقاء من مطلق
الاطعام المنتظم لاطعام المظوم
والشروب فان الابن مطعوم
كجانه مشروب اى ولطعمكم من
ثمرات الخيل ومن الاعتاب اى من
عصيرهما وقوله تعالى (تتغذون
منه سكر) استثنائي لبيان كنهه

في الوقت الذي كانت الحمر فيه غير محرمة (الثاني) انه لا حاجة الى التزام هذا النسخ وذلك
لانه تعالى ذكر ما في هذه الاشياء من المنافع وحاطب المشر كين بها والحمر من اشربهم
فهي منفعة في حقهم ثم انه تعالى نبه في هذه الآية ايضا على تحريمها وذلك لانه ميربها
وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان لا يكون السكر رزقا حسنا ولا شك انه حسن
بحسب الشهوة فوجب ان يقال الرجوع عن كونه حسنا بحسب الشريعة وهذا
انما يكون كذلك اذا كانت محرمة (القول الثاني) ان السكر هو التبيذ وهو عصير العنب
والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة
رحمه الله الى حد السكر ويحجج بأن هذه الآية تدل على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره
في معرض الانعام والمنة ودل الحديث على ان الحمر حرام قال عليه السلام الحمر حرام
لعينها وهذا يقتضى ان يكون السكر شيئا غير خمر وكل من اثبت هذه المقاربة قال انه
التبيذ المطبوخ (والقول الثالث) ان السكر هو الطعام قاله ابو عبيدة واحتج عليه
يقول الشاعر * جعلت اعراض الكرام سكر * اى جعلت ذمهم طعاما لك قال
الزجاج هذا بالحمر اشبه منه بالطعام والمعنى انك جعلت تخمر باعراض الكرام
والمعنى انه جعل شغفه بفيه للناس وتزريق اعراضهم جارا يجرى شرب الخمر واعلم انه
تعالى لما ذكر هذه الوجوه التي هي دلائل من وجوه وتعدد لانم العظيمة من وجوه آخر
قال ان في ذلك لآية لقوم يعقلون والمعنى ان من كان عاقلا علم بالضرورة ان هذه
الاحوال لا يقدر عليها الا الله سبحانه وتعالى فيحتج بمحصلها على وجود الاله القادر
الحكيم والله اعلم * قوله تعالى (وادعى ربك الى الخيل ان اتخذ من الجبال بيوتا
ومن الشجر مما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من
بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون)
اعلم انه تعالى لما بين ان اخراج الالبان من النعم واخراج السكر والرزق الحسن من
ثمرات الخيل والاعتاب دلائل قاهرة وبيئات باهرة على ان لهذا العالم الها قادرا مختارا
حكما فكذلك اخراج العسل من النحل دليل قاطع وبرهان ساطع على اثبات هذا
المقصود وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله وادعى ربك الى الخيل يقال وحى
واوحى وهو الالهام والمراد من الالهام انه تعالى قرر في انفسها هذه الاعمال العجيبة
التي تفجر عنها العقل من البشر وبيانه من وجوه (الاول) انها تبني البيوت المسدسة من
اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها والعقل من البشر لا يمكن بناء
مثل تلك البيوت الابالات وادوات مثل المسطر والفرجار (والثاني) انه ثبت
في الهندسة ان تلك البيوت لو كانت مشكلة باشكل سوى المسدسات فانه يتق
بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة اما اذا كانت تلك البيوت مسدسة فانه
لا يبقى فيما بينها فرج ضائعة فاهدا ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة الخفية

والدقيقة اللطيفة من الاعاجيب (والثالث) ان النحل يحصل فيما بينها واحد يكون كالرئيس البقية وذلك الواحد يكون اعظم جثة من الباقي ويكون نافذ الحكم على تلك البقية وهم يخدمونه ويحملونه عند الطيران وذلك ايضا من الاعاجيب (وارابع) انها اذا نفرت من وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا ارادوا عودها الى وكرها ضربوا الطنور والملاهي وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الاخوان يقدرون على ردها الى وكرها وهذا ايضا حالة عجبية فلما امتاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والكياسة وكان حصول هذه الانواع من الكياسة ليس الاعلى سبيل الالهام وهي حالة شبيهة بالوحى لاجرم قال تعالى في حقها واوحى ربك الى النحل واعلم ان الوحى قد ورد في حق الانبياء لقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وفى حق الاولياء ايضا قال تعالى واذا وحيث الى الحوارين وبمعنى الالهام في حق البشر قال تعالى واوحينا الى ام موسى وفى حق سائر الحيوانات كما في قوله واوحى ربك الى النحل ولكل واحد من هذه الاقسام معنى خاص والله اعلم (المسئلة الثانية) قال الزجاج يجوز ان يقال سمي هذا الحيوان نحلا لان الله تعالى نحل الناس العسل الذى يخرج من بطونها وقال غير النحل يذكرو بؤث وهي مؤنثة فى لغة الحجاز ولذلك انما الله تعالى وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحده الالهة ثم قال تعالى ان اتخذنى من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشف ان اتخذنى هي ان المفسرة لان الاءاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر وما يعرشون اى يبنون ويسقفون وفيه لغتان قرئ بهما ضم الراء وكسرها مثل يعكفون ويعكفون واعلم ان النحل نوعان (احدهما) ما يسكن فى الجبال والفيض ولا يعهد لها احد من الناس (والنوع الثانى) التى تسكن بيوت الناس وتكون فى تعهدات الناس فالاول هو المراد بقوله ان اتخذنى من الجبال بيوتا ومن الشجر والثانى هو المراد بقوله وما يعرشون وهو خلايا النحل فان قيل مامعنى من فى قوله ان اتخذنى من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون وهلا قيل فى الجبال وفى الشجر قلنا اريد به معنى البعضية وان لا تبني بيوتها فى كل جبل وشجر بل فى مساكن توافق مصالحها وتليق بها (المسئلة الثانية) ظاهر قوله تعالى ان اتخذنى من الجبال بيوتا امر وقد اختلفوا فيه فمن الناس من يقول لا يبعد ان يكون لهذه الحيوانات عقول ولا يبعد ان توجه عليها من الله تعالى امر ونهى وقال آخرون ليس الامر كذلك بل المراد منه انه تعالى خلق فيها غرائر وطبائع توجب هذه الاحوال والكلام المستقصى فى هذه المسئلة مذکور فى تفسير قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ثم قال تعالى ثم كلى من كل الثمرات لفظه من هنا للتبعيض او لابتداء الغاية ورأيت فى كتب الطب انه تعالى دبر هذا العالم على وجه وهو انه يحدث فى الهواء طل لطيف فى اللبالي ويقع ذلك الطل

(على)

الاطعام وكشفه او بقوله اتخذون منه وتكرير الطرف للتأكيد او خبر مبتدأ محذوف صفته اتخذون اى من غمرات الخليل والاعتساب غمر اتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان فى الكلام كلمة من سائر نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه لخصنا المحذوف اعنى الضمير اولان المراد هو المجلس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم (ورزقا حسنا) كالسكر والبس والزييب والحل واللاية ان كانت سابقة التناول على تحريم الخمر فدلالة على كراهتها والا فحاشية بين المتاب والمنة (ان فى ذلك لاية) باهرة (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى الايات بالنظر والتأمل (واوحى ربك الى النحل) اى الهما وقذف فى قلوبها وعلمها بوجه لاياله الا العليم الخبير وقرئ يفتحين (ان اتخذنى اى بان اتخذنى هل ان ان مصدرية ويجوز ان تكون مفسرة لما فى الاءاء من معنى القول وتأنيت الضمير مع ان النحل مذكر للعمل على المعنى اولاه جمع نصبه والتأنيث لفة اهل الحجاز (من الجبال بيوتا) اى اوكلها مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء (ومن الشجر وما يعرشون) اى يمرشهم الناس اى يرفههم كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفه الناس وينوته لأهل والمعنى اتخذنى لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذ لم يكن لك ارباب والا فتخذى ما يرضونه

لك وليراد حرف التبويض لما
 فيه لا ياتي في كل جبل وكل
 شجر وكل عرش ولا في كل
 مكان منها (ثم كلى من كل الثمرات)
 من كل ثمرة تشتهيها حلوها
 ومرها (فأسلكى) ما أكلت
 منها (سبل ربك) اى سالكه
 التى برأها بحيث يحيل فيها
 بقدرته القاهرة النور المرعلا
 من اجوافك اوقاسلكى الطرق
 التى الهماك في عمل العسل او
 فأسلكى راجعة الى بيوتك سبل
 ربك لاتتوعر عليك ولا تلتبس
 (ذلالا) جردلؤل وهو حال من
 السبل اى مذلة غير متورع دلتها
 الله سبحانه وسيلها لك اومن
 الضمير فى اسلكى اى اسلكى
 متقادة لما امرت به (يخرج من
 بطونها) استثناء عدل به عن
 خطاب النحل لبيان ما ينهيهما
 من تعاجيب صنع الله تعالى التى
 هى موضع العبرة بعدما امرت
 بما أمرت (شراب) اى عسل
 لانه مشروب واضح به وبقوله
 تعالى كلى من زعم ان النحل تأكل
 الازهار والاوراق العسرة
 لتسهيل فى بطنها علام نفق
 ادخلوا للشوامن زعم انها تلتقط
 بأفواهها اجزاء قليلة حلوة
 صغيرة متفرقة على الازهار
 والاوراق وتنضمها في بيوتها
 فاذا اجمع فيها شئ كثير يكون
 عسلا فسر البطون بالانواء
 (مختلف الوانه) ابيض واسود
 واصفر واحمر حسب اختلاف
 سن الصل او الفصل او الذى
 اخذت منه العسل (فيه شفاء
 للناس) اما ينفعه كافي الامراض
 البلغمية او مع غيره كافي سائر
 الامراض اذ قلنا يكون

على اوراق الاشجار فقد تكون تلك الاجزاء الطلية لطيفة صغيرة متفرقة على الوراق
 والازهار وقد تكون كثيرة بحيث يجمع منها اجزاء محسوسة (اما القسم الثانى)
 فهو مثل الترنجيبين فانه طل ينزل من الهواء ويجمع على اطراف الطرفاء في بعض
 البلدان وذلك محسوس (واما القسم الاول) فهو الذى الهم الله تعالى هذا النحل حتى
 انها تلتقط تلك الذرات من الازهار واوراق الاشجار بأفواهها وتأكلها وتغذى بها
 فاذا شعبت التلقت بأفواهها مرة اخرى شيئا من تلك الاجزاء وذهبت بها الى بيوتها
 ووضعها هناك لانها تحاول ان تدخر لنفسها غذاها فاذا اجمع في بيوتها من تلك الاجزاء
 الطلية شئ كثير فذاك هو العسل ومن الناس من يقول ان النحل تأكل من الازهار
 الطيبة والاوراق العطرة اشياء ثم انه تعالى يقلب تلك الاجسام في داخل بطنها عسلا
 ثم الهاتقى مرة اخرى فذاك هو العسل والقول الاول اقرب الى العقل واشد مناسبة
 الى الاستقراء فان طبيعة الترنجيبين قريبة من العسل في الطعم والشكل ولذلك انه طل
 يحدث في الهواء ويقع على اطراف الاشجار والازهار فكذا ههنا وايضا فحق شاهد
 ان هذا النحل انما يغذى بالعسل ولذلك فانا اذا استخرجنا العسل من بيوت النحل
 نترك لها بقية من ذلك لاجل ان تغذى بها فعلينا انها انما تغذى بالعسل وانما تقع
 على الاشجار والازهار لانها تغذى بتلك الاجزاء الطلية العسلية الواقعة من الهواء
 عليها اذ امرت هذا فنقول قوله تعالى ثم كلى من كل الثمرات كلمة من ههنا تكون لابتداء
 الغاية ولا تكون للتبويض على هذا القول ثم قال تعالى فأسلكى سبل ربك والمعنى ثم كلى
 كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها فأسلكى سبل ربك في الطرق التى الهماك وافهمك في عمل
 العسل او يكون المراد فأسلكى فى طلب تلك الثمرات سبل ربك اما قوله ذلالا فقيه قولان
 (الاول) انه سبل من السبل لان الله تعالى ذلالها ووطأها وسيلها كقوله هو الذى
 جعل لكم الارض ذلولاً (الثانى) انه حال من الضمير فى فأسلكى اى وابتدأ بها النحل ذلل
 متقادة لما امرت به غير متعنة ثم قال تعالى يخرج من بطونها وفيه بحثان (الاول) ان
 هذا رجوع من الخطاب الى التوبة والسبب فيه ان المقصود من ذكر هذه الاحوال ان
 يحث الانسان المكلف به على قدرة الله تعالى وحكمته وحسن تدبيره لاحوال العالم
 العلوى والسفلى فكانه تعالى لما خاطب النحل بما سبق ذكره خاطب الانسان وقال
 اتاها ههنا هذه النحل لهذه العجائب لاجل ان يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه
 (البحث الثانى) انه قد ذكرنا ان من الناس من يقول العسل عبارة عن اجزاء طلية تحدث
 في الهواء وتقع على اطراف الاشجار وعلى الوراق والازهار فيلقطها الزنبور بفيه
 فاذا ذهبنا الى هذا الوجه كان المراد من قوله يخرج من بطونها اى من افواهها وكل
 نحويف في داخل البدن فانه يسمى بطنا لا ترى انهم يقولون بطون الدماغ وعنوا انها
 تجاوبف الدماغ وكذا ههنا يخرج من بطونها اى من افواهها واما على قول اهل الظاهر

محبون لا يكون فيه عسل مع

ان التنكير فيه مشعر بالتعريض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكى بطنه فقال عليه الصلاة والسلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فانتفع فقال اذهب فاسقه صلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرئ كما نلشط من عقال وقيل الضمير للقرآن ولما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضى الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فليكم بالشفاهين العسل والقرآن (ان في ذلك) الذي ذكر من اعاجيب آثار قدرة الله تعالى (الآية) عظيمة (لقوم يتفكرون) فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشثلة على حسن الصنعة وحكمة القصة التي لا يقدر عليها حدائق المهندسين الا بالآلات رقيقة وادوات دقيقة وانظار دقيقة جزم قطعاً بأن له خاتماً قادراً حكماً يلهمها ذلك ويهديها اليه جل جلاله (والله خلقكم) لا ذكر سبحانه من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البعوض من اول عمره الى آخره وتطوراتها فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النمو والنماء والشابة سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط والتفيل

وهو ان النحلة تأكل الاوراق والثرات ثم تقي ذلك هو العسل فالكلام ظاهر ثم قال شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس اعلم انه تعالى وصف العسل بهذه الصفات الثلاث (فالصفة الاولى) كونه شراباً والامر كذلك لانه تارة يشرب وحده وتارة يتخذ منه الاشربة (والصفة الثانية) قوله مختلف الوانه والمعنى ان منه احمر وبيض واصفر ونظيره قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرايب سود والمقصود منه ابطال القول بالطبع لان هذا الجسم مع كونه متساوياً للطبيعة لما حدث على الوان مختلفة دل ذلك على ان حدوث تلك الالوان بتدبير الفاعل المختار لا لاجل ايجاب الطبيعة (والصفة الثالثة) قوله فيه شفاء للناس وفيه قولان (الاول) وهو الصحيح انه صفة للعسل فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بالصفراء ويحجج المراكلة انه تعالى لم يقل انه شفاء لكل الناس ولكل داء وفي كل حال بل لما كان شفاء للبعض ومن بعض الادواء صلح بأن يوصف بأنه فيه شفاء والذي يدل على انه شفاء في الجملة انه لم يحجج من المعاجين الاوتامه وكاله انما يحصل بالجمع بالعسل وايضاً فالاشربة المتخذة منه في الامراض البلغمية عظيمة النفع (والقول الثاني) وهو قول مجاهد ان المراد ان القرآن شفاء للناس وعلى هذا التقدير قصصة تولد العسل من النحل تمت عند قوله يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه ثم ابتداء وقال فيه شفاء للناس اى في هذه القرآن حصل ما هو شفاء للناس من الكفر والبدة مثل هذا الذي في قصة النحل وعن ابن مسعود ان العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور واعلم ان هذا القول ضعيف ويدل عليه وجهان (الاول) ان الضمير في قوله فيه شفاء للناس يجب عوده الى اقرب المذكورات وما ذاك الا قوله شراب مختلف الوانه واما الحكم بعود هذا الضمير الى القرآن مع انه غير مذكور فمما سبق فهو غير مناسب (والثاني) ما روى ابو سعيد الخدري انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان اخي يشتكى بطنه فقال اسقه عسلاً فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فلم يغن عنه شيئاً فقال عليه الصلاة والسلام اذهب واسقه عسلاً فذهب فسقاه فكأنما نشط من عقال فقال صدق الله وكذب بطن اخيك وجلاوا قوله صدق الله وكذب بطن اخيك على قوله فيه شفاء للناس وذلك انما يصح لو كان هذا صفة للعسل فان قال قائل ما المراد بقوله عليه السلام صدق الله وكذب بطن اخيك قلنا لعله عليه السلام علم بتور الوجود ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال مع انه عليه السلام كان عالماً بأنه سيظهر نفعه بعد ذلك كان هذا جارياً مجرى الكذب فلهذا السبب اطلق عليه هذا اللفظ ثم انه تعالى ختم الآية بقوله ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون واعلم ان تقرير هذه الآية من وجوه (الاول) اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والمعارف الفاضلة مثل بناء البيوت المسدسة وسائر الاحوال التي ذكرناها (والثاني) اهتداؤها الى جميع تلك الاجزاء العسليّة من اطراف الاشجار

(والاوراق)

والاوراق (والثالث) خلق الله تعالى تلك الأجزاء النافعة في جو الهواء ثم القاؤه على أطراف الأشجار والاوراق ثم الهام النحل الى جمعها بعد تفريقها وكل ذلك أمور عجيبة دالة على ان الله العالم بنى ترتيبه على رعاية الحكمة والمصلحة والله اعلم بقوله تعالى (والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارضه ليعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) لماذا ذكر تعالى بعض عجائب احوال الحيوانات ذكر بعده بعض عجائب احوال الناس فيها ما هو مذكور في هذه الآية وهو اشارة الى مراتب عمر الانسان والعقلاء ضبطوها في اربع مراتب اولها سن النشو والنماء وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط القليل وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط الكبير وهو سن الشيخوخة فاحتجج تعالى بانتقال الحيوان من بعض هذه المراتب الى بعض على ان ذلك الناقل هو الله تعالى والاطباء الطبائعيون قالوا يقتضى لهذا الانتقال هو طبيعة الانسان وانا احكى كلامهم على الوجه المختص وايين ضعفه وفساده وحيث نبيق ان ذلك الناقل هو الله سبحانه وعند ذلك يصح بالدليل العقلي ما ذكره الله تعالى في هذه الآية قال الطبائعون ان بدن الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني والدم جوهران حاران رطبان والحرارة اذا علمت في الجسم الرطب قلت رطوبته واثباته نوع يبس وهذا مشاهد معلوم قالوا فلا يزال مافي هذين الجوهرين من قوة الحرارة يقلل مافيه من الرطوبة حتى تصلب الاعضاء ويظهر فيه الاعتقاد ويحدث العظم والغضروف والعصب والوتر والباطو سائر الاعضاء فاذا تم تكون البدن وكل فعند ذلك يفصل الجنين من رحم الام ومع ذلك فارطوبات زائدة والدليل عليه انك ترى اعضاء الطفل بعد انفصاله من الام لينة لطيفة وعظامه لينة قريبة الطبع من الغضاريف ثم ان مافي البدن من الحرارة يعمل في تلك الرطوبات ويقللها قالوا ويحصل للبدن ثلاثة احوال (الحالة الاولى) ان تكون رطوبة البدن زائدة على حرارته وحينئذ تكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وذلك هو سن النشو والنماء ونهايته الى ثلاثين سنة وخمس وثلاثين سنة (الحالة الثانية) ان تصير رطوبات لبدن اقل ما كانت فتكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية الاصلية الا انها لا تكون زائدة على هذا القدر وهذا هو سن الوقوف وسن الشباب واثباته خمس سنين وعند تمامه يتم الاربعون (الحالة الثالثة) ان تقل الرطوبات وتصبح لا تكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية وعند ذلك يظهر نقصان ثم هذا النقصان قديكون خفيا وهو سن الكهولة وتتمه الى ستين سنة وقديكون ظاهرا وهو سن الشيخوخة وتتمه الى مائة وعشرين سنة فهذا هو الذي حصله الاطباء في هذا الباب وعندى ان هذا التعليل ضعيف ويدل على ضعفه وجوه (الاول) انا نقول ان في اول ما كان المني منيا وكان الدم دما كانت الرطوبات غالبة وكانت الحرارة الغريزية معجورة وكانت ضعيفة بهذا السبب

وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة (ثم يتوفاكم) حسبما تقتضيه مشيئته المنية على حكم بالغة باحوال مختلفة اطفالا وشبابا وشيوخا (ومنكم من يرد) قبل توفيه اى يباد (الى ارضه) الى ارض العمر اى اخيه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روى عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضي الله عنه وقيل خمس وتسعون وابنا الردي الوصول والبلوغ ونحوهما لا يبدان بان يلوغوه والوصول اليه يرجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نكحه نكسه قبل الخلق والامر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي ينشبه الطفل في نقصان العقل والقوة (لكلا يعلم بمدعى) كثير (شيئا) من العلم او من الطومات او لكلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء وقيل لتلا يقل بعد عقده الاول شيئا (ان الله عليم) بقادير اعمالكم (قدير) على كل شيء يبيت الشاب الفتيان ويبقى الهرم القاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ايتهم وعدل من جهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطائفة لما بلغ التفاوت هذا المبلغ (والله فضل بكم عنكم على بعض في الرزق) اى جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه اقنل كما اعطى ما ليكم (يا الذين فضلوا) فيه على غيرهم (يرادى رزقهم) الذي رزقهم اياه (على ما ملكتم اعانهم) على ما ليكم الذين هم شركاؤهم في الخلوقة والمرزوقية (فهم)

ثم انها مع ضعفها قويت على تحليل اكثر تلك الرطوبات واثباتها من حد الدموية والنوبة الى ان صارت عظما وغضروفا وعصبا ورباطا وعند ما تولدت الاعضاء وكل البدن قلت الرطوبات فوجب ان تكون للحرارة الغريزية قوة ازيد مما كانت قبل ذلك فوجب ان يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكاله ازيد من تحليلها قبل تولد البدن ومعلوم انه ليس الامر كذلك لان قبل تولد البدن انتقل جسم المني والدم الى ان صار عظما وعصبا واما بعد تولد البدن فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشرة فلو كان تولد هذه الاعضاء بسبب تأثير الحرارة في الرطوبة لوجب ان يكون تحليل الرطوبات بعد كمال البدن اكثر من تحليلها قبل تكون البدن ولما لم يكن الامر كذلك علمنا ان تولد البدن انما كان بتدبير قادر حكيم يدبر ابدان الحيوانات على وفق مصالحها وانه ما كان تولد البدن لاجل ما قالوه من تأثير الحرارة في الرطوبة (والوجه الثاني) في ابطال هذا الكلام ان نقول ان الحرارة الغريزية الحاصلة في بدن الانسان الكامل امان تكون هي عين ما كان حاصلا في جوهه النطفة واصارت ازيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزي الحاصل في جوهه النطفة كان بمقدار جرم النطفة ولا شك ان جرم النطفة كان قليلا صغيرا فهذا البدن بعد كبره لولم يحصل فيه من الحرارة الغريزية الا ذلك القدر كان في غاية القلة ولم يظهر منه في هذا البدن اثر اصلا واما الثاني ففيه تسليم ان الحرارة الغريزية تزايد بحسب تزايد الجثة والبدن واذ تزايدت الحرارة الغريزية ساعة فساعة وثبت ان تزايدها يوجب تزايد القوة والصحة ساعة فساعة فوجب ان يبقى البدن الحيواني ابدا في التزايد والتكامل وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا ان ازدياد حال البدن الحيواني وانقصاؤه ليس بحسب الطبيعة بل بسبب تدبير الفاعل المختار (والوجه الثالث) وهو الذي اوردناه على اطباء في كتابنا الكبير في الطب قلنا نهاب ان الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب ان تصير اقل مما كانت وان ينقل الانسان من سن الشباب الى سن النقصان قالوا السبب فيه انه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر في تخفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية حتى صارت بحيث لا تبقى بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحالة ضعفت الحرارة الغريزية ايضا لان الرطوبة الغريزية كالغذاء للحرارة الغريزية فاذا قل الغذاء ضعف المعتدلى فالحاصل ان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها توجب ضعف الحرارة الغريزية ويلزم من ضعف احدهما ضعف الاخرى الى ان تنتهي الى حيث لا يبقى من الرطوبة الغريزية شئ وحيث تنطفئ الحرارة الغريزية ويحصل الموت هذا انتهى ما قالوه في هذا الباب وهو ضعيف لانا نقول ان الحرارة الغريزية اذا اثرت في تخفيف الرطوبة الغريزية وقلتها فلم لا يجوز ان يقال ان القوة الغاذية توردها فلما قلنا هذا قالوا القوة الغاذية انما تقوى على ايراد بدلها لو كانت الحرارة الغريزية قوية فاما عند ضعفها فلا نقول فيها لزم الدور لان الرطوبة الغريزية انما تقل

هو رزق اجريه على ايديهم فهم
 جميعا في ذلك سواء لاسرية لهم
 على محاليتهم ألا يفهمون ذلك
 فيصدقون نعمة الله فهو رد على
 زعم المضللين او على فطهم
 المؤذن بذلك اوما الفضلون
 يرادى بعض فضلهم على اليكهم
 فيساووا في ذلك جميعا مع ان
 التفضيل ليس الا ليلوهم
 أيشكرون أم يكفرون ألا يعرفون
 ذلك فيصدقون نعمة الله تعالى
 كأنه قيل فليردوه عليهم والجملة
 الاحية للدلالة على استمرارهم
 على عدم الرد يحكي عن ابي ذر
 رضى الله عنه انه سمع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول انما هم
 اخوانكم فكم هو مما يتلبسون
 واطعموهم مما تطعمون فلهذا رأى
 عبده بعد ذلك الاوردائه
 ردائه وازارته ازار من غير عقاب
 (والله جعل لكم من انفسكم)
 اى من جنسكم (ازواجاً لذاتسوا بها)
 وتقوا بذلك جميع مصالحكم
 ويكون اولادكم امثالكم وقيل
 هو خلق حواء من ضلع آدم
 عليه الصلوة والسلام (وجعل
 لكم من زواجكم) موضع الظاهر
 موضع الضمير لا ليدان بان المراد
 جعل لكل منكم من زوجاته لامن
 زوج غيره (بنين) وبأن تنبئة
 الازواج هو التوالد (وحفدة)
 جمع حافده وهو الذى يسرع فى
 الخدمة والطاعة ومنه قول
 القانت واليك نسبي ونحفداى
 جعل لكم خدما يسرعون فى
 خدمتكم وطاعتكم قبيل المراد
 ليم اولاد الاولاد وقيل البنات
 عبر عنهن بذلك ايذا بوجه المنة
 فانهن يمشدن من البيوت اتم

وتنقص لو لم تكن القوة الفاذية وافية بايراد بدلها وانما تجز القوة الفاذية عن هذا
 الاراد اذا كانت الحرارة الفرزية ضعيفة وانما تكون الحرارة الفرزية ضعيفة ان
 لو قلت الرطوبة الفرزية وانما تحصل هذه القوة اذا عجزت الفاذية عن ايراد البديل
 ثبت ان على القول الذى قالوه يلزم الدور وانه باطل فثبت ان تعليل انتقال الانسان من
 سن الى سن بما ذكره من اعتبار الطبايع يوجب عليهم هذه الحالات المذكورة فكان
 القول به باطلا ولما بطل هذا القول وجب القطع باسناد هذه الاحوال الى الاله القادر
 المختار الحكيم الرحيم الذى يدبر ابدان الحيوانات على الوجه الموافق لمصالحها وذلك هو
 المطلوب وقد كنت اقرأ يوما من الايام سورة والمرسلات فما وصلت الى قوله تعالى الم
 تخلفكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقد رنا نعم القادرون وبلى
 يومئذ للمكذبين قلت لا شك ان المراد بهؤلاء المكذبين هم الذين نسبوا تكون الابدان
 الحيوانية الى الطبايع وتأثير الحرارة فى الرطوبة وانما اؤمن من صميم قلى برب العزة بأن هذه
 التدبيرات ليست من الطبايع بل من خالق العالم الذى هو احكم الحاكمين واكرم الاكرمين
 اذا عرفت هذا فقد صح بالدليل العقلى صدق قوله والله خلقكم لانه ثبت ان خالق ابدان
 الناس وسائر الحيوانات ليس هو الطبايع بل هو الله سبحانه وتعالى وقوله ثم يتوفاكم قدينا
 ان السبب الذى ذكره فى صيرورة الموت فاسد باطل وانه يلزم عليه القول بالدور وما بطل
 ذلك ثبت ان الحياة والموت انما حصلتا بتخليق الله وتقديره وقوله ومنكم من يرد الى
 ارض العرفدين بالدليل ان الطبايع لا يجوز ان تكون علة لانتقال الانسان من النكمال
 الى النقصان ومن القوة الى الضعف فزم القطع بان انتقال الانسان من الشباب الى
 الشيخوخة ومن الصحة الى الهرم ومن العقل الكامل الى ان صار خرفا غافلا ليس
 بمقتضى الطبيعة بل بفعل الفاعل المختار واذا ثبت ما ذكرنا ظهر ان الذى دل عليه لفظ
 القرآن قد ثبت صحته بقاطع القرآن ثم قال تعالى ان الله عليم قدير وهذا كالاصل الذى
 عليه تفريع كل ما ذكرناه وذلك لان الطبيعة جاهلة لا تميز بين وقت المصلحة ووقت المفسدة
 فهذه الانتعالات فى هذا الانسان لا يمكن اسنادها اليها اماله العالم ومدبره وخالقه فهو
 الكامل فى العلم الكامل فى القدرة فلاجل كمال علمه يعلم مقادير المصالح والمفاسد ولاجل
 كمال قدرته على تحصيل المصالح ودفع المفاسد فلاجرم امكن اسناد تخليق الحيوانات
 الى الله العالم فلا يمكن اسناده الى الطبايع والله اعلم (المسئلة الثانية) فى تفسير الفاظ الآية
 قال المفسرون والله خلقكم ولم تكونوا شيئا يتوفاكم عند انقضاء آجالكم ومنكم من
 يرد الى ارض العمر وهو اردؤه واضعفه يقال يردل الشي يردل ذالقه واردله غيره ومنه
 قوله الا الذين هم اراذلنا ومنه قوله واتبعك الازدلون وقوله منكم من يرد الى ارض
 العمر هن يتناول المسلم او هو مخصص بالكافيه قولان (الاول) انه يتناول قبل انه العمر
 الطويل وعلى هذا الوجه نقل عن على عليه السلام انه قال ارضل العمر خمس وسبعون سنة

خدمة وقيل اولاد المرأمن الزوج

الاول وقيل البنون والمصطف
لا خلاف الوصفين وقيل
الاختنا على البنات وتأخير
المصوب في الموصفين عن الجور
لما من من التشويق وتقديم
الجور باللام على الجور وبين
للايدان من اول الامر يود
منفعة الجعل اليهم اسدادا

للتشويق وقوية له اي جعل
لصالحكم مباحيا سبكم ازواج
وجعل لمنفعتكم من جهة
مناسبة لكم بين وحدته (ورزقكم
من الطيات) من اللذات اومن
الحالات ومن التبعين اذ
المرزوق في الدنيا انموذج لما في
الآخرة (أبوابا يؤمنون)

وهو ان الاصنام تتفهم وان
الجائر ونحوها حرام والغاشي
في الخبي داخله على فعل وهي
للطف على مقدر اي يكفرون
بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون

بالباطل والابعد تحق ما ذكر من
ثم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون

الله سبحانه (ويؤمن بالله تعالى
الفائضة عليهم ما ذكر وما يحيط

به دائرة البيان (هم يكفرون)
حيث يضيفونها الى الاصنام

وتقدم الصلاة على الفعل للاهتمام
اولها بالاختصاص بالمبالغة

لرعاية الفواصل والالتفات الى
الغية للايدان باستيعاب حالهم

للاعراض عنهم وصرف الخطاب
الى غيرهم من السامعين تعجيبا

لهم بما فعلوه (ويعبدون من دون
الله) لعله عطف على يكفرون

داخل تحت الاكثر التوبيخي
اي يكفرون بعمدة الله ويعبدون

من دونه (مالا يملك لهم رزقا
من السموات

وقال قتاده تسعون سنة وقال السدي انه اخرف * والقول الاول أولى لان الخرف

معناه زوال العقل فقوله ومنكم من رد الى اردل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا يدل على انه

تعالى انما رده الى اردل العمر لاجل ان ينزل عقله فلو كان المراد من اردل العمر هو زوال

العقل لصار الشيء عين الغاية المطلوبة منه وانه باطل والقول الثاني ان هذا ليس في المسلمين

والمسلم لا يزداد بسبب طول العمر الا كرامة على الله تعالى ولا يجوز ان يقال في حقه انه يرد

الى اردل العمر والدليل عليه قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فين تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما ردوا الى اسفل سافلين وقال

عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى اردل العمر وقوله ان الله علم قال ابن عباس يريد بما

صنع اولياؤه واعدائه قدر على ما يريد (المسئلة الثالثة) هذه الآية كائنا على وجوده

العالم الفاعل المختار فهي ايضا تدل على صحة البعث والقيامة وذلك لان الانسان كان

عدمًا محضًا فوجد الله ثم اعدمه مرة ثانية فدل هذا على انه لما كان معدومًا في المرة الاولى

وكان عوده الى العدم في المرة الثانية جائزًا فكذلك لما صار موجودًا ثم عديم وجب ان

يكون عوده الى الوجود في المرة الثانية جائزًا وايضا كان ميتًا حين كان نطفة ثم صار حيًا

ثم مات فلما كان الموت الاول جائزًا كان عود الموت جائزًا فكذلك لما كانت الحياة الاولى

جائزة وجب ان يكون عود الحياة جائزًا في المرة الثانية وايضا الانسان في اول

طفولته جاهل لا يعرف شيئًا ثم صار عالمًا عاقلًا فاعلم فلما بلغ اردل العمر عاد الى ما كان

عليه في زمان الطفولة وهو عديم العقل والفهم فعدم العقل والفهم في المرة الاولى عاد

بعينه في آخر العمر فكذلك العقل الذي حصل ثم زال وجب ان يكون جائزًا لعوده في المرة

الثانية واذا ثبت هذا لجملة ثبت ان الذي مات وعديم فانه يجوز عود وجوده وعود حياته

وعود عقله مرة أخرى ومتى كان الامر كذلك ثبت ان القول بالبعث والحشر والنشروح

والله اعلم * قوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى

رزقهم على ما ملكتم ايمانهم فهم فيه سواء أفنبه الله المجحدون) اعلم ان هذا اعتبار

حال أخرى من احوال الانسان وذلك ان ترى أكيس الناس واكثرهم عقلا وفهما يفتي

عمره في طلب القدر القليل من الدنيا ولا ييسره ذلك وتري اجمل الخلق وأقلهم عقلا

وفهما تنفخ عليه ابواب الدنيا وكل شيء خطر بالله ودار في خباله فانه يحصل له في الحال

ولو كان السبب جسد الانسان وعقله اوجب ان يكون الاعقل افضل في هذه الاحوال

فلما رأينا ان الاعقل أقل نصيبا وان الاجمل الاخرس او فرضينا علمنا ان ذلك بسبب

قسمة القسام كما قال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا

وقال الشافعي رحمه الله تعالى

ومن الدليل على القضاء وكونه * يؤس اليبس وطيب عيش الاحق

واعلم ان هذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلادة والحسن والقبح

والعقل والحمق والصحة والسقم والاسم الحسن والاسم القبيح وهذا بحر لا ساحل له وقد

(كنت)

والارض شيئا) ان جعل الرزق

مصدرا فشيئا نصب على المعنوية

منه اى ما لا قدر على ان رزقهم

شيئا لان السوات مطرا واما

الارض نباتا وان جعل اسما

لرزوق فنصب على البدلية منه

يعنى قليلا ومن السوات

والارض صفة رزقا اى كاشافتهما

وبجوز كونه تأكيدا للايك

اى لايك رزقا شيئا من الملك

(ولا يستطيعون) ان يملكوه

اذلا استطاعة لهم رؤسا لانها

موات لاحر الدنيا الصغير للاحكة

وبجوز ان يكون للحياء على معنى

انهم مع كونهم احياء متصرفين

في الامور لا يستطيعون من ذلك

شيئا فكيف بالجاد الذى لاحس

به (فلا تضر بواحد الامثال) النفاذ

الى الخطاب للايدان بالاقتام

بشان النهى اى لا تضر بواحد

شيئا والتعبير من ذلك بضرب

المثل للقصص التى عن الاشراك

به تعالى فى شأن من الشؤون فان

ضرب المثل به تشبيه حاله بحالة

وقصة بقصة اى لا تشبهوا بشانه

تعالى شيئا من الشؤون واللام

مثلا فى قوله تعالى ضرب الله

مثلا للذين كفروا امرأة نوح

وضرب الله مثلا للذين آمنوا

تعالى اقرعوا لامثله فى قوله

القرية وقلنا اهل القرية

على ترتيب النهى على ما عدا من

النم الفائضة عليهم من جهته

سجانه وكونه ما يشركون به

تعالى بعمل من ان يملك لهم من

اقتدار السوات والارض شيئا

من رزق ما فضلا عما فضل من

نعمة الخلق والتفضيل فى الرزق

ونعمة الازواج والاولاد) ان الله

يعلم

كنت مصاحب لبعض الملوك فى بعض الاسفار وكان ذلك الملك كثير المال والجاه وكانت
الجنائب الكثيرة تقاديين بده وما كان يمكنه ركوب واحد منها وربما حضرت الاطعمة
الشديدة والقواكه العطرة عنده وما كان يمكنه تناول شيء منها وكان الواحد من جميع المزارج
قوى البنية كامل القوة وما كان يجمل به بطنه طعاما فذلك الملك وان كان يفضل على
هذا الفقير فى المال الا ان هذا الفقير كان يفضل على ذلك الملك فى الصحة والقوة وهذا باب
واسع اذا اعتبر به الانسان عظيم تعجب منه اما قوله فما الذين فضلوا برادى رزقهم على
ما ملكت ايمانهم ففيه قولان (الاول) ان المراد من هذا الكلام تقرير ما سبق فى الآية
المتقدمة من ان السعادة والنجاسة لا يحصلان الا من الله تعالى والمعنى ان المولى
والمال بالارزاقهم جميعا فهم فى رزق سواء فلا يحسب المولى انهم يردون على ما ليكهم
من عندهم شيئا من الرزق وانما ذلك رزق اُجريت به اليهم على ايديهم وحاصل القول فيه ان
المقصود منه بيان ان الرزق هو الله تعالى وان الملك لا يرزق العبد بل الرزق للعبد
والولى هو الله تعالى وتحقيق القول انه ربما كان العبد اكل عقلا وافواى جمعا
واكثر وقوفا على المصالح والمناسد من المولى وذلك بدل على ان ذلة ذلك العبد وحره ذلك
المولى من الله تعالى كما قال تيز من تشاء وتدل من تشاء (والقول الثانى) ان المراد من هذه
الآية الرد على من اثبت شريكا لله تعالى ثم على هذا القول ففيه وجهان (الاول) ان
يكون من ادعى عبدة الاوثان والاصنام كما به قيل انه تعالى فضل الملوك على ما ليكهم
جعل الملوك لا يقدرون على ملك مع مولاة فلما تحملوا عبيدكم معكم سواء فى الملك فكيف
يحملون هذه الجمادات معى سواء فى العبودية (والثانى) قال ابن عباس رضى الله عنهما
زلت هذه الآية فى نصارى نجران حين قالوا ان عيسى بن مريم ابن الله فاعنى انكم
لا تشركون عبيدكم فيما ملكتم فتكونون سواء فكيف جعلتم عبيدنى ولدانى وشريكا
فى الالهية ثم قال تعالى فهم فيه سواء معنى الفناء فى قوله فهم حتى والمعنى فما الذين
فضلوا يجاعلى رزقهم لعبيدهم حتى تكون عبيدهم فيه معهم سواء فى الملك ثم قال
افنيهم الله سبحانه وفيه مستلثان (المسئلة الاولى) قرأ عاصم فى رواية ابى بكر
تجحدون بالناء على الخطاب لقوله خلقكم وفضل بعضكم والباقيون بالياء لقوله فهم
فيه سواء واخاره ابو عبيدة وابوحاتم لقرب خبر عنه وايضا فظاهر الخطاب ان يكون
مع المسلمين والمسلمون لا مخاطبون بتجحد نعمة الله تعالى (المسئلة الثانية) لا شبهة
فى ان المراد من قوله افنيهم الله سبحانه بتجحدون الانكار على المشركين الذين اورد الله تعالى
هذه الجملة عليهم فان قيل كيف يصيرون جاحدين بنعمة الله عليهم بسبب عبادة الاصنام
قلنا فيه وجهان (الاول) انه لما كان المعطى لكل الخيرات هو الله تعالى فن اثبت لله
شريكا فقد اضاف اليه بعض تلك الخيرات فكان جاحدا لكونها من عند الله تعالى وايضا
فان اهل الطباع واهل النجوم يضيئون اكثر هذه النعم الى الطباع والى النجوم وذلك
يوجب كونهم جاحدين لكونها من الله تعالى (والوجه الثانى) قال الزجاج المراد انه

تعالى لما قرر هذه الدلائل وبنها وأظهرها بحيث يفهمها كل عاقل كان ذلك انعاما عظيما منه على الخلق فعند هذا قال أفبعضه الله في تقريره هذه البيانات وإيضاح هذه البيانات يحسدون (السئلة الثالثة) الباء في قوله أفبعضه الله يحوزان تكون زائدة لأن الجحود لا يعدى بالباء كما تقول خذا الخطام وبالخطام وتعلقت زيدا وزيدي ويجوز أن يراد بالجحود الكفر فعدى بالباء لكونه بمعنى الكفر والله اعلم ﴿ قوله تعالى (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبسعت الله هم يكفرون) اعلم ان هذا نوع آخر من احوال الناس ذكره الله تعالى . ليستدل به على وجود الاله المختار الحكيم وليكون ذلك تنبيها على انعام الله تعالى على عبده بمثل هذه النعم قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا قال بعضهم المراد انه تعالى خلق حواء من ضلع آدم وهذا ضعيف لأن قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا خطاب مع الكل فخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل بل هذا الحكم عام في جميع الذكور والاناث والمعنى انه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور ومعنى من انفسكم مثل قوله فاقتلوا انفسكم وقوله فسلوا على انفسكم اى بعضكم على بعض ونظير هذه الآية قوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا قال الاطباء واهل الطبيعة التفاوت بين الذكر والانثى انما كان لأجل ان كل من كان أسخن من اجافه والذكور كل من كان أكثر بردا ورطوبة فهو المرأة ثم قالوا المني اذا انصب الى الخصية البنية من الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة وان انصب الى الخصية اليسرى من الرجل ثم انصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد انثى تاما في الانوثة وان انصب الى الخصية البنية ثم انصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد ذكرا في طبيعة الاناث وان انصب الى الخصية اليسرى من الرجل ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان هذا الولد انثى في طبيعة الذكور واعلم ان حاصل هذا الكلام ان الذكورة علته الحرارة واللبوسة والانوثة علته البرودة والرطوبة وهذه العلة في غاية الضعف قدرا بنا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولو كان الموجب للذكورة والانوثة ذلك لامتنع ذلك فثبت ان خالق الذكر والانثى هو الاله القديم الحكيم وظهر بالدليل الذي ذكرنا صحة قوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ثم قال تعالى وجعل لكم من ازواجكم بين وحفدة وقال الواحدى اصل الحفدة من الحفد وهو الخلفة في الخدمة والعمل يقال حفد يحفد حفدا وحفودا وحفدانا اذا أسرع ومنه في دعاء القنوت واليك تسعي ونحفدوا الحفدة جمع الخافد والخافد كل من يخف في خدمتك ويسرع في العمل بطاعتك يقال في جمعه الحفد بغير هاء كما يقال الرصد فعنى الحفدة في اللغة الاعوان والخدام ثم يجب ان يكون المراد من الحفدة في هذه الآية الاعوان الذين حصلوا الرجل من قبل المرأة لانه تعالى قال وجعل لكم من

(ازواجكم)

لنهي المذكور ورويعد على المني عنه اى انه تعالى يعلم كنه مآلاته وما تدرن وانه في غاية العظم والعجب (واتم لاتعلون) ذلك والاملا فعلته واته اوانه تعالى يعلم كنه الاشياء واتم لاتعلون فدهوا رايبكم وقهوا مواقب الامثال لما ورد عليكم من الامر والنهي ويمسوز ان يراد فلا تضربوا الله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال واتم لاتعلون ذلك ففقهون فيما تفقهون فيه من مهابوى الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال (ضرب الله مثلا) اى ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما نرى كوا يدعى يتعبد بها بحيث ينادى بفساد ما ارتكبه نداء جليا (عبدا علموا لا يقدر على شئ) بدل من مثلا وتفسيره والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والهجر الثام وبمعناها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتبيز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبد الله سبحانه وقد ادج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتخليزه عن المكاتب والمأذون الذين لهما تصرف في الجملة وفي ايهام المثل اولانهم يما ذكر ما لا ينفى من الغنامة والجزالة (ومن رزقناه) من موصوفة معطوفة على عبدا اى رزقناه بطريق الملك والائتات الى التكلم للاشعار باختلاف حالى ضرب المثل والرزق (منا) من جنابنا الكبير المتعالى (رزقا حسنا)

حلالا ليا وصحنا عند الناس

مرضيا (فهو يشق منه) نقصا واحسانا والفاء لترتيب الاتفاق على الرزق كأنه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فأنفق وابتلرما عليه النظم الكريم من الجبهة الاسمية على الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الاتفاق واستقراره الحمدى (سرا وجهرا) اى حال السر والجهر واتفاق سر واتفاق جهر والمراد بيان عموم اتفاهه للارقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا او الاشارة الى اصفاء نعم الله تعالى الباطنة والظاهر وتقديم السر على الجهر للاذنين بفعله عليه والدول عن تطبيق القرينين بأن يقال وحرا مالا كالمال مع كونه ادل على ثبات الحال بينه وبين قسيه لتوحي تحقيق الحق بأن الاحرار ايضا تغتربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيهم لا يملكونه ليست الابان برزقهم الله تعالى اياهن غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على مقاصد بالثل من ثبات الحال بين المثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فأنك بالجاد ومالك المالك خلق العالمين (هل يستون) جمع الضمير للاذنان بأن المراد بما ذكر من ان تصف بالوصاف المذكور من الجنسين المذكورين لافردان معينان منهما اى هل يستوى العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان القرينين بيان في البشرية والمخلوقة لله سبحانه وان ما ينسقه الاحرار ليس ملائم دخل في عباده ولا في تلكه بل هو ما اعطاه الله تعالى

ازواجكم بنين وحفدة فالاعوان الذين لا يكونون من قبل المرأة لا يدخلون تحت هذه الآية اذا عرفت هذا فنقول قيل هم الاختان وقيل هم الاصهار وقيل ولد الولد والاولى دخول الكل فيه لما بينا ان اللفظ محتمل لكل بحسب المعنى المشترك الذى ذكرناه ثم قال تعالى ورزقكم من الطيبات لما ذكر تعالى انعامه على عبيده بالملكوح وما فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بالمطعمات الطيبة سواء كانت من النبات وهى الثمار والحبوب والاشربة او كانت من الحيوان ثم قال اقبال باطل يؤمنون قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى بالاصنام وقال مقاتل يعنى بالشيطان وقال عطاء يصدقون انلى شركا وصاحبة وولدا وبسمة الله هم يكفرون اى بأن يضيفوها الى غير الله ويتركوا اضافتها الى الله تعالى وفي الآية قول آخر وهو انه تعالى لما قال ورزقكم من الطيبات قال بعده اقبال باطل يؤمنون وبسمة الله هم يكفرون والمراد منه انهم يحرمون على انفسهم طيبات أحلها الله لهم مثل البعيرة والسائبة والوصيلة ويبيعون لانفسهم محرمات حرمها الله عليهم وهى الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح على النصب يعنى لم يحكمون بتلك الاحكام الباطلة وانعام الله في تحليل الطيبات وتحريم الخبيثات يحمدون ويكفرون والله اعلم قوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم واتم لا تعلمون) اعلم انه تعالى لما شرع انواعا كثيرة في دلائل التوحيد وتلك الانواع كالانهاد لائل على صحة التوحيد فكذلك بدأ بذكر اقسام النعم الجليلة الشريفة ثم اتبعها في هذه الآية بالرد على عبدة الاصنام فقال ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون اما الرزق الذى يأتى من جانب السماء فعن به الغيث الذى يأتى من جهة السماء واما الذى يأتى من جانب الارض فهو النبات والثمار التى تخرج منها وقوله من السموات والارض من صفة النكرة التى هى قوله رزقا كأنه قيل لا يملك لهم رزقا من الغيث والنبات وقوله شيئا قال الاخفش جعل قوله شيئا بدلا من قوله رزقا والمعنى لا يملكون رزقا لا قفلا ولا كثيرا ثم قال ولا يستطيعون والغاشة في هذه القفلة ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة ان يتملكه بطريق من الطرق فين تعالى ان هذه الاصنام لا تملك وليس لها ايضا استطاعة تحصيل الملك فان قيل انه تعالى قال ويعبدون من دون الله مالا يملك فبهر عن الاصنام بصفتها وهى لغير اولى العلم ثم قال ولا يستطيعون والجمع بالواو والنون مخصص بأولى العلم فكيف الجمع بين الامرين وال جواب انه عبر عنها بلفظ ما اعتبارا لما هو الحقيقة في نفس الامر وذكر الجمع بالواو والنون اعتبارا لما يعتقدون فيها انها آلهة ثم قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال وفيه وجوه (الاول) قال المفسرون يعنى لاثبوه بخلقه (الثاني) قال الزجاج اى لا تجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له (الثالث) اقول محتمل ان يكون المراد ان عبدة الاوثان كانوا يقولون ان الله العالم اجل واعظم من ان يعبدوا الواحد

اياهم فحيث لم يستوا في قربان
فما ظنكم برب العالمين حيث
تسرون به ما لا دليل اذله
وهو الاصنام (الحمد لله)
اي كله له لانه مولى جميع النعم
لا يستحق احد غيره وان ظهرت
على ايدي بعض الوسايط فضلا
عن استحقاق المبادء وقهه ارشاد
الى ما هو الحق من انما يظهر
على يمين يتفق بما ذكر راجع
الى الله سبحانه كالوجه به قوله
تعالى رزقناه (بل اكثروهم
لا يعلمون) ما ذكر فيضيقون نعمه
تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها
وفي العلم عن اكثرهم للاشعار
بأن بعضهم يعلمون ذلك وانما
لا يعلمون بحجبه عناد كقوله
تعالى يعرفون نعمته الله ثم
يتكرونها واكثرهم الكافرون
(وضرب الله مثلا) اي مثلا آخر
يدل على ما دل عليه المثل السابق
على وجه اوضح واظهر ويبد
ما لهم ذلك لتنتظر النفس الى
ورود موته حتى تشكك لديها
عند وروده بين قبيل (رجلين
احدهما ايك) وهو من ولد
أخرس (لا يقدر على شيء) من
الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره
بمجدس او فراسة لقله فهمه
وسوء ادراكه (وهو كقل)
وعيال (على مولا) على من
يعوله وبلى امره وهذا بان لعدم
قدرته على اقامة مصالح نفسه
بعد ذكر عدم قدرته على شيء
مطلقا وقوله تعالى (انما يرجوه)
اي حيث يرسله مولا في امر
يان لعدم قدرته على اقامة مصالح
مولا ولو كانت محللة بسيرة
وقرئ على البلاء بالمفعول
وعلى صيغة

منا بل نحن نعبد الكواكب او نعبد هذه الاصنام ثم ان الكواكب والاصنام عبيد الاله
الأكبر الاعظم والدليل عليه العرف فان اصغار الناس يخدعون اكابر حضرة الملك
واولئك الاكابر يخدعون الملك فكذا هنا فعند هذا قال الله تعالى لهم اتركوا عبادة
هذه الاصنام والكواكب واتصروا بالله الامثال التي ذكرتموها وكونوا مخلصين
في عبادة الاله الحكيم القدير ثم قال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وفيه وجهان (الاول) ان الله
تعالى يعلم ما عليكم من العقاب العظيم بسبب عبادة هذه الاصنام وانتم لا تعلمون ذلك
ولو علمتموها لتركتم عبادتها (الثاني) ان الله تعالى لما نهاكم عن عبادة هذه الاصنام فتركوا
عبادتها وتركوا دليلكم الذي عولتم عليه وهو قولكم الاشتغال بعبادة عبد الملك ادخل
في التعظيم من الاشتغال بعبادة نفس الملك لان هذا قياس والقياس يجب تركه عند ورود
النص فلهذا قال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ثم قال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو يفتق منه سرا وجهرا هل يستويون
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون) اعلم انه تعالى اكد ابطال مذهب عبدة الاصنام بهذا المثال
وفي مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير هذا المثل قولان (الاول) ان المراد ان الالف رضا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء وفرضنا حرا كريما غنيا كثيرا لانفاق سرا وجهرا فصريح العقل
يشهد بأنه لا يجوز التسوية بينهما في التعظيم والالجل فلما لم تجز التسوية بينهما مع
استوائهما في الخلقة والصورة والبشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوى بين الله القادر
على الرزق والافضل وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة (والقول الثاني) ان المراد
بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر فانه من حيث انه بقي محروما عن عبودية
الله تعالى وعن طاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا
حسنا هو المؤمن فانه مشغول بالتعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله فينب تعالى
انهما لا يستويان في المرتبة والشرف والقرب من رضوان الله تعالى واعلم ان القول
الاول اقرب لان ما قبل هذه الآية وما بعدها انما ورد في اثبات التوحيد وفي الرد على
القاتلين بالشرك فجعل هذه الآية على هذا المعنى اولى (المسئلة الثانية) اختلفوا
في المراد بقوله عبدا مملوكا لا يقدر على شيء قيل المراد به الصنم لانه عبد دليل قوله ان كل
من في السموات والارض الا آت الرحمن عبدا واما انه مملوك ولا يقدر على شيء فظاهر
والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو يفتق منه سرا وجهرا عابد الصنم لان الله
تعالى رزقه المال وهو يفتق من ذلك المال على نفسه وعلى اتباعه سرا وجهرا اذا ثبت هذا
فقول هما لا يستويان في بنية العقل بل صريح العقل يشهد بأن ذلك القادر اكل حالا
وافضل مرتبة من ذلك العاجز فهنا صريح العقل يشهد بأن عابد الصنم افضل من ذلك
الصنم فكيف يجوز الحكم بكونه مساويا لرب العالمين في العبودية (والقول الثاني)
ان المراد بقوله عبدا مملوكا عبد معين وقيل هو عبد لثمان بن عفان وحلوا قوله

(ومن)

الماضي من التوجه (لأبائ غير)
 يتجهم وكفاية مهم البتة (حل
 يستوى هو) مع ما فيه من
 الأوصاف المذكورة (ومن
 بأمر بالعدل) أي من هو منطبق
 فهم ذورأي وكفاية ورشد يرفع
 الناس بمشهم على العدل الجامع
 لجامع الفضائل (وهو) في نفسه
 مع ما ذكر من نفعه العام للخاص
 والعام (على حراط مستقيم)
 ومقابلة الصفات المذكورة
 بهذين الوصفين لأنهما في حق
 ما يقابلها فان حصل الصفات
 المذكورة عدم استحقاق
 المأمورية ولخص هذين
 استحقاق كمال الامرية المستتبع
 لحيازة العائن بأجمعها وتفسير
 الأسلوب حيث لم يقل ولا غير
 أمر بالعدل الآية لمرعاة المصلحة
 بينه وبين ما هو المقصود من بيان
 التباين بين الفريقين وإعلم ان
 كلا من الفريقين ليس المراد بهما
 حكاية الضرب الماضي بل المراد
 انشاؤه بما ذكر عقبيه ولا يبعد
 ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا
 بغلق الفريقين على ما هما عليه
 فكان خلقهما كذلك للاستدلال
 بعدم تساويهما على امتناع
 التساوي بينه سبحانه وبين ما
 يشركون فيكون كل من الفريقين
 حكاية للضرب الماضي (وله)
 تعالى خاصة لا لحد غيره
 استدلالا ولا اشتراكا (غيب
 السموات والارض) أي الامور
 الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة
 بحيث لا يحيل لهم اليها مشاهدة
 ولا استدلالا ومعنى الانصاف
 اليهما التعلق بهما بما باعتبار

الوقوف

ومن رزقناه منارز قاحسنا على عثمان خاصة (والقول الثالث) انه عام في كل عبد
 بهذه الصفة وفي كل حر بهذه الصفة وهذا القول هو الاظهر لانه هو الموافق لما اراده الله
 تعالى في هذه الآية والله اعلم (المسئلة الثالثة) احيى الفقهاء بهذه الآية على العبد
 لا يملك شيئا فان قالوا ظاهر الآية يدل على ان عبدا من العبد لا يقدر على شيء فلم قلتم ان
 كل عبد كذلك فنقول الذي يدل عليه وجهان (الاول) انه ثبت في اصول الفقه ان
 الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم
 وكونه عبدا وصف مشعر بالذل والمهورية وقوله لا يقدر على شيء حكم مذكور
 عقبيه فهذا يقتضي ان العلة لعدم القدرة على شيء هو كونه عبدا وبهذا الطريق يثبت
 العموم (الثاني) انه تعالى قال عبده ومن رزقناه منارز قاحسنا في هذا القسم الثاني عن
 القسم الاول وهو العبد بهذه الصفة وهو انه رزقه رزقا فوجب ان لا يحصل هذا الوصف
 للعبد حتى يحصل الامتياز بين القسم الثاني وبين القسم الاول ولو ملك العبد لكان الله
 قد آتاه رزقا حسنا لان الملك الحلال رزق حسن سواء كان قليلا او كثيرا فثبت بهذين
 الوجهين ان ظاهر الآية يقتضي ان العبد لا يقدر على شيء ولا يملك شيئا ثم اختلفوا فروى
 عن ابن عباس وغيره التشدد في ذلك حتى قال لا يملك الطلاق ايضا واكثر الفقهاء قالوا
 يملك الطلاق انما لا يملك المال ولما له تعلق بالمال واختلفوا في ان المالك اذا ملكه شيئا
 فهل يملكه أم لا وظاهر الآية ينفي بقاء الآية في سؤالات (الاول) لم قال مملوكا لا يقدر
 على شيء وكل عبده مملوك وغير قادر على التصرف قلنا ما ذكر المملوك فليحصل الامتياز
 بينه وبين الحر لان الحر قد يقال انه عبده الله واماقوله لا يقدر على شيء فديحصل الامتياز
 بينه وبين المكناب وبين العبد لما أذنون لانهم يقدر ان على التصرف (السؤال الثاني)
 من في قوله ومن رزقناه ما هي قلنا الظاهر انها موصوفة كأنه قيل وحررا رزقناه ليطابق
 عبدا ولا يمنع ان تكون موصولة (السؤال الثالث) لم قال يستويون على الجمع قلنا معناه
 هل يستوي الاحرار والعبد ثم قال الحمد لله وفيه وجوه (الاول) قال ابن عباس الحمد لله
 على ما فعل بالولياء وأنعم عليهم بالتوحيد (والثاني) المعنى ان كل الحمد لله وليس شيء من
 الحمد للاصنام لانها لا تعبد لها على احد وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يعني انهم لا يعلمون
 ان كل الحمد لله وليس شيء منه للاصنام (الثالث) قال القاضي في التفسير قال للرسول
 عليه الصلاة والسلام قل الحمد لله ويحتمل ان يكون خطابا لمن رزقه الله رزقا حسنا ان
 يقول الحمد لله على انميته في هذه القدرة عن ذلك العبد الضعيف (الرابع) يحتمل ان
 يكون المراد انه تعالى لما ذكر هذا المثل وكان هذا مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن القصد
 قال بعبده الحمد لله يعني الحمد لله على قوة هذا الجملة وظهور هذه البينة ثم قال بل أكثرهم
 لا يعلمون يعني انها غاية ظهورها ونهاية وضوحها لا يعلمها ولا يفهمها هؤلاء الضلال
 والله اعلم ﷻ قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل

(خا)

(را)

(٦٣)

فيهما حالا او مالا واما باعتبار
 الغيبة عن اهلها والمراد بيان
 الاختصاص به تعالى من حيث
 العلومية حسبانيته عنه عنوان
 الغيبة لا من حيث الخلوقة
 والمملوكية وان كان الامر كذلك
 في نفس الامر وفيه اشعار بان
 علة سبحانه حضوري فان تحقق
 الغيوب في انفسها لم بالنسبة اليه
 تعالى ولذلك يقل والله علم غيب
 السموات والارض (وما امر
 الساعة) التي هي اعظم ما وقع
 فيه المارة من الغيوب المتعلقة
 بهما من حيث غيبتهما عن اهلها
 او ظهور آثارها فيهما عند
 وقوعها في وقت وقوعها بعينه
 من الغيوب المختصة به سبحانه
 وان كان ايتهما من الغيوب التي
 نصبت عليها الادلة اى ما شأنا
 في سرعة الجي (الكلح البصر)
 اى كرجع الطرف من اعلى
 الحدقة الاسفلها (او هو) اى
 بل امرها فيما ذكر (اقرّب) من
 ذلك واسرع زمانا بأن يقع في
 بعض من زمانه فان ذلك وان
 قصر عن حركة آية لهاوية
 اتصالية منطبقة على زمان له
 هوية كذلك قابل للانقسام الى
 ابعاض هي ازمته ايضا بل في آن
 غير منقسم من ذلك الزمان وهو
 آن ابتداء تلك الحركة واما امرها
 الاكاشي الذي يستقرب
 ويقال هو كلح البصر او هو
 اقرب واما كان فهو تمثيل
 لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها
 في فاتحة السورة الشريعة بالآيات
 (ان الله على كل شيء قدير)
 ومن جملة الاشياء ان يجيء بها
 اسرع ما يمكن

على مولاه ابتما يوجه لآيات بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط
 مستقيم (اعلم انه تعالى ابطل قول عبدة الاوثان والاصنام بهذا المثل الثاني وتقريره
 انه كاتقرر في اوائل القول ان الابكم العاجز لا يكون مساويا في الفضل والشرف
 للناطق القادر الكامل مع استوائهما في البشرية فلا ن يحكم بأن الجاد لا يكون مساويا
 لرب العالمين في العبودية كان اولى ثم نقول في الآية مستثنان (المسئلة الاولى) انه تعالى
 وصف الرجل الاول بصفات (الصفة الاولى) الابكم وفي تفسيره اقول فلها الواحدى
 (الاول) قال ابو زيد رجل ابكم وهو العجي المغمى وقد بكم بكما وبكامة وقال ايضا الابكم
 الاقطع اللسان وهو الذي لا يحسن الكلام (الثاني) روى ثعلب عن ابن الاعرابي الابكم
 الذي لا يعقل (الثالث) قال الزجاج الابكم المطبق الذي لا يسمع ولا يبصر (الصفة الثانية)
 قوله لا يقدر على شيء وهو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل (الصفة الثالثة) قوله
 كل على مولاه اى هذا الابكم العاجز كل على مولاه قال اهل المعاني احمله من اللفظ الذي
 هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا خلقت شفرته فلم يقطع وكل لسانه اذا غلظ فلم يقدر
 على الكلام وكل فلان عن الامر اذا قل عليه فلم يبعث فيه فقوله كل على مولاه اى غليظ
 وثقل على مولاه (الصفة الرابعة) قوله ابتما يوجه لآيات بخير اى ابتما يرسله ومعنى
 التوجيه ان ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق يقال وجهته الى موضع كذا
 فتوجه اليه وقوله لآيات بخير معناه لانه عاجز لا يحسن ولا يفهم ثم قال تعالى هل يستوى
 هو اى هذا الموصوف بهذه الصفات الرابع ومن يأمر بالعدل واعلم ان الامر بالعدل
 يجب ان يكون موصوفا بالنطق والامم يكن أمرا ويجب ان يكون قادرا لان الامر مشعر
 بعلو المرتبة وذلك لا يحصل الا مع كونه قادرا ويجب ان يكون طالما حتى يمكنه التغيير بين
 العدل وبين الجور فثبت ان وصفه بأنه يأمر بالعدل يتضمن وصفه بكونه قادرا طالما
 وكونه أمرا يناقض كون الاول ابكم وكونه قادرا يناقض وصف الاول بأنه لا يقدر
 على شيء وبأنه كل على مولاه وكونه طالما يناقض وصف الاول بأنه لا يأت بخير ثم قال وهو
 على صراط مستقيم معناه كونه عادلا مبرا عن الجور والعبث اذا ثبت هذا فتقول ظاهر
 في بسطة العقل ان الاول والثاني لا يستويان فكذا هنا والله اعلم (المسئلة الثانية)
 في المراد بهذا المثل اقول كافى المثل المتقدم (فالاول) قال مجاهد كل هذا مثل اله الخلق
 وما يدعى من دونه من الباطل واما الابكم فكل الصمم لانه لا ينطق البتة وكذلك لا يقدر
 على شيء وايضا كل على عابديه لانه لا ينطق عليهم وهم ينفقون عليه وايضا لى اى مهم توجه
 الصمم لم يأت بخير واما الذى يأمر بالعدل فهو الله سبحانه (والقول الثاني) ان المراد
 من هذا الابكم هو عبد لعثمان بن عفان كان ذلك العبد يكره الاسلام وما كان فيه خير
 ومولاه وهو عثمان بن عفان كان يأمر بالعدل وكان على الدين القويم والصراط المستقيم
 (والقول الثالث) ان المقصود منه كل عبد موصوف بهذه الصفات الذمومة وكل حر

فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة

الساعة التي كتبها وكيفيتها
من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي
امانة الاحياء واحياء الاموات من
الاولين والآخرين وتبدل
صور الاكوان اجمعين وقد
انكرها المنكرون وجعلوها من
قبيل ما لا يدخل تحت الامكان
في سرعة الوقوع وسهولة التأتى
الاكبح البصر او هو اقرب على
ما سر من الوجهين ان الله على كل
شيء قدير فهو قادر على ذلك
لا محالة وقيل غيب السموات
والارض عبارة عن يوم القيامة
بينه لما ن علمه بخصوصه غائب
عن اهلها فوضع الساعة موضع
الضريح لتقوية مصحون الجملة (والله
اخرجكم من بطون امهاتكم)
عطف على قوله تعالى والله جعل
لكم من انفسكم ازواجا منظم
معه في سلك ادلة التوحيد من
قوله تعالى والله انزل من السماء
ماء وقوله تعالى والله خلقكم
وقوله تعالى والله فضل بعضكم
على بعض والامهات بضم الهيمزة
وقرى بكسرهما ايضا جمع الام
زيدت الهاء فيه كما زيدت
في اهراف من اراق وشذت
زيادتها في الواحدة قال
امحق خندق والياس ابي
(لا تعلمون شيئا) في موقع الحال
اي غير عالين شيئا أصلا (وجعل
لكم السمع والابصار والافتدة)
عطف على اخرجكم وليس فيه
دلالة على تأخر الجمل المذكور
عن الاخراج لما ن مدلول الواو
هو الجمع مطلقا لا الترتيب على
ان اترك الجمل لا يظهر قبل
الاخراج اى جعل لكم هذه
الاشياء

موصوف بتلك الصفات الحميدة وهذا القول اولي من القول الاول لان وصفه تعالى
اياهم اكون فهم رجلين يمنع من جل ذلك على الوثن وكذلك باليكم وبالكل وبالتوجه
في جهات النافع وكذلك وصف الآخربائه على صراط مستقيم يمنع من حله على الله
تعالى وايضا فالقصد تشبيه صورة بصورة في امر من الامور وذلك التشبيه لا يتم الا عند
كون احدي الصورتين مغايرة للآخرى (واما القول الثاني) فضعيف ايضا لان المقصود
ابانة التفرقة بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة وذلك غير مختص بشخص معين
بل اعم حصل التفاوت في الصفات المذكورة حصل المقصود والله اعلم قوله تعالى
(والله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على
كل شيء قدير والله اخرجكم من بطون امهاتكم لانهلمون شيئا وجعل لكم السمع
والابصار والافتدة لعلكم تشكرون المبروا الى الطير مسخرات في جوارحه ما يمكن
الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) اعلم انه تعالى لما ذكر في الآية الاولى مثل
الكفار بالايكم العاجز ومثل نفسه بالذى يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم
انه يمنع ان يكون آمر بالعدل وان يكون على صراط مستقيم الا اذا كان كاملا في العلم
والقدرة ذكر في هذه الآية بيان كونه كاملا في العلم والقدرة اما بيان كمال العلم فهو قوله
والله غيب السموات والارض والمعنى علم الله غيب السموات والارض وايضا قوله والله
غيب السموات والارض يفيد الحصر معناه ان العلم بهذه الغيوب ليس الا الله واما بيان
كمال القدرة فقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر وهو اقرب والساعة هي الوقت
الذى تقوم فيه القيامة سميت ساعة لانها تنجأ الانسان في ساعة فيموت الخالق بصحة
واحدة وقوله الا كلمح البصر اللمح النظر بسرعة يقال لمح بصيرة لمح ولحمانا والمعنى
وما امر قيام القيامة في السرعة الاكثر العين والمراد منه تقرير كمال القدرة وقوله
او هو اقرب معناه ان لمح البصر عبارة عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من أعلى الحدة
الى اسفلها ولا شك ان الحدة مؤلفة من أجزاء لا تنجزأ فلمح البصر عبارة عن المرور
على جملة تلك الاجزاء التي منها تألف سطح الحدة ولا شك ان تلك الاجزاء كثيرة وازمان
الذى يحصل فيه لمح البصر مركب من آتات متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة
في آن واحد من تلك الآتات فلهاذا قال او هو اقرب الا انه لما كان أسرع الاحوال
والحوادث في عقولنا وافكارنا هو لمح البصر لاجرم ذكره ثم قال او هو اقرب تشبها على
ما ذكرناه ولا شبهة في انه ليس المراد طريقة الشك بل المراد بل هو اقرب وقال الزجاج
المراد به الاجهات عن المتأملين انه تعالى يأتي بالساعة اما بقدر لمح البصر او بما هو أسرع
قال القاضي هذا لا يصح لان اقامة الساعة ليست حال تكليف حتى يقال انه تعالى يأتي
بها في زمان بل الواجب ان يتخللها دفعة واحدة في وقت واحد ويقارن ما ذكرناه
في ابتداء خلق السموات والارض لان تلك الحال حال تكليف فلم يمنع ان يتخللها

آلات تحصلون بها العلم والعرفة بأن تصوموا بمشاعركم جنسيات الاشياء وتدركوها بافتدركم وتنبهوها لما بينهما من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فحصل لكم علوم بديهيية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافتدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدور وهو من جوع القلة التي جرت مجرى جوع الكثرة وتقدير المجرور على التصويبات لما من الايدان من اول الامر يكون المجمول ناضلا لهم وتضويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها افضل تمكن (للمكتم تشكرون) كي تعرفوا ما نفي به عليهم طور رغب طور تشكروه وتقدم السمع على البصر لانه طريق تلقى الوحي والان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل (المبرور) وقرئ بالتالي (الطير) جمع طائر اي الم ينظروا اليها (مضرات) مذللات للطيران باخلق لها من الاجنة والاسباب المساعدة وفيه مبالغة من حيث ان معنى التضخيم جعل الشيء متقاد الاخر يتصرف فيه كيف يشاء كتضخيم البحر والقلك والدواب للانسان والواقع ههنا تضخيم الهواء لطير لطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فغضرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان الطير ان ليس يقتضى طبع الطير بذلك بتسخير الله تعالى (في جوا السعد) اي في الهواء المتابع من الارض

كذلك لساقيه من مصلحة الملائكة واعلم ان هذا الاعتراض انما يستقيم على مذهب القاضي اما على قولنا في انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ليس له قوة والله اعلم ثم انه تعالى عاد الى الدلائل الدالة على وجود الصانع المختار فقال والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلون شيئا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حزة والكسائي أمهاتكم بكسر الهاء وفيه كازيد في اراق قليل اهرق وشذت زائدتها في الواحدة في قوله « أمهتي خندف والياس أبي » (المسئلة الثالثة) الانسان خلق في مبدأ الفطرة خاليا عن معرفة الاشياء ثم قال وجعل لكم السمع والابصار والافتدة والمعنى ان النفس الانسانية لما كانت في اول الخلقة خالية عن المعارف والعلوم بالله فله تعالى اعطاها هذه الحواس ليستفيد بها المعارف والعلوم ونظام الكلام في هذا الباب يستدعي مز يدتقرر فنقول التصورات والتصديقات اما ان تكون كسبية واما ان تكون بديهية والكسبيات انما يمكن تحصيلها بواسطة تركيبات البديهييات فلا بد من سبق هذه العلوم البديهية وحينئذ لسائل ان يسأل فيقول هذه العلوم البديهية اما ان يقال انها كانت حاصلة منذ خلقنا أو ما كانت حاصلة (والاول) باطل لانا بالضرورة نعلم اننا حين كنا جنينا في رحم الام ما كنا نعرف ان النفي والاثبات لا يجتمعان وما كنا نعرف ان الكل أعظم من الجزء (واما القسم الثاني) فانه يقتضى ان هذه العلوم البديهية حصلت في نفوسنا بعد انما كانت حاصلة فحينئذ لا يمكن حصولها الا بكسب وطلب وكل ما كان كسبيا فهو مسبوق بعلوم أخرى فهذه العلوم البديهية تصير كسبية ويجب أن تكون مسبوبة بعلوم أخرى الى غير نهاية وكل ذلك محال وهذا سؤال قوى مشكل وجوابه ان نقول الحق ان هذه العلوم البديهية ما كانت حاصلة في نفوسنا ثم انها حدثت وحصلت اما قوله فلزم ان تكون كسبية قلنا هذه المقدمة ممنوعة بل نقول انها انما حدثت في نفوسنا بعد عدمها بواسطة اعانة الحواس التي هي السمع والبصر وتقريره ان النفس كانت في مبدأ الخلقة خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر فاذا ابصر الطفل شيئا مرة بعد أخرى ارتسم في خياله ماهية ذلك المبصر وكذلك اذا سمع شيئا مرة بعد أخرى ارتسم في سمعه وخياله ماهية ذلك المسموع وكذا القول في سائر الحواس فيصير حصول الحواس سببا لحضور ماهيات المحسوسات في النفس والعقل ثم ان تلك المساهيات على قسمين أحدا القسمين ما يكون نفس حضوره موجبا تاما في جزم الذهن باسناد بعضها الى بعض بالنفي أو الاثبات مثل انه اذا حضر في الذهن ان الواحد ماهو وان نصف الاثنين ماهو كان حضور هذين التصورين في الذهن علة تامة في جزم الذهن بأن الواحد محكوم عليه بأنه نصف الاثنين وهذا القسم هو عين العلوم البديهية (والقسم الثاني) ما لا يكون كذلك وهو العلوم النظرية مثل انه اذا حضر في الذهن ان الجسم ماهو وان المحدث ماهو

فان مجرد هذين التصويرين في الذهن لا يكفي في جزم الذهن بأن الجسم محدث بل لابد فيه من دليل منفصل وعلوم سابقة والحاصل ان العلوم الكسبية انما يمكن اكتسابها بواسطة العلوم البديهية وحدثت هذه العلوم البديهية انما كان عند حدوث تصور موضوعاتها وتصور محولاتها وحدثت هذه التصورات انما كان بسبب اعانة هذه الحواس على جزئياتها فظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف في النفوس والعقول هو انه تعالى اعطى هذه الحواس فلهمذا السبب قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ليصير حصول هذه الحواس سببا لاتنقل نفوسكم من الجبل الى العلم بالطريق الذي ذكرناه وهذه المباحث شريفة عقلية محضة مدرجة في هذه الآيات وقال المفسرون وجعل لكم السمع لستمعوا مواعظ الله والابصار لتبصروا دلائل الله والافئدة لتعقلوا عظمة الله والافئدة جمع فؤاد نحو افرية و غراب قال الزجاج ولم يجمع فؤاد على اكثر العدد ومقابل فيه فقدان كما قيل غراب وغرابان واقول لعل الفؤاد انما جمع على بناء جمع القلة تبينها على ان السمع والبصر كثيران وان الفؤاد قليل لان الفؤاد انما خلق للمعارف الحقيقية والعلوم القلبية واكثر الخلق ليسوا كذلك بل يكونون مشغولين بالافعال البهيمية والصفات السبعية فكان فؤادهم ليس بفؤاد فلهمذا السبب ذكر في جمعه صيغة جمع القلة فان قيل قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار عطف على قوله اخرجكم وهذا يقتضي ان يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج عن البطن ومعلوم انه ليس كذلك والجواب ان حرف الواو لا يوجب الترتيب ايضا اذا جعلنا السمع على الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال والله اعلم اما قوله الم يروا الى الطير مخبرات في جو السماء ما يمكن الا الله ففيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر وحزرة والكسائي ألم تروا بالناء والباقون بالباء على الكتابة لمن تقدم ذكره من الكفار (المسئلة الثانية) هذا دليل آخر على كمال قدرة الله تعالى وحكمته فانه لو لا انه تعالى خلق الطير خلقه معها يمكنه الطيران وخلق الجوا خلقه معها يمكن الطيران فيه لما يمكن ذلك فانه تعالى اعطى الطير جناحا يسطه مرة ويكسره أخرى مثل ما يعمله السائح في الماء وخلق الهوا خلقه لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولو لا ذلك لما كان الطير ان يمكنها واما قوله تعالى ما يمكنكم الا الله فاعني ان جسم الطير جسم ثقيل والجسم الثقيل يمنع بقاؤه في الجو معلقا من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه فوجب ان يكون المسك في ذلك الجوف هو الله تعالى ثم من الظاهر ان شأؤه في الجوف معلقا فله وحاصل باختياره ثبت ان خالق فعل العبد هو الله تعالى قال القاضي انما اضاف الله تعالى هذا الامساك الى نفسه لانه تعالى هو الذي اعطى الآلات التي لاجلها يمكن الطير من تلك الافعال فلما كان تعالى هو المسبب لذلك لاجرم صححت هذه الاضافة الى الله تعالى والجواب ان هذا ترك للظاهر بغير دليل وانه

والسكاك والروح ابعده منه و اضافته الى السماء لانه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة (ما يمكنكم) في الجو حين قبض اجسدتهم وبسطها ووقو فهن (الا الله) عز وجل بقدرته الواسعة فان تقل جسد هاورقة قوام الهوا يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مضمرات اومن الطير واما مستأنف (ان في ذلك) الذي ذكر من تضهير الطير للطيران بأن خلقها خلقه تمكن بها منه بأن جعل لها اجفة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من لطيفة بحيث اذا بسطت اجسدتها واذنابها لا يطبق ثقلها تغرق ماتحتها من الهوا الرقيق القوام وتغرق ما بين يديها من الهوا لانها لا تلاقى بحجم كبير (لايات) ظاهرة (لقوم يؤمنون) اي من شأنهم ان يؤمنون وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به (والله جعل لكم) معطوف على مامر وتقديم لكم على ماسئتي مامر بالجبرور والمنسوب لاسر من الايدان من اول الامر بأنه لصحتهم ومنفعتهم لتسويق النفس الى وروده وقوله تعالى (من يوتكم) اي من يوتكم المهودة التي تشبهونها من الخير والمدرئين لذلك الجمول المهم في الجلمة وتأكيد لما سبق من التشويق (سكنا) فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان ينقل من مكان الى مكان بعض بيوتكم بحيث

تسكنون اليه وتطمنون به
(وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا) اي بيوتا اخر مغارة
ليسوتكم المهودة هي الخيام
والقباب والابخية والفساطيط
(تستخفونها) تجدونها خفيفة
سهلة المأخذ (يوم ظعنكم)
وقت رحالكم في التنقل والجل
والنقل وقرئ بفتح العين
(يوم اقامتكم) وقت نزولكم
في الضرب والبناء (ومن
اصوافها واوبارها واشعارها)
عطف على قوله تعالى من جلود
والفخار للانعام على وجه التوزيع
اي وجعل لكم من اصواف
الضأن واوبار الابل واشعار
المرز (ااثا) اي متاع البيت
واصله الكثرة والاجتماع ومنه
شمر اثث (ومتاعا) اي شيئا
يتمتع به بفنون الفتح (الى حين)
الى ان تقضوا منه اوطاركم اوالى
ان يبلى ويغنى فانه في مرض
البلا والفناء وقيل الى ان تموتوا
والكلام في ترتيب القاميل مثل
ما مر من قبيل (والله جعل لكم
ما خلق) من غير صنع من قبلكم
(غلالا) اشياء تستغلون بها
من الحر كالحمام والشجر والجبل
وغيرها امن سبحانه بذلك لما ان
تلك الديار غالية الحرارة
(وجعل لكم من الجبال اكثانا)
مواضع تستكنون فيها من
الكهوف والغيران والسروب
والكلام في الترتيب الواقع بين
الفساعيل كالذي مر غيرة
(وجعل لكم سرايل) جمع
سرايل وهو كل ما يليس اي جعل
لكم ثيابا من القطن والكتان
والصوف وغيرها (تقيكم الحر)
خصه بالذكر

لا يجوز لاسما والدلائل العقلية دلت على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى ثم قال تعالى
في آخر الآية ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وخص هذه الآيات بالمؤمنين لانهم هم
المنفقون بها وان كانت هذه الآيات آيات لكل العقلاء والله اعلم ﴿ قوله تعالى (والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم
ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثنا ومتاعا الى حين) اعلم ان هذا نوع
آخر من دلائل التوحيد واقسام النعم والفضل والسكن المسكن انشد القراء
جاء الشتاء ولما اتخذ سكنا * يواجي كفي من حفر القراميص
والسكن ماسكنت اليه وماسكنت فيه قال صاحب الكشاف السكن فعل بمعنى مفعول
وهو ما يسكن اليه ويقطع اليه من بيت اوالف واعلم ان البيوت التي يسكن الانسان فيها
على قسمين احدها البيوت المتخذة من الخشب والطين والآلات التي بها يمكن تسقيف
البيوت والبا الاشارة بقوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وهذا القسم من البيوت
لا يمكن نقله بل الانسان ينقل اليه (والقسم الثاني) القباب والخيام والفساطيط
والبا الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم
ويوم اقامتكم وهذا القسم من البيوت يمكن نقله وتحويله من مكان الى مكان واعلم
ان المراد الانطاع وقد نمل العرب البيوت من الادم وهي جلود الانعام اي تحف
عليكم حلها في اسفاركم قرأ نافع وابن كثير وابوعمر يوم ظعنكم بفتح العين والباقون
ساكنة العين قال الواحدى وهما لفتان كالشعر والشعر والنهر والنهر واعلم ان الظعن
سير البادية لجمعة او حضور ماء او طلب مرتع وقد يقال لكل شاخص لسفر غا عن وهو
ضد الخافض وقوله ويوم اقامتكم بمعنى لا ينقل عليكم في الحالين وقوله ومن اصوافها
واوبارها واشعارها قال المفسرون واهل اللغة الاصواف للضأن والاوبار للابل
والاشعار للمرز وقوله اثنا الاثاث انواع متاع البيت من الفرش والاكسية قال الفراء
ولا واحدله كما ان المتاع لا واحدله قال ولو جمعت فقلت اثمة في القليل واثث في الكثير
لم يبعد وقال ابو زيد واحدها اثثة قال ابن عباس في قوله اثنا يريد طنا فس وبسطا وثيابا
وكسوة قال الخليل واصله من قولهم اث الثبات والشعر اذا كثر وقوله متاعا اي
ما يتمتعون به وقوله الى حين يريد الى حين البلى وقيل الى حين الموت وقيل الى حين بعد
الحين وقيل الى يوم القيامة فان قيل عطف المتاع على الاثاث والعطف يقتضى المغايرة
وما الفرق بين الاثاث والمتاع قلنا الاقرب ان الاثاث ما يكتسبه به المرء ويستعمله في الغطاء
والوطاء والمتاع ما يفرش في المنازل ويزين به ﴿ قوله تعالى (والله جعل لكم ما خلق
ظلالا وجعل لكم من الجبال اكثانا وجعل لكم سرايل تقيكم الحر وسرايل تقيكم
باسم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلون فان تولوا فاعلم انكم على البلاغ المبين يعرفون
نعمت الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون) اعلم ان الانسان اما ان يكون مقبلا

اكتفاء بذكر احد الضدين

عن ذكر الاخر اولان وقايتيه
هي الاصح عندهم لما افسا
(وسرايل) من الدروع
والجواشن (تقيكم باسم) اى
البأس الذى يصل الى بعضكم
من بعض في الحرب من الضرب
والطعن ولقد من الله سبحانه
علينا حيث ذكر جميع نعمه
القائضة على جميع الطوائف
فقد بما يخص القيمين حيث قال
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
ثم بما يخص المسافرين عن لهم
قدرة على الحيام واضرا بها حيث
قال وجعل لكم من جلود الانعام
الحشم يلبس من لا يقدر على ذلك
ولا يارويه الا لظلال حيث قال
وجعل لكم ما خلق ظلالا الح
ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال
وجعل لكم سرايل الحشم بما
لا غنى عنه للحروب حيث قال
وسرايل تقيكم باسمكم ثم قال
(كذلك) اى مثل ذلك الاتمام
البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم
تسبحون (اى ارادة ان تنظروا
فيما سيخ عليكم من نعم الظاهرة
والباطنة والانسية والا قافية
فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به
وحده وتودروا ما كنتم به تشركون
وتقادوا لاسره وافراد النعمة
اما لان المراد بها المصدر والظهور
ان ذلك بالنسبة الى جانب الكبرياء
شئ قليل وقرئ تسبحون اى
تسبحون من المذاب اومن
الشرك وقيل من الجراح بلس
الدروع (فان تولوا) فضل ماض
على طريقة الالتفات وصرف
الخطاب عنهم الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم تسليلا اى فان

او مسافر او المسافر اما ان يكون غنيا يمكنه استحباب الخيام والفساطيط او لا يمكنه ذلك
فهذه اقسام ثلاثة (اما القسم الاول) قاله الاشارة بقوله والله جعل لكم من بيوتكم
سكنا (واما القسم الثانى) قاله الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا (واما
القسم الثالث) قاله الاشارة بقوله والله جعل لكم ما خلق ظلالا وذلك لان المسافر
اذا لم يكن له خيمة يستظل بها فانه لا بدوان يستظل بشئ آخر كالجدران والاشجار
وقد يستظل بالغمام كما قال وظلنا عليكم الغمام ثم قال وجعل لكم من الجبال اكسنا
واحد الاكسنان كن على قياس احوال وحل ولكن المراد كل شئ وفى شئ ويقال استكن
واكن اذا صار فى كن واعلم ان بلاد العرب شديدة الحروب حاجتهم الى الظل ودفع الحر
شديدة فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه المعاني فى معرض النعمة العظيمة وايضا البلاد
المعتدلة والافات المعتدلة نادرة جدا والغالب اما غلبة الحر او غلبة البرد وعلى كل
التقديرات فلا بد للانسان من مسكن يأوى اليه فكان الانعام تخصيله عظيما ولما ذكر
تعالى امر المسكن ذكر بعده امر اللبوس فقال وجعل لكم سرايل تقيكم الحروب وسرايل
تقيكم باسمكم السرايل القميص واحدها سراب قال الزجاج كل ما لبسته فهو سرايل من
قبض او درع او جوشن او غيره والذى يدل على صحة هذا القول انه جعل السرايل على
قسمين احدهما ما يكون واقيا من الحر والبرد (والثانى) ما يقيه عن البأس والحروب
وذلك هو الجوشن وغيره وذلك يدل على ان كل واحد من القسمين من السرايل فان قيل
لم ذكر الحروب يذكر البرد جابجا عنه من وجوه (الاول) قال عطاء الخراسانى المخطوبون
بهذا الكلام هم العرب وبلادهم حارة فكانت حاجتهم الى ما يدفع الحروق حاجتهم الى
ما يدفع البرد كما قال ومن اصوافها واورها واسعارها وسائر انواع الثياب اشرف الاله
تعالى ذكر ذلك النوع لانه كان القميص بها اشدوا اعتيادهم للبسها اكثر ولذلك قال ونزل
من السماء من جبال فيها من برد يعرفهم بذلك وما نزل من الثلج اعظام ولكنهم كانوا
لا يعرفونه (والوجه الثانى) فى الجواب قال البردان ذكر احد الضدين تلييه على الآخر
فلت ثبت فى المعلوم العقلية ان العلم بأحد الضدين يستلزم العلم بالضد الآخر فان الانسان
متى خطر به باله الحرق خطر به باله ايضا البرد وكذا القول فى النور والظلمة والسواد والبياض
فلما كان الشعور بأحدهما مستتبعا للشعور بالآخر كان ذكر احدهما مغنيا عن ذكر
الآخر (والوجه الثالث) قال الزجاج ما وقع من الحروق من البرد فكان ذكر احدهما
مغنيا عن ذكر الآخر فان قيل هذا بالضد اولى لان دفع الحريق يقي فيه السرايل التى هى
القمص من دون تكلف زيادة واما البرد فانه لا يتدفع الا بتكلف زائد قلنا القميص
الواحد لما كان دافعا للحر كان الاستكثار من القميص دافعا للبرد فصح ما ذكرناه وقوله
وسرايل تقيكم باسمكم يعنى دروع الحديد ومعنى البأس الشدة ويريد ههنا شدة الطعن
والضرب والرمي واعلم انه تعالى لماعدد اقسام نعمة الدنيا قال كذلك يتم نعمته عليكم

اعرضوا عن الاسلام ولم يبالوا
منك ما لآتي اليهم من البينات
والبر والعلات (فانما عليك
البلاغ المبين) اى فلا قصور
من جهتك لان وظيفتك هى
البلاغ الموضح او الواضح وقد
فعلته بما لا يزيد عليه فهو من
باب وضع السبب موضع المسبب
(يعرفون نعمت الله) استثناف
ليبان ان تولىهم وارضاهم عن
الاسلام ليس لمدم معرفتهم بما
هدى من نعم الله تعالى اصلا فانهم
يعرفونها ويعترفون انهم ان الله
تعالى (ثم ينكرونها) بأفهامهم
حيث يعمدون غير منعمها او
بقولهم انها بشفاعه آلهتها او
بسبب كذا وقيل نعمه الله تعالى
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
عرفوها بالجهزات كما يعرفون
ابنائهم ثم انكروها عناداً ومعنى
ثم لاستبعاد الانتكار بعد المعرفة
لان حسنى من عرف النعمة
الاعتراف بها لا الانتكار واستناد
المعرفة والانتكار التفرع عليها
الى ضمير المتركين على الاطلاق
من باب استناد حال البعض الى
الكل كقولهم بنو فلان قتلوا
فلانا وانما القاتل واحد منهم
فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله
سبحانه (واكثرهم الكافرون)
اى المنكرون بقولهم هير
المعترفين بما ذكر والحكم عليهم
بطلق الكفر المؤذن بالكمال
من حيث الكمية لا بنافى كال
الفرقة الاولى من حيث الكيفية
هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان
بعضهم لم يعرفوا لتقصان العقل
او لثقله في النظر او لم يتم
عليه المحجة لانه لم يبلغ حد
للتكليف فتدبر

اى مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وانتم بها عليكم فانه بتم نعمة الدنيا والدين عليكم لعلكم
تسلون قال ابن عباس لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون انه لا يقدر على
هذه الانعامات احد سواه ونقل عن ابن عباس انه قرأ لعلكم تسلون بفتح التاء والمعنى
انا اعطيتكم هذه المراتب لتسلوا عن بآس الحرب وقيل اعطيتكم هذه النعم
لتتفكروا فيها فتؤمنوا فتسلوا من عذاب الله ثم قال تعالى فان تولوا فانما عليك البلاغ
المبين اى فان تولوا يا محمد وأعرضوا وآثروا الذات الدنيا ومتابعة الآباء والمعاداة
فى الكفر فعلى انفسهم جنوا ذلك وليس عليكم الا ما فعلت من التبليغ التام ثم انه تعالى
ذمهم بأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وذلك نهاية فى كفران النعمة فان قيل ماعنى
ثم قلنا الدلالة على ان انكارهم امر يستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف
النعمة ان يعترف لان ينكروا فى المراد بهذه النعمة وجوه (الاول) قال القاضي المراد
بها جميع ما ذكره الله تعالى فى آيات المتقدمة من جميع انواع النعم ومعنى انكروه
هو انهم ما فردوه تعالى بالشكر والعبادة بل شكروا على تلك النعم غير الله تعالى ولا نعمهم
قالوا انما حصلت هذه النعم بشفاعه هذه الاصنام (والثاني) ان المراد انهم صرفوا ان نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم حق ثم ينكرونها ونبوته نعمة عظيمة كما قال تعالى وما ارسلناك
الارحمة للعالمين (الثالث) يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اى لا يستعملونها فى طلب
رضوان الله تعالى ثم قال تعالى واكثرهم الكافرون فان قيل ماعنى قوله واكثرهم
الكافرون مع انه كان كلهم كافرين قلنا الجواب من وجوه (الاول) انما قلوا واكثرهم
لانه كان فيهم من لم تقم عليه المحجة بمن لم يبلغ حد التكليف او كان ناقص العقل معنوها
فأراد بالاكثرا البالغين الاصحاء (الثاني) ان يكون المراد بالكافر الجاحد المصاندى وحينئذ
نقول انما قلوا واكثرهم لانه كان فيهم من لم يكن معاندا بل كان جاهلا بصدق الرسول
عليه الصلاة والسلام وما ظهر له كونه نبيا حقا من عند الله (الثالث) انه ذكر الاكثر
والمراد الجميع لان اكثر الاشياء يقوم مقام الكل فذكر الاكثر كذا كر الجميع وهذا كقوله
الحمد لله بل اكثرهم لايعلمون والله اعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ (ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم
لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا رأى الذين ظلوا العذاب فلا يخفف عنهم
ولا هم ينظرون) اعلم انه تعالى لما بين من حال القوم انهم صرفوا نعمة الله ثم انكروها واذكر
ايضا من حالهم ان اكثرهم الكافرون اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة فقال
ويوم نبعث من كل امة شهيدا وذلك يدل على ان اولئك الشهداء يشهدون عليهم بذلك
لانكارهم بذلك الكفر والمراد بهؤلاء الشهداء الانبياء كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيدا وقوله ثم لا يؤذن للذين كفروا فيه وجوه
(احدها) لا يؤذن لهم فى الاعتذار لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون (وثانيها)
لا يؤذن لهم فى كثرة الكلام (وثالثها) لا يؤذن لهم فى الرجوع الى دار الدنيا والى

(ورايها) لا يؤذن لهم في حال شهادة الشهود بل يسكت أهل الجمع كلهم لشهد الشهود (وخاسها) لا يؤذن لهم في كثرة الكلام ليطهر لهم كونهم آسيين من رحمة الله تعالى ثم قال ولاهم يستعيبون الاستعاب طلب العتاب والرجل انما يطلب العتاب من خصمه اذا كان على جزم أنه اذا عاتبه رجع الى الرضا فاذا لم يطلب العتاب منه دل على انه راسخ في غضبه وسطوته ثم انه تعالى أكد هذا الوعيد فقال واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم والمعنى ان هؤلاء المشركين اذارأوا العذاب ووصلوا اليه فعند ذلك لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ايضا ينظرون أى لا يؤخرون ولا يمهلون لان التوبة هناك ضير موجودة وتحققه ما يقوله المتكلمون من ان السذاب يجب ان يكون خالصا عن شوائب النفع وهو المراد من قوله لا يخفف عنهم العذاب ويجب ان يكون العذاب دائما وهو المراد من قوله ولاهم ينظرون * قوله تعالى (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فآلقوا بهم القول انكم لكاذبون) وألقوا الى الله يومئذ السلم وصل عنهم ما كانوا يفترون) اعلم ان هذا ايضا من بقية وعيد المشركين وفي الشركاء قولان (الاول) انه تعالى يعث الاصنام التي كان يعبدونها المشركون والمقصود من اعادتها ان المشركين يشاهدونها في غاية الذلة والحقارة وايضا انها تكذب المشركين وكل ذلك مما يوجب زيادة الغم والحسرة في قلوبهم وانما وصفهم الله بكونهم شركاء لوجهين (الاول) ان الكفار كانوا يسعون بانها شركاء الله (والثاني) ان الكفار جعلوا بهم نصيبا من اموالهم (والقول الثاني) ان المراد بالشركاء الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وهو قول الحسن وانما ذهب الى هذا القول لانه تعالى حكى عن أولئك الشركاء أنهم ألقوا الى الذين أشركوا انهم لكاذبون والاصنام جادات فلا يصح منهم هذا القول فوجب ان يكون المراد من الشركاء الشياطين حتى يصح منهم هذا القول وهذا بعيد لانه تعالى قادر على خلق الحياة في تلك الاصنام وعلى خلق العقل والنطق فيها وحينئذ يصح منها هذا القول ثم حكى تعالى عن المشركين انهم اذارأوا تلك الشركاء قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فان قيل فافانكذبهم في هذا القول قلنا فيه وجهان (الاول) قال ابو مسلم الاصفهاني مقصود المشركين احواله هذا الذنب على هذه الاصنام فظنوا ان ذلك يجيبهم من عذاب الله تعالى او ينقص من عذابهم فعند هذا تكذبهم تلك الاصنام قال القاضي هذا بعيد لان الكفار يعلمون علما ضروريا في الآخرة ان العذاب سيزل بهم وانه لا نصرة ولا فدية ولا شفاعة (والقول الثاني) ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجيبا من حضور تلك الاصنام مع انه لا ذنب لهما واعترافا بأنهم كانوا مخطفين في عبادتها ثم حكى تعالى ان الاصنام يكذبونهم فقال فآلقوا بهم القول انكم لكاذبون والمعنى انه تعالى يخلق الحياة والعقل والنطق في تلك الاصنام حتى تقول هذا القول وقوله انكم لكاذبون بدل من القول والتقدير فآلقوا بهم القول انكم لكاذبون فان

(ويوم نبئت من كل امه شهيدا) يشهدونهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبئها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار اذ لا عذر لهم وهم للدلالة على ان ابتلاءهم بالنفع عن الاعتذار التي عن الانقضاء الكلى وهو عندما يقال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام عليهم واتم ولا هم يستعيبون يسترضون اى ليقال لهم ارضوا ربكم اذ لا آخر دار الجزاء لدار العمل والنتساب الطرف بمحذوف تقديره لا ذكر او خوفهم يوم نبئت الخ اويوم نبئت يحق بهم ما يحق مما لا يوصفون كذا قوله تعالى (واذا رأى الذين ظلموا العذاب) الذى يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) ذلك (ولاهم ينظرون) اى يمهلون كقوله تعالى بل تأييم بعثتنيهم (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) الذين كانوا يدعونه في الدنيا وهم الاوثان والشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحل عليه وقاروهم في نفي والضلال (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) اى نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما نبئ عنه قوله سبحانه (فآلقوا) اى شركاؤهم (بهم القول انكم لكاذبون) فان تكذبهم اياهم فيما قالوا ليس الا للرافضة والخصم عن غائلة مضيقونه وانما كذبوهم وقد كانوا يصدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا اعين بعبادتهم لهم

فكان عبادتهم لم تكن عبادتهم
 كالكلمات الملائكة عليهم السلام
 بل كانوا يعبدون الجن يعمون
 ان الجن هم الذين كانوا راضين
 بعبادتهم لانهم اوكذبوهم
 في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله
 سبحانه عن الشرك والشياطين
 وان كانوا راضين بعبادتهم لهم
 لكنهم لم يكونوا حادين لهم على
 وجه القسروا لما كانا قال ابليس
 وما كان لي عليكم من سلطان
 الا ان دعوتكم فاستجب لي
 فكانهم قالوا ما عبدتمونا حققة
 بل اعادتم اهلواكم (والقوا)
 اي الذين شركوا (الى الله يومئذ
 السلم) الاستسلام والاقبياد
 لحكمه العزيز الغالب بعد
 الاستكبار عنه في الدنيا (ومثل
 عنهم) اي ضاع وبطل (ما كانوا
 يفترون) من ان الله سبحانه شركاء
 وانهم يصرونهم ويشفعون لهم
 وذلك حين كذبوهم وتبرؤا منهم
 (الذين كفروا) في انفسهم
 (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله)
 بالتمنع عن الاسلام والحل على
 الكفر (زدناهم عذابا فوق
 العذاب) الذي كانوا يستحقونه
 بكفرهم قيل في زيادة عذابهم
 حيات امثال البعث وعقارب
 امثال البغال تلص احداهن
 فيجذب صاحبهما رابين خريفا
 وقيل يخرجون من النار الى
 الزهري فيبادرون من شدة
 البرد الى النار) بما كانوا
 يفسدون متعلق بقوله زدناهم
 اي زدنا عذابهم بسبب استمرارهم
 على الاقصاد وهو الصد المذكور
 (ويوم نبئت) نكروا لماسبق تنبيه
 للتهديد (في كل امة شهداء لهم)
 قيل ان المشركين ما قالوا الا انهم لما اشاروا الى الاصنام قالوا ان هؤلاء شركاؤنا الذين كنا
 ندعوا من دونك وقد كانوا صادقين في كل ذلك فكيف قالت الاصنام انكم لكاذبون قلنا
 فيه وجوه والاصح ان يقال المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هو ان هؤلاء الذين كنا نقول
 انهم شركاء الله في المعبودية فالاصنام كذبوهم في اثبات هذه الشراكة وقيل المراد انكم
 لكاذبون في قولكم اننا نسحق العبادة ويدل عليه قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ثم
 قال تعالى والقوا الى الله يومئذ السلم قال الكلبي استسلم العابد والمعبود واقروا الله
 بالربوبية وبالبراءة عن الشركاء والانداد وضل عنهم ما كانوا يفترون وفيه وجهان وقيل
 ذهب عنهم ما زين لهم الشيطان من ان الله شريكا وصاحبة وولدا وقيل بطل ما كانوا
 يأملون من ان آلهتهم تشفع لهم عند الله تعالى * قوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن
 سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد
 الذين كفروا اتبعه بوعد من ضم الى كفره صد الفير عن سبيل الله وفي تفسير قوله وصدوا
 عن سبيل الله وجهان قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والاصح انه يتناول جلة الايمان
 بالله والرسول وبالشرائع لان اللفظ عام فلامعني التخصيص وقوله زدناهم عذابا فوق
 العذاب فالمعنى انهم زادوا على كفرهم صدغيرهم عن الايمان فهم في الحقيقة زادوا
 كفرا على كفر فلا جرم زيدهم الله تعالى عذابا على عذاب وايضا اتابعهم انما قدوا بهم
 في الكفر فوجب ان يحصل لهم مثل عقاب اتباعهم لقوله تعالى ولعجلن انفالهم واتقلا
 مع انفالهم ولقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فقلبه وزرهار وزر من عمل بها الى يوم
 القيامة ومن المفسرين من ذكر تفصيل تلك الزيادة فقال ابن عباس المراد بتلك الزيادة
 خمسة اناهار من نار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة بالليل واثنان بالنهار وقال
 بعضهم زدناهم عذابا بحيات وعقارب كأمثال البعث فيستغيثون بالهرب منها الى النار
 ومنهم من ذكر لكل عقرب ثلثائة فقرة في كل فقرة ثلثائة قلة من سم وقيل عقارب لها
 انياب كالنخل الطوال ثم قال تعالى بما كانوا يفسدون اي هذه الزيادة من العذاب انما
 حصلت معللة بذلك الصد وهذا يدل على ان من دعا غيره الى الكفر والضلال فقد عظم
 عذابه فكذلك اذا دعا الى الدين واليقين فقد عظم قدره عند الله تعالى والله اعلم * قوله
 تعالى (ويوم نبئت في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجنابك شهيدا على هؤلاء) ولنا
 عليك الكتاب نبيا لكل شئ هدى ورحمة وبشرى للمسلمين) اعلم ان هذا نوع آخر من
 التهديدات المانعة للمكلفين عن المعاصي واعلم ان الامة عبارة عن القرن والجماعة اذا
 ثبت هذا فقول في الآية قولان (الاول) ان المراد ان كل نبى شاهد على امته (والثاني)
 ان كل جمع وقرن يحصل في الدنيا فلا بد وان يحصل فيه واحد يكون شهيدا عليهم اما
 الشهيد على الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الرسول بل لقوله
 تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم

(شهيدا)

اي نبيا

(من انفسهم) من جنسهم قلما
تغذروهم وفي قوله تعالى عليهم
نصار بأن شهادة انبيائهم
على الامم تكون بمحض منهم
(وجشايك) اشارة لفظ الجب
على البعث لكمال العذبة بشأته
عليه السلام وصيغة الماضي
للدلالة على تحقق الوقوع (شهيذا
على هؤلاء) لام وشهدائهم كقولهم
تعالى فكيف اذا جئنا من كل
امة بشيدين وجشايك على هؤلاء
شهيذا وقيل على امك والعاقل
في الظرف مذهبوه فأمرو المراد
به يوم القيامة (وتزلنا عليك
الكتاب) الكامل في الكناية
الحقيق بأن ينص باسم الجنس
وهو ما يستند الى احوال بتقدير قد
(تبياناً) بياناً بليناً (لكل شيء)
يتعلق بامور الدين ومن جهة ذلك
احوال الامم مع انبيائهم عليهم
السلام فيكون كالدليل على كونه
عليه السلام شهيدا عليهم وكذا
من جهة ما أخبر به هذه الآية
الكرامة من بعث الشهداء وبهته
عليه السلام شهيدا عليهم عليهم
الصلوة والسلام والتيان كالنقاء
في كسره وله كونه تبياناً لكل شيء
من امور الدين باعتبار ان فيه نصاً
على بعضه واحالة لبعضها على
السنة حيث امر باتباع النبي
عليه السلام وطاعته وقيل فيه
وما ينطق عن الهوى وحنا على
الاجماع وقد رضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأمته باتباع
اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم
بأيهم اتقيتم اتقيتم اهتديتم وقد
اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق
الاجتهاد فكانت السنة والاجماع
والقياس مستندة الى تبيان
الكتاب وما يضرمافي البعض من

شهيذا وثبت ايضا انه لا بد في كل زمان بعد زمان الرسول من الشهيد فحصل من هذا
ان عصرنا من الاعصار لا يخلو من شهيد على الناس وذلك الشهيد لا بد ان يكون غير جائز
الخطأ والافتقر الى شهيد آخر ويمتد ذلك الى غير النهاية وذلك باطل فثبت انه لا بد في كل
عصر من اقوام تقوم الحججة بقولهم وذلك يقتضي ان يكون اجماع الامة حجة قال ابو بكر
الاصم المراد بذلك الشهيد هو انه تعالى ينطق عشرة من اعضاء الانسان حتى انتهت شهيد
عليه وهي الاذان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان قال والدليل عليه انه
قال في صفة الشهيد انه من انفسهم وهذه الاعضاء لاشك انها من انفسهم اجاب القاضي
هذه من وجوه (الاول) انه تعالى قال شهيدا عليهم اى على الامة فيجب ان يكون غيرهم
(الثاني) انه قال من كل امة فيجب ان يكون ذلك الشهيد من الامة وآحاد الاعضاء
لا يصح صفها بأنها من الامة واما جل هؤلاء الشهداء على الانبياء فبعد ذلك لان كونهم
انبياء مبعوثين الى الخلق امر معلوم بالضرورة فلا فائدة في حل هذه الآية عليه ثم قال
تعالى وتزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وفيه مسائل (المسئلة الاولى) وجد تعلق هذا
الكلام بما قبله انه تعالى لما قال وجشايك شهيدا على هؤلاء بين انه ازاح علمهم فيما كلفوا
فلا حجة لهم ولا معذرة (المسئلة الثانية) من الناس من قال القرآن تبيان لكل شيء وذلك
لان العلوم امدانية او غير دينية اما العلوم التي ليست دينية فلا تعلق لها بهذه الآية لان
من المعلوم بالضرورة ان الله تعالى انما مدح القرآن بكونه شتملا على علوم الدين فأما
ما لا يكون من علوم الدين فلا تنفذ اليه واما علوم الدين فاما الاصول واما الفروع اما
علم الاصول فهو بتمامه موجود في القرآن واما علم الفروع فالاصول براءة الذمة الامور
على سبيل التفصيل في هذا الكتاب وذلك يدل على انه لا تكليف من الله تعالى الامور
في هذا القرآن واذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا وكان القرآن واذا بنا كل
الاحكام واما الفقهاء فانهم قالوا القرآن انما كان تبياناً لكل شيء لانه يدل على ان الاجماع
وخبر الواحد والقياس حجة فاذا ثبت حكم من الاحكام بأحد هذه الاصول كان ذلك
الحكم ثابتاً بالقرآن وهذه المسئلة قد سبق ذكرها بالاستقصاء في سورة الاعراف والله اعلم
(المسئلة الثالثة) روى الواحدى باسناده عن الزجاج انه قال تبياناً في معنى اسم البيان
ومثل التبيان التلقا وروى ثعلب عن الكوفيين والبرد عن البصريين انهم قالوا لم يأت
من المصادر على فعال الاحرفان تبياناً وتلقا واذارت هذين اللفظين استوى لك
القياس فقلت في كل مصدر تفعال بفتح التاء مثل تسيار وتذكر وتكرر وقلت في كل
اسم تفعال بكسر التاء مثل تقصير وتمثال قوله تعالى (ان الله بأمر بالعدل والاحسان
ويتأذى القربى ويبنى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) واعلم انه
تعالى لما استقصى في شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب اتباعه بقوله ان الله يأمر
بالعدل والاحسان فجمع في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضا ونفلا وما يتصل بالخلق

والآداب عموماً وخصوصاً وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في بيان فضائل هذه الآية
 روى عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون الجمحي قال سألت اولا الاحياء من محمد
 عليه السلام ولم يقرر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فيمناهو حتى اذ رأيت بصره
 شخص الى العماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسأله فقال ليثما انا احذثك اذا
 يجبريل نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل والاحسان العدل شهادة ان لا اله
 الا الله والاحسان القيام بالفرائض وابناء ذى القربى اى صلة ذى القرابة وبنى عن
 الفحشاء الزنا والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة والبنى الاستطالة قال عثمان فوقع
 الايمان في قلبي فأثبت اباطالب فأخبرته فقال يا معشر قريش اتبعوا ابن اخي ترشدوا ولئن
 كان صادقاً او كاذباً فانه ما يأمركم الا بمكارم الاخلاق فلأرى الرسول صلى الله عليه وسلم
 من عه اليه قال يا معاذ أتاى الناس ان يتبعوني وتدع نفسك وجهد عليه فأبى ان يسلم
 فنزل قوله انك لاتهدى من احببت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان اجع آية في القرآن
 نظير وشر هذه الآية وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحب
 الامر الله تعالى به في هذه الآية وليس من خلق سيئ الا نهى الله تعالى عنه في هذه الآية
 وروى القاضي في تفسيره عن ابن ماجه عن علي عليه السلام انه قال أمر الله تعالى نبيه
 ان يعرض نفسه على قبائل العرب فخرج وانامعه وابو بكر فوقنا على مجلس عليهم الوقار
 فقال ابو بكر بمن القوم فقالوا من شيان بن ثعلبة فدماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الى الشهادتين والى ان ينصروه فان قريشاً كذبوه فقال مقرون بن عمرو الام تدعوننا اخا
 قريش فلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية
 فقال مقرون بن عمرو دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد افك قوم
 كذبوك وظاهروا عليك وعن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على
 الوليد فاستعاده ثم قال ان له خلوة وان عليه لطلاوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
 كذب الاحسان على كل شئ فاذا قلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة
 وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته والله اعلم (المسئلة الثانية) في تفسير هذه الآية اكثر
 الناس في تفسير هذه الآية قال ابن عباس في بعض الروايات العدل شهادة ان لا اله الا الله
 والاحسان اداء الفرائض وقال في رواية اخرى العدل خلع الاعداد والاحسان ان تعبد
 الله كأنك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك فان كان مؤمناً احببت ان يزداد ايماناً
 وان كان كافراً احببت ان يصير أخاك في الاسلام وقال في رواية ثالثة العدل هو التوحيد
 والاحسان الاخلاص فيه وقال آخرون يعنى بالعدل في الافعال والاحسان في الاقوال
 فلا تفعل الاماهو عدل ولا تفل الاماهو احسان وقوله وابناء ذى القربى يريد صلة الرحم
 بالمال فان لم يكن فبالعلمه روى ابو مسلم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 ان اعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم ان اهل البيت ليكونون جفراً فتمنى اموالهم ويكره

الطعام في كونه ثيباناً فان المبالغة
 باعتبار الكمية دون الكيفية
 كافي في قوله تعالى وما نابطلام
 للعبيد انه من قولك فلان ظالم
 لعبد وغلالم لعبيد ومنه قوله
 سبحانه وما للظالمين من انصار
 (وهدى ورجة) للعلمين فان
 حرمان الكفرة من مقام آثاره
 من تغريطهم لا من جهة الكتاب
 (ويشرى للمسلمين) خاصة او
 يكون كل ذلك خاصاً بهم لانهم
 المتفنون بذلك (ان الله يأمر)
 اى فيأمره نبيانا لكل شئ وهدى
 ورجة ويشرى للمسلمين ولينار
 صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده
 لافادة التعدد والاستمرار
 (بالعدل) بمرعاة التوسط بين
 طرفي الافراط والتفريط وهو
 رأس الفضائل كلها يندرج تحته
 فضيلة القوة العقلية المكتبة من
 الحكمة المتوسطة بين الجرأة
 والبلادة وفضيلة القوة الشهوية
 البهيمة من العفة المتوسطة بين
 الخلاعة والجلود وفضيلة لقوة
 الفضيلة السبعية من الشجاعة
 المتوسطة بين التهور والجلن في
 الحكم الاعتقادية التوحيد
 المتوسط بين التطيل والتشريك
 نقل عن ابن عباس رضى الله
 عنهما ان العدل هو التوحيد
 والقول بالكسب المتوسط بين
 الجبر والقدر ومن الحكم
 العملية التعبد باداء الواجبات
 المتوسط بين البطالة والتزهد
 ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط
 بين الجبن والتبذير (والاحسان)
 اى الاتيان بما امر به على الوجه
 اللائق وهو ما يحسب الكمية

كالنوع بالنوافل

او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كما تترك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وابتأذى القرني) اى اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه (وينهى عن الفحشاء) الافراط في مشايعة القوة الشهوية كالزنا مثلاً (والمكر) ما ينكر شرعا واوقفاً من الافراط فيظهار آثار القوة الفطنية (والبغي) الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتعير عليهم وهون آثار القوة الهولمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والفطنية وليس في البشر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر ولولم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه نبيا لكل شئ وهدي (يعظكم) بما يأمر وينهى وهو اما استئناف واما حال من الضميرين في الفصلين (لعلكم تدكرون) طلبا لان تتفطوا بذلك (واوقوه بهدائه) هو البعثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائمها بسيامة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (اذا عاهدتم) اى حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله صلى الله عليه وسلم (ولا تخفوا الايمان) التي تحلقون بها عند المعاهدة (بعد توكيدها) حسبا هو اليهود في اثناء اليهود لاعلى ان يكون النهى مقيدا بالتوكيد

عدهم اذا وصلوا ارحامهم وقوله وينهى عن الفحشاء قيل الزنا وقيل الخلل وقيل كل الذنوب سواء كانت صغيرة او كبيرة وسواء كانت في القول او في الفعل واما المنكر فقيل انه الكفر بالله تعالى وقيل المنكر ما لا يعرف في شريعة ولان في المنكر والبغي فقول الكبر والظلم وقيل ان تبغى على اخيك واعلم ان في الأمور كثرة وفي المنيات ايضا كثرة وانما حسن تفسير لفظ معين لشيء معين اذا حصل بين ذلك اللفظ وبين ذلك المعنى مناسبة اما اذا لم تحصل هذه الحالة كان ذلك التفسير فاسدا فاذا فسرنا العدل بشئ والاحسان بشئ آخر وجب أن نبين ان لفظ العدل مناسب ذلك المعنى ولفظ الاحسان يناسب هذا المعنى فلما لم ين هذا المعنى كان ذلك مجرد التحكم ولم يكن جعل بعض تلك المعاني تفسير لبعض تلك الالفاظ اولى من العكس فثبت ان هذه الوجوه التي ذكرناها ليست قوية في تفسير هذه الآية وأقول ظاهر هذه الآية يدل على انه تعالى أمر بثلاثة اشياء وهى العدل والاحسان وابتأذى القرني ونهى عن ثلاثة اشياء وهى الفحشاء والمنكر والبغي فوجب ان يكون العدل والاحسان وابتأذى القرني ثلاثة اشياء متغايرة ووجب ان تكون الفحشاء والمنكر والبغي ثلاثة اشياء متغايرة لان العطف يوجب المغايرة فنقول اما العدل فهو عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط وذلك أمر واجب الرعاية في جميع الاشياء ولابد من تفصيل القول فيه فنقول الاحوال التي وقع التكليف بها اما الاعتقادات واما اعمال الجوارح اما الاعتقادات فالعدل في كلها واجب الرعاية (فأحدها) قال ابن عباس ان المراد بالعدل هو قول لاله الله وتحقيق القول فيه ان نفي الاله تعطيل محض واثبات اكثر من الله الواحد تشريك وتشبيه وهما مذمومان والعدل هو اثبات الاله الواحد وهو قول لاله الله (وثانيها) ان القول بأن الاله ليس بموجود ولا شئ تعطيل محض والقول بانه جسم وجوه ومركب من الاعضاء ومختص بالمكان تشبيه محض والعدل اثبات الله موجود متحقق بشرط ان يكون منزها عن الجسمية والجوهرية والاعضاء والاجزاء والمكان (وثالثها) ان القول بان الاله غير موصوف بالصفات من العلم والقدرة تعطيل محض والقول بأن صفاته حادثة متغيرة تشبيه محض والعدل هو اثبات ان الاله عالم قادر حي مع الاعتراف بان صفاته ليست حادثة ولا متغيرة (ورابعها) ان القول بان العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبر محض والقول بان العبد مستقل بافعاله قدر محض وهما مذمومان والعدل ان يقال ان العبد يفعل الفعل لكن بواسطة قدرة وداعية بخلقهما الله تعالى فيه (وخامسها) القول بأن الله تعالى لا يؤخذ عبده على شئ من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه تعالى يجلد في النار عبده العارف بالعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل انه يخرج من النار كل من قال واعتقد انه لاله الله فهذه امثلة ذكرناها في رعاية معنى العدل في الاعتقادات واما رعاية العدل فيما يتعلق بافعال الجوارح فنذكر ستة امثلة منها (احدها) ان قوما من نفاة التكليف

تختصه (وقد جعلته الله عليكم

كفيلاً) شاهد اذ تباين الكفيل

مراع لحال المكفول به عاظم

عليه (ان الله يعلم ما تقولون)

من تقض الايمان والمهود فيجازيكم

على ذلك (ولا تكونوا) لئلا

تصنعون من التقض (كالسبي

تقصت غزلها) اى ما غزلته

مصدر بمعنى المفعول (من بعد

قوة) متعلق بنقض اى كالمراة

التي نقضت غزلها من بدار امه

واحكامه (أنكنا) طاقات

نكنت فقلها جمع نكت وانصاه

على الحالية من غزلها اولى انه

مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى

صيرت والمراد تفجيع حال

النقض بتشبيه النافض بمثل

هذه الخرقاء المغتوه قبل هى

ربطة بنسعد بن تيم وكانت

خرقاء اتخذت مغز لا قدر ذراع

وصنارة مثل اصبع وقلعة

عظيمة على قدرها فكانت تقول

هى وجواربها من الفداء الى

الظهور ثم تأمرهن فيفتقن

ما غزلن (تصدقون ايمانكم دخلا

بينكم) حال من الضمير فى لا تكونوا

او فى الجبار والجبرود الواقع

موقع انظر اى مشايين لامراة

شائها هذا حال كونكم مخذلين

اعانكم مفسدة ودخلا بينكم

واصل الدخلى ما يدخل الشئ

ولم يكن منه (ان تكون امه)

بان تكون جهامة (هى اربى)

اى ازيد عددا واوفر مالا (من

امه) من جماعة اخرى اى

لا تغدروا بكم وكثيرتكم وقلتهم

اولئك تمنا بدتهم وقوتهم كغريش

فانهم كانوا اذاروا وشوكة فى

أعادى حلفائهم نقضوا عهدهم

وحالفوا اعداءهم (انما يلوكم الله

به)

يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشئ من الطاعات ولا يجب عليه الاحتراز عن شئ من المعاصي وليس لله عليه تكليف اصلا وقال قوم من الهند ومن المانوية انه يجب على الانسان ان يحتب عن كل الطيبات وان يبالغ فى تعذيب نفسه وان يحتز عن كل ما يبلى الطبع اليه حتى ان المانوية ينحسون أنفسهم ويحتزون عن التزوج ويحتزون عن اكل الطعام الطيب والهند يحرقون أنفسهم ويرمون أنفسهم من شاهق الجبل فهذان الطريقان مذمومان والوسط المعتدل هو هذا الشرع الذى جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم (وثانيها) ان التشديد في دين موسى عليه السلام غالب جدا والتساهل في دين عيسى عليه السلام غالب جدا والوسط العدل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل كان شرع موسى عليه السلام في القتل العمد استيفاء القصاص لا محالة وفي شرع عيسى عليه السلام الغفوا ما فى شرعنا فان شاء استوفى القصاص على سبيل المائلة وان شاء استوفى الدية وان شاء عفا وايضا شرع موسى يقتضى الاحتراز العظيم عن المرأة حال حيضها وشرع عيسى يقتضى حل وطء الحائض والعدل ما حكم به شرعنا وهو انه يحرم وطؤها احترازاً عن التلطيح تلك الدماء الخبيثة اما لا يجب اخراجها عن الدار (وثالثها) انه تعالى قال وكذلك جعلناكم امة وسطا يعنى متباعدين عن طرفى الافراط والتفريط فى كل الامور وقال الذين اذا نفقوا لم يفسفوا ولم يفتروا وكان بين ذلك قواما وقالوا لنجعل يديك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها على البسط ولما بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العبادات قال تعالى طه ما نزلنا عليك القرآن لتشتق ولما أخذ قوم فى المساهلة قال أحسبتم انما خلقناكم عبثا والمراد من الكل رعاية العدل والوسط (ورابعها) ان شريعنا امرت بالختان والحكمة فيه ان رأس ذلك العضو جسم شديد الحس ولاجله عظم الالتذاذ عند الوقاع فلو بقيت تلك الجلد على ذلك العضو بقى ذلك العضو على كمال القوة وشدة الاحساس فبعظم الالتذاذ اما اذا قطعت تلك الجلد بقى ذلك العضو عاريا فبلى الشباب وسائر الاجسام فيتصلب ويضعف حسه ويقل شعوره فيقل الالتذاذ بالوقاع فتقل الرغبة فيه فكان الشريعة انما امرت بالختان سعيا فى تقليل تلك اللذة حتى يصير ميل الانسان الى قضاء شهوة الجماع الى حد الاعتدال وان لا تصير الرغبة فيه غالبية على الطبع فالأخصاء وقطع الآلات على ما تذهب اليه المانوية مذموم لانه افراط وابقاء تلك الجلد مبالغة فى تقوية تلك اللذة والعدل الوسط هو الاتيان بالختان فظهر بهذه الامثلة ان العدل واجب الرعاية فى جميع الاحوال ومن الكلمات المشهورة قولهم وبالعدل قامت السموات والارض ومعناه ان مقادير العناصر لو لم تكن متعادلة متكافئة بل كان بعضها ازيد بحسب الكمية وبحسب الكيفية من الآخر لاستولى الغالب على المغلوب وهى المغلوب وتقلب الطبائع كماها الى طبيعة الجرم الغالب ولو كان بعد الشمس من الارض اقل مما هو الا لعلظمت السخونة فى هذا العالم واحترق كل ما فى هذا العالم

اي بأن نكون امة ابرى من امة اي لعالمكم بذلك معاملة من تخبركم لينظروا عثمكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله عليه السلام ام تعترون بكونه قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) حين جازاكم بأعمالكم ثوابا وعقابا (ولوشاء الله) مشيئة قمر والجملة (لجللكم امة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن) لا يشاء ذلك لكونه مزاحم القضية للحكمة بل (يفضل من يشاء) اضلاله اي يضل في الضلال حسبا يصرف اختياره الجرنى اليه (ويبدى من يشاء) هدايته حسبا يصرف اختياره الى تعذيبها (ولتأسن) جميعا يوم القيامة (عما كنتم تعملون) في الدنيا وهذا اشارة الى الوحي من الكسب الذي عليه يدور امر الهداية والضلال (ولا تتخذوا) (إيمانكم دخلا بينكم) تصريح بالنهي عنه بعد التضييق تأكيد ومبالغة في بيان قبح المعنى عنه ومهيدا لقوله سبحانه (أنزل قدم) من حجة الحق (بعد نبوتها) عليها ورسوخها فيها بالإيمان وافراد القدم وتنكيرها للابتنان بأن زلزل قدم واحدة اي قدم كانت هزت او هانت بمحذور عظيم فكيف بأقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) اي العذاب الدنيوي (بما صدقتم) بصدوقكم او بصدق غيركم (من سبيل الله) الذي ينظم الوفاء بالعهود والإيمان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم) في الآخرة (عذاب عظيم)

ولو كان بدمها ازديما هو الآن لاستولى البرد والجود على هذا العالم وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطئها فان الواحد منها لو كان ازديما هو الآن لو كان انقص بما هو الآن لاختلت مصالح هذا العالم فظهر بهذا السبب الذي ذكرناه صدق قولهم وبالعدل قامت السموات والارض فهذه اشارة مختصرة الى شرح حقيقة العدل واما الاحسان فاعلم ان الزيادة على العدل قد تكون احسانا وقد تكون اساءة مثاله ان العدل في الطاعات هو اداء الواجبات اما الزيادة على الواجبات فهي ايضا طاعات وذلك من باب الاحسان وبالجملة فالمبالغة في اداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية هو الاحسان والدليل عليه ان جرير لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان قال الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فان قالوا لم سمي هذا المعنى بالاحسان قلنا كانه بالمبالغة في الطاعة يحسن الى نفسه ويوصل الخير والفعل الحسن الى نفسه والحاصل ان العدل عبارة عن انقدر الواجب من الخيرات والاحسان عبارة عن الزيادة في تلك الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية وبحسب الدواعي والصوارف وبحسب الاستغراق في شهود مقامات العبودية والربوبية فهذا هو الاحسان واعلم ان الاحسان بالتفسير الذي ذكرناه دخل فيه التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله ومن الظاهر ان الشفقة على خلق الله اقسام كثيرة واشرفها واجلها صلة الرحم لاجرم انه سبحانه افرده بالذكر فقال وابتاه ذى القربى فهذا تفصيل القول في هذه الثلاثة التي امر الله تعالى بها واما الثلاثة التي نهى الله عنها وهي الفحشاء والمنكر والبغى فقول انه تعالى أودع في النفس البشرية قوى اربعة وهى الشهوانية البهيمية والفضبية السبعية والوهيمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه القوة الاربعة اعنى العقلية الملكية لا يحتاج الانسان الى تأديبها وتهذيبها لانها من جواهر الملائكة ومن نتائج الارواح القدسية العلوية انما يحتاج الى التأديب وتهذيب تلك القوى الثلاث الاولى اما القوة الشهوانية فهي انما ترغب في تحصيل اللذات الشهوانية وهذا النوع مخصوص باسم الفحشاء لا ترى انه تعالى سمي الزنا فاحشة فقال انه كان فاحشة وساء سبيلا فقوله تعالى وينهى عن الفحشاء المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة عن اذن الشريعة واما القوة الفضبية السبعية فهي ابدأ تسعى في ايصال الشر والبلاء والابناء الى سائر الناس ولا شك ان الناس يتكبرون تلك الحالة فللنكر عبارة عن الافراط الحاصل في آثار القوة الفضبية واما القوة الوهيمية الشيطانية فهي ابدأ تسعى في الاستعلاء على الناس والترفع وازدهار الرئاسة والتقدم وذلك هو المراد من البغى فانه لاعمى لبغى الا لتناول على الناس والترفع عليهم فظهر بما ذكرنا ان هذه الالفاظ الثلاثة منطبقة على احوال هذه القوى الثلاث ومن المصائب في هذا الباب ان العقلاء قالوا اخس هذه القوى الثلاثة هى الشهوانية واوسطها الفضبية واعلاها الوهيمية والله

ولا تشربوا بعهده الله) اي
لا تأخذوا بعهده تعالى
وبيعه رسوله عليه السلام
اواياته النافذة بإيجاب المحافظة
على العهود والايان (ثم انقلبوا)
اي لا تستبدلوا بها عرضا يسيرا
وهوما كانت قريش يعدون
ضعفة المسلمين ويشترطون لهم
على الارتداد من حطام الدنيا
(ان ما عند الله) عز وجل من
النصر والتغنيم والثواب
الاخروي (هو خير لكم) مما
يعدونكم (ان كنتم تعلمون) اي
ان كنتم من اهل العلم والتحيز
وهو تمثيل لله على طريقة
التحقيق كما ان قوله تعالى
(ما عندكم) تمثيل للتبعية
بطريق الاستئناف ما تخشون به
من نعيم الدنيا وان جل بل
الدنيا وما فيها جيبا (يبدد)
وان جرد عدده ويقتضي وان
طال أمده (وما عند الله) من
خير ان رحمة الدينوية والاخرية
(باق) لا نقادله اما الاخرية
قطاهرة ولما الدينوية لمحيث
كانت موصولة بالاخرية
ومستترة لها فقد انتظمت في
سبط الباقيات الصالحات وفي
اينار الاسم على صفة المضارع
من الدلالة على الدوام مالا
يخفى وقوله تعالى (ولنجزي)
بنون النظمة على طريقة
الانفلات تكرير للوعود المستفاد
من قوله تعالى ان ما عند الله هو
خير لكم على نفع التوكيد القسبي
مبالغة في الجمل على الثبات
في الدين والانفلات عما يقتضيه
ظاهر الحال من ان يقال
ولنجزيكم اجرهم بأحسن

تعالى راعى هذا الترتيب فبدأ بالفحشاء التي هي نتيجة القوة الشهوانية ثم بالمنكر الذي هو
نتيجة القوة الغضبية ثم بالبغى الذي هو نتيجة القوة الوهمية فهذا ما وصل اليه عقلي
وخطري في تفسير هذه الالفاظ فان بك صوابا في الرحمن وان بك خطأ فني ومن الشيطان
والله ورسوله عنه بريثان والحمد لله على ما خصنا بهذا النوع من الفضل والاحسان انه
المالك الديان ثم قال تعالى يعظكم لعلكم تذكرون والمراد بقوله تعالى يعظكم امره تعالى
بتلك الثلاثة ونهيهم عن هذه الثلاثة لعلكم تذكرون وفيه مستلذان (الاولى) انه تعالى لما
قال في الآية الاولى وتزلنا عليك الكتاب تبانا لكل شيء اردفه بهذه الآية مشتملة على
الامر بهذه الثلاثة والنهي عن هذه الثلاثة كان ذلك تبنيها على ان المراد بكون القرآن
تبانا لكل شيء هو هذه التكاليف الستة وهي في الحقيقة كذلك لان جوهر النفس من
زمرة الملائكة ومن نتائج الارواح العالية القدسية الا انه دخل في هذا العالم خالبا عاريا
عن التعلقات فلكل الثلاثة التي امر الله بها هي التي ترقبها بالمعارف الالهية والاعمال
الصالحة وتلك المعارف والاعمال هي التي ترقبها الى عالم الغيب وسرادات القدس
وبجواردة الملائكة المقربين في جوار رب العالمين وتلك الثلاثة التي نهى الله عنها هي التي
تصددها عن تلك السعادات وتمنعها عن الفوز بتلك الخيرات فلما امر الله تعالى بتلك
الثلاثة ونهى عن هذه الثلاثة قدره على كل ما يحتاج اليه المسافرين من عالم الدنيا الى
مبدأ عرصة القيامة (المسئلة الثانية) قال الكسبي الآية تدل على انه تعالى لا يخلق الجور
والفحشاء وذلك من وجوه (الاول) انه تعالى كيف ينهاهم عما يخشونه فيهم وكيف ينهى
عما يريد تحصيله فيهم ولو كان الامر كما قالوا لكان كانه تعالى قال ان الله يأمركم
ان تفعلوا خلاف ما خلقه فيكم وينهاكم عن افعال خلقها فيكم ومعلوم ان ذلك باطل في
بنية العقل (الثاني) انه تعالى لما امر بالعدل والاحسان واتمذى القربى ونهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى فلوانه تعالى امر بتلك الثلاثة ثم انه ما فعلها لدخل تحت قوله
اتأمرون الناس بالبر وتسئون انفسكم وتحت قوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند
الله ان تقولوا ما لا تفعلون (الثالث) ان قوله لعلكم تذكرون ليس المراد منه الترحي
والتنبي فان ذلك محال على الله تعالى فوجب ان يكون معناه انه تعالى يعظكم
لارادة ان تذكروا طاعته وذلك يدل على انه تعالى يريد الايمان من الكل
(الرابع) انه تعالى لو صرح وقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان واتمذى القربى
ولكنه يمنع منه ويصد عنه ولا يمكن العبد منه ثم قال وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى ولكنه يوجد لكل هذه الثلاثة في العبد شاء ام ابى واراده منه ومنعه من
تركه ومن الاحتراز عنه لحكم كل احد عليه بالركاكة وفساد النظم والترتيب وذلك يدل
على كونه سبحانه متعابا عن فعل القبائح واعلم ان هذا النوع من الاستدلال كثير وقد
مر الجواب عنه والمحمد في دفع هذه المشاغبات التعويل على سؤال الداعي وسؤال العلم

ما كنتم تعملون للتوسل الى
العرض لا عملهم والاشعار بعليتها
الجزاء اى والله لنجزين (لذين
صبروا) على اذية المشركين
ومشاق الاسلام التى من جلبها
الوفاء بالعهد والفقير وفري
البلاء من غير النفاق (اجرهم)
مفعول ثان لنجزين اى لنعطيهم
اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم
على ما منوا به من الامور المذكورة
(باحسن ما كانوا يعملون) اى
لنجزينهم بما كانوا يعملونه من
الصبر المذكور وانما اضاف اليه
الاحسن للاشارة بكمال حسنه كما
في قوله سبحانه وحسن ثواب
الاسترة لافادة قصر الجزاء
على الاحسن منه دون الحسن
فان ذلك مما لا يحظر بيان احد
لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او
لنجزينهم بحسب احسن افراد
اعمالهم على معنى لنعطيهم
بمقابلة الفرد الاذى من اعمالهم
المذكورة مانفطيه بمقابلة
الفرد الاعلى منها من الاجر
الجزيل لاننا نعطى الاجر بحسب
افرادها المتفاوتة في مراتب
الحسن بان تجزى الحسن منها
الاجر الحسن والاحسن
بالاحسن وفيه ما لا يخفى من
العدالة الجلية باعتقار ما عسى
يعتريهم في تضاعيف الصبر من
بعض جرع ونظمه في سلك الصبر
الجليل ولنجزينهم مجزاء احسن
من اعمالهم واما التفسير بما
ترجم فله من اعمالهم كالواجبات
والمنهوبات وما تترجم تركه ايضا
كالجرمات والمكروهات دلالة
على ان ذلك هو المدارج لاجل دون

والله اعلم (المسئلة الثالثة) اتفق المتكلمون من اهل السنة ومن المعتزلة على ان تذكر
الاشياء من فعل الله لا من فعل العبد والدليل عليه هو ان التذكر عبارة عن طلب التذكر
فحال الطلب اما ان يكون له به شعور أو لا يكون له به شعور فان كان له شعور فذلك التذكر
حاصل والحاصل لا يطلب تحصيله وان لم يكن له به شعور فكيف يطلبه بعينه لان توجيه
الطلب اليه بعينه حال ما لا يكون هو بعينه متصورا محال اذا ثبت هذا فقول قوله لعلمكم
تذكرون معناه ان المقصود من هذا الوعد ان يقدموا على تحصيل ذلك التذكر فاذا لم
يكن التذكر فعلا له فكيف يطلب منه تحصيله وهذا هو الذى يتخرج به اصحابنا على ان قوله
تعالى لعلمكم تذكرون لا يدل على انه تعالى يريد منه ذلك والله اعلم قوله تعالى (واوفوا بعهد
الله اذا عاهدتم ولا تقضوا اليمان بعدوكم الله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم
ما تفعلون ولا تكونوا كالتى تقضت غزلبا من بعد فوة انكنا تفكذون ايمانكم دخلنا
بينكم ان تكون امه هي اربى من امه انما يلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم
فيه تختلفون) اعلم انه تعالى لما جمع كل الامورات والمنهيات في الآية الاولى على سبيل
الاجال ذكر في هذه الآية بعض تلك الاقسام فبدأ تعالى بالامر بالوفاء بالعهد وفي الآية
مسائل (المسئلة الاول) ذكر وفى تفسير قوله بعهد الله وجوها (الاول) قال صاحب
الكشاف عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يدا الله فوق ايديهم اى ولا تقضوا ايمان البيعة بعد توكيدها
اى بعد توثيقها باسم الله (الثاني) ان المراد منه كل عهد يلتزمه الانسان باخضاره قال ابن
عباس والوعود من العهد وقال يمون بن مهران من عاهدته وف بعهد مسلما كان
أو كافرا فانما العهد لله تعالى (الثالث) قال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في
الاموال من حق (الرابع) عهد الله هو الميثان بالله وقال هذا القائل انما يجب الوفاء باليمين
اذا لم يكن الصلاح في خلافه لانه عليه السلام قال من حلف على عين ورأى غير ما خيرا منها
فليأت الذى هو خير ثم ليكفر (الخامس) قال القاضى العدينى ول كل امر يجب الوفاء
بمقتضاه ومعلوم ان ادلة العقل والسمع اوكد في لزوم الوفاء بما دلتان على وجوبه من
اليمين ولذلك لا يصح في هذين الدليلين التفرق الاختلاف ويصح ذلك في اليمين وبما دلت
فيه خلاف الوفاء ولقائل ان يقول انه تعالى قال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم فهذا يجب
ان يكون مختصا بالعهود التى يلتزمها الانسان باختيار نفسه لان قوله اذا عاهدتم يدل
على هذا المعنى وحينئذ لا يبق المعنى الذى ذكره القاضى معتبرا ولا تعالى قال في آخر
الآية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا وهذا يدل على ان الآية واردة فيمن آمن بالله
والرسول وايضا يجب ان لا يحمل هذا العهد على اليمين لانا لو حملناه عليه لكان قوله بعد
ذلك ولا تقضوا اليمان بعد توكيدها تكرارا لان الوفاء بالعهد والمنع من النقص
متقاربان لان الامر بالفعل يستلزم التمسك بالعهود المتقاربان لان الوفاء بالعهد عام

ما يستوى فعله وتركه كالمباحات
فلا يساعده مقام الحث على الثبات
على ما هم عليه من الاعمال الحسنة
المخصوصة والتغيب في تحصيل
ثمراتها بل التعرض لاجرا
بعض اعمالهم عن مدارية الجزاء
من قبيل تحجير الرحمة الواسعة
في مقام توسيع سهاها (من عمل
صالحا) اى علا صالحا اى عمل
كان وهذا شروع في تعريف كافة
المؤمنين على كل عمل صالح غيب
ترغيب طائفة منهم في الثبات على
ما هم عليه من عمل صالح مخصوص
دفعاً لثوبهم اختصاص الاجر
الموفور بهم ويعلمهم المذكور
وقوله تعالى (من ذكر اوائى)
مبالغة في بيان شموله لكل (وهو
مؤمن) قيده بما اذا اعتداده اعمال
الكفيرة في استحقاق الثواب او
تخفيف العذاب لقوله تعالى
وقدنا الى ما عملوا من عمل فيعلمناه
هباء منثورا وينار ايراد بالجملة
الاسمية الحالية على نظمها في سلك
الصلة لافادة وجوب دوامه
ومقارنته للعمل الصالح (فليحبه
حياة طيبة) في الدنيا يعيش عيشا
طيبا اما ان كان موسرا فظاهر
واما ان كان مصرا فيطيب
عيشه بالقناعة والرضا بالقصة
وتوقع الاجر العظيم كالصائم
يطيب نهاره بملاحظة نعم الله
بخلاف الفاجر فانه ان كان مصرا
فظاهر وان كان موسرا فلا بد
الحرص من خوف القوات ان يتها
ببعضه (وليعزيبهم) في الآخرة
(اجرهم) ما حسن ما كانوا يعملون
حسبا تغفل بالصابرين فيسب فيه
شائبة تكرار والجمع في الجمع
في الضمائر العائدة

فدخل تحته اليقين ثم انه تعالى خص اليقين بالذكر تنبيها على انه اولى انواع العهد
بوجوب الرعاية وعند هذا نقول الاولى ان يحمل هذا العهد على ما يلتزمه الانسان
باختياره ويدخل فيه المباينة على الايمان بالله وبرسوله ويدخل فيه عهد الجهاد وعهد
الوفاء بالمقررات من المنذورات والاشياء التي اكدها بالخلف واليقين وفي قوله ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها مباحث (الاول) قال الزجاج يقال وكدت وكدت واكدت لغنان
جيدتان والاصل الواو والهزة بدل منها (البحث الثاني) قال اصحاب ابى حنيفة رحمه الله
يعين القوهى بين الغموس والدليل عليه انه تعالى قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
فتبى في هذه الآية عن نقض الايمان فوجب ان يكون كل يعين قابلا للبر والحنث
وبين الغموس غير قابلا للبر والحنث فوجب ان لا تكون من الايمان واحتج الواحدى
بهذه الآية على ان يعين القوهى قول العرب لا والله وبلى والله قال انما قال تعالى بعد
توكيدها للفرق بين الايمان المؤكدة بالعزم وبالعقد وبين لغو اليقين (البحث الثالث)
قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص لاننا انما دل على انه
متى كان الصلاح في نقض الايمان جاز نقضها ثم قال وقد جعلتم الله عليكم كفيلا هذه او
الحال اى لا تنقضوها وقد جعلتم الله كفيلا عليكم بالوفاء وذلك ان من حلف بالله تعالى
فكأنه قد جعل الله كفيلا بالوفاء بسبب ذلك الحلف ثم قال ان الله يعلم ما تفعلون وفيه
ترغيب وترهيب والمراد فيما يزكم على ما تفعلون ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم انه تعالى
أكد وجوب الوفاء وتحريم النقض وقال ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة
انكاثا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في المشبهه قولان (الاول) انها امرأة من قريش
يقال لها رابطة وقيل ربطة وقبل تلقب جعراء وكانت حقاء تغزل الغزل هى وجوارها
فاذا غزلت وارتمت امرتهن فنقض ماغزلن (والقول الثانى) ان المراد بالثلث الوصف
دون التعيين لان القصد بالامثال صرف المكلف عنه اذا كان قبيحا والدماء اليه اذا كان
حسنا وذلك يتم به من دون التعيين (المسئلة الثانية) قوله من بعد قوة اى من بعد قوة
الغزل بابرماها وقتلها (المسئلة الثالثة) قوله انكاثا قال الازهرى واحدها نكثت وهو
الغزل من الصوف والشعر يرم وينسج فاذا احكمت النسيجة قطعها ونكثت خيوطها
المبرمة ونكثت تلك الخيوط وخلطت بالصوف ثم غزلت ثانية والنكث المصدر ومنه يقال
نكث فلان عهده اذا نقضه بعد احكامه كما نكث خيط الصوف بعد ابرامه (المسئلة
الرابعة) في انتصاب قوله انكاثا وجوه (الاول) قال الزجاج انكاثا منصوب لانه بمعنى
المصدر لان معنى نكثت نقضت ومعنى نقضت نكثت وهذا غلط منه لان الانكاث جمع
نكثت وهو اسم لاصدر فكيف يكون قوله انكاثا بمعنى المصدر (الثانى) قال الواحدى
انكاثا مفعول ثان كما تقول كسره اقطاما وفرقه اجزاء على معنى جعله اقطاما واجزاء
فكذا ههنا قوله نقضت غزلها انكاثا اى جعلت غزلها انكاثا (الثالث) ان قوله انكاثا

الى الموصول لمرأاة جانب
المعنى كما ان الافراد فيما سلف
رعاية جانب النظم وياتر ذلك
على العكس لما ان وقوع الجزاء
بطريق الاجتماع المناسب للجمعية
وووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب
عليه بطريق الافتراق والتعاقب
اللائم للافراد واذ قد انتهى الامر
الى ان مدار الجزاء المذكور هو
صلاح العمل وحسنه ورتب عليه
بالنظام الارشاد الى ما يحسن العمل
الصالح ويخلص من شوب الفساد
تقيل (فاذا قرأت القرآن) اي
اذا اردت قرآنه عبر بها عن
ارادتها على طريقة اطلاق اسم
السبب على السبب اذ بان
المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة
(فاستعذ بالله) فاسأله عن جواره
ان يعيذك (من الشيطان الرجيم)
من وسوسه وخطراته كي لا
يوسوسك عند القراءة فان له همة
بذلك قال تعالى وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبى الا اذا
تمنى الى الشيطان في امنيه الآيه
وتوجيه الخطاب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتخصيص
قراءة القرآن من بين الاعمال
الصالحة بالاستعاذه عند ارادتها
لتنبيه على انها القبره عليه الصلاة
والسلام وفي سائر الاعمال الصالحة
اهم فانه عليه السلام حيث امر
بها عند قراءة القرآن الذى
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه فهاظنك بمن عداه عليه
السلام فيما عدا القراءة من
الاعمال والامر للندب وهذا
مذهب الجمهور وعند عطاء
الوجوب وقد اخذ بظاهر النظم
الكريم قاسمنا عقيب

حال مؤكدة (المسئلة الخامسة) قال ابن قتية هذه الآيه متصلة بما قبلها والتقدير
واوفوا بعهدهم الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فانكم ان فعلتم ذلك
كنتم مثل المرأة التي غرلت حزلا واحكمته فلما استحكم نقضته فجعلته انكاثا ثم قال تعالى
تخذون ايمانكم دخلا بينكم قال الواحدى الدخول والدغل الغش والخيانة قال الزجاج
كل ما دخله عيب قيل هو مدخول وفيه دخل وقال غيره الدخول ما دخل في الشيء على
فساد ثم قال ان تكون امة هي اربى من امة اربى اى اكثر من ربا الشيء ربوا اذا زاد
وهذه الزيادة قد تكون في العدد وفي القوة وفي الشرف قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء
ثم يجردون من كان اعز منهم واشرف فينضون حلف الاولين ويحالفون هؤلاء الذين هم
اخر فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقوله ان تكون معناه انكم تخذون ايمانكم دخلا بينكم
بسبب ان تكون امة اربى من امة اربى في العدد والقوة والشرف فقوله تخذون ايمانكم
دخلا بينكم استفهام على سبيل الانكار والمعنى أن تخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب
ان امة ازيد في القوة والكثرة من امة اخرى ثم قال تعالى انما يلو كالله به اى بما امركم
وبنهاكم وقد تقدم ذكر الامر والنهي وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون
فيميز الحق من البطل بما يظهر من درجات الثواب والعقاب والله اعلم قوله تعالى
(ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتستأنس عسا
كنتم تعملون) اعلم انه تعالى لما كلف القوم بالوفاء بالعهد وتحريم نقضه اتباعه ببيان انه
تعالى قادر على ان يجمعهم على هذا الوفاء وعلى سائر ابواب الايمان ولكنه سبحانه
بحكم الالهية يضل من يشاء ويهدى من يشاء اما المعتزلة فانهم جعلوا ذلك على الاجزاء
لو اراد ان يجمعهم الى الايمان او الى الكفر لقد رعلية الا ان ذلك يطل التكليف فلا جرم
ما لجأهم اليه وفوض الامر الى اختيارهم في هذه التكليف واما قول اصحابنا فيه فهو
ظاهر وهذه المناظرة قد تكررت مرارا كثيرة وروى الواحدى ان عن ابي قال يارب
خلقت الخلق ففضل من تشاء وتهدى من تشاء فقال يا عزير اعرض عن هذا فأعاده ثانيا
فقال اعرض عن هذا فأعاده ثالثا فقال اعرض عن هذا والاعوذ اسمك من التوبة
قالت المعتزلة وما يدل على ان المراد من هذه المشيئة مشيئة الاجزاء انه تعالى قال بعده
ولتستأنس عما كنتم تعملون فلو كانت اعمال العباد مخلوق الله تعالى لكان سؤالهم عنها
عبثا والجواب عنه متسبب مراروا الله تعالى اعلم قوله تعالى (ولا تخذوا ايمانكم دخلا
بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم
ولا تاتشروا بعهد الله ثمنا قليلا ان ما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعملون ما عندكم بنفد
وما عند الله باق ولنجزي الذين صبروا اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالح
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا
يعملون) اعلم انه تعالى لما حذر في الآيه الاولى عن نقض العهود والايمان على

القرية ابو هريرة رضى الله تعالى عنه ومالك وابن سيرين وداود وحسن بن القراء وعن ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسمع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأ به جبريل عليه السلام عن القلم من اللوح المحفوظ (انه) الضمير للشان وللشيطان (ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربه) يتوكلون (اي اليه يفوضون) امورهم وبه يعوذون في كل ما يؤمن وما يذرون فان وسوسه لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم واينار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستقرار الجدي وفي الترمض لوصف الربوبية عدة كريمة باعادة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة والجواب له النوى اي يذرك وانحوه (انما سلطان) اي تسلطه وولايته بدعوته المستجابة للاستجابة لاسلطانه بالقصر والالغاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنهما كان لي عليكم من سلطان الان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى (على الذين يتولونه) اي يقضونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المفسور يعمد من ذلك (والذين هم به) سبانه وتعالى (مشركون) اوبسب الشيطان مشركون اذ هو الذي جعلهم

الاطلاق حذر في هذه الآية فقال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم وليس المراد منه التحذير عن نقض مطلق الايمان والازم التكرير الخالي عن الفائدة في موضع واحد بل المراد نهى اولئك الاقوام المخاطبين بهذا الخطاب عن نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها فلذلك المعنى قال المفسرون المراد من هذه الآية نهى الذين يابعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقض عهده لان هذا الوعيد وهو قوله فقل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد قبله وانما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وشرائعه وقوله فقل قدم بعد ثبوتها مثل يذكر لكل من وقع في بلاء بعد عاقبة ومحنة بعد نعمة فان من نقض عهد الاسلام فقد سقط عن الدرجات العالية ووقع في مثل هذه الصلاة ويدل على هذا قوله تعالى وتذوقوا السوء اي العذاب بما صدتم اي بصدكم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم اي ذلك السوء الذي تذوقونه سوء عظيم وعقاب شديد ثم اكد هذا التحذير فقال ولا تشعروا بعهد الله ثمنا قليلا يريد عرض الدنيا وان كان كثيرا الا ان ما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون يعني انكم وان وجدتم على نقض عهد الاسلام خيرا من خيرات الدنيا فلا تتلفوا اليه لان الذي اعد الله تعالى على البقاء على الاسلام خير وافضل واكمل مما تجدونه في الدنيا على نقض عهد الاسلام ان كنتم تعلمون التفاوت بين خيرات الدنيا وبين خيرات الآخرة ثم ذكر الدليل القاطع على ان ما عند الله خير مما يجدونه من طيات الدنيا فقال ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفيه بختان (الاول) الحسن شاهد بأن خيرات الدنيا منقطعة والعقل دل على ان خيرات الآخرة باقية والباقي خير من المنقطع والدليل عليه ان هذا المنقطع اما ان يقال انه كان خيرا عاليا شريفا او كان خيرا دنيا خيسا فان قلنا انه كان خيرا عاليا شريفا فالعالم بأنه سيقطع يجعله منفصا حال حصوله واما حال حصول ذلك الانقطاع فانها تعظم الحسرة والحزن وتكون تلك النعمة العالية الشريفة كذلك ينقص فيها ويقلل مرتبتها وتفتقر الرغبة فيها واما قلنا ان تلك النعمة المنقطعة كانت من الخيرات الخيسية فهما من الظاهر ان ذلك الخير الدائم وجب ان يكون افضل من ذلك الخير المنقطع ثبت بهذا ان قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق برهان قاطع على ان خيرات الآخرة افضل من خيرات الدنيا (البحث الثاني) ان قوله وما عند الله باق يدل على ان نعم اهل الجنة باقية لا تنقطع وقال جمهور من صفوان انه منقطع والآية حجة عليه واعلم ان المؤمن اذا آمن بالله فقد التزم شرائع الاسلام والايمان وحينئذ يجب عليه امران (احدهما) ان يصبر على ذلك الالتزام وان لا يرجع عنه وان لا ينقضه بعد ثبوته (والثاني) ان يأتى بكل ما هو من شرائع الاسلام ولوازمه اذ اعرفت هذا فقول انه تعالى رغب المؤمنين في القسم الاول وهو الصبر على ما التزموه فقال ولنجزي الذين صبروا اي على ما التزموه من شرائع الاسلام بأحسن ما كانوا يعملون اي نجزيهم على احسن اعمالهم وذلك لان المؤمن قديما

على الاشارة بالله سبحانه وقصر

سلطانه عليهم غب فيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولى الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم وان لم يتوكل عليه تعالى ينظم في ذلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل فيه بمبالغة في الخلل على التوكل والتخدير عن مقابله واينار الجمة الغلبة الاختيالية في الصلة الاولى للامر من افادة الاستمرار الجدي كما ان اختيار الجمة لاسية في الثانية للدلالة على التمسك وتكبير الوصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركون من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية القارنة بينهما وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولوروى الترتيب السابق لانفصل كل من الفريقين عما يقابلها (واذا بدلنا آية مكان آية) اي اذا لزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلانها بان نضعها بها (والله اعلم بما ينزل) اولاً وآخر اوبان كلامنا ذلك ما زلت حثيثاً نزلت الاحكام تقتضيه الحكمة والصلحية فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الاخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لا تغلب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للبعد في الماش والمعاد تدور حسب تدور المصالح والجملة

بالمباحات وبالمندوبات وبالواجبات ولا شك انه على فعل المندوبات والواجبات يثاب لا على فعل المباحات فهذا قال ونجيزن الذين صبروا اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ثم انه تعالى رغب المؤمنين في القسم الثاني وهو الاتيان بكل ما كان من شرائع الاسلام فقال من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وفي الآية سوالات (السؤال الاول) لفظه من في قوله من عمل صالحا تفيد العموم فما الفائدة في ذكر الذكر والانثى والجواب ان هذه الآية لا وعد بالخيرات والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتاً لتأكيد ازالة لوهم الخصيص (السؤال الثاني) هل تدل هذه الآية على ان الايمان مغاير للعمل الصالح والجواب نعم لانه تعالى جعل الايمان شرطاً في كون العمل الصالح موجباً للثواب وشرط الشيء مغاير لذلك الشيء (السؤال الثالث) ظاهر الآية يقتضي ان العمل الصالح انما يفيد الاثر بشرط الايمان فظاهر قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره يدل على ان العمل الصالح يفيد الاثر سواء كان مع الايمان او كان مع عدمه والجواب ان افادة العمل الصالح للحياة الطيبة مشروط بالايمان اما افادته لآخر غير هذه الحياة الطيبة وهو تخفيف العقاب فانه لا يتوقف على الايمان (السؤال الرابع) هذه الحياة الطيبة تحصل في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة والجواب فيه ثلاثة اقوال (الاول) قال القاضي الاقرب انها تحصل في الدنيا بدليل انه تعالى عقبه بقوله ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ولا شبهة في ان المراد منه ما يكون في الآخرة ولقائل ان يقول لا يبعد ان يكون المراد من الحياة الطيبة ما يحصل في الآخرة ثم انه مع ذلك وعدهم الله على انه انما يجزيهم على ما هو احسن اعمالهم فهذا الاستثناء فيه فان قيل بتقدير ان تكون هذه الحياة الطيبة انما تحصل في الدنيا فما هي والجواب ذكر وافي وجوها قيل هو الرزق الحلال الطيب وقيل عبادة الله مع اكل الحلال وقيل القناعة وقيل رزق يوم يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه فتعني بما رزقني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو اللهم اجعل رزقي آل محمد كفاً قال الواحدى وقول من يقول انه القناعة حسن مختار لانه لا يطيب عيش احد في الدنيا الا بعيش القانع واما الخريص فانه يكون ابداً في الكد والعناء * واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا طيب من عيش الكافر لوجوه (الاول) انه لما صرف ان رزقه انما حصل بتدبير الله تعالى وعرف انه تعالى بمحسن كريم لا يفعل الا الصواب كان راضياً بكل ما قضاه وقدره وعلم ان مصالحة ذلك اما الجاهل فلا يرضى بهذه الاصول فكان ابداً في الحزن والشقاء (وثانيها) ان المؤمن ابداً يستحضر في عقله انواع المصائب والحنن ويقدّر وقوعها وعلى تقدير وقوعها يرضى بها لان الرضا بقضاء الله تعالى واجب فعند وقوعها لا يستعظمها بخلاف الجاهل فانه يكون غافلاً عن تلك المعارف فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه (وثالثها) ان قلب المؤمن منشرح

امامتزة لتسويخ الكفرة والتنبية على فساد رأيهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المجتمع للصفات الملائكية من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او الحالية وقرئ بالتخفيف من الانزال (قالوا) اى الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ (انما انت مفتر) اى منقول على الله تعالى تأمر بشئ تميدوك فهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا لا يذنب بأن ذلك كفره ناشئة من زفت الشيطان وانه وليهم (بل اكثرهم لا يعلمون) اى لا يعلمون شيئا اصلا اولا يعلمون ان فى النسخ حكما بالغة واستناد هذا الحكم الى الاكثر ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا (قل نزه) اى القرآن المدلول عليه بالآية (روح القدس) يعنى جبريل عليه السلام اى الروح المطهر من الادناس البشرية وازضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للبالغة فى ذلك الوصف كانه طبع منه وفى صيغة التفعيل فى الموضعين اشعار بأن التدريج فى الانزال مماقتضيه الحكم البالغة (من ربك) فى اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق اقامته آثار الربوبية عليه صلى الله عليه وسلم ما ليس فى اصنافه الى اياه التكلم البلية على التلقين المحض (بالحق) اى ملتبنا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقه الانشاء ونحنا وفيه دلالة على ان النسخ

حق

نور معرفة الله تعالى والقلب اذا كان مملوا من هذه المعارف لم يسع لاحزان الواقعة بسبب احوال الدنيا اما قلب الجاهل فانه خال عن معرفة الله تعالى فلا جرم يصير مملوا من الاحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا (ورايها) ان المؤمن عارف بأن خيرات الحياة الجممانية خسيصة فلا يعظم فرحه بوجودها ونغمه بفقدانها اما الجاهل فانه لا يعرف سعادة اخرى تغايرها فلا جرم يعظم فرحه بوجودها ونغمه بفقدانها (وخامسا) ان المؤمن يعلم ان خيرات الدنيا واجبة التغير سريرة القلب فلو لا تغيرها وانقلابها لم تصل من غيره اليه واعلم ان ما كان واجبا للتغير فانه عند وصوله اليه لا يتقلب حقيقة ولا تبدل ماهيته فعند وصوله اليه يكون ايضا واجبا للتغير فعند ذلك لا يطبع العاقل قلبه عليه ولا يقيم له فى قلبه وزنا بخلاف الجاهل فانه يكون غافلا عن هذه المعارف فيطبع قلبه عليها ويعانقها معانقة العاشق لمشوقه فعند فوته وزواله يحترق قلبه ويعظم البلاء عنده فهذه وجوه كافية فى بيان ان عيش المؤمن العارف اطيب من عيش الكافر هذا كله اذا فسرنا الحياة الطيبة بأنها فى الدنيا (والقول الثانى) وهو قول السدى ان هذه الحياة الطيبة انما تحصل فى القبر (والقول الثالث) وهو قول الحسن وسعيد بن جبيران هذه الحياة الطيبة لا تحصل الا فى الآخرة والدليل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فلاقه فبين ان هذا الكدح باق الى ان يصل الى ربه وذلك ما قلناه واما بيان ان الحياة الطيبة فى الجنة فلا حياة بلاموت وغنى بلا فقر وصحة بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا شقاء ثبت ان الحياة الطيبة ليست الا تلك الحياة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقد سبق تفسيره والله اعلم **ف قوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)** اعلم انه تعالى لما قال قبل هذه الآية ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ارشد الى العمل الذى به تخلص اعماله من الوسوس فقال فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) الشيطان ساع فى القاء الوسوسة فى القلب حتى فى حق الانبياء بدليل قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الى الشيطان فى امتنيمه والاستعانة بالله مانعة للشيطان من القاء الوسوسة بدليل قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم بمصرفين فلهاذا السبب امر الله تعالى رسوله بالاستعانة عند القراءة حتى تبقى تلك القراءة مصونة عن الوسوسة (المسئلة الثانية) قوله فاذا قرأت القرآن خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم الان المراهبة الكل لان الرسول لما كان محتاجا الى الاستعانة عند القراءة فغير الرسول اولى بها (المسئلة الثالثة) الفاء فى قوله فاستعذ بالله للتقريب فظاهر هذه الآية يدل على ان الاستعانة بعد قراءة القرآن واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين قال الواحدى

(وهو)

(ليث الذين آمنوا) على الأيمان
بأنه كرمه تعالى فذهب انفسهم
الناصح وتديروا ما فيه من رعاية
المصالح الثلاثة بطل رحمت
عقائدهم واطمأنت قلوبهم
وقرى ليث من الافعال
(وعدى وبشرى للمسلمين)
المتقدين لحكمه تعالى وهما
معطوفان على محل ليث اي
ثبينا وهداية وبشارة وفيه
تمريض محمول عند الاور
لذلك كونه من سواهم من
الكفار (ولقد علم انهم يقولون)
غير ما قل عنهم من مخالفة الشهاد
(نما يله) أى القرآن (بشر)
على طريق البت مع ظهور انه زله
الروح القدس عليه الصلاة
والسلام وتحلية الجلة بفنون
التأكد لتحقيق ما تضمنه من
الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة
استمرار العلم بحسب الاستمرار
التجسدى في متعلقه فانهم
مستترون على قوه تلك العظيمة
يعنون بذلك جبر الروى غلام
عامرين الحضرى وقيل جبراً
ويسرا كانا يصنعان السيف
بكرة وقرآن التوراة والانجيل
وسكان الرسول عليه الصلاة
والسلام يمر عليهما ويجمع
ما يقرأه وقيل عامياً غلام
حويط بن عبد المزى قداسم
وكان صاحب كتب وقيل سلطان
الفارسى وانما يصرح باسم
من زعموا انه يطمع كونه دخل
في ظهور كذبهم للايمان بأن
مدار خطاهم ليس نسبته عليه
السلام الى العلم من شخص معين
بل من البشر كاشان كان مع
كونه عليه السلام مدناً معلوم
الاولين والآخرين (السان الذى

وهو قول ابن هريرة ومالك وداود قالوا والفائدة فيه انه اذا قرأ القرآن استحق به ثواباً
عظيماً فان لم يأت بالاستعاذة وقعت الوسوسة في قلبه وتلك الوسوسة تحبط ثواب القراءة
اما اذا استعاذ بعد القراءة اندفعت الوسواس ويبقى الثواب مصوناً عن الاحباط اما
الاكثر من علماء الصحابة والتابعين فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة
وقالوا معنى الآية اذا اردت ان تقرأ القرآن فاستعذ وليس معناه استعذ بعد القراءة
ومثله اذا اكلت نفل بسم الله واذا سافرت فأتاهب ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا اي اذا اردتم القيام الى الصلاة فاغسلوا وايضا لما ثبت ان الشيطان يلقى
الوسوسة في أثناء قراءة الرسول بدليل قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
الا اذا تمخى ألقى الشيطان في أمنيه ومن الظاهر انه تعالى انما أمر الرسول بالاستعاذة عند
القراءة لدفع تلك الوسواس فهذا المقصود انما يحصل عند تقديم الاستعاذة (المسئلة
الرابعة) مذهب عطاء انه يجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت القراءة في الصلاة
او غيرها وسائر الفقهاء اتفقوا على انه ليس كذلك لانه لا خلاف بينهم انه ان لم تعوذ قبل
القراءة في الصلاة فصلاه ماضية وكذلك حال القراءة في غير الصلاة لكن حال القراءة
في الصلاة أكد (المسئلة الخامسة) المراد بالشيطان في هذه الآية قبل ابليس والاقراب
انه للجنس لان جميع المردة من الشياطين حظاً في الوسوسة واعلم انه تعالى لما أمر رسوله
بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك يومه ان للشيطان قدرة على التصرف في ابدان
الناس فأزال الله تعالى هذا الوهم وبين انه لا قدر له البتة الاعلى الوسوسة فقال انه ليس
له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما هي اذا
حضر في قلب الانسان كونه ضعيفاً وانه لا يمكنه التحفظ عن وسوسة الشيطان الا بمعصية
الله تعالى ولهذا المعنى قال المحققون لاحول عن معصية الله تعالى الا بمعصية الله ولا قوة
على طاعة الله الا بتوفيق الله تعالى والتفويض الحاصل على هذا الوجه هو المراد من
قوله وعلى ربهم يتوكلون ثم قال انما سلطانه على الذين يتولونه قال ابن عباس يطيعونه
بقال توليه أى اطعته وتوليت عنه أى عرضت عنه والذين هم به مشركون الضمير
في قوله به الى ما ذابعود فيه قولان (الاول) انه راجع الى ربهم (والثاني) انه راجع الى
الشيطان والمعنى بسببه وهذا كما تقول للرجل اذا تكلم بكلمة مؤدية الى الكفر فكرت
بهذه الكلمة اي من اجلها فكذلك قوله والذين هم به مشركون اي من اجله ومن اجل
جله اباهم على الشرك بالله صاروا مشركين بقوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله
اعلم بما ينزل قالوا انما نت مفضل لا نهم لايملكون فلنزله روح القدس من ربك بالحق
ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) اعلم انه تعالى شرع من هذا الموضع في
حكاية شبهات منكرى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال ابن
عباس رضى الله عنهما كان اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية الى منها تقول كفار قريش

والله ما محمد الا يسخر بأصحابه اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه وما له لا يقول هذه الاشياء
الامن عند نفسه فأتزل الله تعالى قوله واذا بدلنا آية مكان آية ومعنى التبديل رفع الشيء
مع وضع غيره مكانه وتبديل الآية رفعها بآية أخرى غيرها وهو نسخها بآية سواها
وقوله والله اعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله اعلم بما ينزل من النسخ
والمسوخ والتغليظ والتخفيف اى هو اعلم بجميع ذلك في مصالح العباد وهذا توبيخ
للكفار على قوله انما انت مفترأى اذا كان هو اعلم بما ينزل فبالهم ينسبون محمد صلى
الله عليه وسلم الى الافتراء لاجل التبديل والنسخ وقوله بل اكثرهم لا يعلمون اى لا يعلمون
حقبة القرآن وفائدة النسخ والتبديل وان ذلك لصالح العباد كما ان الطيب يأمر
المريض بشربة ثم بعدمدة ينهأ عنها ويأمره بضد تلك الشربة وقوله قل تزل روح
القدس من ربك تفسير روح القدس مر ذكره في سورة البقرة وقال صاحب الكشاف
روح القدس جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود
وزيد الخير والمراد الروح القدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من الماء
ومن في قوله من ربك صلة للقرآن اى ان جبريل نزل القرآن من ربك ليشب الذين آمنوا
اى ليلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا حكم لهم بثبات القدم في الدين وصحة
اليقين بأن الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول
لهما معطوف على محل لثب والتقدير تثبتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بمحصل
اضداد هذه الصفات لغيرهم (المسئلة الثانية) قد ذكرنا ان مذهب ابي مسلم الاصفهاني ان
النسخ غير واقع في هذه الشريعة فقال المراد هنا اذا بدلنا آية مكان آية في الكتب
المنقذمة مثل انه حول القبله من بيت المقدس الى الكعبة قال المشركون انت مفتر في
هذا التبديل واماسائر المفسرين فقالوا النسخ واقع في هذه الشريعة والكلام فيه على
الاستقصاء مذكور في سائر السور (المسئلة الثالثة) قال الشافعي رحمه الله القرآن
لا ينسخ بالسنة واحتج على صحته بقوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية وهذا يقتضى ان
الآية لا تنسخ منسوخة الا بآية أخرى وهذا ضعيف لان هذه تدل على انه تعالى يدل
آية بآية أخرى ولادلالة فيها على انه تعالى لا يبدل آية الا بآية وايضا جبريل عليه السلام
قد ينزل بالسنة كما ينزل بالآية وايضا فالسنة فتكون مثبتة للآية وايضا فهذا
حكاية كلام الكفار فكيف يصح التعلق به والله اعلم ﷺ قوله تعالى (واقدن علم انهم
يقولون انما نعلمه بشر لسان الذى يحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ان الذين
لا يؤمنون بايات الله لا يدعهم الله ولهم عذاب اليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
بايات الله وأولئك هم الكاذبون) اعلم ان المراد من هذه الآية حكاية شبهة أخرى من
شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم كانوا يقولون ان محمدا انما يذكر
هذه القصص وهذه الكلمات لانه يستفيدا من افسان آخر ويعلمانه واخلطوا في

يلحدون اليه اعجمى (الاحاد
الامانة الحد النبوا اذا مال حفره
عن الاستقامة فحفر في شق منه
ثم استعمل لكل امال عن الاستقامة
فقالوا احدث فلان في قوله والحد
في دينه اى لغة الرجل الذى
يميلون اليه القول عن الاستقامة
اعجمية غريبة وقرئ بفتح الياء
والحاء وبتعريف اللسان (وهذا)
اى القرآن الكريم (لسان عربى
مبين) ذوبان وفصاحة
والجنان مستان لاطصال
طنهم وتقريره ان القرآن مجز
بنظمه كانه مجز بمعناه فان
زعم ان يشرا يعلم معناه فكيف
يعلم هذا النظم الذى اعجز جميع
اهل الدنيا والتثبت في انشاء
الطعن بأد يال امثال هذه
الخرافات الزكية دليل على كمال
عجزهم (ان الذين لا يؤمنون
بايات الله) اى لا يصدقون انما
من عند الله بل يقولون فيها
ما يقولون يسمونها آراء افتراء
واخرى اساطير مغلطة من البشر
(لا يدعهم الله) الى الحق اوالى
سبيل النجاة هداهم موصلة الى
المطلوب لما علم انهم لا يستحقون
ذلك لسوء حالهم (ولهم) في
الآخرة (عذاب اليم) وهذا
توبيخ لهم ووعد على ما هم عليه
من الكفر بايات الله تعالى
ونسبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر
بعد اماسة شتهم ورد طعنهم
وقوله تعالى (انما يفترى الكذب
الذين لا يؤمنون بايات الله)
ردت عليهم انما انت مفتر قلب
للاس عليهم ببيان انهم هم
المفترون بدمرهم بتحقيق

انه منزل من عند الله بواسطة روح القدس ونما وسط بينهما (٥٢١) قوله تعالى واقدنكم الآية لا يفي من شدة نصائحه بالرد الاول

وهذا البئر الذي نسب المشركون النبي صلى الله عليه وسلم الى التعمد قبل هو عبد بنى عامر بن اوى يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب وقيل عداس غلام عتيق بن ربيعة وقيل عبد بنى الحضرمي صاحب كتب وكان اسمه جبرا وكانت قريش تقول يقول عبد بنى الحضرمي بعلم خديجة وخديجة تعلم محمدًا وقيل كان بمكة نصراني اعجمي اللسان اسمه بلعام يقال له ابو ميرة يتكلم بالرومية وقيل لسان الفارسي وبالجملة فلا فائدة في تعدد هذه الاسماء والحاصل ان القوم اتهموه بأنه تعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يظهرها من نفسه ويزعم انه انا عرفها بالوحي وهو كاذب فيه ثم انه تعالى اجاب عنه بأن قال لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ومعنى الالحاد في اللغة الميل يقال لحدوا لحد اذا مال عن القصد ومنه يقال للعادل عن الحق لمحد وقرأ جزءه والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء والباقون بضم الياء وكسر الحاء قال الواحدي والاولى ضم الياء لانه لغة القرآن والدليل عليه قوله ومن يرد فيه بالحد بظلم والاحاد قد يكون بمعنى الامالة ومنه يقال الحدته لحد اذا حفرته في جانب القبر مثالا عن الاستواء وقبر المجدود والمحد ومنه الحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يله عن دين الى دين آخر وفسر الاحاد في هذه الآية بالقولين قال الفراء يملون من الميل وقال الزجاج يملون من الامالة اي لسان الذي يملون القول اليه اعجمي واما قوله اعجمي فقال ابو الفتح الموصلي تركيب ج ج م وضع في كلام العرب للابهام والاختفاء وضد البيان والابضاح ومنه قولهم رجل اعجم وامرأة عجماء اذا كانا لا يفهمان وعجم الذنب سمى بذلك لاستناره واختفائه والجمجمة العجمية لانها لا توضح ما في نفسها وسعوا صلاتي الظاهر والعصر عجميون لان القراءة حاصلة فيها بالسر لا بالظهر فأما قولهم اعجمت الكتاب فعناه ازلت عجمته وافعلت قدياتي والمراد منه الساب كقولهم اشكيت فلانا اذا ازلت ما يشكوه فهذا هو الاصل في هذه الكلمة ثم ان العرب تسمى كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بلسانهم اعجمي وعجمي قال الفراء واحدين يسمى الاعجمي الذي في لسانه عجمية وان كان من العرب والاعجمي والعجمي الذي اصله من العجم قال ابو علي الفارسي الاعجمي الذي لا يفصح سواء كان من العرب او من العجم الا ترى انهم قالوا زيادا ليعجم لانه كانت في لسانه عجمية مع انه كان عربيا واما معنى العربي واشتقاقه فقد ذكرناه عند قوله الاعراب اشد كفرا ونفاقا وقال الفراء والزجاج في هذه الآية يقال حرب لسانه عرابية وعروبة هذا تفسير الفاظ الآية واما تدوير وجه الجواب فاعلم انه انما يظهر اذا قلنا القرآن انما كان مجز المافية من الفصاحة العائدة الى اللفظ وكأنه قيل هب انه يعلم المعاني من ذلك الاعجمي الا ان القرآن انما كان مجز لما في الفاظه من الفصاحة فيقدر ان تكونوا صادقين في ان محمد صلى الله عليه وسلم يعلم تلك المعاني من ذلك الرجل لانه لا يقدح ذلك في المقصود اذا قلنا انما كان مجزا لفصاحته وما ذكرتموه لا يشدح في ذلك المقصود

ليان حال من كفر بايات الله بعدما آمن بها بعد بيان (٦٦) (را) (خا) حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها الرفع على

الإبتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه وهو خبر (٥٢٢) ليعلم ما عاود الغضب على الذم (الامن اكراه) على ذلك بأمر يخاف على

ولما ذكر الله تعالى هذا الجواب اردفه بالتهديد والوعيد فقال ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله اماتفسير اصحابنا لهذه الآية فظاهر وقال القاضي اقوى ما قيل في ذلك انه لا يهديهم الى طريق الجنة ولذلك قال بعده ولهم عذاب اليم والمراد انهم لما تركوا الايمان بالله لا يهديهم الله الى الجنة بل يسوقهم الى النار ثم انه تعالى بين كونهم كذا بين في ذلك القول فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وفيه مسائل (الاولى) المقصود منه انه تعالى بين في الآية السابقة ان الذى قالوه بتقدير ان يصحح لم يقدم في المقصود ثم انه تعالى بين في هذه الآية ان الذى قالوه لم يصحح وهم كذبوا فيه والدليل على كونهم كاذبين في ذلك القول وجوه (الاول) انهم لا يؤمنون بآيات الله وهم كافرون ومتى كان الامر كذلك كانوا اعداء للرسول صلى الله عليه وسلم وكلام العدا ضرب من الهذيان ولا شهادة لهم (والثاني) ان امر التعل لا يتأتى في جلسة واحدة ولا يتم في الخفية بل التعلم انما يتم اذا اختلف العلم الى التعلم ازمة متطاوله ومددا متباعدة ولو كان الامر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق ان محمدا عليه السلام يعلم العلوم من فلان وفلان (الثالث) ان العلوم الموجودة في القرآن كثيرة وتعلمها لا يتأتى الا اذا كان العلم في غاية الفضل والتحقيق فلو حصل فيه انسان بلغ في التعليم والتحقيق الى هذا الحد لكان مشارا اليه بالاصابع في التحقيق والتدقيق في الدنيا فكيف يمكن تحصيل هذه العلوم العالية والمباحث النفيسة من عند فلان وفلان واعلم ان الطعن في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمثال هذه الكلمات الركيكة يدل على ان الجحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة باهرة فان الخصوم كانوا عاجزين عن الطعن فيها ولأجل غاية عجزهم عدلوا الى هذه الكلمات الركيكة (المسئلة الثانية) في هذه الآية دلالة قوية على ان الكذب من اكبر الكبائر واخش الفواحش والدليل عليه ان كلمة انما المحصور والمعنى ان الكذب والفرية لا يقدم عليها الا من كان غير مؤمن بآيات الله تعالى والامن كان كافرا وهذا تهديد في النهاية فان قيل قوله لا يؤمنون بآيات الله فعل وقوله وأولئك هم الكاذبون اسم وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية فبيح فا السبب في حصوله ههنا قلنا الفعل قد يكون لازما وقد يكون مفارقا والدليل عليه قوله تعالى ثم بدلهم من بعد ما رآوا الآيات ليجنحنه حتى حين ذكره بلفظ الفعل تنبيها على ان ذلك السجين لا يدوم وقال فرعون لموسى عليه السلام لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين ذكره بصيغة الاسم تنبيها على الدوام وقال اصحابنا انه تعالى قال وعصى آدم ربه فغوى ولا يجوز ان يقال ان آدم حاص وغا ولا ن صيغة الفعل لا تنفيد الدوام وصيغة الاسم تنفيده اذا عرفت هذه المقدمة فتقول قوله انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ذكر ذلك تنبيها على ان من اقدم على الكذب فكأنه دخل في الكفر ثم قال وأولئك هم الكاذبون تنبيها على ان صفة الكذب فيها ثابته راسخة دائمة وهذا كما تقول كذبت وانت كاذب فيكون

ملى ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بحمته ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله (توك)

نفسه اوعلى عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يتم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى (وقلبه مطمئن بالايمان) حال من المستثنى والمعامل هو الكفر الواقع بالاكره لان الاكره لانفس الاكره لان مفارقة المشئان القلب بالايمان لا لاكره لا يجدى نفسا وانما الجدى مفارقتة للكفر الواقع به اى الا من كفر باكره او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وانما لم يصرح به إيماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من) لم يمكن كذلك بل (شرح بالصكفر صدرا اى) اعتقده وطالب به نفسا (فطعيم غضب) عظيم لا يكتفه كنه (من الله) اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم المذاب (ولهم عذاب عظيم) انذلا جرم (اعظم من : جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين مراعاة جانب المنى كما ان الافراد في المستثنى في الصلة لرعاية جانب اللفظ روى ان قريشا اكرهوا عمار وابوه ياسرا وسمية على الارتداد فأباه ابواه فربطوا سمية بين يديهم ووجت بحرية في قلبها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوا وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام ولما عمار فأعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه قتيل يارسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا

الله عليه وسلم يسمع عينيه وقال مالك ان عادوا لك فقد (٥٢٣) لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم

بكلمة الكفر عند الاكرام الجلي

وان كان الفضل ان يتجنب عنه

اعراض الدين كقوله ابو وروى

ان منبلة الكذاب اخذ رجلين فقال

لا جدما ما تقول في محمد قال

رسول الله قال فما تقول في قال

فانت بيتة فخلوا وقال للآخر

ما تقول في محمد قال رسول الله

قال فماقول في قال انا اضم فأعاد

لانا فأعاد جوابه فيبلغ رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال اما

الاول فقد اخذ برخصة الله

واما الثاني فقد صدع بالحق

(ذلك) اشارة الى الكفر بد

الايان اولى الوعيد المذكور

(بأنهم) بسبب انهم (استحبوا

الحياة الدنيا) آتوها (على

الآخرة وان الله لا يهدي الى

الايان والى ما يوجب الثبات

عليه هداية قسروا وجاء (القوم

الكافرين) في غلبة الحيط فلا

يعصمهم عن الزيف وما يؤدى اليه

من الغضب والعذاب العظيم ولولا

احد الامرين اما ليشار الحياة

الدنيا على الآخرة ولما عدم

هداية الله سبحانه للكافرين هداية

قربان آتوا الآخرة على الدنيا

اوبأن هداية الله تعالى هداية

قسر لما كان ذلك الثاني مخالف

للحكمة والاول عمال يدخل تحت

الوقوع واليه اشير بقوله تعالى

(اولئك) اى اولئك الاوصوفون

ما ذكر من القبايح (الذين طبع

الله على قلوبهم وسمعهم وبصارهم

فأبت عن ادراك الحق والتأمل

فيه) (اولئك هم الغافلون) اى

الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة

اعظم من الغفلة عن تدبر المواقب

(لاجرم انهم) في الآخرة هم

(لاجرم انهم) في الآخرة هم

(لاجرم انهم) في الآخرة هم

(لاجرم انهم) في الآخرة هم

(لاجرم انهم) في الآخرة هم

(لاجرم انهم) في الآخرة هم

(لاجرم انهم) في الآخرة هم

قوله وانك كاذب زيادة في الوصف بالكذب ومعناه ان عادتك ان تكون كاذبا (المسئلة

الثالثة) طاهر الآية بدل على ان الكاذب المفترى السدى لا يؤمن بآيات الله والامر

كذلك لانه لامعنى للكفر الانكار الالهية ونسبة الانبياء وهذا الانكار مشتمل على

الكذب والافتراء وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا ثم قرأ

هذه الآية والله اعلم قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكرهه قلبه مطعون

بالايان ولكن من شرح بالكفر صدر افعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم

استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين او تلك الذين

طبع الله على قلوبهم وسمعهم وبصارهم وأولئك هم الغافلون لاجرم انهم في الآخرة هم

(الخاسرون) اعلم انه تعالى لما عظم تهديد الكافرين ذكر في هذه الآية تفصيلا في بيان

من يكفر بلسانه لا بقلبه ومن يكفر بلسانه وقلبه معا في الآية مسائل (المسئلة الاولى)

قوله من كفر بالله من بعد ايمانه مبتدأ خبره غير مذكور فلهذا السبب اختلف المفسرون

وذكروا فيه وجوها (الاول) ان يكون قوله من كفر بدلان من قوله الذين لا يؤمنون بآيات

الله والتقدير انما يفترى من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت

حكم الافتراء وعلى هذا التقدير فقوله او أولئك هم الكاذبون اعراض وقع بين البديل

والمبديل منه (والثاني) يجوز ايضا ان يكون بدلان من الخبر الذى هو الكاذبون والتقدير

او أولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه (والثالث) يجوز ان ينصب على الذم والتقدير

او أولئك هم الكاذبون اعنى من كفر بالله من بعد ايمانه وهو احسن الوجوه عندى

وابعدا عن التعسف (والرابع) ان يكون قوله من كفر بالله من بعد ايمانه شرطاً مبتدأ

ويحذف جوابه لان جواب الشرط المذكور بعده يدل على جوابه كما أنه قيل من كفر بالله

من بعد ايمانه فعليهم غضب من الله الا من اكرهه ولكن من شرح بالكفر صدر افعليهم

غضب من الله (المسئلة الثانية) اجموعا على انه لا يجب عليه التكلم بالكفر يدل عليه

وجوه احدها اناروينا ان بلا صبر على ذلك العذاب وكان يقول احداً روى ان

ناسا من اهل مكة فتوافرت بواعن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فهم من اكره فاجرى

كلمة الكفر على لسانه مع انه كان بقلبه مصرا على الايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية

وصهيب وبلال وخياب وسلم عذبوا فأماسمية قبيل ربطت بين بعيرين ووخزت

في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال وقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين قتلوا

في الاسلام اما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها قبيل يارسول الله ان عمارا

كفر فقال كلان عمار ائلى ايمانا من فرقه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى

عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع عينيه

ويقول مالك ان عادوا لك ففعلهم بما قلت وجبرمولى الحضرمى اكرهه سيده فكفر

ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامها وهاجرا (المسئلة الثالثة) قوله الا من اكرهه ليس

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

(الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار السلام وهم

عمار واحبها رضى الله عنهم اى لهم بالولاية والنصر لاهلهم كما (٥٢٤) بوجه ناهرا اعلام السابعة فالجار والبحر ورخيلان ويجوز

ان يكون خبرها محذوفاً لدلالة الخبر الاتى عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرها وتكون ان الثانية تأكيداً للاولى ثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التى فيها الاستئذان من مجرد الخروج عن حكم الغضب والمذاب بطريق الاشارة لان رتبة حال الكفرة (من بعد ماقتوا) اى عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايان وقرى على بناء الفاعل اى عذبوا المؤمنين كالخضرى اكره مولا جبراً حتى ارتد ثم اسلاً وهاجراً (ثم جاهدوا) فى سبيل الله (وصبروا) على مشاق الجهاد (ان ربك من يدها) من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصرع بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من عليه الصلة له اومن بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخذ ذلك بالحكم (لغفور) لما فعلوا من قبل (رحيم) ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفى التعرض لنوعان الى بوسيقى المؤمنين ايماء الى علة الحكم وفى اضافة الرب الى خبره عليه السلام مع ظهور الاتى بالطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه السلام واشعار بأن افاضة آثار الروية عليهم من الغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم اتباعه (يوم تاتى كل نفس منصوب بحريم ومارتب عليه او باذكر وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين (تبادلن نفسهما) عن ذاتها تسقى خلاصها بالاعتذار لاهلها شأن غيرها فتقول نفسى (وتوفى كل نفس) اى تعطى وايقا كاملاً (ماعت) اى جزا ما عطلت بطريق اطلاق اسم السبب (حال)

باستثناء لان المكره ليس بكافر فلا يصح استثناءه من الكافر لكن المكره لما ظهر منه بعد الايمان مائله يظهر من الكافر طوعاً صح هذا الاستثناء لهذه المشاكلة (المسئلة الرابعة) يجب ههنا بيان الاكراه الذى عنده يجوز التلفظ بكلمة الكفر وهو ان يعذبه بعذاب لاطاقة له به مثل الخوف بالقتل ومثل الضرب الشديد والايامات القوية قال مجاهد اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية اما الرسول عليه الصلاة والسلام فغعه ابوطالب واما ابو بكر فغعه قومه واخذ الآخرون والبسوا دروع الحديد ثم اجلسوا فى الشمس فبلغ منهم الجهد بحر الحديد والشمس وأتاهم ابو جهل يشتمهم ويوبخهم ويشتم سمية ثم طعن الخربة فى فرجها وقال الآخرون ما نالوا منهم غير بلال فانهم جعلوا يعذبه فى قول احداً حتى ملوا فاشتكفوه وجعلوا فى عنقه حبلاً من ليف ودفعوه الى صبيانهم يلعنونه حتى ملوه فتركوه قال عمار كنا تكلم بالذى ارادوا غير بلال فهانت عليه نفسه فتركوه قال خباب لقد اودقوا لى ثاماً ما طفاها الاودك ظهري (المسئلة الخامسة) اجعوا على انه عند ذكر كلمة الكفر يجب عليه ان يبرى قلبه من الرضا به وان يقتصر على التعريضات مثل ان يقول ان محمداً كذاب ويعنى عند الكفار او يعنى به محمداً آخر او يذكره على نية الاستهزاء بمعنى الانكار وههنا بحثان (الاول) انه اذا ابلغه من اكرهه عن احضار هذه النية اولانه لما عظم خوفه زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوماً وعفو الله متوقع (البحث الثانى) لوضيق المكره الامر عليه وشرح له كل اقسام التعريضات وطلب منه ان يصرح بأنه ما اراد شيئاً منها وما اراد الا ذلك المعنى فههنا يتعين اما التزام الكذب وامتناعه عن النفس للقتل فمن الناس من قال يساح له الكذب ههنا ومنهم من يقول ليس له ذلك وهو الذى اختاره القاضى قال لان الكذب انما يقبح لكونه كذباً فوجب ان يقبح على كل حال ولو جاز ان يخرج عن القبح لرعاية بعض المصالح لم يمنع ان يفعل الله الكذب لرعاية بعض المصالح وحينئذ لا يبقى وثوق بوعد الله تعالى ولا بوعده لاحتمال انه فعل ذلك الكذب لرعاية بعض المصالح التى لا يعرفها الا الله تعالى (المسئلة السادسة) اجعوا على انه لا يجب عليه التكلم بكلمة الكفر ويدل عليه وجوه (احدها) اناروينا ان بالاصبر على ذلك العذاب وكان يقول احداً ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما صنعت بل عظمه عليه قبل ذلك على انه لا يجب التكلم بكلمة الكفر (وثانيها) ما روى ان مسيلة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما مات قول فى محمد فقال رسول الله فقال مات قول فى قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر مات قول فى محمد قال رسول الله قال مات قول فى قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئله وجه الاستدلال بهذا الخبر من وجهين (الاول) انه سمي التلفظ بكلمة الكفر رخصة (والثانى) انه عظم

على السبب اشعار اكتمال الاتصال بين الاجزى والاعمال (٥٢٥) واينار الاظهار على الاضمار لزيادة التقريب وللايضاح باختلاف وقتي

الجمادى والتوفيقية وكأني في يوم واحد اودهم لا يظنون لا يفتنون اجورهم اولا يعاقبون بغير موجب ولا يزداد في عقابهم على ذنوبهم (وضرب الله مثلاً قريظة) قيل ضرب المثل صنعه واعتقاله وقد رتبه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد ونما عدى الى الاثنين لتعنيته معنى الجمل وتأخير قرية مع كونها مفعولاً اولاً لثلاث محمول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يقرب عليها اذ التأخير عن الكل محل بمسبب اطراف النظم وتجاوبها ولان تأخير ما حقه التقديم بما يورث النفس قرباً لوروده وتشوقه اليه لاسيما اذا كان في القدم ما يدعوا اليه قال المثل بما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثله فبذلك المؤخر عند ورودها فضل تمكن والقرية اما محققة فضلها وبالفارين واما مقدره اي جعلها مثلاً لاهل مكة خاصة او لكل قوم انتم الله تعالى عليهم فأبطلتهم النعمة فعملوا ما فعلوا فبدل الله بعنتهم نعمة ودخل فيهم اهل اهل مكة دخولا اولياً (كانت آمنة) ذات امن من كل مخوف (مطمئنة) لازعج اهلها من عجز (بأشهر رزقها) قوات اهلها صفة الاولى لما ان اتيان رزقها مجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستقر (رغدا) واسما (من كل مكان) من نواحيها (فكفرت) اي كفر اهلها (بأنهم الله) اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتدال بالتمدع وادع اوجع كم فيموس وأبوس والراد بها نعمة الرزق والامن بالستر واينار جمع القلة للايضاح بأن كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا المذهب اطلاقك

بكران فم كثيرة (فادقها الله) اى اذاق اهلها (لباس) (٥٢٦) الجوع والظوف) شبه اترالجوع والظوف وضررها المحيط بهم

الصغير لانه لايشكل يصدر غيره اذالبشر لايقدر على شرح صدر غيره فهو نكرة يراد بها المعرفة ثم قال فليعلم غضب من الله والمعنى انه تعالى حكم عليهم بالعذاب ثم وصف ذلك العذاب فقال ولهم عذاب عظيم ثم قال تعالى ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة اى رجحوا الدنيا على الآخرة والمعنى ان ذلك الارتداد وذلك الاقدام على الكفر لاجل انه تعالى ما هداهم الى الايمان وما عصمهم عن الكفر قال القاضى المراد ان الله لا يهديهم الى الجنة فيقال له هذا ضيف لان قوله وان الله لا يهدى القوم الكافرين معطوف على قوله ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فوجب ان يكون قوله وان الله لا يهدى القوم الكافرين علة وسببا موجبا لاقدامهم على ذلك الارتداد وعدم الهداية يوم القيامة الى الجنة ليس سببا لذلك الارتداد ولا علة له بل مسببا عنه ومعلولا له فبطل هذا التأويل ثم اكديان انه تعالى صرفهم عن الايمان فقال اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم قال القاضى الطبع ليس بمنع من الايمان وبدل عليه وجوه (الاول) انه تعالى ذكر ذلك فى معرض الذم لهم ولو كانوا عاجزين عن الايمان به لما استحقوا الذم بتركه (والثاني) انه تعالى اشرك بين السمع والبصر وبين القلب فى هذا الطبع ومعلوم من حال السمع والبصر ان مع فقدهما قد يصح ان يكون مؤننا فضلا عن طبع يحقهما فى القلب (والثالث) وصفهم بالغبلة ومن منع من الشئ لا يوصف بأنه غافل عنه فثبت ان الراد بهذا الطبع السمة والعلامة التى يتحققها فى القلب وقد ذكرنا فى سورة البقرة معنى الطبع والختم واقول هذه الكلمات مع التقريرات الكثيرة ومع الجوابات القوية مذكورة فى اول سورة البقرة وفى سائر الآيات فللافة فى الامادة ثم قال تعالى وأولئك هم الغافلون قال ابن عباس اى عباد بهم فى الآخرة ثم قال جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون واعلم ان الموجب لهذا الخسران هو ان الله تعالى وصفهم فى الآيات المتقدمة بصفات ستة (الصفة الاولى) انهم استوجبوا غضب الله (الصفة الثانية) انهم استحقوا العذاب الاليم (الصفة الثالثة) انهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (الصفة الرابعة) انه تعالى حرمهم من الهداية (الصفة الخامسة) انه تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وابصارهم (الصفة السادسة) انه جعلهم من الغافلين عما يراهم من العذاب الشديد يوم القيامة فلا جرم لا يسمعون فى دفعها فثبت انه حصل فى حقهم هذه الصفات الستة التى كل واحد منها من اعظم الاحوال المانعة عن الفوز بالثبات والسعادات ومعلوم انه تعالى اتما داخل الانسان الدنيا ليكون كالتاجر الذى يشتري بطاعته معادات الآخرة فاذا حصلت هذه الموانع العظيمة عظم خسارته فلهذا السبب قال لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون اى هم الخاسرون لا غيرهم والمقصود التنبيه على عظم خسارتهم والله اعلم ﴿ قوله تعالى (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما قاتوا ثم هاجدوا صبروا ان ربك من بعد ما غفور رحيم يوم تأتي كل

باللباس الغائى للابس فاستعمل له اسما وادق عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الاصال المثبتة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكى للامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها فى ذلك وكثرة جريانها على الالامة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غير الرءاء اذ اتهم ضاحكا غلفت لضحكته رقاب المسال فان الصريح كونه فى الحقيقة من احوال الماء الكثير لا كان كثير الاستعمال فى المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرءاء المستعار المعروف تعريدا وشبه اترهما وضررها من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة لباس الغائى للابس المناسب للظوف بجامع الاحاطة والازوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعمله اسما استعاره تصويرية واخرى بطم امر البشيع الملائم للجوع النائى من فقد الرزق بجامع الكراهة فادق الاله بان وقع عليه الاذاقة المستعارة لا يصلح الضار المثبتة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكى للامسة والذائقة وتسدبم الجوع النائى مما ذكر من فقدان الرزق صلى الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فبما تقدم على بيان الرزق يكونه السبب بالاذاقة او مراعاة المقارنة بينهم وبين آيات الرزق وقد قرئ بتقديم الظوف وينصبه ايضا عطفا على المضائق او اضافة مقام

مضائق محذوف واصله ولباس الخوف (بما كانوا يصنعون) فيما قبل اوعى وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك الى اهل (نفس)

التريفة تحقيقا للإمر بعد اسناد الكفران (٥٢٧) إليها وإيقاع الاذانة عاينها ارادة الباطنة وفي صيغة الصنعة ايدان بأن كفران النعمة

صار صغرة راحة لهم وسنة
مسلوكه (ولقد جاءهم) من نعمة
المثلج بها لبيان ان ماضلوه
من كفران النعم لم يكن مزاجا
منهم لقضية العقل فقط بل كان
ذلك مراضة لمحبة الله على
الحلق ايضا اى ولقد جاء اهل
تلك القرية (رسولهم) من
جنبهم يرفونه باصله ونسبه
فاخبرهم بوجوب الشكر على
النعمة وانذرهم سوء عاقبة
ما يأتون وما يندرون (فكذبوه)
في رسالتهم واخبرهم به ما
ذكرنا الفاضحة وعدم ذكره
للإيدان بمساجاتهم بالكذب
من غير تعلم (فاخذهم العذاب)
الاستأصل لثاقم غيب ماذاقوا
نبتهم ذلك (وهم ظالمون) اى
حال التباسهم بآهم عليه من الظلم
الذى هو كفران نعم الله تعالى
وتكذيب رسوله غير متعلمين عنه
بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة
عنه وفيه دلالة على عاديهم في
الكفر والعناد ونيماؤهم في
ذلك كل حد معتاد وتزييب
العذاب على تكذيب الرسول
جرى على سنة الله تعالى حسبا
يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا
معذنين حتى نبعث رسولا وبهم
التمثيل فان حال اهل مكة سواء
ضرب المثل لهم خاصة او لم يدر
سببهم كافة محاذية لحال اهل تات
القرية فخذوا القذة بالقذ من غير
تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة
كيف لا وقد كانوا في حرم آمن
ويتخطف الناس من حولهم
وماير بهالهم طيف من الطوف
وكانت تيجي اليهم ممرات كل شئ
ولقد جاءهم رسول منهم وادى
رسول يباري ادراك عورتهم

نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت (وفي الآية مسائل
(المسئلة الاولى) انه تعالى لما ذكر في الآية المتقدمة حال من كفر بالله من بعد ايمانه
وحال من اكره على الكفر فذكر سبب الخوف بكلمة الكفر وحال من لم يذكرها ذكر بعده
حال من هاجر من بعد ما فتن فقال ان ربك الذين هاجروا من بعد ما فتنوا (المسئلة الثانية)
قرأ ابن عامر فتوا بفتح الفاء على اسناد الفعل الى الفاعل والباقون بضم الفاء على فعل
ما لم يسم فاعله اما وجه القراءة الاولى فأمور (الاول) ان يكون المراد ان اكابر المشركين
وهم الذين آذوا اقرام المسلمين لوتابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم (والثاني) ان
فتن واقتى بمعنى واحد كما يقال مان واما ان بمعنى واحد (والثالث) ان اولئك الضعفاء لما
ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكأنهم فتنوا انفسهم واما جعل ذلك فتنة لان
الرخصة في اظهار كلمة الكفر ما زالت في ذلك الوقت واما وجه القراءة بفعل ما لم يسم
فاعله فظاهر لان اولئك الفتون هم المستضعفون الذين جعلهم اقوياء المشركين على الردة
والرجوع عن الايمان فين تعالى انهم اذا هاجروا واجاهدوا وصبروا فان الله تعالى يغفر
لهم تكلمهم بكلمة الكفر (المسئلة الثالثة) قوله من بعد ما فتنوا يحتمل ان يكون المراد
بالفتنة هوانهم عذبوا ويحتمل ان يكون المراد هوانهم خوفوا بالتعذيب ويحتمل ان يكون
المراد ان اولئك المسلمين ارتدوا قال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة
فرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انهم اسلموا وهاجروا
فزلت هذه الآية فيهم وقيل زلت في عبدالله بن سعد بن ابى سرح ارند فلما كان يوم الفتح
امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم انه اسلم وحسن اسلامه وهذه الرواية انما تصح لوجهنا هذه السورة مدينة اوجهنا
هذه الآية منها مدينة ويحتمل ان يكون المراد ان اولئك الضعفاء المعذنين تكلموا بكلمة
الكفر على سبيل التقية فقوله من بعد ما فتنوا يحتمل كل واحد من هذه الوجوه الاربعة
وليس في اللفظ ما يدل على التعيين اذا عرفت هذا فنقول ان كانت هذه الآية نازلة فيمن
اظهر الكفر فالمراد ان ذلك مما لا يملك فيه وان حاله اذا هاجروا بهد وصبر سكان من لم
يكفر وان كانت واردة فيمن ارتد فالمراد ان التوبة والقيام بما يجب عليه يزيل ذلك
العقاب ويحصل له الغفران والرحمة قاله في قوله من بعد ما فتنوا الى الاعمال المذكورة
فيما قبل وهي الهجرة والجهاد والصبر اما قوله يوم تأتي كل نفس نفس تجادل عن نفسها فيه
ابحاث (الاول) قال الزجاج يوم منصوب على وجهين (احدهما) ان يكون المعنى ان
ربك من بعدها فغفور رحيم يوم تأتي بمعنى انه تعالى يعطى الرحمة والغفران في ذلك اليوم
الذى يعظم احتياج الانسان فيه الى الرحمة والغفران (والثاني) ان يكون التقدير
وذكرهم او اذكر يوم كذا وكذا لان معنى القرآن العظة والانذار والتذكير (البحث
الثاني) لقائل ان يقول النفس لا تكون لها نفس اخرى فاعنى قوله كل نفس تجادل

العقول صلى الله عليه وسلم ما يختلف الدبور والقبول فكفروا بأنهم الله وكذبوا رسوله عليه السلام فاقاهم الله لباس الجور

والخوف حيث أصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم اغني عنهم يسع كسب يوسف (٥٢٨) ما أصابهم من جذب شديد وأزمة حصت

عن نفسها والجواب النفس قدراديه بدن الحى وقديراديه ذات الشئ وحقيقته فالنفس الاولى هي الجنة والبدن والثانية عينها وذاتها فكأنه قبل يوم يأتى كل انسان بمجادل عن ذاته ولا يلمه شأن غيره قال تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وعن بعضهم تفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جاء على ركبته يقول يا رب نفسي نفسي حتى ان ابراهيم الخليل عليه السلام يفعل ذلك ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا السبيلا وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم قال تعالى وتوفى كل نفس ما عملت فيه مخوف والمعنى توفى كل نفس جزاء ما عملت من خير ينجس ولا نقصان وقوله وهم لا يظنون قال الواحدى معناه لا يتقصون قال القاضى هذه الآية من اقوى ما يدل على ماذهب اليه في الوعيد لانها تدل على انه تعالى يوصل الى كل احد حقه من غير نقصان ولو انه تعالى ازال عقاب المذنب بسبب الشفاعة لم يصح ذلك والجواب لاتزاع ان ظواهر العمومات يدل على قولهم الا ان مذهبنا ان التمسك بظواهر العمومات لا يفيد القطع وايضا فظواهر الوعيد معارضة بظواهر الوعد ثم ينافى في سورة البقرة في تفسير قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته ان جانب الوعد ارجح على جانب الوعيد من وجوه كثيرة والله اعلم * قوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة يأتها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانهم الله فاذا جاءها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة هددهم ايضا بآفات الدنيا وهو الوقوع في الجوع والخوف كذا ذكره في هذه الآية (المسئلة الثانية) المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجودا او لم يكن وقد يضرب بشئ موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل ان تكون شيئا مفروضا ويحتمل ان تكون قرية معينة وعلى التقدير الثاني فذلك القرية يحتمل ان تكون مكة او غيرها والاكثر من المفسرين على انها مكة والاقر انما غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة (المسئلة الثالثة) ذكر الله تعالى لهذه القرية صفات (الصفة الاولى) كونها آمنة اي ذات أمن لا يغار عليهم كما قال اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم والامر في مكة كان كذلك لان العرب كان يغير بعضهم على بعض اما اهل مكة فانهم كانوا اهل حرم الله والعرب كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم وادلم انه يجوز وصف القرية بالا من وان كان ذلك لاهلها لاجل انها مكان الأمن وظرف لهو الظاروف من الزمنة والا مكنة توصف بما جعلها كإفطار طيب وحار وبارد (الصفة الثانية) قوله مطمئة قال الواحدى معناه انها قارة ساكنة فأهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها لخوف اوضيق اقول ان كان المراد من كونها مطمئة انهم لا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب الخوف فهذا هو معنى كونها آمنة وان كان المراد انهم لا يحتاجون الى

كل شئ حتى اضطررت الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلوز وهو الورع المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سر ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وغيرهم وقواظهم ثم اخذهم يوم بدر ما أخذهم من المذاب هذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام وامام الجمع عليه اكثر اهل التفسيرين ان الغيبي قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالذاب ما أصابهم من الجذب ووقعة بدر فعزل من التحقيق كنف لاوقوله سبحانه (فكأولما رزقكم الله) مفرع على نتيجة التقتيل وصدلهم عما يؤدى الى مثل عاقبته والمعنى وان قد استبان لكم حال من كفر بانهم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من التيا والتي ولا وأخافا فتشبهوا انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول عليه السلام كيلا يهل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله عليه السلام في امره ونهييه وكوا من رزق الله حال كونه (حلالا طيبا) وذروا ما تفترون من تحريم الجائر ونحوها (واشكروا ثمرة الله) واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران ولله في المعنى دلالة على لاس بالشكر وانما ادخلت على لا ربا لاكل لكن ان اكل ذريعة الى الشكر فكأن تغيل فاشكروا ثمرة الله غبا كلها جلالاتها وقد ادعج فيه الهى عن زعم الحرمة ولا يدب (الانتقال)

ذريعة الى الشكر فكأن تغيل فاشكروا ثمرة الله غبا كلها جلالاتها وقد ادعج فيه الهى عن زعم الحرمة ولا يدب (الانتقال)

في أن هذا إنما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقفا (٥٢٩) بعد وقد نهت برأيه وبعدم واقع ما وقع فن ذا الذي يحذرون ذا

الذي يؤمر بالأكل والشكر
وحمل قوله تعالى فأخذهم
العذاب وهم ظالمون على الأخبار
ذلك قبل الوقوع بأباه التصدي
لاستصلاحهم بالأمر والنهي
وتوجيه خطاب الأمر بالإكل
إلى المؤمنين مع ما يتلوه من
خطاب النهي متوجه إلى الكفار
كأفعله الواحدى حيث قال
فكفوا أتم يا معشر المؤمنين
عما رزقكم الله من الغنائم عما
لا يليق بشأن التنزيل الجليل
(ان كنتم إياه تعبدون) اى
تطيعون او ان صم زعمكم انكم
تقصدون بعبادة الآلهة عبادته
تعالى (انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما مثل لغير
الله به) كتحليل لحم مأسره بأكله
عما رزقهم اى انما حرم هذه
الاشياء دون ما تزعمون حرمة
من الجواز والسواب وتحوها
(فن اضطر) بما اعتراه من
الضرورة فتتناول شيئا من ذلك
(غير باغ) اى صلى مضطر
آخر (ولا عاد) اى متجاوز قدر
الضرورة (فان رزقك غفور رحيم)
اى لا يؤخذ به ذلك فأقيم سببه
مقاسمه وفى التمرض لوصف
الربوبية ايماء الى علة الحكم وفى
الاضافة الى خبره عليه السلام
اظهار لكمال اللطف به عليه
السلام وتصدير الجملة بالاعتذار
المحررات فى الاجتناس الاربية
والامتناع اليه كالسباع والجر
الاهلية ثم أكد ذلك بالنهي عن
الحرىم والتليل بأهوائهم فقال
(ولا تقولوا لما تصف السنتكم)
اللام صلة مثلها فى قوله تعالى
ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله

الانتقال عنها بسبب الضيق فهذا هو معنى قوله بأنها رزقها رغدا من كل مكان وعلى كلا
التقديرين فانه يلزم التكرار والجواب ان العقلاء قالوا

ثلاثة ليس لها نهاية * الامن والصحة والكفاية

فقوله آمنة اشارة الى الامن وقوله مطمئنة اشارة الى الصحة لان هواء ذلك البلد لما كان
ملائما لامر جتهم اطمانوا اليه واستقروا فيه وقوله بأنها رزقها رغدا من كل مكان اشارة
الى الكفاية قال المفسرون وقوله من كل مكان السبب فيه اجابة دعوة ابراهيم عليه
السلام وهو قوله فاجعل اقنعة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات ثم انه تعالى
لما وصف القرية بهذه الصفات الثلاث قال فكفرت بأنتم الله الانم جمع نعمة مثل اشد
وشدة اقول ههنا سؤال وهو ان الانم جمع قلة فكان المعنى ان اهل تلك القرية كفرت
بأنواع قليلة من النعم فغضبها الله وكان اللائق ان يقال انهم كفروا بنعم عظيمة لله
فاستوجبوا العذاب فلما السبب في ذكر جمع القلة والجواب المقصود التنبيه بالادنى
على الاعلى يعنى ان كفران النعم القليلة لما اوجب العذاب فكفران النعم الكثيرة أولى
بإيجاب العذاب وهذا مثل اهل مكة لانهم كانوا فى الامن والطمأنينة والخصب ثم انهم الله
عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وبالغوا فى ابدائه فلا جرم
سلط الله عليهم البلاء قال المفسرون عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى اكلوا الجيف
والعظام والعلهز والقد اما الخوف فهوان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعث اليهم
المرايا فيغيرون عليهم ونقل ابن ابراهيم الراوندى قال لابن الاعرابي الاديب هل يذاق
الباس قال ابن الاعرابي لبأس ولا لباس يا أيها الناس هب انك تشك ان محمدا ما كان
نبيا أما كان حريا وكان مقصود ابن اراوندى الطعن فى هذه الآية وهو ان الباس
لا يذاق بل بليس فكان الواجب ان يقال فكساهم الله لباس الجوع او يقال فأذاقهم
الله طعم الجوع واقول جوابه من وجوه (الاول) ان الاحوال التى حصلت لهم عند
الجوع نومان (احدهما) ان المذوق هو الطعام فلا فقدوا الطعام صاروا كأنهم
يندرون الجوع (والثاني) ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كأنه احاط بهم من كل
الجهات فأشبهه لباس فالجوع حاله تشبه المذوق وحالة تشبه
الملبوس فاعتبر الله تعالى كلا الاعتبارين فقال فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف
(الوجه الثانى) ان التقدير ان الله عرفها لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن
التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذوق بالهم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعريف وهو
الاختبار تقول ناظر فلانا ذوقى معانده قال الشاعر

ومن يذوق الدنيا فاقى مطعمتها * وسوق الينا عذباها

ولباس الجوع والخوف هو ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن
وتغير الحال وكسوف البال فكما تقول تعرفت سوء اثر الخوف والجوع على فلان كذلك

أموات اى لا تقولوا شأن ما تصفه السنتكم (٦٧) (را) (خا) من الهائم بالحل والحرمة فى قولكم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا

وعمرهم على أزواجنا من غير ترتيب ذلك الوصف على ملاحظة (٥٣٠) وفكر فضلا عن استناده الى وحى أو قياس مبنى عليه (الكذب)

متنصب بلا تقواوا وقوله تعالى (هذا حلال وهذا حرام) يدل منه ويجوز ان يتلقى بتصف على ارادة القول أى لا تقواوا لما تصف ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وأن يكون القول المقدر حالا من ألسنتهم أى فائدة هذا حلال الخ ويجوز أن يتنصب الكذب بتصف ويتلقى هذا حلال الخ لا تقواوا واللام لتعليل وما مصدرية أى لا تقواوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أى لأعمالوا ولا تحرموا لجره وصف ألسنتكم الكذب وتصورها له بصورة متحسنة وتبينها له في المسمع كأن ألسنتكم لكونها منشأ الكذب ومنجا للزخرفين عالم بكنهه ومحبب بحقيقته يصفه للناس ويعرفه أوضح وصف وأبين تعريف على طريقة الاستعارة بالكتابة كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه نصف الصخر وقرئ بالجر مفعلا مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها بها ثم بالحل والحرمة وقرئ الكذب ججع كذب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم وأمعنى الكلام الكاذب أو هو ججع الكذاب من قولهم كذب كذبا ذكروه ابن جني (تفتروا على الله الكذب) فان مدار الحل والحرمة ليس الا أمر الله تعالى فأحكم بالحل والحرمة اسناد التحليل والتعريب الى الله سبحانه من غير أن يكون ذلك منه واللام العاقبة (ان الذين يفترون على الله الكذب) في أمر من الامور (لا يفلحون) لا يفلحون بطاعتهم التي ارتكبوا الافتراء للنور بها (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أى متعنتهم (الا)

يجوز ان تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان (والوجه الثالث) ان يجعل لفظ اللبس على المحاسة انار التقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم حين كذبوه واخرجوه من مكة وهموا بقتله قال الفراء ولم يقل بما صنعت ومثله في القرآن كثير ومنه قوله تعالى فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون ولم يقل فأتته وتحقق الكلام انه تعالى وصف القرية بأنها مطمئنة يأتيها رزقها رغدا فكفرت بأنعم الله فكل هذه الصفات وان اجريت بحسب اللفظ على القرية الا ان المراد في الحقيقة اهلها فلا جرم قال في آخر الآية بما كانوا يصنعون والله اعلم * قوله تعالى (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمته الله ان كنتم اباء) تعبدون) اعلم انه تعالى لما ذكر المثل ذكر المثل فقال ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم يعني من أنفسهم يعرفونه بأصله ونسبه فكذبوه فأخذهم العذاب قال ابن عباس رضى الله عنهما يعني الجوع الذي كان بمكة وقيل القتل يوم بدر واقول قول ابن عباس اولى لانه تعالى قال بعده فكلوا مما رزقكم الله ان كنتم اباء تعبدون يعني ان ذلك الجوع انما كان بسبب كفركم فاتركوا الكفر حتى تأكلوا فانهذا السبب قال فكلوا مما رزقكم الله قال ابن عباس رجهما الله فكلوا يا معشر المسلمين مما رزقكم الله يريد من الغنائم وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا ما ديت الرجال فبال النساء والصبيان وكانت المرة قد قطعت عنهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن في حل الطعام اليهم فجعل اليهم الطعام فقال الله تعالى فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا والقول ما قال ابن عباس رضى الله عنهما وبدل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل الآية يعني انكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهي الميتة والدم * قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فن اضطر غريبا ولا عاد فان الله غفور رحيم) اعلم ان هذه الآية الى آخرها مذكورة في سورة البقرة مفسرة هناك ولا فائدة في الاعادة واقول انه تعالى حصر المحرمات في هذه الاشياء الاربعة في هذه السورة لان لفظة انما تفيد الحصر وحصرها ايضا في سورة الانعام في قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم وهاتان السورتان مكيتان وحصرها ايضا في هذه الاربعة في سورة البقرة لان هذه الآية بهذه اللفظة وردت في سورة البقرة وحصرها ايضا في سورة المائدة فانه تعالى قال في اول هذه السورة احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم فأباح الكل الا ما يتلى عليهم واجمعوا على ان المراد بقوله عليكم هو قوله تعالى في تلك السورة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فذكر تلك الاربعة المذكورة في تلك السور الثلاث ثم قال والنخلة والموزة والتردية والتطيخة وما اكل السبع

قيامه عليه من افعال الجاهلية منعمة قليلة (٥٣١) (ولهم) في الآخرة (عذاب اليم) لا يكتنه كنهه (وعلى الذين هادوا)

خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين (حرمانا ماقصصنا عليك) اى بقوله تعالى حرمانا كل ذى نفوس ومن البقر والغنم حرمانا عليهم فهوهمها الآية (من قبل) متعلق بقصصنا او بحرمانا وهو تحقيق للسلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الىنا (وما ظنناهم) بذلك التحريم (ولكن) كانوا انفسهم يقولون) حيث فعلوا ما عوفوا به عليه حسبنا نبي عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية (ولقد قمهم الجحيم قوله تعالى كل الطعام كان حلالا بنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تزل التوراة فلما تولى بالتوراة قائلوها ان كنتم صادقين هروى انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلم وبغيهم عقوبة وتشديدا او ضحيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم (ثم ان ذلك للذين علوا السوء بجهالة) اى بسبب جهالة او متنبئين بها لهم الجهل بالله وبحقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يمين الافتراء على الله تعالى وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك) اى من بعد ما علوا ما علوا والصريح به ان ذلك من بعدها (من بعد

الاماذكبن وهذه الاشياء داخلة في الميتة ثم قال وما ذبح على النصب وهو احد الاقسام الداخلة تحت قوله وما اهل به لغیر الله فثبت ان هذه السور الاربعة دالة على حصر المحرمات في هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدينتان فان سورة البقرة مدينة وسورة المائدة من آخر ما نزل الله تعالى بالمدينة فمن انكر حصر التحريم في هذه الاربعة الاما خصه الاجماع والدلائل القاطعة كان في محل ان يخشى عليه لان هذه السورة دلت على ان حصر المحرمات في هذه الاربعة كان شرعا ثابتا في اول امر مكة وآخرها واول المدينة وآخرها وانما تعالى اعاد هذا البيان في هذه السور الاربعة قطعاً للاعذار وازالة للشبهة والله اعلم * قوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا

حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما حصر المحرمات في تلك الاربعة بالغ في تأكيد ذلك الحصر وزيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه الاربعة تارة وفي نقصان عنها اخرى فانهم كانوا يحرمون البصرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يقولون ما في بطن هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا فقد زادوا في المحرمات وزادوا ايضا في المحلات وذلك لانهم حللوا الميتة والدم والحمل الخنزير وما اهل به لغیر الله تعالى فانه تعالى بين ان المحرمات هي هذه الاربعة وبين ان الاشياء التي يقولون ان هذا حلال وهذا حرام كذب وافتراء على الله ثم ذكر الوعيد الشديد على هذا الكذب واقول انه تعالى لما بين هذا الحصر في هذه السور الاربعة ثم ذكر في هذه الآية ان الزيادة عليها والنقصان عنها كذب افتراء على الله تعالى وموجب للوعيد الشديد علنا انه لا مزيد على هذا الحصر والله اعلم (المسئلة الثانية) في انتصاب الكذب في قوله لما تصف السنتكم الكذب وجهان (الاول) قال الكسائي والزجاج ما مصدرية والتقدير ولا تقولوا لاجل وصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام نظيره ان يقال لا تقولوا الكذا كذا وكذا فان قالوا اجل الآية عليه يؤدى الى التكرار لان قوله تعالى لتفتروا على الله الكذب عين ذلك والجواب ان قوله لما تصف السنتكم الكذب ليس فيه بيان كذب على الله تعالى فأعاد قوله لتفتروا على الله الكذب ليحصل فيه هذا البيان الزائد ونظائر في قرآن كثيرة وهو انه تعالى يذكر كلاما ثم يعيده بعينه مع فائدة زائدة (الثانية) ان تكون ما موصولة والتقدير ولا تقولوا الذي تصف السنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام وحذف لفظ فيه لكونه معلوما (المسئلة الثالثة) قوله تعالى تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام وبلغه كأن ماهية الكذب وحقيقته بجهولة وكلامهم الكذب يكشف حقيقة الكذب بوضوح ماهيته وهذا بالغة في وصف كلامهم بكونه كذبا ونظيره قول ابى العلاء المعرى

سرى برق المعرة بعدوهن * فبات برامة يصف الكلالا

مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة (واصلحوا) اى اصلحوا اعمالهم اودخلوا في الصلاح (ان ربك من بعدها) من بعد

التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على طاعته تركا وفعلا (٥٣٢) وتكرير قوله تعالى ان ربك لتأيد الوعد

واظهار كمال العناية بانجاز والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى غيره عليه السلام مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من اتباعه كما يشير اليه فيامر (ان ابراهيم كان امة) على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا تنكاد توجد الا متفرقة في امة حجة حسبي قبل ليس على الله بممتنكر

ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقوده اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحير بينات باهرة لا تبقى ولا تدور وبطل مذهبهم الزائفة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة اولانه عليه السلام كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وفيه هي فعلة بمعنى مقول كالرحلة والظنية من امة اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بغيره لقوله تعالى اني ساءلك للناس اماما وايراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والظن في النبوة وتبريم ما سلكه الله تعالى للايمان بان حقيقة دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه امرنا بتلاويب فيه (فاتتاه) مطعنا فاعاياه (حنيفا) ما تلاعن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بهال (ولم يكن للمشركين) في امرن امور دينهم أصلا وفردا صرح بذلك ظهوره لاراد على كفار قرئش فقط في قولهم نحن على ملة اينا ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله في افتراءهم وادعائهم انه عليه الصلاة والسلام كان (ثم)

مئة اينا ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله في افتراءهم وادعائهم انه عليه الصلاة والسلام كان (ثم)

على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابراهيم يهوديا (٥٣٣) ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينظم امرا يراد

التحريم والسبت سابقا ولاحقا (شاكرا لا نعمة) صفة ثالثة لامة وانما اوتر صفة جمع القلة لالذنان بأنه عليه السلام كان لا يحل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة والتصرح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بأنهم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل (اجتناء) للنبوة (وحده الى الصراط المستقيم) موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اعتدائه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق ايضا بمونة قرينة الاجتناء (وايتناه في الدنيا حسنة) حالة حسنة من الذكر الجليل والشاهد فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الحق والنبوة وقيل قول المصل مناسكيت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لظهور كمال الاعتناء بشانه وتقدير مكانه عليه الصلاة والسلام (وانه في الآخرة لمن الصالحين) اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأل به بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرة واجعلني من ورثة جنة النعيم (ثم اوحينا اليك) مع علو طبقتك وسور بربك (ان اتبع ملة ابراهيم) الملة اسم للملّة الله تعالى لهباده على لسان الانبياء عليهم السلام من اهل الدين الكتاب اذا اعميته وهو الدين بعينه لكن باختيار الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهماسب الى من يؤيده عن الله تعالى يسمى ملة ومهماسب الى من يعصى ويعمل به يسمى ديننا

ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين (اعلم انه تعالى لما زيف في هذه السورة مذهب المشركين في اشيائهم متفق لهم باثبات الشركاء والانداد لله تعالى ومنها طعنهم في نبوة الانبياء والرسول عليهم السلام وقولهم لو ارسل الله رسولا لكان ذلك الرسول من الملائكة ومنها قولهم بتحليل اشيائهم حرما لله وتحريم اشيائهم اباحا لله تعالى فلما بالغ في ابطال مذاهبهم في هذه الاقوال وكان ابراهيم عليه السلام رئيس الموحدون وقدوة الاصوليين وهو الذي دعا الناس الى التوحيد وابطال الشرك والى الشرائع والمشركون كانوا مفتخرين به معترفين بحسن طريقته مقرين بوجوب الاقتداء به لاجرم ذكره الله تعالى في آخر هذه السورة وحكي عنه طريقته في التوحيد ليصير ذلك حاملا لهؤلاء المشركين على الاقرار بالتوحيد والرجوع عن الشرك واعلم انه تعالى وصف ابراهيم عليه السلام بصفات (الصفة الاولى) انه كان امة في تسميته وجوه (الاول) انه كان وحده امة من الامم لكماله في صفات الخير كقوله

ليس على الله بمشرك * ان يجمع العالم في واحد

(الثاني) قال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كانوا كفارا فلهذا المعنى كان وحده امة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل بعثه الله امة وحده (الثالث) ان يكون امة فعلة بمعنى مقبول كالرحلة والغيبة فالامة هو الذي يؤتم به ودليله قوله اني جعلت للناس اماما (الرابع) انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت امة متميزة عن سواهم بالتوحيد والدين الحق والمجرى بحرى السبب لحصول تلك الامة سماه الله تعالى بالامة اطلاقا لاسم السبب على السبب وعن شهر بن حوشب لم يبق ارض الا وفيها اربعة عشر يدفع الله بهم عن اهل الارض الا زمن ابراهيم عليه السلام فانه كان وحده (الصفة الثانية) كونه قائما لله والقائم بمقامه الله تعالى به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه كونه مطيعا لله (الصفة الثالثة) كونه حنيفا والحنيف المائل الى ملة الاسلام ميلا لا يزول عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما انه اول من اختنق واقام مناسك الحج وضحي وهذه صفة الحنيفية (الصفة الرابعة) قوله ولم يك من المشركين معناه انه كان من الموحدون في الصغر والكبر والذي يقرر كونه كذلك ان اكثرهم عليه السلام كان في تقرير علم الاصول فذكر دليل اثبات الصانع مع ملك زمانه وهو قوله ربني الذي يحجي ويميت ثم ابطل عبادة الاصنام والكواكب بقوله لا احب الا الذين هم كسرت تلك الاصنام حتى آل الامر الى ان القوم في النار ثم طلب من الله ان يريه كيفية احياء الموتى ليحصل له مزيد الطمأنينة ومن وقف على علم القرآن علم ان ابراهيم عليه السلام كان غارقا في بحر التوحيد (الصفة الخامسة) قوله شاكر لا نعمة روى انه عليه السلام كان لا يتعدى الامع ضيف فل يحسد ذات يوم ضيفا فأخبر خذاه فاذا هو يقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فظهروا ان بهم

قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لاتضاف الا الى النبي عليه السلام ولاتتأكد توجد مضافة الى الله سبحانه

ولا إلى آحاد الأمة ولا تستعمل إلا في جهة الشرائع دون آحادها (٥٣٤) والمراد بملته عليه السلام الاسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم (حنيفا)

علة الجذام فقال الآن يجب على مؤاكتكم فلو لا عزتكم على الله تعالى لما ابتلاكم بهذا البلاء * فان قيل لفظ الانتم جمع قلة ونعم الله تعالى على ابراهيم عليه السلام كانت كثيرة فلم قال شاكرًا لا نعمه * قلنا المراد انه كان شاكرًا للجميع نعم الله ان كانت قليلة فكيف الكثيرة (الصفة السادسة) قوله اجتناب اى اصطفاؤه للنبوة والاجتناب هو ان تأخذ الشيء بالكلية وهو افعال من جييت واصله جمع الماء في الخوض والنجاسة هي الخوض (الصفة السابعة) قوله وهذه الى صراط مستقيم اى في الدعوة الى الله والترغيب في الدين الحق والتنفير عن الدين الباطل نظيره قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فأتبعوه (الصفة الثامنة) قوله وآتيناه في الدنيا حسنة قال قتادة ان الله حبه الى كل خلق فكل اهل الاديان يقررون به اما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر واما كفار قريش وسائر العرب فلا فخر لهم الاب وتحقيق الكلام ان الله اجاب دعاءه في قوله واجعل لى لسان صدق في الآخرين وقال آخرون هو قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل لصدق والوفاء والعبادة (الصفة التاسعة) قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين فان قيل لم قال وانه في الآخرة لمن الصالحين ولم يقل وانه في الآخرة في اعلى مقامات الصالحين قلنا لانه تعالى حكى عنه انه قال رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين فقال ههنا وانه في الآخرة لمن الصالحين تنبيهها على انه تعالى اجاب دعاءه ثم ان كونه من الصالحين لا يبنى ان يكون في اعلى مقامات الصالحين فان الله تعالى بين ذلك في آية اخرى وهى قوله وتلك جنتنا آتيناه ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء واعلم انه تعالى لما وصف ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات العالية الشريفة قال ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وفيه مباحث (البحث الاول) قال قوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على شريعة ابراهيم عليه السلام وليس له شرع هو به منفرد بل المقصود من بعثه عليه السلام احياء شرع ابراهيم عليه السلام وعلول في اثبات مذهبه على هذه الآية وهذا القول ضعيف لانه تعالى وصف ابراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه ما كان من المشركين فلما قال واتبع ملة ابراهيم كان المراد ذلك فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم انما نفي الشرك واثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا له فيمتنع جعل قوله ان اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها قلنا يحتمل ان يكون المراد الامر بمتابعته في كيفية الدعوة الى التوحيد وهو ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلائل مرة بعد اخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن (البحث الثاني) قال صاحب الكشاف لفظة ثم في قوله ثم اوحينا اليك تدل على تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايدان بأن اشرف ما اوتى خليل الله من الكرامة واجل ما اوتى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل ان هذه اللفظة دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة عن سائر الدناج

بالصراط المستقيم (حنيفا) حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى مجرى منه البعض ضد ذلك من قبل رأيت وجهه هند قائمة والمأمور به الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في المرتبة للايدان بأن هذه النعمة من اجل النعم الفائضة عليه عليه السلام (وما كان من المشركين) تكرير لما سبق لزادة تأكيد وتقرير لزاوته عليه السلام عامه عليه من عقد وعمل وقوله تعالى (انما جعل السبت) اى فرض تعطية واتخذ فيه العبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلى وتوضيح له باطل ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبا سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابراهيم عليه السلام كان محافظا عليه اى ليس السبت من شرائع ابراهيم وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه عليه الصلاة والسلام وبين بعض المشركين علاقة في الجلفة وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفصل مبثبا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وايدان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاسيما الاستناد الى الفير وقد قرئ على البناء القاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنه بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت (على الذين اختلفوا فيه) للايدان بضمينه للتشديد والابتلاء المؤدى الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شأنه قبل الوقوع

(الى)

إشارته على ما مر الله تعالى به واختياره للعكس لكن (٥٣٥) لا باعتبار شمول الغلبة لطرفي الاختلاف وعموم الفسالة للفرقتين بل

باعتبار حال منشأ الاختلاف من الطرف الخالف للحق وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا نرضى منهم قد رضوا بالجمعة فأذن الله تعالى لهم في السبت وباتلاهم بتجريم السيد فيه فأطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فسخم الله سبحانه قردة دون أولئك المطيعين (وان ربك ليحكم بينهم) أي بين الفرقتين المختلفتين فيه (يوم القيامة) فيما كانوا فيه مختلفين (أي بفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه إياء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفرقتين واتجاه الآخر بالنفسية الى ما سبق في الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الانجاء التنازلي وقيل المعنى انما جعل وبالسبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه أي احووا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى وكان سخا عليهم ان يتفقوا على تحرمة سحبا امر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة وتجرير أخرى ووجه ابراده ههنا بأنه اراد به انذار المشركين من سخطه تعالى على العصاة والمخالقين لاوامره كعصيان المثل بالقرية التي كفرت بأنهم تعالى ولا يرب

التي مدحه الله بها * قوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) اعلم انه تعالى لما امر محمد صلى الله عليه وسلم بتبعية ابراهيم عليه السلام وكان محمد عليه السلام اختار يوم الجمعة فهذه التبعية انما تحصل اذا قلنا ان ابراهيم عليه السلام كان قد اختار في شرعه يوم الجمعة وعند هذا لسائل ان يقول فلم اختار اليهود يوم السبت فأجاب الله تعالى عنه بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وفي الآية قولان (الاول) روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال أمرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا لله في كل سبعة ايام يوما واحدا وهو يوم الجمعة لاتعملوا فيه شيئا من اعمالكم فأبوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل الله تعالى السبت لهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام ايضا بالجمعة فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا واتخذوا الاحد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهذا الله له قالناس لنافيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد اذا مرقت هذا فقول قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه أي على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فأختاروا السبت فأختلفوا فيه في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فيه فذهب من قال بالسبت ومنهم من قبل به لان اليهود اتفقوا على ذلك فلا يمكن تفسير قوله اختلفوا فيه بهذا بل الصحيح ما قدمناه فان قال قائل هل في العقل وجه يدل على ان يوم الجمعة أفضل من يوم السبت وذلك لان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدأ تعالى بالخلق والتكوين من يوم الاحد وتم في يوم الجمعة فكان يوم السبت يوم الفراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين هو يوم الاحد فحصل هذا اليوم عيدنا فهذان الوجهان معقولان فالوجه في جعل يوم الجمعة عيدنا لقلنا يوم الجمعة هو يوم الكمال والتمام وحصول الكمال بوجوب الفرح الكامل والسرور العظيم فجعل يوم الجمعة يوم العيد اولي من هذا الوجه والله اعلم (القول الثاني) في اختلافهم في السبت انهم احووا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحرمة على كلمة واحدة ثم قال تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون والمعنى انه تعالى سيحكم يوم القيامة للحق بالثواب والعقاب

* قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اعلم انه تعالى لما امر محمد صلى الله عليه وسلم بتابع ابراهيم عليه السلام بين الشيء الذي أمره بتابعه فيه فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة واعلم انه تعالى امر رسوله ان يدعو الناس بأحدهما الطريق الثلاث وهي

في ان كلمة بينهم تحكم بأن المراد بالحكم هو فصل ما بين الفرقتين من الاختلاف وان توسط حديث المسح للآذان المذكور

بين حكاية امرئ النبي صلى الله عليه وسلم بأنواع ملة ابراهيم عليه (٥٣٦) الصلاة والسلام وبين امره صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبل

الفصل بين الثبوت والاعتقاد
(ادع) اى من بعث اليهم
من الامة فاطبة فحذف القول
للتعميم اوافضل الدعوة كما في
قولهم يعطى ويمنع اى يفصل
الاعطاء والمنع فحذفه للقصد الى
إيجاد نفس الفعل اشعاراً بأن
عموم الدعوة غنى عن البيان
ولما المقصود الامر بإيجادها
على وجه مخصوص (السبيل
ربك) الى الاسلام الذى عبر عنه
قارة الصراط المستقيم واخرى
ملة ابراهيم عليه السلام وفى
العرض لعنوان الربوبية للثبوت
عن المالكية وتبليغ الشئ الى
كافة الالقاء شيئاً فشيئاً مع إضافة
الرب الى ضمير النبي عليه الصلاة
والسلام فى مقام الامر بدعوة
الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم
بأحكام الشريعة الشريفة
من الدلالة على اظهار اللطف به
عليه الصلاة والسلام والإيعاز
الى وجه بناء الحكم ما لا ينفى
(بالحكمة) اى بالهاتمة المحكمة
الخصيصة وهو الدليل الموضح
لحق المزمع المشبهة (والموعظة
الحسنة) اى الخطايات المنعة
والعبر النافعة على وجه لا ينفى
عليهم انك تمنعهم وتقصدهم
ما يفهم فالاولى لدعوة خواص
الامة الطالبين للحقائق والثانية
لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون
المراد بالقرآن المجيد انه جامع
لكلا الوصفين (وجادلهم) اى
ناظر معانيدهم (بالحق) اى بحسن
الطريقة التى هى احسن طرق
التمساة والمجادلة من الفرق
والسبب واختيار الوجه
الائصر واستعمال القدمات
المشهورة تسكيناً لغيرهم وإطفاء للهمم كما فعله الخليل عليه السلام (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) انذى امرأ يدعوه (بالحكمة)

الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الاحسن وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل فى آية اخرى فقال ولا تتجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هى احسن ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاث وعطف بعضها على بعض وجب ان تكون طرقاً متغايرة متباعدة وما رأيت للمفسرين فيه كلاماً ملخصاً مضبوطاً واعلم ان الدعوة الى المذهب والمقالة لا بد وان تكون مبنية على حجة وبينه والمقصود من ذكر الجملة اما تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد فى قلوب المستمعين واما ان يكون المقصود الزام الخصم وانغامه اما القسم الاول فيقسم ايضا الى قسمين لآن تلك الجملة اما ان تكون حجة حقيقية يقينية قطعية مبرأة عن احتمال النقيض واما ان لا تكون كذلك بل تكون حجة تفيد الظن الظاهر والاقناع الكامل فظهر بهذا التقسيم انحصار الحجج فى هذه الاقسام الثلاثة (اولها) الجملة القطعية المفيدة للعقائد يقينية وذلك هو المسمى بالحكمة وهذه اشرف الدرجات واعلى المقامات وهى التى قال الله فى صفتها ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً (وثانيتها) الامارات الظنية والدلائل الانشائية وهى الموعظة الحسنة (وثالثها) الدلائل التى يكون المقصود من ذكرها الزام الخصوم وانغامهم وذلك هو الجدل ثم هذا الجدل على قسمين (احدهما) ان يكون دليلاً مركباً من مقدمات مسلمة فى المشهور عند الجمهور او من مقدمات مسلمة عند ذلك القائل وهذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الاحسن (والقسم الثانى) ان يكون ذلك الدليل مركباً من مقدمات باطلة فاسدة الا ان قائلها يحاول ترجيحها على المستمعين بالسفاهة والشغب والخيل الباطلة والطرق الفاسدة وهذا القسم لا يليق بأهل الفضل ائمة اللائق بهم هو القسم الاول وذلك هو المراد بقوله تعالى وجادلهم بالتي هى احسن ثبت بما ذكرنا انحصار الدلائل والحجج فى هذه الاقسام الثلاثة المذكورة فى هذه الآية اذا عرفت هذا فنقول اهل العلم ثلاث طوائف الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم يقينية والمكاملة مع هؤلاء لا يمكن الا بالدلائل القطعية يقينية وهى الحكمة والقسم الثانى الذين تغلب على طباعهم المشاغبة والخاصة لا يطلب المعرفة الحقيقية والعلوم يقينية والمكاملة اللائقة هؤلاء المجادلة التى تفيد الاقدام والالزام وهذان القسمان هما الطرفان فالاول هو طرف الكمال والثانى طرف النقصان واما القسم الثالث فهو الواسطة وهم الذين مابلغوا فى الكمال الى حد الحكماء المحققين وفى النقصان والارذالة الى حد المشاغبين الخاصين بل هم اقوام بقوا على القطرة الاصلية والسلامة الخلقية ومابلغوا الى درجة الاستعداد لفهم الدلائل يقينية والمعارف الحكمية والمكاملة مع هؤلاء لا يمكن الا بالموعظة الحسنة وادناها المجادلة واعلى مراتب الخلائق الحكماء المحققون واوسطهم عامة الخلق وهم ارباب السلامة وفهم الكثرة والغلبة وأدنى المراتب الذين جبلوا على طبيعة المنازعة والخاصة فقوله تعالى ادع الى سبيل ربك

الحلق اليه واعرض عن قبول الحق بعدما بين ما عين (٥٣٧) من الحكم والمواعظ والعبر (وهو اعلم بالمهتدين) اليه بذلك وهو تلييل

لما ذكر من الامرين والمعنى والله

تعالى اعلم اسلك في الدعوة

والمناظرة الطريقة المذكورة فانه

تلك هو اعلم بحال من لا يعرف

عن الضلال وجوب استعداده

المكتسب وبحال من يصير امره

الى الاهتداء لما فيه من خير جلي

لما شرعه لك في الدعوة هو الذي

تقتضيه الحكمة فانه كاف في

هداية المهتدين وازا له عذر

الضالين او ما عليك الا ما ذكر

من الدعوة والمجادلة بالاحسن

واما حصول الهداية او الضلال

والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه

اذ هو اعلم بمن يبنى على الضلال

وعن يهتدى اليه فيجازى كلا

منهما بما يستحقه وتقدم الضالين

لأن مساق الكلام لهم ويراد

الضلال بصيغة الفعل الدال

على الحدوث لأنه تفيه لظرة

الله التي فطر الناس عليها

واعراض عن الدعوة وذلك

أمر عارض بخلاف الاهتداء الذي

هو عبارة عن الثبات على الفطرة

والجريان على موجب الدعوة

ولذلك بئى به على صفة الاسم

المتبني عن الثبات وتكرر هو

أعلم للتأكيد والاشعار بتيارين

حال المعلومين وما لكهما من

العقاب والثواب وبعد ما أمره

عليه الصلاة والسلام فيما يخص

بمن شأن الدعوة بما أمره به من

الوجه اللاتقي عقبه بخطاب شامل

له ولن شايه في ما يميم الكل فقال

(وان عاقبتهم) أى ان أردتم

المعاقبة على طريقة قول الطبيب

للمتحمي ان اكلت فكل قليلا

(فاقبوا بمثل ما عوقبتهم) أى

بمثل ما فعل بكم وقد عجب عنه بالعقاب

بالحكمة معناه ادع الاقوياء الكاملين الى الدين الحق بالحكمة وهى البراهين القطعية
اليقينية وعوام الخلق بالموعظة الحسنة وهى الدلائل اليقينية الاقناعية الظنية وتكلم
مع المشايخين بالجدل على الطريق الاحسن الاكل * ومن لطائف هذه الآية انه قال
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين
لان الدعوة ان كانت بالدلائل القطعية فهى الحكمة وان كانت بالدلائل الظنية فهى
الموعظة الحسنة اما الجدل فليس من باب الدعوة بل المقصود منه غرض آخر مغاير
للدعوة وهو الازام والافحام فلهذا السبب لم يقل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة والجدل الاحسن بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيها على انه لا يحصل الدعوة
وانما الغرض منه شئ آخر والله اعلم واعلم ان هذه المباحث تدل على انه تعالى أدرج
في هذه الآية هذه الاسرار العالية الثمينة مع ان اكثر الخلق كانوا غافلين عنها فظهر
ان هذا الكتاب الكريم لا يهتدى الى ما فيه من الاسرار الامن كان من خواص
اولى الا بصار ثم قال تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين والمعنى
انك مكلف بالدعوة الى الله تعالى بهذه الطرق الثلاثة فاما حصول الهداية فلا تتعلق بك
فهو تعالى اعلم بالضالين واعلم بالمهتدين والذي عندي في هذا الباب ان جواهر النفوس
البشرية مختلفة بالماهية فيعضها نفوس مشرقة صافية قليلة تتعلق بالجسمانيات كثيرة
الانجذاب الى عالم الروحانيات وبعضها مظلمة كدرة قوية تتعلق بالجسمانيات عديدة
الالتفات الى الروحانيات ولما كانت هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها لاجرم يمنع
انقلابها وزوالها فلهذا قال تعالى اشتغل أنت بالدعوة ولا تطمع في حصول الهداية
لكل فانه تعالى هو العالم بضلال النفوس الضالة الجاهلة وياشراق النفوس المشرقة
الصافية فلكل نفس فطرة مخصوصة وماهية مخصوصة كاقال فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا تبدل خلق الله والله اعلم * قوله تعالى (وان عاقبتهم فاقبوا بمثل ما عوقبتهم به
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وصابرك بالآله ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق
بما عكروا ان الله مع الذين اتقوا الذين هم يحسنون) في الآية مسائل (المسئلة
الاولى) قال الواحدى هذه الآية فيها ثلاثة اقوال (احدها) وهو الذى عليه العامة ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى حجة وقد منلوا به قال والله لا مثمن بسبعين منهم مكانك
فزل جبريل عليه السلام بخواتيم سورة النحل فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأمسك عما اردو هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عطاء وابي بن كعب
والشعبي وعلى هذا قالوا ان سورة النحل كلها مكية الا هذه الآيات الثلاث (و القول
الثاني) ان هذا كان قبيل الامر بالسيف والجهاد حين كان المسلمون قد أمروا بالقتال مع
من يقاتلهم ولا يبدؤوا بالقتال وهو قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وفي هذه الآية أمر الله بأن يعاقبوا بمثل ما يعصيه

على طريقة إطلاق السبب على السبب نحو كاذبين ثدان (٦٨) (را) (خا) او على نهج المشاكاة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يتناصبهم

من غير تجاوز حين ما آل الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع (٥٣٨) فان الدعوة للأمور بها لاستدراكك عن ذلك كيف لا

وهي موجبة صرف الوجوه
عن القبل المعبودة وادخال
الاتفاق في قناعة غير معهودة
قاضية عليهم بقساد ما يأتون
وما يدرون وبطالان دين استمرت
عليهم آياؤهم الاولون وقد
ضافت عليهم الجبل وعيت بهم
العلل وسدت عليهم طرق
الحاجة والمناظرة وارتجت دوعهم
ابواب المباحة والمحاوره وقيل
انه عليه الصلاة والسلام
لما رأى حجة رضى الله عنه
يوم احد قد مثل فقال لئن
انظرني الله بهم لاثملت بسبعين
مكاثك فلزت فكفر عن عينة
وكف عما اراده وقرئ وان
عقبت فمقبوا اى وان ققيم
بالانصار فقفوا بمثل ما فعل
بكم غير مجاوزين عنه والامر
وان دل على اناحية المسألة في
الثلة من غير مجاوز لكن في
تقييده بقوله وان عاقبتم حث
على العفو تمرضا وتصدربه
على الوجه الاصح فقبل
(ولئن صبرتم) اى عن المعاقبة
بالمثل (لهو) اى لصبركم ذلك
(خير) لكم من الانصار بالمعاقبة
وانما قيل (لصابرين) مدحاً لهم
وشاء عليهم بالصبر او وصفاً لهم
بصفة تحصل لهم عند ترك
المعاقبة وبجورعود الصبر الى
مطلق الصبر المدلول عليه
بالقول فيدخل فيه صبرهم
كدخول أنفسهم في جنس
الصابرين دخولا اوليا ثم امر
عليه الصلاة والسلام صريحا
بما نذب اليه غيره تمرضا من
الصبر لانه اولى الناس بهزام
الامور لزيادة علمه بشؤنه
سجانه ووفور وثوقه به فقيل
(واصر) اى على ما اصابكم من
جهنم من ثنون الاكام والاذية وعانيت من اعراضهم عن الحق بالكلية (واماصرك الابالة) استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى (وشدة)

وما صبرك ملذبا ومصوبا لشيء من الأشياء (٥٣٩) الأباله اى يذكره والاستغراق فى مراقبته وشؤنه والتبذل اليه بجماع الهمة وفيه من

تسلية عليه الصلاة والسلام
وتوبين مشاق الصبر عليه
وتشريفه بما لا يزيد عليه اولا
بمشيئته المبينة على حكم بالغة
مستتبعة لمواقب جديدة للتسلية
من حيث اشتغاله على غايات جيلة
وقيل الابتوفيقه ومعونه فهو
من حيث تسهيله وتيسيره فقط
(ولا تحزن عليهم) اى على
الكافرين بوقوع اليأس من عيبتهم
بك ومتابعهم لك نحو فلا تأس.
على القوم الكافرين وقيل على
المؤمنين وما فعل بهم والاوّل هو
الاناسب بمحالة النظم الكريم
(ولا تـ) فى ضيق) بالفصح وقري
بالكسر وهما لغتان كالقول
والقول اى لا تكن فى ضيق صدر
وحرج ويجوز ان يكون الاول
تخفيف ضيق كهين من هين اى
فاسم ضيق (بما يذكرون) اى
من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول
هى عن التألم بطلوب من قبلهم
فالتى والثانى عن التألم بمحذور من
جهنم آت والذى عنهما مع ان
انفساء هما من لوازم الصبر
المأمور به لاسما على الوجه
الاول لزيادة التأكيد و اظهار
كال العناية بشأن التسلية
والافضل يخطر ببال من توجه
الى الله سبحانه بشارا نفسه
متزها عن كل ماسواه من
الشواغل شئ من مطلوب فينبى
عن الحزن بفواته او محذور
فيكشف عن الخوف من وقوعه
(ان الله مع الذين اتقوا) تعليل
المسبق بالامر والبهى والمراد
بالبيعة الولاية الدافعة الى اتصوم
حول صاحبها شائبة شئ
من الجزع والحزن وضيق الصدر
الحال فى قوله سبحانه ان الله مع

وشدة الغضب لا تحصل الا للاحد امرين احدهما فوات نفع كان حاصل فى الماضى واليه
الاشارة بقوله ولا تحزن عليهم قيل معناه ولا تحزن على قتلى احد ومعناه ولا تحزن بسبب
فوت اولئك الاصدقاء ويرجع حاصله الى فوت النفع والسبب الثانى لشدة الغضب توقع
ضرر فى المستقبل واليه الاشارة بقوله ولاتك فى ضيق بما يذكرون ومن وقف على هذه
الاطائف عرف انه لا يمكن كلام ادخل فى الحسن والضبط من هذا الكلام بقى فى لفظ
الآية مباحث (البحث الاول) قرأ ابن كثير ولايك فى ضيق بكسر الصاد وفى النمل مثله
والباقون يفتح الصاد فى الحرفين اما الوجه فى القراءة المشهورة فأمرور قال ابو عبيدة
الضيق بالكسر فى قلة المعاش والمساكن وما كان فى القلب فانه الضيق وقال ابو عمرو
الضيق بالكسر الشدة والضيق يفتح الصاد الغم وقال القتيبي ضيق تخفيف ضيق مثل هين
وهين ولين ولين وبهذا الطريق قلنا انه تصح قراءة ابن كثير (البحث الثانى) قرئ
ولا تكن فى ضيق (البحث الثالث) هذا من الكلام المقلوب لان الضيق صفة والصفة
تكون حاصلة فى الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا فى الصفة فكان المعنى فلا يكن
الضيق فيك الا ان الفائدة فى قوله ولا تك فى ضيق هو ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء
المحيط بالانسان من كل الجوانب وصار كالقميص المحيط به فكانت الفائدة فى ذكر هذا
اللفظ هذا المعنى والله اعلم (المرتبة الرابعة) قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وهذا يجرى مجرى التهديد لان فى المرتبة الاولى رغب فى ترك الانتقام على سبيل
الزمن وفى المرتبة الثانية عدل عن الرمز الى التصريح وهو قوله ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين وفى المرتبة الثالثة امرنا بالصبر على سبيل الجزم وفى هذه المرتبة الرابعة كأنه
ذكر الوعيد ففعل الانتقام فقال ان الله مع الذين اتقوا عن استيفاء الزيادة والذين هم
محسنون فى ترك اصل الانتقام فان اردت ان اكون مملك فكُن من المتقين ومن المحسنين
ومن وقف على هذا الترتيب عرف ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب ان يكون
على سبيل الرفق واللطف مرتبة فرية ولما قال الله لرسوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة ذكر هذه المراتب الاربعة تنبيهها على ان الدعوة بالحكمة والموعظة
الحسنة يجب ان تكون واقعة على هذا الوجه وعند الوقوف على هذه الاطائف يعلم
العاقول ان هذا الكتاب الكريم بحر لا ساحل له (المسئلة الثالثة) قوله ان الله مع الذين
اتقوا معية بالرجة والفضل والرتبة وقوله الذين اتقوا الاشارة الى التعظيم لامر الله تعالى
وقوله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله وذلك يدل على ان كمال السعادة
للانسان فى هذين الامرين اعنى التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله وعبر عنه
بعض المشايخ فقال كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مغ الخلق وقال الحكماء كمال
الانسان فى ان يعرف الحق لذاته واخير لاجل العمل به وعن هرم بن حبان انه قيل له عند
القرب من الوفاة اوص فقال اما الوصية من المال ولا مال لى ولكنى اوصيكم بشؤونهم

وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعة المتقين انما هى من حيث اتم المباشرون للثقوى وكذا الحال فى قوله سبحانه ان الله مع

الصابرين ونظارهم كافة والمراد بالقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها (٥٤٠) من مرتبة التوقى عن الشر ومرتبة التجنب

عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعنى التزعم عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشرائعه نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولايته تعالى المقرونة بإشارة قوله سبحانه الان وليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولى الذين يتبتلوا اليه بالكلية وتزهدوا عن كل ما يفسد سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شئ من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بولائه او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر الثموريه حسبا اثير اليه وبه يحصل التقرب ويتم التمثيل كما في قوله تعالى قاصبر ان العاقبة للثقيين على احد التفسيرين كما حقق في مقامه والافصح الدتوقى عن المعاصى لا يكون مدارا لثى من العزائم الرخص في تركها فكيف بالصبر المشار اليه ورديقه وانما مداره المعنى المذكور فكتا به قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوتوا عليه النظم الكريم مبالغة فى الحث على الصبر بالنتيجه على انه من خصائص اجل التعوت الجليله وروادفه كما ان قوله تعالى (والذين هم محسنون) للاشاره بانه من باب الاحسان الذى يتنافس فيه المتنافسون على ما فصل ذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقدنبه على ان كل من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى انه من شق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الايمان بالاعمال على الوجه اللاتقى الذى هو

حسنها الوصفى المستنزم لحسنها الذاتى وقد فسر عليه الصلاة والسلام بقوله ان تعبدالله كأنك تراه فان لم تكن (فانزل)

سورة النحل (المسئلة الرابعة) قال بعضهم ان قوله تعالى وان عاقبتم فاعقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين منسوخ بآية السيف وهذا فى غاية البعد لان المقصود من هذه الآية تعليم حسن الادب فى كيفية الدعوة الى الله تعالى وترك التعدى وطلب الزيادة ولا تعلق لهذه الاشياء بآية السيف واكثر المفسرين مشغوفون بتكثير القول بالنسخ ولارى فيه فائدة والله اعلم بالصواب قال المصنف رحمه الله ثم تفسر هذه السورة ليلة الثلاثاء بعد العشاء الاخرة بزمان معتدل وقال رحمه الله الحق عزز والطريق بعيد والمركب ضعيف والقرب بعد والوصل هجر والحقائق مصونة والمعاني فى غيب الغيب محصونة والاسرار فيما وراء العز مخزونة ويبد الخلق القليل والقال والكمال ليس الا لله ذى الاكرام والجلال والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد النبي الامى وآله وصحبه وسلم

* (سورة بنى اسرائيل عددها مائة آية وعشر آيات عن ابن عباس انها مكية غير قوله وان كادوا يستغزوتك من الارض الى قوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا فانها مدنيات تزلت حين جاء وقد تقيف) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (سبحان الذى اسرى بعبد له ليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لزيه من آياتاته هو السميع البصير) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال النحويون سبحان اسم علم التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا وسبحانا فالتسبيح هو المصدر وسبحان اسم علم للتسبيح كقوله كفرت اليمين تكفيرا وكفرنا وتفسيره تنزيه الله تعالى عن كل سوء قال صاحب النظم السبح فى اللغة التباعده يدل عليه قوله تعالى انك فى النهار سبحا الى تباعدا فعنى سبح الله تعالى اى بعده وتزهد عما لا ينبغي وتتمام المباحث العقلية فى لفظ التسبيح قد ذكرنا ها فى اول سورة الحديد وقد جاء فى لفظ التسبيح معان اخرى (احدها) ان التسبيح يذكر معنى الصلاة ومنه قوله تعالى فولوا انه كان من المسبحين اى من المصلين والسجدة الصلاة النافلة وانما قيل للمصلى مسج لان معظم الله بالصلاة ومزته له عمالا ينبغي (وثانيها) ورد التسبيح بمعنى الاستثناء فى قوله تعالى قال او سطمهم الم اقل لكم لولا تسبحون اى تسبحون وتأويله ايضا يعود الى تعظيم الله تعالى فى الاستثناء بمشيئته (وثالثها) جاء فى الحديث لا حرق سبحات وجهه ما دركت من شئ قيل معناه نور وجهه وقيل سبحات وجهه نور وجهه الذى اذا رآه الرأى قال سبحان الله وقوله اسرى قال اهل اللغة اسرى وسرى لغتان وقوله بعبد اجع المفسرون على ان المراد محمد عليه الصلاة والسلام وسعت الشيخ الامام الوالد عمر بن الحسين رحمه الله قال سمعت الشيخ الامام ابا القاسم سليمان الانصارى قال لما وصل محمد صلوات الله عليه الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة فى المارج اوحى الله تعالى اليه يا محمد بم اشرفك قال يارب بأن تسبني الى نفسك بالعبودية

حسنها الوصفى المستنزم لحسنها الذاتى وقد فسر عليه الصلاة والسلام بقوله ان تعبدالله كأنك تراه فان لم تكن (فانزل)

ترأه فانه براك وتكرير الموصول للذي ان بكفاية كل (٥٤١) من الصلتي في ولايته سبحانه من غير ان تكون احدهما تحته لاخرى وايراد

الاولى فليعلم الدلالة على الحدوث
كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة
كون متعونها شيعة راضية لهم
وتقديم التقوى على الاحسان
لان العقيلة مقدمة على النخيلة
والمراد بالموصولين اما جنس
المتقين والمحسنين وهو عليه
الصلاة والسلام داخل في زمرتهم
دخولا ولما واما هو عليه الصلاة
والسلام ومن شايه غير
عنهم بذلك مدحاهم وشاء عليهم
بالتقنين الجليلين وفيه رمز الى ان
صليحه عليه الصلاة والسلام
مستتبع لاقتداء الامة به كقول
من قال لا ين عباس رضى الله
عنه عند التسمية

اصبر نكن بك صابرين فانما
صبر الرعية عند صبر الراس
من هزم بن حيان انه قيل له حين
الاحتضار اوص قال اما لوصية
من المال واوصكم بحقوقهم ضرورة
النحل * عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة النحل
لم يحاسبه الله تعالى بما اثم عليه في
دار الدنيا وان مات في يوم تلاحا
اوليته كان له من الاجر كالذي
مات واحسن الوصية والجدلة
وحده والصلاة والسلام على
رسوله وآله اجمعين

(سورة يحيى اسرائيل مائة)
(واحدى عشرة آية مكية)
(الآيات في آخرها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحانه الذى اسرى بعبدته)
سبحان على التسليخ كعقار الرجل
بحيث كان المعنى معنى لا عينيا
وجنسيا لا تضلصا تكن اضافته
من قبيل ما في زيد المشارك
او حاتم طي وانصبا به بفعل متروك
الاظهار تقديره سجع الله سبحانه
والابصار في الارض ومنه فرس

فانزل الله فيه سبحانه الذى اسرى بعبدته وقوله ليلا نصب على الظرف فان قيل الاسراء
لا يكون الا بالليل فامعنى ذكر الليل قلنا اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير لتقليل مدة الاسراء
وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير
فيه قد دل على معنى البعضية واختلفوا في ذلك الليل قال مقاتل كان ذلك الليل قبل الهجرة
بسنة ونقل صاحب الكشف عن انس والحسين انه كان ذلك قبل البعثة وقوله من
المسجد الحرام اختلفوا في المكان الذى اسرى به منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو
الذى يدل عليه ظاهر لفظ القرآن وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بنا أنا
في المسجد الحرام في الحجر عند البليت بين النائم واليقظان اذ أتاني جبريل بالبراق وقيل
اسرى به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد على هذا القول بالمسجد الحرام الحرم
لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وهذا قول الاكثرين
وقوله الى المسجد الأقصى اتفقوا على ان الراد منه بيت المقدس وسمى بالأقصى
لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام وقوله الذى باركنا حوله قيل بالثمار والازهار وقيل
بسبب انه مقر الانبياء ومهبط الملائكة واعلم ان كلمة الى لانتها الغاية فدخل قول الله الى
المسجد الأقصى انه وصل الى حد ذلك المسجد فاما انه دخل ذلك المسجد ام لا فليس
في اللفظ دلالة عليه وقوله لزيه من آياتنا يعنى ما رأى في تلك الليلة من العجايب والآيات
التي تدل على قدرة الله تعالى فان قالوا قوله لزيه من آياتنا يدل على انه تعالى ما أراه
الابصار الآيات لان كلمة من تفيد التبعية وقال في حق ابراهيم وكذلك نرى ابراهيم
ملكوت السموات والارض فيلزم ان يكون معراج ابراهيم عليه السلام افضل من
معراج محمد صلى الله عليه وسلم قلنا الذى رآه ابراهيم ملكوت السموات والارض والذى
رآه محمد صلى الله عليه وسلم بعض آيات الله تعالى ولا شك ان آيات الله افضل ثم قال انه هو
السميع البصير اى الذى اسرى بعبدته هو السميع لاقوال محمد البصير بأفعاله العالم
بكونها مهذبة خالصة عن شوائب الرياء مقرونة بالصدق والصفاء فلهذا السبب خصه الله
تعالى بهذه الكرامات وقيل المراد سميع لما يقولون للرسول في هذا الامر بصير
بما يعملون في هذه الواقعة (السئلة الثانية) اختلف في كيفية ذلك الاسراء فالاكثرون
من طوائف المسلمين اتفقوا على انه اسرى بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم والافلون
قالوا انه ما اسرى الابروحة حكى عن محمد بن جرير الطبرى في تفسيره عن حذيفة انه قال
ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسرى بروحه وحكى هذا
القول ايضا عن عائشة رضى الله عنها وعن معاوية رضى الله عنه واعلم ان الكلام في هذا
الباب يقع في مقامين (احدهما) في اثبات الجواز العقلي والثاني في الوقوع (اما المقام
الاول) وهو اثبات الجواز العقلي فنقول الحركة الواقعة في السرعة الى هذا الحد ممكنة
في نفسها والله تعالى قادر على جميع الممكنات وذلك يدل على ان حصول الحركة في هذا

الح وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البالغ من حيث الاشتقاق من السجع الذى هو الذهاب والابصار في الارض ومنه فرس

منبوح اى واسع الجرى ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول (٤٤٢) من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما وهو علم

يشير الى الحقيقة الحاضرة
في الذهن ومن جهة قيامه
مقام المصدر مع الفعل وتيل
هو مصدر كقفران بمعنى التزهة
ففيه مبالغة من حيث اضافة
التزهة الى ذاته المقدسة ومناسبة
تامة بين المحذوف وبين ما عطف
عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى
كأنه قيل تزهة بذاته وتعالى
والاسراء السير بالليل خاصة
كالمسير وقوله تعالى (ليلا)
لإفادة فلة زمان الاسراء لا فيه
من التنكير الدال على البعضية
من حيث الاجزاء دلالة على
البعضية من حيث الافراد فان
قوك سرت ليلا كإفيد بعضية
زمان سيرك من الليالي يفيد
بعضيته من فرد واحد منها بخلاف
ما اذا قلت سرت ليل فانه يفيد
استيعاب السير له جميعا فيكون
معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده
قراءة من الليل اى بضهه وإشار
لفظ العبد للإيدان بتخصسه
عليه الصلاة والسلام في عبادته
مبصانه وبلوغه في ذلك غاية
الغايات القاصية ونهاية النهايات
النشأة حسبا بلوح به مبدأ
الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه
اول التزهة الى الموصول المذكور
للاشارة بعلية ما في حيز الصلاة
لخصا فان ذلك من ادلة كمال
قدرته وبالغ حكمته ونهاية تزهده
من صفات المحلوقين (من المسجد
الحرام) (يختلف في مبدأ الاسراء
ف قيل هو المسجد الحرام بعينه
وهو الظاهر فانه روى عنه عليه
الصلاة والسلام انه قال بينما
انا في المسجد الحرام في الحجر
عند البيت بين النائم واليقظان
اذ اتاني جبريل عليه الصلاة

والسلام بالبراق وقيل هو دار أم هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسبه (رضى)

اولان الحرم كله مسجد فانه روى عن ابن عباس رضى الله (٥٤٣) عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان قائما في بيتهم هاتين بعد صلاة

رضي الله عنه كانه قال لاسلت رسالته فقد صدقته فيها هو اعظم من هذا فكيف ا كذبه
في هذا (الوجه الرابع) ان اكثر ارباب الملل والنحل يسئون وجود ابليس ويسلون انه
هو الذي يتولى القاء الوسوسة في قلوب بني آدم ويسلون انه يمكنه الانتقال من المشرق الى
المغرب لاجل القاء الوسوسة في قلوب بني آدم فلا سلوا جواز مثل هذه الحركة السريعة
في حق ابليس فلا ينسلوا جواز مثلها في حق ا كابر الانبياء كان اولي وهذا الاثرام قوى
على من يسلم ان ابليس جسم يتقل من مكان الى مكان اما الذين يقولون انه من الارواح
الخيئية الشريرة وانه ليس بجسم ولا جسماني فهذا الاثرام غير وارد عليهم الا ان اكثر
ارباب الملل والنحل يوافقون على انه جسم لطيف متقل فان قالوا هب ان الملائكة
والشياطين يصح في حقهم حصول مثل هذه الحركة السريعة لانهم اجسام لطيفة
ولا يمنع حصول مثل هذه الحركة السريعة في ذواتها اما الانسان فانه جسم كثيف
فكيف يعقل حصول مثل هذه الحركة السريعة فيه فلنأخذ انما استدلتنا بأحوال
الملائكة والشياطين على ان حصول حركة منتبهة في السرعة الى هذا الحد يمكن في نفس
الامر واما بان هذه الحركة لما كانت ممكنة الوجود في نفسها كانت ايضا ممكنة
الحصول في جسم البدن الانساني فذلك مقام آخر سيأتى تقريره ان شاء الله تعالى (الوجه
الخامس) انه جاء في القرآن ان ارباب كانت تسير بسلام عليه الصلاة والسلام الى
المواضع البعيدة في الاوقات القليلة قال تعالى في صفة مسير سليمان عليه الصلاة والسلام
غدا هو اشهر ورواحها شهر بل نقول الحس يدل على ان الرياح تنقل عند شدة هبوبها من
مكان الى مكان في غاية البعد في اللحظة الواحدة وذلك ايضا يدل على ان مثل هذه الحركة
السريعة في نفسها ممكنة (الوجه السادس) ان القرآن يدل على ان الذي عنده علم من
الكتاب احضر عرش بلقيس من اقصى اليمن الى اقصى الشام في مقدار لمح البصر بدليل
قوله تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واذا كان
ممكننا في حق بعض الناس حملنا انه في نفسه ممكن الوجود (الوجه السابع) ان من الناس
من يقول الحيوان انما يبصر البصرات لاجل ان الشعاع يخرج من عينه ويتصل بالبصر
ثم اذا اذ قمنا العين ونظرا الى رجل رأينا ضلي قول هؤلاء انتقل شعاع العين من ابصارنا
الى رجل في تلك اللحظة اللطيفة وذلك يدل على ان الحركة الواقعة على هذا الحد من
السرعة من الممكنات لامن المتعنت فثبت بهذه الوجوه ان حصول الحركة المنتبهة
في السرعة الى هذا الحد امر ممكن الوجود في نفسه (المقدمة الثانية) في بيان ان هذه
الحركة لما كانت ممكنة الوجود في نفسها وجب ان لا يكون حصولها في جسد محمد صلى
الله عليه وسلم متمعا والذي يدل عليه اثباتنا بالدلائل القطعية ان الاجسام متماثلة في تمام
ماياتها فلا يصح حصول مثل هذه الحركة في حق بعض الاجسام وجب امكان حصولها
في سائر الاجسام وذلك يوجب القطع بأن حصول مثل هذه الحركة في جسد محمد صلى الله

المساء فكان ما كان قصه عليها
فلما قام ليخرج الى المسجد ثبتت
بنوبه عليه الصلاة والسلام لثبته
خشية ان يكذبه القوم قال عليه
الصلاة والسلام وان كذبتوني فلما
خرج جلس اليه ابو جهل فآخبره
صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء
فقال ابو جهل يا معشر كسب بن
لؤي بن غالب هلم فنعلم هه
مصطفى وواضع يده على راسه
نهبنا وانتكرا واراد ناس من
كان آمن به وسعى رجال اليه
بكر فقال ان كان قال ذلك لقد
صدق قالوا انصدقه على ذلك
قال اني اصدقه على ابعد من
ذلك فسمى الصديق وكان فيهم
من يعرف بيت المقدس فاستنصوه
المسجد فبعي له بيت المقدس طفلي
ينظر اليه وينتبه لهم فقالوا اما
لننتقد اصاب فقالوا اخبرنا
عن ميراثنا فآخبرهم بعدد رجالها
واحوالها وقال تقدم يوم كذا
مع طلوع الشمس يقدمها جل
اورق فخرجوا يستندون ذلك
اليوم نحو الثانية فقال قائل منهم
هذه والله الشمس قد اشرقت
فقال آخر هذه والله العروق قد
اقلت يقدمها جل اورق كما
قال محمد ثم لم يؤمنوا قال لهم الله
اني يؤفكون * واختلف في وقته
ايضا فقبل كان قبل الهجرة بسنة
وعن انس والحسن انه كان قبل
الهجرة واختلف ايضا انه في ليلة
اوفي التمام فمن الحسن انه كان
في التمام واكثر الاوائل يخلافه
والحق ان كان في التمام قبل الهجرة
وفي الليلة بعدها واختلف ايضا
انه كان جمعا في اورق ولحننا
عائشة رضى الله عنها انها قالت

ما نقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انه قال اتعرج بروحه والحق انه كان

جسمانيا على ما ينبغي عنه التصدير بهذه المثابة ولذلك تعجب منه قريش وأحباله ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضئيف قطر الارض مائة وثيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكلها لها اقل من ثمانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض التي من جنسها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطه الاكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم يكن مستعبدا لم يكن مبحرة (الى المسجد الاقصى) اى بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حيثئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى (الذى باركنا حوله) ببركات لذين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام (لقرنه) غاية للاسراء (من آياتنا) العظيمة التي من جعلتها ذهابا في رهة من الليل مسيرة تسير ولا يقدر في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووفوه على مقاماتهم العلية عليهم الصلاة والسلام والانتفاذ الى التكلم لتضيق تلك البركات والآيات وقرئ ليريه باليا (انه هو السميع) لا قواله عليه الصلاة والسلام بلاذن (البعير) بأفعاله بلا بصير حسب ما يؤذن به القصر فيكرمه ويقر به بحسب ذلك وفيه اعاء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتسرك منه

بالتنزيه وما في ضميره من التعجب (٥٤٤) فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة عليه وسلم امر ممكن الوجود في نفسه واذا ثبت هذا فنقول ثبت بالدليل ان خالق العالم قادر على كل الممكنات ونبت ان حصول الحركة البالغة في السرعة الى هذا الحد في جسد محمد صلى الله عليه وسلم ممكن فوجب كونه تعالى قادر عليه وحيثئذ يلزم من مجموع هذه القدمات ان القول بثبوت هذا المعراج امر ممكن الوجود في نفسه اقصى ما في الباب انه يبقى التعجب الا ان هذا التعجب غير مخصوص بهذا المقام بل هو حاصل في جميع المجازات فانقلاب العصائب انما تبلى سبعين الفاحبل من الحبال والعصى ثم تعود في الحال عصا صغيرة كما كانت امر عجيب وخروج الناقة العظيمة من الجبل الاصم واطلال الجبل العظيم في الهواء عجيب وكذا القول في جميع المجازات فان كان مجرد التعجب يوجب الانكار والدفع لزم الجرم بفساد القول باثبات المجازات واثبات المجازات فرع على تسليم اصل النبوة وان كان مجرد التعجب لا يوجب الانكار والاطال فكذا ههنا فهذا تمام القول في بيان ان القول بالمعراج ممكن غير متعجب والله اعلم (المقام الثاني) في البحث عن وقوع المعراج قال اهل التحقيق الذي يدل على انه تعالى اسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الاقصى القرآن والخبر اما القرآن فهو هذه الآية وتقرير الدليل ان العبد اسم لمجموع الجسد والروح فوجب ان يكون الاسراء حاصلًا لمجموع الجسد والروح واعلم ان هذا الاستدلال موقوف على ان الانسان هو الروح وحده او الجسد وحده او مجموع الجسد والروح اما القائلون بأن الانسان هو الروح وحده فقد احتجوا عليه بوجوه (احدها) ان الانسان شيء واحد باق من اول عمره الى آخره والاجزاء البدنية في التبدل والتغير والانتقال والباقي غير متبدل فالانسان مغاير لهذا البدن (وثانيها) ان الانسان قد يكون عارفا بذاته المخصوصة حال ما يكون غافلا عن جميع اجزائه البدنية والمعلوم مغاير للمفصول عنه فالانسان مغاير لهذا البدن (وثالثها) ان الانسان يقول بمقتضى فطرته السليمة يدى ورجلى ودماغى وقلبي وكذا القول في سائر الاعضاء فيضيف كلها الى ذاته المخصوصة والمضاف غير المضاف اليه بذاته المخصوصة وجب ان تكون مغايرة لكل هذه الاعضاء فان قالوا ليس انه يضيف ذاته الى نفسه فيقول ذاتى ونفسى فيلزمكم ان تكون نفسه مغايرة لذاته وهذا محال قلنا نحن لا نتكلم بمجرد اللفظ حتى يلزمنا ما ذكرتموه بل انما نتكلم بمحسوس العقل فان صرح العقل يدل على ان الانسان موجود واحد وذلك الشيء الواحد يأخذ بألة اليد ويبصر بألة العين ويسمع بألة الاذن فالانسان شيء واحد وهذه الاعضاء آلات له في هذه الافعال وذلك يدل على ان الانسان شيء مغاير لهذه الاعضاء والآلات ثبت بهذه الوجوه ان الانسان شيء مغاير لهذه البنية ولهذا الجسد اذا ثبت هذا فنقول سبحانه الذي اسرى بعبد المراد من العبد جوهر الروح وعلى هذا التقدير فلم يبق في الآية دلالة على حصول الامراء بالجسد فان قالوا فالاسراء بالروح ليس بأمر يخالف للعادة فلا يليق به

عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته والا فلاحاطة بأقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقریب والالتفات (ان)

ان يقال سبحان الذى أسرى بعبده قلنا هذا ايضا بعيد لانه لا يعد ان يقال انه حصل
لروح من انواع المكشفات والمشاهدات مالم يحصل اغيره البتة فلا جرم كان هذا
الكلام لاشابه فهذا تقرير وجه السؤال على الاستدلال بهذه الآية في اثبات المعراج
بالروح والجسد معا والجواب ان لفظ العبد لا يتناول الا مجموع الروح والجسد والدليل
عليه قوله تعالى ارايت الذى بنى عبدا اذا صلى ولا شك ان المراد من العبد ههنا مجموع
الروح والجسد وقال ايضا في سورة الجن وانه لما قام عبدا لله بدعوة كادوا يكونون عليه
لبدا والمراد مجموع الروح والجسد فكذا ههنا واما الخريف فهو الحديث المروى في الصحاح
وهو مشهور وهو يدل على الذهاب من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى السموات واحتج
المنكرون له بوجوه (احدها) بالوجوه العقلية وهى ثلاثة اولها ان الحركة بالالفظة
فى السرعة الى هذا الحد غير معقولة (وثانيها) ان صعود الجرم الثقيل الى السموات غير
معقول (وثالثها) ان صعوده الى السموات يوجب انحراف الافلاك وذلك محال (والشبهة
الثانية) ان هذا المعنى لو صح لكان اعظام من سائر المعجزات وكان يجب ان يظهر ذلك عند
اجتماع الناس حتى يستدلوا به على صدقه في ادعاء النبوة فاما ان يحصل ذلك في وقت لا يراه
احد ولا يشاهده احد فانه يكون ذلك عبثا وذلك لا يليق بالحكيم (والشبهة الثالثة) تمسكوا
بقوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وماتلك الرؤيا الاحديث المعراج وانما
كان فتنة للناس لان كثيرا من آمن به لمسمع هذا الكلام كذبه وكفر به فكان حديث
المعراج سببا لفتنة الناس فثبت ان ذلك رؤيا رآه في المنام (الشبهة الرابعة) ان حديث
المعراج اشتمل على اشياء بعيدة منها ما روى من شق بطنه وتطهيره بما زمزم وهو بعيد لان
الذى يمكن غسله بالماء هو الجاسات العينية ولا تأثير لذلك في تطهير القلب عن العقائد
الباطلة والاخلاق المذمومة ومنها ما روى من ركوب البراق وهو بعيد لانه تعالى لماسيره
من هذا العالم الى عالم الافلاك فأى حاجة الى البراق ومنها ما روى انه تعالى أوجب خمسين
صلاة ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يزل يتردد بين الله تعالى وبين موسى الى ان عاد الخمسون
الى خمس بسبب شفقة موسى عليه الصلاة والسلام قال القاضي وهذا يقتضى نسخ الحكم
قبل حضوره وانه يوجب البداء وذلك على الله تعالى محال فثبت ان ذلك الحديث مشتمل
على ما لا يجوز قبوله فكان مردودا والجواب عن الوجوه العقلية قد سبق فلا تعيدها
(والجواب عن الشبهة الثانية) ما ذكره الله تعالى وهو قوله لزيه من آياتنا وهذا كلام
مجمل وفي تفصيله وشرحه وجوه (الاول) ان خيرات الجنة عظيمة واهوال النار شديدة
فلوانه عليه الصلاة والسلام ماشاهدهما في الدنيا ثم شاهدهما في ابتداء يوم القيامة فرما
رغب في خيرات الجنة وخاف من اهوال النار اما لما شاهدهما في الدنيا في ليلة المعراج
فحينئذ لا يعظم وقعهما في قلبه يوم القيامة فلا يبق مشغول القلب بهما وحينئذ يتفرغ
لشفاعة (الثاني) لا يمنع ان تكون مشاهدته ليلة المعراج للانبياء والملائكة صارت

الى الغيبة لتربية المهابة (وآتينا
موسى الكتاب اى التوراة وقفيه
إيعاده الى دعوته عليه الصلاة
والسلام الى الطور وما وقع
فيه من المناجاة جمع بين الامرين
التخدين فى المعنى ولم يذكر ههنا
العروج بالنبى عليه السلام الى
السما وما كان فيه مما لا يكتنه
كنهه حسبا فطقت به سورة النجم
تقريبا للاسراء الى قبول
السامعين اى آتينا التوراة بعد
ما سريته الى الطور (وجعلناه)
اى ذلك الكتاب (هدى لنبى
اسرائيل) ليتهدوا بما في معطويه
(ان لا تغفروا) اى لا تغفروا لغفوه
كسبت اليه ان افعل كذا وفرى
بالياء على ان مصدرية والمعنى
آتينا موسى الكتاب لهداية نبى
اسرائيل لئلا يغفروا (من دوى
وكيلا) اى دبا تكون اليه
اموركم والافراد لما ان فيسلا
مفرد فى القفط جمع فى المعنى
(زدية من جملتنا مع نوح) نصب
على الاختصاص او النداء على
قراءة النهى والمراد تأكيدها
على التوحيد بتذكير اسماء
تعالى عليهم فى ضمن انباء آياتهم
من الغفر فى سفينة نوح عليه
السلام او على انه احد مغفولى
لا تغفروا على قراءة النفى ومن
دوى حال من وكيلا فيكون
كقوله تعالى ولا يأمرك ان
تغفروا للملائكة والنبين اربابا
وقرى بالرفع على انه خبر مبتدأ

سبيل التكمال مصلحته او مصلحتهم (الثالث) انه لا يبعد انه اذا صعد الفلك وشاهد احوال السموات والكرسى والعرش صارت مشاهدة احوال هذا العالم واهواله حقيرة في عينه فتحصل له زيادة قوة في القلب باعتبارها يكون في شروعه في الدعوة الى الله تعالى اكل وقلة التفاته الى اعداء الله تعالى اقوى بين ذلك ان من عاين قدرة الله تعالى في هذا الباب لا يكون حاله في قوة النفس وثبات القلب على احتمال المكروه في الجهاد وغيره الاضعاف ما يكون عليه حال من لم يعاين واعلم ان قوله لترية من آياتنا كالدلالة على ان فائدة ذلك الاسراء مختصة به وعادة اليه على سبيل التعيين (والجواب عن الشبهة الثالثة) اننا عند الانتهاء الى تفسير تلك الآية في هذه السورة نين ان تلك الرؤيا رؤيا عين لا رؤيا منام (والجواب عن الشبهة الرابعة) لا اعتراض على الله تعالى في افعاله فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والله اعلم (المسئلة الرابعة) اما العروج الى السموات والى ما فوق العرش فهذه الآية لا تدل عليه ومنهم من استدل عليه بأول سورة النجم ومنهم من استدل عليه بقوله تعالى لتركن طبقا عن طبق وتفسيرهما مذكور في موضعه وامادلالة الحديث فكما سلف والله اعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من جعلنا مع نوح انه كان عبدا شكورا (في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان الكلام في الآية التي قبل هذه الآية وفيها انتقل من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة لان قوله سبحانه الذي اسرى فيه ذ كرائه على سبيل الغيبة وقوله باركناه لونه من آياتنا في ثلاثة الفاظ دالة على الحضور وقوله انه هو السميع البصير يدل على الغيبة وقوله وآتينا موسى الكتاب الخ يدل على الحضور وانتقال الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس يسمى سعة الالتفات (المسئلة الثانية) ذكر الله تعالى في الآية الاولى اكرامه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن اسرى به وذكر في هذه الآية انه اكرم موسى عليه الصلاة والسلام قبله بالكتاب الذي آتاه فقال وآتينا موسى الكتاب بمعنى التوراة وجعلناه هدى لى يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الحق وقوله ألا تتخذوا من دوني وكيلا فوه ابجاث (البحت الاول) قرأ ابو عمرو ألا تتخذوا بالياء خبرا عن بنى اسرائيل والباقون بالناء على الخطاب اى قلنا لهم لا تتخذوا (البحت الثاني) قال ابو على الفارسي ان قوله ألا تتخذوا فيه ثلاثة اوجه (احدها) ان تكون ان ناصبة للفعل فيكون المعنى وجعلناه هدى لثلاث تتخذوا (وثانيا) ان تكون ان بمعنى اى التى للتفسير وانصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب في قراءة العامة كما انصرف منها الى الخطاب والامر في قوله وانطلق الملا منهم ان امشوا فكذلك انصرف من الغيبة الى التهي في قوله ألا تتخذوا (وثالثها) ان تكون ان زائدة ويجعل تتخذوا على القول المضمر والتقدير وجعلناه هدى لبني اسرائيل قلنا لا تتخذوا من دوني وكيلا (البحت الثالث)

(قوله)

محذوف او يدل من واولا تتخذوا بابدال الظاهر من ضمير الخطاب كما هو مذهب بعض البغادة وقرئ ذرية بكسر الذال (انه) اى ان نوحا عليه الصلاة والسلام (كان عبدا شكورا) كثير الشكر في جميع حالاته وفيه ايدان بأن انجاء من معه كان ببركة شكره عليه الصلاة والسلام وحس للذرية على الاقتداء به ونزجر لهم عن الشرك الذى هو اعظم مراتب الكفر ان وقيل الضمير لموسى عليه السلام (وقضينا) اى اعطنا واحكمنا منزلي (الى بنى اسرائيل) او موحيين اليهم (في الكتاب) اى فى التوراة فان الازال والوحى اى موسى عليه السلام ازال ووحى اليهم (لتفسد في الارض) جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحذوف مجرى القسم كانه قيل واقتنا لتفسد (مرتين) مصدر والعامل فيه من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعيا عليه الصلاة والسلام وحبس ارميا حين أذهره سطوته تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام (ولنعلن علوا كبيرا) لتستكون عن طاعة الله سبحانه اولتنا بن الناس بالظلم والعدوان وتقرظن في ذلك افراطا تجاوزا للمحدود فاذا تجاوزا عدولا لهما اى اولى كرى

قوله وكبلا اي ربانكولون اموركم اليه اقول حاصل الكلام في الآية انه تعالى ذكر
تسريف محمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء ثم ذكر عقبيه تسريف موسى عليه الصلاة
والسلام بازال التوراة عليه ثم وصف التوراة بكونها هدى ثم بين ان التوراة انما
كان هدى لاشتماله على النهي عن اتخاذ غير الله وكبلا وذلك هو التوحيد فرجع حاصل
الكلام بعد رعاية هذه المراتب انه لا معراج اعلى ولا درجة اشرف ولا منقبة اعظم من
ان يصير المرء غرقا في بحر التوحيد وان لا يعول في امر من الامور الا على الله فان نطق
نطق بذكر الله وان تفكر تفكر في دلائل تنزيهه تعالى وان طلب طلب من الله فيكون
كله لله وبالله ثم قال ذرية من جلتنا مع نوح وفي نصب ذرية وجهان (الاول) ان يكون
نصبا على النداء يعني باذرية من جلتنا مع نوح وهذا قول مجاهد لانه قال هذا نداء قال
الواحدى وانما يصح هذا على قراءة من قرأ بالهاء كانه قبل لهم لا تتخذوا من دوني وكبلا
يا ذرية من جلتنا مع نوح في السفينة قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح لانه كان معه في
السفينة ثلاثة بنين سام وحام وياث فالتاس كلهم من ذرية اولئك فكان قوله يا ذرية من
جلتنا مع نوح قائما مقام قوله يا بني الناس (الوجه الثاني) في نصب قوله ذرية ان
الاتخاذ فعل يتعدى الى مفعولين كقوله واتخذ الله ابراهيم خليله والتقدير لا تتخذوا ذرية
من جلتنا مع نوح من دوني وكبلا ثم انه تعالى اثني على نوح فقال انه كان عبدا شكورا
اي كان كثير الشكر روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اكل قال الحمد لله الذي
اطعمني ولوشاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي اسقاني ولوشاء اطعماني واذا
اكتمى قال الحمد لله الذي كساني ولوشاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني
ولوشاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولوشاء
حبسه وروى انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجدته محتاجا
آثر به فان قيل قوله انه كان عبدا شكورا ماوجه ملايمته لما قبله فلنا التقدير كانه قال
لا تتخذوا من دوني وكبلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه الصلاة والسلام كان عبدا شكورا
وانما يكون العبد شكورا لو كان موحدا لا يرى حصول شيء من النعم الا من فضل الله
وانتم ذرية قومه فاقبلوا بنوح عليه السلام كان اباكم اقتدوا به والله اعلم بقوله
تعالى (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسد في الارض مرتين وتعلمن علوا كبيرا
فاذا جاء وعداؤهم بعثنا عليهم عبادنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان
وعدا مفعولا ثم ردنا لكم الكرة عليهم وامدناكم بأموال وبنيين وجعلناكم كاثرة نفيرا)
اعلم انه تعالى لما ذكر انعامه على بني اسرائيل بازال التوراة عليهم وبانه جعل التوراة
هدى لهم بين انهم ما هتدوا بهداه بل وقعوا في الفساد فقال وقضينا الى بني اسرائيل في
الكتاب لتفسد في الارض مرتين وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) القضاء في اللغة
عبارة عن قطع الاشياء عن احكام ومنه قوله قضاهن سبع سموات وقول الشاعر

الافساد اي حان وقت حلول
العقاب الموعود (بعثنا عليكم)
لما أخذتكم بمناياكم (عبادا
لنا) وقرئ عبيدنا (اولي بأس
شديد) ذوي قوة وبطش في
الحروب هم سفاريب من اهل
ينوى وجنوده وقبل يختصر
عادل لهراسب وقيل جالوت
(فجاسوا) اي ترددوا لطلبكم
الفساد وقرئ بالهاء والمعنى
واحد وقرئ وجوسوا (خال
الديار) في اوساطها للقنل
والغارة وقرئ خلل الديار فقلوا
عشاهم وكبارهم واحرقوا
التوراة وخربوا المسجد وسبوا
منهم سبعين الفا وذلك من قبل
تولية بعض الظالمين بعضا مما
جرت به السنة الالهية (وكان)
ذلك (وعدا مفعولا) لا بمائة
بحيث لا صارف عنه ولا مبدل
(ثم ردنا لكم الكرة) اي الدولة
والغلبة (عليهم) على الذين فعلوا
بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين
يتم ورجعتم عما كنتم عليه من
الافساد والعلو قيل هي قتل
بختنصر واستنقاذ بني اسرائيل
اسراهم واموالهم ورجوع
الملك اليهم وذلك انه لما ورثهم
ابن اسفنديار الملك من جسده
كشتماف بن لهراسب التي الله
تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد
اسراهم الى الشام وملك عليهم
دنياه عليه السلام فاستولوا على
من كان فيها من اتباع بختنصر

« وعليهما مسرودتان فضاها » داود * ق قوله وقضينا اى اعطاهما واخبرناهم بذلك وأوحينا اليهم ولفظ الى صلة للإبقاء لان معنى قضينا أوحينا اليهم كذا وقوله لتفسدن ريد المعاصي وخلاف احكام التوراة وقوله فى الارض يعنى ارض مصر وقوله ولنعلن علوا كبيرا يعنى انه يكون استعلاؤكم على الناس بغير الحق استعلاء عظيما لانه يقال لكل متجبر قد علوا وتعظم ثم قال فاذا جاء وعد اولاهما يعنى أولى المرتين بعشنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد والمعنى انه اذا جاء وعد الفساد فى المرة الاولى أرسلنا عليكم قوما أولى بأس شديد ونجدة وشدة والبأس القتال ومنه قوله تعالى وحين البأس ومعنى بعشنا عليكم أرسلنا عليكم وخلينا بينكم وبينهم خاذلين اياكم واخلفوا فى ان هؤلاء العباد من هم قيل ان بنى اسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك اول الفسادين فسلط الله عليهم يختصر فقتل منهم اربعين القامين يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى ارض نفسه فبقوا هناك فى الذل الى ان قبض الله ملكا آخر فزنا اهل بابل واتفق ان تزوج بامرأة من بنى اسرائيل فطلبت تلك المرأة من ذلك الملك ان يرد بنى اسرائيل الى بيت المقدس ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا الى احسن ما كانوا فهو قوله ثم رددنا لكم الكرة عليهم (والقول الثانى) ان المراد من قوله بعشنا عليكم عبادنا ان الله تعالى سلط عليهم جالوت حتى اهلكهم وأبادهم وقوله ثم رددنا لكم الكرة هو انه تعالى قوى ظالوت حتى حارب جالوت ونصرداود حتى قتل جالوت فذلك هو عود الكرة (والقول الثالث) ان قوله بعشنا عليكم عبادنا هو انه تعالى ألحق اربع من بنى اسرائيل فى قلوب الجحوس فلما كثرت المعاصي فهم أزال ذلك اربع عن قلوب الجحوس فقصدهم وبالفعل فى قتلهم واقنائهم واهلاكهم واعلم انه لا يتعلق كثير فرض فى معرفة أولئك الأقوام باعيانهم بل المقصود هو انهم لما كثروا من المعاصي سلط عليهم اقواما قتلوهم واقوهم ثم قال تعالى فجاسوا خلال الديار قال الليث الجوس والجوسان الزرذ خلال الديار والبيوت فى الفساد والخلال هو الانفراج بين الشيتين والديار ديار بيت المقدس واختلفت عبارات المفسرين فى تفسير جاسوا فعن ابن عباس فقتلوا وقال ابو عبيدة طلبوا من فيها وقال ابن قتية عاثوا وافسدوا وقال الزجاج طافوا خلال الديار هل بى احد لم يقتلوه قال الواحدى الجوس هو الزردو والطلب وذلك محتمل لكل ما قالوه ثم قال تعالى وكان وعدا مفعولا اى كان قضاء الله بذلك قضاء جزما احتمالا لا يقبل النقص والنسخ ثم قال تعالى ثم رددنا لكم الكرة اى اهلكنا اعداءكم ورددنا الدولة والقوة عليكم وجعلناكم اكثر نفيرا النفير العدمن الرجال واصله من نفر مع الرجل من عشرته وقومه والنفير والنافر واحد كالقدر والقادر وذكرنا معنى نفر عند قوله فلولا نفر من كل فرقة وقوله انفر واخفا (المسئلة الثانية) اخرج اصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم فى مسئلة القضاء والقدر من وجوه (الاول) انه تعالى قال وقضينا الى بنى اسرائيل

وقيل هى قتل داود عليه السلام لجالوت (وامددناكم بأموال) كثيرة بعد ما نهت اموالكم (وبين) بدماسيت اولادكم (وجعلناكم اكثر نفيرا) مما كنتم من قبل اومن عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتهدون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعنى (ان احستم) اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعبدية الى الغير اعلمتوها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان تكون الاعمال حسنة فى انفسها وان فعلتم الاحسان (احستم لانفسكم) لان ثوابها لهما (وان اسلم) اعمالكم بأن عملتوها لى اعلى الوجه اللائق ويلزمه السوء الذى اوفيتهم الاسامة (فلها) اذ عليها وبالها وعن على كسرهم الله وجهه ما احصت الى احد ولا سأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد الاخرة) حان وقت ما وعدتم عقوبة المردة الاخرة (ليسوا) وجوهكم (متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اى بعشناهم ليسوا ومعنى ليسوا وجوهكم ليصلوا آثار المساءة والفساد بادية فى وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوا عن ابي الخير لله تعالى اولو ولد او ليعت ولنسوء بنون العظيمة وفى قراءة

في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين وتعلن علوا كبيرا وهذا القضاء أقل احتمالاته الحكم الجزم والخبر الحتم ثبت انه تعالى أخبر عنهم انهم سيقدمون على الفساد والمعاصي خبر اجزما حتما لا يقبل التسخيع لان القضاء معناه الحكم الجزم على ما شرعناه ثم انه تعالى أكد ذلك القضاء من دنا أكد فقال وكان وعدا مفعولا اذا ثبت هذا فنقول عدم وقوع ذلك الفساد عنهم يستلزم انقلاب خبر الله تعالى الصدق كذبا وانقلاب حكمه الجازم باطلا وانقلاب علمه الحق جهلا وكل ذلك محال فكان عدم اقدامهم على ذلك الفساد محالا فكان اقدامهم عليه واجبا ضروريا لا يقبل التسخيع والرفع مع انهم كفوا بتركه ولعنوا على فعله وذلك يدل على قولنا ان الله قد بدأ برشي ويصدعنه وقد نهى عن شيء ويقضى بخصيله فهذا احد وجوه الاستدلال بهذه الآية (الوجه الثاني) في الاستدلال بهذه الآية قوله تعالى بعثنا عليكم عبادنا اولي بأس شديد والمراد أولئك الذين تسلطوا على بني اسرائيل بالقتل والنهب والامسرفين تعالى انه هو الذي بعثهم على بني اسرائيل ولا شك ان قتل بني اسرائيل ونهب اموالهم واسراؤلادهم كان مشتملا على الظلم الكثير والمعاصي العظيمة ثم انه تعالى اضاف كل ذلك الى نفسه بقوله ثم بعثنا عليكم وذلك يدل على ان الخير والشر والطاعة والمعصية من الله تعالى اجاب الجبابرة عنه من وجهين (الاول) المراد من بعثنا عليكم هو انه تعالى امر أولئك الاقوام بفزو بني اسرائيل لما ظهر فيهم من الفساد فاضيف ذلك الفعل الى الله تعالى من حيث الامر (والثاني) ان يكون المراد خليفائهم وبين بني اسرائيل وما لقينا الخوف من بني اسرائيل في قلوبهم وحاصل الكلام ان المراد من هذا البعث التعزية وعدم المنع واعلم ان الجواب الاول ضعيف لان الذين قصدوا تخريب بيت المقدس واحراق التوراة وقتل حفاظ التوراة لا يجوز ان يقال انهم فعلوا ذلك بأمر الله تعالى والجواب الثاني ايضا ضعيف لان البعث على الفعل عبارة عن التقوية عليه والقاء الدواعي القوية في القلب واما التعزية فعبارة عن عدم المنع والاول فعل والثاني ترك تفسير البعث بالتعزية تفسير لاحد الضدين الآخر وانه لا يجوز ثبت صحة ما ذكرناه والله اعلم قوله تعالى (ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء عد الاخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبرأ ما علوا تبيرا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى حكى عنهم انهم لما عصوا سلط عليهم اقواما قصدوهم بالقتل والنهب والسبي ولما تابوا ازال عنهم تلك الحنة واعاد عليهم الدولة فعد ذلك بظهور انهم ان اطاعوا فقد احسنوا الى انفسهم وان أسروا على المعصية فقد أسأوا الى انفسهم وقد تقرر في العقول ان الاحسان الى النفس حسن مطلوب وان الاساءة اليها قبيحة فلماذا المعنى قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها (المسئلة الثانية) قال الواحدى لادبهنا من اضمار

على رضى الله عنه للنسوان على انه جواب اذا قرئ النسوان بالنون الخفيفة وليسوان واللام في قوله عز وجل (وليدخلوا المسجد) عطف على ليسووا متعلق بماتلق هو به (كما دخلوه اول مرة) اى في اول مرة (وليتبرأ) اى يهلكوا (ما علوا) ما علوهم واستولوا عليه واعدة علومهم (تبيرا) قطعيا لا بوصف بأن سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فزاعهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرد وقيل جردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرا بينهم فوجد فيه دما يفل فسألهم عنه لم تصدقوني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا قتلوا انه دم يحيى بن ذكريا عليهما الصلاة والسلام فقال لثل هذا يشتم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى ورك ما أصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا يلقى منهم احدا فهذا (عسى ربكم ان يرجعكم) بعد المرة الاخرة ان تقيم توبة اخرى وان جرت عمدا كتمت عليه المعاصي (وان عذبتكم الى ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى) عذبتكم الى عقوبتكم ولقد عادوا فعاد الله سبحانه عليهم النعمة بأن سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم

والقدير وقلنا ان احسنتم احسنتم لانفسكم والمعنى ان احسنتم بفعل الطاعات فقد احسنتم الى انفسكم من حيث ان ببركة تلك الطاعات يفتح الله عليكم ابواب الخيرات والبركات وان أسأتم بفعل المحرمات أسأتم الى انفسكم من حيث ان يشؤم تلك المعاصي يفتح الله عليكم ابواب العقوبات (المسئلة الثالثة) قال النحويون انما قال وان أسأتم فلها للتقابل والمعنى فاليها او فعلها مع ان حروف الاضافة يقوم بعضها مقام بعض كقوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها اي اليها (المسئلة الرابعة) قال اهل الاشارات هذه الآية تدل على ان رحمة الله تعالى غالبه على غضبه بدليل انه لما حكى عنهم الاحسان اعاده مرتين فقال ان احسنتم احسنتم لانفسكم ولما حكى عنهم الاساءة اقتصر على ذكرها مرة واحدة فقال وان أسأتم فلها ولولا ان جانب الرحمة غالب والا لما كان كذلك ثم قال تعالى فاذا جاء وعد الآخرة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال المفسرون معناه وعد المارة الاخيرة وهذه المرة الاخيرة هي اقدامهم على قتل زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام قال الواحدى فبعث الله تعالى عليهم مختصرا البابى المجوسى ابغض خلقه اليه فسبى بنى اسرائيل وقتل وخرب بيت المقدس اقول التواريخ تشهد بأن يختصر كان قبل وقت عيسى عليه الصلاة والسلام ويحيى وزكريا عليهما الصلاة والسلام بسنتين متطاولة ومعلوم ان الملك الذى انتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له قسطنطين الملك والله اعلم بأحوالهم ولا يتعلق غرض من اغراض تفسير القرآن بمعرفة اعيان هؤلاء الاقوام (المسئلة الثانية) جواب قوله فاذا جاء محذوف تقديره فاذا جاء وعد الآخرة بعناهم ليسووا وجوهكم وانما حسن هذا الحذف لدلالة ما تقدم عليه من قوله بعنا عليكم عبادنا ثم قال ليسووا وجوهكم وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) يقال ساءه بسوءه أى أحزنه وانما عزا الاساءة الى الوجوه لان آثار الاعراض النفسانية الحاصلة فى القلب انما تظهر على الوجه فان حصل الفرح فى القلب ظهرت النضرة والاشراق والاسفار فى الوجه وان حصل الحزن والخوف فى القلب ظهرت الكلوح والغبرة والسواد فى الوجه فلهذا السبب عزيت الاساءة الى الوجوه فى هذه الآية ونظير هذا المعنى كثير فى القرآن (المسئلة الثانية) قرأ العامة ليسووا على صيغة المفاعلة قال الواحدى وهى موافقة للمعنى واللفظ اما المعنى فهو ان المبعوثين هم الذين يسوونهم فى الحقيقة لانهم هم الذين يقتلون ويأسرون واما اللفظ فلانه يوافق قوله وليد خلو السجود قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم وحزرة ليسوء على اسناد الفعل الى الواحد وذلك الواحد يحتمل ان يكون احد اشياء ثلاثة اما اسم الله سبحانه لان الذى تقدم هو قوله ثم ردونا ومدنا وكل ذلك ضمير عائد الى الله تعالى واما ان يكون ذلك الواحد هو البعث ودل عليه قوله بعناوا الفعل المتقدم يدل على المصدر كقوله تعالى ولا تحسبن الذين ينجلون بما آتاهم الله من فضله هو خير الهمهم وقال الزجاج ليسوء الوعد وجوهكم وقرأ الكسافى بالنون وهذا على اسناد

ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عاذا فبعث الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام فهم يعطون الجزية عن يدهم صاغرون وعن قتادة مثله (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) اي عسيرا لا يستطيعون الخروج منها ابدا لا بدئين وقيل بساطا كما يسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذمالمهم بذلك واشعارا بعة الحكم (ان هذا القرآن) الذى آتيناكم (يهدى) اي الناس كافة لان فرقة مخصوصة منه كذاب الكتاب الذى آتاه موسى (الفى) للطريقة التى (هى اقوم) اي اقوم الطرائق واسدها اعنى ملة الاسلام والتوحيد وتزككها ليس لقصد التعميم لها وللعائلة والخصلة ونحوها عما يبره عن المقصد المذكور بل للإيدان بالفتى عن التصريح بها لغاية ظهورها لاسما بعد ذكر الهداية التى هى من روادفها والمراد بهديتها لهما كونه بحيث يهتدى اليها من يشك به لتخصيص الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالؤمنين حينئذ (ويشير المؤمنون) بما فى تصاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ بالتعفيف (الذين يعملون الصالحات) التى شرحت فيه (ان لهم) اي بان لهم بمقابلة تلك الاعمال (اجرا)

كبروا) بحسب الذات وبحسب
التضخيم عشر مرات فساعدوا
(وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة) واحكامها المشروحة
فيه من البعث والحساب والجزاء
وتخصيصها بالذكر من بين سائر
ما كُفروا به لكونها معظم ما امروا
بالايمان به ولراعاة التناسب بين
اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه
قوله عز وجل (اعتدنا لهم عذابا
الينا) وهو عذاب جهنم اى اعتدنا
لهم فيها كفروا به وانكروا
وجوده من الآخرة عذابا الينا
وهو البغ في الزجر لما ان اتيان
العذاب من حيث لا يحتسب اقطع
والجمع والجملة معطوفة على جملة
يشتر باخبارنا يخبروا على قوله تعالى
ان لهم دابة معه تحت التبشير
المراد به مجازا مطلق الاخبار
المنظم للاخبار بالخبر السار
و بالنبا الغصار حقيقة فيكون
ذلك بياها للهداية القرآن بالتبشير
والترهيب ويجوز كون التبشير
بمعناه والمراد تبشير المؤمنين
بشارتين نوابه وعقاب أعدائهم
وقوله تعالى (وندع الانسان
بالشر) بيان لحال المهدي اثر
بينهما من التباين والمراد بالانسان
الجلس اسند اليه حال بعض
افراد اوحى عنه حاله في بعض
احيانه فالعنى على الاول ان
القرآن يدعو الانسان الى الخير
الذى لاخير

الفعل الى الله تعالى كقوله بعثنا عليكم وامدنا ثم قال تعالى ولتبروا ما عملوا لتبيرا قال
تبر الشيء تبرأ اذا هلك وتبره اهلكه قال الزجاج كل شيء جعلته مكسرا ومقتضا فقد تبره
ومنه قيل تبرأ الزجاج وتبر الذهاب لمكسره ومنه قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل
ما كانوا يعملون وقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا وقوله ما عملوا يحتمل ما غلبوا عليه
وظفروا به ويحتمل وتبروا ماداموا غلبين اى مادام سلطانهم جاريا على بني اسرائيل
وقوله لتبيرا ذكر المصدر على معنى تحقيق الخبر وازالة الشك في صدقه كقوله وكلام الله
موسى تكليما اى حقا والمعنى وليدمروا ويخربوا ما غلبوا عليه ثم قال تعالى عسى ربكم
ان يرجحكم والمعنى لعل ربكم ان يرجحكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يا بني اسرائيل
ثم قال وان عدم عذنا يعنى ان بعثنا عليكم من بعثا ففعلوا بكم ما فعلوا وعقوبة لكم وعظة
لتنفخوا به وتزجروا به عن ارتكاب المعاصي ثم رجحكم فأزال هذا العذاب عنكم فان
عدم مرة اخرى الى المعصية عذنا الى صب البلاء عليكم في الدنيا مرة اخرى قال القفال
واتماجلنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله تعالى في سورة الاعراف خبرا عن بني
اسرائيل واذا نأذن ربك ليعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ثم قال
وان عدم عذناى وانهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب لمحمد صلى الله عليه
وسلم وكتمان ما روى في التوراة والانجيل فعاد الله عليهم بالعذاب على ايدى العرب
فجرى على بني النضير وقرنظة وبني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والجلاء ثم
الباقون منهم مفهرون بالجزية املأكم لهم ولا سلطان ثم قال تعالى وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا والخصير فيل فيحتمل ان يكون بمعنى الفاعل اى وجعلنا جهنم حصارة
لهم ويحتمل ان يكون بمعنى مفعول اى جعلناها موضعا محصورا لهم والمعنى ان عذاب
الدنيا وان كان شديدا فويا لانه قد تقلت بعض الناس عنه والذي يقع في ذلك العذاب
يتخلص عنه اما بالموت واما بطريق آخر واما عذاب الآخرة فانه يكون حاصرا للانسان
محيطا به لا رجا في الخلاص عنه فهو لا الاقوام لهم من عذاب الدنيا ما وصفناه ويكون
لهم بعد ذلك من عذاب الآخرة ما يكون محيطا بهم من جميع الجهات ولا يتخلصون منه
ابدا * قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصلحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا الينا) اعلم
انه تعالى لما شرح ما فعله في حق عباده المخلصين وهو الاسراء برسول الله صلى الله عليه
وسلم واثاء الكتاب اومسى عليه الصلاة والسلام وما فعله في حق العصاة والمتمردين وهو
تمسليط انواع البلاء عليهم كان ذلك تنبيها على ان طاعة الله توجب كل خير وكرامة
ومعصيته توجب كل بلية وغرامة لاجرم اثني على القرآن فقال ان هذا القرآن يهدى للتي
هي اقوم واعلم ان قوله تعالى دينا قيا ملة ابراهيم حنيفا يدل على كون هذا الدين
مستقيما وقوله في هذه الآية للتي هي اقوم يدل على ان هذا الدين اقوم من سائر الاديان

وأقول قولنا هذا الشيء أقوم من ذلك إنما يصح في شيتين يشتركان في معنى الاستقامة ثم كان حصول معنى الاستقامة في إحدى صورتين أكثر وأكمل من حصوله في الصورة الثانية وهذا محال لأن المراد من كونه مستقيماً كونه حقاً وصدقاً ودخول التفاوت في كونه الشيء حقاً وصدقاً محال فكان وصفه بأنه أقوم مجازاً إلا أن لفظ الأفعول قد جاء بمعنى الفاعل كقولنا الله أكبر أي الله كبير وقولنا الأشبع والناقص أعدلاً يعني مروان أي عادلاً يعني مروان أو يحتمل هذا اللفظ على الظاهر التعارف والله أعلم (البحث الثاني) قوله التي هي أقوم نعت لموصوف محذوف والتقدير يهدي لليلة أو الشريعة أو الطريقة التي هي أقوم الملل والشرائع والطرق ومثل هذه الكناية كثيرة الاستعمال في القرآن كقوله ادفع بالتي هي أحسن أي بالخصلة التي هي أحسن أمأقوله وبشعر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً فاعلم أنه تعالى وصف القرآن ثلاثة أنواع من الصفات (أولها) أنه يهدي للتي هي أقوم وقمر تفسيره (والصفة الثانية) أنه يبشر الذين يعملون الصالحات بالأجر الكبير وذلك لأن الصفة الأولى لما دلت على كون القرآن هادياً إلى الاعتقاد الأصوب والعمل الأصالح وجب أن يظهر لهذا الصواب والصلاح أثر وذلك هو الأجر الكبير لأن الطريق الأقوم لابد وأن يفيد الرجح الأكبر والنفع الأعظم (والصفة الثالثة) قوله وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً عظيمًا وذلك لأن الاعتقاد الأصوب والعمل الأصالح كما يوجب لفاعله النفع الأكل الأعظم فكذلك تركه يوجب لتاركه الضرر الأعظم الأكل وأعلم أن قوله وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على قوله أن لهم أجراً كبيراً والمعنى أنه تعالى بشر المؤمنين بنوعين من البشارة شوابهم وبعقاب أعدائهم ونظيره قوله بشرت زيدا أنه سيعطى وبأن عدوه سيمنع فإن قيل كيف يليق لفظ البشارة بالعذاب قلنا مذكور على سبيل التهكم أو يقال أنه من باب إطلاق اسم الضدين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فإن قيل هذه الآية واردة في شرح أحوال اليهود وهم ما كانوا ينكرون الإيمان بالآخرة فكيف يليق بهذا الموضع قوله وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً عظيمًا قلنا عنه جوازي (أحدهما) أن أكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب الجسمانيين (والثاني) أن بعضهم قال لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات فهم في هذا القول صاروا كالمتكبرين للآخرة والله أعلم ﴿قوله تعالى﴾ (وبعد الإنسان بالشّر دعاه بالخير وكان الإنسان عجولاً) وفي الآية مباحث (البحث الأول) أعلم أن وجه النظم هو أن الإنسان بعد أن أتزل الله عليه القرآن وخصه بهذه النعمة العظيمة والكرامة الكاملة قد يعبدل عن التمسك بشرائعه والرجوع إلى بيئاته ويقدم على ما لا فائدة فيه فقال ويدع الإنسان بالشّر دعاه بالخير (البحث الثاني) اختلفوا في المراد من دعاه الإنسان بالشّر على أقوال (الأول) المراد منه الضرر الحارث حيث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأجاب الله

قوله من الأجر الكبير ويخذه من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الأليم وهو أي بعض منه وهو الكافر يدع لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور أما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم ومن قال فأئنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين إلى غير ذلك مما حكي عنهم وأما بأعمالهم السيئة الفضيحة إليه المنجوبة له مجازاً كما هو دين كلهم (دعاه بالخير) أي مثل دعاه بالخير المذكور فضلاً لتحقيقاً فإنه يهمل من الدعاء به وفيه من زل أن لا لا يثق بحاله (وكان الإنسان) أي من أسند إليه الدعاء المذكور من أفراد (عجولاً) يسارع إلى طلب ما يخطر بباله متعامياً عن ضرره أو مبالغاً في الجهلة يستعمل العذاب وهو آتية لاصحافه فقيه نوع تهكم به وعلى تقدير حل الدعاء على أعمالهم تحمل العيول على اللج والتضاد في استيجاب العذاب بتلك الأعمال وعلى الثاني أن القرآن يدعو الإنسان إلى ما هو خير وهو في بعض حياته كاعتد الفضب بدعه ويدعوا الله تعالى لنفسه وأهله وماله بما هو شر وكان الإنسان يحسب جبلته عجولاً ضجراً لا يتأني إلى أن يزول عنه ما يعتره روى أنه عليه الصلاة

دعاه وضربت رقبته فكان بعضهم يقول اننا بعذاب الله وآخرون يقولون متى هذا
 الوعد ان كنتم صادقين وانما فعلوا ذلك للجهل واعتقاد ان محمدا كاذب فيما يقول
 (والقول الثاني) المراد انه في وقت الضجر يلعن نفسه واهله وولده وماله ولو استجيب له
 في الشر كما يستجيب له في الخير لهلك وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دفع الى سودة
 بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له مالت تنن فشيى الم القدر خرت له من كتافه فلما
 قامت اخرج يدهم هرب فلما اصبح النبي عليه الصلاة والسلام دعا به فأعلم بشأنه فقال عليه
 الصلاة والسلام اللهم اقطع يدها فرفعت سودة يدها تتوقع ان يقطع الله يدها فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم اني سألت الله ان يجعل دعائي على من لا يستحق عذابا من اهلي رحمة
 لاني بشر اغضب كما تغضبون فلترد سودة يدها (والقول الثالث) اقول لا يحتمل ان يكون
 المراد ان الانسان قد يبلغ في الدعاء طلبا لشيء يعتقد ان خيره فيه مع ان ذلك الشيء يكون
 منسحقه وضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل هذا
 العمل لكونه مجحولا مفترا بطواهر الامور غير متفحص عن حقائقها واسرارها (البحث
 الرابع) القياس اثبات الواو في قوله ويدع الا انه حذف في المصحف من الكتابة لانه
 لا يظهر في اللفظ ألامم تحذف في المعنى لانها في موضع الرفع ونظيره سندع الزانية وسوف
 يؤث الله المؤمنين ويوم يناد المناد فانفن النذر ولو كان بالواو والياء لكان صوابا هذا
 كلام الفراء واقول ان هذا يدل على انه سبحانه قد عصم هذا القرآن المجيد عن التعريف
 والتغيير فان اثبات الباء والواو في اكثر الفاظ القرآن وعدم اثباتها في هذه المواضع
 المعدودة يدل على ان هذا القرآن نقل كما سمع وان احدا لم يتصرف فيه بمقدار فهمه وقوة
 عقله ثم قال تعالى وكان الانسان مجحولا وفي هذا الانسان قولان (الاول) آدم عليه السلام
 وذلك لانه لما انتهت الروح الى سرته نظر الى جسده فأعجب به فذهب لينهض فلم يقدر
 فهو قوله وكان الانسان مجحولا (والقول الثاني) انه مجحول على المجلس لان احدا من الناس
 لا يعرى عن محلة ولو تركها لكان تركها اصلح له في الدين والدينا واقول بتقدير
 ان يكون المراد هو القول الاول كان المقصود ماذا الى القول الثاني لانا اذا جعلنا
 الانسان على آدم عليه الصلاة والسلام كان المعنى ان آدم الذي كان اصل البشر لما كان
 موصوفا بهذه الجملة وجب ان تكون هذه صفة لازمة لكل فكان المقصود ماذا الى
 القول الثاني والله اعلم * قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا
 آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه
 تفصيلا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في تقرير النظم وجوه (الاول) انه تعالى
 لما بين في الآية المقدمة ما واصل الى الخلق من نعم الدين وهو القرآن اتبعه ببيان ما واصل
 اليهم من نعم الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار آيتين وكما ان القرآن ممتزج من الحكم
 والمتشابه فكذلك الدهر مركب من النهار والليل فالحكم كالنهار والمتشابه كالليل

وكان المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابه فكذا الوقت والزمان لا يمكن
الانتفاع به الا بالنهار والليل (والوجه الثاني) في تقرير النظم انه تعالى لما بين في الآية
المقدمة ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وذلك الاقوم ليس الا ذكر الدلائل الدالة على
التوحيد والنسبة لاجرم اردفه بذكر دلائل التوحيد وهو بحجائب العالم العلوي والسفلي
(الوجه الثالث) انه لما وصف الانسان بكونه عجولا اي منتقلا من صفة الى صفة ومن
حالة الى حالة بين ان كل احوال هذا العالم كذلك وهو الانتقال من النور الى الظلمة وبالضد
وانتقال نور القمر من الزيادة الى النقصان وبالضد والله اعلم (المسئلة الثانية) في قوله
وجعلنا الليل والنهار آيتين قولان (الاول) ان يكون المراد من الآيتين نفس الليل
والنهار والمعنى انه تعالى جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا اما في الدين
فلان كل واحد منهما ماض لا آخر مغاير له مع كونهما متعاقبين على الدوام من اقوى الدلائل
على انهما غير موجودين لذاتهما بل لابد لهما من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالمقادير
الخصوصية واما في الدنيا فلا من مصالح الدنيا لا تتم الا بالليل والنهار فلو لا الليل لما حصل
السكون والراحة ولو لا النهار لما حصل الكسب والتصرف في وجوه المعاش ثم قال تعالى
فمحونا آية الليل وعلى هذا القول تكون الاضافة في آية الليل والنهار للتبيين والتقدير
فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي نفس النهار مبصرة ونظيره قولنا نفس
الشيء وذاته فكذلك آية الليل هي نفس الليل ويقال ايضا دخلت بلاد خراسان اي
دخلت البلاد التي هي خراسان فكذلك ههنا (القول الثاني) ان يكون المراد وجعلنا نرى
الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل وهي القمر وفي تفسير محو القمر
قولان (الاول) المراد منه ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور فيد وفي اول
الامر في صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم يأخذ في الانقصاص
قليلا قليلا وذلك هو المحو الى ان يعود الى المحاق (والقول الثاني) المراد من محو القمر
الكلف الذي يظهر في وجهه بروى ان الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل
الله جبريل عليه الصلاة والسلام فامر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء ومعنى
المحو في اللغة اذهب الاثر تقول محوته امحوه وانمحي وانمحي اذا ذهب اثره واقول جل
المحو في هذه الآية على الوجه الاول اولى وذلك لان اللام في قوله لتبينوا فضلا من ربكم
وتعلموا عدد السنين والحساب متعلق بما هو مذكور قبل وهو محو آية الليل وجعل آية
النهار مبصرة ومحو آية الليل انما يؤثر في ابتغاء فضل الله اذا حلت المحو على زيادة نور القمر
ونقصانه لان سبب حصول هذه الحالة يختلف بأحوال نور القمر واهل التجارب يتنوا
ان اختلاف احوال القمر في مقادير النور لها اثر عظيم في احوال هذا العالم ومصالحه مثل
احوال البحار في المد والجزر ومثل احوال التجربات على ما ذكره الاطباء في كتبهم
وايضا بسبب زيادة نور القمر ونقصانه يحصل الشهور وبسبب معاودة الشهور يحصل

وتعاقبها واختلافهما في الطول
والقصر على وتيرة جارية في
فهمهما العقول آيتين تدلان على
ان لهما صلتا حكما قادرا على
وتدبيان الى ما هدى اليه القرآن
الكرم من ملة الاسلام والتوحيد
فمحونا آية الليل الاضافة اما
بيانية كما في اضافة العدد الى
المعدود اي محونا الآية التي
هي الليل وفادتها بتحقيق مضمون
الجهة السابقة ومحوها جعلها
محوه الضوء مطبوسه لكن
لا بد ان لم يكن كذلك بل ابداعها
على ذلك كما في قولهم سبحانه من
صفر البعوض وكبر القيل اي
انشأهما كذلك والغاء تفسيرية
لان المحو المذكور وما عطف
عليه ليسا بما يحصل عقيب
جعل الجديدين آيتين بل هما
من جهة ذلك الجمل ومقتاته
(وجعلنا آية النهار) اي الآية
التي هي النهار على نحو ما مر
(مبصرة) اي مثبتة يصرفها
الاشياء وصفاتها بحال اهلها
او مبصرة للناس من ابصره
فبصره واما حقيقة آية الليل
والنهار لبراهم محو القمر اما
خلق مطبوس النور في نفسه
فالفساد كما ذكر واما تعين
ما استفاد من الشمس شيئا فشيئا
الى الخلق على ما هو معنى المحو
والفساد للتعقيب وجعل الشمس
مبصرة ابداعها مثبتة بالذات
ذات اشعة تظهر بها الاشياء
الظلمة (لتبينوا)

السنون العربية المبينة على رؤية الالهة كما قال وتعلوا عدد السنين والحساب فثبت ان جل المحو على ما ذكرناه اولى واقول ايضا جلنا المحو على الكلف الحاصل في وجه القمر فهو ايضا برهان عظيم قاهر على صحة قول المسلمين في المبدأ والمعاد ما دلالة على صحة قولهم في المبدأ فلا نجرم القمر جرم بسيط عند الفلاسفة فوجب ان يكون متشابه الصفات فحصول الاحوال المختلفة الحاصلة بسبب المحو يدل على انه ليس بسبب الطبيعة بل لاجل ان الفاعل المختار خصص بعض اجزائه بالنسور والقوى وبعض اجزائه بالنسور الضعيف وذلك يدل على ان مدبر العالم فاعل مختار لا موجب بالذات واحسن ما ذكره الفلاسفة في الاعتذار عنه انه ارتكز في وجه القمر اجسام قليلة الضوء مثل ارتكاز الكواكب في اجرام الافلاك فلما كانت تلك الاجرام اقل ضوءا من جرم القمر لا جرم شوهدت تلك الاجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الانسان وهذا لا يفيد مقصود الخصم لان جرم القمر لما كان متشابه الاجزاء فلم ارتكزت تلك الاجرام الظلمانية في بعض اجزاء القمر دون سائر الاجزاء وبئلهذا الطريق يتمسك في احوال الكواكب وذلك لان الفلك جرم بسيط متشابه الاجزاء فلم يكن حصول جرم الكواكب في بعض جوانبه اولى من حصوله في سائر اجوائه وذلك يدل على اختصاص ذلك الكوكب بذلك الموضع المعين من الفلك لاجل تخصيص الفاعل المختار وكل هذه الدلائل انما يراد من تقريرها وارادها التنبيه على ان المؤثر في العالم فاعل بالاختيار لا موجب بالذات والله اعلم اما قوله وجعلنا آية النهار مبصرة ففيه وجهان (الاول) ان معنى كونها مبصرة أي مضيئة وذلك لان الاضاءة سبب لحصول الابصار فاطلق اسم الابصار على الاضاءة اطلاقا لاسم السبب على السبب (والثاني) قال ابو عبيدة يقال قد ابصر النهار اذا صار الناس يبصرون فيه كقوله رجل تحب اذا كان اصحابه خبياء ورجل مضطرب اذا كانت ذراريه ضعا فافكذا قوله والنهار مبصر أي اهله بصراء واعلم انه تعالى ذكر في آيات كثيرة منافع الليل والنهار قال وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقال ايضا جعل لكم الليل والنهار لتسكوا فيه ولتبتغوا من فضله ثم قال تعالى ولتبتغوا فضلا من ربكم أي لتبصروا كيف تصرفون في اعمالكم وتعلوا عدد السنين والحساب واعلم ان الحساب مبني على اربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنون فالعدد للسنين والحساب لما دون السنين وهي الشهور والايام والساعات وبعد هذه المراتب الاربعة لا يحصل التكرار كما انهم رتبوا العدد على اربع مراتب الاحاد والعشرات والمئات والالوف وليس بعدها التكرار والله اعلم ثم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا والمعنى انه تعالى لما ذكر احوال آتبي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان عظيمتان من الله تعالى على اهل الدنيا فلما شرح الله تعالى حالهما وفصل ما بينهما من وجوه الدلالة على الخالق ومن وجوه النعم العظيمة على الخلق كان ذلك

متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما يشير اليه اي وجعلنا آية مضيئة لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار (فضلا من ربكم) اي رزقا اذا يتسنى ذلك في الليل وفي التمييز عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية الميثقة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا ملاذ على ان ليس للبعد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل فضلا بحكم الربوبية (وتعلوا) متعلق بكلا الفضلين اعني هو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لايحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور اي لتعلوا بشاؤوت الجديدين او نوريهما اذا تمان حيث الانظام والاضاءة مع تعاقبهما او حر كانهما واوضحهما وسائر احوالهما (عدد السنين) التي تتعلق بها غرض على لافامة مصالحكم الدينية والدنيوية (والحساب) اي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات اي الاشهر واليالي والايام وغير ذلك مما يط به شيء من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تصحققها مما ينظمه الحساب وانما الذي يتعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحد منها ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر قد تحصل

تقصيلاً نافعاً وبياناً كاملاً فلا جرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلاً أي كل شيء بكم إليه حاجة في مصالح دينكم ودنياكم قد فصلناه وشرحناه وهو قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله وتزلنا عليك الكتاب تبيناً لكل شيء وقوله تدمر كل شيء بأمر ربها وإنما ذكر المصدر وهو قوله تفصيلاً لاجل تأكيد الكلام وتقريره كما أنه قال وفصلناه حقاً وفصلناه على الوجه الذي لا مزيد عليه والله اعلم **﴿ قوله تعالى ﴾** (وكل إنسان أئتمناه طائفة في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) اعلم أن في الآية مسائل (المسألة الأولى) في كيفية النظم وجوه (الأول) أنه تعالى لما قال وكل شيء فصلناه تفصيلاً كان معناه أن كل ما يحتاج إليه من دلائل التوحيد والتبوة والمعاد فقد صار مذكوراً وكل ما يحتاج إليه من شرح أحوال الوعد والعيد والترغيب والترهيب فقد صار مذكوراً وإذا كان الأمر كذلك فقد اذبح تحت الاعذار وأزيلت العلل فلا جرم كل من ورد حصة القيامة فقد ائتمناه طائفة في عنقه ونقول له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً (الوجه الثاني) أنه تعالى لما بين أنه أوصل إلى الخلق أصناف الأشياء النافعة لهم في الدين والدنيا مثل آي القرآن والليل والنهار وغيرهما كان منعاً عليهم باعظم وجوه النعم وذلك يقتضي وجوب اشتغالهم بتجديدهم وطاعته فلا جرم كل من ورد حصة القيامة فإنه يكون مسؤولاً عن أعماله وأقواله (الوجه الثالث) في تقرير النظم أنه تعالى لما بين أنه ما خلق الخلق إلا ليشغولوا بعبادته كما قال وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون فلما شرح أحوال الشمس والقمر والليل والنهار كان المعنى أني إنما خلقت هذه الأشياء لتتفعوا بها فتصبروا متمكنين من الاشتغال بطاعتي وخدمتي وإذا كان كذلك فكل من ورد حصة القيامة سألته أنه هل أتى بتلك الخدمة والطاعة أو تمرد وعصى وبغى فهذا هو الوجه في تقرير النظم (المسألة الثانية) في تفسير لفظ الطائر قولان (الأول) أن العرب إذا أرادوا الأقدام على عمل من الأعمال وأرادوا أن يعرفوا أن ذلك العمل يسوقهم إلى خير أو إلى شر اعتبروا أحوال الطير وهوائه بطير نفسه أو يحتاج إلى ازعاجه وإذا طار فهل بطير ميامناً ومياسراً أو صاعداً إلى الجوى غير ذلك من الأحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على أحوال الخير والشر والسعادة والبؤسة فلما كثرت ذلك منهم سمى الخير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه ونظيره قوله تعالى في سورة يس قالوا أنا نطيرنا بكم إلى قوله قالوا طائركم معكم فقالوا كل أنسان أئتمناه طائفة في عنقه أي كل أنسان أئتمناه عمله في عنقه وتدل على صحة هذا الوجه قراءة الحسن ومجاهد الزمناه طيرة في عنقه (القول الثاني) قال أبو عبيدة الطائر عند العرب الحظ وهو الذي تسميه الفرس البخت وعلى هذا يجوز أن يكون معنى الطائر ما طار له من خير وشر والتحقيق في هذا الباب أنه تعالى خلق الخلق وخص كل واحد منهم بمقدار مخصوص من العقل والعلم والهرم والرزق والسعادة والشقاوة والإنسان لا يمكنه

حصول كل منها من عدة أيام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلاً فإن ذلك وتليفة الحساب بل من حيث لفافه من تلك الطائفة المحدودة يمد ها إلى بقية من غير أن يعتبر في ذلك تحصل شيء معين وتحقيقه ما مر في سورة بولس من أن الحساب أحصاء ماله كية منفصلة بذكر أمثاله من حيث تحصل بطائفة معينة منها حد معين مثله اسم خاص وحكم مستقل كما أشير إليه آنفاً والعدا حصاة عجم ذكر تكرار أمثاله من فيرمان يحصل منه شيء كذلك ولما أن السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف إليها العدد وعلق الحساب بإعادها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها اسم خاصة وأحكام مستقلة وتحصل مراتب الأعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباراً لا يحد في تحصل المددات وتقدم المدد على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجوداً وعلاً على العكس للتنبيه من أول الأمر على أن متعلق الحساب ما في تضاميف السنين من الأوقات وأولان العلم المتعلق بعدد السنين علم إجمالي بما يتعلق به الحساب تفصيلاً لأن المدد من حيث أنه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه مسبباً ذكر نازل من الحساب المتبوع فيه ذلك منزلة البسيط من

ان يتجاوز ذلك القدر وان يصرف عنه بل لابد وان يصل الى ذلك القدر بحسب الكمية والكيفية فذلك الاشياء المقدرة كما تمها نظير اليه وتصير اليه فهذا المعنى لا يبعد ان يعبر عن تلك الاحوال المقدرة بلفظ الطائر فقله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه كناية عن ان كل ما قدره الله تعالى ومضى في عمله حصوله فهو لازم له واصل اليه غير مفرف عنه واعلم ان هذا من ادل الدلائل على ان كل ما قدره الله تعالى للانسان وحكم عليه به في سابق عمله فهو واجب الوقوع بمنع العدم وتقريره من وجهين (الاول) ان تقدير الآية وكل انسان الزمناه عمله في عنقه فين تعالى ان ذلك العمل لازم له وما كان لازمالشيء كان ممنوع الزوال عنه واجب الحصول له وهو المقصود (والوجه الثاني) انه تعالى اضاف ذلك الالتزام الى نفسه لان قوله الزمناه تصريح بان ذلك الالتزام مصدر منه ونظيره قوله تعالى وازمهم كلمة التقوى وهذه الآية دالة على انه لا يظهر في الابد الا ما حكم الله به في الازل واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة والله اعلم (المسئلة الثالثة) قوله في عنقه كناية عن الزموم كما يقال جعلت هذا في عنقك اى قلدتك هذا العمل والزممتك الاحتفاظ به ويقال قلدتك كذا وطوقتك كذا اى صرفته اليك والزممتك اياك ومنه قلده السلطان كذا اى صارت الولاية في زومها له في موضع القلادة ومكان الطوق ومنه يقال فلان يقلد فلانا اى جعل ذلك الاحتقاد كالقلادة المروطة على عنقه قال اهل المعاني واماخص العنق من بين سائر الاعضاء بهذا المعنى لان الذي يكون عليه امان ان يكون خير ايزنه او شر ايشينه وما يزين يكون كالطوق والحلي والذي يشين فهو كالحل فهنا عمله ان كان من الخيرات كان زينه له وان كان من المعاصي كان كالحل على رقبته ثم قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قال الحسن يا ابن آدم بسطنا لك صحيفة واكل بك ملكنا فها عن يمينك وشمالا فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا امت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة قوله ونخرج له اى من قبره يجوز ان يكون معناه نخرج له ذلك لانه لم يركبها في الدنيا فاذا بعث اظهر له ذلك واخرج من السرور وقرأ يعقوب ونخرج له يوم القيامة كتابا اى يخرج له الطائر اى عمله كتابا منشورا كقوله تعالى واذا الصحف نشرت وقرأ ابن عامر يلقاه من قولهم لقيت فلانا الشيء اى استقبلته به قال تعالى ولقاهم نصرة وسرورا وهو منقول بالتشديد من لقيت الشيء ولقانيه زيد ثم قال تعالى اقرأ كتابك والتقدير يقال له وهذا القائل هو الله تعالى على ألسنة الملائكة اقرأ كتابك قال الحسن يقرؤه اميا كان او غير اى وقال بكر بن عبد الله يؤتى بالمؤمن يوم القيامة بصحيفته وهو يقرؤها وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسبأته في جوف صحيفته وهو يقرؤها حتى اذا ظن انها قد اوقعتته قال الله تعالى اذهب فقد غفرتم لها لك فبما بين يمينك فيعظم سروره ويصير من الذين قال في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة

الركب اولان العلم المتعلق بالاول اقصى مراتب فكان جذيرا بالتقديم في مقام الامتنان والله سبحانه اعلم (وكل شيء) تنفرون اليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفرضه قوله تعالى (فصلناه) اي بيناه في القرآن الكريم بينا بايقا لانتباس معه كقولهم تعالى وتزلنا عليك الكتاب بينا لكل شيء فظهر كونه هاديا لائق اى اقوم ظهورا بينا (ولكل انسان) مكلف (الزمناه طائره) اى عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كما تظاهر اليه من عنى القيد وكرر القدر واما وقع له في القسمة الالهيبة الواقعة حسب استحقاقه في العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا (في عنقه) تصوير لشدة الزموم وكال الارتباط اى الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة والاعمال للعنق لا ينفك عنه يصل وقرئ بسكون النون (ونخرج له) بنون العظمة وقد قرئ بيااء مبتدأ لقاعل على ان الضمير لله عز وجل وللفعل والضمير للطائر كافي قراءة يخرج من الخروج (يوم القيامة) والبعث للحساب (كتابا) مسطورا فيه ما ذكر من عمله تقرير او قطيعا وهو منقول للخروج على القرائتين

مستبشرة ثم يقول هاؤم اقرأوا كتابه واما قوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اى محاسبا
قال الحسن عدل والله في حقك من جعلك حسيب نفسك قال السدى يقول الكافر
يومئذ انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلنى احاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا والله اعلم (المسئلة الرابعة) قال حكما الاسلام هذه الآية
في غاية الشرف وفيها اسرار عميقة في البحوث (فالبحث الاول) انه تعالى جعل فعل العبد
كالطير الذى يطير اليه وذلك لانه تعالى قدر لكل احد في الازل مقدارا من الخير والشر
فذلك الحكم الذى سبق في علمه الازلى وحكمه الازلى لا بدوان يصل اليه فذلك الحكم
كأنه طائر يطير اليه من الازل الى ذلك الوقت فاذا حضر ذلك الوقت وصل اليه ذلك
الطائر وصولا لا خلاص له البتة ولا انحراف عنه البتة واذ اعلم الانسان في كل قول
وفعل ولحظة وفكرة انه كان ذلك بمنزلة طائر طير الله اليه على منهج معين وطريق معين
وانه لا بدوان يصل اليه ذلك الطائر فعند ذلك عرف ان الكفاية الابدية لا تتم الا بالعبادة
الازلية (البحث الثانى) ان هذه التقديرات انما تقدرت بالزام الله تعالى وذلك باعتبار انه
تعالى جعل لكل حادث حادثا متقدما عليه لحصول الحادث المتأخر فلما كان وضع هذه
السلسلة من الله لاجرم كان الكل من الله وعند هذا يتجلى الانسان طيورا الانسية لها
ولا غاية لاعدادها فانه تعالى طيرها من وكر الازل وظلمات عالم القيب وانها صارت
وطارت طيرانا لادابته ولا غاية له وكان كل واحد منها متوجها الى ذلك الانسان المعين
في الوقت المعين بالصفة العينية وهذا هو المراد من قوله ان زمانه طائرته في عنقه (البحث
الثالث) ان التجربة تدل على ان تكرار الاعمال الاختيارية تقيد حدوث الملكة
النفسانية الراسخة في جوهر النفس ألا ترى ان من واظب على تكرار قراءة درس واحد
صار ذلك الدرس محفوظا ومن واظب على عمل واحد مدة مديدة صار ذلك العمل ملكة له
اذا عرفت هذا فنقول لما كان التكرار الكثير يوجب حصول الملكة الراسخة فوجب
ان يحصل لكل واحد من تلك الاعمال اثر ما في جوهر النفس فاما لما رأينا ان عند توالى
القطرات الكثيرة من الماء على الحجر حصلت الثقب في الحجر علما ان لكل واحد من تلك
القطرات اثر ما في حصول ذلك الثقب وان كان ضعيفا قليلا وان كانت الكتابة ايضا
في عرف الناس عبارة عن نقوش مخصوصة اصطلى الناس على جعلها معارف لالفاظ
مخصوصة فعلى هذا دلالة تلك النقوش على تلك المعاني المخصوصة دلالة كائنة جوهرية
واجبة الثبوت متممة الزوال كان الكتاب المشتمل على تلك النقوش اولى باسم الكتاب من
الصحيفة المشتملة على النقوش الدالة بالوضع والاصطلاح واذ عرفت هاتين المقدمتين
فنقول ان كل عمل يصدر من الانسان كثيرا كان او قليلا قويا كان او ضعيفا فانه يحصل منه
للمحالة في جوهر النفس الانسانية اثر مخصوص فان كان ذلك الاثرا الجذب جوهر
الروح من الخلق الى حضرة الحق كان ذلك من موجبات السعادات والكرامات

الاوليين احوال من المفعول
المحذوف الراجع الى الطائر
وعلى الآخرين حال من المستر
في الفعل من ضمير الطائر (يلقاء)
اى يلقى الانسان او يلقاه الانسان
(منشورا) وهما صفتان للكتاب
او الاول صفة والثاني حال منها
وقرى يلقان لثبته كذا اى يلقى
الانسان اياه قال الحسن بسطت
لك صحيفة ووكل بك ملكا
فهما عن عينك وعن شماك فاما
الذى عن عينك فيحفظ حسناك
واما الذى عن شماك فيحفظ
سبائك حتى اذا تمت طويت
صحيفتك وجعلت منك في قبرك
حتى تخرج لك يوم القيامة (اقرأ
كتابك) اى قللين لك ذلك عن
قتادة يقرأ ذلك اليوم من يمكن
في الدنيا قارئا وفهمل المراد
بالكتاب نفسه المنشئة باكر اعماله
فان كل عمل يصدر من الانسان
خير او شر ايجد منه في جوهر
روحه امر مخصوص الا انه يخفى
مادام الروح متعلقا بالبدن
مشتغلا بواردات الحواس
والقوى فاذا انقطعت علاقته
من البدن قامت قيامته لان
النفس كانت ساكنة مستقرت في
الجسد وهذا ذلك قامت وتوجهت
نحو الصعود الى العالم العلوى
فيقول البطنا وتكشف
الاحوال ويظهر على لوح النفس
نقش كل شيء عمله في مدة عمره
وهذا معنى الكتابة والقراءة (كفى)

وان كان ذلك الاثر اثر الجذب الروح من حضرة الحق الى الاشتغال بالخلق كان ذلك من موجبات الشقاوة والخذلان الا ان تلك الآثار تخفى مادام الروح متعلقا بالبدن لان اشتغال الروح بتدبير البدن يمنع من انكشاف هذه الاحوال وتجليها وظهورها فاذا انقطع تعلق الروح عن تدبير البدن فهناك تحصل القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام من مات فقد قامت قيامته ومعنى كون هذه الحالة قيامة ان النفس الناطقة كما ثم كانت ساكنة مستقرة في هذا الجسد السفلى فاذا انقطع ذلك التعلق قامت النفس وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوى فهذا هو المراد من كون هذه الحالة قيامة ثم عند حصول القيامة بهذا المعنى زال الغطاء وانكشف الوطاء وقيل له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا معناه ونخرج له عند حصول هذه القيامة من عمى البدن المظلم كتابا مشتملا على جميع تلك الآثار الحاصلة بسبب الاحوال الدنيوية ويكون هذا الكتاب في هذا الوقت منشورا لان الروح حين كانت في البدن كانت هذه الاحوال فيه مخفية فكانت كالطوية اما بعد انقطاع التعلق الجسد انى ظهرت هذه الاحوال وجليت وانكشفت فصارت كأنها مكشوفة منشورة بعد ان كانت مطوية وظاهرة بعد ان كانت مخفية وعند ذلك تشهد القوة العقلية جميع تلك الآثار مكتوبة بالكتابة الذاتية في جوهر الروح فيقال له في تلك الحالة اقرأ كتابك ثم يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسبي فان تلك الآثار ان كانت من موجبات السعادة حصلت السعادة لا محالة وان كانت من موجبات الشقاوة حصلت الشقاوة لا محالة فهذا تفسير هذه الآية بحسب الاحوال الروحية واعلم ان الحق ان الاحوال الظاهرة التي وردت فيها الروايات حق وصدق لا مرية فيها واحتمال الآية لهذه المعاني الروحية ظاهرا ايضا والمنهج القويم والصراط المستقيم هو الاقرار بالكل والله اعلم بحقائق الامور ﴿ قوله تعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى لما لاقى في الآية الاولى وكل انسان الزمان طأثره في عقده ومعناه ان كل احد يختص بعمل نفسه عبر من هذا المعنى بعبارة اخرى اقرب الى الافهام وابعدهن الغلط فقال من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها يعنى ان ثواب العمل الصالح يختص بفاعله ولا يتعدى منه الى غيره وبتأكيده هذا بقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى قال الكعبى الآية دالة على ان العبد متمكن من الخير والشر وانه غير مجبور على عمل بعينه اصلا لان قوله من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها انما يليق بالقادر على الفعل المتمكن منه كيف شاء واراد اما المجبور على احد الطرفين المنوع من الطرفين الثاني فهذا لا يليق به (المسئلة الثانية) انه تعالى اما تقرر ان كل احد يختص باثر عمل نفسه بقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الزجاج

بنفسك اليوم عليك حسبي اى كفى نفسك والياء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسبها تميز وعلى صلته لانه يعنى الحاسب كالصريم يعنى الصارم من حسب عليه كذا او يعنى الكافى ووضع موضع الشهيد لانه يكفى المديح ما اهمه وتذكره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتو لاه الرجال اولاه مبنى على تأويل النفس بالخصص على انها عبارة عن نفس المذكر كقول جله بن حريث

يا نفس اك بالذات مسرور
فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكر
(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه)
فذلك لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لا فوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اى من اهتدى بهدائيه وعمل بما فى تقاضيه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تقطاه الى غيره من لم يهتد (ومن مثل) عن الطريقة التي يهديه اليها (فانما يضل عليها) اى فانما وبال ضلاله عليها الا على من عدها عن لم يهتد (حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه (ولا تزر وازرة وزر اخرى)
تأكيد للجملة الثانية اى لا تجعل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويقتل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا

يقال وزر زرفه وازرو وزر وزرا وزرة ومعناه اتمها ثم اتما قال وفي تأويل الآية وجهان (الاول) ان المذنب لا يؤخذ بذنب غيره وبإضاحه لا يؤخذ بذنبه بل كل واحد يخص بذنب نفسه (والثاني) انه لا ينبغي ان يعمل الانسان بالاثم لان غيره عمله كما قال الكفار انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون واعلم ان الناس تمسكوا بهذه الآية في اثبات احكام كثيرة (الحكم الاول) قال الجبائي في الآية دلالة على انه تعالى لا يعذب الاطفال بكفر آبائهم والا لكان الطفل مؤاخذا بذنب ابيه وذلك على خلاف ظاهر هذه الآية (الحكم الثاني) روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الميت ليعذب ببكاء اهله فائتته طعنت في صحة هذا الخبر واحتجبت على صحة ذلك الطعن بقوله تعالى ولا تزروا وزارة وزرا أخرى فان تعذيب الميت بسبب بكاء اهله اخذ للانسان يحرم غيره وذلك خلاف هذه الآية (الحكم الثالث) قال القاضي دلت هذه الآية على ان الوزر والاثم ليس من فعل الله تعالى وبإياه من وجوه (احدها) انه لو كان كذلك لامنع ان يؤخذ العبد به كما لا يؤخذ به وزر غيره (وثانيها) انه كان يجب ارتفاع الوزر اصلا لان الوزر انما يصح ان يوصف بذلك اذا كان مختارا يمكنه التمسك ولهذا المعنى لا يوصف الصبي بهذا (الحكم الرابع) ان جاعة من قدام الفقهاء امتنعوا من ضرب الدية على العاقلة وقالوا لان ذلك يقتضي مؤاخذا الانسان بسبب فعل الغير وذلك على مضادة هذه الآية واجيب عنه بان المخطئ ليس مؤاخذا على ذلك الفعل فكيف يصير غيره مؤاخذا بسبب ذلك الفعل بل ذلك تكليف واقع على سبيل الاتداء من الله تعالى (المسئلة الثالثة) قال اصحابنا وجوب شكر النعم لا يثبت بالعقل بل بالسمع والدليل عليه قوله تعالى وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا وجه الاستدلال ان الوجوب لا يتقرر ماهيته الا بتقريب العقاب على الترك ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الآية فوجب ان لا يتحقق الوجوب قبل الشرع ثم اكدوا هذه الآية بقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وبقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلتنا رسولا لكاننا مسلمين فاتك من قبل ان نذل ونخزى ولقائل ان يقول هذا الاستدلال ضعيف وبإياه من وجهين (الاول) ان نقول لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي البتة وهذا باطل فذاك باطل بيان الملازمة من وجوه (احدها) انه اذا جاء المشرع وادعى كونه نبيا من عند الله تعالى واظهر المجزة فهل يجب على السميع استماع قوله والتأمل في مجزائه او لا يجب فان لم يجب فقد بطل القول بالنبوة وان وجب فاما ان يجب بالعقل او بالشرع فان وجب بالعقل فقد ثبت الوجوب العقلي وان وجب بالشرع فهو باطل لان ذلك المشرع اما ان يكون هو ذلك المدعي او غيره والاول باطل لانه يرجع حاصل الكلام الى ان ذلك الرجل يقول الدليل على انه يجب قبول قولي اني اقول انه يجب قبول قولي وهذا اثبات لشيء بنفسه وان كان ذلك الشارع غيره كان

تحقيق لغز قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وامام يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى لهموا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حل الغير وزر الغير واتفاهه بمحنته وتضرره بيسئته فهو في الحقيقة انتفاع بمحنته نفسه وتضرر بيسئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازمه وانما الذي يصل اليه من يشفع جزاء شفاعته لاجزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يجعله المضلون انما هو جزاء الضلال لاجزاء الضلال وانما يخص التأكيد بالجهد الشايع قطعا لا طماع الفارغة حيث كانوا يزعمون ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم (وما كنا معذنين) بيان العناية بالرأية في بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذاة النفس بجنايته غيرها اي وما صرح وما استقام مثالب اسفل في سنتنا المبجلة على الحكم البالغة وما كان في حكمنا الماضي

الكلام فيه كافي الاول وزم اما الدور أو التسلسل وهما محالان (وثانيها) ان الشرع اذا جاء ووجب بعض الافعال وحرم بعضها فلامعنى للايجاب والتحریم ان يقول لو تركت كذا وفعلت كذا لعاقبتك فتقول اما ان يجب عليه الاحتراز عن العقاب او لا يجب فلو لم يجب عليه الاحتراز عن العقاب لم يقرر معنى الوجوب البتة وهذا باطل فذلك باطل وان وجب عليه الاحتراز عن العقاب فاما ان يجب بالعقل او بالسمع فان وجب بالعقل فهو المقصود وان وجب بالسمع لم يقرر معنى هذا الوجوب الاسباب ترتب العقاب عليه وحيث يعود التقسيم الاول ويلزم التسلسل وهو محال (وثالثها) ان مذهب اهل السنة انه يجوز من الله تعالى ان يعفو عن العقاب على ترك الواجب واذا كان كذلك كانت ماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب فلم يبق الا ان يقال ان ماهية الواجب انما تقرر بسبب حصول الخوف من العقاب وهذا الخوف حاصل بمحض العقل ثبت ان ماهية الوجوب انما تحصل بسبب هذا الخوف وثبت ان هذا الخوف حاصل بمجرد العقل فزعم ان يقال الوجوب حاصل بمحض العقل فان قالوا ماهية الوجوب انما تقرر بسبب حصول الخوف من الذم قلنا انه تعالى اذا عفا فقد سقط الذم فعلى هذا ماهية الوجوب انما تقرر بسبب حصول الخوف من الذم وذلك حاصل بمحض العقل فثبت بهذه الوجوه ان الوجوب العقلي لا يمكن دفعه واذا ثبت هذا فنقول في الآية قولان (الاول) ان تجرى الآية على ظاهرها وتقول العقل هو رسول الله الى الخلق بل هو الرسول الذي لولاه لما تقررت رسالة احد من الانبياء فالعقل هو الرسول الاصل فكان معنى الآية وما كنا معذبين حتى نبعث رسول العقل (والثاني) ان تخصص عموم الآية فتقول المراد وما كنا معذبين في الاعمال التي لا سبيل الى معرفة وجوبها بالا بالشرع الابعدي حتى الشرع وتخصيص العموم وان كان عدوا عن الظاهر الا انه يجب المصير اليه عند قيام الدلائل وقدينا قيام الدلائل الثلاثة على اننا لو نفينا الوجوب العقلي لزمنا في الوجوب الشرعي والله اعلم واعلم ان الذي نرضيه ونذهب اليه ان مجرد العقل سبب في ان يجب علينا فعل ما يتفعل به وترك ما يتضرر به اما بمجرد العقل لا يدل على انه يجب على الله تعالى شيء وذلك لاننا نجوبون على طلب النفع والاحتراز عن الضرر فلا جرم كان العقل وحده كافيا في الوجوب في حقنا والله تعالى منزّه عن طلب النفع والهرب من الضرر فامتنع ان يحكم العقل عليه بوجوب فعل او ترك فعل والله اعلم قوله تعالى (واذا ارادنا ان نهلك قريبة امرنا تمر فيها ففسقوا فيها) الحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكنى بربك بذنوب عباده خيرا بصيرا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله امرنا تمر فيها في تفسير هذا الامر قولان (الاول) ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية لا يدل على انه تعالى بماذا يأمرهم فقال الاكثرون معناه انه تعالى يأمرهم بالطاعات والتحيرات ثم انهم يخالفون ذلك الامر ويفسقون وقال صاحب الكشاف ظاهر اللفظ يدل على انه تعالى يأمرهم بالفسق فيفسقون الا ان هذا

وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل (حتى نبعث) اليهم (رسولا) يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقم الطوبى ويهدى الشرائع حسبا في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المتني اما عذاب الاستئصال كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما يمداه والجنس الشامل للدينوى والاخرى وهومن افراده وايما ما كان فلعلت غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لالعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخرى لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدينوى ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجب به من الفسق والعصيان الا يرى الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهالما فلسنة وقوله تعالى (واذا اردنا ان نهلك قريبة) بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعث التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحقها بالفعل الا لا يتخلف عنها المراد ولا الارادة الزالية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنه الجزء الاكبر بل ذو وقتها كما في قوله تعالى الى امر الله اى واذا تناوقت لمعنى ارادتنا باهلاك قريبة بان نذب اهلها بما ذكرنا من هذاب الاستئصال الذى بيناه ان لا يصح منا قبل البعثه او نبوع

بجواز معذاته قبح عليهم ابواب الخيرات والراحات فند ذلك تمردوا وطفوا وبغوا قال
والدليل على ان ظاهر اللفظ يقتضى ما ذكرناه ان المأموره اجماعا حذف لان قوله ففسقوا
يدل عليه يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأموره قيام او قراءة فكذا
ههنا الما قال أمرنا متر فيها ففسقوا فيها وجب ان يكون المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا
لا يقال يشكل هذا بقولهم أمرته فعصاى او فخالفى فان هذا لا يفهم منه انى أمرته بالمعصية
والمخالفة لاننا نقول ان المعصية منافية للامر ومناقضة له فكذلك أمرته ففسق يدل على
ان المأموره شئ غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المأموره فكونه فسقا
ينافى كونه مأمورا به كما ان كونها بمعصية ينافى كونها مأمورا بها فوجب ان يدل هذا
اللفظ على ان المأموره ليس بفسق وهذا الكلام فى غاية الظهور فلا ادرى لم اصر
صاحب الكشف على قوله مع ظهور فساده ثبت ان الحق ما ذكره الكل وهو ان المعنى
امرناهم بالاعمال الصالحة وهى الايمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك الامر نادوا او اقدموا
على الفسق (المقول الثانى) فى تفسير قوله أمرناهم فيها اى اكثرنا فمافها قال الواحدى
العرب تقول امر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثروا وأمرهم ايضا بالمد روى
الجرمى عن ابى زيد مر الله القوم وأمرهم اى كثروا واحتج ابو عبيدة على صحة هذه اللغة
بقوله صلى الله عليه وسلم خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة والمعنى مهرة قد كثرت نفسها
يقولون امر الله المهرة اى كثرت ولدها ومن الناس من انكر ان يكون امر بمعنى كثر وقالوا
امر القوم اذا كثروا وأمرهم الله بالمد اى كثروا وجعلوا قوله عليه الصلاة والسلام مهرة
مأمورة على ان المراد كونها مأمورة بتكثير النسل على سبيل الاستعارة واما المأبورة فغناه
فى اللغة المتعمم الذى قد أبطرنه النعمة وسعة العيش ففسقوا فيها اى خرجوا عما أمرهم
الله فحق عليها القول بريد استوجب العذاب وهذا كالنفسر لقوله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى بعث فى امهارسولا وقوله ذلك
ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون فلما حكم تعالى فى هذه الآيات انه تعالى
لا يهلك قرية حتى يخالفوا أمر الله فلا جرم ذكر ههنا انه يأمرهم فاذا خالفوا الامر عند
ذلك استوجبوا الاهلاك المعبر عنه بقوله فحق عليها القول وقوله فدمرناها تدميرا اى
اهلكناها اهلاكا الاستئصال والدمار هلاك على سبيل الاستئصال (المسئلة الثانية) احتج
اصحابنا بهذه الآية على صحة مذهبهم من وجوه (الاول) ان ظاهر الآية يدل على انه تعالى
اراد ابطال الضرر بهم ابتداء ثم توسل الى اهلاكهم بهذا الطريق (الثانى) ان ظاهر
الآية يدل على انه تعالى انما خص المتزين بذلك الامر لعلهم بأنهم يفسقون وذلك يدل على
انه تعالى اراد منهم الفسق (الثالث) انه تعالى قال فحق عليها القول بالعتيب والكفر
ومتى حق عليها القول بذلك امتنع صدور الايمان منهم لان ذلك يستلزم انقلاب خبر الله
تعالى الصدق كذبوا ذلك محال والفضى الى المحال محال قال الكهني ان سائر الآيات دلت

ما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب اعنى عذاب الاستئصال لما لهم
من الظلم والمعاصى دون اقتضيه الحكمة من غير ان يكون له
حدمين (أمرنا) بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها (مترافيا) متممها
وجباريها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل
لانهم الاصول فى الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم
أكثر وعدم التعرض للمأموره اما الظهور ان المراد به الحق والخير
لان الله لا يأمر بالفتنة لاسيا بعد ذكر هداية القرآن الى الهدى
اليه واما لان المراد وجدنا الامر كايقال فلان يبطى ويمنع ففسقوا
فيها) اى خرجوا عن الطاعة وتمردوا (حق عليها القول) اى
ثبت وتحقق موجبه بمحول العذاب اثر مظهر منهم من
الفسق والطغيان (فدمرناها) بتدمير اهلها (تدميرا) لا يكتنه
كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر بجازع الخلل
على الفسق والتسبب له بأن صب عليهم ما أبطروا وافضى بهم الى
الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال أمرت الشئ فأمرأى كثرة
فكثروا وفى الحديث خيرا للمالسكة مأبورة ومهرة مأبورة اى كثيرة
النتاج ويعضده قراءة أمرنا وامرنا من الاضال والتفصيل وقد
جعلنا من الامارة اى جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام

على انه تعالى لا يتبدى بالتعذيب والاهلاك لقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
 بانفسهم وقوله ما يفعل الله بعذاكم ان شكرتم وانتم وقوله وما كنا مهلكي القرى
 الا واهلها ظالمون فكل هذه الآيات تدل على انه تعالى لا يتبدى بالاضرار وايضا ما قبل
 هذه الآية يدل على هذا المعنى وهو قوله من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما
 يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ومن المحال ان يقع بين آيات القرآن تناقض ثبتت
 ان الآيات التي تلونها محكمة وكذا الآية التي نحن في تفسيرها فيجب حمل هذه الآية
 على تلك الآيات هذا ما قاله الكعبى واعلم ان احسن الناس كلاما في تأويل هذه الآية
 على وجه بوافق قول المعتزلة القفال فانه ذكر فيه وجهين (الاول) قال انه تعالى اخبر انه
 لا يعذب احدا بما يله منه ما لم يعمل به اى لا يجعل عليه حجة على من علم انه امره عصاه بل
 يأمره فاذا ظهر عصيانه للناس فحينئذ يعاقبه فقوله واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا ثم فيها
 معناه واذا اردنا امضاء ما سبق من القضاء باهلاك قوم امرنا المتضمن المنع من الظالمين
 ان اموالهم واولادهم وانصارهم ترد عنهم بأسنا بالامان في العمل بشرائع ربى على
 ما بلغهم عنى رسول ففسقوا فحينئذ يحق عليهم القضاء السابق باهلاكهم لظهور معاصيهم
 فحينئذ دمرناها والحاصل ان المعنى واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم لا يقدمون
 الاعلى العصية لم نكتف في تحقيق ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم بل امرنا ثم فيها ففسقوا
 فاذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ توقع عليهم العذاب الموعود به (والوجه الثانى)
 في التأويل ان تقول واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب ظهور المعاصى من اهلها لم نعاجلهم
 بالعذاب فى اول ظهور المعاصى منهم بل امرنا ثم فيها بالرجوع عن تلك المعاصى وانما خص
 المترفين بذلك الامر لان المترف هو المتمتع من كثرت نعم الله عليه كان قيامه بالشكر واجب
 فاذا امرهم بالتوبة والرجوع مرة بعد اخرى مع انه تعالى لا يقطع عنهم تلك النعم بل زيدها
 حالا بعد حال فحينئذ يظهر عنادهم وتمردهم وبعدهم عن الرجوع عن الباطل الى الحق
 فحينئذ يصب الله البلاء عليهم صابم قال القفال وهذا التأويلان راجعان الى ان الله
 تعالى اخبر عباده انه لا يعاجل بالعقوبة امة ظالمة حتى يعذر اليهم غاية الاعذار الذى يقع
 منه اليأس من ايمانهم كما قال في قوم نوح ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقال انه لن يؤمن
 من قومك الا من قدامهم وقال في غيرهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل فاخبر تعالى
 اولائه لا يظهر العذاب الا بعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم اخبر ثانيا في هذه
 الآية انه اذا بعث الرسول ايضا فكذبوا لم يعاجلهم بالعذاب بل يتابع عليهم النصائح
 والمواظف فان بقوا مصرين على الذنوب فهناك ينزل عليهم عذاب الاستئصال وهذا
 التأويل الذى ذكره القفال في تطبيق الآية على قول المعتزلة لم يتيسر لاحد من شيوخ
 المعتزلة مثله واجاب الجبائى بان قال ليس المراد من الآية انه تعالى يريد اهلاكهم قبل
 ان يعصوا ويستحقوا وذلك لانه ظلم وهو على الله محال بل المراد من الارادة قرب تلك الحالة

الزجر عن الضلال والحث على
 الاهتداء فان مؤدى ذلك ان
 طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه
 وانعائه عليهم بنعم وافرة باطرقتهم
 وحلهم على الفسق حلا حقيقيا
 بأن يعبر عنه بالاسره (وكم اهلكتنا)
 اى وكثيرا ما اهلكنا (من القرون)
 بيان لكثرة تميزه والقرن مدة من
 الزمان يتجتم فيها القوم وهى
 عشرون او ثلاثون او اربعون
 او ثمانون او مائة وقد ايد ذلك بأنه
 عليه الصلاة والسلام دعا لرجل
 قتل عشرين نفعا فاشمى سنة
 او مائة وعشرون (من بعد نوح)
 من بعد نوح عليه الصلاة والسلام
 كعادته وعودهم بعدهم عن قسوت
 احوالهم فى القرآن العظيم ومن
 لم تقص وعدم نظم قومه عليه
 الصلاة والسلام فى تلك القرون
 المهلكة لظهور امرهم على ان
 ذكره عليه الصلاة والسلام من
 الذى ذكرهم (وكفى بركى اى كفى
 بركى بذنوب عباده خبير بصيرا)
 يسيط نطوا هرا هو بواطنها فاعاقب
 عليها وتقديم الخير اتقدم متعلقه
 من الاعتقادات والنيات التى
 هى مبادئ الاعمال الظاهرة
 او لعمومه حيث يتعلق بغير
 المصرات ايضا وفيه اشارة الى
 ان البعث والامر وما يتلو همامن
 فسقهم ليس لتحصيل العلم بصدر
 عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل
 قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار
 والزام الخيبة من كل وجه (من

كان يريد) بأعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزء أو أعمال البرا وبطريق ترتب المعلولات على الملل كالاسباب أو بأعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الأول الكفورة أو أكثر الفسقة وعلى الثاني أهل الرياء والتفاخر والمجاهر للدنيا والمجاهد للخصم الغنيمة (العاجلة) فقط من غير أن يريد معها الآخرة كما ينبغي عنه الاستمرار المستفاد من زيادته كان هنا مع الانقصار على مطلق الارادة في قسمة المراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادته الارادة ما فيها من ثلوث مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويحوز ان يراد الحياة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الجوة الدنيا ورثته لكن الاول انسب بقوله (ههنا) اي في تلك العاجلة فان الحياة واستمرارها من جهة ما ههنا فلا ينسب ذلك كلمة من كافي قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا فؤدهم بها (ما نشاء) اي ما نشاء تهجيله من نعمها لاسيما ما يريد (من يريد) تهجيل ما نشاءه وهو يدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصل المتى عن الكثرة وقرى لمن يشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو ان يكون مخصوصا بمن اراد بذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المجهل والمجهل له بما ذكر من المشقة والارادة لا

فكان التقدير واذ اقرب وقت اهلاك قربة امرنا متر فيها ففسقوا فيها وهو كقول القائل اذا اراد المريض ان يموت ازدادت امراضه شدة واذ اراد التاجر ان يفتقر اناه لمحسر ان من كل جهة وليس المراد ان المريض يريد ان يموت والتاجر يريد ان يفتقر وانما يعنون انه سيصير كذلك فكذا ههنا واعلم ان جميع الوجوه الثلاثة التي ذكرناها في التمسك بهذه الآية لاشك ان كلها عدول عن ظاهر اللفظ واما الوجه الثاني والثالث فقد بقي سليما عن الطعن والله اعلم (المسئلة الثالثة) المشهور عند القراء السبعة امرنا متر فيها بالتخفيف غير مدودة الالف وروى رواية غير مشهورة من نافع وابن عباس امرنا بالمدح عن ابي عمرو وامرنا بالتشديد فالمدح على التكثر يقال امر القوم بكسر الميم اذا كثروا وامرهم الله بالمدح اي كثروا الله والتشديد على التسلط اي سلطنا متر فيها ومعناه التخلية وزوال المنع بالقره والله اعلم اما قوله تعالى وكما اهلكنا من القرون من بعد نوح فاعلم ان المراد ان الطريق الذي ذكرناه هو عادتنا من الذين يفسقون ويتردون فيما تقدم من القرون الذين كانوا يعدون نوح وهو عاد ونمود وغيرهم ثم انه تعالى خاطب رسوله بما يكون خطا بالغيره ورد ما لوزجر الكل فقال وكفى بربك بذنوب عباده خيرا بصيرا فبه بحثنا (الاول) انه تعالى طام بجميع المعلومات راء لجميع المراتب فلا يخفى عليه شيء من احوال الخلق وثبت انه قادر على كل الممكنات فكان قادرا على ايصال الجزاء الى كل احد بقدر استحقاقه وايضا انه منزه عن العيب والظلم ومجموع هذه الصفات الثلاث اعنى العلم التام والقدرة الكاملة والبراءة عن الظلم بشاره عظيمة لاهل الطاعة وخوف عظيم لاهل الكفر والعصية (البحت الثاني) قال القراء والنفيت الباء من قولك برك جازوا كما يجوز دخول الباء في المرفوع اذا كان مدح به صاحبه او يذم كقولك كفاك به واكرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما وجاد بشوك ثوبا اما اذا لم يكن مدحا او ذما لم يحز دخولا فلا يجوز ان يقال قام بأخيك وانت تريد قام اخوك والله اعلم بقوله تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلامه هؤلا وهؤلا من عطا ربك وما كان عطا ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال الفقهاء رحمة الله هذه الآية داخلية في معنى قوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ومعناه ان الكمال في الدنيا قسما قسما من يريد بالذي يعمله الدنيا ومنافعها والرياسة فيها فهذا بأنفس من الانقياد للانباء عليهم الصلاة والسلام والدخول في طاعتهم والاجابة لدعوتهم اشفاقا من زوال الرياسة عنه فهذا جعل طائره نفسه شؤما لانه في قبضة الله تعالى فيؤتيه الله في الدنيا ما يقدر الا كما يشاء ذلك الانسان بل كما يشاء الله الا ان عاقبته جمعهم يدخلها فصلا لها محررها مذموما مملوما مدحورا منفيا مطرودا من رحمة الله تعالى وفي لفظ هذه الآية قوائد (الفائدة الاولى) ان العقاب عبارة عن مضرة مقرونة بالاهانة والذم بشرط

ان تكون دأمة وخالية عن شوب المنفعة قوله ثم جعلنا له جهنم بصلاها إشارة الى المضرة العظيمة وقوله مذموم ما إشارة الى الاهانة والذم وقوله مدحورا إشارة الى البعد والطرده عن رحمة الله وهي عقيد كون تلك المضرة خالية عن شوب النفع والرحمة وتفيد كونه دأمة وخالية عن التبدل بالراحة والخلاص (الفائدة الثانية) ان من الجهال من اذا ساعده الدنيا اغتر بها وظن ان ذلك لاجل كرامته على الله تعالى وانه تعالى يبين ان مساعدة الدنيا لا ينبغي ان يستدل بها على رضا الله تعالى لان الدنيا قد تحصل مع ان عاقبتها هي المصير الى عذاب الله واهاته فهذا الانسان اعماله تشبه طائر السوء في لزومها له وكونها سائلة له الى اشد العذاب (الفائدة الثالثة) قوله تعالى لمن يريد على انه لا يحصل الفوز بالدنيا لكل احد بل كثير من الكفار والضلال يعرضون عن الدين في طلب الدنيا ثم يقولون محرومين عن الدنيا وعن الدين وهذا ايضا فيه جزع عظيم لهؤلاء الكفار الضلال الذين يتكون الدين لطلب الدنيا فانه ربما فاتهم الدنيا فهم الاخسرون اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (واما القسم الثاني) وهو قوله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فشرط تعالى فيه شروطا ثلاثة (احدها) ان يريد بعمله الآخرة اى ثواب الآخرة فانه ان لم يحصل هذه الارادة وهذه النية لم ينفع بذلك العمل لقوله تعالى وان ليس للانسان الاماسعى ولقوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات ولان المقصود من الاعمال استنارة القلب بمعرفة الله تعالى ومحبة وهذا لا يحصل الا ان توى بعمله عبودية الله تعالى وطلب طاعته (والشرط الثاني) قوله وسعى لها سعيها وذلك هو ان يكون العمل الذى يتوصل به الى الفوز بثواب الآخرة من الاعمال التى بها يتال ثواب الآخرة ولا يكون كذلك الا اذا كان من باب القرب والطاعات وكثير من الناس يتقربون الى الله تعالى باعمال باطلة فان الكفار يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاوثان ولهم فيه تاويلان (احدهما) يقولون اله العالم أجل واعظم من ان يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته فليس لنا هذا القدر والدرجة ولكن غاية قدرنا ان نشغل عبودية بعض المقرين من عباد الله تعالى مثل ان نشغل بعبادة كوكب او عبادة ملك من الملائكة ثم ان الملك والكوكب يشغلون بعبادة الله تعالى فهؤلاء يتقربون الى الله تعالى بهذا الطريق الا انه لما كان فاسدا في نفسه لاجرم لم يحصل الارتفاع به (والتاويل الثاني لهم) انهم قالوا نحن اتخذنا هذه التماثيل على صور الانبياء والاولياء ومرادنا من عبادتها ان نصير اولئك الانبياء والاولياء شفعا لنا عند الله تعالى وهذا الطريق ايضا فاسد وايضا نقل عن الهند انهم يتقربون الى الله تعالى بقتل انفسهم تارة وباحراق انفسهم أخرى وبالعفن في تعظيم الله تعالى الا انه لما كان الطريق فاسدا لاجرم لم ينفع به وكذلك القول في جميع فرق المبطلين الذين يتقربون الى الله تعالى بمذاهبهم الباطلة واقلواهم الفاسدة واعمالهم المخرفة عن قانون الصدق والمعواب

ان الحكمة التى عليها يدور فلك التكوين لا تقتضى وصول كل طلب الى مراده والاستيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه وامامنا تبارك من قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا ينجسون من نيل كل مؤمل بلجج آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى (ثم جعلنا له جهنم) وما فيها من اصناف العذاب (يصلها) يدخلها وهو حال من الشئير المجرور اومن جهنم اواستنفذ (مذموم) مدحورا (مطرودا) من رحمة الله تعالى وقيل الاية فى المناققين كانوا يراؤن المسلمين ويفزون معهم ولم يكن غرضهم الامساك بهم فى الفتنان ونحوها وبأياه ما يقال ان السورة مكية سوى آيات معينة (ومن اراد) بأعماله (الآخرة) الدار الآخرة وما فيها من النعيم اقليم (وسى لها سعيها) اى السعى اللائق بها وهو الايمان بما أمر واعتناء عمنهى لا التقرب بما يمتنعون بأرائهم وفاشدة اللام اعتبار النية والاخلاص (وهو مؤمن) ايمانا صحيحا لا يخاطبه نبي فادح فيه ويراد الايمان بالجله الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في الصلة (فأولئك) إشارة الى الموصول بعنوان اتصافها بما

(والشرط الثالث) قوله تعالى وهو مؤمن وهذا الشرط معتبر لان الشرط في كون اعمال البر موجهة للثواب تقدم الايمان فاذا لم يوجد الشرط لم يحصل المشروط ثم انه تعالى اخبر ان عند حصول هذه الشرائط يصير السعي مشكورا والعمل مبرورا واعلم ان الشكر عبارة عن مجموع امور ثلاثة اعتقاد كونه محسنا في تلك الاعمال والشاء عليه بالقول والاثبات بافعال تدل على كونه معظما عند ذلك الشاكر والله تعالى يعامل المطيع بهذه الامور الثلاثة فانه تعالى عالم بكونهم محسنين في تلك الاعمال وانه تعالى يثني عليهم بكلامه وانه تعالى يعاملهم بمعاملات دالة على كونهم معظمين عند الله تعالى واذا كان مجموع هذه الثلاثة حاصلًا كانوا مشكورين على طاعتهم من قبل الله تعالى ورأيت في كتب المعتزلة ان جعفر بن حرب حضر عنده واحدا من اهل السنة وقال الدليل على ان الايمان حصل بخلق الله تعالى اننا نشكر الله على الايمان ولولم يكن الايمان حاصلًا بما يجاده لا يمنع ان نشكره عليه لان مدح الانسان وشكره على ما ليس من عمله فيجب قال الله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فعجز الحاضرون عن الجواب فدخل ثمامة بن الاشرس وقال انما مدح الله تعالى ونشكره على ما عطانا من القدرة والعقل وازال الكتب وبيّض الدلائل والله تعالى يشكرنا على فعل الايمان قال تعالى فأولئك كان سعيهم مشكورا قال فضحك جعفر بن حرب وقال صعب المسئلة فسهلت واعلم ان قولنا مجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل كلام واضح لانه تعالى هو الذي اعطى الموجب التام لحصول الايمان فكان هو المستحق للشكر ولما حصل الايمان للعبد وكان الايمان موجبا للسعادة التامة صار العبد ايضا مشكورا ولا منافاة بين الامرين (المسئلة الثانية) اعلم ان كل من اتى بفعل فاما ان يقصد بذلك الفعل تحصيل خيرات الدنيا وتحصيل خيرات الآخرة او يقصده بجموعهما او لم يقصده واحدا منهما هذا هو التقسيم الصحيح اما ان يقصده تحصيل الدنيا فقط او تحصيل الآخرة فقط فالله تعالى ذكر حكم هذين القسمين في هذه الآية (اما القسم الثالث) فهو ينقسم الى ثلاثة اقسام لانه اما ان يكون طلب الآخرة راجحا او مرجوحا او يكون الطالبان متعادلين « اما القسم الاول وهو ان يكون طلب الآخرة راجحا فهل يكون هذا العمل مقبولا عند الله تعالى فيه بحث يحتمل ان يقال انه غير مقبول لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم حكى عن رب العزة انه قال انا اغني الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه فبرى تركته وشريكه وايضا فطلب رضوان الله اما ان يقال انه كان سببا مستقلا بكونه باعثا على ذلك الفعل او داعيا اليه واما ان يقال ما كان كذلك فان كان الاول امتنع ان يكون لغيره مدخل في ذلك البعث والدعاء لان الحكم اذا حصل مسندا الى سبب تام كامل امتنع ان يكون لغيره مدخل فيه وان كان الثاني فيثبت ان يكون الحامل على ذلك الفعل والداعي اليه ذلك المجموع وذلك المجموع ليس هو طلب رضوان الله تعالى لان المجموع الحاصل من الشيء ومن غيره يجب كونه مغايرا لكل واحد من جزأيه فهذا

في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمرعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك الجامعون لما مر من الحصول الجيدة احسن ارادة الآخرة والسعي الجليل لها والايمان (كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله تعالى احسن القبول مشابها عليه وفي تعاقب المشكورية بالسعي دون قرينه اشعار بأنه العمدة فيها (كلا) التنوين عوض عن المضائق اليه اي كل واحد من الفرقتين لا الفرقة الاخرى المراد للغير الحقيقي بالاسم فقط (عند) اي تزيد مرة بعد مرة بحيث يكون الاتف مددا للسالف ومابه الامداد ما يجمل لاحد هما من العطايا العاجلة وما بعد للآخر من العطايا الآجلة المشار اليها بمشكورية السعي واعلم ان يصرح به تعالى على ما سبق تصرحا وتلوغا وانكالا على ما سبق عبارة واشارة كما يستفاد عليه وقوله تعالى (وهؤلاء) يدل من كلا (وهؤلاء) عطف عليه اي عند هؤلاء للجميل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعصية لذات المشار اليه ماله من النسوان لا للذات فقط كالاضمار فيه تذكيرا لابه الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افرادا فرديا

الاخير

وأكد كيد لقصر المستفاد من تقديم
القول وقوله تعالى (من عطاء
ربك) أي من عطائه الواسع الذي
لاتناهيه له متعلق عند ومعنى عن
ذكر ما به الامداد ومنه على ان
الامداد المذكور ليس بطريق
الاستيعاب بالسوى والعمل بل
بمحض التفضل (وما كان عطائه
ربك) أي دنيوا كان واخرويا
وانما اظهر اظهارا لمزيد الاعتناء
بشأنه واشعارا بعليته للحكم
مخفوا) ممنوعا من بده بل هو
فائض على من قدر له بموجب
المشيئة المبينة على الحكمة وان
وجد منه ما يقتضى الحظر كالنكاح
وهو في معنى التعليل لشئ
الامداد للفریقین والتعرض
لعنوان الربوبية في الموضعين
للاشعار بمبدأيتها لما ذكر من
الامداد وعدم الحظر (انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض) كيف في
عمل النصب بفضلنا على الحالية
والمراد توضيح ما من الامداد
وعدم محظورية العطاء بالتنبيه
على استحضار مراتب احد
الطاقين والاستدلال بها على
مراتب الاخر اى انظر بنظر
الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على
بعض في الامدادا هم به من العطايا
العاجلة فن وضع ورفع وظائف
وضلع وماك وعملوك وموسر
وصمولوك تعرف بذلك مراتب
الطايا الاجلة ودرجات تفضل
اعلمها على طريقة الاستشهاد
بحال الادنى على حال

القسم الحق بالقسم الذي كان الداعي اليه مغاير للطلب رضوان الله تعالى فوجب ان يكون
مقبولا ويمكن ان يقال لما كان طلب الآخرة راجعا على طلب الدنيا تعارض المثل
بالمثل فيبقى القدر الزائد داعية خالصة لطلب الآخرة فوجب كونه مقبولا واما اذا كان
طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين او كان طلب الدنيا راجعا فهذا قد اتفقوا على انه
غير مقبول الا انه على كل حال خير مما اذا كان طلب الدنيا خاليا بالكلية عن طلب الآخرة
(اما القسم الرابع) وهو ان يقال انه اقدم على ذلك الفعل من غير داع فهذا بناء على ان
صدور الفعل من القادر هل يتوقف على حصول الداعي ام لا فالذين يقولون انه متوقف
قالوا هذا القسم متعمد الحصول والذين قالوا انه لا يتوقف قالوا هذا الفعل لا اثر له
في الباطن وهو محرم في الظاهر لانه عبث والله اعلم ثم قال تعالى كلا اى كل واحد من
الفریقین والتنوين عوض من المضاف اليه عند هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك اى انه تعالى
يعد الفریقین بالاموال ويوسع عليهما في الرزق مثل الاموال والاولاد وغيرهما من
اسباب العزوا الزينة في الدنيا لان عطاءنا ليس يضيق عن احد مؤمنا كان او كافرا لان
الكل مخلوقون في دار العمل فوجب ازاحة العذر وازالة العلة عن الكل وايصال
متاع الدنيا الى الكل على القدر الذى يقتضيه الصلاح فيبين تعالى ان عطائه ليس بمحظور
اى غير ممنوع فقال حظره محظره وكل من حال بينك وبين شئ فقد حظره عليك ثم قال تعالى
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وفيه قولان (الاول) المعنى انظر الى عطائنا المباح الى
الفریقین في الدنيا كيف فضلنا بعضهم على بعض فأوصلناه الى مؤمن وقبضناه عن مؤمن
آخر وأوصلناه الى كافر وقبضناه عن كافر آخر وقد بين تعالى وجه الحكمة في هذا
التفاوت فقال نحن قمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وقال في آخر سورة الانعام ورفع بعضكم فوق بعض
درجات ليلوكم فيما آتاكم ثم قال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا والمعنى ان تفاضل
الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة اكبر واعظم
فان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة
الى الدنيا فاذا كان الانسان تشدد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فبان تقوى رغبته
في طلب فضيلة الآخرة اولى (القول الثانى) ان المراد ان الآخرة اعظم واشرف
من الدنيا والمعنى ان المؤمنين يدخلون الجنة والكافرين يدخلون النار فيظهر فضل المؤمنين
على الكافرين ونظيره قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
* قوله تعالى (لا تجعل مع الله الها آخر فتعبد مذموما مخذولا) في الآيات مسائل
(المسئلة الاولى) في بيان وجه النظم فتقول انه تعالى لما بين ان الناس فريقان منهم
يريد بعمله الدنيا فقط وهم اهل العقاب والذاب ومنهم من يريد به طاعة الله وهم اهل
الثواب ثم شرط ذلك بشرائط ثلاثة (اولها) اراد الآخرة (وثانيها) ان يعمل عملا ويسعى

سعيًا موافقا لطلب الآخرة (وثالثها) ان يكون مؤثما لاجرم فصل في هذه الآية تلك المحملات فبدأ أولا بشرح حقيقة الايمان واشرف اجزاء الايمان هو التوحيد ونفى الشركاء والاضداد فقال لا تجعل مع الله الها آخر ثم ذكر عقبيه سائر الاعمال التي يكون المقدم عليها والمشتغل بها ساعيا سعيًا يليق بطلب الآخرة وصار من الذين سعد طرهم وحسن بختهم وكلت احوالهم (المسئلة الثانية) قال المفسرون هذا في الظاهر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن في المعنى عام لجميع المكلفين كقوله يا أيها النبي اذا طلقت النساء ويحفل ايضا ان يكون الخطاب للانسان كما أنه قيل أيها الانسان لا تجعل مع الله الها آخر وهذا الاحتمال عندى اولى لانه تعالى عطف عليه قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه الى قوله اما يلحق عندك الكبر احدهما او كلاهما وهذا لا يليق بالنبي عليه السلام لان بؤيه ما بلغا الكبر عنده فقلنا ان الخطاب بهذا هو نوع الانسان (المسئلة الثالثة) معنى الآية ان من اشرك بالله كان مذموما مخذولا والذي يدل على ان الامر كذلك وجوه * الاول ان المشرك كاذب والكاذب يستوجب الذم والخذلان * الثاني انه لما ثبت بالدليل انه لا اله الا الله ولا مدبر ولا مقدر الا الواحد الاحد فعلى هذا التقدير تكون جميع النعم حاصلة من الله تعالى فمن اشرك بالله فقد اضاف بعض تلك النعم الى غير الله تعالى مع ان الحق ان كلها من الله فيعتقد يستحق الذم لان الخالق تعالى استحق الشكر باعطاء تلك النعم فلما جحد كونها من الله قد قابل احسان الله تعالى بالاساءة والجمود والكفران فاستوجب الذم وانما قلنا انه يستحق الخذلان لانه لما ثبت شريكه لله تعالى استحق ان يفوض امره الى ذلك الشريك فلما كان ذلك الشريك معدوما بقي بلا ناصر ولا حافظ ولا معين وذلك عين الخذلان * الثالث ان الكمال في الوحدة والنقصان في الكثرة فمن اثبت الشريك فقد وقع في جانب النقصان واستوجب الذم والخذلان واعلم انه لما دلل لفظ الآية على ان المشرك مذموم مخذول وجب بحكم الآية ان يكون الموحد ممدوحا منصورا والله اعلم (المسئلة الرابعة) القعود المذكور في قوله فتعقد مذموما مخذولا فيه وجوه (الاول) ان معناه المكث اى فتمكث في الناس مذموما مخذولا وهذه اللفظة مستعملة في لسان العرب والفرس في هذا المعنى فاذا سأل الرجل غيره ما يصنع فلان في تلك البلدة فيقول الحبيب هو قاعد بأموأ حال معناه المكث سواء كان قائما او جالسا (الثاني) ان من شأن المذموم المخذول ان يقعد نادما متفكرا على ما فرط منه (الثالث) ان المتكبر من تحصيل الخيرات يسعى في تحصيلها والسعي انما يتأتى بالقيام واما العاجز عن تحصيلها فانه لا يسعى بل يبقى جالسا قاعدا عن الطلب فلما كان القيام على الرجل احدا الامور التي بها يتم الفوز بالخيرات وكان القعود والجلوس علامة على عدم تلك المكنة والقدرة لاجرم جعل القيام كناية عن القدرة على تحصيل الخيرات والقعود كناية عن العجز والضعف (المسئلة الخامسة) قال الواحدى قوله فتعقد انصب لانه وقع بعد الفاء جوابا للنهي وانصابه باضمار ان كقولك لا تنقطع

الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى (وللاخرة اكبر هاهى وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ اكثر (درجات واكبر تفضيلا) لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينهما بين الفريقين الثاني ارادة ووصولها مما يؤم اختصاصها بالاولين فالهى كل واحد من الفريقين عند العطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادتها لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه النبوى يحظور من احد ممن يريد وعز يد غيره النظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم المحطورية بالنسبة الى الفريق الاول تحقيقا لتناول الامداد كالهة الجهور حيث قالوا لا يعنه من عاص لصباه يقتضى كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد النبوى بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يؤم نبوته ففلا عن إيهام اختصاصه (لا تجعل مع الله الها آخر)

عنا فنجفوك والتقدير لا يكن منك انقطاع فيحصل ان نجفوك فابعد الفاء متعلق بالجزء
المتقدمة بحرف الفاء التي هي حرف العطف وانما اسماء النحويون جوابا لكونه مشابها
للجزء فان الثاني مسبب عن الاول ألا ترى ان المعنى ان انقطعت جفوك كذلك تقدير
الآية ان جعلت مع الله الها آخر قدت مذموما مخذولا * قوله تعالى (وقضى ربك
ألا تعبدوا الاياه) اعلم انه لما ذكر في الآية الاولى ما هو الركن الاعظم في الايمان اتبعه
بذكر ما هو من شعائر الايمان وشرائطه وهي انواع (النوع الاول) ان يكون الانسان
مشغولا بعبادة الله تعالى وان يكون محترزا عن عبادة غير الله تعالى وهذا هو المراد من
قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه وفيه بحثان (الاول) القضاء معناه الحكم الجزم البت
الذي لا يقبل النسخ والدليل عليه ان الواحد منا اذا امر بغيره بشئ فانه لا يقبل ان يقضى
عليه اما اذا امر امر اجزما وحكم عليه بذلك الحكم على سبيل البت والقطع فهنا يقال
قضى عليه ولفظ القضاء في اصل اللغة يرجع الى اتمام الشيء وانقطاعه وروى ميمون بن
مهر ان عن ابن عباس انه قال في هذه الآية كان الاصل ووصى ربك فالتصقت احدى
الواوين بالصاد فقرأى وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله احد قط لان
خلاف قضاء الله ممنوع هكذا رواه عنه الضحاك وسعيد بن جبير وهو قراءة على وعبد الله
واعلم ان هذا القول بعيد جدالانه يفتح باب ان التحريف والتغير قد تطرق الى القرآن
ولو جوزنا ذلك لارتفع الايمان من القرآن وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك انه طعن
عظيم في الدين (البصير الثاني) قد ذكرنا ان هذه الآية تدل على وجوب عبادة الله تعالى
وتدل على المنع عن عبادة غير الله تعالى وهذا هو الحق وذلك لان العبادة عبارة عن الفعل
المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تلحق الا بيمين يصدر عنه نهاية الانعام ونهاية
الانعام عبارة عن اعطاء الوجود والحياة والقدرة والشهوة والعقل وقد ثبت بالدلائل
ان العطى لهذه الاشياء هو الله تعالى لا غيره واذا كان النعم بجميع النعم هو الله لا غيره
لا جرم كان المستحق للعبادة هو الله تعالى لا غيره فثبت بالدليل العقلي صحة قوله وقضى ربك
ألا تعبدوا الاياه * قوله تعالى (وبوالدين احسانا اما يلغى عندك الكبر احدهما
او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل
من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ارحمتني صغيرا ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا
صالحين فانه كان للواوين غفورا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى امر
بعبادة نفسه ثم اتبعه بالامر ببر الوالدين وبيان المناسبة بين الامر بعبادة الله تعالى وبين
الامر ببر الوالدين من وجوه (الاول) ان السبب الحقيقي لوجود الانسان هو تخلق الله
تعالى وايحاده والسبب الظاهري هو الابوان فأمر بتعظيم السبب الحقيقي ثم اتبعه بالامر
بتعظيم السبب الظاهري (الوجه الثاني) ان الوجود اما قديم واما محدث ويجب ان
تكون معاملة الانسان مع الاله القديم بالتعظيم والعبودية ومع المحدث باظهار الشفقة

الخطاب للرسول عليه الصلاة
والسلام والمراد منه امته وهو
من باب التبيين والالهاب والكل
احد عن يصلح للخطاب (فتقدم)
بالنصب جوابا للنهاى والقعود
بمعنى الصيرورة من قولهم شعث
الشعر حتى قدت كائنا حربة
او بمعنى الجزم من قدتته اي جزم
عنه (مذموما مخذولا) خبران
او حالان اي جامعا على نفسك
الذم من الملائكة والمؤمنين
والذلان من الله تعالى وفيه
اشعار بأن الموحد جامع بين
المدح والنصرة (وقضى ربك) اي
امرأما مبرما وقرئ وأوصى
ربك ووصى ربك (الاعتدوا)
اي بأن لا تعبدوا (الاياء) على
ان ان مصدرية ولا نافية او اي
لا تعبدوا على انها مفسرة
ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم
فلا تمنع الا لئله غاية العظمة
ونهاية الانعام وهو كالنفسيل
لسمى للآخر (وبالوالدين)
اي وبأن تعسوا بهما او احسنوا
بهما (احسانا) لانهما السبب
الظاهر للوجود والعيش (اما)
يلغى عندك الكبر احدهما
او كلاهما) اما مركبه من ان
الشرعية وما المزيده لتأكيدها
ولذلك دخل الفعل نون التأكيذ
ومعنى عندك في كنفك
وكفالتك وتقديعه على القول
مع ان حقه التأخر عنه للتشويق
الى وروده فانه مدار تضاعف

وهو المراد من قوله عليه السلام التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واحق الخلق بصرف الشفقة اليه هو الابوان لكثرة انعامهما على الانسان بقوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وبالوالدين احسانا اشارة الى الشفقة على خلق الله (الوجه الثالث) ان الاشتغال بشكر المنعم واجب ثم المنعم الحقبي هو الخالق سبحانه وتعالى وقد يكون احدهم المخلوقين منعما عليك وشكركه ايضا واجبل قوله عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وليس لاحد من الخلائق نعمة على الانسان مثل مال والدين وتقديره من وجوه (احدها) ان الولد قطعة من والدين قال عليه السلام فاطمة بضعة مني (وثانيها) ان شفقة الابوين على الولد عظيمة وجدهما في ابصال الخير الى الولد كالامر الطبيعى واحترازهما عن ابصال الضرر اليه كالامر الطبيعى ومتى كانت الدواعى الى ابصال الخير متوفرة والصوارف عنه زائلة لاجرم كثرا ابصال الخير فوجب ان تكون نعم والوالدين على الولد كثيرة اكثر من كل نعمة تصل من انسان الى انسان (وثالثها) ان الانسان حال ما يكون في غاية الضعف ونهاية العجز يكون في انعام الابوين فاصناف نعمهما في ذلك الوقت واصلة اليه واصناف رحمة ذلك الولد واصلة الى والديه في ذلك الوقت ومن المعلوم ان الانعام اذا كان واقعا على هذا الوجه كان موقعه عظيما (ورابعها) ان ابصال الخير الى الغير قد يكون لداعية ابصال الخير اليه وقد يمتزج بهذا الغرض سائر الاغراض وابصال الخير الى الولد ليس لهذا الغرض فقط فكان الانعام فيه اتموا لكل فثبت انه ليس لاحد من المخلوقين نعمة على غيره مثل مال والوالدين على الولد فبدأ الله تعالى بشكر نعمة الخالق وهو قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه ثم ارفده بشكر نعمة والوالدين وهو قوله وبالوالدين احسانا والسبب فيه ما بينا ان اعظم النعم بعد انعام الاله الخالق نعمة والوالدين فان قبل الالدين انما طلبا تحصيل اللذة لنفسهما فلم يزد من دخول الولد في الوجود وحصوله في عالم الآفات والمخافات فأى انعام للابوين على الولد حتى ان واحدا من المتممين بالحكمة كان يضرب اباه ويقول هو الذى ادخلنى في عالم الكون والفساد وعرضنى للموت والفقر والعلى والزمانة وقيل لأبى العلاء المعرى ماذا نكتب على قبرك قال اكتبوا عليه

هذا جنه ابى على وما جنيت على احد

وقال في ترك الزوج والولد

وتركت اولادى وهم في نعمة * العدم التى سبقت نعيم العاجل

ولوا نهم ولدوا لعانوا شدة * ترمى بهم في موجبات الآجل

وقبل للاسكندر استاذك اعظم منة عليك أم والدك فقال الاستاذ اعظم منة لانه تحمل انواع الشدائد والحن عند تعلينى ارتعنى في نور العلم واما والدا فانه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه واخرجنى الى آفات عالم الكون والفساد ومن الكلمات المشهورة المأثورة

الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للقول وتأخير عن الطرف والمفعول ثلاثا يطول الكلام به وما عطف عليه وقرئ ييلان فأحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا ييل الى جعل كلاهما تأكيداً للصغير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع لا احتراز عن التباس المراد فان المقصود نهى كل احد عن تأنيب والديه ونهرهما ولو قول الجمع بالجمع او بالتثنية يحصل هذا المرام (فلا تقل لهما) اى لواحد منهما حالى الافراد والاجتماع (اف) وهو صوت ينفى عن تعبير اوسم قبل هو الضمير وقرئ بالكسر بلا توين وبالفتح والضم متونا وغير متون اى لا تعجبوا عما تستقدرون منها وتستقل من مؤنهما وبهذا النهى يفهم النهى عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النس وقد خصى بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشأنه فقيل (ولا تسهرهما) اى لا تجرهما عما لا يجهك باغلاظ قبل النهى والنهر والنهم اخوات (وقل لهما) بدل التأنيب والنهر (قولا كريما) ذا كرم او هو وصفه بوصف صاحبه اى قولاصدرا عن كرم ولطف وهو القول الجليل الذى يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقول

خبر الآباء من علمك والجواب هب انهما في اول الامر طلبا لذة الواقع الا ان الاهتمام
بإصال الخيرات وفي دفع الآفات من اول دخوله في الوجود الى وقت بلوغه الكبر
أليس انه اعظم من جميع ما نبخل من جهات الخيرات والمبرات فسقطت هذه الشبهات
والله اعلم (المسئلة الثانية) قوله وبوالوالدين احسانا قال اهل اللغة تقدير الآية وقضى
ربك ألا تعبدوا الا الله وان تحسنوا او يقال وقضى ألا تعبدوا الا اياه واحسنوا بالوالدين
احسانا قال صاحب الكشف ولا يجوز ان يتعلق الباء في وبوالوالدين بالاحسان لان
المصدر لا تقدم عليه صلته ثم لم يذكر دليلا على ان المصدر لا يجوز ان تقدم عليه صلته
وقال الواحدى في البسيط الباء في وبوالوالدين من صلة الاحسان وقدمت عليه كاقول
يزيد فامر وهذا المثال الذى ذكره الواحدى غير مطابق لان المطلوب تقديم صلة المصدر
عليه والمثال المذكور ليس كذلك (المسئلة الثالثة) قال القفال لفظ الاحسان قد يوصل
بحرف الباء تارة وبحرف الى اخرى وكذلك الاسماء يقال احسنت به واليه واسأت به
واليه قال الله تعالى وقد احسن بى وقال القائل

اسمى بنا وواحسنى لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

واقول لفظ الآية مشتمل على قيود كثيرة كل واحد منها يوجب المبالغة في الاحسان الى
الوالدين (احدها) انه تعالى قال في الآية المتقدمة ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ثم انه تعالى اورد هذه الآية المشتملة على
الاعمال التى بواسطتها يحصل الفوز بسعادة الآخرة فذكر من جعلها الرب بالوالدين وذلك
يدل على ان هذه الطاعة من اصول الطاعات التى تقيد سعادة الآخرة (وثانيها) انه
تعالى بدأ بذكر الامر بالتوحيد وثنى بطاعة الله تعالى وثالث بالرب بالوالدين وهذه درجة
عالية ومبالغة عظيمة في تعظيم هذه الطاعة (وثالثها) انه تعالى لم يقل واحسانا بالوالدين
بل قال وبوالوالدين احسانا فتقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام (ورابعها) انه قال احسانا
بلفظ التكثير والتكثير يدل على التعظيم والمعنى وقضى ربك ان تحسنوا الى الوالدين
احسانا عظيما كاملا وذلك لانه لما كان احسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة وجب ان
يكون احسانك اليهما كذلك ثم على جميع التقديرات فلا تحصل المكافأة لان انعامهما
عليك كان على سبيل الابتداء وفي الامثال المشهورة ان البادى بالبر لا يكافأ ثم قال تعالى
اما يبلغن عندك الكبر أحداهما او كلاهما وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لفظ اما لفظ
مركبة من لفظتين ان وما اما كلمة ان ففى للشرط واما كلمة ما ففى ايضا للشرط كقوله
تعالى ما ننسخ من آية فلا يجع بين هاتين الكلمتين أفاد لنا كيد في معنى الاشتراط الا ان
علامة الجزم لم تظهر مع نون التأكيد لان الفعل يبنى مع نون التأكيد وأقول لقائل ان
يقول ان نون التأكيد اسم يلىق بالموضع الذى يكون اللائق به تأكيد ذلك الحكم
المذكور وتقريره وثباته على اقوى الوجوه الا ان هذا المعنى لا يلىق بهذا الموضع لان

يا اياه ويا اياه كدأب ابراهيم عليه
السلام اذ قال لايه يا ايت مع
ما به من الكفر ولا يدعوهما
باسمائهما فانه من الجفاء وسوء
الادب ويدين الدمار وسئل
الفضيل بن عياض عن الربا والدين
فقال ان لا تقوم الى خدمتهما
عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك
عليهما ولا تنظر اليهما شرا ولا
يرامكن مخالفة في ظاهر ولا باطن
وان تترحم عليهما ما عاشوا وتدعوهما
اذ ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من
بعدهما فمن التبي عليه الصلاة
والسلام ان من اراد البر ان يصل
الرجل اهل ودايره (واخضع
لهما جناح الذل) عبارة عن
الانقلاج والوضوح والتذلل
لهما فان اعزازهما لا يكون الا
بذلك فكأنه قيل واخضع لهما
جناح الذليل او جعل لذه
جناح كاجعل لبيد في قوله
وغداة ربح قد كشفت وقرة

اذا صبحت بيد الشمال زمامها
لقرة زماما وللشمال يدانيتها
بطائر يخضع جناحه لافراخه
ترية لها وشفة عليها واجعل
خضع الجناح عسارة عن ترك
الطيران كما فعله القفال فلا
يناسب المقام (من الرحمة) من
فوت رحمتك وعطفك عليهما
ورفتك لهما لانقارهما اليوم
الى من كان اقرب خلقه تعالى

قول القائل الشيء اما كذا واما كذا فالمطلوب منه تريد الحكم بين ذلك الشيئين المذكورين وهذا الموضع لا يليق به التقرير والتأكيد فكيف يليق الجمع بين كلمة امو بين نون التأكيد وجوابه ان المراد ان هذا الحكم المقرر المتأكد اما ان يقع واما ان لا يقع والله اعلم (المسئلة الثانية) قرأ الاكثر من اما يبلغ عنك الكبر احدهما او كلاهما وعلى هذا التقدير قوله يلفظ فعل وقاعله هو قوله احدهما وقوله او كلاهما عطف عليه كقولك ضرب زيد او عمرو ولو اسند قوله يلفظ الى قوله كلاهما جاز لتقدم الفعل لقول قال رجل وقال رجلان وقالت الرجال وقرأ حزة والكسائي يلفغان وعلى هذه القراءة فقوله احدهما بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدا فان قيل لوقيل اما يلفغان كلاهما كان كلاهما توكيذا لا بدلا فلم نعلم انه بدل قلنا لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيذا لاثنين فانظم في حكمه فوجب ان يكون مثله في كونه بدلا فان قيل لم لا يجوز ان يقال قوله احدهما بدل وقوله او كلاهما توكيد ويكون ذلك عطفا للتوكيد على البدل قلنا العطف يقتضى المشاركة فجعل احدهما بدلا والاخر توكيدا خلاف الاصل والله اعلم (المسئلة الثالثة) قال ابو الهيثم الرازى وابو الفتح الموصلى وابو على الجرجاني ان كلا اسم مفرد يفيد معنى التثنية ووزنه فعل ولا مد معتل بمنزلة لام جحى ورضى وهى كلمة وضعت على هذه الخلقة يؤكدها الاثنان خاصة ولا تكون الاضافة والدليل عليه انها لو كانت تثنية لوجب ان يقال في النصب والخفض مررت بكلى الرجلين بكسر الياء كما تقول بين يدى الرجل ومن ثلثي الليل وباصحابي السجن وطرفي النهار ولم يكن الامر كذلك علما انها ليست تثنية بل هى لفظة مفردة وضعت للدلالة على التثنية كما ان لفظة كل اسم واحد موضوع للجماعة فاذن اخبرت عن لفظة كما تخبر عن الواحد كقوله تعالى وكلهم آتية يوم القيامة فردا وكذلك اذا اخبرت عن كلا اخبرت عن واحد فقلت كلا اخوتك كان قائما قال الله تعالى كلنا الجنيتين آتت اكلاهما ولم يقل آتتا والله اعلم (المسئلة الرابعة) قوله يلفغان عندك الكبر احدهما او كلاهما معناه انهما يلفغان الى حالة الضعف والهجور فيصير ان عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في اول العمر واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الجملة فبعد هذا الذكر كلف الانسان في حق الوالدين بمحبة اشياء (النوع الاول) قوله تعالى فلا تقل لهما أف وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الزجاج فيه سبع لغات كسر الفاء وضمها وفتحها وكل هذه الثلاثة بتونين وبغير تونين فهذه ستة والفة السابعة أفى بآلاء قال الاخفش كائنه اضاف هذا القول الى نفسه فقال قولى هذا وذكر ابن الابارى من لغات هذه الفظة ثلاثة زائدة على ما ذكره الزجاج اف بكسر الالف وفتح الفاء واف بضم الالف وادخال الهاء واف بضم الالف وتسكين الفاء (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تونين ونافع وحفص بكسر الفاء والتونين والباقون بكسر الفاء من غير تونين وكلها لغات وعلى هذا الخلاف

اليهما ولا تكسب برحمتك الفانية بل ادع الله لهما برحمة الواسعة الباقية (وقل رب ارحهما) برحمتك الدنيوية والاخرية التى من جلتها الهداية الى الاسلام فلا ينافى ذلك كسرها (كما ربياني) المكاف في محمل النصب على انه نعمت لمصدر محذوف اى رحمة مثل تربيتهم الى او مثل رحمتهم الى على ان التربية رحمة ويمحور ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما فى احد الجانبين والاخر فى الآخر كما يلوح به الترضى لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كانه قيل رب ارحهما ورحهما كما رجاى وربانى (صغيرا) ويحور ان تكون الكاف للتعليل اى لاجل تربيتهم كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بلغ عن وجعل فى التوصية لهما حيث انفضها بأن شفع الاحسان اليهما بتوحيد سجدته ونظمهما فى سلك القضاء لهما معام شقيق الاسر فى باب مرأى لهما حتى لم يرخص فى ادنى كلمة تغفل من المتضجر مع ماله من موجبات الضجر مالا يتكاد يدخل تحت الحر وحقها بأن جعل رحمة التى وسعت كل شئ مشبهة بتربيتهم وعن النبي عليه الصلاة والسلام رضى الله فى رضى الوالدين وسخطه فى سخطهما

في سورة الانبياء اف لكم وفي الاحقاف اف لهما واقول البحث المشكل ههنا انا لما قلنا عشرة انواع من اللغات في هذه اللفظة فالسبب في انهم تركوا اكثر تلك اللغات في قراءة هذا اللفظ واقتصروا على وجوه قليلة منها (المسئلة الثالثة) ذكروا في تفسير هذه اللفظة وجوها (الاول) قال الفراء تقول العرب جعل فلان يتأفف من ربح وجدها معناه يقول اف اف (الثاني) قال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الظفر يقال ذلك عند استقذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه عند كل ما يتأذون به (الثالث) قال بعضهم اف معناه فلة وهو مأخوذ من الافيف وهو الشيء القليل وتفا اتباع له كقولهم شيطان ليطان خيث نبث (الرابع) روى ثعلب عن ابن الاعرابي الاف الضجر (الخامس) قال القتيبي اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب او رما دفتحت فيه لثته والصوت الحاصل عند تلك التفتحة هو قولك اف ثم انهم توسعوا فذكروا هذه اللفظة عند كل مكروه يصل اليهم (السادس) قال الزجاج اف معناه التثني وهذا قول مجاهد لانه قال معنى قوله ولا تنقل لهما اف اي لا تنقل لهما كما انهما لم يتقدرا حين كنت نحر او تبول وفي رواية اخرى عن مجاهد انه اذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تنقل لهما اف (المسئلة الرابعة) قول القائل لا تنقل لفلان اف مثل يضرب للنع من كل مكروه واذية وان خف وقيل واختلف الاصوليون في ان دلالة هذا اللفظ على المنع من سائر انواع الايذاء دلالة لفظية او دلالة مفهومة بمقتضى القياس قال بعضهم انها دلالة لفظية لان اهل العرف اذا قالوا لا تنقل لفلان اف عنوانه انه لا تعرض له نوع من انواع الايذاء والايحاش وجري هذا مجرى قولهم فلان لا يملك تقيرا ولا قطيرا في انه بحسب العرف يدل على انه لا يملك شيئا * والقول الثاني ان هذا اللفظ انما يدل على المنع من سائر انواع الايذاء بحسب القياس الجلي وتقريره ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن حكم صورة اخرى فاذا اردنا الحاق الصورة المسكوت عن حكمها بالصورة المذكور حكمها فهذا على ثلاثة اقسام (احدها) ان يكون ثبوت ذلك الحكم في محل السكوت اولى من ثبوت في محل الذكر مثل هذه الصورة فان اللفظ انما يدل على المنع من التأفيف والضرب اولى بالمنع من التأفيف (وثانيها) ان يكون الحكم في محل السكوت مساويا للحكم في محل الذكر وهذا هو الذي يسميه الاصوليون القياس في معنى الاصل وضربوا لهذا مثلا وهو قوله عليه السلام من اعتق فصيلة من عبد قوم عليه الباقي فان الحكم في الامة والعبد متساويان (وثالثها) ان يكون الحكم في محل السكوت اخفى من الحكم في محل الذكر وهو اكبر القياسات اذا عرفت هذا فنقول المنع من التأفيف انما يدل على المنع من الضرب بواسطة القياس الجلي الذي يكون من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى والدليل عليه ان التأفيف غير الضرب فانع من التأفيف لا يكون منعاً من الضرب وايضا المنع من التأفيف لا يستلزم المنع من لضرب عقلا لان الملك الكبير اذا اخذ ملكا عظيما كان عدو له فقد يقول للجلاد اياك

وروى يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار يفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني اتي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يجهلان بقلبك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وروى ان شيئا اتي النبي عليه الصلاة والسلام فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا يتفق على من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنة ابيات ما قرع سمع يملؤها فاستنمدها فانشدها الشيخ فقال غدرتك مولود او منتك يا فاضا تعلم بما اجني عليك وتنهل اذ البلية ضاقتك يا سلم لم ايت لسنمك الا احسبنا اعملل كما انا انظر وقرودك بالذي طرقت به دوى وعيني تهمل فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيك اؤمل جعلت جزائي غلظة وفضاظة كأنك انت ترحم المنم المتفضل فليتك اذ لم ترحم حق ابوي فعلت كما لجار المجاور يفعل فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت ومالك لا يملك (ربكم اعلم عافى نوسكم) من البر والعشوق (ان تكونوا صالحين) فاصدين للصالح والبر دون

وان تستخف به او تشافه بكلمة موحشة لكن اضرب رقبة واذا كان هذا مقولا في الجملة علمنا ان المنع من التأفيف مغاير لمنع من الضرب وغير مستلزم ايضا لمنع من الضرب عقلا في الجملة الا اننا علمنا في هذه الصورة ان المقصود من هذا الكلام المبالغة في تعظيم الوالدين بديل قوله وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فكانت دلالة المنع من التأفيف على المنع من الضرب من باب القياس بالادنى على الاعلى والله اعلم (النوع الثاني) من الاشياء التي كلف الله تعالى العباد بها في حق الابوين قوله ولا تنهرهما يقال نهره اذا استقبله بكلام يجره قال تعالى واما السائل فلا تنهر فان قيل المنع من التأفيف يدل على المنع من الانتهاز بطريق الاولى فلما قدم المنع من التأفيف كان ذكر المنع من الانتهاز بعده عبثا اما لو فرضنا انه قدم المنع من الانتهاز ثم اتبعه بالمنع من التأفيف كان مفيدا حسنا لانه يلزم من المنع من الانتهاز المنع من التأفيف فبالسبب في رعاية هذا الترتيب قلنا المراد من قوله فلا تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل او الكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه والتكذيب له (النوع الثالث) قوله تعالى وقل لهما قولا كريما واعلم انه تعالى لما منع الانسال بالآية المتقدمة عن ذكر القول المؤذي الموحش والنهي عن القول المؤذي لا يكون امرا بالقول الطيب لاجرم اردفه بان امره بالقول الحسن والكلام الطيب فقال وقل لهما قولا كريما والمراد منه ان يخاطبه بالكلام المقرون بأمرات التعظيم والاحترام قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو ان يقول له يا ابا له ويا ابا له وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال هو قول العبد المذنب السيد للفظ وعنه عطاء ان يقال هو ان تتكلم معه بشرط ان لا ترفع عليه ما صوتك ولا تشد اليهما نظرك وذلك لان هذين الفعلين ينافيان القول الكريم فان قيل ان ابراهيم عليه السلام كان اعظم الناس حلا وكرما وأدب فكيف قال لايه يا آزر على قراءة من قرأوا وقال ابراهيم لايه آزر بالضم اني أراك وقومك في ضلال ميين فخاطبه بالاسم وهو ابناءه ثم نسبهم ونسب قومه الى الضلال وهو اعظم انواع الايذاء قلنا ان قوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا يدل على ان حق الله تعالى مقدم على حق الابوين فاقدم ابراهيم عليه السلام على ذلك الايذاء انما كان تقدما لحق الله تعالى على حق الابوين (النوع الرابع) قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة والمقصود منه المبالغة في التواضع وذكر القفال رحمه الله في تقريره وجهين (الاول) ان الطائر اذا أراد ضم فرخه اليه للترية خفض له جناحه ولهذا السبب صار خفض الجناح كناية عن حسن الترية فكأنه قال لولد اكفل والدك بان تضمهما الى نفسك كإفعل ذلك بك حال صغرك (والثاني) ان الطائر اذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحيه واذا أراد ترك الطيران ترك الارتفاع خفض جناحيه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا

العقوى والفساد (فانه) تعالى (كان لاوايين) اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يحاو عنه البشر (غفورا) لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر ببراعة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل نائب ويدخل فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا (وأت ذا القرنين) اي ذا القرابة (حقه) توصية بالاقارب اثر التوصية بر الوالدين ولعل المراد بهما الحارم ويحقيقهم النفقة كما بنى عنه قوله تعالى (والمسكين وابن السبيل) فان الأمور به في سقمها المواساة المسالية لا بمسالة اي وآتاهما حقهما كما كان مفترضا على منة منزلة الزكاة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية (ولا تبذر تبذيرا) نهى عن صرف المال الى من سواه ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات والفاثا فكيف ما كان من غير تعهد لواقعه لاعتكاف الاكثر في صرفه اليهم والانانية الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهى عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم (ان المبذورين) كانوا اخوان الشياطين (تعليل) للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه مالمذوفا في قرن الشياطين

الوجه فان قيل كيف اضاف الجناح الى الذل والذل للجناح له قلنا فيه وجهان (الاول)
انه اضاف الجناح الى الذل كما يقال حاتم الجلود فكما ان المراد هناك حاتم الجواد فكذلك
ههنا المراد اخفض لهما جناحك الذليل اي المذلول (والثاني) ان مدار الاستعارة على
الخيالات فهنا تخيل للذل جناحا واثبت لذلك الجناح ضعفا تكميلا لمراد هذه الاستعارة
كما قال لبيد * اذا أصبحت بيد الشمال زمامها * فاثبت للشمال يدا ووضع زمامها في يد
الشمال فكذا ههنا وقوله من الرحمة معناه لكن خفض جناحك لهما بسبب فرط جنتك
لهما وعطفك عليهما بسبب كبرهما وضعفهما (والنوع الخامس) قوله وقل رب ارحهما
كما رباني صغيرا وفيه مباحث (البحث الاول) قال القفال رحمه الله تعالى انه لم يقتصر
في تعليم البر بالوالدين على تعليم الاقوال بل اضاف اليه تعليم الافعال وهوان يدعو لهما
بالرحمة فيقول رب ارحهما ولفظ الرحمة جامع لكل الخيرات في الدين والدنيا كما يقول كما
رباني صغيرا يعني رب اعمل بهما هذا النوع من الاحسان كما احسننا الي في تربيتنا اي
والترية هي التبية وهي من قولهم ربنا الشيء اذا انتفخ ومنه قوله تعالى فاذا ارتنا علمها
الماء اهترت وربت (البحث الثاني) اختلف المفسرون في هذه الآية على ثلاثة اقوال
(الاول) انها منسوخة بقوله تعالى ما كان لابي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
فلا ينبغي للسلم ان يستغفروا لوالديه اذا كانا مشركين ولا يقول رب ارحهما (والقول
الثاني) ان هذه الآية غير منسوخة ولكنها مخصوصة في حق المشركين وهذا اولي من
القول الاول لان التخصيص اولي من النسخ (والقول الثالث) انه لا نسخ ولا تخصيص
لان الوالدين اذا كانا كافرين فله ان يدعو لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما
بعد حصول الايمان (البحث الثالث) ظاهر الامر للوجوب فقوله وقل رب ارحهما امر
وظاهر الامر لا يفيد التكرار فيمكن في العمل بمقتضى هذه الآية ذكر هذا القول مرة
واحدة سئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه في اليوم مرة او في الشهر او في السنة فقال
ترجوان يحزبه اذا دعا لهما في اواخر التشهدات كما ان الله تعالى قال يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه فكانوا يرون ان التشهد يحزى عن الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وكان
الله تعالى قالوا ذكروا الله في ايام معدودات فهم يكررون في ادبار الصلوات ثم قال تعالى
ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين والمعنى اتقوا امرنا ثم في هذه الآية
باخلاص العبادة لله تعالى وبالاحسان بالوالدين ولا ينبغي على الله ما تضررونه في انفسكم
من الاخلاص في الطاعة وعدم الاخلاص فيها فاعلموا ان الله تعالى مطلع على ما في
نفوسكم بل هو اعلم بتلك الاحوال منكم به لان علوم البشر قد يختلط بها السهو والنسيان
وعدم الاحاطة بالكل فاعلم الله فزعم كل هذه الاحوال واذا كان الامر كذلك كان
حالا بكل ما في قلوبكم والمقصود منه التحذير عن ترك الاخلاص ثم قال تعالى ان تكونوا
صالحين اي ان كنتم برآء عن جهات الفساد في احوال قلوبكم كنتم او اين اي رجاعين الى

والمراد بالاخوة بالمائلة التامة في
كل ما لا يخبر به من صفات السوء
التي من جنتها التنبذ اي كانوا
بما فعلوا من التنبذ امثال
الشياطين او الصداقة والملازمة
اي كانوا اصداقهم واتباعهم
فيما ذكر من التنبذ والصرف
في المعاصي فانهم كانوا يخشون
الابن ويتياسرون عليها ويبدرون
اموالهم في السعة وسائر ما لا خير
فيه من المناسخ والمالهي او
المقارنة اي قرأهم في النار على
سبيل الوعيد (وكان الشيطان
لربه كفورا) من ثمة التعليل اي
مبالغة كفران نعمته تعالى لان
شأنه ان يصرف جميع ما عطاه
الله تعالى من القوى والقدر الى
غير ما خلقت هي له من انواع
المعاصي والافساد في الارض
وامثال الناس وجعلهم على
الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة
عليهم وصرفها الى غير ما امر الله
تعالى به وتخصيص هذا الوصف
 بالذكر من بين سائر اوصافه
القبحة للايدان بان التنبذ الذي
هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى
الى غير مصرفها من باب الكفران
المقابل للشكر الذي هو عبارة
عن صرفها الى ما خلقت هي له
والترشع لوصف الربوبية
للاشعار بكمال عتوه فان كفران
نعمه الرب مع كون الربوبية من
اقوى الدواعي الى شكرها غاية
الكفران ونهاية الضلال

الله منقطعين اليه في كل الاعمال وسنة الله وحكمه في الاوابين انه غفور لهم يكفر عنهم سيئاتهم والواب هو الذي من عادته ودينه الرجوع الى امر الله تعالى والالتجاء الى فضله ولا يلجئ الى شفاعته فيغفر كما يغفره المشركون الذين يعبدون من دون الله جادابزعون انه يشفع لهم وللفظ الاواب على وزن فعال وهو يفيد المداومة والكثرة كقولهم قتال وضراب والمقصود من هذه الآية الاولى المالدلت على وجوب تعظيم الوالدين من كل الوجوه ثم ان الولد قد يظهر منه نادرة محالة بتعظيمهما فقال ربكم اعلم بما في نفوسكم يعني انه تعالى عالم بأحوال قلوبكم فان كانت تلك الهفوة ليست لاجل العقوق بل ظهرت بمقتضى الجيلة البشرية كانت في محل الغفران والله اعلم **وقوله تعالى (وأت ذا القربى حقهم والمساكين وابن السبيل ولا تذّر تبذرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا)** اعلم ان هذا هو النوع الرابع من اعمال الخير والطاعة المذكورة في هذه الآيات وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله وآت خطاب مع من فيه قولان (الاول) انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فأمره الله ان يؤتي أقاربه الحقوق التي وجبت لهم في التي والغنيمة وأوجب عليه ايضا اخراج حق المساكين وابتاء السبيل ايضا من هذين المثالين (والقول الثاني) انه خطاب لكل والدليل عليه انه معطوف على قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه والمعنى انك بعد فراغك من بر الوالدين يجب ان تشتغل بيسائر الاقارب الاقرب فالأقرب ثم باصلاح احوال المساكين وابتاء السبيل واعلم ان قوله تعالى وآت ذا القربى حقه مجمل وليس فيه بيان ان ذلك الحق ما هو وعند الشافعي رحمه الله انه لا يجب الاتفاق الا على الولد والوالدين وقال قوم يجب الاتفاق على المحارم بقدر الحاجة واشتقوا على ان من لم يكن من المحارم كأبناء الم فلاحق لهم الا المودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة في السراء والضراء اما المسكين وابن السبيل فقد تقدم وصفهما في سورة التوبة في تفسير آية الزكاة ويجب ان يدفع الى المسكين ما بين بقوته وقوت عياله وان يدفع الى ابن السبيل ما يكفيه من زاده وراحلته الى ان يبلغ مقصده ثم قال تعالى ولا تبذر تبذرا والتبذر في اللغة افساد المال وانفاقه في السرف قال عثمان بن الاسود كنت اطوف في المساجد مع مجاهد حول الكعبة فرفع رأسه الى ابي قيس وقال لوان رجلا اتفق مثل هذا في طاعة الله لم يكن من المرفين ولوانفق درهما واحدا في معصية الله كان من المرفين وانفق بعضهم نفقة في خير فأكثر قبيل له لاخير في السرف فقال لاسرف في الخير وعن عبدالله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يوشأ فقال ما هذا السرف يا سعد فقال أو في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ثم نبه تعالى على قبح التبذير باضافته اياه الى افعال الشياطين فقال ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد من هذه الاخوة التشبه بهم في هذا الفعل القبيح وذلك لان العرب يسمون الملازم

والطغيان (واما تعرض عنهم) اي ان اعتراك امر اضطررك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين (ابتغاء رحمة من ربك) اي لفقد رزق من ربك اقامة للسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء (ترجوها) من الله تعالى لتعظيمهم وكان عليه السلام اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فأمر بتهديمهم بالقول الجليل لئلا تعثرهم الوحشة بسكوته عليه السلام فقيل (قل لهم قولا ميسورا) ههنا ليتأوذهم وعدا جيلا من يسر الامر نحو سعد او قل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه عادلهم يسر عليهم قهرهم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تفسد على البسط) تخيلان لمنع الشرح واسراف الميذر زجر لهما عنهما وجلا على ما بينهما من الاقتصاد * كلا طرف في قصد الامور ذميمة وحيث كان قبح الشئ مقارنا له معلوم من اول الامر دعى ذلك في التصوير يا فبح الصور ولما كان قالة الاسراف في آخره بين قبحه في اثره قبيل (فتقدم لوما) اي قصير معلوما عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت وتذمت على ما فعلت (محمورا) نادما او منقطعاً بك لاني عندك من حصره السر اذا بلغ منه وما قيل من انه روى عن جابر

لشئ أحاله فيقولون فلان أخوال الكرم والجود وأخو السفر إذا كان مواظبا على هذه
الاعمال وقيل قوله أخوان الشياطين أي قرناء هم في الدنيا والآخرة كما قال ومن يعش
عن ذكر الرحمن فيفيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى احشروا الذين ظلوا
وازواجهم أي قرناء هم من الشياطين ثم أنه تعالى بين صفة الشيطان فقال وكان
الشيطان لربه كفورا ومعنى كون الشيطان كفورا لربه هو أنه يستعمل بدنه في
في العاصي والافساد في الأرض والاضلال للناس وكذلك كل من رزقه الله تعالى مالا
أوجاها فصرفه إلى غير مرضاة الله تعالى كان كفورا لنعمة الله تعالى والمقصود
أن المبذرين أخوان الشياطين بمعنى كونهم موافقين للشياطين في الصفة والفعل ثم الشيطان
كفور لربه فيلزم كون المبذر أيضا كفورا لربه وقال بعض العلماء خرجت هذه الآية
على وفي عادة العرب وذلك لأنهم كانوا يجمعون الأموال بالنهب والغارة ثم كانوا ينفقونها
في طلب الخيلاء والتفاخر وكان المشركون من قريش وغيرهم ينفقون أموالهم ليصدوا
الناس عن الإسلام وتوهين أهله وإعانة أعدائه فزلت هذه الآية تنبيها على قبح أعمالهم
في هذا الباب ثم قال تعالى وأما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها والمعنى أنك
إن اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من التصريح بالرد بسبب الفقر
والقلة فقل لهم قولاً ميسوراً أي سهلاً لنا وقوله ابتغاء رحمة من ربك ترجوها كتابة
عن الفقر لأن فاقد المال يطلب رحمة الله وأحسانه فلما كان فقد المال سبباً لهذا الطلب
ولهذا الابتغاء أطلق اسم السبب على السبب فسمى الفقر بابتغاء رحمة الله تعالى والمعنى
أن عند حصول الفقر والقلة لا تترك تعهدهم بالقول الجميل والكلام الحسن بل تعهدهم
بالوعد الجميل وتذكر لهم العذر وهو حصول القلة وعدم المال أو تقول لهم الله يسهل
وفي تفسير القول الميسور وجوه (الأول) القول الميسور وهو الرد بالطريق الأحسن
(والثاني) القول الميسور الهين السهل قال الكسائي يمرت إسرله القول أي ليثته له
(والثالث) قال بعضهم القول الميسور مثل قوله قول معروف ومفخرة خير من صدقة
يتبعها أذى قالوا والميسور هو المعروف لأن القول المتعارف لا يحوج إلى تكلف والله
أعلم قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً
مخسوراً إن ربك يسهل الرزق إن يشاء ويقدر أنه كان عبادة خيراً بصيراً) أعلم أنه تعالى
لأمره بالاتفاق في الآية المتقدمة علمه في هذه الآية أدب الاتفاق وأعلم أنه تعالى شرح
وصف عبادة المؤمنين في الاتفاق في سورة الفرقان فقال والذين إذا اتفقوا لم يسرفوا ولم
يقترؤا وكان بين ذلك قواماً فيها أمر رسولهم بمثل ذلك الوصف فقال ولا تجعل يدك مغلولة
إلى عنقك أي لا تمسك عن الاتفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك وفي وجوه صلاة الرحم
وسبيل الخيرات والمعنى لا تجعل يدك في اقتباسها كالمغلولة المنوعة من الانسلاط
ولا تبسطها كل البسط أي ولا توسع في الاتفاق توسعاً مفرطاً بحيث لا يبق في يدك شيء

رضي الله عنه أنه قال ينار رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما قاعد
أما صي قال إن أي تستكفيك
درعا فقال عليه السلام من ساعة
إلى ساعة فعدا لنا ذهب إلى أمه
فقلت لعل إن أي تستكفيك
الدرع السدى عليك فدخل
صلى الله عليه وسلم داره ووزع
قيصه وأعطاه وقد عريانا
وأذن بلال وانظروا فلم يخرج
للعلة فزلت فيأيه إن السورة
مكية خالداً في آخرها وكذا
بأنبل أنه عليه السلام أعطى
الأقرع بن حابس مائة من الأبل
وكذا عبيدة بن حصن الفزاري
فجاء عباس بن مرداس فأشأ يقول
أجعل نبي ولهب العبيد *

بين عبيته والأقرع
وما كان حصن ولا حابس
يفوقان مرداس في جميع
وما كنت دون أسرى منها
ومن تفتن اليوم لا يرفع
فقال عليه السلام يا أبا بكر أقطع
لسانه عن أعطه مائة من الأبل
وكانوا جميعاً من المؤلفة القلوب
فزلت (إن ربك يسهل الرزق إن
يشاء ويقدر) تليل لما أي
يوسمه على بعض ويضيقه على
آخرين حسبما تعلق به مشيئته
التابعة للحكمة فليس ما يرهقك
من الاضافة التي تتوجهك إلى
الأعراض عن السائلين أو فناد
ما في يدك إذا بسطتها كل البسط
الاصحاحك (أنه كان عبادة خيراً
بصيراً) لتليل لماسبق أي يعلم

وحاصل الكلام ان الحكماء ذكروا في كتب الاخلاق ان لكل خلق طرفي افراط وتقريب
وهما مذمومان فالخجل افراط في الامسالك والتبذير افراط في الانفاق وهما مذمومان
والخلق الفاضل هو العدل والوسط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ثم قال تعالى
فتعهد لموما محسورا اما تفسير تعهد قد سبق في الآية المتقدمة واما كونه ملوما فلا
يلوم نفسه واصحابه ايضا يلومونه على تضيق المال بالكلية وابقاء الاهل والولد في الضر
والحنة واما كونه محسورا فقال الفراء تقول العرب للبعير هو محسور اذا انقطع سببه
وحسرت الدابة اذا سبها حتى يقطع سبها ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا
وهو حسير وجع الحسير حمى مثل قلى وصرعى وقال الفحل المقصود تشبيه حال من
انفق كل ماله ونفقته بمن انقطع في سفره بسبب انقطاع مطيته لان ذلك المقدار من المال
كما أنه مطية يحمل الانسان ويلبغه الى آخر الشهر او السنة كما ان ذلك البعير يحمله
ويلبغه الى آخر المنزل فاذا انقطع ذلك البعير بقي في وسط الطريق عاجزا متعبا فكذلك
اذا انفق الانسان مقدار ما يحتاج اليه في مدة شهر بقي في وسط ذلك الشهر عاجزا متعبا
ومن فعل هذا لحقه اللوم من اهله والمحتاجين الى انفاقه عليهم بسبب سوء تدبيره وترك
الحزم في مهمات معاشه ثم قال تعالى ان ربك يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر والمقصود انه
عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كونه ربا والرب هو الذي يربي المربوب ويقوم باصلاح
مهماته ودفع حاجاته على مقدار الصلاح والصواب فيوسع الرزق على البعض ويضيقه
على البعض والقدر في اللغة التضييق ومنه قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقوله تعالى
واما اذا ابتلاه فقد رزقه اي ضيق وانماوسع على البعض لان ذلك هو الصلاح لهم
قال تعالى ولوسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ثم قال تعالى
انه كان لعباده خيرا بصيرا يعني انه تعالى عالم بأن مصلحة كل انسان في ان لا يعطيه الا ذلك
القدر فالتفاوت في ارزاق العباد ليس لاجل الضل بل لاجل رعاية المصالح * قوله تعالى
(ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلتهم كان خطا كبيرا) هذا هو
النوع الخامس من الطاعات المذكورة في هذه الآيات وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى)
في تقرير النظم وجوه (الاول) انه تعالى لما بين في الآية الاولى انه هو المتكفل بأرزاق
العباد حيث قال ان ربك يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر اتبعه بقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق نحن نرزقهم واياكم (الثاني) انه تعالى لما علم كيفية البر بالوالدين في الآية المتقدمة
علم في هذه الآية كيفية البر بالاولاد ولهذا قال بعضهم ان الذين يعنون بالابرار انما سموا
بذلك لانهم روا الآباء والابناء وانما وجب بر الآباء مكافأة على ما صدر منهم من انواع البر
بالاولاد وانما وجب البر بالاولاد لانهم في غاية الضعف ولا كفايل لهم غير الوالدين (الوجه
الثالث) ان امتناع الاولاد من البر بالآباء يوجب خراب العالم لان الآباء اذا علموا ذلك
قلت ورغبتم في تربية الاولاد فيلزم خراب العالم من الوجه الذي قررناه فثبت ان عمارة

سرهم وعلتهم فيعلم من مصالحهم
ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان
الوسط والغرض من امر الله العالم
بالسرائر والظواهر الذي بيده
خزائن السموات والارض ولما
العباد فليعلم ان يقتصدوا وان
يراد انه تعالى يسطر تاروق بعض
اخرى فاستنوا بسنته فلا تقتبسوا
كل القبس ولا يسطوا كل البسط
وان يراد انه تعالى يسطر ويقتدر
حسب مشيئته فلا يسطوا على
من قدر عليه رزقه وأن يكون
تمهيدا لقوله (ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق) أي خشية فقر
وقري بكر الخاء كاتوا يشدون
بناتهم خشية الفقر فهو امن ذلك
(نحن نرزقهم واياكم) لانهم
فلا تخافوا العاقبة بناء على علمكم
بجبركم عن تحصيل رزقهم وهو
ضمان لرزقهم وتعيين للهي
المذكور بابطال موجبه في ذمهم
وتقديم ضمير الاولاد على
المخاطبين على عكس ما وقع في
سورة الانعام للاشعار باصالتهم
في افاضة الرزق اولان الباعث
على القتل هناك الاملاق الناجز
ولذلك قيل من املاق وهنبا
الاملاق المتوقعة ولذلك قيل
خشية املاق فكأنه قيل نرزقهم
من غير ان ينقص من رزقكم شي
فيعزكم ما خشونه واياكم ايضا
رزقا الموزقكم (ان قتلتهم كان
خطا كبيرا) لتعليل آخر بيان ان
التمهي عنه في نفسه منكر عظيم

العالم انما تحصل اذا حصلت المبرة بين الآباء والاولاد من الجانبين (الوجه الرابع) ان قتل الاولاد ان كان خوف الفقر فهو سوء ظن بالله وان كان لاجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم فالاول ضد التعظيم لامر الله تعالى والثاني ضد الشفقة على خلق الله تعالى وكلاهما مذموم والله اعلم (الوجه الخامس) ان قرابة الاولاد قرابة الجزئية والعصبية وهى من اعظم الموجبات المحبة فلو لم تحصل المحبة دل ذلك على غلط شديد في الروح وقسوة في القلب وذلك من اعظم الاخلاق الذميمة فرغب الله في الاحسان الى الاولاد ازالة لهذه الخصلة الذميمة (المسئلة الثانية) العرب كانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدره البنين عليه بسبب اقدامهم على النهب والغارة وايضا كانوا يخافون ان فقرها ينفر كفاها عن الرغبة فيها فحتاجون الى انكاحها من غير الاكفاء وفي ذلك عار شديد فقال تعالى ولا تقتلوا اولادكم وهذا لفظ عام للذكور والاناث والمعنى ان الموجب للرجعة والشفقة هو كونه ولدا وهذا المعنى وصف مشترك بين الذكور والبنات الاناث واما ما يخاف من الفقر في البنات فقد يضاهى مثله في الذكور في حال الصغر وقد يخاف ايضا في العاجزين من البنين ثم قال تعالى نحن نرزقهم واياكم يعنى الارزاق يد الله تعالى فكما انه تعالى فتح ابواب الرزق على الرجال فكذلك يفتح ابواب الرزق على النساء (المسئلة الثالثة) الجمهور قروا ان قتلهم كان خطأ كبيرا اي انما كبيرا يقال خطيئاً بخطأ خطأ مثل انما يعمى انما قال تعالى انا كنا خاطئين اي آثمين وقرأ ابن عامر خطأ بالفتح يقال اخطأ يخطئ اخطاء وخطأ اذا اقبى بما لا ينبغي من غير قصد ويكون انطأ اسما للمصدر والمعنى على هذه القراءة ان قتلهم ليس بصواب قال القفال رحمه الله وقرأ ابن كثير خطاه بكسر الخاء مدود وقلعها للفتان مثل دفع ودفاع ولبس ولباس قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا) انه كان فاحشة وساء سبيلا اعلم انه تعالى لما امر بالاشياء الخمسة التي تقدم ذكرها وحاصلها يرجع الى شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله اتباعا بذكر النبي عن اشياء (اولها) انه تعالى نهى عن الزنا فقال ولا تقربوا الزنا قال القفال اذا قيل للانسان لا تقربوا هذا فهذا أكد من ان يقول له لا تقربها ثم انه تعالى علل هذا النهي بكونه فاحشة وساء سبيلا واعلم ان الناس قد اختلفوا في انه تعالى اذا امر بشئ او نهى عن شئ فهل يصح ان يقال انه تعالى انما امر بذلك الشئ او نهى عنه لوجه عائد اليه أم لا فقال القائلون بتحسين العقل وتقييده الامر كذلك وقال المنكرون بتحسين العقل وتقييده ليس الامر كذلك احتج القائلون بتحسين العقل وتقييده على صحة قولهم بهذه الآية قالوا انه تعالى نهى عن الزنا وعلل ذلك النهي بكونه فاحشة فيمتنع ان يكون كونه فاحشة عبارة عن كونه منهيا عنه والامر بتعليل الشئ بنفسه وهو محال فوجب ان يقال كونه فاحشة وصف حاصل له باعتبار كونه زنا وذلك يدل على ان الاشياء تحسن وتقيح لوجوه عائدة اليها في انفسها وبطل ايضا على ان نهى الله تعالى عنها لمعلل بوقوعها في انفسها على تلك الوجوه

والخطاء الذنب والائم يقال خطيئاً خطيئاً كما في الما وقرىء بالفتح والسكون وبفتحين بمعنى الخاذل والخذرو قيل معنى ضد الصواب وبكسر الخاء والبد وبقتضها عمدودا وبقتضها وحذف الهمزة وبكسرهما كذلك (ولا تقربوا الزنا) بمباشرة مباديه القرية او البعيدة فضلا عن مباشرته واما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل الاولاد لانه تضييع للانساب فان من لم يمتبب اسمه ميت حكما (انه كان فاحشة) كلمة ظاهرة بالفتح متجاوزة عن الحد (وساء سبيلا) اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدى الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتنة كيف لا وقد قال النبي عليه السلام اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالقطرة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه السلام لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن وعن حذيفة رضى الله عنه انه قال عليه السلام اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهائم ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فحط

وهذا الاستدلال قريب والاولى ان يقال ان كون الشيء في نفسه مصلحة او مفسدة أمر ثابت لذاته لا بالشرع فان تناول الغذاء الموافق مصلحة والضرب المؤلم مفسدة وكونه كذلك أمر ثابت بالعقل لا بالشرع واذا ثبت هذا فنقول تكاليف الله تعالى واقعة على وفق مصالح العالم في المعاش والمعاد فهذا هو الكلام الظاهري وفيه مشكلات هائلة ومباحث عميقة نسأل الله التوفيق لبلوغ الغاية فيها اذا عرفت هذا فنقول الزنا اشتمل على انواع من المفاسد (اولها) اختلاط الانساب واشتباها فلا يعرف الانسان ان الوالد الذي أنتبه الزانية أهومنه او من غيره فلا يقوم بربته ولا يستقر في تعهده وذلك يوجب ضياع الاولاد وذلك يوجب انقطاع النسل وخراب العالم (وثانيها) انه اذا لم يوجد سبب شرعي لاجله يكون هذا الرجل اولي بهذه المرأة من غير علم يبق في حصول ذلك الاختصاص الا التواثب والتقاتل وذلك يقضي الى قبح باب الهرج والمرج والمقاتلة وكما سمعنا وقوع القتل الذريع بسبب اقدام المرأة الواحدة على الزنا (وثالثها) ان المرأة اذا باشرت الزنا وتمرنّت عليه يستقذرها كل طبع سليم وكل خاطر مستقيم وحينئذ لا تحصل الالفه والحبة ولا يتم السكن والازدواج ولذلك فان المرأة اذا اشتهرت بالزنا تنفر عن مقارنتها طباعا اكثر الخلق (ورابعها) انه اذا افتتح باب الزنا فينبذ لاي رجل اختصاص بأمر أو كل رجل يمكنه التواثب على كل امرأة شاعت وارادت وحينئذ لا يبق بين نوع الانسان وبين سائر البهائم فرق في هذا الباب (وخامسها) انه ليس المقصود من المرأة مجرد رضاه الشهوة بل ان تصير شريكة للرجل في ترتيب المنزل واعداد مهماته من الطعام والمشروب والملبوس وان تكون ربة البيت وحافظة للباب وان تكون قائمة بأموال الاولاد والعبيد وهذه المهمات لا تتم الا اذا كانت مقصورة الهمة على هذا الرجل الواحد منقطعة الطمع عن سائر الرجال وذلك لا يحصل الا بتحريم الزنا وسد هذا الباب بالكفاية (وسادسها) ان الوطء يوجب الذل الشديد والدليل عليه ان اعظم انواع الشتم عند الناس ذكر الفاظ الوقاع ولولا ان الوطء يوجب الذل والالما كان الامر كذلك وايضا فان جميع العقلاء لا يقدمون على الوطء الا في المواضع المستورة وفي الاوقات التي لا يطلع عليهم احد وان جميع العقلاء يستنكفون عن ذكر ازواج بناتهم واخواتهم وامهاتهم لما يقدمون على وطنهم ولولا ان الوطء ذل والالما كان كذلك واذا ثبت هذا فنقول لما كان الوطء ذلا كان السعي في تقليله موقفا للعقول فاقصر المرأة الواحدة على الرجل الواحد سعي في تقليل ذلك العمل وايضا ما فيه من الذل بصير مجبور بالنافع الحاصلة في التكاثر اما الزنا فانه قبح باب لذلك العمل القبيح ولم يصير مجبوراً بشيء من المنافع فوجب بقاؤه على اصل المنع والحجر فثبت بما ذكرنا ان العقول السليمة تقضي على الزنا بالقبح واذا ثبت هذا فنقول انه تعالى وصف الزنا بصفات ثلاثة كونه فاحشة ومقتضى آية أخرى ونساء سيلا ما كونه فاحشة فواشارة الى اشتغاله على فساد الانساب الموجبة لخراب العالم والى اشتغاله على التقاتل

(والتواثب)

الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) قتلها بان مصعبها بالاسلام او بالعهد (الا يلقى) الا ياحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احسان وقتل نفس معصومة عمدا فلا يستثناء مفرغ اى لا تقتلوا هابيب من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبيين او ملتيسة بشئ من الاشياء ويجوز ان يكون لغتا لمصدر محذوف اى لا تقتلوا قتلا ما لا يقتل ملتبا بالحق (ومن قتل مظلوماً) بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر باحتة لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتضيه ولا يفيد قتل الولي ان امرته بذلك عالم يكن الامر ظاهرا (فقد جعلنا الولي) لمن يلى امره من الوارث والسلطان عند عدم الوارث (سلطانا) تسلطا واستيلاء على القاتل يؤاخذ به القصاص او بالدية حسبما تقتضيه جنائمه او حجة ظلية (فلا يصرق) وقرى (لا تصرف) في القتل اى لا يصرق الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بأن يزيد عليه الثلثة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما فعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل في مادة الدية وقرى بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى التهي (انه كان منصورا) لتبليغ التهي

والضحية لولي على معنى انه تعالى
نصره بأن اوجب له القصاص
او الدية وامر الحكام بموته
في استيفاء حقه فلا يخفى ما وراء
من دائرة انصار اولي مقتول
ظلم على معنى انه تعالى نصره بما ذكر
فلا يصر في ليه في شأنه والذى يقتله
الولى ظموا اسرافا ووجه التعليل
ظاهر وعن جمها ان الضحية
في لا يصر للقاتل الاول ويعضده
قراءة فلا تفسر فوا والضمير ان
في التعليل عائدان الى الولى
او المقتول فالمراد بالاسراف حيث
اسراف القاتل على نفسه بصره
لها لهلاك العاجل والا تسجل
لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل
اي لا يصر على نفسه في شأن
القتل كافي قوله تعالى يا عبادى
الذين اسرفوا على انفسهم ولا
تقر بوا مال التيسر) نهى عن
قربانه لما ذكر من المبالغة في النهى عن
العرض له ومن افشاء ذلك اليه
وللتوسل الى الاستثناء بقوله تعالى
(الاياتى هي احسن) اي لا يخلصه
والطريقه الي هي احسن الخصال
والطرائق وهي حفظه واستناده
(حتى يبلغ أشده) غاية لجوار
النصرف على الوجه الاحسن
المدلول عليه بالاستثناء لا الوجه
الذكر فقط (واوفوا بالعهد)
سواء جرى بينكم وبين ذمكم او
بينكم وبين غيركم من الناس
والايفاء بالعهد

والنوايب على الفروج وهو ايضا يوجب خراب العالم واما المقت فقد ذكرنا ان الزانية
تصير بمقتة مكروهة وذلك يوجب عدم حصول السكن والازدواج وان لا يعتمد الانسان
عليها في شيء من مهماته ومصالحه وامانه ساء سبيلها وما ذكرناه لا يبق فرق بين الانسان
وبين البهائم في عدم اختصاص الذكران بالاناث وايضا يبق ذل هذا العمل وعيبه
وعاره على المرأة من غير ان يصير مجبورا بشيء من المنافع فقد ذكرنا في قبض الزانية ما وجه
والله تعالى ذكر الفاظ ثلاثة فحملنا كل واحد من هذه الالفاظ الثلاثة على وجهين من
تلك الوجوه الستة والله اعلم بمراده ثم قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاباحق
ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا) هذا هو
النوع الثاني مناهى الله عنه في هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لقاتل ان
يقول ان اكبر الكبائر بعد الكفر بالله القتل فالسبب في ان الله تعالى بدأ اول ذكر
النهى عن الزنا وثانيا بذكر النهى عن القتل وجوابه اننا بان فتح باب الزنا يمنع من دخول
الانسان في الوجود والقتل عبارة عن ابطال الانسان بعد دخوله في الوجود ودخوله
في الوجود مقدم على ابطاله واعدامه بعد وجوده فلهذا السبب ذكر الله تعالى الزنا ولا
ثم ذكر القتل ثانيا (المسئلة الثانية) اعلم ان الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة والحل انما
ثبت بسبب عارضى فلما كان الامر كذلك لاجرم نهى الله عن القتل مطلقا بناء على حكم
الاصول ثم استثنى عنه الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهو عند حصول الاسباب العرضية
فقال الاباحق فنفتقر ههنا الى بيان ان الاصل في القتل التحريم والذى يدل عليه وجوه
(الاول) ان القتل ضرر والاصل في المضار الحرمة لقوله ما جعل عليكم في الدين من
حرج ولا يريدكم العسر ولا ضرر ولا ضرار (الثاني) قوله عليه السلام الاذى ببيان
الرب ملعون من هدم ببيان الرب (الثالث) ان الاذى خلق للاشتغال بالعبادة لقوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله عليه السلام حق الله على العباد ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا والاشتغال بالعبادة لا يتم الا عند عدم القتل (الرابع) ان القتل افساد
فوجب ان يحرم لقوله تعالى ولا تقسدا (الخامس) انه اذا تعارض دليل تحريم القتل
ودليل اباحته فقد اجتمعوا على ان جانب الحرمة مراعى ولولا ان مقتضى الاصل هو التحريم
والالكان ذلك ترجحا للرجح وهو محال (السادس) انا اذا لم نعرف في الانسان صفة من
الصفات المجردة كونه انسانا عاقل حكما فيه بتحريم قتله وما لم نعرف شيئا اذنا على كونه
انسانا لم نحكم فيه بحل دمه ولولا ان اصل الانسانية يقتضى حرمة القتل والامكان
كذلك ثبت بهذه الوجوه ان الاصل في القتل هو التحريم ومن حله لا يثبت الاسباب
عرضية واذا ثبت هذا فنقول انه تعالى حكم بان الاصل في القتل هو التحريم فقال
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاباحق فتقوله ولا تقتلوا نهى وتحريم وقوله حرم الله امادة
لذكر التحريم على سبيل التأكيد ثم استثنى عنه الاسباب العرضية الاتفاقية فقال الاباحق

ثم ههنا طريقان (الاول) ان مجرد قوله الابالحق يجعل لانه ليس فيه بيان ان ذلك الحق ماهو وكيف هو ثم انه تعالى قال ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي في استيفاء القصاص من القاتل وهذا الكلام يصلح جعله بيانا لذلك الجمعل وتقريره كما انه تعالى قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق وذلك الحق هو ان قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا في استيفاء القصاص واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من الحق هذه الصورة فقط فصارت تقدير الآية ولا تقتلوا النفس التي حرم الله لاعداء القصاص وعلى هذا التقدير فتكون الآية نصا صريحا في تحريم القتل الابهذا السبب الواحد فوجب ان يبقى على الحرمة فمما سوى هذه الصورة الواحدة (والطريق الثاني) ان تقول دلت السنة على ان ذلك الحق هو واحد امور ثلاثة وهو قوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الا بإحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق واعلم ان ذلك الخبر من باب الأحاد فان قلنا ان قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا تفسير لقوله الابالحق كانت الآية صريحة في انه لا يحل القتل الابهذا السبب الواحد فحينئذ يصير هذا الخبر مخصصا لهذه الآية ويصير ذلك فرما لقولنا انه يجوز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد واما ان قلنا ان قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ليس تفسير لقوله الابالحق فحينئذ يصير هذا الخبر مفسرا للحق المذكور في الآية وعلى هذا التقدير لا يصير هذا فرما على مسئلة جواز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد فلنكن هذه الدقيقة معلومة والله اعلم (المسئلة الثالثة) ظاهر هذه الآية انه لا سبب لحل القتل الاقتل المظلوم وظاهر الخبر يقتضي ضم شيئين آخرين اليه وهو الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان ودلت آية أخرى على حصول سبب رابع وهو قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا ودلت آية أخرى على حصول سبب خامس وهو الكفر قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقالوا قتلهم حيث وجدتموهم والفقهاء تكلموا واختلفوا في اشياء أخرى فيها ان تارك الصلاة هل يقتل ام لا فعند الشافعي رحمه الله يقتل وعند أبي حنيفة رحمه الله لا يقتل (وثانها) ان فعل الواط هل يوجب القتل فعند الشافعي يوجب وعند أبي حنيفة لا يوجب (وثالثها) ان الساحر اذا قتل قتل بحسرى فلا يفتن الشافعي يوجب القتل وعند أبي حنيفة لا يوجب (ورابعها) ان القتل بالمثل هل يوجب القصاص فعند الشافعي يوجب وعند أبي حنيفة لا يوجب (وخامسها) ان الامتناع من اداء الزكاة هل يوجب القتل ام لا اختلفوا فيه في زمان أبي بكر (وسادسها) ان اتيان البيعة هل يوجب القتل فعند اكثر الفقهاء لا يوجب وعند قوم يوجب بجدة القائلين بأنه لا يجوز القتل في هذه الصور هو ان الآية صريحة في منع القتل على الإطلاق الاسباب واحد وهو قتل المظلوم فمما عدا هذا السبب الواحد وجب البقاء على اصل الحرمة ثم قالوا وهذا النص قد تأكد بالدلائل الكثيرة

والوفاء به هو التماس مقتضاه والحفاظة عليه ولا يكتفى باستعمل الاباء فرقا بينه وبين الابناء الحس كافياء الكيل والوزن (ان العهد) اظهر في مقام الاختار اظهارا لكمال العناية بشأنه اولان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد الملهود (كان مسؤولا) اي مسؤولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انتقاله مرفوعا مستكنيا في اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه ونظيره ما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان أصل الحكيم قاله فحذف انضاف وجعل الضمير مستكنيا في الحكيم بعد انتقاله مرفوعا ويجوز ان يكون ضميرا كما انه يقال للعهد نكثت وهذا وفي بك نكثت للناكث كما يقال للمؤدة بأى ذنب قتلت (واوفا الكيل) اي أعوه ولا تحسروه (اذا كلم) اي وقت كلمكم للمشتري وتقييد الامر بذلك لما ان التظفيف هناك يكون اما وقتا لا كنيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكنالوا على الناس يستوفون الآية (وزنوا بالقسطاس) وهو القسطون وقيل كل وزن صغير كان او كبيرا روى معرب ولا يفسد ذلك في عربية القرآن لانظام المعربات في ذلك الكلام العربية وقرئ بضم القاف (المستقيم) اي العدل السوي

الموجبة لحرمة الدم على الإطلاق فترك العمل بهذه الدلائل لا يكون إلا معارضاً وذلك
المعارض إما أن يكون نصاً متواتراً أو نصاً من باب الأحاد أو يكون قياساً ما لنص المتواتر
مفقود والأما في الخلاف وإما النص من باب الأحاد فهو مرجوح بالنسبة إلى هذه
النصوص المتواترة الكثيرة وإما القياس فلا يعارض النص ثبت بمقتضى هذا الأصل
القوى القاهر أن الأصل في الدماء الحرمة إلا في الصور المدودة والله أعلم (المسئلة
الرابعة) قوله تعالى ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فيه بئحسان
(الاول) أن هذه الآية تدل على أنه أثبت لولي الدم سلطاناً فأما بيان أن هذه السلطنة
تحصل فيما إذا فليس في قوله فقد جعلنا لوليه سلطاناً دلالة عليه ثم هنا طريقتان (الاول)
أنه تعالى لما قال بعده فلا يسرف في القتل عرف أن تلك السلطنة إنما حصلت في استيفاء
القتل وهذا ضعيف لاحتمال أن يكون المراد ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً
فلا ينبغي أن يسرف الظالم في ذلك القتل لأن ذلك المقتول منصور بواسطة أثبت هذه
السلطنة لوليه (والثاني) أن تلك السلطنة مجعلة ثم صارت مفسرة بالآية وأخبر ما بالآية
فقوله تعالى في سورة البقرة يأيتها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى إلى قوله فمن
عذله من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان وقد بينا في تفسير هذه الآية أنها
تدل على أن الواجب هو كون المكلف مخيراً بين القصاص وبين الدية وإما ما أخبره فقوله
عليه السلام يوم الفتح من قتل قتيلاً فأهل به بين خيرتين أن احبوا قتلوا وأن احبوا أخذوا
الدية وعلى هذا الطريق فقوله فلا يسرف في القتل معناه أنه لما حصلت له سلطنة استيفاء
القصاص إن شاء وسلطنة استيفاء الدية إن شاء قال بعده فلا يسرف في القتل معناه أن
الاولى أن لا يقدم على استيفاء القتل وأن يكتفي بأخذ الدية أو يميل إلى العفو وبالجملة
فلقطة في محمولة على الإباء والمعنى فلا يصير مبرحاً بسبب إقدامه على القتل ويصير معناه
الترغيب في العفو والاكتفاء بالدية كما قال وان تعفو أقرب للتقوى (البحث الثاني) أن
في قوله ومن قتل مظلوماً ذكر كونه مظلوماً بصيغة التكثير وصيغة التثنية على ما عرف
تدل على الكمال فالإنسان المقتول ما لم يكن كاملاً في وصف المظلومية لم يدخل تحت هذا
النص قال الشافعي رحمه الله قد دللنا على أن المسلم إذا قتل الذمي لم يدخل تحت هذه الآية
بدليل أن الذمي مشرك والمشرِك محل دمه إنما قلنا أنه مشرك لقوله تعالى إن الله لا يغير
أن يشرك به ويفر مادون ذلك لن يشاء حكم بأن ما سوى الشرك مغفور في حق البعض
فلو كان كفر اليهود والنصراني شيئاً مغفراً للشرك لوجب أن يصير مغفوراً في حق
بعض الناس بمقتضى هذه الآية فلما لم يصير مغفوراً في حق أحد دل على أن كفرهم شرك
ولأنه تعالى قال لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة فهذا التثليث الذي قال به هؤلاء
أن يكون تثليثاً في الصفات وهو باطل لأن ذلك هو الحق وهو مذهب أهل السنة والجماعة
فلا يمكن جعله تثليثاً للكفر وإما أن يكون تثليثاً في الذوات وذلك هو الحق ولا شأن

ولعل الاكتفاء باستقامته عن
الامر بإفاء الوزن لما أن عند
استقامته لا يتصور الجور غالباً
بخلاف الكيل فإنه كثيراً ما يقع
التطفيف مع استقامة الآلة كما
أن الاكتفاء بإفاء الكيل من
الامر بتعديله لما أن إفساده
لا يتصور بدون تعديله الكيل
وقد أسبق بتقويمه أيضاً في قوله
تعالى أوفوا الكيل والوزن
بالقسط (ذلك) أي إفاء الكيل
والوزن بالميزان السوي (خير) في
الدنيا أهو أمانة توجب الرغبة
في معاملته والذكر الجليل بين
الناس (واحسن تأويله) عاقبة
تقريب من آل أذرعج والمراد
ما يؤول إليه (ولا تتقف) ولا تتبع
من قفا أثره ذاتبه وقرئ ولا
تقف من قفا أثره أي قفاه ومنه
القافة في جمع القائف (ما ليس لك به
عل) أي لا تكن في اتباع ما لا لك
بمن قول أوفد كس يتبع مسلماً
لا يدري أنه يوصله إلى مقصده
واضح به من منع اتباع الظن
وجوابه أن المراد بالعلم هو
الاعتقاد الراجح المستفاد من سند
فطحي كان أو ظني واستعماله
بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل
أنه مخصوص بالعقائد وقيل بالمر
وشهادة الزور ويؤيده قوله
عليه الصلاة والسلام من قفأنا منا
بأليس فيه حبسه الله تعالى
في ردغة الخبال حتى يأتي بالخروج
ومنه قول الكهيت

القائل به مشرك فثبت ان الذمي مشرك وانما قلنا ان المشرك يجب قتله لقوله تعالى اقتلوا المشركين ومقتضى هذا الدليل اباحة دم الذمي فان لم تثبت الاباحة فلا قل من حصول شبهة الاباحة واذا ثبت هذا فنقول ثبت انه ليس كاملا في المظاومية فلم يندرج تحت قوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا واما الحر اذا قتل عبدا فهو داخل تحت هذه الآية الا اننا ان قوله كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد يدل على المنع من قتل الحر بالعبد من وجوه كثيرة وتلك الآية اخص من قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا والخاص مقدم على العام فثبت ان هذه الآية لا يجوز التمسك بها في مسئلة ان موجب العمد هو القصاص ولا في مسئلة انه يجب قتل المسلم بالذمي ولا في مسئلة انه يجب قتل الحر بالعبد والله اعلم اما قوله تعالى فلا يسرف في القتل فقهه مباحث (البحث الاول) فيه وجوه (الاول) المراد هو ان يقتل القاتل وغير القاتل وذلك لان الواحد منهم اذا قتل واحدا من قبيلة شريفة فأولياء ذلك المقتول كانوا يقتلون خلقا من القبيلة الدينية فنهى الله تعالى عنه وأمر بالاعتصاف على قتل القاتل وحده (الثاني) هو ان لا يرضى بقتل القاتل فان اهل الجاهلية كانوا يقصدون اشراف قبيلة القاتل ثم كانوا يقتلون منهم قوما معينين ويتركون القاتل (والثالث) هو ان لا يقتل بقتل القاتل بل يمثل به ويقطع اعضاؤه قال الفقهاء ولا يبعد حله على الكل لان جملة هذه المعاني مشتركة في كونها اسرافا (البحث الثاني) قرأ الاكثرون فلا يسرف بالياء وفيه وجهان (الاول) التقدير فلا ينبغي ان يسرف الولي في القتل (الثاني) ان الضمير للقاتل الظالم ابتداء اى فلا ينبغي ان يسرف ذلك الظالم واسرافه عبارة عن اقدمه على ذلك القتل الظلم وقرأ حزة والكسائي فلا تسرف بالياء على الخطأ وهذه القراءة تحتل وجهين (احدهما) ان يكون الخطاب للمبتدئ القاتل ظلما كما انه قيل له لا تسرف ايها الانسان وذلك الاسراف هو اقدمه على ذلك القتل الذى هو ظلم محض والمعنى لا تسرف فانك ان قتلته مظلوما استوفى القصاص منك (والآخر) ان يكون الخطاب للولي فيكون التقدير لا تسرف في القتل ايها الولي اى اكتف باستيفاء القصاص ولا تطلب الزيادة واما قوله انه كان منصورا فقيه ثلاثة اوجه (الاول) كما انه قيل للظالم المبتدئ بذلك القتل على سبيل الظلم لا تسرف فان ذلك المقتول يكون منصورا في الدنيا والآخرة اما نصرته في الدنيا فيقتل قتاله واما في الآخرة فكثرة الثواب له وكثرة العقاب لقاتله (والقول الثاني) ان هذا الولي يكون منصورا في قتل ذلك القاتل الظالم فليكتف بهذا القدر فانه يكون منصورا فيه ولا ينبغي ان يطمع في الزيادة منه لان من يكون منصورا من عند الله يحرم عليه طلب الزيادة (والقول الثالث) ان هذا القاتل الظالم ينبغي ان يكتفى باستيفاء القصاص وان لا يطلب الزيادة واعلم ان على القول الاول والثاني ظهران المقتول وولى دمه يكونان منصورين من عند الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قلت

ولا ارمى البرئ بغير ذنب ولا اقتوا المواص ان رمينا (ان السهم والبصر والفؤاد) وقرئ بفتح الفاء والنوا والقولية من الهمة عند ضم الفاء (كل اولئك) اى كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلا لما كانت مسئلة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولاء وان غاب في العقلا لكنه من حيث انه اسم جمع لهذا الذى يرمي القبيلى جاء لغيرهم ايضا قال ذم المنار بعد منزلة الولي والعيش بعد اولئك الايام (كان عنه مسئلة) اى كان كل من تلك الاعضاء مسئلا عن نفسه على ان اسم كان خير يرجع الى كل وكذا الضمير المجزوء قد جوز ان يكون الاسم ضمير القاتل بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسئلا وقيل الجار والمجرور في جعل الرفع قد اسند اليه مسئلا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدأ وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن الخاص على الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويصور ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويصح الجار من الفسر ويعود الضمير مستكنا كاذ كرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوز ان يكون مسئلا الى المصدر للدلول

وبؤكد هذا النص بسائر الآيات الدالة على الوفاء بالعهود والعقود كقوله والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا. وقوله والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون وقوله واحل الله البيع
وقوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقوله
واشهدوا اذا بيعتم وقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيبة من نفسه
وقوله اذا خلتف الجنسان فبيعوا كيف شئتم بدايد وقوله من اشترى شيئا لم يره فهو
بالخيار اذا رآه فجميع هذه الآيات والاخبار دالة على ان الاصل في البيوعات والعهود
والعقود الصحة وجوب الالتزام اذا ثبت هذا فنقول ان وجدنا نصا اخص من هذه
النصوص يدل على البطلان والفساد قضيتها بتقديم الخاص على العام والافضل بالصحة
في الكل واما تخصيص النص بالقياس فقد ابطالناه وبهذا الطريق تصير ابواب المعاملات
على طولها واطناها مضبوطة معلومة بهذه الآية الواحدة ويكون المكلف آمن
القلب مطمئن النفس في العمل لانه لما دلت هذه النصوص على صحتها فليس بعد
بيان الله بيان وتصير التريمة مضبوطة معلومة ثم قال تعالى ان العهد كان مسؤولا وفيه
وجوه (احدها) ان يراد صاحب العهد كان مسؤولا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه كقوله واسأل القرية (وثانيها) ان العهد كان مسؤولا اي مطلوبا يطلب من
المعاهد ان لا يضيعه ويقي به (وثالثها) ان يكون هذا تقييلا كما به يقال للعهد لم تنكث
وهلا وفي بك تكيئا لتناكث كما يقال للوؤدة باي ذنب قتلت وكقوله اأنت قلت للناس
انخذوني واي الهين الآية فالمخاطبة لعيسى عليه السلام والانكار على غيره (النوع
الثاني) من الاوامر المذكورة في هذه الآية قوله واوفوا الكيل اذا كلمتم والمقصود
منه اتمام الكيل وذكر الوعيد الشديد في نقصانه في قوله ويل للطففين الذين اذا اکتالوا
على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون (النوع الثالث) من الاوامر
المذكورة في هذه الآية قوله وزنوا بالقسط المستقيم فالآية المتقدمة في اتمام الكيل
وهذه الآية في اتمام الوزن ونظيره قوله تعالى واقموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان وقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنهوا في الارض مفسدين واعلم ان التفاوت
الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب
على العاقل الاحتراز منه واما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوذات
والبيع والشراء وقد يكون الانسان غافلا لا يهتدي الى حفظ ماله فالشارع بالغ في المنع
من التطفيف والنقصان سعيا في ابقاء الاموال على الملاك ومنعا من تلطيح النفس بسرفة
ذلك المقدار الحقيق والقسطاس في معنى الميزان الا انه في العرف اكبر منه ولهذا اشتهر
في السنة العامة انه القيان وقيل انه بلسان الروم او السرياني والاصح انه لغة العرب وهو
ما خوذ من القسط وهو الذي يحصل فيه الاستقامة والاعتدال وبالجملة فغناه المعتدل الذي
لا يميل الى احد الجانبين واجعوا على جواز اللفظين فيه ضم القاف وكسرها فالعكس قراءة

ميثقه) الذي نبى عنه وهي اثنا
عشرة خصه (عند ربك مكرها)
بمغضا غير مرضى او غير مراد
بالارادة الاولى لا غير مراد مطلقا
لقيام الدالة القاطعة على ان
جميع الاشياء واقعة بارادته
سبحانه وهو ثقة لتليل الامور
المنتهى عنها جميعا ووصف ذلك
بمطلق الكراهة مع ان البعض
من الكبائر لا يذنب بان مجرد
الكراهة عنده تعالى كافية في
وجوب الاتهام عن ذلك وتوجيه
الاشارة الى الكل ثم تعيين
البعض دون توجيهها اليه
ابتداء لما ان البعض المذكور
ليس بمذكور جهة بل على وجه
الاختلاط وفيه اشعار بكون
ماعداء مرضيا عنده تعالى واما
لم يصرح بذلك ايذانا بالفتنة
وقبل الاضافة بيانية كما في آية
الليل وآية النهار وقرئ ميثقه على
انه خبر كان وذلك اشارة الى ما
نهى عنه من الامور المذكورة
ومكرها يدل من ميثقه اوصفة
لها مجولة على المعنى فانه بمعنى سيا
وقد قرئ به او يجري على
موصوفه كراي امرامكرها
او يجري مجرى الاسماء زال عنه
بمعنى الوصفية ويحوز كونه حالا
من الممكن في كان وفي الطرف
على انه صفة سيئة وقرئ سيا ته
وقرئ سيا ته (ذلك) اي الذي
تقدم من التكليف القصصة (عما)
اوصى اليك ربك) اي بعض منه

حزة والكسائي وحفص عن عاصم والباقر بالضم ثم قال تعالى ذلك خير اى الايمان بالتمام
والكمال خير من التطفيف القليل من حيث ان الانسان يتخلص بواسطته عن الذكر القبيح
في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة واحسن تأويله والتأويل ما يؤول اليه الامر كما
قال في موضع آخر خير مراد خير عقي خيراً ملا وانما حكم الله تعالى بأن عاقبة هذا الامر
احسن العواقب لانه في الدنيا اذا اشتهر بالاحتراز عن التطفيف عول الناس عليه ومالت
القلوب اليه وحصل له الاستغناء في الزمان القليل وكتم قدرنا من الفقراء لما اشتهروا
عند الناس بالامانة والاحتراز عن الخيانة اقبلت القلوب عليهم وحصلت الاموال
الكثيرة لهم في المدة القليلة واما في الآخرة فالقوز بالثواب العظيم والخلاص من
العقاب الاليم * قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولئك كان عنه مسؤولاً) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما شرح
الاورام الثلاثة ما د بعده الى ذكر النواهي قهي عن ثلاثة اشياء اولها قوله ولا تقف
ما ليس لك به علم قوله تقف مأخوذ من قوله فقوت اتر فلان افقو فقوا وقفا اذا ثبتت
اثره وسيت قافية الشعر قافية لانها تقفو البيت وسيت القبيلة المشهورة بالقافة لانهم
يتبعون آثار اقدم الناس ويستدلون بها على احوال الانسان وقال تعالى ثم قفنا على
آثارهم برسلنا وسمى القفا قفا لانه مؤخر بدن الانسان كانه شئ يقبه ويقفوه فقوله
ولا تقف اى ولا تتبع ولا تقف ما لا علم لك به من قول اوفعل وحاصله يرجع الى النهي
عن الحكم بما لا يكون معلوما وهذه قضية كلية يدرج تحتها انواع كثيرة وكل واحد من
المفسرين حله على واحد من تلك الانواع وفيه وجوه (الاول) المراد نهى المشركين عن
المذاهب التي كانوا يعتقدونها في الالهيات والتبوات بسبب تقليد اسلافهم لانه تعالى
نسبهم في تلك العقائد الى اتباع الهوى فقال وان هي الاسماء سميتوها انتم وآباؤكم
ما نزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما نهوى الانفس وقال في انكارهم
البعث بل ادراك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عيون وحكي عنهم انهم
قالوا ان نظن الاظنا ومانحن بمسيتين وقال من اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من
الله وقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام الآية وقال هل
عندكم من علم ففجر جوه لنا ان يتبعون الا الظن (والقول الثاني) نقل عن محمد بن الحنفية
ان المراد منه شهادة الزور وقال ابن عباس لاشهدوا بالاجار انه عينك وسمعت اذ ناك
ووعاه قلبك (والقول الثالث) المراد منه النهي عن القذف ورمى المحصنين والمحصنات
بالاكاذيب وكانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها في الهجاء ويبالغون فيه
(والقول الرابع) المراد منه النهي عن الكذب قال قتادة لا تقف سمعت ولم تسمع ورأيت
ولم ترو عقلت ولم تعلم (والقول الخامس) ان القفو هو البهت واصله من القفا كانه قول
يقال خلفه وهو في معنى الغيبة وهو ذكر الرجل في غيبته بما يسيءه وفي بعض الاخبار من

او من جنسه (من الحكمة) التي
هي علم الثرائع او معرفة الحق
لذاته والعمل به او من الاحكام
الحكمة التي لا يتطرق اليها النسيخ
والفساد ومن ابن عباس رضى الله
عنه ان هذه الايات الخشائي
عشرة كانت في الواح موسى عليه
السلام اولها لا تجعل مع الله الها
آخرها قال تعالى وكتبنا له في الواح
من كل شئ موعظة وهي
عشر آيات في التوراة ومن اما
متشقة بأوصى على انها بمضيئة
او ابتدائية واما بمحذوف وقع
حالا من الموصول او من ضميره
المحذوف في الصلة اى كائنا من
الحكمة واما بدل من الموصول
بإعادة الجمل (ولا تجعل مع الله
الها آخر) الخطاب لرسول
عليه الصلاة والسلام والمراد
غيره من تصوره صدر النبي
عنه وقد كرر للتبليغ على ان
التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وانه
رأس كل حكمة وملاكها ومن
عدمه لم ينفعه علومه وحكمه
وان يذفيها بالاطين الحكماء وحك
ييا فوخه عنان السجاد وقد رتب عليه
ما هو عادة الاشرار الا حيث
قيل فتعذر مذمومها محذولا
ورتب عليه ههنا تيمنه في المعنى
قيل (فتلقى في جهنم ملوما) من
جهة نفسك ومن جهة غيرك
(مدحورا) مبدعا من رجة الله
تعالى وفي ايراد الالقاء مبنيا
للمفعول جرى على سنن الكبرياء

فقا مسلما عاين فيه حبسه الله في ردة الخيال واعلم ان اللفظ عام يتناول الكل فلامعنى لتقليد والله اعلم (المسئلة الثانية) احتج نفاة القياس بهذه الآية فقالوا القياس لا يفيد الا الظن والظن مغاير للعلم فالحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم فوجب ان لا يجوز لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم اجيب عنه من وجوه (الاول) ان الحكم في الدين بمجرد الظن جائز باجماع الامة في صور كثيرة (احدها) ان العمل بالقوى على الظن وهو جائز (وثانيها) العمل بالشهادة على الظن وانه جائز (وثالثها) الاجتهاد في طلب القبلة لا يفيد الا الظن وانه جائز (ورابعها) قيم التلغات واروش الجنائيات لا سبيل لها الا بالظن وانه جائز (خامسها) الفصد والجمامة وسائر المعالجات بناء على الظن وانه جائز (سادسها) كون هذه الذبيحة ذبيحة للمسلم مظنون لا معلوم وبناء الحكم عليه جائز (وسابعها) قال تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وحصول ذلك الشقاق مظنون لا معلوم (وثامنها) الحكم على الشخص المعين بكونه مؤمنا مظنون ثم نبني على هذا الظن احكاما كثيرة مثل حصول التوارث ومثل الدفن في مقابر المسلمين وغيرهما (وتاسعها) جيع الاعمال المعبرة في الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الآجال الخصوصية والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وبناء الامر على تلك الظنون جائز (وعاشرها) قال عليه السلام نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وذلك تصريح بأن الظن معتبر في هذه الانواع العشرة فبطل قول من يقول انه لا يجوز بناء الامر على الظن (والجواب الثاني) ان الظن قد يسمى بالعلم والدليل عليه قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنعوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتوهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ومن المعلوم انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وذلك لا يفيد الا الظن فهنا الله تعالى سمى الظن علما (والجواب الثالث) ان الدليل القاطع لمادل على وجوب العمل بالقياس وكان ذلك الدليل دليلا على انه متى حصل ظن ان حكم الله في هذه السورة يساوي حكمه في محل النص فأنتم مكلفون بالعمل على وفق ذلك الظن فهنا الظن وقع في طريق الحكم فأما ذلك الحكم فهو معلوم متيقن اجاب نفاة القياس عن السؤال الاول فقالوا قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم عام دخله التخصيص في الصور العشرة المذكورة فيقضي هذا العموم فيما وراء هذه الصور صحة ثم نقول الفرق بين هذه الصور العشر وبين محل النزاع ان هذه الصور العشر مشتركة في ان تلك الاحكام احكام مختصة باشخاص معينين في اوقات معينة فان الواقعة التي يرجع فيها الانسان المعين الى المعنى المعين واقعة متعلقة بذلك الشخص المعين وكذلك القول في الشهادة وفي طلب القبلة وفي سائر الصور والتخصيص على وقائع الاشخاص المعينين في الاوقات المعينة يجري مجرى التخصيص على ما لا نهاية له وذلك متعذر فلهذه الضرورة اكتفينا بالظن اما الاحكام الثابتة بالاقضية

وازدراء بالمشرك وجعله من قبيل خشية يأخذها آخذ بكفه فيطررها في الثور (أفأصفاكم ربكم بالبين والافتد من الملائكة انانا) خطاب للقبائلين بأن الملائكة نباتات الله سبحانه والاصفاء بالقوى جعله خالصا والجمرة للارتكار والغاء للعطف على مقدم يفهمه المذكور اى افضلكم على حضابه فنصكم بأفضل الاولاد على وجهه الخلوص وآثر لذاته أخسها وادناها كما في قوله سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى امله البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا بالتمريض لتعوان الربوبية تشديد التنكير وتأكيده واشير بذكر الملائكة عليهم السلام ويراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانثوية التي هي اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انانا انكم لتقولون يقتضى مذهبه الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه (قولا عظيما) لا يقادر قدره في استباح الامم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يستترى عليه احد حيث يعملونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثل شئ وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ماتكروهون من

فهي احكام كلية معتبرة في وقائع كلية وهي مضبوطة قليلة والتنصيب عليها ممكن ولذلك
 فان الفقهاء الذين استخرجوا تلك الاحكام بطريق القياس ضبطوها وذكروها في كتبهم
 اذ ادرت هذا فنقول التنصيب على الاحكام في الصور العشر التي ذكرتموها غير ممكن فلا
 جرم اكتفى الشارع فيما بالظن اما المسائل المثبتة بالطرق القياسية التنصيب عليها ممكن
 فلم يجز الاكتفاء فيها بالظن فظهر الفرق (واما الجواب الثاني) وهو قولهم الظن قد يسمى
 حكما فنقول هذا باطل فانه يصح ان يقال هذا مضمون وغير معلوم وهذا معلوم وغير مضمون
 وذلك يدل على حصول المغابرة ثم الذي يدل عليه قوله تعالى قل هل عندكم من علم فتخرجوه
 لئان تدعون الا الظن في العلم واثبات لظن وذلك يدل على حصول المغابرة اما قوله تعالى
 فان علمتموهن مؤمنات فالؤمن هو المقر وذلك الاقرار هو العلم (واما الجواب الثالث)
 فهو ايضا ضعيف لان ذلك الكلام انما ثبت ان القياس حجة بدليل قاطع وذلك باطل
 لان تلك الحجة امان تكون عقلية او قلبية والاول باطل لان القياس الذي يفيد الظن
 لا يجب عقلا ان يكون حجة والدليل عليه انه لا تزاع ان يصح من الشرع ان يقول فيحكمكم
 عن الرجوع الى القياس ولو كان كونه حجة امرا عقليا محض لا يمنع ذلك والثاني ايضا
 باطل لان الدليل القلي في كون القياس حجة انما يكون قطعيا لو كان منقولا متغلا متواترا
 وكانت دلالة على ثبوت هذا المطلوب دلالة قطعية غير محتملة للنقص ولو حصل مثل هذا
 الدليل لوصل الى الكل ولعرفه الكل ولا يرتفع الخلاف وحيث لم يكن كذلك علمنا انه
 لم يحصل في هذه المسئلة دليل سمي قاطع فثبت انه لم يوجد في اثبات كون القياس حجة
 دليل قاطع البتة فبطل قولكم كون الحكم المثبت بالقياس حجة معلوم لامتظون فهذا
 تمام الكلام في تقرير هذا الدليل واحسن ما يمكن ان يقال في الجواب عنه ان التمسك
 بهذه الآية التي حوت عليها تمسك بعام مخصوص والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد
 الا الظن فلودلت هذه الآية على ان التمسك بالظن غير جائز لدلت على ان التمسك بهذه
 الآية غير جائز فالقول بكون هذه الآية حجة يفضي ثبوته الى نفيه فكان تناقضا فاسقط
 الاستدلال به والله اعلم والمجيب ان يجيب فيقول فعلم بالتواتر الظاهر من دين محمد صلى
 الله عليه وسلم ان التمسك بآيات القرآن حجة في الشريعة ويمكن ان يحاسب من هذا
 الجواب بأن كون العام المخصوص حجة غير معلوم بالتواتر والله اعلم (المسئلة الثالثة) قوله
 ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا فيه بحثان (الاول) ان العلوم اما
 مستفادة من الحواس او من العقول اما القسم الاول فاليه الاشارة بذكر السمع والبصر
 فان الانسان اذا سمع شيئا ورآه فانه يروي به ويحبر عنه واما القسم الثاني فهو العلوم المستفادة
 من العقل وهي قسمان البدئية والكسبية والى العلوم العقلية الاشارة بذكر الفؤاد
 (البحث الثاني) ظاهر الآية يدل على ان هذه الجوارح مسؤلة وفيه وجوه (الاول) ان
 المراد ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسؤول لان السؤال لا يصح الا بمن كان

اخص الاولاد وتفضلون عليه
 انفسكم بالبين ثم تصفون
 الملائكة الذين هم من اشرف
 الملائكة بالانوة التي هي اخص
 اوصاف الحيوان فيا لها من شدة
 ما اقبحها وكسفر تماشيتها
 واقظمها (ولقد صرفنا) هذا
 المعنى وكرره (في هذا القرآن)
 على وجوه من التصريف في
 مواضع منه وانما ترك التعبير
 تسويلا على الظهور وقرئ
 بالتخفيف (ليذكروا) ما فيه
 ويقفوا على بطلان ما يقولونه
 والاتصاف الى الغيبة للابذان
 باقتضاء الحال ان يرضى عنهم
 ويصلى للسامعين هناك وقرئ
 بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر
 ويجوز ان يراد بهذا القرآن
 ما طلق ببطلان مقالهم المذكورة
 من الآيات الكريمة الواردة
 على اساليب مختلفة ومعنى
 التصريف فيه جعله مكانه اى
 اوقفنا فيه التصريف كتوله
 يبرح في مراقبها صلى
 جواز ان يراد به ابطال اضافتهم
 اليه تعالى النبات وانت لقمان
 ابطلها من آثار القرآن ونتائجه
 (وما يزيدهم) اى والحال انه
 ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ
 (الاشورا) عن الحق واخرنا
 عنه فضلا عن التذكر المؤدى الى
 معرفة بطلان ما هم عليه من القبح
 (فل) في اظهار بطلان ذلك من
 جهة اخرى (لو كان معه) تعالى

عاقلا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان فهو كقوله تعالى
واسأل القرية والمراد اهلها يقال لهم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل لك
النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه (والوجه الثاني) ان تقرير الآية ان
اولئك الاقوام كلهم مسؤولون عن السمع والبصر والقواد فيقال لهم استعملتم السمع
فماذا أنى الطاعة او في المعصية وكذلك القول في بقية الاعضاء وذلك لان هذه الحواس
آلات النفس والنفس كالامير لها والمستعمل لها في مصالحها فان استعملتها النفس في
الخيرات استوجبت الثواب وان استعملتها في المعاصي استحققت العقاب (والوجه
الثالث) انه ثبت بالقرآن انه تعالى يخلق الحياة في الاعضاء ثم انها تشهد على الانسان
والدليل عليه قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
ولذلك لا يبعد ان يخلق الحياة والعقل والنطق في هذه الاعضاء ثم انه تعالى بوجه السؤال
عليها ﴿ قوله تعالى (ولا تمس في الارض مرحالك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال
طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) اعلم ان هذا النوع الثاني من الاشياء
التي نهي الله عنها في هذه الآيات وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المرح شدة الفرح
يقال مرح مرح مرحا فهو مرح والمراد من الآية النهي عن ان يمشي الانسان مشيا
يدل على الكبرياء والعظمة قال الزجاج لا تمس في الارض مختالا فخورا ونظيره قوله تعالى
في سورة الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال في سورة لقمان
واقصد في مشيك واغضض من صوتك وقال ايضا في الارض لا تمس في الارض مرحا ان الله
لا يحب كل مختال فخور (المسئلة الثانية) قال الاخفش ولوقرئ مرحا بالكسر كان
احسن في القراءة قال الزجاج مرحا مصدر ومرحاسم الفاعل وكلاهما جائز الا ان
المصدر احسن ههنا اوكد تقول جاء زيد ركض او ركضا فركضا او كدلانه بدل على
توكيد الفعل ثم انه تعالى اكد النهي عن الخلاء والتكبر فقال انك لن تحرق الارض
ولن تبلغ الجبال طولا والمراد من الخرق ههنا نقب الارض ثم ذكر وافيده وجوها (الاول)
ان المتي اتمايت بالارتفاع والانخفاض فكأنه قيل انك حال الانخفاض لا تقدر على
خرق الارض ونقبا وحال الارتفاع لا تقدر على ان تصل الى رؤس الجبال والمراد التنبيه
على كونه ضعيفا عاجزا فلا يليق به التكبر (الثاني) المراد منه ان تحتك الارض التي
لا تقدر على خرقها وفوقك الجبال التي لا تقدر على الوصول اليها فانت محاط بك من فوقك
وتحتك نوعين من الجاد وانت اضعف منهما بكثير والضعف المحصور لا يليق به التكبر
فكأنه قيل له تواضع ولا تكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله المحصور بين مجارة وتراب
فلا تفعل فعل المتعذر القوي ثم قال تعالى كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) الاكثر قرأ سئيه بضم الهاء والهمزة قرأ نافع وابن كثير
وابو عمر وسئيه منصوبة اما وجه قراءة الاكثرين فظاهر من وجهين (الاول) قال الحسن

(آلهة صكما يقولون) اي
للمشركون قاطبة وقرئ بالشاء
خطابا لهم من قبل النبي عليه
الصلاة والسلام والتكافى في فعل
بالنصب على انها تمت لمصدر
محذوف اي كونها مشابها لما
يقولون والمراد المشابهة في الموافقة
والمطابقة اذا لا يتقوا (جواب
من مقلتهم الشفاء) جزاء
للوائلطوبوا (اي الذي العرش)
اي الى من له الملك والربوبية على
الاطلاق (سبيلا) بالمبالغة
والمسألة كما هو دين الملوك
بعضهم بعض على طريقة قوله
تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدوا وقيل بالتقرب اليه تعالى
كقوله تعالى اولئك الذين
يدعون يتشون الى ربهم الوسيلة
والاولى والظاهر الانسب لقوله
(سبحانه) فانه صريح في ان المراد
بيان انه يلزم مما يقولونه محذور
عظيم من حيث لا يحتسبون ولما
ابتغاه السبيل اليه تعالى بالتقرب
فليس مما يلخص بهذا التقرير
ولا هو مما يلزمهم من حيث
لا يشعرون بل هو امر يتقونه
رأساى تذبذبانه تذبذبا حقيقيا به
(وتعالى) متباعدة (عما يقولون)
من العظيمة التي هي ان يكون
مع آلهة وان يكون له نبات
(علوا) تعالى كقوله تعالى والله
ايتمكم من الارض نباتا (كثيرا)
لا غاية وراءه كيف لادائه سبحانه
في اقصى غايات الوجود وهو

الوجوب الذاتي وما يقولونه
من ان له تعالى شركاء اولاد افي
ابعد مراتب العدم اعني الامتناع
لالانه تعالى في اعلى مراتب
الوجود وهو كونه واجب
الوجود لذاته واتخاذ الولد من
ادنى مراتبه فانه من خواص
ما يمنع قارؤه كقيل فان ما يقولونه
ليس مجرد اتخاذ الولد بل انما
تعالى وان يكون معه آلهة ولا
ريب في ان ذلك ليس بداخل في
حد الامكان فضلا عن دخوله
تحت الوجود وكونه من ادنى
مراتب الوجود انما هو بالنسبة
الى من شانه ذلك (السمع) بالقولانية
وقرى بالجنانية وقرى سمعت
(له السموات السبع والارض ومن
فيهن) من الملائكة والشقيين على
ان المراد بالتسبيح معنى منظم لما
ينطق به لسان القائل ولسان
الحال بطريق عموم الحجاز (وان
من شيء) من الاشياء حيوانا كان
او نباتا او جهادا (الابيح)
ملتبسا (عمدة) اى يزهه تعالى
بلسان الحال عا لا يلبق بذاته
الا قدس من لوازم الاتكان
ولوا حق الحدوث اذا من
موجود الا هو باكتانه وحدونه
يدل دلالة واضحة على ان له
صانعا عليا قادرا حكما واجبا لذاته
علما للسلطة (ولكن لا تفقهون
تسبيحهم) ايها المشركون
لا خالكم بالنظر الصحيح الذى به
يفهم ذلك وقرى لا يفقهون
على

انه تعالى ذكر قبل هذا اشياء امر بعضها ونهى عن بعضها فلو حكم على الكل بكونه سيئة
لم كون المأمورة سيئة وذلك لا يجوز اما اذا قرأناه بالاضافة كان المعنى ان ما كان من
تلك الاشياء المذكورة سيئة فهو مكروه عند الله واستقام الكلام (والوجه الثاني)
انا لو حكمنا على كل ما تقدم ذكره بكونه سيئة لوجب ان يقال انها مكروهة وليس الامر
كذلك لانه تعالى قال مكروها اما اذا قرأناه بصيغة الضافة كان المعنى ان سبى تلك
الاقسام يكون مكروها وحينئذ يستقيم الكلام اما قرأة نافع وابن كثير وابن عمرو فيها
وجوه (الاول) ان الكلام تم عند قوله ذلك خيرا وحسنا وبلا ثم ابتدا وقال ولا تقف
ما ليس لك به علم ولا تمش في الارض مرحا ثم قال كل ذلك كان سيئة والمراد بهذا الاشياء
الاخيرة التي نهى الله عنها (والثاني) ان المراد بقوله كل ذلك اى كل ما نهى الله عنه فيما
تقدم واما قوله مكروها فتذكروا في تفصيحه على هذه القراءة وجوها (الاول) التقدير
كل ذلك كان سيئة وكان مكروها (الثاني) قال صاحب الكشاف السيئة في حكم
الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيته ولا فرق بين
من قرأ سيئة ومن قرأ سيئه انك تقول انما سيئة كما تقول السرفة سيئة فلا تفرق
بين اسنادها الى مذكر ومؤنث (الثالث) فيه تقديم وتأخير والتقدير كل ذلك
كان مكروها وسيئة عند ربك (الرابع) انه محمول على المعنى لان السيئة هي الذنب وهو
مذكر (المسئلة الثانية) قال القاضي دلت هذه الآية على ان هذه الاعمال مكروهة
عند الله تعالى والمكروه لا يكون مراداه فهذه الاعمال غير مرادة لله تعالى فبطل قول
من يقول كل ما دخل في الوجود فهو مراد الله تعالى واذا ثبت انها ليست بارادة الله
تعالى وجب ان لا تكون مخلوقة له لانها لو كانت مخلوقة لله تعالى لكانت مرادة له
لا يقال المراد من كونها مكروهة ان الله تعالى نهى عنها وايضا معنى كونها مكروهة ان
الله تعالى كره وقوعها وعلى هذا التقدير فهذا لا يمنع ان الله تعالى اراد وجودها لان
الجواب عن الاول انه عدول عن الظاهر وايضا قدوتها سيئة عند ربك يدل على كونها
منها عنها فلو حملنا المكروه على النهى لزم التكرار والجواب عن الثاني انه تعالى انما
ذكر هذه الآية في معرض الزجر عن هذه الافعال ولا يليق بهذا الموضع ان يقال انه
تعالى يكره وقوعها هذا تمام هذا الاستدلال والجواب ان المراد من المكروه المنهى
عنه ولا بأس بالتكرير لاجل التأكيد والله اعلم (المسئلة الثالثة) قال القاضي دلت
هذه الآية على انه تعالى كانه موصوف بكونه مريدا فكذلك ايضا موصوف بكونه
كارها وقال اصحابنا الكراهية في حقه تعالى محمولة اما على النهى او على ارادة العدم
والله اعلم قوله تعالى (ذلك مما اوحى اليك ربك من الخدمة ولا تجعل مع الله الها
آخر فقل في جهنم ملوما مدحورا افاضكم ربكم بالبئين واتخذ من الملائكة اناثا انكم
لتقولون قولا عظيما) اعلم انه تعالى جمع في هذه الآية خمسة وعشرين نوعا من

صبيحة المني ليعمل من باب
التفصيل (انه كان حلياً) ولذلك
لم يبعنا بكم بالقوبة مع ما تم
عليهم من موجباتها من الاعراض
عن التدبر في الدلائل الواضحة
الدالة على التوحيد والانسك
في الكفر والاشراك (غفورا)
لمن تاب منكم (واذا قرأت
القرآن) التام في التسبيح والتتبع
ودعوتهم الى العمل بما فيه من
التوحيد ورفض الشرك وغير
ذلك من الشرائع (جعلنا) بقدرتنا
ومشيئتنا البنية على دواعي
الحكمة الخفية (بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة) اوتر
الموصول على الضمير ذمالمهم بما في
خير الصلة وانما خص بالذكر
كفرهم بالآخرة من بين سائر
ما كفروا به من التوحيد ونحوه
دلالة على انها عظمت ما اسروا
بالايمان به في القرآن وتجهيدا لما
سيثقل عنهم من اتكاز البعث
واستجباله ونحو ذلك (حجابا)
يحبهم من ان يدركوك على ما
انت عليه من النبوة ليقهوا
قدرك الجليل ولذلك اجترأوا
على تقوى العظمة التي هي قولهم
ان تبوءوا الا رجلا مسهورا
وحل الحجاب على ما روى عن
اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه
من انما نزلت سورة ثبت اقبلت
العورة ام جيل امرأة الى الهيب
وقى يدها فبروتني عليه الصلاة
والسلام فاعد في المصمد ومعه
ابوبكر

التكليف فأولها قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه
مشغل على تكليفين الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن عبادة غير الله فكان المجموع
ثلاثة وقوله وبوالذين احسانا هو الرابع ثم ذكر في شرح ذلك الاحسان خمسة اخرى
وهي قوله فلا تغفل لهما افولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل
من الرحمة وقل رب ارحمهما فيكون المجموع تسعة ثم قال وآت ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل وهو ثلاثة فيكون المجموع اثني عشر ثم قال ولا تبذر تبذيراً فبصير ثلاثة عشر
ثم قال واما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً وهو الرابع
عشر ثم قال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الى آخر الآية وهو الخامس عشر ثم قال
ولا تقتلوا اولادكم وهو السادس عشر ثم قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاباحق
وهو السابع عشر ثم قال ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً وهو الثامن عشر ثم قال
فلا يسرف في القتل وهو التاسع عشر ثم قال واوفوا بالعهد وهو العشرون ثم قال واوفوا
الكيل اذا كنتم وهو الحادي والعشرون ثم قال وزونا بالقسط المستقيم وهو الثاني
والعشرون ثم قال ولا تقف مالمس لك به علم وهو الثالث والعشرون ثم قال ولا تمس
الارض مرحوا وهو الرابع والعشرون ثم قال ولا تجعل مع الله الها آخر وهو الخامس
والعشرون فهذه خمسة وعشرون نوعاً من التكليف بعضها اوامر وبعضها نواه
جمعها الله تعالى في هذه الآيات وجعل قائمتها قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فتعقد
مذموماً محذولاً وخاتمتها قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فتخلي في جهنم مملوماً مدحوراً اذا
عرفت هذا فتقول ههنا فوائد (الفائدة الاولى) قوله ذلك اشارة الى كل ما تقدم ذكره من
التكليف وسماها حكمة وانما سماها بهذا الاسم لوجوه (احدها) ان حاصلها يرجع
الى الامر بالتوحيد وانواع الطاعات والخيرات والاعراض عن الدنيا والاقبال على
الآخرة والعقول تدل على صحتها فالآتي يمثل هذه الشريعة لا يكون داعياً الى دين
الشيطان بل الفطرة الاصلية تشهد بأنه يكون داعياً الى دين الرحمن وتام تقرير هذا
ما ذكره في سورة الشعراء في قوله هل انبئكم على من نزل الشياطين تنزل على كل افاك عايم
(وثانيها) ان الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعية في جميع الاديان
والمثل ولا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة من هذا الاعتبار (وثالثها) ان
الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته وانخير لاجل العمل به فالامر بالتوحيد عبارة عن
القسم الاول وسائر التكليف عبارة عن تعاليم الخيرات حتى يواطى الانسان عليها ولا
يخرف عنها ثابت ان هذه الاشياء المذكورة في هذه الآيات عين الحكمة وعن ابن عباس
ان هذه الآيات كانت في الواح موسى عليه الصلاة والسلام (اولها) لا تجعل مع الله
الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتقيلاً لكل شيء (والفائدة
الثانية) من فوائد هذه الآية انه تعالى بدأ في هذه التكليف بالامر بالتوحيد والنهي

عن الشرك وختما بعين هذا المعنى والقصود منه التثنية على ان اول كل عمل وقول
وفكر وذكرك يجب ان يكون ذكر التوحيد وآخره يجب ان يكون ذكر التوحيد تنبها على
ان المقصود من جميع التكليف هو معرفة التوحيد والاستغراق فيه فهذا التكرير
حسن موقعه لهذه الفائدة العظيمة ثم انه تعالى ذكر في الآية الاولى ان الشرك يوجب ان
يكون صاحبه مذموما مخذولا وذكر في الآية الاخيرة ان الشرك يوجب ان يلقي صاحبه
في جهنم ملوما مدحورا فاللوم والمخذل ان يحصل في الدنيا والمقاؤه في جهنم يحصل يوم
القيامة ويجب علينا ان نذكر الفرق بين المذموم المخذول وبين الملوم المدحور فقول اما
الفرق بين المذموم وبين الملوم فهو ان كونه مذموما معناه ان يذكر له ان الفعل الذي اقدم
عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما واذ ذكر له ذلك فبعد ذلك يقال له لم فعلت مثل
هذا الفعل وما الذي جعلت عليه وما استغفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك
وهذا هو اللوم فثبت ان اول الامر هو ان يصير مذموما وآخره ان يصير ملوما واما الفرق
بين المخذول وبين المدحور فهو ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخذلت اعضاءه
اي ضعفت واما المدحور فهو المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة قال
تعالى وتخلد فيه مهانا فكونه مخذولا عبارة عن ترك اعانته وتقويضه الى نفسه وكونه
مدحورا عبارة عن اهانتها والاستخفاف به فثبت ان اول الامر ان يصير مخذولا وآخره
ان يصير مدحورا والله اعلم بمراده واما قوله أفأصفاكم ربكم بالبنين والمخذل من الملائكة
انا فاعلم انه تعالى لماتبه على فساد طريقة من اثبت الله شريكا ونظيرا به على طريقة من
اثبت له الولد وعلى كمال جهل هذه الفرقه وهى انهم اعتقدوا ان الولد قسمان فأشرف
القسمين البنون واخسهما البنات ثم اتهم اثبتوا البنين لانفسهم مع علمهم بنهاية مجزهم
ونقصهم واثبتوا البنات لله مع علمهم بأن الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذى لا نهاية له
والجلال الذى لا غاية له وذلك يدل على غاية جهل القائل بهذا القول ونظيره قوله تعالى
أم له البنات ولكم البنون وقوله أنكم الذكور له الاثنى وقوله أفأصفاكم يقال اصفاهم بالثنى
اذا أثره ويقال للضباع التى يستخصها السلطان بخاصية الصواف قال ابو عبيدة في قوله
أفأصفاكم أفخصكم وقال الفضل أخصكم قال الخويون هذه الهمزة همزة تدل على
الانكار على صيغة السؤال عن مذهب ظاهر الفساد لا جواب لصاحبه الا بما فيه أعظم
الفضيحة ثم قال تعالى انكم تقولون قولاعظما وبيان هذا التعظيم من وجهين (الاول)
ان اثبات الولد يقتضى كونه تعالى مر كبا من الاجزاء والاعاض وذلك يقدر في كونه
قدما واجب الوجود لذاته وذلك عظيم من القول ومنكر من الكلام (الثاني) ان
بتقدير ثبوت الولد قد جعلتم اشرف القسمين لانفسكم واخس القسمين لله وهذا ايضا
جهل عظيم * قوله تعالى (ولقد صدقنا في هذا القرآن ليدركوا وما يزيد هم الانفورا
فل لو كان معه آلهة كما تقولون اذا ابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى

رضى الله عنه فلما رآها قال
يا رسول الله لقد اقبلت هذه
والسلام اليها ان تراك قال عليه الصلاة
والسلام اليها ان تراك قال عليه الصلاة
فوقفت على ان يكرر رضى الله عنه
ولم تر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما لا يقبله الذوق السليم
ولا يساعده النظم الكريم
(مستورا) ذاستر كما في قولهم
سبل مغم اومستورا عن المس
بمعى غير حصى او مستورا
بنفسه بحجاب آخره ومستورا
كونه حجابا حيث لا يدرون انهم
لا يدرون (وجعلنا على قلوبهم
اكنته) اغطية كثيرة جمع كان
(ان تفقهوه) مفعول لاجله اى
كرهاته ان يفقهوه او مفعول
للدل عليه الكلام اى منعناهم
ان يفقهوا على كنهه ويعرفوا انه
من عند الله تعالى (وفي آذانهم
وقرا) صما وتقادمانا من سماعه
اللاثى به وهذه تيميلات معربة
عن كمال جهلهم بشؤون النبي عليه
الصلاة والسلام وفرط ذنب قلوبهم
عن فهم القرآن الكريم
وجب اسماعهم له عى بها بيانا
لعدم فقههم لتسبغ لسان المقال
اتربا ان عدم فقههم لتسبغ لسان
الحال وايدنا بان هذا التسبغ
من الظهور بحيث لا يتصور عدم
فهمه الا لانع قوى يعترى المشاعر
فيبطها وتنبهها على ان عالمهم
هذا ضيق من عالم السائق
لا حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة

عما يقوون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا (اعلم ان التصريف في اللغة عبارة عن صرف الشيء من جهة الى جهة نحو تصريف الرياح وتصريف الامور وهذا هو الاصل في اللغة ثم جعل لفظ التصريف كناية عن التبيين لان من حاول بيان شيء فانه يصرف كلامه من نوع الى نوع آخر ومن مثال الى مثال آخر ليكمل الايضاح ويقوى البيان فقولاه ولقد صرفنا اينا وينا ومفعول التصريف مخوف وفيه وجوه (احدها) ولقد صرفنا في هذا القرآن ضروبا من كل مثل (وثانيها) ان تكون لفظة في زائدة كقوله واصلح لي في ذرتي اى اصلح لي ذرتي اما قوله ليدركوا فاقية مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ الجمهور ليدركوا بفتح الدال والكاف وتشديدهما والمعنى ليدركوا فأدغمت الناء في الدال لتقرب الفرقان مثله من الذكرك قال الواحدى والتذكرك ههنا اشبه من الذكرك لان المراد منه التدبر والتفكر وليس المراد منه الذكر الذى يحصل بعد النسيان ثم قال واما قراءة حزة والكسائي فقيما وجهان (الاول) ان الذكرك قد جاء بمعنى التأمل والتدبر كقوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه والمعنى وافهموا ما فيه (والثاني) ان يكون المعنى صرفناهذه الدلائل في هذا القرآن ليدركوه بالسنتهم فان الذكرك بالاسان قد يؤدى الى تأثر القلب بمعناه (المسئلة الثانية) قال الجبائى قوله ولقد صرفنا في هذا القرآن ليدركوا يدل على انه تعالى انما ازل هذا القرآن وانما اكثر فيه من ذكر الدلائل لانه تعالى اراد منهم فهمها والايان بها وهذا يدل على انه تعالى يفعل افعاله لا غرض حكمة ويدل على انه تعالى اراد الايمان من الكل سواء آمنوا او كفروا والله اعلم ثم قال تعالى وما يزيدهم الا نفورا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال الاصم شبههم بالدواب النافرة اى ما زادادوا من الحق الابعدا وهو كقوله فزادهم رجسا (المسئلة الثانية) احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى ما اراد الايمان من الكفار وقالوا انه تعالى عالم بان تصريف القرآن لا يزيدهم الا نفورا فلو اراد الايمان منهم لما ائزل عليهم ما يزيدهم نفرة وثبوة عنه لان الحكميم اذا اراد تحصيل امر من الامور علم ان الفعل القلاني يصير سببا لمزيد النفرة والثبوة عنه فانه عندما يحاول تحصيل ذلك المقصود يجتزع عما يوجب مزيد النفرة والثبوة فاما خبر تعالى ان هذا التصريف يزيدهم نفورا علمنا انه ما اراد الايمان منهم والله اعلم اما قوله تعالى قل لو كان معي آلهة كما تقولون اذا لا تنفوا الى ذى العرش سبيلا فقيه مسئلتان (المسئلة الاولى) في تفسيره وجهان (الاول) ان المراد من قوله اذا لا تنفوا الى ذى العرش سبيلا هو انما لو فرضنا وجود آلهة مع الله تعالى لغلب بعضهم بعضا وحاصله يرجع الى دليل التمايز وقد شرحناه في سورة الانبياء في تفسير قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفقدنا فلا فائدة في الامة (والوجه الثاني) ان الكفار كانوا يقولون ما نعبدهم

ما تدعوننا اليه وفي آياتنا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وتصددهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام جهلا وكفرا من تصافهما بأوصاف مألوفة من التصديق والايان ككون القرآن سحرا وشعرا واساطير وقس عليه حال النبي عليه الصلاة والسلام لا الاخبار بأن هناك امرا وراء ما أدركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصلا يعد وحده (ولو اعلى اديارهم) اى هربوا ونفروا (نفورا) او ولوا نافرين (نحن اعلم بما يستحقون به) ملتبس بينه من الفلوا للاسفاف والهزء وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه عليه الصلاة والسلام رجلان من بني عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفقون ويخطون عليه بالاشعار (اذ يستقون اليك) ظرف لاعم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بأنه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العمل لان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى (واذهم نجوى) لكن لان حيث تلقاه باباه الاستماع بل بما به التناهي

الايقربونا الى الله زلفى فقال الله لو كانت هذه الاصنام كما تقولون من انها تقربكم الى الله
 زلفى لطلبت لانفسها ايضا قربة الى الله تعالى وسبيلا اليه ولطلبت لانفسها المراتب
 العالية والدرجات الشريفة من الاحوال الرفيعة فلما لم تقدر ان تتخذ لانفسها سبيلا الى الله
 فكيف يعقل ان تقربكم الى الله (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير كما يقولون وعما يقولون
 ويسبح بالياء في هذه الثلاثة والمعنى كما يقول المشركون من اثبات الالهة من دونه فهو
 مثل قوله قل لذين كفروا ستغلبون وتحشرون وقرأ حزة والكسائي كلها بالياء
 وقرأ نافع وابن عامر وابوبكر عن عاصم في الاول بالياء على الخطاط وفي الثاني والثالث
 بالياء على الحكاية وقرأ حفص عن عاصم الاولين بالياء والآخر بالياء وقرأ ابو عمرو
 الاول والآخر بالياء والوسط بالياء ثم قال تعالى سبحانه وتعالى وعما يقولون علوا
 كبيرا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) لما قام الدليل القاطع على كونه منزها عن الشركاء
 وعلى ان القول باثبات الالهة قول باطل اردفه بما يدل على تنزيهه عن هذا القول
 الباطل فقال سبحانه وقد ذكرنا ان التسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما يليق به ثم قال
 وتعالى والمراد من هذا تعالى الارتقاء وهو العلو وظاهر ان المراد من هذا تعالى
 ليس هو تعالى في المكان والجهة لان تعالى عن الشرك والنظير والتفاني والافات
 لا يمكن تفسيره بالتعالى في المكان والجهة فقلنا ان لفظ تعالى في حق الله تعالى غير
 مفسر بالعلو بحسب المكان والجهة (المسئلة الثانية) جعل العلو مصدرا لتعالى
 فقال تعالى علوا كبيرا وكان يجب ان يقال تعالى تعالى كبيرا لان نظيره قوله تعالى والله
 انتكم من الارض نباتا فان قيل ما الفائدة في وصف ذلك العلو بالكبير قلنا لان المنافاة
 بين ذاته وصفاته سبحانه وبين ثبوت الصاحبة والولد والشركاء والاضداد والانداد منفاة
 بلغت في القوة والكمال الى حيث لاتعقل الزيادة عليها لان المنافاة بين الواجب لذاته
 والممكن لذاته وبين القديم والحديث وبين الغنى والمحتاج منفاة لاتعقل الزيادة عليها
 فلهذا السبب وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبير ثم قال تعالى تسبح له السموات السبع
 والارض ومن فيهن وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) اعلم ان الحى المكلف يسبح لله
 بوجهين (الاول) بالقول كقوله باللسان سبحانه الله (الثاني) بدلالة احواله على توحيد
 الله تعالى وتقدسبه وعزته فاما الذى لا يكون مكلفا مثل البهائم ومن لا يكون حيا مثل
 الجمادات فهى انما تسبح لله تعالى بالطريق الثانى لان التسبيح بالطريق الاول لا يحصل
 الا مع الفهم والعلم والادراك والنطق وكل ذلك في الجماد محال فلم يبق حصول التسبيح
 في حقه الا بالطريق الثانى واعلم اننا لو جوزنا في الجماد ان يكون عالما متكلما لعجزنا عن
 الاستدلال بكونه تعالى عالما قادرا على كونه حيا وحيثئذ يفسد علينا باب العلم بكونه حيا
 وذلك كفر فانه يقال اذا جاز في الجمادات ان تكون عالة بذات الله تعالى وصفاته وتسبحه
 مع انها ليست بأحياء فيثبت لا يلزم من كون الشيء عالما قادرا متكلما كونه حيا فلم يلزم

المدلول عليه بسياق النظم والمعنى
 نحن اعلم بالذى يستحقون ملتبس
 به عما لاخير فيه من الامور
 المذكورة والذي يتساجون به
 فيما بينهم او الاول طرف يستحقون
 والثاني ليتساجون والمعنى نحن
 اعلم بماه الاستماع وقت استماعهم
 من غير تأخير وبماه التساجي
 وقت تساجيهم ونحوى مرفوع
 على التجربة بتقدير المضاعى
 ذو ونحوى او هو جمع نجى كقلى
 جمع قتل اى متساجون (اذ
 يقول الظالمون) بدل من
 اذهم وفيه دليل على ان
 ما يتساجون به غير ما يستحقون به
 وانما وضع الظالمون موضع المضمر
 اشعارا بالهم في ذلك ظالمون
 مجاوزون الحد اى يقول كل منهم
 للآخرين عند تساجيهم (ان
 تتبعون) ما تتبعون ان وجد
 منكم الاتباع لرضا او ما تتبعون
 بالقول والى (الارجال مسهورا)
 اى سحر فيمن اورد جلا دمعه
 اى رثته يتنفس اى يشرا مثلكم
 (انظر كيف ضربوا لك
 الامثال) اى متلوك بالاسما
 والساحر والمجنون (فضلوا)
 في جميع ذلك عن منهج الحاجة
 (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن
 يمكن ان يقبله احد فيها فتون
 ويضطربون ويأتون بما لا يرتاب
 في بطلانه احدا الى سبيل الحق
 والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية
 الرسول صلى الله عليه وسلم

من كونه تعالى عالما قادرا كونه حيا وذلك جميل وكفر لان من المعلوم بالضرورة ان
 من ليس بحي لم يكن عالما قادرا متكلما هذا هو القول الذي اطلق العلماء المحققون عليه
 ومن الناس من قال ان الجمادات وانواع النبات والحياوان كلها تسبح لله تعالى واحتجوا
 على صحة قولهم بأن قالوا دل هذا النص على كونها مسجدة لله تعالى ولا يمكن تفسير هذا
 التسبيح بكونها دلائل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته لانه تعالى قال ولكن لاتفقهون
 تسبيحهم فهذا يقتضى ان تسبيح هذه الاشياء غير معلوم لنا ودلائلها على وجود قدرة الله
 وحكمته معلوم والمعلوم مغاير لما هو غير معلوم فدل على انها تسبح الله تعالى وان تسبيحها
 غير معلوم لنا فوجب ان يكون التسبيح المذكور في هذه الآية مغايرا لكونها دالة على
 وجود قدرة الله لنا وحكمته والجواب عنه من وجوه (الاول) انك اذا اخذت تفاحة
 واحدة فذلك التفاحة مركبة من عدد كثير من الاجزاء التي لاتجزأ وكل واحد من تلك
 الاجزاء دليل تام مستقل على وجود الاله ولكل واحد من تلك الاجزاء التي لاتجزأ
 صفات مخصوصة من الطعم والطعم واللون والرائحة والحيز والجهة واختصاص ذلك
 الجواهر الفرد تلك الصفة المعينة من الجائزات فلا يحصل ذلك الاختصاص الا بتخصيص
 محض قادر حكيم اذا عرفت هذا فقد ظهر ان كل واحد من اجزاء تلك التفاحة دليل تام
 على وجود الاله وكل صفة من الصفات القائمة بذلك الجزء الواحد فهو ايضا دليل تام
 على وجود الاله تعالى ثم عدد تلك الاجزاء غير معلوم واحوال تلك الصفات غير معلومة
 فلهذا المعنى قال تعالى ولكن لاتفقهون تسبيحهم (والوجه الثاني) هو ان الكفار
 وان كانوا يقررون بالسنتهم باثبات الله العالم الانهم ما كانوا يتفكرون في انواع الدلائل
 ولهذا المعنى قال تعالى وكأين من آية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها
 مغرضون فكان المراد من قوله ولكن لاتفقهون تسبيحهم هذا المعنى (والوجه الثالث)
 ان القوم وان كانوا مقرين بالسنتهم باثبات الله العالم الانهم ما كانوا عالمين بكمال قدرته
 ولذلك قائلهم استبعدوا كونه تعالى قادرا على الخشر والنشر فكان المراد ذلك ايضا
 فانه تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذا ابتغوا الى
 ذى العرش سبيلا فهم ما كانوا عالمين بهذا الدليل فلذا ذكر هذا الدليل قال تسبح له السموات
 السبع والارض ومن فيهن فتسبح السموات والارض ومن فيهن يشهد بصحة هذا الدليل
 وقوته وانتم لاتفقهون هذا الدليل ولا تعرفونه بل تقولون ان القوم كانوا غافلين عن اكثر
 دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد فكان المراد من قوله ولكن لاتفقهون تسبيحهم
 ذلك وما يدل على ان الامر كما ذكرناه قوله انه كان حليما غفورا فذكر الحليم والغفور
 ههنا يدل على ان كونهم بحيث لا يفقهون ذلك التسبيح جرم عظيم صدر عنهم وهذا
 انما يكون جرما اذا كان المراد من ذلك التسبيح كونها دالة على كمال قدرة الله تعالى
 وحكمته ثم انهم لغفلتهم وجهلهم ما عرفوا وجه دلائل تلك الدلائل اما لو حملنا هذا التسبيح

ما لا يخفى (وقالوا اننا كنا غافلاما
 ورفاتا) استفهام النكارى مفيد
 لكمال الاستبعاد والاستنكار
 للبحث بعد ما دل الحال الى هذا
 المال لما بين غضاظة الحى
 وبوسة الرميم من التنافى كائن
 استحالة الامر من الظهور بحيث
 لا يقدر المحاسب على التكلم به
 والرفات ما يولغ في دقة وتفتيته
 وقال القراء هو التراب وهو قول
 مجاهد وقيل هو الحطام واذا
 متحصنة للطارفة وهو الاظهر
 والعامل فيها ما دل عليه قوله
 تعالى (انما الجعوثون) لانفسه
 لان ما بهد ان والهمزة واللام
 لا يعمل فيما قبلها وهو نيمتاو
 لنادو هو المرجع للانتكار وتقييده
 بالوقت المذكور ليس لتخصيصه
 به فانهم منكرون لاحياء بعد
 الموت وان كان البدن على حاله بل
 لتقوية الانتكار للبحث بتوجيهه
 اليه في حالة منافاة له وتكرير
 الهمزة في قولهم اننا لنا كيد
 النكير وتعلية الجلة بان واللام
 لنا كيد الانتكار لا الانتكار
 التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر
 النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
 الصادرة كما في مثل قوله تعالى
 أفلا تعقلون وتفاظه على رأى
 الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب
 الانتكار لا انتكار التعقيب كما
 هو المشهور وليس مدار
 انتكارهم ككونهم تائبين
 في المبعوثية بالفعل في حال كونهم

على ان هذه الجمادات تسبح الله بأقوالها والفاظها لم يكن عدم الفقه لثلاث التسبيحات
جرما ولا ذنبا واذا لم يكن ذلك جرما ولا ذنبا لم يكن قوله انه كان حليما عفورا لا نقابها
الموضع فهذا وجه قوي في نصرة القول الذي اخترناه واعلم ان القائلين بأن هذه الجمادات
والحيوانات تسبح الله بالفاظها اضافوا الى كل حيوان نوعا آخر من التسبيح وقالوا انها
اذا ذبحت لم تسبح مع انهم يقولون ان الجمادات تسبح الله فاذا كان كونه جادا لا يمنع من
كونه مسجحا فكيف صار ذبح الحيوان مانعا له من التسبيح وقالوا ايضا ان غصن الشجرة
اذا كسر لم يسبح واذا كان كونه جادا لا يمنع من كونه مسجحا فكسره كيف يمنع من ذلك
فعلم ان هذه الكلمات ضعيفة والله اعلم (المسئلة الثانية) قوله تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن تصريح باضافة التسبيح الى السموات والارض والى المكلفين
الحاصلين فهن وقد دللنا على ان التسبيح المضاف الى الجمادات ليس الا بمعنى الدلالة على
نزيه الله تعالى واطلاق لفظ التسبيح على هذا المعنى مجاز واما التسبيح الصادر عن
المكلفين وهو قولهم سبحان الله فهذا حقيقة فيلزم ان يكون قوله تسبح لفظا واحدا
قد استعمل في الحقيقة والمجاز معا وانه باطل على ما ثبت دليله في اصول الفقه فالاولى ان
يحمل هذا التسبيح على الوجه المجازي في حق الجمادات لا في حق العقلاء لئلا يلزم ذلك
المحذور والله اعلم **وقوله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا
ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به
اذا يستمعون اليك واذهب نجوى اذ يقول الظالمون ان تبغون الارجلا مسحورا انظر
كيف ضربوا لك الامثال فضلو فلا يستطيعون سبيلا) اعلم انه تعالى لما تكلم في الآية
المتقدمة في المسائل الالهية تكلم في هذه الآية فيما يتعلق بتقرير النوبة وفي الآية
مسائل (المسئلة الاولى) في قوله واذا قرأت القرآن قولان (الاول) ان هذه الآية تزلت
في قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن على الناس روى انه عليه
الصلاة والسلام كان كلما قرأ القرآن قام عن عيئه رجلان وعن يساره آخران من ولد
قصي يصفقون ويصفقون ويخطبون عليه بالاشعار وعن اسماء انه صلى الله عليه وسلم
كان جالسا معه ابو بكر اذا قيلت امرأة ابني لهيب ومعها فهر تريد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهي تقول * مذمما أبنائنا * ودينه قلبياه وامره عصينا * فقال ابو بكر يا رسول الله معها
فهر اخشاها عليك فلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فجاءت فارأت رسول الله
عليه الصلاة والسلام وقالت ان قريشا قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هيجاني فقال
ابو بكر لا ورب هذا البيت ما هجأك وروى ابن عباس ان اباسفان والنضر بن الحرث
واباجهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون الى حديثه فقال
النضر يوم ما مادري ما يقول محمد غير اني أرى شفتيه تحرك بشيء وقال ابوسفان اني لارى**

عظما ورافا كاتبراءى من ظاهره
الجملة الاسمية بل كونهم بصرية
ذلك واستعدادهم له ومرجه
الى انكار البعث بعد تلك الحالة
وفيه من الدلالة على غلوهم في
الكفر وتماديهم في الضلال مالا
مزيد عليه (خلقنا جديدا) نصب
على المصدر من غير لفظه والخالية
على ان الخلق بمعنى الخلق (قل)
جوابها بهم وتقريبا للاستبعاد
(كونوا سجدا واوحدا والوحد)
آخر (ما يكبر عن صدوركم)
اى يظلم عندكم عن قبول الحياة
لكمال الميابة والمنافة بينها
ويشبه فانكم مبعوثون ومعادون
لاحالة (فيقولون من يعبدنا)
مع ما بيننا وبين الاعداء من مثل
هذه المباينة والمباينة (قل)
لهم تحقيق الحق واذا حلة الاستعداد
وارشادهم الى طريقة الاستدلال
(الذى) اى يعبدكم القادر
العزيز (الذى) فتركتم (اخترعكم
اول مرة) من غير مثال يعتز به
والاسلوب ينفقه وكنتم ترابا
ماشم رائحة الحياة اليس الذي
يقدر على ذلك بقادر على ان يعيد
الاعظام البالية الى حالتها المهيودة
بلى انه على سبيل شيء قدير
(فسينفخون اليك رؤسهم) اى
سيحركونها تحريك تعجبوا وانكرا
(ويقولون) استهزاء (بمى هو)
اى ما ذكرته من الاعداء (قل)
لهم (عسى ان يكون ذلك) (قريبا)

بعض ما قبله حقاً وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو لهب هو كاهن وقال حبيب بن عبد العزى هو شاعر فزلت هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد تلاوة القرآن قرأ قبلها ثلاث آيات وهي قوله في سورة الكهف اتجسسنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وفي النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفيهم الجائفة أفرأيت من اتخذ الله هواء إلى آخر الآية فكان الله تعالى يحبهم يركات هذه الآيات عن عبود المشركين وهو المراد من قوله تعالى جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا وفيه سؤال وهو أنه كان يجب أن يقال حجاباً مستورا والجواب عنه من وجوه (الاول) أن ذلك الحجاب حجاب يخلق الله تعالى في عيونهم بحيث يمنعهم ذلك الحجاب من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وذلك الحجاب شيء لا يراه أحد فكان مستورا من هذا الوجه احتجب أصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في أنه يجوز أن تكون الحاسة سليمة ويكون المرئي حاضراً مع أنه لا يراه ذلك الإنسان لاجل أن الله تعالى خلق في عينه ما يمنع عنه رؤيته بهذه الآية قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حاضراً وكانت حواس الكفار سليمة ثم أنهم ما كانوا يرونه واخبر الله تعالى أن ذلك إنما كان لاجل أنه جعل بينه وبينهم حجاباً مستورا والحجاب المستور لا معنى له إلا المعنى الذي خلقه الله تعالى في عيونهم وكان ذلك المعنى مانعاً لهم من أن يروه ويبصروه (والوجه الثاني) في الجواب أنه كما يجوز أن يقال لابن وثامر بمعنى ذولبن وذو ثمر فكذلك لا يبعد أن يقال مستورا معناه ذو ستر والدليل عليه قولهم مرطوب أي ذورطوبه ولا يقال رطوبه ويقال مكان مهول أي فيه هول ولا يقال هلت المكان بمعنى جعلت فيه الهول ويقال جارية مغنوجة ذات غنيج ولا يقال غنيجتها (والوجه الثالث) في الجواب قال الاخفش المستور ههنا بمعنى الساتر فإن الفاعل قد يحمي بلفظ المفعول كما يقال انك لمشؤم علينا وميمون وانما هوشام وإيمان لانه من قولهم شأمهم ومنهم هذا قول الاخفش وتابعه عليه قوم إلا أن كثيراً منهم طعن في هذا القول والحق هو الجواب الاول (والقول الثاني) أن معنى الحجاب الطبع الذي على قلوبهم والطبع والمنع الذي منعهم من أن يدركوا لطائف القرآن ومحاسنه وفوائده فالمراد من الحجاب المستور ذلك الطبع الذي خلقه الله في قلوبهم ثم قال تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وهذه الآية مذكورة بينها في سورة الأنعام وذكرنا استدلال أصحابنا بها وذكرنا سائر الآيات المعتبرة ولا بأس بإعادة بعضها قال الأصحاب دلت هذه الآية على أنه تعالى جعل قلوبهم في الأكنة والأكنة جمع كنان وهو ما ستر الشيء مثل كنان النبل وقوله ان يفقهوه أي ثلاثا يفقهوه وجعل في آذانهم وقرا ومعلوم أنهم كانوا عقلاء سامعين فاهمين فعلمنا أن المراد منهم عن الإيمان ومنعهم عن سماع القرآن بحيث لا يفقهون على أسرارهم ولا يفهمون دقائقه وحقايقه قالت المعتزلة ليس المراد من الآية ما ذكرتم بل المراد منه وجوه أخرى (الاول) قال الجبائي كانوا يطلبون موضعه

نصب على أنه خير ليكون أو ظرف على أن كان تامة أي أن يقع في زمان قريب ومحل أن مع ما في حيزها ما نصب على أنه خير لسي وهي ناقصة واسمها خير عائلي ما عاد إليه هو أي عسى البعث أن يكون قريباً أو عسى البعث يقع في زمان قريب أو وقع على أنه فاعل لسي وهي تامة أي عسى كونه قريباً أو وقوعه في زمان قريب (يوم يدعوك) منصوب بفعل مضمر أي اذكروا وعلی أنه يدل من قريباً على أنه ظرف أو يكون تامة بالاتفاق أو ناقصة عندهم يجوز أعمال الناقصة في الظروف أو بضم المصدر المستكن في عسى أو يكون أعني البعث عند من يجوز أعمال خبير المصدر كافٍ قول زهير

وما الحرب إلا ما علمت وذم وما هو عنها بالحديث المرجح فهو خير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار (التسبيحون) أي يوم يحكمهم فتبشرون وقد استبرأ لهم الدماء والجابة أي ذنبا بكمال سهولة التأتى وبأن القصد منهم الإحضار للصلاة والجواب (بجمعه) حال من خبير تسبيحون أي متقدين له حائذين للمعلل بكم غير مستصين أو حائذين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة أحكامها (وتظنون) عطف على

في البالي ليتوا اليه ويؤذونه ويستدلون على ميتته باستماع قراءته فأمنه الله تعالى من شرهم وذكر له انه جعل بينه وبينهم حجابا لا يمكنهم الوصول اليه معه وبين انه جعل في قلوبهم ما يشغلهم عن فهم القرآن وفي آذانهم ما يمنع من سماع صوته ويجوز ان يكون ذلك مرضا شاعلا يمنعهم عن المصير اليه والتفرغ له لانه حصل هناك كن للقلب وقر في الاذن (الثاني) قال الكهني ان القوم لشدة امتناعهم عن قبول دلائل محمد صلى الله عليه وسلم صاروا كأنه حصل بينهم وبين تلك الدلائل حجاب مانع وسائر وانما نسب الله تعالى ذلك الحجاب الى نفسه لانه لما خلاهم مع انفسهم وامنعهم عن ذلك الاعراض صارت تلك التخلية كأنها هي السبب لوقوعهم في تلك الحالة وهذا مثل ان السيد اذا لم يراقب احوال عبده فاداسات سيرته فالسيد يقول انا الذي القيتك في هذه الحالة بسبب ابي خليلك مع رأيك وماراقت احوالك (الثالث) قال القفال انه تعالى لما خذلهم بمعنى انه لم يفعل الانطاف الداعية لهم الى الايمان صح ان يقال انه فعل الحجاب الساتر واعلم ان هذه الوجوه مع كلمات اخرى ذكرناها في سورة الانعام وأجبت عنها فلا فائدة في الاعادة ثم قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واعلم ان المراد ان القوم كانوا عند استماع القرآن على حالتين لانهم اذا سمعوا من القرآن ما ليس فيه ذكر الله تعالى بقوا مبهورين متحيرين لا يفهمون منه شيئا واذ سمعوا آية فيها ذكر الله تعالى وذم الشرك بالله ولانفورا وتركوا ذلك المجلس وذكر الزجاج في قوله ولوا على ادبارهم نفورا وجيه (الاول) المصدر والمعنى ولوا تافرين نفورا (والثاني) ان يكون نفورا جع بفر مثل شهود وشاهدور كوع وراكع وسجود وساجد وقعود وقاعد ثم قال تعالى نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك اي نحن اعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو الهزؤ والتكذيب وبه في موضع الحال كما تقول مستمعين بالهزؤ واذ يستمعون نصب بأعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذهم نجوى اي وبما يتناجون به اذهم ذو نجوى اذ يقول الظالمون بدل من قوله واذهم نجوى ان تبعون الارجلا مسحورا وفيه مباحث (الاول) قال المفسرون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليان يتخذ طعاما ويدعو اليه اشراف قريش من المشركين ففعل على عليه السلام ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودماهم الى التوحيد وقالوا لا اله الا الله حتى تطيعكم العرب وتدين لكم الجهم فأبوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوة الى الله تعالى يقولون بينهم متناجين هو ساحر وهو مسحور وما شبه ذلك من القول فأخبر الله تعالى بنيه بأنهم يقولون ان تبعون الارجلا مسحورا فان قيل انهم لم يتبعوا رسول الله فكيف يصح ان يقولوا ان تبعون الارجلا مسحورا قلنا معناه انكم ان تبعتموه فقد اتبعتم رجلا مسحورا والمسحور الذي قد سحر فاخلى عليه عقله وزال عن حد الاستواء هذا هو القول الصحيح وقال بعضهم المسحور هو

تسحبون اي تقنون هندما
ترون ماترون من الامور الهائلة
(ان لبتم) اي ما لبتم في القبول
(الاقليات) كالذي مر على قرية
او ما لبتم في الدنيا (وقل لعبادي)
اي المؤمنين (يقولوا) عند
محاورتهم مع المشركين (التي)
اي الكلمة التي (هي احسن)
ولا يخشونهم فكقوله تعالى
هي احسن (ان الشيطان يفرغ
بينهم) اي يفسد ويبيع الشر
والمرامو يفرى بعضهم على بعض
لتقع بينهم المشافهة والمشاراة
والمارة والمشاراة ففعل ذلك
يؤدي الى تأكد العناد وتعمادي
الفساد فهو تعليل للامر السابق
وقرى بكسر الزاي (ان الشيطان
كان قدما) (للانسان عدوا مبينا)
ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق
من ان الشيطان يفرغ بينهم (وبكم)
اعلم بكم ان يشأ بركم) (التوفيق
للايمان) (او ان يشأ يعذبكم)
بالامانة على الكفر وهذا تفسير
التي هي احسن وما بينهما
اعتراض اي قولوا لهم هذه
الكلمة وما يشأ كلها ولا تصرحوا
بأنهم من اهل النار فانه مما
يجب على الشرع ان العقاب مما لا
يعلم الا الله سبحانه ففسى بينهم
الى الايمان (وما رسلناك عليهم
وكيلا) موكولا اليك امورهم
تصرهم على الايمان وانما رسلناك
بشيرا ونذيرا فدارهم وما اصحابك

بالعداوة والاحتمال وترك المحافة
والماشافة وذلك قيل في عزروني
السيف وقيل نزلت في عزروني
الله عنه شقة رجل فامر بالشو
وقيل افرد اذية المشركين
بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه فزلت وقيل
الكلمة التي هي احسن ان يقولوا
يسديكم الله برحمتكم الله (وربك
اعلم بمن في السموات والارض)
وتفاصيل احوالهم الظاهرة
والكامنة التي بها يستأهلون
الاصطفا والاحتباء فيفتارهم
لنبوته وولايته من يشاء من
يسحقه وهورد عليهم اذ قالوا
بعد ان يكون يتم ابي طالب نبيا
وان يكون العراق لجوع اصحابه
دون ان يكون ذلك من الاكابر
ولبنا يدود ذكر من في السموات
لا يبطال قولهم لولا انزل علينا
الملائكة وذكر من في الارض
لردة قولهم لولا انزل هذا القرآن
على رجل من القرينتين عظيم (ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض)
بالفضائل النفسانية والنزوه عن
العلائق الجسمانية لا بكثرة
الاموال والاتباع (وآتينادادود
ذبوراً) بيان جليلة تقصينه عليه
الصلاة والسلام فان ذلك اتيه
الزبور لاتبائه الملك والسلطنة
وفيه ايدان بتفضيل النبي عليه
الصلاة والسلام فان نفيه الجليلة
وكونه خاتم النبيين مسطورة في
الزبور وان المراد بعباد الله

الذي افسد يقال طعام معصور اذا افسد حمله وارض مسحورة اصابها من المطر اكثر
مما ينبغي فأفسدها وقال ابو عبيدة يريد بشرا ذا سحر اى ذارته قال ابن قتيبة ولا ادري
ما الذي حمله على هذا التفسير المستكره مع ان السلف فمروه بالوجوه الواضحة وقال
مجاهد مسحورا اى مخدوعا لان السحر حيلة وخديعة وذلك لان المشر كين كانوا يقولون
ان محمدا يعلم من بعض الناس هذه الكلمات واولئك الناس يتخدونه بهذه الكلمات
وهذه الحكايات فلذلك قالوا انه معصور اى مخدوع وايضا كانوا يقولون ان الشيطان
يتخيل له فيظن انه ملك فقالوا انه مخدوع من قبل الشيطان ثم قال انظر كيف ضربوا لك
الامثال اى كل احد شبهك بشئ آخر فقالوا انه كاهن وساحر وشاعر ومعلم ومجنون فضلوا
عن الحق والطريق المستقيم فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى والحق ﴿ قوله تعالى
(وقالوا ائذا كنا عظما ورفقا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا
او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من بعدنا قل الذي فطركم اول مرة فسيقضون
اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم لتستجيبون بحجده
وتظنون ان لبثتم الا قليلا) اعلم انه تعالى لما تكلم اولا في الالهيات ثم اتبعه بذكر شبهاتهم
في النبوات ذكر في هذه الآية شبهات القوم في انكار المعاد والبعث والقيامة وقد ذكرنا
كثيرا ان مدار القرآن على المسائل الاربعة وهى الالهيات والنبوات والمعاد والقضاء
والقدر وايضا ان القوم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونه معصورا فاسد العقل
فذكرنا من جملة ما يدل على فساد عقله انه يدعى ان الانسان بعدما يصير عظما ورفقا فانه
بعد حيا عقلا كما كان فذكرنا هذا الكلام رواية عنه لتقرير كونه بمخل العقل قال
الواحدى رحمه الله الرفق كسر الشئ بيدك تقول رفقه ارفقه بالكسر كما رفقت المدر
والعظم البالي والرفات الاجزاء المتفتنة من كل شئ يكسروى يقال رفعت عظام الجزور رفقا
اذا كسرها ويقال للبن الرفق لانه دقاق الزرع قال الاخفش رفعت رفقا فهو مرفوت
نحو حطم حطما فهو محطوم والرفات والحطام الاسم كالجذاذ والراضاض والفئات
فهذا ما يتعلق باللغة اما تقرير شبهة القوم فهى ان الانسان اذا مات جفت اعضاؤه
وتاثرت وتفرقت في حوالى العالم فاختلطت تلك الاجزاء سائر اجزاء العالم اما الاجزاء
المائية في البدن فاختلط بمياه العالم واما الاجزاء الترابية فاختلط بتراب العالم واما الاجزاء
الهوائية فاختلط بهواء العالم واما الاجزاء النارية فاختلط بنار العالم واذا صار الامر
كذلك فكيف يعقل اجتماعها بأعيانها مرة أخرى وكيف يعقل عود الحياة اليها بأعيانها
مرة أخرى فهذا هو تقرير الشبهة والجواب عنها ان هذا الاشكال لا يتم الا بالقدح في كمال
علم الله وفي كمال قدرته اما اذا سلمنا كونه تعالى عالما بجميع الجزئيات فحينئذ هذه
الاجزاء وان اختلطت بأجزاء العالم الا انها متميزة في علم الله تعالى ولما سلمنا كونه تعالى
قادرا على كل الممكنات كان قادرا على إعادة التاليف والتركيب والحياة والعقل الى تلك

الاجزاء بأعيانها فثبت انما هي سلتا كمال علم الله وكال قدرته زالت هذه الشبهة بالكلمة
 اما قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديداً فالعنى ان القوم استبعدوا ان يردهم الى حال
 الحياة بعد ان صاروا عظاما ورفاتا وهي وان كانت صفة متنافية لقبول الحياة بحسب
 الظاهر لكن قدروا انتهاء هذه الاجسام بعد الموت الى صفة اخرى اشد منافاة لقبول
 الحياة من كونها عظاما ورفاتا مثل ان تصير حجارة او حديداً فان المنافاة بين الحجرية
 والحديدية وبين قبول الحياة اشد من المنافاة بين العظمية وبين قبول الحياة وذلك
 ان العظم قد كان جزءاً من بدن الحى اما الحجارة والحديد فاكانا البتة موصوفين بالحياة
 فتستدبر ان تصير ابدان الناس موصوفة بصفة الحجرية والحديدية بعد الموت فان الله تعالى
 يعيد الحياة اليها ويجعلها حيا عاقلاً كما كان والدليل على صحة ذلك ان تلك الاجسام قابلة
 للحياة والعقل ادلول يمكن هذا القول حاصله لما حصل العقل والحياة لها في اول الامر
 والله العالم عالم بجميع الجزئيات فلا تشبه عليه اجزاء بدن زيد المطيع بأجزاء بدن عمرو
 العاصى وقادر على كل الممكنات واذا ثبت ان عودا الحياة الى تلك الاجزاء يمكن في نفسه
 وثبت ان الله العالم عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات كان عودا الحياة الى تلك
 الاجزاء ممكنات عساؤه صارت عظاما ورفاتا وصارت شيئاً ابعد من العظم في قبول الحيات
 وهي ان تصير حجارة او حديداً فهذا تقرير هذا الكلام بالدليل العقلى القاطع وقوله
 كونوا حجارة او حديداً ليس المراد منه الامر بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما عجزتم الله
 تعالى عن الاعادة وذلك كقول القائل للرجل اقطع في وانا فلان فيقول كن من شئت
 كن ابن الخليفة فاسألك منك حقى فان قيل ما المراد بقوله او خلقا مما يكبر في صدوركم
 قلنا المراد كون الحجر والحديد قابلا للحياة امر مستبعد قليل لهم فافرضوا شيئاً آخر
 ابعد عن قبول الحياة من الحجر والحديد بحيث يستبعد عقلكم كونه قابلاً للحياة وعلى هذا
 الوجه فلا حاجة الى ان يتعين ذلك الشيء لان المراد ان ابدان الناس وان انتهت بعد
 موتها الى اى صفة فرضت وى حالة قدرت وان كانت في غاية البعد عن قبول الحياة
 فان الله تعالى قادر على اعادة الحياة اليها واذا كان المراد من الآية هذا المعنى فلا حاجة
 الى تعيين ذلك الشيء وقال ابن عباس المراد منه الموت يعنى لو صارت ابدانكم نفس الموت
 فان الله تعالى يعيد الحياة اليها واعلم ان هذا الكلام انما يحسن ذكره على سبيل المبالغة
 مثل ان يقال لو كنت عين الحياة فالله يمتك ولو كنت عين الفنى فان الله يفكره فهذا
 قد ذكر على سبيل المبالغة اما في نفس الامر فهذا محال لان ابدان الناس اجسام والموت
 عرض والجسم لا يتقلب عرضاً ثم يتقدر ان يتقلب عرضاً فالموت لا يقبل الحياة لان احد
 الضدين يتمتع اتصافه بالضد الآخر وقال مجاهد يعنى السماء والارض ثم قال فيقولون
 من بعيدنا قل الذى فطركم اول مرة والمعنى انه لما قال لهم كونوا حجارة او حديداً او شيئاً
 ابعد في قبول الحياة من هذين الشئتين فان اعادة الحياة اليه ممكنة فعند ذلك قالوا من هذا

الصالحين في قوله تعالى ان الارض
 يرتها عبادى الصالحون هو
 النهى عليه الصلاة والسلام وامتته
 وتعريف الزبور تارة وتنكيره
 اخرى امالانه في الاصل فعول
 بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر
 بمعنى كالتعبول وامالان المراد
 آتينا داود زبوراً من الزبور او
 بضاً من الزبور فيه ذكره عليه
 الصلاة والسلام وقرئ بضم
 الزاى على انه جمع زبر بمعنى
 من زبور (قل ادعوا الذين زعمتم)
 انها آلهة (من دونه) تعالى من
 الملائكة والمسيح وعزير (فلا
 يملكون) فلا يستطيعون (كشف
 الضر عنكم) بالمرء كالمرض
 والفقر والقطع ونحو ذلك (ولا
 تصويلا) اى ولا تحويله الى غيركم
 (اولئك الذين يدعون) اى اولئك
 الآلهة الذين يدعواهم المشركون
 من المذكورين (يتشكون)
 يطلبون لانفسهم (الى دبرهم)
 وماك امورهم (الوسيلة) القربة
 بالطاعة والعبادة (اليهم اقرب)
 بدل من فاعل يشكون وى
 موصولة اى يتشكى من هو اقرب
 اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن
 دونه او ضمن الانتفاء معنى
 الحرص فثأته قيل يحرصون
 اليهم يكون اقرب اليه تعالى
 بالطاعة والعبادة (ويرجون)
 رجته (بها) ويخافون عذابه
 بتركها كدأب سائر المباد فآين
 هم من كشف الضر فضلاً من

الذي يقدر على إعادة الحياة اليه قال تعالى قل يا محمد الذي فطركم اول مرة يعني ان القول
بصفة الاعادة فرع على تسليم ان خالق الحيوانات هو الله تعالى فاذا ثبت ذلك فنقول
ان تلك الاجسام قابلة للحياة والعقل واله العالم قادر لذاته فلا يبطل علمه وقدرته
التيهة فالقادر على الابتداء يجب ان يبقى قادرا على الاعادة وهذا كلام تام وبرهان قوي
ثم قال تعالى فسينفضون اليك رؤسهم قال الفراء يقال انفض فلان رأسه بنفضه انفاضا
اذا حركه الى فوق والى اسفل وسمى الظلم نفضا لانه يحرك رأسه وقال ابو الهيثم يقال
لرجل اذا خبر بشئ فحرك رأسه انكارا له قد انفض رأسه فقوله فسينفضون اليك رؤسهم
يعني يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد ثم قال تعالى ويقولون متى هو واعلم
ان هذا السؤال قاسد لانهم حكموا بامتناع الحشر والنشر بناء على الشبهة التي حكيناها
ثم ان الله تعالى بين بالبرهان الباهر كونه ممكنا في نفسه فقوله متى هو كلام لا تعلق له بالبحث
الاول فانه لما ثبت بالدليل العقلي كونه ممكن الوجود في نفسه وجب الاعتراف بإمكانه
فأما انه متى يوجد فذلك لا يمكن اثباته من طريق العقل بل انما يمكن اثباته بالدلائل
السمعية فان اخبر الله تعالى عن ذلك الوقت المعين عرف والا فلا سبيل الى معرفته واعلم
انه تعالى بين في القرآن انه لا يطلع احدا من المخلوق على وقته المعين فقال ان الله عنده علم
الساعة وقال انما علمها عند ربى وقال ان الساعة آتية أكاد اخفيها فلا جرم قال تعالى
قل عسى ان يكون قريبا قال المفسرون عسى من الله واجب معناه انه قريب فان قالوا
كيف يكون قريبا وقد انقضت ستمائة سنة ولم يظهر قلنا اذا كان ماضى اكثر مما بقى
كان الباقي قريبا قليلا ثم قال تعالى يوم يدعوكم وفيه قولان (الاول) انه خطاب مع
الكفار بدليل ان ما قبل هذه الآية كاه خطاب مع الكفار ثم يقول انتصبا يوما على البذل
من قوله قريبا والمعنى عسى ان يكون البعث يوم يدعوكم اى بالنداء الذى يسمعكم
وهو النفخة الاخيرة كما قال يوم ينادى المناد من مكان قريب يقال ان اسرافيل ينادى أيتها
الاجساد البالية والعظام الخصرة والاجزاء المتفرقة عودى كما كنت بقدره الله تعالى
وباذنه وتكوينه وقال تعالى يوم يدعو الداع اى شئ نكر وقوله فتسجيون بحمده اى
تسجدون والاستجابة مواقة الداعى فيما دعا اليه وهى الاجابة الا ان الاستجابة تقتضى
طلب المواقة فهى اوكد من الاجابة وقوله بحمده قال سعيد بن جببر يخرجون من
قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك بحمده فهو قوله فتسجيون
بحمده وقال قتادة يعرفه وطاعته وتوجه هذا القول انهم لما أجابوا بالتسبيح والحمد
كان ذلك معرفة منهم وطاعة ولكنهم لا يفهم ذلك في ذلك اليوم فلهاذا قال المفسرون
جدوا حين لا يفهم الحمد وقال اهل المعاني تسجيون بحمده اى تسجيون حامدين كما
يقال جاء بغضبه اى جاء غضبان وركب الامير بسيفه اى وسيفه معه وقال صاحب
الكشاف بحمده حال منهم اى حامدين وهذا مبالغة في انتيادهم للبعث كقولك لمن

(نأمره)

الالهية (ان عذاب ربك كان
صدورا) حقيقا بان يحذره كل
احد حتى الملائكة والرسل عليهم
الصلاة والسلام وهو تعليل لقوله
تعالى ونحافون عذابه ونخصيصه
بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير
من العذاب وان بينهم وبين
العذاب بونا بعيدا (وان من فرقة)
بيان انهم حلول عذابه تعالى بين
لا يحذر اثر بيان انه حقيق
بالحذر وان اساطين المخلوق من
الملائكة والنبين عليهم الصلاة
والسلام على حذر من ذلك وكثرة
ان نافية ومن استغفرتة والمراد
بالقرية القرية الكافرة اى ايمان
فريق من فرى الكفار (الا نحن
مهلكوها) اى عذبوها بالنسبة
بالنسب بها او اهلكها اهلها
بالمره لما ارتكبوا من عظام
المواقف المستوجبة لذلك وفى
صيغة التساؤل وان كانت بمعنى
المستقبل مالمس فيه من الدلالة
على التحقير والتقرروا كما قيل
(قبل يوم القيامة) لان الاهلاك
يؤتى غير مختص بالقرى الكافرة
ولا هو بطريق العقوبة وانما هو
لاقتضاء عمر الدنيا (او معذبوها)
اى معذبو اهلها على الاستناد
الجازى (عذابا شديدا) لا يقتل
والسبي ونحوهما من البلى
النبوية لتقبل بها لا يكتبه كتبه
من فنون القوى الاخرية
ايضا حسبا بنقص عنه اطلاق
التعذيب عما فيه الاهلاك من

تأمره بعمل يشق عليه ستأتي به وانت حامدا شاكراى ستنتهى الى حالة محمد الله ونشكره
على ان اكنفى منك بذلك العمل وهذا ذكرك فى معرض التهديد ثم قال وتظنون ان لبتم
الا قليلا قال ابن عباس يريدين التفخين الاولى والثانية فانه زال عنهم العذاب فى ذلك
الوقت والدليل عليه قوله فى سورة يس من يستامن مرقدا فظنهم بأن هذا البث قليل عائد
الى لبهم فيما بين التفخين وقال الحسن معناه تقريب وقت البعث فكأنك بالدينالم تكن
وبالآخرة لم تزل فهذا يرجع الى استقلال مدة البث فى الدنيا وقيل المراد استقلال لبهم
فى عرصه القيامة لانه لما كانت عاقبة امرهم الدخول فى النار استقصروا مدة لبهم فى
برزخ القيامة (القول الثانى) ان الكلام مع الكفار تم عند قوله عسى ان يكون قريبا
واما قوله يوم يدعوك فتسبحيون بحمده فهو خطاب مع المؤمنين لاعم الكافرين لان
هذا الكلام هو الاثني بالمؤمنين لانهم يستحيون لله بحمده ويحمدونه على احسانه
اليهم والقول الاول هو المشهور والثاني ظاهر الاحتمال **وقوله تعالى (وقل لعبادى يقولوا**
التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم
اعلم بكم ان يشأ ربكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلاوربك اعلم من فى
السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآئنا داود وزورا) اعلم ان قوله
قل لعبادى فيه قولان (الاول) ان المراد به المؤمنون وذلك لان لفظ العباد فى اكثر
آيات القرآن يخص بالمؤمنين قال تعالى فبشر عبادى الذين يستمعون القول وقال
فادخل فى عبادى وقال عينا بشر بها عباد الله اذا عرفت هذا فقوله انه تعالى لما
ذكر الجملة القبيحة فى ابطال الشرك وهو قوله لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لا تبغوا الى
ذى العرش سبيلا وذكر الجملة القبيحة فى صحة المعاد هو قوله قل الذى فطركم ااول مرة قال
فى هذه الآية وقيل يا محمد لعبادى اذا اردتم ايراد الجملة على المخالفين فاذا ذكر وانك الدلائل
بالطريق الاحسن وهو ان لا يكون ذكر الجملة مخلوطا بالشم والسب ونظير هذه الآية قوله
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي
هى احسن وذلك لان ذكر الجملة لو اختلط به شئ من السب والشم لتقابلوكم بمثل كما قال
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ويزداد الغضب وتكامل
النفرة ويتمتع حصول المقصود اما اذا وقع الاختصار على ذكر الجملة بالطريق الاحسن
انحالى عن الشم والايذاء اثر فى القلب تأثيرا شديدا فهذا هو المراد من قوله وقيل لعبادى
يقولوا التي هي احسن ثم انه تعالى نبه على وجه المنفعة فى هذا الطريق فقال ان الشيطان
ينزغ بينهم جامعا لفرقتين اى متى صارت الجملة مرة بمزوجة بالبادة صارت سببا لثوران
الفتنة ثم قال ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا والمعنى ان العداوة الحاصلة بين
الشيطان وبين الانسان عداوة قديمة قال تعالى حكاية عنه ثم لا تبغوا من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال كمثل الشيطان اذا قال للانسان اكفر فلما كفر

قبيحة يوم القيامة كيف لا وكثير
من القرى العانية العاصية قد
اختر عقوبتها الى يوم القيامة
(كان ذلك) الذى ذكر من
الاهلاك والتعذيب (فى
الكتاب) اى اللوح المحفوظ
(مسطورا) مكتوبا لم يغادر منه
شئ الا بين فيه بكيفياته واسبابه
الموجبة له ووقته المضروب له
هذا وقد قيل الهلاك للقرى
الصالحة والمذابح الطالحة وعن
مقاتل وحده فى كتاب
الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها
امامكة فى ربهيا الحبيشة وتهلك
المدينة بالجوع والبصرة بالفرق
والكوفة بالترك والجبال
بالصواعق والروافد واما
خراسان فهلاكها ضرور ثم
ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ
ابو عمرو الدوائى فى كتاب الفتى
انه روى عن وهب بن منبه ان
الجزيرة آمنة فى الطراب حتى
تضرب ارمينية و ارمينية آمنة
حتى تضرب مصر ومصر آمنة حتى
تضرب الكوفة ولا تسكون
المهجمة الكبرى حتى تضرب
الكوفة فاذا كانت المهجمة
الكبرى قتت قسطنطينية على
يدى رجل من بنى هانم وخراب
الاندلس من قبل الزنج وخراب
افريقية من قبل الاندلس
وخراب مصر من قطع النيل
واختلاف الجيوش فيها وخراب
العراق من الجوع وخراب

قال اتي برى منك اتي اخاف الله رب العالمين وقال واذنين لهم الشيطان اعمالهم وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس واتي جار لكم الى قوله اتي برى منكم ثم قال تعالى ربكم اعلم
بكم ان يشأ يرجحكم او ان يشأ يعذبكم واعلم انا انما نكلمكم الآن على تقدير ان قوله تعالى
قل لعبادى المراد به المؤمنون وعلى هذا التقدير فقوله ربكم اعلم بكم خطاب مع المؤمنين
والمعنى ان يشأ يرجحكم والمراد بتلك الرحمة الانجاء من كفار مكة وأذا هم اوان يشأ
يعذبكم بتسليطهم عليكم ثم قال وما ارسلناك يا محمد عليهم وكلا اى حافظا وكفيلا
فاستغل انت بالدعوة ولاشئ عليك من كفرهم فان شاء الله هدايتهم هداهم والافلا
(القول الثانى) ان المراد من قوله وقل لعبادى الكفار وذلك لان المقصود من هذه
الآيات الدعوة فلا يبعد في مثل هذا الموضع ان مخاطبوا بالخطاب الحسن ليصبر ذلك
سببا لجذب قلوبهم وميل طباعهم الى قبول الدين الحق فكأنه تعالى قال يا محمد قل
لعبادى الذين أقروا بكونهم عبادا لي يقولوا التى هى احسن وذلك لانا قبل النظر في
الدلائل والبيانات فعمل بالضرورة ان وصف الله تعالى بالتوحيد والبراءة عن الشركاء
والاضداد احسن من اثبات الشركاء والاضداد ووصفه بالقدرة على الخسر والنشر بعد
الموت احسن من وصفه بالجزع من ذلك وعرفهم انه لا ينبغي لهم ان يصروا على تلك
المذاهب الباطلة تعصبا للاسلاف لان الحامل على مثل هذا التعصب هو الشيطان
والشيطان عدو فلا ينبغي ان يلتفت الى قوله ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرجحكم بأن
يوفقكم للايمان والهداية والعرفة وان يشأ ينكم على الكفر فيعذبكم الا ان تلك
الشيئة غائبة عنكم فاجتهدوا انتم في طلب الدين الحق ولا تصروا على الباطل والجهل لئلا
تصيروا محرومين عن السعادات الابدية وأنخيرات السرمدية ثم قال لمحمد صلى الله عليه
وسلم وما ارسلناك عليهم وكلا اى لاتشد الامر عليهم ولا تغفل لهم في القول والمقصود
من كل هذه الكلمات اظهار الالين والرفق لهم عند الدعوة فان ذلك هو الذى يؤثر في
القلب ويفيد حصول المقصود ثم قال وربك اعلم بمن في السموات والارض والمعنى انه
لما قل قبل ذلك ربكم اعلم بكم قال بعده ربك اعلم بمن في السموات والارض بمعنى ان عمله
غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل عمله متعلق بجميع الموجودات والمعدومات
ومتعلق بجميع ذوات الارضين والسموات فيعمل حال كل واحد ويعلم ما يليق به من
المصالح والمقاسد فلهذا السبب فضل بعض النبيين على بعض وآتى موسى التوراة وداود
الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد ايضا ان يؤتى محمد القرآن ولم يبعد ان يفضل على جميع
الخلق فان قيل مال السبب في تخصيص داود عليه الصلاة والسلام في هذا المقام بالذكر
قلنا فيه وجوه (الاول) انه تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال وآتىنا داود
زبورنا يعنى ان داود كان ملكا عظيما ثم انه تعالى لم يذكر ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من
الكتاب تيسيرا على ان التفضيل الذى ذكره قبل ذلك المراد منه التفضيل بالعلم والدين

(لا بالمال)

الكوفة من قبل عدو من ورائهم
يحصرون حتى لا يستطيعون ان
يشربوا من القرات قطرة وخراب
البصرة من قبل الفرق وخراب
الايمة من قبل عدو يحصرهم برا
وبحرا وخراب الرى من الدبيل
وخراب خراسان من قبل التبت
وخراب التبت من قبل الصين
وخراب الهند والين من قبل
الجراد والسلمان وخراب مكة
من الحبشة وخراب المدينة من
قبل الجوع وعن اى هريرتضى
الله عنه ان النبی عليه الصلاة
والسلام قال آخر قرية من قرى
الاسلام خراب المدينة وقد اخرجه
العمرى من هذا الوجه وانت
خير بان تعمم القرية لا يساعد
السياق ولا السياق (ولامنعنا
ان نرسل بالآيات) اى الآيات
التي اقترحتها قريش من احياء
الموتى وقلب الصفا ذهبوا نحو
ذلك (الا ان كذبها الاولون)
استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى
وامنعنا ارسالها شئ من الاشياء
الا تكذيب الاولين بها حين
جاءهم باقتراحهم وعدم ارساله
تعالى بها وان كان بعشيتة البنية
على الحكم البالغة لا تمنع عن
ذلك من التكذيب او غيره
لاستحالة العجز عليه تعالى لكن
تكذيبهم المذكور بواسطة
استنباعه لاستصعابه بحكم
السنة الالهية واستلزامه
لتكذيب الآخرين بحكم

لابلال (الوجه الثاني) ان السبب في تخصيصه بالذكر انه تعالى كتب في الزبور ان محمدا خاتم النبيين وان امته خير الامم قال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمدا واهله فان قيل هلا عرف كما في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلنا التكثير هنا يدل على تعظيم حاله لان الزبور عبارة عن المزبور فكان معناه الكتاب فكان معنى التكثير انه كامل في كونه كتابا (الوجه الثالث) ان السبب فيه ان كفار قريش ما كانوا اهل نظر وجدل بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات واليهود كانوا يقولون انه لاني بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فقص الله تعالى عليهم كلامهم بازال الزبور على داود وقرأ حجة زبوراً بضم الزاي وذكرنا وجه ذلك في آخر سورة النساء ﴿ قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يمكنون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رجه ويحافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) اعلم ان المقصود من هذه الآية الرد على المشركين وقد ذكرنا ان المشركين كانوا يقولون ليس لنا هلبة ان نشغل بعبادة الله تعالى فحين نعبد بعض المقربين من عباد الله وهم الملائكة انهم اتخذوا ذلك الملاك الذي عبدوه تماثلا وصورة واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل والله تعالى اخرج على بطلان قولهم في هذه الآية فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وليس المراد الاصنام لانه تعالى قال في صفتهم أولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة وابتغاء الوسيلة الى الله تعالى لا يلبق بالاصنام البتة اذ ثبت هذا فنقول ان قوم عبدوا الملائكة فنزلت هذه الآية فيهم وقيل انتهزت في الذين عبدوا المسيح وعزيرا وقيل ان قوم عبدوا تقرا من الجن فاسلم النفر من الجن وبقى أولئك الناس متمسكين بعبادتهم فنزلت هذه الآية قال ابن عباس كل موضع في كتاب الله تعالى ورد فيه لفظ زعم فهو كذب ثم انه تعالى اخرج على فساد مذهب هؤلاء ان الاله المعبود هو الذي يقدر على ازالة الضرر وابصال النفع وهذه الاشياء التي يعبدونها هي الملائكة والجن والمسيح وعزير لا يقدر على كشف الضرر ولا على تحصيل النفع فوجب القطع بانها ليست آلهة وقاتل ان يقول هذا الدليل اعابتم اذ ادلتم على ان الملائكة لا قدر لها على كشف الضرر ولا على تحصيل النفع فما الدليل على ان الامر كذلك حتى يتم دليلكم فان قلتم لاناري ان اولئك الكفار كانوا يتضرعون اليها فلا تحصل الاجابة قلنا معارضة لذلك فذكرى ايضا ان المسلمين يتضرعون الى الله تعالى فلا تحصل الاجابة والمسلون يقولون ان القدر الحاصل من كشف الضرر وتحصيل النفع انما يحصل من الله تعالى لان الملائكة واولئك الكفار يقولون انه يحصل من الملائكة لان الله تعالى وعلى هذا التقدير فالدليل غير تام والجواب ان الدليل تام كامل وذلك لان الكفار كانوا مقرين بان الملائكة عباد الله وخالق الملائكة وخالق العالم لا بد وان يكون اقدر من الملائكة واقرى منهم واكمل حالهم واذا ثبت

الاشتراف في العتو والنادوا فاضائه الى ان يحمل بهم مثل ما حمل بهم بحكم الشركة في التجربة لما كان منافيا لارسال ما اقترحوه من الايات لتعين التكذيب المستدعي للاستئصال الخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذا لامة الى الاخرة لحكم باهرة من جعلناهم يتوهم من ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك المنفعة بالمنع على نفع الاستمارة ايذانا بتعاقد مبادئ الارسال لا كما زعوا من عدم ارادته تعالى لتأييده عليه الصلاة والسلام بالمعجزات وهو السر في اتيان الارسال على الالباب لافيه من الاشارات بتداعي الايات الى التزود لولان تسكها يد التقدير واستناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لالاي عمله تعالى بما سيكون من الاخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجية عليهم بابران النموذج وللإيدان بأن مدار عدم الاجابة الى ايتنا عقرتهم ليس الا حنيعة (وآيتنا عقر الناقة) عطف على ما يفسح عنه النظم الكريم كما أنه قيل وما معنا ان نرسل بالآيات الان كذب بها الاولون حيث آيتناهم ما اقترحوا من الايات الباهرة فكذبوها وآيتنا ما اقترحهم ثمود الناقة (مبصرة) على صيغة الفاعل اي بيضة ذات البصار

هَذَا فَقُولِ كَيْلَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَعْلُومٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَكَيْلَ قُدْرَةِ الْمَلَائِكَةِ غَيْرُ مَعْلُومٍ وَلَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَلِ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ أَنَّ قُدْرَتَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْأَشْغَالُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَوَّلَى مِنَ الْأَشْغَالِ بِعِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّ كَوْنَ اللَّهِ مُسْتَحَقًّا لِلْعِبَادَةِ مَعْلُومٌ وَكَوْنَ الْمَلَائِكَةِ كَذَلِكَ مُجْهُولٌ وَالْأَخْذُ بِالْمَعْلُومِ أَوَّلَى وَأَمَّا أَصْحَابُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَنِ وَالْجَمَاعَةِ فَلَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ طَرِيقَةٌ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقِيمُونَ الْحُجَّةَ الْعَقْلِيَّةَ عَلَى أَنَّهُ لَا مُوجِدَ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَلَا يُخْرِجُ لَشَيْءٍ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَإِذَا ثَبِتَ هَذَا ثَبِتَ أَنَّهُ لَا ضَارَ وَلَا نَافِعَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فَوَجِبَ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ لِأَنَّهُمْ لَمُعْتَرِلَةٌ لَانَّهُمْ لَمْ يَجُوزُوا كَوْنَ الْعَبْدِ مُوجِدًا لِأَعْمَالِهِ أَمْتَعُ عَلَيْهِمُ الْاِسْتِدْلَالَ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا قُدْرَةَ لَهَا عَلَى الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْاتَةِ وَخَلَقَ الْجِسْمَ وَإِذَا عَجِزُوا عَنْ ذَلِكَ لَمْ يَتِمَّ لَهُمْ هَذَا الدَّلِيلُ فَهَذَا هُوَ ذِكْرُ الدَّلِيلِ الْقَاطِعِ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ لَا يَمْلِكُونَ كُشْفَ الصُّرْعَتِكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا وَالتَّحْوِيلُ عِبَارَةٌ عَنِ النُّقْلِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَمَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ يُنْقَلُ حَوْلُهُ تَقْبُولُ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ فِيهِ قَوْلَانِ (الْأَوَّلُ) قَالَ الْقِرَاءَةُ قَوْلُهُ يَدْعُونَ فَعَلِ الْأَدْمِينَ الْعَابِدِينَ وَقَوْلُهُ يَبْتَغُونَ فَعَلِ الْمَعْبُودِينَ وَمَعْنَاهُ أَنَّ أُولَئِكَ الْمَعْبُودِينَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ فَانَّهُ لَازِمٌ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ فِي طَلَبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانُوا مُوصُوفِينَ بِالْعِزِّ وَالْحَاجَةِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَغْنَى الْاَغْنَاءَ فَكَانَ الْأَشْغَالُ بِعِبَادَتِهِ أَوَّلَى فَاِنْ قَالُوا لَا نَسْلِمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مُخْتَاجُونَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَخَافُونَ مِنْ عَذَابِهِ فَقُولْ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ أَمَانٌ يُقَالُ أَنْهِيَ الْوَاجِبَةَ الْوُجُودَ لِنَوَاتِهَا أَوْ يُقَالُ مُمْكِنَةُ الْوُجُودَ لِنَوَاتِهَا * وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ لِأَنَّ جَمِيعَ الْكُفَّارِ كَانُوا مُعْتَرِفِينَ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَخَافُونَ إِلَهَهُ وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ يَوْجِبُ الْقَوْلَ بِكَوْنِ الْمَلَائِكَةِ مُخْتَاجِينَ فِي ذَوَاتِهَا وَفِي كِلَا نِهَايَةِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَكَانَ الْأَشْغَالُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ أَوَّلَى مِنَ الْأَشْغَالِ بِعِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ (وَالْقَوْلُ الثَّانِي) أَنَّ قَوْلَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَتَعْلَقَ هَذَا الْكَلَامُ بِمَا سَبَقَ هُوَ أَنَّ الَّذِينَ عَظُمَتْ مُرْتَبَتُهُمْ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ لَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَلَا يَبْتَغُونَ الْوَسِيلَةَ إِلَّا إِلَهَهُ فَاتَمَّ بِالْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ أَحَقُّ فَلَا تَعْبُدُوا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى وَاحْتِجَّ الْقَائِلُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ عَلَى صِحَّتِهِ بِأَنَّهُ قَالُوا الْمَلَائِكَةُ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَلَا يَخَافُونَ عَذَابَهُ ثَبِتَ أَنَّ هَذَا غَيْرُ لَاقٍ بِالْمَلَائِكَةِ وَأَمَّا هُوَ لَاقٍ بِالْأَنْبِيَاءِ فَلَمَّا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ لَوْ اِقْدَمُوا عَلَى الذَّنْبِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ أَيْ إِلَى اللَّهِ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ أَمَا قَوْلُهُ أَنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا فَلَمَّا رَدَّاهُ مِنْ حَقِّهِ أَنَّ مَحْذُورًا لَمْ يَحْذَرْ فَإِنَّ مَحْذُورَهُ بَعْضُ النَّاسِ لَجَهْلِهِ فَهُوَ لَا يُخْرِجُ مِنْ كَوْنِهِ بِحِثِّ يَحْبُ الْحُزْرُ عَنْهُ * قَوْلُهُ تَعَالَى (وَأَنْ مِنْ قَرْيَةٍ الْاَتَّخَذَتْ مَهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مَعْذُوبَةً أَعْذَابُهَا شَدِيدًا كَانَتْ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) أَعْلَمَ أَنَّهُ تَعَالَى لِمَا قَالُ أَنْ عَذَابَ

أَوْ بَصَائِرُ يَدْرِكُهَا النَّاسُ أَوْ اسْتَدَّ إِلَيْهَا حَالٌ مِنْ يَشَاهِدُ بِجَازٍ أَوْ جَاعِلُهُمْ ذَوِي بَصَائِرٍ مِنْ أَبْصَرِهِ جَعَلَهُ بَصِيرًا وَقَرَأَ عَلَى صِفَةِ الْمَفْعُولِ وَبَفَتْحِ الْمِيمِ وَالصَّادِ وَهِيَ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ وَقَرَأَ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهَا خَيْرٌ مِنْهُدَى مَحْذُورٍ (فَقُلُوا لَهَا) فَكَفَرُوا بِهَا فَظَاهَرُوا أَنَّهَا أَيْ لَمْ يَكْتَفُوا بِمَجْدِ الْكُفْرِ بِهَا بَلْ فَعَلُوا بِهَا مَا فَعَلُوا مِنَ الْفُجُورِ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَعَرَضُوا هَؤُلَاءِ الْهَلَاكُ بِسَبَبِ عَقْرِهِمَا وَلَمَّا تَخَصَّصَ بِالذِّكْرِ لِمَا لَمْ يَحْذَرْ مِنْ هَرَبِ مَثَلِهِمْ وَأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِصَالِحِهِمْ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ حَيْثُ شَاهَدُوا أَنَّكَ هَلَاكُهُمْ وَرُودُ أَوْ مَدُورًا أَوْ لَا تَأْتِي مِنْ جِهَةِ أَهْلِ حُجُورٍ أَوْ خَرَجَ مِنَ الْحَجَرِ أَوْ ضَعِ دَلِيلٌ عَلَى تَحَقُّقِ مَضْمُونِ قَوْلِهِ تَعَالَى قُلْ كَوْنُوا حِمَارًا أَوْ أَحْدِيدًا (وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ) الْمَقْتَرَحَةِ (الْاَتَّخَذُوا) لَمَّا أُرْسِلَتْ هِيَ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَعْذُوبُهَا مِنَ الْعَذَابِ الْمُسْتَأْصَلِ كَالطَّلِيمَةِ لَهُ وَحَيْثُ لَمْ يَخَافُوا ذَلِكَ فَعَلُ بِهِمْ مَا فَعَلُوا فَلَمَّا جَعَلَتْ لِحُجَّتِهِمْ مِنَ الْأَعْرَابِ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَالًا مِنْ خَيْرِ ظُلُومٍ أَيْ ظُلُومٍ لَهَا وَلَمْ يَخَافُوا عَاقِبَتَهُ وَالْحَالُ أَنَّ مَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ جَلَّتِهَا الْاَقْصَى مِنْهَا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يَقْبِضُهَا قَدْزَلُ بِهِمْ مَا تَزَلُ (وَإِنْ قُلْنَا لَكَ رَبُّكَ حَاطٌ بِالنَّاسِ) أَيْ عَلَا بِمَا قَلَّهِ الْأَمَامُ الشَّيْخُ عَنْ

ربك كان محذوراين ان كل قرية مع اهلها فلا بد وان يرجع حالها الى احد امرين اما
الاهلاك واما التعذيب قال مقاتل اما الصالحة بالموت واما الطالحة فبالعذاب وقيل
المراد من قوله وان من قرية قرى الكفار ولا بد وان تكون عاقبتها احد امرين اما
الاستئصال بالكلية وهو المراد من الاهلاك او بعذاب شديد دون ذلك من قتل كبرائهم
وتسليط المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الاموال واخذ الجزية ثم بين تعالى ان هذا الحكم
حكم مجزوم به واقع فقال كان ذلك في الكتاب مسطورا ومعناه ظاهر **﴿﴾** قوله تعالى
(ومانعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون و آتينا نوحا الناقة مبصرة فظلوا
بها و ما نرسل بالآيات الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس و ما جعلنا الرؤيا التي
اريناك الا فتنة للناس و الشجرة الملعونة في القرآن و تخوفهم فآتيناهم الاطفياء كبيرا)
اعلم انه تعالى لما ذكر الدليل على فساد قول المشركين و اتبعه بالوعيد اتبعه بذكر مسئلة
النبوة وذلك لان كفار قريش اقترحوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اظهار معجزات
عظيمة فاهرة كاحكى الله عنهم انهم قالوا لو لا آتينا بآية كما ارسل الاولون و قال آخرون
المراد ما طلبوه بقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا و عن سعيد بن جبرين
القوم قالوا انك تزعم انه كان قبلك انبياء فخم من مضرت له الرجح و منهم من كان يحجى
الموتى فأتنا بشئ من هذه المعجزات فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله و ما منعنا ان
نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون و في تفسير هذا الجواب وجوه (الاول) المعنى
انه تعالى لو اظهر تلك المعجزات القاهرة لم ثم يؤمنوا بها بل بقوا مصرين على كفرهم
فحينئذ يضربون مسحقين لعذاب الاستئصال لكن ازال عذاب الاستئصال على هذه
الامة غير جائز لان الله تعالى اعلم ان فيهم من سيؤمن او يؤمن اولادهم فلهذا السبب
ما جابهم الله تعالى الى مطلوبهم و ما اظهر تلك المعجزات القاهرة روى ابن عباس ان اهل
مكة سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهباً وان يزل لهم الجبال حتى
يزرعوا تلك الاراضى فطلب الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك من الله تعالى فقال الله تعالى
ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط انهم ان كفروا اهلكتهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم
لا اريد ذلك بل تنأى بهم فزلت هذه الآية (الوجه الثانى) في تفسير هذا الجواب
انا لانظر هذه المعجزات لان آباءكم الذين رأوها لم يؤمنوا بها و انتم مقلدون لهم فلو
رأيتوها انتم لم تؤمنوا بها ايضا (الوجه الثالث) ان الاولين شاهدوا هذه المعجزات وكذبوا
بما فعل الله منكم ايضا انكم لو شاهدتموها لكذبتم فكان اظهرها عبثا و اللعب لا يفعله
الحكيم ثم قال تعالى و آتينا نوحا الناقة مبصرة فظلوا بها و فيه اباحت (الاول) المعنى ان
الآية التي التمسوها هي مثل آية نوح و قد آتيناها نوحا واضحة بينة ثم كفروا بها
فاستحقوا عذاب الاستئصال فكيف آتيناها هؤلاء على سبيل الاقتراح و التحكم على الله
تعالى (البحث الثانى) قوله تعالى مبصرة و فيه وجهان (الاول) قال الفراء مبصرة اى

ابن عباس رضى الله عنهما فلا
يخفى عليه شئ من افعالهم
الماضية والمستقبله من الكفر
والتكذيب و في قوله تعالى (وما
جعلنا الرؤيا التي اريناك الا
فتنة للناس) الى آخر الآية تنبيه
على تحققها بالاستدلال عليها بما
صدر عنهم عند مجئ بعض
الآيات لاشتراك الكل في كونها
امورا خارقة للعادات متزلة عن
جاناب الله سبحانه لتصديق النبي
عليه الصلاة والسلام فتكذيبهم
لبعضها مستلزم لتكذيب الباقي
كما ان تكذيب الاخرين يبيح
المقترحة يدل على تكذيبهم
بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا
ما عاينه عليه الصلاة والسلام
ليلة المعراج من عجائب الارض
و السماء حسبا ذكر في فاتحة
السورة الكريمة والتعبير عن
ذلك بالرؤيا لانه لا يرى فيها
وبين الرؤية ولانها اوقعت بالليل
اولا لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا
اى و ما جعلنا الرؤيا التي اريناكها
عبثا ناعم كونها آية عظيمة وآية
حقيقية بأن لا يتعلم في تصديقها
احد ممن له ادنى بصيرة (الافتة
افتت بها الناس حتى اردت بعضهم
و الشجرة الملعونة في القرآن)
عطف على الرؤيا والمراد بلعنها
فيه لمن طاعها على الاستناد
الحجازى و ابعادها عن الرحمة
فانها تنبت في اصل الحميم في البعد

مضيئة قال تعالى والنهار مبصر اي مضيئة (الثاني) مبصرة اي ذات ابصار اي فيها ابصار لمن تأملها يبصر بها رشده ويستدل بها على صدق ذلك الرسول (البحث الثالث) قوله فظفروا بها اي ظفروا انفسهم بتكذيبهم بها وقال ابن قتيبة ظفروا بها اي جحدوا بأنها من الله تعالى ثم قال تعالى وما ترسل بالآيات الا تخويفا قيل لا آية الا وتتضمن التخويف بها عند التكذيب امامن العذاب المبجل او من عذاب الآخرة فان قيل المقصود الاعظم من اظهار الآيات ان يستدل بها على صدق المدعى فكيف حصر المقصود من اظهارها في التخويف فلنا المقصود ان مدعى النبوة اذا اظهر الآية فاذا سمع الخلق انه اظهر آية فهم لا يعلمون ان تلك الآية معجزة او مخوفة الا انهم يحوزون كونها معجزة وتقدير ان تكون معجزة فلو لم تفكروا فيها ولم يستدلوا بها على الصدق لاستحقوا العقاب الشديد فهذا هو الخوف الذي يحملهم على التفكير والتأمل في تلك المعجزات فالمراد من قوله وما ترسل بالآيات الا تخويفا هذا الذي ذكرناه والله اعلم واعلم ان القوم لما طالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعجزات القاهرة واجاب الله تعالى بأن اظهارها ليس بمصلحة صار ذلك سببا لجرأة أولئك الكفار الطعن فيه وان يقولوا له لو كنت رسولا لحققت عند الله تعالى لا تثبت هذه المعجزات التي افترحناها منك كما أتى بهاموسى وغيره من الانبياء فعند هذا قوى الله قلبه وبين له انه تعالى نصره وبؤيده فقال واذ قلنا لا ان ربك احاط بالناس وفيه قولان (الاول) المعنى ان حكمته وقدرته محيطية بالناس فهم في قبضته وقدرته ومتى كان الامر كذلك فهم لا يقدرّون على امر من الامور الا بضائه وقدره والمقصود كما انه تعالى يقول له نصرتك وتقويك حتى تبلغ رسالتنا وتظهر ديننا قال الحسن حال بينهم وبين ان يقتلوه كما قال تعالى والله يعصمك من الناس (والقول الثاني) ان المراد بالناس اهل مكة واحاط الله بهم هو انه تعالى يفتح المؤمنين فكان المعنى واذا بشرناك بالله ان احاط باهل مكة بمعنى انه يقبلهم ويظهر دولتك عليهم ونظيره قوله تعالى سيزم الجمع ويولون الدبر وقال قل للذين كفروا استغفلون وتحتشرون الى قوله احاط بالناس لما كان كل ما يخبر الله عن وقوعه فهو واجب الوقوع فكان من هذا الاعتبار كالواقع فلا جرم قال احاط بالناس وروى انه لما تراخف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابى بكر كان يدعو ويقول اللهم انى أمأ لك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيزم الجمع ويولون الدبر ثم قال تعالى وما جعلنا رؤيا التي اريناك الاقنعة للناس وفي هذه الرؤيا اقوال (الاول) ان الله ارى محمدا في المنام مصارع كفار قريش فحين ورد ماء بدر قال والله كما أتى انظر الى مصارع القوم ثم اخذ يقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فلما سمعت قريش ذلك جعلوا رؤيا رؤيا سخريه وكانوا يستجلبون بما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقول الثاني) ان المراد رؤياه التي رآهاته يدخل مكة واخبر بذلك اصحابه فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية

مكان من الرحة اي وما جعلنا ها الاقنعة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجميع يحرق الحجارة ثم يقول يثبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كانوا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة يتبع الجمر وقطع الحديد الحماة فلا تضرها ويشاهدون المتاديل المخذلة من وبر السندل تاتي في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقرى بالرفع على حذف الخبر كأنه قيل والشجرة الملوونة في القرآن كذلك (ونحو فهم) بذلك وينظرونها من الآيات فان الكل التخويف وابتار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستقرار (لها يزيدهم) التخويف (الاطفياسا كبيرا) مضاروا من الحد فلو اتاوا رسلا بما افترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرهما وفعل بهم خافض بأشياهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اصفه المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يمتريه من عدم الاجابة الى انزال الآيات التي افترحوها لان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا

كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لابن بكر اليس قد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اننا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو بكر انه لم يخبرنا تفعل ذلك في هذه السنة فستفعل ذلك في سنة أخرى فلما جاء العام المقبل دخلها واتزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اعترضوا على هذين القولين فقالوا هذا لسورة مكية وهاتان الواقعتان مدنيتان وهذا السؤال ضعيف لان هاتين الواقعتين مدنيتان اما رؤيتهما في المنام فلا يبعد حصولها في مكة (والقول الثالث) قال سعيد ابن المسيب رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى امية يزون على منبره تزوال القردة فساءه ذلك وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء والاشكال المذكور عاذفه لان هذه الآية مكية وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة منبراً يمكن ان يحجب عنه بأنه لا يبعد ان يرى بمكة ان له بالمدينة منبراً يتداوله بنوامية (والقول الرابع) وهو الاصح وهو قول اكثر المفسرين ان المراد بها ما اراده الله تعالى ليلة الاسراء واختلفوا في معنى هذه الرؤيا فقال الاكثر من لافرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة يقال رأيت بعيني رؤية ورؤيا قال الاقلون هذا يدل على ان قصة الاسراء انما حصلت في المنام وهذا القول ضعيف باطل على ما قرناه في اول هذه السورة وقوله الا فتنة للناس معناه انه عليه الصلاة والسلام لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبوه وكفرو به كثير من كان آمن به وازداد المخلصون ايماناً فلذلك السبب كان امتحانهم قال تعالى والشجرة للمعونة في القرآن وهذا على التقدير والتأخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة للمعونة في القرآن الا فتنة للناس وقيل المعنى والشجرة للمعونة في القرآن كذلك واختلفوا في هذه الشجرة فالاكثر من قالوا انها شجرة الزقوم المذكورة في القرآن في قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وكانت هذه الفتنة في ذكر هذه الشجرة من وجهين (الاول) ان ابا جهل قال زعم صاحبكم بأن نار جهنم تحرق الحجر حيث قال وقودها الناس والحجارة ثم يقول بأن في النار شجرا والنار تأكل الشجر فكيف تولد فيها الشجر (والثاني) قال ابن الزبيرى ما نعلم الزقوم الا الترواؤا يذوقن قوامه فأنزله الله تعالى حين عجبوا ان يكون في النار شجر المجعلنا فتنة للظالمين الآيات فان قيل ليس في القرآن لعن هذه الشجرة قلنا فيه وجوه (الاول) المراد لعن الكفار الذين يأكلونها (الثاني) العرب تقول لكل طعام مكروه ضارانه ملعون (الثالث) ان الاعمى في اصل اللغة هو التباعد فلما كانت هذه الشجرة للمعونة في القرآن مبعدة عن جميع صفات الخير سميت ملعونة (القول الثاني) قال ابن عباس رضى الله عنهما عنهما الشجرة بنوامية يعنى الحكم بن ابى العاص قال ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ان ولد مروان يتداولون منبره قصص رؤياه على ابى بكر وعمر وقبحلا في بيته معهما فلما تفرقوا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم يخبر برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشد ذلك عليهم واتهم عرفوا فاشاء سره ثم ظهر ان الحكم كان يتسمع اليهم ففاه رسول الله صلى الله

حقا لا تبت هذه المجنات كاتى
يهاموسى وغيره من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام فكانه قيل
اذ كروا قولنا انك ان ربك
الطيب بك قد احاط بالناس
فهم في فتنة قدرته لا يقيدرون
على الخروج من مشيئته فهو
بمحضتك منهم فلا تهم بهم وامض
لما امرك به من تبليغ الرسالة
الا ترى ان الرؤيا التي اريناك
من قبل جعلناها فتنة للناس
مورثة للشبهة مع انها ما اورثت
ضعفا لامرك وتورا في حالك
وقد فسر الاحاطة بالافعال
يوم بدر وانما عجز عنه بالماضى مع
كونه منتظرا حسبا في غيبه
قوله تعالى سيزم الجحيم بولون
الدبر وقوله تعالى قل للذين
كفروا ستفلبون وتحبسون الى
جهنم وغير ذلك جريا على عادته
سبحانه في اخباره ما اولت الرؤيا
عاراه عليه الصلاة والسلام في
المنام من مضارعهم لما روى انه
عليه الصلاة والسلام لما ورد
ماء بدر قال والله لك انظر
الى مضارع القوم وهو يومئذ
الى الارض هذا مصرع فلان
وهذا مصرع فلان فتساعت
به قرش فاستشعر وامنه بخاراه
عليه الصلاة والسلام انه سيدخل
مكة واخبر به اصحابه فتوجه
اليها فصدته المشركون
عام الحديبية واعتذر عن كون
ما ذكره من ان يأتى به يجوز ان يكون

عليه وسلم قال الواحدى هذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية فيبعد هذا التفسير
 الا ان يقال هذه الآية مدنية ولم يقل به احد وما يؤكد هذا التأويل قول عائشة لروان
 لعن الله ابك وانت في صلبه فانت بعض من لعنه الله (والقول الثالث) ان الشجرة
 الملعونة في القرآن هي اليهود لقوله تعالى لعن الذين كفروا فان قال قائل ان القوم
 لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بالمعجزات القاهرة فأجاب انه لا معجزة
 في اظهارها لانها لو ظهرت ولو تؤمنوا انزل الله عليكم عذاب الاستئصال وذلك غير جائز
 وای تعلق لهذا الكلام بذكر الرؤيا التي صارت فتنة للناس وبذكر الشجرة التي صارت
 فتنة للناس قلنا التقدير كأنه قيل انهم لما طلبوا هذه المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم
 ظهورها شبهة لهم في انك لست بصادق في دعوى النبوة الا ان وقوع هذه الشبهة لا يوهن
 امرك ولا يصير سببا لضعف حالك الا ترى ان ذكر تلك الرؤيا صار سببا لوقوع الشبهة
 العظيمة في القلوب ثم ان قوة تلك الشبهات ما وجبت ضعفا في امرك ولا تتورا في اجتماع
 المحقق عليك فكذلك هذه الشبهة الحاصلة بسبب عدم ظهور هذه المعجزات لا توجب
 فتورا في حالك ولا ضعفا في امرك والله اعلم ثم قال تعالى ونحوهم فان يزيدهم الاطفيانا
 كبير او المقصود منه ذكر سبب آخر في انه تعالى ما ظهر المعجزات التي افترحوها وذلك لان
 هؤلاء خوفوا بخلاف الدنيا والآخرة وشجرة تاقوم بما زادهم هذا الخوف الاطفيانا
 كبير او ذلك يدل على قسوة قلوبهم ومعادبهم في النفي والاطفيان واذا كان الامر كذلك
 فيستدبر ان يظهر الله لهم تلك المعجزات التي افترحوها لم ينفعوا بها ولا يزدادون الاتماديا
 في الجهل والعناد واذا كان كذلك وجب في الحكمة ان لا يظهر الله لهم ما افترحوه من
 الآيات والمعجزات والله اعلم بقوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فمجدوا
 الا ابليس قال اسجد لمن خلقت طينا قال اربك هذا الذي كرمت على لئن اخرتني الى
 يوم القيامة لاحتكن ذريته الا قليلا قال اذهب فن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء
 موفورا) فيه مسائل (المسئلة الاولى) في كيفية النظم وجوه (الاول) اعلم انه تعالى
 لما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محنة عظيمة من قوم فمواهل زمانه بين ان
 حال جميع الانبياس اهل زمانهم كذلك الا ترى ان اول الانبياء هو ادم ثم انه كان في محنة
 شديدة من ابليس (الثاني) ان القوم اغمازوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلموا عدوه
 واقترحوا عليه الافتراحت الباطلة لاسرئ الكبر والحسد اما الكبر فلان تكبيرهم
 كان يمنعهم من الانقياد واما الحسد فلانهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة
 والدرجة العالية فين تعالى ان هذا الكبر والجسد هما اللذان جلا ابليس على الخروج
 من الايمان والدخول في الكفر فهذه بلية قديمة بمحنة عظيمة للخلق (والثالث) انه تعالى
 لما وصفهم بقوله فان يزيدهم الاطفيانا كبير اي ما هو السبب لحصول هذا الطغيان وهو
 قول ابليس لاحتكن ذرية الاقليلا فلاجل هذا المقصود ذكر الله تعالى قصة ابليس

الوحي باهلاكم وكذا الرؤيا
 وافقا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين
 المصارع واقعين بعد المعجزة
 وانت خبير بأنه يلزم منه ان يكون
 افتتان الناس بذلك واقعا بعد
 المعجزة وان يكون ازديادهم
 طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول
 الآية وقد قيل الرؤيا مراء عليه
 الصلاة والسلام في وقعة بدر من
 مضمون قوله تعالى اذ يريكم الله
 في منامك قليلا ولو اراكم كثيرا
 لفطمكم ولا يرب فان تلك الرؤيا
 مع وقوعها في المدينة ما جعلت
 فتنة للناس (واذ قلنا للملائكة)
 تذكر لما جرى منه تعالى من
 الاسرار من الملائكة من الامثال
 والطاعة من غير تردد وتحقيق
 لخصون ما سبق من قوله تعالى
 اولئك الذين يدعون يبتغون الى
 ربهم الوسيلة ايهم اقرب
 ويرجون رحمة ويخافون عذابه
 ان عذاب ربك كان محذورا
 ويعلم من حال الملائكة حال
 غيرهم من عيسى وعزير عليهما
 السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة
 ورجاء الرحمة وخافة العذاب
 ومن حال ابليس حال من يعاند
 الحق ويخالف الامراى واذا ذكر
 وقت قولنا له (اسجدوا لادم)
 تحية وتكريما لاله من الفضائل
 المستوجبة لذلك (فمجدوا له)
 من غير تلمذ امتثالا للامر واداء
 لحقه عليه الصلاة والسلام
 (الابليس) وكان داخلا

وآدم فهذا هو الكلام في كيفية النظم (المسئلة الثانية) اعلم ان هذه القصة قد ذكرها الله تعالى في سور سبعة وهي البقرة والاعراف والجر و هذ السورة والكهف وطه و ص والكلام المستقصى فيها قد تقدم في البقرة والاعراف والجر فلا حاجة في الاعادة ولا بأس بتعديد بعض المسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في ان المأمورين بالسجود لآدم أهم جميع الملائكة ام ملائكة الارض على التخصيص فظاهر لفظ الملائكة يفيد العموم الا ان قوله تعالى في آخر سورة الاعراف في صفة ملائكة السموات وله يسجدون يوجب خروج ملائكة السموات عن هذا العموم (المسئلة الثانية) ان المراد من هذه المعبدة وضع الجبهة على الارض والقبحة وعلى التقدير الاول فآدم كان هو المعبود له او يقال كان السجود له هو الله تعالى وآدم كان قبلة للسجود (المسئلة الثالثة) ان ابليس هل هو من الملائكة ام لا وان لم يكن من الملائكة فامر الملائكة بالسجود كيف يتناوله (المسئلة الرابعة) هل كان ابليس كافرا من اول الامر او يقال انما كفر في ذلك الوقت (المسئلة الخامسة) الملائكة سجدوا لآدم من اول ما خلقت حياته او بعد ذلك (المسئلة السادسة) شبهة ابليس في الامتناع من السجود اذ هو قوله أسجدلن خلقت طينا او غيره (المسئلة السابعة) دلت هذا الايات على ان ابليس كان عارفا بربه الا انه وقع في الكفر بسبب الكبر والحسد ومنهم من انكر وقال ما عرف الله البتة (المسئلة الثامنة) ما سبب حكمة امهال ابليس وتسليطه على الخلق بالسوسة * ولزجع الى التفسير فيقول انه تعالى حكى في هذه الآية عن ابليس نوعا واحدا من العمل ونوعين من القول اما العمل فهو انه لم يسجد لآدم وهو المراد من قوله فسجدوا الا ابليس واما النوعان من القول فأولهما قوله أسجدلن خلقت طينا وهذا استفهام بمعنى الانكار معناه ان اصلى اشرف من اصله فوجب ان اكون انا اشرف منه والاشرف يقبح في القول امره بخدمة الادي (والنوع الثاني) من كلامه قوله ارايتك هذا الذي كرمك على قال الزجاج قوله ارايتك معناه اخبرني وقد استقصينا في تفسير هذه الكلمة في سورة الانعام وقوله هذا الذي كرمك على فيه وجوه (الاول) معناه اخبرني عن هذا الذي فضله على لم فضله على وانا خير منه ثم اختصر الكلام لكونه مفهوما (الثاني) يمكن ان يقال هذا مبتدأ محذوف عنه حرف الاستفهام والذي مع صلته خبر تقديره اخبرني اهذا الذي كرمته على وذلك على وجه الاستصغار والاستحقار وانما حذف حرف الاستفهام لان حصوله في قوله ارايتك اغنى عن تكراره (والوجه الثالث) أن يكون هذا مفعول ارايت لان الكاف جاءت لجرد الخطاب ولا يحمل لها كائنه قال على وجه التعجب والانكار أبصرت او علمت هذا الذي كرمك على بمعنى لو ابصرت اوعلمته لكان يجب ان لا تكرمه على هذا هو حقيقة هذه الكلمة ثم قال تعالى حكاية عنه لئن اخرجت الى يوم القيامة لاحتكن ذريته الا قليلا وفيه مباحث (الاول) قرأ ابن كثير لئن اخرجتني الى يوم القيامة

في ذريته من دوجا تحت الامر بالسجود (قال) اى عند ما وصى بقوله عز سلطانه يا ابليس مالك ان لا تكون مع الساجدين وقوله مامئلك ان لا تسجد اذ امرتك وقوله مامئلك ان تسجد لا خلقت بيدى كما اشير اليه في سورة الحجر (أسجد) وانا مخلوق من النضر العالى (لمن خلقت طينا) نصب على نزع الحافض اى من طين او حال من الراجع الى الموصول اى خلقت له وهو طين اى من نفس الموصول اى أسجدلن خلقت طينا له واصله طين والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بالموصول لتضليل انكاره بما في حيز الصلة (قال) اى ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكى بل بعد الاقترار المتوهم على استظهاره المتضرع على الامر بخروجه من بين الملائكة الاعلى باللحن المؤيد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي العين لا يذنبان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ارتباطه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فاخطبك بعد قوله تعالى قال ومن قنط من رحمة ربه الا الضالون (ارايتك هذا الذي كرمك على) الكاف لتأكيد الخطاب لاهل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة على اى اخبرني عن هذا الذي كرمته على بأن

وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما بعدهم الشيطان الاغروا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكلا) اعلم ان ابليس لما طلب من الله الامهال الى يوم القيامة لاجل ان يحتك ذرية آدم قاله تعالى ذكر اشياء (اولها) قوله اذهب ومعناه امهلتك هذه المدة (وثانيها) قوله تعالى واستفز من استطعت منهم بصوتك يقال افزه الخوف واستفزه اي ازجمه واستخفه وصوته دعاؤه الى معصية الله تعالى وقيل اراد بصوتك الفناء والهوى والعجب ومعنى صيغة الامر هنا التهديد كما يقال اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك (وثالثها) واجلب عليهم بخيلك ورجلك وفي قوله واجلب وجوه (الاول) قال الفراء انه من الجلبة وهي الصباح وربما قالوا الجلب كما قالوا الغلبة والقلب والشفقة والشفقة وقال الليث وابوعبيدة اجلبوا وجلبوا من الصباح (الثاني) قال الزجاج في فعل وافعل اجلب على العدو اجلايا اذ اجمع عليه الخيل (الثالث) قال ابن السكيت يقال هم يجلبون عليه بمعنى انهم يعينون عليه (الرابع) روى ثعلب عن ابن الاعرابي اجلب الرجل على الرجل اذ اتوعده الشروع عليه الجمع فقله واجلب عليهم معناه على قول الفراء صحح عليهم بخيلك ورجلك وعلى قول الزجاج اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائده وتكون الباء في قوله بخيلك زائدة على هذا القول وعلى قول ابن السكيت معناه اعن عليهم بخيلك ورجلك ومفعول الاجلاب على هذا القول مخوف كانه يستعين على اغواهم بخيله ورجله وهذا ايضا يقرب من قول ابن الاعرابي واختلفوا في تفسير الخيل والرجل فروى ابو الضحى عن ابن عباس انه قال كل راكب اوراجل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وجنوده ويدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله تعالى فعلى هذا التقدير خيله ورجله كل من شاركه في الدعاء الى المعصية (والقول الثاني) يحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل (والقول الثالث) ان المراد منه ضرب المثل كما نقول للرجل المجعد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك وهذا الوجه اقرب والخيل تقع على الفرسان قال عليه الصلوة والسلام يا خيل الله اركبي وقد تقع على الافراس خاصة والمراد هنا الاول والرجل جمع راجل كما قالوا اتاجر وتجر وصاحب وصاحب وركب وركب وركب وركب وركب وركب وركب وركب وركب وركب وركب وغيره بالضمة قال ابو زيد يقال رجل ورجل بمعنى واحد ومثله حدث وحدث وندس وندس قال ابن الانباري اخبرنا ثعلب عن الفراء قال يقال رجل ورجل ورجلان بمعنى واحد (والنوع الرابع) من الاشياء التي ذكرها الله تعالى لابليس قوله وشاركهم في الاموال والاولاد نقول اما المشاركة في الاموال فهي عبارة عن كل تصرف قبيح في المال سواء كان ذلك القبيح بسبب اخذه من غير حقه او وضعه في غير حقه ويدخل فيه الربا والغصب والسرقة والمعاملات الفاسدة وهكذا قاله القاضي وهو ضبط حسن واما المفسرون فقد ذكروا وجوها قال قتادة المشاركة في الاموال هي ان جعلوا بحيرة وسأبة

لحق المتبوعة (جزاء موفورا) اي جزاء مكسلا من قولهم فر لصاحبك عرضة فرة اي وفر وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من مني تجازون اول الفعل المقدراو حال موثقة لقوله موفورا (واستفز) اي استغف (من استطعت منهم) ان تستفزه (بصوتك) بدعائك الى الفساد (واجلب عليهم) اي صح عليهم من الجلبة وهي الصباح (بخيلك ورجلك) اي بأعوانك وانفارك من راكب وراجل من اهل البيت والفساد قال ابن عباس رضى الله عنهما وبجاهد و قتادة ان له خيسلا ورجلا من الجن والانسان فاكان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالنصب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراطة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كعقب وراعب وبضمته مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما اي يبعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزاز بصوته و اجلا به بخيله ورجله تيمنا لتسلطه على من يغويه كما انه مغفورا وقع على قوم

وقال عكرمة هي عبارة عن تنبيهم آذان الانعام وقيل هي ان جعلوا من اموالهم شيئا
لغير الله تعالى كما قال تعالى فقالوا هذا لله زعمهم وهذا شركاؤا والاصوب ما قاله القاضي
واما المشاركة في الاولاد فذكرها فيه وجوها (احدها) انها الدماء الى الزنا وزييف الاصم
ذلك بأن قال انه لازم على الولد ويمكن ان يحجب عنه بأن المراد وشاركهم في طريق
تحصيل الولد وذلك بالدماء الى الزنا (وثانيها) ان يسموا اولادهم بعبد اللات وعبد العزى
(وثالثها) ان يرغبوا اولادهم في الاديان الباطلة كالمهودية والنصرانية وغيرهما
(ورابعها) اقدامهم على قتل الاولاد ووأدهم (وخامسها) ترغيبهم في حفظ الاشعار
المشتتة على الفحش وترغيبهم في القتل والقتال واحرف الخبيثة الخسيسة والضابط
ان يقال ان كل تصرف من المرء في ولده على وجه يؤدي ذلك الى ارتكاب منكرو او فحش
فهو داخل فيه (والنوع الخامس) من الاشياء التي ذكرها الله تعالى لابلس في هذه
الآية قوله وعدهم واعلم انه لما كان مقصود الشيطان الترغيب في الاعتقاد الباطل
والعمل الباطل والتنفير عن الاعتقاد الحق والعمل الحق ومعلوم ان الترغيب في الشيء
لا يمكن الا بأن يقرر عنده انه لا ضرر البتة في فعله ومع ذلك فانه يفيد المنافع العظيمة
والتنفير عن الشيء لا يمكن الا بأن يقرر عنده انه لا فائدة في فعله ومع ذلك يفيد المضار
العظيمة اذ اثبت هذا فنقول ان الشيطان اذا دأب الى المعصية فلا بد وان يقرر اولاً انه
لا مضرة في فعله البتة وذلك انما يمكن اذا قلل لامعاد ولاجنة ولا نار ولا حياة بعد هذه
الحياة فهذا الطريق يقرر عنده انه لا مضرة البتة في فعل هذه المعاصي واذ فارغ من هذا
المقام قرر عنده ان هذا الفعل يفيد اتواها من الالذ والسرور ولا حياة للانسان في هذه
الدنيا الاله فتقويتها عين وخسران كما قال الشاعر

خذوا بنصيب من سرور ولذة * فكل وان طال المدى يتصرم ؟

فهذا هو طريق الدعوة الى المعصية واما طريق التنفير عن الطاعة فهو ان يقرر اولاً عنده
انه لا فائدة فيه وتقريره من وجهين (الاول) ان يقول لاجنة ولا نار ولا ثواب ولا عذاب
(والثاني) ان هذه العبادات لا فائدة فيها للعباد والمعبود فكانت عبثا محضا فهذين
الطريقين يقرر الشيطان عند الانسان انه لا فائدة فيها واذ فارغ من هذا المقام قال انها
توجب التعب والمحنة وذلك اعظم المضار فهذه مجامع تلبس الشيطان ق قوله وعدهم
يتناول كل هذه الاقسام قال المفسرون قوله وعدهم اى بأنه لاجنة ولا نار وقال آخرون
وعدهم بتسويق التوبة وقال آخرون وعدهم بالاماني الباطلة مثل قوله لا آدم
ما نها كما ربكنا عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقال آخرون
وعدهم بشفاعة الاصنام عند الله تعالى وبالانساب الشريفة واثار العاجل على
الآجل وبالجملة فهذه الاقسام كثيرة وكلها داخلية في الضبط الذي ذكرناه وان اردت
الاستقصاء في هذا الباب فطالع كتاب ذم الغرور من كتب احياء علوم الدين للشيخ الغزالي

فصوت بهم صوتا يزعمهم من
اما كنهم ويقلهم من مما تركهم
واجب عليهم بجنده من خيالة
ورجالة حتى امتثالهم (وشاركهم
في الاموال) بمسلمهم على كسبها
وجمعها من الحرام والتصرف
فيها على ما لا ينبغي (والاولاد)
بالحث على التوصل اليهم بالاسباب
الحرمية والاشراك كتميتهم
بعبد العزى والتضليل بالحل على
الاديان الزائفة والحرف الذميمة
والافعال الغيبية (وعدهم)
المواهب الباطلة كمشافة
الالهة والانتكال على كرامة
الآباء وتأخير التوبة بتطويل
الامل (وما يهدم الشيطان
الاعرورا) اعراض لبيان شأن
مواعيد والاتقصات الى الغيبة
لتقوية معنى الاعتراض مع
ما فيه من صرف الكلام عن
خطايه وبيان شأن الناس ومن
الاشعار بعلمه شيطنته للغرور
وهو تزيين الخطايا بما يوحى انه
صواب (ان عبادي) الاضافة
للتشريف وهم المخلصون وفيه
ان من تبعه ليس منهم وان
الاضافة لثبوت الحكم في قوله
تعالى (ليس لك عليهم سلطان) اى
تسلط وقدره على اغوائهم كقوله
تعالى انه ليس له سلطان على الذين
آمنوا وعلم ربهم يتوكلون (وكفى
بربك وكلا) لهم يتوكلون عليه
ويستندون به في التخلص من
اغوائهم والتعرض لوصف

حتى يحيط عقلك بجماع تليس ابليس واعلم ان الله تعالى لما قال وعدهم اردفه بما يكون زاجرا عن قبول وعده فقال وما بعدهم الشيطان الاغروا والسبب فيه انه انما يدعو الى احكام امور ثلاثة قضاء الشهوة وامضاء الغضب وطلب الرئاسة وعلو الدرجة ولا يدعو البتة الى معرفة الله تعالى ولا الى خدمته وتلك الاشياء الثلاثة معنوية من وجوه كثيرة (احدها) انها في الحقيقة ليست لذات بل هي خلاص عن الاكلام (وثانيها) وان كانت لذات لكنها لذات خسية مشتركة فيها بين الكلاب والديدان والخنافس وغيرها (وثالثها) انها سريعة الزوال والانهيار والانقضاء والانقراض (ورابعها) انها لا تحصل الاجتماع كثيرة ومشاق عظيمة (وخامسها) ان لذات البطن والفرج لا تتم الا بمزاولة رطوبات عفنة مستقرة (وسادسها) انها غير باقية بل يتبعها الموت والهرم والفقر والحسرة على القوت والخوف من الموت فلما كانت هذه المطالب وان كانت لذبة بحسب الظاهر الا انها بمزوجة بهذه الآفات العظيمة والمحافات الجسيمة كان الترغيب فيها تقريراً ولهذا المعنى قال تعالى وما بعدهم الشيطان الاغروا واعلم انه تعالى لما قال له افعل ما تقدر عليه فقال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وفيه قولان (الاول) ان المراد كل عباد الله من المكلفين وهذا قول ابي علي الجبائي قال والدليل عليه انه تعالى استثنى منه في آيات كثيرة من يتبعه بقوله الا ان اتبعك ثم استدل بهذا على انه لا سبيل لابليس وجنوده على تصريع الناس وتخبط عقولهم وانه لا قدرة له الا على قدر الوسوسة واكد ذلك بقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم وايضا قلوقد على هذه الاعمال لكان يجب ان يخبط اهل الفضل واهل العلم دون سائر الناس ليكون ضرره اعظم ثم قال وانما يزول عقله لا من جهة الشيطان لكن لغلبة الاخلاط الفاسدة ولا يمنع ان يكون احدا سبب ذلك المرض اعتقاد ان الشيطان يقدم عليه فيغلب الخوف عليه فيحدث ذلك المرض (والقول الثاني) ان المراد بقوله ان عبادي اهل الفضل والعلم والايان لما بينا فيما تقدم ان لفظ العباد في القرآن مخصوص بأهل الايمان والدليل عليه انه قال في آية اخرى انما سلطانه على الذين يتولونه ثم قال وكفى بربك وكيلاً وفيه بحثان (الاول) انه تعالى لمامكن ابليس من ان يأتي بأقصى ما يقدر عليه في باب الوسوسة وكان ذلك سببا لحصول الخوف الشديد في قلب الانسان قال وكفى بربك وكيلاً ومعناه ان الشيطان وان كان قادراً والله تعالى اقدر منه وارجح بعباده من الكل فهو تعالى يدفع عنه كيد الشيطان وبعضه من اضلاله واغوائه (البحث الثاني) هذه الآية تدل على ان المعصوم من عصمه الله تعالى وان الانسان لا يمكنه ان يحتوز بنفسه عن مواقع الضلالة لانه لو كان الاقدام على الحق والاجام عن الباطل انما يحصل للانسان من نفسه لوجب ان يقال وكفى الانسان نفسه في الاحتراز عن الشيطان فلما لم يقل ذلك بل قال وكفى بربك علما ان الكل من الله ولهذا قال المحققون

الروية المبنية عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعنى سلب قدرته على اغوائهم (ربكم الذي يزيح لكم الغلث في البحر) مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالاً بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لئلا تفككم الغلث ويحير بها في البحر (لتبتغوا من فضله) من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو عطية ومن من يدة او تبعية وهذا تذكري لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكلمة لا من من قوله تعالى فلا يملكون الآية (انه كان بكم) ازلا وابد (رحماً) حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسبل عليكم ما يصر من مبادئه وهذا تدليل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لا بتقاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدينية والنعمة المعالجة المنقحة الى الجلية والخيرة (واذا مسكم الضر في البحر) خوف الفرق فيه (مثل من تدعون) أي ذهب عن خواطرهم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة او المسح او غيرهم (الا اياه) وانه من غير ان يخطر ببالكم احدهم وتدعوه لكشفه استلزام لاواشراكاً

لاحول عن معصية الله الابصمة الله ولا قوة على طاعة الله الاتوفيق الله بقى في الآية
سؤالان (السؤال الاول) ان ابليس هل كان عالما بأن الذي تكلم معه بقوله واستغفر
من استطعت منهم هو الله العالم اول يعلم ذلك فان علم ذلك ثم انه تعالى قال فان جهنم جزاءكم
جزاء موفورا فكيف لم يصرف هذا الوعيد الشديد مانعاه من المعصية مع انه سمعه من الله
تعالى من غير واسطة وان لم يعلم ان هذا القاتل هو الله العالم فكيف قال رأيتك هذا الذي
كرمت على والجواب لعله كان شاكيا في الكل او كان يقول في كل قسم ما يخاطر به الله على
سبيل الظن (والسؤال الثاني) ما الحكمة في انه تعالى انظره الى يوم القيامة ومكثه من
السوسة والحكيم اذا أراد أمرا وعلم ان شيئا من الاشياء يمنع من حصوله فانه لا يسعى
في تحصيل ذلك المانع والجواب امامه ههنا فظاهر في هذا الباب واما المعترلة فلهم قولان
قال الجبائي علم الله تعالى ان الذين كفروا عند سوسة ابليس يكفرون بتقدير ان لا يوجد
ابليس واذا كان كذلك لم يكن في وجوده مزيد مفسدة وقال ابو هاشم لا ينبغي ان يحصل
من وجوده مزيد مفسدة الا انه تعالى اياه تشديدا للتكليف على الخلق ليستحقوا بسبب
ذلك التشديد مزيد الثواب وهذا الوجهان قد ذكرناهما في سورة الاعراف والجر
وبالغنا في الكشف عنهما والله اعلم **قوله تعالى (ربكم الذي يرزقكم الفلك في البحر**
لتنبتوا من فضله انه كان بكم رحما واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه
فلما نجيا الى البرا عرضتم وكان الانسان كفورا افأنتم ان تحسف بكم جانب البرا وترسل
عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام أنتم ان تعبدكم فيه تارة اخرى وترسل عليكم
قاصفا من الريح ففرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا تبعا) اعلم انه تعالى عاد
الى ذكر الدلائل الدالة على قدرته وحكمته ورحمته وقد ذكرنا ان المقصود الاعظم
في هذا الكتاب الكريم تقرير دلائل التوحيد فاذا امتد الكلام في فصل من الفصول
عاد الكلام بعده الى ذكر دلائل التوحيد والمذكور ههنا الوجوه المستنبطة من
الانعامات في احوال ركوب البحر (فالنوع الاول) كيفية حركة الفلك على وجه البحر
وهو قوله ربكم الذي يرزقكم الفلك في البحر والجزاء سوق الشيء حالا بعد حال
وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله بضاعة مزجاة والمعنى ربكم الذي يسير الفلك على وجه البحر
لتنبتوا من فضله في طلب التجارة انه كان بكم رحما والخطاب في قوله ربكم وفي قوله انه
كان بكم عام في حق الكل والمراد من الرحمة منافع الدنيا ومصالحها (والنوع الثاني) قوله
واذا مسكم الضر في البحر والمراد من الضر الخوف الشديد كخوف الفرق ضل من
تدعون الاياه والمراد ان الانسان في تلك الحالة لا يتضرع الى الصنم والشمس والقمر
والملك والفلك وانما يتضرع الى الله تعالى فلما نجياكم من الفرق والبحر واخرجكم الى البر
اعرضتم عن الايمان والاخلاص وكان الانسان كفورا لنعم الله بسبب ان عند الشدة
يتسك بفضله اورجته وعند الرخاء والراحة يعرض عنه ويتسك بغيره (والنوع الثالث)

او ضل كل من تدعونه من
انفسكم واتخاذكم ولم يقدر على
ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع
(فلما نجياكم) من الفرق وواصلكم
(الى البرا عرضتم) عن التوحيد
او اتستم في كفران النعمة وكان
الانسان كفورا) تعليل لما
سبق من الاعراض (افأنتم)
الهمزة للانكار والفاء للعطف
على محذوف تقديره انجوتكم
فأنتم (ان يحسف بكم جانب
البر) الذي هو ما منكم اى يقبله
مكتسبا بكم او يسبب كونكم فيه
وفى زيادة الجانب تبييه على
تساوى الجوانب والجهات
بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى
وقهره وسلطانه وقري: ينون
المظنة (او يرسل عليكم) من
فوقكم وقري بالنون (حاصبا)
ريحا ترمى بالحصى (ثم لا تجدوا
لكم وكيلا) يحفظكم من ذلك
او يصرفه عنكم فانه لا اراد لاسمه
الغالب (ام أنتم ان يعيدكم
فيه) في البحر او ثرت كفة على
كفة الى المذبذبة عن مجرد الانتهاء
للدلالة على استقرارهم فيه (تارة
اخرى) استناد الاعادة اليه تعالى
مع ان العود دليه باختيارهم
باعتبار خلق الدواعي المحيطة بهم
الى ذلك وفيما جاء الى كمال شدة
هول ما لا قوة في التارة الاولى
يحيث لولا الاعادة لما عادوا
(فيوسل عليكم) واتم في البحر

قوله أفأنتم أن تخسف بكم جانب البر قال الليث الخسف والخسوف هو دخول الشيء في الشيء يقال عين خاسفة وهي التي غابت حدقتها في الرأس وعين من الماء خاسفة أي غائرة الماء وخسفت الشمس أي اضمحبت وكأثما وقعت تحت حجاب ودخلت في حجر
 قوله أن تخسف بكم جانب البر أي تغميكم في جانب البر وهو الأرض وإنما قال جانب البر لأنه ذكر البحر في الآية الأولى فهو جانب البر وجانب البحر الله تعالى أنه كما قدر على أن يغميهم في الماء فهو قادر أيضا على أن يغميهم في الأرض فالفرق تغميب تحت الماء كما أن الخسف تغميب تحت التراب وتقرير الكلام أنه تعالى ذكر في الآية الأولى أنهم كانوا خائفين من هول البحر فلما نجاهم منه آمنوا فقال هب أنكم نجوتم من هول البحر فكيف آمنتم من هول البر فإنه تعالى قادر على أن يسلط عليكم آفات البر من جانب تحت أو من جانب فوق أمان جانب التحت فبالخسف وأما من جانب فوق فبامطار الحجارة عليهم وهو المراد من قوله أو ترسل عليكم حاصبا فكما لا يتضرعون إلا إلى الله تعالى عند ركوب البحر فكذلك يجب أن لا يتضرعوا إلا إليه في كل الأحوال ومعنى الخسف في اللغة الرمي يقال حصبت حصبا حصبا إذا رميت والحصب الرمي ومنه قوله تعالى حصب جهنم أي يلقون فيها ومعنى قوله حاصبا أي عذابا يحصيهم أي يرميهم بحجارة ويقال لريح التي تحمل التراب والحصبا حاصب والصحاب الذي يرمي بالثلج والبرد يسمى حاصبا لأنه يرمي بهما رميا وقال الزجاج الحاصب التراب الذي فيه حصبا والحاصب على هذا ذو الحصباء مثل اللابن والتامر وقوله ثم لا تجدوا لكم وكلا يعني لا تجدوا ناصرا ينصركم ويصونكم من عذاب الله ثم قال أم أمتن أن نعيدكم فيه أي في البحر تارة أخرى وقوله فنزل عليكم قاصفا من الريح القاصف الكاسر يقال قصف الشيء يقصفه قصفا إذا كسره بشدة والقاصف من الريح التي تكسر الشجر وأراد ههنا يحاشد به تقصف الفلك وتفرقهم وقوله ففرقكم بما كفرتم أي بسبب كفركم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبعه قال الزجاج أي لا تجدوا من يتبعنا إنكار ما نزل بكم بأن يصرفه عنكم ويتبع بمعنى تابع وأعلم أن هذه الآية مشتقة على الفاظ خسفة وهي قوله أن تخسف أو ترسل أو نعيدكم فنزل ففرقكم قرأ ابن كثير وأبو عمرو جميع هذه الحجة بالنون والباقيون بالياء فن قرأ بالياء فلان ما قبله على الواحد الغائب وهو قوله إلا ياء فلانجاكم ومن قرأ بالنون فلان هذا البحر من الكلام فتيقظ بعضه من بعض وهو سهل لأن المعنى واحد ألا ترى أنه قد جاء وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تجدوا من دوني وكلا فانتقل من الجمع إلى الأفراد وكذلك ههنا يجوز أن ينتقل من الغيبة إلى الخطاب والمعنى واحد والكل جائز والله أعلم
 قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) أعلم أن المقصود من هذه الآية ذكر نعمة أخرى جليلة ربيعة من نعم الله تعالى على الإنسان وهي الأشياء التي بها فضل الإنسان على غيره

وقرى بالنون (فأصفا من الريح) وهي التي لا تمر بشيء إلا كسرتة ومعلنه كالريم أو التي لها نصيف وهو الصوت الشديد كما أنها تنصف فيتكسر (فيفر فكم) بعد كسر فكم كما يأتي عنه عنوان القصف وقرى بالنون وبالنون على الاستناد إلى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب الإتيان (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) أي نائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا ما ودر كالتأمر من جهتنا كقوله سبحانه ولا تحاف عبيها (ولقد كرمنا بني آدم) قابلية تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم أي كرمناهم بالصورة والمقامة المعتدلة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جلته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أن كل حيوان يتناول طعامه بغيره إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده ومقابل من شركة القرود له في ذلك مبنى على عدم الفرق بين اليد والرجل فإنه يتناول له برجله التي يطأها القاذورات لا يديه (وحملناهم في البر والبحر) على الدواب والسفن من حملنا إذا جعلت له ما يركبه وليس من الخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيها حيث لم تخسف بهم الأرض ولم نفرقهم بالهوانت خبير بان

وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية اربعة انواع (النوع الاول) قوله ولقد كرمنا بني آدم واعلم ان الانسان جوهر مركب من النفس والبدن فالنفس الانسانية اشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي وبذنه اشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي وتقرير هذه الفضيلة في النفس الانسانية هي النفس الانسانية قواها الاصلية ثلاث وهي الاغذاء والنمو والتوليد والنفس الحيوانية لها قوتان الحساسة سواء كانت ظاهرة او باطنة والحركة بالاختيار فهذه القوى الخمسة اعني الاغذاء والنمو والتوليد والحس والحركة حاصله للنفس الانسانية ثم ان النفس الانسانية مختصة بقوة أخرى وهي القوة العاقلة المدركة لحقائق الاشياء كما هي وهي التي تجلي فيها نور معرفة الله تعالى ويشرق فيها ضوء كبريائه وهو الذي يطلع على اسرار على الخلق والامر ويحيط بأقسام مخلوقات الله من الارواح والاجسام كما هي وهذه القوة من تلقب الجواهر القدسية والارواح المجردة الالهية فهذه القوة لانسيبة لها في الشرف والفضل الى تلك القوى الخمسة البتية والحيوانية واذا كان الامر كذلك ظهر ان النفس الانسانية اشرف النفوس الموجودة في هذا العالم وان اردت ان تعرف فضائل القوة العقلية ونقصانات القوى الجسمية فتأمل ما كتبت في هذا الكتاب في تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض فاننا ذكرنا هناك عشرين وجها في بيان ان القوة العقلية اجل واعلى من القوة الجسمية فلا فائدة في الاعداء وامايان ان البدن الانساني اشرف اجسام هذا العالم فالفسرون اتسواذكروا في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم هذا النوع من الفضائل وذكروا الاشياء (احداها) روى ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله ولقد كرمنا بني آدم قال كل شيء بأكل بفيه الا ابن آدم فانه يأكل بيده وقيل ان الرشيد احضرت عنده اطعمة فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في التفسير عن جدك في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع يأكلون بها فرد الملاحق واكمل بأصابعه (وثانها) قال الضحك بالنطق والتجيز وتحقيق الكلام ان من عرف شيئا فاما ان يحجز عن تعريف غيره كونه عارفا بذلك الشيء او يقدر على هذا التعريف (اما القسم الاول) فهو حال جلة الحيوانات سوى الانسان فانه اذا حصل في باطنها الم اولدة فانها تججز عن تعريف غيرها تلك الاحوال تعريفا تاما وافييا (واما القسم الثاني) فهو الانسان فانه يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه ووقف عليه واحاط به فكونه قادر على هذا النوع من التعريف هو المراد بكونه ناطقا وبهذا البيان ظهر ان الانسان الاخرس داخل في هذا الوصف لانه وان عجز عن تعريف غيره ما في قلبه بطريق اللسان فانه يمكنه ذلك بطريق الاشارة وبطريق الكتابة وغيرهما ولا يدخل فيه البغساء لانه وان قدر على تعريفات قليلة فلا قدر له على تعريف جميع الاحوال على سبيل الكمال والتمام (وثالثها) قال عطاء بامتداد القامة واعلم ان هذا الكلام غير تام لان الاشجار اطول من قامته الانسان بل

الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك (ورزقناهم من الطيبات اي فنون النعم وضروب المستلزمات مما يحصل بصرهم ويغير صنعهم) (وفضلناهم) في العلوم والادراكات بما كنفناهم من القوى المدركة التي بها يتجزأ الحق من الباطل والحسن من القبح (على كبر من خلقنا) وهم من عدا الملائكة عليهم الصلاة والسلام (تفضيلا) عظيمافق عليهم ان ينكر واغدهم النعم ولا يكفروها ويستملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تميز فضلا عن فضل على من عدا الملائكة الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثنى جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائماً عارية عن الحيل والخل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد هنا بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحا وطالحا ولا يمكن ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه ان قيل اي حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالفضل فان استثناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افرادهم عليهم قلنا

ينبغي ان يشترط فيه شرط وهو طول القامة مع استكمال القوة العقلية والقوى الحسية والحركية (ورايها) قال بحسن الصورة والدليل عليه قوله تعالى وصوركم فأحسن صوركم لما ذكر الله تعالى خلقه الانسان قال فبارك الله احسن الخالقين وقال صبغة الله ومن احسن من الله صبغة وان شئت فتأمل عضوا واحدا من اعضاء الانسان وهو العين فخلق الخدقة سوداء ثم احاط بذلك السواد بياض العين ثم احاط بذلك البياض سواد الاشفاق ثم احاط بذلك السواد بياض الاجفان ثم خلق فوق بياض الجفن سوادا لحاجبين ثم خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة ثم خلق فوق بياض الجبهة سواد الشعر ولكن هذا المثال الواحد نموذج لك في هذا الباب (وخامسا) قال بعضهم من كرامات الأدهى ان آتاه الله الخط وتحقق الكلام في هذا الباب ان العلم الذي بقدر الانسان على استنباطه يكون قليلا اما اذا استنبط الانسان علما وادعه في الكتاب وجاء الانسان الثاني واستعان بذلك الكتاب وضم اليه من عند نفسه اشياء اخرى ثم لازا لونه تعاقبون ويضم كل متأخر مباحث كثيرة الى علم المتقدمين كثرت العلوم وقويت الفضائل والمعارف وانتهت المباحث العقلية والمطالب الشرعية الى اقصى الغايات واكل النهايات ومعلوم ان هذا الباب لا يأتي الا بواسطة الخط والكتابة وهذه القضية الكاملة قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (وسادسا) ان اجسام هذا العالم اما بسائط واما مركبات اما البسائط فهي الارض والماء والهواء والنار والانسان ينفع بكل هذه الاربعة اما الارض فهي لنا كالام الحاضنة قال تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وقد سماها الله تعالى بأسماء بالنسبة اليها وهي الفراش والمهد والمهاد واما الماء فانتفاعنا به في الشرب والزراعة والحراثة ظاهر وايضا سحر البحر لناكل منه لحما ريا ونستخرج منه حلية نلبسها ونرى الفلك مواخر فيه واما الهواء فهو مادة حياتنا ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على هذه المعمورة واما النار فيها طبخ الاغذية والاشربة ونضجها وهي قائمة مقام الشمس والقمر في اليبالي المظلمة وهي الدافعة لضرر البرد كما قال الشاعر

ومن يرد في الشتاء فأكفة * فان نار الشتاء فأكفته

لا بد من تعيينه البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا بل هم ادنى من كل دني حسبا ينبي عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين ككفروا (يوم ندعوا) نصب على المعغولية باضيار اذكرا ونظر لمدل عليه قوله تعالى ولا يظنون وقرئ بالياء على البناء للفاعل والمفعول ويدهو بقلب الالف واوا على لغة من يقول في افى افو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسمروا انتم في اوضيروه وكل بدلا منه والنون محذوفة لغته المبالاة بها فانها ليست بالاعلامه الرفع وقد يكتفى بتقديره كافي يدهي (كل الناس) من نبي آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا (باممهم) اي بمن اتوا به من نبي او تقدم في الدين وكتاب او دين وقيل بكتابتهم اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب اخبر يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام جمع ام تكف وخفاف والحكمة في دعوتهم بأفعالهم اجلال عيسى عليه السلام

وأما المركبات فهي اما الأكار العلوية واما المعادن والنبات واما الحيوان والانسان كما استولى على هذه الاقسام والمتنوع بها المستخير لكل اقسامها فهذا العالم بأسره جار مجرى قرية معمورة او خان معد وجبج منافعها ومصالحها مصروفة الى الانسان والانسان فيه كالرئيس المخلوم والملك المطاع وسائر الحيوانات بالنسبة اليه كالعبيد وكل ذلك يدل على كونه مخصوصا من عند الله بمزيد التكريم والتفضيل والله اعلم (وسابعها) ان المخلوقات تنقسم الى اربعة اقسام الى ما حصلت له القوة العقلية الحكمية ولم تحصل له القوة الشهوانية الطبيعية وهم الملائكة والى ما يكون بالعكس

وهم البهائم والى ما خلعتن القميين وهو النبات والجمادات والى ما حصل النوعان فيه
 وهو الانسان ولا شك ان الانسان لكونه مستجيبا للقوة العقلية القدسية المحضة وللقوى
 الشهوانية البهيمية والفضلية والسبعية يكون افضل من البهيمية ومن السبعية ولا شك
 ايضا انه افضل من الاجسام الخالية عن القوتين مثل النبات والمعادن والجمادات واذا
 ثبت ذلك ظهر ان الله تعالى فضل الانسان على اكثر اقسام المخلوقات * بقی ههنا بحث في ان
 الملك افضل ام البشر والمعنى ان الجوهر البسيط الموصوف بالقوة العقلية القدسية
 المحضة افضل ام البشر المستجمع لهاتين القوتين وذلك بحث آخر (وثامنا) الموجود اما
 ان يكون ازليا وابديا معا هو الله سبحانه وتعالى واما ان يكون لازليا ولا بديا وهو عالم
 الدنيا مع كل ما فيه من المعادن والنبات والحيوان وهذا اخس الاقسام واما ان يكون
 ازليا لا بديا وهو الممتنع الوجود لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه واما ان لا يكون ازليا
 ولكنه يكون ابديا وهو الانسان والملك ولا شك ان هذا القسم اشرف من القسم الثاني
 والثالث وذلك يقتضى كون الانسان اشرف من اكثر مخلوقات الله تعالى (وتاسعا)
 العالم العلوى اشرف من العالم السفلى وروح الانسان من جنس الارواح العلوية
 والجواهر القدسية فليس في موجودات العالم السفلى شئ حصل فيه شئ من العالم
 العلوى الا الانسان فوجب كون الانسان اشرف موجودات العالم السفلى (وعاشرا)
 اشرف الموجودات هو الله تعالى واذا كان كذلك فكل موجود كان قربه من الله
 تعالى اتم وجبان يكون اشرف لكن اقرب موجودات هذا العالم من الله هو الانسان
 بسبب ان قلبه مستنير بمعرفة الله تعالى ولسانه مشرف بذكر الله وجوارحه واعضائه
 مكرمة بطاعة الله فوجب الجزم بأن اشرف موجودات هذا العالم السفلى هو الانسان
 ولما ثبت ان الانسان موجود ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بإيجاد الواجب
 لذاته ثبت ان كل ما حصل للانسان من المراتب العالية والصفات الشريفة فهى اما
 حصلت بإحسان الله تعالى وانعامه فلهذا المعنى قال تعالى ولقد كرمتنا بنى آدم ومن تمام
 كرامته على الله تعالى انه تعالى لما خلقه في اول الامر وصف نفسه بأنه اكرم فقال
 اقرأ باسم ربك الذى خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ووصف
 نفسه بالكرم عند تربته للانسان فقال ولقد كرمتنا بنى آدم ووصف نفسه بالكرم في
 آخر احوال الانسان فقال يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وهذا يدل على انه لانهية
 لكرم الله تعالى ولفضله واحسانه مع الانسان والله اعلم (والوجه الحادى عشر) قال
 بعضهم هذا التكرم معناه انه تعالى خلق آدم بيده وخلق غيره بطريق كن فيكون ومن
 كان مخلوقا بيد الله كانت العناية به اتم واكمل وكان اكرم واكمل ولما جعلنا من اولاده
 وجب كون بنى آدم اكرم واكمل والله اعلم (النوع الثانى) من المدايح المذكورة في
 هذه الآية قوله وجعلناهم في البر والبحر قال ابن عباس في البر على اكل الخيل والبغال والحمير

(والابل)

وتشرى في الحسين رضى الله
 عنها والسر على اولاد الرنا
 (فن اوى) يومئذ من اولئك
 المدعوين (كتابه) صحيفة
 اعماله (بينه) امانة الخطر
 الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه
 وتبشيره من اول الامر بما في
 مطاوعه (فاولئك) اشار الى
 من باعتبار معناه ايدانا بأنهم
 حزب مجتهد على شأن جليل
 او شعارا بأن قرانهم لكتبهم
 تكون على وجه الاجتماع لا على
 وجه الانفرد كما في حال الايتام
 وما فيه من الدلالة على البعد
 للاشعار برتبة درجاتهم اى
 اولئك المختصون بتلك لكرامة
 التى يشعرون بها الايتام المزبور
 (يقرؤن كتابهم) الذى اوتوه
 على الوجه المبين بفحوا بما
 سطر فيه من الحساب المستنبطة
 لفنون الكرامات (ولا يظنون)
 اى لا يتقصون من اجوراع الهيم
 المرتبة في كتبهم بل يؤثرونها
 مضاعفة (قتيل) اى قدر قتل وهو
 القشرة التى في شق النواة او ادنى
 شئ فان القتل مثل فى القلة
 والمقارة (ومن مكان) من
 المدعوين المذكورين (فى هذه)
 الدنيا التى قبل بهم فيها ما قبل
 من فنون التكرم والتفضل
 (اعلم) فاقد البصيرة لا يهتدى
 الى رشده ولا يعرف ما اوليائه
 من نعمة التكرمة والتفضل
 فضلا عن شكرها والقيام
 بحقوقها ولا يستعمل

والابلو في البحر على السفن وهذا أيضا من مؤكدات التكريم المذكور اولا لانه تعالى
 سخر هذه الدواب له حتى يركبها ويحمل عليها ويغزو ويقاتل ويذب عن نفسه وكذلك
 تخيير الله تعالى المياه والسفن وغيرها ليركبها وينقل عليها ويتكسب بها مما يختص به
 ابن آدم كل ذلك بمنايل على ان الانسان في هذا العالم كالرئيس المتبوع والملك المطاع وكل
 ماسواه فهو رعيته وتبع له (النوع الثالث) من المدايح قوله ورزقناهم من الطيبات
 وذلك لان الاغذية اما حيوانية واما نباتية وكلا القسمين انما يغتذى الانسان منه باللطيف
 انواعها واشرف اقسامها بعد التقفية التامة والطبخ الكامل والتضج البالغ وذلك بما
 لا يحصل للانسان (النوع الرابع) قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وههنا
 بحثان (البحث الاول) انه قال في اول الآية ولقد كرمانا بنى آدم وقال في آخرها وفضلناهم
 ولابد من الفرق بين هذا التكريم والتفضيل والازم التكرار والاقرب ان يقال انه تعالى
 فضل الانسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والخط
 والصورة الحسنة والقامة المديدة ثم انه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم
 لاكتساب العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل
 (البحث الثاني) انه تعالى لم يقل وفضلناهم على الكل بل قال وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
 تفضيلا فهنا يدل على انه حصل في مخلوقات الله تعالى شيء لا يكون للانسان مفضلا عليه
 وكل من اثبت هذا القسم قال انه هو الملائكة فزعم القول بان الانسان ليس افضل من
 الملائكة بل الملك افضل من الانسان وهذا القول مذهب ابن عباس واختيار الزجاج
 على ما رواه الواحدي في البسيط واعلم ان هذا الكلام مشتمل على بحثين (احدهما) ان
 الانبياء عليهم السلام افضل ام الملائكة وقد سبق ذكر هذه المسئلة بالاستقصاء في سورة
 البقرة في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (والبحث الثاني) ان عوام
 الملائكة وعوام المؤمنين ايهما افضل منهم من قال تفضيل المؤمنين على الملائكة
 واحتجوا عليه بما روى عن زيد بن اسلم انه قال قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بنى آدم
 الدنيا يأكلون فيها ويتعمون ولم تعطنا ذلك فأعطينا ذلك في الآخرة فقال وعزق وجلالي
 لا اجعل ذرية من خلقت يدي كن قتلته كن فكان وقال ابو هريرة رضى الله عنه المؤمن
 اكرم على الله من الملائكة الذين عنده هكذا اورده الواحدي في البسيط واما القائلون
 بان الملك افضل من البشر على الاطلاق فقد عولوا على هذه الآية وهو في الحقيقة تسمك
 بدليل الخطأ لان تقرير الدليل ان يقال ان تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان الحال
 في القليل بالضد وذلك تسمك بدليل الخطأ والله اعلم قوله تعالى (يوم ندعو اكل اناس
 بامامهم فمن اتوا تبيينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظنون قبلا ومن كان في هذه اعمى
 فهو في الآخرة اعمى واصل سيلنا) اعلم انه تعالى لما ذكر انواع كرامات الانسان في الدنيا
 ذكر احوال درجاته في الآخرة في هذه الآية وفيها مسائل (المسئلة الاولى) قرئ يدعو

ما اودعناه فيه من العقول والقوى فيما خلقه من العلوم والمعارف الحقة (فهو في الآخرة) التي عبر عنها يوم ندعو (اعمى) كذلك اى لا يهتدى الى ما نجيحه ولا يظفر بما يهديه لان العلم الاول موجب للثاني وقد جوزكون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماء في الآخرة اشد من عماء في الدنيا ولذلك قرأ ابو عمرو الاول عمالا والثاني مقضيا (واصل سيلنا) اى من الاعى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذى أوتى كتابه سبحانه بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذى يستدعيه حسن المقالة حسبا هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق الايدان بالعمد الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى واما ان كان من اصحاب اليمين وللمزالي علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجسائين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمتكور في كل منهما على المتكور في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله من وعلاوان يمسك الله بضرفه فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله (وان كادوا ليفتنوك) نزلت في تنقيف اذ قالوا للنبى صلى الله عليه

بالباء والنون ويدعى كل أناس على البناء للفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس قال
 القراء وأهل العربية لا يعرفون وجها لهذه القراءة المنقولة عن الحسن ولعله قرأ يدعى
 بقية مزوجة بالضم فظن الراوي أنه قرأ يدعو (المسئلة الثانية) قوله يوم يدعو نصب
 بأضار ذكر ولا يجوز أن يقال العامل فيه قوله وفضلناهم لأنه فعل ماض ويمكن أن
 يحجب عنه فيقال المراد وتفضلهم بما نعطهم من الكرامة والثواب (المسئلة الثانية)
 قوله بامامهم الامام في اللغة كل من ائتم به قوم كانوا على هدى او ضلالة فالنبي امام امته
 والخليفة امام رعيته والقرآن امام المسلمين وامام القوم هو الذي يقتدون به في الصلاة
 وذكروا في تفسير الامام ههنا اقوالا (الاول) امامهم نبيهم روى ذلك مرفوعا عن ابي
 هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى أنه ينادى يوم القيامة
 يا امة ابراهيم يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبياء
 فيأخذون كتبهم بامانهم ثم ينادى يا تابع فرعون يا تابع نمرود يا تابع فلان وفلان من
 رؤساء الضلال واكابر الكفر وعلى هذا القول قلبه في قوله بامامهم فيه وجهان
 (الاول) ان يكون التقدير يدعو كل اناس بامامهم تبعوا وشيعة لامامهم كما تقول ادعوك
 باسمك (والثاني) ان يتعلق بمحذوف وذلك المحذوف في موضع الحال كأنه قيل يدعو كل
 اناس مختلطين بامامهم اى يدعوون وامامهم فهم نحو ركب بجنوده (والقول الثاني)
 وهو قول الضحاك وابن زيد بامامهم اى بكتبهم الذي انزل عليهم وعلى هذا التقدير ينادى
 في القيامة يا اهل القرآن يا اهل التوراة يا اهل الانجيل (والقول الثالث) قال الحسن
 بكتبهم الذي فيه اعمالهم وهو قول الربيع وابي العالية والدليل على ان هذا الكتاب
 يسمى اماما قوله تعالى وكل شئ احصيناه في امام مبين فسمى الله تعالى هذا الكتاب اماما
 وتقدير الباء على هذا القول بمعنى مع اى يدعو كل اناس ومعهم كتبهم كقولك اردفه اليه
 برمته اى ومع رمته (القول الرابع) قال صاحب الكشف ومن بدع التفسير ان الامام
 جمع ام وان الناس يدعوون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمه في الدعاء بالامهات دون
 الاباء رعاية حق عيسى و اظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولادنا ثم قال
 صاحب الكشف ولبت شعري ايها ابداع صحة لفظه ام بيان حكمته (والقول
 الخامس) اقول في اللفظ احتمال آخر وهو ان انواع الاخلاق الفاضلة والفاصلة كثيرة
 والمستولى على كل انسان نوع من تلك الاخلاق فممن من يكون الغالب عليه الغضب
 وممن من يكون الغالب عليه شهوة النقود او شهوة الضياع وممن من يكون الغالب
 عليه الحقد والحسد وفي جانب الاخلاق الفاضلة منهم من يكون الغالب عليه الفقه
 او الشجاعة او الكرم او طلب العلم والزهد اذا عرفت هذا فنقول الداعى الى الافعال
 الظاهرة من تلك الاخلاق الباطنة فذلك انطلق الباطن كالامام له الملك المطاع
 والرئيس المتبوع فيوم القيامة انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة

وسلم لا تدخل في اسرك حتى
 تعطينا خضا لا نفخر بها على
 العرب لا نعشر ولا نعشر ولا نجبي
 في صلاتنا وكل ربنا نفاهو لنا وكل
 ربنا علينا فهو موضوع عنا وان
 تمنعنا باللات سنة وان تحرم
 وادينا وج كما حرم مكة فاذا قالت
 العرب لم فعلت قل ان الله امرني
 بذلك وقيل في فريش حيث قالوا
 اجعل لنا آية عذاب آية رجوة وآية
 رجوة آية عذاب وقالوا لا نمكنا
 من استلام الحجر حتى تلم يا لهتنا
 فان محقة من المشددة وضير
 الشأن الذي هو اسمها محذوف
 واللام هي الفارقة بينها وبين
 النافية اى ان الشأن قاربوا ان
 يقتولوا اى يدعو لك فأتين (من
 الذي أوحينا اليك) من او امرنا
 ونواهيانا وعدنا وعيدنا لا لتفترى
 علينا غيره لتقول علينا غير الذي
 اوحينا اليك مما اقترجته تحيف
 او فريش حسيا نقل (واذن
 لا تخذوك خيلا) اى لو اتيت
 اهواه لم لكنت لهم وليا
 ولخرجت من ولايتي (ولو لان
 ثبلك) على ما نبت عليه من الحق
 بصمتنا لك (لقد كدت تركن اليهم
 شيئا قليلا) من الركون الذي هو
 ادنى ميل اى لولا تثبيتنا لك
 لغاربت ان جميل الهم شيئا يسيرا
 من الميل اليسير لقوة خدعهم
 وشدة احتيالهم لكن ادركك
 العمية ففهمنا ان تقرب من
 ادنى مراتب الركون اليهم فضلا

من تلك الاخلاق فهذا هو المراد من قوله يوم تدعو كل اناس بامامهم فهذا الاحتمال خطر
بالناب والله اعلم براده ثم قال تعالى فن اوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم
ولا يظلمون شيئا قال صاحب الكشف انما قال اولئك لان من اوتى في معنى الجمع
والقتيل القشرة التي في شق النواة وسمى بهذا الاسم لانه اذا اراد الانسان استخراجها
انقتل وهذا يضرب مثلاً للشيء الخفي التافه ومثله الهطير والتقير في ضرب المثل به والمعنى
لا ينقصون من الثواب بمقدار قليل ونظيره قوله ولا يظلمون شيئاً فلا يخاف ظملاً ولا هضمًا
وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال القتل هو الوسخ الذي يظهر بقتل الانسان ابهامه
بسببته وهو فعل من القتل بمعنى مقتول فان قيل لم يخص اصحاب العيين بقراءة كتابهم مع
ان اصحاب الشمال يقرؤنه ايضا قلنا الفرق ان اصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه
مشتتاً على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة والمحازي الشديدة فيستولى الخوف
والدهشة على قلوبهم ويتل لسانهم فيجزوا عن القراءة واما اصحاب العيين فأمرهم على
عكس ذلك لاجرم انهم يقرؤون كتابهم على احسن الوجوه واثبتايم لا يكتفون بقراءتهم
وحدهم بل يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابه فظهر الفرق والله اعلم ثم قال
تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واصل سيلاً وفيه مسئلتان (الاولى)
قرأ ابو عمرو وابو بكر عن عاصم ونصر عن الكسائي ومن كان في هذه اعمى بالامالة
والكسر فهو في الآخرة اعمى بالفتح وقرأ بالفتح والتخفيف فيهما ابن كثير ونافع وابن عامر
وحفص عن عاصم وقرأ حزة والكسائي وابو بكر عن عاصم في رواية بالامالة فيهما قال
ابو علي الفارسي الوجه في تصحيح قراءة ابن عمرو ان المراد بالاعمى في الكلمة الاولى كونه في
نفسه اعمى وبهذا التقدير تكون هذه الكلمة تامة فتقبل الامالة واما في الكلمة الثانية
فالمراد من الاعمى اقل التفضيل فكانت بمعنى اقل من وبهذا التقدير لا تكون لفظة
اعمى تامة فلم تقبل الامالة والحاصل ان ادخال الامالة في الاولى دل على انه ليس المراد
اقل التفضيل وتركها في الثانية يدل على ان المراد منها اقل التفضيل والله اعلم (المسئلة
الثانية) لاشك انه ليس المراد من قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
على البصر بل المراد منه عى القلب اما قوله فهو في الآخرة اعمى فقيه قولان (الاول) ان
المراد منه ايضا عى القلب وعلى هذا التقدير فقيه وجوه (الاول) قال عكرمة جاء نمر من
اهل اليمن الى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية فقال اقرأ ما قبلها فقرأ ربكم الذي
يزجي لكم الفلك في البحر الى قوله تفضيلاً قال ابن عباس من كان اعمى في هذه النعم التي
قد رأى وعان فهو في امر الآخرة التي لم يرو ولم يعان اعمى واصل سيلاً وعلى هذا الوجه
فقوله في هذه اشارة الى النعم المذكورة في الآيات المتقدمة (وثانيها) روى ابو روق عن
الضهاك عن ابن عباس قال من كان في الدنيا اعمى عابري من قدرتي في خلق السموات
والارض والبحار والجبال والناس والنواب فهو من امر الآخرة اعمى واصل سيلاً

عن نفس الركون وهذا صريح
قانه عليه الصلاة والسلام ما هم
باجابهم مع قوة الداعي اليها ودليل
على ان النعمة بتوفيق الله تعالى
وعسانته (اذا) لو قاربت ان
ترك النعم اذ في ركنة (لاذتك
ضعف الحيوة وضعف الممات)
اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
ضعف ما يعذب به في الدارين مثل
هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير
خطير وكان اصل الكلام عذاباً
ضعفاً في الحياة وعذاباً بضعفاً في
الممات بمعنى مضعفاً ثم حذف
الموصوف واثبت الصفة مقامه
ثم اضيفت اضافة موصوفها وقبل
الشف من اسماء العذاب وقيل
المراد بضعف الحياة عذاب
الآخرة وبضعف الممات عذاب
الغير (ثم لا نجد لك علينا نصيراً)
يدفع عنك العذاب (وان كادوا)
الكلام فيه كافي الاول اي كاد
اهل مكة (ليستفرونك) اي
ليخرجوك بصدواتهم ومكرهم
(من الارض) اي الارض التي
انت فيها وهي ارض مكة
(ليخرجوك منها واذا اليليتون)
لا يفرحوا عطفاً على خبر كادوا قرئ
لا يلبثوا بالنصب باعمال اذن على
ان اليلة معطوفة على جلة وان
كادوا يستفرونك (خلافك) اي
يعذك قال

خلف الديار خلافهم فكانما
بسط الشواطئ بينهم حصيراً
اي ولو خرجت لا يقون بعد

وابعده عن تحصيل العلم به وعلى هذا الوجه قوله فمن كان في هذه اشارة الى الدنيا وعلى
هذين القولين فالمراد من كان في الدنيا اعنى القلب عن معرفة هذه النعم والدلائل فبان
يكون في الآخرة اعنى القلب عن معرفة احوال الآخرة اولى فالعمى في المرتين حصل
في الدنيا (وثالثها) قال الحسن من كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة اعشى واضل
سبيلاً لانه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته وفي الدنيا يهتدى الى التخلص
عن ابواب الآفات وفي الآخرة لا يهتدى الى ذلك البتة (ورابعها) انه لا يمكن حل العمى
الثاني على الجهل بالله لان اهل الآخرة يعرفون الله بالضرورة فكان المراد منه العمى
عن طريق الجنة اى ومن كان في هذه الدنيا اعشى عن معرفة الله فهو في الآخرة اعشى عن
طريق الجنة (وخامسها) ان الذين حصل لهم عى القلب في الدنيا انما حصلت هذه الحالة
لهم لشدة حرصهم على تحصيل الدنيا وابتهاجم بلذاتها وميلاتها فهذه الرغبة تزداد
في الآخرة وتكبر هناك حسرتهم على فوات الدنيا وليس معهم شئ من انوار معرفة الله
تعالى فيقولون في ظلمة شديدة وحسرة عظيمة فذاك هو المراد من العمى (القول الثاني)
ان يحمل العمى الثاني على عى العين والبصر فمن كان في هذه الدنيا اعشى القلب حشر
يوم القيامة اعشى العين والبصر كما قال ونحشره يوم القيامة اعشى قال رب لم حشرتنى اعشى
وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم. تنسى وقال ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عياً وبكماً وصما وهذا العمى زيادة في عقوبتهم والله اعلم
بقوله تعالى (وان كادوا ليقتونك عن الذى اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا
لا تقول خيلاً ولولا ان نبتاك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً اذا ذنباك ضعف
الحياة وضعف المات ثم لا تجدك علينا نصيراً) اعلم انه تعالى لما عدد في الآيات المتقدمة
اقسام نعمه على خلقه واتبعها بذكر درجات الخلق في الآخرة وشرح احوال السعداء
اردفه بما يجرى مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوساوس ابواب الضلال
والانخداع بكلامهم المشغل على المكر والتليس فقال وان كادوا ليقتونك عن الذى
اوحينا اليك وفي الآية مسائل (المسألة الاولى) قال ابن عباس في رواية عطاء نزلت هذه
الآية في وفد شقيف أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله شططا وقالوا متعنا بالآلات
سنة وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فأبى ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يجهم ففكرروا ذلك الاتماس وقالوا اتانخب ان تعرف العرب فضلنا عليهم
فان كرهت مانقول وخشيت ان تقول العرب اعطيتهم مالم نعطنا فقل الله امرني بذلك
فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وداخلهم الطمع فصاح عليهم عمر وقال أما
ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن الكلام كراهية لما نذرونها فأنزل الله
هذه الآية وروى صاحب الكشاف انهم جاؤا بكتائبهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من محمد رسول الله الى ثقيف لا بعشرون ولا بحشرون فقالوا ولا يسمون فسكت

(رسول)

خروجك وقرى خلقك (الا
قليلاً) الا زماناً قليلاً وقد كان
كذلك فانهم اهلكوا يسيراً بعد
هجرته عليه الصلاة والسلام
وقيل نزلت الآية في اليهود حيث
حسدوا مقام النبي عليه الصلاة
والسلام بالمدينة فقالوا والشام مقام
الانبياء عليهم السلام فان كنت
نبياً فالحق بها حتى تؤمن بك فوقع
ذلك في قلبه عليه الصلاة
والسلام فخرج مرحلة فقلت
فرجع فتم قتل منهم بنو قريظة
واجل بنو النضير قليل (سنة من
قدار سنة قبل ان يرسلنا) نصب
على المصدرة اى سن الله تعالى
سنة وهى ان يهلك كل امما خرجت
رسولهم من بين الظهور هم فالسنة
تعالى واصابها الى الرسل لانها
سنت لا جملهم على ما ينطبق به قوله
هو ورجل (ولا تجد لسنةنا تحويلاً)
اى تغييراً (انما الصلاة للدولك
الشمس) لزيادها كما بينى عنه قوله
عليه الصلاة والسلام اننى جبريل
عليه السلام لدولك الشمس حين
زالت ففى بي الظهر واشتقاقه
من الدلك لان من نظر اليها حينئذ
يدرك عينه وقيل لفرو بهما من
ذلك الشمس اى غربت وقيل
اصل الدولك الميل فينظم كلام
الحسين واللام للتأنيث مثلاً
في قولك ثلاث خلون (الى غسق
الليل) الى اجتماع ظلمته وهو وقت
صلاة العشاء وليس المراد اقامتها
فما بين الوقتين على وجه

رسول الله ثم قالوا للكتاب لا يتجيبون والكتاب ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب وسيل سيفه وقال اسعرت قلبا مبشرا فريش اسعرا الله قلوبكم نارا فقالوا لسانك كلك اتمانكم محمدا فزلت هذه الآية واعلم ان هذه القصة انما وقعت بالمدينة فلماذا السب قالوا ان هذه الآيات مدنية وروى ان قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى تؤمن بك فزلت هذه الآية وقال الحسن الكفار اخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بمكة قبل الهجرة فقالوا كف يا محمد عن ذم آلها وشتمها فلو كان ذلك حقا كان فلان وفلان بهذا الامر احق منك فوقع في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كيف عن شتم آلهم وعلى هذا التقدير فهذه الآية مكية وعن سعيد بن جبير انه عليه السلام كان يستلم الحجر فتمعه فريش ويقولون لاندعك حتى تستلم آلها فوقع في نفسه ان يفعل ذلك مع كراهية فزلت هذه الآية (المسئلة الثانية) قال الزجاج معنى الكلام كادوا يفتنونك ودخلت ان واللام للتأكيد وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اى يتخذوك فأتين اصل الفتنة الاختبار يقال فتن الصائغ الذهب اذا ادخله النار وأذا به لثيم جديده من رديئه ثم استعملوه في كل من ازال الشيء عن حده وجهته فقالوا فتنه قولهم وان كادوا ليفتنوك عن الذى اوحينا اليك اى يزيلوك ويصرفوك عن الذى اوحينا اليك يعنى القرآن والمعنى عن حكمه وذلك لان في اعطائهم ماسألوا مخالفة لحكم القرآن وقوله لتفتري علينا غيره اى غير ما اوحينا اليك وهو قولهم قل الله امرنى بذلك واذا لا تخذوك خليلا اى لو فعلت ما أرادوا لا تخذوك خليلا واظهروا للناس انك موافق لهم على كفرهم وراض بشركهم ثم قال ولولا ان ثبتناك اى على الحق بعصمتنا اياك لقد كنت تركن اليهم اى تبيل اليهم شيئا قليلا وقوله شيئا عبارة عن المصدر اى ركونا قليلا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم قال قتادة لما زلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تكن لى الى نفسى طرفه عين ثم توعده في ذلك اشد التوعد فقال اذا لاذتناك ضعف الحياة وضعف الممات اى ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة والضعف عبارة عن ان يضم الى الشيء مثله فان الرجل اذا قال لوكيله اعط فلانا شيئا فاعطاه درهما فقال اضعفه كان المعنى ضم الى ذلك الدرهم مثله اذا عرفت هذا فنقول انما حسن اصحاب العذاب في قوله ضعف الحياة وضعف الممات لما تقدم في القرآن من وصف العذاب بالضعف في قوله ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وحاصل الكلام انك لو كنت خوارا للشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همتك لاستحققت بذلك تضعيف العذاب عليك في الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلى عذاب المشرك في الدنيا ومثلى عذابه في الآخرة والسبب في تضعيف

الاستقرار بل اقامة كل صلاة في وقتها الذى عين لها بيان جليل عليه السلام كان اعداد ركعات كل صلاة موكولة الى بيانه عليه السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لما ان الانسان فيا بين هذه الاوقات على القطة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه يشتغله فيما بينهما باليوم ينقطع احداهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وفيل المراد بالصلاة صلاة المغرب والعشاء المذكور بيان لبدئه ومنتهاه واستدلال به على امتداد وقته الى غروب الشفق وقوله تعالى (وقرآن الفجر) اى صلاة الفجر نصب عطف على مفعول اقم اوعلى الاغراء فانه الزجاج وانما سميت قرآناته ركنها كجائسى ركوعا وسجودا واستدلال به على الركنية ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز كون مدار التهور كون القراءة مندوبة فيها لم لوشر بالقراءة في صلاة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون

هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء عليهم السلام اكثر فكانت ذنوبهم اعظم فكانت العقوبة المستحقة عليها اكثر ونظيره قوله تعالى يا نساء النبي من ايات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فان قيل قال عليه السلام من سن سنة سيئة فعله وزره هاو وزر من عمل بها الى يوم القيامة فوجب هذا الحديث انه عليه السلام لورضى بما قالوه لكان وزره مثل وزر كل احد من اولئك الكفار وعلى هذا التقدير يكون عقابه زائدا على الضعف فلنا اثبات الضعف لا يدل على نفي الزائد عليه الا بالبناء على دليل الخطاب وهو حجة ضعيفة ثم قال تعالى ثم لتجد لك علينا نصيرا يعني اذا اذفناك العذاب المضاعف لم تجد احدا يخلصك من عذابنا وعقابنا والله اعلم (المسئلة الثالثة) احج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على صدور الذنب العظيم عنهم من وجوه (الاول) ان الآية دلت على انه عليه السلام قرب من ان يقتل على الله والقرية على الله من اعظم الذنوب (والثاني) انها تدل على انه لولا ان الله تعالى ثبته وعصمه لقرب من ان يركن الي دينهم ويحل الى مذهبهم (والثالث) انه لولا سبق جرم وجناية والا فلا حاجة الى ذكر هذا الوعيد الشديد والجواب عن الاول ان كاد معناه المقاربة فكان معنى الآية انه قرب وقوعه في الفتنة وهذا القدر لا يدل على الوقوع في تلك الفتنة فاذا قلنا كاد الامر ان يضرب فلانا لا ينضم منه انه ضربه والجواب عن الثاني ان كلمة لولا تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره تقول لولا على هلاك عمر معناه ان وجوده على منع من حصول الهلاك لم عرف كذلك ههنا قوله ولولا ان ثبتنا لك قد كدت تركز اليهم معناه انه حصل تثبيت الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان حصول ذلك التثبيت مانعا من حصول ذلك الركون والجواب عن الثالث ان ذلك التهديد على العصية لا يدل على الاقدام عليها والدليل عليه آيات منها قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لا اخذنا منه بالبين ثم لقطعنا منه الوتين ومنها قوله لئن اشركت لتعطين علك ومنها قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين والله اعلم (المسئلة الرابعة) احج اصحابنا على صحة قولهم بانه لا عصمة عن المعاصي الا بتوفيق الله تعالى بقوله ولولا ان ثبتنا لك قد كدت تركز اليهم شيئا قليلا قالوا انه تعالى بين انه لولا تثبيت الله تعالى له لمال الى طريقة الكفار ولا شك ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اقوى من غيره في قوة الدين وصفاء اليقين فلما بين الله تعالى ان بقاء معصومان الكفر والضلال لم يحصل الا بائنة الله تعالى واغاثته كان حصول هذا المعنى في حق غيره اولى قالت المعتزلة المراد بهذا التثبيت اللطاف الصارقة له عن ذلك وهي ما خطر بباله من ذكر وعده وعيده ومن ذكر ان كونه نبيا من عند الله تعالى يمنع من ذلك والجواب لاشك ان هذا التثبيت عبارة عن فعل فعله الله يمنع الرسول من الوقوع في ذلك العمل المحذور فتقول لو لم يوجد مقتضى للاقدام على ذلك العمل المحذور في حق الرسول لما كان الى ايجاد هذا المانع حاجة وحيث وقعت الحاجة

وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلاة الفجر (ان قرآن الفجر) اظهر في مقام الاخبار بالزيادة الاهتمام به (كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخلاص الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجلم الغفير فالآية على تفسير الدولك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لماعدا الظهر والعصر (ومن الليل) قيل هو نصيب على الاغرائى الزم بعض الليل وقيل لا يكون المعنى به حرفا ولا يبعد نفعا كون معناه التبعيض فان ووسع ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بضميرى ثم بعض الليل (فنهجد به) اى ازل والى العبود اى النوم فان صيغة التفعّل تجزى للزالة كما تخرج والتمثّل والتأتم وتطأرها والصغير الجبرور للقرآن من حيث هو لا يقيد اعسافه الى الفجر او بعض الفهم من قوله تعالى ومن الليل

الى تحصيل هذا المانع علما ان المقتضى قد حصل في حق الرسول صلى الله عليه وسلم
وان هذا المانع الذي فعله الله تعالى منع ذلك المقتضى من العمل وهذا لا يتم الا اذا قلنا
ان القدرة مع الداعي توجب الفعل فاذا حصلت داعية اخرى معارضة للداعية الاولى اختلف
المؤثر فامتنع الفعل ونحن لا نريد الاثبات هذا المعنى والله اعلم (المسئلة الخامسة) قال
القفال رحمه الله قد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية الوجوه المذكورة ويمكن ايضا
تأويلها من غير تقييد بسبب يضاف نزولها فيه لان من المعلوم ان المشركين كانوا يسعون
في ابطال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقصى ما يقدرون عليه فتارة كانوا يقولون
ان عبدت آلهتنا عبدنا الهك فأتزل الله تعالى قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
وقوله ودوا لوتدعن فيدهنون وعرضوا عليه الاموال الكثيرة والنسوان الجميلة ليرتك
ادعاء النبوة فأتزل الله تعالى قوله ولا تمدن عينيك ودعوه الى طرد المؤمنين عن نفسه
فأتزل الله تعالى قوله ولا نظرد الذين يدعون ربهم فيحوز ان تكون هذه الآيات نزلت في هذا
الباب وذلك انهم قصدوا ان يقتنوه عن دينه وان يزيلوه عن منجبه فين تعالى انه يشبه
على الدين القويم والمنهج المستقيم وعلى هذا الطريق فلاحاجة في تفسير هذه الآيات
الى شيء من تلك الروايات والله اعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ (وان كادوا ليستفروك من الارض
ليخرجوك منها واذ الابلشون خلافك الاقبلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد
لستنا نحويا) في هذه الآية قولان (الاول) قال قتادة هم اهل مكة هموا باخراج النبي
صلى الله عليه وسلم من مكة ولو فعلوا ذلك ما اهلوا ولكن الله منعهم من اخراجه حتى أمره
الله بالخروج فمأه قل لبهم بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة حتى بعث الله
عليهم القتل يوم بدر وهذا قول مجاهد (والقول الثاني) قال ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا يا ابا القاسم
ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهى بلاد مقدسة وكانت مسكن ابراهيم فلو خرجت الى الشام
آمنابك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله
فالله ما منعك منهم فمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة قبل بذي
الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لخرصه على
دخول الناس في دين الله فزلت هذه الآية فرجع فالحول الاول اختيار الزجاج وهو
الوجه لان السورة مكية فان صح القول الثاني كانت الآية مدنية والارض في قوله
ليستفروك من الارض على القول الاول مكة وعلى القول الثاني المدينة وكثر في التنزيل
ذكر الارض والمراد منها مكان مخصوص كقوله او ينفوا من الارض يعنى من مواضعهم
وقوله فلن ابرح الارض يعنى الارض التى كان قصدها لطلب الميرة فان قيل قال الله تعالى
وكائين من قرية هى اشد قومة من قرينك التى اخرجتك يعنى مكة والمراد اهلها فذكر انهم
اخرجوه وقال في هذه الآية وان كادوا ليستفروك من الارض ليخرجوك منها فكيف

اى تهجد في ذلك البعض على
ان الباء بمعنى في وقيل منصوب
بتهجد اى تهجد بالقرآن بعض
الليل على طريقة وايى فارهيون
(ناقلت لك) فريضة زائدة على
الصلوات الخمس والقرض خاصة
بك دون الامة ولعله هو الوجه في
تاخير ذكرها عن ذكر صلاة
الفجر مع تقدم وقتها على وقتها
او تطوعا لكن لا كونهما زيادة على
القرائن بل لكونها زيادة على
الله عليه وسلم في الدرجات على
ما قال مجاهد والسدى فانه عليه
السلام مفقوله ما تقدم من
ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه
زيادة في درجاته بخلاف من اداه
من الامة فان تطوعهم لتكفير
ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع
في قرانهم واتصافها اما على
المصدرية بتقدير تنفل او يجعل
تهجد بمناء او يجعل ناقله يعنى
تهجدا فان ذلك عبادة زائدة
واما على الحالية من الضمير الرابع
الى القرآن اى حال كونها صلاة
ناقلت واما على المقولية لتهجد
اذا جعل يعنى صل وجعل
الضمير المبرور لبعض اى
فصل في ذلك البعض ناقله
(عسى ان يبعثك ربك) الذى

الجمع بينهما على قول من قال الأرض في هذه الآية مكة قلنا انهم هموا باخراجهم وهو عليه السلام ماخرج بسبب اخراجهم وانما اخرج بأمر الله تعالى فزال التناقض ثم قال تعالى واذا لا يلبثون خلافا الا قليلا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ نافع وابن كثير وابوعبيرة عن عاصم خلفك بفتح الخاء وسكون اللام والباقون خلافاك زعم الاخفش ان خلافاك في معنى خلفك وروى ذلك يونس عن عيسى وهذا كقوله بمقعدهم خلافا رسول الله وقال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطىء يثخن حصيرا

قال صاحب الكشف قرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على افعال اذن فان قيل ماوجه القراءتين قلنا اما السابقة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لو قوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي قوله اذا لا يلبثون عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفرونك ثم قال تعالى سنة من قدار سانا قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا بينهم من ظهر انهم فسنة الله ان يهلكهم فقوله سنة نصب على المصدر المؤكد اي سنة ذلك سنة فيمن قدار سنا قبلك ثم قال ولا تجد لستنا تحويلا والمعنى ان ما جرى الله تعالى به العادة لم ينهيا لاحد ان يقلب تلك العادة وتعام الكلام في هذا الباب ان اختصاص كل حادث بوقته المعين وصفته المعينة ليس امرا ثابتا له لذاته والازم ان يدوم ابدا على تلك الحالة وان لا يتغير الشيء عما يماثل في تلك الصفات بل انما يحصل ذلك الاختصاص بتخصيص المخصص وذلك التخصيص هو انه تعالى يريد تخصيصه في ذلك الوقت ثم تعلق قدرته بتخصيصه في ذلك الوقت ثم تعلق علمه بمحصله في ذلك الوقت ثم نقول هذه الصفات الثلاثة التي هي المؤثرة في حصول ذلك الاختصاص ان كانت حادثة افتقر حدوثها الى تخصيص آخر وزم التسلسل وهو محال وان كانت قديمة فالقديم يمنع تغيره لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه ولما كان التغير على تلك الصفات المؤثرة في ذلك الاختصاص بمنعها كان التغير في تلك الاشياء المقدرة بمنعها فثبت بهذا البرهان صحة قوله تعالى ولا تجد لستنا تحويلا * قوله تعالى (آم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق

الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل تسمعه به نافذة لك عني ان يبعث ربك مقام محمودا وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في النظم وجوه (الاول) انه تعالى لما قرأ امر الالهيات والمعاد والنبوات اردفها بذكر الامر بالطاعات واشرف الطاعات بعد الايمان الصلاة فلهاذا السبب امر بها (الثاني) انه تعالى لما قال وان كادوا ليستفرونك من الارض امره تعالى بالاقبال على عبادته لكي ينصره عليهم فكأنه قيل له لا يلبث بسعيهم في اخراجك من بلدك ولا تلتفت اليهم واشتغل بعبادة الله تعالى وداوم على أداء الصلوات فانه تعالى يدفع مكرهم

يلفك الى كالك اللائق بك من بعد الموت الا كبركا انبعث من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلاة والعبادة (مقاما) نصب على الظرفية على اخبار فيقيا او تعيين البعث معنى الاقامة لا بد من ان يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام (محمودا) عندك وعند جميع الناس وفيه تهيؤ لمشقة قيام الليل وروى ابوهريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقام الحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامي وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل تعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تصت لواحد وعن حذيفة رضي الله عنه يصعب الناس في صعيد واحد فلا تشكك فيه نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ليبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يدك وبك واليك لاملنا ولا نمنا

وشرهم عنك ويجعل يدك فوق ايديهم ودينك غالباً على اديتهم ونظيره قوله في سورة طه
 فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آتاه الابل فسيح
 واخراف النهار لعلت ترضى وقال ولقد نعم انك بضيق صدرك بما يقولون فسيح بحمد
 ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (والوجه الثالث) في تقرير
 النظم ان اليهود لما قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبياء عزم صلى الله عليه وسلم
 على الذهاب اليه فكأنه قيل له المعبود واحد في كل البلاد وما النصره والدولة الا بتأييده
 ونصرته فداوم على الصلوات وارجع الى مقرك ومسكنك واذا دخلته ورجعت اليه
 فقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي في هذا البلد سلطاناً
 نصير في تقرير دينك واظهار شرعك والله اعلم (المسئلة الثانية) اختلف اهل اللغة
 والمفسرون في معنى دلوك الشمس على قولين (احدهما) ان دلوكها غروبها وهذا القول
 مروى عن جماعة من الصحابة فنقل الواحد في البسيط عن علي عليه السلام انه قال
 دلوك الشمس غروبها وروى زر بن حبیش ان عبد الله بن مسعود قال دلوك الشمس غروبها
 وروى سعيد بن جبیر هذا القول عن ابن عباس وهذا القول اختيار الفراء وابن قتيبة
 من المتأخرين (والقول الثاني) ان دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء وهو اختيار
 الاكثرين من الصحابة والتابعين واحتج القائلون بهذا القول على صحته بوجوه (الحجة
 الاولى) روى الواحد في البسيط عن جابر انه قال طم عندي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم واصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا حين
 دلتك الشمس (الحجة الثانية) روى صاحب الكشف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 اثنان جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى في الظهر (الحجة الثالثة)
 قال اهل اللغة معنى الدلوك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس اذا زالت نصف
 النهار دالكة وقيل لها اذا اقلت دالكة لانها في الحالتين زالت هكذا قاله الازهرى وقال
 الفحل اصل الدلوك الميل يقال مالَت الشمس الزوال ويقال مالَت للغروب اذا عرفت
 هذا فنقول وجب ان يكون المراد من الدلوك ههنا الزوال عن كبد السماء وذلك لانه
 تعالى علق اقامة الصلاة بالدلوك والدلوك عبارة عن الميل والزوال فوجب ان يقال
 انه اول ما حصل الميل والزوال تعلق به هذا الحكم فلما حصل هذا المعنى حال ميلها
 من كبد السماء وجب ان يتعلق به وجوب الصلاة وذلك يدل على ان المراد من الدلوك
 في هذه الآية ميلها عن كبد السماء وهذه حجة قوية في هذا الباب استنبطتها بناء على
 ما اتفق عليه اهل اللغة ان الدلوك عبارة عن الميل والزوال والله اعلم (الحجة الرابعة)
 قال الازهرى الاولى حل الدلوك على الزوال في نصف النهار والمعنى اقم الصلاة
 اي ادمها من وقت زوال الشمس الى غسق الليل وعلى هذا التقدير يدخل فيه
 الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال وقرآن الفجر فاذا حللتا الدلوك على الزوال

منك الا اليك تباركت وتعاليت
 سبحانه رب البيت (وقل رب
 ادخلني اي القبر) (مدخل صدق)
 اي ادخالاً مرضياً (واخرجني)
 اي منه عند البعث (مخرج
 صدق) اي اخراجاً مرضياً فلي
 بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما
 وعده من البعث المقرون بالقامة
 للمهودة التي لا كرامة فوقها
 وقيل المراد ادخال المدينة
 والاخراج من مكة وتغيير ترتيب
 الوجود ليكون الادخال هو
 المقصود وقيل ادخاله عليه السلام
 مكة ظاهراً عليها واخراجها منها
 آتاً من المشركون وقيل ادخاله
 القبر واخراجها منه سالماً وقيل
 ادخاله فيما جاهد من اعباد الرسالة
 واخراجها منه مؤدياً حقه وقيل
 ادخاله في كل ما ياراه من مكان
 او امر واخراجه منه وقرئ
 مدخل ومخرج بالفتح على معنى
 ادخلني فادخل دخولا واخرجني
 فأخرج خروجاً كقوله
 وعصية دهر يا ابن مروان لم تدع
 من المال الا مسحت ووجلف
 اي لم تدع فليبق (واجعل لي من
 لدائنك سلطاناً نصيراً) (حجة تضرعي
 على من يخالفني او ملكا وعزا

دخلت الصلوات الخمس في هذه الآية وان جلتها على الغروب لم يدخل فيه الاثلاث صلوات وهي المغرب والعشاء والفجر وحل كلام الله تعالى على ما يكون أكثر قائمة أولى فوجب ان يكون المراد من الدلوك الزوال واحتج القراء على قوله الدلوك هو الغروب بقول الشاعر

هذا مقام قدحى رباح * وقتت حتى دلتك براح

وبراح اسم الشمس اى حتى غابت واحتج ابن قتيبة بقول ذى الرمة

مصاييح ليست بالوأتى يقودها = نجوم ولافلا كهن الدوائك

واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف لان عندنا الدلوك عبارة عن الميل والتغير وهذا المعنى حاصل في الغروب فكان الغروب نوعاً من انواع الدلوك فكان وقوع لفظ الدلوك على الغروب لا يتنافى وقوعه على الزوال كما ان وقوع لفظ الحيوان على الانسان لا يتنافى وقوعه على الفرس ومنهم من احتج ايضا على صحة هذا القول بأن الدلوك اشتقاقه من الدلوك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها وهذا انما يصح في الوقت الذي يمكن النظر اليها ومعلوم انها عند كونها في وسط السماء لا يمكن النظر اليها اما عند قربها من الغروب يمكن النظر اليها عند ما ينظر الانسان اليها في ذلك الوقت عينه ثبت ان لفظ الدلوك يخص بالغروب والجواب ان الحاجة الى ذلك التبيين عند كونها في وسط السماء اتم فهذا الذى ذكرته بأن يدل على ان الدلوك عبارة عن الزوال من وسط السماء أولى والله اعلم (المسئلة الثالثة) قال الواحدى اللام في قوله لدلوك الشمس لام الاجل والسبب وذلك لان الصلاة انما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلى اقامتها لاجل دلوك الشمس (المسئلة الرابعة) قوله الى غسق الليل غسق الليل سواده وظلمته قال الكسائى غسق الليل غسوقا والغسق الاسم يفتح السين وقال النضر بن شميل غسق الليل دخول اوله واتته حين غسق الليل اى حين يختلط ويسد المناظر واصل هذا الحرف من السيلان يقال غسقت العين تغسق وهو هملان العين بالماء والغاسق السائل ومن هذا يقال لما يسيل من اهل النار الغاسق يخفى غسق الليل اى انصب بظلامه وذلك ان الظلمة كأنها تنصب على العالم واما قول المفسرين قال ابن جريج قلت لعطاء ما غسق الليل قال اوله حين يدخل وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس ما الغسق قال دخول الليل بظلمته وقال الأزهري غسق الليل عند غيوبة الشفق عند تراكم الظلمة واشتدادها يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعاً وغسقت الجراحة اذا امتلأت دماً قال لانا لو جلتنا الغسق على هذا المعنى دخلت الصلوات الأربع فيه وهى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ولو جلتنا الغسق على ظهور اول الظلمة لم يدخل فيه الا الظهر والعصر والمغرب فوجب ان يكون الاول أولى واعلم انه ينفع على هذين القولين بحث شريف فان قهرنا الغسق بظهور اول الظلمة كان الغسق عبارة عن اول المغرب وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاث اوقات وقت

ناصر للاسلام مظهره على الكفر فأجبت دعوته عليه السلام بقوله عن وعلا والله يصعبك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفهم في الارض (وقل جاء الحق) اى الاسلام والوحى الثابت الراسخ (وزهى الباطل) اى ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويات الشيطان من زهى روحه اذا خرج (ان الباطل) كأنما كان (كان زهواً) اى شأنه ان يكون مضطرباً غير ثابت وهو دعة كريمة باجابه الدعاء بالسلطان النصير الذى لقنه عن ابن مسعود رضى الله عنه انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثائة وستون صفياء فحصل ينكت بمحضرة كانت بيده في عين واحد واحد ويقول جاء الحق وزهى الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من مسفر فقال يا على ادميه فصد فرمى به فكبره (وتنزل من القرآن) وقرئ نزل من الانزال (ما هو

ازوال ووقت اول المغرب ووقت الفجر وهذا يقتضى ان يكون الزوال وقتا لظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركا بين هاتين الصلاتين وان يكون اول المغرب وقتا للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركا ايضا بين هاتين الصلاتين فهذا يقتضى جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا لانه دل الدليل على ان الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز فوجب ان يكون الجمع جائزا بعد الزوال وعذر المطر وغيره اما ان فسرنا الفسق بالظلمة المتراكمة فنقول الظلمة المتراكمة انما تحصل عند غيبوبة الشفق الابيض وكلمة الى انتهاء الغاية والحكم الممدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية فوجب جواز اقامة الصلوات كلها قبل غيبوبة الشفق الابيض وهذا انما يصح اذا قلنا انها تجب عند غيبوبة الشفق الاجر والله اعلم (المسئلة الخامسة) قوله وقرآن الفجر اجعوا على ان المراد منه صلاة الصبح واتصاه بالعطف على الصلاة في قوله اقم الصلاة والتقدير اقم الصلاة واقم قرآن الفجر وفيه فوائد (الاولى) ان هذه الآية تدل على ان الصلاة لا تتم الا بالقراءة (الفائدة الثانية) انه تعالى اضاف القرآن الى الفجر والتقدير اقم قرآن الفجر فوجب ان تتعلق القراءة بحصول الفجر وفي اول طلوع الصبح قد حصل الفجر لان الفجر يسمى بقران الانجبار طلة الليل عن نور الصباح وظاهر الامر للوجوب يقتضى هذا اللفظ وجوب اقامة صلاة الفجر من اول طلوعه الا اننا جمعنا على ان هذا الوجوب غير حاصل فوجب ان يبقى التنب لان الوجوب عبارة عن رجحان مانع من الترك فاذا مانع مانع من تحقق الوجوب وجب ان يرتفع المنع من الترك وان يبقى اصل الرجحان حتى يتقل مخالفة الدليل ثبتت ان هذه الآية تقتضى ان اقامة الفجر في اول الوقت افضل وهذا يدل على صحة مذهب الشافعي في ان التغليس افضل من التنوير والله اعلم (الفائدة الثالثة) ان الفقهاء يدعون ان السنة ان تكون القراءة في هذه الصلاة اطول من القراءة في سائر الصلوات فالتقصود من قوله وقرآن الفجر الحث على ان تطويل القراءة في هذه الصلاة مطلوب لان التخصيص بالذكر يدل على كونه اكل من غيره (الفائدة الرابعة) انه وصف قرآن الفجر بكونه مشهودا قال الجمهور معناه ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الصبح خلف الامام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلاة الغداة وقبل ان تخرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يارب اتاركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا اتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله تعالى للملائكة اشهدوا اني قد غفرت لهم واقول هذا ايضا دليل قوى في ان التغليس افضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من اول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار فبهذا الطريق تحضر في هذه الصلاة ملائكة الليل وملائكة النهار اما اذا ابتداء بهذه

شفاء) لما في الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام (ورجحة للمؤمنين) به العالمين بما في تضاعفه اعماع وفي تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كاللدواء الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعنته فان كل القرآن كذلك وعن النبي عليه السلام من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله وتبضية لكن لا معنى ان بعثه ليس كذلك بل معنى ان نزل منه في كل نوبة ما يستدعي الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك عن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف لآياته من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تزايد وتحقيق التبعية باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفائدة وآيات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه ولا يزيد الطالين الا خسارا) اي لا يزيد القرآن كله او كله بعض منه الكافرين

السلاة في وقت التنوير فهناك ما بقيت الظلمة فلم يبق في ذلك الوقت احد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فثبت ان قوله تعالى انه كان مشهودا دليل قوى على ان التغليس افضل وعندى في تفسير قوله تعالى انه كان مشهودا احتمال آخر وذلك لانه كلما كانت الحوادث الحادثة اعظم واكمل كان الاستدلال به اسعلى كمال قدرة الله تعالى اكل فالانسان اذا شرع في اداء صلاة الصبح من اول هذا الوقت كانت الظلمة القوية باقية في العالم فاذا امتدت القراءة في اثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة الى الضوء والظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء مناسب للحياة والوجود وعلى هذا التقدير فالانسان لما قام من منامه فكأنه انتقل من الموت الى الحياة ومن العدم الى الوجود ثم انه مع ذلك يشاهد في اثناء صلاته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة الى الضوء ومن الموت الى الحياة ومن السكون الى الحركة ومن العدم الى الوجود وهذه الحالة حالة عجبية تشهد العقول والارواح بأنه لا يقدر على هذا التقلب والتحويل والتبدل الا الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقوة الغير المتناهية وحينئذ يستثير العقل بنور هذه المعرفة وتنفتح على العقل والروح ابواب المكاشفات الروحانية الالهية فخصير الصلاة التي هي عبارة عن اعمال الجوارح مشهودا عليها بهذه المكاشفات الالهية المقدسة ولذلك فكل من له ذوق سليم وطبع مستقيم اذا قام من منامه وأدى صلاة الصبح في اول الوقت واعتبر اختلاف احوال العالم من الظلمة الحاصلة الى النور ومن السكون الى الحركة فانه يجد في قلبه روحا وراحة ومزيدا في نور المعرفة وقوة اليقين فهذا هو المراد من قوله ان قرآن الفجر كان مشهودا وظهر ان هذا الاعتبار لا يحصل الا عند اداء صلاة الفجر على سبيل التغليس فهذا ما خطر بالبال والله اعلم بمراده وفي الآية احتمال ثالث وهو ان يكون المراد من قوله ان قرآن الفجر كان مشهودا التغريب في ان تؤدى هذه الصلاة بالجماعة ويكون المعنى كونها مشهودا بالجماعة الكثيرة ومزيد التحقيق فيه اننا ان تأثير هذه الصلاة في تصفية القلب وفي تنويره اكثر من تأثير سائر الصلوات فاذا حضر جمع من المسلمين في المسجد لاداء هذه العبادة استثار قلب كل واحد منهم ثم بسبب ذلك الاجتماع كأنه انعكس نور معرفة الله تعالى ونور طاعته في ذلك الوقت من قلب كل واحد الى قلب الآخر فخصير ارواحهم كالاريا المشرقة المتقابلة اذا وقعت عليها اتوار الشمس فانه يعكس النور من كل واحدة من تلك الاريا الى الاخرى فكذلك في هذه الصورة ولهذا السبب فان كل من له ذوق سليم وادى هذه الصلاة في هذا الوقت بالجماعة وجد من قلبه فسحة ونورا وراحة (الفائدة الخامسة) قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا فيكون السبب في كونه مشهودا هو ان الانسان لما نام طول الليل فصار كالتافل في هذه المدة عن مراقبة احوال الدنيا فالتصور الحوادث الجسمانية عن لوح خياله وفكره وعقله وصارت هذه الألواح كالأوح مسطرت فيها نقوش فاسدة ثم غسلت وازيلت تلك النقوش عنها ففي اول

المكذبين الواضعين للأشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الاسقام الاخسارا اى هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لانقصان كآليل فان ما يهم من داء الكفر والضلال حقيقى بأن يعبر عنه بالهلاك لان نقصان النبي عن حصول بعض مبادئ الاسقام فيهم وزادهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات المتأزلة تدرجما ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايهام الى انما بالمؤمنين من الشبهة والشكوك المعترية لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الاسرار وما بالكفرة من الجهل والعتاد بمنزلة الموت والهلاك واستناد الى يادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من امره حيث يكون مديارا للشفاء والهلاك (واذا افهمنا على الانسان) بالصحة والنعمة (اعرض) عن ذكرنا فضلا عن القيام بموجب السكر

وقت القيام من المنام صارت الروح عقاله وفكره وخاله مطهرة عن النقوش الفاسدة
الباطلة فاذتسارع الانسان في ذلك الوقت الى عبادة الله تعالى وقراءة الكلمات الدالة
على تزيينه والاقدام على الافعال الدالة على تعظيم الله تعالى انتقش في لوح عقله وفكره
وخاله هذه النقوش الطاهرة المقدسة ثم ان حصول هذه النقوش يمنع من استحكام
النقوش الفاسدة وهى النقوش المتولدة من الميل الى الدنيا وشهواتها فبذلك الطريق يترشح
الميل الى معرفة الله تعالى ومحبة وطاعته ويضعف الميل الى الدنيا وشهواتها اذا عرفت
هذا فقول هذه الحكمة انما تحصل اذا شرع الانسان في الصلاة من اول قيامه من النوم
عند التغليس وذلك يدل على القصور واعلم ان اكثر الخلق وقعوا في امراض القلوب
وهى حب الدنيا والحرص والحسد والنفار والتمسك والتكابر وهذه الدنيا مثل دار المرضى
اذا كانت مملوءة من المرضى والانبيا كالاطباء الحاذقين والمريض ربما قد قوى مرضه
فلا يعود الى الصحة الا بمعالجات قوية وربما كان المريض جاهلا فلا يتقاد لطبيب
ويخالفه في اكثر الامر الا ان الطبيب اذا كان مشفقا حاذقا فانه يسعى في ازالة ذلك
المرض بكل طريق يقدر عليه فان لم يقدر على ازالته فانه يسعى في تقليله وتخفيفه اذا
عرفت هذا فنقول مرض حب الدنيا مستول على الخلق ولا علاج له الا بالدعوة الى معرفة
الله تعالى وخدمته وطاعته وهذا علاج شاق على النفوس وقيل من يقبله ويقادله لاجرم
الانبيا اجهتوا في تقليل هذا المرض وحل الخلق على الشروع في الطاعة والعبودية من
اول وقت القيام من النوم ما ينفع في ازالة هذا المرض من الوجه الذى قررناه فوجب ان
يكون مشروعا والله اعلم بامرار كلامه اما قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فاعلم انه
تعالى لما امر بالصلوات الخمس على سبيل الرمز والاشارة اردفه بالحث على صلاة الليل وفيه
مباحث (الاول) التهجيد عبارة عن صلاة الليل فقوله فتهجد به اى بالقرآن كما قال قم الليل
الاقل الى قوله ورتل القرآن ترتيلا (البحث الثانى) قال الواحدى المجهود في اللغة
النوم وهو معروف كثير في الشعر يقال اهجدته وهجدته اى اتمته ومنه قول لبيد
هجدنا فقد طال السرى * كانه قال نونا فان السرى قد طال علينا حتى غلبنا النوم
وروى ابو عبد عن ابي عبيدة الهاجد النائم والهاجد المصلى بالليل وروى ثعلب عن ابن
الاعرابي مثل هذا القول كانه قال هجد الرجل اذا صلى من الليل وهجد اذا نام بالليل فعند
هؤلاء هذا اللفظ من الاضداد واما الزهرى فانه توسط في تفسير هذا اللفظ وقال المعروف
في كلام العرب ان الهاجد هو النائم ثم رأينا ان في الشرع يقال لمن قام من النوم الى
الصلاة انه متهجد فوجب ان يحتمل هذا على انه سمي متهجدا لائقائه المجهود عن نفسه
كاقيل للعابد متحنث لائقائه الحث عن نفسه وهو الائم ويقال فلان رجل متخرج
ومتائم ومتحوب اى يلقى الخرج والائم والحبوب عن نفسه واقول فيه احتمال آخر وهو
ان الانسان انما يترك لذة النوم ويحمل مشقة القيام الى الصلاة لطبيب رقاذه وهجوده

(ونأى) تساعد من طاعتنا
(بجانبه) التأى بالجانب ان
يلوى عن الشئ عطفه ويوليه
عرض وجهه فهو تأكيد
للاعراض او عبارة عن الاستكثار
لانه من دين المستكبرين (واذا
مسه الشر) من قدر او مرض او
نازلة من النوازل وفي استناد
المساس الى الشر بعد استناد
الانعام الى ضمير الجلالة ايدان
بان الخبر مراد بالذات والشر
ليس كذلك (كان يؤسا) شديدا
البأس من روحنا وهذا وصف
للجنس باعتبار بعض افراده من
هو على هذه الصفة ولاينا فيه
قوله تعالى واذا مسه الشر فذودناه
عن بعض ونظائر فان ذلك شأن
بعض آخرين منهم وقيل اريد به
الوليد بن المغيرة وقرئ انا على
القلب كما يقال راى فى رأى ولما
على انه بمعنى مضى (قل كل) اى
كل احد منكم ومن هو على
خلافكم (يعمل) عمله (على

عند الموت فلما كان غرضه من ترك هذا المجد ان يصل الى المجد الذي عند الموت
كان هذا القيام طلبا لذلك المجد فسمى تبهجدا لهذا السبب (وفيه وجه ثالث) وهو
ما روي ان الجحاج بن عمرو المازني قال يحسب احدكم اذا قام من الليل فصلى حتى يصبح
انه قد التهمجدا التهمجدا الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة اخرى بعد رقدته ثم صلاة اخرى بعد
رقدته هكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عرفت هذا فنقول كلما صلى
الانسان طلب هجودا ورقادا فلا يبعد انه سمي تبهجدا لهذا السبب (البحث الثالث) قوله
من في قوله ومن الليل لا يبدله من متعلق والفاء في قوله فتبهجد لا بد له من معطوف عليه
والتقدير قم من الليل اي في بعض الليل فتبهجده وقوله به اي بالقرآن والمراد منه الصلاة
المشتملة على القرآن (البحث الرابع) معنى النافلة في اللغة ما كان زيادة على الاصل ذكرناه
في قوله تعالى يسئلونك عن الانتقال ومعناها ايضا في هذه الآية الزيادة وفي تفسير كونها
زيادة قولان مبيهان على ان صلاة الليل هل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا
فمن الناس من قال انها كانت واجبة عليه ثم نمضت فصارت نافلة اي تطوعا وزيادة
على الفرائض وذكر مجاهد والسدي في تفسير كونها نافلة وجه احسننا قال انه تعالى غفر
لنبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكل طاعة يأتي بها سوى المكتوبة
فانه لا يكون تأثيرها في كفارة الذنوب البتة بل يكون تأثيرها في زيادة الدرجات وكثرة
الثواب وكان المقصود من تلك العبارة زيادة الثواب فلماذا سميت نافلة بخلاف الامة
قال لهم ذنوبيا محتاجة الى الكفارات فهذه الطاعة محتاجون اليها لتكفير الذنوب
والسيئات ثبتت ان هذه الطاعات اتماتكون زوائد ونوافل في حق النبي صلى الله عليه
وسلم لا في حق غيره فلماذا السبب قال نافلة لك يعني انها زوائد ونوافل في حقك لا في حق
غيرك وتقريره ما ذكرناه واما الذين قالوا ان صلاة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله
عليه وسلم قالوا معنى كونها نافلة له على التخصيص انها بريضة عليك زائدة على الصلوات
الخمس خصصت بها من بين امتك ويمكن نصرة هذا القول بأن قوله فتبهجد امر وصيغة
الامر للوجوب فوجب كون هذا التبهجد واجبا فلو جلتنا قوله نافلة لك على عدم
الوجوب لزم التعارض وهو خلاف الاصل فوجب ان يكون معنى كونها نافلة له
ما ذكرناه من كون وجوبها زائدا على وجوب الصلوات الخمس والله اعلم (البحث
الخامس) قوله اتم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر وان كان ظاهرا الامر
فيه مختصا بالرسول صلى الله عليه وسلم الا انه في المعنى عام في حق الامة والدليل عليه انه
قال ومن الليل فتبهجده نافلة لك فيبين ان الامر بالتبهجد مخصوص بالرسول وهذا يدل على
ان الامر بالصلوات الخمس غير مخصوص بالرسول عليه السلام والالم يكن لتقييد الامر
بالتبهجد بهذا القيد فائدة اصلا والله اعلم ثم قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان لفظة عسى تقيد

شأكلته (طريقته التي تشكل حاله في الهدى والضلالة او جوهه روحه واحواله النابتة لمزاج بدنه (فربكم) الذي يرأكم على هذه الطباع المتخالفة (اعلم بمن هو اهدي سبيلا) اي اسد طريقا وابن منها جاد قد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين (ويسألونك عن الروح) الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدير البدن الانساني ومبدأ حياته روي ان اليهود قالوا لقرين سلوه عن اصحاب الكهف ومن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جيبا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مهم في التوراة (قل الروح) اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال الاعتناء بشأنه (من اسردي) كلمة من ياتية والا سردي الشان والاضافة للاختصاص على

الاطماع ومن اجمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا والله تعالى اكرم من ان يطعم احدا في شيء ثم لا يطعمه ذلك وقوله مقام محمودا فيه بحثان (البحث الاول) في انتصاب قوله محمودا وجهان (الاول) ان يكون انتصابه على الحال من قوله بعثك اى بعثك محمودا (والثاني) ان يكون نعنا للمقام وهو ظاهر (البحث الثاني) في تفسير المقام المحمودا قال (الاول) انه الشفاعة قال الواحدى اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو المقام الذى اشفع فيه لامتى واقول اللفظ مشعر به وذلك لان الانسان انما يصير محمودا اذا جده حامد والمجد انما يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب ان يكون مقاما انتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه على قوم تخدموه على ذلك الانعام وذلك لانهم لا يجوز ان يكون هو مبلغ الدين وتعليم الشرع لان ذلك كان حاصله في الحال وقوله عسى ان يعثك ربك مقاما محمودا تطمع وتطمع الانسان في الشيء الذى حصل له وعنده في الحال محال فوجب ان يكون ذلك الانعام الذى لاجله يصير محمودا انما ما يصل منه بعد ذلك الى الناس وما ذاك الاشفاعته عند الله فدل هذا على ان لفظ الآية هو قوله عسى ان يعثك ربك مقاما محمودا يدل على هذا المعنى وايضا التنكير في قوله مقاما محمودا يدل على انه يحصل للنبي عليه السلام في ذلك المقام جد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم ان جد الانسان على سعيه في التخلص من العقاب اعظم من جده في السعي في زيادة من الثواب لاحاجة به اليها لان احتياج الانسان الى دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائلة التى لاحاجة به الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من قوله عسى ان يعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العقاب على ما هو مذهب اهل السنة ولما ثبت ان لفظ الآية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا ثم وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى وجب حل اللفظ عليه وما يؤكد هذا الوجه الدعاء المشهور وايضا المقام المحمود الذى وعدته بقبضه به الاولون والآخرين واتفق الناس على ان المراد منه الشفاعة (والقول الثاني) قال حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشريلس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا هو المراد من قوله عسى ان يعثك ربك مقاما محمودا واقول القول الاول اولى لان سعيه في الشفاعة يفيد اقدام الناس على جده فيصير محمودا واما ذكر هذا الدعاء فلا يفيد الا الثواب اما الحمد فلا فان قالوا لم لا يجوز ان يقال انه تعالى يحمده على هذا القول قلنا لان الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز (القول الثالث) المراد مقام محمد عاقبه وهذا ايضا ضعيف للوجه السنى ذكرناه في القول الثانى (القول الرابع) قال الواحدى زوى ابن مسعود انه

لا الاجمادى لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة التسمية من تشريف المضاف اليه اى هو من جنس ما استأثر الله بعلمه من الاسرار الخفية التى لا يكاد يحوم حولها عقول البشر (وما اوتيت من العلم الا قليلا) لا يمكن تعلقه بأشكال ذلك روى انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن محتصون بهذا الخطاب قال عليه الصلاة والسلام بل نحن واتم فقالوا ما يحب شأنك ساعة تقول ومن يؤث الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو مافى الارض من شجرة اقلام الآيات واتمما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يسلم من الخير ما تسعه العاطفة البشرية بل مانع به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل نال به خير كثير في نفسه وابل النسبة الى

قال يقعد الله محمدا على العرش وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش ثم قال
 الواحدى وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب نادى بفساد هذا التفسير
 ويدل عليه وجوه (الاول) ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت النازل والقاعد فانبعث
 ويقال بعث الله الميت اى اقامه من قبره ففسير البعث بالاجلاس تفسير للصد بالصد
 وهو فاسد (والثاني) انه تعالى قال مقاما محمدا ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام
 لا موضع القعود (والثالث) لو كان تعالى جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمدا عليه
 الصلاة والسلام لكان محدودا متناهيا ومن كان كذلك فهو محدث (والرابع) يقال ان
 جلوسه مع الله على العرش ليس فيه كثير اعزاز لان هؤلاء الجهاد والحق يقولون في كل
 اهل الجنة انهم يزورون الله تعالى وانهم يجلسون معه وانه تعالى يسألهم عن احوالهم
 التي كانوا فيها في الدنيا واذا كانت هذه الحالة حاصلة عندهم لكل المؤمنين لم يكن
 لتخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بامتياز شرف ورتبة (والخامس) انه اذا قيل السلطان
 بعث فلا نفاهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه
 فثبت ان هذا القول كلام رذل سقط لا يعمل اليه الانسان قليل العقل عديم الدين والله
 اعلم ثم قال تعالى وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق وفيه مباحث
 (البحث الاول) انا ذكرنا في تفسير قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض قولين
 (احدهما) المراد منه سعى كفار مكة في اخراجه منها (والثاني) المراد منه ان اليهود قالوا له
 الاول لك ان تخرج من المدينة الى الشام ثم انه تعالى قال له اقم الصلاة واشتغل بعبادة
 الله تعالى ولا تلتفت الى هؤلاء الجهاد فانه تعالى ناصرهم ومعينهم ثم عابدهم هذا الكلام
 الى شرح تلك الواقعة فان فسرنا تلك الآية ان المراد منها ان كفار مكة ارادوا اخراجه
 من مكة كان معنى هذه الآية انه تعالى امره بالهجرة الى المدينة وقال له وقل رب
 ادخلنى مدخل صدق وهو المدينة واخرجنى مخرج صدق وهو مكة وهذا قول الحسن
 وقنادة وان فسرنا تلك الآية بأن المراد منها ان اليهود جلوله على الخروج من المدينة
 والذهاب الى الشام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثم امره الله تعالى بأن يرجع
 اليها كان المراد انه عليه الصلاة والسلام عند العود الى المدينة قال رب ادخلنى مدخل
 صدق وهو المدينة واخرجنى مخرج صدق يعنى اخراجنى منها الى مكة فخرج صدق اى
 اقتحمالى (والقول الثانى) في تفسير هذه الآية وهو اكل مما سبق ان المراد وقل رب
 ادخلنى في الصلاة واخرجنى منها مع الصدق والاخلاص وحضور ذكرك والقيام بلوازم
 شكرك (والقول الثالث) وهو اكل مما سبق ان المراد وقل رب ادخلنى في القيام
 بمهمات اداء دينك وشريعتك واخرجنى منها بعد الفراغ منها اخراجا لا يبق على متابعتها
 وبقيته (والقول الرابع) وهو اعلى مما سبق وقل رب ادخلنى في بحار دلائل توحيدك
 وتزنيك وقديسك ثم اخرجنى من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة الدلول ومن التأمل

الانسان او هو من الابداعات
 الكائنة بمحض الامر التكويني
 من غير تحصيل من مادة وتولد
 من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن
 تعريفه ببعض مبادئه وما له انه
 من عالم الامر لا من عالم الخلق
 وليس هذان قبيل قوله سبحانه
 انما امره اذا اراد شيئا ان يقول
 له كن فيكون فان ذلك عبارة عن
 سرعة التكوين سواء كان الكائن
 من عالم الامر او من عالم الخلق
 وفيه تنبيه على انه لا يحيط
 بكنهه دائرة ادراك البشر وانما
 الممكن هذا القدر الا جهالى
 المتدرج تحت ما استثنى بقوله
 تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا
 أى الاعمال قليلا تستفيدونه من
 طرق الحواس فان تفعل المعارف
 النظرية انما هو من احساس
 الجزئيات ولذلك قيل من فقد
 حسا فقد فقد علما ولم يأكل
 الاشياء لا يدركه الحس ولا يشا من
 أحواله التى يدور عليها معرفة
 ذاته وأما جمل ما ذكر على
 السؤال عن قدمه

في آثار حدوث المحدثات الى الاستغراق في معرفة الاحداث الفرد المؤثر عن التكميلات والتغيرات (والقول الخامس) ادخلني في كل ما تدخلي فيه مع الصدق في عبوديتك والاستغراق بمعرفتك واخرجني عن كل ما تخرجني عنه مع الصدق في العبودية والمعرفة والمحبة والمقصود منه ان يكون صدق العبودية حاصلا في كل دخول وخروج وحركة وسكون (والقول السادس) ادخلني القبر مدخل صدق واخرجني منه مخرج صدق (البحث الثاني) مدخل بضم الميم مصدر كالادخال يقال ادخلته مدخلا كقائل وقيل رب ازلني منزلا مباركا ومعنى اضافة المدخل والمخرج الى الصدق مدحهما كائنه سأل الله تعالى ادخلا لحسننا واخرجا حسنا لا يرى فيما مايكره ثم قال تعالى واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اي حجة بينة ظاهرة تصرنني بهما على جميع من خالفني وبالجملة فقد سأل الله تعالى ان يرزقه التقوية على من خالفه بالجملة والقهر والقدرة وقد اجاب الله تعالى دعاه واعلم انه يعصمه من الناس فقيل والله يعصمك من الناس وقال الان حزب الله هم المفلحون وقال ليظهره على الدين كله ولما سأل الله النصره بين الله له انه اجاب دعاه فقال وقيل جاء الحق وهو دينه وشرعه وزهى الباطل وهو كل ما سواه من الاذيان والشرايع وزهى بطل واضمحيل واصله من نهضت نفسه ترهق اي هلكت وعن ابن مسعود انه دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنفا جعل يطعنوا بعدو في يده ويقول جاء الحق وزهى الباطل فجعل الضم ينكب على وجهه وقوله ان الباطل كان زهوقا يعني ان الباطل وان انقضت له دولة وصولة لانها لا تلبث بل تزول على اسرع الوجوه والله اعلم قوله تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) واذا نعلمنا على الانسان ارض ونأى بجانبه واذا ما سه الشركان يؤساق كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم عن هادي سبيلا) اعلم انه تعالى لما طنب في شرح الالهيات والنبوات والحشر والمعاد والبعث واثبات القضاء والقدر ثم اتبعه بالامر بالصلاة ونبه على ما فيها من الاسرار واتخاذ كل ذلك في القرآن اتبعه ببيان كون القرآن شفاء ورحمة فقال ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة ولقطة من ههنا ليست للتبعض بل هي للجنس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان والمعنى ونزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء فجميع القرآن شفاء للمؤمنين واعلم ان القرآن شفاء من الامراض الروحية وشفاء ايضا من الامراض الجسمانية اما كونه شفاء من الامراض الروحية فظاهر وذلك لان الامراض الروحية نوعان الاعتقادات الباطلة والاخلاق المذمومة اما الاعتقادات الباطلة فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الالهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب وابطال المذاهب الباطلة فيها ولما كان أقوى الامراض الروحية هو الخطأ في هذه المطالب والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب الباطنة

وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اي كاش يتكوي به حدث باحداثه بالامر التكويني فمع عدم ملازمته حال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قوة عليهم فان سألوا عنه بما ينبغي به عليهم حيث قد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم ورواحي اعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن ومعنى من امره من من وحيه وكلامه لامن كلام البشر (ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك) من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنع العلوم التي اوتيتوها وثبتت على عليه حين كادوا يقتلونك عنه ولولاه لكنت تركن اليهم شيئا قليلا واتعاهر عنه بالوصول تفخيما لشأنه ووصفاله بما في حيز الصلة ابتداء واعلاما بمسأله من اول الامر

لاجرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني واما الاخلاق المذمومة
فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة
الكاملة والاعمال المحمودة فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض فثبت ان
القرآن شفاء من جميع الامراض الروحانية واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية
فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض ولما اعترف الجمهور من الفلاسفة
واسحاب الطلسمات بأن لقراءة الرقي المجهولة والعزائم التي لا يفهم منها شيء آثارا عظيمة
في تحصيل المنافع ودفع المفسد فلا تكون قراءة هذا القرآن العظيم المشتمل على ذكر
جلال الله وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع
في الدين والدنيا كان اولي ويتأكد ما ذكرنا بما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من لم يستشف بالقرآن فلاشفاه الله تعالى واما كونه راحة للمؤمنين فاعلم اننا ان
الارواح البشرية مريضة بسبب العقائد الباطلة والاخلاق الفاسدة والقرآن فمجان
بعضهما ما يفيد الخلاص عن شبهات الضالين وتوهمات المنطلين وهو الشفاء وبعضهما
ما يفيد تعليم كيفية اكتساب العلوم العالية والاخلاق الفاضلة التي بها يصل الانسان
الى جوار رب العالمين والاختلاط بزمرة الملائكة المقربين وهو اراحة ولما كان ازالة
المرض مقدمة على السعي في تكميل موجبات الصحة لاجرم بدأ الله تعالى في هذه الآية
بذكر الشفاء ثم اتبعه بذكر اراحة واعلم انه تعالى لما بين كون القرآن شفاء وراحة للمؤمنين
بين كونه سببا للخلاص والضلal في حق الظالمين والمراد به المشركون وانما كان كذلك
لان سماع القرآن يزيدهم غيظا وغضبوا حقدا وحسدا وهذه الاخلاق الذميمة تدعوهم
الى الاعمال الباطلة وتريد في تقوية تلك الاخلاق الفاسدة في جواهر نفوسهم ثم لا يزال
الخلق الخبيث النفساني يحمل على الاعمال الفاسدة والايان تلك الاعمال يقوى تلك
الاخلاق فهذا الطريق يصير القرآن سببا لتزايد هؤلاء المشركين الضالين في درجات
الخرى والضلal والفساد والتكال ثم انه تعالى ذكر السبب الاصل في وقوع هؤلاء
الجاهلين الضالين في اودية الضلال ومقامات الخرى والتكال وهو حب الدنيا والارغبة في
المال والجاه واعتقادهم ان ذلك انما يحصل بسبب جدهم واجتهادهم فقال واذا انعمنا
على الانسان اعرض ونأى بجانبه وفيه مباحث (الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان
الانسان ههنا هو الوليد بن المغيرة وهذا بعيد بل المراد ان نوع الانسان من شأنه انه اذا
فاز بمقصوده ووصل الى مطلوبه اغتر و صار غافلا عن عبودية الله تعالى متمردا عن طاعة
الله كما قال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى (البحث الثاني) قوله اعرض اي ولى ظهره
اي عرض الى ناحية ونأى بجانبه اي تباعد ومعنى التأى في اللغة البعد والاعراض عن
الشيء ان يولي عرض وجهه والتأى بالجانب ان يولي عنه عطفه ويولي ظهره واراد
الاستكبار لان ذلك عادة التكبرين وفي قوله نأى فراأت احدا هائلا وهي قراءة العادة

وبانه ليس من قبيل كلام الخلق
واللام موطئة للقسم ولذهبن
جوابه النائب عناب جزاء الشرط
وبذلك حسن حذف مفعول
المشيئة والمراد من الذهاب به
الخروج من المصاحف والصدور
وهو ابلغ من الازهار عن ابن
مسعود رضي الله عنه ان اول
ما تلقفون من دينكم الامانة
واخر ما تلقفون الصلاة وليصلين
قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن
تصيحون يوما وما فيكم منه شيء
فقال رجل كيف ذلك وقد
أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في
مصاحفنا فلهذا أماننا وبعده
ابتأوا ابتاهم فقال يسرى عليهم
ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع
المصاحف وينزع ما في القلوب
(ثم لا تجد لك به) اي بالقرآن
(علينا وكلاما) من يتوكل علينا
استداده مسطورا محفوظا

بفتح النون والهمزة وفي حم السجدة مثله وهي اللفظة الغالبة والنأى البعد يقال نأى أى
بعد (وثانيها) قراءة ابن عامرناه وله وجهان تقديم اللام على العين كقولهم راء فى رأى
ويجوز ان يكون من نأى بمعنى نهض (وثالثها) قراءة حمزة والكسائى بامالة الفتحين وذلك
لأنهم امالوا الهمزة من نأى ثم كسروا النون اتبا على كسرة مثل رأى (ورابعها) قرأ
ابو عمرو وعاصم فى رواية ابى بكر ونصير عن الكسائى وحزة نأى بفتح النون وكسر الهمزة
على الاصل فى فتح النون وامالة الهمزة ثم قال تعالى واذمسه الشر كان يؤسا اى اذامسه
فقر أو مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد البأس من رحمة الله ولا يئس من
روح الله الا لقوم الكافرون والحاصل انه ان فاز بالثمة والدولة اغتر بها فئس ذكر
الله وان بقى فى الحرمان عن الدنيا استولى عليه الاسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله تعالى
فهذا المسكين محروم ابدًا عن ذكر الله ونظيره قوله تعالى فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه
فأكرمته ونعمه فيقول ربى اكرمنى الى قوله ربى اهانتى وكذلك قوله ان الانسان خلق
هلوا اذامسه الشر جزوعا واذامسه الخير منوعا ثم قال تعالى قل كل يعمل على شاكلته
قال ائجاج الشاكلة الطريقة والذهب والدليل عليه انه يقال هذا طريق ذوشواكل
اى يشعب منه طرق كثيرة ثم الذى يقوى عندى ان المراد من الآية ذلك قوله تعالى
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا وفيه وجه آخر وهو ان المراد ان كل احد يفعل على وفق
ما شاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فان كانت نفسه مشرقة خيرة طاهرة علوية
صدرت عنه افعال فاضلة كريمة وان كانت نفسه نفسا كدرة نذلة خبيثة مضلة ظلمانية
صدرت عنه افعال خسيسة فاسدة واقول العقلاء اختلفوا فى ان النفوس الناطقة
البشرية هل هى مختلفة بالماهية ام لا منهم من قال انها مختلفة بالماهية وان اختلف
افعالها واحوالها لاجل اختلاف جواهرها وماهياتها ومنهم من قال انها متساوية فى
الماهية واختلف افعالها لاجل اختلاف امزجتها والختار عندى هو القسم الاول
والقرآن مشعر بذلك وذلك لانه تعالى بين فى الآية المتقدمة ان القرآن بالنسبة الى
البعض يفيد الشفاء والرحمة وبالنسبة الى اقوام آخرين يفيد الخسار والخزى ثم اتبعه
بقوله قل كل يعمل على شاكلته ومعناه ان اللائق بتلك النفوس الطاهرة ان يظهر فيها
من القرآن آثار الذكاء والكمال وتلك النفوس الكدرة ان يظهر فيها من القرآن آثار
الخزى والاضلال كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود
وجهه وهذا الكلام انما يتم المقصود منه اذا كانت الارواح والنفوس مختلفة
بماهياتها فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القرآن نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية
يظهر فيها من القرآن ضلال على ضلال ونكال على نكال **وقوله تعالى (وبسئلوكم**
عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا) اعلم انه تعالى لما ختم
الآية المتقدمة بقوله قل كل يعمل على شاكلته وذكرنا ان المراد منه مشاكلة الارواح

(الارحة من ربك) فانها ان
فانتك لملها تسترده عليك ويجوز
ان يكون الاستثناء منقطعا معنى
ولكن رحمة من ربك تركته غير
مذموب به فيكون امتنانا بما قامه
بعد النية بتزيله وترغيبا فى
الحفاظة على اداء حقوقه وتحذيرا
من ان لا يقدر قدره الجليل
وفى رط فى القيام بشكره وهو
اجل النعم واعطها (ان فضله
كان عليك كبيرا) كارسالك
وازال الكتاب عليك واشانه فى
حفظك وغير ذلك (قل) للذين
لا يعرفون جلاله قدر التنزيل ولا
يفهمون فضامته شأنه الجليل بل
يزعمون انه من كلام البشر (لئن
اجتمعت الانس والجن) اى
اتفقوا (على ان يأتوا بمثل هذا
القرآن) المنعوت بما لا تدركه
الاقول من العتوت الجبلية فى
البلاغة وحسن النظم وكال
الحق وتخصيص الثقلين بالذكى

للافعال الصادرة عنها وجب البحث هنا عن ماهية الروح وحقيقته فلذلك سألوا عن الروح وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) للمفسرين في الروح المذكورة في هذه الآية اقوال اظهرها ان المراد منه الروح الذي هو سبب الحياة روى ان اليهود قالوا لقريش اسألوا محمدا عن ثلاث فان اخبركم باثنين وامسك عن الثالثة فهو نبي اسألوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الثلاثة فقال عليه السلام غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحى اربعين يوما ثم نزل الوحى بعده ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم فسر لهم قصة اصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وابهم قصة الروح وتزل فيه قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وبين ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة حقيقة الروح فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن الناس من طعن في هذه الرواية من وجوه (اولها) ان الروح ليس اعظم شأنا ولا اعلى مكانا من الله تعالى فاذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فأى مانع يمنع من معرفة الروح (وثانيها) ان اليهود قالوا ان اجاب عن قصة اصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ولم يجب عن الروح فهو نبي وهذا كلام بعيد عن العقل لان قصة اصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ليست الاحكاية من الحكايات وذكر الحكاية يمنع ان يكون دليلا على النبوة وايضا فالحكاية التى يذكرها ما ان تعتبر قبل العلم بنبوته او بعد العلم بنبوته فان كان قبل العلم بنبوته كذبوه فيها وان كان بعد العلم بنبوته خبيثين صارت نبوته معلومة قبل ذلك فلا قاعدة في ذكر هذه الحكاية وما عدم الجواب عن حقيقة الروح فهذا يعد جملة دليلا على صحة النبوة (وثالثها) ان مسئلة الروح يعرفها اصغار الفلاسفة وراذل المتكلمين فلو قال الرسول صلى الله عليه وسلم انى لا اعرفها لا ورث ذلك ما يوجب التحقير والتنفير فان الجهل بمثل هذه المسئلة يفيد تحقير اى انسان كان فكيف الرسول الذى هو اعلم العلماء وافضل الفضلاء (ورابعها) انه تعالى قال في حقه الرحمن علم القرآن وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال وقل رب زدنى علما وقال في صفة القرآن ولا يربط ولا يابس الا في كتاب مبين وكان عليه السلام يقول ارنا الاشياء كما هى فن كان هذا حاله وصفته كيف يليق به ان يقول اننا اعرف هذه المسئلة مع انها من المسائل المشهورة المذكورة بين جمهور الخلق بل المختار عندنا انهم سألوه عن الروح وانه صلى الله عليه وسلم اجاب عنه على احسن الوجوه وتقريره ان المذكور في الآية انهم سألوه عن الروح والسؤال عن الروح يقع على وجوه كثيرة (احدها) ان يقال ماهية الروح اهو متغير او حال في التغير او موجود غير متغير ولا حال في التغير (وثانيها) ان يقال الروح قديمة او حادثة (وثالثها) ان يقال الارواح هل تبقى بعد موت الاجسام او تنفنى (ورابعها) ان يقال ما حقيقة سعادة الارواح وشقاوتها وبالجملة فالباحث المتعلقة بالروح كثيرة وقوله ويسألونك عن الروح

لان المذكر لكونه من عند الله تعالى منهما لامن غيرهما الا لان غيرهما قادر على المعارضة (لا يأتون بمثله) او ترا لاظهار على ايراد الضمير الرابع الى الشئ المذكور احتراز عن ان يتوهم ان له مثلا مينا وايدانا بان المراد في الايتان بمثل ما اى لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذى ينهى عنه اللام الموطئة وساد مسددا لما لولاه لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير وان اتانا خليل يوم مسئلة

يقول لا فائسالى ولا حرم وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدى للمعارضة من كل واحد

ليس فيه ما يدل على انهم عن هذه المسائل سألو اوعن غيرها الا انه تعالى ذكره في الجواب عن هذا السؤال قوله قل الروح من امر ربي وهذا الجواب لا يليق الا بمسئلتين من المسائل التي ذكرناها احدهما السؤال عن ماهية الروح والثانية عن قدمها وحدوثها (اما البحث الاول) فهم قالوا ما حقيقة الروح وما هيته او عبارة عن اجسام موجودة في داخل هذا البدن متولدة من امتزاج الطبايع والاخلط او هو عبارة عن نفس هذا المزاج والتكوين او هو عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الاجسام او هو عبارة عن موجود بغير هذه الاجسام والاعراض فأجاب الله عنه بأنه موجود بغير هذه الاجسام ولهذه الاعراض وذلك لان هذه الاجسام اشياء تحدث من امتزاج الاخلط والعناصر واما الروح فانه ليس كذلك بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا يحدث قوله كن فيكون فقالوا لم كان شيئا بغير هذه الاجسام ولهذه الاعراض فأجاب الله عنه بأنه موجود يحدث بأمر الله وتكوينه وتأثيره في اعادة الحياة لهذا الجسد ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته الخصوصية بغيره فان اكثر حقائق الاشياء وماهياتها مجهولة فانا علم ان السكجيين له خاصية تقتضي قطع الصفراء فأما اذا اردنا ان نعرف ماهية تلك الخاصة وحقيقتها المخصوصة فذلك غير معلوم ثبت ان اكثر الماهيات والحقائق مجهولة ولم يلزم من كونها مجهولة نفيا فكذلك ههنا وهذا هو المراد من قوله وما أو تيم من العلم الا قليلا (واما البحث الثاني) فهو ان لفظ الامر قبحا بمعنى الفعل قال تعالى وما امر فرعون برشيد وقال فلما جاء امرنا اى فعلنا فقوله قل الروح من امر ربي اى من فعل ربي وهذا الجواب يدل على انهم سألوه ان الروح قديمة او حادثة فقال بل هي حادثة واما حصلت بفضل الله وتكوينه واجاده ثم احتج على حدوث الروح بقوله وما أو تيم من العلم الا قليلا يعنى ان الارواح في مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم يحصل فيها العلوم والمعارف فهي لا تزال تكون في التغيير من حال الى حال وفي التبديل من نقصان الى كمال والتغيير والتبديل من امارات الحدوث فقوله قل الروح من امر ربي يدل على انهم سألوه ان الروح هل هي حادثة فأجاب بانها حادثة واقعة بتخليق الله وتكوينه وهو المراد من قوله قل الروح من امر ربي ثم استدلل على حدوث الارواح بتغييرها من حال الى حال وهو المراد من قوله وما أو تيم من العلم الا قليلا فهذا ما نقوله في هذا الباب والله اعلم (المسئلة الثانية) في ذكر سائر الاقوال المقلوبة في نفس الروح المذكورة في هذه الآية اعلم ان الناس ذكروا اقوالا اخرى سوى ما تقدم ذكره (فالقول الاول) ان المراد من هذا الروح هو القرآن قالوا وذلك لان الله تعالى سمى القرآن في كثير من الآيات روحا واللائق بالروح المسؤل عنه في هذا الموضع ليس الا القرآن فلا بد من تقرير مقامين (المقام الاول) تسمية الله القرآن بالروح يدل عليه قوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره وايضا السبب في تسمية القرآن بالروح ان بالقرآن

منهم على الانفراد ومن المجموع بأن يتألبوا على تطبيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتماضد الانظار قيل (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) اى في تحقيق ما توخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على محذور اى لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المصطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المصطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث اتنى عند التظاهر فلا تن يتقن عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى ان ولو الوصلتين من التأكيد كما مر غير مرة ومحل النص على الحالية حسبا عطف عليه اى لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو فى هذه الحال المنافية لعدم

تحصل حياة الارواح والعقول لانه تحصل معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته ومعرفة
كتبه ورسله والارواح انما تحيا بهذه المعارف وتام تقرير هذا الموضوع ذكرناه في تفسير
قوله ينزل الملائكة بالروح من امره (واما بيان المقام الثاني) وهوان الروح اللاتقي بهذا
الموضع هو القرآن لانه تقدمه قوله ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين والذي
تأخر عنه قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الى قوله قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلما كان
ما قبل هذه الآية في وصف القرآن وما بعدها كذلك وجب ايضا ان يكون المراد من هذا
الروح القرآن حتى تكون آيات القرآن كلها متناسبة متناسقة وذلك لان القوم
استعظموا امر القرآن فسألوا انه من جنس الشعر او من جنس الكهانة فأجابهم الله
تعالى بأنه ليس من جنس كلام البشر وانما هو كلام ظهر بأمر الله ووحيه وتنزله فقال
قل الروح من امر ربي اي القرآن انما ظهر بأمر ربي وليس من جنس كلام البشر
(القول الثاني) ان الروح المسؤول عنه في هذه الآية ملك من ملائكة السموات وهو
اعظمهم قدرا وقوة وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفاً وثقلوا عن
علي بن ابي طالب رضى الله عنه انه قال هو ملك له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون
الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى تلك اللغات كلها ويخلق الله من
كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيامة قالوا ولم يخلق الله تعالى خلقا اعظم
من الروح غير العرش ولو شاء ان يتلع السموات السبع والارضين السبع ومن فيهن
بلقمة واحدة لفعل ولقائل ان يقول هذا القول ضعيف وبانه من وجوه (الاول) ان
هذا التفصيل لما عرفه على فالتى أولى ان يكون قد عرفه فلم يخبرهم به وايضا ان عليا
ما كان ينزل عليه الوحي فهذا التفصيل ما عرفه الا من النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الشرح والبيان لعلى ولم يذكره لغيره (الثاني) ان ذلك الملك
ان كان حيوانا واحدا واقلا واحدا لم يكن في تكثير تلك اللغات فائدة وان كان المتكلم
بكل واحد من تلك اللغات حيوانا آخر لم يكن ذلك ملكا واحدا بل يكون ذلك مجموع
ملائكة (والثالث) ان هذا شئ مجهول الوجود فكيف يسئل عنه اما الروح الذي هو
سبب الحياة فهو شئ تتوفر داعي العقلاء على معرفته فصرف هذا السؤال اليه أولى
(والقول الثالث) وهو قول الحسن وقادة ان هذا الروح جبريل والدليل عليه انه تعالى
سمى جبريل بالروح في قوله نزل به الروح الامين على قلبك وفي قوله فارسلنا البهاروحنا
وبؤك هذا انه تعالى قال قل الروح من أمر ربي وقال جبريل وما ننزل الا بأمر ربك
فسألوا الرسول كيف جبريل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي اليه (والقول الرابع)
قال مجاهد الروح خلق ليسوا من الملائكة على صورتهن آدميا يكون ولهم ايد وارجل
ورؤس وقال ابو صالح يشبهون الناس وليسوا بالناس ولم اجد في القرآن ولا في الاخبار

الاثبات به فضلا عن غيرها وفيه
جسم لا طماغم الفارقة في روم
تبدل بعض آياته ببعض ولا مسامح
لكون الآية تقريرا لما قبلها من
قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا كما قيل لكن لا ما قيل من
ان الانسان بمثله اصعب من
استرداد عيونه وفي الشئ انما
يقرره في مادونه لاني ما فوقه
فان اصعب الاسترداد بغير امره
تعالى من الاثبات بمثله مما لا شبهة
فيه بل لان الجملة القسمة ليست
مسوقة الى النبي صلى الله عليه
وسلم بل الى المكابرين من قبله عليه
السلام (ولقد صرفنا) ذكرنا
ورددنا على اصحاب مختلفة توجب
زيادة تقرير بيان وو كاد رسوخ
واطمئنان (للناس في هذا
القرآن) المنعوت بما ذكر من
الثبوت القاطنة (من كل مثل)

الصحة شيئا يمكن التمسك به في اثبات هذا القول وايضا فهذا شيء مجهول فيعذر صرف هذا السؤال اليه فالحاصل ما ذكرناه في تفسير الروح المذكورة في هذه الآية هذه الاقوال الخمسة والله اعلم بالصواب (المسئلة الثالثة) في شرح مذاهب الناس في حقيقة الانسان اعلم ان العلم الضروري حاصل بأن هنا شيئا اليه يشير الانسان بقوله انا واذ قال الانسان علمت وفهمت وابصرت وسمعت وذقت وشممت ولمست وفضبت فالمشار اليه لكل احد بقوله انا اما ان يكون جمعا او عرضا او مجموع الجسم والعرض او شيئا مغايرا للجسم والعرض او ما تركب من الجسم والعرض او من ذلك الشيء الثالث فهذا ضبط معقول (اما القسم الاول) وهو ان يقال ان الانسان جسم فذلك الجسم اما ان يكون هو هذه البنية او جمعا داخلا في هذه البنية او جمعا خارجا عنها اما القائلون بأن الانسان عبارة عن هذه البنية المحسوسة وعن هذا الجسم المحسوس فهم جمهور المتكلمين وهؤلاء يقولون الانسان لا يحتاج تعريفه الى ذكر حد او رسم بل الواجب ان يقال الانسان هو الجسم المبني بهذه البنية المحسوسة واعلم ان هذا القول عندنا باطل وتقريره انهم قالوا الانسان هو هذا الجسم المحسوس فاذا ابطنا كون الانسان عبارة عن هذا الجسم وابطنا كون الانسان محسوسا فقد بطل كلامهم بالكلية والذي يدل على انه لا يمكن ان يكون الانسان عبارة عن هذا الجسم وجوه (الجملة الاولى) ان العلم البديهي حاصل بأن اجزاء هذه الجملة متبدلة باز يدق النقضان تارة بحسب النمو والذبول وتارة بحسب السمن والهزل والعلم الضروري حاصل بأن التبدل المتغير مغاير للثابت الباقي ويحصل من مجموع هذه المقدمات الثلاثة العلم القطعي بأن الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه الجملة (الجملة الثانية) ان الانسان حال ما يكون مشغول الفكر متوجه الهمة نحو امر معين مخصوص فانه في تلك الحالة يكون غافلا عن جميع اجزاء بدنه وعن اعضائه وابعاضه مجموعها ومفصلها وهو في تلك الحالة غير غافل عن نفسه المعينة بدليل انه في تلك الحالة قد يقول غضبت واشتيت وسمعت كلامك وابصرت وجهك وتأه الضمير كناية عن نفسه فهو في تلك الحالة عالم بنفسه المخصوصة وغافل عن جملة بدنه وعن كل واحد من اعضائه وابعاضه والمعلوم غير ما هو غير معلوم فالانسان يجب ان يكون مغايرا لجملة هذا البدن ولكل واحد من اعضائه وابعاضه (الجملة الثالثة) ان كل احد يحكم عقله باضافة كل واحد من هذه الاعضاء الى نفسه فيقول رأسي وعيني ويدي ورجلي ولساني وقلبي والمضاف غير المضاف اليه فوجب ان يكون الشيء الذي هو الانسان مغايرا لجملة هذا البدن ولكل واحد من هذه الاعضاء فان قالوا قد يقول نفسي وذاتي فيضيف النفس والذات الى نفسه فيلزم ان يكون الشيء وذاته مغايرة لنفسه وهو محال قلنا قد يراه هذا البدن المخصوص وقد يراد بنفس الشيء وذاته الحقيقة المخصوصة التي يشير اليها كل احد بقوله انا فاذا قال نفسي وذاتي فان كان المراد البدن فعندنا انه مغاير لجوهر الانسان

من كل معنى بديع هو في الحسن والفرابة واستغلاب النفس كالمثل ليتقوه بالقبول (فأبي اكر الناس) او ترا الاظهار على الاضمار تأكيذا وتوضيحا (الا كفورا) اي الالمجودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي كأنه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابواب الايمان لان فيه دلالة على الهم لم يرضوا بخصه سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا عنى بلغوا مرتبة الاياه (وقالوا) عند ظهور عجزهم ووضوح مغلو بينهم بالانحياز التنزيلى وغيره من المعجزات الباهرة متعاليين عما لا يمكن في العادة وجوده

اما اذا اريد بالنفس والذات الحقيقة المخصوصة المشار اليها بقوله انا فلان نسلم ان الانسان
 يمكنه ان يضيف ذلك الشيء الى نفسه بقوله انساني وذلك لانه عين ذاته فكيف يضيفه
 مرة اخرى الى ذاته (الجملة الرابعة) ان كل دليل يدل على ان الانسان يتمتع ان يكون جمعا
 فهو ايضا يدل على انه يتمتع ان يكون عبارة عن هذا الجسم وسيأتي تقرير تلك الدلائل
 (الجملة الخامسة) ان الانسان قد يكون حيا حال ما يكون البدن ميتا فوجب كون
 الانسان مغايرا لهذا البدن والدليل على صحة ما ذكرناه قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا
 في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فهذا النص صريح في ان أولئك
 المقتولين احياء والحس يدل على ان هذا الجسد ميت (الجملة السادسة) ان قوله تعالى
 النار يرضون عليها غدوا وعشيا وقوله اغرقوا فأدخلوا نارا يدل على ان الانسان
 يحيا بعد الموت وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام انبياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار
 الى دار وكذلك قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار
 وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام من مات فقد قامت قيامته كل هذه النصوص تدل على
 ان الانسان يبقى بعد موت الجسد وبديهة العقل والظطرة شاهدان بأن هذا الجسد ميت
 ولو جوزنا كونه حيا جاز مثله في جميع المجادات وذلك عين السفسطة واذ اثبت ان
 الانسان حي وكان الجسد ميتا لزم ان الانسان شيء غير هذا الجسد (الجملة السابعة) قوله
 عليه السلام في خطبة طويلة له حتى اذا حل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش
 ويقول يا هلي ويا ولدي لاتلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله وغير حله
 فالغنى لغيري والتبعة على فاحذروا مثل ما حل بي وجه الاستدلال ان النبي صلى الله
 عليه وسلم صرح بأن حال ما يكون الجسد محمولا على النعش في هناك شيء ينادى ويقول
 يا هلي ويا ولدي جمعت المال من حله وغير حله ومعلوم ان الذي كان الازل اهلا له وكان
 جامعا للمال من الحرام والحلال والذي بقي في رقبته الوبال ليس الأذلك الانسان فهذا
 تصريح بأن في الوقت الذي كان الجسد ميتا محمولا كان ذلك الانسان حيا باقيا فاهما
 وذلك تصريح بأن الانسان شيء مغاير لهذا الجسد ولهذا الهيكل (الجملة الثامنة) قوله
 تعالى يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والخطاب بقوله ارجعي
 اتماما وتوجه عليها حال الموت فدل هذا على ان الشيء الذي يرجع الى الله بعد موت
 الجسد يكون حيا راضيا عن الله ويكون راضيا عنه الله والذي يكون راضيا ليس
 الا الانسان فهذا يدل على ان الانسان يبقى حيا بعد موت الجسد والحي غير الميت قال الانسان
 مغاير لهذا الجسد (الجملة التاسعة) قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا
 وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق أثبت كونهم مردودين الى الله الذي هو
 مولاهم حال كون الجسد ميتا فوجب ان يكون ذلك المردود الى الله مغايرا لذلك الجسد
 البت (الجملة العاشرة) ترى جميع فرق الدنيا من الهند والروم والعرب والجم وجع

ولا تقتضي الحكمة وقوعه من
 الامور كما هو يدعي اليهود المجهول
 التجويع (ان تؤمن لك حتى تغير)
 وقرى بالشديد (لنؤمن الارض)
 ارض مكة (ينبوعا) عينا لا ينضب
 ماؤها يقول من نبع الماء
 كعبوب من عب الماء اذا زخر
 (او تكون لك جنة) اي بستان
 تستراشجاره ما تحتها من العرصة
 (من نخيل وعنب تغير الانهار)
 اي تجري بها بقوة (خلالها تغيرا)
 كثيرا والمراد اما اجراء الانهار
 خلالها عند سفحها او اقامة
 اجرامها كما ينبغي عنه الفاء لا يتدأوه
 (او تسقط السماء كما زعمت علينا
 كسفا) جمع كسفة كقطعة وقطع
 لفظا ومعنى وقرى بالسكون
 كدرة وسدروهي حال من الساء
 والكاف في كافي يحمل النصب
 على انه صفة مصدر

ارباب الملل والنحل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسأترفق العالم وطوائفهم
بصدقون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير وينهبون الى زيارتهم ولولا انهم بعد موت
الجسد بقوا احياء لكان التصديق عنهم عبثا والدعاء لهم عبثا ولكن الذهاب الى
زيارتهم عبثا فالاتباع على هذه الصدقة وعلى هذا الدعاء وعلى هذه الزيارة يدل على ان
فطرتهم الاصلية السليمة شاهدة بأن الانسان شيء غير هذا الجسد وان ذلك الشيء لا يموت
بل يموت هذا الجسد (الجنة الحادية عشرة) ان كثيرا من الناس يرى اياه او ابنه بعد موته
في المنام ويقول له اذهب الى الموضع الفلاني فان فيه ذهاب دفنته لك وقد براه فيوصيه
بقضاء دين عنه ثم عند البقظة اذا قش كان كما رآه في النوم من غير تفاوت ولولا ان
الانسان يبقى بعد الموت لما كان كذلك ولما دل هذا الدليل على ان الانسان يبقى بعد
الموت ودل الحس على ان الجسد ميت كان الانسان مغايرا لهذا الجسد الميت (الجنة
الثانية عشرة) ان الانسان اذا ضاع عضون من اعضائه مثل ان تقطع يده او رجلاه
او تقطع عيناه او تقطع أذناه الى غير هاتين الاعضاء فان ذلك الانسان يجد من قلبه وعقله
انه هو عين ذلك الانسان ولم يقع في عين ذلك الانسان تفاوت حتى انه يقول ان ذلك
الانسان الذي كنت موجودا قبل ذلك الا انه يقول انهم قطعوا يدي ورجلي وذلك برهان
يقيني على ان ذلك الانسان شيء مغاير لهذه الاعضاء والابعض وذلك يبطل قول من
يقول الانسان عبارة عن هذه البنية المخصوصة (الجنة الثالثة عشرة) ان القرآن
والاحاديث يدلان على ان جماعة من اليهود قد مضى عنهم الله وجعلهم في صورة القردة
والخنزير فنقول ذلك الانسان هل بقي حال ذلك المسخ او لم يبق فان لم يبق كان هذا امانة
لذلك الانسان وخلق ذلك الخنزير وليس هذا من المسخ في شيء وان قلنا ان ذلك الانسان
بقي حال حصول ذلك المسخ فنقول على ذلك التقدير ذلك الانسان باق وتلك البنية وذلك
الهيكل غير باق فوجب ان يكون ذلك الانسان شيئا مغايرا لتلك البنية (الجنة الرابعة
عشرة) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة
دحية الكلبي وكان يرى ابليس في صورة الشيطان فبهنا بنية الانسان وهيكله
وشكله حاصل مع ان حقيقة الانسان غير حاصلة وهذا يدل على ان الانسان ليس عبارة
عن هذه البنية وهذا الهيكل والفرق بين هذه الجنة والتي قبلها انه حصلت صورة هذه
البنية مع عدم هذه البنية وهذا الهيكل (الجنة الخامسة عشرة) ان الزاني يزني بفرجه
فيضرب على ظهره فوجب ان يكون الانسان شيئا آخر سوى الفرج وسوى الظهر ويقال
ان ذلك الشيء يستعمل الفرج في عمل والظهر في عمل آخر فيكون التلذذ والتألم هو ذلك
الشيء الا انه تحصل تلك الالذة بواسطة ذلك العضو وتألم بواسطة الضرب على هذا العضو
(الجنة السادسة عشرة) اني اذا تكلمت مع زيد وقلت له اضل كذا الا تفعل كذا
فانطاب بهذا الخطاب والمأمور والمنهى ليس هو جهة زيد ولا حديثه ولا نفعه ولا

محذوف اي اسقاطا مما لا
زعمت بمنون بذلك قوله تعالى
او تسقط عليهم كسفا من السماء
(اوتأتى بالله والملائكة قبيلا)
اي مقابلا للعشير والمعاشر او
كقيل لا يشهد بصحة ما تدعيه وهو
حال من الجلالة وحال الملائكة
محذوفة لدلائلها عليهما اي
والملائكة قبلا كما حذف الخبر
في قوله فاني وقياس بها لغريب
او جماعة فيكون حال من الملائكة
(او يكون لك بيت من زخرف)
من ذهب وقد قرئ به واصله
الزينة (او ترقى في السماء) اي
في مدارجها فيحذف المضاف
قال رقي في السلم وفي الدرجة
(ولن تؤمن لرقبك) اي لاجل
رقبك فيها وحده اولن نصنق
رقبك فيها (حتى تنزل) منها
(علينا كتابا) فيه تصديقك
(تقرؤه) نحن

ولاشئنا من أعضائه بعينه فوجب أن يكون المأمور والمنهى والمحاطب شيئا مغايرا لهذه
 الأعضاء وذلك يدل على أن ذلك المأمور والمنهى غير هذا الجسد فان قالوا لم لا يجوز أن
 يقال المأمور والمنهى جملة هذا البدن لاشئ من أعضائه وأبعاضه قلنا توجه التكليف على
 الجملة انما يصح لو كانت الجملة هامة عامة فنقول لو كانت الجملة هامة عامة فالما أن
 يقوم بمجموع البدن علم واحد او يقوم بكل واحد من اجزاء البدن علم على حدة والاول
 يقتضى قيام العرض بالحال الكثيرة وهو محال والثاني يقتضى أن يكون كل واحد من
 اجزاء البدن عالما فاهما مدركا على سبيل الاستقلال وقد بينا أن العلم الضروري حاصل
 بأن الجزء المعين من البدن ليس عالما فاهما مدركا بالاستقلال فمقتضى هذا السؤال (الجملة
 السابعة عشرة) أن الانسان يجب أن يكون عالما والعلم لا يحصل الا في القلب فيلزم أن
 يكون الانسان عبارة عن الشئ الموجود في القلب واذا ثبت هذا باطل القول بأن الانسان
 عبارة عن هذا الهيكل وهذه الجثة انما قلنا أن الانسان يجب أن يكون عالما لانه فاعل
 مختار والفعل المختار هو الذي يفعل بواسطة القلب والاختيار وهما مشروطان بالعلم
 لان ما لا يكون مقصودا امتنع القصد الى تكوينه ثبت أن الانسان يجب أن يكون عالما
 بالاشياء وانما قلنا أن العلم لا يوجد الا في القلب لبرهان والقرآن اما البرهان فلان نجد
 العلم الضروري بأننا نجد علومنا من ناحية القلب واما القرآن فآيات نحو قوله تعالى لهم
 قلوب لا يفقهون بها وقوله كتب في قلوبهم الايمان وقوله تزل به الروح الامين على قلبك
 واذا ثبت أن الانسان يجب أن يكون عالما وثبت أن العلم ليس الا في القلب ثبت أن
 الانسان شئ في القلب او شئ له تعلق بالقلب وعلى التقديرين فانه يطل قول من يقول
 الانسان هو هذا الجسد وهذا الهيكل واما البحث الثاني وهو بيان أن الانسان غير
 محسوس وهو أن حقيقة الانسان شئ مغاير للسطح واللون وكل ما هو مرئي فهو اما السطح
 واما اللون وهما مقدمتان قطعيتان وينتج هذا القياس أن حقيقة الانسان غير مرئية
 ولا محسوسة وهذا برهان يقيني (المسئلة الرابعة) في شرح مذاهب القائلين بأن الانسان
 جسم موجود في داخل البدن اعلم أن الاجسام الموجودة في هذا العالم السفلي اما أن
 تكون احد العناصر الاربعة او ما يكون متولدا من امتزاجها ويتمتع أن يحصل في البدن
 الانساني جسم عنصرى بل لا بد وان يكون الحاصل جسما متولدا من امتزاجات
 هذه الاربعة فنقول اما الجسم الذي تغلب عليه الارضية فهو الاعضاء الصلبة والكشيفة
 كالعظم والغضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد ولم يقل احدهم
 العقلاء الذين قالوا الانسان شئ مغاير لهذا الجسد بأنه عبارة عن عضومعين من هذه
 الاعضاء وذلك لان هذه الاعضاء كثيفة ثقيلة ظلمانية فلا جرم لم يقل احدهم العقلاء بأن
 الانسان عبارة عن احدهم الاعضاء واما الجسم الذي تغلب عليه المائية فهو الاخلاط
 الاربعة ولم يقل احد في شئ منها انه الانسان الا في الدم فان منهم من قال انه هو الروح

من غيوان يلقى من قبلك عن ابن
 عباس رضي الله عنهما قال عبد الله
 ابن ابي امية ان يؤمن لك حتى
 تغذالى السماء سلما ثم ترقى فيه
 وانا انظر حتى تأتيتها وتأتى معك
 بصك منشور معه اربعة من
 الملائكة يشهدونك كما تقول
 وما كانوا يقصدون بهاتيك
 الافتراضات الباطلة الا لتساد
 والبجاج ولو اتوا اتوا انصاف
 ما اقترحوا من الآيات ما زادهم
 ذلك الا مكابرة والافتقار كان
 يكفهم بعض ما شاهدوا من
 المعجزات التي تغرلها هم الجبال
 (قل) تجيبا من شدة شكيتهم
 وتزيها لساحة السجرات
 عما لا يكاد يلقى بها من مثل هذه
 الافتراضات الشنيعة التي تنكاد
 السموات فيظفرون منها اوعن
 طلبك ذلك وتنبها على بطلان

بدليل انه اذا خرج لزم الموت اما الجسم الذى تغلب عليه الهوائية والنارية فهو الارواح
وهى نوعان (احدهما) اجسام هوائية مخلوطة بالحرارة الغريزية متولدة اما فى القلب
او فى الدماغ وقالوا انها هى الروح وانها هى الانسان ثم اختلفوا فتم من يقول الانسان
هو الروح الذى فى القلب ومنهم من يقول انه جزء لا يتجزأ فى الدماغ ومنهم من يقول
الروح عبارة عن اجزاء نارية مختلطة بهذه الارواح القلبية والدماغية وتلك الاجزاء
النارية وهى المسماة بالحرارة الغريزية هى الانسان ومن الناس من يقول الروح عبارة
عن اجسام نورانية سماوية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس وهى لا تقبل التحلل
والتبدل ولا التفرق ولا التزق فاذا تكون البدن وتم استعدادده وهو المراد بقوله
فاذا سوتته نفذت تلك الاجسام الشريفة السماوية الالهية فى داخل اعضاء البدن
تفادالتار فى الفهم وتفاذدهن السمم فى السمم وتفاذ ماء الورد فى جسم الورد ونفاذ
تلك الاجسام السماوية فى جوهر البدن هو المراد بقوله ونفخت فيه من روحي ثم ان
البدن مادام يبقى سليما قابلا لنفاذ تلك الاجسام الشريفة يبقى حيا فاذا تولدت فى البدن
اخلاط غليظة منعت الاخلاط الغليظة من سريان تلك الاجسام الشريفة فيها
فانفصلت عن هذا البدن فحينئذ يعرض الموت فهذا مذهب قوى شريف يجب التأمل
فيه فانه شديد المطابقة لما ورد فى الكتب الالهية من احوال الحياة والموت فهذا تفصيل
مذاهب القائلين بأن الانسان جسم موجود فى داخل البدن واما ان الانسان جسم
موجود خارج البدن فلا يعرف احدا ذهب الى هذا القول (اما القسم الثانى) وهو
ان يقال الانسان عرض حال فى البدن فهذا لا يقول به عاقل لان من المعلوم بالضرورة
ان الانسان جوهر لانه موصوف بالعلم والقدرة والتدبير والتصرف ومن كان كذلك
كان جوهره والجوهر لا يكون عرضا بل الذى يمكن ان يقول به كل عاقل هو ان الانسان
يشترط ان يكون موصوفا بعراض مخصوصة وعلى هذا التقدير فللناس فيه اقوال (القول
الاول) ان العناصر الاربعة اذا امتزجت وانكسرت سورة كل واحد منها بسورة
الآخر حصلت كيفية معتدلة هى المزاج ومراتب هذا المزاج غير متناهية فبعضها
هى الانسانية وبعضها هى الفرسية فالانسانية عبارة عن اجسام موصوفة متولدة عن
امتزاجات اجزاء العناصر بمقدار مخصوص هذا قول جهور الأطباء ومنكرى بقاء
النفس وقول ابن الحسين البصرى من المعتزلة (والقول الثانى) ان الانسان عبارة عن
اجسام مخصوصة بشرط كونها موصوفة بصفة الحياة والعلم والقدرة والحياة عرض قائم
بالجسم وهؤلاء انكروا الروح والنفس وقالوا ليس ههنا الاجسام مؤلفة موصوفة
بهذه الاعراض المخصوصة وهى الحياة والعلم والقدرة وهذا مذهب اكثر شيوخ المعتزلة
(والقول الثالث) ان الانسان عبارة عن اجسام موصوفة بالحياة والعلم والقدرة
والانسان انما يمتاز عن سائر الحيوانات بشكل جسده وهيئة اعضاءه واجزائه الا ان

ما قوله (سبحان ربى) وقرئ قال
سبحان ربى (هل كنت الا بشرا)
لاملكا حتى يتصور منى الرقى
فى السماوى نحوه (رسولا) مأمورا
من قبل ربى بتبليغ الرسالة من غير
ان يكون لى خيرة فى الامر كسائر
الربلا وكانوا لا يأتون فومهم
الاجما يظهره الله على ايديهم
حسبيا يلائم حال قومهم ولم يكن
اسر الايات اليهم ولالهم ان
يقوموا على الله سبحانه بشئ
منها وقوله بشرا خير لكنت
ورسولا صفته (وامنع الناس)
اى الذى حكيت اباطيلهم (ان
يؤمنوا) مفعول ثانى لمنع وقوله
(اذ جاءهم الهدى) اى الوصى
طرف لمنع او يؤمنوا اى وما
منهم وقت يحيى الوصى المقرون

هذا مشكل فان الملائكة قد يشبهون بصور الناس فهنا صورة الانسان حاصلة مع عدم الانسانية وفي صورة المسخ معنى الانسانية حاصل مع ان هذه الصورة غير حاصلة فقد بطل اعتبار هذا الشكل في حصول معنى الانسانية طردا وعكسا (اما القسم الثالث) وهو ان يقال الانسان موجود ليس بجمم ولا جممانية فهو قول اكثر الالهيين من الفلاسفة القائلين ببقاء النفس المتبئين للنفس معاد روحانيا وثوابا وعقابا وحسابا روحانيا وذهب اليه جماعة عظيمة من علماء المسلمين مثل الشيخ ابي القاسم الراغب الاصفهاني والشيخ ابي حامد الغزالي رحمهما الله ومن قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمي ومن الشيعة الملقب عندهم بالشيخ المفيد ومن الكرامية جماعة واعلم ان القائلين بانبات النفس فريقان (الاول) وهم المحققون منهم من قال الانسان عبارة عن هذا الجوهر المخصوص وهذا البدن وعلى هذا التقدير فالانسان غير موجود في داخل العالم ولا في خارجه وغير متصل في داخل العالم ولا في خارجه وغير متصل بالعالم ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما ان الله العالم لاتعلق له بالعالم الاعلى سبيل التصرف والتدبير (والفريق الثاني) الذين قالوا النفس اذا تعلقت بالبدن اتحدت بالبدن فصارت النفس عين البدن والبدن عين النفس وجموعهما عند الاتحاد هو الانسان فاذا جاء وقت الموت بطل هذا الاتحاد وبقيت النفس وفسد البدن فهذه جملة مذاهب الناس في الانسان وكان ثابت بن قرة يثبت النفس ويقول انها متعلقة بأجسام سماوية نورانية لطيفة غير قابلة للكون والفساد والتفرق والتزق وان تلك الاجسام تكون سارية في البدن ومادام بقي ذلك السريان بقيت النفس مدبرة للبدن فاذا انفصلت تلك الاجسام الطيفة عن جوهر البدن انقطع تعلق النفس عن البدن (المسئلة الخامسة) في دلائل ثبوت النفس من ناحية العقل احتج القوم بوجود كثيرة بعضها قوى وبعضها ضعيف والوجوه القوية بعضها قطعية وبعضها افتناعية فلنذكر الوجوه القطعية (الجملة الاولى) لاشك ان الانسان جوهر فاما ان يكون جوهر متغيرا او غير متغير والاول باطل فتعين الثاني والذي يدل على انه يمتنع ان يكون جوهر متغيرا انه لو كان كذلك لكان كونه متغيرا غير تلك الذات ولو كان كذلك لكان كل ما علم الانسان ذاته المخصوصة وجب ان يعلم كونه متغيرا بمقدار مخصوص وليس الامر كذلك فوجب ان لا يكون الانسان جوهر متغيرا فتفقر في تقرير هذا الدليل الى مقدمات ثلاثة (المقدمة الاولى) لو كان الانسان جوهر متغيرا لكان كونه متغيرا عين ذاته المخصوصة والدليل عليه انه لو كان متغيرا صفة قائمة لكان ذلك المحل من حيث هو مع قطع النظر عن هذه الصفة اما ان يكون متغيرا او لا يكون والقسمان باطلان فبطل القول بكون المتغير صفة قائمة للمحل انما قلنا انه يمتنع ان يكون محل التغير لانه يلزم كون الشيء الواحد متغيرا مرتين ولانه يلزم اجتماع المتلين ولانه ليس جعل احدهما ذاتا والاخر صفة أولى من

بالعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وينسوتك او ما عنهم ان يؤمنوا بذلك وقت يحيى ما ذكر (الان قالوا) في محل الرفع على انه قائل منع اى الا قولهم (ايبت الله بشارسولا) متكرين ان يكون رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم ففتح بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل لكل المستنبح لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايدانا بأنه مجرد قول يقولونه بأفواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصدق وحصر

العكس ولأن التحيز الثاني ان كان عين الذات فهو المقصود وان كان صفة لزم التسلسل وهو محال وانما قلنا انه يمنع ان يكون محل التحيز غير متحيز لان حقيقة التحيز هو الذهاب في الجهات والامتداد فيها والشئ الذي لا يكون متحيزا لم يكن له اختصاص بالجهات وحصوله فيها ليس بمتحيز محال فثبت بهذا انه لو كان الانسان جوهر متحيزا لكان تحيزه غير ذاته المخصوصة (المقدمة الثانية) لو كان تحيز ذاته المخصوصة عين ذاته المخصوصة لكان متى عرف ذاته المخصوصة فقد عرف كونها متحيزة والدليل عليه انه لو صارت ذاته المخصوصة معلومة وصارت تحيزه مجهولا لزم اجتماع النقي والاثبات في الشئ الواحد وهو محال (المقدمة الثالثة) اتنا قد عرف ذاتنا حال كوننا جاهلين بالتحيز والامتداد في الجهاد الثلاثة وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان فان الانسان حال كونه مشتغلا بشئ من المهمات مثل ان يقول لعبده لم فعلت كذا ولم خالفت امرى واتى بالغ في تأديبك وضربك فعند ما يقول لم خالفت امرى يكون عالما بذاته المخصوصة اذا لم يعلم ذاته المخصوصة لامتنع ان يعلم ان ذلك الانسان خالفه وامتنع ان يخبر عن نفسه بانه على عزم ان يؤذيه ويضره في هذه الحالة يعلم ذاته المخصوصة مع انه في تلك الحالة لا يخطر بباله حقيقة التحيز والامتداد في الجهات والحصول في التحيز فثبت بما ذكرنا انه لو كان ذات الانسان جوهر متحيزا لكان تحيزه عين ذاته المخصوصة ولو كان كذلك لكان كل ما علم ذاته المخصوصة فقد علم التحيز وثبت انه ليس كذلك فلزم ان يقال ذات الانسان ليس جوهر متحيز او ذلك هو المطلوب فان قالوا هذا معارض بانه لو كان ذات الانسان جوهر مجردا لكان كل من عرف ذات نفسه عرف كونه جوهر مجردا وليس الامر كذلك فلنا الفرق ظاهر لان كونه مجردا معناه انه ليس بمتحيز ولا حال في التحيز وهذا السلب ليس عين تلك الذات المخصوصة لان السلب ليس عين الثبوت واذا كان كذلك لم يبعد ان تكون تلك الذات المخصوصة معلومة وان لا يكون ذلك السلب معلوما بخلاف كونه متحيزا فانا قد دللنا على ان تقدير كون الانسان جوهر متحيزا يكون تحيزه عين ذاته المخصوصة وعلى هذا التقدير يمنع ان تكون ذاته معلومة ويكون تحيزه مجهولا فظهر الفرق (الجملة الثانية) النفس واحدة ومتى كانت واحدة وجب ان تكون مغيرة لهذا البدن ولكل واحد من اجزائه فبهذه الجملة مبينة على مقدمات (المقدمة الاولى) هي قولنا النفس واحدة قلنا ههنا مقامان تارة تدعى العلم البدهي فيه واخرى تقيم البرهان على صحته (اما المقام الاول) وهو ادعاء البديهية فنقول المراد من النفس هو الشئ الذي يشير اليه كل احد بقوله انا وكل احد يعلم بالضرورة انه اذا اشار الى ذاته المخصوصة بقوله انا لكان ذلك المشار اليه واحدا غير متعدد فان قيل لم لا يجوز ان يكون المشار اليه لكل احد بقوله انا وان كان واحدا الا ان ذلك الواحد يكون مركبا من اشياء كثيرة قلنا انه لاحاجة لنا في هذا المقام الى دفع هذا السؤال بل نقول المشار اليه بقوله انا معلوم بالضرورة انه شئ

المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لا انه مغلطها اولاته هو المانع بحسب الحال اعني عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي يتشبهون به حيث يئذ من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايدان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسما لو ادشبههم مجئنا الى الايمان يعكسون الامر ويجهلون ما لنا منه (قل) لهم اولامن قبلنا نبينا للعكمة وتحقيقا للحق المزيج الرريب (لو كان) اى لو وجد واستقر (في الارض) يدل البشر (ملائكة يمشون مطمئنين)

واحد فأما ان ذلك الواحد هل هو واحد مركب من اشياء كثيرة او هو واحد في نفسه
واحد في حقيقته فهذا لاحاجة اليه في هذا المقام (اما المقام الثاني) وهو مقام الاستدلال
فالذي يدل على وحدة النفس وجوه (الجملة الاولى) ان الغضب حالة نفسانية تحدث عند
ارادة دفع المنافر والشهوة حالة نفسانية تحدث عند طلب الملايم مشروطا بالشعور
بكون الشيء ملايما ومنافرا فالقوة الغضبية التي هي قوة دافعة للمنافر ان لم يكن لها شعور
بكونه منافرا المتع اتبعائها بالدفع ذلك المنافر على سبيل القصد والاختيار لان القصد الى
الجذب تارة وعلى الدفع أخرى مشروط بالشعور بالشيء فالشيء المحكوم عليه بكونه دافعا
للمنافر على سبيل الاختيار لا بد وان يكون له شعور بكونه منافرا فالذي يغضب لا بد وان
يكون هو بعينه مدركا فثبت بهذا البرهان القيني مبينة حاصلة في ذوات متباينة (الجملة
الثانية) انا اذا فرضا جوهرين مستقلين يكون كل واحد منهما مستقلا بفعله الخاص
امتنع ان يصير اشتغال احدهما بفعله الخاص مانعا للآخر من اشتغاله بفعله الخاص
به واذا ثبت هذا فقول لو كان محل الادراك والفكر جوهرًا ومحل الغضب جوهرًا
آخر ومحل الشهوة جوهرًا ثالثًا وجب ان لا يكون اشتغال القوة الغضبية بفعالها مانعا
للقوة الشهوانية من الاشتغال بفعالها ولا بالعكس لكن الثاني باطل فان اشتغال الانسان
بالشهوة وانصبابه اليها يمتنع من الاشتغال بالغضب وانصبابه اليه وبالعكس فعلمنا ان هذه
الامور الثلاثة ليست مبادئ مستقلة بل هي صفات مختلفة لجوهر واحد فلا جرم كان
اشتغال ذلك الجوهر باحد هذه الافعال عاقله عن الاشتغال بالفعال الآخر (الجملة
الثالثة) انا اذا ادركنا اشياء فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقديصر سببا
لحصول الغضب فلو كان الجوهر المدرك مقاييرا للذي يغضب والذي يشتهي فحين ادرك
الجوهر المدرك لم يحصل عند الجوهر المشتهى من ذلك الادراك اثر ولا خبر فوجب ان لا
يقرب على ذلك الادراك لاحصول الشهوة ولا حصول الغضب وحيث حصل هذا
القرب والاستزام علمنا ان صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة بعينه او صاحب
الغضب بعينه (الجملة الرابعة) ان حقيقة الحيوان انه جسم ذو نفس حساسة متحركة
بالارادة فالنفس لا يمكنها ان تتحرك بالارادة الا عند حصول الداعي ولا معنى للداعي
الا الشعور بتجربة رغب في جذبها او بشئ يرغب في دفعه وهذا يقتضي ان يكون المتحرك
بالارادة هو بعينه مدركا للخبر والشر والملاذ والمؤذى والنافع والضار فثبت بما ذكرنا ان
النفس الانسانية شئ واحد فثبت ان ذلك الشئ هو البصر والسمع والشم والذائق
واللامس والتخيل والتفكر والتذكر والمشتهى والغاضب وهو الموصوف بجميع
الادراكات لكل المدركات وهو الموصوف بجميع الافعال الاختيارية والحركات
الارادية (واما المقدمة الثانية) في بيان انه لما كانت النفس شيئا واحدا وجب ان لا
تكون النفس في هذا البدن ولا شيئا من اجزائه فقول اما بيان انه متى كان الامر

قارن فيها من غير ان يرجوا
في السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم
(نزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا) يهديهم الى الحق
ويرشدهم الى الخير لتكنهم
من الاجتماع والتلقي منه وامامة
البشر فهم يحول من استحقاق
المواصلة الملكية كيف لا وهي
منوطة بالتناسب والجانس
فبعث الملك اليهم مزام الحكمة
التي عليها مبني التكوين
والتشريع واقاميت الملك من
يتنهم الى الخواص المختصين
بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة
القدسية المتعلقين بكل العالمين
الروحاني والجهاني ليتلقوا من
جانب ويلقوا الى جانب وقوله
تعالى

كذلك امتنع كون النفس عبارة عن جملة هذا البدن وكذا القوة السامعة وكذا سائر القوى كالتهييل والتذكر والتفكير والعلم بان هذه القوى غير سارية في جملة اجزاء البدن علم بدیهی بل هو من اقوى العلوم البدیة واما بان انه يتمتع ان تكون النفس جزءا من اجزاء هذا البدن فانا نعلم بالضرورة انه ليس في البدن جزء واحد هو بعينه موصوف بالاَبصار والسمع والفكر والذكر بل الذي يتبادر الى الخاطر ان الابصار مخصوص بالعين لا بسائر الاعضاء والسمع مخصوص بالاذن لا بسائر الاعضاء والصوت مخصوص بالخلق لا بسائر الاعضاء وكذلك القول في سائر الادراكات وسائر الافعال فاما ان يقال انه حصل في البدن جزء واحد موصوف بكل هذه الادراكات وبكل هذه الافعال فالعلم الضروري حاصل بانه ليس الامر كذلك فثبت بما ذكرنا ان النفس الانسانية شئ واحد موصوف بجملة هذه الادراكات وبجملة هذه الافعال وثبت بالبدیة ان جملة البدن ليست كذلك وثبت ايضا ان شيئا من اجزاء البدن ليس كذلك فحينئذ يحصل اليقين بان النفس شئ مغاير لهذا البدن ولكل واحد من اجزائه وهو المطلوب ولنقرر هذا البرهان بعبارة اخرى فنقول اننا نعلم بالضرورة ان اذا ابصرنا شيئا عرفناه واذا عرفناه اشتيناه واذا اشتيناه حركنا ايدنا الى القرب منه فوجب القطع بان الذي ابصر هو الذي عرف وان الذي عرف هو الذي اشتى وان الذي اشتى هو الذي تحرك الى القرب منه فإلزام القطع بان المبصر لذلك الشئ والعارف به والمشتى والمتحرك الى القرب منه شئ واحد اذ لو كان المبصر شيئا والعارف شيئا ثانيا والمشتى شيئا ثالثا والمتحرك شيئا رابعا لكان الذي ابصر لم يعرف والذي عرف لم يشته والذي اشتى لم يتحرك ومن المعلوم ان كون الشئ مبصرا لشيء لا يقتضى صيرورة شئ آخر عالما بذلك الشئ وكذلك القول في سائر المراتب وايضا فانا نعلم بالضرورة ان الرائي للارباب لما رآها فقد عرفها ولما عرفها فقد اشتها ولما اشتهاها طلبها وحرك الاعضاء الى القرب منها ونعلم ايضا بالضرورة ان الموصوف بهذه الرؤية وبهذا العلم وبهذه الشهوة وبهذا التحرك هو لا غيره وايضا العقلاء قالوا الحيوان لابد ان يكون حساسا متحركا بالارادة فانه ان لم يحس بشئ لم يشعر بكونه ملاما لو بكونه منافرا واذا لم يشعر بذلك امتنع كونه مریدا للجذب او الدفع فثبت ان الشئ الذي يكون متحركا بالارادة فانه بعينه يجب ان يكون حساسا فثبت ان المدرک لجميع المدرکات يدرك بجميع اصناف الادراكات وان المباشر لجميع التحريكات الاختيارية شئ واحد وايضا فلا نا اذا تكلمنا بكلام نقصد تفهيم الغير معاني تلك الكلمات ثم لما عقلناها اردنا تعريف غيرنا تلك المعاني ولما حصلت هذه الارادة في قلوبنا حاولنا ادخال تلك الحروف والاصوات في الوجود لتتوسل بها الى تعريف غيرنا تلك المعاني اذا ثبت هذا فنقول ان كان محل العلم والارادة ومحل تلك الحروف والاصوات جسما واحدا لزم ان يقال ان محل العلوم والارادات هو الخفجرة

ملكنا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشراني قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا والاول اولي (قل) لهم ثانيا من جهنك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبيلت لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم يدعه واليه راسا (كفى بالله) وحده (شهيدا) على اني ادبت ما عني من مواجب الرسالة اكل اداء وانكم فعلم ما قطعتم من التكذيب والفساد وتوجيه الشهادة الى كونه عليه السلام رسولا باظهار المجزأة على وفق دعواه كما اختير لياسعده قوله تعالى (ينصرونكم) وما بعده من التعليل وانما لم يقل ينصرونكم حقيقة.

واللهة واللسان ومعلوم انه ليس كذلك وان قلنا محل العلوم والارادات هو القلسزم
ايضا ان يكون محل الصوت هو القلب وذلك ايضا باطل بالضرورة وان قلنا محل الكلام
هو الخبيجة واللهة واللسان ومحل العلوم والارادات هو القلب ومحل القدرة هو
الاعصاب والاورتار والعضلات كنا قدوزعنا هذه الامور على هذا الاعضاء المختلفة لكننا
ابطلنا ذلك وبيننا ان المدرك لجميع المدركات والمحرك لجميع الاعضاء بكل انواع
التحريكات يجب ان يكون شيئا واحدا فلم يبق الا ان يقال في الادراك والقدرة على
التحريك شيء سوى هذا البدن وسوى اجزاء هذا البدن وان هذه الاعضاء جارية
بمجرى الآلات والادوات فكما ان الانسان يعقل افعالا مختلفة بواسطة آلات مختلفة
فكذلك النفس تبصر بالعين وتسمع بالاذن وتفكر بالدماغ وتعقل بالقلب فهذه الاعضاء
آلات النفس وادوات لها والنفس جوهر مفارق لها مفارق عنها بالذات متعلق بها تعلق
التصرف والتدبير وهذا البرهان برهان شريف يقين في ثبوت هذا المطلوب والله اعلم
(المقدمة الثالثة) لو كان الانسان عبارة عن هذا الجسد لكن ان يقوم بكل
واحد من الاجزاء حياة وعلم وقدرة على حدة واما ان يقوم بمجموع الاجزاء حياة وعلم
وقدرة والقسمان باعلان فبطل القول بكون الانسان عبارة عن هذا الجسد اما بطلان
القسم الاول فلائنه يقتضى كون كل واحد من اجزاء الجسد حيا عالما قادرا على
سبيل الاستقلال فوجب ان لا يكون الانسان الواحد حيوانا واحدا بل احياء ملين
قادرين وحيث لا يبقى فرق بين الانسان الواحد وبين اشخاص كثيرين من الناس وربط
بعضهم البعض بالتسلسل لكننا نعلم بالضرورة فساد هذا الكلام لاني اجد ذاتا واحدة
لاحيوانات كثيرين وايضا فيقدر ان يكون كل واحد من اجزاء هذا الجسد حيوانا
واحدا على حدة فيثبت لا يكون لكل واحد منهما خبر عن حال صاحبه فلا يمنع ان يريد
هنا ان يتحرك الى هذا الجانب ويريد الجزء الآخر ان يتحرك الى الجانب الآخر
فيثبت يقع التدافع بين اجزاء بدن الانسان الواحد كما يقع بين شخصين وفساد ذلك معلوم
بالبدية واما بطلان القسم الثاني فلائنه يقتضى قيام الصفة الواحدة في الحال الكثيرة
وذلك معلوم البطلان بالضرورة ولانه لو جاز حلول الصفة الواحدة في الحال الكثيرة
لم يبعد ايضا حصول الجسم الواحد في الاحياز الكثيرة ولان بتقدير ان تحصل الصفة
الواحدة في الحال المتعددة فيثبت يكون كل واحد من تلك الاجزاء حيا عاقلنا فثبت
الامر الى كون هذه الجثة الواحدة اتسا كثيرا ولما ظهر فساد القسمين ثبت ان
الانسان ليس هو هذه الجثة فان قالوا لم لا يجوز ان تقوم الحياة الواحدة بالجزء الواحد
ثم ان تلك الحياة تقتضى ضرورة جلة الاجزاء احياء قلنا هذا باطل لانه لا معنى للحياة
الا الحية ولا معنى للعلم الا العالية وبتقدير ان تساعد على ان الحياة معنى يوجب الحية
والعلم معنى يوجب العالية الا انا نقول ان حصل في مجموع جثة مجموع حياة واحدة

للمارقة وابانة للعبادة وشهدا
اما حال او تميز (انه كان لعبادة)
من الرسل والمرسل اليهم (خيرا)
بصيرا) يحيط بطواها وحوالهم
وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو
تعليق للكفاية وفيه تسليق لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتهديد
لكفار (ومن يهد الله) كلام
منتدا بفصل ما اشار اليه الكلام
السابق من مجازة العبادة اشارة
اجالية اى من يهد الله الى الحق
بما جاء من قبله من الهدى (فهو
المهتد) اليه والى ما يودى اليه
من الثواب او المهتد الى كل
مطلوب (ومن يضلل) اى يخلق
فيه الضلال يسوء اختياره

وعالية واحدة فقد حصلت الصفة الواحدة في الحال الكثيرة وهو محال وان حصل في كل جزء وجثة حياة على حدة وعالية على حدة مادام ذكرنا من كون الانسان الواحد اناسا كثيرين وهو محال (المقدمة الرابعة) انا لما تأملنا في احوال النفس رأينا احوالها بالضد من احوال الجسم وذلك يدل على ان النفس ليست جسما وتقرير هذه المناقاة من وجوه (الاول) ان كل جسم حصلت فيه صورة فانه لا يقبل صورة أخرى من جنس الصورة الاولى الا بعد زوال الصورة الاولى زوالا تاما مثله ان الشمع اذا حصل فيه شكل التمثيل امتنع ان يحصل فيه شكل الترتيب والتدوير الا بعد زوال الشكل الاول عنه نعم اتاوجدنا الحال في تصور النفس بصور المعقولات بالضد من ذلك فان النفس التي لم تقبل صورة عقلية البتة بعد قبولها لشيء من الصور العقلية فاذا قبلت صورة واحدة صار قبولها للصورة الثانية اسهل ثم ان النفس لا تزال تقبل صورة بعد صورة من غير ان تضعف البتة بل كلما كان قبولها للصورة اكثر صار قبولها للصورة الاكثية بعد ذلك اسهل واسرع ولهذا السبب يزداد الانسان فهما وادراكا كلما ازداد تحرجا وارتباطا في العلوم فثبت ان قبول النفس للصور العقلية على خلاف قبول الجسم للصور وذلك يوهم ان النفس ليست بجسم (الثاني) ان المواظبة على الافكار الدقيقة لها اثر في النفس واثر في البدن اما اثرها في النفس فهو تأثيرها في اخراج النفس من القوة الى الفصل في المعقولات والادراكات وكلما كانت الافكار اكثر كان حصول هذه الاحوال اكل وذلك غاية كمالها ونهاية شرفها وجلالتها واما اثرها في البدن فهو انه توجب استيلاء اليبس على البدن واستيلاء الذبول عليه وهذه الحالة لو استمرت لانقلت الى الماخوليا وسوق الموت فثبت بما ذكرنا ان هذه الافكار توجب حياة النفس وشرفها وتوجب نقصان البدن وموته فلو كانت النفس هي البدن لصار الشيء الواحد سببا لکماله ونقصانه معا وحياته وموته معا وانه محال (الثالث) انا اذا شاهدنا انه ربما كان بدن الانسان ضعيفا نحيفا فاذا لاح له نور من الانوار القدسية وتجلي له سر من اسرار عالم الغيب حصل لذلك الانسان جراحة عظيمة وسلطنة قوية ولم يعيا بحضور اكابر السلاطين ولم يرق لهم وزنا ولو لا ان النفس شيء سوى البدن لما كان الامر كذلك (الرابع) ان اصحاب الرياضات والمجاهدات كلما معنوا في قهر القوى البدنية وتجويع الجسد قويت قواهم الروحانية واشرفت اسرارهم بالمعارف الالهية وكلما معن الانسان في الاكل والشرب وقضاء الشهوة الجسدانية صار كالبهيمة وبقي محروما عن آثار النطق والعقل والفهم والمعرفة ولو لا ان النفس غير البدن لما كان الامر كذلك (الخامس) ان اثرى النفس تفعل افعالها باكلات بدنية فانها تبصر بالعين وتسمع بالاذن وتأخذ باليد وتمشي بالرجل اما اذا آل الامر الى العقل والادراك فانها مستقلة بذاتها في هذا الفعل من غير اعانة شيء من الاكلات ولذلك فان الانسان لا يمكنه ان يبصر شيئا اذا غمض عينه وان لا يسمع

كقوله المعادين (ظن تجد لهم) أثر ضمير الجماعة اعتبارا للمعنى من غيب ما يؤثر في مقامه الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وفتة سالكية وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال (اولياء من دونه) من دون الله تعالى اى انفسا يهدوهم الى طريق الحق اوالى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية والاخرية اولى طريقى النجاة من المذاب الذى يستدعيه ضلالهم على معنى ان تجد لاحد منهم وليا على ما تقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الاحاد الى الاحاد (وتحشرهم) النفات من الغيبة الى التكميل اي انا كما يكمل

صوتاذا سد ذاته امالا يمكنه البتة ان ينزل عن قلبه العلم بما كان عالما به فقلنا ان
 النفس غنية بذاتها في العلوم والمعارف عن شئ من الآلات البدنية فهذه الوجوه
 الخمسة امارات قوية في ان النفس ليست بجسم وفي المسئلة الاولى كثير من دلائل
 المتقدمين ذكرناها في كتبنا الحكمية فلا فائدة في الاعداد (المسئلة السادسة) في
 اثبات ان النفس ليست بجسم من الدلائل السمعية (الحجة الاولى) قوله تعالى
 ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ومعلوم ان احدا من العقلاء لا ينسى هذا
 الهيكل المشاهد فدل ذلك على ان النفس التي ينساها الانسان عند فرط الجهل شئ آخر
 غير هذا البدن (الحجة الثانية) قوله تعالى أخر جوا انفسكم وهذا صريح في ان النفس غير
 البدن وقد استقصينا في تفسير هذه فليرجع اليه (الحجة الثالثة) انه تعالى ذكر مراتب
 الخلق الجسمانية فقال ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار
 مكين الى قوله فكسونا العظام لحما ولاشك ان جميع هذه المراتب اختلافات واقعة في
 الاحوال الجسمانية ثم انه تعالى لما اراد ان يذكر نفخ الروح قال ثم انشأناه خلقا آخر
 وهذا تصريح بأن ما يتعلق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من التغيرات الواقعة
 في الاحوال الجسمانية وذلك يدل على ان الروح شئ مغاير للبدن فان قالوا هذه الآية حجة
 عليكم لانه تعالى قال ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين وكلمة من للطين وهاذا يدل
 على ان الانسان بعض من ابعاض الطين قلنا كلمة من اصلها ابتداء الفاية كقولك
 خرجت من البصرة الى الكوفة فقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين
 يقتضى ان يكون ابتداء تخليق الانسان حاصلا من هذه السلالة ونحن نقول بموجبه لانه
 تعالى يسوى المزاج اولاً ثم ينفخ فيه الروح فيكون ابتداء تخليقه من السلالة (الحجة
 الرابعة) قوله فاذا سوتوه ونفخت فيه من روحي مير تعالى بين البشرية وبين نفخ الروح
 فالتسوية عبارة عن تخليق الابعاض والاعضاء وتعديل المزاج والاشباح فلما مير نفخ
 الروح عن تسوية الاعضاء ثم اضاف الروح الى نفسه بقوله من روحي دل ذلك على ان
 جوهر الروح معنى مغاير لجوهر الجسد (الحجة الخامسة) قوله تعالى ونفس وما سواها
 فألهمها فجورها وتقواها وهذه الآية صريحة في وجود شئ موصوف بالادراك
 والتحرير معلان الالهام عبارة عن الادراك واما الفجور والتقوى فهو فعل وهذه
 الآية صريحة في ان الانسان شئ واحد هو موصوف بالادراك والتحرير وموصوف
 ايضا بفعل الفجور تارة وفعل التقوى تارة أخرى ومعلوم ان جملة البدن غير موصوف
 بهذين الوصفين فلا بد من اثبات جوهر آخر يكون موصوفا بكل هذه الامور (الحجة
 السادسة) قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج ننبليه فجعلناه سميا بصيرا فهذا
 تصريح بأن الانسان شئ واحد وذلك الشئ هو المبتلى بالتكاليف الالهية والامور
 الربانية وهو الموصوف بالسمع والبصر ومجموع البدن ليس كذلك وليس عضون من اعضائه

الاعتناء بأمر الحشر (يوم القيامة
 على وجوههم) حال من الضمير
 المنصوب الى كاشف عليها سميا
 كقوله تعالى يوم يصبون في
 النار على وجوههم او مشا فقد
 روى انه قيل لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم كيف يمشون على
 وجوههم قال ان الذي امشاهم
 على اقدامهم قادر على ان يمشيهم
 على وجوههم (عيا) حال من
 الضمير الجور في الحال السابقة
 (وبكموا صما) لا يصرون ما يقر
 أميهم ولا ينطقون ما يقبل منهم
 ولا يسمعون ما يلد مسامعهم لما
 قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون
 بالآيات والعبور ولا ينطقون بالحق
 ولا يستغفون ويجوز ان يحشروا

البدن كذلك فالنفس شيء مغاير للجثة البدن ومغاير اجزاء البدن وهو موصوف بكل هذه الصفات واعلم ان الاحاديث الواردة في صفة الارواح قبل تعلقها بالاجساد وبعد انفصالها من الاجساد كثيرة وكل ذلك يدل على ان النفس شيء غير هذا الجسد والتعجب ممن يقرأ هذه الآيات الكثيرة ويروى هذه الاخبار الكثيرة ثم يقول توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان يعرف الروح وهذا من العجائب والله اعلم (المسئلة السابعة) في دلالة الآية التي نحن في تفسيرها على صحة ما ذكرناه ان الروح لو كانت جسما منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من اجسام انصف بصفات مخصوصة بعد ان كانت موصوفة بصفات اخرى فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجب ان يبين انه جسم كان كذا ثم صار كذا حتى صار روحا مثل ما ذكر في كيفية تولد البدن انه كان نقطة ثم علقته ثم مضغة فلما لم يقل ذلك بل قال انه من امر ري بمعنى انه لا يحدث ولا يدخل في الوجود الا لاجل ان الله تعالى قال له كن فيكون دل ذلك على انه جوهر ليس من جنس الاجسام بل هو جوهر قدسي مجرد واعلم ان اكثر العارفين المكشفين من اصحاب الرياضات وارباب المكاشفات والمشاهدات مصريون على هذا القول جازمون بهذا المذهب قال الواسطي خلق الله الارواح من بين الجلال والبهاء فلولا انه سترها لتجدد لكل كافر واميان ان تعلقه الاول بالقلب ثم بواسطته يصل تأثيره الى جملة الاعضاء فقد شرحناه في تفسير قوله تعالى تزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين واحجج المنكرون بوجوه (الاول) لو كانت مساوية لذات الله في كونه ليس بجسم ولا عرض لكانت مساوية له في تمام الماهية وذلك محال (الثاني) قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدرة ثم السيل يسره ثم اماته فأقبره ثم ادشاه انشره وهذا تصریح بأن الانسان شيء مخلوق من النطفة وانه يموت ويدخل القبر ثم انه تعالى يخرج من القبر ولو لم يكن الانسان عبارة عن هذه الجثة والالم تكن الاحوال المذكورة في هذه الآية صحيحة (الثالث) قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الى قوله يرزقون فرحين وهذا يدل على ان الروح جسم لان الارزاق والقرح من صفات الاجسام (الجواب عن الاول) ان المساواة في انه ليس بتخمين ولا حال في التخمين مساواة في صفة سلبية والمساواة في الصفة السلبية لا توجب المماثلة واعلم ان جماعة من الجهال يظنون انه لما كان الروح موجودا ليس بتخمين ولا حال في التخمين وجب ان يكون مثلا للاله او جزأ للاله وذلك جهل فاحش وغلط فبيح وتحقيقه ما ذكرناه من ان المساوات في السلوك لو اوجبت المماثلة اوجب القول باستواء كل المختلفات وان كل ماهيتين مختلفتين فلا بد ان يشتركا في سلب كل ما عادهما عنهما فلتكن هذه الدقيقة معلومة فلنما مغلطة عظيمة للجهال (والجواب عن الثاني) انه لما كان الانسان في العرف والظاهر عبارة عن هذه الجثة اطلق عليه اسم الانسان في العرف

بعد الحساب من الموقف الى النار وفي القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكهم لهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه (ماواهم جهنم) امثال او استئناف وكذا قوله تعالى (كلاخبت ردناهم سعيرا) اي كلما سكن ليهما بأن اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زنادهم توفدا بأن بدلناهم جلودا غيرها فعاتت ملتهمة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكرير هامة بعد اخرى ليرى هولها عيانا حيث لم يعلموها برهاننا كما يفيض عنه

(والجواب عن الثالث) ان الرزق المذكور في الآية محمول على ما يقوى حالهم ويكمل
 كالهم وهو معرفة الله ومحبة بل نقول هذا من أدل الدلائل على صحة قولنا لان ايمانهم
 قد بلغت تحت التراب والله تعالى يقول ان ارواحهم تأوى الى قناديل معلقة تحت
 العرش وهذا يدل على ان الروح غير البدن وليكن هذا آخر كلامنا في هذا الباب
 ولترجع الى علم التفسير * ثم قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وعلى قولنا قد ذكرنا فيه
 احتمالين اما المفسرون فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن
 مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فقال عليه الصلاة والسلام بل نحن وانتم لم تؤت
 من العلم الا قليلا فقالوا ما عجب شئتكم يا محمد ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
 خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزل قوله ولوان ما في الارض من شجرة اقلام الى آخره
 وما ذكره ليس بلازم لان الشيء قد يكون قليلا بالنسبة الى شيء كثير بالنسبة الى شيء آخر
 فالعلوم الحاصلة عند الناس قليلة جدا بالنسبة الى علم الله وبالنسبة الى حقائق الاشياء
 ولكنها كثيرة بالنسبة الى الشهوات الجسمانية والذات الجسمانية * قوله تعالى
 (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لنجعدك به علينا وكىلا الارحة من ربك ان
 فضله كان عليك كبيرا) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما بين في الآية
 الاولى انه ما اتاهم من العلم الا قليلا بين في هذه الآية انه لو شاء ان يأخذ منهم ذلك القليل
 ايضا لقدر عليه وذلك بأن يحمو حفظه من القلوب وكتابه من الكتب وهذا وان كان
 امرا محالفا للعادة الا انه تعالى قادر عليه (المسئلة الثانية) اخبركم انكم بهذه الآية
 على ان القرآن مخلوق فقال والذي يقدر على ازالته والذهاب به يستحيل ان يكون قد بقاء
 بل يجب ان يكون محدثا وهذا الاستدلال بعيد لان المراد بهذا الازهاق ازالة العلم به
 عن القلوب وازالة النقوش الدالة عليه عن الصحف وذلك لا يوجب كون ذلك المعلوم
 المدلول محدثا وقوله ثم لنجعدك به علينا وكىلاى لنجعد من توكل عليه في ردش منه
 ثم قال الارحة من ربك اى الان يرجك ربك فيرده عليك او يكون على الاستثناء
 المنقطع بمعنى ولكن رحة ربك تركته غير مذهب به وهذا امتنان من الله ببقاء القرآن
 على انه تعالى من على جميع العلماء بنوعين من المنة (احدهما) تسهيل ذلك العلم عليه
 (الثاني) ابقاء حفظه عليه وقوله ان فضله كان عليك كبيرا فيه قولان (الاول) المراد ان
 فضله كان عليك كبيرا بسبب ابقاء العلم والقرآن عليك (الثاني) المراد ان فضله كان
 عليك كبيرا بسبب انه جعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود فلما
 كان كذلك لاجرم انهم عليك ايضا ببقاء العلم والقرآن عليك * قوله تعالى (قل لئن
 اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
 ظهيرا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى
 وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله بالغنا في بيان اعجاز القرآن

قوله تعالى (ذلك) اى ذلك
 العذاب (جزاؤهم بأنهم) اى
 بسبب انهم (كفروا بآياتنا) العقلية
 والنقلية الدالة على صحة الاعادة
 دلالة واضحة فذلك مبتدأ
 وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون
 مبتدأ ثانيا وبأنهم خبره والجملة
 خبر ذلك وان يكون جزاؤهم
 بدلا من ذلك او بيان له والخبر هو
 الظرف (وقالوا) متكررين اشد
 الانكار (انما كنا عظاما ورقانا
 أنالجبشون خلقا جديدا) اما
 مصدر مؤكد من غير لفظة اى
 لمعوثون بفتح جديدا واما حال
 اى مخلوقين مستأنفين (اولم يروا)
 اى لم يشكروا ولم يفعلوا

ولناس فيه قولان منهم من قال القرآن مجزئ في نفسه ومنهم من قال انه ليس في نفسه مجزئ الا انه تعالى لما صرف دوا عنهم عن الايتان بمعارضته مع ان تلك الدواي كانت قوية كانت هذه الصرفة مجزئة والمختار عندنا في هذا الباب ان نقول القرآن في نفسه امان يكون مجزئ اولاً يكون فان كان مجزئاً فقد حصل المطلوب وان لم يكن مجزئاً بل كانوا قادرين على الايتان بمعارضته وكانت الدواي متوفرة على الايتان بهذه المعارضة وما كان لهم عنها صارف ومانع وعلى هذا التقدير كان الايتان بمعارضته واجبالاً ما فعدم الايتان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون نقضاً للعادة فيكون مجزئاً فهذا هو الطريق الذي نختاره في هذا الباب (المسئلة الثانية) لقائل ان يقول هب انه قد ظهر مجزئ الانسان عن معارضته فكيف عرقم عجز الجن عن معارضته وايضاً فلم لا يجوز ان يقال ان هذا الكلام نظم الجن القوه على محمد صلى الله عليه وسلم وخصومه به على سبيل السعي في اضلال الخلق فعلى هذا انما عرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم اذا عرفتم ان محمد اصادق في قوله انه ليس من كلام الجن بل هو من كلام الله تعالى فينبذ يلزم الدور وليس لاحد ان يقول كيف يعقل ان يكون هذا من قول الجن لانا نقول ان هذه الآية دلت على وقوع التحدى مع الجن وانما يحسن هذا التحدى لو كانوا فصحاء بلغاء ومعنى كان الامر كذلك كان الاحتمال المذكور قائماً اجاب العلماء عن الاول بان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه مجزئاً وعن الثاني ان ذلك لو وقع لوجب في حكمة الله ان يظهر ذلك التليس وحيث لم يظهر ذلك دل على عدمه وعلى انه تعالى قد اجاب عن هذا السؤال بالاجوبة الشافية الكافية في آخر سورة الشعراء في قوله هل أتيتكم على من نزل الشياطين تنزل على كل اثمهم وقد شرحنا كيفية هذه الاجوبة هناك فلا فائدة في الاعداد (المسئلة الثالثة) قالت المعتزلة الآية دالة على ان القرآن مخلوق لان التحدى بالتقديم محال وهذه المسئلة قد ذكرناها ايضاً بالاستقصاء في سورة البقرة فلا فائدة في الاعداد ثم قال تعالى (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) وهذا الكلام يحتمل وجوهاً (احدها) انه وقع التحدى بكل القرآن كما في هذه الآية ووقع التحدى ايضاً بعشر سورته كما في قوله تعالى فاتوا بعشر سور مثله مفتربات ووقع التحدى بالسورة الواحدة كما في قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله ووقع التحدى بكلام من سورة واحدة كما في قوله فليأتوا بحديث مثله فقولنا مثله فقولنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتمل ان يكون المراد منه التحدى كما شرحناه ثم انهم مع ظهور عجزهم في جميع هذه المراتب بقوامصرين على كفرهم (وثانيها) ان يكون المراد من قوله ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل انا اخبرناهم بان الذين بقوا مصرين على الكفر مثل قوم نوح وعباد وثمود كيف ابتلاهم باتواع البلاء وشرحناه هذه الطريقة مراراً واطواراً ثم ان هؤلاء الاقوام يعنى اهل مكة لم ينتفعوا بهذا البيان بل بقوامصرين على الكفر

(ان الله الذي خلق السموات والارض) من غير مادة مع عظمهما (قادر على ان يخلق مثلهم) في الصغر على ان المثل مقسم والمراد بالخلق الاعداد كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديداً (وجعل لهم اجدالاً ريب فيه) عطف على اولم يروا فانه في قوة قدرأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خالق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم وليهم اجدالاً محققاً لاريب فيه هو يوم القيامة (فأبى الظالمون) وضع موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرء (الا كفوراً) اي جسدوا (قل لواتم

(ونالها) ان يكون المراد انه تعالى ذكر دلائل التوحيد ونفي الشركاء والاضداد فيها
القرآن مرارا كثيرة وذكر شبهات منكري النبوة والمعادمرارا وطوارا واجاب عنها
ثم اردفها بذكر الدلائل القاطعة على صحة النبوة والمعاد ثم ان هؤلاء الكفار لم يفتنعوا
بسماعها بل بقوا مصرين على الشرك وانكار النبوة ﴿ قال تعالى (فآبى اكثر الناس
الا كفورا) يريد اكثر اهل مكة الا كفورا اى يهود الحق وذلك انهم انكروا ما لا حاجة
الى اظهاره فان قيل كيف جاز فآبى اكثر الناس الا كفورا ولا يجوز ان يقال ضربت
الازيدا قلنا لفظ ابى يفيد النفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ﴿ قوله تعالى (وقالوا
لن تؤمن لك حتى تفجير لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجير
الانهار خلالها تفجييرا او تسقط السماء كازعت علينا كسفا أو تأتي بالثامنة قبلا
او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن يؤمن ربيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) اعلم انه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن مجزئا
وظهر هذا المعجز على وفق دعوى محمد صلى الله عليه وسلم حينئذ تم الدليل على كونه نبيا
صادقا لاننا نقول ان محمدا ادعى النبوة واطهر المعجز على وفق دعواه وكل من كان كذلك
فهو نبى صادق فهذا يدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق وليس من شرط كونه نبيا
صادقا تواتر المعجزات الكثيرة وتواليها لاننا لو فتحنا هذا الباب لزم ان لا ينتهى الامر فيه الى
مقطع وكلما أتى الرسول بمعجز اقترحو عليه مجز آخر ولا ينتهى الامر فيه الى حد ينقطع
عنده عناد المعادين وتقلب الجاهلين لانه تعالى حتى عن الكفار انهم بعد ان ظهر كون
القرآن معجزا التمسوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ستة انواع من المعجزات القاهرة كما
حكى عن ابن عباس ان رؤساء اهل مكة ارسلوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهم جلوس
عند الكعبة فأتاهم فقالوا يا محمد ان ارض مكة ضيقة فسير جبالها لتنتفع فيها ونجر لنا فيها
ينبوعا اى نهرا وصبونا تزرع فيها فقال لا أقدر عليه فقال قائل منهم او يكون لك جنة من
نخيل وعنب فتفجير الانهار خلالها تفجييرا فقال لا أقدر عليه فقيل او يكون لك بيت من
زخرف اى من ذهب فيغنيك عنا فقال لا أقدر عليه فقيل له أمانتستطيع ان تأتي
قومك بما يسألونك فقال لا أستطيع قالوا فاذا كنت لا تستطيع الخير فامتنع الشر
فأسقط السماء كازعت علينا كسفا اى قطعها بالنداب وقوله كازعت اشارة الى قوله اذا
السماء انشقت اذا السماء انفطرت فقال عبدالله بن امية الخزرجى وامه عمقر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا والذي يحلف به لا أو من بك حتى تشد سلا فتصعد فيه ونحن ننظر اليك
فتأتى بأربعة من الملائكة يشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لادرى أنؤمن بك ام لا فهذا
شرح هذه القصة كما رواها ابن عباس (المسئلة الثانية) اعلم انهم اقترحوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم انواعا من المعجزات (اولها) قولهم حتى تفجير لنا من الارض ينبوعا فآمر
عاصم وحزة والكساى تفجير بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم مخففة واختاره ابو حاتم

ملكون خزائن رسة ربي)
خزائن رزقه التي افاضها على كافة
الموجودات وانتم مرتفع بفعل
يفسره المذكور كقول حاتم
« لو ذات سوارط متى » وفائدة
ذلك المسألة والسدالة على
الاختصاص (اذن لا مسكن)
لجنتهم (خشية الاتفاق) مخافة
التفاد بالاتفاق اذ ليس في الدنيا
احد الا وهو يختار النفع لنفسه
ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثر
لموض يفوقه فاذن هو بخيل
بالاضافة الى جوده الله سبحانه
(وكان الانسان قنورا) مبالغا
في الجفيل لان معنى امره على
الحاجة والضنة بما يحتاج اليه
وملاحظة العوض بما يبذله
(ولقد آتينا موسى

قال لأن ينبوع واحد والباقيون بالتشديد واختاره أبو عبيدة ولم يختلفوا في الثانية
 مشددة لاجل الانهار لانها جمع يقال فجرت الماء فجرا وفجرتة تفجيرا فن ثقل أراد به كثرة
 الانفجار من ينبوع وهو وإن كان واحدا فلكثرة الانفجار فيه يحسن أن يقال كما
 تقول ضرب زيد إذا كثرت الضرب منه فيكثر فعله وإن كان الفاعل واحدا ومن خفف
 فلا أن ينبوع واحد وقوله ينبوعا يعني عينا ينبوع الماء منه تقول نبع الماء ينبع نبعا
 ونبوعا ونبعا ذكره الفراء قال القوم ازل عنا جبال مكة وفجرنا ينبوع ليسهل علينا
 امر الزراعة والحراثة (وثانيها) قولهم أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجير الانهار
 خلالها تفجيرا والتقدير كأنهم قالوا هب انك لتفجير هذه الانهار لاجلنا فتفجيرها من
 اجلنا (وثالثها) قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وفيه مسائل (المسئلة
 الاولى) قرأ ابن عامر كسفا ففتح السين ههنا وفي سائر القرآن بسكونها وقرأ نافع وأبو
 بكر من عاصم ههنا وفي الروم بفتح السين وفي باقي القرآن بسكونها وقرأ حفص في سائر
 القرآن بالفتح الا في الروم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزرة والكسائي في الروم بفتح السين
 وفي سائر القرآن بسكون السين قال الواحدي رحمه الله كسفا فيه وجهان من القراءة
 سكون السين وقصها قال أبو زيد يقال كسفت الثوب اكسفه كسفا إذا قطعتة قطعا
 وقال الليث الكسف قطع العروق والكسفة القطعة وقال الفراء سمعت اعرابا
 يقول لبراز اعطني كسفة يريد قطعة فن قرأ بسكون السين احتمل قوله وجوها (احدها)
 قال الفراء ان يكون جمع كسفة مثل دمنة ودمن وسدرة وسدر (وثانيها) قال أبو علي
 إذا كان المصدر الكسف فالكسف الشيء المقطوع كما تقول في الطحن والطبخ والسق
 ويؤكده هذا قوله وإن برأ كسفا من السماء ساقطا (وثالثها) قال الزجاج من قرأ كسفا
 كأنه قال أو يسقطها طبقا علينا واشقاقه من كسفت الشيء إذا غطيته واما فتح السين
 فهو جمع كسفة مثل قطعة وقطع وسدرة وسدر وهو نصب على الحال في القراءةين جميعا
 كأنه قيل أو تسقط السماء علينا مقطعة (المسئلة الثانية) قوله كما زعمت فيه وجوه
 (الاول) قال عكرمة كما زعمت يا محمد انك نبي فأسقط السماء علينا (الثاني) قال آخرون
 كما زعمت ان ربك ان شاء فعل (الثالث) يمكن أن يكون المراد ما ذكره الله تعالى في هذه
 السورة في قوله أفأنتم ان تخسف بكم جانب البر أو ترسل عليكم حاصبا فقيل اجعل
 السماء قطعا متفرقة كالحاصب واسقطها علينا (ورابعها) قولهم أو تأتي بالله
 والملائكة قبلا وفي لفظ القليل وجوه (الاول) القليل بمعنى المقابل كالعشر بمعنى
 المعاشر وهذا القول منهم يدل على جهلهم حيث لم يعلموا انه لا يجوز عليه المقابلة ويقرب
 منه قوله وحشرنا عليهم كل شيء قبلا (والقول الثاني) ما قال ابن عباس يريد فوجا بعد
 فوج قال الليث وكل جن من الجن والانس قبل وذكرنا ذلك في قوله انه يراكم هو وقيله
 (القول الثالث) ان قوله قبلا معناه ههنا ضامنا وكقبلا قال الزجاج يقال قبلت به اقبل

تسع آيات بينات (واختصت
 الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به
 من عند الله وهي العصا واليد
 والجراد والقمل والضفادع
 والدم والطوفان والسنون
 ونقص الثمرات وقيل انفجار
 الماء من الخمر وتشق الطور على
 بني اسرائيل وانفلاق البحر
 بدل الثلاث الاخيرة ويا ياه
 ان هذه الملائكة لم تكن منزلة
 اذذاك وان الاولين لا تملق لهما
 يفرعون وانما اوتيهما بنو
 اسرائيل ومن صفو ان بن
 عسال ان يهوديا سأل النبي
 عليه الصلاة والسلام عنها فقال
 ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرفوا
 ولا تزنا ولا تقتلوا النفس التي

كقولك كفلت به اكفل وعلى هذا القول فهو واحدا ريبه الجمع كقوله تعالى وحسن اولئك رفيقا (والقول الرابع) قال ابو على معناه المعايمة والدليل عليه قوله تعالى اولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا (وخامسا) قولهم اويكون لك بيت من زخرف قال مجاهد كنا لندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبد الله اويكون لك بيت من ذهب قال الزجاج الزخرف الزينة بدل عليه قوله تعالى حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازابت اى أخذت كمال زينتها ولاشئ في تحسين البيت وتزيينه كالذهب (وسادسا) قولهم اوترقى في السماء قال الفراء يقال رقيت وانا ارقى رقى ورقيا والشد انت الذى كلفتنى رقى الدرج * على الكلال والشيب والعرج

وقوله في السماء اى في معارج السماء تحذف المضاف يقال رقى السلم ورقى الدرجة ثم قالوا ولن نؤمن لربك اى لن نؤمن لاجل ربك حتى تنزل علينا كتنا بامن السماء فيه تصديقك قال عبد الله بن امية لن نؤمن حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك ان الامر كما تقول ولما حكى الله تعالى عن الكفار اقتراح هذه المعجزات قال محمد صلى الله عليه وسلم قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وفيه مباحث (البحث الاول) انه تعالى حكى من قول الكفار قولهم لن نؤمن لك حتى تغير لنا من الارض ينبوعا الى قوله قل سبحان ربي وكل ذلك كلام القوم وانا لنجد بين تلك الكلمات وبين سائر آيات القرآن تفاوتا في النظم فصح بهذا صحة ما قاله الكفار لانشاء لقننا مثل هذا (والجواب) ان هذا القرآن قليل لا يظهر فيه التفاوت بين مراتب الفصاحة والبلاغة فزال هذا السؤال (البحث الثانى) هذه الآيات من ادل الدلائل على ان الجبى والذهاب على الله محال لان كلمة سبحان لتتزيه عما لا ينبغي وقوله سبحان ربي تنزيه لله تعالى عن شئ لا يليق به او نسب اليه مما تقدم ذكره وليس فيما تقدم ذكره شئ لا يليق بالله الا قولهم او تأتي بالله فدل هذا على ان قوله سبحان ربي تنزيه لله عن الاتيان والجبى وذلك يدل على فساد قول المشبهة في ان الله تعالى يجبى ويذهب فان قالوا لم لا يجوز ان يكون المراد تنزيه الله تعالى عن ان يحكم عليه المحكمون في اقتراح الاشياء قلنا القوم لم يحكموا على الله وانما قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فاطلب من الله ان يشرفك بهذه المعجزات فالقوم يحكمون على الرسول وما يحكموا على الله فلا يليق حل قوله سبحان ربي على هذا المعنى فوجب حله على قولهم او تأتي بالله (البحث الثالث) تقرير هذا الجواب ان يقال اما ان يكون مرادكم من هذا الاقتراح انكم طلبتم الاتيان من عند نفسى بهذه الاشياء او طلبتم منى ان اطلب من الله تعالى اظهارها على يدي لتدل على كوني رسولا حقا من عند الله والاول باطل لاني بشر والبشر لا قدرته على هذه الاشياء والثاني ايضا باطل لاني قد اتيتكم بمعجزة واحدة وهى القرآن والدلالة على كونها معجزة فطلب هذه المعجزات طلبا لا حاجة اليه ولا ضرورة

حرم الله الا بالحق ولا تسعروا ولا تأكلوا الربوا لا تمشوا بيري الى الذى سلطان ليقته ولا تقذفوا مصصنة ولا تفروا من الزحف وعليك خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت قبل اليهودى يده ورجله عليه السلام ولا يساعده ايضا ما ذكره ولعل جوابه عليه السلام بذلك لما انه المهم للسائل وقوله لما انه كان في الثورة مسطورا وقد علم انهما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحى (فاسأل بنى اسرائيل) وقرئ فسل اى قلنا له سلمهم من فرعون وقل له ارسل موى بنى اسرائيل او سلمهم من ايمانهم او من حال دينهم او سلمهم ان

فكان طلبها يجرى مجرى التعت وتعت وانما عبد مأمور ليس لي ان أتحكم على الله
فسقط هذا السؤال فثبت ان قوله قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا جواب كاف
في هذا الباب وحاصل الكلام انه سبحانه بين بقوله سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا
كونهم على الضلال في الالهيات وفي النبوات اما في الالهيات فبدل على ضلالهم قوله
سبحان ربي اي سبحانه عن ان يكون له اتيان ومجيء وذهاب واما في النبوات فبدل على
ضلالهم قوله هل كنت الا بشرا رسولا وتقريره ما ذكرناه * قوله تعالى (وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم انه كان عباده خيرا بصيرا) اعلم انه تعالى لما حكى شبهة القوم في اقتراح المجزئات
الزائدة وأجاب عنها حكى عنهم شبهة اخرى وهى ان القوم استبعدوا ان يبعث الله
الى الخلق رسولا من البشر بل اعتقدوا ان الله تعالى لو ارسل رسولا الى الخلق لوجب
ان يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجوه (الاول)
قوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وتقرير هذا الجواب ان بتقدير ان يبعث الله
ملكا رسولا الى الخلق فالخلق انما يؤمنون بكونه رسولا من عند الله لاجل قيام المجز
الدال على صدقه وذلك المجز هو الذى يهديهم الى معرفة ذلك الملك في اداء رسالة
الله تعالى فالمراد من قوله تعالى اذ جاءهم الهدى هو المجز فقط فهذا المجز سواء ظهر على يد
الملك او على يد البشر وجب الاقرار برسائه فثبت ان يكون قولهم بأن الرسول لابد
وان يكون من الملائكة تحكما فاسدا وتفسا باطلا (الوجه الثاني) من الاجوبة التي ذكرها
الله في هذه الآية عن هذه الشبهة هو ان اهل الارض لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون
رسولهم من الملائكة لان الجنس الى الجنس اميل اما لو كان اهل الارض من البشر
لوجب ان يكون رسولهم من البشر وهو المراد من قوله لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (الوجه الثالث) من الاجوبة
المذكورة في هذه الآية قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وتقريره ان الله تعالى
لما ظهر المجزة على وفق دعواى كان ذلك شهادة من الله تعالى على كونه صادقا ومن شهد الله
على صدقه فهو صادق فبعد ذلك قول القائل بأن الرسول يجب ان يكون ملكا لانسانا
تحكم فاسد لا يلتفت اليه ولما ذكر الله تعالى هذه الاجوبة الثلاثة اردفها بما يجرى
مجرى التهديد والوعيد فقال انه كان عباده خيرا بصيرا يعنى يعلم ظواهرهم وبواطنهم
ويعلم في قلوبهم انهم لا يذكرن هذه الشبهات الا لخص الحسد وحب الرياسة
والاستنكاف من الانقياد للحق * قوله تعالى (ومن يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل
فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم غيا وبكيا وصفا
ما واهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا) اعلم انه تعالى

يعاخذوك ويؤيده قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم على صفة
الماضي وقيل الخطاب للنبي
عليه الصلاة والسلام اي
فاسألهم عن تلك الآيات لتزداد
يقينا وطمأنينة وليظهر صدقك
(ان جاءهم) متعلق بقينا وبسأل
على القراءة المذكورة وبآيتنا
او يحضر هو فيروك واذا ذكر على
تقدير كون الخطاب للرسول
عليه الصلاة والسلام (فقال له
فرعون) لفاء فصحة اي فاعلم
عند فرعون ما آتينا من الآيات
البيّنات وبلغه ما رسل به فقال له
فرعون (الى لا تظنك يا موسى
مصحورا) صهرت قطعت عقلك
(قال لقد علمت ما نزل هؤلاء)

لما أجاب عن شبهات القوم في انكار النبوة واردفها بالوعيد الاجالي وهو قوله انه كان
بعاده خيرا بصيرا ذكر بعده الوعيد الشديد على سبيل التفصيل اما قوله من يهدي الله فهو
المنتهى ومن يضل فلن يهديهم اولىء منه فالتقصود تسلية الرسول وهو ان الذين
سبق لهم حكم الله بالايمن والهداية وجب ان يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله
بالضلال والجهل استحال ان يتقلبوا عن ذلك الضلال واستحال ان يوجد من يصرفهم
عن ذلك الضلال واحتج اصحابنا بهذه الآية على صحة مذهبهم في الهدى والضلال
والعترلة حلولا هذا الاضلال تارة على الاضلال عن طريق الجنة وتارة على منع اللطاف
وتارة على الخفية وعدم التعرض له بالمنع وهذه المباحث قد ذكرناها مرارا فلان قاعدة
في الاعادة اما قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فان قيل
كيف يمكنهم المشي على وجوههم قلنا الجواب من وجوهين (الاول) انهم يمشون على
وجوههم قال تعالى يوم يمشون في النار على وجوههم (الثاني) روى ابو هريرة قيل
يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي يمشيهم على اقدامهم قادر على ان
يمشيهم على وجوههم قال حكماء الاسلام الكفار وراحمهم شديدة التعلق بالدنيا ولذا انها
وليس لها تعلق بعالم الارار وحضرة الاله سبحانه وتعالى فلما كانت وجوه قلوبهم
وارواحهم متوجهة الى الدنيا لاجرم كان حشرهم على وجوههم واما قوله عميا وبكما
وصما فاعلم ان واحدا قال لابن عباس رضى الله عنه اليس انه تعالى يقول ورأى
المجرمون النار وقال سمعوا لها نغيظا وزفيرا وقال دعوا ههنا ثبورا وقال يوم تأتي كل
نفس تجادل عن نفسها وقال حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه
الآيات انهم يرون ويسمعون ويشكمون فكيف قال ههنا عميا وبكما وصما أجاب
ابن عباس وتلامذته عنه من وجوه (الاول) قال ابن عباس عميا لا يرون شيئا يسره صما
لا يسمعون شيئا يسرههم بكما لا ينطقون بحجة (الثاني) قال في رواية عطية عميا عن النظر
الى ما جعله الله لا وليا به كما عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين صما عن ثناء الله تعالى
على اوليائه (الثالث) قال مقاتل انه حين يقال لهم اخسوا فيها ولا تكلّمون بصيرون
عميا بكما صما اما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون (الرابع) انهم يكونون راينين
سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا على ان يطلّعوا كتبهم ولان يسمعوا
ازام حجة الله عليهم الا انهم اذا أخذوا يذهبون من الموقف الى النار جعلهم الله عميا وبكما
وصما (والجواب) ان الآيات السابقة تدل على انهم في النار يصيرون ويسمعون
ويصيحون اما قوله تعالى مأواهم جهنم فظاهر واما قوله كلما خبت زدناهم سعيرا ففيه
مباحث (البحث الاول) قال الواحدى الخبو سكون النار يقال خبت النار تخبو اذا
سكن لها بمعنى خبت سكنت وطفئت يقال في مصدره الخبو واخبأها الخبيء اخبأها
انخذها ثم قال زدناهم سعيرا قال ابن قتيبة زدناهم سعيرا اي تلهبا (البحث الثاني) لقائل

يعنى الآيات التي اظهرها
(الارب السجوات والارض)
مخالفتهما ومدبرهما والتعرض
لربوبيته تعالى لهما لا يذنان بانه
لا يقدر على ابتاء مثل هاتيك
الآيات المظلمة الا مخالفتهما
ومدبرهما (بصائر) حال من
الآيات اي بينات مكشوفات
تبصرك صدقي ولكنك تعاند
وتكابر نحو وجعدوا بها
واستيقنتها انفسهم من ضرورة
ذلك العلم الجلي بانه عليه الصلاة
والسلام على كمال رصانة العقل
فضلا عن توهم السجودية وقرئ
علت على صيغة التكلم اي لقد
علت بيقين ان هذه الآيات
الباهرة تاتى لها الله عز سلطانه

ان يقول انه تعالى لا يخفف عنهم العذاب وقوله كلما خبت يدل على ان العذاب يخف في ذلك الوقت قلنا كلما خبت يقتضى سكون لهب النار اما ليدل هذا على انه يخف العذاب في ذلك الوقت (البحث الثالث) قوله كلما خبت زدناهم سعيرا ظاهره يقتضى وجوب ان تكون الحالة الثانية ازيد من الحالة الاولى واذا كان كذلك كانت الحالة الاولى بالنسبة الى الحالة الثانية تخفيفا (والجواب) الزيادة حصلت في الحالة الاولى اخف من حصولها في الحالة الثانية فكان العذاب شديدا ويحتمل ان يقال لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل في اوقاته غير مشعوره فعوذ بالله منه ولما ذكر تعالى انواع هذا الوعيد قال ذلك جزاؤهم بلهم كفروا والباء في قوله بأنهم كفروا بآه السبيبة وهو حجة بان يقول العمل علة الجزاء والله اعلم * قوله تعالى (وقالوا لئذا كنا عظاما ورقانا ائنا لبعوثون خلقا جديدا) ألم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لارب فيه فأبى الظالمون الا كفورا) اعلم انه تعالى لما اجاب عن شبهات منكرى النبوة عادالى حكاية شبهة منكرى الحشر والنشر ليصعب عنوا تلك الشبهة هي ان الانسان بعد ان يصير رفاتا ورهيا يبعد ان يعود هو بعينه واجاب الله تعالى عند بان من قدر على خلق السموات والارض لم يبعد ان يقدر على احادتهم باعبانهم وفي قوله قادر على ان يخلق مثلهم قولان (الاول) المعنى قادر على ان يخلقهم ثانيا فبعد عن خلقهم ثانيا بلفظ المثل كما يقول المتكلمون ان الاعادة مثل الابتداء (القول الثانى) المراد قادر على ان يخلق عبدا آخرين يوحدهونه ويقررون بكمال حكمته وقدرته ويتروك ذكر هذه الشبهات الفاسدة وعلى هذا التفسير فهو كقوله تعالى ويأت بخلق جديد وقوله ويستبدل قوم غيركم قال الواحدى والقول هو الاول لانه اشبه بما قبله ولما بين الله تعالى بالدليل المذكور ان البعث والقيامة امر ممكن الوجود في نفسه اردفه بان لوقوعه ودخوله في الوجود وقتا معلوما عند الله وهو قوله وجعل لهم اجلا لارب فيه ثم قال تعالى فأبى الظالمون الا كفورا اى بعد هذه الدلائل الظاهرة أبوا الا الكفر والنفور والجود * قوله تعالى (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا المسكتم خشية الانفاق وكان الانسان نفورا) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) ان الكفار لما قالوا ان نؤ من لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا طلبوا اجراء الانهار والعيون في بلدتهم لتكثر اموالهم وتوسع عليهم معيشتهم فيبن الله تعالى لهم انهم لو ملكو خزائن رحمة الله لبقوا على مثلهم وشبههم ولما اقدموا على اى اى اى النفع الى احد وعلى هذا التقدير فلا فائدة في اسعافهم بهذا المطلوب الذى التمسوه فهذا هو الكلام في وجه النظم والله اعلم (المسئلة الثانية) قوله لو انتم فيه بحث يتعلق بالنحو وبحث آخر يتعلق بعم البيان (اما البحث النحوى) فهو ان كلمة لومن شأنها تخلص بالفعل لان كلمة لتوفيد انتفاء الشيء لانتفاء خبره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذى يدل على الآثار والاحوال والمتنقى هو الاحوال والآثار والذوات

فكيف يتوهم ان يحوم حوى
سحر (وائى لا تظنك يا فرعون
مشبورا) صروفا عن الحيد
مطبوعا على الشر من قولهم
ما يترك عن هذا اى ماصرفك
او هلكا ولقد قارع عليه السلام
قلبه بظنه وشتان بينهما كيف
لا وطن فرعون افك وبين وظنه
عليه الصلاة والسلام يتأخم
اليقين (فأراد اى فرعون) ان
يستغفرهم اى يستغفرهم ويصبرهم
(من الارض) ارض مصر ومن
الارض مطلقا بالقتل كقوله
سنقتل ابنائهم ونستحي نساءهم
(فاغرقناه ومن معه جميعا)
فمكنا عليه مكرا واستغفرناه
وقومه بالاغراق (وقلنا من

ثبت ان كلمة لو مختصة بالافعال وأنشدوا قول التلس

ولو غير اخو الى ارادوا تقيصتي * نصبت لهم فوق العرائن مائما

والمعنى او اراد غير اخو الى (واما البحث المتعلق بعلم البيان) فهو ان التقديم بالذكري بل
على التفصيل فقوله انتم تملكون دلالة على انهم هم المختصون بهذه الحالة الحسبية
والشع الكامل (المسئلة الثالثة) خزائن فضل الله ورجته غير متناهية فكان المعنى
انكم لوملكتم من الخير والنعم خزائن لانهاية له القيمة على الشئ وهذا مبالغة عظيمة في
وصفهم بهذا الشئ ثم قال تعالى وكان الانسان قنورا اى بخيلا يقال قنر قنرا وقنرا
اقتارا وقنرتيرا اذا قصر في الاتفاق فان قيل فقد دخل في الانسان الجواد الكريم
فالجواب من وجوه (الاول) ان الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاجا والمحتاج
لا بد ان يحب ما به يدفع الحاجة وان يحسكه لنفسه الا انه قد يجوده لاسباب من خارج
ثبت ان الاصل في الانسان البخل (الثاني) ان الانسان انما يبذل لطلب الثناء والحمد
وللخروج عن عهدة الواجب فهو في الحقيقة مانع الا لئلا يخذل العوض فهو في الحقيقة
بخيل (الثالث) ان المراد بهذا الانسان المهود السابق وهم الذين قالوا لن نؤمن لك
حتى تغير لنا من الارض ينبوعا * قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسئل
بنى اسرائيل اجزاءهم فقال له فرعون انى لا تفك يا فرعون مشورا فارد ان يستغفرهم
هؤلاء الارب السموات والارض بصائر واتى لا تفك يا فرعون مشورا فارد ان يستغفرهم
من الارض فاغرقاه ومن معه جميعا وقتلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا
جاء وعد الآخرة جثنا بكم لفيقا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان المقصود
من هذا الكلام ايضا الجواب عن قولهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بهذه المعجزات القاهرة
فقال تعالى انا آتينا موسى معجزات مساوية لهذه الاشياء التى طلبتموها بل أقوى منها
واعظم فلو حصل في علنا ان جعلها في زمانكم مصالحة لفعلمناها كما فعلنا في حق موسى
فدل هذا على انا انما لم نفعلمها في زمانكم لعلمنا انه لا مصلحة في فعلها (المسئلة
الثانية) اعلم انه تعالى ذكر في القرآن اشياء كثيرة من معجزات موسى عليه الصلاة
والسلام (احدها) ان الله تعالى ازال العقدة من لسانه قيل في التفسير ذهبت البجمة
وصار فصيحيا (وثانيها) انقلاب العصا حية (وثالثها) تلقف الحية حبالهم وعصيمهم
مع كثرتها (ورابعها) اليد البيضاء وخسة أخروهي الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم (والعاشر) شق البحر وهو قوله واذ فرقنا بكم البحر (والحادى عشر)
الجر وهو قوله ان اضرب بعصاك البحر (والثاني عشر) اظلال الجبل وهو قوله تعالى
واذ تلقنا الجبل فوقهم كانه ظلة (والثالث عشر) ازال المن والسلوى عليهم وعلى قومه
(والرابع عشر والخامس عشر) قوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص
من الثمرات (والسادس عشر) الطمس على اموالهم من النحل والدقيق والاطعمة

بعده) من اغراقهم (لبنى
اسرائيل اسكنوا الارض) لى
اراد ان يستغفرهم منها (فاذا جاء
وعد الآخرة) لكثرة الآخرة
او الحياة او الساعة او الدر
الآخرة اى قيام القيامة (جثنا
بكم لفيقا) عثاطين اياكم وياهم
ثم عثكم بكنكم وغير سعداء كم
من اشقيائكم والافيف الجماعات
من قبيل شق (وبالحق ازلناه
وبالحق نزل) اى وما ازلنا
القرآن الا ملتصبا بالحق المتضى
لازلناه وما نزل الا ملتصبا بالحق
الذى اشقل عليه او ما ازلناه من
السماء لا محفوظا وما نزل على
الرسول الا محفوظا من تحليط
الشياطين ولعل المراد ببيان عدم
اعتقاد البطلان له اول الامر
وأخره

والدراهم والدنانير روى ان عمر بن عبدالعزيز سأل محمد بن كعب عن قوله تسع آيات بينات
فذكر محمد بن كعب في جملة التسع حل عقدة اللسان والطمس فقال عمر بن عبدالعزيز
هكذا يجب ان يكون الفقيه ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه ففضه فأذا فيه
بعض مكسور نصفين وجوز مكسور وفول وحصى وعدس كلها حجارة اذا عرفت هذا
فقول انه تعالى ذكر في القرآن هذه المعجزات الستة عشر لموسى عليه الصلاة والسلام
وقال في هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وتخصيص التسعة بالذكر لا يقدح
فيه ثبوت الزائد عليه لاننا في اصول الفقه ان تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد
بل نقول انما يتسكك في هذه المسئلة بهذه الآية ثم نقول اما هذه التسعة فقد اتفقوا على
سبعة منها وهى العصا واليدو الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وبقى الاثنان
ولكل واحد من المفسرين قول آخر فهما ولم يمكن تلك الاحوال مستندة الى جملة
ظنية فضلا عن جملة يقينية لاجرم تركت تلك الروايات وفي تفسير قوله تعالى تسع آيات
بينات اقوال أجودها ما روى صفوان بن عسال انه قال ان يهوديا قال لصاحبه اذهب
بنا الى هذا النبي نسأله عن تسع آيات فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عنها فقال
هن ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنا ولا تقتلوا ولا تسحرروا ولا تأكلوا الربا
ولا تتخذوا الحصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليك خاصة اليهود ان لا تعسوا
في السبت فقام اليهود يان قبالا به ورجليه وقالوا نشهد انك نبي ولولا تخاف القتل
والاتباعك (المسئلة الثالثة) قوله فاسأل بنى اسرائيل ادجاءهم فيه مباحث (البحث
الاول) فيه وجوه (الوجه الاول) انه اعتراض دخل في الكلام والتقدير ولقد آتينا
موسى تسع آيات بينات ادجاء بنى اسرائيل فاسألهم وعلى هذا التقدير فليس المطلوب من
سؤال بنى اسرائيل ان يستفيد هذا العلم منهم بل المقصود ان يظهر لعامة اليهود وعلمائهم
صدق ما ذكره الرسول فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد (والوجه الثاني) ان يكون
قوله فاسأل بنى اسرائيل اى سلمهم عن فرعون وقوله ارسل معى بنى اسرائيل (والوجه
الثالث) سل بنى اسرائيل اى سلمهم ان يوافقوا وتسلمهم الايمان والعمل الصالح وعلى هذا
التأويل فالتقدير قلنا له سلمهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايدىهم معك (البحث
الثاني) امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يسأل بنى اسرائيل معناه الذين كانوا
موجودين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم والذين جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام
هم الذين كانوا في زمانه الا ان الذين كانوا في زمان محمد صلى الله عليه وسلم لما كانوا اولاد
أولئك الذين كانوا في زمان موسى حسنت هذه الكناية ثم اخبر تعالى ان فرعون قال لموسى
انى لافظك يا موسى مسحورا وفي لفظ المسحور وجوه (الاول) قال الفراءة بمعنى الساحر
كالمشوم والميون وذكرنا هذا في قوله ججا مستورا (الثاني) انه مفعول من السحر أى
ان الناس مسحوروك وخيلوك فقول هذه الكلمات لهذا السبب (الثالث) قال محمد

(وما اوسناك الامشرا) المطيع
بالتواب (ونذيرا) للعاصي من
العقاب وهو تحقيق لحقيقة بعثته
عليه الصلاة والسلام اثر تحقيق
حقيقة ازال القرآن (وقرأنا)
منسوب عن عمر بن عمر بن موسى
(فرقناه) (وقرى بالتشديد لالة
على كثرة تجوهم (لتقرأ على
الناس على مكث) على مهل
وتثبت فأنه ايسر للحفظ واعون
على الفهم وقرئ بالفتح وهو
لغة فيد (وزلناه نزيلا) حسبا
تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع
من الحوادث والواقعات (فل)
الذين كفروا (آمنوا به اولا
نؤمنوا) فان ايمانكم به لا يزيد
كالا وامتناعكم لا يورثه نقصا
(ان الذين آمنوا العلم من قبله)
اى العلماء الذين قرؤا الكتب
السابقة من قبل تنزيله وعرفوا
حقيقة الوحي وأمارات النبوة
وتمكنوا من التمييز بين الحق

ابن جرير الطبري معناه اعطيت علم السحر فهذه العجائب التي تأتي بها من ذلك السحر ثم آجابه موسى عليه الصلاة والسلام بقوله لقد علمت ما نزل هؤلاء الارب السموات والارض وفيه مباحث (البحث الاول) قرأ الكسائي علمت بضم التاء اي علمت انها من عند الله فان علمت واقررت والا هلكك والباقيون بالفتح وضم التاء قراءة على وقبحها قراءة ابن عباس وكان على رضى الله عنه يقول والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذى علم فبلغ ذلك ابن عباس رضى الله عنهما فاحتج بقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم على ان فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة امر موسى عليه السلام قال الزجاج الاجود في القراءة الفتح لان علم فرعون بانها آيات نازلة من عند الله او كد في الحجة فاحتجاج موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون بعلم فرعون او كد من الاحتجاج بعلم نفسه وأجاب الناصرون لقراءة على عليه السلام عن دليل ابن عباس فقالوا قوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم يدل على انهم استيقنوا شيئا ما فأما انهم استيقنوا كون هذه الآيات نازلة من عند الله فليس في الآية ما يدل عليه وأجابوا عن الوجه الثاني بان فرعون قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون قال موسى لقد علمت فكأنه نفى ذلك وقال لقد علمت صحة ما أتيت به علما صحيحا علم العقلاء واعلم ان هذه الآيات من عند الله ولا تشك في ذلك بسبب سفاهاك (البحث الثاني) التقدير ما نزل هؤلاء الآيات ونظيره قوله

والعيش بعد اولئك الاقوام * وقوله بصائر اي عجيبة كانهما بصائر العقول وتحقيق الكلام ان المعجزة فعل خارق للعادة فعلمه فاعله لغرض تصديق المدعى ومجرات موسى عليه الصلاة والسلام كانت موصوفة بجزئين الوصفين لانها كانت افعالا خارقة للعادة وصرايح العقول تشهد بأن قلب العصا حجة معجزة عظيمة لا يقدر عليه الا الله ثم ان تلك الحجة تلفقت بحبال السحرة وعصيمهم على كثرتها ما جادت عصا كما كانت فاصناف تلك الافعال لا يفسر عليها احد الا الله وكذا القول في فرقى البحر واطلال الجبل ثبت ان تلك الاشياء ما نزلها الارب السموات (الصفة الثانية) انه تعالى اتم اخلقها لندل على صدق موسى في دعوة النبوة وهذا هو المراد من قوله ما نزل هؤلاء الارب السموات والارض حال كونها بصائر اي دالة على صدق موسى في دعواه وهذه الدقائق لا يمكن فهمها من القرآن الابدان فان علم الاصول واقول بعد ان بصير غير علم الاصول العقلي قاهرا في تفسير كلام الله ثم حكى تعالى ان موسى قال لفرعون واني لا ظنك يا فرعون مشورا واعلم ان فرعون قال لموسى واني لا ظنك يا موسى معصورا فعارضه موسى وقال له واني لا ظنك يا فرعون مشورا قال الفراء المشور الملعون المحبوس عن الخير والعرب تقول ما تبرك عن هذا اي ما منعك منه وما صرفك وقال ابو زيد يقال ثبرت فلانا عن الشيء اثيره اي رددته عنه وقال مجاهد وقادة هالكا وقال الزجاج يقال ثبر الرجل فهو مشور اذا هلك والنبور الهلاك ومن معروف الكلام فلان يدعو بالويل والنبور عند مصيبة تناوله وقال تعالى دعوا ههنا

والباطل والمحق والباطل ورواها فيها نعمتك ونعت ما نزل اليك (اذا يتلى) اي القرآن عليهم يخرون للاذقان اي يسقطون على وجوههم (سجدا) تعظيما لامر الله تعالى اوشكرا لانجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حيثئذ يصفق الطرور عليها واشار اللام للدلالة على اختصاص الطرور بها كما في قوله

* فخر صريعا للبدن ولثمن * وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به اولاً تؤمنوا من المبالاة بذلك اي لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويحوزان يكون تعليلاً لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل تسلم يا ايمان العلماء عن ايمان الجاهلة ولا تكثرت

ثبورا لاتدعو اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا واعلم ان فرعون لما وصف موسى
 بكونه محمورا الجاه موسى بأنك مشهور بمعنى هذه الايات ظاهرة وهذه المعجزات قاهرة
 ولا يرتاب العاقل في انها من عند الله وفي انه تعالى انما اظهرها لاجل تصديقي وانت
 تنكرها فلا يحملك على هذا الانكار الاحسد والعناد والغنى والجهل وحب الدنيا ومن
 كان كذلك كانت عاقبته الدمار والنبور ثم قال تعالى فأراد ان يستفزه من الارض
 بمعنى أراد فرعون ان يخرجهم بمعنى موسى وقومه بنى اسرائيل ومعنى تفسير الاستفزاز
 تقدم في هذه السورة من الارض بمعنى ارض مصر قال الزجاج لا يعد ان يكون المراد من
 استفزازهم اخراجهم منها بالقتل او بالتحية ثم قال فأغرقناه ومن معه جميعا المعنى ما ذكره
 الله تعالى في قوله ولا يحمي المكر السيء الا باهله اراد فرعون ان يخرج موسى من ارض
 مصر لتخلص له تلك البلاد والله تعالى اهلك فرعون وجعل ملك مصر خالصة لموسى
 ولقومه وقال لبنى اسرائيل اسكنوا هذه الارض خالصة لكم خالية من عدوكم قال تعالى
 فاذا جاء وعد الآخرة يريد القيامة جثائبكم لفيها من ههنا وههنا والفيف الجميع العظيم
 من اخلاط شتى من الشريف والدني والطيب والعاصي والقوى والضعيف وكل شئ
 خلطته بشئ آخر فقد لفته ومنه قيل لفت الجيوش اذا ضربت بعضها بعض وقوله
 التفت الزحوف ومنه التفت الساقى والمعنى جثائبكم من قبوركم الى المحشر
 اخلاطاً بمعنى جميع الخلق السليم والكافر والبر والفاجر * قوله تعالى (وبالحق انزلناه
 وبالحق نزل وما رسلكنا الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث
 ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به ولا تؤمنوا ان الذين اتوا العلم من قبله اذا تبلى عليهم يخفرون
 للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان بكون
 ويزيدهم خشوعا) اعلم ان الله تعالى لما بين ان القرآن مجز قاهر دال على الصديق في قوله قل لئن
 اجتمعت الانس والجن ثم حكى عن الكفار انهم لم يكتفوا بهذا المعجز بل طلبوا سائر
 المعجزات ثم اجاب الله بانه لا حاجة الى اظهار سائر المعجزات وبن ذلك بوجوه كثيرة منها ان
 قوم موسى عليه الصلاة والسلام آتاهم الله تسع آيات بينات فلما جسدوا بها اهلكهم الله
 فكذلك ههنا ثم انه تعالى لو آتى قوم محمد تلك المعجزات التي اقترحوها ثم كفروا بها وجب
 ائزال عذاب الاستئصال بهم وذلك غير جائز في الحكمة لعلمه تعالى ان منهم من يؤمن والذي
 لا يؤمن فيظهر من نسله من يصير مؤمنا ولما تم هذا الجواب ما دالى تعظيم حال القرآن
 وجلالة درجته فقال وبالحق انزلناه وبالحق نزل والمعنى انه ما اردنا بازاله الا لتقرر الحق
 والصدق وكأردنا هذا المعنى فكذلك وقع هذا المعنى وحصل وفي هذه الآية فوائد
 (القائمة لاولى) ان الحق هو الثابت الذى لا يزول كما ان الباطل هو ارائل النهاب وهذا
 الكتاب الكريم مشتمل على اشياء لاتزول وذلك لانه مشتمل على دلائل التوحيد وصفات
 الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة وتقرير نبوة الانبياء وابيات الحشر والنشر

بإيمانهم وامراضهم (ويقولون)
 في سجودهم (سبحان ربنا) عما
 يقبل الكفرة من التكذيب
 وعن خدع وعده (ان كان وعد
 ربنا لمفعولا) ان عنته من المنقذ
 واللام فارقة اى ان الشأن هذا
 (ويخرون للاذقان بكون) كرو
 الخور للاذقان لاختلاف السبب
 فان الاول لتعظيم امر الله تعالى
 او الشكر لانتجاز الوعد والثاني
 لما تفرغهم من مواضع القرآن حال
 كونهم باكين من خشية الله
 (ويزيدهم) اى القرآن بسماهم
 (خشوعا) كما يزيدهم عناية بقينا
 بالله تعالى (قل ادعوا الله او ادعوا
 الرحمن) نزل حين سمع المشركون
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول يا الله يا رجن فقالوا انه ينهانا
 عن عبادة الهين وهودعوا الهيا
 آخر وقالت اليهود انك لنقل ذكر

والقيامه وكل ذلك مما لا يقبل الزوال ومشتمل ايضا على شريعة باقية لا يطرُق اليها السخ
والنقض والتحريف وايضا فهذا الكتاب كتاب تكفل الله بحفظه عن تحريف الزائعين
وتبديل الجاهلين كما قال اتأخّر نزلنا الذي ذكرناه لحافظون فكان هذا الكتاب حقا
من كل الوجوه (الفائدة الثانية) ان قوله وبالحق انزلناه يقيد الحصر ومعناه ما نزل
لمقصود آخر سوى اظهار الحق وقالت المعتزلة وهذا يدل على انه ما قصد بانزاله اضلال احد
من الخلق ولا غواؤه ولا منعه عن دين الله (الفائدة الثالثة) قوله وبالحق انزلناه وبالحق
نزل يدل على ان الازل غير النزول فوجب ان يكون الخلق غير المخلوق وان يكون التكوين
غير المكون على ما ذهب اليه قوم (الفائدة الرابعة) قال ابو علي الفارسي الباه في قوله وبالحق
انزلناه بمعنى مع كما تقول نزل بعثته وخرج بسلاحه والمعنى انزلنا القرآن مع الحق وقوله
وبالحق نزل فيه احتمالان (احدهما) ان يكون التقدير نزل بالحق كما تقول نزلت يزيد وعلى
هذا التقدير الحق محمد صلى الله عليه وسلم لان القرآن نزل به اى عليه (الثاني) ان تكون
بمعنى مع كما قلنا في قوله وبالحق انزلناه ثم قال تعالى وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا والمقصود
ان هؤلاء الجفاه الذين يقترحون عليك هذه المجزآت ويتردون عن قبول دينك لاشئ
عليك من كفرهم فاني ما ارسلناك الا مبشرا للمطيعين ونذيرا للمجاهدين فان قبلوا الدين
الحق اتفّعوا به والا فليس عليك من كفرهم شئ ثم قال وقرآنا فرقناه لقرآء على الناس على
مكث وفيه مباحث (البحث الاول) ان القوم قالوا هب ان هذا القرآن معجز الا انه بتقدير
ان يكون الامر كذلك فكان من الواجب ان ينزل الله عليك دفعة واحدة ليعظم فيه وجه
الاجهاز فجعلوا اتيان الرسول بهذا القرآن منفردا شبهة في انه يتفكر في فصل فصل ويقرأه
على الناس فأجاب الله عنه بانه انما فرقه ليكون حفظه اسهل وتكون الاحاطة والوقوف
على دقائقه وحقائقه اسهل (البحث الثاني) قال سعيد بن جبير نزل القرآن كله ليلة القدر
من السماء العليا الى السماء السفلى ثم فصل في السنين التي نزل فيها قال قتادة كان بين
اوله وآخره عشرون سنة والمعنى قطعناه آية وسورة سورة ولم ينزله جلة لقرآء على الناس
على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة اى لاعلى فورة قال الفراء يقال مكث مكث
يمكث والفتح قراءة عاصم في قوله فكث غير بعيد (البحث الثالث) الاختيار عند الائمة
فرقناه بالتخفيف وفسره ابو عمرو ببناء قال ابو عبيد التخفيف اعجب الى لان تفسيره ببناء
ومن قرأ بالتشديد لم يكن له معنى الا انه انزل متفرقا لفرق يتضمن التبيين وبؤكده
ما روى ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت افرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام ويدل
عليه ايضا قوله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ولم يقل يقترا والتفرق
مطويع التفریق والافتراق مطويع الفرق ثم قال ونزلناه تنزيلا اى على الحد المذكور
والصفة المذكورة ثم قال قل آمنوا به ولا تؤمنوا بما يخاطب الذين اقترحوا تلك المجزآت
العظيمة على وجه التهديد والانكار اى انه تعالى اوضح البيّنات والدلائل وازاح الاعدار

الرجح وقد اكثرت الله تعالى
في التوراة والمراد على الاول هو
التسوية بين اللفظين بألها
عبارة من ذات واحدة وان
اختلف الاعتبار والتوحيد انما
هو للذات الذي هو المعبود وعلى
الثنائي انهما بيان في حسن
الاطلاق والافضاء الى المقصود
وهو اوفق لقوله تعالى (ايا تادعوا
فله الاسماء الحسنى) والدعاء بمعنى
السمية وهو يتعدى الى المفعولين
حذف اولهما استغناء عنه
واول التفسير والتنوين في ايعوض
عن المضاف اليه وما زيد لتأكيد
ما في اى من الابهام والتضمير في له
للمسمى لان التسمية له لا للاسم
وكان اصل الكلام اياما تدعوا
فهو حسن فوضع موضعه فله
الاسماء الحسنى للبالغة والدلالة
على ما هو الدليل عليه ان حسن

فأختاروا ما تريدون ثم قال تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله اى من قبل نزول القرآن قال
بمجاهد هم ناس من اهل الكتاب حين سمعوا ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم خروا وسجدوا
منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام ثم قال يخرون للاذقان سجدا
وفيه اقوال (القول الاول) قال الزجاج الذقن مجتمع اللحين وكلا يتندى الانسان بالخرور
الى السجود فاقرب الاشياء من الجبهة الى الارض الذقن (والقول الثانى) ان الاذقان
كناية عن اللحي والى الانسان اذا بالغ عند السجود فى الخضوع والخشوع ربما مسح لحيته
على التراب فان اللحية يبالغ فى تنظيفها فاذا عفرها الانسان بالتراب فقد اتى بغاية
التعظيم (والقول الثالث) ان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فرما سقط
على الارض فى معرض السجود كالغنى عليه متى كان الامر كذلك كان خروجه على الذقن
فى موضع السجود قوله يخرون للاذقان كناية عن غاية ولهه وخوفه وخشيته ثم بقى فى
الآية سؤال (السؤال الاول) لم قال يخرون للاذقان سجدا ولم يقل يسجدون والجواب
المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعهم الى ذلك حتى انهم يسقطون (السؤال الثانى) لم
قال يخرون للاذقان ولم يقل على الاذقان والجواب العرب تقول اذا خراج الرجل فوقع
على وجهه خر للذقن والله اعلم ثم قال تعالى ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا
والمعنى انهم يقولون فى سجودهم سبحان ربنا اى بزهونه ويعظمونه ان كان وعد ربنا
لمفعولا اى بانزال القرآن وبعث محمد وهذا يدل على ان هؤلاء كانوا من اهل الكتاب لان
الوعد بعينه محمد سبق فى كتابهم فهم كانوا ينتظرون انجاز ذلك الوعد ثم قال ويخرون للاذقان
يكونون والفائدة فى هذا التكرار اختلاف الحالمين وهما خروجهم للسجود وحال كونهم
باكين عند استماع القرآن ويدل عليه قوله ويزيدهم خشوعا ويجوز ان يكون تكرار
القول دلالة على تكرار الفعل منهم وقوله يكون معناه الحال ويزيدهم خشوعا اى
تواضعا واعلم ان المقصود من هذه الآية تقرير تحقيرهم والازدراء بشأنهم وعدم
الاكتراث بهم وابعادهم وامتاعهم منه وانهم وان لم يؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منهم
﴿ قوله تعالى (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها واتبعن بين ذمت سبيلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذوا ولم يكن له شريك
فى الملك ولم يكن له ولى من الدلو كبره تكبرا) قال صاحب الكشف المراهب الاسم
لاسمى والواو للتخيير بمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن اى سمو بهذا الاسم او بهذا
او اذكروا اما هذا واما هذا والتنوين فى أيا عوض عن المضاف اليه وما صلة للإبهام
المؤكد لما فى اى والتقدير اى هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير
فى قوله فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز
وعلا والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت
اسماؤه فقد حسن هذا ان الاسمان لانهما منها ومعنى حسن اسماء الله كونها مفيدة لمعاني

جميع اسمائه يستمدى حسن
ذبتك الاسمين وكونها حسنى
لدلائها على صفات الكمال من
الجلال والجمال والاكرام
(ولا تنجهر بصلاتك) اى بقراءة
صلاتك بحيث تسمع المشركين
فان ذلك يحملهم على السب
والغو فيها (ولا تخافت بها) اى
بقراءتها بحيث لا تسمع من خلقك
من المؤمنين (وابتغ بين ذلك)
اى بين الجهر والحقنة على الوجه
لذكور (سبيلا) امرا وسطا
قصدان خيرا لأمور واساطها
والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار
انه امر يتوجه اليه المتوجهون
ويؤمونه المقتدون ويوصلهم الى
المطلوب وروى ان ابا بكر رضى
الله تعالى عنده كان يخفت ويقول

التحميد والتقديس وقد سبق الاستقصاء في هذا الباب في آخر سورة الاعراف في تفسير قوله والله الاسماء الحسنى فادعوه بها واحتج الجبائي بهذه الآية فقال لو كان تعالى هو الخالق للظلم والجور لصح ان يقال يا ظالم وحينئذ يطل ما ثبت في هذه الآية من كون اسمائه بأسرها حسنة (والجواب) اننا لنسلم انه لو كان خالقا لافعال العباد لصح وصفه بأنه ظالم وجائر كما انه لا يلزم من كونه خالقا للمحركة والسكون والسواد والبياض ان يقال يا متحرك ويا ساكن ويا اسود ويا ابيض فان قالوا فيلزم جواز ان يقال يا خالق الظلم والجور قلنا فيلزمكم ان تقولوا يا خالق العذرات والديدان والخنافس وكما انكم تقولون ان ذلك حق في نفس الامر ولكن الادب ان يقال يا خالق السموات والارض فكذا قولنا ههنا ثم قال تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وفيه مباحث (البحث الاول) قوله ولا تجهر بصلاتك فيه اقول (الاول) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فاوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا تسمع اصحابك وابغ بين ذلك سبيلا (القول الثاني) روى ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور الصحابة وكان ابو بكر يخفي صوته بالقراءة في صلاته وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النهار وجاء ابو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره ان تخفي صوتك فقال انابي ربي وقد علم حاجتي وقال لعمر لم ترفع صوتك فقال ازجر الشيطان واوقف الوسنان فامر النبي صلى الله عليه وسلم ابابكر ان يرفع صوته قليلا وعمر ان يخفض صوته قليلا (القول الثالث) معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار (والقول الرابع) ان المراد بالصلاة الدعاء وهذا قول عائشة رضى الله عنها وابي هريرة ومجاهد قالت عائشة رضى الله عنها هي في الدعاء وروى هذا مرفوعا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية انما ذلك في الدعاء والمسئلة لا ترفع صوتك فذكر ذنوبك فيسمع ذلك فتعير بها فالجهر بالدعاء منهى عنه والمبالغة في الاسرار غير جائزة والمسئب من ذلك التوسط وهو ان يسمع نفسه كما روى عن ابن مسعود انه قال لم يخافت من اسمع اذنيه (والقول الخامس) قال الحسن لا تراء بعلايتها ولا تنسى بسريتها (البحث الثاني) الصلاة عبارة عن مجموع الافعال والاذكار والجهر والخافتة من عوارض الصوت فالمراد ههنا من الصلوات بعض اجزاء ما هي الصلاة وهو الاذكار والقرآن وهو من باب اطلاق اسم الكل لارادة الجزء (البحث الثالث) يقال خفت صوته بخفت خفتا وخفوا تاذاضعف وسكن وصوت خفيت اى خفيض ومنه يقال للرجل اذا مات قد خفت اى انقطع كلامه وخفت الزرع اذا ذبل وخفت الرجل يخافت بقرائه اذا لم بين قراءته برفع الصوت وقد تخافت القوم اذا تاسروا بينهم واقول ثبت في كتب الاخلاق ان كلالا في الامور ذميم والعذل هو رعاية الوسط ولهذا المعنى مدح الله

انابي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضى الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقف الوسنان فلما نزل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابغ بين ذلك سبيلا بالخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية (وقل الحمد لله لم يخفد ولدا) كما يزعم اليهود والنصارى وينو عليه حيث قالوا عن ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا (ولم يكن له شريك في الملك) اى الالهية

هذه الامة بقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال في مدح المؤمنين والذين اذا اتقوا
 لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وامر الله رسوله فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى
 عنقك ولا تبسطها كل البسط فكذا ههنا نهى عن الطرفين وهو الجهر والمحافة وامر
 بالوسط بينهما فقال وابتغ بين ذلك سبيلا ومنهم من قال الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم
 تضرعا وخفية وهو بعيد واعلم انه تعالى لما امر ان لا يذكر ولا ينادى الا باسمائه الحسنى عليه
 كيفية الحميد قال وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى
 من الدن ولا كبره تكبيرا فذكر ههنا من صفات التنزيه والجلال وهى السلوب ثلاثة انواع
 من الصفات (النوع الاول) من الصفات انه لم يتخذ ولدا والسبب فيه وجوه (الاول) ان
 الولد هو الشئ المتولد من جزء من اجزاء شئ آخر فكل من له ولد فهو مركب من الاجزاء
 والمركب محدث والمحدث محتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد (الثاني) ان
 كل من له ولد فانه يسكن جميع النعم لولده فاذا لم يكن له ولد افاض كل تلك النعم على عبده
 (الثالث) ان الولد هو الذى يقوم مقام الوالد بعد انقضاء وفاته فلو كان له ولد لكان
 منقضيا ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الانعام فى كل الاوقات فوجب ان لا يستحق
 الحمد على الاطلاق (النوع الثانى) من الصفات السلبية قوله ولم يكن له شريك فى الملك
 والسبب فى اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لخيئت له يعرف كونه مستحقا للحمد
 والشكر (النوع الثالث) قوله ولم يكن له ولى من الدن والسبب فى اعتبار هذه الصفة
 انه لو جاز عليه ولى من الدن لم يحجب شكره تعجيزا من غيره حله على ذلك الانعام او منعه
 منه اما اذا كان منزها عن الولد وعن الشريك وكان منزها عن ان يكون له ولى يلى امره
 كان مستوجبا لاعظم انواع الحمد ومستحقا لاجل اقسام الشكر ثم قال تعالى وكبره تكبيرا
 ومعناه ان الحميد يجب ان يكون مقرونا بالتكبير ويحمل انواعا من المعاني (اولها) تكبيره
 فى ذاته وهو ان يعتقد انه واجب الوجوب لذاته وانه غنى عن كل ماسواه (ثانيها) تكبيره
 فى صفاته وذلك من ثلاثة اوجه (اولها) ان يعتقد ان كل ما كان صفة له فهو من صفات
 الجلال والعز والعلو والكمال وهو منزه عن كل صفات النقائص (وثانيها) ان يعتقد ان
 كل واحد من تلك الصفات متعلق بالانهاية له من المعلومات وقدرته متعلقة بالانهاية به
 من المقدورات والممكنات (ورابعها) ان يعتقد انه كما تقدست ذاته عن الحدوث وتزهت
 عن التغير والزوال والتحول والانتقال فكذلك صفاته ازيلية قديمة سرمدية منزهة عن
 التغير والزوال والتحول والانتقال (النوع الثالث) من تكبير الله تكبيره فى افعاله وعند
 هذا تختلف اهل الجبر والقدر فقال اهل السنة انا نحمد الله ونكبره ونعظمه عن ان يجرى
 فى سلطانه شئ لا على وفق حكمه وارادته فالكل واقع بقضاء الله وقدرته ومشيئته وارادته
 وقالت المعتزلة انا نكبر الله ونعظمه عن ان يكون فاعلا لهذه القابح والقوا حش بل نعتقد
 ان حكمته تقتضى التنزيه والتقديس عنها وعن ارادتها وسمعت ان الاستاذ ابا اسحق

كاقوله الثبوت القائلون بتعدد
 الالهة (ولم يكن له ولى من الدن)
 ناصر مانع منه لا عزازة اولم
 يوال احد من اجل مذلة ليدفعها
 به وفى التعرض فى انشاء الحمد لهذه
 الصفات الجليلة ايدان بان المستحق
 للحمد من هذه نعمته دون غيره اذ
 بذلك يتم الكمال والقدر التامة
 على الايصاف وما يفرع عليه
 من افاضة انواع النعم وما عداها
 ناقص ملوك نعمة او نعم عليه
 ولذلك عطف عليه قوله تعالى
 (وكبره تكبيرا) وفيه تنبيه على
 ان العبد وان بالغ فى التنزيه
 والتسبيح واجتهد فى الطاعة
 والتحميد ينبغي ان يعترف
 بالصور فى ذلك روى انه صلى
 الله عليه وسلم

الاسفر ابني كان جالسا في دار الصاحب بن عباد فدخل القاضي عبد الجبار بن احمد الهمداني فلما رآه قال سبحان من نزهه عن الفحشاء فقال الاستاذ ابو اسحق سبحان من لا يجرى في ملكه الامايشاء (النوع الرابع) تكبير الله في احكامه وهو ان يعتقد انه ملك متنازع وله الامر والنهي والرفع والخفض وانه لا اعتراض لاحد عليه في شيء من احكامه يعز من يشاء ويذل من يشاء (النوع الخامس) تكبير الله في اسمائه وهو ان لا يذكر الا باسمائه الحسن ولا بوصف الابصافاته المقدسة العالية المنزهة (النوع السادس) من التكبير هو ان الانسان بعد ان يبلغ في التكبير والتعظيم والتزني والتقدس مقدار عقله وفهمه وخاطره يعترف ان عقله وفهمه لا يفي بمعرفة جلال الله ولسانه لا يفي بشكره وجوارحه لا يعجزوا عن اتقائه فحسب الله ان يكون تكبيره وافيا بكنهه مجده وعزته وهذا اقضى ما يقدر عليه العبد الضعيف من التكبير والتعظيم ونسأل الله تعالى الرحمة قبل الموت وعند الموت وبعد الموت انه الكريم الرحيم وبالله العصمة والتوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله تعالى ثم تفسر هذه السورة يوم الثلاثاء بين الظهر والعصر يوم العشرين من شهر المحرم في بلدة غزني سنة احدى وستمائة والحمد لله والصلاة على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

* (سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية مكية قال ابن عباس انها مكية غير آيتين منها فهما ذكر عينة بن حصن الفزاري وعن قتادة انها مكية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين تزلت هي سورة الكهف) *
* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيما ينذر بأسا شديد من لدنه وينبش المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ما كثر في فيه ابدا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اما الكلام في حقائق قولنا الحمد لله فقد سبق والذي اقول ههنا ان التسبيح انما جاء فاما جاء مقدما على التمجيد ألا ترى انه يقال سبحان الله والحمد لله اذا عرفت هذا فتقول انه جل جلاله ذكر التسبيح عندما اخبر انه اسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال سبحان الذي اسرى بعبد ليلا وذكر التمجيد عندما ذكر انه انزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وفيه فوائد (الفائدة الاولى) ان التسبيح اول الامر لانه عبارة عن نزهة الله عما لا ينبغي وهو اشارة الى كونه كاملا في ذاته والتمجيد عبارة عن كونه مكملا لغيره ولا شك ان اول الامر هو كونه كاملا في ذاته ونهاية الامر كونه مكملا لغيره فلا جرم وقع الابتداء في الذكر بقولنا سبحان الله ثم تذكر بعد الحمد لله تبليها على ان مقام التسبيح مبدأ ومقام التمجيد نهاية اذا عرفت هذا فتقول ذكر عند الاسراء لفظ التسبيح وعند انزال الكتاب لفظ التمجيد وهذا تنبيه على ان الاسراء به اول درجات كماله وانزال الكتاب غاية

كان اذا فضع الغلام من بني عبد المطلب عليه هذه الآية الكريمة وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قططار في الجنة والقططار الف اوقية وماثا اوقية والحمد لله سبحانه ولدا الكبرياء والعظمة والجبروت

(سورة الكهف مكية وقيل)
(الاقوله تعالى واصبر نفسك)
(الآية وهي مائة واحدى)
(عشرة آية)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله الذي انزل على عبده)
محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب)
اي الكتاب الكامل الفنى عن الوصف

بالكمال المعروف بذلك من بين (٦٧٣) الكتب الحقيقى باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع المثل

حيث ان كاسرار او في وصفه تعالى بالموصول اشار بعلة ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايدان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور تلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول عليه الصلاة والسلام بالمبدع مضاعفالى ضمير الجلالة تبيين على بلوغه عليه الصلاة والسلام الى اعلى معارج العبادة وتبريفه الى تشريف واشار بأن شأن الرسول ان يكون عبدا للرب لا كازعت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتأخير المقول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى (ولا يجعل له عوجا) أى شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم وتنافى في المعنى او اعرف عن الدعوة الى الحق وهو في المعنى كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا ممانعة كون الجبال من الاعيان فلا دلالة على انشاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه باليسيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعربه بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل الفتح في اعوجاج التنصب كالود والحائط والحكمس في اعوجاج غيره عينا كان او معنى (فيما) بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبغي عنه ما يبعد من الانذار والتبشير فيكون وصفه بالتكبير ببد وصفه بالكمال اوعلى ما قبله من الكتب السجادية شهادتها

درجات كاله والامر في الحقيقة كذلك لان الاسراء به الى المعراج يقتضى حصول الكمال له وازال الكتاب عليه يقتضى كونه مكمل للارواح البشرية وناقلا لها من حضرة البهيمة الى اعلى درجات الملكية ولاشك ان هذا الثاني اكمل وهذا تبيينه على ان اعلى مقامات العباد مقام ان يصير عالما في ذاته معلما للغير ولهذا روى في الخبر انه عليه الصلاة والسلام قال من تعلم وعلم فذاك يدعى عظيما في السموات (الفائدة الثانية) ان الاسراء عبارة عن رفع ذاته من تحت الى فوق وازال الكتاب عليه عبارة عن ازال نور الوحي عليه من فوق الى تحت ولاشك ان هذا الثاني اكمل (الفائدة الثالثة) ان منافع الاسراء به كانت مقصورة عليه الا ترى انه تعالى قال هنالك لنزبه من آياتنا ومنافع ازال الكتاب عليه متعددة الا ترى انه قال لنيزر بأشديد من لدنه وبشر المؤمنين والقوائد المتعدية افضل من القاصرة (المسئلة الثانية) المشبهة استدلوا بلفظ الاسراء في السورة المتقدمة ولفظ الازال في هذه السورة على انه تعالى يخص بمجة فوق (والجواب) عنه مذكور بالتام في سورة الاعراف في تفسير قوله تعالى ثم استوى على العرش (المسئلة الثالثة) ازال الكتاب نعمة عليه ونعمة علينا ما كونه نعمة عليه فلا نه تعالى اطعمه بواسطة هذا الكتاب الكريم على اسرار علوم التوحيد والتزينة وصفات الجلال والاکرام واسرار احوال الملاشكة والانبيا واحوال القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلى بأحوال العالم العلوى وتعلق احوال عالم الآخرة بعالم الدنيا وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب وكيفية ارتباط عالم الجسمانيات بعالم الروحانيات ونصيب النفس كالمرآة التي يعكس فيها عالم المكوت وينكشف فيها قدس اللاهوت فلاشك ان ذلك من اعظم النعم واما كون هذا الكتاب نعمة علينا فلا نه مشتمل على التكليف والاحكام والوعد والوعيد والثواب والعقاب وبالجملة فهو كتاب كامل في اقصى الدرجات فكل واحد ينفع به بمقدار طاقته وفهمه فلما كان كذلك وجب على الرسول وعلى جميع امته ان يحمدا الله عليه فعلمهم الله تعالى كيفية ذلك التحمد فقال الحمد لله الذى ازل على عبده الكتاب ثم انه تعالى وصف الكتاب بوصفين فقال ولم يجعل له عوجا فيما وفيه انحاء (البحث الاول) ناقذ كرنا ان الشئ يجب ان يكون كاملا في ذاته ثم يكون مكمل لغيره ويجب ان يكون تاما في ذاته ثم يكون فوق التام بأن يفيض عليه كال القمر اذا عرفت هذا فقول في قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى كونه كاملا في ذاته وقوله فيما اشارة الى كونه مكمل لغيره لان القيم عبارة عن القائم بمصالح الغير ونظيره قوله في اول سورة البقرة في صفة الكتاب لارب فيه هدى للمتقين فتقوله لارب فيه اشارة الى كونه في نفسه بالغافي الصحة وعدم الاختلال الى حيث يجب على العاقل ان لا يرتاب فيه وقوله هدى للمتقين اشارة الى كونه سببا لهادية الخلق واكل حالهم فتقوله ولم يجعل له عوجا قائم مقام قوله لارب فيه وقوله فيما قائم مقام قوله هدى للمتقين وهذه اسرار

وهيها عليها ومنها هي في الاستقامة فيكون تأكيدها (٨٥) (را) (خا) لما دل عليه في العوج مع افاذه كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له

حسبا تقي هذه الصيغة لانه في عنه العوج مع كونه من شأنه وانتصابه على تقدير (٦٧٤) كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة

لطيفة (البحث الثاني) قال اهل اللغة العوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد منه وجوه (احدها) في التناقص عن آياته كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (وثانيها) ان كل ما ذكر الله من التوحيد والتوبة والاحكام والتكاليف فهو حق وصدق ولا خلل في شيء منها البتة (وثالثها) ان الانسان كما أنه خرج من عالم الغيب متوجها الى عالم الآخرة والى حضرة جلال الله وهذه الدنيا كأنها رباط بني على طريق عالم القيامة حتى ان المسافر اذا نزل فيه اشتغل بالمهمات التي يجب رعايتها في هذا السفر ثم يرجع منه متوجها الى عالم الآخرة فكل ما دعاه من الدنيا الى الآخرة ومن الجماعات الى الروحانيات ومن الخلق الى الحق ومن اللذات الشهوانية الجسدانية الى الاستنارة بالانوار الصمدانية ثبت انه مبرأ عن العوج والانحراف والباطل فلهذا قال تعالى ولم يجعل له عوجا (الصفة الثانية) للكتاب وهي قوله فيما قال ابن عباس يريد مستقيما وهذا عندي مشكل لانه لا معنى لنفي الاعوجاج الاحصول الاستقامة تفسير القيم بالمستقيم بوجوب التكرار وانه باطل بل الحق ما ذكرناه وان المراد من كونه قيما انه سبب له بداية الخلق وانه يجري مجرى من يكون قيما للاطفال فالارواح البشرية كالاطفال والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم (البحث الثالث) قال الواحدى جميع اهل اللغة والتفسير قالوا هذا من التقديم والتأخير والتقدير ازل على عبده الكتاب فيما ولم يجعل له عوجا وقول قد بينا ما يدل على فساد هذا الكلام لانا بينا ان قوله ولم يجعل له عوجا يدل على كونه كاملا في ذاته وقوله فيما يدل على كونه مكمل لغيره وكونه كاملا في ذاته متقدم بالطبع على كونه مكمل لغيره ثبت بالبرهان العقلي ان الترتيب الصحيح هو الذى ذكره الله تعالى وهو قوله ولم يجعل له عوجا فيما فظهر ان ما ذكره من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب اليه (البحث الرابع) اختلف النحويون في انتصاب قوله فيما وذكروا فيه وجوها (الاول) قال صاحب الكشف لا يجوز جعله حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل له عوجا معطوف على قوله ازل فهو داخل في حيز الصلة فعمله حالا من الكتاب يوجب الفصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة وانه لا يجوز قال ولما بطل هذا وجب ان ينتصب بمضمر والتقدير ولم يجعل له عوجا وجعله قيما (الوجه الثاني) قال الاصفهاني الذى رى فيه ان يقال قوله ولم يجعل له عوجا حال وقوله فيما حال اخرى وهما حالان متواليان والتقدير ازل على عبده الكتاب غير مجعوله عوجا قيما (الوجه الثالث) قال السيد صاحب حل المقدم يمكن ان يكون قوله قيما بدلا من قوله ولم يجعل له عوجا لان معنى لم يجعل له عوجا انه جعله مستقيما كما أنه قيل ازل على عبده الكتاب وجعله قيما (الوجه الرابع) ان يكون حالا من الضمير في قوله ولم يجعل له عوجا اى حال كونه قائما بمصالح العباد واحكام الدين واعلم انه تعالى لما ذكر انه ازل على عبده هذا الكتاب الموصوف بهذه الصفات المذكورة اردفه ببيان ما لاجله ازل فقال لينذر بأسا شديدا

بمضمر بني منه في العوج تقديره جعله قيما او اعلى تقديره كونه حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل حيث تدبر بين اباض المعطوف عليه بالمطوف وقرئ قويا (لينذر) متعلق بأزل والقاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول لا يندان بأن ما سبق له الكلام هو المفعول الثانى وان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اى ازل الكتاب لينذر بما فيه الذين كفروا به (بأسا) اى هذا (اشديدا من لده) اى صادرا من عنده نارا من قبله بمجالة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لده بسكون الدال مع ضمهم الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للتباع (ويشر) بالتشديد وقرئ بالتخفيف (المؤمنين) اى الصديقين به (الذين يعملون الصالحات) الاعمال الصالحة التى يثبت في تصديقهم وايتار صيغة الاستقبال في الصلة للاشارة بتعدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان (ان لهم) اى بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة (اجرا حسنا) هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى (ما كنتم) حال من الضمير الجبرور في لهم (فيه) اى في ذلك الاجر (ابدا) من غير انتهاء اى خالدين فيه وهو نصب على التطفية لما كنتم وتقديم الانذار على التبشير لانه كالناتية بجزر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التحلية على التخلية وتكرار الانذار بقوله تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) متعلقا بفرقة خاصة عن ١٤٦ الانذار (من)

السابق من سحق البأس الشديد للإيدان بكمال فظاعة حالهم (٦٧٥) لغاية شناعة كفرهم وملاهم أي ومنذ من بين سائر الكفرة

هؤلاء التفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة كتبنا الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون يسوع ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويشر المؤمنين للإيدان بكفاية ما في حيز الصلوة في الكفر على اقم الوجوه وإيتار صيغة الماضي في الصلوة لدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هناك للمؤمنين ايئسنا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالبحر الفناء من غير اعتبار حلول المنذره على المنذر كما في قوله تعالى ان انذر الناس ويشر الذين آمنوا بفضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب وضمير الرسول عليه الصلاة والسلام (مالهم به) اي يتخاذل سبحانه وتعالى ولدا (من علم) مرفوع على الابتداء او الفاعلية لاعتماد الطرف ومن مزبذبة لتأكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم اي مالهم بذلك شي من علم أصلا لا لاختلاف بطريقهم تحقيق العلوم او امكانه بل لاستحالة في نفسه (ولا يأتهم) الذين قلدوهم فتأهوا جميعا تبه الجهالة والصلالة او مالهم علم بما قالوه أهو صواب أم خطأ بدبر علم او بحقيقة ما قالوه وبدغم

من لدنه وانذر متعد الى مفعولين كقوله اننا انذرناكم عذابا بقربا الا انه اقتصر ههنا على احدهما واصله لينذر الذين كفرا بأشديد كما قال في ضده ويشر المؤمنين والبأس مأخوذ من قوله تعالى بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأساو بأسه وقوله من لدنه اي صادرا من عنده قال الزجاج وفي لدن لغات يقال لدن ولدني والمعنى واحد قال وهى لا تخمك تمكن عندنا لك تقول هذا القول صواب عندى ولا تقول صواب لدنى وتقول عندى مال عظيم والمال غائب عنك ولدنى لما يملك لا غير وقرأ حاصم في رواية ابى بكر بسكون الدال مع اشعام الضم وكسر النون والهوام هو لفة بنى كلاب ثم قال تعالى ويشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا واعلم ان المقصود من ارسال الرسل انذار المذنبين وبشارة المطيعين ولما كان دفع الضرر اهرام عند العقول من ايصال النفع لاجرم قدم الانذار على التبشير في اللفظ قال صاحب الكشف وقرئ ويشر بالتحفيف والتثليل وقوله ما كثر فيه ابدى معنى خالدين وهو حال المؤمنين من قوله ان لهم اجرا قال القاضي الآية دالة على صحة قولنا في مسائل (احدها) ان القرآن مخلوق وبأنه من وجوه (الاول) انه تعالى وصفه بالانزال والنزول وذلك من صفات المحدثات فان القديم لا يجوز عليه التغير (الثاني) وصفه بكونه كتابا والكتب هو الجمع وهو سمي كتابا لكونه مجموعا من الحروف والكلمات وما صبح فيه التركيب والتأليف فهو محدث (الثالث) انه تعالى اثبت الحمد لنفسه على ازالة الكتاب والحمد انما يستحق على النعمة والنعمة محدثة مخلوقة (الرابع) انه وصف الكتاب بأنه غير موجود وبأنه مستقيم والقديم لا يمكن وصفه بذلك ثبت انه محدث مخلوق (وثانيها) مسألة خلق الاعمال فان هذه الآيات تدل على قولنا في هذه المسئلة من وجوه (الاول) نفس الامر بالحمد لانه لو لم يكن للعبد فعل لم ينفع بالكتاب اذا انتفع به انما يحصل اذا قدر على ان يفعل مادل الكتاب على انه يجب فعله ويترك مادل الكتاب على انه يجب تركه وهو انما يفعل ذلك لو كان مستقلا بنفسه اما اذا لم يكن مستقلا بنفسه لم يكن له عوج الكتاب اثر في اعوجاج فعله ولم يكن لكون الكتاب قبيحا اثر في استقامة فعله اما اذا كان العبد قادرا على الفعل مختارا فيه بقى لعوج الكتاب واستقامته اثر في فعله (والثاني) انه تعالى لو كان ازل بعض الكتاب ليكون سببا لكفر البعض وازل الباقي ليؤمن البعض الآخر فمن ان الكتاب قيم لا عوج فيه لانه لو كان فيه عوج لما زاد على ذلك (والثاني) قوله لينذر وفيه دلالة على انه تعالى اراد منه صلى الله عليه وسلم انذار الكل وتبشير الكل وتقدير ان يكون خالق الكفر والايان هو الله تعالى لم يبق للانذار والتبشير معنى لانه تعالى اذا خلق الايمان فيه حصل شاء او لم يشأ واذا خلق الكفر فيه حصل شاء او لم يشأ فيق الانذار والتبشير على الكفر والايمان جاريا مجرى الانذار والتبشير على كونه طويلا قصيرا واسود وابيض بالافادة له عليه (الرابع) وصفه المؤمنين بأنهم يعملون

بل انما قالوه رميا عن عى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات

وتبته في الشاعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (٦٧٦) لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الايات وهو

الانساب بقوله تعالى (كبرت كلمة) اي عظمت مقالته هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبتها سبحانه الى الماكاد يابقي بحسب كبريائه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة بتميزا كبش رجلا والخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع (تخرج من افواههم) صفة للكلمة مفيدة لاستنظام اجرائهم على التقوى بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت للابسة بها (ان يقولون) ما يقولون في ذلك الشأن (الا كذا) اي الا قولوا كذا لا يكاد يدخل تحت اركان الصدق اصلا والضمير ان لهم ولايتهم مثل حاله عليه الصلاة والسلام في شدة الوجع على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكال انصر عليهم بهال من يتوقع منه اهلاك نفسه اترفوت ما يحبه عند مفارقة احبته تأسفا على مفارقتها وتلهفا على مهاجرهم قبيلا على طريقة التجميل جلا له عليه الصلاة والسلام على الحذر والاشفاق من ذلك (فاعلم باخ) اي مهلك (نفسك على آثامهم) غماو وجدا على فرائهم وقرئ بالاضافة (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط

الصلحات فان كان ما وقع خلق الله تعالى فاعلم لهم البتة (الخامس) ايجابه لهم الاجر الحسن على ما عملوا فان كان الله تعالى يخلق ذلك فهم فلا ايجاب ولا استحقاق (المسئلة الثالثة) قال قوله لينذر بدل على انه تعالى انما يفعل افعاله لا غرض صحيحة وذلك بطل قول من يقول ان فعله غير معلل بالفرض واعلم ان هذه الكلمات قد تكررت في هذا الكتاب فلا فائدة في الاعادة ^ع قوله تعالى (ولينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا يأتهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذا با فعلك باخع نفسك على آثامهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان قوله تعالى وبنذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا معطوف على قوله لينذر بأسا شديدا من لدنه والمعطوف يجب كونه مغايرا للمعطوف عليه فالاول عام في حق كل من استحق العذاب والثاني خاص بمن اثبت الله ولد او عادة القران جارية بأنه اذا ذكر قضية كية عطف عليها بعض جزئياتها تنبها على كونه اعظم جزئيات ذلك الكلى كقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال فكذا ههنا المعطوف يدل على ان اقبح انواع الكفر والمعصية اثبات الولد لله تعالى (المسئلة الثانية) الذين اثبتوا الولد لله تعالى ثلاث طوائف (احدها) كفار العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله (وثانيها) النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله (وثالثها) اليهود الذين قالوا عزير ابن الله والكلام في ان اثبات الولد لله كفر عظيم ويلزم منه محالات عظيمة فذكرناه في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم وتماهه مذكور في سورة مريم ثم انه تعالى انكر على القائلين باثبات الولد لله تعالى من وجهين (الاول) قوله ما لهم به من علم ولا يأتهم فان قيل اتخذ الله ولدا محال في نفسه فكيف قيل ما لهم به من علم قلنا انتفاء العلم بالشيء قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه في نفسه محال لا يمكن تعلق العلم به ونظيره قوله لو من يدع مع الله الها آخر لا برهان له به واعلم ان نقاة القياس تمسكوا بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على ان القول في الدين بغير علم باطل والقول بالقياس الظني قول في الدين بغير علم فيكون باطلا وتام تقريره مذكور في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله ولا يأتهم اي ولا احد من اسلافهم وهذا مبالغة في كون تلك المقالة باطلة فاسدة (النوع الثاني) نماذكهم الله في ابطاله قوله كبرت كلمة تخرج من افواههم وفيه مباحث (البحث الاول) قرئ كبرت كلمة بالنصب على التمييز وبالرفع على الفاعلية قال الواحدى ومعنى التمييز انك اذا قلت كبرت المقالة او الكلمة جاز ان تسوهم انها كبرت كذا او جهلا او افتراء فلما قلت كلمة ميرتها من محتملاتها فانصب على التمييز والتقدير كبرت الكلمة كلمة فصل فيه الاضمار اما من رفع فلم يضر شيئا كما تقول عظم فلان فلذلك قال النحويون والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كما قيل ما كبرها كلمة (البحث الثاني) قوله كبرت اي كبرت الكلمة والمراد من هذه الكلمة ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله قالوا اتخذ الله ولدا

محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بأن المفتوحة اي لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بحمله على حكاية حال (نصارت)

ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط (٦٧٧) ذراعيه (أسفا) مفعول له بإخضع أي لفطر الحزن والغضب أو حال عما فيه من

الضعف أي متأسفا عليهم ويجوز
حل النظم الكريم على الاستفارة
التبعية يجعل التشبيه بين اجزاء
الطرفين لا بين الهيئتين المتزعتين
منهما كما في التثني وقد مر تحقيقه
في تفسير قوله تعالى ختم الله على
قلوبهم (أنا جعلنا ما على الأرض)
استثناف وتعليل لما في ليل من
معنى الاشفاق أي أنا جعلنا ما عليها
من عدا من وجه اليه التكليف
من الخراف حيوانا كان أو نباتا
أو معدنا كقوله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الأرض جميعا
(زينة) مفعول ثان للبعث أن جعل
على معنى التصيير أو حال أن جعل
على معنى الإبداع واللام في
(لها) إمامة لعل زينة أو مجذوف
هو وصفها أي كائنه لها أي
ليتمتع بها الناظرين من المكلفين
وينفقوا بها نفقا واستدلالا
فان الحياة والعقاب من حيث
تذكيرهما لعذاب الآخرة من
قيل المنافع بل كل حادث داخل
تحت الزينة من حيث دلالة
على وجود الصانع ووحدة فأن
الأزواج والأولاد إيمان زينة
الحياة الدنيا بل أعظمها ولا يمنع
ذلك كونهم من جهة المكلفين
فأنهم من جهة انفسهم إلى
اصحابهم داخلون تحت الزينة
ومن جهة كونهم مكلفين
داخلون تحت الابتلاء (لتبلوهم)
متعلق بجعلنا أي جعلنا ما جعلنا
انعامهم معاملة من يتغيبهم
(أيهم احسن علا) قصار أيهم
بالثواب والعقاب حسباتين
الحسن من المني وامتازت
طبقات افراد كل من الفريقين
حسب امتياز مراتب علومهم

المرتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود وإما استفهامية مرفوعة

فصارت مضمة في كبرت وسميت كلمة كبريىمون القصيدة كلمة (البعث الثالث) اخرج
النظام في اثبات قوله ان الكلام جسم بهذه الآية قال انه تعالى وصف الكلمة بأنها
تخرج من افواههم والخروج عبارة عن الحركة والحركة لا تصح الا على الاجسام والجواب
ان الحروف والصوات انما تحدث بسبب خروج النفس عن الحلق فلما كان خروج
النفس سببا لخروج الكلمة اطلق لفظ الخروج على الكلمة (البعث الرابع) قوله تخرج
من افواههم يدل على ان هذا الكلام مستكره جدا عند العقل كما انه يقول هذا الذي
يقولونه لا يحكمهم عقلهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطان فكأنه شيء
يجري به لسانهم على سبيل التقليد لانهم مع انما قولهم عقولهم وفكرهم تأبها ونفرعها
ثم قال تعالى ان يقولون الاكذبا ومعناه ظاهر واعلم ان الناس قد اختلفوا في حقيقة
الكذب فعندنا انه الخبر الذي لا يطابق الخبر عنه سواء اعتقد الخبر انه مطابق ام لا ومن
الناس من قال شرط كونه كذبا ان لا يطابق الخبر عنه مع علم قائله بأنه غير مطابق وهذا
القيد عندنا باطل والدليل عليه هذه الآية فانه تعالى وصف قولهم بأبواب الولد لله بكونه كذبا
مع ان الكثير منهم يقول ذلك ولا يعلم كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق الخبر عنه
فهو كذب سواء علم القائل بكونه مطابقا او لم يعلم ثم قال تعالى فلعننا باخع نفسك على آثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وفيه مباحث (البعث الاول) المقصود منه ان يقال
للسلطان لا يعظم حزنك واسفك بسبب كفرهم فانما بعثناك منذرا ومبشرا فأما تحصيل
الايمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه والغرض تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
عنه (البعث الثاني) قال الميث بجمع الرجل نفسه اذا قلها غيظا من شدة وجده بالشئ
وقال الاخفش والقراء اصل الميث الجهد يقال نجحت لك نفسى أي جهدتها وفي
حديث عائشة رضي الله عنها انها ذكرت عمر فقالت بجمع الأرض أي جهدها حتى اخذ
ما فيها من اموال الملوك وقال الكسائي نجحت الأرض بالزراعة اذا جعلتها ضعيفة
بسبب متابعة الحرثة وجمع الرجل نفسه اذا نهكها وعلى هذا معنى باخع نفسك أي
ناهكها وجاهدها حتى تهلكها ولكن اهل التأويل كلهم قالوا قائل نفسك ومهلكها
والاصل ما ذكرناه هكذا قال الواحدي (البعث الثالث) قوله على آثارهم أي من بعدهم
يقال مات فلان على اثر فلان أي بعده واصل هذا ان الانسان اذا مات بقيت علاماته
وآثاره بعد موته مدة ثم انما تنمحى وبطل بالكلية فاذا كان موته قريبا من موت الاول
كان موته حاصل بالبقاء آثار الاول فصح ان يقال مات فلان على اثر فلان (البعث
الرابع) قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث المراد بالحديث القرآن قال القاضي وهذا
يقضى وصف القرآن بأنه حديث وذلك يدل على فساد قول من يقول انه قديم وجوابه
انه محمول على الالفاظ وهي حادثة (البعث الخامس) قوله اسفا الاسف المبالغة في الحزن
وذكرنا الكلام فيه عند قوله غضبان اسفا في سورة الاعراف وعند قوله يا اسفا على

بالبتهاد واحسن خبرها والجهة في محل النصب معلقة لعل البلوى لما فيه (٦٧٨) معنى العلم باعتبار عاقبته كالمسؤول والنظر ولذلك

اجرى مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية ولما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدأ منصرف والجهة صلة لها وهي في محل النصب بدل من مفعول لتبلوهم والتقدير لتبلو الذي هو احسن عملا فيحذف محتمل ان تكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لنؤمن من كل شعبة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتعق شروط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان تكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل بالزهد فيها وعدم الاقرار بها او القناعة بالسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة لمعرفة خالقها والتعجب بها حسب ان ذلك الشرع واداء حقوقها والشكر لها لانها ذاهبة وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وبرد اصفية التفضيل مع ان الابتلاء شامل للرفيعين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط لا لشارب ان الغاية الاصلية لجعل المذكور افعالهم ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى لنبوكم انكم احسن عملا (وانا لجاعلون) فيما سأتى عند تنامي عمر الدنيا (ما عليها) من الخلوقات قاطبة باقلها بالكلية واما الظهور في مقام الاختيار لزيادة التبرير او الادراج المكلفين فيه (صعبا) مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوى من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه (جرزا) ترا بالانبات فيه (يماهم)

بعد ما كان يتعجب من بيته النظار وتشرى بمشاهدته (٦٧٩) الايضار قال ارض جرز لاتبث فيها وسته جرز لا مطر فيها قال القراء

بمعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة عن غيره لكان ذلك على سبيل الاتلاء والامتحان وقد ذكرنا هذه المسئلة مرارا كثيرة (المسئلة الثانية) قال القاضي معنى قوله لنبلوهم ايهم احسن علا هو انه يبلوهم ليصبرهم ايهم اطوع لله ارشد استمرارا على خدمته لان من هذا حاله هو الذي يفوز بالجنة فيمن تعالى انه كلف لاجل ذلك لاجل ان بعضه فدل ذلك على بطلان قول من يقول خلق بعضهم النار (المسئلة الثالثة) اللام في قوله لنبلوهم تدل ظاهرا على ان افعال الله معللة بالاغراض عند المعتزلة واصحابنا قالوا هذا محال لان التعليل بالفرض انما يصح في حق من لا يمكنه تحصيل ذلك الغرض الات تلك الواسطة وهذا يقتضى العجز الات تلك الواسطة وهذا يقتضى العجز وهو على الله محال (المسئلة الرابعة) قال الزجاج ايهم رفع بالابتداء الان لفظه لاف استفهام والمعنى لتختبرونهم نحن هذا احسن عملا أم ذاك ثم قال تعالى وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا والمعنى انه تعالى بين انه انما زين الارض لاجل الامتحان والابتلاء لاجل ان يبقى الانسان فيها متعبا ابدا لانه زهد فيها بقوله وانا لجاعلون ماعليها الآية ونظيره قوله كل من عليها فان وقوله فيذر هاقعا الآية وقوله واذنا الارض مدت الآية والمعنى انه لابد من المجازاة بعد فناء ماعلى الارض وتخصيص الانبطل والاهلاك بماعلى الارض بقاء الارض الان سائر الآيات دلت على ان الارض ايضا لاتبقى وهو قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال ابو عبيدة الصعيد المستوى من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذى لاتبث فيه وقد ذكرنا تفسير الصعيد في آية التيم واما الجرز فقال القراء الجرز الارض التى لاتبث عليها يقال جرزت الارض فيها مجرزة جرزا الجراد والشاة الابل اذا اكلت ماعليها وامرأة جرزة اذا كانت كولا وسيف جراز اذا كان مستأصلا ونظيره قوله تعالى نسوق الماء الى الارض الجرزة قوله تعالى (ام حسبت ان اصحاب الكهف والرفيق كانوا من آياتنا عجبا اذ اوى القبة الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من امرنا رشد فضرنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امدا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان القوم تفجروا من قصة اصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول على سبيل الامتحان فقال تعالى ام حسبت انهم كانوا عجبا من آياتنا فقط فلا تحسن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان كان قادرا على تخليق السموات والارض ثم زين الارض بأنواع المعادن والنبات والحايوان ثم يجعلها بعد ذلك صعيدا جرزا خالية عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورجته حفظ طائفة مدة ثلثمائة سنة واكثر في النوم هذا هو الوجه في تقرير النظم والله اعلم (المسئلة الثانية) قد ذكرنا سبب نزول قصة اصحاب الكهف عند قوله وبسئلوكم عن الروح قل الروح من امر ربي وذكر محمد بن اسحق سبب نزول هذه القصة مشروحا فقال كان النضر بن الحرث من شياطين قريش وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له في الكهف همد * وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقت فيه اسمائهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي

الذي فيه الكهف فهو من رقة الوادي أى جانبه وقيل الجبل وقيل (٦٨٠) فريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وابلة دون فلسطين وقيل

اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فقبوا بذكر كل منهم احسن عليه على ما فصل في الصحيفين (اذ اوى) ظرف ليجبا للسبب او مفعول لا ذكر اى حين انجا (الفتية) أى اصحاب الكهف او ثرا لظهور على الاخبار تحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهو بوا منه بدینهم ولان صاحبة الكهف من فروع الجحائم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه (الى الكهف) بجبلهم للجلوس واتخذوه مأوى (فقالوا ربنا انا من لدنك) من خزائن رحمتك الخاصة بكونك من عن عيون اهل العادات فن ابتدائية متعلقة باتسا او مجذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه تكرة ولولا تأخرت لكانت صفة له اى اتنا كاشنة من لدنك (رجة) خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهي) لئامن امرنا) الذى نحن عليه من مهاجرة الكفار والمشارية على طاعتك واصل التهيئة احدث هيئة لئامن اى اصبح وربنا واتم لنا من امرنا (رشدا) اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واعتناء اليه وكلا الجائزين متعلق بهي لا خلافا لما في المعنى وتقدم الجورين على المفعول الصريح لظهور الاعتناء بهما وابرار الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينهي عن كال رغبة التملك فيه واعتناؤه بمصوله للاحالة وكذا الكلام (ربنا)

في تقديم قوله تعالى من لدك على تقدير تعلقه بآتنا وتقدم بنا (٦٨١) على امرنا الا ان كان في الامر يكون المسؤول مغرورا فيه

لديهم ارجل امرنا رشدا كله
على ان تجريرة مثلها في
قولك رأيت منك اسدا فترينا
على آذانهم على غفلة هم على طريقة
التبديل المبني على تشبيه الامة
التفوية المسافعة عن وصول
الاصوات الى الاذان ضرب
الحجاب عليها وتخصيص الاذان
بالذكر مع اشراك سائر المشاعر
لها في الحجب عن الشعور عند
النوم لما فيها لاحتياج الى الحجب
مادة ذنوب الطريقة لليقظ غالبا
لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله
عن الخلق وقيل الضرب على
الاذن كناية عن الامة الثقيلة
وجله على تعطلها كما في قولهم
ضرب الامير على يد الرعية اي
منعهم من التصرف مع عدم ملامته
لمسايي من الميث لا يدل على
النوم مع انه المراد قطعاً والقام
في ضربها كما في قوله من وجل
فاستجبت له بقوله تعالى اذ ادعى
فان الضرب المذكور وما ترتب
عليه من التقلب ذات الجوزات
التي هي والبعض وغير ذلك اتياء
رجلة لدية خافية عن اصدار
المتكبر بالاسباب العادية
استجابة لدعوتهم (في الكهف)
لظرف مكان لضربا (سنتين) ظرف
زماره باعتبار بقائه لا ابتدائه
(عددا) اي ذوات عدد او تعدد
عددا على انه مصدر او معدودة
على انه بمعنى المفعول ووصف
السنتين بذلك امالة للتكثير وهو
لائب بالظاهر كال القدرة
اول التقليل وهو اللقي بقام، نكار
كون القصة هجبا من بين
سائر الآيات العجيبة فان
مدة (سنتين) كفض يوم عنده عن
وجل (تمهيداً لهم) اي ايقظناهم

ربنا آتنا من لدك رجدة اي رجدة من خزائن رحمتك وجلالك و احسانك وهي
الهداية بالمعرفة والصبر والرزق والامن من الاعداء وقوله من لدك يدل على عظمة تلك
الرجدة وهي التي تكون لثقة بفضل الله تعالى وواسع جوده وهي التي اصرح من قولك
هيأت الامر فنهيا من امرنا رشدا الرشو الرشد والرشاد فيض الضلال وفي تفسير اللفظ
وجهان (الاول) التقدير وهي لنا امرا دار شدحتي نكون بسببه راشدين مهتدين
(الثاني) اجعل امرنا رشدا كله كقولك رأيت منك رشدا ثم قال تعالى فضر بنا على آذانهم
قال المفسرون معناه اغمناهم وتقدير الكلام انه تعالى ضرب على آذانهم حجابا يمنع من ان
تصل الى اسماعهم الاصوات الموقظة والتقدير ضربنا عليهم حجابا لانه حذف المفعول
الذي هو الحجاب كما يقال بني على امراته يريدون بني عليها القبة ثم انه تعالى بين انما مضرب
على آذانهم في الكهف وهو ظرف المكان وقوله سنين عددا ظرف الزمان وفي قوله عددا
بمعنا (الاول) قال الزجاج ذكر العدد ههنا يفيد كثرة السنين وكذلك كل شيء مما يعد اذا
ذكر فيه العدد ووصفه اريد كثرة لانه اذا قل فهم مقداره بدون التعديد اما اذا كثرت
فهناك يحتاج الى التعديد فاذا قلت ائت ابام عددا اردت به الكثرة (البحت الثاني) في
انصاف قوله عددا وجهان (احدهما) نعمت لسنتين المعنى سنين ذات العدد اي معدودة
هذا قول الفراء وقول الزجاج وعلى هذا يجوز في الآية ضربان من التقدير (احدهما)
حذف المضاف (والثاني) تسمية المفعول باسم المصدر قال الزجاج ويجوز ان ينصب على
المصدر المعنى تعددا ثم قال تعالى ثم بعثناهم يريد من بعد نومهم يعني ايقظناهم بعد نومهم
وقوله لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا فيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله ثم بعثناهم
لنعلم اللام لام الغرض فيدل على ان افعال الله معللة بالاعراض وقد سبق الكلام فيه
(المسئلة الثانية) ظاهر اللفظ يقتضي انه تعالى ابعثهم ليحصل له هذا العلم وهذه ابراج
الى انه تعالى هل يعلم الخواص قبل وقوعها ام لا فقال هشام لا يعلمها الا عند حدوثها واجتمع
بهذه الآية والكلام فيه قد سبق ونظائر هذه الآية كثيرة في القرآن منها ما سبق في هذه
السورة ومنها قوله في سورة البقرة الانعلم من يبع الرسول ممن يتقلب على عقبه وفي آل
عمران ولما بعث الله الذين جاهدوا منكم وقوله انا جعلنا ما على العرض زينة لها لنبلوهم
وقوله واتلو نكم حتى نم المجاهدين منكم (المسئلة الثالثة) اي رفع بالابتداء واحصى
خبره وهذه الجملة بمجموعها متعلق العلم فلها السبب لم يظهر عمل قوله لنعلم في لفظة اي
بل بقيت على ارتفاعها ونظيره قوله اذهب فاعلم ايهم قام قال تعالى سلم ايهم بذلك زعيم
وقوله ثم لنزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقرى ليعلم على فعل ما لم يسم
فاعله وفي هذه القراءة فائدتان (احدهما) ان على هذا التقدير لا يلزم اثبات العلم
المستجد لله بل المقصود انا بعثناهم ليحصل هذا العلم لبعض الخلق (والثانية) ان على هذا
التقدير يجب ظهور النصب في لفظة اي لكن لقائل ان يقول الاشكال بعدد ان لان ارتفاع

من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت (لنعم) (٨٦) (را) (خا) بنون العظمة وقري بالياء بمعنى الفاعل بطريق الالتفات واياما كان فهو

غاية البحث لكن لا يجعل العلم مجازاً من الاظهار والتمييز اوجبه على المصنف (٦٨٢) وقود غاية البحث الحادث من العلم الحالى الذى يتعلق

به الجزء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وايم الله الذين آمنوا وقطعناهما الى يدخلى فيها العلم بصدق متلفه قطعاً فان تحويل القليلة قدرته عليه فعزب الناس الى متعب ومتقلب وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليهم الى الثابت على الايمان والتمسك فيه وتلقى بكل من الفريقين العلم الحالى والاظهار والتمييز وامايته هؤلاء فليترتب عليه تفرغهم الى المحصى وغيره حتى يتعاقب العلم والاظهار والتمييز ويستقن نظم شئ من ذلك في سلك الغاية وانما الذى ترتب عليه تفرغهم الى مقدر تقديره غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس شئ منهما من الاحصاء في شئ بل يجعل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختيار مجازاً بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختيار صدور الفعل المختيرة عن المختير قطعاً بل قد يكون الاظهار جزء منه على سن الكاينف التهجيزية كقوله تعالى نأت بها من الغرب وهو المراد ههنا فاعني بمتسامع لتعلمهم مسامعة من يخبرهم (اى الخزيين) اى الفريقين المختلين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سأتى (احصى) اى ضبط (المالبثوا) اى لبثهم (امدا) اى غاية فيظهر لهم غيرهم ويفوضوا ذلك الى العلم الخبير ويترفعوا حالهم وما صنع الله تعالى لهم من حفظ ابدانهم وادانهم فيزدادوا يقيناً بكمال قدرته وعلمه ويستبروا به ابراهم البحث ويكون ذلك لطناً لمؤمن زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجلية على (يدعى)

(يدعى)

اهم البحث ويكون ذلك لطناً لمؤمن زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجلية على

ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما يأتي على (٦٨٣) مصادر عزم من التساؤل المؤدى إليها وهذا أولى من تصوير التمثيل بأن يقلد
بمقتضاها بعت من يريد أن يعلم
الحسبا وقع في تفسير قوله
تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على
أحد الوجوه حيث حل على
معنى فعلنا ذلك فعل من يريد
أن يعلم من الثابت على الإيمان من
غير الثابت إذ هو يتوهم منه
استلزام الإرادة لتحقق المراد
فيعود الخدور فيصار إلى جعل
إرادة العلم عبارة عن الاختيار
فاختير واختار هذا وقد قرئ
ليعلم مبدئ المفهوم ومبني الله على
من الإعلام على أن المقول الأول
محدوف والجملة المصدرية بأى
في موقع المقول الثاني فقط أن
جعل العلم عرفانيا وفي موقع
المقولين أن جعل يقينيا ليعلم
الله الناس أى الحريين أحصى
الخزوري عطاء عن ابن عباس
رضي الله عنهما أن أحد الحريين
الفتية والآخر الملوك الذين
تداولوا المدينة ملكا بعد ملك
وقبل كلاهما من غيرهم والاول
هو الاظهر فان اللام للمهدولا
عهد لغزهم والامد بمعنى المدى
كأنفاية في قولهم ابتداء الغاية
وإتداء الغاية وهو مقول لاصحى
والجار والمجرور حال منه قدمت
عليه لكونه نكرة وليس معنى
احصاء تلك المدة ضبطها من حيث
كيتها المنتهية الذاتية فانه لا يسمى
احصاء بل ضبطها من حيث كيتها
المتفصلة العارضة لها باعتبار
قسمتها إلى السنين وبلوغها من
تلك الحبيبة إلى مراتب الاعداد
على ما يرشدك إليه كون تلك المدة
عبارة عاصم من السنين ويجوز
أن يراد بالامد معناه الوضعى
بتقدير الخفاف أى لزمان ينهم
ويؤونه ايضا فان البت عبارة عن
الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور باعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لاحالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية

بدعى الالهية وكانت تظهر خوارق العادات على يده وكما نقل ذلك ايضا في حق الدجال
قال اصحابنا وانما جاز ذلك لان شكله وخلقه تدل على كذبه فظهور الخوارق على يده
لا يفيض الى التلبس (والقسم الثاني) وهو ادعاء النبوة فهذا القسم على قسمين لانه اما
ان يكون ذلك المدعى صادقا او كاذبا فان كان صادقا وجب ظهور الخوارق على يده وهذا
متفق عليه بين كل من اقر بصحة نبوة الانبياء وان كان كاذبا لم يجز ظهور الخوارق على يده
وبتقدير ان تظهر وجب حصول المعارضة (واما القسم الثالث) وهو ادعاء الولاية
والقاتلون بكرامات الاولياء اختلفوا في انه هل يجوز ان يدعى الكرامات ثم انها تحصل
على وفق دعواه ام لا (واما القسم الرابع) وهو ادعاء السحر وطاعة الشيطان فعند
اصحابنا يجوز ظهور خوارق العادات على يده وعند المعتزلة لا يجوز (واما القسم الثاني)
وهو ان تظهر خوارق العادات على يد انسان من غير شئ من الدعاوى فذلك الانسان اما
ان يكون صالحا مرضيا عند الله واما ان يكون خبيثا مذنبوا الاول هو القول بكرامات
الاولياء وقد اتفق اصحابنا على جوازه وانكرها المعتزلة الا أيا الحسين البصري وصاحبه
محمود الخوارزمي (واما القسم الثالث) وهو ان تظهر خوارق العادات على بعض من كان
مردودا عن طاعة الله تعالى فهذا هو المسمى بالاستدراج فهذا تفصيل الكلام في هاتين
القدمتين اذا عرفت ذلك فنقول الذي يدل على جواز كرامات الاولياء القرآن وال اخبار
والآثار والمقول اما القرآن فالحق فيه عندنا آيات (الجملة الاولى) قصة مريم عليها
السلام وقد شرحنها في سورة آل عمران فلا نعيد هنا (الجملة الثانية) قصة اصحاب الكهف
وبقاؤهم في النوم احياء سالفين عن الآفات مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين وانه تعالى كان
يعصمهم من حر الشمس كما قال وتحسبهم ايقاظا وهم رقود الى قوله وترى الشمس اذا
طلعت تراء عن كهفهم ذات اليمين ومن الناس من تمسك في هذه المسئلة بقوله تعالى
قال الذي عنده علم من الكتاب انما آتيتك به قبل ان يرتد إليك طرفك وقد بينا ان ذلك الذي
كان عنده علم من الكتاب هو سليمان فسقط هذا الاستدلال اجاب القاضى عنه بأن قال لا بد
من ان يكون فيهم اوفى في ذلك الزمان نبي يصير ذلك علما له لما فيه من نقض العادة كسائر
المعجزات قلنا انه يستحيل ان تكون هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء لان اقدامهم
على النوم امر غير خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لان الناس لا يصرون في هذه
الواقعة لانهم لا يعرفون كونهم صادقين في هذه الدعوى الا اذا بقوا طول هذه المدة
وعرفوا ان هؤلاء الذين جاؤا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلاثمائة سنين وتسع
سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء فلم يبق
الا ان يجعل كرامة لتلاويها واحسانا اليهم اما الاخبار فكثيرة (الخبر الاول) ما اخرج في
الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في الهدى الا
ثلاثة عيسى بن مريم عليه السلام وصى في زمن جريج الناسك وصى آخر اما عيسى فقد

ومنتهى لذلك لكون المستر باعتبار كنيته المتصلة العارضة له (٦٨٤) بسبب انطباقه على زمان المتبدلات وهو انما يسميهم بنومهم

فان معرفته من تلك الخفية لا تخفى على احد ولا تسمى احصاء كاملا بل باعتبار كنيته المتصلة العارضة له بسبب عروضاها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كحقيق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تطلقه الاحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المتبقية الى السنين فهو مجموع ثلثائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المتبقية اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلثائة وتعلق الاحصاء بالابد بالحق الاول ظاهر واما تعلقه به بالحق الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب البدو واثقاله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدريه ويجوز ان تكون موصولة حذف ثابته من الصلة الى الذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بـ: بين عددا فالامد بمعناه الوضعي على ما عرفتته وقيل اللام منبذة والموصول مفعول وامنصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفصيل لانه الموافق لما وقع في سائر الايات الكريمة نحو اللهم احسن علالهم اقرب لهم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فلانما ضيا بشعربان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادعاء ان مجيئ اقل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بأنه عند سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته الثقيل والادب في ان مانحن فيه من ذلك القليل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من العمولات واما ان التمييز (فيه)

عرفتموه واما جريج فكان رجلا عابدا بنى اسرائيل وكانت له ام فكان يوما يصلي اذا شامت اليه امه فقالت يا جريج فقال يا رب الصلاة خير امرؤها ثم صلى فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى قال ثلاث مرات وكان يصلي ويدعيها فاشتد ذلك على امه قالت اللهم لا تمت حتى تريه المومسات وكانت زانية هناك فقالت لهم انا افقت جريما حتى يرضى فائته فلم تقدر على شيء وكان هناك راع يأوى بالليل الى اصل صومعته فلما اعيها راودت الراعي على نفسها فأتاها فولدت ثم قالت ولدي هذا من جريج فأناه بنو اسرائيل وكسروا صومعته وشتموه فضلى ودعائم نخس الغلام قال ابو هريرة كأنني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده يا غلام من ابوك فقال الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا بنى صومعته من ذهب او فضة فأبى عليهم وبناهما كما كانت واما الصبي الآخر فان امرأة كان معها صبي لها ترضعه اذ مر بها شاب جليل فوساها حسنة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مرت بها امرأة ذكرها انها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال الصبي اللهم اجعلني مثله فقالت له امه في ذلك فقال ان الشاب كان جبارا من الجبابرة فكرهت ان اكون مثله وان هذه قبل انها زنت ولم تزن وقبل انها سرقت ولم تسرق وهي تقول حسبي الله (الخبر الثاني) وهو خبر الغار وهو مشهور في الصحاح عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ثلاثة رهط من كان قبلكم فأواهم البيت الى غار فدخلوه فالتحدرت صخرة من الجبل وسدت عليهم باب الغار فقالوا والله لا ننجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغيب قبلهما فناما في ظل شجرة يوما فلما ابرح عنهما وحلبت لهما غبوقهما فغشمهما به فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان اغيب قبلهما فقممت والقدر في يدي انظر استيقظهما حتى ظهر النجور فاستيقظا فشر باغبوقهما اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فأفرج عنا نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الآخر كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الى افرادتها عن نفسها فامتعت حتى الممت بهامة من السنين فجاءتني واعطيتها مالا عظيما على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا يجوز ذلك ان تلك الخاتم الابحقة فخرجت من ذلك العمل وتركها وتركت المال معها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا نحن فيه فانفجرت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث اللهم اني استأجرت اجراء فأعطيتهم اجورهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب ففترت اجبرته حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين وقال يا عبد الله ادالي اجري فقلت له كل ما ترى من اجرتك من الابل والغنم والريق فقال يا عبد الله استسري بي فقلت اني لاستسري بك فأخذ ذلك كله اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا نحن

يجب كونه فاعلا في المعنى فانفع ان ينع بصحة ان يقال (٦٨٥) ايم احفظ لهذا الشرعونا اوقطعا اوبقال ان العامل في امدافل

فيه فانفرت الصخرة عن الفار فخرجوا يمشون وهذا حديث حسن صحيح متفق عليه
(الخبر الثالث) قوله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذى طبرين لا يؤبه له لواقم
على الله لا يؤبه له لواقم صلى الله عليه وسلم على الله (الخبر الرابع) روى سعيد بن المسيب
عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا رجل يسوق بقرة قدجل
عليها فالتفت اليه البقرة فقالت اني لما خلق لي هذا وانما خلقت للبحر فقال الناس
سبحان الله بقرة تنكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا انا وابوبكر وعمر رضى الله
عنهما (الخبر الخامس) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يسعم رعدا
او صوتا في الصحاب ان اسقى حديقة فلان قال قدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل
قام فيها فقلت له ما تمك قال فلان بن فلان بن فلان قلت فانصع بحديقك هذه اذا
صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتا في الصحاب ان اسقى حديقة فلان
قال اماذا قلت فاني اجعلها اثلاثا فاجعل لنفسي واحلى ثلثا واجعل للساكنين وابن
السبيل ثلثا وانفق عليها ثلثا (اما الآثار) فبدأ بماتل انه ظهر عن الخلفاء الراشدين
من الكرامات ثم بماتل عن سائر الصحابة اما ابوبكر رضى الله عنه فمن كراماته
انه لما حلت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونودي السلام عليك
يا رسول الله هذا ابوبكر بالباب فاذا الباب قد انفتح واذا بهاتفت يمتف من القبر ادخلوا
الحبيب الى الحبيب وامر رضى الله عنه فقد ظهرت انواع كثيرة من كراماته واحدها
ما روى انه بعث جيشا وامر عليهم رجلا يدعى سارية بن الحصين فينصر يوم الجمعة فيخطب
جعل بصبح في خطبته وهو على المنبر ياسارية الجبل الجبل قال علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه فكثرت تاريخ تلك الكلمة فقدم رسول مقدم الجيش فقال يا امير المؤمنين غزونا
يوم الجمعة في وقت الخطبة فغزونا فاذا بانسان بصبح ياسارية الجبل الجبل فامسندنا
ظهورنا الى الجبل فهزم الله للكفار وظفرنا بالفنائم العظيمة بركة ذلك الصوت قلت
سمعت بعض المذكرين قال كان ذلك مجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه قال لا يؤبه له وعمر
اتما متى بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لمحمد صلى الله عليه وسلم لا جرم
قدر على ان يرى من ذلك البعد العظيم (الثاني) روى ان تيل مصر كان في الجاهلية يقف
في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجرى حتى يلقى فيه جارية واحدة حسنة فلما جاء الاسلام
كتب عمرو بن العاص بهذه الواقعة الى عمر فكاتب عمر على خزفة ابها النيل ان كنت
تجري بأمر الله فاجر وان كنت تجرى بأمر الله فلا حاجة بنا اليك فالتفت تلك الخزفة
في النيل فجري ولم يقف بعد ذلك (الثالث) وقعت الزلزلة في المدينة ف ضرب عمر الدرة
على الارض وقال اسكني باذن الله فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك (الرابع)
وقعت النار في بعض دور المدينة فكاتب عمر على خزفة ياتار اسكني باذن الله فألقوها في
النار فانطفت في الحال (الخامس) روى ان رسول ملك الروم جاء الى عمر فطلب داره

من المتسكين بدن المسج عليه السلام وكان يتبع الناس فيغيرهم بين القتل وعبادة الاوثان فمن رغب في الحياة الدنيا الدنية يصنع

ما صنعت ومن اترعلها الحياة الابدية قتله وقطع ارايه وخلقه (٦٨٦) في سور المدينة وابوابها فلما رأى الغنية ذلك وكانوا عظما

اهل مدينتهم وقيل كانوا من
خواص الملك قاموا فقتلوا
الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة
والدعاء فيبغاهم فذلك اذ دخل
عليهم اعوان الجبار فأحضرهم
بين يديه فقال لهم ما قال وخبرهم
بين القتل وبين عبادة الاوثان
وقالوا ان لنا الهاملا بالسوات
والارض عظمته وجبروتن
ندعو من دونه احدا ولن نقر
لاندعوا اليه ابدا فاقض ما انت
فاض فأمر بنزع ما عليهم من
الثياب الفاخرة واخرجهم من
عنده وخرج هو الى مدينة
ينبؤى بعض شأنه وامهلهم
الى رجوعه ليتاملوا في امرهم
فان تبوه والافضل بهم ما فعل
بساير المسلمين فازمعت الفتية على
القرار بالدين والالتجاء الى
الكهف الحصين فأخذ كل
منهم من بيت ابيه شيئا فقصدهوا
يبعضه وتزودوا بالبقياوا الى
الكهف ففعلوا يصلون فيه آتاء
الليل اطراف النهار ويتكلمون
الى الله سبحانه بالانين والجوار
وفوضوا امر نفقتهم الى
عليضا فكان اذا اصبح يقع عند ثيبه
الحسان ويلبس لباس المساكين
ويدخل المدينة ويشترى ما يجمعهم
وتخصس ما فيها من الاخبار
ويودع الى اصحابه فلبثوا على
ذلك الى ان قدم الجبار المدينة
فظلمهم واحضر آهدهم فاعتذروا
بأنهم عصوه ونهوا لمواهم
ويذرهم في الاسواق وفروا
الى الجبل فلما رأى الجبار رأى
من اشترجهم الى اصحابه وهو
يسبى ومعه قليل من الزاد فأخبرهم
بما شاهد من الهول فقتلوا
الى الله عز وجل وخروا له سجدا
ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك اذا ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم (بالسكر)

فخرج دقيانوس في طلبهم بجنله ورجله (٦٨٧) فوجدوهم قد دخلوا الكهف فاسرا بخر اجهم فادبوا احدان بدخله فاقاضوا بهم ذمرا

قال فاقبل منهم اليس لو كنت دمرت

عليهم فقلتم قال بلى قال فابن

عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا

جوعا وعطشا ولكن كفهم

فقال لهم فقلتم نعم كان من شأنهم

ما فعل الله عن وجل عنهم (نعم

فينة) سنننا تحقيق مبنى على

تقدير السؤال من قبل الخياط

والفينة جمع فنة للفن كالصنية

التي اتمو برهم واثر لانفتحت

للاشعار بعلة وصف الربوبية

لاعناهم وراعاة ماصد عنهم

من المقالة حسب ما سمي عنهم

(وزنهم هدى) بأن شئناهم

على ما كانوا عليه من لدين واطهرنا

لهم مكتوبات محاسنه وفيه التفتت

من الفينة الى ما عليه سبك النظم

سنا غاوسيا من انكم (وربطنا

على قلوبهم) اي قلوبنا حتى

تقدموا مضائق الصبر على هم

الاهل والاطلس والنعيم

والاخران واجتروا على الصمد

بالتي من غير خوف وحذر والرد

على دقيانوس الجبار (اذ قاموا)

منصوب بربط المراد بقدمهم

تصايفهم لاظهار شعار الدين قال

بجاهد خروا من المذبة فاجتمعوا

على غير معاد فقال اكبرهم ابي

لاجد في نفسي شيئا اريد رب

السعوات والارض فقالوا نحن

ايضا كذلك فقاموا جميعا (فقالوا

ربنا رب السعوات والارض)

ضموا دعواهم باعق فقاموا

ويقتضى مقتضاها فان ربوبته

عروجل لهما يقتضى ربوبته لما

فيهما اي التشاء وتبيل المراد

قياسهم بين يدي الجبار من غير مبالاة

به حين عابهم على ترك عبادة

الاصنام فحينئذ يكون ما سألني

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

من قوله تعالى هذا دأبكم فاعلموا

بالعسكر فلقى رجلا على فرس ومعه زق خمر فقال ما هذا قال خل فقال خالد اللهم اجعله

خلا فذهب الرجل الى اصحابه فقال انيكم بخمر ما شربت العرب مثلهما فن قدوا قادا

هو خل فقالوا والله ما جئنا الا بخل فقال هذا والله دعاء خالد بن الوليد (الرابع) الواقعة

المشورة وهي ان خالد بن الوليد اكل كفا من السم على اسم الله وماضره (الخامس)

روى ابن عسكرا في بعض اسفاره فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع

فطرد السبع من طريقهم ثم قال انما يسقط على ابن آدم ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لما سلط

عليه شيء (السادس) روى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة

فقال الله تعالى ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والرب ولى العبد قال

تعالى الله ولى الذين آمنوا وقال هو بولى الصالحين وقال انما وليكم الله ورسوله

وقال انت مولانا وقال ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا فثبت ان الرب ولى العبد وان

العبد ولى الرب وايضا الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب قال تعالى يحبهم ويحبونه

وقال والذين آمنوا اشحبنا الله وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين واذا ثبت

هذا فنقول العبد اذا بلغ في الطاعة الى حيث يفعل كل ما امره الله وكل ما فيه رضاء

وترك كل ما نهى الله وزجر عنه فكيف يعبدان يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة

ما يريد العبد بل هو اولى لان العبد مع لؤمه وبجزه لما فعل كل ما يريد الله وبأمره

به فلان يفعل الرب الرحيم مرة واحدة ما اراده العبد كان اولى ولهذا قال تعالى او فوا

بعهدي اوف بعهديكم (الجنة الثانية) لو امتنع اظهار الكرامة لكان ذلك امالا جلا ان

الله ليس اهل الان يفعل مثل هذا الفعل اول اجل ان المؤمن ليس اهل الان يعطيه الله

هذه العطية (والاول) قدح في قدرة الله وهو كافر (والثاني) باطل فان معرفة ذاب الله

وصفته وافعاله واحكامه واسماؤه ومحبة الله وطاعته والمواطبة على ذكر تقديسه

وتحميده وتبليبه اشرف من اعطاء رغبة واحد في مفازة او تسخير حية او اسد فلما اعطى

المعرفة والمحبة والذكر والشكر من غير سؤال فلان يعطيه رغبة في مفازة فأى بعد فيه

(الجنة الثالثة) قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن رب العزة ما تقرب عبد الى مثل

اداء ما افترضت عليه ولا يزال تقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت له

سمعا وبصرا لو سألنا قلوبا وبدا ورجلا في سمع وبصر وبني ينطق وبني يمشي وهذا الخبر

يدل على انه لم يبق في سمعهم نصيب لغير الله ولا في بصرهم ولا في سائر اعضائهم اذ لو بقي

هناك نصيب لغير الله لما قال انا سمعه وبصره اذا ثبت هذا فنقول لاشك ان هذا المقام

اشرف من تسخير الحية والسبع واعطاء الرغيف وحقنود من العنب او شربة من الماء

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

فله صلدرا عنهم بعد شروجه من عنده (ان تدعو) ان تصدبا (من دونه لها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا والعدل عن

ان يقال رب انتصيص على رد الخالفين حيث كانوا يعمون اصنامهم الهة ولا شمار (٦٨٨) بان مدار العبادة وصف الالهية ولا يذيان

ان رويته تعالى بطريق
الالهية لا طريق الملكية
الجزائية لقد قلنا ان شططا اي
قولا لا يشطط اي تجاوز عن الحد
او قولا هو عين لسطط على انه
وصف بالمصدر مبالغة اقتصر
على الوصف مبالغة على مبالغة
وحيث كانت العبادة مستلزمة
للتقوى لما لا تدرى من الاعتراف
بالهوية المعبود والتضرع اليه
قبل لقد قلنا واذ اجاب وجها
اي لودعونا من دونه الهة والله
لقد قلنا قولا خارجا عن حد
المعقول مفرطا في الظلم (هو لاه)
هو مبتدا وفي اسم الانارة تصغير
لهم (قولنا) عطف بيان له (اتخذوا)
من دونه الهة) خبره وفيه معنى
الانكار (لولا يا تون) تحضيض
فيه معنى الانكار والجهيز اي
هلا يا تون (عليهم) على الهتهم
او على صفة اتخذهم لها الهة
(بساطان بين) بحجة ظاهرة
الدلالة على مدعاهم وهو تكيت
لهم والقام حير (في الظلم)
افترى على الله كذبا) نسبة لشريك
البيعة تعالى عن ذلك هو اكبر المعنى
انه ظلم من كل ظالم وان كان سبك
النظم على انكار الاظلية من غير
تعريض لانكار المساواة كما
تحقيقه في سورة هود
(وادع لتقوهم) اي فارقتوهم
في الاشتغال وادعهم الى الاعتزل
الجماعي (وما يبديون الا الله)
عطف على الضمير المنصوب
وما موصولة اي مصدرة اي
ادع لتقوهم ومعبوديهم الله
او عبادتهم الاعداء الله وعلى
التقدير بن فالاستثناء متصل على
تقدير كونهم شركين كامل
محكمة ومنقطع على تقدير
تحضيمهم في عبادة الاوثان

ان يقال الله برحمته عبده الى هذه الدرجات العالية فأي بعد في ان يعطيه رغبة واحدا
او شربة ماء في مقازة (المجلة الرابعة) قال عليه السلام حاكبا عن رب العزة من آدى لى
وليا فقد بارزنى بالمحاربة فجعل ايداه الولى قائما مقام ايدائه وهذا قريب من قوله تعالى
ان الذين يبايعونك انما يسابعون الله وقال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا وقال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة فجعل بعة
محمد صلى الله عليه وسلم بعة مع الله ورضاء محمد صلى الله عليه وسلم رضاء الله وايداء محمد
صلى الله عليه وسلم ايداء الله فلا جرم كانت درجة محمد صلى الله عليه وسلم اعلى الدرجات
الى ابواب الغايات فكذا ههنا لما قال من آدى لى ولما فقد بارزنى بالمحاربة دل ذلك على انه
قالى جعل ايداه الولى قائما مقام ايدائه نفسه ويتأكد هذا بالخبر المشهور انه تعالى يقول
يوم القيامة مرضت فلم تعدنى استسقيتك فاستسقيتني استطعتك فاطمعتني فيقول يارب
كيف افضل هذا وانت رب العالمين فيقول ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما علمت انك
لو عدته لوجدت ذلك عندى وكذا في السقي والاطعام فدلّت هذه الاخبار على ان اولياء
الله يبلغون الى هذه الدرجات فأي بعد في ان يعطيه الله كسرة خبزا وشربة ماء او يسخر
له كبا او وردا (المجلة الخامسة) اننا شاهد في العرف ان من خصه الملك بالخدمة الخاصة
واذن له في الدخول عليه في مجلس الانس قد يخصه ايضا بأن يقدره على ما لا يقدر عليه
غيره بل العقل السليم يشهد بأنه متى حصل ذلك القرب فانه يتبعه هذه المناصب فجعل
القرب اصلا والمنصب تبعا واعظم الملوك هو رب العالمين فاذا شرف عبدا بأنه او صله
الى عتبات خدمته ودرجات كرامته ووقفه على امرار معرفته ورفع حجب البعد بينه وبين
نفسه واجلسه على بساط قربه فأي بعد في ان يظهر بعض تلك الكرامات في هذا العالم
مع ان كل هذا العالم بالنسبة الى ذرة من تلك السعادات الروحية والمعارف الربانية
كعدم المحض (المجلة السادسة) لاشك ان المتولى للافعال هو الروح لا البدن ولا شك
ان معرفة الله تعالى للروح كالروح للبدن على ما فرنا في تفسير قوله تعالى ينزل
الملائكة بالروح من امره وقال عليه السلام ابنت عند ربى يطعمنى ويسقينى ولهذا
المعنى ترى ان كل من كان اكثر علما بأحوال عالم الغيب كان اقوى قلبا واول ضمنا
ولهذا قال على بن ابي طالب كرم الله وجهه والله ما فلتعت باب خير بقوة جسدانية
ولكن بقوة ربانية وذلك لان عليا كرم الله وجهه في ذلك الوقت اقتطع نظره عن عالم
الاجساد واشرفت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء فتقوى روحه وتشبه بجواهر الارواح
الملكية وتلاشت فيه اضاء عالم القدس والعظمة فلا جرم حصل له من القدرة ما قدر
به على ما لم يقدر عليه غيره وكذلك العباد اذا طبع على الطاعات بلغ الى المقام الذى
يقول الله كنت له سمعا وبصرا فاذا صار نور جلال الله سبحانه سمع القريب والبعد واذا
صار ذلك النور يضر اله رأى القريب والبعد واذا صار ذلك النور يبداله قدر على التصرف

ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ جوابه (فأووا) اي التجأوا (في)

(الى الكهف) قال الغراء هوجواب اذ (٦٨٩) تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اى اذا عتزلتوهم

اعتزلوا الاعتقاد فاعتزلوهم اعتزلا
جسائنا اواذ اردتم اعتزالهم
فافعلوا ذلك بالانتهاء الى الكهف
(بشرلكم) يستلزم لكم ويوسع
عليكم (ربكم) ملك اسمك (من
رجته) فى الدارين (ويهيئ لكم)
يسهل لكم (من اسركم) الذى اتم
بصدده من القرار بالدين
(مرقلا) ما ترقنون وتتفهمون
به وقرى بفتح الميم وكسر الفاء
مصدر كالرجع وتقديم لكم
فى الموضعين لما مر مرارا من
الايدان من اول الامر يكون
المؤخر من متانهم والشوق
الى وروده (وترى الشمس) بيان
لحالهم بعد ما اؤوا الى الكهف
ولم يصرح به ايدانا بعدم الحاجة
الى الظهور وتجربائهم على موجب
الامر بل كونه صادرا عن رأى
صائب وتوابع على ما سلف من
قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى
الكهف وما لحق من اضافة
الكهف اليهم وكونهم فى فجوة منه
والخطاب للرسول عليه الصلاة
والسلام ولكل أحد عن يصلح
الخطاب وليس المراد به الاخبار
بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء
بكون الكهف بحيث لورائته
ترى الشمس (اذا طلعت تزاور)
اى تزاور وتختفى بصدف احدى
التامين وقرى بدغام التامين الزاى
وتزاور كهم وتزاور كهم
وتزاور وكها من الزور وهو ابل
(عن كهفهم) الذى اؤوا اليه
فلاضافة لادنى ملابسة (ذات
اليمين) اى جهة ذات يمين الكهف
عند توجه الداخل الى قعره اى
جانبه الذى الى المغرب فلا يقع عليهم
شعاعها فيؤذيهم (واذا غربت) اى اترأها عند غروبها (تقرر منهم) (٨٧) (را) (خا) اى تقطعهم من القطعة والصبر ولا تقربهم (ذات الشمال)

اي جهة ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بشريف الله (٦٩٠) على منهاج خرق العادة كرامة لهم

وقوله تعالى (وهم في قبورهم) وجلة حاله بمينة لكون ذلك اسرا بديعا اي تراها تميل عنهم عينا وشالا ولا تحوم حولهم مع تهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولان صفتها عنهم بد التقدير (ذلك) اي ماصنم الله بهم من تزاور الشمس وقرنها حالي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها (من آيات الله) العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقيقة التوحيد وكرامة الله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان سد قناتوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبلا بنات نضش واغرب المشارق والمغرب الى مصاداته رأس مشرق السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب مصاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبه وتصل صفوته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلى ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر وذلك اوقع التزاور على كهفهم والقرص على أنفسهم فذلك حيثئذ اشارة الى ابراهيم الى كهف هذا شأنه واماجله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف تلك المدد الطويلة اولى اطلاعه سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم على انبأهم فلا يساعده ابراهيم في تضاعيف القصة (من هدى الله) الى الحق بالتوفيق له (فهو المهتد) الذي اصناب

الكرامات عليه يدل على انه لا يكذب ومع قيام الدليل القاطع كيف يطلب الدليل الظني وان لم نطالبه بها فقد تركنا قوله عليه السلام البينة على المدعي فهذا يدل على ان القول بالكرامة باطل (الشبهة الخامسة) اذا جاز ظهور الكرامة على بعض الاولياء جاز ظهورها على الباقيين فاذا كثرت الكرامات حتى خرقت العادة جرت وفقا للعادة وذلك يقدح في المجيزة والكرامة (والجواب) عن الشبهة الاولى ان الناس اختلفوا في انه هل يجوز لولي دعوى الولاية فقال قوم من المحققين ان ذلك لا يجوز فعلى هذا القول يكون الفرق بين المجيزات والكرامات ان المجيزة تكون مسبوقا بدعوى النبوة والكرامة لا تكون مسبوقا بدعوى الولاية والسبب في هذا الفرق ان الانبياء عليهم السلام اما بعثوا الى الخلق ليصبروا دعاء المطلق من الكفر الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة فلو لم تظهر دعوى النبوة لم يؤمنوا به واذا لم يؤمنوا به بقوا على الكفر واذا ادعوا النبوة واظهروا المجيزة آمن القوم بهم فاقدام الانبياء على دعوى النبوة ليس القرض منه تعظيم النفس بل المقصود منه اظهار الشفقة على الخلق حتى ينتقلوا من الكفر الى الايمان اما بوث الولاية لولي فليس الجهل بما كفرا ولا معرفتها ايمانا فكان دعوى الولاية طلبا لشهوة النفس فعلمنا ان النبي يجب عليه اظهار دعوى النبوة والولي لا يجوز له دعوى الولاية فظهر الفرق اما الذين قالوا يجوز لولي دعوى الولاية فقد ذكروا الفرق بين المجيزة والكرامة من وجوه (الاول) ان ظهور الفعل الخارق للعادة يدل على كون ذلك الانسان مبرا من المعصية ثم ان اقترن هذا الفعل باداء النبوة دل على كونه صادقا في دعوى النبوة وان اقترن باداء الولاية دل على كونه صادقا في دعوى الولاية وبهذا الطريق لا يكون ظهور الكرامة على الاولياء طعنا في مجيزات الانبياء عليهم السلام (الثاني) ان النبي صلى الله عليه وسلم يدعي المجيزة ويقطع بها والولي اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها لان المجيزة يجب ظهورها اما الكرامة لا يجب ظهورها (الثالث) انه يجب نفي المعارضة عن المجيزة ولا يجب نفيها عن الكرامة (الرابع) ان الانجوز ظهور الكرامة على الولي عند ادعاء الولاية الا اذا اقر تلك الدعوى بكونه على دين ذلك النبي ومتى كان الامر كذلك صارت تلك الكرامة مجيزة لذلك النبي ومؤكدة لرسالته وبهذا التقدير لا يكون ظهور الكرامة طاعنا في نبوة النبي بل يصير مقويا لها (والجواب) عن الشبهة الثانية ان التقرب بالفرائض وحدها اكل من التقرب بالنوافل اما الولي فانهما يكون وليا اذا كان آتيا بالفرائض والنوافل ولا شك انه يكون حاله اتم من حال من اقتصر على الفرائض فظهر الفرق والجواب عن الشبهة الثالثة ان قوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه الا بشق الانفس محمول على المعهود المتعارف وكرامات الاولياء احوال نادرة فتصير كالمستثناة عن ذلك العموم وهذا هو الجواب عن الشبهة الرابعة وهي التمسك بقوله عليه السلام البينة على المدعي (والجواب) عن الشبهة الخامسة ان

الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابتهم المطلوب والاخبار بتحقق ما لملوه من نشر الرحمة ونهضة المرافق (المطيعين)

أو التنبيه على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المتفح (٦٦١) بها من وقفه الله تعالى للاستبصار بها (ومن يضل) أي يخلف فيه

الضلال لصف اختياره إليه
(قلن تجدله) أبدا وإن ألفت في
التعجب والاستقصاء (وليا) ناصرا
(مرشدا) يهديه إلى ماذكر
من الفلاح لاستحالة وجوده في
نفسه لأنك لا تجد مع وجوده
أو أمكاته (وتحسبهم) بفتح السين
وقرى بكسرهما أيضا والخطاب
فيه كاسبق (ألقاها) جمع يقط
بكسر القاف وقصها وهو اليفغان
ومدار الحسان افتتاح عيونهم
على هيئة الناظر وقيل كثرة نقلهم
ولابلاغه قوله تعالى وتقلبهم
(وهم رقود) أي نيام وهو
قرار لما يذكر فيالسلف اعتقاد
على ذكر السابق من الضرب على
آدلتهم (وتقلبهم) في رقدتهم
(ذات العين) نصب على الظرفية
أي جهة تنال إيمانهم (وذات الشمال)
أي جهة تلي شمالهم كي لا تأكل
الأرض ما يليها من أبدانهم قال
ابن عباس رضي الله عنهما لولم
يقبلوا لأكلهم الأرض قيل لهم
تقليبتان في السنة وقيل تقليبة
واحدة يوم عاشوراء وقيل في
كل تسع سنين وقرى يقلبهم على
الأسنان في ضمير الجلالة وتقلبهم
على المصدر منصوبا بضمير نفي
عنه وتحسبهم أي ترى تقلبهم
(وكليهم) قيل هو كليب سردا
به فتبسم فطردوه مرارا فلم
يرجع فانطقه الله تعالى فقال
لأتخسوا جاني فأي أحب أحباء الله
تعالى فتأموأحتي أحرمكم وقيل
هو كلب راع فتبسمهم على دينهم
ويؤيده قراءة كالبهم إذ الظاهر
لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد
أحدهم أو زرعه أو غنمه واختلف
في لونه فقيل كان أبيض وقيل أصفر
وقيل أصهب وقيل غير ذلك

المطيعين فيهم قلة كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وكما قال إبليس ولا تجد
أكثرهم شاكرين وإذا حصلت القلة فيهم لم يكن مابظهر عليهم من الكرامات في الأوقات
النادرة فادحافي كونها على خلاف العادة (المسئلة السابعة) في الفرق بين الكرامات
والاستدراج اعلم أن من أراد شيئا فأعطاه الله مراده لم يدل ذلك على كون ذلك العبد
وجها عند الله تعالى سواء كانت العطية على وفق العادة أو لم تكن على وفق العادة بل قد
يكون ذلك أكراما للعبد وقد يكون استدراجا ولهذا الاستدراج أسماء كثيرة في القرآن
(أحدها) الاستدراج قال الله تعالى فسندرجهم من حيث لا يعلمون ومعنى الاستدراج
أن يعطيه الله كل ما يريد في الدنيا ليردأغبه وضلاله وجهله وعناده فيزداكل يوم بعدا
من الله وتحقيقه أنه ثبت في العلوم العقلية أن تكرر الأفعال سبب لحصول الملكة
الراسخة فإذا مال قلب العبد إلى الدنيا ثم أعطاه الله مراده فيثبت بصل الطالب إلى
المطلوب وذلك يوجب حصول اللذة وحصول اللذة يزيد في الميل وحصول الميل يوجب
مزيد السعي ولا يزال يتأدى كل واحد منهما إلى الآخر وتقوى كل واحدة من هاتين
الحالتين درجة فدرجة ومعلوم أن الاشتغال بهذه اللذات العاجلة مانع عن مقامات
المكاشفات ودرجات المعارف فلا جرم يزداد بعده عن الله درجة فدرجة إلى أن
يتكامل فهذا هو الاستدراج (وثانيها) الكفر قال تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم
الخامسون ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال ومكروا مكرا مكرنا مكرا وهم
لا يشعرون (وثالثها) الكيد قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقال يخادعون الله
والذين آمنوا ويمخادعون الأنفسهم (ورابعها) الإملاء قال تعالى ولا تحسبن الذين
كفروا أنما على لهم خبير لانفسهم أنما على لهم ليردادوا إنما (وخامسها) الأهلاك قال
تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم وقال في فرعون واستكبر هو وجنوده في
الأرض بغير الحق وظنوا أنهم البنا لا يرجعون فأخذناهم وجنوده فبذناهم في اليم
فظهر بهذه الآيات أن الإيصال إلى المراتد لا يدل على كمال الدرجات والفوز بالخيرات
يقى علينا أن نذكر الفرق بين الكرامات وبين الاستدراجات * فنقول أن صاحب
الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى
أشد وحزره من قهر الله أقوى فانه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج وأما
صاحب الاستدراج فانه يستأنس بذلك الذي يظهر عليه ويظن أنه إنما وجد تلك
الكرامة لأنه كان مستحقا لها وحينئذ يستحقر غيره ويتكبر عليه ويحصل له أمن من
مكر الله وعقابه ولا يخاف سوء العاقبة فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب
الكرامة دل ذلك على أنها كانت استدراجا لا كرامة فهذا المعنى قال المحققون أكثر
ما اتفق من الانقطاع عن حضرة الله إنما وقع في مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين
يخافون من الكرامات كما يخافون من أنواع البلاء والذي يدل على أن الاستئناس

وقيل كان اسمه قطمير وقيل ديان وقيل تنوء وقيل قطمور وقيل نور قال خالد بن مدان ليس في الجنة من الدواب إلا كلب

احباب الكهف وجار بام وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب (٦٩٢) بل كان أسدا (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية ولذلك اعمل

اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابن جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى الرأس الاصبع الوسطى (بالوصيد) اي موضع الباب من الكهف (لو اطاعت عليهم) اي لوعايتهم وشاهدتهم واصل الاطساع الاشراف على الشيء بالمعينة والمشاهدة وقرئ يضم الواو (لوليت منهم فورا) هربا عما شاهدت منهم وهو ما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من وادواحد واما على الحالية يجعل المصدر بمعنى الفاعل اي فارا او يجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها « فاعا هي اقبال وادبار » واما على انه مفعول له (ولثقت منهم رهبا) وقرئ يضم الميم اي خوفا فلا الصدر ويرعبه وهو امام مفعول ثان لتوحيده وذلك لما لبسته الله عز وجل من الهيبة والهيبة كانت اعينهم مقصة كالاستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرون بكم أحدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف أحوالهم في أنفسهم وقيل لظلم اجرامهم ولعل تأخير هذا من ذكر التولية لاذن ان يستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لوروى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتيب المجموع من حيث هو هو عليه وللأشعار بعد من زوال الرعب بالفرار كما هو المختار عن معاوية لما غزا الروم في الكهف قال لو كنت لانا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قدمتم الله تعالى من هو خير منك حيث قال (ادعى)

بالكرامة قاطع عن الطريق وجوه (الجلة الاولى) ان هذا الفرور انما يحصل اذا اعتقد الرجل انه مستحق لهذه الكرامة لان بتقدير ان لا يكون مستحقا لها امتنع حصول الفرح بها بل يجب ان يكون فرحه بكرم المولى وفضله اكبر من فرحه بنفسه فثبت ان الفرح بالكرامة اكثر من فرحه بنفسه وثبت ان الفرح بالكرامة لا يحصل الا اذا اعتقد انه اهل ومستحق لها وهذا عين الجهل لان الملائكة قالوا لا علم لنا الا ما علمنا وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره وايضا قد ثبت بالبرهان اليقيني انه لاحق لاحد من الخلق على الحق فكيف يحصل ظن الاستحقاق (الجلة الثانية) ان الكرامات اشياء مغايرة للخلق سبحانه فالفرح بالكرامة فرح بغير الحق والفرح بغير الحق حجاب عن الحق والمحجوب عن الحق كيف يليق به الفرح والسرور (الجلة الثالثة) ان من اعتقد في نفسه انه صار مستحقا للكرامة بسبب عمله حصل لعمله وقع عظيم في قلبه ومن كان لعمله وقع عنده كان جاهلا ولوعرف ربه يعلم ان كل طاعات الخلق في جنب جلال الله تقصير وكل شكرهم في جنب آلائه ونعمائه قصور وكل معارفهم وعلومهم فهي في مقابلة عزه حيرة وجهل رأيت في بعض الكتب انه قرأ القرى في مجلس الاستاذ أبي على الدقاق قوله تعالى اليه بصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة ان الحق رفع عملك ان لا يبق عندك فان بقي عملك في نظرك فهو مدفوع وان لم يبق معك فهو مرفوع مقبول (الجلة الرابعة) ان صاحب الكرامة انما وجد الكرامة لاظهار الذل والتواضع في حضرة الله فاذا ترفع وتجبر وتكبر بسبب تلك الكرامات فقد بطل ما به وصل الى الكرامات فهذا طريق بثوته يؤديه الى عدمه فكان مردودا ولهذا المعنى لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مناقب نفسه وفضائلها كان يقول في آخر كل واحد منها ولا فخر يعني لا افتخر بهذه الكرامات وانما افتخر بالمكرم والمعطى (الجلة الخامسة) ان ظاهر الكرامات في حق ابايوس وفي حق بلعام كان عظيما ثم قيل لابليس وكان من الكافرين وقيل لبلعام فانه كمثل الكلب وقيل لعلمه بنى اسرائيل مثل الذين جلولوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقيل ايضا في حقهم وما اختلف الذين اتوا الكتاب الامن بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فبين ان وقوعهم في الظلمات والضلالات كان بسبب فرحهم بما اوتوا من العلم والزهد (الجلة السادسة) ان الكرامة غير المكرم وكل ما هو غير المكرم فهو ذليل وكل من تعزز بالذليل فهو ذليل ولهذا المعنى قال الخليل صلوات الله عليه أما اليك فلا فالاستغناء بالفقر فقر والتقوى بالعاجز عجز والاستكمال بالناقص نقصان والفرح بالمحدث بله والاقبال بالكلية على الحق خلاص فثبت ان الفقير اذا ابتجج بالكرامة سقط عن درجته اما اذا كان لا يشاهد في الكرامات الا المكرم ولا في الاغزاز الا الممز ولا في الخلق الا الخالق فهناك يحق الوصول (الجلة السابعة) ان الافتخار بالنفس وبصفتها من صفات ابليس وفرعون قال ابليس اتاخير منه وقال فرعون أليس لي ملك مصر وكل من

لواطعت عليهم الآية قال معاوية لانهى حتى اعلم عليهم (٦٩٣) فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا فقولوا ان دخلوا الكهف

بعث الله تعالى رجلا فأحرقهم
وقرى بتشديد اللام على التكثير
وبإبدال الهمزة ياء مع التخفيف
والتشديد (وكذلك بعثناهم)
أى كأعمانهم وحفظنا اجسادهم
من البلى والتحلل آية الدالة على كمال
قدرة ناسا بعثناهم من النوم
(ليتأملوا بينهم) أى ليعال
بعضهم بعضا فيرتب عليه ما فصل
من الحكم البالغة وجعله غاية
البعث المثلل فيما سبق بالاختيار
من حيث انه من احكامه المترتبة
عليه والاقتضار على ذكره
لاستباحة اسائر آثاره (قال)
استثنى ليان تساء لهم (فائل
منهم) هوريسهم واسم مسكينا
(كملتم) فى منامكم لعله قاله لما
رأى من مخالفة حالهم لما هو
المضاد فى الجملة (قالوا) أى
بعضهم (لبنا يوما وبض يوم)
قبل انما ظالوه لما انهم دخلوا
الكهف غدوة وكان انتباههم
آخر النهار فقالوا لبنا يوما فلما
رأوا ان الشمس لم تغرب بعد
قالوا الوبض يوم وكان ذلك بناء
على لظن الغلب فلم يميزوا الى
الكذب (قالوا) أى بعض آخر
منهم بما صنع لهم من الابدال
او بالهام من الله سبحانه (ربكم
اعلم بما لبستم) أى أتمم لانتلون
مدة لبستم وانما يعلمها الله
سبحانه وهذا رد منهم على الاولين
بأجل ما يكون من مراعاة حسن
الادب وبه يتحقق الضرب الى
الحزبين المهودين فيسبق وقد
قبل القائلون جميعهم ولكن فى
حالتين ولايساعده التنظيم
الكريم فان الاستئناف فى الحكاية
والخطاب فى الحكى يقتضى بأن

ادعى الالهية او النبوة بالكذب فليس له غرض الا تزيين النفس وتقوية الحرص والعجب
ولهذا قال عليه السلام ثلاث مهلكات وختمها بقوله واعجاب المرء بنفسه (الجملة الثامنة)
انه تعالى قال فخذما آتيتك وكن من الشاكرين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فلما
اعطاه الله العطية الكبرى امره بالاشتغال بخدمة المعطى لا بالفرح بالعطية (الجملة
التاسعة) ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خيره الله بين ان يكون ملكانيا وبين ان يكون
عبدا نبيا ترك الملك ولاشك ان وجدان الملك الذى يعم المشرق والمغرب من الكرامات
بل من المجازات ثم انه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك الملك واختار العبودية لانه اذا كان
عبدا كان اقتضاره بمولاه واذا كان ملكا كان اقتضاره بعبده فلما اختار العبودية
لاجرم جعل السنة التى فى التحيات التى رواها ابن مسعود واشهد ان محمدا عبده ورسوله
وقيل فى المعراج سبحانه الذى اسرى بعبده (الجملة العاشرة) ان محب المولى غير ومحب
ما له المولى غير فمن احب المولى لم يفرح بغير المولى ولم يستأنس بغير المولى فالاستئناس
بغير المولى والفرح بغيره يدل على انه ما كان محبا للمولى بل كان محبا لتصويب نفسه ونصيب
النفس انما يطلب لنفسه فهذا الشخص ما احب الانفسه وما كان المولى محبوبا له بل
جعل المولى وسيلة الى تحصيل ذلك المطلوب والصنم الاكبر هو النفس كما قال تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه فهذا الانسان ما يدللصنم الاكبر حتى ان المحققين قالوا الامصرة
فى عبادة شئ من الاصنام مثل المضرة الحاصلة فى عبادة النفس ولا خوف من عبادة
الاصنام كالخوف من الفرح بالكرامات (الجملة الحادية عشرة) قوله تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه وهذا يدل على
ان من لم يتق الله ولم يتوكل عليه لم يحصل له شئ من هذه الافعال والاحوال (المسئلة
الثامنة) فى ان المولى هل يعرف كونه ولما قال الامتاذ ابو بكر بن فورك لا يجوز وقال
الاستاذ ابو على الدقاق وتليذه ابو القاسم القشيري يجوز وجبة المانعين وجوه (الجملة
الاولى) لو عرف الرجل كونه وليا لحصل له الامن بدليل قوله تعالى ألا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لكن حصول الامن غير جائز ويدل عليه وجوه (احدها)
قوله تعالى فلا يأتى مكر الله الا القوم الخاسرون والبأس ايضا غير جائز لقوله تعالى انه
لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ولقوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا
الضالون والعنى فيه ان الامن لا يحصل الاعتقاد الجبر والياس لا يحصل الا عند
اعتقاد الجبر واعتقاد الجبر والبخل فى حق الله كفر فلا جرم كان حصول الامن
والقنوط كفرا (الثانى) ان الطاعات وان كثرت الا ان فخر الحق اعظم ومع كون القهر
غالبا لا يحصل الامن (الثالث) ان الامن يقتضى زوال العبودية وترك الخدمة
والعبودية يوجب العداوة والامن يقتضى ترك الخوف (الرابع) انه تعالى وصف
المخلصين بقوله ويدعون ربهم اغفر ذنوبهم وكانوا انما ضاعين قبل رغباتي فوبنا وربهم عن قابنا

الكلام جار على منهج الحاور والمجاوبة والالقبيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبنا (فابنوا احدكم بورقم هذه الى المدينة) قالوه

اعراضنا عن التعمق في البحث واقتبالا على ما يهيمهم بحسب الحال كإني* (٦٩٤) عنه الغلو الورق الفضة مضروبة او غير مضروبة

وقيل رغبا في فضلنا ورهبانا عدلنا وقيل رغبا في صالنا ورهبانا فراقنا والاحسن ان يقال رغبا فينا ورهبانا (الجملة الثانية) على ان الولي لا يعرف كونه وليا ان الولي انما يصير وليا لاجل ان الحق يحبه لاجل انه يحب الحق وكذلك القول في العدو ثم ان محبة الحق وعداوته سران لا يطلع عليهما احد فطاعات العباد ومعاصيهم لا تؤثر في محبة الحق وعداوته لان الطاعات والمعاصي محدثة وصفات الحق قديمة غير متناهية والمحدث المتناهي لا يصير غالبا للقديم غير المتناهي وعلى هذا التقدير فربما كان العبد في الحال في عين المعصية الان نصيبه من الازل عين المحبة وربما كان العبد في الحال في عين الطاعة ولكن نصيبه من الازل عين العداوة وعام التحقيق ان محبته وعداوته صفو صفه الحق غير معللة ومن كانت محبته لالهة فانه يتمتع ان يصير عدوا بعله المعصية ومن كانت عداوته لالهة يتمتع ان يصير محبا لعله الطاعة ولما كانت محبة الحق وعداوته سرين لا يطلع عليهما لاجرم قال عيسى عليه السلام تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انتك انت علام الغيوب (الجملة الثالثة) على ان الولي لا يعرف كونه وليا ان الحكم بكونه وليا وبكونه من اهل الثواب والجنة يتوقف على الخاتمة والدليل عليه قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل حسنة فله عشر امثالها وهذا يدل على ان استحقاق الثواب مستفاد من الخاتمة لامن اول الفصل والذي يؤكد ذلك انه لومضى عمره في الكفر ثم اسلم في آخر الامر كان من اهل الثواب وبالضد وهذا يدل على ان العبرة بالخاتمة لا بأول العمل ولهذا قال تعالى قل للذين كفروا ان ينهوا بفقرهم ما قد سلف فثبت ان العبرة في الولاية والعداوة وكونه من اهل الثواب او من اهل العقاب بالخاتمة فظهر ان الخاتمة غير معلومة لاخذ فوجب القطع بأن الولي لا يعلم كونه وليا اما الذين قالوا ان الولي قد يعرف كونه وليا فقد احتجوا على صحة قولهم بأن الولاية لها ركنان (احدهما) كونه في الظاهر متقادا للشرعية (الثاني) كونه في الباطن مستغفرا في نور الحقيقة فاذا حصل الامر ان وعرف الانسان حصولهما عرف بالحقالة كونه وليا اما الانتقاد في الظاهر للشرعية فظاهر واما استغراق الباطن في نور الحقيقة فهو ان يكون فرحه بطاعة الله واستئناسه بذكر الله وان لا يكون له استقرار مع شيء سوى الله (والجواب) ان تداخل الاغلاط في هذا الباب كثيرة غامضة والقضاء عصر التجربة خطر والجزم ضرور ودون الوصول الى عالم الربوبية استتار تارة من التيران واخرى من الانوار والله العالم بمحققاتي الاسرار ولزج الى التفسير قوله تعالى (من نقص عليك نبأهم بالحق انهم قتيه امنوا برهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذا قوا فقالوا ربنا رب السموات والارض ان ندعوك دون الله لقد قلنا اذا شططوا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) اعلم انه تعالى ذكر من قبل جملة من واقعتهم ثم قال نحن نقص عليك نبأهم بالحق اي على وجه الصدق

ووصفها باسم الاشارة يشعر بأن القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبإدغام القاف في الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام وحلهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى (فليظفر أيها) اي اهلها (ازكي) اهل والطيب او اكله وارخص طعاما فليأتكم برزق منه) اي من ذلك الازكي طعاما (وليتلطف) وليتكلف اللطف في المعاملة لكي لا يفتين او في الاستغفار لا يعرف (ولا يشمرن بكم احدا) من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعل ما يؤدى الى ذلك فالنبي على الاول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للاسرة بالتلطف (انهم) تليل لما سبق من الامر والتي اي ليلطف في التلطف وعدم الاشعار لانهم (ان يظهر او عليكم) اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم واضير للاهل المهدى في ايها (رجوم) ان يتم على ما تم عليه (او يبدوكم في ملهم) اي يصيروكم اليها ويسخروكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لنمودن في ملتسا وقيل كانوا اولاعلى دينهم واشاركة في على كلة الى الدلالة على الاستقرار الذي هو اشدشى عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجوع على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدى اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للباسطة في جل المبعوث على الاستغفار وحث الباقيين على الاهتمام بالتوصية فان احماض النصع ادخل في القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه اكثر واوفر (انهم)

(ولن تلحقوا اذا) اي ان دخلتم فيها ولولا بركه (٦٩٥) والجالمان تقوزوا بخير (اي) لافي الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد في

انهم قسمة آمنوا بربهم كانوا جماعة من الشبان آمنوا بالله ثم قال تعالى في صفاتهم وربطنا على قلوبهم اي الهنأها الصبر وثبتناها اذ قاموا وفي هذا القسام اقوال (الاول) قال مجاهد كانوا عظماء مدينهم فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة من غير معاد فقال رجل منهم اكبر القوم اتي لأجد في نفسي شيئا ما اظن ان احدا يحمده قالوا ما تجد قال اجدي نفسي ان ربي رب السموات والارض (القول الثاني) انهم قاموا بين يدي ملكهم دقيانوس الجبار وقالوا ربنا رب السموات والارض وذلك لانه كان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله هؤلاء القسبة وعصمهم حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا بربوبية الله وصرحوا بالبراءة عن الشركاء والانداد (القول الثالث) وهو قول عطاء ومقاتل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم وهذا بعد لان الله استأنف قصتهم بقوله نحن نقص عليك وقوله لقد قلنا اذا شططا معنى الشطط في اللغة مجاوزة الحد قال القراء يقال قد أشط في السبوم اذا جاوز الحد ولم يسمع الا شط يشط اشطاطا وشططا وحكي الزجاج وخير شط الرجل واشط اذا جاوز الحد ومنه قوله ولا تشط واصل هذا من قولهم شطت الدار اذا بعدت فالشطط البعد عن الحق وهو هنا منصوب على المصدر والمعنى لقد قلنا اذا قولا شططا ما قوله هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة هذا من قول اصحاب الكهف ويعنون الذين كانوا في زمان دقيانوس عبدوا الاصنام لولا يأتون هلا يأتون عليهم بسيلطان بين بحجة بينة ومعنى عليهم اي على عبادة الآلهة ومعنى الكلام ان عدم البينة بعدم الدلائل على ذلك لا يدل على عدم المدلول ومن الناس من يتحجج بعدم الدليل على عدم المدلول ويستدل على صحة هذه الطريقة بهذه الآية فقال انه تعالى استدل على عدم الشركاء والاضداد بعدم الدليل عليها فثبت ان الاستدلال بعدم الدليل على عدم المدلول طريقة قوية ثم قال فن اعظم ممن افترى على الله كذبا يعني ان الحكم بثبوت الشيء مع عدم الدليل عليه ظم وافترأ على الله وكذب عليه وهذا من اعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد قوله تعالى (واذا اعتزلتوهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمة ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) اعلم ان المراد انه قال بعضهم لبعض واذا اعتزلتوهم واعتزلتم الشيء الذي يعبدونه الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادة الله فأووا الى الكهف قال القراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت كذا فافعل كذا ومعناه اذهبوا اليه وجعلوه مأواكم ينشر لكم ربكم من رحمة اي يسهلها عليكم ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وتروى ابن عاصم في رواية مرفقا يفتح اليم وكسر الفاء والباقون مرفقا بكسر الهم وقح الفاء قال القراء وهما لغتان واشتقاقهما من الارتفاق وكان الكسائي ينكر في مرفق الانسان الذي في اليد

التحذير مالا يخفى (وكذلك) اي وكما اتفاهم وبشأنهم لما سر من ازديادهم في مراتب اليقين (اعترنا) اي اطلعنا الناس (عليهم) ليعلموا اي الذين اعترناهم علم بما علموا وبما احوالهم العجيبة (ان) وعد الله (اي) وعده بالبعث او موعوده الذي هو البعث وأن كل وعد مأوكل موعوده لن يدخل فيه وعده بالبعث أو البعث الموعود ودخولا اوليا (حق) صادق لا خلف فيه أو ثابت لا سر له لان توهم واتباههم كمال من يموت ثم يبعث (وأن الساعة) اي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للصاب والجزاء (لا ريب فيها) لا شك في قيامها فان من شاهد أنه جل وعلا توفي نفوسهم وامسكها ثلثائة سنة وأكثر كما فطا أبعادها من الخلل والتفتت ثم ارسلها اليها الا يبق له شاة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيود اليهم ارواحهم فيسألهم ويجزيهم بحسب اعمالهم (اذ يتنازعون) ظرف لقوله اعترنا قدم عليه الغاية لظهور الكمال العناية بذكرها لان قوله ليعلموا كاقيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعتراض وليس كذلك اي اعترناهم عليهم حين يتنازعون (بينهم) اسرهم (ليرتفع الخلاف ويتبين الحق) قيل المتنازع فيه اسرهم حيث كانوا مختلفين في البعث فن مقررله وجاحده وقائل يقول يبعث الارواح دون الاجساد وآخر يقول ينشأهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل ملكته في البعث حسبا فصل فدخل الملك ببتنه واغلق بابها وليس معها وجلس على رمال وسأل

وبه ان يظهر الحق فالتى الله عز وجل في نفس رجل من (٦٦٦) رعيانهم فهدم ماسد به دقيانوس باب الكهف ليخذه حظيرة لغيره فبعد

ذلك بعثهم الله تعالى فيجرب بينهم من التناول ماجرى روى ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فانه هو بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان امانا اخبرونا بأن فتية فروا بدنيهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وبصروهم وكلوهم ثم قالت الفتية لئلا نستودعك الله ولنعيذك به من شر الانس والجن فخرجوا الى مضاجعهم فانوا فالتى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فراحهم في المنام كارهين للذهب فبعلمها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولاً لئلا يفرغوا فدخل فقص عليهم الدخول فبنو مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل بعثهم اى اعثرنا عليهم حين يتذكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتفقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالقائه في قوله عز وجل (فقالوا) فصيحة اى اعترافهم عليهم فراؤا مآرأا لما اتوا فقالوا اى قال بعضهم (بنوا عليهم) اى على باب كهفهم (بنينا) لئلا يخطر في بغيرهم الناس ضنا بتربعتهم وحفاظة عليها وقوله تعالى (رجعوا اليهم) من كلام المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة

حلمهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث البلب في الكهف قالوا ذلك فتويضا للامر الى علام الغيوب (المراد)

اومن كلام الله تعالى رد لقول الخاضعين في حديثهم (٦٩٧) من اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتديبرهم عند وفاتهم او شأهم

في الموت والنوم حيث اختلفوا فيهم ما تواترنا وما في اول مرة

فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى

(قال الذين غلبوا على امرهم)

وهم الملك والمسلون (لتخزن

عليهم مسجد) وقوله تعالى

فقالوا معطوف على يتنازعون

وايثار صيغة الماضي للدلالة على

ان هذا القول ليس عام يستمر

ويجحد التنازع وقيل متعلق

بذكر مضرا واما تعلقه بأعترنا

فيأياه ان اعشارهم ليس في زمان

تنازعهم فيما ذكر قبله وجعل

وقت التنازع متندا يقع في بعته

الاعشار وفي بعضه التنازع تعسف

لليخبر مع انه لا يخص لاضافته

الى التنازع وهو مؤخر في الوقوع

(يقولون) لتضيق في الاقل

الثلاثة الضامنين في قصتهم في

عهد النبي عليه الصلاة والسلام

من اهل الكتاب والسلمين لكن

لا على وجه اسناد كل منها الى

كلهم بل لبعضهم (ثلاثة اربعهم

كلهم) اي هم ثلاثة اشخاص

ربهم اي جاعلهم اربعة بالضم

اليهم كلهم قيل قالته اليهود

وقيل قاله السيد من نصارى

نجران وكان يعقوبيا وقرى

ثلاثة بادغام الاء في التاء

(ويقولون خمسة سادسهم كلهم)

قيل قالته النصارى والعاقبة منهم

وكان نسطوريا (رجبا بالغيب)

ربما بالجر اثنى الذي لا مطلق

عليه او ثلثا بالغيب من قولهم

رجم باطن اذ اظن واتصابه على

الحالية من الضمير في الفعلين جميعا

اي راجعين او على المصدرية منهما

فان لارجم والقول واحد اومن

المراد بقوله ذلك اي ذلك الحفظ الذي حفظهم الله في ذلك الغارت لك المدة الطويلة من آيات الله الدالة على عجائب قدرته وابدائع حكمته ثم بين تعالى انه كان يقاهم هذه المدة الطويلة مصونا عن الموت والهلاك من تدبيراته ولطفه وكرمه فكذلك رجوعهم واولا عن الكفر ورغبتهم في الايمان كان باعانة الله ولطفه فقال من يهد الله فهو المهتدى مثل اصحاب الكهف ومن يضل فلن يهديه ولبا مرشدا كدقيانوس الكافر واصحابه ومناظرات اهل الجبر والقدر في هذه الآية معلومة * قوله تعالى (وتحسبهم ايقاظا

وهم رقود) وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملت منهم رعبا اعلم ان معنى قوله وتحسبهم على ما ذكرناه في قوله وترى الشمس اى لورايتم لحسبتهم ايقاظا وهو جمع يقط ويقظان قاله الاخفش وابو عبيدة والزجاج وانشدوا لرؤية * ووجدوا اخوانهم ايقاظا * ومثله قوله نجدون نجدان ونجداهم رقوداى نائمون وهو مصدر سعى المفعول به كما يقال قوم ركوع وقعود وسجود بوصف الجميع بالمصدر ومن قال انه جمع راقد فقد ابعد لانه لم يجمع فاعل على فقول قال الواحدى وانما يحسبون ايقاظا لان اعينهم مقصدة وهم نيام وقال الزجاج لكثرة تقلبهم يظن انهم ايقاظ والدليل عليه قوله تعالى وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال واختلفوا في مقدار مدة التقلب فمن اى هرير قرضى الله عنه ان لهم في كل عام تقلبتين وعن مجاهد

يكثون على اعانهم تسع سنين ثم يقلبون على ثمانتهم فيمكثون رقودا تسع سنين وقيل لهم تقليبة واحدة في يوم عاشوراء واقول هذه التقديرات لاسيلا لهقل اليها ولفظ القرآن لا يدل عليه وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يعرف وقال ابن عباس رضى الله عنها فائدة تقلبهم ثلاثا لكل الارض لحومهم ولاتلبهم واقول هذا عجيب لانه تعالى لما قدر على ان يمكث حياتهم مدة ثلثمائة سنة واكثر فلم لا يقدر على حفظ اجسادهم ايضا من غير تقلب وقوله ذات منصوبة على الظرف لان المعنى تقلبهم في ناحية اليمين او على ناحية اليمين

كأقلنا في قوله تراور عن كفهم ذات اليمين وقوله وكلهم باسط ذراعيه قال ابن عباس واكثر المفسرين قالوا انهم هربوا ليلا من ملكهم غروا براع معه كلب قبعهم على دينهم ومعه كلبه وقال كعب مروا بكتب فخرج عليهم فطردوه فعاد ففعلوا مراما فقال لهم الكلب ماتريدون منى لا تخشوا جانبي انا احب اجداء الله فناموا حتى احرسكم وقال عبيد ابن عمير كان ذلك كلب صيدهم ومعنى باسط ذراعيه اى يلقيهما على الارض مبسوطتين غير مقبوضتين ومنه الحديث في الصلاة انه نهى عن افتراش السبع وقال لا تنقرش ذراعيك افتراش السبع قوله بالوصيد يعنى فناء الكهف قال الزجاج الوصيد فناء البيت وفناء الدار وجهه وصاد ووصد وقال يونس والاخفش والفراء الوصيد الوصيد لقتل فقتلنا مثل الوكاف والاكاف وقال السدى الوصيد الباب والكهف لا يكون له باب ولا عتبة وانما أراد ان الكلب منه موضع النية من البيت ثم قال لو اطلعت عليهم اى اشرقت

مخدوف مستأنف واقع موقع الحال (٨٨) (را) (خا) من ضمير الفعلين معا اى يرجون رجوعهم ايراد السين للاكتفاء بطفه على ما فيه ذلك

(ويقولون سبعة وثانهم كبير) هو ما يقوله المسلمون (٦٩٨) بطريق التلقين من هذا الوجه وما فيه مما يرشدكم الى ذلك من عدم

نظفه في سلك الرجم بالغيب
وتغيير سبكه بزيادة الواو
المفيدة لزيادة وكادته لنسبته فيها
بين طريقها لا يوجب آخر كاقيل
(قل) تحقيقا للسبق وردا على
الاولين (ربحا) اي اقوى
علا (بعدتهم) بعددهم (ما يصلحهم)
اي ما يصلح عدتهم او ما يصلحهم
فضلا عن العلم بعدتهم (الاقليل)
من الناس قد وقعهم الله تعالى
للاستشهاد بتلك الشواهد قال
ابن عباس رضي الله عنه حين
وقعت الواو انقطعت المدّة وعليه
مدار قوله رضي الله عنه انما من
ذلك القليل ولو كان في ذلك
وصي آخر لما خفي عليه ولما احتاج
الى الاستشهاد بالواو ولكن
المسلمون اسوة في العلم بذلك
وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة
نفر اسماءهم عليا ومكشينا
ومشعلينا هؤلاء اصحاب بين
الملك وكان عن يساره مروش
ودبرنوش وشاذنوش وكان
يستشير هؤلاء الستة في امرة
والسابع الراعي الذي واقفهم
حين هربوا من ملكهم ديانوس
واسمه كفيش طيطيوش (فلانمار)
القاء لشرع النهي على ما قبله
اي اذ قد عرفت جهل اصحاب
القولين الاولين فلا يجادلهم
(فيهم) في شأن الفتية (الامراء)
ظاهرا قد مر ان عرض له الوجه
من وصفهم بالرجم باليبس وعدم
العلم على الوجه الاجل وتقويض
العلم الى الله سبحانه من غير تصريح
بجهلهم وقضيه لهم ناه عما
يغل بمكارم الاخلاق (ولا
تستفت فيهم) في شأنهم (منهم)
من الخالفين (اجدا) فان فيما
قص عليك لمدوحة عن ذلك
فمر انه لا علم لهم بذلك وقال عطاه الاقليل من اهل الكتاب فالضائر الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد (في)

عليهم يقال اطلمت عليهم اي اشرفت عليهم ويقال اطلمت فلانا على الشيء فاطلم وقوله
لوليت منهم فرارا قال الزجاج قوله فرارا منصوب على المصدر لان معنى وليت منهم فررت
ولمئت منهم رعبا اي فرعا وخوفا قيل في التفسير طالت شعورهم واظفارهم وقبضت اعينهم
مفتوحة وهم نيام ولهذا السبب لورآهم الرائي لهرب منهم مرعوبا قيل انه تعالى جعلهم
بحيث كل من رآهم فرع فرما شديدا فاما تفصيل سبب الرعب فانه اعلم به وهذا هو الاصح
وقوله ولمئت منهم رعبا قرأ نافع وابن كثير للمئت بتشديد اللام والهزة والباقون بخفيف
اللام وروى عن ابن كثير بالخفيف والمعنى واحد الا ان في التشديد مبالغة قال الاخفش
الخفيفة اجود في كلام العرب يقال ملائني رعبا ولا يكادون يعرفون ملائني ويدل
على هذا اكثر استعمالهم كقوله * فيلا بيتنا اقطا وسمننا * وقول الآخر

ومن مائ عيني من شيء غيره * اذا راح نحو البجرة البيض كالدمي
وقال الآخر * لاملأ الولد وهرق فيها * وقال الآخر * املا الخوض وقال قطنى *

وقد جاء التثني ايضا وانشدوا للحسين السعدي

واذ قتل النعمان بالناس محرمنا * فلا من عوف بن كعب سلاسله

وقرأ ابن عامر والكسائي رعبا بضم العين في جميع القرآن والباقون بالاسكان * قوله

تعالى (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) قال قائل منهم كم ليتم قالوا البثنا يوما او بعض يوم

قالوا ربكم اعلم بما ليتم فابعثوا احداكم بورقكم هذه الى المدينة فليظفر ايها اذكى طعاما

فليأتكم برزق منه وليتلف ولا يشهرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجوكم او

يعيدوكم في ملتهم ولن تفكحوا اذا ابدا) اعلم ان التقدير وكأزديهم هدى وربطنا على قلوبهم

فصرنا على آذانهم وامنهم واقبناهم احياء لا يأتون ولا يشربون ونقلهم فكذلك

بعثناهم اي احييناهم من تلك النومة التي تشبه الموت ليتساءلوا بينهم تساءل تنازع

واختلاف في مدة لبثهم فان قيل هل يجوز ان يكون الفرض من بعثهم ان يتساءلوا

ويتنازعوا قلنا لا بعد ذلك لانهم اذا تساءلوا انكشف لهم من قدرة الله تعالى امور رجيية

واحوال غريبة وذلك الانكشاف امر مطلوب لذاته ثم قال تعالى قال قائل منهم كم ليتم اي

كم مقدار لبثنا في هذا الكهف قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال المفسرون انهم دخلوا

الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا لبثنا يوما فلما رأوا الشمس باقية قالوا

او بعض يوم ثم قال تعالى قالوا ربكم اعلم بما ليتم قال ابن عباس هو ريسهم عليا ردهم

ذلك الى الله تعالى لانه لما نظر الى اشعارهم واظفارهم وبشرة وجوههم رأى فيها آثار

التغير الشديد فلم ان مثل ذلك التغير لا يحصل الا في الايام الطويلة ثم قال فابعثوا احداكم

بورقكم هذه الى المدينة قرأ ابو عمرو وحزرة وابو بكر عن عاصم بورقكم ساكنة الراء

مفتوحة الواو ومنهم من قرأ مكسورة الواو ساكنة الراء وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر

الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيص انه كسر الواو واسكن الزاود غم القاف

فمر انه لا علم لهم بذلك وقال عطاه الاقليل من اهل الكتاب فالضائر الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد (في)

لأرشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه يحصى عا (٦٩٩) في الاول من التكلف في جعل احدا لا قول الحكمة المنظومة في سبط

واحد ناشئا عن الحكاية مع كون الآخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف القول في الآثار والمعنى حينئذ واذا قد وقعت على ان كلهم ليسوا على خطأ في ذلك فلا يجادلهم الاجدالا ظاهرا فنطق به الوحي المبين من غير تجهيل للجميع فان فيه مصيبا وان قل والنبي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جواز ما و احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالنبي لا تراجع اليهم في شأن الفتية ولا تصديق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي (ولا تقولن لشيء) اي لاجل شيء تزد عليه (اي فاعل ذلك) الشيء (غدا) اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اولى قاله نزل حين قالت اليهود قريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه عليه الصلاة والسلام فقال: ثبوتى غدا خبركم ولم يستثن فأتى عليه الوحي حتى شق عليه وكذبت قريش وما قيل من ان المدلول بالعبرة هو الندم وما بعد ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرد ان ما بعد ليس بمعناه في مناط النبى فان وسعة المجال دليل القدرة فليتأمل (الا ان يشاء الله) استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الاحمال ملايته بمشيئته تعالى على الوجه المتبادر وهو ان يقال ان شاء الله اوفى وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان نقوله لا مطلقا بل مشيئة اذن فان للنسيان ايضا بمشيئته تعالى ولا مسامح لتعليقه بفعل لعدم سداد

في الكاف وهذا خبر جازئ لالتقاء الساتنين على هذه والورق اسم للفضة سواء كانت مضروبة ام لا ويبدل عليه ما روى ان عرجة اتخذافا من ورق وفيه لغات ورق وورق ورق مثل كبو كبو وكيد وكيد ذكره القراء والزجاج قال القراء وكسر الواو اردوها ويقال ايضا للورق الرقة قال الازهرى اصله ورق مثل صلة وعدة قال المفسرون كانت معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم يعنى بالمدينة التي يقال لها اليوم طرسوس وهذه الآية تدل على ان السعي في امساك الزاد امرهم مشروع وانه لا يطل التوكل وقوله فليظنوا بها اذى طعاما قال ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لان عامة اهل بلدهم كانوا يجوسوا فيها قوم يخفون ايمانهم وقال مجاهد كان ملكهم ظالما فقولهم اذى طعاما يريدون ايها البعد عن القصب وقيل ايها الحبيب والذوقيل ايها الرخص قال الزجاج قوله ابهارفع بالابتداء واذا خبره وطعاما نصب على التمييز وقوله ولينطف اي يكون ذلك في سر وكتان يعنى دخول المدينة وشراء الطعام ولا يشعرون بكم احدا اي لا يخبرن بمكانكم احدا من اهل المدينة انهم ان ينظروا عليكم اي يطلعوا ويشرفوا على مكانكم او على انفسكم من قولهم ظهرت على فلان اذا علوته وظهرت على السطح اذا صرت فوقه ومنه قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين اي عاين وكذلك قوله ليطهره على الدين كله اي ليعلمه وقوله يرجوكم يقتلوكم والرجم يعنى القتل كثيرا في التزييل كقوله ولو لارهطك لرجناك وقوله ان ترجون واصله الرحى قال الزجاج اي يقتلوك بالرجم والرجم اخبث انواع القتل وقوله اويصيدوك في ملتهم اي يردوكم الى دينهم ولن تفلحوا اذا ابد اي ان رجعتن الى دينهم لن تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة قال الزجاج قوله اذا ابد بدل على الشرط اي ولن تفلحوا ان رجعتن الى ملتهم ابد اقل القاضى ما على المؤمن الفار بدينه اعظم من هذين فأحدهما فيه هلاك النفس وهو الرجم الذى هو اخبث انواع القتل والاخر هلاك الدين بأن ردوا الى الكفر فان قيل أليس انهم لو اكرهوا على الكفر حتى انهم اظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابد قلنا لا محتمل ان يكون المراد انهم لوردوا هؤلاء المسلمين الى الكفر على سبيل الاكراه بقوا مظهرين لذلك الكفر مدة فانه ميل فليهم الى ذلك الكفر وبصيروا كافرين في الحقيقة فهذا الاحتمال قائم فكان خوفهم منه والله اعلم * قوله تعالى (وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها) ان يشايعون بينهم امرهم فقالوا انوا عليهم بشايعهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لتخذن عليهم معجدا يقولون ثلاثه راجعهم كلهم ويمقولون خمسة سادسهم كلهم رجاء بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلم الا القليل فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا اعلم ان المعنى كما زدتاهم هدى وريضا على قلوبهم وامنهم وقلوبهم وبعتاهم لافيهما من الحكم الظاهرة فكذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا غيرهم على احوالهم يقال عثرت على كذا اي

استثناء افتتان المشيئة بالفعل ومناغة استثناء اعتراضها النبي وقيل الاستثناء جار مجرى التأييد كأنه قيل لا تقولن له ابد

مَقُولُهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (وَأَذْكُرُ بِكَ) (٧٠٠) بِقَوْلِكَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ شَتَاوَالَهُ (أَذْنَابُكَ) (أَذْفَرُ طَمَنُكَ)

نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولويد سنة ما لم يبحث ولذلك جوز تأخير الاستئناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو سمح ذلك لما تقرر اقرار ولاطلاق ولاعتاق لم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والقبض عن الانجم والما الاستئناء المغير للحكم فلا يكون الامتصلا ويجوز ان يكون المغني واذا ذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستئناء بمالفة الى الخث عليه او اذكر ربك وحقابه اذا تركت بعض مارك به ليبيعت ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتزل النسيان ليذكرك الملقى وقد جعل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها (وقل عسى ان يندبني في) اي يوفقني (للاقرين هذا) اي لشي اقرب واظهر من بيا اصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوت (رشد) اي ارشاد الناس ودلالة على ذلك وقد فعل عرجول ذلك حيث اتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين قصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث المتنازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة اول اقرب رشدا وادنى خبرا من الملقى (وليسوا في كهفهم) احبسه ضروبا على آذانهم (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهي جملة سنين متعينة لما جمل فيما سلف واشار الى عزة مثاله وقيل انصاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدته فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروى عن علي رضي الله

هذه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبشوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية بالتفاوت بينهما في كل (ثم)

مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلثائة وتسع سنين وستين عطف بيان (٧٠١) للثلاثاء وقيل بدل وقرئ على الاضافة وصنع الجمع موضع

القرء وعاصمه دهنان علامة
الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد
ون لاصل في العدد اضافته
الى الجمع (قل الله اعلم بالغيثا)
اي ايمان الذي ليثوا فيه له
غيب السموات والارض) اى
ما غاب فيهما وحق من حوال
اذهلها واللام للاختصاص
العلمي دون التكويني فانه غير
مخصص بالغيث (بصريه واسمع)
دل بصيغة التعجب على ان شان
علمه سبحانه بالمصرات والسموعات
خارج عما عليه ادراك المدركين
لا يحيط به شيء ولا يحول دونه
حائل ولا يتجاوز بالنسبة اليه
اللطيف والكثيف والصغير
والكبير والحفي والجلي والهاء
ضمير الجلالة ومحلها الرفع على
الفاعلية والياء مزيدة عند سبويه
وكان اسمه بصري صار ذا بصير
ثم نقل الى صيغة الاس للائناسه
فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة
له او لزيادة الباء كافي كفي به
والنصب على المفعولية عند
الاختصاص والفاعل ضمير المأمور
وهو كل احد وباء مزيدة ان
كانت المحمزة للتعدي ومعدية ان
كانت للصيرورة وتعمل بتقديم اس
ابصاره تعالى لما ان الذي نحن
بعده من قبيل المصير (ما لهم)
لاهل السموات والارض (من)
دونه تعالى (من ولى) يتولى
امورهم وينصرهم استقلالاً
ولا يشرك في حكمه في قضائه
او في علم الغيب (احدا) منهم ولا
يجعل له فيه مدخل وهو كاترى
بلغ في في الشرك من ان يقال
من ولى ولا يشرك وقرئ على
صفحة نهى الحاضر على ان
الطاب لكل احد ولما دل النظام

ثم قال تعالى قال الذين غلبوا على امرهم قيل المراد به الملك المسلم وقيل اولياء اصحاب
الكهف وقيل رؤساء البلد لتخذن عليهم مسجداً فبعد الله فيه ونسبتي آثار اصحاب
الكهف بسبب ذلك المسجد ثم قال تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الضمير في قوله
سيقولون عائذ الى التنازع من روى ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا
عند النبي صلى الله عليه وسلم يجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا
كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال
المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم قال اكثر الفسرين هذا الاخير هو الحق وبدل عليه
وجوه (الاول) ان الواو في قوله وثامنهم هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة
للتكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولنا حان رجل ومعه آخرو مررت
يزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وقادتها
تؤكد ثبوت الصفة للوصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر فكانت
هذه الواو دالة على صدق الذين قالوا انهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وانهم قالوا قولاً متقدراً
محققاً عن ثبات وعلم وطمأنينة نفس (الوجه الثاني) قالوا انه تعالى خص هذا الموضع
بهذا الحرف الزائد وهو الواو فوجب ان تحصل به فائدة صوتاً للفظ عن التعطيل
وكل من ائمت هذه الفائدة الزائدة قال المراد منها تخصيص هذا القول بالاثبات والتصحیح
(الوجه الثالث) انه تعالى اتبع القولين الاولين بقوله رجاء بالغيب وتخصيص الشيء
بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن الباطل
هو القولان الاولان وان يكون القول الثالث محالفا لهما في كونهما رجاء بالظن
(الوجه الرابع) انه تعالى لما حكى قولهم وسيقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال بعده قل رب
اعلم بعدتهم ما يعلمهم الاقليل قابع القولين الاولين بكونهما رجاء بالغيب واتباع هذا
القول الثالث بقوله قل رب اعلم بعدتهم ما يعلمهم الاقليل يدل على ان هذا القول ممتاز
عن القولين الاولين بمزيد القوة والصحة (الوجه الخامس) انه تعالى قال ما يعلمهم الاقليل
وهذا يقتضى انه حصل العلم بعدتهم لذلك القليل وكل من قال من المسلمين قولاً في هذا
الباب قالوا انهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فوجب ان يكون المراد من ذلك القليل هؤلاء
الذين قالوا هذا القول * كان على بن ابي طالب رضى الله عنه يقول كانوا سبعة واسمائهم
هذا عليهما مكسليتا مسلمينا وهؤلاء الثلاثة كانوا اصحاب عين الملك وكان عن يساره
حرونوس وديرونوس وسادنوس وكان الملك يستشير هؤلاء الستة في مهماته والسابع
هو الراعي الذي وافقهم لما هربوا من ملكهم واسم كلبهم قطير وكان ابن عباس رضى الله
عنهما يقول أنا من اولئك العدد القليل وكان يقول انهم سبعة وثامنهم كلبهم (الوجه
السادس) انه تعالى لما قال وسيقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال قل رب اعلم بعدتهم ما يعلمهم
الاقليل والظاهر انه تعالى لما حكى الاقوال فقد حكى كل ما قيل من الحق والباطل لانه

القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغيبات على انه وصى معجب امره عليه

السلام بالمداومة على دوائه فقال (واتل ما وحي (٧٠٣) اليك من كتاب ربك) ولانتم لقولهم اثبت بقرآن غير هذا اوبده

بعد انه تعالى ذكر الاقوال الباطلة ولم يذكر ما هو الحق فثبت ان جملة الاقوال الحققة والباطلة ليست الالهة الثلاثة ثم خص الاولين بأنهما رجع بالغيب فوجب ان يكون الحق هو هذا الثالث (الوجه السابع) انه تعالى قال رسوله فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا فنعاه الله تعالى عن المناظرة معهم وعن استفتائهم في هذا الباب وهذا انما يكون لو علم حكم هذه الواقعة وايضا انه تعالى قال ما يعلم الاقليل وبعد ان يحصل العلم بذلك لغير النبي ولا يحصل للنبي فعلمنا ان العلم بهذه الواقعة حصل للنبي عليه السلام والظاهر انه لم يحصل ذلك العلم الا بهذا الوحي لان الاصل فيما سواه العدم وان يكون الامر كذلك فكان الحق هو قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم واعلم ان هذه الوجوه وان كان بعضها اضعف من بعض الا انه لما تقوى بعضها بعض حصل فيه كمال وتمام والله اعلم في الآيات مباحث (البحث الاول) في الآية حذف والتقدير سيقولون هم ثلاثة تحذف المبتدأ لدلالة الكلام عليه (البحث الثاني) خص القول الاول بسنين الاستقبال وهو قوله سيقولون والسبب فيه ان حرف العطف يوجب دخول القولين الآخرين فيه (البحث الثالث) الرجح هو الرمي والغيب ما غاب عن الانسان فقوله رجحا بالغيب معناه ان يرمى ما غاب عنه ولا يعرفه بالحقيقة يقال فلان يرمى بالكلام ربما اى يتكلم من غير تدبر (البحث الرابع) ذكروا في فائدة الواو في قوله وثامنهم كلبهم وجوها (الاول) ما ذكرنا انه يدل على ان هذا القول اولى من سائر الاقوال (وثانيها) ان السبعة عند العرب اصل في المبالغة في العدد قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة واذا كان كذلك فاذا وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستئناف فقالوا وثمانية فجاء هذا الكلام على هذا القانون قالوا ويدل عليه نظيره في ثلاث آيات وهي قوله والناهون عن المنكر لان هذا هو العدد الثامن من الاعداد المتقدمة وقوله حتى اذا جاؤاها وقبضت ابوابها لان ابواب الجنة ثمانية وابواب النار سبعة وقوله ثيبات وابكارا لان قوله وابكارا هو العدد الثامن مما تقدم والناس يسمون هذه الواو او الثمانية ومعناه ما ذكرناه قال القفال وهذا ليس بشئ والدليل عليه قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الواو في التثنية الثامن ثم قال تعالى قل رب اعلم بعدتهم ما يعلم الاقليل وهذا هو الحق لان العلم بتفاصيل كائنات العالم والحوادث التي حدثت في الماضي والمستقبل لا تحصل الا عند الله تعالى والاعند من اخبر الله عنها وقال ابن عباس انما من اولئك القليل قال القاضي ان كان قد عرفه ببيان الرسول صرح وان كان قد تعلق فيه بحرف الواو فضعيف ويمكن ان يقال الوجوه السبعة المذكورة وان كانت لا تقيد الجزم الا انها تقيد الظن واعلم انه تعالى لما ذكر هذه القصة اتبعه بأن نهى رسوله عن شيئين من المراء والاستفتاء اما النهى عن المراء فقوله فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا والمراد من المراء الظاهر ان لا يكتبهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين لا دليل

(لا يبدل لكلماته) لا قادر على تبديله وتغييره غيره (وان تجد) ابد له رويان بالغت في الطلب (من دونه مقلدا) ملجا تمسك اليه عند المالم ملء) واصبر نفسك حبسها وثبتها مصاحبة (مع الذين) يدعون ربهم بالهداة ولنفسى اى دأبين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالهدوة على ان يدخل للام عليها وهى علم في الاعاب على تأويل التنكير والمراد بهم قراء المؤمنين مثل صهيبي وعمار وخباب ونحوهم رضوان الله عنهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكثرة رسول الله صلى الله عليه وسلم نوح هؤلاء الموالي الذين كان رجبهم ربح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون فذلت والتعبير عنهم بالموصول لتبليل الامم بها في سبيل الصلة من الحصة الداعية الى ادامة المحبة (يريون) بدعائهم ذلك (وجهه) حال من المستكن في دعوى اى مردين لرضاء تعالى وطاعته (واتعد عينك منهم) اى لا يجب اوزهم فظنك الا غيرهم من هداة اى جاوزوا واستعملوا بين لتضيئه معنى النبوة ولا تصرف عينك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته من الامراء صرته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد مبيك ولا تعد عينك من الاعداء والتصدية والمراد نبيه عليه السلام عن الازدراء بهم لثلاثة ربه

طموح الى اذى اغنياء (تريد ذيقا لحيات الدنيا) اى تطلب مجانسة الاشراق والاغنياء واصحاب الدنيا وهى حال من (عليه)

الكاف على الوجه الاول من القراءة (٧٠٣) المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وخير توبد العينين واستاد الارادة اليه

جاء وتوحيد التلازم كما به قوله لمن زلحقة زل بها العينا تنهل

ومن المستكن في الفصل على

القراءتين لخيرتين (ولا تطلع) في

تحية لقراءه عن مجالسك (من

اغفلنا قلبه) اى جعلناه غافلا

لبطلان استدلاله للذكر بآية

او وجدناه غافلا كقولك اجبتته

واحتلته اذ وجدته كذلك وهو

من اغفل الله اى لم نفسه بالذكر

(عن ذكرنا) كما لك الذين

يدعوك الى طرد الفقراء عن

مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا

على خلاف ما عليه المؤمنون من

الدعاء في جماع الاوقات وفيه

تنبيه على ان الباعث له على ذلك

الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله

سجانه وجهته ونهايته في

الحسيات حتى خفى عليه النصف

بحيلة النفس لا بزيئة الجسد

وقرى اغفلنا قلبه على استناد

الفعل الى القلب اى حسبنا عافلين

عن ذكرنا اياه بالواخذة من

اغفلته اذ وجدته غافلا (واتبع

هو اذ كان امره فرطاً) مشاعاً

وهلاكاً ومتقدماً للحق ولصواب

ناذله وء ظهره من قولهم

فرس فرط اى متقدم للشد او

هو بمعنى لا فرط ولا تغرير طان

الغفلة عن ذكره سجاهه تؤدي

الى اتباع الهوى المؤدى الى التجاوز

والتباعد عن الحق والصواب

والتعبير عنهم بالموصول لا بـ

بعلية ما في حيز الصلة التى عن

الاطاعة (وتلى) لا تلك لعظاين

المتبعين هو هم (لا نقي من ربكم)

اى ما سوى اى نقي لا غير كاشا

من ربكم والحق لمهود من جهة

ربكم لا من جهة حتى يتصور فيه

عليه فوجب التوقف وترك القطع ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي
احسن واما التى عن الاستثناء فقوله ولا تستفت فيهم منهم احدا وذلك لانه لما ثبت انه
ليس عندهم علم في هذا الباب وجب المنع من استفتائهم واعلم ان نفاة القياس تمسكوا
بهذه الآية قالوا لان قوله رجبا بالغيب وضع الرجم فيه موضع الظن فكأنه قيل ظنا
بالغيب لانهم اكثر وان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين
العبارتين لا ترى الى قوله * وما هو عنها بالحديث المرجح * اى المظنون هكذا قاله صاحب
الكشاف وذلك يدل على ان القول بالظن مذموم عند الله ثم انه تعالى لما ذم هذه الطريقة
رتب عليه المنع من استفتاء هؤلاء الظانين فدل ذلك على ان الفتوى بالمظنون غير جائز عند
الله وجواب مثبت القياس عنه قد ذكرناه مرارا * قوله تعالى (ولا تقولن لشيء اى فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربى لا اقرب من
هذا رشدا ولبوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له عيب
السموات والارض ابصره واسمع مالمهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه احدا)
اعلم ان فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال المفسرون ان القوم لماسألوا النبي صلى
الله عليه وسلم عن المسائل الثلاثة قال عليه السلام اجيبكم عنها غدا ولم يقل ان شاء الله
فاحتبس الوحي خمسة عشر يوما وفي رواية اخرى اربعين يوما ثم نزلت هذه الآية اعتراض
القاضي على هذا الكلام من وجهين (الاول) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان طالما
بأنه اذا اخبر عن انه سيفعل الفعل الفلاني غدا فرجما جاء به الوقاء قبل القد ورجما عاقبه
حائق آخر عن الاقدام على ذلك الفعل غدا واذا كان كل هذه الامور محتملا فلو لم يقل ان
شاء الله ربما خرج الكلام مخالفا لما عليه الوجود وذلك بوجوب التنكير عنه وعن كلامه
عليه السلام اما اذا قال ان شاء الله كان محترزا عن هذا المحذور واذا كان كذلك كان
من البعيد ان يعد بشئ * ولم يقل فيه ان شاء الله (الثاني) ان هذه الآية مشتملة على فوائد
كثيرة واحكام جمة فيبعد قصرها على هذا السبب ويمكن ان يجاب عن الاول انه لا نزاع ان
الاولى ان يقول ان شاء الله الا انه رجما اتفق له انه نسي هذا الكلام لسبب من الاسباب
فكان ذلك من باب ترك الاولى والافضل وان يجاب عن الثاني ان اشغاله على الفوائد
الكثيرة لا يمنع من ان يكون سبب نزوله واحدا منها (المسئلة الثانية) قوله الا ان شاء الله
ليس فيه بيان انه شاء الله ماذا وفيه قولان (الاول) التقدير ولا تقولن لشيء اى فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله ان ياذن لك في ذلك القول والمعنى انه ليس لك ان تخبر عن نفسك انك
تفعل الفعل الفلاني الا اذا اذن الله لك في ذلك الاخبار (القول الثاني) ان يكون التقدير
ولا تقولن لشيء اى فاعل ذلك غدا الا ان تقول ان شاء الله والسبب في انه لا بد من ذكر هذا
القول هو ان الانسان اذا قال سأفعل الفعل الفلاني غدا لم يعد ان يموت قبل مجيء الغد
ولم يعد ايضا لوقب حيا ان يعوقه عن ذلك الفعل شيء من العوائق فاذا كان لم يقل ان شاء

التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) اما من تمام القول المأموره والقاد لترتيب ما بعدها

على ما قبله بطريق التهديد لا لتفريعه عليه كافي قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن (٧٠٤) او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من

ربك فمن يكون من المبشرين اي عقيب تحقق ما وصى الى الحق لا ريب فيه وان ذلك الحق من جهة ربك فمن شاء ان يؤمن به فليؤمن كما هو المؤمن ولا يتلزم بالايكاد يصلح للتمل ومن شاء ان يكفر به فليكفر وفيه من التهديد اظهار الامتناع عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم بايمانهم وجود وعدمه بالانجني وامانته من جهة الله تعالى والفاء الترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضيق المأمورة والمعنى فلهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يكفر به او يكذب فيه فيفعل بقوله تعالى (اما اعتدنا) وعيد شديد وتأكيده للتهديد وتعليل لما يفيد من الزجر عن الكفر ولما يفيد من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاحتكام بزجرهم عنه فان اعداد جزائهم من دوام الاملاء والامه ول على الوجه الاول هو تعليل الامر بما ذكر من التغيير التهديدى اى قل لهم ذلك اما اعتدنا (للظالمين) اى هيأت للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه وتعالى عليهم لطالما قنيتهم على ان مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحدود موضع لشيء في غير موضعه (نادا) عظيمة مجبنة (احاط بهم) اى يمحيط بهم واشار صيغة الماضي للدلالة على التيقن (سرادقها) اى فسطاطها شبه بما يحيط بهم من النار وتيل السراق المجبرة لئى تكون حول الفسطاط وقيل

الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب مفرو ذلك لا يلبق بالانبياء عليهم السلام فلهذا السبب اوجب عليه ان يقول ان شاء الله حتى ان تقدير ان يتعدى عليه الوفاء بذلك الموعد لم يصركاذبا فلم يحصل التفسير (المسئلة الثالثة) اعلم ان مذهب المعتزلة ان الله تعالى يريد الايمان والطاعة من العبد والعبد يريد الكفر والمعصية لنفسه فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الله فتكون ارادة العبد غالبة وارادة الله تعالى مغلوبة واما عندنا فكل ما اراد الله تعالى فهو واقع فهو تعالى يريد الكفر من الكافر ويريد الايمان من المؤمن وعلى هذا التقرير فارادة الله تعالى غالبة وارادة العبد مغلوبة اذا عرفت هذا فنقول اذا قال العبد لا فعلن كذا غدا الان يشاء الله والله انما يدفع عنه الكذب اذا كانت ارادة الله غالبة على ارادة العبد فان على هذا القول يكون التقدير ان العبد قال انا افعل لا فعلن فلان الا اذا كانت ارادة الله بخلافه فاننا على هذا التقدير لا فعلن لان ارادة الله غالبة على ارادتي فعند قيام المانع الغالب لا اقوى على الفعل اما بتقدير ان تكون ارادة الله تعالى مغلوبة فانها لا تصلح عذرا في هذا الباب لان المغلوب لا يمنع الغالب اذا ثبت هذا فنقول اجعت الامة على انه اذا قال والله لا فعلن كذا ثم قال ان شاء الله ادفعنا للحنث فلا يكون دافعا للحنث الا اذا كانت ارادة الله غالبة فلما حصل دفع الحنث بالاجماع جرت القطع بكون ارادة الله تعالى غالبة وانه لا يحصل في الوجود الامار الله واحسانا كدوا هذا الكلام في صورة معينة وهو ان الرجل اذا كان له على انسان دين وكان ذلك المدين قادرا على اداء الدين فقال والله لا قضين هذا الدين غدا ثم قال ان شاء الله فاذا جاء الغد ولم يقض هذا الدين لم يحنث وعلى قول المعتزلة انه تعالى يريد منه قضاء الدين وعلى هذا التقدير بقوله ان شاء الله تعلق ذلك الحكم على شرط واقع فوجب ان يحنث ولما جعوا على انه لا يحنث علما ان ذلك انما كان لان الله تعالى ما شاء ذلك الفعل مع ان ذلك الفعل قد امر الله به ورغب فيه وزجر عن الاخلاله به وثبت انه تعالى قد نهى عن الشيء ويرده وقد بدأ أمر بالشيء ولا يريد وهو المطلوب فان قيل هب ان الامر كما ذكرتم لان كثيرا من الفقهاء قالوا اذا قل الرجل لا امرأته انت طالق ان شاء الله لم يقع الطلاق فالسبب فيه قلنا السبب هو انه لما علق وقوع الطلاق على مشيئة الله لم يقع الا اذا عرفنا وقوع الطلاق ولا نعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفنا حصول المشيئة الا اذا عرفنا وقوع المشيئة لكن مشيئة الله تعالى غيب فلا سبيل الى العلم بحصولها الا اذا علمنا ان متعلق المشيئة قد وقع وحصل وهو الطلاق فعلى هذا الطريق لا نعرف حصول المشيئة الا اذا عرفنا وقوع الطلاق ولا نعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفنا وقوع المشيئة فيتوقف العلم بكل واحد منهما على العلم بالآخر وهو دور الدور باطل فلهذا السبب قالوا الطلاق غير واقع (المسئلة الرابعة) احيى القائلون بأن المعلوم شيء بقوله ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الان شاء الله قالوا الشيء الذى سيفعله الفاعل غدا سماه الله تعالى فى الحال بأنه شيء لقوله

سرادقها خائف وقيل حاطم من نار (وان يستغيثوا) من العطش (يقاتلوا) كالمهل (كالحديد المذاب) وقيل كبردى الزيت (ولا تقولن)

وهو على طريقة قوله فاعتبرا بالعقل (يشوى الوجوه) (٧٠٥) اذ قدم لي شرب انشوى الوجه لحرارته عن النبي عليه الصلاة

والسلام هو مكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فرو وجوهه (بنس الثراب) ذلك (وسات) النار (مرتقا) مكرًا وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت اليد وافي ذلك في النار وانما هو بمقابلة قوله تعالى حسنت سرفقا (ان الذين آمنوا) في محل التعليل لبحث على الايمان المفهم من التخيير كانه قيل ولذين آمنوا ولعل فيغير سبكه للايدان بكمال تناف ما في القرينين ايان الذين آمنوا بالغى الذي اوصى اليك (وعلموا الصالحات) حسبها بين في تناسعها (الان لا تنبج اجر من احسن عملا) خير ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اى من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كافي قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الطاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذى آمن وعمل الصالحات (اولئك) الممنونون بالمعوت الجميلة (لهم) جنت عدن تجري من تحتهم الانهار) استثنى لبيان الاجر او هو الخير وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر (يعلمون فيها) من اما ومن ذهب) من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتكثير للتفخيم وهو جمع اسورة واسوار جمع سوار (ويلبسون ثيابا خضرًا) خصة الحضرة بلباسهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة ومن سندس واستبرق اى مارق من الديباج وما غطج بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلد الاعين (ممكنين فيها على الاراك) على السرور على ما هو شأن المتعدين (٨٩) (را) (خا) (نعم الثواب) ذلك (وحسنت) اى الاراك

(مرتقعا) اي مكافاة (واضرب لهم) اي للفرقتين الكافر والمؤمن (٧٠٦) (مثلا رجلين) مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج

على اداء الصلاة النفسية عند ذكرها وهذا القول بما فيه من الوجوه الثلاثة بعيد لان تعليق هذا الكلام بما قبله يفيد اتقام الكلام في هذه القضية وجعله كلاما مستقفا يوجب صيرة الكلام مبتدأ منقطعا وذلك لا يجوز ثم قال تعالى وقل عسى ان يهدين ربى لا قرب من هذارشدا وفيه وجوه (الاول) ان ترك قوله ان شاء الله ليس بحسن وذكره احسن من تركه وقوله لا قرب من هذارشدا المراد منه ذكر هذه الجملة (الثاني) اذا وعدهم بشئ وقال معه ان شاء الله فيقول عسى ان يهدين ربى لشي احسن واكمل مما وعدتهم به (الثالث) ان قوله لا قرب من هذارشدا اشارة الى نيا أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والدلائل على صحة اتى نبي من عند الله صادق القول في اداء النوبة ما هو اعظم في الدلالة واقربرشدا من نيا أصحاب الكهف وقد فعل الله ذلك حيث آناه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك واما قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بالبحواله غيب السموات والارض ابصره واسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه احدا فاعلم ان هذه الآية آخر الآيات المذكورة في قصة أصحاب الكهف وفي قوله ولبثوا في كهفهم قولان (الاول) ان هذا حكاية كلام القوم والدليل عليه انه تعالى قال سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم وكذا الى ان قال ولبثوا في كهفهم اى ان أولئك الاقوام قالوا ذلك ويؤكد انه تعالى قال بعده قل الله اعلم بالبحواله وهذا يشبه الرد على الكلام المذكور قبله ويؤكد ايضا ما روى في مصحف عبدالله وقالوا ولبثوا في كهفهم (والقول الثانى) ان قوله ولبثوا في كهفهم هو كلام الله تعالى فانه اخبر عن كمية تلك المدة واما قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم فهو كلام قد تقدم وقد تخلل بينه وبين هذه الآية ما يوجب انقطاع احدهما عن الآخر وهو قوله فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا وقوله قل الله اعلم بالبحواله غيب السموات والارض لا يوجب ان ما قبله حكاية وذلك لانه تعالى اراد قل الله اعلم بما لبثوا لغياب السموات والارض فارجعوا الى خبر الله دون ما يقوله اهل الكتاب (المسئلة الثانية) قرأ حزة والكسافى ثلاثمائة سنين بغير تنوين والباقون بالتنوين وذلك لان قوله سنين عطف بيان لقوله ثلاثمائة لانه لما قال ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة لم يعرف انها ايام ام شهور ام سنون فلما قال سنين صار هذا بيانا لقوله ثلاثمائة فكان هذا عطف بيان له وقيل هو على التقديم والتأخير اى لبثوا سنين ثلاثمائة واما وجه قراءة حزة فهو ان الواجب في الاضافة ثلاثمائة سنة الا انه يجوز وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالآخر سنين اجمالا (المسئلة الثالثة) قوله وازدادوا تسعا المعنى وازدادوا تسعا سنين فان قالوا لم يزل ثلاثمائة وتسع سنين وما للفاضة في قوله وازدادوا تسعا قلنا قال بعضهم كانت المدة ثلاثمائة سنة من السنين الشمسية وثلاثمائة وتسع سنين من القمرية وهذا مشكل لانه لا يصح بالحساب هذا القول ويمكن ان يقال لعلهم لما استكملوا ثلاثمائة سنة قرب امرهم من

الى التفصيل والبيان اى اضرب للكافرين والمؤمنين لان من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر آتاه من ان الاولين في الآخرة كذا ولا آخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع قتلهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابذتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بنى اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتساماى آلا فى دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبسار فاكل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بنى عزم كافر هو الاسود بن عبد الاسد ومسلم هو ابوسيلة عبد الله ابن عبد الاسد زوج ام سلقرضى الله منهما ابوالا (جعلنا لاسد هما) وهو الكافر (بنيتين) بستائين (من اعقاب) من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتبديل اوصفة لرجلين (وحققناهما) بخل (اى جعلنا الفضل محبطة بهما مؤذرا لهما كرومهما يقال حقن القوم اذا طافوا به وحققته لهما جعلتم حافين حوله فيزيده البلاء مفعولا آخر كقولك غفيتها به (وجعلنا بينهما) وسطهما (زربا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات والقواكه متواصل العبارة على الهيئة الزائفة والوضع اللاتيق (كلنا الجنتين آتتاهن اكلهما) ثم اكلها وبلغت مبلغا صالحا للاكل وقرئ يسكون الكاف وقرئ كل الجنتين اكل اكله (ولم تظلم منه) لم تنقص من اكلها (شيئا) كما يبعد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا يبض الاشجار باى بالخرى (الانتهاء)

بعض الاعوام دون بعض (وفجرنا خلاهما) فياين (٧٠٧) كل من الجنة (نهر) على حدة ليدوم شرهما ويزيد بها وهما وقرئ

بالتحفيف ولعل تأخير ذكر تحفير النهر عن ذكر اتياء الاكل مع ان الترتيب الجارى على العكس للايدان باستقلال كل من اتياء الاكل وتحفير النهر في تكميل حمان الجنة في قصة البقرة وتحويها ولو عكس لانهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان اتياء الاكل متفرع على السبق عادة وفيه ايماء الى ان اتياء الاكل لا يتوقف على السبق كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار (وكان له) لصاحب الجنة (نهر) انواع من المال غير الجنة من نهر ماله اذا كثره قال ابن عباس رضى الله عنهما جميع المال من الذهب والفضة والحويان وغير ذلك وقال بجاهد هو الذهب والفضة خاصة (فقال لصاحبه) المؤمن (وهو) اى القائل (بخاره) اى صاحبه المؤمن وان جاز العكس اى يراجعه في الكلام من حار اذا رجع (انا كثر منك ما لا واعن نفرا) حشما واعواتا او اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه (ودخل جنته) التى شرحت احوالها وعددها وصفاتها وهياتها وتوحيدها اما لعدم تلقى الفرض بتعدد احوالها اتصال احدها بالآخرى واما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بجهه وكفره (قال) استثناف مبنى على سؤال نفسه من ذكر دخول جنته حال ظلم نفسه كانه قيل فاذا قال انذاك قيل قال (ما ظن ان يبيد هذه) الجنة اى تفتى (ايها) الطول الله وتماذى غفلته واغتراره بجهته ولعله انما

قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بثناء جنتيه ونبيه عن الاعتدال بهما وارساء بتعصيل الباقيات الصالحات (وما اتان

الساعة فاقفة) كاشفة فيما سبأ (والمترددت) بالبعث عند قيامها (٧٠٨) كما تقول (الرزقي لاجدن) يومئذ (خيراتها) أي من هذه

ذلك الموضع هو موضع اصحاب الكهف او موضع آخر والذي اخبر الله عنه وجب القطع به ولا عبرة بقول اهل الروم ان ذلك الموضع هو موضع اصحاب الكهف وذكر في الكشف عن معاوية انه غزا الروم فربا الكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فظنرنا اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك فقال لو اطلمت عليهم لوليت منهم فرارا ولملت منهم ربعا فقال لابن عباس لانتهى حتى اعلم حالهم فبعث اناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فحرقهم واقول العلم بذلك الزمان وبذلك المكان ليس للعقل فيه مجال وانما يستفاد ذلك من نص وذلك مفقود ثبت انه لا سبيل اليه (المسئلة الخامسة) اعلم ان مدار القول باثبات البعث والقيامة على اصول ثلاثة (احدها) انه تعالى قادر على كل الممكنات والثاني انه تعالى عالم بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات (وثالثها) ان كل ما كان يمكن الحصول في بعض الاوقات كان يمكن الحصول في سائر الاوقات فاذا ثبت هذه الاصول الثلاثة ثبت القول بإمكان البعث والقيامة فكذلك ثبت ان الله تعالى عالم قادر على الكل وثبت ان بقاء الانسان حيا في النوم مدد قوم يمكن فكذلك بقاءه مدة ثلثمائة سنة يجب ان يكون يمكنا بمعنى ان الله العالم يحفظه ويصونه عن الآفة واما الفلاسفة فانهم يقولون ايضا لا يبعد وقوع اشكال فلكية غريبة توجب في هيولى عالم الكون والفساد حصول احوال غريبة نادرة واقول هذه السور الثلاثة المتعاقبة اشتملت كل واحد منها على حصول حالة عجيبة نادرة في هذا العالم فسورة بنى اسرائيل اشتملت على الاسراء بحسد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة الى الشام وهو حالة عجيبة وهذه السورة اشتملت على بقاء القوم في النوم مدة ثلثمائة سنة وازيد وهو ايضا حالة عجيبة وسورة مريم اشتملت على حدوث الولد لامرئ الاب وهو ايضا حالة عجيبة والمعمد في بيان امكان كل هذه العجائب والغرائب المذكورة في هذه السور الثلاثة المتوالية هو الطريقة التي ذكرناها وبمبدل على ان هذا المعنى من الممكنات ان ابا على بن سينا ذكر في باب الزمان من كتاب الشفاء ان ارسطاطاليس الحكيم ذكر انه عرض لقوم من التألهين حالة شبيهة بحالة اصحاب الكهف ثم قال ابو على ويدل التاريخ على افهم كانوا قبل اصحاب الكهف * قوله تعالى (واتل ما وحي اليك من كتاب ربك لا يبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملحدا) اعلم ان من هذه الآية الى قصة موسى والخضر كلام واحد في قصة واحدة وذلك ان اكابر كفار قريش احببوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت ان تؤمن بك فاطر من عندك هؤلاء الفقراء الذين آمنوا بك والله تعالى نهاه عن ذلك ومنعه عنه واطنبت في جملة هذه الآيات في بيان ان الذي اقترحوه والتسوء مطلوب فاسد واقتراح باطل ثم انه تعالى جعل الاصل في هذا الباب شيئا واحدا هو ان يواطى على تلاوة الكتاب الذي اوحاه الله اليه وعلى العمل به وان لا يلتفت الى اقتراح المقتريين وتعتن المتعتنين فقال

الجنه وقرئ منها اى من الجنه (متقبلا) مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليهين الفسادة اعتقاد انه تعالى اتاوا لاهما ولاه في الدنيا لا يستغافه السذاق وكرامته عليه سبحانه ولم يدرك ان ذلك استدراج (قال له صاحبه) استثناف كاسبق (وهو يصاورة) جهة حاوية كآمر فادتها التنبيه من اول الامر على ان يلتووه كلام معنى يشأ نه سوف للصاورة (اكفرت) حيث قلت ما اظن الساعة فاقفة (بالذى خلقك) اى في ضمن خلق اصلا (من تراب) فان خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلق منه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له حصة من خلقه عليه السلام ان كن قطرة من الشريعة مقصورة على نفسه بل كانت مجموعا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس الطواى اجماليا مستتبها لجرى ان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا لكل منه وقيل خلق منه لانه اصل مادته اذ به يحصل الغذاء الذى منه يحصل النطفة فتدبر (ثم من نطفة) هى مادتك القريبة فالخلق واحد والابداء متعدد (ثم سواك رجلا) اى عدك وكلما انسانا ذكرا او صهرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشارة بملية ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويع بدليل البعث الذى نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الخ (لكننا هو الذي

اصله لكن اتاوقد قرئ كذا فكذلك همزة فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربى وتلاقت الجملة (واتل)

خير انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ (٧٠٩) بآيات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكه بالهاء ولكن بطرح

واثل ما اوحى اليك من كتاب ربك وفي الآية مسألة وهي ان قوله اثل يتناول القراءة ويتناول الاتباع ايضا فيكون المعنى اثم اوحى اليك والزم العمل به ثم قال لا مبدل لكلماته اى يمنع طرق التغير والتبدل اليه وهذه الآية يمكن التمسك بها في اثبات ان تخصيص النص بالقياس غير جائز لان قوله اثل ما اوحى اليك من كتاب ربك معناه اثم العمل بمقتضى هذا الكتاب وذلك يقتضى وجوب العمل بمقتضى ظاهره فان قيل فيجب ان لا يتطرق النسخ اليه قلنا هذا هو مذهب ابى مسلم الاصفهاني فليس يعد وايضا فالنسخ في الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان النسخ فالتاسخ كالكفاية فكيف يكون تبديلا اما قوله ولن تجد من دونه ملتحدا اتفقوا على ان الملحد هو الجأ قال اهل اللغة هو من لحد والحد اذا مال ومنه قوله تعالى لسان الذي يلحدون اليه والمحد المائل عن الدين والمعنى ولن تجد من دونه ملجأ في البيان

والرشاد قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اعفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا) اعلم ان اكابر قريش اجتمعوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت ان تؤمن بك فاطرد هؤلاء الفقراء من عندك فاذا حضرك لم يحضروا وتعين لهم وقتا يجتمعون فيه عندك فأتزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية فين فيها انه لا يجوز طردهم بل تجالسهم وتوافقهم وتظم شأنهم ولا تلتفت الى اقوال اولئك الكفار ولا تنصم لهم في نظرك وزنا سواء غابوا او حضروا وهذه القصة منقطة عاقلها وكلام مبتدأ مستقل ونظير هذه الآية قد سبق في سورة الانعام وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ففي تلك الآية نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طردهم وفي هذه الآية امره بمجالستهم والمصاهرة معهم فقوله واصبر نفسك اصل الصبر الحسب ومنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المصورة وهي البهجة تحبس فترحم اما قوله مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ففيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر بالغداة بضم الفين والباقون بالغداة وكلاهما لغة (المسئلة الثانية) في قوله بالغداة والعشي وجوه (الاول) المراد كونهم مواطنين على هذا العمل في كل الاوقات كقول القائل ليس لفلان عمل بالغداة والعشي الاشتم الناس (الثاني) ان المراد صلاة الفجر والعصر (الثالث) المراد ان الغداة هي الوقت الذي ينتقل الانسان فيه من النوم الى اليقظة وهذا الانتقال شبهه بالانتقال من الموت الى الحياة والعشي هو الوقت الذي ينتقل الانسان فيه من اليقظة الى النوم ومن الحياة الى الموت والانسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير الذكركه دظيم الشكر لآلاء الله ونعمائه ثم قال ولا تعد عينك عنهم يقال عدا اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيد وانما عدى بلفظة عن لانها تفيد المبادأة فكأنه تعالى نهى عن تلك المبادأة وقرئ ولا تعد عينك ولا تعد عليك من اعداء عدا

أتوقع من صنع الله سبحانه ان يقابل ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لا ياتي جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويحرب جنتك

(ويزيل عليها حسباناً) هو مصدر بمعنى الحساب كالبطان والفران أى مقدار (٧١٠) قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتغيريها

وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كتبت يده وقيل مرأى جمع حسبانة وهى الصواعق ومساعدة النظم الكريم فيماتنى للدولين اكثر (من الساء) قصص صعيدا زلقا) مصدر اريد به المقول بمبالغة أى أرضا ملساء يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات (اويصح) عطف على قوله تعالى قصص وعلى الوجه الثالث على رسل (ماؤها غورا) أى غائرا فى الأرض اطلق عليه المصدر مبالغة (فلن تستطيع) أبدا (له) أى للهاء الغائرا (طلبا) فضلا عن وجدانه ورده (واحيط فوره) اهلك امواله اليهودية من جنبيه وما فيها واصله من اساطة العدو وهو عطف على مقدار كانه قيل فوقع به من ما توقع من الحذور واهلك امواله وانما حذى لدلالة السباق والسباق عليه كما فى المخطوف عليه بإلقاء الفصيصة (فاصبح قلبك كفيه) ظهر البطن وهو كناية عن الندم كأنه قيل فاصبح بدم (على ما لفتق فيها) أى فى عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الا أن من الحقيقة لانه انما يكون على الافعال الاختيارية ولأن ما لفتق فى عمارتها كان مما يمكن صيغته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يجمع بها اكثر مما يتبعه وكان يرى انه لا تنالها يدي الردى ولذلك قال ما أظن ان نبيد هذه أبدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من اتفاق ما يمكن ادخاله فى مثل هذا الشئ السريع الزوال (وهى) أى الجنة (ايجاد)

قلنا بالهزة وتقبل الحشو ومنه قوله * فعد عما ترى اذلا ارتجاع له * والمقصود من الآية انه تعالى فهمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يزدري فقراء المؤمنين وان تدبو عيناه عنهم لاجل رغبته فى مجالسة الاغنياء وحسن صورتهم وقوله تريد زينة الحياة الدنيا نصب فى موضع الحال بمعنى انك ان فعلت ذلك لم يكن اقدامك عليه الا لرغبتك فى زينة الحياة الدنيا ولما بالغ فى امره بمجالسة الفقراء من المسلمين بالغ فى التهى عن الالتفات الى اقوال الاغنياء والتكبرين فقال ولا تطعم من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) احيى اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى هو الذى يخلق الجهل والغفلة وقلوب الجاهل لان قوله اغفلنا يدل على هذا المعنى قالت المعتزلة المراد بقوله تعالى اغفلنا قلبه عن ذكرنا انا وجدنا قلبه غافلا وليس المراد خلق الغفلة فيه والدليل عليه ما روى عن عمرو بن معد يكرب الزيدى انه قال لبنى سليم قاتلناكم فما اجبناكم وسألناكم فما ابلجناكم وهيجوناكم فما افحنناكم اى ما وجدناكم جبنا ولا يخلأ ولا مفحمن ثم نقول حل اللفظ على هذا المعنى اولى ويدل عليه وجوه (الاول) انه لو كان كذلك لما استحقوا الذم (الثانى) انه تعالى قال بعد هذه الآية فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولو كان تعالى خلق الغفلة فى قلبه لما صح ذلك (الثالث) لو كان المراد هو انه تعالى جعل قلبه غافلا لوجب ان يقال ولا تطعم من اغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه لان على هذا التقدير يكون ذلك من افعال المطاوعة وهى انما تعطف بالفاء لا بالواو ويقال كسرته فانكسر ودفعته فاندفع ولا يقال وانكسر واندفع (الرابع) قوله تعالى واتبع هواه لو كان تعالى اغفل فى الحقيقة قبله لم يحز ان يضاف ذلك الى اتباعه هواه والجواب قوله المراد من قوله اغفلنا اى وجدناه غافلا وليس المراد تحصيل الغفلة فيه قلنا الجواب عنه من وجهين (الاول) ان الاشتراك خلاف الاصل فوجب ان يعتقد ان وزن الافعال حقيقة فى احدهما مجاز فى الآخر وجعله حقيقة فى التكوين مجازا فى الوجدان اولى من العكس وبانه من وجوه (احدها) ان مجيئ بناء الافعال بمعنى التكوين اكثر من مجيئه بمعنى الوجدان والكثرة دليل الرجحان (وثانيها) ان مبادرة الفهم من هذا البناء الى التكوين اكثر من مبادرته الى الوجدان ومبادرة الفهم دليل الرجحان (وثالثها) انا ان جعلناه حقيقة فى التكوين امكن جملة مجازا فى الوجدان لان العلم بالشيئ تابع لحصول المعلوم فيجعل اللفظ حقيقة فى التبوع ومجازا فى التبع موافق للمقول اما لو جعلناه حقيقة فى الوجدان مجازا فى اليجاد لزم جعله حقيقة فى التبوع مجازا فى الاصل وانه عكس المعقول فثبت ان الاصل جعل هذا البناء حقيقة فى اليجاد لا فى الوجدان (الوجه الثانى) فى الجواب عن السؤال انا نسأل كون اللفظ مشتركا بالنسبة الى اليجاد والى الوجدان الا انا نقول يجب حل قوله اغفلنا على ايجاد الغفلة وذلك لان الدليل العقلى دل على انه يمنع كون العبد موجدا للغفلة فى نفسه والدليل عليه انه اذا حاول ايجاد الغفلة فاما ان يحاول

ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من اتفاق ما يمكن ادخاله فى مثل هذا الشئ السريع الزوال (وهى) أى الجنة (ايجاد)

ن الاعتاب المحفوفة بنخل (خاوية) ساقطة (٧١١) (على عروشها) اى دعائها المصنوعة للكرم لبقوطها قبل سقوطها

وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العبدية وهما من مقاماتها واما لان ذكر هلاكها مفق عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهى مشيدة بعروشها فلاك ماعداها بالطريق الاولى واما لان الاتفاق فى عمارتها اكثر وقيل اربل الله تعالى عليها نارا فارقتها وغار ماؤها (ويقول) عطف على يقلب احوال من ضميره اى وهو يقول (يا ليتنى لم اشرك بربى احدا) كما تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتاى من قبل شركه فتنى لولم يكن مشركا فلن يصبه ما اصابه به قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وتندما على ما فرط منه (ولم تكن له) وقرئ بالياء التمامية (فئة يصرونه) بقدرون على نصره بدفع الهلاك او ليرد المهلك او الاتيان بمثله وجع التغير باعتبار المعنى كفى قوله عز وعل يرونهم مثليهم (من دون الله) فانه القادر على ذلك وحده (وما كان) فى نفسه (متصرا) متمنا بقوته عن انتقامه سبحانه (هناك) فى ذلك المقام وفى تلك الحال (الولاية لله الحق) اى النصرة له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياء المؤمنين على الكفرة كالنصر بما قبل بالكافر اخاه المؤمن ويصنفه قوله تعالى (هو خير نوابا وخير عقبا) اى لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اى هناك السلطان له عز وجل لا يقلب ولا يمتنع منه ولا لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبو اى الفلك يدعو الله محصله ان الدين

ايحاد مطلق الغفلة او يحاول ايجاد الغفلة عن شئ معين والاول باطل والالم يكن بان تحصل له الغفلة عن هذا الشئ اولى بان تحصل له الغفلة عن شئ آخر لان الطبيعة المشتركة فيما بين الانواع الكثيرة تكون نسبتها الى كل تلك الانواع على السوية اما الثانى فهو ايضا باطل لان الغفلة عن كذا عبارة عن غفلة لا تمتاز عن سائر اقسام الغفلات الا بكونها منسبة الى ذلك الشئ المعين بعينه فعلى هذا لا يمكنه ان يقصد الى ايجاد الغفلة عن كذا الا اذا تصور ان تلك الغفلة غفلة عن كذا ولا يمكنه ان يتصور كون تلك الغفلة غفلة عن كذا الا اذا تصور كذا لان العلم بنسبة امر الى امر آخر مشروط بتصور كل واحد من المنسبين ثبت انه لا يمكنه القصد الى ايجاد الغفلة عن كذا الامع الشعور بكذا لكن الغفلة عن كذا ضد الشعور بكذا فثبت ان العبد لا يمكنه ايجاد هذه الغفلة الا عند اجتماع الضدين وذلك محال والموقوف على المحال محال فثبت ان العبد غير قادر على ايجاد الغفلة فوجب ان يكون خالق الغفلات وموجد هاهنا العباد هو الله وهذه نكتة قاطعة فى اثبات هذا المطلوب وعند هذا يظهر ان المراد بقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه هو ايجاد الغفلة لا وجدانها اما حديث المدح والذم فقد عارضناه مرارا واطوارا بالعلم والداعى اما قوله تعالى بعد هذه الآية فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فالحث عند سيئاته ان شاء الله تعالى اما قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه ولو كان المراد ايجاد الغفلة لوجب ذكر الفاء لاذكر الواو فنقول هذا انما يلزم لو كان خلق الغفلة فى القلب من لوازمه حصول اتباع الهوى كان الكسر من لوازمه حصول الانكسار وليس الامر كذلك لانه لا يلزم من حصول الغفلة عن الله حصول متابعة الهوى لاحتمال ان يصير غافلا عن ذكر الله ومع ذلك فلا يتبع الهوى بل يبقى متوقفا لاشا فى مقام الحيرة والدهشة والخوف من الكل فسقط هذا السؤال وذكر القفال فى تأويل الآية على مذهب المعتزلة وجوها اخرى (فأحدها) انه تعالى لما نصب عليهم الدنيا صبا وادى ذلك الى رسوخ الغفلة فى قلوبهم صح على هذا التأويل انه تعالى حصل الغفلة فى قلوبهم كفى قوله تعالى فلم يزدهم دعائى الا فرارا (والوجه الثانى) ان معنى قوله اغفلناى تركناه غافلا فلم نسمه بسمه اهل الطهارة والتقوى وهو من قولهم بعير غفل اى اسمه عليه (وثالثا) ان المراد من قوله اغفلنا قلبه اى خلاه مع الشيطان ولم يمنع الشيطان منه يقال فى الوجه الاول ان قبح باب لذات الدنيا عليه هل يؤثر فى حصول الغفلة فى قلبه او لا يؤثر فان اثر كان اثر اصيل الذات اليه سببا لحصول الغفلة فى قلبه وذلك عين القول بانه تعالى فعل ما يوجب حصول الغفلة فى قلبه وان كان لا تأثير له فى حصول هذه الغفلة بطل اسناده اليه وقد يقال فى الوجه الثانى ان قوله اغفلنا قلبه بمنزلة قوله سودنا قلبه ويضنا وجهه ولا يبعد اما ذكرناه ويقال فى الوجه الثالث ان كان لتلك التحلية اثر فى حصول تلك الغفلة فقد صح قولنا لا بطل استناد تلك الغفلة الى الله تعالى (المسئلة الثانية) قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه يدل على ان شر احوال الانسان ان يكون

يكون تنبيها على ان قوله ياليتني لم اشرك الخ كان عن انظر ارجو (٧١٢) عمادها على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل

قلبه خاليا عن ذكر الحق ويكون علو أمن الهوى الداعي الى الاشتغال بالخلق وتحقيق القول ان ذكر الله نور و ذكر غيره ظلمة لان الوجود طبيعة النور والعدم منبع الظلمة والحق تعالى واجب الوجود لذاته فكان النور الحق هو الله وما سوى الله فهو ممكن الوجود لذاته والامكان طبيعة عدمية فكان منبع الظلمة فالقلب اذا اشرق فيه ذكر الله فقد حصل فيه النور والضوء والاشراق واذا توجه القلب الى الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل الظلمات فلهذا السبب اذا عرض القلب عن الحق واقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة التامة فالاعراض عن الحق هو المراد بقوله اغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال على الخلق هو المراد بقوله واتبع هواه (المسئلة الثالثة) قيل فرط اى تجاوزا للحد من قوله فرس فرط اذا كان مقدما للخليل قال اليت الفرط الامر الذي يفرض فيه يقال كل امر فلان فرط واقتصد شعرا لقد كلفنى شططا * وأمر احاطيا فرطا

اى مضيعا فقوله وكان امره فرطا معناه ان الامر الذي يلزمه الحفظ له والاهتمام به وهو امر ديني يكون مخصوصا بايقاع التفریط والتقصير فيه وهذه الحالة صفة من لا ينظر لدينه واتماعه لدينه فين تعالى من حال الغافلين عن ذكر الله التابعين لهواهم انهم مقصرون في مهماتهم معرضون عما وجب عليهم من التدبر في الآيات والحفظ بمهمات الدنيا والاخرة والحاصل انه تعالى وصف أولئك الفقراء بالمواظبة على ذكر الله والاعراض عن غير ذكر الله فقال مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ووصف هؤلاء الاغنياء بالاعراض عن ذكر الله تعالى والاقبال على غير الله وهو قوله اغفلنا قلبه واتبع هواه ثم امر رسوله بمجالسة أولئك والمباعدة عن هؤلاء روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كنت جالسا في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليسر بعضا من العري وقارى يقرأ من القرآن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان واحد يقرأ من كتاب الله ونحن نسمع فقال عليه السلام الحمد لله الذى جعل من امتي من أمرت الى ان اصبر نفسي معهم ثم جلس وسطنا وقال ابشروا يا صعا ليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنياء بمقدار خمسين الف سنة

قوله تعالى (وقل الحق من ربكم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفرنا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتقا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في تقرير النظم وجوه (الاول) انه تعالى لما أمر رسوله بأن لا يلتفت الى أولئك الاغنياء الذين قالوا ان طردت الفقراء آمنابك قال بعده وقل الحق من ربكم اى قل لهؤلاء ان هذا الدين الحق انما أتى من عند الله فان قبلتوه عادل النفع اليكم وان لم تقبلوه عادل الضرر اليكم ولا تطلق لذلك بالفقر والغنى والفقير والحسن والجمل والشهرة (الوجه الثانى) في تقرير النظم يمكن ان يكون المراد ان الحق ما جاء من عند الله والحق الذى جاءنى من عنده ان (مقتدرا) قادرا على الكمال

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا) بيان ثلث ما كانوا (٧١٣) يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الاخ الكافر انما كثرت مالا

واعرى فقر اثر بيان شان نفسها
عامر من التل وتقدم المال
على البين مع كونهم اعز منه كما
في الآية الحكيمه انما قوله تعالى
وامددناكم باموال وبين وغير
ذلك من الايات الكريمة ليعرف
فيما ينط به من الزينة والامداد
وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى
الافراد والاولا وقت فانه زينة وعمد
لكل احد من الياه والبين في
كل وقت وحين واما البنون
فزيهم وامدادهم انما يكون
بالنسبة الى من بلغ مبلغ الاولان
المال مناط لبقا لنفس والبين
لبقاء النوع ولان الحاجة اليه
امس من الحاجة اليهم ولانه
اقدم منهم في الوجود ولا زينة
بدونهم من غير عكس فانه من له
بنون بلا مال فوق ضيق حال
وتكال وافراد الزينة مع انها
مسندة الى الاثنين لما انها مصدر
في الاصل اطلق على الفعول
مبالغة كما فهمنا نفس الآية
والعنى ان ما يفتخرون به من المال
والبين ينشأ بزينة في الحياة الدنيا
وقد علم شأنها في سرعة الزوال
وقرب الاضمحلال فكيف بما
هو من اوصافها التي شأنها ان
تزل قبل زوالها (والباقيات
الصالحات) هي اعمال الخير وقيل
هي الصلوات الحسن وقيل بجان
الله والحمد لله والاله الا الله . والله
اكبر وقيل كل ما ريد به وجه
الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل
فيها اعمال فقراء المؤمنين الذين
يدعون ربهم بالفداء والعشى
يريدون وجهه دخولا اوليا لما
صلاحها فظاهر واما ما هو اقرب
عواذها عند فناء كل مانع
اليه النفس من حظوظ الدنيا

اصبر نفسى مع هؤلاء الفقراء ولا طردهم ولا تلث الى الرؤساء واهل الدنيا (والوجه
الثالث) في تقرير النظم ان يكون المراد هو ان الحق الذي جاء من عند الله فن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر وان الله تعالى لم يأذن في طرد من آمن وعمل صالحا لاجل ان
يدخل في الايمان جمع من الكفار فان قيل اليس ان العقل يقتضى ترجيح الاهم على المهم
فطرد اولئك الفقراء لا يوجب الاسقوط حرمتهم وهذا ضرر قليل اما عدم طردهم فانه
يوجب بقاء الكفار على الكفر وهذا ضرر عظيم قلنا اما عدم طردهم فانه يوجب بقاء
الكفار على الكفر فسلم الان من ترك الايمان لاجل الخذل من مجالسة الفقراء فاما بانه
ليس بايمان بل هو تفاني فيجب فوجب على العاقل ان لا يلتفت الى ايمان من هذا حاله وصفته
(المسئلة الثانية) قالت المعتزلة قوله تعالى فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر صريح في ان
الامر في الايمان والكفر والطاعة والمعصية موقوف الى العبد واختياره فن انكر ذلك
فقد خالف صريح القرآن ولقد سألت بعضهم عن هذه الآية فقلت هذه الآية من اقوى
الدلائل على صحة قولنا وذلك لان الآية صريحة في ان حصول الايمان وحصول الكفر
موقوف على حصول مشيئة الايمان وحصول مشيئة الكفر وصريح العقل ايضا يدل له
فان الفعل الاختياري يمنع حصوله بدون القصد اليه وبدون الاختيار له اذا عرفت هذا
فنقول حصول ذلك القصد والاختيار ان كان يقصد آخر تقدمه واختيار آخر تقدمه
لزم ان يكون كل قصد واختيار مسبوقا بقصد آخر الى غير النهاية وهو محال فوجب انتهاء
تلك القصد وتلك الاختيارات الى قصد واختيار يتخلقه الله تعالى في العبد على سبيل
الضرورة عند حصول ذلك القصد الضروري والاختيار الضروري يوجب الفعل
فالانسان شاء او لم يشأ ان لم يحصل في قلبه تلك المشيئة الجازمة الخالصة عن المعارض
لم ترتب الفعل واذا حصلت تلك المشيئة الجازمة شاء او لم يشأ يجب ترتب الفعل عليه
فلا حصول المشيئة مترتب على حصول الفعل ولا حصول الفعل مترتب على المشيئة
فالانسان مضطر في صورة مختار ولقد قرر الشيخ ابو حامد الغزالي رحمه الله هذا المعنى في
باب التوكل من كتاب احياء علوم الدين فقال فان قلت اني اجد في نفسي وجدا تضروريا
اني ان شئت الفعل قدرت على الفعل وان شئت الترك قدرت على الترك فالفعل والترك
لا يفرى واحاب عنه وقال هب انك تجد نفسك هذا المعنى ولكن هل تجد نفسك
انك ان شئت مشيئة الفعل حصلت تلك المشيئة وان لم تشأ تلك المشيئة لم تحصل بل العقل
يشهد بانه يشاء الفعل لا يسبق مشيئة اخرى على تلك المشيئة واذا شاء الفعل وجب
حصول الفعل من غير مكنة واختيار في هذا المقام فحصول المشيئة في القلب امر لازم
وترتب الفعل على حصول المشيئة ايضا امر لازم وهذا يدل على ان الكل من الله تعالى
(المسئلة الثالثة) قوله فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فيه فوائد (الفائدة الاولى) الآية
تدل على ان صدور الفعل عن الفاعل بدون القصد والداعي محال (الفائدة الثانية) ان

(خير) اي مما نلت شأنه من المال والبنين واخراج (٩٠) (را) (خا) بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروضة عنها

مع ان حقهما ان يكونا مقصودى الافادة لاسيما في مقابلة اثبات (٧١٤) الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم

يغنى وما عند الله باق للابدان بان بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذى يحتاج الى التوضيح له خيريتها (عند ربك) اى فى الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بخلاف اصفاء الزينة الى الحياة الدنيا لا لافضليتها فيها من المال والبنين مع مشاركة الكل فى الاصل اذ لا مشاركة لهما فى الخيرية فى الآخرة (توابعاً) عادة تعود الى صاحبها (وخيراً) ما حث بتال بها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا وما ماح من المال والبنين فليس لصاحبه اهل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حقيقى الخيرية والمبالغة فيها (ويوم نسير الجبال) منصوب بخبر اى اذكر حين تقلعها من اماكنها ونسيرها الى الجبل على هياتها كما ينهى منه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اونسير اجزاءها بعد ان يجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين بما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرئ تسيير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايدانا بالاستئذان عن الاستناد الى المفاعيل لتعينه وقرئ تسيير (وترى الارض) اى جميع جوارحها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك احد من يتأى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول (بارزة) لما يبرز

ما تحت الجبال فظاهر وامام اعاده فكانت الجبال يحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالان اضحى فاعاصفصفا لا ترى فيها (للاستراحة)

عوجا ولامتا (وحشراهم) جمعاهم (٧١٥) الى الموقف سن كل اوب ويا نصيفة الماخي بعد تسير و ترى الدلالة على تحقق الحشر المزع

على البعث الذي ينكره المنكرون
وعليه بدور اسراج الوعد الكلام
فما عطف عليه منقيا وموجبا
وقيل هو الدلالة على ان حشرهم
قبل التسير والبروز ليعاينوا تلك
الاهوال كما قيل وحشراهم
قبل ذلك (فلم تغادر) اى لم تترك
(منهم احدا) يقال غادره واغدره
اذ تركه ومنه الغدر الذى هو ترك
الوفاء والغدر الذى هو ما يتركه
السيل فى الارض الفائرة وقرئ
بالياء والقافية على اسناد
القول الى ضمير الارض كما فى قوله
تعالى والقت ما فيها وتخلت
(وعرضوا على ربك) شبه حالهم
بحال جند عرضوا على السلطان
ليأمرهم بما يأمر فى الانفاتح
الى القبية وبناء الفعل للفعل
مع التعرض لتنوان الربوبية
والاضافة الى ضميره عليه السلام
من ترتيبها بالية والجرى على صن
الكبرياء واظهار الطغية عليه
السلام ما لا يخفى (صفا) اى غير
متفرقين ولا غنطين فلا تعرض
فيه لوحدة الصف وتعمده وقد
ورد فى الحديث الصحيح بجمع الله
الاولين والاخرين فى صعيد
واحد صوفوا (لقد جئتمونا) على
اضمار القول على وجه يكون حالا
من ضمير عرضوا اى مقولاهم او
وقلتاهم وما كونه عاملا فى يوم
تسير كما قيل فبعد من جزالة
التنزيل الجليل كيف لا يلزم منه
ان هذا القول هو المقصود
بالاصالة دون سائر القوارع مع
انه خاص التعلق بما قبله من
العرض والحشردون تسير الجبال
وبروز الارض (كما خلقناكم) نعت
لصدر مقدر اى مجيئا كما كنا

للاستراحة والمرتق موضع الاستراحة والله اعلم * قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات انا لانضيق اجرهم احسن علا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار
يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها
على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتقفا) اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد المبطلين اردفه
بوعدا المحققين وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يدل على ان العمل الصالح مغاير للإيمان لان العطف يوجب المغايرة (المسئلة الثانية)
قوله انا لانضيق اجرهم احسن عملا ظاهره يقتضى انه يستوجب المؤمن بحسن عمله على
الله اجرا وعندنا بما نذلك الاستيعاب حصل بحكم الوعد وعند المعتزلة لذات الفعل وهو
باطل لان نعم الله كثيرة وهى موجبة للشكر والعبودية فلا يصير الشكر والعبودية موجبتين
لثواب آخر لان اذا الواجب لا يوجب شيئا آخر (المسئلة الثالثة) نظير قوله ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات الخ يقول الشاعر

ان الخليفة ان الله سر به * سر بال ملك به ترى اخواتيم

كرران تأكيد الالعمال والجزاء عليها (المسئلة الرابعة) اولئك خبران وانا لانضيق
اعتراض ولك ان تجعل انا لانضيق وأولئك خبرين معا ولك ان تجعل أولئك كلاما
مستأنفا ياتى بالاجر المبهم واعلم انه تعالى لما ثبت الاجر المبهم اردفه بالتفصيل من وجوه
(اولها) صفة مكنتهم وهو قوله اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار والعدن
فى اللغة عبارة عن الاقامة فيحوز ان يكون المعنى اولئك لهم جنات اقامة كما يقال هذه
دار اقامة ويجوز ان يكون المدن اسما لموضع معين من الجنة وهو وسطها واشرف
اماكنها وقد استقصينا فيه فيما تقدم وقوله جنات لفظ جمع فيمكن ان يكون المراد ما قاله
تعالى ولن خاف مقام ربه جنتان ويمكن ان يكون المراد ان نصيب كل واحد من المكلفين
جنة على حدة و ذكر ان صفات تلك الجنات ان الانهار تجري من تحتها وذلك لان افضل
المساكن فى الدنيا البساتين التى تجري فيها الانهار (وثانها) ان لباس اهل الدنيا اما
لباس الحلى واما لباس التستر اما لباس الحلى فقال تعالى فى صفته يحلون فيها من اساور
من ذهب والمعنى انه يحلهم الله تعالى ذلك او تحلهم الملائكة وقال بعضهم على كل واحد
منهم ثلاثة سوار من ذهب لاجل هذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا
اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير واما لباس التستر
فقوله ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق والمراد من سندس الاخضر واستبرق
الاخضر والاول هو الديباج الرقيق وهو اخضر والثانى هو الديباج الصفيق وقيل اصله
فارسي معرب وهو استبرماى غليظ فان قيل ما السبب فى انه تعالى قال فى الحلى يحلون
على فعل ما لم يسم فاعله وقال فى السندس والاستبرق ويلبسون فاضاف اليهم اليهم قلنا
يحمل ان يكون اليبس اشارة الى ما استوجبوه بعملهم وان يكون الحلى اشارة الى

كم يجيئك عند خلقنا لکم (اول مرة) احوال من ضمير جئتمونا اى كائين كما خلقناكم اول مرة خافعة اذ غلا او امعكم شئ ما تفقدون به من

الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وترككم (٧١٦) ما حولناكم وراظهوكم (بل زعم ان لن نجعل

لكم موعدا) اضرب الله تعالى من كلامه الى كلام كلاهما التوبيخ والتعريض اي زعم في الدنيا انه لن يجعل لكم ابدا وقتا تخبر فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان تخففه من المثقة فصل يعرف النفي بينهما وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دماء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا احوال من موعدا وهو بمعنى الملقى والابداع (ووضع الكتاب) عطف على مرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد تذكريها بتذكير وقتها اورد فيه ما اورد في امثاله من صيغة الماضي لانه على النفر ايضا اي اوضح صفات الاعمال وايند افراد لا اكتشافا لجلس والمراد بوضعها الماوضعا في ايدى اصحابها عينا وشمالا واما في الميزان (فترى البحر من) فاطية فيدخل فيها انكفرت المنكرون للبعث دخولوا اليها (مشفقين) خائفين (ما فيه) من الجرائم والذنوب (ويقولون) عندوقوفهم على ما في تضاعيفه فقيرا وقطميرا (ياويلتنا) منادين لهلكتم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لا قواما يويلتنا احضري فهذا اوان حضورك (مال هذا الكتاب) اي اى شئ له وقوله تعالى (لا ينادى صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) اي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في جملة الاستفهامية من التعجب او استثنائية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كانه قيل ما شأنه حتى تعجب منه فقيل لا ينادى صغيرة ولا كبيرة الا احصاها

ما تفضل الله عليهم ابتداء من زوال الكرم (وثالثها) كيفية جلوسهم فقال في صفتها متكئين فيها على الارائك قالوا الارائك جميع اريكة وهى سرير في جملة اما السرير وحده فلا يسمى اريكة ولما وصف الله تعالى هذه الاقسام قال نعم الثواب وحسنت مرتقا والمراد ان يكون هذا في مقابلة ما تقدم ذكره من قوله وسامت مرتقا قوله تعالى (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحققناهما بخل وجعلنا بينهما زمرا كلنا الجنتين انتا كاهما ولم تظلم منه شيئا وجعنا لهما نهرًا وكان له نهر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا وعرى فادخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان يبدى هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبًا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكننا هو الله ربى ولا نشرك بربى احدا واولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا نقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتىن خيرا من جنتك ويرسل علينا حسبا من السماء فنصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤنا غورا فلن نستطيع له طلبا واخبط بشره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا) اعلم ان المقصود من هذا ان الكفار افتخروا بأموالهم وانصارهم على فقراء المسلمين فبين الله تعالى ان ذلك مما لا يوجب الافتخار لاحتمال ان يصير الفقير غنيا والفقير فقيرا اما الذى يجب حصول الفخرة به فطاعة الله وعبادته وهى حاصله لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية فقال واضرب لهم مثلا رجلين اى مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين كانا اخوين في بنى اسرائيل احدهما كافرا اسمه براطوس والآخر مؤمنا اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله تعالى قال قائل منهم اى كان لى قرين ورثا من ايهما ثمانية الاف دينار فأخذ كل واحد منهما النصف فاشترى الكفار ارضا فقال المؤمن اللهم اى اشترى منك ارضا في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بألف فقال المؤمن اللهم اى اشترى منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال المؤمن اللهم اى جعلت الفاصدا للحرور العين ثم اشترى اخوه خدما وضياعا بالف فقال المؤمن اللهم اى اشترى منك الولدان بألف فتصدق به ثم اصابه حاجة ففلس لايخذه على طريقه فخر به في حشمه فعرض له فطرده ووبخه على التصديق بالله وقوله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين فاعلم ان الله تعالى وصف تلك الجنة بصفات (الصفة الاولى) كونها جنة وسمى البستان جنة لاستمرار ما يستمر فيها بظل الاشجار واصل الكلمة من السرور والتغذية (الصفة الثانية) قوله وحققناهما بخل اي وجعلنا النخل محيطا بالجنتين نظيره قوله تعالى وترى

(ووجدوا ماعلاوا) في الدنيا من البساتن اوجزاء ماعلاوا (حاضرا) مسطورا عتيذا (ولا يظلم احد) (الملائكة)

فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد في عقابه ليعقوب فيكون (٧١٧) اظهار المدة التي (واذ قلنا لهما انك) اي اذكر وقت

ولناهم (اسجدوا لادم) سجود
تحيية وتكريم وقد مر تقصيره
(فسجدوا) جميعا امتثالاً بالامر
(الابليل) فانه لم يسجد بل اى
واستبكر وقوله تعالى (كان من
الجن) كلام مستأنف سبق مساق
التعليل لما يفيد استثناء اللعين
من الساجدين كما نه قيل ماله لم
يسجد فقبل كان اصله جنسيا
(فسقى عن امره) اي خرج
عن طاعته كما يفي عنه الفاء اوصار
فاسقا كالفا بسبب امر الله تعالى
اذ لولاه لما يرى التعرض لوصف
الربوبية النافية للفسق لبيان
كأن فتح ما قبله والمراد بتذكير
قصته تشديد التذكير على المتكبرين
المغضرين بانسابهم واموالهم
المستغنيين عن الانظام في سك
فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من
صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون
لتسويله كما يفي عنه قوله تعالى
(اتخذونه) الخ فان الهمة
للاتكوار والتعقيب والفا لتعقيب
اي اعقب علكم بصور تلك
الفتنة عنه فتخذونه (وذريته)
اي اولاده واتباعه جعلوا ذريته
بجاء قال قتادة يتوالدون كما
يتوالد بنو آدم وقبل يدخل ذنبه
في دبره فيبيض فتتلفق البيضة
عن جماعة من الشياطين (اولياء
من دوى) فسجدوا لهم في
تطعيمهم بدل طاعتي (وهم)
اي والحال ان ابليس وذريته
(لكم عدو) اي اعداء كما في
قوله تعالى فانهم عدو للارب
العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما
نعمل به ذلك تشبيها له بالصادر
نحو القبول والولوع وتقييد
الاخذ بالجملة الحالية لتأكيد
الانكار وتشديده فان مصنوعيها

الملائكة حافين من حول العرش اي واقفين حول العرش محيطين به والحفاف جانب
الشيء والاحفة جمع فعني قول القائل حطب القوم اي صاروا في احفته وهي جوانبه
قال الشاعر

له لحظات في حفا في سريره * اذا كرها فيها عقاب ونائل

قال صاحب الكشاف حقه اذا طافوا به وحفقه بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد
الى مفعول واحد فتزبد الباء مفعولا تابيا كقوله غشيت وغشيت به قال وهذه الصفة بما
يؤثرها الدهاقين في كرومهم وهي ان يجعلوها محفوفة بالشجار المثمرة وهو ايضا حسن
في المنظر (الصفة الثالثة) وجعلنا بينهما زما المقصود منه امور (احدها) ان تكون
تلك الارض جامعة للقوات والفواكه (وثانيها) ان تكون تلك الارض متسعة
الاطراف متباعدة الاكناف ومع ذلك فانها لم توسطها ما يقطع بعضها عن بعض (وثالثها)
ان مثل هذه الارض تأتي في كل وقت بمنفعة اخرى وهي ثمرة اخرى فكانت منافعة ادارة
متواصلة (الصفة الرابعة) قوله تعالى كلنا الجنين آنت اكلها ولم تظلم منه شيئا كلا
اسم مفرد معرفة يؤكده مذكران معرفتان وكلتا اسم مفرد يؤكده مؤنثان معرفتان
واذا اضيفا الى المظهر كانا بالالف في الاحوال الثلاثة كقولك جاءني كلا اخويك ورأيت
كلا اخويك ومزرت كلا اخويك وجاءني كلتا اختيك ورأيت كلتا اختيك ومررت بكلتا
اختيك واذا اضيفا الى المضمركا في الرفع بالالف وفي الجر والنصب بالياء وبعضهم يقول
مع المضمرك بالالف في الاحوال الثلاثة ايضا وقوله آنت اكلها حل على الفظ لان كلتا لفظه
لفظ مفرد ولو قيل اتاعلى المعنى لجاز وقوله ولم تظلم منه شيئا اي لم تقص والظلم نقصان
يقول الرجل ظلمي حق اي نقصني (الصفة الخامسة) قوله تعالى وفجرنا خلالهما نهرا
اي كان النهر يجري في داخل تلك الجنين وفي قراءة يعقوب وفجرنا مخففة وفي قراءة
الباقيين وفجرنا مشددة والتخفيف هو الاصل لانه نهر واحد والتشديد على المبالغة لان
النهر يمتد فيكون كأنها نهر وسطحها بينهما ومنه قوله تعالى ولا وضعوا
خلالكم ومنه يقال خللت القوم اي دخلت بين القوم (الصفة السادسة) قوله تعالى
وكان له نهر قرأ عاصم بقح الثامو الميم في الموضعين وهو جمع ثمار او ثمرة وقرأ ابو عمرو وبضم
الثاء وسكون الميم في الحرفين والباقون بضم الثاء والميم في الحرفين ذكر اهل اللغة انه
بالضم انواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح حل الشجر قال قطرب كان
ابو عمرو بن العلاء يقول الثمر المال والولد وانشد للحمر بن كعدة

ولقد رأيت معاشرا * قد اشروا مالا ولدا

وقال النابغة

مهلا فداءك الاقوام كلهم * ما ثمروه أمن مال ومن ولد

وقوله وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثر وعن مجاهد الذهب والفضة

مانع من وقوع الاخذ ومنافه لقطعا (بش للظالمين) اي الواضمين للشيء في غير موضعه (بدلا) من الله سبحانه ابليس وذريته في الالتفات

الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايدان بكمال الخط (٧١٨) والاشارة الى ماقلوه ظلم قبيح مالا يخفى (ماشهدتهم)

أى كان مع الجنتين أشياء من التقود ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات قال بعده فقال له صاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا والمعنى ان المسلم كان يحاوره مالا وعظ والدعاء الى الايمان بالله وبالبعث والمحاورة مراجعة الكلام من قولهم حاور اذا رجع قال تعالى انه ظن ان لن يحور بلى فذكر تعالى ان عند هذه المحاورة قال الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا والفر عشرة ارجل واصحابه الذين يقومون بالذب عنه ويقولون معه وحاصل الكلام ان الكافر ترفع على المؤمن يحاهوه ماله ثم انه أراد ان يظهر لذلك المسلم كثرة ماله فأخبر الله تعالى عن هذه الحالة فقال ودخل جنته وأراه اياها على الحالة الموجبة للهبجة والمرور واخبره بصنوف ما يملكه من المال فان قيل لم افرد الجنة بعد التثنية قلنا المراد انه ليس له جنة ولا نصيب في الجنة التي وعد المتقون المؤمنون وهذا الذى ملكه في الدنيا هو جنته ولا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدا منهما ثم قال تعالى وهو ظالم لنفسه وهو اعراض وقع في اثناء الكلام والمراد التنبيه على انه لما اعترى تلك النعم وتوسل بها الى الكفران والجحود لقد رته على البعث كان واضعا تلك النعم في غير موضعها ثم حكى تعالى عن الكافر انه قال وما ظن ان تبدي هذه ابدا وما ظن الساعة قائمة فجمع بين هذين فالاول قطعه بأن تلك الاشياء لا تهلك ولا تبدي ابدا مع انها متغيرة متبدلة فان قيل هب انه شك في القيامة فكيف قال ما ظن ان تبدي هذه ابدا مع ان الحدس يدل على ان احوال الدنيا بأسرها ذاهبة باطلة غير باقية قلنا المراد انها لا تبدي مدة حياته ووجوده ثم قال ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها من قبلى اى مرجعا وواقية وانتصابه على التغير ونظيره قوله تعالى ولئن رجعت الى ربى انى عنده الحسنى وقوله لا وبن مالا اولدا والسبب في وقوع هذه الشبهة انه تعالى لما اعطاه المال في الدنيا ظن انه انما اعطاه ذلك لكونه مستحقا له والاستحقاق باق بعد الموت فوجب حصول العطاء والمقدمة الاولى كاذبة فان قبح باب الدنيا على الانسان يكون في اكثر الامر للاستدراج والتلمية قرأنا فاع وان كثير خبرا منها والمقصود عود الكناية الى الجنتين والباقي منها والمقصود عود الكناية الى الجنة التي دخلها ثم ذكر تعالى جواب المؤمن فقال جل جلاله قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وفيه بحثان (البحث الاول) ان الانسان الاول قال وما ظن الساعة قائمة وهذا الثانى كفره حيث قال أكفرت بالذى خلقك من تراب وهذا يدل على ان الشاك في حصول البعث كافر (البحث الثانى) هذا الاستدلال يحتمل وجهين (الاول) يرجع الى الطريقة المذكورة في القرآن وهو انه تعالى لما قدر على الابتداء وجب ان يقدر على الامادة فقله خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا اشارة الى خلق الانسان في الابتداء (الوجه الثانى) انه لما خلقك هكذا فلم يخلقك عبثا وانما خلقك لعبودية واذا خلقك لهذا المعنى وجب ان يحصل للمطيع ثواب والمذنب عقاب وتقرر ما ذكرناه في سورة يس ويدل على هذا

شئى حتى يتوهم شركتهم في التولى بناء على شركة في بعض احكام الربوبية وفيه حكم لهم وايدان بكمال ركاكة عقولهم (الوجه)

استثنافى مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتباع المذكور في انفسهم بعد بيان الصواب عن ذلك من خيانة المحدث والفسق والهداوة اى ما حضرت ابليس وذريته (خلق السموات والارض) حيث خلقتهما قبل خلقهم (ولا خلق انفسهم) اى ولا انهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور حذرا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانس واما ان ترجع الضمير الثانى الى الظالمين وتلزم التفكيك بناء على قود المعنى اليه فان في اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذى يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصح التسوى حضور الولي خلق التولى وحيث لا حضور لا يصح التسوى قطعا واما في اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدارية الانكار المذكور في شئى على ان اشهاد بعضهم خلق ان كان معصيا لتولى الشاهد بناء على دلالة على كماله باعتبار ان له مدخلا في خلق المشهود في الجملة فهو محل بتولى المشهود بناء على قصوره عن شهد خلقه فلا يكون في الامهاد المذكور متخصفا في الكمال الصحيح لتولى عن الكل وهو المختار للاكتار المذكور (وما كنت متخذ المضلين اى) متخذهم وانما وضع موضعه الظاهر لانهم وتبجلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء (عضدا) اعوانا في شأن الخلق او في شأن من شئى حتى يتوهم شركتهم في التولى بناء على شركة في بعض احكام الربوبية وفيه حكم لهم وايدان بكمال ركاكة عقولهم (الوجه)

ومضافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلى الذى (٧١٩) لا يكاد يشتبه على البه والصفيان فيحتاجون الى التصريح به وايشار

الى الوجه قوله ثم ساء رجل اى هياك هشة تعقل وتصلح للتكليف فهل يجوز فى العقل مع
هذه الحالة اهماله امره ثم قال المؤمن لكننا هو الله ربى وفيه بحثان (البحث الاول)
قال اهل اللغة لكننا اصله لكن انا لحذف الهزة والقيت حركتها على نون لكن فاجتمعت
النونان فادغمت نون لكن فى النون التى بعدها ومثله * وتقلينى لكن اياك لا اقل *
اى لكن انا لا اقبلك وهو فى قوله هو الله ربى ضمير الشأن وقوله الله ربى جملة من المبدأ
والخبر واقعة فى معرض الخبر لقوله هو فان قيل قوله لكننا استدراك لما قلنا لقوله
أكفرت كما قال لاهيه أكفرت بالله لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن
عمر وحاضر (البحث الثانى) قرأ ابن عامر ويعقوب الحضرمى ونافع فى رواية لكننا هو الله
ربى فى الوصل بالالف وفى قراءة الباقرين لكن هو الله ربى بغير الف والمعنى واحد ثم قال
المؤمن ولا تشرك بربى احدا ذكر القفال فيه وجوها (احدها) انى لا ارى الفقر والغنى
الامنة فاحده اذا اعطى واصبر اذا ابتلى ولا اتكبر عند ما يمن على ولا ارى كثرة المال
والاعوان من نفسى وذلك لان الكافر لما اعتز بكثرة المال والجاه فكأنه قد اثبت لله
شريكا فى اعطاء العز والغنى (وثانيها) لعل ذلك الكافر مع كونه منكرا للبعث كان جابدا
صنم فبين هذا المؤمن فساد قوله باثبات الشركاء (وثالثها) ان هذا الكافر لما عجز الله عن
البعث والحشر فقد جعله مساويا للخلق فى هذا الجهن واذا اثبت المساواة فقد اثبت
الشريك ثم قال المؤمن للكافر ولولا ان دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله فأمره
ان يقول هذين الكلامين الاول قوله ماشاء الله وفيه وجهان (الاول) ان تكون
ما شرطية ويكون الجزء محذوفا والتقدير اى شئ شاء الله كان (والثانى) ان تكون
ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف وتقديره الامر ماشاء الله واحج
اصحابنا عذرا على ان كل ما اراد الله وقع وكل ما لم يرد لم يقع وهذا يدل على انه ما اراد الله
الايمان من الكافر وهو صريح فى ابطال قول المعتزلة اجاب الكعبى عنه بان تأويل قولهم
ماشاء مما تولى فعله لا ما هو فعل العباد كما قالوا لا مرد لا مراد الله لم يرد ما امر به العباد ثم قال
لا يمنع ان يحصل فى سلطانه ما لا يريد كما يحصل فيه ما نهى عنه واعلم ان الذى ذكر الكعبى
ليس جوابا عن الاستدلال بل هو التزام المخالفة لظاهر النص وقياس الارادة على الامر
باطل لان هذا النص دال على انه لا يوجد الا ما اراد الله وليس فى النصوص ما يدل على انه
لا يدخل فى الوجود الا ما امر به فظهر الفرق واجاب القفال عنه بان قال هذا اذا دخلت
بستانك قلت ماشاء الله كقول الانسان هذه الاشياء الموجودة فى هذا البستان ماشاء الله
ومثله قوله سيقولون ثلاثا ابعهم كلهم وهم ثلاثة وقوله وقولوا حطه اى قولوا هذه
حطه واذا كان كذلك كان المراد من هذا الشئ الموجود فى البستان شئ شاء الله تكوينه
وعلى هذا التقدير لم يلزم ان يقال كل ماشاء الله وقع لان هذا الحكم غير عام فى الكل بل مختص
بالاشياء المشاهدة فى البستان وهذا التأويل الذى ذكره القفال احسن بكثير مما ذكره
ظهوره نهيكم بهم وايدان باهم فى الحافة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به (وجعلنا بينهم) بين الداعين والمذمومين (موقسا)

اسم مكان او مصدر من ويق وبقا كوثوبا او يبق وبقا كفرح (٧٢٠) فرحا اذا هلك اى مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة

الجبلى والكعبى واقول انه على جوابه لا يدفع الاشكال عن المعتزلة لان عبارة ذلك
 البستان ربما حصلت بالغصب والظلم الشديد فلا يصح ايضا على قول المعتزلة ان يقال
 هذا واقع بمشيئة الله اللهم الان نقول المراد ان هذه الثمار حصلت بمشيئة الله تعالى
 الا ان هذا تخصيص لظاهر النص من غير دليل (والكلام الثانى) الذى امر المؤمن
 الكافر بأن يقوله هو قوله لا قوة الا بالله اى لا قوة لاحد على امر من الامور الا بامانة الله
 واقداره والمقصود انه قال المؤمن للكافر هلاقلت عند دخول جنتك الامر ماشاء الله
 والكائن ما قدره الله اعترافا بانها وكل خير فيها بمشيئة الله وفضله فان امرها بيده ان شاء
 تركها وان شاء خربها وهلاقت لا قوة الا بالله اقرارا بأن ما قويت به على عارتها وتدير
 امرها فهو بمعونة الله وتأييده لا يقوى احد فى بدنه ولا فى ملك يده الا بالله ثم ان المؤمن
 لما علم الكافر الايمان اجابه عن اقتضائه بالمال والفرق قال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
 من قرأ اقل بالنصب فقد جعلنا فضلا واقل مفعولا ثانيا ومن قرأ اقل بالرفع جعل قوله
 انا مبتدأ وقوله اقل خبر والجملة مفعولا ثانيا لترنى واعلم ان ذكر الولد ههنا يدل على
 ان المراد بالنفر المذكور فى قوله واعرزنا الاعوان والاولاد كما به يقول له ان كنت ترانى
 اقل مالا وولدا وانصارا فى الدنيا الفانية فمضى ربي ان يؤتى خيرا من جنتك اما فى الدنيا
 واما فى الآخرة ويرسل على جنتك حسابنا من السماء اى عذابا وتخريبا والحسبان
 مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اى مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم
 بتخريبها قال الزجاج عذاب حسابان وذلك الحسابان حسابان ما كسبت يدك وقيل
 حسابانا اى مراعى الواحدة منها حسابانة وهى الضواغق فتصبح صعيدا زلقا اى فتصبح
 جنتك ارضا مساء لابات فيها والصعيد وجه الارض زلقا اى تصير بحيث تزلق الرجل
 عليها زلقا ثم قال او يصبح ماؤها غورا اى يفوص ويسفل فى الارض فلن تستطيع له
 طلبا اى يصير بحيث لا تقدر على رده الى موضعه قال اهل اللغة فى قوله ماؤها غورا اى
 غائرا وهونعت على لفظ المصدر كما يقال فلان زور وصوم الو احدوا الجمع والمذكرو المؤنث
 ويقال نساء نوح اى نوايح ثم اخبر الله تعالى انه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال واحيط
 بثمره وهو عبارة عن اهلاكه بالكلية واصله من احاطة العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه
 واستولى عليه ثم استعمل فى كل اهلاكه ومنه قوله الان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه
 اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم ثم قال تعالى فأصبح يقلب كفيه
 وهو كناية عن الندم والحسرة فان من عظمت حسرته يصفق احدى يديه على الاخرى
 وقد يمسح احدهما على الاخرى وانما يفعل هذا ندامة على ما نطق فى الجنة الى وعظه اخوه
 فيها وعذله وهى خاوية على عروشها اى ساقطة على عروشها فيمكن ان يكون المراد بالعروش
 عروش الكرم فهذه العروش سقطت ثم سقطت الجدران عليها ويمكن ان يراد من
 العروش السقوف وهى سقطت على الجدران وحاصل الكلام ان هذه اللفظة كناية عن

هى فى الشدة نفس الهلاك
 كقول عمر رضى الله عنه
 لا يكن حبك كلفا ولا يفضك
 تلقا وقيل البين الوصل اى
 وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا
 فى الآخرة ويحوز ان يكون
 المراد بالشركاء للملائكة وعزرا
 وعيسى عليهم السلام ومريم
 وبلوقى البرزخ البعيد اى
 جعلنا بينهم امدا يبعد اهلك
 فيها الاشواط لقرطبيده لانهم فى
 قمر جهنم وهم فى اعلى الجنان
 (ورأى الجرمون النار) وضع
 المظهر مقام المظهر تصريحا
 باجرامهم وذمالمه بذلك (ففتوا)
 اى فأتبعوا (انهم موافقوها)
 مخالطوها واقفون فيها او ظنوا
 اذ رأوها من مكان بعيد انهم
 موافقوها بالساعة (ولم يجدوا عنها
 مصرا) الصرافا او معدلا
 ينصرفون اليه (ولقد صرفنا)
 اى كررنا واوردنا على وجوه
 كثيرة من النظم (فى هذا القرآن
 للناس) لمصنفهم ومنفعتهم (من
 كل مثل) من جلته ما مر من مثل
 الرجلين ومثل الحياة الدنيا
 او من كل نوع من انواع المعاني
 البديعة الداعية الى الايمان الى
 هى فى الغرابة والحسن واستعجاب
 النفس كالمثل ليتفقهه بالقول
 فلم يفتوا (وكان الانسان) بحسب
 جبلته (اكثرى جدلا) اى اكثر
 الاشياء التى يتأتى منها الجدل
 وهو هنا شدة الخصومة بالباطل
 والتمارة من الجدل الذى هو
 القتل والحصاده الملاوة لان
 كلا من الحصادين يلتوى على
 صاحبه واتصافه على التميز
 والمعنى ان جلده اكثر من جلد
 كل مجادل (وما منع الناس)
 اى اهل مكة الذين حكيت
 باطيلهم (ان يؤمنوا) بان يؤمنوا

بالله تعالى ويتكلموا ما هم فيه من الاشراك (اذ جاءهم الهدى) اى القرآن العظيم (بطلانها)

الهادي الى الايمان بما فيه من ثبوت الماني الموجبة له (٧٢١) (ويستغفروا دله) عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من

ظلماتها وهلاكها ثم قال تعالى ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا والمعنى ان المؤمن لما قال
 لكننا هو الله ربي ولا اشرك ربي احدا فهذا الكافر تذكر كلامه وقال يا ليتني لم اشرك بربي
 احدا فان قيل هذا الكلام بوجه انه اتماهلكت جنته بشؤم شركه وليس الامر كذلك
 لان انواع البلاء اكثرها انما يقع للمؤمنين قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة
 لجعلنا لمن يكفر بالرحن ابوتهم سفهاء من فضة ومعارج عليها يظهرون وقال النبي صلى الله
 عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وايضا قلنا قال يا ليتني لم
 اشرك بربي احدا فقد قدم على الشرك ورغب في التوحيد فوجب ان يصير مؤمنا فلما قال
 بعده ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا والجواب عن السؤال
 الاول انه لما عظمت حسرته لاجل انه اتفق عمره في تحصيل الدنيا وكان معرضا في كل
 عمره عن طلب الدين فلما ضاعت الدنيا بالكلية بقي الحرمان عن الدنيا والدين عليه فلماذا
 السبب عظمت حسرته والجواب عن السؤال الثاني انه اتاندم على الشرك لاعتقاده
 انه لو كان موحدا غير مشرك لبقيت عليه جنته فهو اتمازغب في التوحيد والرد
 عن الشرك لاجل طلب الدنيا فلماذا السبب ماصار توحده مقبولا عند الله ثم قال تعالى
 ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وفيه بحثان (البحث الاول) قرأ حزة
 والكسائي ولم يكن له فئة بالباء لان قوله فئة جمع فاذا تقدم على الكناية جاز التذكير ولانه
 رعاية للمعنى والباقون بالتاء المنقوطة باثنين من فوق لان الكناية عائدة الى اللفظة
 وهي الفئة (البحث الثاني) المراد من قوله ينصرونه من دون الله هو انه ما حصلت له فئة
 يقدرون على نصرته من دون الله اى هو الله تعالى وحده القادر على نصرته ولا يقدر
 احد غيره ان ينصره ثم قال تعالى هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا وفيه
 مسائل (المسئلة الاولى) اختلف القراء في ثلاثة مواضع من هذه الآية (اولها)
 في لفظ الولاية ففي قراءة حزة والكسائي بكسر الواو وفي قراءة الباقرين بالفتح وحكى
 عن ابي عمرو بن العلاء قال كسر الواو حتى قال صاحب الكشف الولاية بالفتح النصرة
 والتولى وبالكسر السلطان والملك (وثانيها) قرأ ابو عمرو والكسائي قوله الحق بالرفع
 واتقدير هنالك الولاية الحق لله وقرأ الباقرين بالجر صفة لله (وثالثها) قرأ ابن كثير
 وابو عمرو ونافع والكسائي وابن عامر عقبا بضم القاف وقرأ اصم وحزة عقبا بتسكين
 القاف (المسئلة الثانية) هنالك الولاية لله فيه وجوه (الاول) انه تعالى لما ذكر من قصة
 الرجلين ما ذكر علمنا ان النصره والعاقبة المحموده كانت للؤمن على الكافر وعرنا ان
 الامر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقال هنالك الولاية لله الحق اى في مثل ذلك
 الوقت وفي مثل ذلك المقام تكون الولاية لله بوالى اولياءه فيعلمهم على اعدائه وبفوض
 امر الكفار اليهم فقولته هنالك اشارة الى الموضع والوقت الذي يريد الله اظهار كرامة
 اولياءه واذلال اعدائه (والوجه الثاني) في التأويل ان يكون المعنى في مثل تلك الحالة

جنتها بمجادلتهم للحق بالباطل
 (لان تأييدهم سنة الاولين)
 اى الا طلب اتيان مستهم
 او الانتظار اتيانها او التقديره
 فخذف المضائق واقبح المضائق
 اليه مقامه وستهم الاستعجال
 (اويائهم العذاب) اى عذاب
 الآخرة (فببلا) اى انواع
 جمع قبيل او عيانا كما في قراءة
 قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ
 بفصحين اى مستقبلا يقال لقيه
 قبلا وقبلا وقبلا واتساعه على
 المسألة من الصغير ابراهيم
 والعسى ان ما تضمنه القرآن
 الكريم من الامور المستوجبة
 للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه
 الحكمة القوية لما امتنع الناس
 من الايمان وان كانوا مجبورين على
 الجدل المهرط (وما ترسل
 المرسلين) الى الامم ملتبسين بحال
 من الاحوال (الا) حال كونهم
 (مبشرين) للمؤمنين بالثواب
 (ومنذرين) للكفرة والعصاة
 بالعقاب (ويجادل الذين كفروا
 بالباطل) باقتراف الآيات بعد
 ظهور المعجزات والسؤال عن
 قصة اصحاب الكهف ونحوها
 تحت (ليدحضوا به) اى الجدل
 (الحق) اى يزيلوه عن مركزه
 ويظهروهم من احضان القدم وهو
 اولها وهو قولهم لم يرسل عليهم
 الصلاة والسلام ما انتم الا بشرك
 مثلنا ولو شاء الله لازل ملائكة
 ونحوها (واتخذوا آياتي) التي
 تنزلها صم الجبال (وما اذكروا)
 اى اذكروهم من القوارع الناجية
 عليهم العقاب والعذاب واذكروهم
 (هزوا) استهزاء وقرئ
 يسكون الزاى وهو ما يستهزأ به
 (ومن الظالمين ذكر) بآيات ربه)

وهو القرآن العظيم (فأعرض عنها) ولم يتدبرها (٩١) (را) (خا) ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله

الموصى نفي الاطلاقية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان (٧٢٢) مفهومه لعرفي انه الظلم من كل ظالم وبناء لإطلاقية على ما في حيز

الشديدة يتولى الله ويلتجئ اليه كل محتاج مضطر يعني ان قوله باليئس لم اشرك بربى احدا كلمة الجحى اليها ذلك الكافر فقال لها جرحا مما ساقه اليه شؤم كفره ولو لا ذلك لم يقبلها (و الوجه الثالث) المعنى هنالك الولاية لله نصر ربها اوليائه المؤمنين على الكفرة وبقومهم وبشقي صدورهم من اعدائهم يعني انه تعالى نصر ما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله في قوله فمسي ربى ان يؤتين خيرا من جنتك و برسل عليها حسبنا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اى لا وليا له (والوجه الرابع) ان قوله هنالك اشارة الى الدار الآخرة اى في تلك الدار الآخرة الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم لله ثم قال تعالى هو خير ثوابا اى في الآخرة لمن آمن به والنجا اليه وخير عقبا اى هو خير عاقبة لمن رجاه وعل لوجهه وقد ذكرنا انه قرى عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة ﴿ قوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كآء اتزلناه من السماء فاخطلط به نبات الارض فاصبح هشيا تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا) اعلم ان المقصود اضرب مثلا آخر يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها والكلام متصل بما تقدم من قصة المشركين المتكبرين على قراء المؤمنين فقالوا وضرب لهم اى لم يؤلا الذين افتخروا بأموالهم وانصارهم على فقراء المسلمين مثل الحياة الدنيا ثم ذكر المثل فقال كآء اتزلناه من السماء فاخطلط به نبات الارض وحينئذ يروى ذلك النبات ويهتز ويحسن منظره كما قال تعالى فاذا اتزلنا عليها الماء اهتزت وربت ثم اذا انقطع ذلك مدة جف ذلك النبات وصار هشيا وهو الذب المتكسر المتفتت ومنه قوله هشمت انفه وهشمت الثريد وانشد

عمر والذى هشمت الثريد لالهه * ورجال مكة مستنون بخفاف

واذا صار النبات كذلك طيرته الرياح وذهبت تلك الاجزاء اى سائر الجوانب وكان الله على كل شئ مقتدرا بتكوينه اولا وتكوينه وسطا وابطاله آخرا واحوال الدنيا ايضا كذلك تظهر اولا في غاية الحسن والنضارة ثم تترايد قليلا قليلا ثم تأخذ في الانحطاط الى ان تنتهى الى الهلاك والقناء ومثل هذا الشئ ليس للعافل ان يفتخج به والباء في قوله فاخطلط به نبات الارض فيه وجوه (الاول) التقدير فاخطلط بعض انواع النبات بسائر الانواع بسبب هذا الماء وذلك لان عند نزول المطر يقوى النبات ويختلط بعضه ببعض ويشبك بعضه ببعض وبصير في النظر في غاية الحسن والزينة (والثاني) فاخطلط ذلك الماء بالنبات واخطلط ذلك النبات بالماء حتى روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاخطلط نبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه ﴿ قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا) لما بين تعالى ان الدنيا سريعة الانقراض والانقضاء مشرفة على الزوال والبوار والفناء بين تعالى ان المال والبنين زينة الحياة الدنيا والمقصود ادخال هذا الجزء تحت ذلك الكل وسنقدم منه قياس الانتاج وهو ان المال والبنون زينة

الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان اخلية قبل التحلية اولاته اهم بحسب الحال انما مقام بيان (الحياة)

تأخير العقوبة عنهم بعد استجابتهم (٧٢٣) لها كما يعرب عنه قوله عز وجل (لويؤاخذهم) اي لو يريد مؤاخذتهم (عما كسبوا)

من المعاصي التي من جعلها ما حكي عنهم من عبادتهم باباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بالاعتذار وامن الموبقات (تعجيل لهم العذاب) لاستجواب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة بالنبذة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للابتنان بأن النبي المستفاد من مقدم الشريعة متعلق بوصف السرعة كما ينبغي عنه تأليها وإيثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على الماضي لا فائدة ان انتهاء تعجيل العذاب بهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار استفا الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه (بل لهم موعد) اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيامة والجهة معطوفة على مقدار كونه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بفتة (لن يبدوا) البتة (من دونه موثلا) نبأ أو ملجأ يقال وأل اي تجا ووال اليه اي الجأ اليه (وتلك القرى) اي قرى عاد وحمود واضربها وهي مبتدأ على تقدير المضاعف اي واهل تلك القرى خبره قوله تعالى (اهلكناهم) او مفعول مضمر مفسره (لاظلموا) اي وقت ظلمهم كما فطفت قریش بما حكي عنهم من القبايح وترك المفعول اما التعميم الظلم او لتزليه ماثلة للآزم اي لما فعلوا الظلم ولما حارف قال كمال ابن عصفور واما ظرف استعمال لتعليل وليس المراد به الوقت المئين الذي علوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره (وجعلنا

الحياة الدنيا وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقضاء والانقراض يتبع انتابا يسببا ان المال والبنين سريعة الانقضاء والانقراض ومن المتقضى الديني ان ما كان كذلك فانه يقع بالعالم أن يتخبره أو يفرح بسببه أو يقيم له في نظره وزنا فهذا برهان باهر على فساد قول أولئك المشركين الذين افترضوا على قهراء المؤمنين بكثرة الاموال والاولاد عم ذكر ما يدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار من الاغنياء فقال والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا وتقر بهذا الدليل ان خيرات الدنيا منقرضة منقرضة وخيرات الآخرة دائمة باقية والدائم الباقي خير من النقرض المنقضى وهذا معلوم بالضرورة لاسيما اذا ثبت ان خيرات الدنيا خيسية حقيرة وان خيرات الآخرة عالية رفيعة لان خيرات الدنيا خيسية وخيرات الآخرة عقلية والعقلية أشرف من الحسية بكثير بالدلائل المذكورة في تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض في بيان ان الادراكات العقلية أفضل من الحسية واذا كان كذلك كان مجموع السعادات العقلية والحسية هي السعادات الاخرية فوجب أن تكون أفضل من السعادات الحسية الدنيوية والله اعلم والمفسرون ذكروا في الباقيات الصالحات أقوالا قيل انها قولنا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولشيوخ الفرائي رحمهم الله في تفسير هذه الكلمات وجه لطيف فقال روي ان من قال سبحان الله حصل له من الثواب عشر مرات فاذا قال والحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فاذا قال والله اكبر صارت أربعين قال وتحقيق القول فيه ان أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق في معرفة الله وفي محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه سبحانه منزها عن كل ما لا ينبغي فحصل هذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة كاملة فاذا قال مع ذلك والحمد لله فقد أقر بأن الحق سبحانه مع كونه منزها عن كل ما لا ينبغي فهو المبدأ لأفاده كل ما لا ينبغي ولا فائضة كل خير وكل قد تضاعف درجات المعرفة فلا جرم قلنا تضاعف الثواب فاذا قال مع ذلك ولا اله الا الله فقد أقر بأن الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي فهو المبدأ لكل ما ينبغي وليس في الوجود موجود هكذا الا الواحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة فلا جرم صارت درجات الثواب ثلاثة فاذا قال والله اكبر معناه انه اكبر وأعظم من أن يصل العقل الى كنهه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة أربعة لا جرم صارت درجات الثواب أربعة (والقول الثاني) ان الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس (والقول الثالث) انها الطيب من القول كإكمال تعالى وهدوا الى الطيب من القول (والقول الرابع) ان كل عمل وقول دعاك الى الاشتغال بمعرفة الله وبمحبته وخدمته فهو الباقيات الصالحات وكل عمل وقول دعاك الى الاشتغال بأحوال الخلق فهو خارج عن ذلك وذلك ان كل ماسوى الحق سبحانه فهو فان لذاته هالك لذاته فكان الاشتغال به والانبات اليه عملا باطلا وسعيضا ضاعا أما الحق لذاته فهو الباقي لا يقبل الزوال لا جرم

لمهلكم) اي عينه لا تكلم (موعدا) اي وقتا معينا لا يحد لهم عن ذلك وهذا امتشهاد على ما فعل بقریش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يفتروا

بناخر العذاب وفري بضم الميم وقبح اللام اي اهلاكم وبقيهما (واذا قال موسى) (٧٢٤) نصب باظهار فعل اي اذكر وقت

قوله عليه السلام (لفتاه) وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ في وان كان شفيها ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعد اذ كرمافي القصة من موعد الاقامة مع مافيها من سائر المنافع الجلية (لأبرح) من بروج الناص كزال يزال اي لأن لا سر في حذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذا كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يبقيه من قوله (حتى ابلغ) فان ذلك غاية تستدعي ذافاية يؤدي اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح . مسرى حاصله حق ابلغ في حذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه فيقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى تسلك ويجوز ان يكون من بروج الثام كزال يزال اي لا انفارق مانا بصده حتى ابلغ (مجمع البحرين) هو ملتقى بحرفا رس والروم مابلى المشرق وقيل طنبه وقيل هما الكر والرس بادمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كشرق (او امضى حقا) اسير زمانا طويلا اتفق معه فوات المطالب والخطب الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العريضة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصرع بني اسرائيل واستقروا بها بعده هالك القبط اسمه الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا خطبة يد بعقرت

كان الاشتغال بمعرفه الله ومحبه وطاعته هو الذي يبق بقاء لا يزول ولا يفتي ثم قال تعالى خير عند ربك ثوابا وخير املاى كل عمل اريد به وجد الله فلا شك ان ما يتعلق به من الثواب وما يتعلق به من الامل يكون خيرا وأفضل لان صاحب تلك الاعمال يؤمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة قوله تعالى (ويوم نسير الجبال وتري الارض بارزة وحشرناهم فل تغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كآل خلقنا كآول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجر من مشفقين مما فيه ويقولون يا ربنا سماه هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا ينظلم ربك أحدا) اعلم انه تعالى لما بين حساسة الدنيا وشرف القيامة أردفه بأحوال القيامة فقال ويوم نسير الجبال والمقصود منه الرد على المشركين الذين افخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والاعوان واختلفوا في الناصب لقوله ويوم نسير الجبال على وجوه (أحدها) أنه يكون التقدير واذ كرلهم يوم نسير الجبال عطا على قوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا (الثاني) انه يكون التقدير ويوم نسير الجبال حصل كذا وكذا يقال لهم لقد جئتمونا كآل خلقنا كآول مرة لان القول مضمر في هذا الموضع فكان المعنى انه يقال لهم هذا في هذا الموضع (الثالث) أن يكون التقدير خيرا أملا في يوم نسير الجبال والاول أظهر اذا عرفت هذا فنقول انه ذكر في الآية من أحوال القيامة أنواعا (النوع الاول) قوله ويوم نسير الجبال وفيه بحثان (البحث الاول) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير على فعل مالم بسم فاعله الجبال بالرفع باسناد تسيير اليه اعتبارا بقوله تعالى واذا الجبال سيرت والباقيون نسير باسناد فعل التسيير الى نفسه الجبال بالنصب لكونه مفعول نسير والمعنى نحن نفعل بها ذلك اعتبارا بقوله وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا والمعنى واحد لانها اذا سيرت فسيرها ليس الا الله سبحانه ونقل صاحب الكشف قراءة أخرى وهي تسيير الجبال باسناد تسيير الى الجبال (البحث الثاني) قوله ويوم نسير الجبال ليس في لفظ الآية ما يدل على انها الى أين تسيير فيحتمل أن يقال انه تعالى يسيرها الى الموضع الذي يريد ولم يبين ذلك الموضع خلقه والحق ان المراد انه تعالى يسيرها الى العدم لقوله تعالى وبسئلوكم عن الجبال قتل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا وقوله وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا (والنوع الثاني) من أحوال القيامة قوله تعالى وتري الارض بارزة وفي تفسيره وجوه (أحدها) انه لم يبق على وجهها شئ من العمارات ولا شئ من الجبال ولا شئ من الاشجار فبقت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يستترها وهو المراد من قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمنا (وثانيها) ان المراد من كونها بارزة انها أبرزت مافي بطنها وقذفت الموق المقبورين فيها فهي بارزة الجوف والبطن فيحذف ذكر الجوف ودليله قوله تعالى وألقنا ما فيها ونخلت وقوله وأخرجت الارض أنفاسها وقوله وبرزوا لله جميعا (وثالثها) ان وجوه الارض كانت مستورة بالجبال والبحار

في القلوب وذرفت الميون فقالوا له من اعلم الناس قال ناقضت الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فأوحى اليه بل اعلم (فلما)

منك عبدل جمع البحرين وهو الحضر عليه (٧٢٥) السلام وكان في أيام الفريديون قبل موسى عليه السلام وكسبني على

فلما افنى الله تعالى الجبال والبحار فقد برزت وجوه تلك البقاع بعد ان كانت مستورة (والنوع الثالث) من احوال القيامة قوله وحشرناهم فلم تغادر منهم احدا والمعنى جعناهم للحساب فلم تغادر منهم احدا اى لم نترك من الاولين والآخرين احدا الا وجعناهم لذلك اليوم ونظيره قوله تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ومعنى لم تغادر لم تترك يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه القدر ترك الوقوف ومنه القدير لانه ما تركه السيول ومنه سميت ضفيرة المرأة بالقدير لانهما تجعلها خلفها ولما ذكر الله تعالى حشر الخلق ذكر كيفية عرضهم فقال وعرضوا على ربك صفا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) في تفسير الصف وجوه (احدها) انه تعرض الخلق كلهم على الله صفا واحدا ظاهرين بحيث لا يتجسس بعضهم بعضا قال انفعال ويشبه ان يكون الصف راجعا الى الظهور والبروز ومنه اشتق الصفصف للصخر (وثانيها) لا يبعد ان يكون الخلق صفوفا يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله صفا صفوفا كقوله يخرجكم طفلا اى اطفالا (وثالثها) صفا اى قياما كما قال تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف قالوا قياما (المسئلة الثانية) قالت المشبهة قوله تعالى وجابر بك والملك صفا صفا بل على انه تعالى يحضر في ذلك المكان وتعرض عليه اهل القيامة صفا وكذلك قوله تعالى لقد جئتونا بدل على انه تعالى يحضر في ذلك المكان واجيب عنه بانه تعالى جعل وقوفهم في الموضع الذي يسألهم فيه عن اعمالهم وبحاسنهم عليها عرضا عليه لاهل الله تعالى يحضر في مكان وعرضوا عليه ليراهم بعد ان لم يكن يراهم ثم قال تعالى لقد جئتونا كما خلقناكم اول مرة وليس المراد حصول المساواة من كل الوجوه لانهم خلقوا صغارا ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد انه قال للشر كين المنكرين للبعث المتفخرون في الدنيا على قراء المؤمنين بالاموال والانصار لقد جئتونا كما خلقناكم اول مرة عراة حفاة بغير اموال ولا اعوان ونظيره قوله تعالى لقد جئتونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتهم ما خلوناكم ورا ظهوركم وقال تعالى افرأيت الذى كفر باياتنا وقال لا تؤتينا مالا ولدا الى قوله وبأيتنا فردا ثم قال تعالى بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اى كنتم مع التعزز على المؤمنين بالاموال والانصار تذكرون البعث والقيامة قالان قد تركتم الاموال والانصار في الدنيا وشاهدتم ان البعث والقيامة حق ثم قال تعالى ووضع الكتاب والمراد ان يضع في هذا اليوم كتاب كل انسان في يده اما في اليمين او في الشمال والمراد الجنس وهو مصنف الاعمال وترى المجرمين مشفقين بما فيه اى خاشعين بما في الكتاب من اعمالهم الخبيثة وخائفين من ظهور ذلك لاهل الموقف فينتصرون وبالجملة يحصل لهم خوف العقاب من الحق وخوف الفضيحة عند الخلق ويقولون يا ويلتنا نادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وهي عبارة عن

مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأتى عبادك اقصى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأتى عبادك اعلم قال الذى يشقى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى اوردته عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم منى فدنى عليه قال اعلم منك الحضر قال ابن المطهري قال على ساحل البحر عند الضفيرة قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكنث فحيمسا فقدرته فوهنك فأخذ حوتا فبعه في مكنث فقال لفتاه اذا قد قد الحوت فأخبرني فذهب عيشاني (فلما بلغا) الغاء فضيحة كاشير اليه (جمع بينهما) اى يجمع البحرين وينتصا طرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل (نسبا حوتيهما) الذى جعل فقد انه اماره وجدان المطلوب اى نسبنا فقد اسره وما يكون منه وقيل نسى يوشع ان يقدمه موسى عليه السلام ان يأمر فيه بشئ روى التهامي لما بلغا جمع البحرين وفيه الضفيرة وعين الحياة لئلا يصيب ماؤها ميتا الاحيى وضعا رؤسها على الضفيرة فناما لما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا اكلامه وكان ذلك بعدما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل تروضا عليه السلام من تلك العين فانقض الماء على الحوت فحاش فوقع في الماء (فاخذت سبله في البحر سرا) اسلكا كاسر به وهو النفق قيل امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطافى عليه مجرمة موسى او لتضر عليها السلام وانتصا سريا على انه مفعول ثان

لاتخذ وفي البحر حال منه اومن السيل ويجوز ان (٧٢٦) يتعلق باتخذ (فلما جاوزا) اي بجم البحرين الذي جعل موعدا للالقاء

قبل الدجا وسار الليلة والغدالي
الظهر والقي على موسى عليه
السلام الجوع فعند ذلك (قال
لفناء آتانا غدانا) اي ما تفدى
به وهو الموت كما يفتي عنه
الجواب (لقد لقينامن سفرنا هذا)
اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة
الموعد (نصبا) تعبنا واعيانا
قيل لم ينصب ولم يجمع قبل ذلك
والجثة في عمل التحليل للامر
بإتاء الفداء اما باعتبار ان
النصب انما يعتري بسبب الضعف
الناتج عن الجوع واما باعتبار
ما في آتاء الفدى من استراحة ما
(قال) اي فناء عليه السلام
(ارايت اذ اوبنا الى الصخرة)
اي التهيأ اليها واقام عندها
وذكر الالوه اليها مع ان المذكور
فيما سبق مرتين بلوغ جميع البحرين
لزيادة تعيين محل الحادثة فان
الجمع محل متسع لا يمكن تحقيق
المعاد المذكور بنسبة الحادثة
اليه ولتهيئ الصدر فان الالوه
اليها والنوم عندها مما يؤدي الى
النسيان عادة والرؤية مستمرة
للمعرفة السامة والمباشرة
الكاملة ومراده بالاستفهام
تجيب موسى عليه السلام بما
اعتراه هناك من النسيان مع
كون ما شاهده من العظام التي
لا تنكاد تنسى وقد جعل فائدته
علامة لوجدان المطلوب وهذا
اسلوب معتاد فيما بين الناس
يقول احدهم لصاحبه اذ انابه
خطب ارايت ما اتى بربك بذلك
تهويله وتجبب صاحبه منه وانه
مما لا يهدو قومه لا استغبار من
عن ذلك كما قيل والمعول محذوف
اعتقاد على ما يدل عليه من قوله
عز وجل (فاني نسيت الحوت)
وقية تأكيده لتجبب وترية لاستعظام
النسيان وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الفداء (فذا)

عز وجل (فاني نسيت الحوت) وقية تأكيده لتجبب وترية لاستعظام النسيان وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الفداء (فذا)

معناه المأمور باتباعه للتبنيه من اول الامر انه على اليس (٧٢٧) من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ماشاهده ليس من قبيل الاحوال

ذبا ومصيبة فهذا هو الضبط ۞ قوله تعالى (واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فمجدوا
الابليس كان من الجن ففسق عن امرربه افتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم
عدو بئس للظالمين بدلا ما شهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت
متخذ المصلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوههم فلم يستجيبوا لهم
وجعلنا بينهم وبينهم وبينهم موبقوا رآى الجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا
وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان المقصود من ذكر الآيات المتقدمة الرد على القوم
الذين افتخروا بأموالهم واعوانهم على فقراء المسلمين وهذه الآية المقصود من ذكرها
عين هذا المعنى وذلك لان ابليس اتمانكبر على آدم لانه افتخر بأصله ونسبه وقال خلقتنى
من نار وخلقته من طين فأتانا شرف منه فى الأصل والنسب فكيف اسجدوا كيف أتواضع
لهو هؤلاء المشركون عاملوا فقراء المسلمين بعين هذه المعاملة فقالوا كيف تجلس مع هؤلاء
الفقراء مع اتان من انساب شريفة وهم من انساب نازلة ونحن اغنياء وهم فقراء فآله
تعالى ذكر هذه القصة ههنا لينبها على ان هذه الطريقة هى بعينها طريقة ابليس ثم انه
تعالى حذر عنها عن الاقتداء بها فى قوله افتخذونه وذريته اولياء فهذا هو وجه النظم
وهو حسن معتبر وذكر القاضى وجها آخر فقال انه تعالى لما ذكر من قبل امر القيامة
وما يجرى عند الحشر ووضع الكتاب وكان تعالى يريد ان يذكر ههنا انه نادى المشركين
ويقول لهم ان شركائى الذين زعمتم وكان قد علم تعالى ان ابليس هو الذى يحمل الانسان
على اثبات هؤلاء المشركاء لاجرم قدم قصته فى هذه الآية اتاما لذلك الفرض ثم قال
القاضى وهذه القصص وان كان تعالى قد ذكرها فى سور كثيرة الا ان فى كل موضع منها فائدة
مجددة (المسئلة الثانية) انه تعالى بين فى هذه الآية ان ابليس كان من الجن والناس
فى هذه المسئلة ثلاثة اقوال (الاول) انه من الملائكة وكونه من الملائكة لانما كونه
من الجن ولهم فيه جوه (الاول) ان قبلة من الملائكة يسعون بذلك لقوله تعالى وجعلوا
بينه وبين الجنة تسبا وجعلوا لله شركاء الجن (الثانى) ان الجن سموا جنا للاستتار
والملائكة كذلك فهم داخلون فى الجن (الثالث) انه كان خازن الجنة ونسب الى الجنة
كقولهم كوفى وبصرى وعن سعيد بن جبیر انه كان من الجنانيين الذين يعملون فى الجنان
حتى من الملائكة يصوغون حلبة اهل الجنة مذخلقوا رواه القاضى فى تفسيره عن
هشام عن سعيد بن جبیر (والقول الثانى) انه من الجن الذين هم الشياطين والذين
خلقوا من نار وهو أبوه (والقول الثالث) قول من قال كان من الملائكة ففسح وغير
وهذه المسئلة قد احكمناها فى سورة البقرة واصل ما بدل على انه ليس من الملائكة انه
تعالى اثبت له ذرية وتسل فى هذه الآية وهو قوله افتخذونه وذريته اولياء من دونى
والملائكة ليس لهم ذرية ولانسل فوجب ان لا يكون ابليس من الملائكة بقى ان يقال
ان الله تعالى امر الملائكة بالسجود فلو لم يكن ابليس من الملائكة فكيف تناوله ذلك
محدوف اصله نفيه اى نفيه لكونه امامة للفوز بالبر (فارتدا) اى رجعا (على آثارهما) طر

يقسمان فصلا اى يقعان آثارهما اتباعا او مقتضين حتى آتيا (٧٢٨) العنصرة (فوجدا عبادنا) التكرير للتفخيم والاضافة

الامر وايضا لولم يكن من الملائكة فكيف يصح استشاؤهم منهم وقد اجبنا عن كل ذلك بالاستقصاء ثم قال تعالى فسق عن امره وفي ظاهره اشكال لان الفاسق لا يسق عن امره بل هذا السبب ذكروافيه وجوها (الاول) قال الفراء فسق عن امره اى خرج عن طاعته والعرب تقول فسقت الرطبة من فشرها اى خرجت وسميت الفأرة يوسفه لخروجها من حجرها من البابين وقال رؤبة

يهون في نجد وغور غارنا * فوامقاعن قصدها جوارنا

(الثانى) حكي الزجاج عن الخليل وسيبويه انه قال الامر ففصى كان سبب فسقه هو ذلك الامر والمعنى انه لو لاذلك الامر السابق لما حصل الفسق فلاجل هذا المعنى حسن ان يقال فسق عن امره (الثالث) قال قطرب فسق عن امره رده كقوله واسئل القرية واسئل العير قال تعالى أفنتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المفسود من هذا الكلام ان ابليس تكبر على آدم وترفع عليه لما ادعى ان اصله اشرف من اصل آدم فوجب ان يكون هو اشرف من آدم فكانه تعالى قال لا واثك الكافرين الذين افترضوا على قراء المسلمين بشرف نسبهم وعلوه نصبهم انكم في هذا القول اقتديتم بابليس في تكبره على آدم فلما علمت ان ابليس عدو لكم فكيف تقتدون به في هذه الطريقة المذمومة هذا هو تقرير الكلام فان قيل ان هذا الكلام لايمحى الابايات مقدمات (فأولها) اثبات ابليس (وثانيها) اثبات ذرية ابليس (وثالثها) اثبات عداوة بين ابليس وذريته وبين اولاد آدم (ورابعها) ان هذا القول الذى قاله اولئك الكفار اقتدوا فيه بابليس وكل هذه المقدمات الاربعة لا سبيل الى اثباتها الا بقول النبي صلى الله عليه وسلم فاجاهل بصديق النبي جاهل بها اذا عرفت هذا فقول المخاطبول بهذه الآيات هل عرفوا كون محمد نبيا صادقا او ما عرفوا ذلك فان عرفوا كونه نبيا صادقا قبلوا قوله في كل مايقوله فكلمناهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن قول انتهوا عنه وحينئذ فلا حاجة الى قصة ابليس وان لم يعرفوا كونه نبيا جاهلوا كل هذه المقدمات الاربعة ولم يعرفوا صحتها فحينئذ لا يكون في ارادها عليهم فائدة والجواب ان المشركين كانوا قد سمعوا قصة ابليس وآدم من اهل الكتاب واعتقدوا صحتها وعلموا ان ابليس اتما تكبر على آدم بسبب نسيه فاذا وردنا عليهم هذه القصة كان ذلك زاجرا لهم عما اظهروه مع قراء المسلمين من التكبر والترفع (المسئلة الثانية) قال الجبائى في هذه الآية دلالة على انه تعالى لا يريد الكفر ولا يخلفه في العباد او اراده وخلقه فيهم فاقبه عليه لكان ضررا بابليس اقل من ضرر الله عليهم فكيف يؤخجم بقوله بس للظالمين بدلا تعالى الله عنه علوا كبيرا بل على هذا المذهب لا ضرر البتة من ابليس بل الضرر كله من الله والجواب المعارضة بالداعى والعلم (المسئلة الثالثة) اتما قال للكفار المتكفرين بأنسابهم واموالهم على قراء المسلمين أفنتخذون ابليس وذريته اولياء من دون الله لان

للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بلعين ملكان وقيل اليس وقيل الياس عليهم الصلاة والسلام (آيتاه رجعة من عدتنا) هى الوحى والنبوة كما يقهر به تكبير الرجعة واختصاصها بجناب الكبرياء (وعلمناه من لدنا علما) خاصا لا يكتنه كنه ولا يقادر قدره وهو لم ليوب (قال له موسى) استثناف مبني على سؤال فشا من السياق كأنه قيل فاذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى (هل اتيتك على ان لعنان) استثنا انما في اتباعه له على وجه التعليل (معاملت رشدا) اى علما زار شدا رشده في ديني والرشدا صابة تلويقوى بفتعتين وهو مفسول تعليل ومفعول علمت مذكوف وكلاهما منقول من علم المتدلى الى المفعول واحد ويجوز كونه علة لا يتك او مصدر باختيار فله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب نبى يقان يتعلم من نبى آخر ما لا تلقى له بأحكام شريعتهم من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام (قال) اى الخضر (انك لن تستطيع معى صبرا) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كما نفي عمال الصبح ولا يستقيم وعلاه بقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا) ايذا نا بأنه يتولى امورا خفية المدار منكثرة الظواهر والرجل الصالح لاسيا صاحب الشريعة لا يثاق ان يشتر عند مشاهدتها وفي صحيح البخارى قال الخضر يا موسى اى على علم من علم الله تعالى عليه لانه على و انت على علم من علم الله ملكه الله

لا يعلمه وخبر اعتمز اى لم يحط به خبرك (قال) موسى عليه الصلاة والسلام (سجدنى) (الداعى)

ان شاء الله صابرا) معك غير مترض عليك وتوسيط (٧٢٩) الاستثناء بين مفعول الوجدان الكمال الاعتناء باليتين ولذا يتوهم تعلقه بالصبر

(ولا اعصى لك امرا) عطف

على صابرا اى يستدنى صابرا

وغير عاص وفى وعد هذا

الوجدان ان من المبالغة ما ليس

فى الوعد بنفس الصبر وترك

الصبيان او على سجدتى فلا

محل له من الاعراب والاول هو

الاولى لما عرفته وظهرت تعلقه

بالاستثناء حينئذ وفيه دليل

على ان افعال العباد بمشيئة

الله سبحانه وتعالى (قال فان

اجبتى) اذن له فى الاتباع بعد

التبعية والتالى والفاء لتفريع

الشريعة على ماس من التزام

موسى عليه الصلاة والسلام

لصبر والطاعة (فلا تسأنى عن

شيء) تشاهده من افعالى اى

لاتفتحن بالسؤال عن حكمته

فضلا عن المناقشة والاعتراض

(حتى احدث لك منه ذكرا) اى

حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايدان

بأن كل ما صدر عنه فله حكمة

وغاية حيدة التيقن وهذا من ادب

المسلم مع العالم والتابع مع

التبرع وقرى فلا تسأنى بالذن

المشقة (فانطقا) اى موسى

والخضر عليهما الصلاة والسلام

على الساحل يطلبان السفينة

واما يوشع فقد صرفه موسى عليه

الصلاة والسلام الى بنى اسرائيل

قيل انهما مرابضيت فكلما

اهلها عرفوا انظر لعدولهما

بغير نول (حتى اذا ركبا فى السفينة

استعمال الركوب فى امثال هذه

المواقف بكلمة فى مع تجرد مدعها

فى مثل قوله عز وجل لذكروها

وزينة على ما يقتضيه تديبه نفسه

لما اشرنا اليه فى قوله تعالى وقال

اركبوها فيها لا لما قيل من ان فى

الداعى لهم الى ترك دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الخوة واظهار العجب فهذا يدل على
ان كل من اقدم على عمل او قول بئادى هذا الداعى فهو متبع لابلوس حتى ان من كان
غرضه فى اظهار العلم والمناظرة التفاخر والتكبر والرفع فهو مقتد بابلوس وهو مقام
صعب غرق فيه اكثر الخلق فنسأل الله الخلاص منه ثم قال تعالى بئس للظالمين بدلا اى
بئس البديل من الله بابلوس لمن استبدله به فطاعه بدل طاعته ثم قال ما اشهد تهم خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) اختلفوا فى
ان الضمير فى قوله ما اشهد تهم الى من يعود فيه وجوه (احدها) وهو الذى ذهب اليه
الاكثرون ان المعنى ما اشهدت الذين اتخذتموه اوليه خلق السموات والارض
ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله اقلوا انفسكم يعنى ما اشهدتكم لا عند بعضهم والدليل
عليه قوله ما كنت متخذ المضلين عضدا اى وما كنت متخذهم فوضع الظاهر موضع المضمر
يانا لاضلالهم وقوله عضدا اى اعوانا (وثانيها) وهو اقرب عندى ان الضمير عائد الى
الكفار الذين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ان لم تطرد من مجلسك هؤلاء الفقراء لم نؤمن
بك فكأنه تعالى قال ان هؤلاء الذين اتوا بهذا الاقتراح الفاسد والتعنت الباطل ما كانوا
شركاءى فى تدبير العالم بدليل قوله تعالى ما اشهد تهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم ولا اعتضدت بهم فى تدبير الدنيا والآخرة بل هم قوم كسار الخلق فلم اقدموا على
هذا الاقتراح الفاسد ونظيره ان من اقترح عليك اقتراحات عظيمة فالتك قول له لست
بسلطان البلد ولا ذرية المملكة حتى تقبل منك هذه الاقتراحات الهائلة فلم تقدم عليها
والذى يؤكدها ان الضمير يجب عوده الى اقرب المذكورات وفى هذه الآية المذكورة
الاقرب هو ذكر اولئك الكفار وهو قوله تعالى بئس للظالمين بدلا والمراد بالظالمين اولئك
الكفار (وثالثها) ان يكون المراد من قوله ما اشهد تهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم كون هؤلاء الكفار جاهلين بما جرى به القلم فى الازل من احوال السعادة
والشقاوة فكانه قيل لهم السعيد من حكم الله بسعادته فى الازل والثقى من حكم الله
بشقاوته فى الازل وانتم غافلون عن احوال الازل كانه تعالى قال ما اشهد تهم خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم واذا جهلتم هذه الحالة فكيف يمكنكم ان تحكموا
لانفسكم بالافعة والعلو والكمال ولغيركم بالدناءة والذل بل بما صار الامر فى الدنيا والآخرة
على العكس فيما حكمتم به (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشف قرئ وما كنت بالقبح
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صحت الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان
تعترض بهم وقرأ على رضوان الله عليه متخذ المضلين بالتثنية على الاصل وقرأ الحسن عضدا
بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالقبح وسكون الضاد وعضدا بضمين
وعضدا بفتحين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه وأعانه
واعلم انه تعالى لما قرر ان القول الذى قالوه فى الافتقار على الفقراء اقتداء بابلوس عاد

ركوبها معى الدخول (خرقها) اذ قيل خرقها (٩٢) (را) (خا) بعدما لم يجوا حيث اخذ فاسا قطع من الارحام الوحيين مما يلى الماء فعد ذلك

(قال) موسى عليه السلام (اخرجتها لتفرق اهلها) من الاغراق وتري (٧٣٠) بالتشديد من التعريق وليفرق اهلها من الثلاثي (لقد

بعده الى التهويل باحوال يوم القيامة فقال ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم وفيه
ابحاث (البحث الاول) قرأ حجة نقول بالنون عطف على قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم واولياءه من دوني وما اشهدتهم خلق السموات والارض وما كنت متخذ المضلين
عضدا والباقيون قرؤا بآله (البحث الثاني) واذ كر يوم نقول عطف على قوله واذ قلنا
للملائكة اسجدوا (البحث الثالث) المعنى واذ كر لهم بالحمد احوالهم وحوال آلهتهم يوم
القيامة اذ يقول الله لهم نادوا شركائي اى ادعوا من زعمتم انهم شركاءى حيث اهلنهم
للعادة ادعوهم يشفعوا لكم وينصروكم والمراد بالشركاء بالجن فدعوههم ولم يذ كر تعالى
في هذه الآية انهم كيف ادعوا الشركاء الا انه تعالى بين ذلك في آية اخرى وهو انهم قالوا انا
كنالكم تعافهل اثم مغفور عنا ثم قال تعالى فلم يستجيبوا لهم اى لم يجيبوه الى مادعوههم
اليه ولم يدعوا عنهم ضررا وما اوصلوا اليهم نفعا ثم قال تعالى وجعلنا بينهم موقفا وفيه
وجوه (الاول) قال صاحب الكشف الموقى المهلك من وبقى ببق وبوقا وبقاوا هلك
وأوبقه غيره فيحوز ان يكون مصدرا كالمرور والموعد وتقرر هذا الوجه ان يقال ان
هؤلاء المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة كالملائكة وعيسى دعوا هؤلاء فلم
يستجيبوا لهم ثم حيل بينهم وبينهم فادخل الله تعالى هؤلاء المشركين جهنم وادخل عيسى
الجنة وصار الملائكة الى حيث اراد الله من دار الكرامة وحصل بين اولئك الكفار
وبين الملائكة وعيسى عليه السلام هذا الموقى وهو ذلك الودى في جهنم (الوجه
الثاني) قال الحسن موقفا اى عداوة والمعنى عداوة هى في شدتها هلاك ومنه قوله لا يكن
حبك لكفا ولا يفضك تلقا (الوجه الثالث) قال الفراء البين الموصلة اى جعلنا مواصلة لهم
في الدنيا هلاكاً في يوم القيامة (الوجه الرابع) الموقى البرزخ البعيد اى جعلنا بين هؤلاء
الكفار وبين الملائكة وعيسى برزخا بعيدا يهلك فيه السارى لفرط بعده لانهم في
قمر جهنم وهم في اعلى الجنان ثم قال تعالى ورأى الجرمون النار فظنوا انهم واقعوها
وفي هذا الظن قولان (الاول) ان الظن ههنا بمعنى العلم واليقين (والثاني) وهو الاقرب
ان المعنى ان هؤلاء الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنون انهم واقعوها في
ثلث الساعة من غير تأخير ومهلة لشدة ما يسمعون من نفيظها ويزفوها كما قال اذا رأيتم
من مكان بعيد سموها نفيظا ويزفوها وقوله واقعوها اى مخالطوها فان مخالطة الشيء
لغيره اذا كانت قوية تامة يقال لها واقعة ثم قال تعالى ولم يجدوا عناء مصرقاى لم يجدوا
عن النار معدلا الى غيرها لان الملائكة تسوقهم اليها * قوله تعالى (ولقد صرفنا
في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شئ جدلا ومانع الناس ان
يؤمنوا انجاهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين اويأتهم العذاب
فتلا ما ترسل المرسلين الامبرشرين ومنذرين ويحادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به
الحق واتخذوا اياتى وما تنذروا هزوا) اعلم ان اولئك الكفرة لما اقتضوا على قراء المسلمين

جنت) أثبت وفعلت (شيئا اسرا)
اى عظيما هائلا من امر الاسر
اذ اعظم قيل الاصل امرأ
فيخفف (قال) اى الخطر عليه
السلام (لم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا) تذكيرا له بانه مناسبه
ولقوله من قبل وتحقق لمعونه
متضمن للانكار على عدم الوفاء
بوعده (قال لا تأخذني باليسئ)
بسيئ اى بالذى نسبته اوبشئ
نسبته وهو وصيته بأن لا يسأله
عن حكمته مصدر عنه من الافعال
التي فيها الاسباب قبل بيانه اراد
انه لى وصيته ولا مؤاخذه على
الناسى كآورد في صحيح البخارى
من ان الاول كان من موسى
نبياً واخرج الكلام في معرض
النهي عن المؤاخذه بالنسيان
يوهمه انه قد نسى ليطاعه
في الانكار وهو من معاريف
الكلام التى يتق لها الكذب
مع التوصل الى الغرض او اراد
بالنسيان التردى لا تأخذني
بما تركت من وصيتك اول مرة
(ولا تهقني) اى لا تقضى
ولا تخملي (من اسرى) وهو
اتباعه اياه (عسرا) اى لا تعسر
على متا بعتك ويبرها على
بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ
عسرا بفتحين (فانطلقا) الفاء
فصيحة اى قبل عذره فسر جانبا
السفينة بالانطلاق (حتى اذا قلنا
غلاما قتلته) قيل كان الغلام
يلسع اللسان فقتل عتقه وقيل
ضرب برأسه الحائط وقيل اجمعه
فذهب بالسكين (قال) اى
موسى عليه الصلاة والسلام
(اقلنت نفسا زكية)
من الذنوب وقرئ زاكية
(ديوفس) اى بغير قتل نفس

عمره ومخصيص نفى هذا الجمع الذى ذكر من بين سائر المحطات من الكفر بعد الايمان والزيادة الاحسان لانه الاقرب الى الوقوع (بكرة)

نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم يجعل (٧٣١) ماصدر عن الخضر عليه الصلاة والسلام ههنا من جهة الشرط و ابراز ماصدر

عن موسى عليه الصلاة والسلام
في مرض الجزاء المقصود اغادته
مع الحقيق بذلك انما هو ماصدر
عن الخضر عليه الصلاة والسلام
من الخوارق البديعة لاستشراف
النفس الى وود خبرها لقلة
وقوعها في نفس الامر وندرة
وصول خبرها الى الازدهان
ولذلك روعيت تلك النكتة
في الشرطية الاولى لما ان صدور
الخوارق منه عليه الصلاة
والسلام خرج بوقوعه مرة يخرج
المادة فالصرفت النفس عن ترقبه
الى ترقب احوال موسى عليه
الصلاة والسلام هل يحافظ على
مراعاة شرطه بموجب وعده
الا كيد عند مشاهدة خارق آخر
او يسارع الى المناقشة كما مر في
المرات الاولى فكان المقصود اعادة
ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام
فقل ما قلل وقلة در شأن التنزيل
واما ما قيل من ان القتل اقيم
والاعتراض عليه ادخل فكان
جديرا بان يجعل عدة في الكلام
فليس من دفع الشهية في شيء بل
هو مؤيد لها فان كون القتل اقيم
من مبادئ قلة صدور عن المؤمن
الماعل وندرة وصول خبره الى
الاسماع وذلك بحال في جبهه
مقصود الذات وكون الاعتراض
عليه ادخل من موجبات كثرة
صدوره عن كل عاقل وذلك بما
لا يقتضي جعله كذلك (لقد جئت
شيئا نكرا) قيل معناه انكر من
الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن
تداركه الاول بالسد و نحوه وقيل
الامر اعظم من النكر لان قتل
نفس واحدة اهون من افراق
اهل السفينة (قال الما قبل لك
انك لن تستطيع معي صبرا) زيدك

بكثرة اموالهم واتباعهم وبين تعالى بالوجوه الكثيرة ان قولهم فاسد وشبههم باطله وذكر
فيه التلبيح المتقدمين قال بعده ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وهو اشارة
الى ما سبق والتصريف يقتضى التكرير والامر كذلك لانه تعالى اجاب عن شبههم التي
ذكروها من وجوه كثيرة ومع تلك الجوابات الشافية والامثلة المطابقة فهو لا لكفار
لا يتركون المجادلة الباطلة فقال وكان الانسان اكثر شيء جدلا اي اكثر الاشياء التي تأتي
منها الجدل وانتصاب قوله جدلا على التخيير قال بعض المحققين والآية دالة على ان الانبياء
عليهم السلام جادلوه في الدين حتى صاروا هم مجادلين لان المجادلة لا تحصل الا من الطرفين
وذلك يدل على ان القول بالتقليد باطل ثم قال وامنع الناس ان يؤمنوا انجاهم الهدى
ويستغفروا ربهم وفيه بحثان (البحث الاول) قالت المعتزلة الآية دالة على انه لم يوجد
ما يمنع من الاقدام على الايمان وذلك يدل على فساد قول من يقول انه حصل المانع قال
اصحابنا العلم بانه لا يؤمن بمضاد لوجود الايمان فاذا كان ذلك العلم قائما كان المانع
قائما وايضا حصول الداعي الى الكفر قائم والا لما وجب لان الفعل الاختياري بدون
الداعي محال ووجود الداعي الى الكفر مانع من حصول الايمان واذ ثابت هذا ظهر ان
المراد مقدار الموانع المحسوسة (البحث الثاني) المعنى انه لما جاءهم الهدى وهو الدليل
الدال على صحة الاسلام وثبت انه لا مانع لهم من الايمان ولان الاستغفار والتوبة والتعجيل
حاصلة والاعذار زائلة فلم لم يقدموا على الايمان ثم قال تعالى الان ان تأتيتهم سنة الاولين
وهو عذاب الاستئصال او يأتيتهم العذاب قبل فارجزة وعاصم والكسافي قبل
بضم القاف والباء جميعا وهو جمع قيل بمعنى ضروب من العذاب تتواصل مع كونهم
احياء وقبل مقابلة وحيانا والباقيون قبل ان يكسر القاف وقبح الباء اي عيانا ايضا وروى
صاحب الكشف قبل بفتحين اي مستقبلا والمعنى انهم لا يقدمون على الايمان الا
عند نزول عذاب الاستئصال فهل كوا او ان تواصل انواع العذاب والبلاء حال
بقائهم في الحياة الدنيا واعلم انهم لا يقدمون على الايمان الا على هذين الشرطين
لان العاقل لا يرضى بحصول هذين الامرين الان حالهم شيه محال من وقف العمل
على هذين الشرطين ثم بين تعالى انه انما ارسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة
ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين مع هذه الاحوال انه يوجد من
الكفار المجادلة بالباطل لفرض دعوى الحق وهذا يدل على ان الانبياء كانوا يجادلونهم
لمسايقنا ان المجادلة انما تحصل من الجانبين وبين تعالى ايضا لهم اتخذوا ايات الله وهي
القرآن وانذارات الانبياء هزوا وكل ذلك يدل على استيلاء الجهل والقسوة قال الصوريون
ما في قوله وما نذروا يجوز ان تكون موصولة ويكون العائد من الصلة مخدوفا ويجوز
ان تكون مصدرية بمعنى انذارهم قوله تعالى (ومن اعظم عن ذكر بآيات ربه فأعرض
عنهن ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرأوا

زليلة الكفاية بالعتاب على رفض الوصية وقلة الثبوت والصبر لا تكرر منه الاستحذاء والاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى زاد

في النكري في المرة الثانية (قال) اي موسى عليه الصلاة والسلام (ان سألتك عن شيء) (٧٣٢) بعدها اي بعد هذه المرة (فلا تصاحبي) وقرئ

تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا بدا ورك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسوا لعلمهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظنوا وجعلنا لمهلكهم موعدا اعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار جد لهم بالباطل وصفيهم بعده بالصفات الموجبة للخزي والخذلان (الصفة الاولى) قوله ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه اي لا ظلم اعظم من ترد عليه الآيات والبينات فيعرض عنها وينسى ما قدمت بدها اي مع اعراضه عن التأمل في الدلائل والبينات ينسى ما قدمت بدها من الاعمال المتكرة والمذاهب الباطلة والمراد من النسيان التشاغل والتغافل عن كفره المتقدم (الصفة الثانية) انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا بدوا وقد مر تفسير هذه الآية على الاستقصاء في سورة الانعام والجب ان قوله ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت بدها متمسكا بقدرية وقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الآية متمسكا بالجبرية وقلنا نجد في القرآن آية لاحد هذين الفريقين الاومعها آية للفريق الآخر والبحرنة تكشف عن صدق قولنا وما ذاك الامتحان شديد من الله تعالى القاء على عباده لتمييز العلماء الراشدين من المقلدين ثم قال تعالى ورك الغفور ذو الرحمة الغفور البليغ المغفرة وهو اشارة الى دفع المضار ذو الرحمة الموصوف بالرحمة واما ذكر لفظة المبالغة في المغفرة لافي الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار وهو تعالى قد ترك مضارا لانهاية لهم كونه قادر اعليها اما فعل الرحمة فهو متناه لان ترك ما لانهبائه له يمكن اما فعل ما لانهبائه له محال ويمكن ان يقال المراد انه يغفر كثيرا لانه ذو الرحمة ولا حاجة به اليها فيها من المحتاجين كثيرا ثم استشهد بقرئ مؤاخذة اهل مكة حاجلا من غير افعالهم مع افعالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل لهم موعد هو ما يوم القيامة واما في الدنيا هو يوم بدر وسارايام الفتح لن يجدوا من دونه موئلا منجأ ولا ملجأ يقال وآل اذا جأ ووال اليه اذا جأ اليه ثم قال تعالى وتلك القرى يريد قرى الاولين من عمود وقوم لوط وغيرهم اشار البها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باصناف الاجناس واهلكناهم خبر والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظنوا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا اي وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك او قتله وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لاهلكهم او وقت هلاكهم والموعود وقت او مصدر والمراد اننا جعلنا هلاكهم ومع ذلك لم نمنع ان نضرب به وقتا يكونوا الى التوبة اقرب قوله تعالى (واذا قال موسى لفته لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبلا بلغا مجمع بينهما نسيا حوبا فاتخذ سبيله سررا فاذا حوازا قال لفته آتانا عذانا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذا ونا الى الصخرة فاني نسيت الخوات وما لسانه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر مجا قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على

من الانفال اي لا تجعل صاحبك (قد بلغت من لدن عذرا) اي قد اعذرت ووجدت من تبتلى عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات * عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحي فقال ذلك لولبت مع صاحبه لا بصرا عجب الاعاجيب وقرئ لذي بتقيف النون وقرئ يسكون الدال كضد في عند (فاظننا حتى اذا آتيناها قرية) هي انطاكية وقيل آتاهي ابيد ارض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة باندلس * عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية ثلثا وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لان السليل حقه وقوله تعالى (استطعمها اهليا) في عمل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعمها على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشبيهم على سوء صنيعهم فان الابه من الضيافة وهم اهليا فاطنون بها ائبع واشنع روى انها طافا في القرية فاستطعماهم فظبطموهما واستخافاهم (فابر) ان يضيقوهما) بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا وانضافه وضيغه انزله وجعله ضيفا له وحققة ضاف مال اليه من مناف السهم عن الغرض وتظيره زاره من الاזורار (فوجدنا فيها جدرا يريد ان يقض) اي يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارة للدلالة على المبالغة في ذلك والانتفاض الاسراع في السقوط وهو افعال من القرض يقال قضضته فاقضض ومنه اقتضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة

الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعال من القرض كاجر من الحرة وقرئ ان يقض من القرض وان يقاض (آثارها)

من القاضات السن اذا انشقت طولاً (فأما) قيل مسحه (٧٣٣) بيده قيام وقيل تقضه وبناء وقيل اقامه بعمود عده به قبل كان سمكة

مائة ذراع (قال لو شئت
لاتخذت عليه اجرا) تحريضه
على اخذ الجمل ليتشابه او
تريضاً بأنه فضول لما في لؤم
النبي كأنه لما رأى الحرمان
ومساس الحاجة واشتغاله
بما لا يعنيه إجمالك الصبر واتخذ
اقبل من تحذ بمعنى اخذ كاسع
من تبع وليس من الاخذ عند
الصبرين وقرئ لغت اى
لا تحذت وقرئ بادغام الذال
في التاء (قال اى الحضر عليه
الصلاة والسلام) هذا فراق بيني
وبينك على اضافة المصدر
الى الطرف اتساعاً وقد قرئ على
الاصل والمشار اليه اما نفس
الفراق كافي هذا اخوك او الوقت
الحاضري هذا الوقت وقت فراق
بين وبينك او السؤال الثالث اى
هذا بسبب ذلك الفراق حسابه
الموعود (سأنبئك) السنين للتأكيد
لعدم تراخي التنبئة (تأويل مالم
تستطع عليه صبراً) التأويل يرجع
الشيء الى ما له والمراد به هنا
المال والعاقبة اذ هو المتأهب
دون التأويل وهو خلاص
السفينة من اليد العادية
وخلص ابوي الغلام من شره
مخ الفوز بالبدل الاحسن
واستخراج البتة من الكفر في جعل
صلة الوصول عدم استطاعة
موسى عليه الصلاة والسلام
للصبر دون ان يقال بتأويل
ما فلت اوتيا ويل ما رأيت
ونحوها نوع تعرض به عليه
الصلاة والسلام وعاب (اما
السفينة) الى خرجتها (ككانت
لساكن) اضغاثاً يتقدرون على
مدافعة الخطية وقيل كانت لشرة
اخوة خسة منهم زمني وخسة
على الولكين (فأردت ان اعينها)

انارهما قصصاً) اعلم ان هذا ابتداء قصة ثالثة ذكرها الله تعالى في هذه السورة وهى ان
موسى عليه السلام ذهب الى الخضر عليه السلام ليتعلم منه العلم وهذا وان كان كلاماً
مستقلاً في نفسه الا انه يعين على ماهو المقصود في القصتين السابقتين أما نفع هذه القصة
في الرد على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والانصار فهو ان موسى
عليه السلام مع كثرة علمه وعمله وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام في حقه
ذهب الى الخضر لطلب العلم وتواضع له وذلك يدل على ان التواضع خير من التكبر وأما نفع
هذه القصة في قصة أصحاب الكهف فهو ان اليهود قالوا لكفار مكة ان أخبركم محمد عن هذه
القصة فهو نبي والافلا وهذا ليس بشيء لانه لا يلزم من كونه نبياً من عند الله تعالى أن يكون
الما بجميع القصص والوقائع كان كون موسى عليه السلام نبياً صادقا من عند الله
لم ينفع من أمر الله اياه بأن يذهب الى الخضر ليتعلم منه فظهر مما ذكرنا ان هذه القصة قصة
مستقلة بنفسها ومع ذلك فهي نافعة في تقرير المقصود في القصتين المتقدمتين (المسئلة
الثانية) أشكر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران صاحب
المجرات الظاهرة وصاحب التوراة وعن سعيد بن جبيرة قال لابن عباس ان نوحاً ابن
امراً كعب يزعم ان الخضر ليس صاحب موسى بن عمران واما هو صاحب موسى بن
ميشا بن يوسف بن يعقوب وقيل هو كان نبياً قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب
عدو الله وعلم انه كان ليوسف عليه السلام ولدان افرائيم وميشافو ولد افرائيم ثون وولد
نون يوشع بن نون وهو صاحب موسى وولى عهده بعد وفاته واما ولد ميشا قيل انه جانه
النبوة قبل موسى بن عمران ويزعم أهل التوراة انه هو الذى طلب هذا العلم ليتعلم الخضر
هو الذى خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار وموسى بن ميشامعه هذا هو قول
جمهور اليهود وأصح القول على صحة قولنا ان موسى هذا هو صاحب التوراة قال ان الله
تعالى ما ذكر موسى في كتابه الا وأراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب
الانصراف اليه ولو كان المراد شخصاً آخر سمى بموسى غيره لوجب تعريفه بصفة
توجب الامتياز وازالة الشبهة كانه لما كان المشهور في العرف من أبى حنيفة رحمه الله
الله هو الرجل المعين فلذلك ذكرنا هذا الاسم واردنا به رجلاً سواء لقيدناه مثل ان نقول قال
أبو حنيفة الدبوري * وجه الذين قالوا موسى هذا غير صاحب التوراة أنه تعالى بعد ان
أنزل التوراة عليه وكلمه بلا واسطة وحمج خصمه بالمجرات القاهرة العظيمة التي لا يفتق مثلاً
لاكثر اكابر الانبياء بعد أن بعثه بعد ذلك لتعلم الاستفادة وأجيب عنه بأنه لا يبعد ان
العالم الكامل في أكثر العلوم يحجل بعض الاشياء فيحتاج في تعلمها الى من دونه وهذا أمر
متعارف معلوم (المسئلة الثالثة) اختلفوا في فتى موسى فلا كثرون على انه يوشع بن نون
وروى القفال عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن
أبي هريرة عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول فتاه يوشع بن نون والقول

(يعلمون في البحر) واسناد العمل الى الكل حيث ذكرنا هو بطريق التليب اولان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الوكلاء (فأردت ان اعينها)

أى اجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أى امامهم وقد قرئ به أو خلفهم (٧٣٤) وكان رجوعهم عليه لأجل أنه واسمه جلدى بن كركر

وتلبل منو لى بن جلدى الأزدى
(بأخذ كل سفينة) أى سالحة وقد
قرئ كذلك (غصبا) من اصحابها
واتصبا على أنه مصدر
مبين لنوع الأخذ ولعل
تفريع ارادة تعيب السفينة
على مسكنة اصحابها قبل بيان
خوف الغصب مع ان مدارها
كل الامرين للاعتناء بشأنها
اذ هى المحتاجة الى التأويل
وللايدان بان الاقوى فى المدايرة
هو الامر الاول ولذلك لا يالى
بقليل سفن سائر الناس مع
تحقق خوف الغصب فى حقهم
ايضا ولان فى التأخير فصلا بين
السفينة وخيرها مع توهم رجوعه
الى الاقرب (واما الغلام) الذى
قتلته (فكان ابواه مؤمنين) لم يصرح
بكفرانه او بكفره اشعارا بعدم
الحاجة الى الذكر لظهور (فخشنا
ان برهقهما) فخشنا ان يغشى
الوالدين المؤمنين (طفيلنا) عليهما
وكفرا) لنعمتها بمقوقه وسوء
صنيعه ويغشى بهما شروبله
او يقرن بايمانهما طغيانهما وكفره
فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان
وطاغ كافر او يعديهما بدائه
ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه
واما خشى الخضر عليه الصلاة
والسلام منه ذلك لان الله سبحانه
اعلم بحاله واطلمه على سر امره
وقرى (فخاف ربك اى كرسجانه
كرامة من خاف سوء عاقبة الامر
فقيه ويجوز ان تكون القراءة
المشهورة على الحكاية بمعنى
ذكرهنا كقول الله تعالى لا هب
لك (فاردنا ان يبدلها ربهما
خييرا) منه بان يرزقهما
بدله ولذا خيرا (منه)

وفى الترمذى لنوعان الروبوتة والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما (زكوة) طهارة من الذنوب (عن)

والاخلاق الرديئة (واقرب رجا) اى رحمة وعطفا (٧٣٠) قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيها هدى الله تعالى على يديه امه

من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلها ابنا مؤمنا مثلهما قرئ يديهما بالتشديد وقرئ رجا يضم الحاء ايضا واتصبا على التمييز مثل زكوة (واما الجدار) المهود (فكان لغلامين يتيمين في المدينة) هي القرية المذكورة فياسق ولعل التمييز عنها بالمدينة لانهما نوع اعتداد بها باعتبار ادائها من التيقين وابيها الصالح تيل اسمها اصرم وصرم واسم المقتول جيسور (وكان تحتها كنزهما) من فضة وذهب كاري مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لن لا يؤدى زكاتها وسائر حقوقها وقيل كان لواح من ذهب مكتوبا فيه بحيت لن يؤمن بالقدر كيف يحزنه وعجبت لن يؤمن بالرزق كيف تنب وعجبت لن يؤمن بالموث كيف يفرح وعجبت لن يؤمن بالحساب كيف يفتل وعجبت لن يعرف الدنيا وتقلبها بلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل مصف فيها علم (وكان ابوهما صالحا) تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذى حفظ فيه سبعة آبار (فأراد بك) اى الملك وهدى امورك فى اضافة الرب الى خير موسى عليه الصلاة والسلام دون صغيرهما تنبيه له عليه الصلاة والسلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع مجبها من الامور المذكورة (ان يلبغا اشدهما) اى جملهما وكال رأيهما (ويستفرحا

عن النسي عبارة عن تركه والاعراض عنه يقال زال فلان عن طريقته فى الجود اى تركها فقوله لا ابرح بمعنى لا ازول عن السبيل والذهاب بمعنى لا اترك هذا العمل وهذا الفعل واقول المشهور عند الجمهور ان قوله لا ابرح معناه لا ازول والعرب تقول لا ابرح ولا ازال ولا انضك ولا انضأ بمعنى واحد قال القفال وقالوا اصل قولهم لا ابرح من البراح كما ان اصل لا ازال من الزوال يقال زال يزال ويؤول كما يقال دام يدام ويدوم ومات يمات ويموت الا ان المستعمل فى هذه اللفظة زال فقوله لا ابرح اى اقيم لان البراح هو العدم فقوله لا ابرح يكون عدما لعدم فيكون ثبوتا فقوله لا ازال اى ابرح فيبدل الدوام والثبات على العمل فان قيل اذا كان قوله لا ابرح بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلنا حذف الخبر لان الحال والكلام يدلان عليه اما الحال فلا انها كانت حال سفر واما الكلام فلا ان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعى شيئا هى غاية له فيكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ويحتمل ان يكون المعنى لا ابرح مائانا عليه يعنى ازم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان واما مجمع البحرين فهو المكان الذى وعده موسى ببقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحرى فارس والروم مائلى المشرق وقيل غيره وليس فى اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين فان صح الخبر الصحيح شئ فذلك والا فالاولى السكوت عنه ومن الناس من قال البحران موسى والخضر لانهما كانا بحرى العلم وقرئ مجمع بكسر الميم ثم قال او امضى حقا اى اسير زمانا طويلا وقبل الخطب ثمانون سنة وقد تكلمنا فى هذا اللفظ فى قوله تعالى لا تبين فيها احقابا وحاصل الكلام ان الله عز وجل كان اعلم موسى حال هذا العالم وما علمه موضعه بعينه فقال موسى عليه السلام لا ازال امضى حتى يجمع البحران فيصيرا بحرا واحدا او امضى دهرنا طويلا حتى اجد هذا العالم وهذا اخبار من موسى بأنه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم فى السفر لاجل طلب العلم وذلك تنبيه على ان المتعلم لو سافر من المشرق الى المغرب لطلب مسئلة واحدة حق له ذلك ثم قال تعالى فلما بلغا مجمع بينهما والمعنى فانطلقا الى ان بلغا مجمع بينهما والضمر فى قوله بينهما الى ماذا يعود فيه قولان (الاول) يجمع بينهما اى يجمع البحرين وهو كما نه اشارة الى قول موسى لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين اى حقق مقالة (والقول الثانى) ان المعنى فلما بلغ الموضع الذى يجمع موسى وصاحبه الذى كان يقصده لان ذلك الموضع الذى وقع فيه نسيان الخوت هو الموضع الذى كان يسكنه الخضر او يسكن بقربه ولجل هذا المعنى لما رجع موسى وفناه بعد ان ذكر الخوت صار اليه وهو معنى حسن والمفسرون على القول الاول ثم قال تعالى نسيان حوتهما وفيه مباحث (البحث الاول) الروايات تدل على انه تعالى بين لموسى عليه السلام ان هذا العالم موضعه مجمع البحرين الا انه تعالى جعل انقلاب الخوت حيا علامة على مسكنه المعين كن يطلب انسانا فيقال له ان موضعه محلة كذا من اى فاذا

كنزهما) من تحت الجدار ولولا اى الله لاتنقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتجميعه وضاع بالكلية

(رجة من ربك) مصدر في مرقم الحال اي سرح من منه عز وجل او مفعول (٧٣٦) له او مصدر مؤكدا لراد فان ارادة الجرح رجعة وقيل متعلق

بمخزى اى غلت ما غلت من الامور
التي شاهدتها رجعة من ربك
وبعضه اضافة الرب الى ضمير
المخاطب دون ضميرهما فيكون
قوله عز وجل (وما غلت عن
امرئ) اي عن رايي واجتهادي
تأكيد لذلك (ذلك) اشار الى
العواقب المنظومة في سلك البيان
وما فيه من معنى البعد للايدان
ببعد رجعتي الى الخاتمة (تأويل
ما لم تستطع) اي لم تستطع لحذف
التاء للتخفيف (عليه صبرا) من
الامور التي رايت اي ماله
وعاقبته فيكون انجازا للتنبيه
للموعدة والى البيان نفسه
فيكون التأويل بمعناه وعلى كل
حال فهو فذلك لما تقدم وفي
جعل الصلة عين ماسر تكرير
للتكرير وتشديد للعتاب (تنبيه)
اختطفوا في حياة الخضر عليه
الصلاة والسلام قبيل انه حي
وسببه انه كان في مقدمة ذي
القرنين فلما دخل الطلائع اصاب
الخضر عين الحياة فزل واعتدل
منها وشرب من مائها واخطأ
ذو القرنين الطريق فضاдалوا
والياس ايضا في الحياة بلثنيان
كل سنة باليوم وقيل اتميت
لما روى ان النبي عليه الصلاة
والسلام صلى العشاء ذات ليلة
ثم قال اربكم ليتم هذه فان
رأس مائة سنة منها لا يبقى من
هو اليوم على ظهر الارض
احد ولو كان الخضر حينئذ
حيما لما عاش بعد مائة عام
روى ان موسى عليه الصلاة
والسلام لما اراد ان يفارقه
قال له اوصني قال لا تطلب
العلم لتحسد به واطلبه لتعمل
به (ويسألونك عن ذي القرنين)
هم اليهود سألو على وجه الامتحان أو سأله قريش بتقنينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب (الذكر)

وهو ذوالقرنين الاكبر واسمه

الاسكندر بن فيلقوس اليوناني
وقال ابن اسحق اسمه مريبان
بن مردويه من ولد يافث بن
نوح عليه الصلاة والسلام وكان
اسود وقيل اسمه عبدالله بن
الضحاك وقيل مصعب بن عبدالله
ابن قينان بن منصور بن عبدالله
بن الاذرن عون بن زيد بن
كهلان بن سبان بن عرب بن قحطان
وقال السهيلي قيل ان اسمه
مريبان بن مسرعة ذكره ابن
هشام وهو اول النابغة وقيل
انه افريدون بن النعمان الذي
قتل الضحاك وذكر ابوالرحمان
البهوتي في كتابه المسمى بالانوار
الباقية عن القرون الخالية ان
ذالقرنين هو ابو صر بسى
ابن عير بن افرقيس الحويري
وان ملكه بلغ مشارق الارض
ومغاربها وهو الذي اقتصر به
التبع الخاني حيث قال

قد كان ذوالقرنين جدي مسلما
ملكا علا في الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغربتي

اسباب امر من حكم مرشد
وجعل هذا القول اقرب لان
الاذواء كانوا من اليمن كذي
النار وذي نواس وذي النون
وذي عرين وذي بن وذي جند
قال الامام الرازي والاول هو
الظاهر لان من بلغ ملكه من
السعة والقوة الى الغاية التي لفتي
بها التنزيل الجليل انما هو
الاسكندر اليوناني كما تشهد به
كتب التواريخ يروى انه لما مات
ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان
طوائفهم قصد ملوك العرب
وقهرهم ثم امن حتى انتهى
الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر

فبنى الاسكندرية

الذكر لان ذلك لا يصح ان يكون الامن قبل الله تعالى (البحث الثالث) قوله ان ذكره بدل
من الهاف في انسابه اى وما انسابى ذكره الا الشيطان ثم قال واتخذ سيده في البحر عجبا وفيه
وجوه (الاول) ان قوله عجبا صفة لمصدر محذوف كانه قيل واتخذ سيده في البحر عجبا اتخذوا
عجبا ووجه كونه عجبا انتقاله من المكمل وصيرورته حيا وبقاء نفسه في البحر على غفلة
منها (الثاني) ان يكون المراد منه ما ذكرنا انه تعالى جعل الماء عليه كالطاق وكالمرب
(الثالث) قيل انه تم الكلام عند قوله واتخذ سيده في البحر ثم قال بعده عجبا والمقصود منه
تعجبه من تلك العجبة التي رآها ومن نسيانها لها وقيل ان قوله عجبا حكاية لتعجب موسى
وهو ليس بقوله ثم قال تعالى قال ذلك ما كنت بغى اى قال موسى ذلك الذى كنا نطلبه لانه
امارة الظفر بالطلوب وهو لقاء الخضر وقوله نغ اصله نغى فحذفت الباء طلبا للتخفيف للدلالة
الكسرة عليه وكان القياس ان لا يحذف لانها انما يحذفون الباء في الاسماء وهذا فعل
الائه فديحوز على ضعف القياس حذفها لانها تحذف مع الساكن الذى يكون بعدها
كقولك ما نغى اليوم فلما حذفت مع الساكن حذفت ايضا مع غير الساكن ثم قال فارتدا
على آثارهما اى فرجعا وقوله قصصا فيه وجهان (احدهما) انه مصدر في موضع الحال
اى رجعا على آثارهما مقتضين آثارهما (الثاني) ان يكون مصدرا لقوله فارتدا على
آثارهما لان معناه فاقصصا على آثارهما وحاصل الكلام انهما لما عرفا انهما مجاوزا
عن الموضع الذى يسكن فيه ذلك العالم رجعا وعادا اليه والله اعلم قوله تعالى
(فوجدنا عبدا من عبادنا آتينا رجعة من عندنا وعلمنا من لدنا علما قال له موسى هل
اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم
نحط به خيرا قال سبحن ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امر اقال فان اتبعني فلا تسألني
عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله فوجدنا عبدا
من عبادنا فيه بحثان (البحث الاول) قال الا كثرون ان ذلك العبد كان نبيا واحببوا
عليه بوجوه (الاول) انه تعالى قال آتينا رجعة من عندنا ورجعة هي النبوة بدليل قوله
تعالى اهم يقسمون رجعة ربك وقال وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب الارجلة من ربك
والمراد من هذه الرجعة النبوة ولقائل ان يقول نسلم ان النبوة رجعة اما لا يلزم ان يكون
كل رجعة نبوة (الجهة الثانية) قوله تعالى وعلمنا من لدنا علما وهذا يقتضى انه تعالى
علمه لا بواسطة تعليم معلم ولا ارشاد مرشد وكل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب ان
يكون نبي يعلم الامور بالوحي من الله وهذا الاستدلال ضعيف لان العلوم الضرورية
يحصل ابتداء من عند الله وذلك لا يدل على النبوة (الجهة الثالثة) ان موسى عليه السلام
قال هل اتبعك على ان تعلمن والنبي لا يتبع غير النبي في التعليم وهذا ايضا ضعيف لان
النبي لا يتبع غير النبي في العلوم التي باعتبارها صار نبيا اما في غير تلك العلوم فلا (الجهة
الرابعة) ان ذلك العبد اظهر الترفع على موسى حيث قال له وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا

وسماها باسمه ثم دخل الشام
وقصد بني اسرائيل وورد بيت
القدس وذبح في مذبحه ثم
نطق الى اورشليم بواب الابواب
ودان له امر اقيون والقبو والبر
ثم توجه نحو دار ابن دارا وهرمه
مرارا الى ان قسله صاحب
حرسه واستول على عمالك
الفرس وقصد الهند وقصه
وبني مدينة سر نديب وغيرها
من المدن العظام ثم قصد الصين
وغزا الامم البعيدة ورجع الى
خراسان وبني بهامداني كثيرة
ورجع الى العراق ومرض بشهر
زور ومات انتهى كلام الامام
وروي ان اهل النجوم قالوا لما كان
لاموت الاعلى ارض من حديد
وتحت سماء من خشب وكان يدفن
كذلك بلدة فيها ويكتب ذلك
بصفته ومومنه فيلزم بابل فرغف
وسقط عن دابته فبسط له دروع
فقام عليها فارتدت الشمس فظلموه
بترس فظفر فقال هذه ارض من
حديد وسمله من خشب فاقن
بالموت فمات وهو بن القوس فمات
سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال
ابن كثير وهذا غريب واغرب منه
ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه
عاش ستمائة وثلاثين سنة او ثنتين
وثلاثين سنة وأنه كان بعد داود
وسليمان عليهما السلام فان ذلك
لا ينطبق على اهل ذى القرنين الثاني
كاسنذكره قلت وكذا ما ذكره
الامام من قصد بني اسرائيل
وورد بيت المقدس والمذبح
في مذهبه فانه مما لا يكاد يتأتى
نسبته الى الاول واختلف في
نبوته بعد الاتفاق على اسلامه
ولا يثبت قليل كان نبيا لقوله
تعالى انا مكناله في الارض وظاهر
انه متناول للتكئين في الدين

واما موسى فانه اظهر التواضع له حيث قال لا اعصى لك امرا وكل ذلك يدل على ان ذلك
العالم كان فوق موسى ومن لا يكون نبيا لا يكون فوق النبي وهذا ايضا ضعيف لانه يجوز
ان يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا توقف نبوته عليها فلم قلتم ان ذلك لا يجوز فان
قالوا لانه يوجب التنفير فان قالوا ان هذا لا يوجب التنفير فكذلك القول فيما
وتكليمه بغير واسطة يوجب التنفير فان قالوا ان هذا لا يوجب التنفير فكذلك القول فيما
ذكره (الجمعة الخامسة) احتج الاصم على نبوته بقوله في اثناء القصة وما فعلته عن امري
ومعناه فعلته بوحى الله وهو يدل على النبوة وهذا ايضا دليل ضعيف وضعفه ظاهر (الجمعة
السادسة) ما روى ان موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك
السلام ياتي بني اسرائيل فقال موسى عليه السلام من عرفك هذا قال الذى بعثك الى
قالوا وهذا يدل على انه ائما عرف ذلك بالوحى والوحى لا يكون الا مع النبوة ولقاتل ان
يقول لم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات والا لهامات (البحث الثاني) قال
الاكثر ان ذلك العبد هو الخضر وقالوا انما سمي بالخضر لانه كان لا ينف موقفا
الا خضر ذلك الموضع قال الجبائي قد ظهرت الرواية ان الخضر انما بعث بعد موسى عليه
السلام من بني اسرائيل فان صح ذلك لم يحزان ان يكون هذا العبد هو الخضر وايضا بتقدير
ان يكون هذا العبد هو الخضر وقد ثبت انه يجب ان يكون نبيا فهذا يقتضى ان يكون
الخضر اعلى شأن من موسى صاحب التوراة لانا قد بينا ان الالفاظ المذكورة في هذه
الآيات تدل على ان ذلك كان بترفع على موسى وكان موسى يظهر التواضع له الا ان كان
الخضر اعلى شأن من موسى غير جائز لان الخضر امان يقال انه كان من بني اسرائيل او
ما كان من بني اسرائيل فان قلنا انه كان من بني اسرائيل كان من امة موسى لقوله تعالى
حكايه عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون ارسل معنا بني اسرائيل والامة لاتكون
اعلى حالا من النبي وان قلنا انه ما كان من بني اسرائيل لم يحزان ان يكون افضل من موسى
لقوله تعالى لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين وهذه الكلمات تتوى قول من
يقول ان موسى هذا غير موسى صاحب التوراة (المسئلة الثانية) قوله وهلمنا من لدنا علما
يفيد ان تلك العلوم حصلت عنده من عند الله من غير واسطة والصوفية سموا العلوم
الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم الدنية وللشيخ ابي حامد الغزالي رسالة في اثبات
العلوم الدنية واقول بتحقيق الكلام في هذا الباب ان نقول اذا ادركنا امرا من الامور
وتصورنا حقيقة من الحقائق فاما ان نحكم عليه بحكم وهو التصديق او لا نحكم وهو
التصور وكل واحد من هذين القسمين فاما ان يكون نظريا حاصل من غير كسب وطلب
واما ان يكون كسبيا اما العلوم النظرية فهي تحصل في النفس والعقل من غير كسب
وطلب مثل تصورنا الالم والاذة والوجود والعدم ومثل تصدينا بان النبي والاثبات
لا يتبعان ولا يرتفعان وان الواحد نصف الاثنين واما العلوم الكسبية فهي التي لاتكون

وكاله النبوة ولفوه تعالى وآتيه

من كل شيء سببا ومن جسدته
الاشياء النبوة ولفوه تعالى قلنا
ياذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان
ملكاً لا روى ان عمر رضى الله
عنه سخط رجلا يقول لا آخر
ياذا القرنين فقال اللهم اغفر
اما رضى ان تسموا باسماء الانبياء
حتى تسمي باسماء الملائكة قال ابن
كثير والصحيح انه ما كان نبيا
ولاملكا وانما كان ملكا مسلما
عاد لاملك الاقاليم وقهر اهله
من الملوك وغيرهم ودانت له
البلاد وانه كان داعيا الى الله
تعالى سائرا في الخلق بالمعصية
التامة والسلطان المؤيد المنصور
وكان الخضر على مقدمة جيشه
بمغزلة المستشار الذي هو من
الملوك بمغزلة الوزير وقد ذكر
الازرق وغيره انه اسلم على يدى
ابراهيم الخليل عليه الصلوات والسلام
فطاعه بالعبادة هو واسمعي
عليهم السلام وروى انه حج ماشيا
فلما سمع ابراهيم عليه الصلوة
والسلام بقدمه تلقاه ودعاه
واوصاه بوصايا ويقال انه اتى
بقرس ليركب فقال لا اركب في
بند فيه الخليل فمن ذلك مغزله
الصعب وطوى له الاسباب
وبشره ابراهيم عليه الصلوة
والسلام بذلك فكانت السحاب
تحمله وعساكره وجيحه آتاهم
اذا ارادوا غزوة قوم وقال
ابو الطفيل سئل عنه على كرم
الله وجهه كان نبيا ام ملكا
فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن
كان عبد احب الله فاحبه وناصح
الله فناصره فخره المحاب
ومدله الاسباب واختلف في وجه
تسميته بدى القرنين فقيل لانه
بلغ فرى الشمس مشرقها ومغربها
وقيل لانه ملك

حاصلة في جوهر النفس ابتداء بل لا بد من طريق يوصل به الى اكتساب تلك العلوم
وهذا الطريق على قسمين (احدهما) ان تكلف الانسان تركب تلك العلوم البديهية
النظرية حتى يتوصل بتربكها الى استعمال المجهولات وهذا الطريق هو الحسمى بالنظر
والتفكير والتدبر والتأمل والتروى والاستدلال وهذا النوع من تحصيل العلوم هو
الطريق الذى لا يتم الا بالجهد والطلب (والنوع الثانى) ان يسعى الانسان بواسطة
الرياضات والمجاهدات فى ان تصير القوى الحسية والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت قويت
القوة العقلية واشرفت الانوار الالهية فى جوهر العقل وحصلت المعارف وكملت العلوم
من غير واسطة سعى وطلب فى التفكير والتأمل وعذا هو الحسمى بالعلوم الدينية اذا عرفت
هذا فنقول جواهر النفس الناطقة مختلفة بالمساهبة فقد تكون النفس نفسا مشرقة
نورانية الهية علوية قليلة التعلق بالجواذب البدنية والنوازع الجسمانية فلا جرم كانت
ابدا شديدة الاستعداد لقبول الجلايا القدسية والانوار الالهية فلا جرم قاضت عليها من
طالم الغيب تلك الانوار على سبيل الكمال والقائم وهذا هو المراد بالعلم الدنى وهو المراد
من قوله آتيه رجمة من عندنا وعلماء من لدنا علما اما النفس التى ما بلغت فى صفاء الجوهر
واشراق الغنصر فهى النفس الناقصة البليدة التى لا يمكنها تحصيل المعارف والعلوم
الا بتوسط بشرى يمتثل فى تعليمه وتعلمه والقسم الاول بالنسبة الى القسم الثانى
كالشمس بالنسبة الى الاضواء الجزئية وكالجبر بالنسبة الى الجداول الجزئية وكالروح
الاعظم بالنسبة الى الارواح الجزئية فهذا تنبيه قليل على هذا المأخذ وراه اسرار
لا يمكن ذكرها فى هذا الكتاب ثم قال تعالى قاله موسى هل اتبعك على ان تعلى ما علمت
رشد او فيه مستلثان (المسئلة الاولى) قرأ ابو عمرو ويعقوب رشدا بفتح الراء والشين
وص ابن عباس رضى الله عنهما بضم الراء والشين والباقون بضم الراء وتسكين الشين قال
القفال وهى لغات فى معنى واحد يقال رشد ورشد مثل نكرو نكر كما يقال سقم وسقم وشغل
وشغل وبخل وبخل وعدم وعدم وقوله رشدا اى علما ذارشد قال القفال قوله رشدا يحتمل
وجهن (احدهما) ان يكون الرشدر اجعا الى الخضر اى بما علك الله وارشد له
(والثانى) ان يرجع ذلك الى موسى ويكون المعنى على ان تعلى وترشدنى مما علمت (المسئلة
الثانية) اعلم ان هذه الآيات تدل على ان موسى عليه السلام راعى اتواكا كثيرة من
الادب واللطف عند ما اراد يعلم من الخضر (فاحدها) انه جعل نفسه تبعه لانه قال
هل اتبعك (وثانيها) ان استأذن فى اثبات هذه التبعية فانه قال هل تأذننى ان اجعل
نفسى تبعاك وهذا مبالغة عظيمة فى التواضع (وثالثها) انه قال على ان تعلى وهذا
اقرار له على نفسه بالجهل وعلى استاذة العالم (ورابعها) انه قال مما علمت وصيغة من
التبعية فطلب منه تعليم بعض ماعله الله وهذا ايضا مشعر بالتواضع كما انه يقول له
لا اطلب منك ان تجعلنى مسالويا فى العلم لابل لك اطلب منك ان تعطينى جزءا من اجزاء

علك كما يطلب الفقير من الغنى ان يدفع اليه جزءاً من اجزاء ماله (وخامسها) ان قوله
 مما علمت اعترف بأن الله علم ذلك العلم (وسادسها) ان قوله رسدا طلب منه الارشاد
 والهداية والارشاد هو الامر الذي لو لم يحصل لخصلت الغايبات والضلال (وسابعها) ان
 قوله تعلى مما علمت معناه انه طلب منه ان يعمله بمثل ما عمله الله به وفيه اشعار بأنه يكون
 انعامك على عنده هذا التعليم شبيها بانعام الله تعالى عليك في هذا التعليم ولهذا المعنى قيل
 انما عبد من تعلمت منه حرفاً (وثامنها) ان المتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير لاجل
 كونه فعلاً لذلك الغير فاذا قلنا لاله الا الله فاليهود الذين كانوا قبلنا كانوا يذكرون هذه
 الكلمة فلا يجب كون متابعين لهم في ذكر هذه الكلمة لانا لانقول هذه الكلمة لاجل
 انهم قالوا هابل انما نقولها لقيام الدليل على انه يجب ذكرها اما اذا أتينا بهذه الصلوات
 الخمس على موافقة فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما أتينا بها لاجل انه عليه السلام
 أتى بها لاجرم كننا متابعين في فعل هذه الصلوات لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتت هذا
 فتقول قوله هل اتبعك يدل على انه يأتي بمثل افعال ذلك الاستاذ لجرد كون ذلك الاستاذ
 آتياً بها وهذا يدل على ان النعم يجب عليه في اول الامر التسليم وترك المنازعة
 والاعتراض (وتساعها) ان قوله اتبعك يدل على طلب متابعتة مطلقاً في جميع الامور غير
 مقيد بشئ دون شئ (وعاشرها) انه ثبت بالاخبار ان الخضر عرف اولاً انه نبي بني
 اسرائيل وانه هو موسى صاحب التوراة وهو الرجل الذي كله الله عز وجل من غير واسطة
 وخصه بالمعجزات القاهرة الباهرة ثم انه عليه السلام مع هذه المناصب الرفيعة والدرجات
 العالية الشريفة أتى بهذه الانواع الكثيرة من التواضع وذلك يدل على كونه عليه
 السلام آتياً في طلب العلم باعظم انواع المبالسنة وهذا هو اللائق به لان كل من كانت
 احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر فكان طلبه لها اشد
 وكان تعظيمه لارباب العلم اكمل واشد (والحادي عشر) انه قال هل اتبعك على ان
 تعلى فأنبت كونه تعالى اولاً ثم طلب ثانياً ان يعلم وهذا منه ابتداء بالخدمة ثم في المرتبة
 الثانية طلب منه التعليم (والثاني عشر) انه قال هل اتبعك على ان تعلى فلم يطلب على
 تلك المتابعة على التعليم شيئاً كما انه قال لا اطلب منك على هذه المتابعة المال والجاه
 ولا غرض لي الا اطلب العلم ثم انه تعالى حكى عن الخضر انه قال انك ان تستطيع معي
 صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان التعلم على
 قسمين متعلم ليس عنده شئ من العلم ولم يعارس القيل والقال ولم يعود التفرير والاعتراض
 ومتعلم حصل العلوم الكثيرة ومارس الاستدلال والاعتراض ثم انه يريد ان يحاط انساناً
 اكمل منه يبلغ درجة التمام والكمال والتعلم في هذا القسم شاق شديد وذلك
 لانه اذا رأى شيئاً او سمع كلاماً فرسما كان ذلك بحسب الظاهر منكراً الا انه كان في
 الحقيقة حقاصوا به فهذا التعلم لاجل أنه ألفت القيل والقال وتعود الكلام والجدال

(يغتر)

لروم وفارس وقيل الروم
 والترك وقيل لانه كان في رأسه
 اوفى تاجه ما يشبه القرنين وقيل
 لانه كان له ذؤابتن وقيل لانه
 كانت صفحتا رأسه من الخحاس
 وقيل لانه دعا الناس الى الله
 عز وجل فغضب بقرنه الايمن
 فأتى ثم بعث الله تعالى غضب
 بقرنه الايسر فأتى ثم بعث الله
 تعالى وقيل لانه رأى في منامه
 انه صعد الفلك فأخذ بقرنى
 الشمس وقيل لانه اقترض في
 عهد قرآن وقيل لانه خضره
 النور والظلة فاذا سرى يهديه
 النور من امامه وتوسطه الظلة
 من ورائه وقيل لقبه لشجاعته
 هذا واما ذو القرنين الثاني فقد
 قال ابن كثير انه الاسكندرون
 فيليس بن مصر بن هرمس
 بن ميظون بن رومي بن ليطى
 بن يونان بن يافث بن نوح بن
 شروخ بن رومية بن نوط بن
 نوفيل بن رومي بن الاصفر بن
 العزيز بن العيص بن اسحق بن ابراهيم
 الخليل عليهما الصلوات والسلام
 كذا نسب ابن عساکر المقدوني
 اليوناني المصري بابي الاسكندرية
 الذي يؤرخ بياحه الروم وكان
 متأخراً عن الاول بدهر طويل
 اكثر من ألف سنة كان هذا قبل
 المسيح عليه السلام بنحو ثلثمائة
 سنة وكان وزيره ارسطاطاليس
 الفيلسوف وهو الذي قتل دارا
 بن دارا واذل ملوك الفرس
 ووطى ارضهم ثم قال ابن كثير
 واتينا هذا لان كثيراً من الناس
 يمتدحونهما واحداً وان المذكور
 في القرآن العظيم هو هذا المتأخر
 يقع بذلك خطأ كبير فساد
 كثير كيف لا والاول كان عبداً
 صالحاً مؤمناً

وملكا عادلا وزيره الخضر عليه السلام (٧٤١) وقد قيل انه كان نبيا وامام الثاني فقد كان كافرا وزيره ارسطاطا ليس الفيلسوف

وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من الف سنة فأتى هذا من ذلك انتهى قلت القديس نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لالزالت مشهورة بالعمائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلدة اليونانيين مقدونيا كانت سرور ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقيع لايقيم بها احد ولكن فيها علام تحكي كمال عظمتها في عهد عمر انا ونبوة شكوكها وبها وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول من بضع المفازي السلطانية فمايتت فيها من تعجيب الاثار ما فيه عبرة لاولي الابصار (قل) لهم في الجواب (سأتلو عليكم) اي سأذكر لكم (منه) اي من ذي القرنين (ذكرنا) اي نبأ مذكور وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلوح كناية عن جهته الله عز وجل قيل سأتلوه او سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكرنا اي قرأنا والسبب للتأكيد والدلالة على التحقيق المناسب لتمام تأييده عليه الصلاة والسلام وتصديقه بنجازه وعدهما لانترك التلاوة البتة كما في قول من قال سأشكر عمر ان تراخت منقته ايادى لم تلت. وان هي جلت لالدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كاقبل لان هذه الآية ما زلت بانقرها هافل الوحي تام الفصة بل موصولة بما بعدها ورأسالوه عليه الصلاة والسلام عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عليه الصلاة والسلام أتؤتى غدا خبركم فأيضا عليه الوحي خمسة عشر يوما

يغتر بظاهره ولاجل عدم كماله لايقف على سره وحقيقته وحيث قد يقدم على الزعاع والاعتراض والمجادلة وذلك بما يتقيل سماعه على الاستاذ الكامل التجردا اتفق مثل هذه الواقعة مرتين أو ثلاثة حصلت النفرة التامة والكرهية الشديدة وهذا هو الذي اشار اليه الخضر بقوله انك لن تستطيع معي صبرا اشاره الى انه ألف الكلام وتعود الاثبات والابطال والاستدلال والاعتراض وقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اشاره الى كونه غير ما لم يحقائق الاشياء كما هي وقد ذكرنا انه متى حصل الامران صعب السكوت وعسر التعلم وانتهى الامر بالآخرة الى النفرة والكرهية وحصول التقاطع والتنافر (المسئلة الثانية) اخرج اصحابنا بقوله انك لن تستطيع معي صبرا على ان الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل قالوا لو كانت الاستطاعة على الفعل حاصلة قبل حصول الفعل لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة لموسى عليه السلام قبل حصول الصبر فيلزم ان يصبر قوله انك لن تستطيع معي صبرا كذبا ولما بطل ذلك علمنا ان الاستطاعة لا توجد قبل الفعل اجاب الجبائي عنه ان المراد من هذا القول انه يثقل عليه الصبر لانه لا يستطيعه يقال في العرف ان فلانا لا يستطيع ان يرى فلانا وأن يحالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ونظيره قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع أي كان يشق عليهم الاستماع فيقال له هذا عدول عن الظاهر من غير دليل وانه لا يجوز واقول بما يؤكده هذا الاستدلال الذي ذكره الاصحاب قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا استبعد حصول الصبر على ما لم يقف الانسان على حقيقته ولو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكانت القدرة على العلم حاصلة قبل حصول ذلك العلم ولو كان كذلك لما كان حصول الصبر عند عدم ذلك العلم مستبعدا لان القادر على الفعل لا يبعد منه اقدمه على ذلك الفعل ولما حكم الله باستبعاده علمنا ان الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل ثم حكى الله تعالى عن موسى انه قال سجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اخرج الطاعنون في عصية الله الانبياء بهذه الآية فقالوا ان الخضر قال لموسى انك لن تستطيع معي صبرا وقال موسى سجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا وكل واحد من هذين القولين يكذب الآخر فيلزم الحاق الكذب بأحدهما وعلى التقديرين فيلزم صدور الكذب عن الانبياء عليهم السلام والجواب ان يحمل قوله انك لن تستطيع معي صبرا على الأكثر الاغلب وعلى هذا التقدير فلا يلزم ما ذكره (المسئلة الثانية) لفظة ان كان كذا تعيد الشك فقوله سجدني ان شاء الله صابرا معناه سجدني صابرا ان شاء الله كوني صابرا وهذا يقتضي وقوع الشك في ان الله هل يريد كونه صابرا ام لا ولا شك ان الصبر في مقام التوقف واجب فهذا يقتضي ان الله تعالى قد لا يريد من العبد ما وجبه عليه وهذا يدل على صحة قولنا ان الله تعالى قديما بالشيء مع انه لا يريد به المعترلة هذه الكلمة انما تذكر رعاية للادب فيما يريد الانسان ان يفعله في المستقبل فيقال لهم هذا الادب ان

اوربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل (انا مكنا له في الارض) شروع في تلاوة الذكر اليهود حسبا هو اليهود التمكن

هنا الاقدار وتهدد الاسباب يقال مكنه وممكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا (٧٤٢) ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولنازلهما

في الوجود وتقر بهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وجل مكنهما في الارض مالم يمكن لكم اى جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والالات على انواع التصرفات فيها مالم يجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل مالم تمكنكم فيها اى مالم يجعلكم قادرين على ذلك فيها او تمكنهم في الارض مالم تمكن لكم وهكذا اذا كان التمكن مأخوذاً من المكان يتأهل على توهيمه اصلية كما اشير اليه في سورة يوسف عليه الصلاة والاسباب والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأى والاسباب حيث يحضر له السحاب ومدله في الاسباب وبسط له الدور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذلك له طرفها (وآتيانه من كل شئ) اراده من مهمات ملكه ومقامسده المتعلقة بسلاطانه (سيبا) اى طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة أو له (فأتبع) بالقطع اى اراد بلوغ المغرب فاتبع (سيبا) يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمرعاة الحركة الشمسية وقرى فاتبع من الاتصال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) اى انتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط بالقرى الذى يقال له اوقيانوس الذى فيه الجزر المشبعة بالخالدات التى هى مبدأ الاطوال على احد القولين (وجدها) اى الشمس (تنرب في عين جنة) اى ذات حاة وهى الطين الاسود من جنت البئر اذا كثرت (عظم)

صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد فأى ادب في ذكر هذا الكلام الباطل (المسئلة الثالثة) قوله تعالى ولا اعصى لك امرا يدل على ان ظاهر الامر يفيد الوجوب لان تارك المأمور به عاص بدلالة هذه الآية والعاصى يستحق العقاب لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نارجهم وهذا يدل على ان ظاهر الامر يفيد الوجوب (المسئلة الرابعة) قول الخضر لموسى عليه السلام وكيف تنصبر على مالم تحط به خبر انسية الى قلة العلم والخبر وقول موسى له سبحانه ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا تواضع شديد واطهار للتحمل الثام والتواضع الشديد وكل ذلك يدل على ان الواجب على المتعلم اظهار التواضع باقصى الغايات واما المعلم فان رأى ان في التعليق على المتعلم ما يفيد نفعاً وارشاداً الى الخير فالواجب عليه ذكره فان السكوت عنه يوقع المتعلم في القصور والفتوة وذلك يمنعه من التعلم ثم قال فان ابغضنى فلا تسألنى عن شئ حتى احدث لك منه ذكراً اى لا تستخبرنى عما تراه منى بما لا تعلم وجهه حتى اكون انا بالمبدئى لتعليمك اياه واخبارك به وفى قراءة ابن عامر فلا تسألن محرمة اللام مشددة البنون بغير ياء وروى عنه لاسألنى مثله مع الياء وهى قراءة نافع وفى قراءة الباقر لاسألن خفيفة والمعنى واحذر قوله تعالى (فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق اهلهما لقد جئت شيئا الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تأوخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى صبرا) اعلم ان موسى وذلك العالم لما تشارطا على الشرط المذكور وسارا فاتبعها الى موضع احتاجا فيه الى ركوب السفينة فركباها واقدام ذلك العالم على خرق السفينة واقول لعله اقدم على خرق جدار السفينة لتصير السفينة بسبب ذلك الخرق معيبة ظاهرة العيب فلا يتسارع الغرق الى اهلهما فعند ذلك قال موسى له أخرقتها لتغرق اهلهما وفيه بحثان (البحث الاول) قرأ حزة والكسائي ليرقى اهلهما بفتح الياء على اسناد الغرق الى الاهل والباقر لتغرق اهلهما على الخطاب والتقدير لتغرق انت اهل هذه السفينة (البحث الثانى) ان موسى عليه السلام لما شاهد ذلك الامر المنكر بحسب الظاهر نسي الشرط المتقدم فلهذا المعنى قال ما قال واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية من وجهين (الاول) انه ثبت بالدليل ان ذلك العالم كان من الانبياء ثم قال موسى عليه السلام أخرقتها لتغرق اهلهما فان صدق موسى في هذا القول دل ذلك على صدور الذنب العظيم عن ذلك النبي وان كذب دل على صدور الكذب عن موسى عليه السلام (الثانى) انه الزم ان لا يعترض على ذلك العالم وجرت العهود المؤكدة لذلك ثم انه خالف تلك العهود وذلك ذنب (والجواب عن الاول) انه لما شاهد موسى عليه السلام منه الامر الخارج عن العادة قال هذا الكلام لا لأجل انه اعتقد فيه انه فعل قبيحا بل لانه احب ان يقف على وجهه وسببه وقد يقال في الشئ العجيب الذى لا يعرف سببه انه امر يقال امر الامر اذا

جاء تباؤقرى حامية اى حارة روى (٧٤٣) ان معاوية رضى الله عنه قرأ حامية وعند ابن عباس رضى الله عنهما فقال حجة فقال معاوية

ليبدأ الله بن عمر وابن العاص كيف قرأ
قال كبقراً امير المؤمنين موجه
الى كعب الاحبار كيف تبتدئ الشمس
تغرب قال فيما وطين وروى
في ثأط فوافق قول ابن عباس
رضى الله عنهما وليس بينهما
مناقاة قطعية لجواز كون العين
جامعة بين الوصفين وكون الياء
في الثانية متقلبة عن الهمزة
لانكسار ما قبلها واما رجوع
معاوية الى قول ابن عباس
رضى الله عنهم بما سمعه من كعب
عن ابن قراءه ايضا مسموعة قطعا
فلكون قراءة ابن عباس رضى
الله عنهما قطعية في مدلولها
وقراءة محتملة لعلها بلائح ساحل
الحيط رآها كذلك اذ ليس في
مطبع بصره غير الماء كابلوح به
قوله تعالى وجدها تغرب (ووجد
عندها) عند تلك العين (قوما)
قيل كان لياهم جلود الوحوش
وطعامهم ما لقتله البحر وكانوا
كفارا فغيره الله جل ذكره بين
ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم
الى الاعيان وذلك قوله تعالى
(قلنا ياذا القرنين امان تذب)
بالقتل من اول الامر (ولما ان
تغذب فيهم حسنا) اى امرأ ذا
حسن على حذف المضاف او على
طريقة اطلاق المصدر على
موصوفه بالمبالغة وذلك بالدعوة
الى الاسلام والارشاد الى الشرائع
وعملان مع صلته اما الرفع على
الابتداء او الجبرية واما النصب
على القعولية اى اما تغذب بك
واقع او اما اسرك تغذيبك او اما
تعمل تغذيبك وهكذا الحال في
الانحاذ ومن لم يقل بنبوته قال
كان ذلك الخلاب بواسطة نبى
في ذلك العصر او كان ذلك الهما
لا وجه ليد ان كان ذلك التغيير
مواظقا لشريعة ذلك النبي (قال)

عظم وقال الشاعر * داهية دهياء (وعن الثاني) انه فعل بناء على النسيان ثم انه تعالى
حكى عن ذلك العالم انه لما خالف الشرط لم يزد على ان قال الم اقل انك ان تستطيع معى صبرا
فغند هذا اعتذر موسى عليه السلام بقوله لا تؤاخذنى بما نسيت اراد انه نسى وصيته
ولما واخذة على الناسى بشئ ولا ترهقنى من امرى عسرا قال ربه اذا غشيه وارقهه
اياى ولا تغشنى من امرى عسرا وهو تابعه اياه يعنى ولا تعمس على متابعتك ويمسرها
على بالاغضاء وترك المناقشة وقرى عسرا بضمين ﴿ قوله تعالى (فانطلقا حتى اذا لقيا
غلاما فقتله قال اقللت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن
تستطيع معى صبرا قال ان سألته عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنى عذرا)
اعلم ان لفظ الغلام قد يتناول الشاب البالغ بدليل انه يقال رأى الشيخ خير من منهذ
الغلام جعل الشيخ نقبضا للغلام وذلك يدل على ان الغلام هو الشاب واصله من الاغلام
وهو شدة الشبق وذلك اما يكون في الشباب واما تناول هذا اللفظ للصبي الصغير فظاهر
وليس في القرآن كيف لقيه هل كان يلعب مع جيع من الغلمان الصبيان او كان منفردا
وهل كان مسلما او كان كافرا وهل كان منزلا وهل كان بالغاً او كان صغيراً وكان اسم
الغلام بالصغير اليق وان احتمل الكبير الا ان قوله بغير نفس اليق بالبالغ منه بالصبي لان
الصبي لا يقتل وان قتل وايضاً فهل قتله بأن حزر رأسه او بان ضرب رأسه بالجدار او بطريق
آخر فليس في لفظ القرآن ما يدل على شئ من هذه الاقسام فغند هذا قال موسى عليه
السلام اقللت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا وفيه مباحث (البص ١١٠)
قرأ نافع وابن كثير وابوعمر وزاكية بالالف والباقون زكية بغير الف قال الكسائي ازاكية
وازاكية لغتان ومعناها الطاهرة وقال ابو عمرو وازاكية التي لم تذب والزكية التي اذبت ثم
تابت (البص ١٢٠) ظاهر الآية يدل على ان موسى عليه السلام استبعد ان يقتل النفس
الا لاجل القصاص بالنفس وليس الامر كذلك لانه قد يحل دمه بسبب من الاسباب
وجوابه ان السبب الاقوى هو ذلك (البص ١٣٠) النكر اعظم من الامر في القبح
وهذا اشارة الى ان قتل الغلام اقبح من خرق السفينة لان ذلك ما كان اتلافا للنفس لانه
كان يمكن ان لا يحصل الفرق اما هنا حصل الاتلاف قطعاً فكان انكر وقيل ان قوله
لقد جئت شيئا امرا اى عجباً والنكر اعظم من العجب وقيل النكر ما انكرته العقول
ونفرت عنه النفوس فهو البالغ في قبح الشئ من الامر ومنهم من قال الامر اعظم قال
لان خرق السفينة يؤدى الى اتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس الاتلاف شخص
واحد وايضا الامر هو الداهية العظيمة فهو ابلغ من النكرواته تعالى حكى عن ذلك
العالم انه ما زاد على ان ذكره ما عاهده عليه فقال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا
وهذا عين ما ذكره في المسئلة الاولى الا انه زادهنا لفظة لك لان هذه اللفظة تؤكد

اي ذوالقرنين لذلك النبي ايمان عندهم من خواصه بعد ما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير (اما من ظلم) اى نفسه ولم يقبل دعوى

واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك والفسوف (٧٤٤) نغذيه بالقتل وعن قتادة "كان يطبخ من كفه في القدور ومن آمن

التوبخ فغذاه قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني مع العلم بشدة حرصه على مصاحبه وهذا كلام نادم شديد الندامة ثم قال قد بلغت من لدني عذرا والمراد منه انه يحذره بهذه الطريقة من حيث احتمله مرتين اولاً وثانياً مع قرب المدة وبقى بما يتعلق بالقراءة في هذه الآية ثلاثة مواضع (الاول) قرأ نافع برواية ورش وقالون وابن عامر وابو بكر عن عاصم نكرا بضم الكاف في جميع القرآن والباقيون ساكنة الكاف حيث كان وهما الفتان (الثاني) الكل قرؤا لاتصاحبني بالالف اليعقوب فانه قرأ لاتصحبني من صحب والمعنى واحد (الثالث) في لدني قرأت (الاولى) قراءة نافع وابي بكر في بعض الروايات عن عاصم من لدني بخفيف النون وضم الدال (الثانية) قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ووجهة والكسائي وحفص عن عاصم لدني مشددة النون وضم الدال (الثالثة) قرأ ابو بكر عن عاصم بالاشحام وغير اشباع (الرابعة) لدني بضم اللام وسكون الدال في بعض الروايات عن عاصم وهذه القراءات كلها لغات في هذه اللفظة ﴿ قوله تعالى

فانطلقا حتى اذا أتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يصنيفوهما فوجداهما جدارا يريدان ينقص فأقامه قال لوشئت لا اتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بأوئل ما لم تستطع عليه صبرا) اعلم ان تلك القرية هي انطاكية وقبل هي الالة وههنا سؤال (الاول) ان الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف اقدم عليه موسى وذلك العالم لان موسى ما كان من عادته عرض الحاجة وطلب الطعام الا ترى انه تعالى حكى عنه انه قال في قصة موسى عند ورود ماء مدين رب اني لما انزلت الي من خير فقير (الجواب) ان اقدام الجائع على الاستطعام امر مباح في كل الشرائع بل ربما وجب ذلك عند خوف الضرر الشديد (السؤال الثاني) لم قال حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها وكان من الواجب ان يقال استطعما منهم والجواب ان التكرير قد يكون للتأكيد كقول الشاعر

ليت الغراب غداة يعبد دائما * كان الغراب مقطع الوداج

(السؤال الثالث) ان الضيافة من المندوبات فتركها ترك المندوب وذلك امر غير منكر فكيف يجوز من موسى عليه السلام مع علمه بمنصبه انه غضب عليهم الغضب الشديد الذي لاجله ترك العهد الذي التزمه مع ذلك العالم في قوله ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وايضا مثل هذا الغضب لاجل ترك الاكل في ليلة واحدة لا يليق بادون الناس فضلا عن كليم الله (الجواب) اما قوله الضيافة من المندوبات فلما قد تكون من المندوبات وقد تكون من الواجبات بان كان الضيف قد بلغ في الجوع الى حيث لول يأكل لهلك واذا كان التقدير ما ذكرناه لم يكن الغضب الشديد لاجل ترك الاكل يوما فان قالوا ما بلغ في الجوع الى حد الهلاك بدليل انه قال لوشئت لا اتخذت عليه اجرا وكان يطلب على اصلاح ذلك الجدار اجرا ولو كان قد بلغ في الجوع الى حد الهلاك لما قدر على ذلك العمل فكيف

اعطاه وكذا (ثم يرد الى ربه) في الآخرة (فيصذب) فيها (عذابا نكرا) اي منكرا قليلا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الطلب لم يكن بطريق الوحي اليه وانما قولته كانت مع النبي اومع من عنده من اهل مشورته (واما من آمن) بموجب عقوب (وعمل) عملا (سالحا) حسبا يقتضيه الايمان (فله) في الدارين (جزاء الحسن) اي فله الثوبة الحسن (او الفقرة الحسن او الجنة جزاء) على انه مصدر مؤكد للضمون الجنة قدم على المبتدأ اعتناء به بومضوب بخبره تجري بها جزاء والجهة الحالية او مترتبة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه احوال اي مجزايها او عيادته وقري منصوبا غير ممنون على انه سقط ثبوته لانتهاء السالكين او مرفوضا متونا على انه المبتدأ والحسن بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خيرين القتل والامر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان ظاهر التخيير بينهما وهلم كفار فقال اما الكافر فيمضي في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا تعرض له الا بما يجب ويجوز ان تكون اما او الملتزمين دون التخيير واما ولكن سأنتك اما التذنب واما الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب (وسئلوا) لهم من امرنا (اي اعانهم به) (يسرا) اي سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذليسر او طلق عليه المصدر مبالغة وقري بضمين (ثم اتبع سبيلا) اي طريقا واجعا من مغرب الشمس وموصلا الى مشرقها

(حتى اذا بلغ مطلع الشمس) يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس والامن معمورة الارض وقري بفتح اللام على تقدير مضاف اي (يصح) مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلفه في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه مضى له السحاب وطوى له الاسباب

يصح منه طلب الاجرة قلنا لعل ذلك الجوع كان شديدا الا انه ما بلغ حد الهلاك ثم قال تعالى قابوا ان يضيفوهما وفيه بحثان (البحث الاول) يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيف او حقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض وتظيره زاره من الازورار و اضافته وضيفه ازاله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لثام (البحث الثاني) رأيت في كتب الحكايات ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استجمعوا وجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يا رسول الله نشترى بهذا الذهب ان نجعل الباء تاء حتى تصير القراءة هكذا فأتوا ان يضيفوهما اى أتوا لان يضيفوهما اى كان اتيان اهل تلك القرية اليهما لاجل الضيافة وقالوا غرضنا منه ان يدفع عنا هذا اللوم فاستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تغيير هذه النقطة بوجب دخول الكذب في كلام الله وذلك بوجب القدح في الالهية فلما ان تغير النقطة الواحدة من القرآن بوجب بطلان الربوبية والعبودية ثم قال تعالى فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فأقامه اى فرأيا في القرية حائطا مائلا فان قيل كيف يجوز وصف الجدار بالارادة مع ان الارادة من صفات الاحياء قلنا هذا اللفظ ورد على سبيل الاستعارة وله نظائر في الشعر قال

يمرّد الرمح صدر أبى براء • ويرغب عن دماء بنى حنظل

وانشد القراء

ان دهرًا يلف شملي بحمل • زمان بهم بالاحسان

وقال الراعي

في مهمه فلقنت به ها مائها • فلق الفؤس اذا اردن تصولا

ونظيره من القرآن قوله تعالى ولما سكنت عن موسى الغضب وقوله ان يقول له كن فيكون وقوله قلنا ائتنا طالعين وقوله ان ينقض يقال انقض اذا اسرع سقوطه من انقضاء الطائر وهو انفع لمطامع قضضته وقبل انقض فعل من النقض كاجر من الحجرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاض من انقضت العين اذا انشقت طولا واما قوله فاقامه قبل نقضه ثم بناء وقيل اقامه بيده وقبل مجامع بيده فقام واستوى وكان ذلك من مجراه واعلم ان ذلك العالم لما فعل ذلك وكانت الحالة حالة اضطرار واقتدار الى الطعام فلاجل تلك الضرورة رضى موسى ما قاله من قوله ان سألتك عن شئ بعدها فلانصاحني فلاجرم قال لو شئت لا اتخذت عليه اجرا اى طلبت على عملي اجرة تصرفها الى تحصيل المطعوم وتحصيل سائر المهمات وقرئ لتخذت عليه اجرا والتاء في تحذ اصل كما في تبع واتخذ افعل منه كقولنا اتبع من قولنا تبع واعلم ان موسى عليه السلام لما ذكر هذا الكلام قال العالم هذا فراق بيني وبينك وههنا سؤالات (السؤال الاول) قوله هذا اشارة الى ماذا والجواب من وجهين (الاول) ان موسى عليه السلام قد شرط انه ان سأله بعد ذلك

(وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) من اللباس والبناء قبل هم الزنج وعن كتب ان ارضهم لاتمسك الا ابيته وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البعر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معاشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليته فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومضى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئنا ننظر كيف تطلع الشمس قال فيئنا نحن كذلك اذ سمعنا كهنية الصلصة ففتى على ثم اقت وهم بمصونتي بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهنية الزيت فادخلونا سربالهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض (كذلك) اى اسرى القرنين كما وصفنا ذلك في رفقة الحبل وبسطه الملك اوسره فيهم كارهه في اهل الغرب من الخبير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم واسترا من سترهم من اللباس والاكران والجيال وغير ذلك (وقد اخطأنا بالديه) من الاسباب والعدد والعدد (خبر) يعنى ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به

لا علم للطيف الخبير هذا على الوجه
الاول ولما على الوجوه الباقية
فأمراد بالديما تناول ما جرى
عليه وما صدر عنه والافاء
فأتمل (ثم اتبع سببا) أى طريقا
ثالثا معترض بين المشرق والمغرب
أخذنا من الجنوب إلى الشمال (حتى
إذا بلغ بين السدين) بين الجبلين
الذين سدا بينهما وهو منقطع
أرض الترك عما إلى المشرق لا
جبالا رمية وأذربيجان كانوا
وقرى بالضيق ما كان من
خلق الله تعالى فهو مضموم وما
كان من عمل الخلق فهو مفتوح
واتصاف بين على القولية لانه
مبلوغ وهو من الظروف التي
تستعمل أسماء أيضا كما ارتفع
في قوله تعالى لقد قطع بينكم
والبحر في قوله تعالى هذا فراق
بينى وبينك (ووجد من دونها) أى
من وراءها بما جاوزا عنهما (قوما)
أى أمة من الناس (لا يكادون
يفقهون قولا) لغربة لغتهم
وقلة فطنتهم وقرى من باب
الافعال أى لا يفهمون السامع
كلامهم واختلفوا في الفهم من أى
الاقوام قتال الضعفاء هم جبل
من الترك وقال السدي الترك
سرية من أبجوج وأجوج
خرجت فضرب ذو القرنين
السد فيقبت خارجة فيجمع
الترك منهم وعن قتادة لهم اثنتان
وعشر قبيلة سد ذو القرنين
على إحدى وعشرين قبيلة منهم
وبقيت واحدة فسما الترك
لأنهم تركوا خارجين قال أهل
التاريخ أولاد نوح عليه السلام
ثلاثة سام وحام وياث قسام
أبوا العرب واليهيم

سؤال آخر يحصل الفراق حيث قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني فلذا ذكر هذا
السؤال فارق ذلك العالم وقال هذا فراق بينى وبينك أى هذا الفراق الموعد (الثانى)
ان يكون قوله هذا إشارة الى السؤال الثالث أى هذا الاعتراض هو سبب الفراق
(السؤال الثانى) مامعنى قوله هذا فراق بينى وبينك (الجواب) معناه هذا فراق حصل
بينى وبينك فأضيف المصدر الى الظرف حكى القفال عن بعض أهل العربية ان البين
هو الوصل لقوله لقد قطع بينكم فكان المعنى هذا فراق بيننا أى اتصالنا بقول القائل
أخزى الله الكاذب منى ومنك أى احدا هكذا قاله الزجاج ثم قال العالم لموسى عليه
السلام سأنتك تأويل مالم تستطع عليه صبرا أى سأخبرك بحكمة هذه المسائل الثلاثة
وأصل التأويل راجع الى قولهم أكل الأمر الى كذا أى صار اليه فاذا قيل ما تأويله
فالمعنى مامصيره ۞ قوله تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت
ان أعياها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين
فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا ان يبدلهم اربعا خيرا منه زكاة وأقرب رجاء
وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا
فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امرى ذلك
تأويل مالم تستطع عليه صبرا) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان هذه المسائل
الثلاثة مشتركة فى شئ واحد وهو ان احكام الانبياء صلوات الله عليهم مبنية على
الظواهر كما قال عليه السلام نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهذا العالم
ما كانت احكامه مبنية على ظواهر الامور بل كانت مبنية على الاسباب الحقيقية
الواقعة فى نفس الامر وذلك لان الظاهر ان يحرم التصرف فى اموال الناس وفى
ارواحهم فى المسئلة الاولى وفى الثانية من غير سبب ظاهر ينبج ذلك التصرف لان
تخريق السفينة تقبض للملك الانسان من غير سبب ظاهر وقتل الغلام تقويت لنفس
معضومة من غير سبب ظاهر والاقدام على اقامة ذلك الجدار المائل فى المسئلة الثالثة
تحمل التعب والشقة من غير سبب ظاهر وفى هذه المسائل الثلاثة ليس حكم ذلك العالم
فيها مبنيا على الاسباب الظاهرة المعلومة بل كان ذلك الحكم مبنيا على اسباب معتبرة فى
نفس الامر وهذا يدل على ان ذلك العالم كان قد اتاه الله قوة عقلية قدر بها ان يشرف
على بواطن الامور ويطلع بها على حقائق الاشياء فكانت مرتبة موسى عليه السلام فى
معرفة الشرائع والاحكام بناء الامر على الظواهر وهذا العالم كانت مرتبته الوقوف
على بواطن الاشياء وحقائق الامور والاطلاع على اسرارها الكامنة فى هذا الطريق
ظهران مرتبته فى العلم كانت فوق مرتبة موسى عليه السلام اذا عرفت هذا فنقول
المسائل الثلاثة مبنية على حرف واحد وهو ان عند تعارض الضررين يجب تحمل
الادنى لدفع الاعلى فهذا هو الاصل المعترف فى المسائل الثلاثة (أما المسئلة الاولى) فلان

والرؤم وحام ابوالخيشة والزنج
والنوبية وابنت ابوالترك والجزر
والصقالية وأجوج وماجوج
(قالوا) اى بواسطة مترجمهم
او بالذات على ان يكون
فهم ذى القرنين كلا مهم
وافهام كلامه اياهم من جهة
ما آتاه الله تعالى من الاسباب
(اذا القرنين ان يأجوج
وماجوج) قد ذكرنا اسمائهم
اولاد يافث بن نوح عليه السلام
وقيل يأجوج من الترك وماجوج
من الجبل واختلف في صفاتهم
فقليل في غاية صغر الجثة وقصر
القامة لا يزيد قدرهم على شبر
واحد وقيل في نهاية عظم الجسم
وطول القامة تبلغ قدودهم
نحو مائة وعشرين ذراعا ونفهم من
عرضه كذلك وقيل لهم غلاب
واضراس كالسباع وهما اسمان
الجميعان يدلل منع الصرف
وقيل عربيان من اج الظالم اذا
اسرع واصلها الهمة كقارأ
عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع
صرفها للتعريف والتأنيث
(مفسدون في الارض) اى في
ارضنا بالقتل والتفريب واتلاف
الزروع قيل كانوا يخرجون ايام
الربيع فلا يتركون اخضرالا
يكثروه ولا يابسا الا يحرقوه
وقيل كانوا يأكلون الناس
ايضا (فهل يجعل لك خراجا)
اى جعلنا من امواتنا والفاقد للربيع
الارض على افسادهم في الارض
وقرئ خراجا وكلاهما واحد
كانتول والنوال وقيل الخراج
ما على الارض والدمعة والمخرج
المصدر وقيل الخراج ما كان
على كل رأس والمخرج ما كان
على البلد وقيل الخراج ما تبعت به

ذلك العالم علم انه لو لم يحب تلك السفينة بالتحريق لغصبها ذلك الملك وقامت منافعها عن
ملاكها بالكلية فوقع التعارض بين ان يتحرقها ويبعها فتبقى مع ذلك على ملاكها وبين
ان لا يتحرقها فيغصبها الملك فتفوت منافعها بالكلية على ملاكها ولا شك ان الضرر الاول
اقل فوجب تحمله لدفع الضرر الثاني الذى هو اعظمها (اما المسئلة الثانية) فكذلك
لان بقاء ذلك الغلام حيا كان مفسدة لوالدين في دينهم وفي دنياهم ولعله علم بالوحى
ان المضار الناشئة من قتل ذلك الغلام اقل من المضار الناشئة بسبب حصول تلك
الفساد للابوين فلهمذا السبب اقدم على قتله (المسئلة الثالثة) ايضا كذلك لان المشقة
الحاصلة بسبب الاقدام على اقامة ذلك الجدار ضررها اقل من سقوطه لانه لو سقط
لضاع مال تلك الايتام وفيه ضرر شديد فالحاصل ان ذلك العالم كان مخصوصا بالوقوف
على بواطن الاشياء وبالاطلاع على حقائقها كما هي عليها في انفسها وكان مخصوصا ببناء
الاحكام الحقيقية على تلك الاحوال الباطنة واما موسى عليه السلام فما كان كذلك
بل كانت احكامه مبنية على ظواهر الامور فلا جرم ظهر التفاوت بينهما في العلم فان قال
قائل فالحاصل الكلام انه تعالى اطلمه على بواطن الاشياء وحققها في نفسها وهذا
النوع من العلم لا يمكن تعلمه وموسى عليه السلام اتماذهب اليه ليتعلم منه العلم فكان من
الواجب على ذلك العالم ان يظهر له علما يمكنه تعلمه وهذه المسائل الثلاثة علوم لا يمكن
تعلمها خالفائدة في ذكرها واثهارها والجواب ان العلم بظواهر الاشياء يمكن تحصيله بناء
على معرفة الشرائع الظاهرة واما العلم ببواطن الاشياء فاما يمكن تحصيله بناء على تصفية
الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب عن العلائق الجسدانية ولهذا المعنى قال تعالى
في صفة علم ذلك العالم وعلمناه من لدنا علما ثم ان موسى عليه السلام لما كملت مرتبته في علم
الشريعة بعثه الله الى هذا العالم ليعلم موسى عليه السلام ان كمال الدرجة في ان يتقن
الانسان من علوم الشريعة المبينة على الظواهر الى علوم الباطن المبينة على الاشراف
على البواطن والتطلع على حقائق الامور (المسئلة الثانية) اعلم ان ذلك العالم اوجب على
المسئلة الاولى بقوله اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت ان اعيها
وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفيه فوائد (الفائدة الاولى) ان تلك السفينة
كانت لا تقوم محتاجين متعاشين بها في البحر والله تعالى سماهم مساكين واعلم ان
الشافعي رحمه الله احتج بهذه الآية على ان حال الفقير في الضرر والحاجة اشد من حال
المسكين لانه تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة (الفائدة الثانية)
ان مراد ذلك العالم من هذا الكلام انه ما كان مقصودى من تحريق تلك السفينة
تريق اهله بل مقصودى ان ذلك الملك الظالم كان يغصب السفن الخالية عن العيوب
فجعلت هذه السفينة معيبة لثلا يغصبها ذلك الظالم فان ضرر هذا التحريق اسهل من
الضرر الحاصل من ذلك الغصب فان قيل وهل يجوز للاجنبي ان يتصرف في ملك الغير

لئلا هذا الفرض قلنا هذا مما يختلف احواله بحسب اختلاف الشرائع ففعل هذا المعنى
 كان جائزا في تلك الشريعة واما في شريعتنا فكل هذا الحكم غير بعيد فانا اذا علمنا
 ان الذين يقطعون الطريق ويأخذون جميع ملك الانسان فان دفعنا الى قاطع الطريق
 بعض ذلك المال سلم الباقي فحينئذ يحسن منا ان ندفع بعض مال ذلك الانسان الى قاطع
 الطريق ليسلم الباقي وكان هذا منا يعد احسانا الى ذلك المالك (الفائدة الثالثة) ان ذلك
 التخريق وجب ان يكون واقعا على وجه لا تبطل به تلك السفينة بالكلية اذ لو كان كذلك
 لم يكن الضرر الحاصل من غضبها يبلغ من الضرر الحاصل من تخريقها وحينئذ لم يكن
 تخريقها جائزا (الفائدة الرابعة) لفظ الورا في قوله وكان وراءهم فيه قولان (الاول)
 ان المراد منه وكان امامهم ملك يأخذ هكذا قاله الفراء ونظيره قوله تعالى من وراءهم
 جهنم اي امامهم وكذلك قوله تعالى ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وتحقيقه ان كل ما غاب
 عنك فقد توارى عنك وانت متوار عنه فكل ما غاب عنك فهو وراءك وامام الشيء
 وقدمه اذا كان غائبا عنه متواريا عنه فلم يعد اطلاق لفظ وراء عليه (والقول الثاني)
 يحتمل ان يكون الملك كان من وراء الموضع الذي يركب منه صاحبه وكان مرجع
 السفينة عليه (واما المسئلة الثانية) وهي قتل الغلام فقد اجاب العالم عنها بقوله واما
 الغلام فكان ابواه مؤمنين قبل ان ذلك الغلام كان بالغاً وكان يقطع الطريق ويسد
 على الافعال المنكرة وكان ابواه محتاجان الى دفع شر الناس عنه والتعصبله وتكذيب
 من يرميه بشيء من المنكرات وكان يصير ذلك سببا لوقوعهما في الفسق وربما أدى ذلك
 الفسق الى الكفر وقيل انه كان صبيا الا ان الله تعالى علم منه انه لو صار بالغاً لخلصت منه
 هذه المفساد وقوله فخشي ان يرهقهما طغيانا وكفرا الخشية بمعنى الخوف وغلبة الظن
 والله تعالى قد باح له قتل من غلب على ظنه تولد مثل هذا الفساد منه وقوله ان يرهقهما
 طغيانا فيه قولان (الاول) ان يكون المراد ان ذلك الفساد يحلل ابويه على الطغيان
 والكفر كقوله ولا تراهقني من امرى عمرا اي لا تحملني على عسر وضيق وذلك لان ابويه
 لاجل حب ذلك الولد يحتاجان الى الذب عنه وربما احتاجا الى موافقته في تلك الافعال
 المنكرة (والثاني) ان يكون المعنى ان ذلك الولد كان يماشرهما معايشرة الطغاة الكفار
 فان قيل هل يجوز الاقدام على قتل الانسان لئلا هذا الظن قلنا اذا نك ذلك الظن
 بوجه الله جاز نعم قال تعالى فأردنا ان يبدلها رهبا خيرا منه زكاة اي اردنا ان يبرز ههما
 الله تعالى ولدا خيرا من هذا الغلام زكاة اي دينا وصلاحا وقيل ان ذكره الزكاة ههنا
 على مقابلة قول موسى عليه السلام أقتلت نفسا زاكية بغير نفس فقال العالم اردنا ان يبرز
 الله هذين الابوين خيرا بدلا عن ابنيهما هذا ولدا يكون خيرا منه كما ذكرته من الزكاة
 ويكون المراد من الزكاة الطهارة فكان موسى عليه السلام قال أقتلت نفسا طاهرة لانها
 ما وصلت الى حد البلوغ فكانت زاكية طاهرة عن المعاصي فقال العالم ان تلك النفس

(وان)

والخراج ما لمك اداه (على
 ان تجعل بيتنا وبيتهم بسدا
 وقرى بالضم (قال ماكنى)
 بالادغام وقرى بالفتح اي
 ماكنى (فيه روى) وجلس فيه
 مكينا قادرا من الملك والمال
 وسائر الاسباب (خير) اي مما
 تريدون ان تبدلوه الى من
 الخرج فلا حاجة اليه (فأعنيوني
 بقوة) اي بعة وصناع عسئون
 البناء والمعمل وبآلات لا بد
 منها في البناء والقاء لتفريع الامر
 بالاعانة على خيرة ما يمكنه الله
 تعالى فيه من ماله وعلى عدم
 قبول خر جهنم (اجل)
 جواب للامر (بينكم وبينهم)
 تقديم اضافة الطرف الى خير
 المخاطبين على اضافته الى الخير
 بأجوج ومأجوج لظهور كمال
 العناية بمصالحهم كما راعوه في
 قولهم بيتنا وبينهم (ردا) اي
 حاجزا حصينا وبرزخا متينا
 وهو اكبر من السد واثق
 يقال توب مردم اي فيه رفاع
 وهذا اسعاف بمرامهم فوق
 ما يرجونه (أتوى زبرا الحديد)
 جمع زبرة ككفر في غرفة وهي
 القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي
 ودخراجهم لان المأمورية الايتام
 بالنسبة الى السئلة كما بينى عنه
 القراءة بوصل الجملة اي
 جيئني بزر الحديد على حذف
 الباء كما في امرتك الحير ولان
 ايتام الامة من قبيل الاعانة
 بالقوة دون الخراج على العمل
 ولعل تخصيص الامر بالايتام
 بها دون سائر الالات من
 المنصور والحطب ونحوهما
 ان الحاجة اليها امس اذ هي
 الركن في السد

ووجوده اعز قيل حفر
 للأساس حتى بلغ الماء وجعل
 الأساس من الصخر والخامس
 المذاب والبيان من زبر الحديد
 بينهما الخطب والغصم حتى سدا بين
 الجبلين الى اعلاهما وكان مائة
 فرسخ وذلك قوله عن قاتل (حتى
 اذا ساوى بين الصدفين) اي اتوه
 اياها فاخذ بين شيئا فشيئا حتى اذا
 جعل مابين ناحيتي الجبلين من
 البنيان مساويا لهما في الشك
 على النهج المسمى قيل كان
 ارتفاعه مائتي ذراع ورضه
 نجسين ذراعا وقرى سوى من
 التسوية وسوى على البناء
 للجهول (قال لأمير (فقصوا)
 اي بالكرين في الحديد ألبى
 فقصوا (حتى اذا جعله اي
 المنوخ فيه (قال) اي كالنار في
 الحرارة والهيئة واسناد الجبل
 المذكور الى ذى القرنين مع انه
 فعل الفعلة للفتنة على اله العدة
 في ذلك وهم منزلة الاله (قال)
 الذين يتولون امر الناس من
 الاذابة ونحوها (أتوتى افرع)
 عليه قطرا) اي أتوتى قطرا اى
 نحاسا مذابا افرع عليه قطرا
 لصنف الاول لدلالة الثاني عليه
 وقرى بالوصل اي جيتوى كانه
 يستدعيهم للاعانة باليد عند
 الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه
 للسر الذي وقتت عليه آتفا
 وكذا الكلام في قوله تعالى
 ساوى وقوله تعالى اجعل (قا
 اسطاعوا) يحذف تاء الافعال
 تخفيفا وحذرا عن تلاقى المتقاربين
 وقرى بالادغام وفيه جمع بين
 الساكنين على غير حده وقرى
 بقلب السين صاد

وان كانت زاكية طاهرة في الحال الا انه تعالى علم منها انها اذا بلغت اقدمت على
 الطغيان والكفر فأردنا ان يجعل لهما ولدا اعظم زكاة وطهارة منه وهو الذى يعلم الله
 منه انه عند البلوغ لا يقدم على شئ من هذه المحظورات ومن قال ان ذلك الغلام كان
 بالغال المراد من صفة نفسه بكونها زاكية انه لم يظهر عليه ما يوجب قتله ثم قال واقر
 رجائى يكون هذا البذل اقرب عطفًا ورجة بأبويه بأن يكون أبويهما واشفق عليهما
 والرحم الرحمة والعطف روى انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت لهما هدى الله على
 يديه امة عظيمة نبي من مباحث هذه الآية موضعان في القراءة (الاول) قرأ نافع وابو
 عمرو يبدلها بفتح الباء وتشديد الدال وكذلك في التحريم ان يبدله ازواجا وفي القلم عسى
 ربنا ان يبدلنا والباقون ساكنة الباء خفيفة الدال وهما لفتان ابدل يبدل وبذل يبدل
 (الثاني) قراءة ابن عامر في احدى الروايتين عن ابى عمرو رجاء بضم الحاء والباقون
 بسكونها وهما لفتان مثل تكرر وتكر وشغل وشغل (واما المسئلة الثالثة) وهى اقامة
 الجدار فقد احاط العالم عنها بان الداعي له اليها انه كان تحت ذلك الجدار كنز وكان ذلك
 لليتين في تلك المدينة وكان أبوهما صالحا ولما كان ذلك الجدار مشرفا على السقوط
 ولوسقط لضاع ذلك الكنز فأراد الله ابقاء ذلك الكنز على ذئب اليتين رعاية لحقهما
 ورعاية لحق صلاح ابئهما فأمرني باقامة ذلك الجدار رعاية لهذه المصالح وفي الآية
 فؤائد (القائدة الاولى) انه تعالى سمى ذلك الموضع قرية حيث قال اذا آتيا اهل قرية
 وسماء ايضا مدينة حيث قال واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة (القائدة
 الثانية) اختلفوا في هذا الكنز قيل انه كان مالا وهذا هو الصحيح لوجهين (الاول) ان
 المفهوم من لفظ الكنز هو المال (والثاني) ان قوله ويستخرجنا كنزهما يدل على ان ذلك
 الكنز هو المال وقيل انه كان علما بدليل انه قال وكان أبوهما صالحا والرجل الصالح
 يكون كنزه العلم لا المال اذ كنز المال لا يليق بالصالح بدليل قوله تعالى والذين يكتزون
 الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وقيل كان لوحا من ذهب
 مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن
 وعجبت لمن يؤمن بالوقت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن
 يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (القائدة
 الثالثة) قوله وكان أبوهما صالحا يدل على ان صلاح الآله يفيد العناية بأحوال الأبناء
 وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الصالح سبعة آباء وعن الحسن بن علي انه
 قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما سمح حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح ابئهما
 قال فأبى وجدى خير منه قال قد أتينا الله انكم قوم خصمون وذكروا ايضا ان ذلك
 الاب الصالح كان الناس بضعون الودائع اليه فردها اليهم بالسلامة فان قيل اليتين
 هل عرف احد منهما حصول الكنز تحت ذلك الجدار او ما عرف احد منهما فان كان

والقاء فضيحة اى فعلوا ما امروا به من ابتاء القطر او الاتيان فأقرعه فاخطط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدافجا بأجوج ومأجوج فقصصوا ان يملوه وينقبوه فما استطاعوا (ان يظهره) اى يملوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) لصلابته ونحاشته وهذه مجرة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا أثرت فيها حرارة النار لا يقدر الجيوان على ان يصوم حولها فضلا عن التفتح فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانت سحابة وتعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابد ان اولئك المبشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شئ قدير وقيل بناء من العصور مرتبطا بعضها ببعض بكلايب من حديد ونحاس مذاب في نجوا فيها بحيث يبقى هناك فرجة اصلا (قال) اى ذوالقرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم (هذا) اشار الى السد وقيل الى تمكنه من بناءه والفضل للمقدم اى هذا الذى ظهر على يدى وحصل بمبارتى من السد الذى شأنه ما ذكر من المثانة وصعوبة المنال (رجة) اى اثر رجة عظيمة عبر عنه بها مبالغة (من ربه) على كافة العباد لاسما على مجاوريه وفيه ايذان بأنه ليس من قبيل الآثار الحسنة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهى محض وان ظهر بمبارتى والتمرض لوصف الربوبية لثبوت معنى الرجة (فاذا جاء

الاول امسح ان يتكروا سقوط ذلك الجدار وان كان الثانى فكيف يمكنهم بعد البلوغ استخراج ذلك الكنز والارتفاع به (الجواب) لعل اليقين كانا جاهلين به الان وصبيها كان عالما به ثم ذلك الوصى غاب واشترى ذلك الجدار فى بيته على السقوط ولما قرر العالم هذه الجوابات قال رجة من ربك يعنى انما فعلت هذه الفعالة لغرض ان تظهر رجة الله تعالى لانها بأمرها ترجع الى حرف واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى كما قرناه ثم قال وما فعلته عن امرى يعنى ما فعلت ما رأيت من هذه الاحوال عن امرى واجتهادى ورأى وانما فعلته بأمر الله ووحيه لان الاقدام على تقصيص اموال الناس وارقة دملهم لا يجوز الا بالوحى والنص القاطع يقى فى الآية سؤال وهو انه قال فأردت ان اعيبها وقال فأردنا ان يبدلها ربهما خيرا منه زكاة وقال فأرد ربك ان يبلغا اشدهما كيف اختلفت الاضافة فى هذه الارادات الثلاث وهى كلها فى قصة واحدة وفعل واحد (والجواب) انه لما ذكر العيب اضافته الى ارادة نفسه فقال اردت ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العظماء فى علوم الحكمة فلم يقدم على هذا القتل الا بالحكمة عالية ولما ذكر رماية مصالح اليقين لاجل صلاح ابيهما اضافته الى الله تعالى لان التكفل بمصالح الابداء لرعاية حق الآباء ليس الا الله سبحانه وتعالى * قوله تعالى (ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأنتلوا عليكم منه ذكرا انما مكنا له فى الارض وآييناه من كل شئ سبعا فاتيح سبعا) اعلم ان هذا هو القصة الرابعة من القصص المذكورة فى هذه السورة وفيها مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا فى اول هذه السورة ان اليهود امروا المشركين ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فالمراد من قوله ويسئلونك عن ذى القرنين هو ذلك السؤال (المسئلة الثانية) اختلف الناس فى ان ذى القرنين من هو وذكروا فيه اقوالا (الاول) انه هو الاسكندر بن فيلقوس اليونانى قالوا والدليل عليه ان القرآن دل على ان الرجلسمى بنى القرنين بلغ ملكه الى اقصى المغرب بدليل قوله حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حشمة وايضا بلغ ملكه اقصى المشرق بدليل قوله حتى اذا بلغ مطلع الشمس وايضا بلغ ملكه اقصى الشمال بدليل ان بأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون فى اقصى الشمال وبدليل ان السد المذكور فى القرآن يقال فى كتب التواريخ انه مبنى فى اقصى الشمال فهذا الانسان المسمى بنى القرنين فى القرآن قد دل القرآن على ان ملكه بلغ اقصى المغرب والمشرق والشمال وهذا هو تمام القدر المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لاشك انه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب ان يبنى ذكره مخلدا على وجه الدهر وان لا يبقى مخفيا مستترا والملك الذى اشتهر فى كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر وذلك لانه لامات ابوه جمع ملوك الروم بعد ان كانوا طوائف ثم جمع

وعدري (مصدر بمعنى المفعول
وهو يوم القيامة لا خروج
يا جوج وما جوج كما قيل اذ
لا يساعده النظم الكريم والمراد
بجيشه ما ينظم بجيشه وبجى
مباديه من خروجه وخروج
الدجال وزول عيسى عليه
الصلاة والسلام ونحو ذلك
لادنو وقوعه فقط كما قيل فان
بعض الامور التي ستحيى يقع
بعد مجيئه حتما (جعله) اى السد
المشار اليه مع مثاته ورماته
وفيها من الجزاء ليس في توجيئه
الاشارة السابقة الى التكنين
لذلك (دكاء) اى ارضها
مستوية وقرى دكاء مذكوكا
مسوى بالارض وكل ما ينسط
بعد ارتفاع قاعد ائدك ومنه الجبل
الادك اى المنبسط للسماء وهذا
الجبل وقت مجيئ الوعد بجي
بعض مباديه وفيه بيان لعظم
قدرته عز وجل ببديان سعة
رحمته (وكان وعد ربى) اى وعده
اليهود او كل ما وعده فيدخل
فيه ذلك دخولا اوليا (حقا) ثابتا
لا محالة واقعا البته وهذه الجملة
تدليل من ذى القرنين لما ذكره
من الجملة الشرطية ومقرر مؤكد
لخبرونها وهو آخر ما يحكى
من قصته وقوله عز وجل (وتركنا
بعضهم) كلام مسوق من جنابه
نعالى معطوف على قوله تعالى
جعله دكاء وعققت لخصونه اى
جعلنا بعض الخلائق (يومئذ)
اى يوم اذ جاء الوعد بجي بعض
مباديه (عوج في بعض) آخرتهم
يضطربون اضطراب امواج
البحر ويختلط انفسهم وجهم
حبارى من شدته لعل ولن ذلك
قبل النفخة الاولى او تركنا بعض

ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الا خضر ثم مادالى مصر فى
الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح
في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراق قيون والقط والبر ثم
توجه نحو دارين دارا وهزمه مرات الى ان قتله صاحب حرسه فاستولى الاسكندر على
ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغز الاثم البعيدة ورجع الى خراسان وبني المدن
الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهر زور ومات بها فلما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين
كان رجلا ماثلا لارض بالكلية او ما يقرب منها وثبت بعلم التواريخ ان الذى هذا شأنه
ما كان الا الاسكندر وجب القطع بأن المراد بذى القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس
اليوناني ثم ذكر وافي سبب تسميته بهذا الاسم وجوها (الاول) انه لقب بهذا اللقب
لاجل بلوغه قرنى الشمس اى مطلعها ومغربها كما لقب ازديش بن بهمن بطويل اليدى
لنفوذ امره حيث اراد (والثاني) ان الفرس قالوا ان دارا الاكبر كان قد تزوج بانية
فيلقوس فلما قرب منها وجد منها راحة منكرا فردها على ايها فيلقوس وكانت قد جعلت
منه بالاسكندر فولدت الاسكندر بعد عودها الى ايها فى الاسكندر عند فيلقوس
واظهر فيلقوس انه ابنه وهو فى الحقيقة ابن دارا الاكبر قالوا والدليل عليه ان
الاسكندر لما ادرك دارين دارا وبه رمق وضع رأسه فى حجره وقال لدارا يا ابى اخبرنى
عن فعل هذا لانتم لك منه فهدا ما قاله الفرس قالوا وعلى هذا التقدير فالاسكندر ابوه
دارا الاكبر وامه بنت فيلقوس فهو انما تولد من اصلين مختلفين الفرس والروم وهذا
الذى قاله الفرس انما ذكره لانهم ارادوا ان يجعلوه من نسل ملوك الجهم حتى لا يكون
ملك مثله من نسب غير نسب ملوك الجهم وهو فى الحقيقة كذب وانما قال الاسكندر لدارا
يا ابى على سبيل التواضع واكرم دارا بذلك الخطاب (والقول الثاني) قال ابو الريحان
الهروى المنجم فى كتابه الذى سماه بالآثار الباقية عن القرون الخالية قبل ان ذا القرنين
هو ابو كرب شمس بن صير بن افرقيش الحميرى فانه بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها
وهو الذى افتخر به احد الشعراء من حمير حيث قال

قد كان ذى القرنين قبلى مسلما * ملكا علا فى الارض غير مقند

بالغ المشرق والمغرب يتغنى * اسباب ملك من كريم سبند

ثم قال ابو الريحان ويشبه ان يكون هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من الجن وهم
الذين لا يتخلوا سايهم من ذى كذا كذى النساد وذى نواس وذى النون وغير ذلك
(والقول الثالث) انه كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسة
المهية وان كنا لانعرف انه من هو ثم ذكروا فى تسميته بذى القرنين وجوها (الاول)
سأل ابن الكواعليا رضى الله عنه عن ذى القرنين وقال املك هوام نبى فقال لاملك
ولانى كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الاين فى طاعة الله فأت ثم بعته الله فضرب على

يأجوج ومأجوج يهوج في
 بعض آخر منهم حين يخرجون
 من السد مزدج حين في البلاد
 دوى انهم يأتون البحر فيشربون
 ماءه ويأكلون دوابهم يأكلون
 الشجر ومن ظفروا به من لم
 يخص منهم من الناس ولا يقدر
 ان يأتوا مكة والمدينة وبيت
 المقدس ثم يبعث الله عز وجل
 نفعا في اقلانهم فيدخل آذانهم
 فيوتون موت نفس واحدة
 فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتقيم
 في البحر يرسل مطرا يسفل
 الارض ويظهر هامن تنهم حتى
 يتركها كالزفة ثم يوضع فيها البركة
 وذلك بعد نزول عيسى عليه الصلاة
 والسلام وقتل الدجال (وتخفي
 الصور) هي النفية الثانية بقضية
 الفاء في قوله تعالى (فهيمنهم)
 ولعل عدم التعرض لذكر النفية
 الاولى لانها داهية عاملة ليس فيها
 حالة مختصة بالكفار ولتلايق
 الفصل بين ما يقع في النشأة
 الاولى من الاحوال والاوهال
 وبين ما يقع منها في النشأة الاخرة
 اى جهنم الخلاق بعد ما قرئت
 اوصالهم وعزقت اجسادهم في
 صعيد واحد للحساب والجزاء
 (جما) اى جمعا هيئيا لا يكتنه
 كنهه (وعرضنا جهنم) اى
 اظهرناها وبرزناها (نرمذ) اى
 يوم اذ جهنم الخلاق كافة
 (للكافرين) منهم حيث جعلناهم
 بحيث يرونها ويسمعونها نظما
 وزجرا (عرضا) اى عرضا نظما
 هائلا لا يقاوم قدره ونخصيص
 العرض بهم مع انها برأى من
 اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم
 خاصة (الذين كانت اعينهم) وهم
 في الدنيا (في غطاء) ككشف وعشوة

قرنه الابسرفات فيعشده الله فسمى بنى القرنين وملك ملكه (الثاني) سمي بنى القرنين لانه
 انقضى في وقته قرنان من الناس (الثالث) قيل كان صفحتا رأسه من نحاس (الرابع)
 كان على رأسه ما يشبه القرنين (الخامس) لتاجه قرنان (السادس) عن النبي صلى الله
 عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعنى شرقها وغربها (السابع) كان له
 قرنان اى صغيرتان (الثامن) ان الله تعالى صخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور
 من امامه وتمده الظلمة من ورائه (التاسع) يجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى
 الشجاع كبشاً كما منه ينطق اقراؤه (العاشر) رأى في المنام كما منه صعد الفلك فتعلق بطرف
 الشمس وقرنيه واجانبها فسمى لهذا السبب بنى القرنين (الحادى عشر) سمي بذلك لانه
 دخل النور والظلمة (والقول الرابع) ان ذا القرنين ملك من الملائكة عن عرائنه سمع
 رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا ما رضىتم ان تسموا باسمه الانبياء حتى تسوا
 باسماء الملائكة فهذا جملة ما قيل في هذا الباب والقول الاول اظهر لاجل الدليل الذى
 ذكرناه هو ان مثل هذا الملك العظيم يجب ان يكون معلوم الحال عند اهل الدنيا والذى
 هو معلوم الحال بهذا الملك العظيم هو الاسكندر فوجب ان يكون المراد بنى القرنين
 هو هو الا ان فيه اشكالا قويا وهو انه كان ثليذ ارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه
 فعظيم الله اياه بوجوب الحكم بأن مذهب ارسطاطاليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل
 اليه والله اعلم (المسئلة الثالثة) اختلفوا في ذى القرنين هل كان من الانبياء ام لا منهم
 من قال انه كان نبيا واحبوا عليه بوجوه (الاول) قوله انما كنهه في الارض والاولى
 جله على التمكن في الدين والتمكين الكامل في الدين هو النبوة (الثاني) قوله وآتيناه
 من كل شئ سببا ومن جملة الاشياء النبوة تقتضى العموم في قوله وآتيناه من كل شئ سببا
 هو انه تعالى آناه في النبوة سببا (الثالث) قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين امانا نكذب واما
 ان نتخذ فيه حسنا والذى يتكلم الله معه لابد وان يكون نبيا ومنهم من قال انه كان عبدا
 صالحا وما كان نبيا (المسئلة الرابعة) في دخول السين في قوله سأتلو معناه اى سأفعل
 هذا ان وقفنى الله تعالى عليه وازل فيه وحيا واخبرنى عن كيفية تلك الحال واما قوله
 تعالى انما كنهه في الارض فهذا التمكن يحتمل ان يكون المراد منه التمكن بسبب النبوة
 ويحتمل ان يكون المراد منه التمكن بسبب الملك من حيث انه ملك مشارق الارض
 ومغاربها والاول اولى لان التمكن بسبب النبوة اعلى من التمكن بسبب الملك وحصل
 كلام الله على الوجه الاكمل الافضل اولى ثم قال وآتيناه من كل شئ سببا قالوا السبب
 في اصل اللغة عبارة عن الخيل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى المقصود وهو يتناول العلم
 والقدرة والآلة وقوله وآتيناه من كل شئ سببا معناه اعطيناه من كل شئ من الامور
 التى يتوصل بها الى تحصيل ذلك الشئ ثم ان الذين قالوا انه كان نبيا قالوا من جملة الاشياء
 النبوة فهذه الآية تدل على انه تعالى اعطاه الطريق الذى به يتوصل الى تحصيل النبوة

الذين انكروا كونه نبيا قالوا المراد به وآتيانه من كل شيء يحتاج اليه في اصلاح ملكه
سببا الا ان لقائل ان يقول ان تخصيص العموم خلاف الظاهر فلا يصح سار اليه البديل
ثم قال فأتبع سببا ومعناه انه تعالى لما اعطاه من كل شيء سببه فاذا اراد شيئا أتبع سببا
يوصله اليه ويقربه منه قرأنا فعباد ابن كثير وابو عمرو قاتع بتشديد التاء وكذلك ثم أتبع
اي سلك وسار والباقون قاتع بقطع الالف وسكون التاء مخففة * قوله تعالى (حتى
اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حثمة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين
امان تعذب وامان فنخذ فهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم مرد الى ربه فيعذبه
عذابا نكرا وامان آمن وعمل صالحا فله جزا الحسنى وسقوله له من امر نابيرا) اعلم ان
المعنى انه اراد بلوغ المغرب قاتع سببا يوصله اليه حتى بلغه اما قوله وجدها تغرب
في عين حثمة ففيه مباحث (الاول) قرأ ابن عامر وجزرة والكسائي وابو بكر عن حاصم
في عين حامية بالالف من غير همزة اي حارة وعن ابى ذر قال كنت رديف رسول الله صلى
الله عليه وسلم على جبل فرأى الشمس حين غابت فقال أُنْذِرِي يَا ابْنِ ذَرٍّ ان تغرب هذه قلت
الله ورسوله اعلم قال فلما تغرب حامية وهي قرارة ابن مسعود وطحمة وابن عامر
والباقون حثمة وهي قرارة ابن عباس واتفق ان ابن عباس كان عند معاوية فقرأ معاوية
حامية بالنب فقال ابن عباس حثمة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأ قال كما يقرأ
امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ما وطن
كذلك تجد في التوراة والحكمة ما فيه ما لوحا سوداء واعلم انه لا تاء في بين الحثمة والحامية
فأشار ان تكون العين جماعة للوصفين جميعا (البحث الثاني) انه ثبت بالدليل ان الارض
كرة وان السماء محيطة بها ولا شك ان الشمس في الفلك وايضا قال ووجد عندها قوما
ومعلوم ان جلوس قوم في قرب الشمس غير موجود وايضا الشمس كبرن الارض
بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الارض اذا ثبت هذا فنقول تأويل
قوله تغرب في عين حثمة من وجوه (الاول) ان ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب
ولم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهذه مظلة وان لم تكن
كذلك في الحقيقة كان راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر اذا لم ير الشط
وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر هذا هو التأويل الذي ذكره ابو علي الجاني في تفسيره
(الثاني) ان الجانب الغربي من الارض مساكن يحيط البحر بها قالناظر الى الشمس
يتجبل كأنها تغيب في تلك البحار ولا شك ان البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية
وهي ايضا حثمة لكثرة ما فيها من الحماة السوداء والماء فقوله تغرب في عين حثمة إشارة
الى ان الجانب الغربي من الارض قد احاط به البحر وهو موضع شديد السخونة (الثالث)
قال اهل الاخبار ان الشمس تغيب في عين كثيرة الماء والحماة وهذا في غاية البعد وذلك
لاناذا ارصدنا كسوفها قريبا فاذا اعتبرناه ورأينا ان الغربيين قالوا حصل هذا

الجواب (عن ذكرى) من
الآيات المؤدية لاولي الابصار
التدوير فيها الا ذكرى
بالوحد والتعبد او كانت
اعين بصائرهم في غطاء عن ذكرى
على وجه يليق بشأن اوعن
القرآن الكريم (وكانوا) مع
ذلك (لا يستطيون) لفرد
نصامهم عن الحق وكال عدوهم
لارسل عليه الصلاة والسلام
(سمعا) استقاما لذكرى وكلامى
الحق الذى لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه وهذا غثيل
لاعراضهم عن الادلة السميعة
كان الاول تصوير لتعاسيهم من
الآيات المشاهدة بالابصار
والموصول لتلك الكافرين وبديل
منه اوبان بنى بذهنهم بما في حيز
الصلة وللأشار بعلته لاصابة
مأصباهم من عرض جهنم لهم
فان ذلك انما هو لعدم استعمال
مشاعرهم في معرض لهم في الدنيا
من الآيات واعراضهم عنها مع
كونها سببا مقبلة عما يتلوها في
الآخرة (انفس الذين كفروا)
اي كفروا وبى كما يغرب عنه قوله
تعالى عبادى والحسبان بمعنى
الظن وقد قرئ اقلن والهمزة
للافتكار والتوبيخ على معنى
انكار الواقع واستنجاها كما في
قولك اضربت اباك لانكار
الوقوع كما في قوله اضراب ابى
والقاء للعطف على مقدر يفصح
عنه الصلة على توجيه الانكار
والتوبيخ الى المعطوفين جميعا
كما اقدر المعطوف عليه في قوله
تعالى الا لا تغفلون فنيا اي الا
تسمعون فلا تغفلون لاول المعطوف

قط كما اذا قدر مثبتاى التمعون

فلا تغفلون والمعنى بكفروا بى مع
جلالة شأنى فحسبوا (ان يتخذوا
عبادى من دونى) من الملائكة
وعيسى وهزير عليهم السلام وهم
تحت سلطانى وملكوتى (اولياء)
معبودين يصرونهم من بأسى وما
قبلنا لمطف على ما قبلنا من
قوله تعالى كانت الخ كواكبا الخ
دلالة على ان الحساب ناسخ من
الناسى والنصام وادخل عليها
همزة لا تكاد تخرج عن دم قطعها
عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى
للإبدان بالاستقلال المؤكد للعدم
بأياه ترك الاخبار والتعرض
لوصف آخر غير الناسى والنصام
على لهما اخر جازم في احوال
الجبلىة لهم وليد كرا من حيث
الهما من افاهم الاختيارية
الحادثية كسبيلهم الحسن تدرجه
عليهما وايضا فانه دين قديم لهم
لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم
عن كلام الله عز وجل وتخصيص
الانكار بحسبيلهم المتأخر عن
ذلك تعقيب لا يخفى وما فى حيز صلة
ان سادس مدفوعلى حسب كفى
قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون
فتنة اى الحسبوا انهم يتخذونهم
اولياء على معنى ان ذلك ليس من
الاتخاذ فى شئ بل انه انما يكون
من الجانبين وهم عليهم الصلاة
والسلام مذهبون عن ولايتهم
بثمة لقولهم سبحانه استولينا
من دونهم وقيل مدفوعه الثانى
محذوف اى انفسوا اتخاذهم
ناضالهم والوجه هو الاول لان
فى هذا تسلية لنفس اتخاذ
واعتدادا به فى الجملة وقربى
الحسب الذين كفروا

الكسوف فى اول الليل ورأينا المشرقين قالوا حصل فى اول النهار فلما ان اول الليل
عند اهل المغرب هو اول النهار الثانى عند اهل المشرق بل ذلك الوقت الذى هو اول الليل
عندنا فهو وقت العصر فى بلادهم وقت الظهر فى بلاد آخر ووقت الضحوة فى بلاد ثالث ووقت
طلوع الشمس فى بلاد رابع ونصف الليل فى بلاد خامس واذا كانت هذه الاحوال معلومة
بعد الاستقراء والاعتبار وعلمنا ان الشمس طالعة ظاهرة فى كل هذه الاوقات كان الذى
يقال انها تغيب فى الطين والحجاء كلاما على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرا عن هذه
التهمة فليق الا ان يصار الى التأويل الذى ذكرناه ثم قال تعالى ووجد عندها قوما
الضخيرة فى قوله عندها الى ماذا يعود فيه قولان (الاول) انه عائد الى الشمس ويكون
التأنيث للشمس لان الانسان لما تخيل ان الشمس تغرب هناك كان سكان هذا الموضع
كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس (والقول الثانى) ان يكون الضخيرة عائدا الى العين
الحامية وعلى هذا القول فالتأويل ما ذكرناه ثم قال تعالى قلنا اذا القرنين امان تعذب
وامان تتخذ فيهم حسنا وفيه مباحث (الاول) ان قوله تعالى قلنا اذا القرنين امان تعذب
واما ان تتخذ فيهم حسنا يدل على انه تعالى تكلم معه من غير واسطة وذلك يدل على انه
كان نيا وحل هذا اللفظ على ان المراد انه خاطبه على السنة بعض الانبياء فهو عدول
عن الظاهر (البحث الثانى) قال اهل الاخبار فى صفة ذلك الموضع اشياء عجبية قال ابن
جريج هناك مدنة لها اثنا عشر الف باب لولا اصوات اهلها سمع الناس وجبة الشمس
حين تغيب (البحث الثالث) قوله تعالى قلنا اذا القرنين امان ان تعذب وامان تتخذ فيهم
حسنا يدل على ان سكان آخر المغرب كانوا كفارا فخير الله ذا القرنين فيهم بين التعذيب
لهم ان اقاموا على كفرهم وبين المن عليهم والعفو عنهم وهذا التحيير على معنى الاجتهاد
فى الصلح الامر من كما خير نبيه عليه السلام بين المن على المشركين وبين قتلهم وقال
الاكثرون هذا التعذيب هو القتل وامان تتخذ الحسنى فيهم فهو تركهم احياء ثم قال
ذو القرنين امان عظم اى ظم نفسه بالاقامة على الكفر والدليل على ان هذا هو المراد انه
ذكر فى مقابلته وامان آمن وعمل صالحا ثم قال فيصوف تعذبه اى بالقتل فى الدنيا ثم ردد
الى ربه فعذبه عذابا نكرا اى منكرا فظيما وامان آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى
قرأ جزء والكسائى وحقق عن عاصم جزاء الحسنى بالنصب والتزوين والباقون
بالرفع والاضافة فعلى القراءة الاولى يكون التقدير فله الحسنى جزاء كما تقول لك هذا
الثوب هبة واماعلى القراءة الثانية فى التفسير وجهان (الاول) فله جزاء الفعل الحسنى
والفعله الحسنى هى الايمان والعمل الصالح (والثانى) ان يكون التقدير فله جزاء المثوبة
الحسنى ويكون المعنى فله ذا الجزاء الذى هو المثوبة الحسنى والجزاء موصوف بالمثوبة
الحسنى واضافة الموصوف الى الصفة مشهورة كقوله ولدار الآخرة وحق اليقين ثم قال
وسنقول له من امرنا يمسرا اى لان امره بالصب الشاق ولكن بالسهل اليسر من الزكاة

والخراج وغيرهما وتقديره ذابسر كقوله قولاً يسور أو قرئ يسراً بضعتين ^١ قوله تعالى
(ثم اتبع سبياً حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً
كذلك وقد احطنا بما لديه خبراً) اعلم انه تعالى لما بين اولاً انه قصد اقرب الاماكن
المسكونة من مغرب الشمس اتبعه بيان انه قصد اقرب الاماكن المسكونة من مطلع
الشمس فيبين الله تعالى انه وجد الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً وفيه
قولان (الاول) انه ليس هناك شجر ولا جبل ولا بنية تمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم
فهذا السبب اذا طلعت الشمس دخلوا في امراب واغلة في الارض او غاصوا في الماء
فيكون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف في المعاش وعند غروبها يشغلون
بحصل مهمات المعاش حالهم بالضد من احوال سائر الخلق (والقول الثاني) ان معناه
انه لا ثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة ابداء يقال في كتب الهيئة ان حال اكثر
الزنج كذلك وحال كل من يسكن البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك وذكر في كتب
التفسير ان بعضهم قال سافرت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقيل يترك
وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه الواحدة ويلبس الاخرى ولما قرب
طلوع الشمس سمعت كهيشة الصلصلة فغشي على ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما
طلعت الشمس اذا هي فوق الماء كهيشة الزيت فادخلونا سر بالهم فلما ارتفع النهار
جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج ثم قال تعالى كذلك وقد احطنا
بما لديه خبراً وفيه وجوه (الاول) اى كذلك فعل ذو القرنين اتبع هذه الاسباب حتى
بلغ ما يبلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به
(والثاني) كذلك جعل امر هؤلاء القوم على ما قد اعلم رسوله عليه السلام في هذا
الذكر (والثالث) كذلك كانت حاله مع اهل المطلع كما كانت مع اهل المغرب فضى
في هؤلاء كما قضى في اولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين (والرابع) انه تم
الكلام عند قوله كذلك والمعنى انه تعالى قال امر هؤلاء القوم كما وجدهم عليه
ذو القرنين ثم قال بعده وقد احطنا بما لديه خبراً اى كنا علمين بأن الامر كذلك ^٢ قوله
تعالى (ثم اتبع سبياً حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون
قولا قالوا ايا ذا القرنين ان يا جوج وما جوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً
على ان تجعل بيننا وبينهم سداً قال مامكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة اجعل بينكم
وبينهم ردماً) اعلم ان ذا القرنين لما بلغ المشرق والمغرب اتبع سبياً آخر وسلك الطريق
حتى بلغ بين السدين وقد آتاه الله من العلم والقدرة ما يقوم بهذه الامور وهنا مباحث
(الاول) قرأ جزء والكسائي السدين يضم السين وسداً يقضها حيث كان وقرأ حفص
عن عاصم بالفتح فيهما في كل القرآن وقرأ نافع وابن عامر وابوبكر عن عاصم بالضم فيهما
في كل القرآن وقرأ ابن كثير وابو عمرو السدين وسداً ههنا يفتح السين فيهما وضمهما في بس

اى انضمهم وكافهم ان يتخذوهم
اولياء على الابتداء والخبر والفعل
والفعل فان الفت اذا اعتد
الهمزة ساوى الفعل في العمل
فالهيمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع
(انا اعتدنا جهنم) اى هي اناها
(للكافرين) المهود بن
عادل عن الاضمار ذما لهم
واشعاراً بأن ذلك الاعتداد
بسبب كفرهم المتضمن لحسابهم
الباطل (تلاً) اى شيئاً يثمنون به
عند ورودهم وهو ما يباع للزبل
اى الضيف ماحض من الطعام
وفيه تغطية لهم في حسابهم
وتكميمهم حيث كان اقتضاهم
اياهم اولياء من قبيل اعتدال العاد
واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه
قيل انا اعتدنا لهم مكاناً ماعدوا
لاقتهم من الصدقة والذخر
جهنم عدة وفي ايراد التل ايعاد
الان لهم وراهم جهنم من العذاب
ما هو انموذج له وقيل التل موضع
الزول ولذلك فسره ابن عباس
رضي الله عنهما بالثوى (قل هل
نتنبئكم) الخطاب الثاني للكفرة
على وجه التوبيخ والجمع في
صيغة التكلم لتعيينه من اول
الامر ولا بد ان يعلموا النبأ
للمؤمنين ايضا (بالاخيرين
اعمالاً) لخص على الخير والجمع
للايمان بتوحيدها وهذا بيان
لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم
من الاعمال الخسنة في انفسهم
وفي حسابهم ايضا حيث كانوا
مجهين بها واقفين بيل ثوابها
ومشاهدة آثارها غيب بيان
حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في
انفسهم مع كونها حسنة في
حسابهم (الذين مثل سعيهم) في
اقامة تلك الاعمال اى ضاع وبطل

في الموضعين قال الكسائي هما لغتان وقيل ما كان من صنعة بنى آدم فهو السد يفتح
 السين وما كان من صنع الله فهو السد بضم السين والجمع سد وهو قول أبي عبيدة وابن
 الأثير قال صاحب الكشف السد بالضم فعل بمعنى مفعول أي هو ما فعله الله
 وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس (البحث الثاني) الاظهر ان موضع
 السدين في ناحية الشمال وقيل جبلان بين ارمينية وبين أذر بيجان وقيل هذا المكان في
 مقطع ارض الترك وحكي محمد بن جرير الطبري في تاريخه ان صاحب أذر بيجان ايام
 فتحها وجه انسانا اليه من ناحية الخزر فتشاهده ووصف انه بنيان رفيع وراء خندق
 عميق وثيق منيع وذكر ابن خرداذ في كتاب المسالك والممالك ان الواثق بالله رأى في المنام
 كأنه قنع هذا الدم فبعث بعد الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى
 وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بنامر بن من حديد مشدود بالثحاس المذاب وعليه
 باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع اخرجهم الدليل على البقاع المحاذية
 لسميرند قال ابو الريحان مقتضى هذا ان موضعه في الربع الشمالي الغربي من الممورة
 والله اعلم بحقيقة الحال (البحث الثالث) ان ذا القرنين المبلغ ما بين السدين وجد من
 دونهما اي ورائهما مجاوزا عنهما قوما اي امة من الناس لا يكادون يفقهون قولاً
 قرأ حزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يمكنهم تفهيم غيرهم
 والباقون بفتح الياء والقاف والمعنى انهم لا يعرفون غير لغة انفسهم وما كانوا يفهمون
 اللسان الذي يتكلم به ذو القرنين ثم قال تعالى قالوا يا ذا القرنين ان يا جوج ومأجوج
 مفسدون في الارض فان قيل كيف فهم ذو القرنين منهم هذا الكلام بعد ان وصفهم الله
 بقوله لا يكادون يفقهون قولاً والجواب ان نقول كاد فيه قولان (الاول) ان آياته نفي
 وفيه اثبات فقوله لا يكادون يفقهون قولاً لا يدل على انهم لا يفهمون شيئاً بل يدل على
 انهم قد يفهمون على مشقة وصعوبة (والقول الثاني) ان كاد معناه المقاربة وعلى هذا
 القول فقوله لا يكادون يفقهون قولاً اي لا يعلمون وليس لهم قرب من ان يفقهوا وعلى
 هذا القول فلا بد من اضممار وهو ان يقال لا يكادون يفهمونه الا بعد تقريب ومشقة
 من اشارة ونحوها وهذه الآية تصلح ان تحجج بها على صحة القول الاول في تفسير كاد
 (البحث الرابع) في يا جوج ومأجوج قولان (الاول) انهما اسمان اجمعيان
 موضوعان بدليل منع الصرف (والقول الثاني) انهما مشتقان وقرأ عاصم يا جوج
 ومأجوج بالهمز وقرأ الباقر يا جوج ومأجوج وقرئ في رواية آجوج ومأجوج
 والقائلون يكون هذين الاسمين مشتقين ذكروا وجوها (الاول) قال الكسائي
 يا جوج مأخوذ من تأجج النار وتلهبها فلهذا علمت في الحركة سموا بذلك ومأجوج من
 موج البحر (الثاني) ان يا جوج مأخوذ من تأجج الملح وهو شدة ملوحته فلهذا علمت من
 الحركة سموا بذلك (الثالث) قال الضبي هو مأخوذ من قولهم اج الظلم في مشيه شج اجا

(اذا هرول)

بالكساية (في الحيوة الدنيا) متعلق
 بالسعي لا بالزال لان بطلان
 سعيهم غير مختص بالدنيا قيل
 المراد بهم اهل الصكتاين
 قاله ابن عباس وسعد بن ابى
 وقاص ومجاهد رضى الله عنهم
 ويدخل في الاعمال حينئذ ما عملوه
 من الاحكام المنسوخة المتعلقة
 بالمبادات وقبل الرهابة الذين
 يحسبون انفسهم في الصوامع
 ويصلونها على الرياضات الشاقة
 ولسمه ما يصعبهم وغيرهم من
 الكفرة وعمل الوصول الرفع
 على انه خبر مبتدأ محذوف لانه
 جواب لسؤال كأنه قيل من هم
 قبيل الذين الخ وجعله مجروراً
 على انه نعت للاخيرين او بدل
 منه او منصوب على الذم على ان
 الجواب ما سألني من قوله تعالى
 اولئك الايتية يا ابا ان صدره ليس
 متبوعاً من خبر ان الاعمال وضلال
 السعي كما يستدعيه مقام الجواب
 والتفريع الاول وان دل على
 حيويتها لكنه ساكت عن اثبات
 ماهو العمدة في تحقيق معنى
 الخبر ان من الوثوق بترتيب الريح
 واعتقاد النفع فيها صنعوا على
 ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك
 الاحتمال رأساً اذ لا مجال
 لادراجه تحت الامر بقضية ثبوت
 العظمة (وهم يحسبون انهم
 يحسنون صنعا) الاحسان
 الايمان بالاعمال على الوجه
 اللائق وهو حسنها الوصفى
 المستلزم لحسنها الذاتي اي
 يحسبون انهم يعملون ذلك على
 الوجه اللائق وذلك لاهلها
 بأعمالهم التي سموها قائمتها وكابدوا
 في تحصيلها والجملة حال من فاعل

اذاهول وسمعت حفيظه في عدوه (الرابع) قال الخليل الأجدح حب كالعدس والمجج
 الرقيق فيحمل ان يكون مأخوذ منهما واختلفوا في انهما من اى الاقوام فقيل انهما
 من الترك وقيل بأجوج من الترك وأجوج من الجبل والدليل ثم من الناس من وصفهم
 بقصر القامة وصغر الجثة يكون طول احدهم شبرا ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر
 الجثة وانبوا لهم مخالب في الاظفار واضراسا كاضراس السباع واختلفوا في كيفية
 انسادهم في الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل كانوا يأكلون لحوم الناس وقيل
 كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون لهم شيئا اخضر وبالجمله فلفظ الفساد محتمل
 لكل هذه الاقسام والله اعلم بمراده ثم انه تعالى حكى عن اهل ما بين السدين انهم قالوا
 لذى القرنين فهل نجعل لك خرجا لعلك ان تجعل بيننا وبينهم سدا فقرأ حزة والكسائي
 خراجا والباقون خرجا قيل الخراج والخرج واحد وقيل هما امران متغايران وعلى
 هذا القول اختلفوا قيل الخراج بغير الف هو الجعل لان الناس يخرج كل واحد منهم
 شيئا منه فيخرج هذا اشياء وهذا اشياء والخراج هو الذى يجبيه السلطان كل سنة وقال
 الفراء الخراج هو الاسم الاصلى والخرج كالصدر وقال قطرب الخرج الجزية والخراج
 في الارض فقال ذو القرنين ما مكنى فيه ربى خير فأعنيونى اى ما جعلنى مكنيا من المال
 الكثير واليسار الواسع خير مما تبدلون من الخراج فلا حاجتى اليه وهو كما قال سليمان
 عليه السلام فاأتانى الله خيرا مما آتاكم قرأ ابن كثير ما مكنى بنونين على الاظهار
 والباقون بنون واحدة مشددة على الادغام ثم قال ذو القرنين فأعنيونى بقوة اجعل
 بينكم وبينهم رمدا مائى لا حاجتى فى ممالككم ولكن اعنيونى برجال وآله ابغى بها السد
 وقيل المعنى اعنيونى بما لا اصرفه الى هذا الملم ولا اطلب المال لاختذه لنفسى والردم
 هو السد يقال ردمت الباب اى سدته وردمت الثوب رقعته لانه يسد الخرق بالرقعة
 والردم اكثر من السد من قولهم ثوب مردوم اى وضعت عليه رقاع قوله تعالى
 (أتوفى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفضحوا حتى اذا جعله نارا قال أتوفى
 افرغ عليه قطرا) انا استطاعوا ان يظهره وما استطاعوا له تقبال هذا رجة من ربى
 فاذا جاء وعد ربى جملة دكا وكان وعد ربى حقا) اعلم ان زبر الحديد قطعة قال الخليل
 الزبرة من الحديد القطعة الضخمة قراءة الجميع أتوفى بمداللف الأجزاء قاله قرأ أتوفى
 من الايتان وقد روى ذلك عن عاصم والتقدير أتوفى زبر الحديد ثم حذف الباء كقوله
 شكرته وشكرت له وكفرته وكفرته وقوله حتى اذا ساوى بين الصدفين فيه اضمار
 اى فأتوه بهما فوضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت بحيث تسد ما بين الجبلين
 الى اعلاهما ثم وضع المنافع عليهما حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على
 الحديد المحمى فالصق ببعضه بعض وصار جبلا صلدا واعلم ان هذا مجزأ فاهل هذه
 الزبر الكثيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها والنفخ

ضل اى بطل سعيهم المذكور
 والحال انهم يحسبون انهم يحسنون
 في ذلك ويشعرون انهم يزدادون
 المضاف اليه لكونه في فعل الرض
 نحو قوله تعالى سرجكم جميعا
 اى بطل سعيهم والحال انهم الخ
 والفرق بينهما ان المقارن لحال
 حسبانهم المذكور في الاول
 مثالا سعيهم وفي الثاني نفس
 سعيهم والاول ادخل في بيان
 خطئهم (اولئك) كلام
 مستأنف من جنابه تعالى مسوق
 لتكميل تعريف الاخيرين
 وتبيين سبب خسارتهم ومثال
 سعيهم وتعييدهم بحيث يطبق
 التعريف على الخاطئين غير داخل
 تحت لاسرائى اولئك المبعوثون
 بما ذكر من ضلال السعي مع
 الحسبان المنزور (الذين كفروا
 بآيات ربهم) بدلالة البداية الى
 التوحيد عقلا وتقالا والتعرض
 لعنوان الربوبية لزيادة تقييد
 حالهم في الكفر المذكور
 (ولقائه) بالبعث وما يتبعه من
 امور الآخرة على ما هي عليه
 (فحسبت) لذلك (اعمالهم)
 المهودة جيوطا كليا (فلا تقم
 لهم) اى لا أولئك الموصوفين بما
 مر من جيوط الاعمال وقرئ
 بالياء (يوم القيامة وزنا) اى
 فتزديدهم ولا تجعل لهم مقاديرا
 واعتبرا لان مداده الاعمال
 الصالحة وقد حطت بالردة وحيث
 كان هذا الازدراء من عواقب
 جيوط الاعمال عطف عليه
 بطريق التفرع واما ما هو من
 الجزية الكفر فسمى به ذلك
 اولانضع لاجل وزن اعمالهم
 ميزان لانهما موضع لاهل الحسنات

عليها لا يمكن الامع القرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن
إبدان أولئك النافخين عليها قال صاحب الكشاف قيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ
والصد فان يقتحين حباب الجليلين لانهما يتصادقان اى يقابلان وقرئ الصدين بضمين
والصدين بضمه وسكون والقطر الخاس المذاب لانه يقطر وقوله قطرا منصوب بقوله
افرخ وتقديره آتوني قطرا افرخ عليه قطرا لحذف الأول لدلالة الثاني عليه ثم قال فا
اسطاعوا لحذف التاء للتحفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فاصطاعوا بقلب
السين صاد ان يظهره ان يعلوه اى ماقدروا على الصعود عليه لاجل ارتفاعه
وملاسته ولاعلى نقيه لاجل صلابته ونخاته ثم قال ذوالقرنين هذارخه من ربي قوله
هذا اشارة الى السد اى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده اوهذا الاقتدار
والتكبر من نسوته فاذا جاء وعد ربي يعنى فاذا دنا بجي القيامة جعل السدكا اى
مدكوكا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد اندك وقرئ دكاه بالذ اى
ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا وهما آخر حكاية ذى القرنين ﴿ قوله تعالى
(وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جعوا عر ضنا جهنم يومئذ
للكافرين عر ضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا)
اعلم ان الضمير في قوله بعضهم ما دلى بأجوج وأجوج وقوله يومئذ فيه وجوه (الأول)
ان يوم السد ما ج بعضهم في بعض خلفه لما منعوا من الخروج (الثاني) ان عندنا خروج
يموج بعضهم في بعض قيل انهم حين يخرجون من وراء السد يموجون مزدحين في
البلاد يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ويأكلون لحوم
الناس ولايقدر ان يأثوامكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عليهم حيوانات
فتدخل آذانهم فيموتون (القول الثالث) ان المراد من قوله يومئذ يوم القيامة وكل
ذلك محتمل الا ان الاقرب ان المراد الوقت الذي جعل الله ذلك السدكا فعنده ما ج
بعضهم في بعض وبعد نفخ في الصور صار ذلك من آيات القيامة والكلام في الصورة قد
تقدم وسيجي من بعد واما عرض جهنم وبارزه حتى يصير مكشوقا بأهواله فذلك يجري
مجرى عقاب الكفار لما يتدخلهم من ألم العظيم وبين تعالى انه يكشفه للكافرين الذين
عوا وصموا اما الصمى فهو المراد من قوله كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى والمراد منه
شدة انصرافهم عن قبول الحق واما الصم فهو المراد من قوله وكانوا لا يستطيعون سمعا
يعنى ان حالتهم اعظم من الصم لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صح به وهؤلاء زالت
ضمهم تلك الاستطاعة واحتج الاحصاء بقوله وكانوا لا يستطيعون سمعا على ان الاستطاعة
مع الفعل وذلك لانهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا قال القاضى المراد منه نفرتهم عن سماع
ذلك الكلام واستقالهم اياه كقول الرجل لا يستطيع النظر الى فلان ﴿ قوله تعالى
(أنفس الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دوى أولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا

مقادير الطاعات والمعاصى
ليرتب عليه التكفير او عدمه
لان ذلك فى الموحدن بطريق
الكيفية واما الكفر فاقباطه
للحسنات بحسب الكيفية دون
الكمية فلا يوضع لهم الميزان
قطعا (ذلك) بيان لما كفرهم
وسائر معاصيهم اثريان ما ك
اعمالهم الخبطة بذلك اى الاسر
ذلك وقوله عز وجل (جزاؤهم
جهنم) جنة مهيئة له اودلك
مبتدا واجلته خبره والساد
محذوف اى جزاؤهم به او
جزاؤهم بدله وجهنم خبره او
جزاؤهم خسرته وجهنم عطف
بيان الخبر (يا كفروا) تصرح
بان ما ذكر جزاء لكفرهم
المتضمن لسائر القبايح التى انبأ
عنها قوله تعالى (واتخذوا آياتى
ورسلى هزوا) اى همزوا بهما
فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر
بالآيات والرسلى بل ارتكبوا
مثل تلك العظيمة ايضا (ان الذين
آمَنوا) بيان بطريق الوعد لآل
الذين اتصفوا باضداد ما اتصف
به الكفرة اى اتيان ما لهم
بطريق الوعد اى آمنوا آيات
ربهم ولقائه وعملوا الصالحات
من الاعمال (كانت لهم) فيما
سبق من حكم الله تعالى وعده
وتبعا ياء الى ان الرارحة يضل
اليهم بمقتضى الرافة الازلية
بمخلاف ما سر من جعل جهنم
للكافرين نزلا فانه بموجب
ما حدث من سوء اختيارهم
(جنات الفردوس) عن مجاهد
ان الفردوس هو البستان بالرومية
وقال عكرمة هو الجنة بالخشية
وقال الضحاك

هو الجنة الملقبة بالجنة والنار

هي الجنة التي ثبتت ضرورتها من
النبات وقيل هي الجنة من الكرم
خاصة وقيل ما كان غلبه كرمها
وقال المبرد هو ثياب من
العرب الشجر اللطيف والغلب
عليه ان يكون من العنب وعن
كعب انه ليس في الجنة اعلى
من الجنة الفردوس وفيها
الاشجار بالمعروف والناهون
عن المنكر وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الجنة مائة
درجة ما بين كل درجتين مسيرة
مائة عام والفردوس اعلاها
وفيها الانهار الاربعة فاذا سأل الله
تعالى فاسأله الفردوس فان
فوقه عرش الرحمن ومنه تفصير
انهار الجنة (نزلا) خير كانت
والجار والمجرور متعلق بمحذوف
على الله حال من نزل اوعلى انه
بيان احوال من جنات الفردوس
والنهر هو الجار والمجرور فان
جعل النزل بمعنى ما يهبط للنار
فالمنى كانت لهم نهار جنات
الفردوس نزا او جعلت نفس
الجنات نزلا بمقابلة في الاكرام
وقبه ايدان بانها عند ما عاهد الله
لهم على ما جرى على لسان
النوة من قوله اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر
بنزله النزل بالنسبة الى الضيافة
وان جعل بمعنى النزل فامنى ظاهر
(خالدين فيها) نصب على الحالية
(لا يمتحنونها حولها) مصدر
كالوج والصغر اي لا يطالبون
بحولائها اذ لا يتصور ان يكون
شيء اعز عندهم وارفع منها حتى
تتازعهم اليه انفسهم وتطمع
نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد
نفى التناول

قل هل ننبئكم بالاخسر من اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقاءه فحبطت اعمالهم فلانقيم لهم
يوم القيامة وزنا ذلك جزاءهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما بين من حال الكافرين انهم ارضوا عن الذكر
وعن اجتماع ما جاء به الرسول اتبعه بقوله فحسب الذين كفروا ان اتخذوا عبادي من
دوني اولياء والمراد افطنوا انهم ينتفعون بما عبدوه مع ارضائهم عن تدبر الآيات
وتعذرهم عن قبول امره وامر رسوله وهو استفهام على سبيل التوبيخ (المسئلة الثانية)
قرأ ابوبكر ولم يرفع اليه حاصم فحسب الذين كفروا يسكون السين ورفع الباء وهي من
الاحرف التي خالف فيها عاصما وذكر انه قراءة امير المؤمنين على بن ابي طالب وعلى هذا
التقدير قوله حسب مبتدا ان يتخذوا خبره والمعنى فكيفهم وحسبهم ان يتخذوا كذا
وكذا واما الباقون فقرأوا فحسب على لفظ الماضي وعلى هذا التقدير فقيه حذف
والمعنى فحسب الذين كفروا اتخذوا عبادي اولياء نافعا (المسئلة الثالثة) في العباد
اقوال قيل اراد عيسى والملائكة وقيل هم الشياطين بالوهم ويطيعوهم وقيل هي
الاصنام سماهم عبادا كقوله عباد امثالكم ثم قال تعالى انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا
وفي النزول قولان (الاول) قال الزجاج انه المأوى والمنزل (والثاني) انه الذي يقام التعزيب
وهو الضيف ونظيره قوله فيشرهم بعذاب الله ثم ذكر تعالى ما يهبطه على جهنم القوم فقال
قل هل ننبئكم بالاخسر من اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا قيل انهم هم الرهبان
كقوله تعالى ماملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي ان ابن الكواء سأله عنهم
فقال هم اهل حروراء والاصل ان يقال هو الذي يأتي بالاعمال بظنها طاعات وهي في
انفسها معاصي وان كانت طاعات لكنها لا تقبل منهم لاجل كفرهم فأولئك انما اتوا
بتلك الاعمال لرجاء الثواب وانما اتعبوا انفسهم فيها لطلب الاجر والفوز يوم القيامة
فاذا لم يفوزوا بمطالبهم بين انهم كانوا ضالين ثم انه تعالى بين صنعهم فقال اولئك الذين
كفروا بايات ربهم ولقاءه فحبطت اعمالهم وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) لقاء الله
عبارة عن رؤيته بدليل انه يقال لقيت فلانا اي رأيته فان قيل اللقاء عبارة عن الوصول
قال تعالى فالتقي الماء على امر قد قدر وذلك في حق الله تعالى محال فوجب حمله على لقاء
ثواب الله والحوار ان لفظ اللقاء وان كان في الاصل عبارة عن الوصول والملاقاة الا ان
استعماله في الرؤية مجاز ظاهر مشهور والذي يقولونه من المراد منه لقاء ثواب الله
فهو لا يتم الا بالاضمار ومن المعلوم ان جل اللفظ على المجاز المتعارف المشهور اولى من
حمله على ما يحتاج معه الى الاضمار (المسئلة الثانية) استدلت المعتزلة بقوله تعالى
فحبطت اعمالهم على ان القول بالاجباط والتكفير حق وهذه المسئلة قد ذكرناها
بالاستقصاء في سورة البقرة فلا نعيدا ثم قال تعالى فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا وفيه

وتأكيد الخلود والجملة حال
من صاحب خالدين او من خيره
فيه فيكون حال امتداحة (قل
لو كان البحر) اي جنس البحر
(مدادا) وهو ما عديه الدواة
من الحبر (لكلمات ربي) الصوري
كلمات على وحكمته التي من جعلها
ما ذكر من الايات الداعية الى
التوحيد المصدرة من الاثر
(لنفد البحر) مع كثرته ولم يبق
منه شيء (لتناهي) قبل ان
تفقد (وقرئ بالياء والمعنى من
غير ان تفقد (كلمات ربي) لعدم
تناهيها فلا دلالة للكلام على
نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة
الكلمات الى اسم الرب المضاف
الى خيره صلى الله عليه وسلم في
المؤمنين من تفهيم المضاف
وتشريف المضاف اليه لا يفتي
واظهار البحر والكلمات في
موضع للاضمار لزيادة التثنية
(ولوجنتنا) كلام من جهته
تعالى غدا دخل في الكلام الملقن
بجاء به لتعريف مضمونه وتصديق
مداوله مع زيادة مبالغة وتأکید
والوالو لعطف الجملة على نظيرتها
المستأنفة المقابلة لها المضافة
لدلالة المذكورة عليها دلالة
واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد
كلماته تعالى لولم ينحصر مثله مددا
ولو جنتا بقدرتنا الباهرة (مثله
مددا) هو ما زيادة لان مجموع
ما يدخل تحت الوجود من
الاجسام لا يكون الامتضاء
لقيام الأدلة الناطقة على تناهي
الابعد وقرئ " مددا نبع مدة
وهي ما يستمد الكتاب وقرئ
مدادا (قل) لهم بعد ما بينت
لهم شأن كلامه تعالى

وجوه (الاول) ان لا تدرى لهم وليس لهم عندنا وزن ومقدار (الثاني) لتقيم لهم ميزانا
لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدتين لتمييز مقدار الطاعات
ومقدار السيئات (الثالث) قال القاضي ان من غلبت معاصيه صار ما في فعله من الطاعة
كما لم يكن فلا يدخل في الوزن شيء من طاعته وهذا التفسير بناء على قوله بالاحباط
والتكفير ثم قال تعالى ذلك جزاؤهم جهنم فقله ذلك اي ذلك الذي ذكرناه وفضلناه
من انواع الوعيد هو جزاؤهم على اعمالهم الباطلة وقوله جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم
ثم بين تعالى ان ذلك الجزاء جزاء على مجموع امرين (احدهما) كفرهم (الثاني) انهم
اضافوا الى الكفر ان اتخذوا آيات الله واتخذوا رسله هزوا فلم يقتصروا على الرد عليهم
وتكذيبهم حتى استهزؤا بهم ﴿ قوله تعالى ﴾ (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم
جنت الفردوس نزلا خالدين فيها لا يفتنون عنها حولا) في الآية مسائل (المسئلة
الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد اتبعه بالوعد ولما ذكر في الكفر ان جهنم نزله
اتبعه بذكر ما يرغب في الايمان والعمل الصالح فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنت الفردوس نزلا (المسئلة الثانية) عطف عمل الصالحات على الايمان
والمعطوف مغاير للمعطوف عليه وذلك يدل على ان الاعمال الصالحة مغايرة للايمان
(المسئلة الثالثة) عن قتادة الفردوس وسط الجنة وفضلها وعن كعب ليس في الجنان
اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد
الفردوس هو البستان بالرومية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة
والفردوس من فوقها فاداسا تم الله الجنة فاسألوه الفردوس فان فوقها مرش الرحمن
ومنها يتفجر انهار الجنة (المسئلة الرابعة) قال بعضهم انه تعالى جعل الجنة بكتيها نزلا
للمؤمنين والكرام اذا اعطى الرزل اولا فلا بد ان يتبعه بالخلعة وليس بعد الجنة بكتيها
الارضية الله فان قالوا اليس انه تعالى جعل في الآية الاولى جنة جهنم نزلا للكافرين
ولم يبق بعد جنة جهنم عذاب آخر فكذلك ههنا جعل جنة الجنة نزلا للمؤمنين مع انه
ليس له شيء آخر بعد الجنة واجواب قلنا للكفر بعد حصول جهنم مرتبة اعلى منها وهو
كونه محجوبا عن رؤية الله كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم
لصالحوا ان يحجب جعل الصلاء بالنار متأخرا في المرتبة عن كونه محجوبا عن الله ثم قال تعالى
لا يفتنون عنها حولا لاجل التحول يقال حال من مكانه حولا كقوله ماد في حياها عودا يعني
لا مزيد على سعادات الجنة وخيرا تها حتى يريد اشياء غيرها وهذا الوصف يدل على غاية
الكمال لان الانسان في الدنيا اذا وصل الى اى درجة كانت في السعادات فهو ناطح
الطرف الى ما هو اعلى منه ﴿ قوله تعالى ﴾ (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تفقد كلمات ربي ولو جنتنا مثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما

(انما نابشر مثلكم لا ادعي الاحاطة)

بكملة التامة (يوحى الى) من تلك الكلمات (انما الهكم الواحد) لاشريك له في الخلق ولا في سائر احكام الالهية وانما تميت عنكم بذلك (فمن كان يرجو لقاء ربه) الرجاء توقع وصول الميوفي المستقبل والمراد بلقاؤه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان الانبياء بحال المؤمنين الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اي في استمرار على رجاء كرامته تعالى (فليعلم) لتفصيل تلك الطلبة العريضة (علا صالحا) في نفسه لانها بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ولا يشرك به) ادتبره (احدا) اشرا كما جليا كما فعله الذين كفروا بايات ربهم ولقائه ولا اشرا كما خفيا كما يفعله اهل الرياء من يطلب به اجرا وابتار وضع الظهور موضع الضمير في الموضعين مع الترخص لعنوان الربوبية لزيادة التقدير وللإشعار بعلية العنوان للامس والذهبي ووجوب الامتنان فعلا وتركها روى ان جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعل العمل لله تعالى فاذا اطعم عليه سرتي فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل ما مشورك فيه فتزلت تصديقاه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له انك اجرا ان اجر السراجر العالنية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الا صغر قيل وما الشرك الا صغر قال الرياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم

الهكم الله الواحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر في هذه السورة انواع الدلائل والينات وشرح فيها اقباصيص الاولين تبه على كمال حال القرآن فقال قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي والمداد اسم لما تمده الدواة من الجبر ولما عذب السراج من السليط والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمه وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لتنفذ قبل ان تنفذ الكلمات وتقرير الكلام ان البحار كيفما فرضت في الانساع والعظيمة فهي متناهية ومعلومات الله غير متناهية والمتناهي لا يفي البتة بغير المتناهي فقرأ حزة والسكاسي ينفذ بآياه لتقدم الفعل على الجمع والباقون بالتاء لتأنيث كلمات وروى ان حبي بن اخطب قال في كتابكم ومن يؤث الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما لو انتم من العلم الا قليلا فتزلت هذه الآية يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (المسئلة الثانية) احتج المخالفون على الطعن في قول اصحابنا ان كلام الله تعالى واحد بهذه الآية وقالوا انها صريحة في اثبات كلمات الله تعالى واصحابنا حلوا الكلمات على متعلقات علم الله تعالى قال الجبائي وايضا قوله قبل ان تنفذ كلمات ربي يدل على ان كلمات الله تعالى قد تنفذ في الجملة ومابنت عدمه امتنع قدمه وايضا قال ولو جئنا بمثله مددا وهذا يدل على انه تعالى قادر على ان يجيئ بمثل كلامه والذي يجابه به يكون محدثا والذي يكون المحدث مثله فهو ايضا محدث وجواب اصحابنا ان المراد منه الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الازلية واعلم انه تعالى لما بين كمال كلام الله امر بحمدنا صلى الله عليه وسلم بأن يسلك طريقة التواضع فقال قل انما نابشر مثلكم يوحى الى اي امتياز بيني وبينكم في شئ من الصفات الا ان الله تعالى اوحى الى انه لا اله الا الله الواحد الاحد الصمد والآية تدل على مطلوبين (الاول) ان كلمة انما تقيد المحصر وهي قوله انما الهكم الله واحد (والثاني) ان كون الله تعالى الها واحدا يمكن اثباته بالدلائل السمعية وقد قررنا هذين المطلوبين في سائر السور بالجوه القوية ثم قال فمن كان يرجو لقاء ربه والرجاء هو ظن النافع الواصلة اليه والخوف ظن المضار الواصلة اليه واصحابنا حلوا لقاء الرب على رؤيته والمعرفة حلوه على لقاء ثواب الله وهذه المناظرة قد تقدمت والمجيب انه تعالى اورد في آخر هذه السورة ما يدل على حصول رؤية الله في ثلاث آيات (اولها) قوله اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه (وثانها) قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا (وثالثها) قوله فمن كان يرجو لقاء ربه ولا يباين اقوى من ذلك ثم قال فليعمل عملا صالحا اي من حصل له رجاء لقاء الله فليشتغل بالعمل الصالح ولما كان العمل الصالح قد يؤتى به الله وقد يؤتى به الرياء والسمعة لاجرم اعتبر فيه قيدا ان يؤتى به لله وان يكون مبرا عن جنات الشرك فقال ولا يشرك بعبادة ربه احدا قبل تزلت هذه الآية في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعل العمل لله تعالى

فأذاطلع عليه احدسرى فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى ايضا انه قال له لشاران اجر السروا جر العلانية قال رواية الاولى منجولة على ماذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية منجولة على ماذا قصد ان يقتدى به والمقام الاول مقام المبتدئين والمقام الثانى مقام الكاملين والمجد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين قال المصنف رضى الله عنه تم تفسير هذه السورة يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر صفر سنة اثنتين وسمائة في بلدة قرنين ونسأل الله اكرم الاكرمين واحم الراحمين ان يخصنا بالمغفرة والفضل في يوم الدين انه ذو الفضل العظيم

(سورة مريم عليها السلام ثمان وتسعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيعص) قبل الخوض في القراءات لابد من مقدمات ثلاثة (المقدمة الاولى) ان حروف المجهم على نوعين ثنائى وثلاثى وقد جرت عادة العرب ان ينطقوا بالثنائيات مقطوعة مثالة فيقولون با تا ثا وكذلك امثالها وان ينطقوا بالثلاثيات التى فى وسطها الالف مفتوحة مشبعة فيقولون دال ذال صاد ضاد وكذلك اشكالها اما الزاى وحده من بين حروف المجهم فتعاد فيه الامران فان من اظهر ياءه فى النطق حتى يصير ثلاثيا لم يمله ومن لم يظهر ياءه فى النطق حتى يشبه الثنائى يمله (اما المقدمة الثانية) ينبغى ان اعلم ان اشباع الفتحة فى جميع المواضع اصل والامالة فرع عليه ولهذا يجوز اشباع كل ممال ولا يجوز امالة كل مشبع من المفتوحات (المقدمة الثالثة) لقراء فى القراءات المخصوصة بهذا الموضع ثلاثة طرق (احدها) ان يمسكوا بالاصل وهو اشباع فتحة الهاء والياء (وثانيتها) ان يميلوا الهاء والياء (وثالثها) ان يجمعوا بين الاصل والفرع فيقع الاختلاف بين الهاء والياء فيفتحوا احدهما كان ويكسروا الآخر ولهم فى السبب الموجب لهذا الاختلاف قولان (الاول) ان الفتحة المشبعة اصل والامالة فرع مشهور كثير الاستعمال فاشبع احدهما واميل الآخر ليكون جامعاً لمرعاة الاصل والفرع وهو احسن من مراعاة احدهما وتضييع الآخر (القول الثانى) ان الثنائية من حروف المجهم اذا كانت مقطوعة كانت بالامالة واذا كانت موصولة كانت بالاشباع وهذا يوافق قوله تعالى كهيعص مقطوعان فى اللفظ موصولان فى الخط فأميل احدهما واشبع الآخر ليكون كلا الجانبين مرعياً بجانب القطع اللغوى وبجانب الوصل الخطى اذا عرفت هذا فقول فيه قراءات (احدهما) وهى القراءة المعروفة فيه فتحة الهاء والياء جميعاً (وثانيتها) كسر الهاء وقح الياء وهى قراءة ابنى عمرو ابن مبادرو القطعى عن ايوب واما كسروا الهاء دون الباء ليكون فرقاً بينه وبين الهاء الذى انشبهه فانه لا يكسر قط (وثالثها) قح الهاء وكسر الباء وهو قراءات حمزة وعائش وطحمة والضحاك عن عاصم واما كسروا الباء دون الهاء لان الباء اخت الكسرة واعطاه الكسرة اختها اولى من اعطاهن الى

من قرأ سورة الكهف من اخرها كانت له نوراً من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الارض الى السماء عنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضيق دل اماناً بشار مثلكم بوشى الى الخ كان له من مضيقه نوراً لا يلا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضيقه بمكة كان له نوراً يشللاً من مضيقه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمه العظام

*(سورة مريم عليها السلام)

(مكية الآية السجدة وهى)

(ثمان وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيعص) بمالة الهاء والياء واطهار الدال وقرئ يفتح الهاء وامالة الياء وتختيمهما وبإخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه القوافض مفردة ولا موازنة لفرد فطريق التلطف بها الحكاية فقط ساكنة لا يجاز على الوقف سواء جعلت اسماً للسور او مسرودة على نخط التمديد وان لمهما التقاء الساكنين لكونه مفتخراً فى باب الوقف قطعاً عن هذه الفائدة الكريمة ان يوقف عليها جازعاً على الاصل وقرئ بادغام الدال فيها بعدها لتقاربهما فى المخرج فان جعلت اسماً للسورة على ما عليه اطلاق الاكثر فحله الرفع اما على انه خبر لبتداء المحذوف والتقدير هذا كهيعص اى مسمى به واما صححت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر

صار في حكم الحاضر المشاهد في
يقال هذا ما اشترى فلان او على
انه مبتدأ خبره (ذكر رجة ربك)
اي النبي به ذكر رجة الخ فان
ذكرها لما كان مطلع السورة
الكرعة ومطلع ما انطوت هي
عليه جعلت كأنها نفس ذكرها
والاول هو الاول لان ما جعل
عنونا للموضوع حقه ان يكون
معلوم لا يتبأ اليه عند الخطاب
واذ لا علم بالتسمية من قبل فتحها
الاخبار بها كافي الوجه الاول
وان جعلت مسرودة على نمط
التعديد حسبا فتح اليه اهل
التعقيق فذكر الخ خبر مبتدأ
محذوف هو ما بيني عنه تعديد
الحروف كأنه قيل المؤلف من
جنس هذا الحروف المسبوقة
مراد به السورة ذكر رجة الخ
او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا
لحضور المادة منزلة حضور
المؤلف منها اي هذا ذكر رجة
الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف
خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها
وقرى ذكر رجة ربك صلى
صيفة الماضي من التذكير اي
هذا المثلو ذكرها وقرى
ذكر على صيغة الامر والتعرض
لوصف الربوبية المتبينة عن التبليغ
الى الكمال مع الاضافة الى صغيره
عليه السلام للإيدان بأن تنزيل
السورة عليه عليه الصلاة والسلام
تكميل له عليه السلام وقوله
تعالى (عبده) مفعول لرجة ربك
على انما مفعول لما انضيف اليها وقيل
لذكر على انه مصدر اضيف الى
فاعله على الاتساع ومعنى ذكر
الرجة بلوغها واصباها كما
يقال ذكرني معروف فلان اي
بلغني وقوله عز وعلا (ذكر يا)
بدل منه او عطف بيسان له

اجنبية مفتوحة للناسبة (ورابعها) امالهما جميعا وهو قراءة الكسائي والفضل ويحيى
عن عاصم والوليد بن اسلم عن ابن عامر والزهري وابن جرير وانما امالوهما للوجهين
الذكرين في امالة الهاء وامالة الياء (وخامسها) قراءة الحسن وهي ضم الهاء وقح الياء
وعنه ايضا فتح الهاء وضم الياء وروى صاحب الكشاف عن الحسن بضمهما فقبل له
لم تثبت هذه الرواية عن الحسن لانه اوردان جنى في كتاب المكتسب ان قراءة الحسن
ضم احدهما وفتح الآخر لاعلى التعيين وقال بعضهم انما اقدم الحسن على ضم احدهما
لا على التعيين لانه تصور ان عين الفعل في الهاء والياء الف منقلب عن الواو كالدار
والمال وذلك لان هذه الالفات وان كانت مجهولة لانها لا اشتقاق لها فانها تحمل على
ما هو مشابه لها في اللفظ والالف اذا وقع عينا قالوا يجب ان يعتقد انه منقلب عن الواو
لان الغالب في اللغة ذلك فلما تصور الحسن ان الف الهاء والياء منقلب عن الواو وجعله
في حكم الواو وضم ما قبله لان الواو اخت الضمة (وسادسها) هاءيا باثما مهابث ثامن الضمة
(المسئلة الثانية) قرأ ابو جعفر كعبص بفصل الحروف بعضها من بعض بأدنى سكتة
مع اظهار نون العين وباقي القراء يصلون الحروف بعضها ببعض ويخفون النون (المسئلة
الثالثة) القراءة المعروفة صاد ذكر بالأدغام وعن عاصم ويعقوب بالانظهار (البحث
الثاني) المذاهب المذكورة في هذه الفوائج قد تقدمت لكن الذي يخص بهذا الموضع
ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قوله تعالى كعبص ثاء من الله على نفسه فن
الكاف وصفه بانه كاف ومن الهاء هادون العين عالم ومن الصاد صادق وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ايضا انه حمل الكاف على الكبير والكريم ويحكي ايضا عنه انه حمل الياء
على الكريم مرة وعلى الحكيم اخرى وعن الربيع بن انس في الياء انه من مجير وعن ابن
عباس رضي الله عنهما في العين انه من عزير ومن عدل وهذه الاقوال ليست قوية لما
بيننا انه لا يجوز من الله تعالى ان يودع كتابه ما لا تمل عليه اللغة بالحقيقة ولا بالجاز لانان
جوزنا ذلك فتح علينا قول من يزعم ان لكل ظاهر باطنا واللغة لا تبدل على ما ذكره فانه
ليست دلالة الكاف على الكافي اولى من دلالة على الكريم او الكبير او على اسم آخر
من اسماء الرسول صلى الله عليه وسلم او الملائكة او الجنة او النار فيكون حمله على بعضها
دون البعض تحكما لا تدل عليه اللغة اصلا ﴿ قوله تعالى ﴾ (ذكر رجة ربك عبده ذكر كريا) فيه
مسائل (المسئلة الاولى) في لفظة ذكر اربع قراءات صيغة المصدر او الماضي مخففة او
مشددة والامر اما صيغة المصدر فلا بد فيها كسر رجة ربك على الاضافة ثم فيها
ثلاثة اوجه (احدها) نصب الدال من عبده والهمزة من ذكر كراه وهو المشهور (وثانيها)
برفعها والمعنى وتلك الرجة هي عبده ذكر كراه عن ابن عامر (وثالثها) نصب الاول ورفع
الثاني والمعنى رجة ربك عبده وهو ذكر كراه واما صيغة الماضي بالتشديد فلا بد فيها من
نصب رجة واما صيغة الماضي بالتخفيف ففيها وجهان (احدهما) رفع الباء من ربك

والعنى ذكر ربك عبده ذكرياه (وثانها) نصب الباء من ربك والرفع في عبده زكرياه
وذلك بتقديم المفعول على الفاعل وهاتان القراءتان للكلبي واماصيغة الامر فلا بد
من نصب رجة وهى قراءة ابن عباس واعلم ان على تقدير جله صيغة المصدر والماضى
يكون التقدير هذا التلو من القرآن ذكر رجة ربك (المسئلة الثانية) يحتمل ان يكون
المراد من قوله رجة ربك اعنى عبده زكرياه ثم كونه رجة وجهان (احدهما) ان يكون
رجة على امته لانه هداهم الى الايمان والطاعات (والآخر) ان يكون رجة على نبيهم
صلى الله عليه وسلم وعلى امة محمد لان الله تعالى لما شرح لمحمد صلى الله عليه وسلم طريقه
في الاخلاص والابتهال في جميع الامور الى الله تعالى صار ذلك لفظا داعياله ولا منه
الى تلك الطريقة فكان زكرياه رجة ويحتمل ان يكون المراد ان هذه السورة فيها ذكر
الرجة التى رحم بها عبده زكرياه * قوله تعالى (اذنادى ربه نداء خفيا) راعى سنة الله في
اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد عن الزيادة
وادخل في الاخلاص (وثانها) اخفاء لئلا يلام على طلب الولد في زمان الشفوخة
(وثالثا) اسره من مواليه الذين خافهم (ورابعها) خفى صوته لضففه وهرمه كجاء في
صفة الشخخ صوته خفات وسعته تارات فان قيل من شرط النداء الجهر فكيف الجمع بين
كونه نداء وخفيا والجواب من وجهين (الاول) انه اتى بأقصى ما قدر عليه من رفع
الصوت الان الصوت كان ضعيفا لنهاية الضعف بسبب الكبر فكان نداء نظرا الى قصده
وخفيا نظرا الى الواقع (الثاني) انه دعا في الصلاة لان الله تعالى اجابه في الصلاة لقوله
تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في الخراب ان الله يشرك بعبادته فكون الاجابة في
الصلاة يدل على كون الدعاء في الصلاة فوجب ان يكون النداء فيها خفيا * قوله تعالى

(قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيوا ولم اكن بدعا لك رب شقيا وانى خفت
الموالى من ورأى وكانت امرأتى عاقرا فهبلى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب
واجعله رب رضيا) القراءة فيها مسائل (المسئلة الاولى) قرئ وهن بالحرركات الثلاث
(المسئلة الثانية) ادغام السين في السين عن ابى عمرو (المسئلة الثالثة) وانى خفت
الموالى بفتح الياء وعن الزهرى باسكان الياء من الموالى وقرأ عثمان وعلى بن الحسين
ومحمد بن على وسعيد بن جبير وزيد بن ثابت وابن عباس خفت بفتح الخاء والقاء مشددة
وكسر التاء وهذابل على معنيين (احدهما) ان يكون ورأى بمعنى بعدى والمعنى انهم
قلوا وعجز واعن اقامة الدين بعده فسأل ربه تقويمهم بولى يرزقه (والثاني) ان يكون
بمعنى قد ادى والمعنى انهم خفوا قد امد ودرجوا ولم يبق من به تقوى واعتضاد (المسئلة
الرابعة) القراءة المعروفة من ورأى بهجمة مكسورة بعد هاء ياء كسنة وعن جريد بن مقسم
كذلك لكن بفتح الياء وقرأ ابن كثير ورأى كصاى (المسئلة الخامسة) في يرثنى ويرث
وجوه (احدها) القراءة المعروفة بالرفع فيها صفة (وثانها) وهى قراءة أبى عمرو

لرجة ربك وقيل لذكر على
انه مضاف الى فاعله اتساعا ليعلى
الوجه الاول لفساد المعنى وقيل
هو يدل اشتغال من زكريا كما
في قوله واذ كر في الكتاب مريم
اذ تبذرت ولقد راعى عليه
الصلاة والسلام حسن الادب
في اخفاء دعائه فانه مع كونه
بالنسبة اليه عز وجل كالجهر
ادخل في الاخلاص وابتعد من
الرياء واقترب الى الاخلاص عن
لائمة الناس على طلب الولد
لنوقته على ما دلا يلقى به تعاطيا
في اوان الكبر والشفوخة وعن
غائلة مواليه الذين كان يخافهم
وقيل كان ذلك منه عليه السلام
لضف الهرم قالوا كان سته
حيثما ستن وقيل حسا وستين
وقيل سبعين وقيل حسا وسبعين
وقيل ثمانين وقيل اكثر منها
كما سر في تفسير سورة آل عمران
(قال) جهة مفردة لنادى لا
عمل لها من الازهار (رب انى
وهن العظم منى) اسناد الوهن
الى العظم لانه عماد البدن ودعام
الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة
اصاب كله اولاه اشد اجزائه
صلابة وقواما وقلها تاثيرا من اللين
فاذا وهن كان ما وراءه اوهن
وافرادة للقصدي الى الجنس المني
عن شمول الوهن لكل فرد من
افرادهم ومنى متعلق بمحذوف هو
حال من العظم وقرئ وهن بكسر
الهاء وبضمها ايضا وتأكيدها بالجمة
لا يراى كمال الاعتناء بتحقيق
مضمونها (واشتعل الرأس شيوا)
شبه عليه الصلاة والسلام الشيب
في البياض والالارة بشواظ النار
بوانتشاره

في الشعر وثشوه فيه واخذ
منه كل ماخذ يشتعلها ثم
اخرجه مخرج الاستعارة
ثم اسند الاشتعال الى محل الشعر
ومنبته واخرجه مخرج التبيين
واطلق الرأس اكتفاء بما قبله
لنظم وفيه من فنون البلاغة
وكمال الجزالة لا يخفى حيث كان
الاصل اشتعل شيب رأس فاستند
الاشتعال الى الرأس كما ذكر
لإفادة شوله لكتها فان وزانه
بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل
بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار
في بيته ولزيادة تقريره بالاجال
اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد
تفصيله بالتذكير وقرئ بادغام
السين في الشين (ولم اكن بدعاك
رب شقيا) اي ولم اكن بدعا فيك
خائبا في وقت من اوقات هذا الشعر
الطويل بل كاد عرتك استبقت
في الجحيم معطوفة على ما قبلها او
حال من غير التكلم اذ المعنى
واشتعل رأسي شيئا وهذا توسل
منه عليه السلام بماسلف منه من
الاستجابة عند كل دعوة اثر تعهد
ما يستدعي الرحمة ويستجيب
الرأفة من كبر السن وضعف
الحال فانه تعالى يد ما عود عبده
بالاجابة دهر اطويلا لا يتأخيره
ايلا لاسيا عند اضطراره وشدة
افتقاره ولتعرض في الموضوعين
لوصف الرطوبة المنبثة عن اضافة
ما فيه صلاح المروب مع الاضافة
الى خيره عليه الصلاة والسلام
لاسيا توسيطه بين كان وخبرها
لتعريك سلسلة الاجابة بالمبالغة
في التضرع ولذلك قيل اذا اراد
العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع
الله تعالى بما يناسبه من اسمائه
وصفاته (واي خفت الموالى)

الكسائي والزهرى والاعشى وطلحة بالجزم فيما جوابا للدعاء (ونالها) عن علي ابن ابي
طالب وابن عباس وجعفر بن محمد والحسن وقنادة يرثي جزم وارث بوزن فاعل
(ورايها) عن ابن عباس يرثي وارث من آل يعقوب (وخامسا) عن الجلودى اورث
تصغير وارث على وزن افعل (الائمة) الوهن ضعف القوة قال في الكشف شبه الشيب
بشواظ النار في باضه وانارته وانتشاره في الشعر وثشوه فيه واخذ كل ماخذ كاشتعال
النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس
واخرج الشيب عميرا ولم يصف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس ذكر يافغ ثم فصحت هذه
الجملة واما الدهاء فطلب الفعل ومقابله الاجابة كما ان مقابل الامر الطاعة واما اصل
التركيب في ولى فيدل على معنى القرب والدنو يقال وليته آليه وليا اي دنوت واوليته
ادنيته منه وتبعاد ما بعده وولى ومنه قول ساعدة «وعدت عوادون وليك تشغب»
وكل مما يليك وجلست مما يليه ومنه الولي وهو المطر الذي يلى الوسمى والولية البرذعة
لانها تلى ظهر الدابة وولى التيمم والقنيل وولى البلد لان من تولى امرأ فقد قرب منه
وقوله تعالى فولى وجهك شطر المسجد الحرام من قولهم ولاه بركنه اي جعله مما
بليه واما ولى عني اذا ادبر فهو من باب تقييل الحشول سلب وقولهم فلان ولى من فلان
اي احق افعل التفصيل من الوالى او الولي كالادنى والاقر من الدانى والقريب وفيه
معنى القرب ايضا لان من كان احق بالشئ كان اقرب اليه والمولى اسم لموضع الولي
كالمرى والمبنى اسم لموضع الرمي والبناء واما العاقر فهي التي لاتلد والعقر في اللغة
الجرح ومنه اخذ العاقر لانه نقص اصل الخلفة وعقرت الفرس بالسيف اذا ضربت
قوائمها واما الاكل فهم خاصة الرجل الذي يؤل امرهم اليه ثم قد يؤل امرهم اليه
للقربة تارة وللحجة اخرى كآل فرعون وللموافقة في الدين كآل النبي صلى الله عليه وسلم
واعلم ان زكريا عليه السلام قدم على السؤال امورا ثلاثة (احدها) كونه ضعيفا
(والثاني) ان الله تعالى ما رددناه البنة (والثالث) كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة
في الدين ثم بعد تقرير هذه الامور الثلاثة صرح بالسؤال (اما المقام الاول) وهو كونه
ضعيفا فآثر الضعف اما ان يظهر في الباطن او في الظاهر والضعف الذي يظهر في الباطن
يكون اقوى مما يظهر في الظاهر فلهذا السبب ابتداء بيان الضعف الذي في الباطن
وهو قوله وهن العظم منى وتقريره هو ان العظام اصلب الاعضاء التي في البدن وجعلت
كذلك لمنفعتين (احدهما) لان تكون اساسا وعمدا يعتمد عليها سائر الاعضاء
الآخر اذا كانت الاعضاء كلها موضوعة على العظام والحامل يجب ان يكون اقوى من
المحمول (والثانية) انه احتيج اليها في بعض المواضع لان تكون جنة تقوى بها ماسواها
من الاعضاء بمنزلة تحف الرأس وعظام الصدر وما كان كذلك فيجب ان يكون صلبا
ليكون صبرا على ملاقات الآفات بعيدا من القبول لها اذا ثبت هذا فتقول اذا كان

العظم مستررب محتونه على
محتونه فان ضعف القوى
وكبر السن من مبادئ
خوفه عليه السلام من بني
امره بعد موته ومواليه بنو ٤٤
وكانوا اشترابني اسرائيل فخاف
ان لا يصبروا خلافته في أمه
ويبدلوا عليهم دينهم وقوله (من
ورائي) اي بعد موتي متعلق
بمحذوف يساق اليه الذهن اي
فعل الموالى من بعدى او جور
الموالى وقد قرئ كذلك اوجا
في الموالى من معنى الولاية اي
خفت الذين يولون الامر من
ورائي لانجحت لفساد المعنى
وقرئ ورائي بالقصر وقع الياء
وقرئ خفت الموالى من ورائي
اي قولوا وهجروا عن القيام
بأمر الدين بعدى او خفت
الموالى القادرون على إقامة
مراسم الملة ومصالح الامة من
خلف القوم اي ارتحلوا أمرهم
اي درجوا قدامي ولم يبق منهم
من به تقوى واعتقاد بالطرف
سيئذ متعلق بمقت (وكانت
اسرائي عاقرا) اي لاتلد من حين
شبابها (فهب لي من لدنك) كلا
الجارين متعلق بهب لاختلاف
معتبيهما فاللام صلة له ومن
لاشياء الغاية مجاز او تقديم الاول
لكون مدلوله اهم عنده ويحوز
تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا
من المفعول ولدن في الاصل
ظرف بمعنى اول غاية زمان او
مكان او غيرها من الذوات وقد
مر تفصيله اوائل سورة آل
عر ان اي اعطى من محض
فضلك الواسع وقد رتبك
الباهرة بطريق الاختراع

ولان العظم اذا كان حاملا لسائر الاعضاء كان ضعف ما عداها مع خلوها اول
لطرفه الى المحمول فهذا السبب خص العظم بالوهن من بين سائر الاعضاء واما اثر
الضعف في الظاهر فذلك استيلاء الشيب على الرأس فثبت ان هذا الكلام يدل على
استيلاء الضعف على الباطن والظاهر وذلك مما يزيد الدعاء توكيدا لما فيه من الارتكان
على حول الله وقوته والتبري عن الاسباب الظاهرة (المقام الثاني) انه ما كان مردود
الدعاء اليه وجه التوسل به من وجهين (احدهما) ما روى ان محتاجا سأل واحدا
من الاكابر وقال انا الذي احسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا اليك فتم قضى
 حاجته وذلك انه اذا قبله او لا فلو انه رده ثانيا لكان الرد محبطا لانعام الاول والنعم
لا يسعى في احباط انعامه (والثاني) وهو ان مخالفة العادة شاقة على النفس فاذا تعود
الانسان اجابة الدعاء فلو صار مردودا بعد ذلك لكان في غاية المشقة ولان الجفاء بمن
يتوقع منه الانعام يكون اشق فقال ذكرى عليه السلام انك ما اردتني في اول الامر
مع اني ما تعودت لطفك وكنت قوى البدن قوى القلب فلورددتني الان بعد ما عودتني
القبول مع نهاية ضعفي لكان ذلك بالقالي الغاية القصوى في ألم القلب واعلم ان العرب
تقول سعد فلان بجاحته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدائك اي بدعائي
ياك فان الفعل قد يضاف الى الفاعل تارة والى المفعول اخرى (المقام الثالث) بيان
كون المطلوب منتفعا به في الدين وهو قوله واني خفت الموالى من ورائي وفيه اباحت
(الاول) قال ابن عباس والحسن اني خفت الموالى اي الورثة من بعدى وعن مجاهد
العصبة وعن ابى صالح الكلاله وعن الاصم بنوالم وهم الذين يولونه في النسب وعن ابى
مسلم المولى يراد به الناصروا بن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من يقوم بمراته
مقام الولد والمختاران المراد من الموالى الذين يخلفون بعده اما في السياسة او في المال
الذي كان له او في القيام بأمر الدين فقد كانت العادة جارية ان كل من كان الى
صاحب الشرع اقرب فانه كان متعينا في الحياة (الثاني) اختلقوا في خوفه من الموالى
فقال بعضهم خافهم على افساد الدين وقال بعضهم بل خاف ان ينتهي امره اليهم بعد موته
في مال وغيره مع انه عرف من حالهم قصورهم في العلم والقدرة عن القيام بذلك المنصب
وفيه قول ثالث وهو انه يحتمل ان يكون الله تعالى قد امله انه لم يبق من انبياء بني اسرائيل
نبي له اب الا واحد فخاف ان يكون ذلك من بني عمه اذ لم يكن له ولد فسأل الله تعالى ان يهب
له ولدا يكون هو ذلك النبي وذلك يقتضى ان يكون خائفا من امرهم بمثله الانبياء وان لم
يدل على تفصيل ذلك ولا يمنع ان ذكرى كان اليه مع النبوة السياسة من جهة الملك وما
يتصل بالامامة فخاف منهم بعده على احدهما او عليهما ما قوله واني خفت فهو وان خرج
على لفظ الماضي لكنه يفيد انه في المستقبل ايضا كذلك يقول الرجل قد خفت ان

(يكون)

(وليا) اى ولدا من صلبى
وتأخيره عن الجارين لظاهر
كالاعتناء بكون الهبة على
ذلك الوجه البديع مع ما فيه
من التشويق الى المؤخر فان طهقته
التقديم اذا اخرت بقى النفس
مستترفة له فتند وروده لها
يمكن عند هافضل تمكن ولان
فيه نوع طول بما بعد من الوصف
فأخبر هبما عن الكل او توسيطها
بين الموصوف والصفة مما لا يلقى
يخبر الله النظم الكريم والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان
ما ذكره عليه الصلاة والسلام من
كبر السن وضعف القوى وعقر
المرأة موجب لانقطاع رجائه
عليه السلام عن حصول الولد
بتوسط الاسباب العبادية واستنباهه
على الوجه الخارق للعادة ولا
يقدر في ذلك ان يكون هناك
داع آخر الى الاقبال على الداء
الذكور من مشاهدته عليه
السلام الخوارق الظاهرة في
حق مريم كما يعرب عنه قوله
تعالى هناك دعا ذكرى يا ربه
الاية وعدم ذكره ههنا للتعويل
على ذكره هناك كما ان عدم ذكر
مقدمة الداء هناك للاكتفاء
بذكره ههنا فان الاكتفاء بما
ذكر في موطن عتارك في موطن
آخر من التكت التزجية وقوله
تعالى (يرثى) صفتوا ليا وقرئ
هو وما عطف عليه بالجزم جوابا
للداء اى يرثى من حيث العلم
والدين والنبوة فان الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لا يورثون المال
قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة
وفيل يرثى الحيوة وكان عليه

السلام حبرا

يكون كذا وخشيت ان يكون كذا اى انما خائف لا يريد انه قد زال الخوف عنه وهكذا
قوله وكانت امرأتى عاقرا اى انها عاقرة في الحال وذلك لان العاقرة لا تحول ولو دا في العادة
في الاخبار عنه بلفظ الماضى اعلام بتقدم العهد في ذلك وغرض ذكرى يا من هذا الكلام
بيان استبعاد حصول الولد فكان ايراده بلفظ الماضى أقوى والى هذا يرجع الامر
في قوله وانى خفت الموالى من وراثى لانه انما قصد به الاخبار عن تقدم الخوف ثم استغنى
بدلالة الحال وما يوجب مسئلة الوارث واطهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف
في الحال وايضا فقد يوضع الماضى مكان المستقبل وبالعكس قال الله تعالى واذ قال الله
يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس والله اعلم واما قوله من وراثى فقيه قولان (الاول)
قال ابو عبيدة اى قدامى وبين يدى وقال آخرون اى بعد موتى وكلاهما محتمل فان قيل
كيف خافهم من بعده وكيف علم انهم يموتون بعده فضلا من ان يخاف شرهم فلنا ان ذلك
قد يعرف بالامارات والظن وذلك كيف في حصول الخوف فربما عرف ببعض الامارات
استمرارهم على عادتهم في الفساد والشر واختلف في تفسير قوله فهبلى من لدنك ولما
قالا كثرون على انه طلب الولد وقال آخرون بل طلب من يقوم مقامه ولذا كان او غيره
والا فرب هو الاول لثلاثة اوجه (الاول) قوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عنه قال
رب هبلى من لدنك ذرية طيبة (والثاني) قوله في هذه السورة هبلى من لدنك ولما
يرثى ويرث من آل يعقوب (والثالث) قوله تعالى في سورة الانبياء وذكرا لى اذ نادى ربه
رب لا تدننى فردا وهذا يدل على انه سأل الولد لانه قد اخبر في سورة مريم انه موالى وانه
غير منفرد عن الورثة وهذا وان امكن حمله على وارث يصلح ان يقوم مقامه لكن حمله على
الولد اظهر واحتمل اصحاب القول الثالث بأنه لما بشر بالولد استعظم على سبيل التجب
فقال انى يكون لى غلام ولو كان دعاؤه لاجل الولد لما استعظم ذلك (الجواب) انه
عليه السلام سأل عما يوهب له ابو هبله وهو وامرأته على هبتهما او يوهب بأن يحولا
شايين يكون لثلهما ولد وهذا يحكى عن الحسن وقال غيره ان قول ذكرى يا عليه السلام
في الداء وكانت امرأتى عاقرا انما هو على معنى مسئلته ولدا من غيرها او منها بأن يصلحها الله
لولد فكأنه عليه السلام قال انى ابست ان يكون لى منها ولد فهبلى من لدنك ولما
كيف شئت اما بان تصلحها فيكون الولد منها او بان تهبلى من غيرها فلما بشر بالفلام
سأل ايرزق منها او من غيرها فأخبر بأنه يرزق منها واختلفوا في المراد بالماثرا على وجود
(احدها) ان المراد بالماثرا في الموضوعين هو وراثته المال وهذا قول ابن عباس والحسن
والضحاك (وثانيها) ان المراد به في الموضوعين وراثته النبوة وهو قول ابى صالح (وثالثها)
يرثى المال ويرث من آل يعقوب النبوة وهو قول السدى ومجاهد والشعبي وروى
ايضا عن ابن عباس والحسن والضحاك (ورابعها) يرثى العلم ويرث من آل يعقوب
النبوة وهو مروى عن مجاهد واعلم ان هذه الروايات ترجع الى احدى امور خمسة وهى

(ورث من آل يعقوب) يقال

ورثه وورث منه لفتان وآل الرجل خاصته الذين يؤل إليه امرهم للقرابة أو الصبوة أو المواقفة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت مريم أم يعقوب بن منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني إسرائيل وملوكهم وكان زكريا من نيس الاحبار يومئذ فأراد أن يرثه ولده جيسورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرى ويرث وارث آل يعقوب على أنه حال من المستكن في يرث وقرى أورث آل يعقوب بالتفسير ففيه إيماء إلى وراثته عليه السلام لما يرثه في حافة صفرة وقرى وارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثني على طريقة التجرید ای يرثني به وارث وقيل من تبيينه إذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام أنبياء ولا علماء (واجعله رب رضيا) مرضيا عنك فولا وفلا وتوسط رب بين مفعول اجعل للبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه (يا زكريا) على إرادة القول أي قال تعالى يا زكريا (انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) لكن لأن أبان يخاطبه عليه الصلاة والسلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على أن يحيى له عليه الصلاة والسلام هذه العبارة عنه عز وجل على نعيم قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران

المال ومنصب الجبورة والعلم والنبوة والسيرة الحسنة ولفظ الارث مستعمل في كل ما اما في المال فلقوله تعالى اورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وامافي العلم فلقوله تعالى ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب وقال عليه السلام الامورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينار ولا درهمما واما ورثوا العلم وقال تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وهذا يحتمل وراثته الملك ووراثته النبوة وقديقال اورثني هذا غمار حزننا وقد ثبت ان اللفظ يحتمل لتلك الوجوه واحتج من حل اللفظ على وراثته المال بالخبر والمعتول اما الخبر فقوله عليه السلام رحم الله زكريا ما كان له من يرثه وظاهره يدل على ان المراد ارث المال واما المعتول فمن وجهين (الاول) ان العلم والسيرة والنبوة لا تورث بل لا تحصل الا بالاكساب فوجب حله على المال (الثاني) انه قال واجعله رب رضيا ولو كان المراد من الارث ارث النبوة لكان قدسأل جعل النبي صلى الله عليه وسلم رضيا وهو غير جائز لان النبي لا يكون الارضيا معصوما واما قوله عليه السلام انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فهذا لا يمنع ان يكون خاصه واحتج من حله على العلم او المنصب والنبوة بما علم من حال الانبياء ان اهتمامهم لا يشتد بأمر المال كما يشتد بأمر الدين وقيل لعله اوتي من الدنيا ما كان عظيم النفع في الدين فلهذا كان اهتمامه بامواله النبوة كيف تورث قلنا المال انما يقال ورثه الابن بمعنى قام فيه مقام ابوه وحصل له من فائدة التصرف فيه ما حصل لايه والا فلك المال من قبل الله لا من قبل المورث فكذلك اذا كان المعلوم في الابن ان يصير نبيا بعده فيقوم بأمر الدين بعده جاز ان يقال ورثه اما قوله عليه السلام انا معشر الانبياء فهذا وان جاز حله على الواحد كما في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر لكننا بحجاز وحقيقته الجمع والدعوى عن الحقيقة من غير موجب لا يجوز لاسيما وقد روى قوله انا معشر الانبياء لا نورث والاولى ان يحتمل ذلك على كل ما فيه نفع وصلاح في الدين وذلك يتناول النبوة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع في الدين والمال الصالح فان كل هذه الامور مما يجوز توفر الدواعي على بقائها ليكون ذلك النفع دائما مستمرا (السابع) اتفق اكثر المفسرين على ان يعقوب ههنا هو يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام لان زوجة زكريا هي اخت مريم وكانت من ولد سليمان بن داود ومن ولد يهوذا بن يعقوب واما زكريا عليه السلام فهو من ولد هرون أخي موسى عليه السلام وهرون وموسى عليهما السلام من ولد لاوي بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب لانه هو اسرائيل صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين ليس المراد من يعقوب ههنا ولد اسحق بن إبراهيم عليه السلام بل يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني إسرائيل وملوكهم وكان زكريا رأس الاحبار يومئذ

(فأراد)

وهذا جواب لنداء عليه الصلاة

والسلام ووعده بجوابه دعائه لكن لا كلاما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا بحسب الخيل بعضا حسبنا اقتضيه المهيئة الالهية المهيئة على الحكم بالغة فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا مستجاب الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا يرى الى دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حق ابيه والى دعوة النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال ورسالته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فنعلمها وقد كان من قضائه عروعا ان يهيم بحسب نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاءه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليها الصلاة والسلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا تشكل حينئذ وفي تعيين اسمه عليه الصلاة والسلام تأكيده لعدو وتشريف له عليه الصلاة والسلام وفي تخصيصه به عليه السلام حسبما يعبر عنه قوله تعالى (لم نجعل له من قبل سميا) اي يتركه في الاسم حيث لم يسم احديهم بصبي مزبد تشريف وتخصيم له عليه الصلاة والسلام فان التسمية بالاسم البدعية الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالسمي لاهلته وقيل سميا شيئا في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم سميا فان التشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه الصلاة والسلام مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهيم معصية قط وانه ولد من شيخ فان ويجوز عاقرا وان كان حصورا فيكون هذا جالا لما نزل بعده من قوله

تعالى مصداقا بكلمة

فأراد ان يرثه ولده جبروته ويرث بنى مائتان ملكهم واعلم انهم ذكروا في تفسير الرضى وجوها (احدها) ان المراد واجله رضى من الانبياء وذلك لان كلهم مرضيون فالرضى منهم مفضل على جللتهم فائق لهم في كثير من امورهم فاستجاب الله تعالى له ذلك فوهب له سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين لم يعص ولم يهيم معصية وهذا غاية ما يكون به المرء رضى (وثانيها) المراد بالرضى ان يكون رضى في امته لا يتلقى بالكذب ولا يواجه بالرد (وثالثها) المراد بالرضى ان لا يكون منهما في شئ ولا يوجد فيه مطعن ولا ينسب اليه شئ من المعاصي (ورابعها) ان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام قالا في الداء ربنا واجعلنا مسلمين لك وكانا في ذلك الوقت مسلمين وكان المراد هناك ثبوتا على هذا او المراد اجعلنا فاضلين من انبيائك المسلمين فكذا ههنا واحتج اصحابنا في مسئلة خلق الافعال بهذه الآية لانه انما يكون رضى بفعله فلما سأل الله تعالى جعله رضى دل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فان قيل المراد منه ان يلفظ له بضروب اللطاف فيختار ما يصير مرضيا فينسب ذلك الى الله تعالى والجواب من وجهين (الاول) ان جعله رضى بالوحي لانه على جمل اللطاف وعندها يصير المرء باختياره رضى لكان ذلك مجازا وهو خلاف الاصل (والثاني) ان جعل تلك اللطاف واجبة على الله تعالى لا يجوز الاخلال به وما كان واجبا لا يجوز طلبه بالداء والتضرع * قوله تعالى (يا زكريا اننا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) فيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في من النادى بقوله يا زكريا فالا كثرون على انه هو الله تعالى وذلك لان ما قبل هذه الآية يدل على ان زكريا عليه السلام انما كان يحاطب الله تعالى ويسأله وهو قوله رب انى وهن العظمى منى وقوله ولما كن بدعا لك رب شقيا وقوله فهب لى وما بعدها يدل على انه كان يحاطب الله تعالى وهو يقول رب انى يكون لى غلام واذا كان ما قبل هذه الآية وما بعدها خطابا مع الله تعالى وجب ان يكون النداء من الله تعالى والافسد النظم ومنهم من قال هذا نداء الملك واحتج عليه بوجهين (الاول) قوله تعالى في سورة آل عمران فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب ان الله يبشرك يحيى (الثاني) ان زكريا عليه السلام قال انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتقا قال كذلك قال ربك هو على هين وهذا لا يجوز ان يكون كلام الله فوجب ان يكون كلام الملك (والجواب) عن الاول انه يحتمل ان يقال حصل النداء ان نداه الله والملائكة (وعن الثاني) اتانين ان شاء الله تعالى ان قوله قال كذلك قال ربك هو على هين يمكن ان يكون كلام الله (المسئلة الثانية) فان قيل ان كان الداء باذن فامعنى البشارة وان كان بغير اذن فلماذا اقدم عليه والجواب هذا امر يخصه فيجوز ان يسأل بغير اذن ويحتمل انه اذن له فيه ولم يعلم وقته فبشر به (المسئلة الثالثة) اختلف المفسرون في قوله لم نجعل له من قبل سميا على وجهين (احدهما) وهو قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبز وعكرمة وقتادة لم يسم احديهم بهذا الاسم (الثاني) ان المراد

(خا)

(را)

(٩٧)

من الصالحين والأظهر أنه اسم
عجبي وإن كان عربيا فهو منقول
عن الفعل كيعمر ويعيش قيل
سمي به لأنه سمي به رحم أمه أو
حي دين الله تعالى بدعوته (قال)
استثناف مبنى على السؤال كأنه
قيل فماذا قال عليه الصلاة
والسلام حينئذ قيل قال (رب)
ناداه تعالى بالذات مع وصول
خطابه تعالى إليه بتوسط الملك
للمبالغة في التضرع والمناجاة
والجد في التبدل إليه تعالى
والاحترار عما عسى يروهم خطابه
للكمال من توهم أن علمه تعالى بما
يصدر عنه متوقف على توسل طاعة
أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه
متوقف على ذلك في عامة الأوقات
(أي يكون لي غلام) كلمة في معنى
كيف أو من أين وكان إمامة
وأي واللام متعلقان بها وتقديم
الجر على الفاعل لما سررا
من الاعتناء بما قدمه والتشويق
إلى ما أخر أي كيف أو من أين
يصدر ثل غلام ويحسوز أن
تعلق اللام بمخدوف وقع حالا من
غلام إذ لو تأخر لكان صفة له أي
إني يحدث كأنه غلام أو ناقصة
اسمها ظاهر وخبرها إمامتي ولي
متعلق بمخدوف كما هو أو هو
الظير وأني نصب على الظرفية
وقوله تعالى (وكانت امرأتي
عالي عاقرا) حال من ضمير
التكلم يتقدم قد وكذا قوله
تعالى (وقد بلغت من الكبر
عتيا) حال منه مؤكدة للاستبعاد
إثرا تكيد أي كانت امرأتي
عاقرا لم تلتقي شباها وشبابا
فكيف وهي الآن جهور وقد
بلغت من أجل كبر السن
جساسة وفجورا في الفاصل
والعظام أو بلغت من مدارج
الكبر

بالسمى النظير كافي قوله هل تعلم له سمي باختلافوا في ذلك على وجوه (أحدها) أنه سيد
وحصور لم بعض ولم بهم بمصيبة كأنه جواب لقوله واجعله رب رضى فليل له أنا نبشر
بغلام لم تجعل له من قبل شيئا في الدين ومن كان هكذا فهو في غاية الرضا وهذا الوجه
ضعيف لأنه يقتضى تفضيله على الأنبياء الذين كانوا قبله كآدم ونوح وإبراهيم وموسى
وذلك باطل بالاتفاق (وثانيها) أن كل الناس إنما يسميهم آبائهم وأمهاتهم بعد دخولهم
في الوجود وإما يحيى عليه السلام فإن الله تعالى هو الذي سماه قبل دخوله في الوجود
فكان ذلك من خواصه فلم يكن له مثل وشبه في هذه الخاصة (وثالثها) أنه ولد بين شيخ
فان ويجوز عاقره وأعلم أن الوجه الأول أولى وذلك لأن جل السمي على النظير وإن كان
يفيد المدح والتعظيم ولكنه عدول عن الحقيقة من غير ضرورة وأنه لا يجوز وما قول الله
تعالى هل تعلم له سمي فهناك إنما عدلنا عن الظاهر لأنه قال فاعده واضطر لعبادته هل تعلم له
سمي ما معلوم أن مجرد كونه تعالى مسمى بذلك الاسم لا يقتضى وجوب عبادته فلهذه العلة
عدلنا عن الظاهر إمامهنا لا ضرورة في العدول عن الظاهر فوجب اجراءه عليه ولأن
في تفرده بذلك الاسم ضربا من التعظيم لانا نشاهد أن الملك إذا كان له لقب مشهور فإن
حاشيته لا يتلقبون به بل يتركونه تعظيما له فكذلك هنا (المسألة الرابعة) فإنه عليه
السلام سمي بعيسى روى التعليل فيه وجوها (أحدها) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن
الله تعالى أحياه عقرا مه (وثانيها) عن قتادة أن الله تعالى أحياه قلبه بالإيمان والطاعة
والله تعالى سمي المطيع حيا والعاصي ميتا بقوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وقال إذا
دعنا كملنا يحسبك (وثالثها) أحياؤه بالطاعة حتى لم بعض ولم بهم بمصيبة لما روى عكرمة
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد إلا وقد
عصى أو هم إلا يحى بن ذكر يأنه لم بهم ولم يعملها (ورابعها) عن أبي القاسم بن حبيب أنه
استشهد وأن الشهداء أحياه عند ربهم لقوله تعالى بل أحياه عند ربهم (خامسها) ما قاله
عمر بن عبد الله المقدسي أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام أن قل ليسارة وكان
اسمها كذلك بأني يخرج منها عبدا لأبهم بمصيبة اسمه حي فقال هي له من اسمك حرفا
فوهبته حرفا من اسمها فصارت يحيى وكان اسمها ليسارة صار اسمها سارة (وسادسها) أن يحيى
عليه السلام أول من آمن بعيسى فصار قلبه حيا بذلك الإيمان وذلك أن أم يحيى كانت حاملا
به فاستقبلها مريم وقد حلت بعيسى فقالت لها أم يحيى يا مريم أحمل انت فقالت لماذا
تقولين فقالت إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك (وسابعها) أن الدين يحياه لأنه إنما
سأله ذكر بالجلال الدين وأعلم أن هذه الوجوه ضعيفة لأن أسماء الألقاب لا يطلب فيها وجه
الاشتقاق ولهذا قال أهل التحقيق أسماء الألقاب قائمة مقام الإشارات وهي لا تنبغي في
السمى صفة البتة (قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت
من الكبر عتيا) وفيه مسائل (المسألة الأولى) قرأ جزء والكسائي عتيا وصلبوا جثتها

ومراتبه ما يسمى عتيان عننا يعتو
 واصله عتو وكفود فاستنقل
 توالى الضيق والواو بن فكسرت
 التاء فانقلب الاولى يا لسكونها
 وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية
 ايضا لاجتماع الواو والياء
 وسبق احدهما بالسكون
 وكسرت العين اتباعا لما بعدها
 وفري بفتحها ولعل البداءة
 ههنا يذكر حال امرائه على
 عكس ما في سورة آل عمران
 لانه قد ذكر حاله في تضاعيف
 دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه
 اقصى مراتب الكبر تحملا لذكر
 قبله وانما هناك قبل يسبق في الدعاء
 ذكر حاله فلذلك قدمه على
 ذكر حال امرائه لان المسارعة
 الى بيان قصور شأنه انساب وانما
 قاله عليه الصلاة والسلام مع
 سبق دعائه بذلك وقوة بقیته
 بقدره الله لاسيما بعد مشاهدته
 للشواهد المذكورة في سورة
 آل عمران استعظاما لقدرة
 الله تعالى وتجيها لمباواعتها
 بنصته تعالى عليه في ذلك بالظهور
 انه من محض لطف الله من علا
 وفضله مع كونه في نفسه من
 الامور المستعيلة عادة لا امتدادا
 له وقيل انما قاله ليحبب بما اجيب
 به فيزيد المؤمنون اقبالا ويردع
 المبطلون وقيل كان ذلك منه
 عليه الصلاة والسلام استغفارا
 عن كيفية حدرته وقيل بل كان
 ذلك بطريق الاستبصار حيث كان
 بين الدعاء والبيارة ستون سنة
 وكان قد نسي دعاءه وهو يبيد
 (قال) استثنى كلامه مبنى على
 قوله نسا عما سلف والتكليف
 سؤال تعالى (كذلك قال ربك)
 مقحمة كافي مثلك لا يجبل عليها
 انما انصب على انه مصدر تشبيهي
 لقول الثاني وذلك اشارة الى مصدره
 الذي هو عبارة

وبكيا بكسر العين والصاد والجيم والياء وقرأ حفص عن عاصم بكيا بالضم والياء بالفتح
 والباقون جميعا بالضم وقرأ ابن مسعود بفتح العين والصاد من عتيا وصلوا وقرأ أبي بن
 كعب وابن عباس عتيا بالسين غير المعجمة والله اعلم (المسئلة الثانية) في الالفاظ وهي
 ثلاثة (الاول) الغلام الانسان الذكر في ابتداء شهوته للجماع ومنه اغتم اذا اشتدت
 شهوته للجماع ثم يستعمل في التليذ يقال غلام ثعلب (الثاني) العتي والعسى واحد قول
 عتايعتو عتوا وعتيا فهو عات وعسا يعسوعسا وعسياهو عاس والعاسي هو الذي غيره
 طول الزمان الى البؤس وليل عات طويل وقيل شديد الظلمة (الثالث) لم يقل عاقرة
 لان ما كان على فاعل من صفة المؤنث مما لم يكن للذكر فانه لا تدخل فيه الهاء نحو امرأة
 عاقرو حائض قال الخليل هذه صفات مذكورة وصف بها المؤنث كما وصفوا المذكور بالمؤنث
 حين قالوا رجل ملحمة وربعة وغلام نفعة (المسئلة الثالثة) في هذه الآية سؤال (الاول)
 ان زكريا عليه السلام لم يحب بقوله اني يكون لي غلام مع انه هو الذي طلب الغلام
 (السؤال الثاني) ان قوله اني يكون لي غلام لم يكن هذا مذكورا بين امته لانه كان مخفي
 هذه الامور عن امته فدل على انه ذكره في نفسه وهذا التعجب يدل على كونه شاكيا في قدرة
 الله تعالى على ذلك وذلك كفر وهو غير جائز على الانبياء عليهم السلام (والجواب) عن
 السؤال الاول اما على قول من قال انه لم يطلب خصوصا الولد فاسؤال زائل واماعلى
 قول من قال انه طلب الولد فالجواب عنه ان المقصود من قوله اني يكون لي غلام هو
 التعجب من انه تعالى يجعله ماشيا بين ثم يبرز فبهما الولد او يتركهما شيخين يبرز فبهما الولد مع
 الشخصوخة بطريق الاستعلاء لا بطريق التعجب والدليل عليه قوله تعالى وزكريا اذ نادى
 ربه رب لا تدركني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه
 وما هذا الاصلاح الا انه اعاد قوة الولادة وقد تقدم تقرير هذا الكلام وذكر السدى في
 الجواب وجه آخر فقال انه لما سمع النداء بالبيارة جاءه الشيطان فقال ان هذا الصوت
 ليس من الله تعالى بل هو من الشيطان يسخر منك فلما شك زكريا قال اني يكون لي غلام
 واعلم ان عرض السدى من هذا ان زكريا عليه السلام لو علم ان البشر بذلك هو الله تعالى
 لاسا جاز له ان يقول ذلك فاركتب هذا وقال بعض المتكلمين هذا باطل قطعاً اذ لجوز
 الانبياء في بعض ما ردد عن الله تعالى انه من الشيطان يجوزوا في ساره ولا التثقة عنهم
 في الوحي وعننا فيما يوردونه البناء يمكن ان يحيا عنه بأن هذا الاحتمال قائم في اول الامر
 وانما يزول بالمعجزة فلعل المعجزة لم تكن حاصلة في هذه الصورة فحصل الشك فيها دون ما عداها
 والله اعلم والجواب عن السؤال الثاني من وجوه (الاول) ان قوله انما نشركم بفلام اسمه
 يحيى ليس نصافي كون ذلك الغلام ولدا له بل يحتمل ان زكريا عليه السلام راعى الادب ولم
 يقل هذا الغلام هل يكون لي ولدا لم لا يل ذكر اسباب تعذر حصول الولد في العادة حتى ان
 تلك البيارة ان كانت بالولد فانه تعالى يزيل الاسباب ويجعل الكلام صريحا فلما ذكر ذلك
 صرح الله تعالى بكون ذلك الولد منه فكان الغرض من كلام زكريا هذا لا انه كان شاكيا

عن الوعد السابق لاني قول آخر
شبه هذا به وقدم تحقيقه في
تفسير قوله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا وتو له تعالى
(هو على هين) جهته مقررة
للوعد المذكور دالة على انجاز
داخلة في حين قال الاول كانه
قبل قال الله عز وجل مثل ذلك
القول المبدع قلت اى مثل
ذلك الوعد المار في العادة وعبدت
هو على خاصة هين وان كان
في العادة مستحيلا وقرى وهو
على هين فالحال حيث حال
من ربك والياء عبارة عن ضميره
كما ستعرفه او اعتراض وعلى كل
حال فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها
ثم اخرج القول الثاني مخرج
الانفصات جريا على سنن الكبرياء
لقرية المهابة وادخال الوعة
كقوله الحلقه امير المؤمنين يرمس
لك مكان انارمسم اسند الى اسم
الرب المضاف الى ضميره عليه
السلام تشريفه واشعارا بعلته
الحكم فان تذكير جريان احكام
ربوبيته تعالى عايه عليه الصلاة
والسلام من ايجاده من العدم
وتصرفه في اطوار الخلق من
حال الى حال شيئا فشيئا الى ان
يبلغ كماله الا لا يقرب به عما يقع اساس
استبعاد عليه الصلاة والسلام
لحصول الموعود ووبرنه عليه
الصلاة والسلام الاطمئنان
ببناؤه للعامة ثم التفت من ضمير
الغائب العائد الى الرب الى ياء
العمية اذ بان مدار كونه هينا
عليه سبحانه هو القدرة الذاتية
لاروبيته تعالى عليه الصلاة
والسلام خاصة وتعميد المايقبة
وقيل ذلك اشارة الى مبهم بفسره
قوله تعالى هو على هين على
طريقة قوله تعالى وقضينا اليه
ذلك الامر ان دابر هؤلاء

في قدرة الله تعالى عليه (الثاني) انه ما ذكر ذلك للشك لكن على وجه التعظيم لقدرة وهذا
كل رجل الذي يرى صاحبه قد هوب الكثير الخطير فيقول اني سمحت نفسي باخراج
مثل هذا من ملكك تعظيما وتعجبا (الثالث) ان من شأن من بشر بما يتناه ان يتولده فرط
السرور به عند اول ما يرد عليه استنابات ذلك الكلام اعلانا لشدته فربما توجب ذهوله
عن مقتضيات العقل والفكر وهذا كما ان امرأة ابراهيم عليه السلام بعد ان بشرت
باسحق قالت األد وانا عجوز وهذا بعلى شيئا ان هذا لشيء عجيب فاذيل تعجبا بقوله
انجبين من امر الله واما طلبا للالتذاذ بسماع ذلك الكلام مرة اخرى واما مبالغة
في تأكيد التفسير قوله تعالى (قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيئا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في قوله قال كذلك قال ربك هو على هين
وجوه (احدها) ان الكاف رفع اى الامر كذلك تصديقه ثم ابتدأ قال ربك (وثانيها)
نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم تفسيره هو على هين وهو كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك
الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصحين (وثالثها) ان المراد لا تعجب فانه كذلك قال ربك
لاخلف في قوله ولا غلط ثم قال بعده هو على هين بدليل خلقتك من قبل ولم تك شيئا
(ورابعها) انا ذكرنا ان قوله اني يكون لى غلام معناه تعطينى الغلام بان تجعلنى وزوجى
شايين او بان تتركنا على الشيخوخة ومع ذلك تعطينا الولد وقوله كذلك قال ربك اى نهب
الولد مع بقائك وبقاء زوجتك على الحالة الحاصلة في الحال (المسئلة الثانية) قرأ الحسن
وهو على هين وهذا لا يخرج الاعلى الوجه الاول اى الامر كما قلت ولكن قال ربك هو
مع ذلك على هين (المسئلة الثالثة) اطلاق لفظ الهين في حق الله تعالى مجاز لان ذلك انما
يحوز في حق من يحوز ان يصعب عليه شئ ولكن المراد انه اذا اراد شيئا كان (المسئلة
الرابعة) في وجود الاستدلال بقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا فنقول انه لما
خلقه من العدم الصفر والنفي المحض كان قادرا على خلق الذوات والصفات والآثار
وأما الآن فخلق الولد من الشيخ والشيخة لا يحتاج فيه الا الى تبديل الصفات والقادر على
خلق الذوات والصفات والآثار معا اولى ان يكون قادرا على تبديل الصفات واذا
اوجده من عدم فكذلك ابرزه للولد بان يعيد اليه الى صاحبه القوة التى عنها يتولد المسائل
الذات من اجتماعهما فيخلق الولد لذلك قال فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له وزجه
فذاوجه الاستدلال (المسئلة الخامسة) الجمهور على ان قوله قال كذلك قال ربك يقتضى
ان المقاتل لذلك ملك مع الاعتراف بأن قوله يذكركم انا نبشركم قول الله تعالى وقوله هو على
هين قول الله تعالى وهذا بعيد لانه اذا كان ما قبل هذا الكلام وما بعده قول الله تعالى
فكيف يصح ادراج هذه الالفاظ فيما بين هذين القولين والاولى ان يقال قائل هذا القول
ايضا هو الله تعالى كما ان الملك العظيم اذا وعد عبده شيئا عظيما فيقول العبد من أين يحصل لى
هذا فيقول ان سلطانك ضمن لك ذلك كانه يهبه بذلك على ان كونه سلطانا ما يوجب عليه

مقطوع مصحين ولا يخرج هذا

الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين الميم والميم وما لا يقع على انه خير مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم وعده تعالى الى قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو واقع لاحاطة وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر لمخونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى احوال من الممكن في الجار والجرور وايضا كان فوسيطا ل بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب بم الثلاث الى التكلم كالذي مر آتقا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه الصلاة والسلام اي قال تعالى الامر كما قلت تصديقه فيما حكاه من الحالة المبينة للولادة في نفسه وفي امراته وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مسوق لازالة استبعاد بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعد في نفسه على عين القراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو اللطيف واما جعلها للحال فمحل بسداد المعنى لان ما له تقرير صوبته محال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صوبته في نفسه وقوله تعالى (وقد خلتك من قبل ولم يك شيئا) جهلة مستأنفة مقررة لا قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالي المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه الصلاة والسلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بأن يقال وقد خلقت اباك آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد

الوجه بالوعد فكذا ههنا * قوله تعالى (قال رب اجعل لي آية قال آتيتك ان لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال بعضهم طلب الآية لتحقيق البشارة وهذا بعيد لان يقول الله تعالى قد تحققت البشارة فلا يكون اظهار الآية اقوى في ذلك من صريح القول وقال آخرون البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا يعرف وقتها بمجر البشارة فطلب الآية ليعرف بها وقت الوقوع وهذا هو الحق (المسئلة الثانية) اتفقوا على ان تلك الآية هي تعذر الكلام عليه فان مجرد السكون مع القدرة على الكلام لا يكون معجزة ثم اختلفوا على قولين (احدهما) انه اعتقل لسانه اصلا (والثاني) انه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه الخطاطبة مع انه كان متمكنا من ذكر الله ومن قراءة التوراة وهذا القول عندى اصح لان اعتقال اللسان مطلقا قد يكون لمرض وقد يكون من فعل الله فلا يعرف زكريا عليه السلام ان ذلك الاعتقال معجز الا اذا عرف انه ليس لمرض بل لمحض فعل الله تعالى مع سلامة الآلات وهذا مما لا تعرف الا بدليل آخر فتفتقر تلك الدلالة الى دلالة اخرى اما لو اعتقل لسانه عن الكلام مع القوم مع اقتداره على التكلم بذكر الله تعالى وقراءة التوراة علم بالضرورة ان ذلك الاعتقال ليس لمرض بل هو لمحض فعل الله فيتحقق كونه آية معجزة وبما يقوى ذلك قوله تعالى آتيتك ان لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا يخص ذلك بالتكلم مع الناس وهذا يدل بطريق المفهوم انه كان قادرا على التكلم مع غير الناس (المسئلة الثالثة) اختلفوا في معنى سويا فقال بعضهم هو صفة للبيات الثالث وقال اكثر المفسرين هو صفة لذكرى والمعنى آتيتك ان لاتكلم الناس في هذه المدة مع كونك سويا لم يحدث بك مرض * قوله تعالى (فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله تعالى فخرج على قومه من المحراب قيل كان له موضع يقر فيه بالصلاة والعبادة ثم ينقل الى قومه فعند ذلك اوحى اليهم وقيل كان موضعاً يصلي فيه هو وغيره الا انهم كانوا لا يدخلونه للصلاة الا بانه وانهم اجتماعاً ينتظرون خروجه للاذن فخرج اليهم وهو لا يتكلم فأوحى اليهم (المسئلة الثانية) لا يجوز ان يكون المراد من قوله اوحى اليهم الكلام لان الكلام كان ممنوعا عليه فكان المراد غير الكلام وهو ان يعرفهم ذلك اما بالاشارة او برمز مخصوص او بكتابة لان كل ذلك يفهم منه المراد فاعلم انه قد كان ما ينسره فكما حصل السرور له حصل لهم فظهر لهم اكرام الله تعالى له بالاجابة واعلم ان الاشبه بالآية هو الاشارة لقوله تعالى في سورة آل عمران ثلاثة ايام الامرنا والرمز لا يكون كناية للكلام (المسئلة الثالثة) اتفق المفسرون على انه اراد بالسبح الصلاة وهو جائز في اللغة يقال سبحه الضحى اي صلاة الضحى وعن عائشة رضي الله عنها في صلاة الضحى اني لاسبحها ما لي اُصلحها اذا ثبت هذا فيقول روى عن ابى العالية ان البكرة صلاة الفجر والعشى صلاة العصر ويحتمل ان يكون انما كانوا يصلون معه في محرابه هاتين الصلاتين فكان يخرج اليهم فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل

بقياس حال ما يشربه على حاله
 عليه الصلاة والسلام لتأكيد
 الاحتجاج وتوضيح مناج القياس
 حيث نبه على أن كل فرد من
 افراد البشر له حظ من انشائه
 عليه الصلاة والسلام من عدم
 اذ لم تكن فطرته البدئية مقصورة
 على نفسه بل كانت انموذجا
 منطويا على فطرة سائر احواد
 الجنس انطواء اجمالي مستمعا
 لجريان آثاره على الكل فكان
 ابداعه عليه الصلاة والسلام على
 ذلك الوجه ابداعا لكل أحد
 من فروعه كذلك ولما كان
 خلقه عليه الصلاة والسلام
 على هذا النمط الساري الى
 جميع افراد ذريته ابداع من
 أن يكون ذلك مقصورا على
 نفسه كما هو المفهوم من نسبة
 الخلق المذكور اليه وأدل على
 عظم قدرته تعالى وكأن له
 وحكمته وكان عدم ذكرها
 حينئذ اظهر عظمه واجلى
 وكان حاله اولى بأن يكون
 معيارا لحال ما يشربه نسب
 الخلق المذكور اليه كالنسب
 الخلق والتصور الى المخاطبين
 في قوله تعالى ولقد خلقناكم
 ثم هورناكم توفية لتمام الامتنان
 حقه فكانه قيل وقد خلقناكم
 من قبل فيضعيف خلق آدم
 ولم تكن اذذاك شيئا اصلا بل
 عدما بمقتضى صرفا هذا وما
 حل التمس على المقصد به اى
 ولم تكن شيئا معتادا به فيأباه
 المقام ويرده نظم الكلام وقرئ
 خلقناكم قال رب اجعل لى
 آية اى علامة تدل على تحقق
 المسؤل ووقوع الجبل ولم
 يكن هذا السؤال منه عليه
 الصلاة والسلام لتأكيد
 البشارة وتحقيقها كما قيل فان
 ذلك مما لا يليق بعنص الرسالة
 انما كان ذلك

لسانه خرج اليهم كعادته فأذن لهم بغير كلام والله اعلم * قوله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب
 بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقوابا رابوا لديه ولم يكن جنابا
 عصبيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) اعلم ان الله تعالى وصف يحيى في هذه
 الآية بصفات تسع (الصفة الاولى) كونه مخاطبا من الله تعالى بقوله يا يحيى خذ الكتاب
 بقوة وفيه مسائل (الاولى) ان قوله يا يحيى خذ الكتاب يدل على ان الله تعالى بلغ
 يحيى المبلغ الذى يجوز ان يخاطبه بذلك فحذف ذكره لدلالة الكلام عليه (المسئلة الثانية)
 الكتاب المذكور يحتمل ان يكون هو التوراة التى هى نعمة الله على بنى اسرائيل لقوله
 تعالى ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ويحتمل ان يكون كتابا خص الله به
 يحيى كما خص الله تعالى الكثير من الانبياء بذلك والاول اولى لان حل الكلام هنا على
 المهود السابق اولى ولا معهود هنا الا التوراة (المسئلة الثالثة) قوله بقوة بقوة ليس المراد
 منه القدرة على الاخذ لان ذلك معلوم لكل احد فيجب حمله على معنى يقيد المدح وهو الجهد
 والصبر على القيام بأمر النبوة وحاصلها يرجع الى حصول ملكة تقتضى سهولة الاقدام
 على المأمورة والاحجام عن المنهى عنه (الصفة الثانية) قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا اعلم
 ان فى الحكم اقوالا (الاول) انه الحكمة ومنه قول الشاعر

واحكم حكمك فتاة على اذ نظرت * الى جام سراخ وارد الثمد

وهو الفهم فى التوراة والفقه فى الدين (والثانى) وهو قول معمرانه العقل روى انه قال
 ما لبس خلقنا (والثالث) انه النبوة فان الله تعالى احكم عقله فى صباه واوحى اليه وذلك
 لان الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام وهما صبيان لا كما بعث موسى ومحمد عليهما
 السلام وقد بلغا الاشد والاقر بجله على النبوة لوجهين (الاول) ان الله تعالى ذكر فى
 هذه الآية صفات شرفه ومنقبته ومعلوم ان النبوة اشرف صفات الانسان فذكرها
 فى معرض المدح اولى من ذكر غيرها فوجب ان تكون نبوته مذكورة فى هذه الآية ولا لفظ
 يصلح للدلالة على النبوة الا هذه اللفظة فوجب جعلها (الثانى) ان الحكم هو ما يصلح
 لان يحكم به على غيره على الاطلاق وذلك لا يكون الا بالنبوة فان قيل كيف يعقل حصول
 العقل والفطنة والنبوة حال الصبا قلنا هذا السائل اما ان يمنع من خرق العادة اولا
 يمنع منه فان منع منه فقد سد باب النبوات لان بناء الامر فيها على المجرات ولا معنى لها
 الاخرى العادات وان لم يمنع فقد زال هذا الاستبعاد فانه ليس استبعاد صيرة الصبي
 عاقلا اشد من استبعاد انشقاق القمر وانطلاق البحر (الصفة الثالثة) قوله تعالى وحنانا
 من لدنا اعلم ان الحنان اصله من الحنين وهو الارتياح والجزع للفراق كما يقال حنين الناقة
 وهو صوتها اذا اشتاقت الى ولدها ذكر الخليل ذلك وفى الحديث انه عليه السلام كان
 يصلى الى جذع فى المسجد فلما اتخذ له المنبر وتحول اليه حنت تلك الخشبة حتى سمع حنينها
 فهذا هو الاصل ثم قيل تحن فلان على فلان اذا تعطف عليه ورحه وقد اختلف الناس

في وصف الله بالحنان فاجازه بعضهم وجعله بمعنى الرؤف الرحيم ومنهم من أباه ما يرجع اليه
اصل الكلمة قالوا لم يصح الخبر بهذه اللفظة في اسماء الله تعالى اذ عرفت هذا فنقول
الحنان هنا فيه وجهان (أحدهما) ان يجعل صفة لله (وثانيهما) ان يجعل صفة ليجي أما
اذا جعلناه صفة لله تعالى فنقول التقدير وآتيناه الحكم حنانا أي رجة منّا هنا
احتمالات (الاول) ان يكون الحنان من الله ليجي المعنى آتيناه الحكم صيبا ثم قال وحنانا
من لدنا أي انما آتيناه الحكم صيبا حنانا من لدنا عليه أي رجة وزكاة أي وتركبة له
وتشريفه (الثاني) ان يكون الحنان من الله تعالى لذكر ما عليه السلام فكأنه تعالى قال
انما استجبنا لكرها دعوته بأن اعطيناه ولدنا ثم آتيناه الحكم صيبا وحنانا من لدنا عليه أي
على ذكره فلهذا ذلك وزكاة أي وتركبة له من ان يصير مردود الدعا (الثالث) ان يكون
الحنان من الله تعالى لآمنة ليجي عليه السلام كأنه تعالى قال وآتيناه الحكم صيبا وحنانا
منّا على آمنة لعظيم انتفاعهم بهدايته وارشاده أما اذا جعلناه صفة ليجي عليه السلام
ففيه وجوه (الاول) آتيناه الحكم والحنان على عبادنا أي التعطف عليهم وحسن النظر
على كانتهم فيما اوليه من الحكم عليهم كما وصف نبيه فقال فبأرجة من الله لنت لهم وقال
حريص عليكم بالؤمنين رؤف رحيم ثم اخبر تعالى انه آتاه زكاة ومعناه ان لا تكون شفقتة
داعية له الى الاخلال بالواجب لان الرأفة واللين ربما اورثا ترك الواجب ألا ترى الى
قوله تعالى ولاناخذكم بهمارأفة في دين الله وقال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ولجعدوا
فيكم خلطة وقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم قالهني انما جعلناه التعطف على عباد الله مع الطهارة عن الاخلال بالواجبات
ويحتمل آتيناه التعطف على الخلق والطهارة عن المعاصي فلم يصح ولمهم بمصيبة وفي الآية
وجه آخر وهو المنقول عن عطاب بن ابي رباح وحنانا من لدنا والمعنى آتيناه الحكم صيبا تعظيما
اذ جعلناه نباه وهو صبي ولا تعظيم اكثر من هذا والدليل عليه ما روى انه مرورقة بن نوفل
على بلال وهو يعذب قد الصق ظهره برمضاء البطحاء ويقول احداحد فقال والذي
نفسى بيده لئن قتلتموه لا تحذنه حنانا اي معظما (الصفة الرابعة) قوله وزكاة وفيه وجوه
(احدها) ان المراد وآتيناه زكاة اي علاصالحا زكيا عن ابن عباس وقادة والضحاك
وابن جريج (وثانيها) زكاة لمن قبل منه حتى يكونوا اذكيا عن الحسن (وثالثها) زكياه
بحسن الشاء كما ترى النهمود الانسان (ورابعها) صدقة تصدق الله بها على ابيه عن
الكلبي (وخامسها) بركة وثمنا وهو الذي قال عيسى عليه الصلاة والسلام وجعلني مباركا
انما كنت واعلم ان هذا يدل على ان فعل العبد خلق لله تعالى لانه جعل طهارته وزكاته
من الله تعالى وجعله على اللطاف بعدلانه عدول عن الظاهر (الصفة الخامسة) قوله
وكان تقيا وقد عرفت معناه وبالجملة فانه يتضمن غاية المدائح لانه هو الذي يتقن الله
فيحنيه ويتق امره فلا يهمله واولي الناس بهذا الوصف من ام بعض الله ولا يهمل بمصيبة

لتعريف وقت الملوك حيث كانت
البشارة مطلقة عن تعيينه وهو
امر حفي لا يوقف عليه فاراد ان
يطعمه الله تعالى عليه ليتلقى تلك
النعمة الجليلة بالشكر من حين
حدوثها ولا يؤخره الى ان تظهر
ظهور امتداد او قدمت الاشارة
في تفسير سورة آل عمران الى ان
هذا السؤال ينبغي ان يكون بعد
ما مضى بعد البشارة برهة من
الزمان لما روى ان يحيى كان
اكبر من عيسى عليهما الصلاة
والسلام بستة اشهر او ثلاث
سنين ولا ريب في ان دعاكم كريا
عليه الصلاة والسلام كان
في سفر مرمر بقوله تعالى هناك
دعاه كريبه وهي انما ولدت
عيسى عليه الصلاة والسلام
وهي بنت عشرين او بنت ثلاث
عشرة سنة قال ابداهي والام
متعلقة به وتقدم على المفعول به
لما مر مرارا من الاعتناء بالقدم
والتشويق الى المؤخر او مجذوف
وقم حال من آية اذ لو تأخر لكان
صفة لها وقيل بمعنى التخصيص
المستدعي للمفعولين اولهما آية
وثانيهما الظرف وتقدمه لانه
لا مسوغ لكون آية متندا عند
انحلال الجهة الى مبتدا وخبر
سوى تقديم الظرف فلا يتغير
حاله ما يدورود الناسخ قال
آيتك ان لا تكلم الناس أي ان
لا تقدر على ان تكلمهم بكلام
الناس مع القدرة على الذكر
والسبح (ثلاث ليل) مع ايامهن
لتصرح بها في سورة آل عمران
(سويا) حال من فاعل تكلم مفيد
لكون انتهاء التكلم بطريق
الاضطراد دون الاختيار اي منع
الكلام فلا تطبيق به حال كونك
سوى الخلق

وكان يحيى عليه الصلاة والسلام كذلك فان قيل مامعنى وكان تقيا وهذا حين ابتداء تكليفه قلنا انما خاطب الله تعالى بذلك الرسول واخبر عن حاله حيث كان كما اخبر عن نعم الله عليه (الصفة السادسة) قوله وبرأ بالديه وذلك لانه لاجبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين ولهذا السبب قال وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا (الصفة السابعة) قوله ولم يكن جبارا والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب وذلك من صفات المؤمنين كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك ولان رأس العبادات معرفة الانسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة والكمال ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به الترفع والتجبر ولذلك قال ابليس لما تجبر وتمرد صار مبعدا عن رحمة الله تعالى وعن الدين وقيل الجبار هو الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من العظم والذهاب بنفسه عن ان يلزمه قضاء حق احد وقال سفيان في قوله جبارا عصيانه الذى يقبل على الغضب والدليل عليه قوله تعالى اريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وقيل كل من عاقب على غضب نفسه من غير حق فهو جبار لقوله تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين (الصفة الثامنة) قوله وعصيا وهو ابغى من العاصي كما ان العلم بلغ من العالم (الصفة التاسعة) قوله وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وقيده اقول (احدها) قال محمد بن جرير الطبري وسلام عليه اى امان من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم ويوم يموت اى وامن عليه من عذاب القبر يوم يبعث حياى ومن عذاب القيامة (وثانيها) قال سفيان بن عيينة او حش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا عما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم فآكرم الله يحيى عليه الصلاة والسلام بفنصه بالسلام عليه في هذه المواطن الثلاثة (وثالثها) قال عبد الله بن نبطويه وسلام عليه يوم ولد اى اول ما يرى الدنيا ويوم يموت اى اول يوم يرى فيه اول امر الآخرة ويوم يبعث حياى اى اول يوم يرى فيه الجنة والنار وهو يوم القيامة وانما قال حيايتها على كونه من الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون (فروع الاول) هذا السلام يمكن ان يكون من الله تعالى وان يكون من الملائكة وعلى التقديرين فدلالة شرفه وفضله لا تختل لان الملائكة لا يسألون الا عن امر الله تعالى (الثاني) ليحيى منزلة في هذا السلام على ما سائر الانبياء عليهم السلام كقوله سلام على نوح في العالمين سلام على ابراهيم لانه قال ويوم ولد وليس ذلك لسائر الانبياء عليهم السلام (الثالث) روى ان عيسى عليه السلام قال ليحيى عليه السلام انت افضل منى لان الله تعالى سلم عليك وانا سلمت على نفسي وهذا ليس بقوى لان السلام عيسى على نفسه يجرى سلام الله على يحيى لان عيسى معصوم لا يضل الا ما امره الله به (الرابع) السلام عليه يوم ولد لا بد وان يكون تفضلا من الله تعالى لانه لم يتقدم منه

سلم الجوارح ما بك ثابتة بكم ولا خرس (فخر على قومه من المحراب) اى من المصلى او من الفرفة وكانوا من وراء المحراب يشظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغير لونه فاذكروه وقالوا مالك (فاوحى اليهم اى اوما اليهم لقوله تعالى الارمنا وقيل مكتب على الارض وان في قوله تعالى (ان سجوا) اما مفسر لا وحى او معسدية والمعنى اى صلوا او بان صلوا (بكرة وعشيا) هما ظرفان للصبح عن ابي العالية ان المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر او زهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك (يا يحيى) استئناف طوى قبله جهل كثيرة مسرعة الى الانبايا بما عجز الوعد الكريم اى قلنا يا يحيى (خذ الكتاب) اى التوراة (بقوة) اى يمدوا واستظهار بالتوثيق (وآيتناه الحكم صليا) قال ابن عباس رضى الله عنهما الحكم النبوة استنباه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين روى انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما لعب خلقنا (وحنا) من لدنا عطف على الحكم وتوسنه لتفهم وهو الصن والاشفاق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة مؤكدة لا اقامة التنوين من التمامة الذاتية بالضميمة الاضافية اى وآيتناه رجة عظيمة عليه كائنه من جنابنا اورجة في قلبه وشفقة على ابيه وغيرهما (وزكوة) اى طهارة من الذنوب او صدقة تصدقناه على ابيه او وقفناه للتصدق على الناس

(وكان تقيا) مطيعا متجنبيا عن

المعاصي (وإبراهيم عليه السلام) عطف على
تقيا أي باراهما الطيبين لمعنا إليهما
(ولم يكن جبارا عصيا) متكبرا
عاقلاهما أو عاصيا لربه (وسلام
عليه) من الله عز وجل (يوم ولد)
من ابنه الشيطان بما ينال به
نبي آدم (ويوم يموت) من عذاب
القبر (ويوم يبعث حيا) من هول
القيامة وعذاب النار (وأذكر
في الكتاب) كلام مستأنف
خوطين به التي عليه الصلاة
والسلام وأمر بذكر قصة
مريم أثر قصة زكريا لما بينهما من
كآل الاشتياك والمراد بالكتاب
السورة الكريمة لا القرآن أنه
التي صدرت بقصة زكريا
المستتمة لذكر قصتها وفصل
الانبياء المذكورين فيها أي
وأذكر للناس (مريم) أي نبأها
فإن الذكر لا يتطابق بالانبياء وقوله
تعالى (إذا تبينت) ظرف لذلك
المضاي لكن لآعلى أن يكون
المأمور به ذكر نبأ عند اقتضاها
قطر بل كل ماء عطف عليه وحى
بعده بطريق الاستئناف داخل
في حيز الظرف مقيم للنبأ وقيل
يدل اشتغال من مريم على أن
المراد بها نبأها فإن الظروف
مشبهة على ما فيها وقيل بدل الكل
على أن المراد بالظرف ما وقع فيه
وقيل أيمن أن المصدرية كما
في قولك أكرمك أكرمك أكرمك
أي لأن أكرمك فهو بدل
الاشتغال لا محالة وقوله تعالى
(من أهلها) متعلق بتأيدت
وقوله (مكانا شرقيا) مفعول له
باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان
المرتب بوجوده واعتبار على أصل

ما يكون ذلك جزاء له وما أوالسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث في المحشر فقد يحوز أن
يكون ثوابا كالمح والاعظيم والله تعالى أعلم القول في فوائد هذه القصة (الفائدة الأولى)
تعلم آداب الدعاء وهي من جهات (أحدها) قوله نداء خفيا وهو يدل على أن أفضل الدعاء
ما هذا حاله ويؤكده قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية ولا ترفع الصوت مشعرا بالقوة
والجلالة وإخفاء الصوت مشعرا بالضعف والانكسار وعمدة الدعاء الانكسار والتبري
عن حول النفس وقوتها والاعتماد على فضل الله تعالى وأحسانه (وثانيها) أن المسحوب
أن يذكر في مقدمة الدعاء بحز النفس وضعفها كما في قوله تعالى عنه وهن العظم مني واشتعل
الرأس شيئا ثم يذكر كثرة نعم الله على ما في قوله ولم أكن بدعا لك رب شقيا (وثالثها)
أن يكون الدعاء لاجل شيء متعلق بالدين لالحض الدنيا كما قال وأني خفت الموالي من
ورائي (ورابعها) أن يكون الدعاء بلفظ يارب على ما في هذا الموضع (الفائدة الثانية)
ظهور درجات زكريا ويحيى عليهما السلام أما زكريا فأمر (أحدها) نهاية تضرعه
في نفسه وانقطاعه إلى الله تعالى بالكلي (وثانيها) اجابة الله تعالى دعاءه (وثالثها) أن الله
تعالى ناداه ويشره أو الملائكة أو حصل الأمر أن معا (ورابعها) اعتقال لسانه عن
الكلام دون التسبيح (وخامسها) أنه يجوز لاتباء عليهم السلام طلب الآيات بقوله رب
اجعل لي آية (الفائدة الثالثة) كونه تعالى قادرا على خلق الولد وإن كان الأبوان في نهاية
الشيخوخة ردا على أهل الطبايع (الفائدة الرابعة) صحة الاستدلال في الدين بقوله تعالى
وقد خلقتك من قبل ولم تكن شيئا (الفائدة الخامسة) أن المعدوم ليس بشيء والآية نص في
ذلك فإن قيل المراد ولم تكن شيئا مذكورا كما في قوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من
الدهر لم يكن شيئا مذكورا قلنا لا تضام خلاف الأصل وللخصم أن يقول الآية تدل على
أن الإنسان لم يكن شيئا ونحن نقول به لأن الإنسان عبارة عن جواهر متألفة قامت بها
أعراض مخصوصة والجواهر المتألفة الموصوفة بالأعراض المخصوصة غير ثابتة في العدم
إنما الثابت هو أعيان تلك الجواهر مفردة غير مركبة وهي ليست بانسان فظهر أن الآية
لادلالة فيما على المطلوب (الفائدة السادسة) أن الله تعالى ذكر هذه القصة في سورة آل
عمران وذكرها في هذا الموضع فلنعتبر حالها في الموضعين فنقول (الأول) أنه تعالى بين
في هذه السورة أنه دنا به ولم يبين الوقت وبينه في آل عمران بقوله فكادخل عليها زكريا
الحرب وجد عندها رزقا قال يا مريم أتى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من
يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة والمعنى أن
زكريا عليه السلام لما رأى خرق العادة في حق مريم عليها السلام طمع فيه في حق
نفسه فدعا (الثاني) وهو أن الله تعالى صرح في آل عمران بأن المنادى هو الملائكة
لقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في الحرب وفي هذه السورة الأظهر أن
المنادى بقوله يا زكريا أنا نذكرك هو الله تعالى وقد بينا أنه لا منافاة بين الأمرين (الثالث)
أنه قل في آل عمران أتى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وأمرأتى مافزكرا ولا كبر

وهو السر في تأخيرته عنه أي
اعتزلت وانفردت منهم وات
مكنا شرقيا من بيت القدس
او من دارها تظلي هناك للعبادة
وقيل قعدت في مشرفة لتغتمل
من الحيز محجبة بمناط او بشيء
يسرها وذلك قوله تعالى
(فأخذت من دونهم حجابا) وكان
موضعها المسجد فإذا حاضرت
تحوالت الى بيت خالتها وإذا طهرت
عادت الى المسجد فينهاي في
مقبتها أتاها الملك عليه الصلاة
والسلام في صورة آدمي شاب امرئ
وضئ الوجه جعد الشعر
وذلك قوله تعالى (فأرسلنا اليها
روحنا) أي جبريل عليه الصلاة
والسلام عبر عنه بذلك توفية
للقام حقه وقرئ بفتح الراء
لكونه سببا لما فيه روح العباد
الذي هو عدة المقرين في قوله
تعالى فاما ان كان من المقرين
فروح وريحان (فتلها بشرا
سويا) سوى الخلق كامل الهيئة
لم يفقد من حسان نوح الاتمية
شيئا وقيل تمثل في صورة ترب لها
اسم يوسف من خدم بيت المقدس
وذلك لتسأنس بكلامه وتلقى
منه ما يليق اليها من كلامه تعالى
اذ لو بدالها على الصورة الملكية
لفترت منه ولم تستطع مفاوضته
واما ما قيل من ان ذلك لتبهيج
شهوها فتصدر لطفاتها الى رحما
في عملاته لقام بيان آثار القدرة
الحارقة للعادة بكذبه قوله تعالى
(قالت انى اعوذ بالرحمن منك)
قانه شاهد عدل بأنه لم يخطئ
ببالحا شائبة ميل ماله فضلا
عما ذكر من الحالة المتربة على
اقصى مراتب الميل والشهوة
فم كان قتيله على

نفسه ثم عقر المرأة وهو في هذه السورة قال أي يكون لي غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد
بلغت من الكبر عتيا وجوابه ان الواو لا تقضى الترتيب (الرابع) قال في آل عمران وقد
بلغني الكبر وقال ههنا وقد بلغت من الكبر وجوابه ان ما بلغت قد بلغت (الخامس)
قال في آل عمران آتيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة ايام الارمن اوقال ههنا ثلاث لبال سويا
وجوابه ذلك الآيتان على ان المراد ثلاثة ايام بلبالين والله اعلم (القصة الثانية) قصة
مريم وكيفية ولادة عيسى عليه السلام اعلم انه تعالى انما قدم قصة يحيى على قصة عيسى
عليهما السلام لان خلق الولد من شجيين فأتين أقرب الى مناهج العادات من تخليق الولد
لامن الاب البتة واحسن الطرق في التعلم والفهم الاخذ من الاقرب فالأقرب مرقبا
الى الاصعب فالاصعب * قوله تعالى (واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا
شرقيا فأخذت من دونهم حجابا فأرسلنا البهاروحا فتمل لها بشرا سويا) وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) اذبل من مريم بدل اشمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان
المقصود بذكر مريم ذكر وقت هذا الوقوع لهذه القصة الحميمة فيه (المسئلة الثانية)
النبذ اصله الطرح واللقاء والانتباذ افتعال منه ومنه فنبذوه وراء ظهورهم وانتبذت
تحت يقال جلس نبذة من الناس ونبذة بضم النون وقصها أى ناحية وهذا اذا
جلس قريبا منك حتى لو نبذت اليه شيئا وصل اليه ونبذت الشيء ومنه النبذ لانه
يطرح في الآنة واصله منبوذ فصرف الى الفعل ومنه قيل للقيط منبوذ لانه يرمى به ومنه
النبى عن المناذبة في البيع وهو ان يقول اذا نبذت اليك هذا الثوب او الحصة فقد
وجب البيع اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا معناه
تباعدت وانفردت على سرعة الى مكان يلي ناحية الشرق ثم بين تعالى انها مع ذلك اتخذت
من دون اهلها حجابا مستورا وظاهر ذلك انها لم تقتصر على ان انفردت الى موضع بل
جعلت بينها وبينهم حائلا من حائط او غيره ويحتمل انها جعلت بين نفسها وبينهم سورا
وهذا الوجه الثاني اظهر من الاول ثم لابد في احتجابها من ان يكون لغرض صحيح وليس
مذكورا واختلف المفسرون فيه على وجوه (الاول) انها لما رأت الحيز تباعدت عن
مكانها المعتاد للعبادة لكي تنظر الطهر فتغسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل عليه
السلام (والثاني) انها طلبت الخلوة للالتفات عن العبادة (والثالث) قعدت في مشرفة
للاغتسال من الحيز محجبة بشيء يسترها (والرابع) انها كان لها في منزل زوج اخبتها
زكريا محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها فتمت أن تجد خلوة
في الجبل لتقلى رأسها فانفجر السقف لها فخرجت الى المفازة فجلست في المشرفة وراء
الجبل فأتاها الملك (وخامسها) عطشت فخرجت الى المفازة لتسقي واعلم ان كل هذه
الوجوه محتمل وليس في اللفظ ما يدل على ترجيح واحد منها (المسئلة الثالثة) المكان
الشرقي هو الذي يلي شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ومن ابن عباس رضى الله عنهما

ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق

لا يتلائم ولا يوافق سبب عقبتها ولقد ناهى
منها من الورع والصفاء ما لا غاية
وراهم وذكر تعالى يذموا الرجائية
للباطلة في العباد به تعالى واستجلاب
آثار الرحمة الخاصة التي هي
العصمة بمادهمها وقوله تعالى
(ان كنت تقيا) أي تتق الله تعالى
وتبالي بالاستعاذة به وجواب
الشرط محذوف نكسة بدلالة
السباق عليه أي فاني عائدة به
أو فتعذو بتعذو أو فلا تعرض
لي (قال انما ان رسول ربك) يريد
عليه الصلاة والسلام إلى است
عن يتوقع منه ما توجهت من
الشر والاعانة رسول ربك الذي
استعملت به (لا هب لك غلاما) أي
لا تكون سبيبا في هبته بالنفع في
الدرع ويجوز ان يكون ذلك
سحابة لقوله تعالى ويؤيد القراءة
بالياء والعرض لعنوان الرواية
مع الاضافة إلى ضميرها لتشريفها
وتسليتها والاشعار ببدء الحكم
فان هبة الغلام لها من احكام
تربيتها وفي بعض النسخ
امرني ان اهب لك غلاما (زكيا)
طاهرا من الذنوب او تأميا على
الحق أي مقربا من سن إلى سن
على الخير والصلاح (فالتاني
يكون لي غلام) كما وصفت (ولم
يمسني بشر) أي والحال ان لم
يشارني بالنكاح رجل وانما قيل
بشر مبالغة في بيان تزويجها من
مبادئ الولادة (ولم انقبض)
على لم يمسي داخل معه في حكم
الحالية منقص عن كون المماس
عبارة عن المباشرة بالنكاح أي
ولم اكن عاجزة بغير الرجال
وهي قول يعني الفاعل اصلها
بغوى فأدغم الواو بعد قلبها

اني لاعلم خلق الله لأى شيء اتخذ النصارى المشرق قبلة لقوله تعالى مكانا شرقيا
فأخذوا ميلاد عيسى قبلة (المسئلة الرابعة) انما لما جلست في ذلك المكان ارسل الله
اليها الروح واختلف المقسمون في هذا الروح فقال الاكثر ان جبريل عليه السلام
وقال ابو مسلم انه الروح الذي تصور في بطنها بشرا والاول اقرب لان جبريل عليه
السلام يسمى روحا قال الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وسمى روحا لانه روحاني
وقيل خلق من الروح وقيل لان الدين بحياه او سماه الله تعالى بروحه على المجاز بحبه له
وتقرى با كما تقول لحبيك روحى وقرأ أبو حية روحنا بالفتح لانه سبب لمافيه روح
العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المتقين في قوله فاما ان كان من المقربين
فروح ربحان وجنة نعيم ولانه من المقربين وهم الموعدون بالروح أي مقربون واداروا
واذا ثبت انه يسمى روحا فهو هنا يجب ان يكون المراد به هو لانه قال انما انا رسول
ربك لا هب لك غلاما زكيا ولا يلقى ذلك الا جبريل عليه السلام واختلفوا في انه كيف
ظهر لها (الاول) انه ظهر لها على صورة شاب أمر دحسن الوجه سوى الخلق
(والثاني) انه ظهر لها على صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وكل ذلك
محتمل ولا دلالة في اللفظ على التعيين ثم قال وانما تمثل لها في صورة الانسان لتستأنس
بكلامه ولا تنفر عنه فلو ظهر لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه
ثم هنا اشكالات (احدها) وهو انه لو جاز ان يظهر الملك في صورة انسان معين فحينئذ
لا يمكننا القطع بأن هذا الشخص الذي اراه في الحال هو زيد الذي رآته بالامس لاحتمال
ان الملك او الجنى تمثل في صورته وقمع هذا الباب يؤدي إلى السفسة لا يقال هذا انما
يجوز في زمان جواز البعثه فاما في زماننا هذا فلا يجوز لا نقول هذا الفرق انما يعلم
بالدليل فالجاهل بذلك الدليل يجب ان لا يقطع بأن هذا الشخص الذي اراه الآن هو
الشخص الذي رآته بالامس (وثانيها) انه جاء في الاخبار ان جبريل عليه السلام شخص
عظيم جدا فذلك الشخص العظيم كيف صار بدنه في مقدار جنة الانسان أبان تساقطت
أجزاءه وتفرقت بنيت فحينئذ لا يبقى جبريل او بأن تداخلت اجزائه وذلك يوجب
تداخل الاجزاء وهو محال (وثالثها) وهو انما يجوز ان يتنزل جبريل عليه السلام
في صورة الادنى فلم لا يجوز تمثله في صورة جسم اصغر من آدمي حتى الذباب والبق
والبعوض ومعلوم ان كل مذهب جر إلى ذلك فهو باطل (ورابعها) ان تجوز
يفضى إلى القدح في خبر التواتر فلعن الشخص الذي حارب يوم بدر لم يكن محمدا بل كان
شخصا آخر تشبهه وكذا القول في الكل (والجواب) عن الاول ان ذلك التجوز
لازم على الكل لان من اعترف بافتقار العالم إلى الصانع المختار فقد قطع بكونه تعالى
قادرا على ان يخلق شخصا آخر مثل زيد في خلقه وتخطيطه واذا جوزنا ذلك فقد لزمت
الشك في ان زيدا المشاهد الآن هو الذي شاهدناه بالامس ام لا ومن انكر الصانع المختار
واسند الحوادث إلى اتصالات الكواكب وتشكلات الفلك لزمه تجوز ان يحدث

في الباب كسرت الغين للباب وقيل
هي فعيل بمعنى الفاعل والالتفيل
بفتح كاي يقال فلان فهو غن
المتكر وانما لم تلحقه التاء لانه
من باب النسب كطالقي او بمعنى
الفعول اي يغيها الرجال
للجور بها (قال اي الملك تقريرا
بقائه وتحقيقا لها) كذلك اي
الامر كما قلت لك وقوله تعالى
(قال ربك) الخ استئناف مقروله
اي قال ربك الذي ارسلني اليك
(هو) اي ما ذكرت لك من هبة
الغلام من غير ان يسك بشر
اصلا (علي) خاصة (هين) وان
كان مستحيلا مائة لما اتي
لاحتاج الى الاسباب والنواصب
وقوله تعالى (ولنعلمه آية للناس)
اما علمه لعل محذوف اي ولنصيل
وهب الغلام آية لهم وبرهانا
يستدلون به على كمال قدرتنا
تفعل ذلك او معطوف على علة
اخرى مضرة اي لتبين به عظم
قدرتنا ولنعلمه آية الخ والواو
على الاول اعتراضية والاتفات
الى تون العظمة لظهور كمال
الجلالة (ورجة) عظيمة كاشفة
(منا) عليهم يعترفون بهدائه
ويستردون به رشده (وكان)
ذلك (امرا مقضيا) بحكما قد تعلق
به فضاؤنا الا زلي اوقد وسط
في الوح لا ندمن جريانه عليك
البنة وكان امرا حقيقيا بان يقضى
ويفعل تنصنه حكما بالفة
(فصلمته) بان تنفخ جبريل عليه
الصلاة والسلام في درعها
فدخلت النخفة في جوفها قيل
انه عليه الصلاة والسلام رفع
دروعها فنفخ في جيبه فصلمت
وقيل فنزع عن بدو فصل الرمح
اليها فصلمت في الحال وقيل ان
النخفة كانت

اتصال قريب في الافلاك يقتضي حدوث شخص مثل زيد في كل الامور وحينئذ يعود
النحو ز المدكور (وعن الثاني) انه لا تمتنع ان يكون جبريل عليه السلام اجزاء اصلية
واجزاء فاضلة والاجزاء الاصلية قليلة جدا فيلزم ان يكون متمكنا من التشبيه بصورة
الانسان هذا اذا جعلناه جسمانيا اما اذا جعلناه روحانيا فأي استبعاد في ان يتدبر
تارة بالهيكل العظيم واخرى بالهيكل الصغير (وعن الثالث) ان اصل الجوز قائم في
العقل وانما عرف فساد به دلائل السمع وهو الجواب عن السؤال الرابع والله اعلم * قوله
تعالى (قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) وفيه وجوه (احدها) ارادت ان كان
يرجى منك ان تنق الله ويحصل ذلك بالاستعاذة به فاني مائة منك وهذا في نهاية الحسن
لانه علمت انه لا تؤثر الاستعاذة الا في التقي وهو كقوله ودروا ما بقي من الربا ان كنتم
مؤمنين اي ان شرط الايمان يوجب هذا الا ان الله تعالى يخشى في حال دون حال (وثانيها)
ان معناه ما كنت تقيا حيث استحلت النظر الى خلوتي (وثالثها) انه كان في ذلك
الزمان انسان فاجر اسمه تقي يتبع النساء فلظنت مريم عليها السلام ان ذلك الشخص
المشاهد هو ذلك التقي والاول هو الوجه * قوله تعالى (قال انما انا رسول ربك لاهب
لك غلاما زكيا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لما علم جبريل خوفها قال انما انا رسول ربك
ليزول عنها ذلك الخوف ولكن الخوف لا يزول بمجرد هذا القول بل لابد من دلالة تدل
على انه كان جبريل عليه السلام وما كان من الناس فهنا يحتمل ان يكون قد ظهر معجز
عرفت به جبريل عليه السلام ويحتمل انها من جهة ذكرها عليه السلام عرفت صفة
الملائكة فلما قال لها انما انا رسول ربك اظهر لها من باطن جسده ما عرفت انه ملك فيكون
ذلك هو العلم وسأل القاضي عبدا جبارا في تفسيره نفسه فقال اذا لم تكن نية عندكم وكان من
قولكم ان الله تعالى لم يرسل الى خلقه الا رجلا فكيف يصح ذلك واجاب ان ذلك انما
وقع في زمان ذكرها عليه السلام وكان رسولا وكل ذلك كان عالما به وهذا ضعيف لان
المعجز اذا كان مفعولا للنبي فاقبل ما فيه ان يكون عليه السلام عالما به وذكرها ما كان
عنده علم بهذه الوقائع فكيف يجوز جعله معجزا له بل الحق ان ذلك اما ان يكون كرامة
لرسم او ارهاصا لعيسى عليه السلام (المسئلة الثانية) قرأ ابن عامر ونافع ليهب بياء مفتوحة
بعد اللام اي ليهب الله لك والباقون بجمرة مفتوحة بعدها اما قوله لاهب لك ففي مجازة
وجهان (الاول) ان الهبة لما جرت على يده بان كان هو الذي نفخ في جيبها بأمر الله تعالى
جعل نفسه كانه هو الذي وهب لها وازافة الفعل الى ما هو سبب له مستعمل قال تعالى
في الاصنام اثنين اضرالن كثيرا من الناس (الثاني) ان جبريل عليه السلام لما بشرها بذلك
كانت تلك البشارة الصادقة جارية بحري الهبة فان قال قائل ما الدليل على ان جبريل
عليه السلام لا يقدر على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والعقل والنطق فيها والذي يقال
فيه ان جبريل عليه السلام جسم والجسم لا يقدر على هذه الاشياء اما انه جسم فلانه
محدث وكل محدث اما متخير اوقام بالتحيز واما ان الجسم لا يقدر على هذه الاشياء فلانه

في فيها وكانت مدة جلها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يمش مولود وضع ثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حلت وضعت وسنها حينئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشرين سنين وقد حاضت حيزتين (فاقتبذت به) اى فاغتزلت وهو في بطنها كما في قوله «تدوس بنا الجاهم والتربا» فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اى فالتبذت ملتبسة به (مكانا قصيا) بعيدا عن اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانصب بقصر مدة الحمل (فاجاءها الحاض) اى فاجلها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كاتى في اعلى وقرى الحاض بكسر الميم وكلاهما مصدر غضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها لتخرج (الى جذع الغنمة) لتستر به وتعتد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والنفس وكانت نخلة يابسة لارأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعرى يقام الجففس او العهد ان لم يكن غمزة غير ما كانت كالعلم عند الناس ولعله تعالى الهما ذلك ليريهما من آياته ما يسكن روعها ويطعمها الرطب الذى هو خرسه النفساء الموافقة لها (قالت يا ليتني مت) بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمة من مات يموت (قبل هذا) الوقت الذى لقيت فيه ما لقيت وانما قالت مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استخفاء من الناس وخوفا من لا تهم اوحدا من وقوع الناس

لو قدر جسم على ذلك لقدر عليه كل جسم لان الاجسام متماثلة وهو ضعيف لان الجسم ان يقول لانسل ان كل محدث اما متخير أو قائم به بل ههنا موجودات قائمة بانفسها لا متخيرة ولا قائمة بالمتخير ولا يلزم من كونها كذلك كونها امثالا لذات الله تعالى لان الاشتراك في الصفات الثبوتية لا يقتضى التماثل فكيف في الصفات السلبية سلما كونه جسما فلم قلت الجسم لا يقدر عليه قوله الاجسام متماثلة قلنا نعني به انها متماثلة في كونها حاصلة في الاحياز ذاهبة في الجهات او نعني به انها متماثلة في تمام ماهياتها والاول مسلم لكن حصولها في الاحياز صفات لتلك الذوات والاشتراك في الصفات لا يوجب الاشتراك في ماهيات الموصوفات سلما ان الاجسام متماثلة فلم لا يجوز ان يقال ان الله تعالى خص بعضها بهذه القدرة دون البعض حتى انه يصح منها ذلك ولا يصح من البشر ذلك والجواب الحق ان العمد في دفع هذا الاحتمال اجماع الامة فقط والله اعلم (المسئلة الثالثة) الزكى يفيد امورا ثلاثة (الاول) انه الطاهر من الذنوب (والثاني) انه يتو على التركية لانه يقال فيمن لا ذنب له زكى وفي الزرع النامي زكى (والثالث) الزهافة والطهارة فيما يجب ان يكون عليه ليصح ان يبعث نبيا وقال بعض المتكلمين الاولى ان يحمل على الكل وهو ضعيف لما عرفت في اصول الفقه ان اللفظ الواحد لا يجوز حمله على المعنيين سواء كان حقيقة فيها او في احدهما مجازا وفي الآخر حقيقة (المسئلة الرابعة) سماه زكيا مع انه لم يكن له شيء من الدنيا وانت اذ انظرت في سؤلك فلم تملك شيئا فهو شقي عندك وانما الزكى من علم المال والله يقول كان زكيا لان سيرته الفقر وغناه الحكمة والكتاب وانما تسمى بالزكى من كانت سيرته الجليل وطريقته المال * قوله تعالى (قالت انى يكون لى غلام ولم يمسنى بشرا ولم انبيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انها انما تعجب مما بشرها جبريل عليه السلام لانها عرفت بالعبادة ان الولادة لا تكون الا من رجل والاعداد عند اهل المعرفة معتبرة في الامور وان جوزوا خلاف ذلك في القدرة فليس في قولها هذا دلالة على انها لم تعلم انه تعالى قادر على خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت انه تعالى خلق ابا البشر على هذا الحد ولانها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون كذلك لا يد من ان يعرف قدرة الله تعالى على ذلك (المسئلة الثانية) لقائل ان يقول قولها ولم يمسنى بشرا يدخل تحته قولها لو انك ينيا فلما ذا اعادتها وما يؤكد هذا السؤال ان في سورة آل عمران قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسنى بشرا قال كذلك الله يخلق ما يشاء فلم تذكر البقاء والجواب من وجوه (احدها) انها جعلت المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه لقوله من قبل ان تمسوهن والزنا ليس كذلك انما يقال فجر بها وما اشبه ذلك ولا يليق به رعايات الكنايات (وثانيها) ان اعادتها تعظيم حالها كقوله حافظ واعلى الصلوات والصلات الوسطى وقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فكذا ههنا ان من لم تعرف من النساء زوج فاغتزل

جبر يا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روى عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تينة من الارض فقال يا ليتني هذه التينة ولم اك شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه (وكننت نسبا) اي شيئا فانها شأنه ان ينسى ولا يمتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقص اسم لما ينقص وبالفتح مصدر يسمى به القبول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من لسأت الابن اذا صببت عليه الماء فصار مستطابا فيه وقرئ نسا كهما (منسيا) لا يخطر ببال احدهم للناس وهو نعم للعبادة وقرئ بكسر الميم ابتاطاله بالسب (فنا داه) اي جبريل عليه السلام (من نعمت) قيل انه كان يقبل الولد وقيل من نعمت اى من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت الغفلة وقيل ناداه عيسى عليه السلام وقرئ فغطاها من نعمت افتتح الميم (ان لا تحزن) على ان مفسرة اوبان لا تحزن على انفسه قد حذفت عنها الجار (قد جعل ربك تحمك) اى مكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرت بالجرى جرى وان امرت بالامساك امسك (سريا) اى نهرا صغيرا حسبا روى مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام ضرب برجه الارض فظهرت عين ما عذب فيرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه

احوالها اذا اتت بولد ان تكون زانية فافرد ذكر البغاء بعد دخوله في الكلام الاول لانه اعظم ما في بابه (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشف البغي الفاجرة التي تبغى الرجال وهو فعول عند المبرد بغوى فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هو فعل ولو كان فعولا لقبل بغوا كما قيل نهوا عن المنكر (المسئلة الرابعة) ان جبريل عليه السلام اجابها بقوله قال كذلك قال ربك هو على هين وهو كقوله في آل عمران كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون لا يمنع عليه فعل ما يريد خلقه ولا يحتاج في انشاءه الى الاكالت والمواد (المسئلة الخامسة) الكناية في هو على هين وفي قوله ولنجعله آية للناس تحتمل وجهين (الاول) ان تكون راجعة الى الخلق اى ان خلقه على هين ولن يجعل خلقه آية للناس اذ ولد من غير ذكر ورحمة منا رجم عبادنا باظهار هذه الايات حتى تكون دلائل صدقه ابهر فيكون قبول قوله اقرب (الثاني) ان ترجع الكتابات الى الغلام وذلك لانها لما تجبت من كيفية وقوع هذا الامر على خلاف العادة علمت ان الله تعالى جعلها آية على وقوع ذلك الامر الغريب فانما قوله تعالى ورحمة منا فمنحتم ان يكون معطوفا على ولنجهله آية للناس اى فعلنا ذلك ورحمة منا فلنذلك ويحتمل ان يكون معطوفا على الآية اى ولنجهله آية ورحمة فلنذلك (المسئلة السادسة) قوله وكان امرا مقضيا المراد منه انه معلوم لعلم الله تعالى فيمنع وقوع خلافه لانه لو لم يقع لانقلب علم الله جهلا وهو محال والمفضى الى المحال محال فخلافا محال فوقعه واجب وايضا فلا تنجيب المكنات منتهية في سلسلة القضاء والقدر الى واجب الوجود والمنتهى الى الواجب انتهاء واجبا يكون واجب الوجود واذا كان واجب الوجود فلا فائدة في الحزن والاسف وهذا هو سر قوله عليه السلام من صرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب قوله تعالى (لحملة) فالتبذت به مكا ناقصا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسبا منسيا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكر الله تعالى امر النفخ في آيات فقال فنحننا فيه من روحنا اى في عيسى عليه السلام كما قال لادم عليه السلام ونفخت فيه من روحي وقال فنحننا فيها لان عيسى عليه السلام كان في بطنها واختلوا في النافخ فقال بعضهم كان النفخ من الله تعالى لقوله فنحننا فيه من روحنا وظاهره يفيد ان النافخ هو الله تعالى لقوله تعالى ان مثل عيسى عندنا كمثل آدم خلقه من تراب ومقتضى التشبيه حصول المشابهة الا فيا اخرجه الدليل وفي حق آدم النافخ هو الله تعالى لقوله تعالى ونفخت فيه من روحي فكذا هنا وقال آخرون النافخ هو جبريل عليه السلام لان الظاهر من قول جبريل عليه السلام لا هب لك انه امر ان يكون من قبله حتى يحصل الجمل ثم يهب عليها السلام فلا بد من حالة النفخ اليه ثم اختلفوا في كيفية ذلك النفخ على قولين (الاول) قول وهبانه نفخ جبريل في جبينها حتى وصلت الى الرحم (الثاني) في ذيلها فوصلت الى الفرج (الثالث) قول السدي اخذ بكفها فنفخ في جنب

الماء حيثن كما فعل مثله بالفضة

فانها كانت نحلة يابسة لارأس لها ولا ورق فضلا عن الشجر وكان الوقت شتاء فيصل الله لها ذلك رأسا وخوصا وغمرا وقيل كان هناك ما جاور الاول هو الموافق لتمام بيسان ظهور الحواري والتبادر من النظم الكريم وقيل سرياني سيد انبياء رفيع الشأن جليلا وهو عيسى عليه السلام فالتنوين للتفخيم والجملة لتلليل لانتفاء الحزن المفهوم من التى عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى خيرها لتبريقها وتأكيد التعليل وتكميل التسلية (وهى) هن الشىء تحريكه الى الجهات المتعاقبة تحريك عينا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع قوله تعالى (اليك) اى الى جهنك والباقي قوله عز وجل (يجمع الغلظة) صلة للتاكيد كفى قوله تعالى ولا تقوا بأيديكم الخ قال القراء تقول العرب هزه وهزبه واخذ الخطاب واخذ بالخطاب والاصناف الفعل بمدخولها اى افنى الهمز بجذعها او هزى الشجرة بهزه وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالان مفعول الهزى اى هزى اليك الرطب كائنا بجذعها (تساقط) اى تسقط الغنمة (عليك) اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرب التساقط ويسقط من الاسقاط بالتشابه والياء وتساقط باظهار التادين وتساقط بطرح الشائبة وتساقط بادغامها فى السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على ان التاء

درعها فدخلت النخلة صدرها فحملت فجاءتها امرأة زكريا تزورها قالت متافئا التزمتهما علت انما حبل وذكرت مريم حالها فقالت امرأة زكريا اتي وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصداق بكلمة من الله (الرابع) ان النخلة كانت فى فيها فوصلت الى بطنها فحملت فى الحال اذا عرفت هذا ظهر ان فى الكلام حذف وهو كان امرامقضياففتح فيها فحملته (المسئلة الثانية) قيل جلسته وهى بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد كانت حاضت حيضين قبل أن تحمل وليس فى القرآن ما يدل على شىء من هذه الاحوال (المسئلة الثانية) فالتبذبه اى اعتزلت وهو فى بطنها كقوله تنبت بالدهن اى تنبت والدهن فيها واختلفوا فى علة الابتذال على وجوه (احدها) ما رواه الترمذى فى العرائس عن وهب قال ان مريم لما حملت بعيسى عليه السلام كان معها ابن عمها يقال له يوسف التجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان يوسف ومريم يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم فى اهل زمانها احد اشد اجتهادا ولا عبادة منهما اول من عرف حل مريم يوسف تغيير فى امرها فكلما أراد أن ينهها ذكر صلاحها وعبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فأول ما نكتم ان قال انه وقع فى نفسى من امر شىء وقد حرصت على كتمانها فغلبنى ذلك فأريت ان الكلام فيه أشنى لصدرى فقالت فلولا جليلا قال أخبرينى يا مريم هل بنبت زرع بغير بذور هل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم أتعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذور وهذا البذر انما حصل من الزرع الذى انبت من غير بذور أتعلم ان الله تعالى انبت الشجرة من غير غيث وبالتدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة اوتقول ان الله تعالى لا يقدر على ان ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انبتها فقال يوسف لأقول هذا ولكنى أقول ان الله قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون فقالت له مريم أولم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا نثى فعند ذلك زالت الاتهمة عن قلبه وكان يوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب فلما دانت نفسها أوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك ثلاثين يوما ولدك فاحملها يوسف الى ارض مصر على جارية فلما بلغت تلك البلاد ادر كها النفس فالجأها الى اصل نحلة وذلك فى زمان برد فاحتضنتها فوضعت عندها (وثانيها) انها استحييت من زكريا فذهبت الى مكان بعيد لا يعلم بها زكريا (وثالثها) انها كانت مشهورة فى بني اسرائيل بانزهد لنذر أسما وتشاح الانبياء فى تربيتها وتكفل زكريا بها ولان الرزق كان يأتيها من عند الله تعالى فلما كانت فى نهاية المشرة استحييت من هذه الواقعة فذهبت الى مكان بعيد لا يعلم بها زكريا (ورابعها) انها خافت على ولده لو ولدته فيما بين اظهروهم واعلم ان هذه الوجوه محتملة وليس فى القرآن ما يدل على شىء منها (المسئلة الرابعة) اختلفوا فى مدة حملها على وجوه (الاول) قول ابن عباس رضى الله عنهما أنها كانت تسعة اشهر كفى سائر النساء بدليل ان الله تعالى ذكر مدتها فى هذا

الموضع فلو كانت عاداتها في مدة حملها بخلاف عادات النساء لكان ذلك أولى بالذكر
 (الثاني) انها كانت ثمانية اشهر ولم يشم مولود وضع لثمانية الاعيسى بن مريم عليه السلام
 (الثالث) وهو قول عطاء وأبي العالية والضحاك تسعة أشهر (الرابع) انها كانت ستة
 اشهر (الخامس) ثلاث ساعات جلته في ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة
 (السادس) وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما ايضا كانت مدة الحمل ساعة واحدة ويمكن
 الاستدلال عليه من وجهين (الاول) قوله تعالى حملته فانبتت به فأجأها المخاض
 فناداها من تحتها والفاء للتعقيب فدللت هذه الفاء على ان كل واحد من هذه الاحوال
 حصل عقيب الآخر من غير فصل وذلك يوجب كون مدة الحمل ساعة واحدة لا يقال
 انبأها مكانا قصيا كيف يحصل في ساعة واحدة لا تقول السدي فسره بأنها ذهبت الى
 اقصى موضع في جانب مجربها (الثاني) ان الله تعالى قال في وصفه ان مثل عيسى عند الله
 كشل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت ان عيسى عليه السلام كما قال الله تعالى
 له كن فيكون وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل وانما تعقل تلك المدة في حق من يتولد من
 النطفة (المسئلة الخامسة) قصبا الى بعيدا من اهلها يقال مكان قاص وقصى بمعنى واحد
 مثل عاص وعصى ثم اختلفوا فقيل اقصى الدار وقيل وراء الجبل وقيل سافرت مع ابن
 عمها يوسف وقد تقدمت هذه الحكاية (المسئلة السادسة) قال صاحب الكشف أجاب
 منقول من جاء الآن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الاجاء فانك لا تقول جئت
 المكان وأجأته زيد كما تقول بلغنيه وبلغته والمعنى ان طلقها ألقاها الى جذع النخلة ثم
 يحتمل انها انما ذهبت الى النخلة طلبا لسهولة الولادة لتثبت بها ويحتمل للقوية والاستناد
 اليها ويحتمل لتسترها عن يخشى منه الفالة اذ ارآها ولذلك حكى الله عنها انها تمت الموت
 (المسئلة السابعة) قال في الكشف قرأ ابن كثير في رواية الخاض بالكمري قال مضت
 الحامل مخاضا ومخاضا وهو متخص الولد في بطنها (المسئلة الثامنة) قال في الكشف كان
 جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا نمر ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف
 امان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كأن تلك الصحراء
 كان فيها جذع نخلة مشهور عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون سائر
 واما ان يكون تعريف الجنس اى الى جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله ارشدها الى
 النخلة ليطعمها منها اطرب الذي هو اشد الاشياء موافقة للنساء ولان النخلة اقل الاشياء
 صبرا على البرد ولا تثر الا عند اللقاح واذا قطعت رأسها لم تثر فكأنه تعالى قال كان
 الابن لا تلد الا مع الذكر فكذا النخلة لا تثر الا عند اللقاح ثم اى اظهر الرطب من غير
 اللقاح يدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر (المسئلة التاسعة) لم قالت يا لقيمت
 قبل هذا مع انها كانت تعلم ان الله تعالى بعث جبريل اليها وخلق ولدها من نفتح جبريل عليه
 السلام ووعدها بأن يجعلها وانها آية للعالمين والجواب من وجهين (الاول) قال وهب

في الكل للغة والياء للبحر
 وقوله تعالى (رطباً) على القراءات
 الثلاث الاول مفعول على الست
 البوائق تميز قوله تعالى (جنيا)
 صفة له وهو ما قطع قبل يسه
 فعمل بمعنى مفعول اى رطباً
 جنيا اى صالحا للاجتماع وقيل
 بمعنى فاعل اى طريا لطيبا وقرئ
 جنيا بكسر الجيم للاتباع (هكلى
 والشرى) اى ذلك الرطب وماه
 السرى او من الرطب وعصره
 (ورقى عينا) وطي نفسا
 وارفضي عنها ما حركت واهمك
 فانه تعالى قد زه ساحتك عما
 اخلى في صدور المتعبدین
 بالاحكام العادية بأن اظهر لهم
 من الساطة العصرية والمركبات
 النبائية ما غرق العادات التكوينية
 ويرشدهم الى الوقوف على سريرة
 امره وقرئ وقرى بكسر القاف
 وهى لفظة تجددوا اشتغافه من القرار
 فان العين اذارأت ما يسر النفس
 سكنت اليه من النظر الى غيره او
 من القران دعة السرور باردة
 ودعة الحزن حارة ولذلك يقال
 قرء العين وهنة العين للمحبوب
 والمكروه (فاما تثرين من البشر
 احدا) اى آدميا كاشا من كان
 وقرئ تثر على لفظة من يقول
 لبنت بائع ما بين البصرة والباين
 التاخي (هولى) لانه استطلقك
 (ان تدرت للرحن صوما) اى صمتا
 وقد قرئ كذلك واوضيا ما كان
 صياهم بالسكوت (قلن اكلم
 اليوم انسبا) اى بد ان اخبرتمكم
 بنذرى وانما اكلم الملائكة
 والماجرى وقيل امرت بان تخبر

أنساها كربة الغربة وما سمعته من الناس بشارة الملائكة يعيسى عليه السلام (الثاني)
 ان عادة الصالحين اذا وقوا في بلاء ان يقولوا ذلك وروى عن ابي بكر انه نظر الى طائر على
 شجرة فقال طوبى لك يا طائر تقع على الشجر وتأكل من الثمر وددت اني ثمرة تقعها الطائر
 ومن عمر انه اخذ تينة من الارض وقال ليتني هذه التينة ياليتني لم اك شيئا وقال على
 يوم الجمل ياليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت بلال لم تلده امه
 ثبت ان هذا الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الامر عليهم (الثالث) لعلمها
 قالت ذلك لكي لاتقع المعصية ممن تكلم فيها وافهى راضية بما بشرت به (المسئلة العاشرة)
 قال صاحب الكشف النسي ما من حق ان يطرح وينسى كخرفة الطمث ونحوها
 كالذبح اسم ما من شأنه ان يذبح كقوله وفديناه بذبح عظيم نمت لو كانت شيئا نافعا
 لا يؤبه به ومن حقه ان ينسى في العادة وقرأ ابن وثاب والاعمش وحزة نسبيا بالفتح
 والباقون نسبيا بالكسر قال القراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر وقرأ محمد بن
 كعب القرظي نسبيا بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأ اهله لقلته وقرأ الاعمش
 منسبيا بالكسر على الانباع كالغدير والمنخر والله اعلم قوله تعالى (فناداها من تحتها
 ان لا تخزني فجعلكم بك تحتك سر يا وهزي اليك يخذع النحلة تساقط عليك رطبا جنبا
 فكلمني واشربي وقرى عينا فامارتين من البشر احدا فقولى اني نذرت لرحن صوما
 فلن اكلم اليوم انسا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) فناداها من تحتها القراءة
 المشهورة فناداها وقرأ زرر وعلقمة فضاظبها وفي الميم فيها قراءتان فتح الميم وهو المشهور
 وكسره وهو قراءة نافع وحزة والكسائي وحفص وفي المنادى ثلاثة اوجه (الاول) انه
 عيسى عليه السلام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير (والثاني) انه جبريل عليه السلام
 وانه كان كالقابلة للولد (والثالث) ان المنادى على القراءة بالكسر هو الملك وعلى القراءة
 بالفتح هو عيسى عليه السلام وهو مروي عن ابن عيينة وعاصم والاول اقرب لوجوه
 (الاول) ان قوله فناداها من تحتها يفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك ان تحتها
 احدا والذي علم كونه حاصلا تحتها هو عيسى عليه السلام فوجب حمل اللفظ عليه
 واما القراءة بكسر الميم فهي لا تقتضي كون المنادى جبريل عليه السلام قد صرح قولنا
 (الثاني) ان ذلك الموضع موضع اللوث والنظر الى العورة وذلك لا يليق بالملائكة
 (الثالث) ان قوله فناداها فعل ولا بد وان يكون فاعله قد تقدم ذكره ولو قد تقدم قبل هذه
 الآية ذكر جبريل وذكر عيسى عليهما السلام لان ذكر عيسى اقرب لقوله تعالى فحملته
 فانتبذت به والضمير ههنا عائلى المسيح فكان حمله عليه اولى (والرابع) وهو دليل
 الحسن بن علي عليه السلام ان عيسى عليه السلام لو لم يكن كلمها لما علمت انه ينطق
 فكانت تشير الى عيسى عليه السلام بالكلام فأما من قال المنادى هو عيسى عليه
 السلام فالعنى انه تعالى انطق لها حين وضعته تطيبا لقلبها وازالة الوحشة عنها حتى

ينذر بها بالاشارة وهو الاظهر قال
 الفراء العرب تسمى كل ما وصل
 الى الانسان كلاما بى طريق وصل
 ما لم يؤكد بالمصدر فاذا أكد
 لم يكن الاحقية الكلام وانما
 اسرت بذلك لكراهة مجادلة
 السفهاء ومنا قلم والاكتفاء
 بكلام عيسى عليه السلام فانه
 نص قاطع في قطع الطعن (فانت
 بهدومها) اي جانتهم مع ولدها
 رابعة اليهم هندما ظهرت من
 نفاسها (حمله) اي حاملته (قالوا)
 موبخين لها (لأمرهم لقد جئت) اي
 فقلت (شيئا فرأى) اي عطيها يدعا
 منكرا من فرى الجلد اي قطعه
 او جثت بجثا عجبيا عبر عنه
 بالشئ تحقيقا للاستغراب
 (ياخت هرون) استئناف
 لتجديد التعبير وتأكيده التوبيخ
 عنوا به هرون النبي عليه السلام
 وكانت من اعقاب من كان معه
 في طبة الاخوة وقيل كانت من
 نسله وكان بينهما الفسنة وقيل
 هو رجل صالح او طالح كان في
 زعمهم شبهوه به اي كنت عندنا
 مثله في الصلاح او شتموه به
 (ما كان ابوك اسرا) وما كانت
 أمك بنيا) تقرير ليكون ما جات
 به فرأى منكرا وتنبه على ان
 ارتكاب القواش من اولاد
 الصالحين الفحش (فاشارت اليه)
 اي الى عيسى عليه السلام ان
 كلوه والظاهر انها حينئذ بينت
 نذرها ولها بمنزل من معاورة
 الانس حسبا اسرت فيه دلالة
 على أن المأمور به بيان نذرها
 بالاشارة لا بالعبارة والجعل بينهما
 مما لا عهد به (قالوا) منكرا

تشهد في اول الامر ما بشرها به جبريل عليه السلام من علو شأن ذلك الولد ومن قال
 المنادي جبريل عليه السلام قال انه ارسل اليها ليناديها بهذه الكلمات كما ارسل اليها
 في اول الامر ليكون ذلك تذكيرا لها ما تقدم من اصناف البشارات واما قوله من
 تحتها فان جلنائه على الولد فلا سؤال وان جلنائه على الملك ففيه وجهان (الاول) ان يكونا
 معا في مكان مستو ويكون هناك مبدأ معين كذلك النحلة ههنا فكل من كان اقرب منها كان
 قوي وكل من كان ابعد منها كان تحت وفسر الكلبي قوله تعالى ادجاؤكم من فوقكم ومن
 اسفل منكم بذلك وعلى هذا الوجه قال بعضهم انه ناداها من اقصى الوادي (والثاني)
 ان يكون موضع احدهما اعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق صاحب
 السفلى وعلى هذا الوجه روى عن عكرمة انها كانت حين ولدت على مثل رابية وفيه وجه
 ثالث يحكى عن عكرمة وهو ان جبريل عليه السلام ناداها من تحت النحلة ثم على
 التقديرات الثلاثة يحتمل ان تكون مريم قدرته وانما امراته وليس في اللفظ ما يدل على
 شيء من ذلك (المسئلة الثانية) اتفق المفسرون الا الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن اسر
 هو النهر والجدول سمي بذلك لان الماء يسرى فيه واما الحسن وابن زيد فجعلوا السرى
 عيسى والسرى هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه اى من اشرافهم وروى
 ان الحسن رجع عنه وروى عن قتادة وغيره ان الحسن تلا هذه الآية وبجانبه جدين
 عبد الرحمن الحميري فذجعل ربك تحتك سريرا فقال ان كان لسريا وان كان لكرىما فقال له
 جيد يا باسعيد انما هو الجدول فقال له الحسن من ثم تعجبنا بجاستك واحتج من حله على
 النهر بوجهين (احدهما) انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول
 (والثاني) ان قوله فكلنى واشرى يدل على انه نهر حتى ينضاف الماء الى الرطب فتأكل
 وتشرب واحتج من حله على عيسى بوجهين (الاول) ان النهر لا يكون تحتها بل الى جانبها
 ولا يجوز ان يجاب عنه بأن المراد منه انه جعل النهر تحت امرها يجرى بامرها ويقف
 بأمرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لان هذا حل للفظ على مجازه ولو جلنائه
 على عيسى عليه السلام لم يحتج الى هذا المجاز (الثاني) انه موافق لقوله تعالى وجعلنا
 مريم وامه آية وآياتها الى ربوة ذات قرار ومعين والجواب عنه ما تقدم ان المكان
 المستوى اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان اقرب منه كان فوق وكل من كان ابعد منه
 كان تحت (فرمان الاول) ان جلنا السرى على النهر ففيه وجهان (احدهما) ان جبريل
 عليه السلام ضرب برجله فظهر ماء عذب (والثاني) انه كان هناك ماء جاء (والاول)
 اقرب لان قوله قد جعل ربك تحتك سر يامرنا بشر ما حدث في ذلك الوقت ولان الله تعالى
 ذكره تعظيما لشأنها وذلك لاثبت الاعلى الوجه الذى قلناه (الثاني) اختلفوا في ان
 السرى هو النهر مطلقا وهو قول ابى عبيدة والفراء والنهر الصغير على ما هو قول الاخش
 (المسئلة الثالثة) قال القفال الجذع من النحلة هو الاسفل وما دون الرأس الذى عليه

لجوابها (كيف نكلم من كان
 في المهد صيدا) ولم نهديا في اسفل
 صيدا نكلمه عاقل وقيل كان لا يقع
 مضجون الجسفة في زمان ماض
 مبهم صالح لقريبه وببيده
 وهو ههنا لقريبه خاصة بدليل انه
 مسوق للتعجب وقيل هي زائدة
 والظرف صلة من وصيها حال من
 السكن فيما هو تامه اودامة
 كما في قوله تعالى وكان الله عليا
 حكيا (قال) استئناف مبنى على
 سؤال نكلم من سباق النظم
 الكريم كما قيل لماذا كان بعد
 ذلك فقيل قال عيسى عليه
 السلام (اى عبد الله) انطقه الله
 عز وجل بذلك آتذى اى برحقا
 للعق ووردا على من زعم بربوبته
 قيل كان المستطى لعيسى ذكريا
 عليها الصادة والسلام وعن
 السدى رضى الله عنه لما اشارت
 اليه فغضوا وقالوا السرى تهاينا
 اشد علينا ما فعلت وروى انه عليه
 السلام كان يرضع فلما سمع ذلك
 ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه
 وانكا على يساره و اشار اليهم
 بسبائته فقال ما قال الخ وقيل
 كلهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ
 مبلغا يتكلم فيه الصبيان آتاف
 الكتاب) اى الانجيل (وجعلنى
 نبيا وجانى) مع ذلك (مباركا)
 نقفا معا للتبذير والتبذير بلفظ
 الماضى في الانفصال الثلاثة
 اما باعتبار ما سبق في القضاء
 المحنوم او يجعل ما في شرف
 الوفور لاجلها واقفا وقيل اكله
 الله عقلا واستنباه طفلا (ايضا)
 كنت اى حثا كنت (واوصانى
 بالصلاة) اى امرنى بها امراموكدا

(والزكوة) زكاة المال ان

ملكته او يتطهر النفس عن
الذائل (مادت حيا) في الدنيا
(ويرا بالدي) عطف على
مباركا اى جعلنى بارابها وقرئ
بالكسر على انه مصدر وصفه
بمبالغة او منصوب بمضمر دل
عليه اوصالى اى وكفى برا
ويؤيده القراءة بالكسر والجزم
عطف على الصلاة والزكوة
والشكر للتفخيم (ولم يجعلني
جبارا شقيا) عني الله تعالى
لفرط تكبره (والسلام على يوم
ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا) كما هو على يحيى على ن
التعريف للمهد والظاهر انه
للميلس والتعريض بالنعم على
اعدائه فان اثبات جنس السلام
لنفسه تعريض باثبات منده
لاضداده كما في قوله تعالى والسلام
على من اتبع الهدى فانه تعريض
بان العذاب على من كذب وتولى
(ذلك) اشارة الى من فصلت
لعموه الجلية وما فيه من معنى
الجد للدلالة على علو مرتبته
وبعد منزلته وامتيازته بتلك
المناقب الحميدة عن غيره وزوله
مثلة للشاهد المحسوس (عيسى
ابن مريم) لا يصفه المتصاري
وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على
الاربع الابلق والمنهاج البرهان
حيث جعله موصوفا باضداد
ما يصفونه (قول الحق) بالنصب
على انه مصدر مؤكد لقائل ان
عبد الله الخ قوله تعالى ذلك
يعني ابن مريم اعراض مقرر
للمخون ما قبله وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اى
هو قول الحق الذي لا ريب فيه
والاضافة للسان والضمير
للكلام السابق

التمر وقال قطرب كل خشبية في اصل شجرة فهي جذع واما الباء في قوله بجذع النخلة
فزائدة والمعنى هزى اليك اى حركى جذع النخلة قال القراء العرب تقول هزه وهزه
وخذا الخطام وخذا الخطام وزوجتك فلانة وبفلانة وقال الاخفش يجوز ان يكون على
معنى هزى البكر رطبا بجذع النخلة اى على جذعها اذا عرفت هذا فنقول قد تقدم ان
الوقت كان شاموا ان النخلة كانت يابسة واختلفوا في انه هل انمر الرطب وهو على حاله او
تغير وهل انمر مع الرطب غيره والظاهر يقتضى انه صار نخلة لقوله بجذع النخلة وانه ما انمر
الا الرطب (المسئلة الرابعة) قال صاحب الكشف تساقط فيه تسع قراءات تساقط باذنام
الناء وتساقط باظهار الناءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء واذنام الناء وتساقط
وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط تساقط بالياء والجذع (المسئلة الخامسة) رطبا بيمين
او مفعول على حسب القراءة الجنى المأخوذ طريا وعن طحمة بن سليمان جنبا بكسر الجيم
للاتساع والمعنى جعلناك في السرى والرطب قاعدتين (احدهما) الاكل والشرب
(والثانية) سلوة الصدر بكونهما مجزئين فان قال قائل فذلك الافعال الخارقة للعادة
لن قلنا قالت المعتزلة انها كانت معجزة ذكرها وغيره من الانبياء وهذا باطل لان ذكرها
عليه السلام ما كان له علم بالحال ومكانها فكيف بتلك المعجزات بل الحق انها كانت
كرامات لمريم اوارها صا لمعنى عليه السلام (المسئلة السادسة) فكلى واشربى
وقرى عينا قرئ بكسر القاف لغة نجد وقول قدم الاكل على الشرب لان احتياج
النفس الى اكل الرطب اشد من احتياجها الى شرب الماء لكثرة ماله منها من الدماء
ثم قال وقرى عينا وههنا سؤال وهو ان مضرة الخوف اشد من مضرة الجوع والعطش
والدليل عليه امران (احدهما) ان الخوف الم الروح والجوع الم البدن والم الروح
اقوى من الم البدن (والثاني) ما روى انه اجبت شاة ثم قدم العلف الباهوريط عندها
ذئب فقيت الشاة مدة مديدة لانتناول العلف مع جوعها الشديد خوفا من الذئب ثم
كسرت رجلها وقدم العلف اليها فتناولت العلف مع الم البدن فدللت هذه الحكاية على
ان الم الخوف اشد من الم البدن اذا ثبت هذا فنقول فلم قدم الله تعالى في الحكاية دفع
ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الخوف والجواب ان هذا الخوف كان قليلا لان
بشارة جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فما كانت تحتاج الى التذكير مرة اخرى
(المسئلة السابعة) قال صاحب الكشف قرأ ترث بالهمز ابن الرومي عن ابى عمرو وهذا
من لغة من يقول لبأت بالحلم وحلاث السوق وذلك لتأخير بين الهمز وحروف الين
في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبدالله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صيما
الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم فلي هذا كان ذكر الصوم بالا على الصمت وهذا
النوع من التذر كان جائزا في شرعهم وهل يجوز مثل هذا التذر في شرعنا قال الفقهاء
لعله يجوز لان الاحتراز عن كلام الامميين وتجريد الفكر لذكر الله تعالى قرينة ولعله

اوبده او خير ثان وممنه
كلمة الله وقرئ قال الحق وقول
الحق فان القول والقبال
في معنى واحد (الذى فيه يترون)
اى يشكون او يتنازعون فيقول
اليهود ساحر والنصارى
ابن الله وقرئ يشاء الخطاب
(ما كان لله) اى ماصح وما
استقام له تعالى (ان يتخذ من
ولد سجنه) تكذيب للنصارى
وتزيده تعالى على قوله وقوله
تعالى (اذ قضى امرافا ما يقول
له لكن فيكون) تبيكت لهم
بين ان شأنه تعالى اذ قضى
امرا من الامور ان يفعل به
ارادته فيكون حيثن بلا تأخير
لكن هذا شأنه كيف يتوهم ان
يكون له ولد وقرئ يكون
بالصبي على الجواب وقوله تعالى
(وان الله لدرى ربه كفاعبهه)
من تمام كلام عيسى عليه السلام
قيل هو عطف على قوله اى عبد الله
داخلا تحت القول وقد قرئ بغير
او وقرئ بفتح المجرى على حذف
اللام اى ولانه تعالى ربه وربه
فاعبهه كقوله تعالى وان
المساجد لله فلا تدعوا مع الله
احدا وقيل معطوف على الصلاة
(هذا) اى الذى ذكرته من
التوحيد (صراط مستقيم)
لا يضل سالكه والفاء وقوله
تعالى (فاختلف الاحزاب من
بينهم) لترتيب ما يدها على
ما قبلها تنبيه على سوء صنيعهم
بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ
للانحلاف فان ما حكى من
مقالات عيسى عليه السلام مع
كونها نصوصا ظاهرة في كونه
عبد تعالى

لا يجوز لما فيه من التضيق وتعذيب النفس كتنذر القيام في الشمس وروى انه دخل
ابوبكر على امرأة قد نذرت انها لا تتكلم فقال ابوبكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمى
والله اعلم (المسئلة الثامنة) امرها الله تعالى بأن تنذر الصوم لثلاث شهور مع من انهمها
في الكلام لعنين (احدهما) ان كلام عيسى عليه السلام اقوى في ازالة التهمة من
كلامها وفيه دلالة على ان تقويض الامر الى الفضل اولى (والثاني) كراهة مجادلة
السفهاء وفيه ان السكوت عن السفه واجب ومن اذل الناس سفه لم يجد مسافها
(المسئلة التاسعة) اختلفوا في انها هل قالت معهم انى نذرت للرحن صوما فقال قوم
انها ما تكلمت معهم بذلك لانها كانت مأمورة بأن يأتى بهذا النذر عند رؤيتهم فاذا أنت
بهذا النذر فلو تكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة ولكنها امسكت وأومات
برأسها وقال آخرون انها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى أتاهم القوم فذكرت لهم انى
نذرت للرحن صوما كل اليوم انسيا وهذه الصيغة وان كانت عامة الا أنها صارت
بالقرينة مخصوصة في حق هذا الكلام * قوله تعالى (فأتته به قوما تحمله قالوا يا مريم
لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت
اليه قالوا كيف تكلم من كان في المهد صبيا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا
في انها كيف أتت بالولد على احوال (الاول) ماروى عن وهب قال أنساها كرب الولادة
وما سمعته من الناس ما كان من كلام الملائكة من البشارة بعيسى عليه السلام فلما كلمها
جاءها مصداق ذلك فاستحلتها واقبلت به الى قومها (الثاني) ماروى عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان يوسف انتهى الى غار فأدخلها فيه اربعين يوما حتى طهرت من
النفاس ثم أتته به قوما تحمله فتكلمها عيسى في الطريق فقال يا أمه ابشري فأبى عبد الله
ومسيحه وهذان الوجهان محتملان وليس في القرآن ما يدل على التعيين (المسئلة الثانية)
الفرى البديع وهو من فرى الجلد يروى انه لما رأوها ومعها عيسى عليه السلام قالوا
لها لقد جئت شيئا فريا فيحتمل ان يكون المراد شيئا عجيبا خارجا عن العادة من غير تعبير
وذم ويحتمل ان يكون مرادهم شيئا عظيما كرا فيكون ذلك منهم على وجه الذم وهذا
أظهر لقولهم بعده يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا لان هذا
القول ظاهره التوبيخ واما هرون فقيه اربعة اقوال (الاول) انه رجل صالح من بني
اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصالح والمراد انك كنت في الزهد كهرون فكيف صرت
هكذا وهو قول قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته
اربعون الفا كلهم يسمون هرون تبركابه وباسمه (الثاني) انه اخو موسى عليه السلام
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عتوا هرون النبي وكانت من اعقابهم وانما قيل اخت
هرون كما يقال يا خاهمدان أى يا واحدا منهم (الثالث) كان رجلا معلنا بالفسق
انفسبت اليه بمعنى التشبيد لاجبى النسبة (الرابع) كان لها اخ يسمى هرون من صلحاء

ووسوله قد اختلفت اليهود
والنصارى بالتفريط والإفراط
او فرق النصارى فقالت
النسطورية هو ابن الله وقالت
اليعقوبية هو الله هبط الى
الارض ثم صعد الى السماء تعالى
عن ذلك علوا حكيما وقالت
المكانية هو عبدالله ونبيه
(فويل للذين كفروا) وهم
المختلفون غير منهم بالوصول
ايدانا بكفرهم جميعا واشعارا
بقلة الحكم (من مشهود عظيم)
اي من شهود يوم عظيم الهول
والحساب والجزاء وهو يوم
القيامة اومن وقت شهود اومن
مكان الشهود فيه اومن شهادة
ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد
عليهم الملائكة والانبيا عليهم
السلام والسنتهم وآذانهم
وايديهم وارجلهم وسائر اربابهم
بالكفر والفسوق اومن وقت
الشهادة اومن مكانها وويل هو
ما شهدوا به في حق عيسى وامه
عليهما السلام (اسمعهم وابصر)
تجيب من حدة سمعهم وابصارهم
يومئذ. ومعناه ان اسماعيل
وابصارهم (يوم يأتوننا) للعساب
والجزاء اي يوم القيامة جدير
بان ينهب منهما بعد ان كانوا
في الدنيا مما عيا اوتهدد
بما يستمعون ويصرون يومئذ
ويل لمرأى يسمعهم وبصرهم
مواعيد ذلك اليوم وما يحق بهم
فيه والجاء والجور على الاول
في موقع الرغفوع الثاني في حوز
النصب (لكن الظالمون اليوم)
اي في الدنيا (في ضلال مبين)
لا تدرك غلبته حيث اغفلوا
الاستماع والنظر بالكلية ووضع
الظالمين موضع الضمير

بنى اسرائيل فغيرت به وهذا هو الاقرب لوجهين (الاول) ان الاصل في الكلام الحقيقية
وانما يكون ظاهر الآية محمولا على حقيقتها لو كان لها اخ حسبي يهرون (الثاني) انها
اضيفت اليه ووصف ابواها بالصلاح وحيث يصير التوبيع اشد لان من كان حال ابويه
واخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه الخش (المسئلة الثالثة) القراءة المشهورة
ما كان ابوك امر اسوء وقرأ هرون رجاء التمسعي ما كان ابك امر اسوء (المسئلة الرابعة)
انهم لما بلغوا في توبيخها سكنت وشارت اليه اي الى عيسى عليه السلام اي هو الذي
يحسبكم اذا ناطقتموه وعن السدى لما اشارت اليه غضبوا غضبا شديدا وقالوا لسخرتها
بناشد من زناها روى انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه وانكأ
على يساره و اشار بسبابته وقيل كلهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان
وقيل ان زكريا عليه السلام اتاها عند مناظرة اليهود اياها فقال لعيسى عليه السلام
انطق ببحجتك ان كنت امرت بها فقال عيسى عليه السلام عند ذلك اتى عبدالله فان قيل
كيف عرفت مريم من حال عيسى عليه السلام انه يتكلم فلن ان جبريل عليه السلام
او عيسى عليه السلام ناداهما من تحتها ان لا تخزني وامرها عند رؤبة الناس بالسكوت
فصار ذلك كالتنبية لها على ان الحبيب هو عيسى عليه السلام اولعها عرفت ذلك بالوحي
الى زكريا اولعها عرفت بالوحي اليها على سبيل الكرامة (يبق ههنا بحثان الاول) قوله
كيف نكلم من كان في المهد صيايا حصل في المهد فكان ههنا بمعنى حصل ووجد وهذا
هو الاقرب في تأويل هذا اللفظ وان كان الناس قد ذكروا وجوها آخر (الثاني) اختلفوا
في المهد فقيل هو جبرها لما روى انها اخذته في خرقة فأتته به قومها فلما رآوها قالوا لها
ما قالوا ف اشارت اليه وهو في جبرها ولم يكن لها منزل معد حتى يعدها المهد والمعنى كيف
نكلم صيا سبيله ان نام في المهد ﷺ قوله تعالى (قال انى عبدالله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا
وجعلنى مباركا ابنا كنت واوصانى بالصلوة والزكاة مادمت حيا وراى ابوالدنى ولم يجعلنى
جبارا شقيا والى السلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) اعلم انه وصف نفسه
بصفات تسع (الصفة الاولى) قوله انى عبدالله وفيه فوائد (الفائدة الاولى) ان الكلام
منه في ذلك الوقت كان سببا للوهم الذى ذهب اليه النصارى فلا جرم اول ماتكم
انما تتكلم بما رفع ذلك الوهم فقال انى عبدالله وكان ذلك الكلام وان كان موها من
حيث انه صدر عنه في تلك الحالة ولكن ذلك الوهم يزول ولا يبق من حيث انه تنصيص
على العبودية (الفائدة الثانية) انه لما اقربا لعبودية فان كان صادقا في مقاله فقد حصل
الغرض وان كان كاذبا لم تكن القوة قوة الهية بل قوة شيطانية فعلى التقديرين يطل
كونه لها (الفائدة الثالثة) ان الذى اشتدت الحاجة اليه في ذلك الوقت انما هو نفي
تهمة الزنا عن مريم عليها السلام ثم ان عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك وانما نص
على اثبات عبودية نفسه كما ههنا جعل ازالة التهمة عن الله تعالى اولى من ازالة التهمة عن

للإيدان بأنهم في ذلك ظالمون
لاقتهم (واذ نذرهم يوم الحسرة)
أي يوم يحسر الناس قاطبة أما
المسي فقبل أسأته وإما الحسن
فقبل قتله إسنائه (انقضى الأمر)
أي فرغ من الحساب وتصادر
الفرقان إلى الجنة والنار وروى
أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل
عن ذلك فقال حين يهاب الموت
على صورة كبش أحمر فيذبح
والفرقان ينظرون فينادي
النادي إياهم الجنة خلود فلا
موت وإياهم النار خلود
فلاموت فيزداد أهل الجنة فرحا
إلى فرح وأهل النار غما إلى غم
واذبل من يوم الحسرة أو ظرف
للحسرة فإن المصدر المعروف باللام
يعمل في المفعول الصريح عند
بعضهم فكيف بالطرف (وهم
في خسة) أي عما يفعل بهم في
الآخرة (وهم لا يؤمنون)
وهما جليتان حاليان من
الضمير المستتر في قوله تعالى
في ضلال مبين أي مستقرون
في ذلك وهم في تينك المآلئين وما
يلتصها اعتراض أو من مفعول
أنذرهم أي أنذرهم غافلين غير
مؤمنين فيكون حال متضمنة لمعنى
التعليل (أنا نحن رب الأرض
ومن عليها) لا يتيقن لا تدغيرنا
عليها وأعلمهم ملك ولا ملك أو
تتوفى الأرض ومن عليها بالأفناء
والهلاك توفى الوارث لآلته
(واليتا يرجعون) أي يردون
للجزاء لا إلى غيرنا استقلالا أو
اشتراكا (واذ كن) عطف على
أنذرهم (في الكتاب) أي في
السورة أو في القرآن (إبراهيم)
أي أتى على الناس قصته وبلغها
إياهم كقوله

الأم فلهذا أول ما تكلم إنما تكلم بها (القائمة الرابعة) وهي أن التكلم بإزالة هذه
التهمة عن الله تعالى يفيد إزالة التهمة عن الأم لأن الله سبحانه لا يخص الفاجرة بولد
في هذه الدرجة العالية والمرتبة عظيمة وأما التكلم بإزالة التهمة عن الأم لا يفيد إزالة
التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى فهذا مجموع ما في هذا اللفظ من الفوائد
واعلم أن مذهب النصارى متخبط جدا وقد اتفقوا على أنه سبحانه ليس بجسم ولا متغير
ومع ذلك فأنادى كرتقسما حاصرا يطل مذهبهم على جميع الوجوه فنقول أما أن
يعتقدوا كونه متغيرا أولا فإن اعتقدوا كونه متغيرا أبطلنا قولهم بأقامة الدلالة على
حدوث الأجسام وحيث لا يطل كل ما فرعوا عليه وأن اعتقدوا أنه ليس بتخصر فيثبت
بطل ما يقوله بعضهم من أن الكلمة اختلفت بالنسوة اختلاط الماء بالخر وامتزاج
النار بالفحم لأن ذلك لا يعقل إلا في الأجسام فأذا لم يكن جمعا استحتم ذلك ثم نقول
لنفس قولان في الإنسان منهم من قال أنه هو هذه البنية أو جسم موجود في داخلها
ومنهم من يقول أنه جوهر مجرد عن الجسمية والحلول في الأجسام فنقول هؤلاء النصارى
أما أن يعتقدوا أن الله أوصف من صفاته متحد بدن المسيح أو بنفسه أو يعتقدوا أن الله
أوصف من صفاته حل في بدن المسيح أو في نفسه أو يقولوا لا تتوحد بالاتحاد ولا بالحلول
ولكن نقول أنه تعالى أعطاه القدرة على خلق الأجسام والحياة والقدرة وكان لهذا
السبب الها لا يقولوا بشئ من ذلك ولكن قالوا أنه على سبيل التشريف اتخذها إنساكا
اتخذ إبراهيم على سبيل التشريف خليلا فهذه هي الوجوه المعقولة في هذا الباب والكل
باطل أما القول الأول بالاتحاد فهو باطل قطعا لأن الشيثين إذا اتحدوا فمما حال الاتحاد
أما أن يكونا موجودين أو معدومين أو يكون أحدهما موجودا والآخر معدوما فإن
كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فالاتحاد باطل وإن عدما وحصل ثالث فهو أيضا
لا يكون اتحادا بل يكون قولاً بعد من ذلك الشيثين وحصول شئ ثالث وإن بقي أحدهما
وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالموجود لأنه يستحيل أن يقال المعدوم بعينه
هو الموجود فظهر من هذا البرهان الباهر أن الاتحاد محال (وأما الحلول) فلنا فيه مقامان
(الأول) أن التصديق مسبق بالتصور فلا بد من البحث عن ماهية الحلول حتى يمكننا
أن نعلم أنه هل يصح على الله تعالى أو لا يصح وذكرنا للحلول تفسيرات ثلاثة (أحدها)
كون الشئ في غيره ككون ماء الورد في الورد والدهن في السمسم والنار في الفحم واعلم
أن هذا باطل لأن هذا إنما يصح لو كان الله تعالى جسما وهم واقفون على أنه ليس بجسم
(وثانيها) حصوله في الشئ على مثال حصول اللون في الجسم فنقول المعقول من هذه
التبعية حصول اللون في ذلك الخير تبعا لحصول محله فيه وهذا أيضا إنما يعقل في حق
الأجسام لا في حق الله تعالى (وثالثها) حصوله في الشئ على مثال حصول الصفات
الإضافية لذوات فنقول هذا أيضا باطل لأن المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو كان

الله تعالى في شيء بهذا المعنى لكان محتاجا فكان ممكنا فكان مفتقرا الى المؤثر وذلك محال
واذا ثبت انه لا يمكن تفسير هذا الحلول بمعنى ملخص يمكن اثباته في حق الله تعالى امتنع
اثباته (المقام الثاني) احتيج الاصحاب على نفي الحلول مطلقا بان قالوا لو حل محل امام
وجوب ان يحل او مع جواز ان يحل والسمان باعلان فالقول بالحلول باطل وانما قلنا
انه لا يجوز ان يحل مع وجوب ان يحل لان ذلك يقتضي اما حدوث الله تعالى او قدم المحل
وكلاهما باطلان لان ادلائنا على ان الله قديم وعلى ان الجسم محدث ولانه لو حل مع وجوب
ان يحل لكان محتاجا الى المحل والمحتاج الى الغير يمكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجبا
لذاته وانما قلنا انه لا يجوز ان يحل مع جواز ان يحل لانه لما كانت ذاته واجبة الوجود
لذاته واحتلوه في المحل امر جائز والوصف بالوجوب غير ماهو موصوف بالجواز فيلزم
ان يكون حلوله في المحل امرا زائدا على ذاته وذلك محال لوجهين (احدهما) ان حلوله
في المحل لو كان زائدا على ذاته لكان حلول ذلك الزائد في محله زائدا على ذاته ولزم
التسلسل وهو محال (والثاني) ان حلوله في ذلك المحل لما كان زائدا على ذاته فاذ حل
في محل وجب ان يحل فيه صفة محدثة وذلك محال لانه لو كان قابلا لحدوث لكانت تلك
القابلة من لوازم ذاته وكانت حاصلة ازلها وذلك محال لان وجود الحوادث في الازل
محال فخصول قابليتها وجب ان يكون متنع الحصول فان قيل لم لا يجوز ان يحل مع
وجوب ان يحل لانه يلزم اما حدوث الحال او قدم المحل قلنا لانسلم وجوب احدا الامرين
ولم لا يجوز ان يقال ان ذاته تقتضي الحلول بشرط وجود المحل في الازل ما وجد المحل
فلم يوجد شرط هذا الوجوب فلا جرم لم يجب الحلول وفيما لا يزال حصل هذا الشرط
فلا جرم وجب سلمنا انه يلزم اما حدوث الحال او قدم المحل فلم لا يجوز قوله اناد لنا على
حدوث الاجسام قلنا لم لا يجوز ان يكون محله ليس يحسم ولكنه يكون عقلا او نفسا
او هويلى على ما يثبت بعضهم ودليلكم على حدوث الاجسام لا يقتضي حدوث هذه
الاشياء قوله ثانيا لو حل مع وجوب ان يحل لكان محتاجا الى المحل قلنا لانسلم وجوب
احدا الامرين بل ههنا احتمالان آخران (احدهما) ان العلة وان امتنع انفكاكها عن
المعلول لكنها لا تكون محتاجة الى المعلول فلم لا يجوز ان يقال ان ذاته غنية عن ذلك
المحل ولكن ذاته توجب حلول نفسها في ذلك المعلول فيكون وجوب حلولها في ذلك المحل
من معلولات ذاته وقد ثبت ان العلة وان احتمال انفكاكها عن المعلول لكن ذلك
لا يقتضي احتياجها الى المعلول (الثاني) ان يقال انه في ذاته يكون غنيا عن المحل لو
الحلول الا ان المحل بوجوب لذاته صفة الحلول فافتقر الى المحل صفة من صفاته وهى حلوله
في ذلك المحل فاما ذاته فلا ولا يلزم من افتقار صفة من صفاته الاضافة الى الغير افتقار
ذاته الى الغير وذلك لان جميع الصفات الاضافية الحاصلة له مثل كونه اولا وآخرا
ومقارنا ومؤثرا ومعلوم ومذكورا مما لا يتحقق الا عند حصول التغيير وكيف لا

تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم فأنهم
يقفون اليه عليه السلام فسأهم
استماع قصته يقولون صام فيه
من القياح (انه كان صديقا)
ملازما للصدق في كل ما يأتي
ويذر او كثير التصديق لكثرة
ما صدق به من غيوب الله تعالى
وآياته وكتبه ورسله والجللة
استثنائهم سوى لتعليل موجب
الامر فان وصفه عليه السلام
بذلك من دواهي ذكره (نبيا)
خير آخر لكان مقيد للاول
مخصص له كما ينبغي قوله تعالى
من النبيين والصديقين الآية اى
كان جامعا بين الصديقية والنبوة
ولعل هذا الترتيب للبالغة في
الاحترار عن توهم تخصيص
الصديقية بالنبوة فان كل نبى
صديق (اذ قال) يدل اشغال من
ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر
لما قبله او متعلق بكان او نبيا
وتعليق الذكر بالوقت مع ان
المقصود تذكير مواقع فيها من
الحوادث قدم سره سارا اى
كان جامعا بين الاثنين حين قال
(لاني) آزر متلطفا في الدعوة
مستحيلا (يا أيها) اى يا أيها فأن
التدعوى عن هذا الاضافة ولذلك
لا يثبتان وقد قل يا أيها لكون
الالف بدلا من الياء (لم تعبد مالا
يسمع) شاكك عليه عند عبادتك
له وجوارك اليه (ولا تبصر)
خضوعك وخضوعك بين يديه
او لا تبصر ولا يبصر شيئا من
المسوعات والمبصرات فيدخل
في ذلك ما ذكر دخولا اوليا
(ولا ينفى) اى لا يقدر على ان
ينفي (عنك شيئا) في جانب او
دفع ضرر وقد سلك عليه العالم

في دعوته احسن منهاج واقوم
 سبيل واتح عليه ابداع احتياج
 بحسن ادب وخلق جليل ثلاث
 يركب متن المكابرة والعناد ولا
 ينكب بالكسبة عن سمجة الرشاد
 حيث طلب منه علة عبادته لما
 يستغف به عقل كل عاقل من عالم
 وجاهل وبأبي الركون اليه
 فضلا عن عبادته التي هي الغاية
 القاصية من التعظيم مع انها
 لاحق الا ان له الاستغناء التام
 والانعام العام الخالق الرازق
 المحي الميت الشيبا المعاف وبه
 على ان العاقل يجب ان يفعل كل
 ما يفعل لداعية صحيحة وغرض
 صحيح والشئ لو كان ساجدا
 سعيما بعبادة قادرا على الفع
 والضرمطيقا بايصال الخير
 والشر لكن كان ممكنا لاستكتف
 الخلق السليم عن عبادته وان
 كان اشرف الخلائق لما برأه مثله
 في الحاجة والاقتياد للقدرة
 القاهرة الواجبة فان ذلك يعجز
 مصنوع من حجر اوشجر ليس
 له من اوصاف الاحياء عين ولا
 اثر ثم دعه الى ان يتبعه ليهديه الى
 الحق المين لانه لم يكن محظوظا
 من العلم الالهي مستقلا بالنظر
 السوي مصدرا لدعوته بما مر
 من الاستقالة والاستعطاف حيث
 قال (يا ليت اني قد جاني من
 العلم ما لم يأتك) ولم يسم اياه
 بالجهل المفرط وان كان في
 اقتضائه ولفظه بالعلم الفائق وان
 كان كذلك بل ابرز نفسه في
 صورة رفيقه اخرى بأسواق
 ما سلكه من الطريق فاستأله
 برفق حيث قال (فاتني اهدك
 صراطا سهويا) اي مستقيما

والاضافات لابد في تحقيقها من امرين
 سلبا ذلك فلم لا يجوز ان يحل مع جواز ان يحل قوله
 يلزم ان يكون حلوله فيه زائدا عليه ويلزم التسلسل فلنا حلوله في الحل لما كان جائزا كان
 حلوله في الحل زائدا عليه اما كون ذلك الحلول حلالا في الحل امر واجب فلا يلزم ان يكون
 حلول الحلول زائدا عليه فلا يلزم التسلسل قوله ثانيا يلزم ان يصير محل الحوادث قلنا
 لم لا يجوز ذلك قوله يلزم ان يكون قابلا للحوادث في الازل قلنا لا شك ان تمكنه من الابداد
 ثابت له اما لذاته او لامر ينهي الى ذاته وكيف كان فيلزم صحة كونه مؤثرا في الازل
 فكل ما ذكرتموه في المؤثرية فحقن نذكره في القابلية والجواب اننا قرر هذه الدلالة على وجه
 آخر بحيث تسقط عنها هذه الاسئلة فنقول ذاته اما ان تكون كافية في اقتضاء هذا
 الحلول ولا تكون كافية في ذلك فان كان الاول استحالة توقف ذلك الاقتضاء على حصول
 شرط فيعود ما قلنا انه يلزم اما قدم الحل او حدوث الحال وان كان الثاني كان كونه
 مقتضيا لذلك الحلول امرا زائدا على ذاته حادثا فيه فعلى التقديرين كلاهما يلزم من حدوث
 حلوله في محل حدوث شئ فيمكن يستحيل ان يكون قابلا للحوادث والالزام ان يكون
 في الازل قابلا له وهو محال على ما بيناه واما المعارضة بالقدرة فغير واردة لانه تعالى لذاته
 قادر على الابداد في الازل فهو قادر على الابداد فيما لا يزال فهنا ايضا لو كانت ذاته قابلة
 للحوادث لكنت في الازل قابلة لها فيقتضي يلزم المحال المذكور هذا تمام القول في هذه
 الدلالة ولنا في ابطال قول النصارى وجوه اخر (احدها) انهم وافقونا على ان ذاته سبحانه
 وتعالى لم تحل في ناسوت عيسى عليه السلام بل قالوا الكلمة حلت فيه والمراد من الكلمة
 العلم فنقول العلم لما حل في عيسى في تلك الحالة اما ان يقال انه بقي في ذات الله تعالى
 او ما بقي فيها فان كان الاول يلزم حصول الصفة الواحدة في محلين وذلك غير معقول ولانه
 لو جاز ان يقال العلم الحاصل في ذات عيسى عليه السلام هو العلم الحاصل في ذات الله
 تعالى بعينه فلم لا يجوز في حق كل واحد ذلك حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد هو العلم
 الحاصل لذات الله تعالى وان كان الثاني يلزم ان يقال ان الله تعالى لم يبق عالما بعد حلول
 علمه في عيسى عليه السلام وذلك مما لا يقوله عاقل (وثانها) مناظرة جرت بيني وبين بعض
 النصارى فقلت له تسل على عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول ام لا فان انكرت لزمتك
 ان لا يكون الله تعالى قديما لان دليل وجوده هو العالم فاذا لزم من عدم الدليل عدم
 المدلول لزم من عدم العالم في الازل عدم الصانع في الازل وان سئلت انه لا يلزم من عدم
 الدليل عدم المدلول فنقول اذا جوزت اتحاد كلمة الله تعالى بعيسى او حلوله فيه فكيف
 عرفت ان كلمة الله تعالى ما دخلت في زيد وعمر وبل كيف عرفت انها ما حلت في هذه
 الهرة وفي هذا الكلب فقال لي ان هذا السؤال لا يليق بك لانا انما اتبنا ذلك الاتحاد
 او الحلول بناء على ما ظهر على يد عيسى عليه السلام من احياء الموتى وبراء الاكهم
 والابرص فاذا لم نجد شيئا من ذلك على يد غيره فكيف تثبت الاتحاد او الحلول

الى اسنى المطالب متخيا عن الضلال
 المؤدى الى مهاوى الردى والماعطب
 ثم يسطه عما كان عليه بتخويره
 بصورة يستكرها كل عاقل بيان
 انه مع عراه عن النفع بالمره
 مستجلب الضرر عظيم فانه في الحقيقة
 عبادۃ الشيطان بل انه الاسره
 فقال (يا بئس لاتعبد الشيطان)
 فان عبادتك للاصنام عبادته اذ
 هو الذى يسولها لك ويفريك
 عليها وقوله (ان الشيطان كان
 للرجن عصيا) تعليل لموجب
 النبى وتأكيده ببيان انه مستص
 على ربك الذى اثم عليك فتنون
 النعم ولا ريب في ان المطيع
 للعاصى عاص وكل من هو عاص
 حقيقى بان يسترد منه النعم
 وينقم منه والاضمار في موضع
 الاضمار لزيادة انقراض والاقتصار
 على ذكر عصيانه من بيان سائر
 جنائمه لانه لا يملكها والانه نقيض
 معاداته لادم عليه السلام
 وذو رتبته كبره داع لايده الى
 الاحتراز عن موالاته وطاعته
 ولتعرض لعنونه الرجانية
 لاطهار كمال شناعة عصيانه
 وقوله (يا بئس الى الخطاب ان يمسك
 عذاب من الرجن) تحذير من
 سوء عاقبته ما كان عليه من عبادۃ
 الشيطان وهو ابتلاؤه بما ياتى به
 معبوده من العذاب الفظيع
 وكلمة من متعلقة بضرر وقع صفة
 للعذاب مؤكدة لما افتاده التذكير
 من النقصامة الذاتية بالنقصامة
 الاضافية واطهار الرجى للاشعار
 بأن وصف الرجانية لا يدفع
 حلول العذاب كما في قوله عن
 وجل ما غرك ربك

فقات له انى عرفت من هذا الكلام انك ما عرفت اول الكلام لانك سلت لى ان عدم
 الدليل لا يدل على عدم المدلول فاذا كان هذا الحلول غير متمتع في الجملة فاكث
 ما في الباب انه وجد ما يدل على حصوله في حق عيسى عليه السلام ولم يوجد ذلك الدليل
 في حق زيد وعمر و لكن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول فلا يلزم من عدم ظهور
 هذه الخوارق على يزيد وعمر وعلى السنور والكلب عدم ذلك الحلول فثبت انك
 مما يجوز ان تقول بالاتحاد والحلول زمك تجوز حصول ذلك الاتحاد وذلك الحلول
 في حق كل واحد بل في حق كل حيوان و نبات ولا شك ان المذهب الذى يسوق قائله الى
 مثل هذا القول الركيك يكون باطلا قطعاً ثم قلت له وكيف دل احياء الموتى و ابراء
 الاكده والارض على ما قلت أليس ان انقلاب العصاة تعبانا أبعد من انقلاب الميت حيا
 فاذا لم ير ذلك على يد موسى عليه السلام ولم يدل على الهيته فأن لا يدل هذا الهيته
 عيسى اولى (وثالثها) انقول دلالة احوال عيسى على العبودية أقوى من دلالتها على
 الربوبية لانه كان مجتهدا في العبادة والعبادة لاتناق الا بالعبيد فانه كان في نهاية
 البعد عن الدنيا والاحتراز عن أهلها حتى قالت النصرى ان اليهود قتلوه ومن كان في
 الضعف هكذا فكيف تلبق به الربوبية (ورابعها) المسيح اما ان يكون قديما او محدثا
 والقول بقدمه باطل لانه لم يلزم بالضرورة انه ولد وكان طفلا ثم صار شابا وكان يأكل
 ويشرب و يعرض له ما يعرض لسائر البشر وان كان محدثا كان مخلوقا ولا معنى للعبودية
 الا ذلك فان قيل المعنى بالهيته انه حلت صفة الالهية فيه قلنا هب انه كان كذلك
 لكن الحال هو صفة الاله والمسيح هو الحمل والحمل محدث مخلوق فا هو المسيح عبد
 محدث فكيف يمكن وصفه بالالهية (وخامسا) ان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد
 فان كان لله ولد فلا بد وان يكون من جنسه فاذن قد اشتركا من بعض الوجوه فان لم يتميز
 احدهما عن الآخر بأمر ما فكل واحد منهما هو الآخر وان حصل الامتياز فما به
 الامتياز غير ما به الاشتراك فيلزم وقوع التركيب في ذات الله وكل مركب من ممكن
 فالواجب يمكن هذا خلف محال هذا كله على الاتحاد والحلول (اما الاحتمال الثالث)
 وهو ان يقال معنى كونه الها انه سبحانه خص نفسه او بدنه بالقدرة على خلق الاجسام
 والمصرف في هذا العالم فهذا ايضا باطل لان النصرى حكوا عنه الضعف والهجوان
 اليهود قتلوه ولو كان قادرا على خلق الاجسام لما قدروا على قتله بل كان هو يقتلهم
 ويخلق نفسه حكرا يذبون عنه (واما الاحتمال الرابع) وهو انه اتخذ ابنا لنفسه على
 سبيل التثريب فهذا قد قال به قوم من النصرى يقال لهم الارموسية وليس فيه كثير
 خطأ الا في اللفظ فهذا جملة الكلام على النصرى وبه ثبت صدق ما حكاه الله تعالى عنه
 انه قال انى عبد الله (الصفة الثانية) قوله تعالى آتاني الكتاب وفيه مسائل (المسئلة
 الاولى) اختلف الناس فيه فاجلهم على انه قال هذا الكلام حال صغره وقال ابو القاسم

الكريم (تكون للشيطان وليا)
 اى قرينه في الله الخلد وذكر
 اخوف للجمامة و ابراز الاعتد
 بامرهم (قال) استئناف مبنى على
 سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه
 قيل: لماذا قال أبوهم ما سمع منه
 عليه السلام هذه النصائح
 الواجبة القبول قيل: قال مصرا
 على عناده (أرغب أنت عن آلهي
 يا إبراهيم) أى أمر من ومصرف
 أنت عنها بتوجيه الاتكالي
 نفس الرغبة مع ضرب من التعجب
 كان الرغبة عنها مما لا يصدر من
 العاقل فضلا عن ترغيب الغير
 عنها قوله (لئن لم تنته لأزجك)
 تهديد وتضخيم عما كان عليه من
 الغلظة والتذكير اى والله لئن لم
 تنته عما كنت عليه من النهي
 عن عبادتي لأزجك بالجمجمة
 وقيل باللسان (واخبرني) اى
 فأخبرني وأتركى (مليا) اى
 زمانا طويلا او مليا بالذهب
 مطبقا به (قال) استئناف كما
 سلف (سلام عليك) توديع
 ومتسارعة على طريقة مقابلة
 السخية بالجمجمة اى لاضديك
 يحكموه بدولا شافهك بما يؤذي
 ولكن (سأستغفر لك ربى) اى
 استغفيرة ان يغفر لك بأن يوفقك
 للتوبة ويهديك الى الايمان كما
 يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر
 لآلئ يقولون تعالى انه كان من
 الضالين والاستغفار بهذا المعنى
 للكفار قبل تبين انه يموت على
 الكفر بمالاربيب في جزاءه وانما
 الخطر واستبداء المفرة له مع بقائه
 على الكفر فانه لا ماساغ له عقلا
 ولا نقلا واما الاستغفار له بعد

البلخي انه انما قال ذلك حين كان كالراهي الذي يفهم وان لم يبلغ حد التكليف اما
 الاولون فلم قولان (احدهما) انه كان في ذلك الصغر نبيا (الثاني) روى عن عكرمة عن
 ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المراد بان حكم وقضى بأنه سيدى من بعد ولما تكلم
 بذلك سكت وعاد الى حال الصغر ولما بلغ ثلاثين سنة بعث الله نبيا واحتج من نص على فساد
 القول الاول بأمر (احدها) ان النبي لا يكون الا كاملا والصغير ناقص الخلقة بحيث
 بعد هذا التعدي من الصغير منفرا بل هو في التنفير اعظم من ان يكون امرأة (وثالثها)
 انه لو كان نبيا في هذا الصغر لكان كمال عقله مقدما على ادعائه للنبوته اذ النبي لا بد وان
 يكون كامل العقل لكن كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز مقدما
 على التعدي وانه غير جائز (وثالثها) انه لو كان نبيا في ذلك الوقت لوجب ان يشغل ببيان
 الاحكام وتعریف الشرائع ولوقوع ذلك لاشتهر ونقل فحيث لم يحصل ذلك علمنا انه
 ما كان نبيا في ذلك الوقت اجاب الاولون عن الكلام الاول بأن كون الصبي ناقصا ليس
 لذاته بل لمر يرجع الى صغر جسمه ونقصان فهمه فاذا أزال الله تعالى هذه الاشياء
 لم تحصل النفرة بل تكون الرغبة الى استماع قوله وهو على هذه الصفة تمام وكل وع
 الكلام الثاني لم لا يجوز ان يقال اكمل عقله وان حصل مقدما على دعواه الا أنه معجزة
 لتركيا عليه السلام او يقال انه ارهاص لنبوته او كرامة لمرم عليها السلام وعندنا
 الارهاص والكرامات جائزة وعن الكلام الثالث لم لا يجوز ان يقال معجزة بعثته اليهم من
 غير بيان شيء من الشرائع والاحكام جائز ثم بعد البلوغ اخذ في شرح تلك الاحكام
 فثبت بهذا انه لا امتناع في كونه نبيا في ذلك الوقت وقوله اتاني الكتاب يدل على كونه
 نبيا في ذلك الوقت فوجب اجراؤه على ظاهره بخلاف ما قاله عكرمة اما قول ابن القاسم
 البلخي فبعد ذلك لان الحاجة الى كلام عيسى عليه السلام انما كانت عند وقوع
 التهمة على مريم عليها السلام (المسئلة الثانية) اختلفوا في ذلك الكتاب فقال بعضهم
 هو التوراة لان الالف واللام في الكتاب تنصرف للعهد والكتاب المعهود لهم هو
 التوراة وقال ابو مسلم المراد هو الانجيل لان الالف واللام ههنا للجنس اى آتاني من هذا
 الجنس وقال قوم المراد هو التوراة والانجيل لان الالف واللام تعيد الاستغراق
 (المسئلة الثالثة) اختلفوا في انه متى آتاه الكتاب ومتى جعله نبيا لان قوله آتاني الكتاب
 وجعلني نبيا يدل على ان ذلك كان قد حصل من قبل اماملاصقا لذلك الكلام او مقدما
 عليه بأزمان والظاهر انه من قبل ان كلهم آتاه الله الكتاب وجعله نبيا وامره بالصلاة
 والزكاة وان يدعو الى الله تعالى والى دينه والى ما خص به من الثمينة فقبل هذا الوحي
 نزل عليه وهو في بطن امه وقبل لما انفصل من الام آتاه الله الكتاب والثبوت وانه تكلم
 مع امه واخبرها بحاله واخبرها بأنه يكلمهم بما يدل على براعتها فلها اشارت اليه
 بالكلام (الصفة الثالثة) قوله وجعلني نبيا قال بعضهم اخبرانه نبى ولكنه ما كان

رسولا لانه في ذلك الوقت ماجاء بالشرعية ومعنى كونه نبيا انه رفع القدر على الدرجة وهذا ضعيف لان النبي في عرف الشرع هو الذي خصه الله بالنبوة وبالرسالة خصوصا اذا قرن اليه ذكر الشرع وهو قوله واوصاني بالصلاة والزكاة (الصفة الرابعة) قوله وجعلني مباركا اينما كنت فلقائل ان يقول كيف جعله مباركا والناس كانوا قبله على الملّة الضالّة فلا جاء صار بعضهم يهودا وبعضهم نصارى قائلين بالتثليث ولم يبق على الحق الا القليل والجواب ذكره في تفسير المبارك وجوها (احدها) ان البركة في اللغة هي الثبات واصله من برك العير فمعناه جعلني ثابتا على دين الله مستقرا عليه (وثانيها) انه لما كان مباركا لانه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم الى طريق الحق فان ضلوا نحن قبل انفسهم لان قبله وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال استلام عيسى عليها السلام عيسى الى الكتاب فقالت لعل ادفعه اليك على ان لا تضربه فقال له المعلم اكتب فقال اي شيء اكتب فقال اكتب ابحد فرجع عيسى عليه السلام راسه فقال هل تدري ما ابحد فعلاه بالدرّة ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني ان كنت لا تدري فاسألني فانما اعلمك الالف من آلاء الله والباء من أسماء الله والجيم من جمال الله والدال من اداء الحق الى الله (وثالثها) البركة الزيادة والعلو فكانه قال جعلني في جميع الاحوال غالبا مغلما مهيّجا لاني مادمت ابقى في الدنيا اكون على الغير مستعليا بالجهّة فاذا جاء الوقت المعلوم بكرمي الله تعالى بارفع الى السماء (ورابعها) مبارك على الناس بحيث يحصل بسبب دعائي احياء الموتى وبراء الائمة والابرص عن قتادة انه رآه امرأة وهو يحيي الموتى ويرى الائمة والابرص فقالت طوبى لبطن حلك وثدى ارضعت به فقال عيسى عليه السلام يحييها لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا اما قوله اينما كنت فهو يدل على ان حاله لم يتغير كما قيل انه عاد الى حال الصغر وزوال التكليف (الصفة الخامسة) قوله واوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا فان قيل كيف أمر بالصلاة والزكاة مع انه كان طفلا صغيرا والقلم مرفوع عنه على ما قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ الحديث وجوابه من وجهين (الاول) ان قوله واوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على انه تعالى اوصاه بأدائها في الحال بل بعد البلوغ فقل المراد انه تعالى اوصاه بهما وأدائها في الوقت المعين له وهو وقت البلوغ (الثاني) لئلا الله تعالى لما انفصل عيسى عن امه صيره بالغاً قاطلا تام الاعضاء والخليفة وتحقيقه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فكما أنه تعالى خلق آدم تاما كاملا دفعة فكذا القول في عيسى عليه السلام وهذا القول الثاني أقرب الى الظاهر لقوله مادمت حيا فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته ولكن لقائل ان قول لو كان الامر كذلك لكان القوم حين رأوه قد رأوه شخصا كامل الاعضاء تام الخلقة وصدر الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجا فكان ينبغي ان لا يجهلوا فعمل الاولى ان يقال انه تعالى جعله مع صغر جثته قوى التركيب كامل العقل بحيث

هوته على الكفر فلا تأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى اياته عليه السلام قال لعنه ابن طالب لانزال استغفر لك ما لم انه عنده فقول تعالى ما كان النبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الا بآية والاستثناء في ان هذا الوعد من ابراهيم عليه السلام وكذا قوله لاستغفروا لك وما ترتب عليهما من قوله واعتقوا لاني الا بآية انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبوأ منه كاسا في تفسير سورة التوبة واستثنائه عما يؤتى به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لبيعه لاستغفروا لك لا يندرج في جوازه لكن لان ذلك كان قبل ورود النهي او وعدة وعده اياه كما قيل لما ان النهي اذ غادر في شأن الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يتناوله النهي اصلا وان الوعد بالمحذور لا يرفع حظره بل لان المراد بما يؤتى به ما يجب الاتساع به فقال ورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني المجيد فاستثنائه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه لاسيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه احد من العلماء واما عدم جوازه قبل تبين الامر فادلاله للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لاني

نفس الاستغفار بقوله واغفر
لاي الاية لانها كانت هي
الحاملة له عليه السلام عليه
وتخصيص تلك العدة بالذكر
دون ما وقع هنا لورودها
على نوع التأكيد القسبي واما
جعل الاستغفار دأرا عليها
وترتيب التبرؤ على بين الامر
فقد مر تحقيقه في تفسير سورة
التوبة وقوله (ان كان بي خفا)
اي يلغا في البر والالطاف لتليل
لمضنون ماقبله (واعزلكم) اي
اتباعد عنكم وعن قومك (وما
تعدون من دون الله) بالمهاجرة
بدني حيث لم تؤثر فيكم نصاحي
(وادعوني) اعبيدو حده وقد
جوز ان يراد به دعاءه المذكور
في تفسير سورة الشعراء لا يبعد
ان يراد به استدعاء الولد ايضا
بقوله رب هب لي من الصالحين
حسبا يساعدا للنفق والسياف
(عسى الا اكون بدعاء ربي
شقا) اي خائبا ضالعا للسعي
وفيه تعريض بشقائه من عبادة
آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى
من اظهار التواضع ومراعاة
حسن الادب والتنبية على
حقيقة الحق من ان الاجابة
والانابة بطريق الفضل منه عز
وجل لا بطريق الوجوب وان
المعبر بالخاتمة وذلك من القيوب
المنحصة بالعلم الخبير بالانجني
فلما اعتزلهم وما يبعدون من
دون الله (بالمهاجرة الى الشام
وهبت له حق وبقوب) يدل من
فارقم من اقربائه الكفرة لكن
لا تعيب المهاجرة فان المشهور ان
الموهوب حينئذ اسمعيل عليه
السلام بقوله تعالى فيشرنا به بقلام

كان يمكنه اداء الصلاة والزكاة والآية دالة على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض
وحين رفع الى السماء وحين ينزل مرة اخرى (الصفة السادسة) قوله تعالى وبر ابوالدني
اي جعلني برا بوالدني وهذا يدل على قولنا ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان الآية تدل
على ان كونه برا اتما حصل بجعل الله وخلقه وحمله على اللطاف عدول عن الظاهر
ثم قوله وبر ابوالدني اشارة الى تنزيه اسمه عن الزنا اذ لو كانت زانية لما كان الرسول
المعصوم مأمورا بتعظيمها قال صاحب الكشف جعل ذاته بر الفطر بره ونصبه بفعل
في معنى اوصاني وهو كفني لان اوصاني بالصلاة وكفني بها واحد (الصفة السابعة) قوله
ولم يجعلني جبارا شقيا وهذا ايضا يدل على قولنا لانه لما عين انه جعله برا وما جعله جب ارا
فهذا انما يحسن لو ان الله تعالى جعل غيره جبارا وغيره برا بأمره فان الله تعالى لو فعل ذلك
بكل احد لم يكن لعيسى عليه السلام مز يدتخصيص بذلك ومعلوم انه عليه السلام انما ذكر
ذلك في معرض التخصيص وقوله ولم يجعلني جبارا اي ما جعلني متكبرا بل انا خاضع لاني
متواضع لهم ولو كنت جبارا لكنت عاصيا شقيا وروي ان عيسى عليه السلام قال لبي
لبن وانا صغير في نفسي وعن بعض العلماء لا يحد العاق الاجبار شقيا وتلا بوا بالني
ولم يجعلني جبارا شقيا ولتجدسي الملكة الاختلاف فورا وقرأوا ما ملكت ايمانكم ان
الله لا يحب من كان مختالا فاختورا (الصفة الثامنة) هي قوله والسلام على يوم ولدت و يوم
اموت ويوم ابعث حيا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال بعضهم لام التعريف في السلام
منصرف الى ما تقدم في قصتي يحكي عليه السلام من قوله وسلام عليه اي السلام الموجه
اليه في المواطن الثلاثة موجه الى ايضا وقال صاحب الكشف الصحيح ان يكون هذا
التعريف تعريفيا بالنع على من اتهم مريم بالزنا وتحققه ان اللام للاستغراق فاذا قال
والسلام على فكاكته قال وكل السلام على وعلى اتباعي فلم يبق للاعداء الا اللعن ونظيره
قول موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى بمعنى ان العذاب على من كذب
وتولى وكان المقام مقام الجحاح والعدا ويليق به مثل هذا التعريض (المسئلة الثانية)
روى بعضهم عن عيسى عليه السلام انه قال ايحي انت خير مني سلم عليك وسلمت على
نفسى واجاب الحسن فقال ان تسلمه على نفسه بتسليم الله عليه (المسئلة الثالثة) قال
القاضي السلام عبارة عما يحصل به الامان ومنه السلامة في النعم وزوال الآفات
فكاكته سأل ربه وطلب منه ما اخبر الله تعالى انه فعله يعحي ولا بد في الانبياء من ان
يكونوا مستجابي الدعوة واعظم احوال الانسان احتياجا الى السلامة هي هذه الاحوال
الثلاثة وهي يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث فجميع الاحوال التي يحتاج فيها الى
السلامة واجتماع السعادة من قبله تعالى طلبها ليكون مصونا عن الآفات والمخافات
في كل الاحوال واعلم ان اليهود والنصارى ينكرون ان عيسى عليه السلام تكلم في زمان
الظوقية واحجبوا عليه بأن هذا من الوقائع الحميمة التي تتوفر الدواعي على نقلها فلو

وجدت نقلت بالتواتر ولو كان ذلك لعرفه النصارى لاسيما وهم من اشد الناس بمخاض
 احواله واشد الناس غلوا فيه حتى زعوا كونه الها ولا شك ان الكلام في الطفولية من
 المناقب العظيمة والفضائل الثمينة فلما لم تعرفه النصارى مع شدة الحب وكال البحث عن
 احواله علمنا انه لم يوجد لان اليهود اظهروا عداوته حال ما اظهر ادعاء النبوة فلو انه
 عليه السلام تكلم في زمان الطفولية وادعى الرسالة لكانت عداوتهم معه اشد ولكان
 قصدهم قتله اعظم فحيث لم يحصل شيء من ذلك علمنا انه ما تكلم اما المسلمون فقد اوجبوا من
 جهة العقل على انه تكلم فانه لو لا كلامه الذي دلهم على براءة امه من الزنا لما تركوا
 اقامة الحد على الزنا عليها ففي تركهم لذلك دلالة على انه عليه السلام تكلم في المهد
 واجابوا عن الشبهة الاولى بأنه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين فلذلك لم يشتر
 وعن الثاني لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه فلذلك لم يشهدوا له تصدقوا
 قوله تعالى (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من
 ولد سبحانه اذا قضى امرا فاما يقول له كن فيكون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ
 عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن
 قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى
 واحد كازهر والزهر والذهب اما ارتفاعه فعلى انه خبره دخرا او خبره مبتدا محذوف
 واما انتمسابه فعلى المدح ان يفسر بكلمة الله او على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة
 كقولك هو عند الله الحق لا الباطل والله اعلم (المسئلة الثانية) اشبهه ان المراد بقوله
 ذلك عيسى ابن مريم الاشارة الى ما تقدم وهو قوله اتى عبدالله اتانى الكتاب اى ذلك
 الموصوف بهذه الصفات هو عيسى ابن مريم وفي قوله عيسى ابن مريم اشارة الى انه ولد
 هذه المرأة وابنها لانه ابن الله فاما قوله الحق فبه وجوه (احدها) وهو ان نفس عيسى
 عليه السلام هو قول الحق وذلك لان الحق هو اسم الله فلا فرق بين ان نقول عيسى كلمة
 الله وبين ان نقول عيسى قول الحق (وثانيها) ان يكون المراد ذلك عيسى ابن مريم القول
 الحق الا انك اضفت الموصوف الى الصفة فهو كقوله ان هذا هو حق اليقين وقائدة
 قولك القول الحق تأكيد ما ذكرت او لا من كون عيسى عليه السلام ابنا لمرم (وثالثها)
 ان يكون قول الحق خبرا ابتداء محذوف كانه قيل ذلك عيسى ابن مريم ووصفاته هو قول
 الحق فكأنه تعالى وصفه او لا ثم ذكر ان هذا الموصوف هو عيسى بن مريم ثم ذكر ان هذا
 الوصف اجمع هو قول الحق على معنى انه ثابت لا يجوز ان يبطل كما يبطل ما يقع منهم من
 المرية ويكون في معنى ان هذا هو الحق اليقين فاما امتزاجهم في عيسى عليه السلام
 فالماذهب التي حكيناها من قول اليهود والنصارى وقد تقدم ذكر ذلك في سورة آل عمران
 روى ان عيسى عليه السلام لما رفع حضر اربعة من اكابرهم وعلمائهم فقيل للاول
 ما تقول في عيسى فقال هو اله والله واما اله فابعه على ذلك ناس وهم الاسرائيلية وقيل

حليم اتردعاه بقوله رب هبني
 من الصالحين ولعل ترتيب هبني
 على اعتزاله الدين كمال عظم النعم التي
 اعطاها الله تعالى اياه ببقائه من
 اعتزالهم من الاهل والاقرباء
 فانما شجرنا الانبياء ليها اولاد
 واحقاد اولوا شأن خطير وذوو
 عدد كثير هذا وقد روى انه عليه
 السلام لما قصد الشام اتى اولا
 حران وتزوج بسارة وولدت له
 اسمعق وولد لاسمعق يعقوب
 والاول هو الاقرب الى التفسير
 (وكلا) اى كل واحد منهما
 اوتمهم وهو منقول اول لقوله
 تعالى (جعلنا نبيا) قدم عليه
 للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من
 عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اى
 كل واحد منهم جعلنا نبيا
 لا بعضهم دون بعض (وهناك
 من رجحنا) هي النبوة وذكرها
 بعد ذكر جعلهم نبيا للايدان
 بانها من باب الرحمة وقيل هي
 المال والاولاد وما يسطرهم من
 سعة الرزق وقيل هو الكتاب
 والاظهر انها عامة لكل خير ديني
 وديني واثم عالم يؤته احد
 من المائين (وجعلنا لهم لسان
 صدق عليا) يفخر بهم الناس
 ويؤمنون عليهم استجابة لدعوته
 بقوله واجعل لسان صدق
 قى الآخرين والمراد باللسان
 ما يوجد به من الكلام واللسان
 العرب لغتهم واضافته الى
 الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على
 انهم احقاء عاينون عليهم وان
 محامدهم لا تخفى على تباعد
 الاعصار وبديل الدول وتحول
 الملل والنحل (واذكر في الكتاب
 موسى) قدم ذكره على ذكر اسمعيل

لثلاث بفضل عن ذكر يعقوب
عليهما السلام (انه كان مخلصا)
موجدا اخلص عباده عن الشرك
والراء او اسلم وجهه لله تعالى
واخلص نفسه عساواء وقرى
مخلصا على ان الله تعالى اخلصه
(وصكان رسولا نبيا)
ارسله الله تعالى الى الخلق قائما بهم
عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه
اخص واعلى (وادنيه من
جانب الطور الايمن) الطور
جبل بين مصر ومدين والايمن
صفة للجانب اى ناديه من
ناحيته اليمنى من اليمين وهى التى
تلقى بين موسى عليه السلام او من
جانبه اليمون من اليمين ومعنى
ناداه منه انه تمثله الكلام من
تلك الجهة (وقرينه نيا) تقرب
تشريف مثل حاله عليه السلام
بصل من قرينه الملك لساناته
واصفاه بصاحبه ونجيبا الى
مناجيا حال من احد الضعيفين فى
ناديه او قرينه وقيل مرقتعا
لما روى انه عليه السلام رفع فوق
السحوت حتى سمع صريف القلم
(ووهبنا له من رجتها) اى من
اجل رجتها ورافتنا له ابيض
رجتها (اى معاضدنا فيه
وموازته اجابة لدعوته بقوله
واجعل لى وزيرا من اهلى هرون
اخى لانفسه لانه كان اكبر منه
عليهما السلام وهو على الاول
مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل
وقوله تعالى (هرون) عطفي بيان
لذوقه تعالى (نبيا) حال منه
(واذكر فى الكتاب اسمعيل)
فصل ذكره عن ذكر ابيه واهليه
لاراز كمال الاعتناء بامرهم بابراده
مستقلا وقوله تعالى (انه كان صادقا)

الرابع ما تقول فقال هو عبدالله ورسوله وهو المؤمن المسلم وقال أما تعلمون ان عيسى
كان يطعم وينام وان الله تعالى لا يجوز عليه ذلك فنخصهم اما قوله ما كان الله ان يتخذ
من ولد فهو يحتمل امرين (احدهما) ان ثبوت الولد له محال فقولا ما كان الله ان يتخذ
من ولد كقوله ما كان الله ان يقول لأحدانه ولدى لان هذا الخبر كذب والكذب لا يليق
بمحكمة الله تعالى وكلامه فقوله ما كان الله ان يتخذ من ولد كقولنا ما كان الله ان يظلم اى
لا يليق ذلك بمحكمته وكلام الهيته واحتج الجبايى بالآية بناء على هذا التفسير انه ليس لله
ان يفعل كل شئ لانه تعالى صرح بأنه ليس له هذا الايجاد اى ليس له هذا الاختيار
واجاب اصحابنا عنه بأن الكذب محال على الله تعالى فلا جرم قال ما كان الله ان يتخذ من
ولد اما قوله سبحانه اذا قضى امرا فاما يقول له كن فيكون فقيه مسائل (المسئلة
الاولى) انه تعالى لما قال سبحانه ثم قال عقيبه اذا قضى امرا فاما يقول له كن فيكون
كان كالجفة على تنزيهه عن الولد وبيان ذلك ان الذى يجعل ولد الله اما ان يكون قديما
ازليا او يكون محدثا فان كان ازليا فهو محال لانه لو كان واجبا لذاته لكان واجب
الوجود اكثر من واحد هذا خلف وان كان يمكن لذاته ان يكون مفتقرا في وجوده الى
الواجب لذاته غنيا لذاته فيكون الممكن محتاجا لذاته فيكون عبدا له لانه لا معنى للعبودية
الا ذلك واما ان كان الذى يجعل ولدا يكون محدثا فيكون وجوده بعد عدمه بخلاف ذلك
القديم واما جوده وهو المراد من قوله اذا قضى امرا فاما يقول له كن فيكون فيكون
عبدا له ولذاته فثبت أنه يستحيل ان يكون لله ولد (المسئلة الثانية) احتج الاصحاب بقوله
اذا قضى امرا فاما يقول له كن فيكون على قدم كلام الله تعالى قالوا لان الآية تدل
على انه تعالى اذا أراد احداث شئ قال له كن فيكون فلو كان قوله كن محدثا لانقتر
حدوثه الى قول آخر وزم التسلسل وهو محال فثبت ان قول الله قديم لا يحدث واحتج
المعتزلة بالآية على حدوث كلام الله تعالى من وجوه (احدها) انه تعالى ادخل عليه
كلمة اذا وهذه الكلمة دالة على الاستقبال فوجب ان لا يحصل القول الا فى الاستقبال
(وثانيها) ان حرف الفاء للتعقيب الفاء فى قوله فاما يقول له يدل على تأخر ذلك القول
عن ذلك القضاء والمتأخر عن غيره محدث (وثالثها) الفاء فى قوله فيكون يدل على حصول
ذلك الشئ عقيب ذلك القول من غير فصل فيكون قول الله مقدما على حدوث الحادث
تقدما بلا فصل والمتقدم على الحادث تقدما بلا فصل يكون محدثا فقوله الله محدث واعلم
ان استدلال الفريقين ضعيف اما استدلال الاصحاب فلانه يقتضى ان يكون قوله كن
قديما وذلك باطل بالاتفاق واما استدلال المعتزلة فلانه يقتضى ان يكون قول الله تعالى
هو المركب من الحروف والاصوات وهو محدث وذلك لاتزاع فيه انما المدعى قدم شئ
آخر (المسئلة الثالثة) من الناس من أجرى الآية على ظاهرها فزعم انه تعالى اذا
أحدث شيئا قال له كن وهذا ضعيف لانه اما ان يقول له كن قبل حدوثه او حال

الوحد (تعليل لموجب الامر
 وإيراده عليه السلام بهذا الوصف
 لكمال شيرته به وتأهيك انه
 وعد الصبر على الذبح بقوله
 سجدت ان شاء الله من الصابرين
 فوق (وكان رسولانيا) فيه
 دلالة على ان الرسول لا يجب ان
 يكون صاحب شريعة فان اولاد
 ابراهيم عليه السلام كانوا على
 شريعته (وكان بأمره بالصلوة
 والزكوة) اشتغالا بالامم وهو
 ان يقبل الرجل بالتمكيل على
 نفسه ومن هو القرب الناس اليه
 قال تعالى وانذر عشيرتک الا فرين
 وأمره بالصلوة قوا انفسكم
 واهليكم نارا وقصدا الى تمكيل
 الكل بتكميلهم لانهم قدوة
 يؤتى بهم وقيل اهل امته فان
 الانبياء عليهم السلام آباء الامم
 (وكان عتده مرضيا) لاتصافها
 بالنعوت الجليلة التي من جللتها
 ما ذكر من خصائصه العديدة (واذكر
 في الكتاب ادريس) وهو سبط
 شيث وجد ابي نوح فانه نوح بن
 لما بن منوش بن اخنوخ وهو
 ادريس عليه السلام واشتقاقه
 من الدرس برده منع صرفه لم
 لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة
 قريبا من ذلك فلقب به لكثرة
 دراسته روى انه تعالى ازل
 عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من
 خط بالقلم ونظر في علم النجوم
 والحساب (انه كان صديقا) ملازما
 للصدق في جميع احواله (نبيا)
 خبر آخر لكان مخصص للاول
 اذ ليس كل صديق نبيا (وورعناه
 مكانا عليا) هوشرف النبوة
 والرائي عند الله عز وجل وقيل
 علو الرتبة بالذكر الجليل

حدوته فان كان الاول كان ذلك خطا بما مع المعلوم وهو عبث وان كان الثاني فهو حال
 حدوته قد وجد بالقدرة والارادة فأى تأثير لقوله كن فيه ومن الناس من زعم ان اراد
 من قوله كن هو الخلق والتكوين وذلك لان القدرة على الشيء غير وتكوين الشيء غير
 فان الله سبحانه قادر في الازل وغير مكون في الازل ولانه الآن قادر على عوالم سوى هذا
 العالم وغير مكون لها والقدرة غير المكونية والتكوين ليس هو نفس المكون لا نقول
 المكون انما حدث لان الله تعالى كونه فأوجده فلو كان التكوين نفس المكون لكان
 قولنا المكون انما وجد بتكوين الله تعالى نازلا منزلة قولنا المكون انما وجد بنفسه
 وذلك محال ثبت ان التكوين غير المكون فقوله كن اشارة الى الصفة المعماة
 بالتكوين وقال آخرون قوله كن عبارة عن نفاذ قدرة الله تعالى ومشيئته في الممكنات فان
 وقوعها بتلك القدرة والارادة من غير امتناع وانقطاع يحرى العبد المطيع المسخر
 المتقاد لاوامر مولاه فعبر الله تعالى عن ذلك المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة
 قوله تعالى (وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب
 من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن
 الظالمون اليوم في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم
 لا يؤمنون انا نحن رث الارض ومن عليها والينا يرجعون) اعلم ان قوله وان الله ربى
 وربكم فاعبدوه فيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ المدينون وابوعرو بفتح ان ومعناها لانه
 ربى وربكم فاعبدوه وقرأ الكوفيون وابو عبيدة بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان
 الله بالكسر من غير واى بسبب ذلك فاعبدوه (المسئلة الثانية) انه لا يصح ان يقول الله
 وان الله ربى وربكم فاعبدوه فلا بد وان يكون قائل هذا غير الله تعالى وفيه قولان
 (الاول) التقدير قتل يا محمد ان الله ربى وربكم بعد اظهار البراهين الباهرة في ان عيسى
 هو عبد الله (الثانى) قال ابو مسلم الاصفهاني الواو في وان الله عطف على قول عيسى
 عليه السلام انى عبد الله آتاني الكتاب كما به قال انى عبد الله وانه ربى وربكم فاعبدوه
 وقال وهب بن منبه عهد اليهم حين اخبرهم عن بعثه ومولده فعتنه ان الله ربى وربكم
 اى كلنا عبد الله تعالى (المسئلة الثالثة) قوله وان الله ربى وربكم يدل على ان مدبر
 الناس ومصلح امورهم هو الله تعالى خلاف قول المجسمين ان مدبر الناس ومصلح امورهم
 في السعادة والشقاوة هو الكواكب ويدل ايضا على ان الاله واحد لان لفظ الله اسم
 علم له سبحانه فلما قال ان الله ربى وربكم اى لارب المخلوقات سوى الله تعالى وذلك يدل
 على التوحيد اما قوله فاعبدوه فقد ثبت في اصول الفقه ان ترتيب الحكم على الوصف
 المناسب مشعر بالعلية فهنا الامر بالعبادة وقع مرتبا على ذكر وصف الربوبية فدل
 على انه انما تلزمنا عبادته سبحانه لكونه ربا لنا وذلك يدل على انه تعالى انما تجب عبادته
 لكونه منعمنا على الخلق بأصول النعم وفروعها ولذلك فان ابراهيم عليه السلام لما منع

في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعتك
 ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء
 السادسة او الرابعة روى عن
 كعب وغيره في سبب رفع ادریس
 عليه السلام انه سئل ذات يوم
 في حاجة فأصابه وهج الشمس
 فقال يارب اني قد مشيت فيها
 يوما وقد اصابتني منها ما اصابني
 فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة
 عام في يوم واحد اللهم خفف
 عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح
 الملك وجد من خفة الشمس
 وحرها ما لا يعرف فقال يارب
 ما الذي فعلت فيسه قال ان
 عیدی ادریس سألني ان اخفف
 عنك حملها وحرها فاجبته
 قال يارب اجعل بيني وبينه
 خلة فأذن الله تعالى له فرفعه
 الى السماء (اولئك) اشارة الى
 المذكورين في السورة الكريمة
 وما فيه من معنى البعد للاشعار
 بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في
 الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى
 (الذين اتم الله عليهم) صفته
 اى اتم عليهم بفنون النعم
 الدينية والدنيوية حسب الاشياء
 اليه بحمل وقوله تعالى (من
 النبيين) بيان للموصول وقوله
 تعالى (من ذرية آدم) يدل منه
 باعادة الجار ويجوز ان تكون
 كلمة من فيه للتبويض لان النعم
 عليهم اعم من الانبياء وخص
 من الذرية (ومن جاء مع نوح)
 اى ومن ذرية من جلبا معه
 خصوصاً وهم من عدا ادریس
 عليه السلام فلان ابراهيم كان
 من ذرية سام بن نوح (ومن
 ذرية ابراهيم) وهم الباقون
 (واسرائيل) عطف على ابراهيم
 اى ومن ذرية

اباء من عبادة الاوثان قال لم تعبدوا الايستم ولا يبصر ولا يفتنى عنك شيئا يعنى انها لما لم
 تكن منعمة على العباد لم تجز عبادتها وبهذه الآية ثبت ان الله تعالى لما كان ربا ومرسيا
 لعباده وجبت عبادته فقد ثبت طردا وعكسا تعلق العبادة بكون المعبود منعماً اما قوله
 هذا صراط مستقيم يعنى القول بالتوحيد ونفى الولد والصاحبة صراط مستقيم وانه
 سمى هذا القول بالصراط المستقيم تشبيها بالطريق لانه المؤدى الى الجنة اما قوله تعالى
 فاختلف الاحزاب من بينهم ففي الاحزاب اقوال (الاول) المراد فرق النصارى على
 ما بينا اقسامهم (الثاني) المراد النصارى واليهود فجعله بعضهم ولدا وبعضهم كذابا
 (الثالث) المراد الكفار الداخل فيهم اليهود والنصارى والكفار الذين كانوا في زمن
 محمد صلى الله عليه وسلم واذا قلنا المراد بقوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه اى قل يا محمد
 ان الله ربي وربكم فهذا القول اظهر لانه لا يختص فيه وكذا قوله فويل للذين كفروا
 مؤكدا لهذا الاحتمال واما قوله من مشهد يوم عظيم فالمشهد اما أن يكون هو الشهود
 وما يتعلق به او الشهادة وما يتعلق بها (اما الاول) فيحتمل ان يكون المراد من المشهد نفس
 شهودهم هول الحساب والجزاء في القيامة او مكان الشهود فيه وهو الموقف او وقت
 الشهود واما الشهادة فيحتمل ان يكون المراد شهادة الملائكة والانبياء وشهادة السننهم
 وايدبهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال وأن يكون مكان الشهادة او وقتها وقيل هو
 ما قالوه وشهدوا به في عيسى وانه وصفاً لذلك المشهد بأنه عظيم لانه لاشئ اعظم مما
 يشاهد في ذلك اليوم من محاسبة ومساءلة لاشئ من المنافع اعظم مما هناك من الثواب
 ولان المضار اعظم مما هناك من العقاب اما قوله تعالى استمع بهم وابصر يوم يأتوننا فقيه
 مسائل (المسئلة الاولى) قالوا التعجب هو استعظام الشئ مع الجهل بسبب عظمه ثم
 يجوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب او من غير ان يكون
 للعظم سبب حصول قال الفراء قال سفيان قرأت عند شريح بل عجبت وبمخزون فقال
 ان الله لا يعجب من شئ انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال ان شريحا
 شاعر يعجبه علمه وعبد الله اعلم بذلك منه قرأها بل عجبت وبمخزون ومعناه انه صدر من
 الله تعالى فعل او صدر مثله عن الخلق ندل على حصول التعجب في قلوبهم وبهذا التأويل
 يضاف المكر والاستهزاء الى الله تعالى واذا عرفت هذا فقول التعجب صفتان
 (احدهما) ما فعله (والثانية) افعاله كقوله تعالى استمع بهم وابصروا النحويون ذكروا له
 تأويلات (الاول) قالوا اكرم يزيد اصله اكرم زيد اى صار ذا كرم كغدا البعير اى صار
 ذا غدة الا انه خرج على لفظ الامر ومعناه انكر كما خرج على لفظ الخبر بمعناه الامر
 كقوله تعالى والطلاقات يتربصن بأنفسهن والوالدات يرضعن اولادهن قل من كان
 في الضلالة فليمد له الرحمن مدا اى يمد له الرحمن مدا وكذا قوله رحمة الله خير
 وان كان معناه الدماء والبلاء زائدة (الثاني) ان يقال انه امر لكل احد بأن يجعل زيدا

كرما اى بأن يصفه بالكرم والباء زائدة مثل قوله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ولقد سمعت لبعض الادباء فيه تأويلات ثلاثا هو ان قولك أكرم يزيد يفيد ان زيد بلغ في الكرم الى حيث كان فيه ذاته صار كرما حتى لو أردت جعل غيره كرما فهو الذى يلقى بمقصودك ويحصل لك غرضك كأن من قال اكتب بالقلم فغناه ان القلم هو الذى يلقى بمقصودك ويحصل لك غرضك (المسئلة الثانية) قوله اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا فيه ثلثة أوجه (أحدها) وهو المشهور الاقوى ان معناه ما اسمعهم وما أبصرهم والتعجب على الله تعالى محال كما تقدم وانما المراد ان سماعهم وبصارتهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعرجا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون بما يسوء بصرهم وبصعد قلوبهم (وثانيها) قال القاضى ويحتمل ان يكون المراد اسمع هؤلاء وأبصرهم اى عرفهم حال القوم الذين يأتوننا ليعتبروا ويتزجروا (وثالثها) قال الجبائى ويجوز اسمع الناس هؤلاء وأبصرهم بهم ليعرفوا أمرهم وسوء طاعتهم فيزجروا عن الاتيان بمثل فعلهم اما قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ففيه قولان (الاول) لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وفي الآخرة يعرفون الحق (والثاني) لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وهم في الآخرة في ضلال من الجنة بخلاف المؤمنين واما قوله تعالى وانذرهم فلا شبهة في انه أمر لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بأن ينذر من في زمانه فيصلح بأن يجعل هذا كالدلالة على ان قوله فاختلف الاحزاب اراد به اختلاف جميعهم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم واما الانذار فهو التخويف من العذاب لئلا يحذروا من ترك عبادة الله تعالى واما يوم الحسرة فلا شبهة في انه يوم القيامة من حيث يكثر النقص من اهل النار وقيل يخصم ايضا في الجنة اذ لم يكن من السابقين الواصلين الى الدرجات العالية والاول هو الصحيح لان الحسرة غم وذلك لا يلبق بأهل التواب اما قوله تعالى اذ قضى الامر فبه وجوه (أحدها) اذ قضى الامر ببيان الدلائل وشرح امر الثواب والعقاب (وثانيها) اذ قضى الامر يوم الحسرة بفناء الدنيا وزوال التكليف والاول اقرب لقوله وهم لا يؤمنون فكانه تعالى بين انه ظهرت الحجة والبيانات وهم في غفلة وهم لا يؤمنون (وثالثها) روى انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله قضى الامر فقال حين يحاء بالموت في صورة كبش الملع فيذبح والفرقان ينظران فيزداد اهل الجنة فرحا على فرح واهل النار غمعا على غم واعلم ان الموت عرض فلا يجوز ان يبصر جسما حيويا بل المراد انه لا موت البتة بعد ذلك واما قوله وهم في غفلة اى عن ذلك اليوم وعن كيفية حمراته وهم لا يؤمنون اى بذلك اليوم ثم قال بعده ان نحن نرث الارض ومن عليها اى هذه الامور نؤل الى ان لا يملك الضر وننفع الا الله تعالى والينا يرجعون اى الى محل حكمتنا وقضائنا لانه تعالى منزّه عن المكان حتى يكون الرجوع اليه وهذا تخويف عظيم وزجر ببلغ العصاة القصصة الثالثة قصة ابراهيم عليه السلام * قوله تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان

اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية (وعن هدينا واجتينا) اى ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى (اذ انزلنا عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) خبر لا وثاك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا مستثافا مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى وابستاتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسعى الطبقة في شرف النسب وكال النفس والزلي من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من خير خروا الى ساجدين باكين من النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبي جمع بك كالمجد جمع ساجد واصلة بكوى فاجتمعت الواو والياء وسبقت احدهما بالكسكون فقلت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت التاك بالكر الجانس للياء وقرئ ينى الياء التحنية لان التأنيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينى ان يدعوا الساجد في سجدة بما يلبق بآياتها فهنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفى آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكرين اليك

التصديق فيعود الامر الى الاول قال قيل أليس قد قال تعالى والذين آمنوا بالله ورسوله
أوئك هم الصديقون والشهداء قلنا المؤمنون بالله ورسوله صادقون في ذلك التصديق
واعلم ان النبي يجب ان يكون صادقا في كل ما خبر عنه لان الله تعالى صدقه ومصداق الله
صادق والارم الكذب في كلام الله تعالى فيلزم من هذا كون الرسول صادقا في كل
ما يقول ولان الرسل شهداء الله على الناس على ما قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل
امّة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيدا والشهيد انما يقبل قوله اذا لم يكن كاذبا فان قيل
فما قولكم في ابراهيم عليه السلام في قوله بل فعله كبيرهم هذا واني سقيم قلنا قد شرعنا
فينا ويل هذه الايات بالدلائل الظاهرة ان شيئا من ذلك ليس بكذب فلما ثبت ان كل نبى
يجب ان يكون صديقا ولا يجب في كل صديق ان يكون نبيا ظهر بهذا قرب مرتبة
الصديق من مرتبة النبي فلهذا انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا واما النبي
فخصه كونه رفيع القدر عند الله وعند الناس وارى رفعة أعلى من رفعة من جعله الله
واسطة بينه وبين عباده وقوله كان صديقا قيل انه صار وقيل ان معناه وجد صديقا نبيا
اى كان من اول وجوده الى انتهائه موصوفا بالصدق والصيانة قال صاحب الكشاف
هذه الجملة وقعت اعتراضا بين البديل منه وبالله اعني ابراهيم واذ قال ونظيره قوله رأيت
زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اى كان جامعا لخصائص
الصديقين والانبيا حين خاطب اياه تلك الخاطبات اما قوله بأبت فالتاء عوض من ياء
الاضافة ولا يقال بأبني ثلثا يجمع بين العوض والمعوض عنه وقد يقال بالثالكون
الالف بدلا من الباء واعلم انه تعالى حتى ان ابراهيم عليه السلام تكلم مع ابيه بأربعة
انواع من الكلام (النوع الاول) قوله لم تعبد الا بسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا
ووصف الاوثان بصفات ثلاثة كل واحدة منها قاذحة في الالهية وبيان ذلك من وجوه
(احدها) ان العبادة غاية التعظيم فلا يستحقها الا من له غاية الانعام وهو الاله الذي منه
اصول النعم وفروعها على ما قررناه في تفسير قوله وان الله ربى وربكم فاعبدوه وقال
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم الآية وكما يعلم بالضرورة انه لا يجوز الاشتغال
بشكرها مالم تكن منعمة وجب ان لا يجوز الاشتغال بعبادتها (وثانيها) انها اذا لم تنعم
ولم تبصر ولم تميز من يطيعها عن يعصها فأى قائمة في عبادتها وهذا ينهك على ان الاله
يجب ان يكون عالما بكل المعلومات حتى يكون العبد آمنا من وقوع الغلط للعبود
(وثالثها) ان الدعاء غ العباداة قالون اذا لم يسمع دعاء الداعي فأى منفعة في عبادته
واذا كانت لا تبصر يقرب من يقرب اليها فأى منفعة في ذلك التقرب (ورابعها) ان
السامع المبصر الضار النافع افضل ممن كان عاريا عن كل ذلك والانسان موصوف بهذه
الصفات فيكون افضل واكمل من الوثن فكيف يليق بالافضل عبادة الاخس (وخامسها)
اذا كانت لا تنفع ولا تنضر فلا يرجى منها منفعة ولا يخاف من ضررها فأى قائمة

وجوب الوعد المحترم وقرئ
يدخلون على البناء لقول (ولا
يظنون شيئا) اى لا يتصورون من
جزء اعمالهم شيئا ولا ينقصون
شيئا من النقص وفيه تنبيه على
ان كفرهم السابق لا يضرهم
ولا ينقص اجورهم (جنات
عدن) يدل من الجنة بدل البعض
لاشغالها عليها وما بينهما اعتراض
او نصب على المدح وقرئ بالرفع
على انه خبر ليتدأ بمعد وفأى هي
او ثالث جنات الخ ومثما خبره التي
وعاد الخ وقرئ حنة عدن نصبا
ورفعوا عدن على لحنى المدن وهو
الافامة كان قبلة وسهر وأمس
فحين لم يصرفها اعلام لعملى
الفتنة وهى الساعة التى انت فيها
والسهر والامس فمضى لذلك
يجرى المدن او هو علم لارض
الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ
ابدال ما اضيف اليه من الجنة بدلا
وصف هند غير البصريين
ولا وصفه بقوله تعالى (التى
وعدا الرحمن عباده) وجعله بدلا
من مخالف الظاهر فان الوصول
في حكم المشتق وقد نصوا على
ان البديل بالمشتق مشعف
والعرض لنحو ان الرحلة للاذنان
بأن وعدا وانجاء لكمال سمة
رحته تعالى والباء في قوله تعالى
(باليب) متعلقة بخبر هو حال
من المضمر العائد الى الجنات او من
عباده اى وعدها لايام ملتبة
او ملتسبين باليب اى غالبة منهم
غير حاضرة

في عبادتها (وسادسها) اذا كانت لا تحفظ انفسها عن الكسر والافساد على ما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام انه كسرها وجعلها جزاذا فأى رجاء للغير فيها واعلم انه عاب الوثن من ثلاثة اوجه (احدها) لا يسمع (وثانيها) لا يبصر (وثالثها) لا يفتي عنك شيئا كما قاله بل الالهية ليست الارزى فانه يسمع ويحب دعوة الداعي ويصبر كما قال اننى معكم اسمع وأرى ويقضى الخوايج امن يحب المضطر اذا دعاه واعلم ان قوله ههنا لم تعبد محمول على نفس العبادة واما قوله في المقام الثالث لا تعبد الشيطان لا يقتل ذلك بل المراد الطاعة لانهم ما كانوا يعبدون الشيطان فوجب حمله على الطاعة ولانا نقول ليس اذا تركنا الظاهر ههنا الدليل وجب ترك الظاهر في المقام الاول بغير دليل فان قيل اما ان يقال ان ابا ابراهيم كان يعتقد في تلك الاوثان انها آلهة بمعنى انها قادرة مخزاة موجودة للناس والحيوانات او يقال انه ما كان يعتقد ذلك بل كان يعتقد انها تماثيل الكواكب والكواكب هي الآلهة المدبرة لهذا العالم فتعظيم تماثيل الكواكب بموجب تعظيم الكواكب او كان يعتقد ان هذه الاوثان تماثيل اشخاص معظمة عند الله تعالى من البشر فتعظيمها يقتضى كون اولئك الاشخاص شفعاء لهم عند الله تعالى او كان يعتقد ان تلك الاوثان طلسمات ركبت بحسب اتصالات مخصوصة للكواكب قلنا تنفق مثلها وانما مشفع بها او غير ذلك من الاعذار المنقولة عن عبدة الاوثان فان كان أبو ابراهيم من القسم الاول كان في نهاية الجنون لان العلم بأن هذا الخشب المنحوت في هذه السابعة ليس خالقا للسموات والارض من اجلى العلوم الضرورية فالتشاك فيه يكون فاقدا لاجلى العلوم الضرورية فكان مجنوناً والمجنون لا يجوز ابراد الحجة عليه والمناظرة معه وان كان من القسم الثانى فهذه الدلائل لا تقدرح في شئ من ذلك لان ذلك المذهب انما يبطل باقامة الدلالة على ان الكواكب ليست احياء ولا قادرة على خلق الاجسام وخلق الحياة ومعلوم ان الدليل المذكور ههنا لا يفيد ذلك المطلوب فعلمنا ان هذه الدلالة عديمة الفائدة على كل التقديرات قلنا لا تزاع انه لا يخفى على العاقل ان الخشبة المنحوتة لا تصلح لخلق العالم وانما مذهبهم هذا على الوجه الثانى وانما اورد ابراهيم عليه السلام هذه الدلالة عليهم لانهم كانوا يعتقدون ان عبادتها تقيد نفعا اما على سبيل الخاصة الحاصلة من الطلسمات او على سبيل ان الكواكب تنفع وتضر فين ابراهيم عليه السلام انه لا منفعة في طاعتها ولا مضرة في الاعراض عنها فوجب ان لا تحسن عبادتها (النوع الثانى) قوله يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فأتبعنى اهدك صراطا سويا ومعناه ظاهر وطبع في التمسك به اهل التعليم واهل التقليد اما اهل التعليم فقالوا انه امره بالاتباع في الدين وما امره بالتمسك بدليل لا يستفاد الا من الاتباع واما اهل التقليد فقد تمسكوا به أيضا من هذا الوجه ومن الناس من طعن انه امره بالاتباع لتحصل الهداية فاذن لا تحصل الهداية بالاتباعه ولا تبعية الا اذا اهتدى لقولنا انه لا بد من

اوغائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اى وعدها اياهم بسبب ايمانهم (انه كان وعده اى موعدة كما كنا ما كان فيدخل فيه الجبات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي مثابة يرجع اليها قيل (ما ثيا) اى يأتيهم وعدله لامحالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل ما ثيا اى مفعولا مضمر من اتى اليه احسانا اى فضله (لا يسمعون فيها لغوا) اى فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يمتنع عنه في هذه الدار ما لم يكن (الاسلاما) استثناء منقطع اى لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم وتسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالحال اى لا يسمعون لغوا ما لا سلاما فيحس استحصال كون السلام لغوا استحصال سماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم يوفون فلون من قراع الكتاب اوعلى ان معناه الدعاء بالسلمة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهر وانما افادته الاكرام وقوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وصليا) وارد على عادة التتميم في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم وديوره والا فلا يس فيها بكرة ولا عنى (تلك الجنة)

اتباعه فبقع الدور وأنه باطل (والجواب) عن الاول ان المراد بالهداية بيان الدليل
 وشرحه وايضا حده فبعد هذا عاد السائل فقال انا لانكر انه لا بد من الدلالة ولكني
 اقول الوقوف على تلك الدلالة لا يستفاد الا من له نفس كاملة بعيدة عن القصد والخطأ
 وهي نفس النبي المعصوم او الامام المعصوم فاذا سلمت انه لا بد من النبي في هذا المقصود
 فقد سلمت حصول الغرض اجاب المجيب وقال انا ما سلمت انه لا بد في الوقوف على الدلائل
 من هداية النبي ولكني اقول هذا الطريق اسهل وان ابراهيم عليه السلام دعاه الى
 الاسل وال جواب عن سؤال الدور ان قوله قاتعني ليس امر ايجاب بل امر ارشاد
 (النوع الثالث) قوله يابأت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحن عصيا اي
 لا نطعه لانه حاص لله ففهم بهذه الصفة عن القبول منه لانه اعظم الخصال المنفرة واعلم
 ان ابراهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص لم يذكر من جنائيات الشيطان الا كونه
 حاصيا لله ولم يذكر معاداته لادم عليه السلام كان النظر في عظم ما ارتكبه من ذلك
 العصيان غي فكره واطبق على ذهنه وايضا فان معصية الله تعالى لاتصدر الا عن
 ضعيف الرأي ومن كان كذلك كان حقيقا ان يلفظ الى رايه ولا يجعل لقوله وزن فان
 قيل ان هذا القول يتوقف على اثبات امور (احدها) اثبات الصانع (وثانيها) اثبات
 الشيطان (وثالثها) اثبات ان الشيطان حاص لله (ورابعها) انه لما كان حاصيا لم تجز
 طاعته في شيء من الاشياء (وخامسها) ان الاعتقاد الذي كان عليه ذلك الانسان كان
 مستفادا من طاعة الشيطان ومن شان الدلالة التي تورد على الخصم ان تكون مركبة
 من مقدمات معلومة مسلمة ولعل ابا ابراهيم كان منازعا في كل هذه المقدمات وكيف
 والمحكي عنده انه ما كان يثبت لها سوى ترمود فكيف يسلم بوجود الاله الرحمن واذ لم يسلم
 وجوده فكيف يمكنه تسليم ان الشيطان كان حاصيا للرحن ثم ان على تسليم ذلك فكيف
 يسلم الخصم بمجرد هذا الكلام ان مذهبه مقتبس من الشيطان بل لعله يقلب ذلك على
 خصمه قلنا الحق المعلوم عليها في ابطال مذهب آزر هو الذي ذكره اولام من قوله لم تعبد
 ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفطن عنك شيئا فاما هذا الكلام فيجري مجرى التهويل والتخدير
 الذي يحمله على النظر في تلك الدلالة وعلى هذا التقدير يسقط السؤال (النوع الرابع)
 قوله يابأت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال الفراء معنى
 اخاف اعلم والاكثرون على انه محمول على ظاهره والقول الاول انما يصح لو كان ابراهيم
 عليه السلام عالما بان آباءه سمحوا على ذلك الكفر وذلك لم يثبت فوجب اجزاؤه على
 ظاهره فانه كان يجوز ان يؤمن فيصير من اهل الثواب ويجوز ان يبصر فيموت على الكفر
 فيكون من اهل العقاب ومن كان كذلك كان خاشعا لا قاطعما واعلم ان من بظن وصول
 الضرر الى غيره فانه لا يسمى خاشعا اذا كان بحيث يلزم من وصول ذلك الضرر اليه
 تألم قلبه كما يقال اتأخف على ولدي اما قوله فتكون للشيطان وليا فذكروا في الول

مبتدأ او خبري به لتنظيم شان
 الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم
 الاشارة من معنى البعد لا بد ان
 يبعد منزلها وعلو رتبها (اي
 نور) اي نورها (من عبادنا من
 كان تقيا) اي تقيهم ساعليهم
 يتقواهم وتمعن بها كما يتق على
 الوارث مال مورثه وتمعن به
 والورثة اقوى ما يستعمل في
 تلك والاستحقاق من الالفاظ
 من حيث انها لاتنقب بضمض
 ولا استرجاع ولا بطل وقيل
 يورث لمنفون من الجنة المساكين
 التي كانت لاهل النار لو آمنوا
 وطاعوا زيادة في كرمهم وقرئ
 تورث بالتشديد (وما تنزل
 الا بأس ربك) حكاية لقول
 جبريل حين استبطه رسول الله
 عليهما الصلاة والسلام للمسئل
 عن اصحاب الكهف وذئ
 القرنين والروح فليندر كيف
 مجيب ورجا ان يوصي اليه فيه
 فأبطأ عليه اربعين يوما وحنة
 عشر فشقي ذلك عليه مشقة
 شديدة وقال الشركون ودعبره
 وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله
 عز وجل هذه الآية وسورة
 والنصى والتنزل التزول على
 مهول لانه مطاوع للتزليل وقد
 يطلق على مطلق التزول كما يطلق
 التزليل على الازال والغي وما
 تنزل وكما غب وقت الأأسر
 الله تعالى على ما تفضيه حكته
 وقرئ وما يتزل بالياء والضمير

لأولي (لهما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) وهو ما نحن فيه من الأماكن والأزمنة ولا نتقل من مكان إلى مكان ولا نتزل في زمان دون زمان إلا بأسره ومشيئته (وما كان ربك نسيا) أي أنارك أنك لا يعني أن عدم النزول لم يكن إلا لعدم الأسره بحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديه إليك كازعت الكفرة وفياء قاسم الرب المغرب عن التبليغ إلى الكمسار اللاذق مضاه الرضيمه عليه السلام من تشريفه والإشعار ببعث الحكم مالا ينبغي وقيل أول الآية تحكيمة قول المتقين حين يدخلون الجنة محطبا بعضهم بعضا بطريق التهج والابتهاج والمعنى وما تنزل الجنة إلا بأسره الله تعالى ولطفه وهو مالك الأمور كلها سالفها ومتربها وحاضرها فما وجدناه وما نجد من لطفه رفضه وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى أي وما كان ناسيا لأعمال العبادين وما وعدهم من ثواب عليها وقوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما) أي لا تتخلف النسيان عليه تعالى فإن من يسهو ملكوت السموات والأرض وما بينهما كيف يتصور أن يحوم حول ساحة سبحانه الغفلة والنسيان وهو خير مبتدأ محذوف أو يدل من ربك والغفاه في قوله تعالى

وجوها (أحدها) أنه إذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان في النار والولاية سبب للمعية وإطلاق اسم السبب على المسبب مجاز وإن لم يميز حله على الولاية الحقيقية لقوله تعالى الإخلاء يؤمئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين وقال ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وحكي عن الشيطان أنه يقول لهم أتني كفرت بما أشر كنتموني من قبل واعلم أن هذا الأشكال إنما توجه إذا كان المراد من العذاب عذاب الآخرة أما إذا كان المراد منه عذاب الدنيا فلا شكل ساقط (وثانيها) أن يحمل العذاب على الخذلان أي أتني أخاف أن عمسك خذلان الله فتصير مواليا للشيطان وبيرأ الله منك على ما قال تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (وثالثها) وليا أي تاليا للشيطان تليه كما يسمى المطر الذي يأتي تاليا ولباقان قيل قوله أخاف أن عمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا يقتضى أن تكون ولاية الشيطان أمورا حالا من العذاب نفسه وأعظم لها السبب لذلك والجواب أن رضوان الله تعالى أعظم من الثواب على ما قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فوجب أن تكون ولاية الشيطان التي هي في مقابلة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم واعلم أن إبراهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن لأنه نبه أولا على ما يدل على المنع من عبادة الأوثان ثم أمره بالتباعد في النظر والاستدلال وترك التقليد ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الخارج عن الأقدام على ما لا ينبغي ثم أنه عليه السلام أورد هذا الكلام الحسن مقرونا باللطف والرفق فإن قوله في مقدمة كل كلام يثبت دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وأرشده إلى الصواب وختم الكلام بقوله أتني أخاف وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصلحه وانما قيل ذلك لوجوه (أحدها) قضاء الحق الأبوة على ما قال تعالى وبالوالدين أحسانا والارشاد إلى الدين من أعظم أنواع الاحسان فإذا انضاف إليه رعاية الأدب والرفق كان ذلك نورا على نور (وثانيها) أن الهدى إلى الحق لا بد وأن يكون رفيقا لطيفا بورد الكلام لأعلى سبيل العنف لأن إرادته على سبيل العنف بصير كالسبب في أعراض السميع فيكون ذلك في الحقيقة سعياف في الأقواء (وثالثها) ما روى أبو هريرة أنه قال عليه السلام أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أنك خلقتي لحسن خلقك ولومع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كنتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشى وأن أسكنه حظيرة قدسي وأدنيه من جوارى والله أعلم **❦** قوله تعالى (قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجنك) وأهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربني أنت كان نبيا حقا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوربي عسى ألا أكون بدما ربني شقيا) أعلم أن إبراهيم عليه السلام لما دعا أباه إلى التوحيد وذكر الدلالة على فساد عبادة الأوثان وأردف تلك الدلالة بالوعظ البليغ وأورد كل ذلك مقرونا باللطف والرفق فإنه

ابوه بحواب يضاد ذلك فقال حجته بالتقليد فانه لم يذكر في عقابته حجته الاقوله اراغب
 أنت عن آلهي يا ابراهيم فأصر على ادعاء الهيتها جهلا وتقليدا وقابل وعظه بالسفاهة
 حيث هده بالضرب والشم وقابل رقه في قوله يأتى بالنسف حيث لم يقل له يأتى بل قال
 يا ابراهيم وانما حكى الله تعالى ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم ليخفف على قلبه ما كان يصل
 اليه من أذى المشركين فيعلم ان الجهال منذ كانوا على هذه السيرة المذمومة اما قوله
 اراغب أنت عن آلهي يا ابراهيم فان كان ذلك على وجه الاستفهام فهو خذلان لانه قد
 عرف منه ماتكر منه من وعظه وتبنيه على الدلالة وهو يفيد انه راغب عن ذلك أشد
 رغبة فائدة هذا القول وان كان ذلك على سبيل التعجب فأى تعجب في الاعراض عن
 حجة لا فائدة فيها وانما التعجب كله من الاقدام على عبادتها فان الدليل الذي ذكره
 ابراهيم عليه السلام كما انه يبطل جواز عبادتها فهو يفيد التعجب من ان العاقل كيف
 يرضى بعبادتها فكان أباه قابل ذلك التعجب الظاهر المبني على الدليل بتعجب فامد غير
 مبني على دليل وشبهة ولا شك ان هذا التعجب جدير بأن يتعجب منه اما قوله لنن لم تنه
 لا ترجنك واهجرني مليا فیه مسائل (المسئلة الاولى) في الارجم ههنا قولان (الاول) انه
 الارجم باللسان وهو الشتم والذم ومنه قوله والذين يزعمون المحصنات اى بالشم ومنه
 الارجم اى المرحى بالعين قال مجاهد الارجم في القرآن كله بمعنى الشتم (والثاني) انه الارجم
 باليد على هذا التقدير ذكره واجوها (احدها) لا ترجنك باظهار أمرك لئلا يرجوك
 ويقتلوك (وثانيها) لا ترجنك بالجماعة لئلا تعادعني (وثالثها) عن المؤرج لا تقتلك بلغة
 قريش (ورابعها) قال ابو مسلم لا ترجنك المراد منه الارجم بالجماعة الا انه قد يقال ذلك
 في معنى الطرد والابعاد اتساعا ويدل على انه اراد الطرد قوله تعالى واهجرني مليا واعلم
 ان اصل الارجم هو الرمي بالرجام فجملة عليه اولي فان قيل فما يدل قوله تعالى واهجرني مليا
 على ان المراد به الارجم بالشم قلنا لا وذلك لانه هده بالرجم ان يبق على قربه منه وامره
 أن يعدهر بها من ذلك فهو في معنى قوله واهجرني مليا (المسئلة الثانية) في قوله تعالى
 واهجرني مليا قولان (احدهما) المراد واهجرني بالقول (والثاني) بالمفارقة في الدار
 والبلد وهي هجرة الرسول والمؤمنين اى تباعد عني لكي لا اراك وهذا الثاني اقرب الى
 الظاهر (المسئلة الثالثة) في قوله مليا قولان (الاول) مليا اى مدة بعيدة مأخوذة من
 قولهم اتي على فلان ملاوة من الدهر اى زمان بعيد (والثاني) مليا بالذهاب عني
 والهجران قبل ان تختنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح يقال فلان ملي بكذا اذا كان
 مطبقا له مضطجعا به (المسئلة الرابعة) عطف واهجرني على معطوف عليه محذوف فبدل
 عليه لا ترجنك اى فاحذرنى واهجرني لئلا ارجنك ثم ان ابراهيم عليه السلام لماسمع من
 أبه ذلك اجاب بأمرين (احدهما) انه وعد التباعد منه وذلك لان أباه لسا امره بالتباعد
 اظهر الاشارة لذلك الامر وقوله سلام عليك توادع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمال

(فاعبده واصطبر لعبادته)
 لوتيب ما يبسدها من موجب
 الامرين على ما قبلها من كونه
 تعالى رب السموات والارض
 وما بينهما وقيل من كونه تعالى
 غير تارك له عليه السلام او غير
 ناس لاعمال العالين والمعنيين
 عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية
 الكائنة فاعبده الخ قال اجاب
 بهرقة تعالى كذلك لعبادته ما
 لا رب فيه اوحين عرفت انه
 تعالى لا يبدك ولا ينسئ اعمال
 العالين كاشا من كان فاقبل
 على عبادته واصطبر على مناهها
 ولا تحزن بابطاء الوحي وهزم
 لكفرة فانه يرايتك ورايتك
 ويلطف بك في الدنيا والآخرة
 وتعدية الاصطبار بالا لا يحعرف
 الاستسلامة في قوله تعالى واصطبر
 عليها لتضيئه معنى الثبات للعبادة
 فيما تورده عليه من الشدة
 والمث في كقولك للبارئ اصطبر
 لقرنك اى اثبت له فيما يورد عليك
 من شدته (هل تعلمه سبحانه) السمي
 هو الشريك في الاسم ولفظ ابراهيم
 براديه ههنا الشريك في اسم خاص
 قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب
 السموات والارض وما بينهما
 والمراد بانكار العالم ونفيه نكار
 العلوم ونفيه على ابلغ وجهه
 وأكده ما لعله تقرير لما افاده الفاء
 من علقه بربيه العامة ولو جوب
 عبادته بل لو جوب تخصصها به
 تعالى ببيان استقلاله عز وجل

ولكم اعمالكم سلام عليكم لا ينبغي الجاهلين واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز مشاركة المنصوح اذا ظهر منه اللجاج وعلى انه تحسن مقابلة الاساءة بالاحسان ويجوز ان يكون قد دعاه بالسلامة استمالة له لا ترى انه وعده بالاستغفار ثم انه لما ودع بقوله سلام عليك ضم الى ذلك ما دل به على انه وان بعد عنه فاشفاقه باق عليه كما كان وهو قوله سأستغفر لك ربى واحجج بهذه الآية من طعن في عصمة الانبياء وتقريره ان ابراهيم عليه السلام فعل ما لا يجوز لانه استغفر لآبيه وهو كافر والاستغفار للكافر لا يجوز ثبت بمجموع هذه المقدمات ان ابراهيم عليه السلام فعل ما لا يجوز انما قلنا انه استغفر لآبيه لقوله تعالى حكاية عن ابراهيم سلام عليك سأستغفر لك ربى وقوله واغفر لآبى انه كان من الضالين وأما ان آباءه كان كافرا فذلك بنص القرآن وبالإجماع وأما ان الاستغفار للكافر لا يجوز فلو جهن (الاول) قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين (الثاني) قوله في سورة المجنة قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله لا تستغفرون لك وامر الناس الا في هذا الفعل فوجب ان يكون ذلك معصية منه والجواب لاتزاع الا في قولكم الاستغفار للكافر لا يجوز فان الكلام عليه من وجوه (احدها) ان القطع على ان الله تعالى يعذب الكافر لا يعرف الا بالسمع ففعل ابراهيم عليه السلام لم يجد في شرعه ما يدل على القطع بعذاب الكافر فلا جرم استغفر لآبيه (وثانيها) ان الاستغفار قديم يكون بمعنى الاستمالة كما في قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله والمعنى سأسأل ربى ان لا يخزبك بكفرك ما كنت حيا بعذاب الدنيا المجل (وثالثها) انه عليه السلام انما استغفر لآبيه لانه كان يرجو منه الايمان فلما أس من ذلك ترك الاستغفار ولعل في شرعه جواز الاستغفار للكافر الذى يرجو منه الايمان والدليل على وقوع هذا الاحتمال قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم انه اصحاب الجحيم فبين ان المنع من الاستغفار انما يحصل بعد ان يعرفوا انهم من اصحاب الجحيم ثم قال بعد ذلك وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فدلّت الآية على انه وعده بالاستغفار لو آمن فلما لم يؤمن لم يستغفر له بل تبرأ منه فان قيل فاذا كان الامر كذلك فلمنعنا من التأسى به في قوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الاقول ابراهيم لآبيه لاستغفر لك قلنا الآية تدل على انه لا يجوز لنا التأسى به في ذلك لكن المنع من التأسى به في ذلك لا يدل على ان ذلك كان معصية فان كثيرا من الاشياء هي من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا التأسى به مع انها كانت مباحة له عليه السلام (ورابعها) لعل هذا الاستغفار كان من باب ترك الاولى وحسنات الابرار سيما المقرين اما قوله انه كان في حفاى اطيفا رفيقا يقال أحق فلان في المسئلة بفلان اذا ظفبه وبالغ في الرفق ومنه قوله تعالى ان يسألكموها

بذلك الاسم واشتاء اخلاقه على الغير بالكيفية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في التكبر قام يسوا الصم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالعنى هل تعلم شيئا يسمى بالاستحقاق الهاء اما التسمية على الباطل فهى كالتسمية بتقريب الجهة لوجوب العبادة حيثئذ باعتبار ما في السمين الكريم من الاشعار يستحق العبادة فتدبر) ويقول الانسان المراد به اما الجنس بأسره واستناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلا نأنا القاتل واحد منهم واما البعض اليهود منهم وهم الكفرة واوى بن خلف فانه اخذ عظاما بالية فلقها وقال يزعم محمد اننا نبعث بعد ما موت ونصبر الى هذه الحال اى يقول بطريق الانكار والاستبعاد (اذا ماتت لسوف اخرج حيا اى ايبس من الارض او من حال الموت وتقدم الطرف وايلأوه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة واتصاه بفعل دل عليه اخرج لآبه فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهى ههنا مختصة

فكيفكم تبخلوا اى وان لطفت المسئلة والمراد انه سبحانه اللطيف والنعمة على عودنى
 الاجابة فاذا استغفرت لك حصل المراد فكأنه جعله بذلك على يقين انه هو تاب
 بحصله لغفران (الجواب الثانى) من الجوابين قوله واعتزل لكم واما دعون من دون
 الله الاعتزال الشئ هو التباعد عنه والمراد انى افارقكم فى المكان وافارقكم فى
 طريقكم ايضا وابعد عنكم واتشغل بعبادة ربى الذى ينفع ويضر والذى خلقنى
 وانعم على فانكم بعبادة الاصنام سالكون طريقه الهلاك فواجب على مجانبكم ومعنى
 قوله عسى ان لا اكون بداء ربى شقيا ارجو ان لا اكون كذلك وانما ذكر ذلك
 على سبيل التواضع كقوله والذى اطعم ان يغفر لى خطيئى يوم الدين واما قوله شقيا
 مافيه من التواضع لله فبعبادة تريض بشقاوتهم فى دعاء آلهتهم على ماقرره اولافى قوله
 لم تعد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا * قوله تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون
 الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان
 صدق عليا) اعلم انه ما حصر على الله احد فان ابراهيم عليه السلام لما اعتزلهم فى دينهم
 وفى بلدهم واختار الهجرة الى ربه الى حيث امره لم يضره ذلك دينا ودنيا بل نفعه
 فعوضه اولاد ابناء ولا حلة فى الدين والدنيا للبشر ارفع من ان يجعل الله له رسولا
 الى خلقه ويلزم الخلق طاعته والافتقار له مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة فى الآخرة
 فصار جعله تعالى اياهم انبياء من اعظم النعم فى الدنيا والآخرة ثم بين تعالى انه مع
 ذلك وهب لهم من رحته اى وهب لهم مع النبوة ما وهب ويدخل فيه المال والجاه
 والاتباع والنسل الطاهر والذرية الطيبة ثم قال وجعلنا لهم لسان صدق عليا لسان
 الصدق الشاه الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يعطى باليد وهو
 العطية واستجاب الله دعوته فى قوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين فصيره قدوة
 حتى ادعاه اهل الايمان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابراهيم ثم اوحينا اليك ان اتبع
 ملة ابراهيم حنيفا قال بعضهم ان الخليل اعتزل عن الخلق على ما قال واعتزل لكم وما
 تدعون من دون الله فلا جرم بارك الله فى اولاده فقال ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا
 جعلنا نبيا (وثانيها) انه تبرأ من ابيه فى الله تعالى على ما قال فلما تبرأ منه عدوه لى تبرأ منه
 ان ابراهيم لاواه حلیم لاجرم ان الله سماه ابا المسلمين فقال ملة ابيكم ابراهيم (وثالثها)
 تل ولده للجبين ليدبجه على ما قال فلما سلوا تله للجبين لاجرم فداء الله تعالى على ما قال
 وفديناه بذبح عظيم (ورابعها) اسلم نفسه فقال اسلمت لرب العالمين فجعل الله تعالى النار
 عليه بردا وسلاما فقال فلما باركوا فى بردا وسلاما على ابراهيم (وخامسها) اشفق على هذا
 الامة فقال ربنا وابت فيهم رسولا منهم لاجرم اشركه الله تعالى فى الصلوات الحسنى كما
 صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم (وسادسها) فى حق سارة فى قوله وابراهيم
 الذى وفى لاجرم جعل موطن قدميه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى (وسابعها)

التوكيد مجردة من معنى الحال كما
 خلصت المهمة واللام للتوحيش
 فى بالله فساغ اقترانها بحرف
 الاستقبال وقرئ اذا ماتت بهمة
 واحدة مصكسورة على الخبر
 (اولا يذكر الانسان) من الذكر
 الذى يراد به التفكير والافعال
 فى موقع الاخبار لزيادة التقرير
 والاشعار بان الانسانية من
 دواى التفكير فيما جرى عليه من
 شؤن التكوين المضيئة بالقلع عن
 القول المذكور وهو السر فى
 استناده الى الجنس الى الالفرد
 بذلك العنوان والمهمة للاشارة
 التوجيهية والواو لطف اللمحة
 المنفية على مقدريدل عليه يقول
 اى يقول ذلك ولا يذكر
 (ا) اخلافتنا من قبل (اى من قبل
 الحالة التى هو فيها وحالة بقائه
 ولم يك شيئا) اى والحال انه لم يكن
 حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه
 وهو فى تلك الحالة المنافية للخلق
 بالكلية مع كونه الجدم من الوقوع
 فلا ننسجه بجمع المواد المتفرقة
 ويجاد مثل ما كان فيها من
 الاعراض اولى واظهر لخاله
 لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من
 التكبر وقرئ يذكر ويتذكر على
 الاصل (فوزبك) اقسامه باسمه
 عزت اسماءه مصافالى خير عليه
 السلام لتحقيق الامر بالاشعار
 بعليته وتفعي شانه عليه الصلاة
 والسلام ورفع منزلته (نحشهم)
 ليجتمع القائلين بالسوق الى

عادي كل الخلق في الله فقال فانهم عدولي الارب العالمين لاجرم اتخذه الله خليلا على ما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا يعلم صحة قولنا انه ما خسر على الله احد (القصة الرابعة) قصة موسى عليه السلام * قوله تعالى (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ونادياه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا وهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا اعلم انه تعالى وصف موسى عليه السلام بأمر (أحدها) انه كان مخلصا فاذا قرئ بفتح اللام فهو من الاصطفاء والاجتهاد كان الله تعالى اصطفاه واستخلصه واذا قرئ بالكسر فمعناه اخلص الله في التوحيد في العبادة والاخلاص هو القصد في العبادة الى ان يعبد المعبود بها وحده ومتى ورد القرآن بقرائنين فكل واحدة منهما ثابت مقطوع به فعمل الله تعالى من صفة موسى عليه السلام كلا الامرين (وثانيها) كونه رسولا نبيا ولا شك انهما وصفان مختلفان لكن المعتزلة زعوا كونهما متلازمين فكل رسول نبي وكل نبي رسول ومن الناس من انكر ذلك وقبينا الكلام فيه في سورة الحج في قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (وثالثها) قوله تعالى ونادياه من جانب الطور الايمن من اليمين اي من ناحية اليمين والايمن صفة الطور والجانب (ورابعها) قوله وقربناه نجيا ولما ذكر كونه رسولا قال وقربنا نجيا وفي قوله قربناه قولان (أحدهما) المراد قرب المكان عن ابي العالية قربه حتى سمع صرير القم حيث كتبت التوراة في الألواح (والثاني) قرب المنزلة اي رفعا قدره وشرفا بالمناجاة قال القاضي وهذا أقرب لان استعمال القرب في الله قد صار بالتعارف لا يراد به الا المنزلة وعلى هذا الوجه يقال في العبادة تقرب ويقال في الملائكة عليهم السلام انهم مقربون واما نجيا فقبل فيه انجسائه من أعدائه وقبل هو من المناجاة في المحامدة وهو اولى (وخامسها) قوله وهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان هرون عليه السلام اكبر من موسى عليهما السلام وانما وهب الله له نبوته لاشخصه واخوته وذلك اجابة لدعائه في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون أخى اشد به ازرى فأجابه الله تعالى اليه بقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وقوله سنشدك بأخيك (القصة الخامسة) قصة اسمعيل عليه السلام * قوله تعالى (واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) اعلم ان اسمعيل هذا هو اسمعيل ابن ابراهيم عليهما السلام واعلم ان الله تعالى وصف اسمعيل عليه السلام بأشياء (اولها) قوله انه كان صادقا الوعد وهذا الوعد يمكن ان يكون المراد فيما بينه وبين الله تعالى ويمكن ان يكون المراد فيما بينه وبين الناس (اما الاول) فهو ان يكون المراد انه كان لا يخالف شيئا مما يؤمر به من طاعة ربه وذلك لان الله تعالى اذا أرسل الملك الى الانبياء وأمرهم بتأدية الشرع فلا بد من ظهور وعد منهم يقتضي القيام بذلك ويدل على القيام بسائر

الشر بعد ما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه وأكثره كما نعلم واضح على من التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاحوال (والشياطين) معطوف على الضمير المنصوب او معول وهو روي ان الكفرة يحشرون مع قرانهم من الشياطين التي كانت تفويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبتها الى المجلس باعتبار انهم لا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول الى الحق اليمع كون القائل بعض افراده ثم لخصهم حول جهنم جيشا ليري السعداء ما يناهز الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما دحروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشاعتهم بهم والجنى جميعا من جيشا اذا قعد على ركبته واصله جثو وبرواوين فاستقل اجتماعهما بعد ختتين فكسرت الشياطين فالتفتت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرئ بعضها

ما يخصه من العبادة (وأما الثاني) فهو انه عليه السلام كان اذا وعد الناس بشئ انجز وعده والله تعالى وصفه بهذا الخلق الشريف وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه وعد صاحبه ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وايضا وعده نفسه الصبر على الذبح فوفي به حيث قال سيجدي ان شاء الله من الصابرين وروى ان عيسى عليه السلام قال له رجل انتظرنى حتى آتيك فقال عيسى عليه السلام نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد فجاء حاجة الى ذلك المكان وعيسى عليه السلام هنالك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اى وقت ينتظره فقال ان واعده نهارا فكل النهار وان واعده ليلا فكل الليل وسئل ابراهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا واعده في وقت الصلاة فانتظره الى وقت صلاة اخرى (وثانيها) قوله وكان رسولا نبيا وقدم تفسيره (وثالثها) قوله وكان بأمر اهله بالصلاة والزكاة والاقترب في الاهل ان المراد به ان يلزمه ان يؤدى اليه الشرع فيدخل فكل امته من حيث لزمه في جميعهم ما يلزم المروة في اهله خاصة هذا اذا جمل الامر على المفروض من الصلاة والزكاة فان جمل على التنب فيها كان المراد انه كما كان يمجده بالليل بأمر اهله اى من كان في داره في ذلك الوقت بذلك وكان نظره لهم في الدين يغلب على شقيقه عليهم في الدنيا بخلاف ما عليه اكثر الناس وقبل كان يبدأ بأهله في الامر بالصلاح والعبادة ليعلمهم قدوة لمن سواهم كما قال تعالى وانذر عشيرتلك الاقربين وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها قوا انفسكم واهليكم نارا وايضا فهم احق ان تصدق عليهم فوجب ان يكونوا بالاحسان الدينى اولى فأما الزكاة فمن ابن عباس رضي الله عنهما انها طاعة الله تعالى والاخلاص فكانه تأوله على ما يزكوه الفاعل عند ربه والظاهر انه اذا قرنت الزكاة الى الصلاة ان يراد بها الصدقات الواجبة وكان يعرف من خاصة اهله ان يلزمهم الزكاة فيأمرهم بذلك او يأمرهم ان يتبرعوا بالصدقات على الفقراء (ورابعها) قوله وكان عند ربه مرضيا وهو في نهاية المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعاته بأعلى الدرجات (القصة السادسة) قصة ادريس عليه السلام عليه السلام قوله تعالى (واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفقناه مكانا عليا) اعلم ان ادريس عليه السلام هو جد ابى نوح عليه السلام وهو نوح بن لك بن متوشلخ بن اخنوخ قيل سمى ادريس لكثرة دراسته واسمه اخنوخ ووصفه الله تعالى بأمر (احدها) انه كان صديقا (وثانيها) انه كان نبيا وقد تقدم القول فيها (وثالثها) قوله ورفقناه مكانا عليا وفيه قولان (احدهما) انه من رفعة المنزلة كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ورفقناك ذكرك فان الله تعالى شرفه بالنبوة واتزل عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خط الثياب ليسها وكانوا يلبنون الجلود (الثاني) ان المراد به الرفعة في المكان الى موضع عال وهذا اولى لان الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة

وفضه على الحالية من الصغير البارز الى الحضرة منهم حول جهنم جاثين على ركبهم ما يدهمهم من هول المطلع اولاته من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاويل وان كان المراد بالانسان الكفرة قطعهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانه بهم اولعجزهم عن القيام لا اعتراهم من الشدة (ثم لننزع من كل شيعة) اى من كل امة شاعت دينان الاديان (ايهم) اشد على الرحمن عتيا) اى من كان منهم اعصى واعق فطرحتهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالتمى انما يميز من كل طائفة منهم اعصاهم فأعصاهم واعتابهم فأعتابهم فطرحتهم في النار على الترتيب او ندخل كل منهم طبقها اللائقة به وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب جملا على كل ويض للزوم الاضافة واذ حذف صدر صلتته زاد نقصه فعد الى حقه ومنصوب المحل ينزع ولذلك قرئ منصوبا وروى عن غيره بالابتداء على انه استغنى وخبره أشد والجملة

في المكان لافي الدرجة ثم اختلفوا فقال بعضهم ان الله رفعه الى السماء والى الجنة وهو حي لم يمت وقال آخرون بل رفع الى السماء وقبض روحه سأل ابن عباس رضى الله عنهما كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا قال جاء خليل له من الملائكة فساء له حتى يكلم ملك الموت حتى يؤخر قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به الى السماء فلما كان في السماء الرابعة فاذا ملك الموت يقول بعثت وقيل لى قبض روح ادريس في السماء الرابعة وانا اقول كيف ذلك وهو في الارض فالتفت ادريس فراه ملك الموت فقبض روحه هنالك واعلم ان الله تعالى انما مدحه بأن رفعه الى السماء لانه جرت العادة ان لا يرفع اليها الا من كان عظيم القدر والمثالة ولذلك قال في حق الملائكة ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وههنا آخر القصاص * قوله تعالى (اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتنبنا اداتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) اعلم انه تعالى اثنى على كل واحد من تقدم ذكره من الانبياء بما يخصه من التمام ثم جمعهم آخرا فقال اولئك الذين انعم الله عليهم اى بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه واولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن ذكرى الى ادريس ثم جمعهم في كونهم من ذرية آدم ثم خص بعضهم بأنه من ذرية من حمل مع نوح والذي يختص بأنه من ذرية آدم دون من حمل مع نوح هو ادريس عليه السلام فقد كان سابقا على نوح على ما ثبت في الاخبار والذين هم من ذرية من حمل مع نوح هو ابراهيم عليه السلام لانه من ولد سام بن نوح واسماعيل واسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم ثم خص بعضهم بانهم من ولد اسرائيل اى يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من قبل الام فرتب الله سبحانه وتعالى احوال الانبياء عليهم السلام الذين ذكرهم على هذا الترتيب منها بذلك على انهم كفصلوا بأعمالهم فلهم مزيد في الفضل بولادتهم من هؤلاء الانبياء ثم بين انهم ممن هدىنا واجتنبنا منهم بذلك على انهم اختصوا بهذه المنازل لهداية الله تعالى لهم ولانه اختارهم للرسالة ثم قال اذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا تلى عليهم اى على هؤلاء الانبياء فين تعالى انهم مع نعم الله عليهم قد بلغوا الحد الذى عند تلاوة آيات الله يخرون سجدا وبكيا خضوعا وخشوعا وحذرا وخوفا والمراد بآيات الله ما خصهم الله تعالى به من الكتب المثالة عليهم وقال ابو مسلم المراد بالآيات التى فيها ذكر العذاب المنزل بالكفار وهو بعد لان سائر الآيات التى فيها ذكر الجنة والنار الى غير ذلك اولى ان لا يسجدوا عند موبكوا فيجب جلوس على كل آية تلى مما يتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب لان كل ذلك اذا فكر فيه المتفكر صح ان يسجد عنده وان يبكى واختلفوا قال بعضهم في السجود دانه الصلاة وقال بعضهم المراد سجود التلاوة على حسب ما تعبدنا به وقيل المراد الخضوع والخشوع والظاهر يقتضى سجودا مخصوصا عند التلاوة ثم يحتمل ان يكون المراد سجود التلاوة

ممكنة والتقدير لنترعن من كل شعبة الذين يقال لهم ايهام اشد او معلق عنها لنترعن لتضمن معنى التثنية اللازم للعلم او مستأنفة والفعل واقع على كل شعبة على زيادة من او على معنى لنترعن من كل شعبة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى البيان فيتملى بمحذوف كان سائلا قال على من عتوا قيل على الرحمن او متعلق باقبل وكذا الباء في قوله تعالى (ثم لئن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) اى هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وبأشدهم اختيار رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لفضلهم واصلاتهم والصلى كاللقى صيغة واصلا لا وقرئ بضم الصاد (وان منكم) الثقات لاظهار مزيد الاعتناء بعضهم الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير الثقات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم اى منكم ايها الانسان (الا وادها) اى واصليها وحاضر دوتها يعربها المؤمنون وهى خادمة وتتهار بديرهم وعن جابر بنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وعدوها وهى خادمة واما قوله تعالى اولئك عنها معبدون فالمراد به الابعاد عن عذابها

للقرآن ويحتمل أنهم عند الخوف كانوا قد تعبدوا بالسجود فيقولون ذلك لا لاجل ذكر السجود في الآية قال الزجاج في بكيا جمع بك مثل شاهد وشهود وقاعدو قعود ثم قال الانسان في حال خروره لا يكون ساجدا فالمراد خروا مقدرين للسجود ومن قال في بكيا انه مصدر فقد اخطأ لأن سجدا جمع ساجد وبكيا معطوف عليه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فبكاكوا وعن صالح المري قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تجعلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن تزل بحزن فاقروا بحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فرورت عين به بماء الا حرم الله على النار جسدها وعن ابي هريرة رضي الله عنه لا يلج النار من بكى من خشية الله وقال العلماء بدعوى سجد السجود التلاوة بما يليق بها فان آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدي واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ هذه السجدة قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتمدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آيات كتابك * قوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الامن تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَبْطُلُونَ شَيْئًا) اعلم انه تعالى لما وصف هؤلاء الانبياء بصفات المدح ترغيبا لنا في التأمي بطريقهم ذكر بعدهم من هو بالصد منهم فقال فخلف من بعدهم خلف وظاهر الكلام ان المراد من بعد هؤلاء الانبياء خلف من اولادهم بقول خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا وعدي ضمان الخيرو وعيدي في ضمان الشر وفي الحديث في الله خلف من كل هالك وفي الشعر البید

ذهب الذين يعاش في اكنافهم * وبقيت في خلف بكلد الاجرب

ثم وصفهم باضاعة الصلاة واتباع الشهوات فاضاعة الصلاة في مقابلة قوله خروا وسجدا واتباع الشهوات في مقابلة قوله وبكيا لان بكاء بهم يدل على خوفهم واتباع هؤلاء لشهواتهم يدل على عدم الخوف لهم وظاهر قوله اضاعوا الصلاة تركوها لكن تركها قد يكون بأن لا تتعل اصالا وقد يكون بأن لا تتعل في وقتها وان كان الاظهر هو الاول واما اتباع الشهوات فقال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب واحبب بعضهم بقوله الامن تاب وآمن على ان تارك الصلاة كافر واحبب اصحابنا بها في ان الايمان غير العمل لانه تعالى قال وآمن وعمل صالحا فخطف العمل على الايمان والمطوف غير المعطوف عليه اجاب الكبي عنة بانه تعالى فرق بين التوبة والايمان والتوبة من الايمان فكذلك العمل الصالح يكون

وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها (كان) اي ورودهم اياها (على ربك حتما مقضيا) اي امرها حتما واجبه الله عن وجل على ذاته وقضى انه لا بد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه (ثم تنهى الذين اتقوا) الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرئ تنهى بالتخفيف وينهى وينهى على البناء لقول وفري نعمة تنهى بفتح الناء اي هناك نعيمهم (ونذر الظالمين) بالكفر والمعاصي (فيها جثيا) منهار بهم كما كانوا قبل فيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حولها وان المؤمنين يشارقون الفجر بعد نجاتهم حولها ويلي الفجرة فيها على هياتهم وقوله تعالى (واذا نزل عليهم) الآية الى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليه فطاعة حالهم ووخاسة ما لهم اي واذا نزلت على المشركين (آياتنا) التي من جعلها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى (بينات) اي مراتل الالفاظ بينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول عليه الصلاة والسلام او بينات الابهان حال مؤكدة من آياتنا (قال الذين كفروا) اي قالوا

من الايمان وان فرق بينهما وهذا الجواب ضعيف لان عطف الايمان على التوبة يقتضى وقوع المقارنة بينهما لان التوبة عزم على الترك والايمان اقرار بالله وهما متغايران فكذلك في هذه الصورة ثم بين تعالى ان من هذه صفته يلقون غيا ذكروا في النقي وجوها (احدها) ان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال الشاعر
 فمن يلقى خيرا يحمد الناس امره * ومن يقول لا بعدم على الغي لا ثما

(وثانيها) قال الزجاج يلقون غيا اي يلقون جزاءه الذي كقولہ تعالى يلقى انما اي مجازاة الآثام (وثالثها) غيا عن طريق الجنة (ورابعها) الغي واد في جهنم يستعبد منه اوديتها والوجهان الاولان اقرب فان كان في جهنم موضع يسمى بذلك جازوا لا يخرج من ان يكون المراد ما قدمنا لانه المعقول في اللغة ثم بين سبحانه ان هذا الوعيد فيمن لم يتب وامان تاب وآمن وعمل صالحا فلهم الجنة لا يلحقهم ظلم وهناك سؤالات (الاول) الاستثناء دل على انه لا بد من التوبة والايمان والعمل الصالح وليس الامر كذلك لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة او كانت المرأة حائضا فانه لا يجب عليها الصلاة الزكاة ابضا غير واجبة وكذا الصوم فهنا لومات في ذلك الوقت كان من اهل النجاة مع انه لم يصدر عنه عمل فلم يحز توقف الاجر على العمل الصالح والجواب ان هذه الصورة نادرة والمراد منه الغالب (السؤال الثاني) قوله ولا يظنون شيئا هذا انما يصح لو كان الثواب مستحقا على العمل لانه لو كان الكل بالفضل لاستحال حصول الظلم لكن من مذهبكم انه لا يستحق للعبد بعمله الا بالوعد الجواب انه لما شبهه اجري على حكمه ع قوله تعالى (جنات عدن التي وعد الرحمن عبادہ بالغيب انه كان وعده مايبا لا يعمون فيها لغوا

الاسلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشا تلك الجنة التي نورت من عبادنا من كان تقيا) اعلم انه تعالى لما ذكر في التائب انه يدخل الجنة وصف الجنة بأمر (احدها) قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عبادہ بالغيب والعدن الاقامة وصفها بالدوام على خلاف حال الجنان في الدنيا التي لا تدوم ولذلك فان حالها لا يتغير في مناظرها فليست كجنان الدنيا التي حالها يختلف في خضرة الورق وظهور النور والثر وبين تعالى انها وعد الرحمن لعباده واما قوله بالغيب فقيه وجهان (احدهما) انه تعالى وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها (والثاني) ان المراد وعد الرحمن للذين يكونون عبادا بالغيب اي الذين يعبدونه في السر بخلاف المنافقين فانهم يعبدونه في الظاهر ولا يعبدونه في السر وهو قول ابي مسلم (والوجه الاول) أقوى لانه تعالى بين ان الوعد منه تعالى وان كان بأمر غائب فهو كأمره مشاهد حاصل فلذلك قال بعده انه كان وعده مايبا ما قوله مايبا قيل انه مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأثونها قال الزجاج كل ما وصل اليك فقد وصلت اليوم ما تالك فقد اتيت والمقصود من قوله انه كان وعده مايبا بيان ان الوعد منه تعالى وان كان بأمر غائب فهو كأمره مشاهد وحاصل والمراد تقرير ذلك

وموضع الموصول موضع الضمير لتبيينه على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له اوقال الذين مردوا منهم على الكفر ومنواعي الفتوى والعدا وهم الذين حرث واتباعه الغيرة والام في قوله تعالى (الذين آمنوا) للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم ليس وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاول لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق بقوله تعالى (اي الذين آمنوا) اي المؤمنين والكافرين كائهم قالوا ايضا (خير) نحن او اتم (مقاما) اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومثلا (واحسن نديا) اي مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهونها ويطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يقولون ذلك للفقراء المؤمنين بر يدون بذلك ان خيرتهم حالوا احسنهم مثالا مما لا يقبل الانتكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو العيار على الفعل والنقصان والرفعة والشفعة وان من ضرورته هو ان المؤمنين عليه تعالى لتصور عظمه العاجل وما هذا

في القلوب (وثانيها) قوله لا يسمعون فيها لقوا الاسلاما واللغو من الكلام ما سيبدله ان يلغى
و يطرح وهو المنكر من القول ونظيره قوله لا تسمع فيها لاغية وفيه تنبيه ظاهر على
وجوب تجنب اللغو حيث نزه الله تعالى عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله
واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم سلام عليكم لا ينبغي الجاهلين اما قوله الاسلاما فقيه بحثان (الاول) ان فيه
اشكالا وهو ان السلام ليس من جنس اللغو فكيف استثنى السلام من اللغو والجواب
عنه من وجوه (احدها) ان معنى السلام هو الدماء بالسلامة واهل الجنة لا حاجة بهم الى
هذا الدماء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام
(وثانيها) ان يحتمل ذلك على الاستثناء المنقطع (وثالثها) ان يكون هذا من جنس قول
الشاعر

ولا يعب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

(البحث الثالث) ان ذلك السلام يحتمل ان يكون من سلام بعضهم على بعض او من تسليم
الملائكة او من تسليم الله تعالى على ما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فثم عقي الدار وقوله سلام قولان من رب رحيم (ورابعها) قوله
تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وفيه سؤالان (السؤال الاول) ان المقصود من هذه
الايات وصف الجنة بأحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور
المستعظمة والجواب من وجهين (الاول) قال الحسن اراد الله تعالى ان يرغب كل قوم
بما حبه في الدنيا ولذلك ذكر اساور من الذهب والفضة وليس الحرير التي كانت عادة
العجم والارائك التي هي الجبال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة اشراف العرب
في الجن ولا شيء كان احب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك (الثاني) ان
المراد دوام الرزق كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الدوام
ولا تقصد الوقتين المعلومين (السؤال الثاني) قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهرا
وقال عليه السلام لا صباح عند ربك ولا مساء وبكرة والعشى لا يوجد ان الاعند
وجود الصباح والمساء (والجواب) المراد انهم يأكلون عند مقدار الغداء والعشى الا انه
ليس في الجنة غدوة وعشى اذ لا ليل فيها ويحتمل ما قبل انه تعالى جعل لقدر اليوم علامة
يعرفون بهما مقادير الغداة والعشى ويحتمل ان يكون المراد لهم رزقهم متى شاؤا كما حرت
العادة في الغداة والعشى (وخامسها) قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا
وفيها ابناح (الاول) قوله تلك الجنة هذه الاشارة انما صححت لان الجنة غائبة (وثانيها)
ذكر وافي نورث وجوها (الاول) نورث استعارة اي نقي عليه الجنة كما نقي على الوارث
مال المورث (الثاني) ان المراد اننا نقل تلك المنازل لمن لو اطاع لكانت له الى عبادنا الذين
اتقوا ربهم فجعل هذا النقل ارضا قاله الحسن (الثالث) ان الاتقياء يلقون ربهم

القياس العقيم وترأى السقيم
الا لكونهم جهلة لا يعلمون
الاظهار من الحياة الدنيا وذلك
مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك
من جهته تعالى بقوله (وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هم احسن اثانا
ورثا) اي كثير من القرون التي
كانت افضل منهم فيما يفتخرون به
من المخطوط لدنيوية كعادهم وعود
وضرابهم من الامم العاتية قبل
هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب
ولو كان ما آتيناكم لكرامتهم
علينا ما فعلناهم ما فعلنا وفيهم
التبديد والوعيد ما لا يفي كما
قيل فلينظر هؤلاء ما فعلنا ذلك
فكر مفعول اهلكنا ومن قرن
بيان لابيهاها واهل كل عصر
قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم
مأخوذ من قرن الدابة وهو
مقدمها وقوله تعالى هم احسن
اثانا في حين النصب على انه صفة
لكم واثانا تمييز النسبة وهو متاع
البيت وقيل هو ما جدد منه
واخرى ما ليس منه ورث والرفق
المنظر فعل من الرؤية لما يرى
كالطين لما يطحن وقرئ ربا على
قلب الهمزة وادغامها وعلى
انه من الرى وهو النعمة والرفق
وقرئ رثا على القلب وريا
بحذف الهمزة وريا بازاى الهمزة
من الرى وهو الجمع فانه عبارة
عن المحملين بالجمعة (قل من كان
في الضلالة فليدله الرجن مدا)
لا بين طائفة اصنام المهلكة

يوم القيامة وقد انقضت اعمالهم ومراثيها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يرث المالك من المتوفى (ورايها) معنى من كان تقيا من تمسك بآثاره معاصيه وجعله عاقبة واتى ترك الواجبات قال القاضي فيه دلالة على ان الجنة يختص بدخولها من كان متقيا والفساق المرتكب للكبائر لا يوصف بذلك والجواب الآية تدل على أن المتقى يدخلها وليس فيها دلالة على ان غير المتقى لا يدخلها وايضا فصاحب الكبيرة متق عن الكفر ومن صدق عليه انه متق عن الكفر فقد صدق عليه انه متق لان المتق جزء من مفهوم قولنا المتق عن الكفر واذا كان صاحب الكبيرة يصدق عليه انه متق وجب ان يدخل تحتها فالآية بان تدل على ان صاحب الكبيرة يدخل الجنة اولى من ان تدل على أن لا يدخلها بقوله تعالى (وما ننزل الا بأمر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياب السموات والارض وما بينهما قاعده واضطر لعبادته هل تعلم له سببا) اعلم ان في الآية اشكالا وهو ان قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله وقوله وما ننزل الا بأمر ربك كلام غير الله فكيف جاز عطف هذا على ما قبله من غير فصل والجواب انه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح كما ان قوله سبحانه اذ قضى امرا فانما يقول له كن فيكون هو كلام الله وقوله وان الله ربى وربكم كلام غير الله واحدهما معطوف على الآخر واعلم ان ظاهر قوله تعالى وما ننزل الا بأمر ربك خطاب جماعة لو احدث ذلك لابلق الابل الملائكة الذين ينزلون على الرسول ويحتمل في سببه ما روى ان قريشا بحث خسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وهل يحذونه في كتابهم فساءوا النصارى فرموا انهم لا يعرفونه وقالت اليهود نبيده في كتابنا وهذا مناه وقد سألنا رجن الحماة عن خصال ثلاث فلم يعرف فاسئلوه عنهن فان اخبركم بخصلتين منهما فاتبعوه فاسئلوه عن فتية اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح قال فجاؤا فساءلوه عن ذلك فلم يدر كيف يجيب فوعدهم ان يجيبهم بعد ذلك ولم يبق ان شاء الله فاحتبس الوحى عنه اربعين يوما وقيل خسة عشر يوما فاشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فنزل جبريل عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ابطأت عني حتى ساء ظنى واشتقت اليك قال انا كنت اشوق ولكنى عبدك أمور اذابت زلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى هذه الآية وأزل قوله ولا تقولن لشيء انا فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة الضحى ثم اكدوا ذلك بقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا اى هو المدبر لنا في كل الاوقات الماضى والمستقبل وما بينهما او الدنيا والاخرة وما بينهما فانه يعلم اصلاح التدبير مستقبلا وماضيا وما بينهما والغرض ان امرنا ما موكل الى الله تعالى يتصرف فينا بحسب مشيئته وارادته وحكمته لا اعتراض لاحد عليه فيه وقال ابو مسلم قوله وما ننزل الا بأمر ربك يجوز ان يكون قول اهل الجنة والمراد وما ننزل الجنة الا بأمر ربك له ما بين ايدينا اى في الجنة مستقبلا وما خلفنا

مع ما كان لهم من التمتع بفنون الخلود العاجلة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المتفكرين بمآلهم من الخلود ببيان مال امر الفريقين اما على وجه كل متساوول لهم ولغيرهم من المتفكرين في اللذة الفانية المتهجين بها على ان من على صومها واما على وجه خاص بهم على لها عبادة منهم ووصفهم بالتمكن لذتهم والاشارة بعله الحكم اى من كان مستقرا في الضلالة مغورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليدبر له الرحمن اى يبدله وبهله بطول العمر واعطاه المال والتمكين من التصرفات واخر اجد على صفة الامر للايدان بان ذلك مما ينبغي ان يفعل بموجب الحكمة لقطع العاذر كما ينبغي عنه قوله عز وجل اولم نعلمكم ما ينذكر فيه من تذكر اوللاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نغنى لهم ليزدادوا انما وقيل المراد به الدعاة بالمذ والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المذ لا يكون الا للمعسر عليها اذرب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحانية لما ان المذ من احكام الرحة الدينية وقوله تعالى (حتى اذاروا ما يوعدون) فالبطل المتدلل لاقول

ما كان في الدنيا وما بين ذلك أي ما بين الوقتين وما كان ربك نسياً لشيء مما خلق فيترك
 أعادته لأنه عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله وما كان ربك نسياً ابتداء كلامه منه
 تعالى في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم ويتصل به رب السموات والأرض أي هو
 رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده قال القاضي وهذا مخالف للظاهر من وجوه
 (أحدها) أن ظاهر النزل نزول الملائكة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله بأمر ربك
 وظاهر الأمر بحال التكليف اليقيني (وثانيها) أنه خطاب من جماعة لواحد وذلك لا يليق
 بمخاطبة بعضهم لبعض في الجنة (وثالثها) أن ما في سياقه من قوله وما كان ربك نسياً
 السموات والأرض وما بينهما لا يليق بالأحوال التكليف ولا يوصف به الرسول صلى الله
 عليه وسلم فكأنهم قالوا الرسول وما كان ربك يا محمد نسياً يجوز عليه السهو حتى يترك
 إبطاؤنا بالنزول عليك إلى مثل ذلك ثم ههنا إجماع (البحث الأول) قال صاحب الكشف
 النزول على معنيين (أحدهما) النزول على مهل (والثاني) بمعنى النزول على الأغلاق
 والدليل عليه أنه مطاوع تزل وتزل يكون بمعنى أتزل وبمعنى التدرج والاتق
 بمثل هذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا في الأحايين وقابعد وقت ليس إلا
 بأمر الله تعالى (البحث الثاني) ذكرنا في قوله ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وجوها
 (أحدها) له ما قدمنا وما خلفنا من الجهات وما نحن فيه فلا نتألك أن تنقل من جهة
 إلى جهة ومن مكان إلى مكان الأبا مره ومثبته فليس لنا أن نقبل من السماء إلى
 الأرض الأبا مره (وثانيها) له ما بين أيدينا ما سلف من أمر الدنيا وما خلفنا ما يستقبل
 من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين الفتيختين وهو أربعمائة سنة (وثالثها) ماضى
 من أعمارنا وما غبر من ذلك والحال التي نحن فيها (ورابعها) ما قبل وجودنا وما
 بعد فناءنا (خامسها) الأرض التي بين أيدينا أذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء
 والأرض وعلى كل التقديرات فالقصد أنه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب
 عنه مثقال ذرة فكيف تقدم على فعل الأبا مره وحكمه (البحث الثالث) قوله وما كان
 ربك نسياً أي تاركاً لك قوله ما ودعك ربك وما قلى أي ما كان امتناع النزول إلا
 لامتناع الأمر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه إليك أم لقوله رب السموات
 والأرض وما بينهما فالمراد أن من يكون ربها لا يجع لا يجوز عليه النسيان إذ لا بد من
 أن يمسكها حالاً بعد حال والأبطل الأمر فيها فممن يتصرف فيها وأحجج أصحابنا بهذه
 الآية على أن فعل العبد خلق الله تعالى لأن فعل العبد حاصل بين السما والأرض والآية
 دالة على أنه رتب لكل شيء حصل بينهما قال صاحب الكشف رب السموات والأرض
 بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات والأرض فاعبده
 واصطبر لعبادته فهو الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم بالعبادة والمصابرة على مشاق
 التكليف في الأداء والإبلاغ فيما يخصه من العبادة فإن قيل لم يقل واصطبر على عبادته

المفتقرين كما قيل أذليس فيه
 امتداد بحسب الذات وهو ظاهر
 ولا استمرار بحسب التكرار
 لوقوعه في حيز جواب إذا وجمع
 الضمير في الفعلين باعتبار معنى من
 كان الأمر في الضميرين الأولين
 باعتبار لفظها وقوله تعالى (أما
 العذاب وإما الساعة) تفصيل
 للوجود على سبيل البدل
 فإنه إما العذاب الدنيوي بقلبة
 المسكين واستيلابهم عليهم وتقديم
 أيام قتلا وسراً وإما يوم القيامة
 ومآلهم فيه من الخزي والكال
 على طريقة منع الملودون منع
 الجمع فإن العذاب الأخرى
 لا يفتك عنهم بحال وقوله تعالى
 (فسيحلون) جواب الشرط
 والجملة محكية بعد حتى أي حتى إذا
 عاشوا ما يوعدون من العذاب
 الدنيوي والأخرى قطع
 فسيحلون حينئذ (من هو شئ
 مكانا) من الفرقين بأن يشاهدوا
 الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه
 فيعلمون أنهم شئ مكانا لاخير
 مقاما (واضعف حنذا) أي فلة
 وانصارا لا احسن نديا كما كانوا
 يدعونوه وليس المراد أنه عمة
 جندا عصفاء كلا ولم تكن له فلة
 يصرونه من دون الله وما كان
 متصرا وانما ذكر ذلك رداً لما
 كانوا يزعمون أن لهم أهوا من
 الاعيان وانصارا من الاخير

بل قال واصطبر لعبادته قلنا لان العباداة جعلت بمنزلة القرن في قولك للحارب اصطبر
 لقرئك اى اثبت له فيما يورد عليك من شداته والمعنى ان العباداة تورد عليك شداً
 ومشايق فاثبت لها ولا تمن ولا يضيق صدرك من القاء اهل الكتاب اليك الا غلبت عن
 احتباس الوحي عنك مدة وشجاعة المشركين بك اما قوله تعالى هل تعلم سمياً فالظاهر يدل
 على انه تعالى جعل علة الامر بالعبادة والامر بالمصاهرة عليها انه لاسمى له والاقر هو كونه
 منعماً باصول النعم وفروعها وهى خلق الاجسام والحياة والعقل وغيرها فانه لا يتدر
 على ذلك احد سواء سبحانه فاذا كان هو قدائم عليك بغاية الانعام وجب ان تعظمه
 بغاية التعظيم وهى العباداة ومن الناس من قال المراد انه سبحانه ليس له شريك في اسمه
 وينو ذلك من وجهين (الاول) انهم وان كانوا يطلعون لفظ الله على الوثن فاعطوا
 لفظ الله على شئ سواء وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسمى بالرحن غيره (الثاني)
 هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير
 معتد بها كالتسمية والقول الاول هو الصواب والله اعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ (ويقول
 الانسان ائذا مات لسوف اخرج حياً اولاً يذكر الانسان اننا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً
 فوربك نحشرهم ونهموهم والشياطين ثم نحضرهم نهم حول جهنم جثياً ثم لنزعن من كل شيعة ايهم
 اسد على الرحمن عتياً ثم اعلم بالذين هم اولى بهاصلياً) اعلم انه تعالى لما امر بالعبادة
 والمصاهرة عليها فكان سائلاً سأل وقال هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا واما في
 الآخرة فقد انكرها قوم فلا بد من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر ان الاشتغال
 بالعبادة مفيد فلهذا حكى الله تعالى قول منكرو الحشر فقال ويقول الانسان ائذا
 مات لسوف اخرج حياً وانما قالوا ذلك على وجه الانكار والاستبعاد وذكرنا
 في الانسان وجهين (احدهما) ان يكون المراد المجلس بأسره فان قيل كلهم غير قائلين
 بذلك فكيف يصح هذا القول قلنا الجواب من وجهين (الاول) ان هذه المقالة لما كانت
 موجودة فيما هو من جنسهم صح اسنادها الى جميعهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما
 القاتل رجل منهم (والثاني) ان هذا الاستبعاد موجود ابتداء في طبع كل احد الا ان
 بعضهم ترك ذلك الاستبعاد المبني على محض الطبع بالدلالة القاطعة التي قامت على صحة
 القول به (الثاني) ان المراد بالانسان شخص معين فقيل هو ابو جهل وقيل هو ابى بن خلف
 وقيل المراد جنس الكفار القائلين بعدم البعث ثم ان الله تعالى اقام الدلالة على صحة
 البعث بقوله اولاً يذكر الانسان اننا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً والقرآء كلهم على يذكر
 بالتشديد الاتفاقي وابن مامر وعاصما قد خففوا اى اولاً يذكر الانسان اننا خلقناه من قبل
 واذ اقرى اولاً يذكر فهو اقرب الى المراد اذ الغرض التفكير والنظر في انه اذا خلق من
 قبل لامن شئ فجاء ان يعاد ثانياً قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في
 البعث على هذا الاختصار لما قدروا عليها اذ لا شك ان الاعادة ثانياً اهون من اليجاد

و يغفرون بذلك في الاندية
 والمخالف (ويبد الله الذين اهدوا
 هدى) كلام مستأنف سبق لبيان
 حال المهتدين اثر بيان حال
 الضالين وقيل عطف على فليند
 لانه في معنى الخبر حسبما عرفته
 كانه قيل من كان في الضلالة يمهده
 الله ويريد المهتدين هداية كقوله
 تعالى والذين اهدوا زادهم
 هدى وقيل عطف على الشرطية
 التحكية بعد القول كانه لما بين ان
 امهال الكفار وتمتيعه بالحياة ليس
 لغرض عقوب ذلك ببيان ان قصور
 حفظ المؤمن منته ليس لتقصه بل لانه
 تعالى اراد به ما هو خير من ذلك
 وقوله تعالى (والباقيات
 الصالحات خير) على تقديرى
 الاستئناس والمطوف كلام
 مستأنف وارد من جهته تعالى
 لبيان فضل اعمال المهتدين غير
 هائل في حيز الكلام الملقن لقوله
 تعالى (عند ربك) اى الطاعات
 التي تقي فوائدها وتدوم عوائدها
 ومن جعلها ما قبل من الصلوات
 الخمس وما قبل من قول سبحان
 الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
 أكبر (خير) عند الله تعالى والنترض
 لغنوان الربوبية مع الاشارة الى
 ضيمه لتشريفه عليه السلام
 (نوبا) اى عائدة عما يتجمع به
 الكفرة من النعم الخديعة الفانية
 التي يغفرون بها لاسيما وما كمالها

اولا ونظيره قوله قل يحيبها الذي انشاها اول مرة وقوله وهو الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو
 اهون عليه واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان المعدوم ليس بشئ وهو ضعيف لان
 الانسان عبارة عن مجموع جواهر متألفة قامت بها اعراض وهذا المجموع ما كان شيئا
 ولكن لم قلت ان كل واحد من تلك الاجزاء ما كان شيئا قبل كونه موجودا فان قيل كيف
 امر تعالى الانسان بالذكر مع ان الذكر هو العلم بما قد علمه من قبل ثم تخلفها سهو قلنا
 المراد أولا لا تفكر فبعد خصوصا اذا قرئ أولا بذكر الانسان بالتشديد اما اذا قرئ أولا
 يذكر بالتخفيف فالمراد أولا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل احد يعلم انه لم يكن حيا في الدنيا
 ثم صار حيا ثم انه سبحانه لما قرر المطلوب بالدليل ارفده بالتهديد من وجوه (احدها) قوله
 فوريك لعشرتهم والشياطين وفائدة القسم امر ان (احدهما) ان العادة جارية بتأكيده
 الخبر باليمين (والثاني) ان في اقسام الله تعالى باسمه مضافا الى اسم رسوله صلى الله عليه
 وسلم تفخيم لشأنه صلى الله عليه وسلم ورفع منه كبر رفع من شأن السماء والارض في قوله
 فوريب السماء والارض انه خلق والواو في والشياطين يجوز ان تكون للعطف وان
 تكون بمعنى مع وهى بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين
 الذين اغواهم بقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة (وثانيها) قوله ثم يحضرهم في جهنم
 جهنم جشيا وهذا الاحضار يكون قبل ادخالهم جهنم ثم انه تعالى يحضرهم على اذل
 صورة لقوله تعالى جشيا لان الباركة على ركبته صورته صورة الذليل او صورته صورة
 العاجز فان قيل هذا المعنى حاصل لكل بدليل لقوله تعالى وتري كل امة جاثية والسبب فيه
 جريان العادة ان الناس في مواقف المطالبات من الملوك يتعاثون على ركبهم لما في ذلك
 من الاستغفار والقلق او لما يدهمهم من شدة الامر الذي لا يطيقون معه القيام على ارجلهم
 واذا كان هذا عاما لكل فكيف يدل على مزيد ذل الكفار قلنا لعل المراد انهم يكونون
 من وقت الحشر الى وقت الحضور في الموقف على هذه الحالة وذلك بوجوب مزيد الذل
 في حقهم (وثالثها) قوله ثم لنزعن من كل شيعة ائبهم اشد على الرحمن عتسا والمراد
 بالشيعة وهى فعلة كفرقة وفتة الطائفة التى شاعت اى تبعت غاويا من الغفوة قال تعالى
 ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا والمراد انه تعالى يحضرهم اولاحول جهنم جشيا ثم يميز
 البعض من البعض فمن كان اشد هم تمردا في كفره خص بعذاب اعظم لان عذاب الضال
 المضل يجب ان يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتردد وتبخر
 كعذاب المقلد وليس عذاب من يورد الشبه في الباطل كعذاب من يقتدى به مع الغفلة قال
 تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ذنابهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
 وقال ولحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فين تعالى انه ينزع من كل فرقة من كان
 اشد عتوا وشد تمردا ليعلم ان عذابه اشد ففائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب
 لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال في جميعهم ثم لنح اهل بالذين هم اولى بها

لنعم المقم وما ل هذا الحسرة
 السردية والعذاب الاليم كاشير
 اليه بقوله تعالى (وخيرمدا)
 اى مرجعا وعاقبة وتكريرا لخبر
 لزبد الاعتناء ببيان الخيرية
 وتأكيدها وفي التفضيل مع ان
 مالا لكفرة يعزل من ان يكون له
 خيرية في العاقبة تكلم بهم
 (افرايت الذى كفر باياتنا اى
 باياتنا التى من جعلنا آيات البعث
 نزلت في العاصم بن وائل كان
 نجابا بن الارث عليه مال فاقضاه
 فقال لاحتى تكفر بمحمد قال لا
 والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا
 حين يموت قال فاذا بعثت جئني
 فيكون لى عمة مال وولدا فاعطيك
 وفي رواية قال لا اكفر به حتى
 يموت ثم بعثت فقال اى ليت تم
 مبعوث قال نعم قال دعني حتى
 اموت وابعث فساوتى ما لا ولدا
 فاقضيت فزولت بالهمزة للتعجب
 من حاله والايذان بانها من الغرابة
 والشناعة بحيث يجب ان ترى
 ويقضى منها العجب ومن فرق بين
 المتروايت بعبديان اشتراكهما
 في الاستعمال لقصد التعجب بان
 الاول يطلق بنفس التعجب منه
 فيقال لم تر الى الذى صنع كذا
 بمعنى انظر اليه تعجب من حاله
 والثاني يطلق بمثل التعجب منه
 فيقال ارايت مثل الذى صنع
 كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث

صليا ولا يقال اولى الامع اشتراك القوم في العذاب واختلفوا في امراب ايهم فمن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لنزاع الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيوبه على انه مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلة حتى لو جئ به لا حرب وقبل ايهم هو اشد * قوله تعالى (وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) واعلم انه تعالى لما قال من قبل فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم قال ثم لنحشرنهم حول جهنم اردفه بقوله وان منكم الاواردها يعني جهنم واختلفوا فقال بعضهم المراد من تقدم ذكره من الكفار فكفى عنهم الا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة قالوا انه لا يجوز للمؤمنين ان يردوا النار ويدل عليه امور (احدها) قوله تعالى ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون والمبعد عنها لا يوصف بانه واردها (والثاني) قوله لا يسمعون حسيسها ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها (وثالثها) قوله وهم من فرغ يومئذ آمنون وقال الاكثرون انه هام في كل مؤمن وكافر لقوله تعالى وان منكم الاواردها فلم يخص وهذا الخطاب مبتدأ مخالف للخطاب الاول ويدل عليه قوله ثم نجى الذين اتقوا اي من الواردين من اتقى ولا يجوز ان يقال ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا الا والكل واردون والاخبار المروية دالة على هذا القول ثم هؤلاء اختلفوا في تفسير الورود فقال بعضهم الورود والنوم من جهنم وان يصيروا حولها وهو موضع الحساب واخرجوا على ان الورود قدير ابد القرب بقوله تعالى فأرسلوا واردهم ومعلوم ان ذلك الوارد ما دخل الماء وقال تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون وأراد به القرب ويقال وردت القافلة البلدة وان لم تدخلها فعلى هذا معنى الآية ان الجن والانس يحضرون حول جهنم كان على ربك حتما مقضيا اي واجبا مفروضا منه بحكم الوعيد ثم نجى اي بعد الذين اتقوا عن جهنم وهو المراد من قوله تعالى اولئك عنها مبعدون ومما يؤكد هذا القول ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقال حفصة أليس الله يقول وان منكم الاواردها فقال عليه السلام فاه ثم نجى الذين اتقوا ولو كان الورود عبارة عن الدخول لكان سؤال حفصة لازما (القول الثاني) ان الورود هو الدخول ويدل عليه الآية والخبر (اما الآية) فقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اثم لها واردون وقال فأوردهم النار وبئس الورد المورود ويدل عليه قوله تعالى اولئك عنها مبعدون والمبعد هو الذي لولا التباعد لكان قريبا فهذا انما يحصل لو كانوا في النار ثم انه تعالى يعيدهم عنها ويدل عليه قوله تعالى ونذر الظالمين فيها جثيا وهذا يدل على انهم يقعون في ذلك الموضع الذي وردوه وهم انما يقعون في النار فلا بد وان يكونوا قد دخلوا النار (واما الخبر) فهو ان عبدالله بن رواحة قال اخبر الله عن الورود ولم يحبر بالصدور فقال عليه السلام يا ابن رواحة اقرأ ما بعدها ثم نجى الذين اتقوا وذلك يدل على ان ابن رواحة فهم من الورود والدخول والنبي صلى الله

لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وكما نه ذهب عليه قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انطرت فرأيت الذي كفر يا ليتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل من يشاهدها (وقال) مستهزا بها مصدرا لكلامه بالبين الفاجرة والله (لاؤتين) في الاخرة (ملا) وولدا) اي انظر اليه فحسب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان ارايت بمعنى اخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا اي الفريقين خير مقام الآخرة وانت خير بان المشهور استعمال ارايت في معنى اخبرني بطريق الاستفهام جاريا على اصله او خرجا الى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ وقد ا على انه جمع ولذا سجد اسداو على انه لفظية كالعرب والعرب وقوله تعالى (اطلع الغيب) رد لكلمته الشفاء واظهار لبطانها اثر ما شير اليه بالتعجب منها اي اقدبلغ من عظمة الشأن الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استأثر به العلم الخبير حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة تما لا ولدا واقسم عليه

عليه وسلم ما نكر عليه في ذلك وعن جابر انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يقي برولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما حتى ان الناس ضجيجا من بردها والقائلون بهذا القول يقولون المؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرب البتة بل مع القبطية والسرور وذلك لان الله تعالى اخبر عنهم انهم لا يحزنونهم الفزع الاكبر ولا ان الآخرة دار الجزاء لادار التكليف وايصال النعم والحزن انما يجوز في دار التكليف ولا نه سمعت الرواية عن رسول الله صلى عليه وسلم ان الملائكة تبشر في القبر من كان من اهل الثواب بالجنة حتى يرى مكانه في الجنة ويعلمه وكذلك القول في حال العائنة فكيف يجوز ان يردوا القيامة وهم شاكون في امرهم وانما تؤثر هذه الاحوال في اهل النار لانهم لا يعلمون كونهم من اهل النار والعقاب ثم اختلفوا في انه كيف يدفع عنهم ضرر النار فقال بعضهم البقعة المسماة بهم لا تمتنع ان يكون في خللها ما لا نار فيه ويكون من المواضع التي يسلك فيها ذرات جهنم واذا كان كذلك لم تمتنع ان يدخل الكل في جهنم فالمؤمنون يكونون في تلك المواضع اخلاية عن النار والكفار يكونون في وسط النار (وثانيها) ان الله تعالى يخذل النار فيعبرها المؤمنون وتنهال بغيرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما يردونها كأنها هالة وعن جابر بن عبد الله انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا بأن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خادمة (وثالثها) ان حرارة النار ليست بطبعها فالاجزاء الملائقة لا بد ان الكفار يجعلها الله عليهم محرقة مؤذية والاجزاء الملائقة لا بد ان المؤمنين يجعلها الله بردا وسلاما عليهم كما في حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الكوز الواحد من الماء كان يشربه القبطي فكان يصير دما ويشربه الاسرائيلي فكان يصير ماء عذبا واعلم انه لا بد من احد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقين فان قيل اذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم النار فما القائمة في ذلك الدخول قلنا فيه وجوه (احدها) ان ذلك مما يردهم سرورا اذا حلوا الخلاص منه (وثانيها) ان فيه مزيد غم على اهل النار حيث يرون المؤمنين الذين هم اعداؤهم يتخلصون منها وهم يقولون فيها (وثالثها) ان فيه مزيد غم على اهل النار من حيث تظهر فضيحتهم عند المؤمنين بل وعند الاولياء وعند من كان يخوفهم من النار فما كانوا يلتفتون اليه (ورابعها) ان المؤمنين اذا كانوا معهم في النار يكتونهم فزاد ذلك غما للكفار وسرورا للمؤمنين (وخامسها) ان المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر ويقمعون عليهم صحة الدلائل فما كانوا يقبلون تلك الدلائل فاذا دخلوا جهنم معهم اظهروا لهم انهم كانوا صادقين فيما قالوا وان المكذبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين (وسادسها) انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب صار ذلك سبيلنا في التذاهم بنعيم الجنة كما قال الشاعر

(ام اتخذ عند الرحمن عهدا)
 بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرجائية للشاعر بعلمية الرحلة لا يتاسا بدعيه وقيل العهد كلة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعده تعالى بالثواب عليها كما هو هذا مجازاة مع العيين بصيب منطوق مقالها كما ان كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى (كلا) ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبه على خطئه (سنكتب ما يقول) اي سنظفر انا كتبنا قوله
 اذا ما اتقستنا لم تلد في لليلة
 اي يتبين اني لم تلد في لليلة او
 سنكتب منه انتقام من كتب
 جريمة الجاني وحفظها عليه فان
 نفس الكثرة لا تكاد تتأخر عن
 القول لقوله عن وعلا ما يفظ من
 قول الادلبي رقيب عتيد فبني
 الاول تنزيل اظهار الشيء الخفي
 منزلة احداث الاسر المصدوم
 بجامع ان كلا منهما اخراج من
 الكون الى البروز فيكون
 استعارة تشبيه بنية على تشبيه
 اظهار الكتابة على رؤس الانبياء
 باحداثها ومدار الثاني تشبيه
 الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة
 الجرم سبب لعقوبته فلعنا
 (وعنده من العذاب مدا) مكان
 ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال
 والولداي تطول له من العذاب
 ما يستحقه

و يصدّها تبين الاشياء فاما الذين تمسكوا بقوله تعالى اولئك عنها مبعدون فقد بينا انه
أحد ما يدل على الدخول في جهنم وايضا فالمراد عن عذابها وكذا قوله لا يسمعون
حسبها فان قيل هل ثبت بالاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها الى الجنة
قلنا ثبت بالاخبار ان المحاسبة تكون في الارض اوجبت كانت الارض ويدل عليه ايضا
قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة في السماء ففي
موضع المحاسبة يكون الاجتماع فيدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله اهل
الجنة وينجيهم ويدفع اهل النار فيها * اما قوله كان على ربك حتما مقضيا فالحتم مصدر حتم
الامر اذا اوجبه فسمى المحتوم بالحتم كقولهم خلق الله وضرب الامير واخبرج من
اوجب العقاب عقلا فقال ان قوله كان على ربك حتما مقضيا يدل على وجوب ما جاء من
جهة الوعيد والاخبار لان كلمة على الوجوب والذي ثبت بمجرد الاخبار لا يسمى واجبا
والجواب ان وعد الله تعالى لما استحال تطرق الخلف اليه جرى مجرى الواجب اما قوله
ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيرى نجي ونجي ونجي على ما لم يسم فاعله قال القاضي
الاية دالة على قولنا في الوعيد لان الله تعالى بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو
وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا ثم بين تعالى ان من عاد المتقين يذره فيهما جثيا
ثبت ان الفاسق يبقى في النار أبدا قال ابن عباس المتقى هو الذي اتقى الشرك بقول
لا اله الا الله واعلم ان الذي قاله ابن عباس هو الحق الذي يشهد الدليل بحجته وذلك لان
من آمن بالله ورسله صح ان يقال انه متقى عن الشرك ومن صدق عليه انه متقى عن
الشرك صدق عليه انه متقى لان المتقى جزء من المتقى عن الشرك ومن صدق عليه المربك
صدق عليه المفرد ثبت ان صاحب الكبرة متقى واذا ثبت ذلك وجب ان يخرج من
النار لعموم قوله ثم نجي الذين اتقوا فصارت هذه الآية التي توهموها دليلا من اقوى
الدلائل على فساد قولهم قال القاضي وتدل الآية ايضا على فساد قول من يقول ان من
المكلفين من لا يكون في الجنة ولا في النار قلنا هذا ضعيف لان الآية تدل على انه تعالى
ينجي الذين اتقوا وليس فيها ما يدل على انه ينجيهم الى الجنة ثم هب انها تدل على ذلك
ولكن الآية تدل على ان المتقين يكونون في الجنة والظالمين يقعون في النار فيبقى ههنا
قسم ثالث خارج عن القسمين وهو الذي استوت طاعته ومعصيته فتسقط كل واحدة
منهما بالآخرى فيبقى لامطعيا ولا ماصيا فهذا القسم ان يطل فانما يطل بشئ سوى هذه
الآية فلان تكون هذه الآية دالة على الحصر الذي ادعاه ومن المعترلة من تمسك في الوعيد
بقوله ونذر الظالمين فيها جثيا ولفظ الظالمين لفظ جمع دخل عليه حرف التعريف فيفيد
العموم والكلام على التمسك بصيغ العموم قد تقدم مرارا كثيرة في هذا الكتاب
اما قوله جثيا قال صاحب الكشاف قوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد
بالورود الجثو حواليا وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد نجاتهم وتبقى

وتزيد عذابه وفضاعفه له لكفره
واقترانه على الله سبحانه واستهزائه
بآياته العظام ولذلك اكسد
بالمصدر دلالة على فرط
الغضب (وترثه) موته (ما يقول)
اي مسمى ما يقول ومصداقه
وهو ما وثقه في الدنيا من المال
والولد وفيه ايدان بأنه ليس
لما يقوله مصداق موجود
سوى ما ذكر اي تزعم عنه
ما أتينا (ويأتينا) يوم القيامة
(فردا) لا يصعب مال ولا ولد كان
له في الدنيا فضلا ان يبقى في الآخرة
وقيل تزوي عنه ما زعم انه يتاله
في الآخرة ونعطي من يستحقه
وبأيه معنى الارث وقبل المرد
ما يقول نفس القول المذكور
لاسماء والحق انما يقول هذا
القول مادام حيا فاذا قبضناه حملنا
بينهم وبين ان يقول ويأتينا رافضا
له منفردا عنه وانت خير بان
ذلك مبنى على ان صدور القول
المذكور عنه بطريق الاعتقاد
وانه مستر على النفوس راج
لوقوع مضونه ولا ريب في ان
ذلك مستحيل عن كفر بالبهت وانما
قال مقال بطريق الاستهزاء
وتعليق ادنيه بالحال (واخذوا
من دون الله آية) حكاية لجنابة
عامة لكل مستتبعة لفساد
ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية
مقالة الكافر اليهود واستنباعها
لتقيض مضونها اي اتخذوا

الكفرة في مكانهم **جائين** قوله تعالى (واذ اتى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا الذين آمنوا الى الفريقين خيراً فما واحسن ندياً) اعلم انه تعالى لما قام الحجة على مشركي قريش المنكرين للبعث اتبعه بالوعيد على ما تقدم ذكره عنهم انهم عارضوا بحجة الله بكلام فقالوا لو كنتم انتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا احسن واطيب من حالنا لان الحكم لا يليق به ان يقع اولياءه المخلصين في العذاب والذل واعداً المعرضين عن خدمته في العز والراحة ولما كان الامر بالعكس فان الكفار كانوا في النعمة والراحة والاستعلاء والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف والذل على ان الحق ليس مع المؤمنين هذا حاصل شبهتهم في هذا الباب ونظيره قوله تعالى لو كان خيراً ما سبقونا اليه وروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويطيبون ويترنون بالزينة الفاخرة ثم يدعون مفخّرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم بقي بحسان (الاول) قوله آياتنا بينات يحتمل وجوهاً (احدها) انها مرثيات الالفاظ مبنيات المعاني اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالحكمات او بتبيين الرسول قولاً او فعلاً (وثانيها) انها ظاهرات الاجاز تحدى بها فاقدروا على معارضتها (وثالثها) المراد بكونها آيات بينات اى دلائل ظاهرة واضحة لا يتوجه عليها سؤال ولا اعتراض مثل قوله تعالى في اثبات صحة الخبر اولاً يذكر الانسان انما خلقناه من قبل واولئك شيئا (البحث الثاني) قرأنا كثير مقام بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقيون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندى المجلس يقال ندى وناد والجمع الادنية ومنه قوله وتأتون في ناديتكم المنكر وقال فليدع ناديه ويقال ندوت القوم اندوهم اذا جمعتم في المجلس ومنه دار الندوة بمكة وكانت تجتمع القوم ثم اجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن ائماناً ورثاً) وتقرير هذا الجواب ان يقال ان من كان اعظم نعمة منكم في الدنيا قداهلكهم الله تعالى وبادهم فلو دل حصول نعم الدنيا للانسان على كونه حبيباً لله تعالى لوجب في حبيب الله ان لا يوصل اليه غما في الدنيا ووجب عليه ان لا يهلك احداً من المتعبدين في دار الدنيا وحيث اهلكهم دل اما على فساد المقدمة الاولى وهي ان من وجد الدنيا كان حبيباً لله تعالى او على فساد المقدمة الثانية وهي ان حبيب الله لا يوصل الله اليه غماً وعلى كالاتقيرين فيفسد ما ذكرتموه من الشبهة بقي البحث عن تفسير الالفاظ فتقول اهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركتهم لم يكن لك بمن نصب احسن على الوصفية والاثاث شاع البيت اماراً يقرئ على خسة اوجه لانها ما ان قرأ بالاراماتى ليس فوقها نقطة او بالزى التي فوقها نقطة فاما الاول فاما ان يجمع بين العزمة والياء او يكتفى بالياء اما اذا جمع بين العزمة والياء ففيه وجهان (احدهما) بهزمة ساكنة بعدها ياء وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت رؤياً (والثاني) رؤياً

الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى (ليكونوا لهم عزاً) اى ليتعزوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفاء عنده (كلاً) ردع لهم من ذلك الاعتقاد الباطل واتكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة (سيكفرون بعبادتهم) اى سيجعل الله لعبدته عبادتهم لها بأن ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتونا اوسينكر الكفرة حين شاهدوا سوء مقايعة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى (ويكونون عليهم منداً) على الاول تكون الالهة التي كانوا يرجون ان تكون لهم عزاً ضد الفز اى لا وهو ان لا تكون عوناً عليهم والله لعذابهم حيث يجعل وقود النار وحصب جهنم اوحيت كانت عبادتهم لها سبباً لعذابهم واطلاق التند على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانة له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضداً واعداً لالهة كافرين بها يعبدان كانوا يحبونها سكب الله ويعبدونها او توحيد الضد لوحدة المعنى الذي عليه تدور مضادتهم فانهم بذلك كسروا واحد كفى قوله عليه السلام وهم يدعى من سوامهم قرئى كلاً بفتح الكاف والتثنية على قلب الالف نوناً في الوقت قلب الف الاطلاق

قوله

اقبل اليوم حاذل والعنان

وقولنا اصبت لقد اصابت

او على معنى كل هذا الرأي كلا

وقرى كلا على اخبار فعل يفسره

حاجبه اى سيحدون كلا

سيكفرون الخ (الم تر اننا ارسلنا

الشياطين على الكافرين) تهيب

لمرسول الله صلى الله عليه وسلم بما

نطقته الايات الكريمة السالفة

وحكمته من هؤلاء الكفرة القذرة

والمردة النذرة من فنون القبايح

من الافاويل والافاعيل والافادى

فى الفى والانهاء فى الضلال

والافراط فى الضاد والتصميم على

الكفر من غير صارف بلويعهم

ولا عطف بينهم والاجماع على

مدافعة الحق بعد التصاح

واتقاء الشك عنه بالكيفية وتنبية

على ان جميع ذلك منهم باضلال

الشياطين واغوائهم لالان له

مسوتا مافى الجملة ومعنى ارسال

الشياطين عليهم اما تسليطهم

عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما

تقيضهم لهم وليس المراد لتعجيبه

عليه السلام من ارسالهم عليهم

كايهمه تعليق الرؤية به بل بما

ذكر من احسوال الكفرة من

كولها من آثار اغواء الشياطين كما

ينبئ عنه قوله تعالى (توزهمزا)

فانه اما حال مقدرة من الشياطين

او استئناف وقع جوابا عما نشأ

عن صدر الكلام كانه قيل ماذا

يفعل الشياطين

على القلب كقولهم راء فى رأى امانا اكتفينا بالياء فتارة بالياء المشددة على قلب الهمزة
ياء والادغام او من الرى الذى هو النعمة والترفة من قولهم ريان من النعيم والسائق
بالياء على حذف الهمزة رأسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو ريثا بخذف الهمزة
والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها واما بازاى النقطة من فوق زيافاشتقاقه من
ازى وهو الجلم لان الزى محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء والله اعلم قوله تعالى
(قل من كان فى الضلالة فلמדله الرحمن مداحتى اذارأ واما بوعدون اما العذاب واما
الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جند او يزيد الله الذين اهتدوا هدى
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا خير مردا) اعلم ان هذا هو الجواب الثانى عن
تلك الشبهة وتقديره لنفرض ان هذا الضلال المتم فى الدنيا قدم الله فى اجله وامله مدة
مديدة حتى ينضم الى النعمة العظيمة المدة الطويلة فلا بد وان ينتهى الى عذاب فى الدنيا
او عذاب فى الآخرة بعد ذلك سيعلمون ان نعم الدنيا ما تغدوهم من ذلك العذاب فقوله
فسيعلمون من هو شر مكانا مذكور فى مقابلة قولهم خير مقاما واضعف جندا فى مقابلة
قولهم احسن تديافين تعالى انهم وان ظنوا فى الحال ان منزلتهم افضل من حيث فضلهم
الله تعالى بالمقام والندى فسيعلمون من بعد ان الامر بالصد من ذلك وانهم شر مكانا فانه
لا مكان شر من النار والمناقشة فى الحساب واضعف جندا فقد كانوا يظنون وهم فى الدنيا
ان اجتماعهم ينفع فاذا رآوا أن لا ناصر لهم فى الآخرة عرفوا عند ذلك انهم كانوا فى الدنيا
مبطلين فيما ادعوه * بلى البعث عن الالفاظ وهو من وجوه (احدها) مدله الرحمن اى
امله واملى له فى العرفاخر ج على لفظا امرا اذا ما بوجوب ذلك وانه مفعول بالجملة
كالمأمور الممثل لقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أو لم نعمركم ما تذكر فيه
من تذكر وكقولهم انما على لهم ليزدادوا انما (وثانيا) ان قوله اما العذاب واما الساعة
يدل على ان المراد بالعذاب عذاب يحصل قبل يوم القيامة لان قوله واما الساعة المراد منه
يوم القيامة ثم العذاب الذى يحصل قبل يوم القيامة يمكن ان يكون هو عذاب القبر ويمكن
ان يكون هو العذاب الذى سيكون عند المعينة لانهم عند ذلك يعلمون ما يستحقون
ويمكن ايضا ان يكون المراد تغير احوالهم فى الدنيا من العزالى الذل ومن الغنى الى الفقر
ومن الصحة الى المرض ومن الأمان الى الخوف ويمكن ان يكون المراد تسليط المؤمنين
عليهم ويمكن ايضا ان يكون المراد ما نالهم يوم بدر وكل هذه الوجوه مذكورة واعلم انه
تعالى بين بعد ذلك انه كما يعمل الكفار بما ذكره فكذلك يزيد المؤمنين المهتدين هدى
واعلم اننا نبين امكان ذلك بحسب العقل فنقول انه لا يبعد ان يكون بعض انواع الاهتداء
مشروطا ببعض فان حاصل الاهتداء يرجع الى العلم ولا مشاع فى كون بعض العلم
مشروطا ببعض فن اهتدى بالهداية التى هى الشرط صار بحيث لا يتمتع ان يعطى
الهداية التى هى المشروط فصنع قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى مثاله الايمان

{هدى}

هدى والاخلاص في الايمان زيادة هدى ولا يمكن تحصيل الاخلاص الا بعد تحصيل
 الايمان فمن اهتدى بالايمان زاد الله الهداية بالاخلاص هذا اذا اجرينا لفظ الهداية
 على ظاهره ومن الناس من جعل الزيادة في الهدى على الثواب اي وزيد الله الذين
 اهتدوا ثوابا على ذلك الاهتداء ومنهم من فسر هذه الزيادة بالعبادات المترتبة على الايمان
 قال صاحب الكشاف يزيد معطوف على موضع فلما دللناه واقف موقع الخير تقديره من
 كان في الضلالة يمد له الرحمن مدا ويزيد اي يزيد في ضلال الضلال بجدلانه بذلك المد
 ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه ثم انه تعالى بين ان ماعليه المهتدون هو الذي ينفع في
 العاقبة فقال والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وذلك لان ماعليه المهتدون ضرر
 قليل مثناه بعقبه نفع عظيم غير مثناه والذي عليه الضالون نفع قليل مثناه يعقبه ضرر عظيم
 غير مثناه وكل احديهم بالضرورة ان الاول اولي وبهذا الطريق تسقط الشبهة التي عولوا
 عليها واختلفوا في المراد بالباقيات الصالحات فقال المحققون انها الايمان والاعمال
 الصالحة سماها باقية لان نفعها يدوم ولا يبطل ومنهم من قال المراد بهابعض العبادات
 ولعلمهم ذكروا ما هو اعظم ثوابا فبعضهم ذكر الصلوات وبعضهم ذكر التسبيح وروى عن
 ابي الدرداء قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واخذ عودا يابساً فأزال
 الورق عنه ثم قال ان قول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله يحيط الخطايا خطايا كما يحيط
 ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل ان يحال بينك وبينهن هن الباقيات
 الصالحات وهن من كنوز الجنة وكان ابو الدرداء يقول لاعن ذلك ولا كثر منه حتى
 اذا رآني جاهل حسب اني مجنون والقول الاول اولي لانه تعالى انما وصفها بالباقيات
 الصالحات من حيث يدوم ثوابها ولا يقطع قبض العبادات وان كان انقص ثوابا من
 البعض فهي مشتركة في الدوام فهي بأمرها باقية صالحة نظرا الى آثارها التي هي
 الثواب ثم انه تعالى اخبر انها خير عند ربك ثوابا وخير مردا ولا يجوز ان يقال هذا خير الا
 والمراد انه خير من غيره فالمراد اذن انها خير مما ظنه الكفار بقولهم خير مقامنا واحسن
 ندباً قوله تعالى (افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لا تؤتينا مالا وولدا أطلع القيب
 أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلاكه كتب ما يقول ويمدله من العذاب مدا وزنه ما يقول
 وبآيتنا مردا) اعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل أولا على صحة البعث ثم اورد شبهة المتكبرين
 واجاب عنها اورد عنهم الآن ما ذكره على سبيل الاستهزاء طعنا في القول بالخير فقال
 افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لا تؤتينا مالا وولدا قرأ حجة والكسافي ولدا وهو جمع
 ولد كاسد في أسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر ولد اب الكسرو عن
 الحسن تزلت الآية في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب بن
 الارت كان لي عليه دين فاقضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر
 بمحمد صلى الله عليه وسلم لاحبا ولا ميتا ولا حين تبعث فقال فاني اذا مت بعثت قلت نعم

هم حينئذ يقبل تؤزهم اي
 تقرهم وتهمهم على الماضي
 فهمجا شديدا بانواع الوسواس
 والتسويلات فان الاز والهز
 والاستغفار اخوات منها اشد
 الازعاج (فلا تفعل عليهم) اي
 بأن يفعلوا حسبا تقتضيه
 جنائهم ويبيدوا عن آخرهم
 وتطهر الارض من فسادهم
 والفاء للاشعار بكون ما قبلها
 مظنة لوقوع النهي عنه موجبة
 الى النهي كما في قوله تعالى ان
 هذا عدو لك ولزوجك فلا
 يخرجكم من الجنة وقوله تعالى
 (انما فعلهم عدا) لتلبيح لوجوب
 النهي ببيان اقتراب هلاكهم
 اي لانسجهم بهلاكهم فانه لم
 يبق لهم الايام وانقاس بعداها
 عدا (يوم تشر المتيقن) منصوب
 على الظرفية بفعل مؤخر قد
 حذف للاشعار بضيق العبارة
 من حصره وشرحه لكمال
 فطاعة ما يقع فيه من الطامة
 التامة والدواهي العامة كأنه
 قيل يوم تشر المتيقن اي يومهم
 (الى الرحمن) الى ربهم الذي
 يغفرهم برحمته الواسعة (وفدا)
 وافدين عليه كما يفد الوفود على
 السلوك منتظرين لكرامتهم
 وانصافهم (ونسوق الجيرمين)
 كما تساق الهائم (الى جهنم
 كوردا) صفا فان من يرد الماء
 لا يورده الا للعطش او كالدواب

قال اني اذ بعثت وجنتي فيكونون ثم مال وولد فأعطيك وقيل صاغ حجاب له حليا
فأقصاه فطلب الاجرة فقال انتم ترعون انكم تبعون وان في الجنة ذهابا وفضة
وحريرا قانا اقصيتك ثم قال اوتى مالا وولدا حينئذ ثم اجاب الله تعالى عن كلامه بقوله
اطمع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا قال صاحب الكشف اطمع الغيب من قولهم
اطمع الجبل اى ارتقى الى اعلاه ويقال مر مطلعا لذلك الامر اى غالبا له مالكا له
والاختيار في هذه الكلمة ان نقول أو قد بلغ من عظم شأنه انه ارتقى الى علم الغيب الذى
توحد به الواحد القهار والمعنى ان الذى ادعى انه يكون حاصله لا يتوصل اليه الا بالحد
هذين الامرين اما علم الغيب واما عهد من طام الغيب فبأيهما توصل اليه وقيل في العهد
كلمة الشهادة عن قيادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول ثم انه سبحانه بين
من حاله ضما دما فقال كلا وهى كلمة ردع وتنبية على الخطأ اى هو مخطئ فيما يقوله
ويتناه فان قيل لم قال سنكتب ما يقول بسين التسوية وهو كما قاله كتب من غير تأخير
قال تعالى ما يلفظ من قول الالديه رقيب عند قلنا فيه وجهان (احدهما) سيظهر له
وبعلم انا كتبنا (الثاني) ان المتوعد يقول للجناني سوف انتقم منك وان كان في الحال في
الانتقام ويكون غرضه من هذا الكلام محض التهديد فكذا ههنا ما قوله تعالى وبمده
من العذاب مدا أى تطول له من العذاب ما يستأى هله وتزيده من العذاب ونضاعف له
من المدد ويقال مدوه أمده بمعنى ويدل عليه قراءة على بن ابي طالب عليه السلام وبمده
بالضم اما قوله ونزله ما يقول اى يزول عنه ما وعده من مال وولد فلا يعود كما لا يعود الارث
الى من خلفه واذا سلب ذلك في الآخرة يبقى فردا فذلك قال وبأيتنا فردا فلا يصح ان
ينفرد في الآخرة بمال وولد ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة والله أعلم بقوله
تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلاسكفرون بعبادتهم ويكونون
عليهم ضدا ألم تر اننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم اذا فلا تجعل عليهم اثما من قبلهم
عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون
الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) اعلم انه تعالى لما تكلم في مسئلة الحشر والنشر
تكلم الآن في الرد على عباد الاصنام فحكي عنهم انهم انما اتخذوا آلهة لانفسهم
ليكونوا لهم عزا حيث يكونون لهم عند الله شفاء وانصارا يتقونهم من الهلاك ثم
اجاب الله تعالى بقوله كلا وهو ردع لهم وانكار لتزهمم بالآلهة وقرأ ابن نبيك كلا
سيكفرون بعبادتهم اى كلهم سيكفرون بعبادة هذه الاوثان وفي محاسب ابن جنى كلا يفتح
الكاف والتثنية وزعم ان معناه كل هذا الاعتقاد والرأى كلا قال صاحب الكشف
ان صححت هذه الرواية فهي كلا التى هى الردع قلب الواقع عليها فلها نونا كما في قواريرا
واختلفوا في ان الضمير في قوله سيكفرون يعود الى المعبود أو الى العابد فنهى من قال انه
يعود الى المعبود ثم قال بعضهم أراد بذلك الملائكة لانهم في الآخرة يكفرون بعبادتهم

التي ترداها. ففعل بالرفيقين من
الافعال الما لبني بيانه نطق
المقال وقيل منصوب على
المفعولية بحضر مقدم خطوبه
النبي صلى الله عليه وسلم اى
اذكر لهم بطريق الترغيب
والترهيب يوم نحشر الخ وقيل
على الطريقة لقوله تعالى
(لا يملكون الشفاعة) والذى
يقضيه مقام التحويل وتستدعيه
جن الله التازل ان يتصّب بأحد
الوجهين الاولين ويكون هذا
استنفا ما بينا لبعض ما فيه من
الامور الدالة على هوله وخيمه
طائ الى العباد الدلول عليهم
بذكر الرفيقين لاختصاصهم
فيهما وقيل الى المتقين خاصة
وقيل الى المجرمين من الكفرة
واهل الاسلام والشفاعة على
الاولين مصدر من المبني للفاعل
وعلى الثالث ينبغى ان تكون
مصدرا من المبني للمفعول
وقوله تعالى (الا من اتخذ عند
الرحن عهدا) على الاول استثناء
متصل من لا يملكون وعمل
المستثنى لما الرفع على البدل او
النصب على اصل الاستثناء
والغنى لايملك العباد ان يشفعوا
لغيرهم الا من استعمله بالحق
بالايمان والتقوى او من اسر
بذلك من قولهم عهد الامير الى
فلان بكذا اذا امر به فيكون
ترغيبا للناس في تحصيل الايمان

و يبرؤن منهم و يخاصمونهم وهو المراد من قوله أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقال آخرون ان الله تعالى يحى الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم و يبرؤا منهم فيكون ذلك اعظم لحسرتهم ومن الناس من قال الضمير يرجع الى العباد اى ان هؤلاء المشركين يوم القيامة ينكرون انهم عبدوا الاصنام ثم قال تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين اما قوله ويكونون عليهم ضدا فذكر ذلك في مقابلة قوله لهم حزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كما انه قيل و يكونون عليهم ذلالهم لاحزا او يكونون عليهم عونا والصد العون يقال من اضدادكم اى من اعوانكم وكان العون يسمى ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعته ثلاث عليه فان قيل ولم وحدقلنا وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم فانهم كشيء واحد لفرط انتظامهم وتوافقهم ومعنى كون الالكه عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولاتهم عذبوا بسبب عبادتها واعلم انه تعالى لما ذكر حال هؤلاء الكفار مع الاصنام في الآخرة ذكر بعد محالهم مع الشياطين في الدنيا فانهم يستلونها و يتقادون لهم فقال انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا وفيه مسأئل (المسئلة الاولى) احتج الاحباب بهذه الآية على ان الله تعالى مراد لجميع الكائنات فقالوا قول القائل ارسلت فلانا على فلان موضوع في اللفظة لافادة انه سلطه عليه لارادة ان يستولى عليه قال عليه السلام سم الله وارسل كليك عليه اذا ثبت هذا فقوله انا ارسلنا الشياطين على الكافرين يفيد انه تعالى سلطهم عليهم لارادة ان يستولوا عليهم وذلك يفيد المقصود ثم يتأكد هذا بقوله تؤزهم ازا فان معناه انا ارسلنا الشياطين على الكافرين لتؤزهم ازا ويتأكد بقوله واستفزز من استطعت منهم قال القاضى حقيقة اللفظ توجب انه تعالى ارسل الشياطين الى الكفار كما ارسل الانبياء بأن جعلهم رسالة يؤدونها اليهم فلا يجوز في تلك الرسالة الا ما ارسل عليه الشياطين من الاغواء فكان يجب في الكافر ان يكونوا بقبولهم من الشياطين مطيعين وذلك كفر من قاله ولان من الجب تعلق المجرة بذلك لان عندهم ان ضلال الكفار من قبله تعالى بأن خلق فيهم الكفر وقدر الكفر فلان لا يبرأ من الشيطان واذا بطل حل اللفظ على ظاهره فلا بد من التأويل فقوله على انه تعالى خلى بين الشياطين وبين الكفار وما منعهم من اغوائهم وهذه التعلية تسمى ارسالا في سعة اللفظة كما اذا لم يمنع الرجل كلبه من دخول بيت جبرائه يقال ارسل كلبه عليه وان لم يرد اذى الناس وهذه التعلية وان كان فيها تشديد للجنة عليهم فهم متكئون من ان لا يقبلوا منهم ويكون ثوابهم على ترك القبول اعظم والدليل عليه قوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلانلو موئى ولو موئى اتفسمكم هذا تمام كلامه وتقول لانسل انه لا يمكن حله على ظاهره فان قوله الشياطين لو ارسلهم الله الى الكفار لكان الكفار مطيعين له بقبول قول الشياطين فلنا الله تعالى

والقوى المؤدى الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اى لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملك ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك الجرمون ان يشفع لهم الامن كان منهم مسلما (وقالوا) اتخذ الرحمن ولدا (حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او حكاية عبدا لاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى (لقد جئتم شيئا ادا) رد لقتلهم الباطلة وتحويل لامرها بطريق الالتفات للنبي من كان السخط وشدة الغضب المصح من غاية التشنيع والتفخيخ وتسميل عايم بنهاية الوفاة والجهل والجرأة والاذ بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامور اذنى اقلنى وعظم على اى فطم اسرا متكررا شديدا لا يقادر قدره فان جاء واتى يستعلمان في معنى فعل فيمديان تعديته وقوله تعالى (تكاد السموات) المنصبة لادا او

ما ارسل الشياطين الى الكفار بل ارسلها عليهم والارسل عليهم هو التسليط لارادة أن يصير مستوليا عليه فأين هذا من الارسل اليهم قوله ضلال الكافر من قبل الله تعالى فأى تأثير للشيطان فيه قلنا لم لا يجوز ان يقال ان اسمع الشيطان اياه تلك الوسوسة يوجب في قلبه ذلك الضلال بشرط سلامة فهم السامع لان كلام الشيطان من خلق الله تعالى فيكون ذلك الضلال الحاصل في قلب الكافر منتسبا الى الشيطان والى الله تعالى من هذين الوجهين قوله لم لا يجوز ان يكون المراد بالارسل التخليه قلنا كما خلى بين الشيطان والكفرة قد خلى بينهم وبين الانبياء ثم انه تعالى خص الكافر بأنه أرسل الشيطان عليه فلا بد من فائدة زائدة وهنا ولأن قوله تؤزهم اذا اى تحركهم تحريكا شديدا كالغرض من ذلك الارسل فوجب ان يكون ذلك الأمر اذ مراد الله تعالى ويحصل المقصود منه فهذا ما في هذا الموضع والله اعلم (المسئلة الثانية) قال ابن عباس تؤزهم أذا أى ترعجهم في المعاصي از عاجزت في المستهزين بالقرآن وهم خسة رهط قال صاحب الكشف الازو الهزو الاستفزاز اخوات في معنى التهميج وشدة الازماج أى ترعجهم على المعاصي وتحمهم وتعيجهم لها بالوساوس والتسويلات اما قوله تعالى فلا تجعل عليهم انما تعدلهم عدا يقال جعلت عليه بكذا اذا استعملته به اى لا تجعل عليهم بان يهلكوا او يبدوا حتى تستريح انت والمسلون من ضرورهم فليس ينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة ونظيره قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ عن ابن عباس انه كان اذا قرأها بكي وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد دخول قبرك آخر العدد فراق اهالك وعن ابن السكيت رحمه الله انه كان عند المؤمن قرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفذ وذكروا في قوله تعدلهم عدا وجهين آخر ين (الاول) فعد انفاسهم واعمالهم فجازيهم على قليلها وكثيرها (والثاني) تعد الاوقات الى وقت الاجل المعين لكل احد الذى لا تشرق اليه الزيادة والنقصان ثم بين سبحانه ما يظهري في ذلك اليوم من الفصل بين المتقين وبين المجرمين في كيفية الحشر فقال يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال صاحب الكشف نصب يوم بمضمر اى يوم نحشر ونسوق تفعل بالرفيقين مالا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلائ يكون عن على عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان المتقين اذا خرجوا من قبورهم استقبلوا نوق يض لها الجنة عليها رجال الذهب ثم تلا هذه الآية وفيها مسائل (المسئلة الاولى) قال القاضى هذه الآية احدا ما يدل على ان احوال يوم القيامة تختص بالمجرمين لان المتقين من ابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة فهم آمنون من الخوف فكيف يجوز ان تالهم احوال (المسئلة الثانية) المشبهة احتجوا بالآية وقالوا قوله الى الرحمن يفيد ان انتهاء حركتهم يكون عند الرحمن واهل التوحيد يقولون

استثناف بيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ بكاد بالتذكير (يتفطرون منه) يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرون والاول ابلغ لان فعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولان اصل الفعل التثاقب (وتتشق الارض) اى وتكاد تشقق الارض (وتخر الجبال) اى تسقط وتهدم وقوله تعالى (هذا) مصدر مؤكده لحدوث هو حال من الجبال اى تهددا او مصدر من المبني للمفعول مؤكده لتضر على غير الصدر لانه حيثل بمعنى التهديم والخرور كأنه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اى مهدودة او مفعول له اى لانه تهدم وهذا قرير يكونه اذا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنوا وعظما بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطف بها هاتيك الاجرام النظام وتفتت من شدتها او ان فطاعتها او استجلاب الغضب واستجاب لضبط بحيث لو لا حله تعالى لغرب العالم ويبدت قوائمه غضبا على من قوه بها (ان ادعوا للرجن ولدا) منصوب على حذف اللام الخلقه بكاد او بجرور باضمارهاى تكاد السموات يتفطرن والارض تشقق والجبال تخر لائن دعواله

المعنى يوم نحشر المتقين الى محل كرامة الرحمن (المسئلة الثالثة) طعن المحدث فيه فقال قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا هذا انما يستقيم ان لو كان الحاشر غير الرحمن اما اذا كان الحاشر هو الرحمن فهذا الكلام لا ينظم اجاب المسلمون بأن التقدير يوم نحشر المتقين الى كرامة الرحمن اما قوله ونسوق الجحيم الى جهنم وردا فقوله نسوق يدل على انهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد اسم للعطاش لان من برد الماء لا يبرده الا للعطش وحقيقة الورد السير الى الماء فسمى به الواردون اما قوله لا يملكون الشفاعة اى فليس لهم والظاهر ان المراد شفاعتهم لغيرهم او شفاعة غيرهم لهم فلذلك اختلفوا وقال بعضهم لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم كما يملكون المؤمنين وقال بعضهم بل المراد لا يملكون ان يشفعوا لهم وهذا الثانى لولى لان جل الآية على الاول يجرى مجرى ايضاح الواضحات واذا ثبت ذلك دلت الآية على حصول الشفاعة لاهل الكبرياء لانه قال عقيبه الامن اتخذ عند الرحمن عهدا والتقدير ان هؤلاء لا يستحقون ان يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الرحمن عهدا التوحيد والشبهة فوجب ان يكون داخلا تحته ومما يؤكد قولنا ما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال لاصحابه ذات يوم ايجز احذكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك بانى اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فالتكلى ان تكلمنى الى نفسى تقربنى من الشر وتبعدنى من الخير واتى لائق الابرحتك فاجعل لى عهدا توفيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن صعد فيدخلون الجنة فظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه دلالة الآية على ان الشفاعة لاهل الكبرياء وقال القاضى الآية دالة على مذهبه وقد ظهر ان الآية قوية فى الدلالة على قولنا والله اعلم قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتشق الارض ونحرا لجبال هذا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا) اعلم انه تعالى لما رد على عبدة الاوثان عادالى الرد على من اثبت له ولدا قالت اليهود مزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله والكل داخلون فى هذه الآية ومنهم من خصها بالعرب الذين امنوا ان الملائكة بنات الله قالوا لان الرد على النصارى تقدم فى اول السورة اما الآن فانه لم يرد على العرب الذين قالوا بعبادة الاوثان تكلم فى افساد قول الذين قالوا بعبادة الملائكة لكونهم بنات الله اما قوله لقد جئتم شيئا ادا فقرأ ادا بالاكسر والفتح قال ابن خالويه الادو الاد العجب

سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهذا وقيل الجلة بدل من الضمير الجبرور فى منه كفى قوله
• على جود لطيف بانما حاتم •

وقيل خبر مبتدأ محذوف اى الموجب لذلك ندعو الخ وقيل فاعل هذا اى ههنا دعا الولد والاولى هو الاول ودعوا من دعاه بمعنى سعى التمدد الى مفعولين وقد اقتصر على اثنين ليتناول كل مذهب ولدا ومن دعاه بمعنى نسب الذى مطاوعه ادهى الى فلان اى اتسبب اليه وقوله تعالى (وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا) حال من فاعل قالوا اودعوا مقررة لبطان مقاتلهم واستحالة تحقق مضمونها اى قالوا اتخذ الرحمن ولدا اوان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطابق له لوطلب مثلا لاستحالة فى نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعملة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى امامة او منم عليه فكيف يسمى ان يجالس من هو مبدأ النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذ ولدا وقد صرح بقوله عن عائلا (ان كل من فى السموات والارض) اى ما منهم احد من الملائكة والقبليين (الا اتى الرحمن عبدا) الا وهو مملوك له ياوى اليه بالعبودية والافتقار وقرئ آت

الرجن على الاصل (لقد احصاهم) اى حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطه عليه وقبضة قدرته وملكوته (وعدهم عددا) اى عددا شخصاهم وانفاسهم واقبالهم وكل شئ عنده بمقدار (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) اى كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل يا آتية فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فأتى بتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولذا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما فصلت فأتى بحوال الكفرة عقب ذلك يذكر محاسن احوال المؤمنين (سجعل لهم الرحمن ودا) اى سجدت لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى مالهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرجائية لما ان الوعد من آثارها وعن النبي عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام اى احب فلانا فاحبه فيه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبه وفيه اهل السماء ثم يوضع له الحبة في الارض والسين لان السورة مكية فكانوا اذذاك محمقين بين الكفرة ووعدهم ذلك

وقيل المنكر العظيم والادة الشدة وادنى الامر وادنى ثقلنى قرئ بفتح طاء بالهاء بعد الياء اعنى المجمة من تحتها واختلوا في يكاد قرأ بعضهم بالياء المجمة من تحتها وبعضهم بالهاء من فوق والافتطار من فطره اذا شقه والنظر من فطره اذا شقه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود يتصدعن وقوله وتغر الجبال هذا اى تهددا او مهدودة او مفعول له اى لانها تهدو المعنى انها تنساقط اشد ما يكون تنساقط البعض على البعض فان قيل من اين يؤثر القول بانبات الولد لله تعالى في انفتار السموات وانشقاق الارض وخروج الجبال قلنا فيه وجوه (احدها) ان الله سبحانه وتعالى يقول أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تقوه بها لولا حلى وائى لا يعمل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكنا من احد من بعده انه كان حلما غفورا (وثانيها) ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فطاعتها وتصويرا لآثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده (وثالثها) ان السموات والارض والجبال تكاد ان تفعل ذلك لو كانت تفعل من غلظ هذا القول وهذا نأويل ابن مسعود (ورابعها) ان السموات والارض والجبال كانت سليمة من كل العيوب فلما تكلم بنو آدم بهذا القول ظهرت العيوب فيها اما قوله ان دعوا للرجن ولدافقيه مسائل (المسئلة الاولى) في اعرابه ثلاثة اوجه (احدها) ان يكون مجرورا بدلا من الهاء منه او منصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اى هذا لان دعوا او مرفوعا بأنه فاعل هذا اى هدها دعاء الولد للرجن والحاصل انه تعالى بين ان سبب تلك الامور العظيمة هذا القول (المسئلة الثانية) انما كرر لفظ الرجن مرات تبينها على انه سبحانه وتعالى هو الرجن وحده من قبل ان اصول النعم وفروعها ليست الا منه (المسئلة الثالثة) قوله دعوا للرجن هو من دعاه بمعنى سعى المتدعي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذى هو الثانى طلبا للمعوم والاحاطة بكل من ادعى له ولذا او من دعاه بمعنى نسب الذى هو مطاوعه ما فى قوله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير ماله قال الشاعر * انابنى نهل لاندعى لآب * اى لانتسب اليه ثم قال تعالى وما ينبغى للرجن ان يتخذ ولدا اى هو محال اما الولادة المعروفة فلامقال في امتناعها واما التبنى فلان الولد لا بد وان يكون شبيها بالوالد ولا مشبه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح في الله من سروره واستعانة به وذكر جليل وكل ذلك لا يليق به نعم قال ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرجن عبدا والمراد انه مأمور بمعبودهم فى السموات والارض من الملائكة والناس الا وهو يأتى الرجن اى بأوى اليه وينبغى الى ربوبيته عبدا متقادا مطيعا خاشعا راجيا كما يفعل العبيد ومنهم من حله على يوم القيامة خاصة والاول اولى لانه لا تخصيص فيه وقوله لقد احصاهم وعدهم عددا اى كلهم تحت امره وتديره وقهره وقدرته فهو سبحانه محيط بهم ويعلم بحمل أمورهم وتقاصيلها لا يفوته شئ من

احوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة مفردا ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم برآء منهم ﴿ قوله تعالى ﴾ (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قائما يسرناه بلسانك لتبشربه المتقين وتنذبه قوما لدا) وكما اهلكنا قبلهم من قرن هل نحس منهم من احد او تسع لهم ركزا) اعلم انه تعالى لما رد على اصناف الكفرة وبالغ في شرح احوالهم في الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر احوال المؤمنين فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداو للفسرين في قوله ودا قولنا (الاول) وهو قول الجمهور انه تعالى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التي يكتسب الناس بها مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع معروف او غير ذلك وانما هو اختراع منه تعالى وابتداء تخصيصا لاوليائه بهذه الكرامة كاذف في قلوب اعدائهم العرب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين في سيجعل امالان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ يمقتون بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا جاء الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيامة فيجبهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية اذا احب الله عبدا نادى جبريل قدا حيت فلانا فاحبوه فينادى جبريل عليه السلام بذلك في السماء والارض واذا ابغض عبدا فبغض ذلك وعن كعب قال مكتوب في التوراة والانجيل لاحبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداءوها من الله تعالى ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصدق في ذلك في القرآن قوله سيجعل لهم الرحمن ودا (القول الثاني) وهو اختيار ابي مسلم معنى سيجعل لهم الرحمن ودا اي يهب لهم ما يحبون والود والمحبة سواء يقال آتيت فلانا محبة وجعل لهم ما يحبون وجعل له وده ومن كلامهم يود لو كان كذا ووددت ان لو كان كذا اي احببت ومعناه سيعطيهم الرحمن ودهم اي يحبوهم في الجنة (والقول الاول) اولى لان جل المحبة على المحبوب مجاز ولا ناذرنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وفسرها بذلك فكان ذلك اولى وقال ابو مسلم بل القول الثاني اولى لوجوه (احدها) كيف يصح القول الاول مع علمنا بأن المسلم المتقي يفضله الكفار وقد يفضله كثير من المسلمين (وثانيها) ان مثل هذه المحبة قد تحصل للكفار والفاسق اكثر فكيف يمكن جعله انعاما في حق المؤمنين (وثالثها) ان محبتهم في قلوبهم من فعلهم لأن الله تعالى فعله فكان حل الآية على اعطاء النافع الاخروية اولى والجواب عن الاول ان المراد يجعل لهم الرحمن محبة عند الملائكة والانبيا وروى عنه عليه السلام انه حكى عن ربه عز وجل انه قال اذا ذكرني عبدي المؤمن في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا اطيب منهم وافضل وهذا هو الجواب عن الكلام الثاني لان الكافر والفاسق ليس كذلك والجواب عن الثالث انه محمول على فعل اللطاف وخلق داعية اكرامه في قلوبهم اما قوله تعالى قائما يسرناه

ثم انجزه حين راي الاسلام ولان الموعود في القيامة حين تعرض حسنتهم على رؤس الاشهاد فيخرج ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا الوعد من بين ما سيؤمنون يوم القيامة من الكرامات السنية لما ان الكفرة يسبق بينهم يومئذ تباعض وتضاد وتقاطع وتلاعن (فانما يسرناه) اي القرآن (بلسانك) بأن نزلناه على امتك والبايعي على وقيل ضمن التنزيه معنى الانزال اي يسرنا القرآن معززين له بلفظك والغاة لتعليل امرين في اليه النظم الكريم كأنه قيل بعد انصاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او يشره وانذر فاعسا يسرناه بلسانك لعري المبين (لتبشربه المتقين الى الصائرين الى التقوى بامثال ما فيه من الامر والنهي وتنذره قوما لدا) لا يؤمنون به لجأنا وعنادا والد جهم الالد وهو الشديد الخصومة والهجوع العائد وقوله تعالى (وكما اهلكنا قبلهم من قرن) وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالهلاك وحس له عليه الصلاة والسلام على الانذار رأى قرنا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء العائدين وقوله تعالى (هل تحس منهم من احد) استكتفى مقرر لخصمون ما قبله اي هل تشمر باحد

بلسانك تبشربه المتقين فهو كلام مستأنف بين به عظيم موقع هذه السورة لما فيها من التوحيد والنبوة والخشوع والنشر والرد على فرق المضلين المبطلين فبين تعالى انه يبشر ذلك بلسانه ليبشربه وينذر ولولا انه تعالى نقل قصصهم الى اللغة العربية لما تبشروا ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم فاما ان القرآن يتضمن تبشير المتقين وانذار من خرج منهم فبين لكنه تعالى لما ذكر انه يبشربه المتقين ذكر في مقابلته من هو في مخالفة التقوى ابلغ وبلغهم الالاد الذي يمسك بالباطل ويحادل فيه ويتسدد وهو معنى لدا ثم انه تعالى ختم السورة بموعظة بليغة فقال وكلهم اهلكنا من قرن لانهم اذا تأملوا وعلموا انه لا بد من زوال الدنيا والانهاء الموت خافوا ذلك وخافوا ايضا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا فيها الى الخذر من المعاصي اقرب ثم اكد تعالى ذلك فقال هل تحس منهم من احد لان الرسول عليه السلام اذا لم يحس منهم احدا برؤية او ادراكا او وجدان ولا يسمع لهم زكرا وهو الصوت الخفي ومنه زكرا الرخ اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون

دل ذلك على انقراضهم وفنائهم بالكلية والاقرب في قوله اهلكنا ان المراد به الانقراض بالموت وان كان من المفسرين من جعله على العذاب

المجمل في الدنيا والله اعلم بالصواب واليه المرجع

والمآب والحمد لله رب العالمين وصلى الله

على سيدنا محمد النبي الامي

وعلى آله وصحبه

وسلم

منهم وتري (او تسمع لهم زكرا) اي صوتا خفيا واصل الزكرا هو الظفاء ومنه زكرا الرخ اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون الخفي والنفى اهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى وعيسى ومريم وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

تم الجزء الخامس وبليه الجزء السادس اوله سورة طه عليه السلام



Bibliotheca Alexandrina



0408660